الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

دواء القلوب

الحمـــد لله، الذى أنار قلوب المؤمنين بنور الإيمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تصلح القلب واللسان من فساد الأفعال. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، الذى طهره الله ظاهرا وباطنا، ووصفه فوق ما يقال، فهو النبى المصطفى، والحبيب المجتبى، والهادى من الضلال، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه بالغدو والآصال.

←

«وبعـــــد»

فقد جاء في كلام أسعد الخلق رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

«... وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»[1].

أعلم – أرشدني الله وإياك – أن القلب عضو باطن في الجسد، وعليه مدار حال الإنسان، وبه العقل، وهو أشرف أعضائه، وسمي قلبا، لسرعة الخواطر فيه، وترددها عليه وتقلبه، وأن صلاح البدن وفساده تابع لصلاح القلب وفساده، وأن القلب كالملك، والجسد والأعضاء كالرعية، ولا شك أن الرعية تصلح بصلاح الملك، وتفسر بفساده، – وأيضا – فهو كالعين، والجسد كالمزرعة إن عذب ماء العين عذب الزرع، أو ملح ملح.

وإن مرض القلب إنما هو نوع فساد يحصل له، يفسد به تصوره وإرادته فتصوره بالشبهات، التي تعرض له حتى لا يرى الحق، أو يراه على خلاف ما هو عليه، وإرادته بحيث يبغض الحق النافع، ويحب الباطل الضار، ولهذا يفسر المرض تارة بالشك والريب، كما فسر مجاهد وقتادة قوله تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[2] أي: شك، وتارة يفسر بشهوة الزنا كما فُسر به قوله:

﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[3] وإذا كان هناك مرض في القلب، فإن دواءه كما قال السيد الجليل ذو المواهب والمعارف إبراهيم الخواص – رضي الله عنه – «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»[4] وزاد بعضهم: العزلة، والصمت، وترك خوض الناس، وأكل الحلال، وهو رأس الكل، لأنه ينور القلب ويصلحه، فتزكو بذلك الجوارح وتدرأ المفاسد، وتكثر المصالح[5] وقد قيل: «إذا صمت فانظر على طعام من تفطر، فإن الرجل ليأكل الأكلة فتشعل قلبه كالسم، فلا ينتفع أبدا»[6].

وكانت تلاوة القرآن العظيم من أدوية القلب، لأنه ينشرح بها ويستنير، ويحصل له الخشية والحزن، ولا يحصل هذا إلا بالتدبر في القراءة، قال سيدنا علي – كرم الله وجهه – لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا في قراءة لا تدبر فيها» وتكون – أيضا – مع الأدب فيها بأن يصون يديه حال القراءة عن العبث، وعينه عن تفريق النظر من

---

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري في الإيمان برقم (٥٢) ومسلم في المساقاة (١٥٩٩) وأوله: «إن الحلال بين.....»

(٢) البقرة (١٠).

(٣) الأحزاب (٣٢).

(٤) كفاية الأتقياء، ومنهاج الأصفياء، للدمياطي (٥٤).

(٥) سلالم الفضلاء، للشيخ محمد نووي (٥٤).

(٦) كفاية الأتقياء، لابن شطا الدمياطي (٥٤).

غير حاجة، ويكون على طهارة، وأن يكون مستقبلا للقبلة، وأن يجلس بوقار، أي: حسن الهيئة، وتكون ثيابه نظيفة، وأن تكون القراءة مرتلة، لأن الترتيل يعين على التدبر، وهو تبيين الحروف، وفصل كل كلمة عن أختها، وإخراج كل حرف من مخرجه والوقوف في محله. وأن يتخلق القارئ بالشيم الحميدة، والأخلاق الرضية، التي بينها القرآن العظيم، والسنة النبوية التي أبرزها النبي - صلى الله عليه وسلم - ومن جملة الأخلاق الحميدة: السخاء، والجود، والزهادة في الدنيا، والتوكل على الله في جميع أموره وحسن الظن به والخوف والرضا والإنصاف في المعاملة، والحلم، والورع والتواضع وجاء في النصائح الدينية[٧] أن للتلاوة آدابا ظاهرة وباطنة ولا يكون العبد من التالين حقيقة الذين تزكو وتلاوتهم، ويكون من الله بمكان حتى يتأدب بتلك الآداب، وكل من قصر فيها ولم يتحقق بها، لم تكمل تلاوته، ولكنه لا يخلو في تلاوته من ثواب، وله فضل على قدره.

فمن أهم الآداب وآكدها: أن يكون التالي في تلاوته مخلصا لله - تعالى - ومريدا بها وجهه الكريم والتقرب إليه، والفوز بثوابه، وألا يكون مرائيا ولا متصنعا ولا متزينا للمخلوقين، ولا طالبا بتلاوته شيئا من الحظوظ العاجلة، والأعراض الفانية الزائلة، وأن يكون ممتلئ السر والقلب بعظمة المتكلم - عز وعلا - خاضعا لجلاله، خاشع القلب والجوارح، حتى كأنه من تعظيمه وخشوعه واقف بين يدي الله - تعالى - يتلو عليه كتابه الذي أمره فيه ونهاه، وحق لمن عرف القرآن، وعرف المتكلم به أن يكون كذلك، وعلى أتم من ذلك، كيف وقد قال الله تعالى:

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٨].

فإذا كان هكذا يكون حال الجبل مع جموده وصلابته لو أنزل عليه القرآن فكيف يكون حال الإنسان الضعيف المخلوق من ماء وطين لولا غفلة القلوب وقسوتها، وقلة معرفتها بعظمة الله وعزته وجلاله.

وكان خلاء البطن من أدوية القلب، لأن فيه راحة القلب، والسلامة من الطغيان والبطر، وخفة البدن للعبادات، ودفع الأمراض. وفي الشبع أضدادها، قال الطرطوشي: إن مصرانة الإنسان طولها ثمانية عشر شبرا، وينبغي ألا يزيد الأكل علي ثلثها، وهو ستة أشبار، وهذا هو الشبع المعتاد ويندب أن ينقص عنه بأن يأكل

---

(٧) ص:٦٠.

(٨) سورة الحشر الآية (٢١).

ما يقيم صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعي[٩] كما قال صلى الله عليه وسلم: «ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[١٠] وهذا من أنفع ما للكبد والقلب، ومعلوم أن آفات الشبع المعتاد ست: أحدهما ثقل جسم، وثانيها: قسوة القلب كما روى عن حذيفة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من قل طعامه صح بطنه، وصفا قلبه، ومن كثر طعامه سقم بطنه وقسا قلبه» وثالثها: إزالة الفطنة وإفساد الذهن، وإبطال الحفظ، ورابعها تضعيف جسم عن العبادة والعلم وخامسها: جلب النوم كما قال بعض الحكماء: من كثر أكله كثر شربه، ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه كثر لحمه ومن كثر لحمه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق فى الآثام». وحديث: «لا تميتوا القلوب من كثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع إذا كثر عليه الماء مات» ولحديث: «ما زين الله برجل أفضل من عفاف بطنه» وسادسها: تقوية الشهوات ونصر جنود الشيطان كما قاله الغزالى[١١].

وإنما كان قيام الليل من أدوية القلب كذلك، لأنه مذهب كيد الشيطان، ونهاه عن الاثم، ودافع الداء عن الجسد، ومرضى الرب، ودأب الصالحين.

والمراد بقيام الليل: فعل العبادة فيه بصلاة أو غيرها كما ذكره الصاوى فى تفسير قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾[١٢] فقال المعنى: قم للصلاة والعبادة، قال الحبيب عبدالله الحداد فى نصائحه: «واعلم أن قيام الليل من أثقل شئ على النفس، ولا سيما بعد النوم وإنما يصير خفيفا بالاعتياد والمداومة، والصبر على المشقة والمجاهدة فى أول الأمر، ثم بعد ذلك ينفتح باب الأنس بالله - تعالى - وحلاوة المناجاة له، ولذة الخلوة به - عز وجل - وعند ذلك لا يشبع الإنسان من القيام، فضلا عن أن يستثقله، أو يكسل عنه، كما وقع ذلك للصالحين من عباد الله حتى قال قائلهم: إن كان أهل الجنة فى مثل ما نحن فيه بالليل إنهم لفى عيش طيب». وقال آخر: «منذ أربعين سنة ما غمنى شئ إلا طلوع الفجر» وقال آخر: أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم» وقال آخر: «لولا قيام الليل وملاقاة الإخوان فى الله، ما أحببت البقاء فى الدنيا» وقد حث سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حيث يقول: «عليكم بقيام الليل ولو ركعة»[١٣] ولذا ينبغى عليك أخى

(٩) سلالم الفضلاء للشيخ محمد نووى (٩٨).
(١٠) الفتح الكبير (٣/١٠٢) لأحمد والترمذى.
(١١) سلالم الفضلاء (٩٩).
(١٢) سورة المزمل الآيتان (٢،١).
(١٣) الفتح الكبير (٢/٢٤٦).

المسلم – رحمك الله – بقيام الليل والمحافظة عليه، وبالاستكثار منه(و) كن من

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾(١٤).

وإنما كان التضرع بالسحر من أدوية القلب – أيضا – لأنه وقت مناجاة الله – تعالى – والدعاء فيه أقرب إلى الإجابة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا – تبارك وتعالى – كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: «من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له»(١٥).

وإنما أفرده بالذكر وعدّه نوعا مخصوصا مع أنه مندرج فيما قبله، لشرفه على غيره من بقية أجزاء الليل، ولأن العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى(١٦).

وكانت مجالسة الصالحين من أدوية القلب – أيضا – لأنها تورث الاقتداء بهم، في أفعالهم، وأقوالهم وأحوالهم، وتدعو إلى ألا يرضى لنفسه أن يقصر عنهم، ولا أن يكون في الخير دونهم، فتبعثه المنافسة على مساواتهم، أو الزيادة عليهم فيصيرون سببا لسعادته، وباعثا على استزادته، والصالحون هم القائمون بحقوق الله، وحقوق العباد، ومن فارق العلماء، مات قلبه، وعمى عن طاعة الله - تعالى»(١٧) وكان صلى الله عليه وسلم – يقول: «قال لقمان لابنه: يابنى عليك بمجالسة العلماء، واسمع كلام الحكماء، فإن الله – تعالى – ليحيى قلب الميت بنور الحكمة، كما يحيى الأرض بوابل المطر».

وقال ابن عباس – رضى الله عنهما – قيل، يا رسول الله: أى جلسائنا خير؟ قال: «من ذكركم الله رؤيته، وزاد في علمكم منطقه، وذكركم بالآخرة عمله» وكان – صلى الله عليه وسلم – يقدم أهل العلم والصلاح في المجالس وغيرها(١٨).

وقال لقمان لابنه: يا بنى إذا رأيت قوما يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالما ينفعك علمك، وإن تك جاهلا علموك، ولعل الله – تعالى – يطلع عليهم برحمته فتصيبك معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله – تعالى: فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالما لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلا يزدك غيا، ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم»(١٩).

وعن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال: «إن الرجل ليخرج من منزله، وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه،

---

(١٤) سورة الفرقان الآيتان (٦٣، ٦٤).

(١٥) الفتح الكبير (٣/٤٣٦) لمسلم والترمذى عن أبي هريرة وللنسائي عن جبير بن مطعم، ولأحمد وأبي داود وابن ماجه عن أبي هريرة.

(١٦) كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للدمياطى (٥٥).

(١٧) المرجع السابق.

(١٨) كشف الغمة عن جميع الأمة للإمام الشعرانى (١/٣٢).

(١٩) تنبيه الغافلين للسمرقندى (١٥٨).

فانصرف إلى منزله، وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالس العلماء، فإن الله - تعالى - لم يخلق على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء».

وقال بعض الحكماء: «إن لله تعالى جنة في الدنيا، من دخلها طاب عيشه، قيل: ماهي؟ قال: مجلس الذكر» ويقال: مجالسة العلماء مرمة للدين، وزين للبدن، ومجالسة الفساق جراحة للدين، وشين للبدن، ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة في الطاعات، واجتناب المحارم ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع[٢٠].

ثم إن من أكل الحلال فقد صفا دينه، ورق قلبه، ولم يكن لدعوته حجاب، ومن أكل الشبهات اشتبه عليه دينه، وأظلم قلبه، ومن أكل الحرام مات قلبه، وخف دينه، وضعف يقينه، وحجب الله دعوته، وقلت عبادته.

وقد وصى سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عليا - رضي الله عنه - إذ قال له: يا علي إذا غضب الله على أحد رزقه الله مالا حراما، فإذا اشتد غضبه عليه وكل به شيطانا يبارك فيه، ويصحبه ويشغله بالدنيا عن الدين، ويسهل له أمور دنياه، ويقول: الله غفور رحيم.

يا علي: ما سافر أحد طالبا الحرام ماشيا إلا كان الشيطان قرينه، ولا راكبا إلا كان رديفه، ولا جمع أحد مالا حراما إلا أكله الشيطان، ولا نسي أحد اسم الله - تعالى - عند الجماع إلا شاركه الشيطان في ولده، وذلك قوله تعالى:

﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ﴾[٢١].

يا علي: لا يزال المؤمن في زيادة في دينه، ما لم يأكل الحرام، ياعلي: كثرة النوم تميت القلب، وتذهب البهاء، وكثرة الذنوب تميت القلب، وتورث الندم، ياعلي: للسعيد ثلاث علامات: قوت حلال، ومجالسة العلماء، والصلوات الخمس مع الإمام.

اللهم ارزقنا دوام الإقبال عليك، والاستمساك بما يقربنا لديك، وهب لنا قلبا سليما، واجعله في حبك سليما، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد، ونور قلوبنا بنور القرآن واجعله شفيعا لنا في الآخرة، وصلى الله على خاتم الولاية النبوية الإرسالية، وآله وصحبه أرباب العناية الإلهية وسلم تسليما والحمد لله أولا وآخرا.

(عبدالمعز عبدالحميد الجزار)

---

(٢٠) تنبيه الغافلين (١٥٩، ١٦٠).

(٢١) سورة الإسراء، الآية (٦٤).

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ﴾

بعد أن بين - سبحانه - أن البر الجامع لألوان الخير يتجلى فى الإيمان بالله واليوم الآخر.. وفى بذل المال فى وجوه الخير، وفى المحافظة على فرائضه - سبحانه - وفى غير ذلك من أنواع الطاعات التى ذكرتها الآية السابقة، بعد كل ذلك شرع - سبحانه - فى بيان الأحكام العملية الجليلة التى لا يستغنى عنها الناس فى حياتهم، وبدأ هذه الأحكام بالحديث عن حفظ الدماء، لما له من منزلة ذات شأن فى إصلاح العالم.

(كتب) من الكتب، وهو في الأصل ضم أديم إلى أديم بالخياطة، وتعورف في ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وأطلق على المضموم في اللفظ وإن لم يكتب بالخط، ومنه الكتابة، ويطلق الكتب والكتاب والكتابة على الإيجاب والفرض، لأن الشأن فيما وجب ويفرض أن يراد ثم يقال ثم يكتب، ومنه «كتب عليكم الصيام» أى: فرض عليكم.

(والقصاص) : العقوبة بالمثل من قتل أو جرح، وهو - كما قال القرطبي - مأخوذ من قص الأثر، وهو اتباعه ومنه القاص، لأنه يتبع الآثار والأخبار، وقص الشعر: اتباع أثره. فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل فقص أثره فيها ومشى على سبيله في ذلك، ومنه ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ وقيل: القص القطع، يقال: قصصت ما بينهما، ومنه أخذ القصاص، لأنه يجرحه مثل جرحه أو يقتله به، ويقال: أقص الحاكم فلاناً من فلان به فأمثله فامتثل منه، أى: اقتص منه»[1]

فمادة القصاص تدل على التساوى والتماثل والتتبع.

والقتلى جمع قتيل، والقتيل من يقتله غيره من الناس.

والمعنى: يأيها الذين آمنوا فرض عليكم وأوجب القصاص بسبب القتلى، بأن تقتلوا القاتل عقوبة له على جريمته، مع مراعاة المساواة التى قررها الشارع الحكيم، فلا يجوز لكم أن تقتلوا غير القاتل، كما لا يجوز لكم أن تسرفوا في القتل، بأن تقتلوا القاتل وغيره من أقاربه.

فمعنى القصاص هنا أن يقتل القاتل، لأنه في نظر الشريعة مساو للمقتول فيقتل به. وقد بين العلماء، أن القصاص يفرض عند القتل الواقع على وجه التعمد والتعدى، وعند مطالبة أولياء القتيل بالقود - أى القصاص - من القاتل.

ولفظ «في» في قوله - تعالى - :

﴿فِي الْقَتْلَى﴾ للسببية، أى: فرض عليكم القصاص بسبب القتلى. كما في قوله - صلى الله عليه وسلم - «دخلت امرأة النار في هرة» أى: بسببها.

وصدرت الآية بخطاب ﴿للذين آمنوا﴾، تقوية لداعية إنفاذ حكم القصاص الذى شرعه الخبير بنفوس خلقه، لأن من شأن الإيمان الصادق أن يحمل صاحبه على تنفيذ شريعة الله التى شرعها لإقامة الأمان والاطمئنان بين الناس، ولسد أبواب الفتن التى تحل عرا الألفة والمودة بينهم.

وقد وجه - سبحانه - الخطاب إلى المؤمنين كافة مع أن تنفيذ الحدود من حق الحاكم لإشعارهم بأن عليهم جانباً من التبعة إذا أهمل الحكام تنفيذ هذه العقوبات التى شرعها الله.

وإذا لم يقيموها بالطريقة التى بينتها شريعته، ولإشعارهم كذلك بأنهم مطالبون بعمل ما يساعد الحكام على تنفيذ الحدود بالعدل. وذلك بتسليم الجانى إلى المكلفين بحفظ الأمن. وأداء الشهادة عليه بالحق والعدل، وغير ذلك من وجوه المساعدة.

---

(1) تفسير القرطبي ج٢ ص ٢٤٥ طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٣هـ.

وقوله – تعالى – :

﴿ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾

بيان لمعنى المساواة فى القتل المشار إليها بلفظ القصاص فالجملة تتمة لمعنى الجملة السابقة، ومفادها أنه لا يقتل فى مقابل المقتول سوى قاتله، لأن قتل غير الجانى ليس بقصاص، بل هو اعتداء يؤدى إلى فتنة فى الأرض وفساد كبير.

وقد يفهم من مقابلة

﴿ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴾

أنه لا يقتل صنف بصنف آخر، وهذا الفهم غير مراد على إطلاقه، فقد جرى العمل منذ عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قتل الرجل بالمرأة.

قال القرطبى: «أجمع العلماء على قتل الرجل بالمرأة، والمرأة بالرجل»[2]

والخلاف فى قتل الحر بالعبد، فبعض العلماء يرى قتل الحر بالعبد، وبعضهم لا يرى ذلك، ولكل فريق أدلته التى يمكن الرجوع إليها فى كتب الفقه.

والغرض الذى سيقت من أجله الآية الكريمة، إنما هو وجوب تنفيذ القصاص بالعدل والمساواة وإبطال ما كان شائعا فى الجاهلية من أن القبيلة القوية كانت إذا قتلت منها القبيلة الضعيفة شخصا لا ترضى حتى تقتل فى مقابله من الضعيفة أشخاصاً، وإذا قتلت منها عبداً تقتل فى مقابله حراً أو أحراراً، وإذا قتلت منها أنثى قتلت فى نظيرها رجلا أو أكثر، فيترتب على ذلك أن ينتشر القتل، ويشيع الفساد، وقد حكى لنا التاريخ كثيراً مما فعله الجاهليون فى هذا الشأن.

قال الإمام البيضاوى عند تفسيره لهذه الآية: كان فى الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد، والذكر بالأنثى، فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنزلت هذه الآية. وهى لا تدل على أنه لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالأنثى، كما لا تدل على عكسه، فإن المفهوم يعتبر حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم»[3]

ثم أورد – سبحانه – بعد إيجابه للقصاص العادل – حكماً يفتح باب التراضى، بين القاتل وأولياء المقتول، بأن أباح لهم أن يسقطوا عنه القصاص إذا شاؤوا ويأخذوا فى مقابل ذلك الدية، فقال – تعالى – :

﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ﴾

عُفى : من العفو وهو الإسقاط، العفو عن المعصية، ترك العقاب عليها، والذى عفى له هو القاتل، و(أخيه) الذى عفا هو ولى المقتول، والمراد بلفظ (شئ) القصاص، وهو نائب فاعل (عفى).

والمعنى: أن القاتل عمداً إذا أسقط عنه أخوه ولى دم القتيل القصاص، راضيا أن يأخذ منه الدية بدل القصاص، فمن الواجب على ولى الدم أن يتبع طريق العدل فى أخذ الدية من القاتل بحيث لا يطالبه بأكثر من حقه، ومن الواجب كذلك على القاتل أن يدفع له الدية بالطريق الحسنى، بحيث لا يماطله ولا يبخسه حقه.

(٢) تفسير القرطبى ج٢ ص ٢٤٨.

(٣) تفسير البيضاوى ص ٣٦.

فقوله – تعالى –: ﴿ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وصية منه – سبحانه – لولى الدم أن يكون رفيقاً فى مطالبته القاتل بدفع الدية.

وقوله: ﴿ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ وصية منه – سبحانه – للقاتل بأن يدفع الدية لولي الدم بدون تسويف أو مماطلة.

وفى هذه الوصايا تحقيق لصفاء القلوب، وشفاء لما في الصدور من الام، وتقوية لروابط الأخوة الإنسانية بين البشر.

وبعضهم فسر العفو بالعطاء فيكون المعنى: فمن أعطى له وهو ولي المقتول من أخيه وهو القاتل شيئاً وهو الدية، فعلى ولى المقتول اتباعه بالمعروف، وعلى القاتل أداء إليه بإحسان.

وسمى القرآن الكريم القاتل أخا لولى المقتول، تذكيراً بالأخوة الإنسانية والدينية، حتى يهز عطف كل واحد منهما إلى الآخر، فيقع بينهم العفو، والاتباع بالمعروف، والأداء بإحسان.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: عفى يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ ﴾؟ قلت: يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه. قال – تعالى –: (عفا الله عنك) وقال: (عفا الله عنها). فإذا تعدى إلي الذنب والجانى معاً قيل: عفوت لفلان عما جنى، كما تقول: غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه، وعلى هذا ما فى الآية، كأنه قيل: فمن عفى عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية[٤].

وجاء التعبير بلفظ شئ منكراً لإفادة التقليل. أى: فمن عفى له من أخيه ما يسمى شيئاً من العفو والتجاوز ولو أقل قليل، تم العفو وسقط القصاص، ولم تجب إلا الدية، وذلك بأن يعفو بعض أولياء الدم، لأن القصاص لا يتجزأ.

وفى ذلك تحبيب من الشارع الحكيم لولى الدم، فى العفو وفى قبول الدية، إذ العفو أقرب إلى صفاء القلوب، وتجميع النفوس على الإخاء، والتعاطف والتسامح. وفيه – أيضا – إبطال لما كان عليه أهل الجاهلية من التعيير من قبول أخذ الصلح فى قتل العمد، وعدهم ذلك لوناً من بيع دم المقتول بثمن بخس. قال بعضهم يحرض قومه على الثأر.

فلا تاخذوا عقلاً من القوم إننى
ارى العار يبقى والمعاقل تذهب

وقال شاعر آخر يذكر قوماً لم يقبلوا الصلح عن قتيل لهم:

فلو أن حيا يقبل المال فدية
لسقنا لهم سيباً من المال مفعماً
ولكن أبي قوم أصيب أخوهم
رضا العار فاختاروا على اللبن الدما

ثم بين – سبحانه – أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر فقال:

﴿ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ﴾.

أى: ذلك الذى شرعناه لكم من تيسير أمر القصاص بأداء الدية إلى ولى القتيل – إذا رضى طائعاً مختاراً – أردنا منه التخفيف عليكم، إذ فى الدية تخفيف على القاتل بإبقاء حياته وإنقاذها من القتل قصاصاً، وفيها كذلك نفع لولى القتيل، إذ

---

(٤) تفسير الكشاف ج١ ص ٢٢٢.

هذا المال الذى أخذه نظير عفوه يستطيع أن ينتفع به فى كثير من مطالب حياته.

وبهذا نرى أن الإسلام قد جمع فى تشريعه الحكيم لعقوبة القتل بين العدل و الرحمة، إذ جعل القصاص حقاً لأولياء المقتول، إذا طالبوا به لا ينازعهم فى ذلك منازع، وهذا عين الإنصاف والعدل.

وجعل الدية عوضاً عن القصاص، إذا رضوا بها باختيارهم، وهذا عين الرحمة واليسر.

وبالعدالة والرحمة تسعد الأمم وتطمئن فى حياتها، إذ العدالة هى التى تكسر شره النفوس، وتغسل غل الصدور، وتردع الجانى عن التمادى فى الاعتداء، لأنه يعلم علم اليقين أن من وراء الاعتداء قصاصا عادلا.

والرحمة هي التي تفتح الطريق امام القلوب، لكى تلتئم بعد التصدع وتتلاقى بعد التفرق، وتتوادد بعد التعادى، وتتسامى عن الانتقام إلى ما هو أعلى منه وهو العفو، فلله هذا التشريع الحكيم الذى ما أحوج العالم إلى الأخذ به، والتمسك بتوجيهاته.

ثم ختم - سبحانه - الآية بالوعيد الشديد لمن يتعدى حدوده، ويتجاوز تشريعه الحكيم فقال:

﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

أى: فمن تجاوز حدوده بعد هذا التشريع الحكيم الذى شرعناه بأن قتل القاتل بعد قبول الدية منه، أو بأن قتل غير من يستحق القتل، فله عذاب شديد الألم، من الله - تعالى - لأن الاعتداء بعد التراضى والقبول يدل علي نكث العهد، ورقة الدين، وانحطاط الخلق.

ثم بين - سبحانه - الحكمة في مشروعية القصاص توطيناً للنفوس على الانقياد له، وتقوية لعزم الحكام على إقامته فقال - تعالى - :

﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾

أى: ولكم فى مشروعية القصاص حياة عظيمة، فالتنوين للتعظيم.

قال صاحب الكشاف: وذلك أنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد، وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد يفنى قبيلة بكر بن وائل. وكان يقتل بالمقتول غير قاتله، فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر، فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة، أى حياة، أو نوع من الحياة وهى الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل، لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه ارتدع، فسلم صاحبه من القتل، وسلم هو من القود، فكان القصاص سبب حياة نفسين[٥].

هذا وقد نقل عن العرب ما يدل على أنهم تحدثوا عن حكمة القصاص، ومن أقوالهم فى هذا الشأن: «قتل البعض إحياء للجميع»، و«أكثروا القتل ليقل القتل» وأجمعوا على أن أبلغ الأقوال التى عبروا بها عن هذا المعنى قولهم «القتل أنفي للقتل» وقد أجمع أولو العلم على أن قوله - تعالى - : ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ أبلغ من هذه العبارة التى نطق بها حكماء العرب، بمقدار ما بين كلام الخالق وكلام المخلوق، وذكروا أن الآية تفوق ما نطق به حكماء العرب من وجوه كثيرة من أهمها:

١- أن الآية جعلت سبب الحياة القصاص، وهو القتل على وجه التساوى، أما العبارة

---

(٥) تفسير الكشاف ج ١ ص ٢٢٣.

العربية فقد جعلت سبب الحياة القتل، ومن القتل ما يكون ظلماً، فيكون سبباً للفناء لا للحياة، وتصحيح هذه العبارة أن يقال: القتل قصاصاً أنفى للقتل ظلماً.

٢- أن الآية جاءت خالية من التكرار اللفظي، فعبرت عن القتل الذي هو سبب الحياة بالقصاص، والعبارة كرر فيها لفظ القتل فمسها بهذا التكرار من الثقل ما سلمت منه الآية.

٣- أن الآية جعلت القصاص سبباً للحياة التي تتوجه إليها الرغبة مباشرة، والعبارة العربية جعلت القتل سبباً لنفي القتل الذي تترتب عليه الحياة.

٤- الآية مبنية على الإثبات والمثل على النفي، والإثبات أشرف، لأنه أول والنفي ثان له.

٥- أن تنكير حياة في الآية يفيد تعظيماً، فيدل على أن في القصاص حياة متطاولة كما في قوله - تعالى - :

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾

ولا كذلك المثل، فإن اللام فيه للجنس، ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء.

٦- تعريف (القصاص) بلام الجنس الدالة على حقيقة هذا الحكم المشتملة على الضرب والجرح والقتل - وغير ذلك، والمثل لا يشمل ذلك.

٧- أن الآية مع أفضليتها عن المثل من حيث البلاغة والشمول واللفظ والمعنى أقل حروفاً من المثل.

هذه بعض وجوه أفضلية الآية على المثل، وهناك وجوه أخرى ذكرها العلماء في كتبهم[٦].

وفي قوله: ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ تنبيه بحرف النداء على التأمل في حكمة القصاص، (والألباب): جمع لب وهو العقل الخالص من شوائب الأوهام، أو العقل الذكي الذي يستبين الحقائق بسرعة وفطنة، ويستخرج لطائف المعاني من مكانها ببراعة وحسن تصرف.

وخص النداء بأولي الألباب مع أن الخطاب بحكمة القصاص شامل لهم ولغيرهم، لأنهم الذين يتدبرون عواقب الأمور، ويعرفون قيمة الحياة، ويقدرون حكم التشريع قدرها.

وفي هذا النداء تنبيه على أن من ينكرون مصلحة القصاص، وأثره النافع في تثبيت دعائم الأمن، يعيشون بين الناس بعقول غير سليمة، ولا يزال الناس يشاهدون في كل عصر ما يثيره القتل في صدور أولياء القتلى من أحقاد طاغية، لولا أن القصاص يخفف من سطوتها لتمادت بهم في تقاطع، وسفك دماء دون الوقوف عند حد.

وختمت الآية بهذه الجملة التعليلية (لعلكم تتقون) زيادة في إقناع نفوسهم بأمر القصاص، أي: شرعنا لكم هذه الأحكام الحكيمة، لتتقوا القتل حذراً من القصاص، ولتعيشوا آمنين مطمئنين، ومتوادين متحابين.

وبهذا البيان الحكيم تكون الآيتان الكريمتان قد أرشدتا إلى ما يحمي النفوس، ويحقن الدماء، ويردع المعتدين عن الاعتداء، ويغرس بين الناس معاني التسامح والإخاء، ويقيم حياتهم على أساس من الرحمة والعدالة وحسن القضاء.

(يتبع)

(٦) راجع تفسير الآلوسي ج٢ ص ٥٦.

قبس من أنوار النبوة

شهر المحرم ويوم عاشوراء

لفضيلة الشيخ على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد المفروضة الصلاة فى جوف الليل». رواه مسلم وأصحاب السنن.

شهر المحرم من الأشهر الحرم الأربعة. شهر ذى القعدة الذى يقعدون فيه عن القتال، وشهر ذى الحجة الذى يؤدون فيه مناسك الحج والعمرة. وشهر المحرم ليرجع الحجاج فيه الى أقصى بلادهم آمنين. وشهر رجب فى وسط الحول لأجل زيارة البيت الحرام والاعتمار.

هذه الأشهر الحرم التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[1].

ولقد حرم الله الظلم فى سائر الشهور، ثم اختص منها أربعة أشهر فجعلهن حراما، وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم، والعمل الصالح والأجر أعظم، قال قتادة[2] فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ إن الظلم فى الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه: اصطفى من الملائكة رسلا، ومن الناس رسلا، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور: رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالى ليلة القدر فعظموا ما عظم الله».

ومن هنا كان عمل الصالحات ـ وبخاصة

(١) سورة التوبة/٣٦.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٥٥ ط إحياء الكتب العربية

الصيام ـ له عظيم الثواب كما جاء فى حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم» أخرجه أحمد وأبو داود وغيرها .

ولقد كان ليوم عاشوراء مزيد من اهتمام رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقد دخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فوجد اليهود يعظمون يوم عاشوراء ويصومونه، فسأل عن ذلك، فقالت يهود: «هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى، فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيما رواه الشيخان وغيرهما ـ :«نحن أولى بموسى منكم، فصامه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأمر بصيامه».

لقد صام النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عاشوراء فلما جاء المدينة فرض صيامه على المسلمين حيث أمر رجلا من أسلم أن أذن فى الناس أن من كان أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم، فإن اليوم يوم عاشوراء[٣]وقالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: «.. فلما قدم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة صامه وأمر الناس بصيامه، فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك عاشوراء، فمن شاء صامه ومن شاء تركه»[٤]

ونقل ابن عبد البر الإجماع على استحباب صوم يوم عاشوراء لما له من مزايا: منها ـ أن صائم هذا اليوم له ثواب عظيم من رب غفور رحيم فقد كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يقول ـ فيما رواه الترمذى عن أبى قتادة ـ: «صيام يوم عاشوراء، إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله».

وروى مسلم وأبو داود عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ، قال: حين صام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال: فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمت اليوم التاسع، فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ».

ولرزين: «صوموا التاسع والعاشر وخالفوا اليهود».

والمزية الأخرى: أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أخبرته اليهود أن يوم عاشوراء هو اليوم الذى نجى الله فيه موسى من آل فرعون، وأنه صامه وأنه علق على ذلك بقوله: «نحن أولى بموسى منكم» وأمر بصيامه، حتى دعا الذى أفطر أول يومه أن يمسك بقية اليوم. وهذا يعطى دلالة قوية وواضحة على موقف أمتنا الإسلامية من الأنبياء السابقين. بل يعطى وصفا حيا لعلاقتها بهم «نحن أولى بموسى منهم» ونحن أولى بكل الأنبياء والمرسلين حسب ما تقتضيه شريعتنا الغراء.

إننا نقرأ فى كتاب الله ـ تعالى ـ ما يدل

---

(٣) رواه أحمد والطبرانى.

(٤)رواه مسلم.

على أننا أولى بموسى ـ عليه السلام ـ من بنى إسرائيل الذين آذوه واتهموه، وأن براءته جاءت ظاهرة في كتابنا ـ القرآن الكريم ـ قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(٥).

روى البخاري وغيره في تفسير هذه الآية عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء، فآذاه من آذاه من بني اسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص، وإما أدرة، وإما آفة.

وإن الله ـ عز وجل ـ أراد أن يبرئه مما قالوا، فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإذا الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه عريانا، أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، فذلك قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾(٦)

لقد كان اتهام موسى ـ عليه السلام ـ عندهم، وأن براءته سجلت عندنا فمن أولى بموسى منهم إنها أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

وبعد الحديث عن أفضل الصيام يأتي الحديث عن أفضل الصلاة: فيقول: «أفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة الليل».

والنصف الأخير أفضل، قال عمرو بن عبسة قلت: «يا رسول الله: أي الليل أسمع قال: جوف الليل الأخير» رواه أبو داود.

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» متفق عليه. وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أحب العمل إلى الله الذي يدوم عليه صاحبه وإن قل» متفق عليه.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فيما رواه مسلم ـ كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يصلي ما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الآخرة إلى الفجر إحدى عشرة ركعة».

روى البخاري أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لبلال: «يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة، قال: ما عملت عملا أرجى عندي من أني لم أتطهر طهورا في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي».

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

وتقبل منا واقبلنا، واشملنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

(٥)، (٦) الأحزاب ٦٩.

الهجرة جهاد وتضحية وتأييد ونصر

لفضيلة الشيخ/ عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أنه قال: بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأربعين سنة، فمكث (أى بمكة) ثلاث عشرة سنة، يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة (أى إلى يثرب) فهاجر: عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة»(١)

ظل رسول الإنسانية، ومعلم البشرية محمد -صلى الله عليه وسلم- بمكة: زهاء ثلاثة عشر عاماً؛ يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ويناله الأذى فى سبيل دعوته، وينزل العذاب بالمستضعفين من أصحابه، وقد مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟!!

عن خباب بن الأرت -رضى الله عنه- أنه قال: «شكونا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة، قلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم: يحفر له فى الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(٢).

حتى إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أن رأى ما يصيب بعض أصحابه من العنت والاضطهاد، وأنه غير قادر على حمايتهم أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة؛ لينعموا فى جوها الطليق بالحريات الكاملة: حرية العقيدة، وحرية الرأى، وحرية الاستعلان بشعائر الدين، قائلاً لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة: فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

فهاجر جماعة من المسلمين إليها، فراراً بدينهم، وكان من بين هؤلاء المهاجرين: عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم -، وتتابع المسلمون حتى كان جملة من هاجر إليها غير صغارهم: ثلاثة

---

(١) رواه البخارى

(٢) رواه البخارى

وثمانين رجلاً، فآمنهم النجاشي وأكرم وفادتهم.

ثم كانت الهجرة إلى يثرب، حيث استقبلت النبي -صلى الله عليه وسلم- استقبالاً رائعاً كريماً، لم تشهد له مثيلاً من قبل في روعته وجلاله.

والثابت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: غادر مكة في الأيام الأخيرة من شهر صفر، ومكث ثلاثة أيام: في غار ثور، ثم خرج منه ليلة غرة ربيع الأول الموافق: ١٣ من سبتمبر سنة ٦٢٢م ووصل إلى قباء: يوم الإثنين ٨ من شهر ربيع الأول: الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢م حيث نزل على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف.

وبعد أن خرج من منزل كلثوم بن هدم: جلس للناس في بيت سعد بن خيثمة، وذلك لأنه كان لا أهل له.. وبنى المسجد الذي مَجَّدَهُ القرآن الكريم، وأثنى على أهله بقوله:

﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٣].

وعن سعيد بن ظهير الأنصاري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «صلاة في مسجد قباء: كَعُمْرَة»[٤].

واستراح رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هناك أيام: الثلاثاء، والأربعاء، والخميس.. ثم خرج من قباء: يوم الجمعة الموافق: ٢٤ من سبتمبر سنة ٦٢٢م حين ارتفع النهار، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد: الذي قاموا ببنائه: في بطن الوادي[٥].. وكان معه في الصلاة فيه: مائة رجل من المسلمين، وسمي بعد صلاة الجمعة فيه: مسجد الجمعة. وكانت هذه أول جمعة: صلاها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، كما خطب فيه أول خطبة خطبها في الإسلام، وهو مسجد صغير بني بالحجارة وكان يبلغ ارتفاعه وقتئذ: قدر نصف القامة، ثم استوى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ناقته فسارت، وكان كلما مَرَّ على حي من الأنصار، طلبوا منه أن يقيم عندهم في العدد والعدد والمنعة، ويتعلقون بزمام راحلته، وهي تجذبه، فيقول -صلى الله عليه وسلم-: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»[٦].

ومضت لا تعرج على شيء، ولا يردها رادٌّ، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- تارك لها زمامها، حتى بركت في موضع مسجده - صلى الله عليه وسلم -: وهو يومئذ: مربد[٧] لغلامين يتيمين: هما سهل وسهيل: ابنا رافع بن عمرو، وكانا في حجر: سعد بن زرارة.

ثم سارت ورسول - صلى الله عليه وسلم - عليها حتى بركت عند باب أبي أيوب، ثم سارت

---

(٣) التوبة: ١٠٨.

(٤) رواه ابن ماجة.

(٥) وادي رانونا.

(٦) يعني ناقته القصواء.

(٧) المربد: هو الموضع الذي يجفف فيه التمر.

وسارت غير بعيد، وتلفتت خلفها ورجعت إلى مبركها أول مرة، وبركت فيه وزمّت[٨].. من غير أن تفتح فاها، وألقت بجرانها[٩].. أى الصقته بالأرض، فنزل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنها، وقال: «هنا المنزل إن شاء الله».. وسار إلى منزل أبى أيوب الأنصارى، وهو خالد بن كليب بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن سحيم بن مالك بن النجار فأقام فى منزله شهراً.

ثم إنه -صلى الله عليه وسلم- أمر بالمسجد، فأرسل إلى بنى النجار، فجاءوا، وكان معهم سعد بن زرارة، فقال: يا بنى النجار: ثامنونى بحائطكم هذا (ثامنونى). المثامنة: المساومة فى الثمن: أى: (اذكروا الثمن الذى تريدون البيع به، لأذكر لكم الثمن الذى أرغب فى الشراء به) قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، وكان فيه نخل وقبور المشركين وخرب، فأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالنخل فقطع، وبقبور المشركين، فنبشت، وبالخرب فسويت، ثم صفوا النخل قبله وجعلوا عضادتيه (أى جانبا الباب) حجارة، فكانوا يرتجزون ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- معهم، وهم يقولون:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة

فانصر الأنصار والمهاجرة

الأنصار: جمع نصير: كأشراف وشريف، أو جمع ناصر، كأصحاب وصاحب وهم مؤمنوا المدينة من الأوس والخزرج: الذين أووه ونصروه..

والمهاجرة: الجماعة الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، فراراً بدينهم ومحبة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وطلباً للآخرة، والمعنى: نسألك يا الله أن تنصر الأنصار والمهاجرة على أعدائك، ليظهروا دينك، فيحظوا مع من دخل فيه: بالأجر الكبير، والخير الجزيل[١٠].

وإذا كانت هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة: فراراً بدينهم: فإن هجرة النبى -صلى الله عليه وسلم- التى غيرت مجرى التاريخ: لم تكن فراراً ولا خوفاً، ولكن تنفيذاً لخطة محكمة مرسومة، وُضعت وأُخذت عليها البيعة والميثاق.

فلم يهاجر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، خوفاً من بطش قريش وجبروتها، بل تنفيذاً لوعد أبرم من قبل مع بعض الوافدين من يثرب إلى مكة فى موسم الحج، لذلك نجد القرآن الكريم سجل الهجرة على أنها: نصر من الله -تعالى- لنبيه، قال الله -عز وجل-:

﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١١]

وعن أبى بكر الصديق -رضى الله عنه- قال:

---

(٨) أى صوتت.

(٩) أى صدرها وباطن حلقها

(١٠) دراسات دينية : تأليف: عبدالمنصف محمود عبدالفتاح

(١١) التوبة: ٤٠.

«كنت مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا تحت قدمه (وفي رواية لو أن أحدهم طأطأ رأسه لرآنا) فقال -عليه الصلاة والسلام-: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»(١٢).

وروى: «أنه لما دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر الغار: أمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار، وبعث حمامتين وحشيتين فباضتا فيه، وإن ذلك مما صدّ المشركين، حتى قال أمية بن خلف: ما إربكم في هذا الغار، وعليه من نسج العنكبوت: ما أرى إلا أنه قبل أن يولد محمد»(١٣).

وفي هذا يقول المغفور له أحمد شوقي:

سل عصبة الشرك حول الغار سائمة
لولا مطاردة المختار لم تسم
هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا
همس التسابيح والقرآن من أمم
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم
كالغاب والحائمات الزغب كالرخم
فأدبروا ووجوه الأرض تلعنهم
كباطل من جلال الحق ينهزم
لولا عناية بالجارين ما سلما
وعينه حول ركن الدين لم يقم
تواريا بجناح الله واستترا
ومن يضم جناح الله لا يضم

وحقاً: إن الهجرة: كانت سبباً عظيماً في نصرة دين الله وتأييده، وذلك أنه توافرت بها لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- الحرية الدينية، ونجا بفضل الله من المؤامرة الدنيئة: التي أريد بها القضاء عليه وعلى دينه، قال الله -تعالى-:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(١٤)

وبالهجرة: ظهر أن رسالته حق، إذ لو أقام بمكة واتبعه أهلها، وشدوا أزره، والتفوا حوله ووقفوا بجانبه: لقال المرجفون، وضعاف الإيمان، وأعداء الدعوة: إن محمداً تآمر مع قومه، ليملكوا العرب وغيرهم، ويهيمنوا عليهم، ولكن شاء أن يعاديه قومه، ويخرجوه من داره ووطنه، وهكذا كان الشأن بالنسبة لإخوانه المرسلين، فكانوا المثل العليا في الصبر على المكاره، والثبات على المبدأ، والحفاظ على العقيدة، حتى جاءهم نصر الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾(١٥)

وقال الله - تعالى-:

---

(١٢) رواه البخاري ومسلم.
(١٣) رواه الحافظ البزار والبيهقي.
(١٤) الأنفال : ٣٠.
(١٥) الأنعام : ٣٤.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾(١٦).

إن المبادئ السليمة متى تركزت وامنت بها القلوب، وامتلأت بها الضمائر، واطمأنت إليها النفوس، كانت عند أصحابها أعز عليهم من أنفسهم وأموالهم وكل عزيز لديهم، قال الله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(١٧).

وقال جل شانه:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٨).

«إن الهجرة: تدفع إلي التضحية، والتضحية هي: طريق الحرية وسبيل المجد في هذه الحياة، والحرية شجرة: لا تسقى بمياه الأمطار، ولا بمياه الأنهار، وإنما تسقى بدماء الأحرار الأطهار، ولله در القائل:

وللهجرة الغراء في القلب رنة
فـفي كل عـام ذكـرها يتـجـدد
فتوحى لنا معنى الحياة كريمة
ومـعنى جـهاد فـيه عز وسؤدد
وليس يسود الشعب بالقول هاتفاً
ولكن بإهراق الدمـاء يسود

إن الهجرة تعلمنا كيف يكون حُبُّ الله وحبُّ رسوله، والجهاد في سبيله.

إن الهجرة: كانت بخيرها وآثارها: برداً وسلاماً على الإنسانية وفاتحة خير لها أنقذتها من وهدتها، وأخرجتها من ظلمتها، وهدتها من حيرتها ودفعت بها إلى طريق الخير والفلاح.

فكانت بحق: نصراً للمؤمنين، ونوراً للمجاهدين، وأماناً للخائفين، والآن وإن كانت الهجرة قد مضت لأصحابها، وفازوا بشرفها، فإن لنا في هذا العصر المادي نصيباً لو قمنا به لمتعنا الله متاعاً حسناً، ولمكَّن لنا به في الأرض، ألا وهو العمل بكتاب الله، والتمسك بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهجر ما نهى الله عنه، وأن نسلك حَدُّ الاعتدال دون إفراط أو تفريط، فالإسلام بتعاليمه السمحة، يميل إلى تحقيق اليسر والرحمة، فقد صح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لمعاذ بن جبل ولأبي موسى الأشعري لما بعثهما إلى اليمن: «يسّرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا»(١٩).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١٦) يوسف : ١١٠.

(١٧) الحجرات : ١٥.

(١٨) البقرة : ٢١٨.

(١٩) أخرجه البخاري ومسلم.

الهجرة معجزة التاريخ على امتداد العصور

١

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

إى وربى.

إن الهجرة النبوية الشريفة هى معجزة التاريخ، لا التاريخ الإسلامى وحده، بل التاريخ العالمى جميعه؛ فى كل عصر، على امتداد العصور والأجيال والزمان.

هجرة الرسول الأعظم، محمد بن عبد الله، سيد المرسلين وخاتم النبيين، هى بحق معجزة المعجزات فى تاريخ الإنسانية كلها.

لا تقل: لقد هاجر أنبياء ورسل كرام، وهاجر كتاب ومفكرون وأحرار فى كل عصر، فلم كانت الهجرة المحمدية معجزة المعجزات؟!

وأقول لك بصدق وحق: إن الأمور تقاس بنتائجها، ولم تكن نتائج آلاف الهجرات بمثابة النتيجة الكبيرة لهجرة محمد -صلوات الله وسلامه عليه- من مكة إلى المدينة.

الهجرة المحمدية حمت ديناً، ونشرت رسالة، وأسست حضارة، وأقامت أسواقاً للفكر والأدب والعلوم واللغة العربية.

والهجرة المحمدية كرمت الإنسان، ورعت حقوقه وحقوق المستضعفين المعذبين فى الأرض، ونشرت الحرية، ودافعت عن المظلومين، وشرعت أبواب الحرية للأرقاء، وأكدت الإخاء، والمساواة والتعاون والتعارف بين بنى البشر جميعاً.

والهجرة المحمدية نقلت شعباً بأكمله من البداوة، والجاهلية، والأمية إلى ساحة السياسة العالمية، وإلى حضارة تعم الأرض، وإلى حكم الأمم، من أجل نشر كل القيم الإنسانية الرفيعة فى حياة الناس والمجتمعات والشعوب.

والهجرة المحمدية نقلت الإنسانية من عصر البطش والطغيان إلى عصر جديد، أساسه الحق فوق القوة، والعدل فوق البطش، والمحكوم فوق الحاكم بالقانون والشريعة والوحى، والأمة هى السياج الرفيع الذى يحتمى به الحاكم والمحكوم، والقوى والضعيف والفقير والغنى، والرجل والمرأة، والطفل والرقيق والأسير، والخادم والمخدوم.

والهجرة المحمدية شرعت وثيقة الإخاء بين كل الطوائف والأجناس والديانات، وخلقت فكراً جديداً فى العالم، فكراً دينياً واجتماعياً وسياسياً واقتصادياً.

والهجرة المحمدية شرعت بناء المساجد ودور العلم، وألزمت العلماء بتثقيف الجاهلين وهداية الضالين، وتهذيب الطائشين.

والهجرة المحمدية رعت حقوق العامل وصاحب العمل، وحقوق الخادم والمخدوم، وحقوق الرقيق والسيد، وحقوق المرأة والطفل والرجل والشيخ والكهل والمريض، والفقير واليتيم والمسكين والأرمل، وكل الطبقات والطوائف.

والهجرة المحمدية جعلت حرب الفقر شريعة، وجعلت الزكاة والصدقة والإحسان والتكافل الاجتماعى قانوناً، وجعلت رعاية العاطل وصاحب الغبة فرضاً، وجعلت الإنسان مسئولاً عن أقاربه وجيرانه، بل وأهل بلده جميعاً، بل هو مسئول مسئولية كاملة عن الفقير فى غابات إفريقيا، وعن الجائع فى أدغال كينيا، بل وعن الحيوان إن شرده الجوع فى الشوارع والطرقات.

الهجرة المحمدية ليست معجزة فحسب، بل هى معجزة المعجزات فى التاريخ الإنسانى كافة.

الهجرة المحمدية حدِّث عنها وعن آثرها ونتائجها ولا حرج.. قل فيها ما تشاء.. قل: إنها أحيت أمة، وأقامت حضارة، ودعمت كل قيم الخير والحق والإخاء فى الأرض، وأعلت من شأن العقل والعلم والمعرفة بين الناس.

ولقد كان كل ما حدث فى الهجرة معجزة باهرة من السماء، وتأييداً إلهياً جليلاً، ونصراً من الله لنبى الإسلام ورسول المسلمين.

٢

لقد ائتمرت قريش بالرسول، وأجمعت على قتله بيد الشباب من كل بطون قريش، حتى يتفرق دمه فى القبائل، وبلّغ الوحى رسول الله بالمؤامرة، وأذن له فى الهجرة، وفى الليلة الموعودة كان الرسول الأكرم وصاحبه أبو بكر الصديق قد أكملا كل الاستعدادات للهجرة، وكل الأسباب التى تؤدى إلى نجاحها.

وكما يرسم القائد خطوات معركة رسم الرسول كل خطوات الهجرة المباركة، وحين حاصر شباب القبائل دار الرسول كان علىٌ -كرم الله وجهه- ينام فى فراش رسول الله، ويبشره الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأنه لن يصل إليه شىء يكرهه من القرشيين والمؤتمرين، وخرج رسول الله من الدار يمشى بينهم.. ولا تسل كيف خرج، وكيف نجا من شرهم وهو سائر بين صفوفهم؟ وكيف نجا من بواتر سيوفهم، ومن الحقد والبغض وكل فكر ردىء مرتسم على وجوههم؟ فكل ذلك معجزة إلهية ولا ريب.

ليلة أول ربيع الأول خرج فيها الرسول، وأبوبكر رفيقه، من مكة إلى جنوبيها، حيث غار ثور، فأقاما فيه ثلاث ليال، جُنّ فيها جنون قريش، وثارت ثائرتها، وطارت في الطرق والشعاب في كل ناحية تبحث عن المهاجرين، فلم تظفر بشيء، ولم تقف للمهاجرين على خبر ولا على أثر، حتى غار ثور وقفت أمامه، وكذبت سراه كل أوهام قريش في أن يكون الرسول وصاحبه بداخله، وصدق الله العظيم فيما يقول:

﴿إلاَّ تنصُرُوهُ فقدْ نصرهُ اللَّهُ إذْ أخْرجهُ الَّذين كفرُوا ثانِي اثْنيْنِ إذْ هُما فِي الْغارِ إذْ يقُولُ لِصاحِبِهِ لا تحْزنْ إنَّ اللَّه معنا فأنزل اللَّهُ سكِينتهُ عليْهِ وأيَّدهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تروْها وجعل كلِمة الَّذِين كفرُوا السُّفْلىٰ وكلِمةُ اللَّهِ هِي الْعُلْيا واللَّهُ عزِيزٌ حكِيمٌ﴾(١) واستطلع أمية بن خلف الغار، وقال لأصحابه: لا. لا. لا يمكن أن يكون بداخل هذا الغار أحد، وتنادوا للرحيل والرجوع بخفي حنين، وأخذ الرسول يردد: الحمد لله والله أكبر.. أية معجزة تلك المعجزة.

وفي اليوم الرابع من شهر ربيع الأول خرج المهاجران من الغار، وفي طريق ساحلية وعرة غير مألوفة بين مكة والمدينة، سار الركب العظيم، عبدالله بن أريقط دليل القافلة في المقدمة على جمله القوي، والرسول على جمل آخر، وأبو بكر وخلْفه مولاه عامر بن فهيرة على جمل ثالث، وعامر يخدمهما في الطريق، ويقترب منهم سراقة ابن مالك، يريد أن يردهم إلى قريش لينال جوائزهم فكب به فرسه مرة ومرة ومرة، وفي المرة الرابعة دخلت الرهبة قلب سراقة، وأيقن أن السماء تحمي محمداً من كل أذى وشر، فانقلب العدو صديقاً يطلب الأمان، وينادي: أنا سراقة، أنظروني أكلمكم! ويبشره الرسول: كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى، وصعق الفارس، وتحققت تلك المعجزة بعد حين، ولبس سراقة سواري كسرى، ولكن في خلافة عمر بن الخطاب، وعمر يقول: الحمد الله الذي سلبهما كسرى وألبسهما أعرابياً من بني مدلج..» ولا أحدثك أيها القارئ، عن أم معبد، وما كان للرسول معها من حديث.

ووصل الركب العظيم إلى قباء، في يوم الإثنين، الثاني عشر من ربيع الأول، وفي يوم الجمعة غادرها الرسول إلى المدينة نهاية المطاف في الهجرة المباركة، وتمت الهجرة، وكانت المعجزة، ودخلها الرسول في موكب حافل يرعاه الله وملائكته في السادس عشر من ربيع الأول عام ٦٢٢ من ميلاد المسيح.

لقد استمرت قريش تصد عن دين الله، وتعذب المؤمنين برسالة الرسول الخاتمة ثلاثة عشر عاماً، وهي مصممة على الكفر والشرك والعناد والبطش والطغيان، وبكل

---

(١) التوبة: ٤٠.

سلاح حاربت محمداً -صلى الله عليه وسلم- ومن آمن معه، وما كان ذنبه وذنبهم إلا أن يقولوا: آمنا بالله وحده لا شريك له.

ومن قبل الهجرة بعام وعامين كانت بيعتا العقبة الأولى والثانية، ميثاق عهد بين الرسول الأكرم وجماعات من قبائل المدينة: الأوس والخزرج على نصرة رسول الله ورسالته، وحرب الأحمر والأسود من الناس في سبيل الله ورسوله وشريعته، والدفاع عن دينه.

٣

وانقلبت الموازين بالهجرة النبوية

قريش فشلت في عنادها وكفرها ولجاجها وحربها للرسول وأصحابه الذين آمنوا به.

والقبائل التي تستمع لصوت قريش، وتخاف من سطوتها أخذت من جديد تفكر في المصير الذي ينتظرها، وفي الخروج من حبال المشانق التي لفتها قريش على أعناقهم وأعناق كل الناس في جزيرة العرب.

ووضح الصباح لذي عينين، وبدأوا لا يشكون في قدرة الله العلي الأعلى وأنه على هزيمة قريش مقتدر حكيم.

وجاءت الأيام تبشر الرسول ومن آمن معه بفجر يسطع نوره في آفاق الدنيا، هو فجر الإيمان واليقين والحرية، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.

إنه الفجر الذي تعلو فيه كلمة الله ويسمع من ورائه صوت القرآن الكريم، يبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم الحسنى، ولهم قدم صدق عند ربهم، وأنهم هم الأعلون، وأما الكافرون فلهم الخزى وعذاب الهون بما كانوا يكفرون، فكلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، والله قوى عزيز.

وليت شعرى كيف تربط القبائل نفسها بقريش، وقريش تصر على الكفران والخسران والضلال المبين، ترضى بالشرك ديناً، وبالجحود شريعة، وبالعقوق منهاجاً.

ويا سبحان الله، إن الشيطان يأبى إلا أن يظهر في غير صورته، ولو طلى جسده بالنور، وأحاط عنقه بالمسابح، وملأ دروبه بالزهور بدلاً من الأشواك.

رب ما أحلمك وأكرمك، وما أعظم صفحك عن الظالمين الجاحدين.

إن أنكروا ألوهيتك في النعمة، فكيف ينكرونها في المحنة، وإن جحدوا ربوبيتك أمام الناس فلن يستطيعوا إنكارها بينهم وبين أنفسهم، وإن حاربوا رسالتك فإنما يحاربون أنفسهم وكرامتهم في الحياة.

ها هي ذي قريش تعود إلى أخبيتها في مكة، وتعود لتفكر من جديد، ها هو ذا نجم محمد قد سطع، فما الصنيع؟

تجارتها أصبحت بعد اليوم مهددة بالبوار، ومكانتها بين القبائل أصبحت مزعزعة الأركان، ومقاومتها لمحمد ومن آمن معه صارت أوهن من بيت العنكبوت، والأمر لله، يدبره كما يشاء، وهو على كل شيء قدير.

دروس من ذكرى الهجرة النبوية

لفضيلة الشيخ / معوض عوض إبراهيم

أحداث الدهر ووقائعه، يجددها مر الأيام، وكر الدهور، وتجعل عبرها وعظاتها شواخص مشهودة، تشغل خواطر وأذهان المتصفين، إن لم تكن شخوصا تملي دروسها، وتروى ما حف بها واقترن مما يعين على هدى، ويرد عن ردى، أو يدعو إلى النظر في الأمور مرة أخرى، ويا ويح من تتابعت مرة أخرى أيام حياته ماضية، واتصلت لياليه خرساء صماء تحث خطاها إلى منتهاها من المصير المحتوم والأجل المعلوم دون أن يبل أناملنا منها خير:

يسر المرء ما ذهب الليالي
وكان ذهابهن له ذهابا

وفي الأثر «الأيام تمضي، والأعمار تطوى، والأبدان تحت الثرى تبلى، والليل والنهار يتراكضان تراكض البريد، يقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، وفي تلك ما يلهي عن الدنيا ويذكر بالآخرة»..

والإلهاء عن الدنيا ليس مراد الله، الذي جعلنا خلائف الأرض بعد أن بنى السماء بما تقتضيه من أمره سبحانه كواكب وأفلاكا وشمسا وقمرا ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾(١) ﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾(٢)..

أبدع ذلك وأجمله وأتمه الله، بعد أن خلق الأرض في يومين، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها، وشق بحارها، وأجرى أنهارها، ورفع أشجارها، ودلى ثمارها: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴾(٣)..

وجل الله الذي لم يخلقنا عبثا، ولم يتركنا سدى، فقد هدانا سبلنا، منذ هدانا النجدين، وجعل الدنيا مزرعة الآخرة، تجيء أخراهما على غرار أولاهما قسطا وعدلا: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾(٤)..

(١) سورة يس ٤٠.
(٢) سورة ق ٩، ١٠.
(٢) سورة الملك/٣.
(٤) سورة الكهف ٤٩.

إن التذكير بالآخرة ينطلق من اعتبار الدنيا، وابتدار فرصها للعمل الصالح، وحق الاستخلاف فيها جيلا بعد جيل وقبيلا وراء قبيل:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥]. كما استخلف الذين من قبلهم يعرف سيرتهم، ويتابع مسيرتهم، ويسود بذلك كما سادوا..

ومما ينسب إلى الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي -رضي الله عنه-:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح

ورضي الله عن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، فهو بإيمانه بالله في شرف منيع، ومن حسبه ونسبه في محتد شامخ، فقد قال:

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبني، ونفعل مثلما فعلوا

واد كار الأوائل بما صنعوا من خير، وما دعموا به كيان الحياة من قوة البر والمعروف وهو يجدد لهم عمرا، ويرفع لهم ذكرا، هو في الوقت نفسه يسلك لنا إلى الإصلاح سبيلا ويقدم لنا القدوة الصالحة والأسوة الحسنة أحوج ما تكون إليها في زمن أخذت فيه الأشياء غير أسمائها، وتشابهت فيه معالم الخير والشر وكاد يؤخذ فيه الطريق على الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر الحافظين لحدود الله، وربما زيفت الأعذار وغضت فيه الأبصار عن صنيع الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.. ويقول بعض أدعياء المعرفة: (واكبوا العصر، ودوروا مع الزمن حيث دار، وعيشوا واقع الغير) وفي الغير ما ينفع ويصلح، مما هو في حقيقة الأمر من سمات هدايات دين الله الخاتم بكل ما لا تحتاج بعده إلى سواه:

إن جرى غيرنا مع الكفر يبغو
ن سوى الأرض دولة في السماء
وتهنوا بعزة مكنتهم
بعض حين، من كاهل الضعفاء
واستطالوا بعلمهم، وهو منا
نهلوه وأفحشوا في الجزاء
إن يكن ذاك شأنهم فعلينا
وزر ما كان، لا على الأعداء
شغلتنا عن الحنيف رعوس
جهلته في غفاة وغباء
وارتياب في أنه لا سواه
سبل الأمن والغنى والعلاء
إي وربي جناية الغرب فينا
دونها من رجالنا هؤلاء

الألفية الثالثة

ولقد مضى ألفا عام على ميلاد عيسى -عليه السلام- ومضى قبلهما ما مضى من قرون، جاءت المسيحية بعدها تصلح الناموس، بعد أن عرا التوحيد ما عراه، من بعد نوح وإبراهيم

---

(٥) سورة النور/٥٥.

وإسحق ويعقوب، وكان إبراهيم الذي وفى بعد أن ابتلى بكلمات فأتمهن، إماما للناس، وما تزال الأمة الوارثة تذكره -في أقل القليل- كلما صلت لله -تعالى- صلاة، وهي تقرأ وتسمع قول الله - تعالى:

﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦].

وهي وصاة إن خلصت للنبي -صلى الله عليه وسلم- ههنا، فقد تكررت واتسعت آفاقها، في مثل قول الله - تعالى:

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٧].

وتعاقبت آيات كريمة في كتاب الله مبرزة جلال ملة إبراهيم ودعوته وسيرته، منذ آتاه الله رشده في طفولته المبكرة وهو سبحانه (يعلم من خلق) فلم يشبه أدنى شائبة من وثنية قوم شب بينهم ودرج، أو وثنية بيت ولد فيه ونشأ، وقويت أوصاله، وكان يرى كيف يصنع ذووه الأوثان ويبيعونها للناس!!

ولكن الله الذي يرسل نور الصبح من بين حنادس الظلام حفظ إبراهيم من الشرك، وشبهاته، وجعله «رسول الوحدانية، وأبا الأنبياء والمرسلين من بعده»، وشرفه فأمره أن يرفع ووحيده إسماعيل القواعد من بيته العتيق، وأن ينادي في الناس بالحج إليه بعد أن أتمه وطهره للقائمين والركع السجود، فكان بيت الله هو إلى اليوم وإلى قيام الساعة تشد إليه -بالحج والعمرة- الرحال ويتحقق بالفريضة الخاتمة ما أراد الله من منافع وآمال.

ودار بين أهل الكتاب جدل طويل، قال - تعالى:

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[٨]. تسب ذلك الشرف كل واحد من هؤلاء على حده إلى نفسه وقالوا ما حكى الله -عز وجل- على النحو الذي استهدفته الآية السابقة:

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾[٩]. وقال تعالى:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١٠]. وقال: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ

---

(٦) سورة النحل ١٢٠:١٢٣.
(٧) سورة آل عمران ٩٥.
(٨) سورة البقرة/١١١.
(٩) سورة البقرة/١١٣.
(١٠) سورة آل عمران ٦٥.

للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾(١١)، ﴿ومن أصدق من الله حديثا﴾(١٢).

فالانتساب لإبراهيم انتساب إلى ملته -صلوات الله عليه- واتباع له في حياته وبعد مماته، وأولى الناس بذلك محمد -صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا.. وكان أخلق باتباع المرسلين أن تجمعهم أول بادرة على كلمة سواء، على ما قال الله لمحمد -صلوات الله عليه-

﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾(١٣)، وأن تكون الألفية الثالثة وهي في ابتدائها منطلق الجميع إلى ذلك، لا يقف أحد عندها في نطاق السهر والسمر والشهوات، التي استهدفت رسالات المرسلين إنهاض الناس من الانغماس فيها إلى الأذقان، حتى لا يظلم هؤلاء موسى وعيسى -عليهما السلام- فقد جاءا الناس من لدن ربهم، ورب كل شيء ومليكه، كما قال الله تعالى:

﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ۝ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾(١٤).

وهؤلاء يظلمون أنفسهم، حين يتبعونها هواها ويشبعونها مما حرم الله عليها من شهوات لا تجمل هواها بإنسان أحل الله له الطيبات، وحرم عليه الخبائث، وخلق له ما في الأرض جميعا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وشرفه فكلفه، واستخلفه، ليؤدي واجبه في عمارة الكون، وإصلاح الأرض، قبل أن يقول له ولإخوانه:

﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين﴾(١٥).

ألا ليتنا نأخذ عبرة من الأيام، ومر الشهور والأعوام، وبخاصة تلك المراحل التي تحكي فضل الله علينا بإرسال المرسلين بعامة، وبعثة النبي -صلوات الله عليه- وأيام دعوته إلى الله في «أم القرى» وما حولها، وما احتمل وصحبه في سبيل ذلك من صعاب، وتخطى من عقبات، طيلة ثلاثة عشر عاما حتى هاجر بإذن ربه، بعد أن هاجر صحبه إلى المدينة المنورة، ووجدوا أهلا بأهل، وإخوانا ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(١٦)، وكم في ذكرى الهجرة من دروس ملهمة، فيها هدى ونور، وبلاغ لقوم يعقلون..

---

(١١) سورة آل عمران ٦٧،٦٨.
(١٢) سورة النساء ٨٧.
(١٣) سورة النحل ١٢٣.
(١٤) سورة الصف ٥،٦.
(١٥) سورة الأعراف ٥٦.
(١٦) سورة الحشر ٩.

والناس على ذكر من أمر الهجرة أمرا إلهيا، وإلهاما ربانيا، وإيمانا لا يتردد فى صدر النبى، والذين آمنوا معه بأن الله مولى الذين آمنوا يظفرهم بأعدائهم، وينصرهم على من حاولوا صدهم عن سبيله -تعالى- وصدق الله العظيم:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾(١٧).

ولقد كان -صلى الله عليه وسلم- يحب مكة ولا يرضى بها بديلا برغم ما احتمل فيها من أذى فى الله، وكذلك كان صحبه -رضوان الله عليهم- وما نزال نذكر قول رسول الله، وهو يهاجر: (والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت)(١٨).

هاجر النبى كما علم الناس بعد أن استقر الأمر، وارتاح من المهاجرين إلى يثرب الصدر، وجرت الرياح رخاء بالدعوة فى وطنها الجديد، ومشرق رسالة الله إلى الناس جميعا، إلى الأبد الأبيد..

ومرة أخرى فقد ضرب علىٌّ المثل فى الفداء، وشابهه فى ذلك الصديق: أبوبكر، وهو فى مسيرة الهجرة، يتقدم الرسول ويتأخر عنه، حتى يكون فدى له من الرصد، أو الطلب، بعد أن جند رجاله ورصد على الدعوة ماله، وأشرب قلوب بنيه وبناته، أن ما عند الله خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، فضربوا وضربنا الأمثال فى عزم الرجال على إنجاح هجرة جند الله -عز وجل- مكانها (فى بلد بين حرتين) ذات نخل، كانت يثرب التى صارت بالإسلام المدينة المنورة، والمناخ الصالح الذى ربا فيه نبت الإسلام حتى أينع، وآتى أكله دينا وسع الحياة، ومايزال حتى يرث الله الأرض ومن عليها، بكتاب يهدى للتى هى أقوم:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١٩)، (كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذى من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم ينته الجن إذ سمعته أن قالوا: (إنا سمعنا قرآنا عجبا) هو الذى من قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم)(٢٠).

ما أسعد الناس بالهجرة، وهم يستجلون دواعيها، ومراحلها، ونهايتها، وما أسعدهم مرة أخرى حين يأخذون العبر والعظات من ذلك، فى عطاء النبى وبلاء أصحابه، وإيثار الأنصار، الذين كانوا مع المهاجرين صحابة رحمة الله للعالمين صلى الله عليهم ورضى عنهم وجعلهم قبالة أنظارنا فى شتى مراحل حياتنا، وإن الله مع المتقين.

---

(١٧) سورة الحج ٣٩ - ٤٠.

(١٨) رواه الترمذى من حديث عبدالله بن عدى بن حمراء الزهرى.

(١٩) سورة الإسراء ٩.

(٢٠) رواه الدارمى من حديث على بن أبى طالب.

الهجرة مبدأ وغاية

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

فى مطلع كل عام هجرى، يتذكر المسلمون - فى كل مشارق الأرض ومغاربها - هذا الحديث الفذ الجليل، الذى كان من توفيق الله لسيدنا عمر أن جعله مبدأ التاريخ الإسلامى، حيث كان أعظم حدث فى تاريخ الإسلام كله، فيه عز المسلمون بعد هوان، واتسع الإسلام بعد ضيق، ومارس المؤمنون بالله حقهم المشروع فى عبادة ربهم.

والهجرة أمر منطقى في الطبائع السوية، فالحر إذا وجد ضيماً بأرض تحول إلى غيرها، وصاحب المبدأ إذا صودر مبدؤه في وطن زهد فيه إلى آخر، وصاحب العقيدة إذا وجد اضطهاداً، هجر وطنه إلى حيث يجد مجالاً رحباً، يمارس فيه عقيدته.

وفى الأرض منأى الكريم عن الأذى
وفيها لمن رام العلا متحول

وبين المؤمن يأبى عليه أن يقبع في مكان هو فيه، مستذل مستضعف، وقد نعى القرآن على أقوام قبلوا الدنية فى دينهم، وأقاموا على الضيم فى أوطانهم، ولم يقبل منهم العذر عندما اعتذروا بأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم، وبيّن أن أرض الله واسعة فيها مراغم كثيراً وسعة، قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾(١)

ولم تكن هجرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحبه إلى المدينة إلا إباءً للضيم، ورفضاً للظلم - وتمرداً على التحكم والاستبداد، وثورة على الأوضاع الظالمة العفنة، وانطلاقاً إلى ميدان أرحب، وأرض أخصب، وفتحاً جديداً للدعوة الإسلامية، بعد أن مكث -صلوات الله عليه- قرابة ثلاثة عشر عاماً، يدعو أهل مكة إلى ما فيه عزهم وسعدهم، فما وجد إلاّ آذاناً صماً، وأعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقاً مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾(٢).

(١) سورة النساء، الآية (٩٧).
(٢) سورة القصص، الآية (٥٧).

وحين اشتد الأذى بأصحاب الرسول - صلوات الله عليه - أشار عليهم بالهجرة الى الحبشة، ففيها ملك لا يُظلم أحد عنده، لكن الحبشة لم تكن الغاية، التى ينشدها الرسول - صلى الله عليه وسلم - فما هى إلا مأوى مؤقت، يأمن فيه بعض المسلمين، ممن مسّهم اللغوب، وأصابهم، الإعياء، وما هى بالمنطلق، الذى يتوخاه رسول الله، لتنطلق منه رسالة الإسلام فى كل اتجاه، ولذا فقد يمم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بصره شطر يثرب، لأنها أنسب بقعة، وأخصب تربة، وأطيب مكان للدعوة الجديدة، فأخذ الصحب الكرام يتوافدون عليها، واحداً بعد الآخر، تاركين بلدهم مكة، على مالها من مكانة فى نفوسهم، ففيها بيت الله الحرام، وفيها مغانى الصبا، ومرابع الطفولة، وفيها إلى جانب ذلك الأهل والأحباب، ولذا قال قائلهم:

يا حبذا مكة من وادى

أرض بها أهلى وعوادى

أرض بها ترسخ أوتادى

أرض بها أمشى بلا هادى

تركوا ذلك كله، وضحوا بالولد والأهل والوطن، لأنهم باعوا أنفسهم لله، فأصبحوا لا يبالون بشئ من الحياة، إلا أن يكون لخدمة الدعوة - لقد هاجر من هاجر من المسلمين، وفى قلوبهم شوق عارم، وملء جوانحهم حنين مشبوب إلى مكة، وليس هذا مما يعيبهم، بل يعتبر فى رصيد إيمانهم، ويعدّ مظهراً من مظاهر التضحية النبيلة.

ولما رأى أهل مكة أن معظم الصحب الكرام تركوا ديارهم بلاقع - قدّروا أن الرسول لاشك لاحق بهم، فاجتمعوا فى دار الندوة يبحثون الأمر، فمن قائل: بتقييده، وحبسه، وقائل بطرده، وثالث: يشير بقتله، وتروقهم هذه الأخيرة، ويستقر رأيهم أن يجمعوا من كل بطن فتى جلداً نسيباً، ليضربوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه فى القبائل، فيرضى بنو هاشم بأخذ الدية، إذ لا طاقة لهم بمناجزة قريش كلها.

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[٣]

ويخبر الوحى الأعلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما استقر عليه رأى القوم - فيقرر الهجرة فى الليلة، التى عزم أهل مكة على تنفيذ مؤامرتهم فيها، ويبدأ - صلوات الله عليه - رحلة الهجرة المباركة، صبيحة هذه الليلة، بصحبة الصديق - رضى الله عنه - بعد أن أعد للأمر عدته، وأخذ له أهبته، وخطط لرحلة الهجرة تخطيطا محكما، فلم يترك للأعداء ثغرة ينفذون منها، فقد أعد الرواحل، واستأجر الدليل، وأمر عليا - كرم الله وجهه - أن يبيت فى فراشه، ليظن فتيان قريش، الذين باتوا أمام دار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه مازال فى فراشه، وفى هدوء الليل، وغفلة الرقباء، خرج الرسول إلى دار أبى بكر، ومنها إلى غار ثور، حيث مكث هناك ثلاثة أيام، ريثما يهدأ الطلب، ومن الغار الميمون بدءا مسيرتهما، تجاه المدينة المنورة، على ساكنها - أفضل الصلاة وأتم التسليم -.

---

(٣) سورة الأنفال الآية (٣٠).

مِنْ فِقْهِ الهِجْرَة

للأستاذ / محمد إبراهيم العشماوى (*)

لانعلم أحدا من البشر ملأ التاريخ سمعه وبصره وقلبه ولسانه منه مثل ما ملأهم من سيد المرسلين.

ولقد كان التاريخ صادقا أميناً، وهو يسجل، في روعة وجلال، سيرة هذا الرجل العظيم، وكيف لايكون صادقا أمينا وهو يتحدث عن الصادق الأمين؟

لقد كان أوعى وأيقظ وأحفظ وأضبط مايكون وهو يرصد لنا كافة الجوانب الجليلة والدقيقة في حياته العامة والخاصة، ذلك أنه يعلم جيداً أن هذه الجوانب، وإن دقت، سوف تكون نبراسا ينير الطريق أمام السالكين، وقدوة يحتذيها كل من أراد أن يخلد اسمه، ويبقى له ذكر في العالمين:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(1).

ولن تتحقق هذه الأسوة إلا بفقه عميق لسيرة هذا الرجل الخالد، والذى به سوف يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شئون الحياة الفاضلة، كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسير عليه. ولاريب أن الإنسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحى الحياة، فإنه واجد كل ذلك فى حياة رسول الله على أعظم مايكون من الوضوح والكمال، لأن الله جعله قدوة للإنسانية كلها.

ولن تجدى دراسة السيرة النبوية إذا كان الغرض منها مجرد الوقوف على الوقائع التاريخية فحسب، مالم يكن ذلك مشفوعاً بالتدبر الواعي، والنظر الدقيق الفاحص، الذى به نستفيد فى حياتنا العامة والخاصة، ونحن نتعامل مع السيرة النبوية على هذا الأساس، الذى أشارت إليه الآية الكريمة، أعنى الائتساء بصاحب السيرة فى سيرته - صلوات الله وسلامه عليه - وإذا كان حادث الهجرة أحد الأحداث الكبار، التى تمثل جزءا أساسياً وهاماً من السيرة النبوية الشريفة، فنحن مطالبون بفقه

(*) الكاتب معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

(1) سورة الأحزاب (21).

هذا الحدث والوقوف منه على الجوانب العملية والتطبيقية، والتي قد تتوه في زحمة الأحداث.

ففي السنة الثالثة عشرة للمبعث[٢] كانت الهجرة التاريخية التي اختارها ـ بعد ـ ثاني الخلفاء الراشدين سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بداية للتاريخ الإسلامي تقديرا لجلال الحدث، الذي كان منطلق تحول حاسم وخطير في تاريخ الإسلام.

«لقد كانت الهجرة بداية تاريخ يفصل بين مقومات الوجود الأرضي كله، وكانت تلك البداية يوم أن اتخذ سيد الخلق قراره بالارتحال عن مكة، فطوى التاريخ صفحاته القديمة، واستأنف مسيرته بين يدي صاحب القرار حتى بلغ يثرب فأناخ التاريخ رحاله ليسطر صفحات جديدة في عمر الزمان، كانت أحداثها بداية لعهود يجب أن تعرفها البشرية على حقيقتها، حتى تكون نورا هاديا للفكر الإنساني طالما بقي في مسيرته على هذه الأرض، وطالما ظل يدرك أنه يوماً سيترك هذه المسيرة ليلقى ربه وخالقه في نهاية المطاف»[٣].

«وعلى امتداد الزمان يحتفل المسلمون حيثما كانوا بمستهل عام الهجرة دون أن يفوتهم لمح ما كان لها من أثر بعيد في حركة سير الدعوة الإسلامية، ودون أن يخطئهم إدراك ما أعقب تلك الهجرة التاريخية من تغيير موازين القوى بين حزب الله، وبين الوثنية الباغية من قريش.

ولقد مضى عليها أكثر من ألف وأربعمائة عام، وكلما بدأت السنة القمرية بهلال المحرم تحركت أقلام تحيي الذكرى الخالدة، وشدت أبصار وقلوب إلى خطوات المهاجر العظيم ما بين مكة ويثرب»[٤].

ونحن هنا نحاول رصد الأحداث واستخلاص ما يمكن أن نستفيد به عملياً منها، وفق دلالاتها ومؤشراتها، ويمكن حصره فيما يأتي :

١ ـ أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يُتنازل لهما عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس، وعن كل ما جبلت الطبائع السليمة على حبه وإيثاره والتمسك به والتزامه، ولايُتنازل عنهما لشيء.

وقد كانت مكة ـ فضلاً عن كونها مولداً ومنشأً للرسول وأصحابه ـ مهوى الأفئدة ومغناطيس القلوب، ففيها الكعبة البيت الحرام الذي جرى حبه منهم مجرى الروح والدم، ولكن شيئاً من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن، ومفارقة الأهل والسكن، حين ضاقت الأرض على هذه الدعوة والعقيدة وتنكر أهلها لهما.

وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة، عاطفة الحنين الإنساني، وعاطفة الحب الإيماني في كلمته التي قالها مخاطبا مكة: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليّ، ولولا أن قومي أخرجوني ما سكنت غيرك»[٥] وذلك عملاً بقوله -تعالى-:

---

(٢) يرى بعض كتاب السيرة أن الهجرة وقعت في السنة الرابعة عشرة من النبوة، وذلك في ليلة ٢٧ من صفر الموافق ١٢/١٣ سبتمبر ٦٢٢م، ويكون شهر صفر هذا من السنة الرابعة عشر إذا فرضنا بداية السنة من شهر المحرم، وأما إذا بدأنا السنين من الشهر الذي أكرم الله فيه نبيه بالنبوة فيكون شهر صفر هذا من السنة الثالثة عشر قطعا، وعامة من يكتب في السيرة ربما يختار هذا وربما يختار ذاك. ينظر: الرحيق المختوم (١٨٢) ط دار النخائر.

(٣) خاتم النبيين سيدنا محمد ـ سميح عاطف الزين (٢/٧) ط دار الكتاب اللبناني.

(٤) مع المصطفى ـ د. عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) (١٨٥) ط دار الكتاب العربي.

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب في فضل مكة رقم (٣٩٢٦) ط دار الحديث.

﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت ٥٦).(٦)

لقد كانت فتنة المسلمين في مكة فتنة الإيذاء، والتعذيب، ومايرونه من المشركين من ألوان الهزء، والسخرية، فلما أذن لهم الرسول بالهجرة أصبحت فتنتهم في ترك وطنهم وأموالهم ودورهم وأمتعتهم.

ولقد كانوا أوفياء لدينهم، مخلصين لربهم، أمام الفتنة الأولى والثانية، قابلوا المحن والشدائد بصبر ثابت وعزم عنيد، حتى إذا أشار لهم الرسول بالهجرة إلى المدينة توجهوا إليها وقد تركوا من ورائهم الوطن ومالهم فيه من مال ومتاع ونسب، وذلك أنهم خرجوا مستخفين متسللين ولايتم ذلك إلا إذا تخلصوا من الأمتعة والأثقال فتركوا كل ذلك في مكة ليسلم لهم الدين، واستعاضوا عنه بالإخوة الذين ينتظرونهم في المدينة ليأووهم وينصروهم، وهذا هو المثل الصحيح للمسلم الذي أخلص الدين لله، لايبالي بالوطن ولا بالمال والنسب في سبيل أن يسلم له دينه.(٧)

ليست الهجرة انتقال موظف من بلد قريب إلى بلد ناء، ولا ارتحال طالب قوت من أرض مجدبة إلى أخرى مخصبة، إنها إكراه رجل آمن في سربة ممتد الجذور في مكانه على إهدار مصالحه، وتصفية أمواله، والنجاة بشخصه فحسب، وإشعاره وهو يصفي مركزه بأنه مستباح منهوب، قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم لايدرى مايتمخض عنه من قلاقل وأحزان.

إنه الإيمان الذي يزن الجبال ولايطيش، وإيمان بمن؟ بالله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير.(٨)

إن الإيمان الصحيح بالله وكتابه ورسوله إذا دخل القلوب وأشربته النفس عن علم وفهم لابد أن يؤتي أكله وثمراته من العمل الظاهري والجهاد بالنفس والمال.

هذا عن أهل مكة، وأما أهل المدينة الذين أووهم في بيوتهم وواسوهم ونصروهم فقد قدموا المثل الصادق للأخوة الإسلامية والمحبة في الله - عز وجل -.

وأنت خبير أن الله - عز وجل - قد جعل أخوة الدين أقوى من أخوة النسب وحدها ولذلك كان الميراث في صدر الإسلام على أساس وشيجة الدين وأخوته والهجرة في سبيله، ولم يستقر حكم الميراث على أساس علاقة القرابة إلا بعد أن تكامل الإسلام في المدينة وصارت للمسلمين دار إسلام قوية منيعة، ونسخ التوارث بين المتآخين وبقي شرع الأخوة مستمراً إلى يوم القيامة وهكذا تعلمنا الهجرة كيف أن على الدعاة أن يبحثوا دائما عن أماكن خصبة للدعوة تكون مركز انطلاق ونواة تأسيس.(٩)

---

(٦) السيرة النبوية ـ العلامة المرحوم أبوالحسن الندوي ط دار عمر بن الخطاب، نشر المكتبة العصرية.

(٧) فقه السيرة ـ د محمد سعيد البوطي (١٣٠) ط دار الفكر.

(٨) فقه السيرة ـ الشيخ محمد الغزالي (١٠٩) ط دار القلم.

(٩) فقه السيرة للبوطي، نفس الموضع، السيرة النبوية الصحيحة ـ د أكرم ضياء العمري (١/٢٤٤) ط مكتبة العلوم والحكم، في ظلال السيرة النبوية ـ د محمد أبوفارس (١/٣٥٨) نقلا عن الأساس في السنة لسعيد حوى، سبل الهدى والرشاد ـ الإمام محمد بن يوسف الصالحي (٣/٢٢٤) ط دار الكتب العلمية ـ تحقيق: علي محمد بيومي وزميله

٢ ـ تعلمنا الهجرة أن الإيمان بالله ـ عز وجل ـ لاينافي استعمال الأسباب المادية التي أرادت حكمة الله أن تكون أسبابا.

فقد رأينا كيف أحكم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ خطة هجرته، وأعد لكل فرض عدته، ولم يدع في حسبانه مكاناً للحظوظ العمياء، وشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شيء في النجاح، ثم يتوكل بعد ذلك على الله؛ لأن كل شيء لاقيام له إلا بالله، فإذا استفرغ المرء جهوده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك فإن الله لايلومه على هزيمة بلي بها، وقلما يحدث ذلك إلا عن قدر قاهر يعذر المرء فيه، وكثيرا مايرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيباً حسناً ثم يجيء عون أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار.[١٠]

لقد استعمل رسول الله كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتد بها واستعملها.

فترك علي بن أبي طالب ينام في فراشه ويتغطى ببرده[١١]، واستعان بأحد المشركين بعد أن أمنه ليدله على الطرق الفرعية التي قد لاتخطر ببال الأعداء[١٢]، وأقام في الغار ثلاثة أيام متخفيا إلى آخر ماعياه من الاحتياطات المادية التي قد يفكر بها العقل.

وليس قيامه بذلك بسبب خوف في نفسه، أوشك في إمكان وقوعه في قبضة المشركين قبل وصوله المدينة، والدليل على ذلك أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعدما استنفذ الأسباب المادية كلها وتحلق المشركون بالغار الذي يختبئ فيه هو وصاحبه، بحيث لو نظر أحدهم عند قدمه لأبصر الرسول، استبد الخوف بقلب أبي بكر، على حين كان يطمئنه النبي ـ عليه السلام ـ قائلا: «يا أبابكر ماظنك باثنين الله ثالثهما؟»[١٣]

لقد كان من مقتضى اعتماده على كل تلك الاحتياطات أن يشعر بشيء من الخوف والجزع في تلك الحال، لقد كان كل مافعله من تلك الاحتياطات إذن وظيفة تشريعية قام بها، فلما انتهى من أدائها عاد قلبه مرتبطاً بالله ـ عز وجل ـ معتمداً على حمايته وتوفيقه ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لاينبغي أن يكون إلا على الله ـ عز وجل ـ ولكن لاينافي ذلك احترام الأسباب التي جعلها الله في هذا الكون أسبابا.[١٤]

وما أحرانا وقد شهدنا عبقرية التخطيط للهجرة أن لاتغيب عنا هذه الجوانب الثلاث:

أولاً: علينا أن نستفرغ الوسع ونبذل كل الطاقة في التخطيط البشري.

---

(١٠) فقه السيرة للغزالي (١٥٩).

(١١) مسند الإمام أحمد (٩٢٦/٥) بتحقيق شاكر وقد صححه حديث ابن عباس.

(١٢) هو عبدالله بن أريقط وقصته في صحيح البخاري، مناقب الأنصار رقم (٣٩٠٥) وانظر: فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني (٢٣٦/٧ ـ ٢٣٨).

(١٣) البخاري، فضائل الصحابة (٣٦٥٣، ٣٩٢٢)، باب هجرة النبي إلى المدينة (٤٦٣٣)، تفسير سورة براءة الآية، ومسلم في فضائل الصحابة، فضائل سيدنا أبي بكر (٢٣٨١).

(١٤) فقه السيرة للبوطي (١٣٨).

ثانياً : أن يكون اتكالنا على الله -تعالى- دون اعتمادنا على الأسباب.

ثالثاً : أن نقبل قضاء الله وقدره فيما هو فوق طاقتنا ونطمئن إلى أنه خير للإسلام والمسلمين.(١٥)

٣ ـ تعلمنا الهجرة -أيضا- أن الجندي الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفدي قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة الدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله سيدنا علي -رضي الله عنه- ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول تضحية بحياته في سبيل الإبقاء على حياة رسول الله إذ كان من المحتمل أن تهوى سيوف فتيان قريش على رأس علي -رضي الله عنه- انتقاماً منه لأنه سهل لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ النجاة، ولكن علياً لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله نبي الأمة وقائد الدعوة(١٦)، ونلمح صورة هذه الفدائية فيما روى عن سيدنا أبي بكر من مشيه تارة أمام رسول الله، وتارة خلفه، وتارة عن يمينه، وتارة عن يساره، كالحارس له من حيث توجه إليه الطلب، ومن دخوله الغار قبل رسول الله يستبرئه له، ومن شقه ثوبه وحشو شقوق الغار به حتى لسعته الحيات والعقارب(١٧)، وهذه نماذج عظيمة من الفداء، قل أن توجد إلا في الصادقين المخلصين.

٤ ـ في تعمية أبصار المشركين عن رؤية رسول الله وصاحبه في غار ثور وهم عنده، وفيما تحكيه لنا الروايات من تسيج العنكبوت، وتفريخ الطير على فم الغار(١٨) مثل تخشع له القلوب من أمثلة العناية الإلهية برسله ودعاته وأحبابه، فما كان الله في رحمته لعباده ليسمح أن يقع رسوله في قبضة المشركين فيقضوا عليه وعلى دعوته، وهو الذي أرسله رحمة للعالمين وكذلك يعوِّد الله عباده المخلصين أن يلطف بهم في ساعات الشدة وينقذهم من المآزق والغدر.(١٩)

وليس في نجاة رسول الله وصاحبه بعد أن أحاط بهما المشركون في غار ثور إلا تصديق قول الله -تعالى-:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر ٥١) **﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾** (الحج ٣٨).

والجنود التي يخذل بها الباطل وينتصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح، ولا صورة خاصة من الخوارق، إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإذا كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل في ضخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش ذي لجب **﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾** (المدثر ٣١)(٢٠)

٥ ـ لم يخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- من بين قومه حتى هموا بقتله منعاً له من الدعوة إلى

---

(١٥) المنهج الحركي للسيرة النبوية (١٩٨/١) ـ منير الغضبان ط الجامعة الإسلامية

(١٦) مسند أحمد (٢٦/٥) بتحقيق شاكر، السيرة النبوية دروس وعبر ـ د مصطفى السباعي (٦٧ ـ ٦٨) ط المكتب الإسلامي.

(١٧) سبل الهدى والرشاد (٣/ ٢٤٠) وفيه عزو القصة إلى البيهقي وابن أبي شيبة وابن المنذر، وابن مردويه، وأبي نعيم

(١٨) طبقات ابن سعد (٢٢٩/١)، وكشف الأستار للهيثمي (٢٩٩/٢)، والمعجم الكبير للطبراني (٤٤٣/٢٠) وغيرها.

(١٩) السيرة النبوية دروس وعبر (٧٩).

(٢٠) فقه الغزالي (١٦٤)

الحق كما أوصلوا إليه مالايحتمله غيره من الأذى وفى هذا عبرة لمن دعا إلى دينه، أن يصبر على أذى المدعوين حتى يخشى على نفسه الهلاك، فيفر بدينه إلى حيث يرجو أن تثمر دعوته[21].

٦ ـ الاستعانة بالخبرات والكفاءات الماهرة، فقد استأجر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ دليلاً خبيرا بطرق الصحراء، ليستعين بخبرته على مغالبة المطاردين، وينظر فى هذا الاختيار إلى الكفاية وحدها، فإذا اكتملت فى أحد ـ ولو مشركاً ـ استخدمه وانتفع بموهبته[22].

٧ ـ نلمح فى النشاط الذى كان يبذله عبدالله ابن أبى بكر ذاهبا آيبا بين الغار ومكة يتحسس الأخبار، وينقلها إلى رسول الله وأبيه، وفيما عمدت إليه أخته أسماء من الجد من تهيئة الزاد والراحلة واشتراكها فى إعداد العُدَّة لتلك الرحلة ـ نلمح فى ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم -ذكورا وإناثا- فى سبيل الله ـ عز وجل ـ ومن أجل تحقيق مبادىء الإسلام وإقامة مجتمعه. فلايكفى أن يكون الإنسان منطوياً على نفسه مقتصرا على عباداته بل عليه أن يستنفد طاقاته، وأوجه نشاطه كلها سعياً فى سبيل الإسلام، وتلك هى مزية الشباب فى حياة الإسلام والمسلمين فى كل زمن وعصر.

وإذا تأملت فيمن كان حول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ إبَّان دعوته وجهاده، وجدت أن أغلبيتهم العظمى كانوا شبابا لم يتجاوزوا المرحلة الأولى من عمر شبابهم ولم يألوا جهداً فى تجنيد طاقاتهم وقوتهم من أجل نصرة الإسلام وإقامة مجتمعه[23].

٨ ـ تكشف لنا الصورة التى استقبلت بها المدينة المنورة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن مدى المحبة الشديدة، التى كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة، رجالاً ونساء وأطفالاً، لقد كانوا يخرجون كل يوم إلى ظاهر المدينة، ينتظرون تحت لفح الشمس وصول رسول الله إليهم، حتى إذا هب النهار ليدبر، عادوا أدراجهم، ليعودوا إلى الانتظار صباح اليوم التالى، فلما طلع الرسول عليهم جاشت العواطف فى صدورهم، وانطلقت ألسنتهم تهتف بالقصائد والأهازيج فرحاً لمراه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومقدمه عليهم، ولقد بادلهم رسول الله المحبة ذاتها، حتى إنه جعل ينظر إلى ولائد من بنى النجار حوله وهن ينشدن ويتغنّين بمقدمه قائلا : أتحبننى؟ والله إن قلبى ليحبكن[24].

يدلنا كل ذلك أن محبة رسول الله ليست فى مجرد الاتباع وباعثه، فلولا المحبة العاطفية فى القلب لما وجد وازع يحمل على الاتباع فى العمل، ولقد ضل قوم حسبوا أن محبة رسول الله ليس لها معنى إلا الاتباع والاقتداء، وفاتهم أن الاقتداء لايأتى إلا بوازع ودافع، ولن تجد من وازع يحمل على الاتباع إلا المحبة القلبية، التى تهز المشاعر، وتستبد بالعواطف، ولذلك جعل الرسول ـ صلى

---

(٢١) فى أصول السيرة المحمدية (٧١، ٧٢) ط السنة المحمدية

(٢٢) الغزالى ٦٦٢.

(٢٣) فقه البوطى (١٣٩) وما بعدها.

(٢٤) ينظر فى صورة استقبال أهل المدينة له صلى الله عليه وسلم : سبل الهدى (٢٧٦/٣) ومابعدها، والبداية والنهاية (١٩٧/٣)، وفتح البارى (٢٣٩/٧ ـ ٢٦٥) وسيرة ابن هشام (٤٩٢/١)، وزاد المعاد (٣/٥٥١) وصحيح مسلم (٢٣١١/٤) وشرح المواهب (٣٥٩/١).

الله عليه وسلم ـ مقياس الإيمان بالله امتلاء القلب بمحبته ـ عليه السلام ـ بحيث تغدو متغلبة على محبة الولد والوالد والناس أجمعين، وهذا يدل على أن محبة الرسول من جنس محبة الوالد والولد، أي: مصدر كل منهما العاطفة والقلب، وإلا لم تصح المقارنة والمفاضلة بينهما[٢٥].

وتكشف لنا قصة نزوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ضيفا عند أبي أيوب الأنصاري في منزله مظهرا آخر من محبة أصحاب رسول الله له، ولنا فيهم أسوة طيبة.

والذي يهمنا من ذلك هنا هو التأمل في تبرك أبي أيوب وزوجه بآثار أصابع رسول الله في قصعة الطعام حينما كان يرد عليهما فضل طعامه. إذن فالتبرك بآثار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر مشروع قد أقرّ.

وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما صورا كثيرة أخرى من تبرك الصحابة بآثار النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ والتوسل بها للاستشفاء والعناية والتوفيق وماشابه ذلك.

من ذلك مارواه البخاري[٢٦] أن أم سلمة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت تحتفظ بشعرات من شعر النبي من جُلْجُلٍ لها فكان إذا أصاب أحداً من الصحابة عينٌ أو أذى أرسل إليها إناء فيه ماء، فجعلت الشعرات في الماء، ثم أخذوا يشربونه توسلاً للاستشفاء والتبرك به.

ومن ذلك مارواه مسلم[٢٧] من أنه ـ عليه السلام ـ كان يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست هي في البيت فجاء ذات يوم فنام على فراشها فجاءت أم سليم وقد عرق رسول الله، واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها[٢٨] فجعلت تنشف ذلك العرق فتَعْصُرُهُ في قواريرها، فأفاق النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يارسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: أصبت.

ومن ذلك ماجاء، في الصحيحين من استباق الصحابة إلى فضل وضوئه ـ عليه السلام ـ والتبرك بالكثير من آثاره كألبسته والقدح الذي كان يشرب فيه.

فإذا كان هذا شأن التوسل بآثاره المادية فكيف بالتوسل بمنزلته عند الله ـجل جلاله؟ وكيف بالتوسل بكونه رحمة للعالمين؟[٢٩]

٩ ـ ومما يُستفاد من مشروعية الهجرة ـ أيضا ـ وجوب نصرة المسلمين بعضهم لبعض، مهما اختلفت ديارهم وبلادهم، مادام ذلك ممكناً.

فقد اتفق العلماء والأئمة على أن المسلمين إذا قدروا على استنقاذ المستضعفين أو المأسورين أو المظلومين من إخوانهم المسلمين في أي جهة من جهات الأرض ثم لم يفعلوا ذلك فقد باءوا بإثم كبير.

ليتنا نتعلم هذا الدرس من دروس الهجرة ثم لانبالي بعد أي شيء تعلمنا، وبالله التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٥) فقه البوطي، السابق.

(٢٦) مسلم في الأشربة (١٧٩)، والحاكم في المستدرك (٣/١٦٠) بإسناد صحيحه، ووافقه عليه الذهبي، وهو على شرط مسلم، وأحمد في المسند (٥/٤٦٥)، وابن هشام (١/٤٩٨) بإسناد صحيح

(٢٧) صحيحه، كتاب اللباس، باب ماذكر في الشيب (٥٨٩٦).

(٢٨) صحيحه، كتاب الفضائل، باب طيب عرقه عليه السلام (٨٣، ٨٤، ٨٥).

(٢٩) العتيدة كالصندوق الصغير تجعل المرأة فيه مايعز من متاعها. النهاية لابن الأثير (٣/١٧٧) ط الحلبي.

المهاجرون.. رجال صدقوا

للأستاذ / عاطف شحاته زهران

إذا تتبعنا الآيات القرآنية التي تحدثت عن المهاجرين لوجدنا أدق تصوير لهم وأصدق حديث عنهم، أنهم حملوا أعباء الدعوة في مهدها، وهي أشد ما تكون حاجة إلى الرجال الذين يتفانون في العطاء والصمود في مواجهة المحن التي تعرض لهم، والفتن التي تواجههم.. والصدق هو الأساس في أي صنف يصلح لهذه الفترة بالذات، الصدق في نصرة الله ورسوله، والتضحية في سبيله بكل مرتخص وغال، والثبات على العقيدة في كل حال مهما واجهوا من إيذاء واضطهاد، وقد أثنى الله عليهم في آيات تتلى على مر الدهور، وقدمهم مثالا يحتذى به كل صاحب حق يهان في سبيل حقه، وكل متمسك بدينه حريص على خدمته.

إنهم صدقوا في هجرتهم وحسن توجههم إلى الله وحده يرجون رحمته، قال -تعالى-:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾ (1)

وصدقوا في خروجهم ابتغاء مرضاته ونصرة لدينه ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾(2).

هجروا الأوطان التي فيها نشأوا وعلى أرضها درجوا، وتحملوا في سبيل ثباتهم على الدين الوان العذاب، وجمعوا مع هذه الفضائل قتالهم في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فجمعوا كل أرجاء الفضيلة، فأجزل الله عطاءهم وأعلى درجاتهم: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾(3)

وكافأهم الله على ما لاقوا من أذى في سبيله، تكفير السيئات، وجنة النعيم. قال -عز وجل-:

﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾(4)

---

(1) البقرة: ٢١٨.
(2) الحشر: ٨.
(3) التوبة: ٢٠.
(4) آل عمران: ١٩٥

ووعدهم في الجنة رزقا حسنا فقال:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(٥)

قال ابن كثير: أي ليجرين عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم.

ومع ما أعده الله لهم في الآخرة من عطاء لم يحرمهم خيرات الدنيا وحسناتها، قال الله -تعالى-:

﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾(٦)

قيل: الحسنة هي المدينة، وقيل: هي الرزق الطيب، فإنهم تركوا لله؛ فعوضهم الله خيرا منها في الدنيا، فمكن لهم في البلاد وصاروا أمراء حكاما وكل منهم للمتقين إماما.

روى أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعد الله في الدنيا، وما ادخر لك في الآخرة أفضل، ثم قرأ هذه الآية(٧) ولقد تجلى صدقهم في مظهرين هامين هما:

أولاً: صدق المحبة لله ولرسوله:

كان الحافز وراء كل تضحياتهم هو الحب الصادق لله ولرسوله وللدين الحنيف الذي وجدوا فيه بغيتهم وصلاحهم وعزتهم، ولما صدقوا في هذه المحبة تعلقت آمالهم بالغد المرتقب والمستقبل الزاهر للدعوة، وأثمرت المحبة ثمارها.

لقد صار هذا الحب مضرب المثل ومثار إعجاب الأعداء قبل الأصدقاء، وكان سر انتصاراتهم الرائعة ومبعث التضحيات الغالية، وبه انطلقوا سهاماً صائبة في قلوب أعدائهم حين أيقنوا أن عزتهم في الدنيا وسعادتهم في العقبى مرتهنة بهذا الحب وتلك التضحيات، صدقوا في المقدمات فصدقت النتائج، وقدموا أرواحهم وأموالهم فجنوا نصراً ورفعة.

ثانياً: صبرهم في الباساء والضراء:

تنزلت الآيات المجيدة في تلك المرحلة الخطيرة -مرحلة التكوين والإعداد- توصى بالصبر وتحكى قصص السابقين من المرسلين وأتباعهم، وتصور مالاقوه من عنت المكذبين والمشركين،فكانت هذه الآيات والمواقف دليلا على الطريق، تقوى البناء، وتضاعف اليقين في نصر الله وظهور الدين.

قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٨). وقال: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾(٩). وقال: ﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾(١٠)

---

(٥) الحج: ٥٨.

(٦) النحل: ٤٠.

(٧) تفسير ابن كثير ج٢ ص: ٥٧٠.

(٨) الأنعام: ٣٤.

(٩) الأحقاف: ٣٥.

(١٠) المزمل: ١٠.

وجاءت قصة أهل الكهف وأصحاب الأخدود ومؤمن آل فرعون، وغيرها لتثبت المستضعفين وتقدم لهم الحجج العديدة على الصراع الأبدى بين الحزبين، وهو صراع قديم قدم النبوات، وقائم ما كان هناك للحق رجال يصدعون به ويعيشون له ويبذلون من أجله، فكانت هذه الآيات معينا قويا فى مواجهة التحديات الكثيرة التى تحيط بهم من كل ناحية.

لقد لاقوا العذاب صنوفا، ولكنهم كانوا أشد من الجبال رسوخا، وكلما اشتد الأعداء عليهم فى الإيذاء، كلما زادهم ذلك صبرا واحتمالا لاعتقادهم أن الابتلاء يجيء على قدر صلابة الدين، صقلا للنفوس وتمحيصا للدين، قال ابن عباس: كانوا يجيعون أحدهم ويعطشونه ويضربونه حتى ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضر حتى يقولوا له: اللات والعزى إلهك من دون الله؟ فيقول: نعم[١١]

ويتلقى بلال سياط المشركين على صدره العارى وهو يقول: أحد.. أحد، وكم تمنوا أن ينهار تحت لهيب سياطهم فإذا بكلماته تصفعهم على وجوههم وتقدم لهم أصدق البرهان على قوة الإيمان وصدق الاتباع، فلجئوا إلى وسيلة أخرى ربما أجدت فى زعزعة ذلك اليقين ووقف هذا التيار -الذى بدا يتنامى لدرجة تفزع أهل مكة فقرروا محاصرة المسلمين فى شعب أبى طالب.. لا يتعامل معهم أحد ببيع أو شراء أو نكاح.. ظانين أن ذلك قد يعجل بالقضاء على هذه الجماعة، ودامت تلك المقاطعة سنوات ثلاث واجه فيها القوم صعابا تحطم الظهور حتى سمعت أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، وبلغ منهم الجهد مبلغه، فكان الصبر وحده هو السلاح الذى لا يفل، وكان الإيمان هو النور الذى لا يخبو.

قواعد البناء

وإنك لتعجب أشد العجب - حين تطالع سيرهم وتتصفح تاريخهم- من هذا الصمود الذى لا مثيل له إلا عند أصحاب النبى البررة الذين تربوا على يدى النبى القائد والداعى الأريب والذى راعى أن يقيم البناء على أسس متينة منها:

أولاً : الإيمان بالله وحده.

فالإيمان الجازم إذا خالطت بشاشته القلوب يزن الجبال ولا يطيش، وصاحب هذا الإيمان المحكم يرى متاعب الدنيا مهما كبرت واشتدت فى جنب إيمانه طحالب عائمة فوق سيل جارف جاء ليكسر السدود المنيعة والقلاع الحصينة فلا يبالى من تلك المتاعب.[١٢]

ثانياً : قيادة تهوى إليها الأفئدة.

لقد ظلت الأمة على مدى العصور تعظم سيرة النبى الكريم، فإن هذه السيرة بكل ما فيها من عناصر العظمة تحل الرسول فى ضمائر المسلمين ومشاعرهم وعقولهم محل الزعامة والقيادة التى لا تدانيها أية قيادة وزعامة.[١٣]

فقد حل من أصحابه محل الروح والنفس، وشغل منهم مكان القلب والعين، فكان الحب الصادق يندفع إليه اندفاع الماء إلى الحدور، وكان من أثر هذا الحب أنهم كانوا ليرضون أن تدق أعناقهم ولا يخدش له ظفر أو يشاك بشوكة.[١٤]

---

(١١) فتح البارى للعسقلانى ج٧ ص٢٠٣.

(١٢) الرحيق المختوم للمباركفورى ص١١٦.

(١٣) خطرات نفس مسلمة. عبدالحميد الكاتب ص٣٦.

(١٤) الرحيق المختوم ص١١٨.

ثالثا: الشعور بالمسئولية:

فقد كان الصحابة يشعرون شعورا تاما بالمسئولية الملقاة على كواهل البشر وأنه لا يمكن الحياد أو الانحراف عنها بحال، فالعواقب التى تترتب على الفرار من تحملها أشد ضررا عماهم فيه من الاضطهاد، وكان الإيمان باليوم الآخر مما يقوى هذا الشعور بالمسئولية، فقد كانوا على يقين جازم بأنهم محاسبون على أعمالهم صغيرها وكبيرها، وكانوا يعرفون أن الدنيا بنعيمها وعذابها لا تساوى جناح بعوضة فى جنب الآخرة، فكانت هذه المعرفة تهون عليهم متاعب الدنيا ومرارتها.

رابعا : عظمة الرسالة وحاجة العالم إليها:

كان القرآن يتنزل فى هذه الفترات العصيبة ليقيم الحجج والبراهين على مبادىء الإسلام -التى كانت الدعوة تدور حولها بأساليب منيعة خلابة، وترشد المسلمين إلى أسس قدَّر الله أن يتكون عليها أعظم مجتمع بشرى فى العالم وهو المجتمع الإسلامي- وتثير مشاعر المسلمين ونوازعهم على الصبر والتجلد.(15)

قال -تعالى-: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.(16)

وقال: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾.(17)

أدرك السابقون إلى الإسلام عظمة الرسالة وحاجة العالم كله إليها لتمحو جهالته وتبدد ظلمته وتنشر فيه الحق والخير والمساواة والإخاء.. فالإسلام سيقود الناس إلى مرضاة رب العالمين وسيخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

آمال غالية.. هل تتحقق؟

إنهم صدقوا ومضوا على المنهج القويم فأعزهم الله من ذلة، وأغناهم من فاقة، ووسع عليهم من ضيق، وخرجوا من مكة أو تخرجوا فيها رجالاً أغلى أمانيهم أن ينصروا دين الله، وكلهم شوق لإعلاء رايته، ووجدوا فى يثرب رجالا فتحوا لهم صدورهم وبذلوا لهم حبهم، فاجتمعوا على حب لا نظير له، وصدق ما أحوجنا إلى مثله.. وآمالنا كبيرة فى أن يبعث الله فينا هذه الأرواح، ويمنحنا قلوباً كتلك القلوب، وصدقا يكافىء ذاك الصدق أو يقاربه لتنهض الأمة وتتبوأ مكانتها.. رضي الله عن المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(15) المرجع السابق ص119.

(16) البقرة 214.

(17) العنكبوت 2 ، 3.

في رحاب الهجرة

للأستاذ / حامد محمد الفار

مهما امتد الزمان .. وتعاقبت الأجيال.. فالهجرة النبوية حدث تاريخي مجيد لا يغرب عن وجدان المسلمين ما بقيت الحياة.

وكيف لا .. والهجرة جاءت نقطة انطلاق للدعوة الإسلامية التي اجتازت الحدود والسدود، وأعلت كلمة الله التي حاربت الأرباب وقهرت الأصنام وحررت الجباه من السجود لغير الله. كما حررت الإنسان من رق الطواغيت وخلصت العقل البشري من قيود الجهل وأغلال التقليد.. وتبدل بالهجرة سير التاريخ، وسادت في الأرض مبادئ الحق والعدل والإخاء والمساواة.. في ظل وحدة رضيها الله -تعالى- لهذه الأمة..

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(١).

وكل خير أصابه المسلمون.. كان عقب هجرة رسالة التوحيد إلى يثرب، وكان للشباب دور حاسم في إنجاحها، حيث بذل الشباب في حماية ركب المهاجر تضحيات غاليات وهو يتحدى مؤامرة قريش في شجاعة مؤمنة وفدائية جريئة تمثلت في موقف «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه.. يخرج ساعة الخطر ويرقد مكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يعلم أن الموت منه قريب! ولكنه لا يبالي بالسيوف المشرعة في قبضة الشباب المضلل، ويسعى إلى موت تتوقف عليه حياة دعوة ونجاة داعية اختارته السماء، ليكون رحمة للعالمين.

وهذه «أسماء بنت أبي بكر» تعد الطعام للركب المهاجر، ولم يستطع «أبوجهل» أن يعرف منها سراً واحداً من أسرار الهجرة وقد لطمها لطمة أطارت قرطها من أذنها.

و«عبدالله بن أبي بكر» يريح الأغنام عند الغار مساء كل يوم كي يحتلبها المهاجران ويشربا من لبنها، ولتطمس حوافرها آثار الأقدام.

وتنجح خطة الهجرة بمشاركة الشباب

(١) سورة الأنبياء ٩٢.

المؤمن الذى أدى دوره بكل صدق وحب وتضحية وفداء، فى أعظم حدث وأخطر مرحلة.

ونحن نعلم من سنة نبينا ومن تاريخ ديننا الحنيف.. أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - منذ قيامه بالدعوة اهتم بتربية الشباب تربية قرآنية، واتخذ دار «الأرقم» أول مدرسة لهذه التربية التى امتدت على نطاق واسع فى المدينة بعد الهجرة، وصادفت هذه التربية الفطرة السليمة والعقول الواعية، وصنعت من الشباب الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ووطئت سنابك خيلهم حصون الشرك ومعاقل البغى فى كل مكان، فاستحقوا من الرسول الكريم أن يلفت أنظار الأمة إليهم بتكريمهم فى شخص «أسامة بن زيد» إذ ولاه إمارة الجيش ولم يتجاوز العشرين من عمره، وسار على هذا النهج خلفاؤه من بعده، فقد قرب الخليفة «عمر بن الخطاب» «عبدالله بن عباس» فى مجلسه مع أشياخ الصحابة على حداثة سنه، تقديرا لقوة صلته بالله ودقة نظره فى كتاب الله. وهذا «عبدالله بن الزبير» حمل بشارة النصر إلى الخليفة «عثمان بن عفان» ومع بطولته الحربية كان قانتاً لله عابداً. كان إذا دخل فى الصلاة ينسى ما حوله.. فقد مرت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلى.. فما أحس بها ولا اهتز لها ولا قطع قراءته من أجلها ولا تعجل ركوعه، لأنه كان مع الله بكل حواسه ومشاعره.

هذه بعض أمثلة لشباب تربى فى جو إسلامى رشيد، ولما قلت العناية بتربية الشباب.. وانعدمت الرعاية والتوجيه، وانصرف الناس عن الالتزام بنهج الاسلام، أصبح الشباب يعانى الكثير من الحيرة والقلق والاضطراب وذلك بقدر بعده أو محاولة إبعاده عن قيم الإسلام ومنهجه، مما جعله فريسة سائغة للدعوات الضالة والمبادئ الهدامة والمذاهب الغوية والأفكار الآثمة، وسرت العدوى المدمرة التى انتقلت من شباب الغرب الصليبى وشباب الشرق الملحد عن طريق الاستعمار السياسى والاتصال الثقافى عبر كثير من الأساليب التى تغلف السم بالعسل، وكان لها قوة التأثير فى الأوساط الإسلامية، وتأثر بها فكر الشباب وتغير بها سلوكه حتى صار الكثير من شبابنا يأتى من الأعمال التى تجرح الفضيلة وتخدش الحياء من غير ما خجل ولا استحياء.

وليس معنى هذا أن الساحة خالية من شباب متدين أمين، عف المشاعر، نظيف السلوك طيب المنبت، بل نجد فى مجتمعنا شبابا يتميزون باستقامة فكرية وغيرة دينية تمدهم بقوة الدافعة والثبات، وتحجزهم عن العواصف التى تطوف من حولهم، الأمر الذى يتطلب منا جميعا التعاون للأخذ بأيديهم حتى يكونوا قدوة حسنة ينتفع بهم الدين، ويقوى بهم الوطن.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.

فضل قراءة آية الكرسي

للشيخ محمد صابر البرديسي

قراءة آية الكرسي خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام ومن ذلك قراءتها عند النوم، وآية الكرسي قيل: إنها أعظم آية في القرآن الكريم وهو - قوله سبحانه -

﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾(١)..

ومن ذلك قراءة (قل هو الله أحد ....)، و(قل أعوذ برب الفلق ....)، و(قل أعوذ برب الناس ....) خلف كل صلاة مكتوبة.

وقراءة السور الثلاث - ثلاث مرات - في أول النهار بعد صلاة الفجر وفي أول الليل بعد صلاة المغرب.

وقراءة الآيتين من آخر سورة البقرة - في أول الليل - وهما قوله تعالى:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٢)

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٢) سورة البقرة ٢٨٥، ٢٨٦.

وقد صح عنْ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (من قرأ الآيتين الآخرتين من سورة البقرة كفتاه من كلِّ سوء)[3]

ومن ذلك الإكثار من التعوذ بـ(كلمات الله التامات من شر ما خلق) – في الليل والنهار وعند نزول أيِّ منْزل في البناء أو الصحراء أو الجو أو البحر – لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (من نزل منزلا فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شئ حتى يرتحل من منزله ذلك)[4]

ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار وفي أول الليل ثلاث مرات: (بسم الله الذي لا يَضُر مع اسْمه شئ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم).

(لصحة الترغيب في ذلك) عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-.

وأن ذلك سبب للسلامة من كل سوء، وهذه الأذكار والتعوذات من أعظم الأسباب في اتقاء شر السِّحْر والحسد وغيره من الشرور لمن حافظ عليها بصدق وإيمان وثقة بالله واعتماد عليه وانشراح صدر كما دلت عليه، وهي أيضا من أعظم السلاح لإزالة السِّحْر بعد وقوعه مع الإكثار من التضرع إلى الله وسؤاله أن يكشف الضرر ويُزيل البأس.

ومن الأدعية الثابتة في العلاج من كل شئ:

(اللهم رب الناس اذهب البأس إشف انت الشافي لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقَمًا)

ومن ذلك الرقى التي رَقى بها جبريلُ -عليه السلام- النبيَّ – صلى الله عليه وسلم- وهي قوله:

(بسم الله أرْقيك من كلِّ شئ يُؤذيك ومن شر كل نفْس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك)..

وليكون ذلك ثلاث مرات – تَضعُ يدَكَ على جسدك – وتقول: اية الكرسي و(قل يا أيها الكافرون ....) و(قل هو الله أحد ....) و(قل أعوذ بل الفلق ....) و(قل أعوذ برب الناس ....) واية السحر التي في سورة الأعراف وهي قوله تعالى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[5].

والآيات التي في سورة يونس وهي قوله – تعالى:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ (٨٠) فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ

---

(٣) رواه الدارمي في السنن

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ١٠/١٣٣.

(٥) سورة الأعراف الآيات ١١٧، ١١٩

السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (٨١) ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾(٦)

والآيات التي في سورة طه وهي قوله - تعالى:

﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى (٦٥) قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى (٦٦) فأوجس في نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى (٦٨) وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾(٧)

ويمكن قراءة هذه الآيات السالفة في الماء ويشرب منه ويغتسل بالباقي وبذلك يزول الداء إن شاء الله -تعالى- وإن دعت الحاجة إلى استعماله مرتين أو أكثر فلا بأس حتى يزول الداء.

وهذه الآيات تقرأ - أيضا - في إناء فيه ماء ويصب على رأس المسحور: ﴿ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين (٨١) ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾(٨)

والآية الأخرى وهي قوله - تعالى -:

﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين (١١٩) وألقي السحرة ساجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهارون ﴾(٩)

وقوله - تعالى:

﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾(١٠)

وقال ابن كثير: أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله في إذهاب ذلك وهما المعوذتان وفي الحديث لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما وكذلك آية الكرسي فهي مطردة للشيطان.

وقوله - تعالى:

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾(١١)

وقوله - تعالى:

﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو

(٦) سورة يونس ٧٩ : ٨٢.
(٧) سورة طه الآيات ٦٥ - ٦٩.
(٨) سورة يونس ٨١، ٨٢.
(٩) سورة الأعراف الآيات ١١٨ - ١٢٢.
(١٠) سورة طه ٦٩.
(١١) سورة يونس ٥٧.

عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾(١٢)

وقوله - تعالى: ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون ﴾(١٣)

وقوله تعالى: ﴿ قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل سحار عليم (٣٧) فجمع السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨) وقيل للناس هل أنتم مجتمعون (٣٩) لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين (٤٠) فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (٤٢) قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٤٣) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون (٤٥) فألقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين ﴾(١٤)

وآية الكرسي اشتملت على أمهات المسائل الإلهية، فإنها دالة على أن الله - تعالى - موجود - واحد في الألوهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته، موجد لغيره، إذ القيوم هو القائم بنفسه، المقيم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح، ولا يعتريه ما يعتري النفوس والأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع، ذو البطش الشديد، الذي لا يشفع عنده إلا من أذن له، عالم بالأشياء، كلها، جليها وخفيها، كليها، وجزئيها، واسع الملك والقدرة لكل ما يصح أن يملك ويقدر عليه، لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما يدركه الوهم، عظيم لا يحيط به الفهم.

لذا قال - عليه الصلاة السلام: «من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت»(١٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: (من قرأ حين يصبح آية الكرسي، وآيتين من أول «حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، إلى قوله تعالى: (إليه المصير) - سورة غافر: آية ١:٣ - (حفظه الله في يومه حتى يمسي، فإن قرأها حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح)

وقيل: «ما قرئت آية الكرسي في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة».

وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن. فقال لهم علي - رضي الله عنه - «أين أنتم من آية الكرسي؟ ثم قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: «يا علي - سيد البشر آدم، وسيد العرب محمد ولا فخر، وسيد الفرس سلمان، وسيد الروم صهيب، وسيد الحبشة بلال، وسيد الجبال الطور، وسيد الأيام يوم الجمعة، وسيد الكلام القرآن، وسيد القرآن البقرة، وسيد البقرة آية الكرسي»..

- أ.هـ (خطيب) -

وفق الله المسلمين للعمل بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -

والله الموفق

---

(١٢) سورة فصلت ٤٤.

(١٣) سورة الشعراء ٧٠.

(١٤) سورة الشعراء الآيات ٣٦ - ٤٧.

(١٥) اتحاف السادة المتقين ٥/٩٨.

قضايا قرآنية

قضية الأحرف السبعة

٣

لفضيلة الشيخ / صديق بكر عيطة

إسماع الناس القراءات

قلنا: إن قضية الأحرف السبعة، تتضمن قضيتين: الأولى: قضية جواز القراءات السبع من عدمه.

والثانية: قضية إسماع الناس هذه القراءات، والقضية الثانية متولدة عن الأولى.

وفي الحلقتين الماضيتين، ناقشنا رأى صاحب كتاب «الفرقان» حول القضية الأولى، بإلقاء الضوء على آراء الأعلام المتخصصين ومقارنتها بما أورده المؤلف في كتابه.

واليوم ننتقل إلى القضية الثانية، حيث يرى الأستاذ عدم جواز تلاوتها على الناس بحجة أنهم لا يعرفونها ولا يدرونها.

والحق، أنه مادامت هذه القراءات متواترة، وصحيحة ومعترفا بها لدى جمهور علماء المسلمين، فإن في قراءتها ونشرها فوائد تدعو للتمسك بها، هذه الفوائد تدور حول محاور ثلاثة:

المحور الأول: فوائد عامة، لا تتحصل إلا مع هذا التعدد:

الفائدة الأولى: أن في تعدد القراءات في الآية الواحدة ما يساعد على فهم الآية، وإلقاء الضوء عليها. مثلاً: «قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾(١).

فقد وردت فيها قراءتان متواترتان، فتبينوا، وقراءة أخرى «فتثبتوا» وهما متلاقيتان، فالأولى طالبت بالتبين المطلق،

---

(١) سورة الحجرات (٦).

والأخرى بينت طريق التبين، وهو التثبت، بتحرى الإثبات، فإن لم تكن طرق الإثبات ولا دليل على القول، فإنه يرد الكلام، ولا يتمسك بما قيل متظننا فيها من غير دليل، وكلتا القراءتين، مروية بسند متواتر، لا مجال للريب فيه، فكانت إحدى القراءتين مفسرة للأخرى»(٢).

الفائدة الثانية: أن سماع المسلمين في كل الأقطار الإسلامية والعربية لهذه القراءات المختلفة، والمعتمدة لدى القراء، مما يساعد على فهم أبعاد القضية، بدلاً من جهلها أو تجاهلها. وإلا، فهب أن مسلما انتقل من بلده إلى بلد إسلامي آخر، فسمع قراءة غير التي يقرأها، وهو يجهل حقيقة القضية، ماذا ستكون النتيجة؟ هنا سوف تقع -وبالتأكيد- فتنة في الأرض وفساد كبير، ولا شك أن العالم الآن يعيش ما يسمى بثورة الاتصالات، مما جعله شبيها بقرية صغيرة. فباستطاعة المسلم الآن أن يستمع وفي دقائق ما يذاع من قراءات متعددةعبر إذاعات متعددة -أيضا-، فإذا تعددت القراءات دون أن يستوعب المسلمون جميعاً أبعاد هذه القضية، ويعرفوا أن هذه صحيحة وتلك صحيحة.. فسوف يصبح القرآن في نظر المسلمين قرآنات متعددة، لا قرآنا واحدا تتعدد أوجه القراءة في بعض آياته، وتلك هي الطامة الكبرى، التي يراد للمسلمين أن يقعوا فيها، وتسعى كثير من المنظمات اليهودية والصليبية، لنصب شراكها حول أمتنا.

الفائدة الثالثة: ماذا على المسلمين لو عرف كل قطر منهم شيئا عن لهجات الأقطار الأخرى؟ إن ذلك سيفتح الباب لدراسة هذه اللهجات مما يثرى مجال الدراسات اللغوية، التي خرجت من تحت عباءة القرآن الكريم، وهو حاصل فعلاً الآن، في كلياتنا الجامعية، ففي دراستها نماء لعلوم القرآن.. هذا أولاً. وثانياً: يفتح الباب -أيضاً- لدراسةالوجه المشرق للإسلام وسماحته، التي لا تتوقف عند حد تيسير القراءة، بل ستمتد لتشمل سماحته في التشريع بشكل عام.

المحور الثاني: فوائد تتعلق بالجوانب اللغوية أو الأسلوبية أو التشريعية: يقول الإمام محمد أبوزهرة: «إن القراءات.. هي ترتيل القرآن الذي علمنا الله إياه على لسان نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، إذ علمه ربه ونسب الترتيل إلى ذاته العلية. فقال تعالى: ﴿ورتلناه ترتيلا﴾(٣). وأمر نبيه بهذا الترتيل هو ومن اتبعه فقال ـ تعالت كلماته ـ : ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾(٤). فكانت القراءات التي نزل بها القرآن هي تصريف ذلك الترتيل وتنويعه. وكما أن المعاني القرآنية، صرفها الله تعالى من الاستفهام إلى التقرير، ومن الاستنكار والتوبيخ إلى التهذيب والتأديب، وكما صرف الله آياته كما قال تعالى: ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون﴾(٥). فقد صرف تلاوته وترتيله، فكان الترتيل في التأليف الصوتي، والتناسق في المنطق، وتنوع ذلك التناسق من ارتفاع ومد طويل، إلى خفض ومدٍّ قصير، مما

(٢) المعجزة الكبرى.. القرآن للإمام محمد أبو زهرة ص٤٩.

(٣) سورة الفرقان (٣٢).

(٤) سورة المزمل (٤).

(٥) سورة الأنعام (١٠٥).

يشبه التأليف الموسيقى، وإن كان أعلى لأنه ليس من صنع البشر، ويجد القارئ فى ذلك التنويع ما يجعله يترنم بالقرآن فى إجلاله، وروعة بيانه ودقة معانيه».

«وأمر ثان يبدو فى تنويع القراءات مع ثبوت تواترها وأنها عن الله العلى القدير، نجد أن اختيار قراءة من القراءات فى المقام الذى تناسبه يكون توضيحا للمعنى، ومناسبا للمؤدى، فمثلاً قراءة الإمالة تكون فى الموضع اللين والخطاب الرفيق، ويتركها القارئ الفاهم فى مواضع التهديد والإنذار إلى قراءة أخرى تناسب التهديد والإنذار الشديد. فمثلاً فى سورة الحاقة، لا يعمد المرتل المدركُ إلى اللين فى الوقوف على التاء، لأنه لا يتناسب مع موضوع التهديد الذى اشتملت عليه السورة كلها، وقد نبهنا بعض القراء[6] الذى كان يختار اللين، فتنبه، وما عاود أمامنا ما كان يفعل».

«وأمر ثالث فى تعدد القراءات فوق ما فيها من مقتضى المعانى، وفوق ما فيها من ترتيل هو موسيقى القرآن، إن صح لنا هذا التعبير، مع أن القرآن فى مقام أعلى وأسمى، ذلك الأمر أن تنوع القراءات فيه تسهيل على القارئ العربى، فقد تصعب عليه قراءة إذ لا تطاوعها طبيعته أو سليقته اللغوية».

«وهناك أمر رابع فى تنوع القراءات، وهو أن يكون مجموع القراءتين - وكلتاهما قرآن - دالا على معنيين فى لفظ واحد متلاقيين غير متضادين، فمثلاً قراءة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[7] بضم الفاء، يدل على أنه من العرب، والعرب قومه، وذوو رحمه القريبة، أو البعيدة، وإذا اجتمعت معها القراءة بفتح الفاء، كانت الآية دالة بهذه القراءة على أنه من أوسط القوم وأعلاهم، فالقراءتان والكلمة واحدة، تدلان بالنص على معنيين غير متضادين، وكلاهما صحيح صادق، فالنبى - صلى الله عليه وسلم -، كان من العرب، وكان من أنفسهم، ترتبط مشاعره بمشاعرهم، يحس بما يحسون، وهو مندمج فيهم، وقريب منهم، ثم كان مع هذا القرب النفسى، من أعلى العرب منزلة، وأكرمهم، وكذلك يكون الأنبياء من أوساط الأقوام، الذين يتسامون عن سفساف الأمور، ويتجهون إلى معاليها».

«... وقد يكون اختلاف القراءات مؤديا إلى بيان حكم بقراءة، وحكم متمم له بقراءة أخرى، فتستفاد الأحكام فى أوجز تعبير على ما فيه فى تغيير القراءة من اختلاف فى نغم الترتيل، وموسيقى البيان القرآنى الذى يساميه».

«ولذلك نجد الفقهاء فى استدلالاتهم الفقهية يقولون: الحجة فيه قراءة كذا، وهى لا تكون مناقضة للقراءة الأخرى. وربما تكون القراءة دالة على حكم آخر غير مناقض للحكم الذى دلت عليه القراءة المستشهد بها، فتكون الآية بالقراءتين دالة على حكمين متلاقيين غير متناقضين، وذلك من الإيجاز المعجز، الذى لا يوجد فى كلام الناس، ولكنه موجود فى كلام خالق الناس»[8].

---

(٦) حبذا لو أن الإمام كتبها «أحد القراء» لتتجانس الضمائر ويستقيم الأسلوب.

(٧) سورة التوبة (١٢٨).

(٨) المعجزة الكبرى.. القرآن ص ٥٤: ٥٧.

المحور الثالث: فوائد تتعلق بإعجاز القرآن الكريم:

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى ـ رحمه الله ـ «والطبيعة قد توجد فى مفردات لغتها مترادفات، بحيث يكون الشيئان لمعنى واحد، ولكن لا توجد فيها الأضداد بحال من الأحوال، فلا يكون الشىء محتملاً بصورته الواحدة، لأن يكون إقرارا وإنكارا معاً، ومن ثم لا يستقيم للعرب أن يعارضوا القرآن، إذ كان مأتى العجز من فطرتهم اللغوية، ولا يتوهم ذلك وإن انتشرت لهم فى الخلاف كل قالة».

«ذلك فيما نرى [ومايزال الكلام للرافعى] هو السبب الأول الذى من أجله اختلفت بعض ألفاظ القرآن فى قراءتها اختلافا صح جميعه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحت قراءته، وهو كان أعلم العرب بوجوه لغتها .. إذ لا وجه عندنا للاختلاف الصحيح إلا هذا، فإن القرآن لو نزل على لفظ واحد ما كان شيئا وهو ما هو إحكاما وإبداعا، فهذه واحدة».

«وحكمة أخرى، وهى تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لم يكن حفظ الشرائع مما عرفوه، فضلاً عن أن يكون مما ألفوه»

«وثالثة تلحق بمعانى الإعجاز، وهى أن تكون الألفاظ فى اختلاف بعض صورها مما يتهيأ معه استنباط حكم، أو تحقيق معنى من معانى الشريعة، ولذا كانت القراءات من حجة الفقهاء فى الاستنباط والاجتهاد، وهذا المعنى مما انفرد به القرآن الكريم، ثم هو مما لا يستطيعه لغوى أو بيانى فى تصوير خيال فضلا عن تقرير شريعة»(٩)

مع العامة فى قراءتهم القرآن

فى صفحة ١٣٢ من كتابه «الفرقان» أورد المؤلف، حديث أبىّ بن كعب ـ رضى الله عنه ـ : قال: «لقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جبريل، فقال: يا جبريل. إنى بعثت إلى أمة أميين، منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط. قال: يا محمد. إن القرآن أنزل على سبعة أحرف».

ثم يقول فى تعليقه على هذا الحديث ص١٣٣: «بل وأكثر من هذا فقد جاء فى الحديث الأخير، الذى رواه الترمذى، ما يفيد جواز قراءة الأمى ـ الذى لم يقرأ كتابا قط ـ للقرآن قدر طاقته وحسب استطاعته».

«ويكون المقرو، قرآنا، له حرمته ومكانته، ويصح العمل به والتعبد بتلاوته».

«وبهذا يبطل ما يدّعيه القراء من وجوب القراءة بطرق معينة، ومدود مقدرة، وقلقلة، وإدغام، وإشمام. إلى غير ذلك مما هو مُدوّن فى كتبهم أراحنا الله منهم».

«وقد بلغ من تضييق القراء، وتعسّفهم [ولا يزال الكلام لصاحب كتاب «الفرقان»] أن جعلوا القرآن الكريم، السهل، السمح، الميسر للتدبر والتفكر، صعباً، شديدا، مغلقا، مبهما».

«لقد شددوا تشديدا كبيرا، وضيقوا تضييقا بالغا، بدرجة جعلت قراءة القرآن وقفا عليهم هم، فى حين أنه قد نزل لسائر الناس، وطلب العمل بما فيه من سائر الناس» اهـ.

إن المؤلف ـ رحمه الله ـ أقام معركة من صنع خياله البحث، لينصب من نفسه مدافعا عن وجهة

(٩) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٤٧، ٤٨.

نظر معينة، وإلا فمن ذا الذى حرّم قراءة الأمّي ـ الذى لم يقرأ ولم يكتب ـ القرآن؟!

ومن ذا الذى يدّعى وجوب القراءة بطرق معينة، وإلا لما كان المقروء قرآنا؟! وهل هناك ما يفيد ـ ولو من بعيد ـ أن قراءة القرآن، أصبحت وقفا على القراء؟

إن المؤلف ـ رحمه الله وسامحه ـ وأضرابه ينسون أو يتناسون عدة حقائق يشهد لها الواقع فى حياة الناس عامتهم وخاصتهم:

أولاً: أن قراءة القرآن بالطريقة المثلى، التى تراعى فيها أحكام التلاوة لا تستوجب العلم المسبق بقواعد القراءة والكتابة، وهو أحد أوجه الإعجاز، فى حفظ هذا الكتاب الربانى الأسنى، ولنا على ذلك شواهد:

١- ما نشاهده فى الريف المصرى من قراءة العامة للقرآن، وكأنه السلاسل الذهبية بعينها، فإذا ما ذهبت تسأل أحدهم عما فى هذه الآية أو تلك من أحكام، لم تظفر بجواب غالبا، لكنها الفطرة النقية السوية، التى أزاح عنها القرآن الكريم، ما ران عليها من حجب كثيفة.

٢- ما نشاهده فى الكتاتيب فى حفظ الأطفال من جودة التلاوة، دون أن يعرف الطفل ما تحمله الآية من أحكام تفصيلاً. كل ما يلزم فى هذه الحالة، هو أن يكون المحفظ عارفا بكيفية التلاوة الجيدة، لتعتاد أذن الطفل على سماع الآيات فى حالة جيدة، لتتربى لديه ملكة القراءة الجيدة تلقائيا فلا تكون إلا القراءة الجيدة.

٣- ما نشاهده فى حفظ الأعمى -الذى لا يتأتى منه قراءة أو كتابة - وجودة تلاوته.

وإنى لأذكر - والله - كم كان أستاذنا وشيخنا ـ رحمه الله رحمة واسعة وأجزل له المثوبة ـ يطرب أحسن الطرب، ويغتبط أشد الاغتباط عندما يسمع منا المدّ والغنّ والإقلاب، والإخفاء، والإظهار.. إلى آخر هذه الظواهر القرآنية، ونحن -بعد- مانزال أطفالا فى سنّ مبكرة جدا، لا نعرف حكما واحدا نجيب عليه فيما لو سئلنا عنه.

وهذا كله يؤكد أن جودة التلاوة، حينما يؤكد عليها علماء القرآن، لا يقصدون قسر المتلقى عليها، لأنها أولاً وقبل كل شيء، مركوزة فى الطبع البشرىّ السوىّ، وليست فى حاجة لأكثر من إماطة اللثام عنها، بمزيد من عناية الشيخ، الذى يتلقى عنه التلميذ، مما يسقط دعوى المؤلف من أساسها، فلا إكراه، ولا تشدد، وليس هناك من يقول: إن قراءة القرآن مقصورة على فئة معينة من الناس.

ثانيا: إن تعلم أحكام التجويد شيء، وجودة التلاوة شيء آخر، نعم. قد يجتمعان، ولكن كثيرا ما ينفرد الثانى بالمجال دون الأول، فهما يجتمعان فى خاصة القراء، الذين تناط بهم مهمة التحفيظ غالبا، وتعليمه للناس، أما عامة القراء، فلم يقل أحد بوجوب تعلمهم لأحكام التجويد، وجوبا عينيا، كما يتعلمون الصلاة والصيام مثلاً، ولذا نستطيع أن نقول: إن تعلم أحكام التجويد فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط الطلب عن الباقين. أما العمل به فهو فرض عين على كل قارئ، وهذا هو الشاهد. وعليه كان رأى علماء الإسلام، ولم

نسمع أو نقرأ عن واحد منهم فقط يزعم وجوب تعلم كل قراء القرآن لأحكام التجويد، ويدخل فى هذا الإطار، ما نقرأه من بعض الأحكام، التى تكتب عادة فى آخر المصحف.

وقد شنَّ المؤلف ـ سامحه الله ـ عليها غارة شعواء، دون أدنى مبرر، إلا فى خياله الخاص، ورأيه الذى لا يقوم حتى على ساق واحدة، حيث يقول فى صفحة ١٣٤: «وقد بلغ من تضييقهم أن جعلوا بآخر المصحف تعريفاً لإرشاد القراء، إلى الأحرف المزيدة، والأحرف التى تزاد وصلاً لا وقفاً، والإدغام، والإشمام، والإخفاء، والمدّ والإمالة إلى ما لا نهاية له من العنت والضيق والتحكم» أهـ

يا سبحان الله!! أحد الوجوه المشرقة، فى هذا الدين وقرآنه الكريم المبارك، التى يحسدنا عليها الشرق والغرب على السواء، تنقلب فى نظر هذا الرجل باباً من أبواب الزراية والسخرية، حتى توصم بالعنت والضيق والتحكم!!

ثالثاً: إن حملة الرجل على تمسك القراء بمخارج الحروف، وزعمه أن هذا التمسك ليس من الدين فى شىء، ليس لها إلا مبرر واحد، هو جهله بواقع الأمر، وما يحيط به من معايير نوجزها فيما يلى:

١- إن تعويد الطفل على النطق السديد منذ صغره ـ وهو ما يعده المؤلف تنطعاً ـ فيه ميلاد جديد له، يستقيم فيه لسانه، وتستقيم لديه أعضاء النطق الداخلية. فكثيرا ما نسمع الطفل قبل أن يعتاد قراءة القرآن، قراءة سوية، وقد خلط فى النطق بين السين والثاء، أو بين اللام والراء، أو بين السين والشين.. إلخ. فضلاً عن الفأفاة والتأتأة والتهتهة، وغير ذلك من عيوب النطق، التى لا يصلحها إلا ما أسماه المؤلف ـ سامحه الله وعفا عنه ـ تشددا فى تحفيظ القرآن، وتنطعا من القراء. ولقد فهم كثير من النصارى ـ وتلك حقيقة رأيتها بنفسى ـ هذه المسألة، فدفع بعضهم أبناءهم لحفظ القرآن الكريم.

٢- أما ما ساقه المؤلف من مثال على التشدد والتنطع فى قراءة «ولا الضَّالِّين» حيث قال فى صفحة ١٣٧: «وإذا شئت أيها المتأمل المنصف دليلاً على ما أقول، فما عليك إلا أن تراقب بعض الناس فى صلاتهم عندما يصلون من الفاتحة إلى قوله -تعالى-: «ولا الضالين» فإنك تجد أكثرهم، وقد رددها هكذا «ولا الضّ.. ولا الضّ.. ولا الضّ..» وهكذا يظل يردد إلى أن يفتح الله عليه بإخراج باقى الكلمة، لا من لسانه فقط، ولا من فمه وحلقه فحسب، بل من قعر بطنه. ويصير مثله فى ذلك كمن يريد أن يتقيأ، لا أن يقرأ القرآن، ويتقرب للرحمن» أ هـ

أقول: أما ما ساقه المؤلف فى هذا المثال دليلا على التنطع والتشدد، الذى زعمه، فإنى ـ والله ـ لا أدرى كيف ساغ له -أمام عقله على الأقل- أن يستشهد به، ونحن وهو أيضاً نعلم جميعاً أنها حالة مَرَضيّة، يطلب لها العلاج، فضلاً عن أنها لا تُرى إلا فى حالات نادرة جداً، لا تتعدى الآحاد، التى لا تشكل حالة مستقرة، بل قد يقضى المرء عمره دون أن يرى من هذه الحالات سوى حالة أو حالتين، أو لا يرى أصلاً.

الشروط الواجب توافرها في المتجادلين
(ما لابد للمتجادلين من معرفته)

٥

للأستاذ الدكتور محمد إبراهيم الفيومي

قال أحمد المعروف بابن القاص: (الأصول سبعة: الحس والعقل ومعرفة الكتاب والسنة والإجماع واللغة والعبرة فلابد للمناظرين من معرفة جمل ذلك فالحواس خمس: السمع والبصر والشم والذوق واللمس، والعقل على ضربين فغريزى ومستجلب، والكتاب والسنة على ضربين فمجمل ومفسر، وطريق السنة على ضربين فمتواتر وآحاد، والإجماع على ضربين فإجماع الأمة وإجماع الحجة. واللغة على ضربين فمجاز وحقيقى.

والعبرة على ضربين فأحدهما فى معنى الأصل لا يعذر عالم بجهله والثانى ذات وجوه وشعب، فمن أنكر الحس أنكر نفسه، ومن أنكر العقل أنكر صانعه، ومن أنكر عموم القرآن أنكر حكمه، ومن أنكر خبر الآحاد أنكر الشريعة، ومن أنكر إجماع الأمة أنكر نبيه، ومن أنكر اللغة سقطت محاورته، لأن اللغات للمسميات سمات، ومن أنكر العبرة أنكر أباه وأمه)[١]

وقد شرح هذه الجمل الخطيب البغدادى بقوله: (قلت: أما الحس فيدرك به العلم الواقع عن الحواس، وهو علم ضرورى غير مكتسب: لأن دخول الشك غير جائز، وأما العقل فهو ضرب من العلوم الضرورية محله القلب، وقيل: إنه نور وبصيرة منزلته من القلب البصر من العيون، وقيل: هو قوة يفصل بها بين حقائق المعلومات، وقيل: هو العلم الذى يمتنع به من فعل القبيح، وقيل: هو ما من معه التكليف، والمعنى فى هذه العبارات كلها متقارب.. وقيل: العقل سراج ما بطن

(١) الفقيه والمتفقة للخطيب البغدادى ص ١٢٨ زكريا يوسف.

وملاك ما علن، وانس الجسد وزينة كل أمر ولا تصلح الحياة إلا به، ولا تدور الامور إلا عليه، قال عبدالله بن المعتز: العقل كشجرة أصلها غريزة وفرعها تجربة وثمرتها حمد العاقبة، والاختبار يدل على العقل كما يدل توريق الشجرة على حسنها، وما أبين وجوه الخير والشر في مراة العقل إن لم يصدها الهوى.

أما الكتاب والسنة فهما الأصلان اللذان يقوم الاحتجاج بهما في احكام الشرع على ماسواهما ويتلوهما الإجماع وليس يعرفه إلا من عرف الاختلاف.

عن قتادة قال: من لم يعرف الاختلاف لم يشم أنفه الفقه، قال قبيصة: لا يفلح من لا يعرف اختلاف الناس.

وقال الأوزاعي: تعلم مالا يؤخذ به كما نتعلم ما يؤخذ به، وأما اللغة فبابها واسع ونزل القران بلغة العرب، لأنها أوسع اللغات وأفصحها، وفي كتاب الله -تعالى- ايات مخرجها أمر، ومعانيها وجوه متغايرة، فمنها تهديد، ومنها إعجاز، ومنها إيجاب، ومنها إرشاد، ومنها إطلاق ولا تدرك معرفة ذلك إلا من جهة اللغة.. (قيل): اقام الشافعي علم العربية وايام الناس عشرين سنة، فقلنا له في هذا، فقال: ما اردت بها إلا الاستعانة للفقه.. وأما العبرة التي في معنى الأصل فهي نحو قوله - تعالى-:

﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ [٢] فكان ما هو اضر منه حراما اعتبارا به وهذا ونحوه لم يتنازع الناس فيه ولا يعذر احد بجهله.

والضرب الثاني من العبرة هو المعاني المتسعة التي تدرك بدقيق النظر وقياس بعضها على بعض وحكم الغائبات يعلم بالاستدلال بالمشاهدات، قال - تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٣]

فأقام الله - سبحانه - حجته على المنكرين ربوبيته الدافعين قدرته على إحياء الأموات وبعث الأنام بما تلونا يعتبرون أن القادر على إنشاء المعدوم ونقله من حال إلى حال وإعدامه بعد الوجود، ومحيي الأرض الهامدة، قادر على إحياء النفوس.

فيجيب على من كملت فيه المعرفة بهذه الأصول التي تقدم ذكرها وأراد المناظرة.. أن يكون نظره في دليل لا في شبه ويستوفي شروط الدليل ويرتبه على حقه فإن حجته تفلح بعون الله -تعالى- وتوفيقه[٤].

---

(٢) الأسراء ٢٣.

(٣) الحج ٥.

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ص ٢٢٨-٢٣١.

الهدف من الجدل

إن الهدف من الجدل هو بيان الحق ونصرته (وهو ما تقدم فى آداب الجدل).

قال الخطيب البغدادى: وليكن قصده فى نظره إيضاح الحق وتثبيته دون المغالبة للخصم[٥]

قال الشافعى: ما كلمت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان وتكون عليه رعاية من الله وحفظ وما كلمت أحدا قط إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لسانى أو لسانه[٦].

ويقول أيضا ما ناظرت أحدا إلا على النصيحة..[٧]

ويقول: والله ما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطىء.[٨]

وقال أبو يوسف: يا قوم أريدوا بعلمكم الله -عز وجل- فإنى لم أجلس مجلسا قط أنوى فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس قط أنوى فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى افتضح[٩].

ويقول الغزالى فى هذا الصدد:

«أن يكون كل طرف من طرفى المناظرة فى طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه، فهو يرى فى رفيقه معينا ومساعداً فى الوصول للحق لا خصما، فلذلك يشكره إذا نبهه لموقع الخطأ وأظهر له الحق كما لو سلك طريقا خطأ فى طلب ضالته فنبهه صاحبه إلى أن ضالته سلكت الطريق الآخر، فإنه يسر به ويشكره[١٠]

ضوابط الجدل وقانون المتكلمين

إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية أو السمع والعقل أو النقل والعقل أو الظواهر النقلية والقواطع العقلية أو نحو ذلك من العبارات، فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعا، وإما أن يقدم السمع وهو محال: لأن العقل أصل النقل، فلو قدمنا عليه كان ذلك قدحا فى العقل الذى هو أصل النقل، والقدح فى أصل الشىء قدح فيه، فكان تقديم العقل قدحا فى النقل والعقل جميعا فوجب تقديم العقل ثم النقل إما أن يتأول وإما أن يفوض.

وأما إذا تعارضا تعارض الضدين امتنع الجمع بينهما ولم يمتنع ارتفاعهما[١١].

.... «يتبع» ....

---

(٥) الفقيه والمتفقة ص ٢٢٣.

(٦) المصدر السابق

(٧) المصدر السابق

(٨) المصدر السابق

(٩) المصدر السابق

(١٠) الغزالى، قانون التأويل، ط الأزهر.

(١١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٦/٤ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

العشرة المبشرون بالجنة

أبو بكر الصديق

رضي الله عنه

٦

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

قال الزهري: وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استعز[١] برسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال: «مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس»، قالت: قلت: يانبيّ الله، إن أبا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء إذا قرأ القرآن. قال: «مروه فليصل بالناس». قالت: فعدت بمثل قولي، فقال: «إنكنّ صواحب يوسف، فمروه فليصلّ بالناس». فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يُصرف ذلك عن أبي بكر، وعرفت أن الناس لا يُحبُّون رجلا قام مقامه أبدا، وأن الناس سيتشاءمون به في كلّ حدث كان، فكنت أحبّ أن يُصرف ذلك عن أبي بكر.

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطّلب بن أسد، قال: لما استُعِزّ برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا عنده في نفر من المسلمين، قال: دعاه بلال إلى الصلاة، فقال: مروا منْ يصلي بالناس، قال: فخرجت، فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبا، فقلت: قم ياعمر فصلّ بالناس قال: فقام، فلما كبر، سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صوته، وكان عمر رجلا مجْهِرا[٢]، قال: فقال رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. يأبى الله ذلك والمسلمون. قال: فبُعث إلى أبي بكر، فجاء

(١) اشتد به المرض.

(٢) عالي الصوت.

بعد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس: قال: قال عبدالله بن زمعة: قال لي عمر: ويحك، ماذا صنعت بي يابن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمرك بذلك، ولولا ذلك ماصليت بالناس، قال: قلتُ والله ما أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس[٣].

وبعد هذا العرض الموجز لسيرة خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبي بكر الصديق رضي الله عنه - نورد طائفة من الأحاديث مما ذكره الحافظ جلال الدين السيوطي[٤]:

أخرج الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لاينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره».

وأخرج عبدالرحمن بن حميد في «مسنده» وأبو نعيم وغيرهما من طرق، عن أبي الدرداء، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ماطلعت الشمس ولاغربت على أحد، أفضل من أبي بكر، إلا أن يكون نبي».

وأخرج ابن حبان قال: حدثنا أبو يعلى، حدثني يحيى الجماني، حدثنا حشرج عن سعيد ابن جمهان عن سفينة: لما بنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسجد وضع في البناء حجرا، وقال لأبي بكر: «ضع حجرك إلى جنب حجري»، ثم قال لعمر: «ضع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر»، ثم قال لعثمان: «ضع حجرك إلى جنب حجر عمر»، ثم قال: «هؤلاء الخلفاء بعدي» قال أبو زرعة: إسناده لابأس به، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وصححه البيهقي في «الدلائل».

وأخرج أبو القاسم البغوي - بسند حسن - عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يكون خلفي إثنا عشر خليفة: أبو بكر لايلبث إلا قليلا».

وأخرج ابن سعد، عن الحسن قال: قال علي: «لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قدم أبا بكر في الصلاة: فرضينا لدنيانا عمن رضي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه لديننا: فقدمنا أبا بكر».

وفي «الأوسط»، عن سعد بن زرارة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن روح القدس جبريل أخبرني أن خير أمتك بعدك أبو بكر».

وأخرج الترمذي وحسنه، والحاكم، وصححه، عن حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «اقتدوا باللذَين من بعدي: أبي بكر وعمر».

وأخرج ابن سعد بن بسطام بن مسلم، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر وعمر: «لايتامر عليكما أحد بعدي».

وأخرج الترمذي، والحاكم، عن ابن عمر، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر، وعمر أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما، وقال: «هكذا نبعث يوم القيامة».

---

(٣) ابن هشام (٢/٦٠٢).

(٤) تاريخ الخلفاء، (٤٤:٩٨).

وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر

وأخرج الترمذي، والحاكم، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أنا أول من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر».

وأخرج الترمذي، والحاكم، وصححه، عن عبدالله بن حنطب، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السمع والبصر».

وأخرج البزار، والحاكم، عن أبي أروى الدوسي، قال: كنت عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالسا فأقبل أبو بكر وعمر، فقال: «الحمد لله الذي أيدني بكما».

وأخرج أبو يعلى، عن عمار بن ياسر، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أتاني جبريل آنفاً فقلت: ياجبريل، حدثني بفضائل عمر ابن الخطاب، فقال: لو حدثتك بفضائل عمر منذ مالبث نوح في قومه مانفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر».

إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر

وكان ـ رضي الله عنه ـ أسد الصحابة رأيا، وأكملهم عقلا، أخرج تمام الرازي في «فوائده» وابن عساكر، عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «أتاني جبريل، فقال: إن الله يأمرك أن تستشير أبا بكر».

وأخرج الحاكم، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٥) قال: نزلت في أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما.

وأخرج أحمد، عن عبدالرحمن بن غنم، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لأبي بكر وعمر: «لو اجتمعتما في مشورة ماخالفتكما».

وأخرج الطبراني، وأبو نُعَيْم وغيرهما، عن معاذ بن جبل: أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما أراد أن يسرح معاذا إلى اليمن، استشار ناسا من أصحابه منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وأسيد بن الحضير، فتكلم القوم كل إنسان برأيه، فقال: «ماترى يامعاذ؟» قلت: أرى ماقال أبو بكر، فقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «إن الله يكره من فوق سمائه أن يخطئ أبو بكر».

أقرؤهم لكتاب الله

قال ابن كثير: كان الصديق ـ رضي الله عنه ـ أقرأ الصحاب، لأنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قدمه إماما للصلاة بالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ مع قوله: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله».

قال النووي في تهذيبه: «الصديق أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله».

أعلمهم بالسنة

وكان – رضي الله عنه ـ أعلم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بالسنة، كلما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يحفظها هو ويستحضرها عند الحاجة إليها، ليست عندهم، وكيف لايكون كذلك، وقد واظب على صحبة الرسول ـ عليه الصلاة

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

والسلام - من أول البعثة إلى الوفاة؟ وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم، وإنما لم يروَ عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل لقصر مدته، وسرعة وفاته بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - وإلا فلو طالت مدته لكان ذلك عنده جدا ولم يترك الناقلون عنه حديثا إلا نقلوه.

وأخرج البخاري، عن عائشة - رضي الله عنها: أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين.

خير هذه الأمة

أخرج الشيخان، عن عمرو بن العاص قال: قلت يارسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: من الرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب.

وأخرج الترمذي، والنسائي، والحاكم، عن عبدالله بن شقيق، قال: قلت لعائشة: أي أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان أحب الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ قالت: أبو بكر، قلت: ثم من؟ قالت: ثم عمر، قلت: ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح.

وأخرج الترمذي وغيره، عن أنس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأبي بكر وعمر: «هذان سيدا كهول أهل الجنة، من الأولين، والآخرين، إلا النبيين والمرسلين».

وروى البخاري، عن ابن عمر، قال: كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنخير أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان.

وأخرج الترمذي، عن جابر بن عبدالله، قال: قال عمر لأبي بكر: ياخير الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال أبو بكر: «أما إنك إن قلت ذاك فلقد سمعته يقول: ماطلعت الشمس على رجل خير من عمر».

وأخرج أحمد وغيره، عن علي، قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر».

وأخرج الترمذي، والحاكم، عن عمر بن الخطاب قال: «أبو بكر سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم.

وأخرج الترمذي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «مامن نبي إلا وله وزيران من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهل السماء: فجبريل، وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض: فأبو بكر وعمر».

وأخرج الترمذي، عن أنس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار، وهم جلوس، فيهم أبو بكر، وعمر، فلا يرفع إليه أحد منهم بصره، إلا أبو بكر وعمر: فإنهما كان ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾(٦) قال: على أبي بكر الصديق: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم تزل السكينة عليه.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن مسعود: أن أبا بكر اشترى بلالا من أمية بن خلف، وأبي بن خلف، ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله تعالى:

---

(٦) سورة التوبة الآية (٤٠).

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ [٧] إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ [٨] سعى أبى بكر، وأمية، وأبي.

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، عن عروة، أنا أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أعتق سبعة، كلهم يعذب في الله، وفيه نزلت ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى ﴾[٩].

خشيت على أمة محمد الفرقة

يقول ابن هشام: إن رافع بن أبي رافع الطائي، وهو رافع بن عميرة كان يحدث فيما بلغني قال:«............ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة، التى بعث فيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل[١٠]. قال: فقلت: والله لاختارنّ لنفسي صاحبا؛ قال: فصحبت أبا بكر، قال: فكنت معه في رَحْله، قال: وكانت عليه عباءة له فَدَكية، فكان إذا نزلنا بَسطها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شكَّها عليه بخلال له، قال: وذلك الذي له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا: نحن نبايع ذا العباءة! قال: فلما دنونا من المدينة قافلين، قال: قلت: ياأبا بكر، إنما صحبتك؛ لينفعني الله بك، فانصحني وعلمني، قال: لو لم تسألني ذلك لفعلت، قال: آمرك أن توحدُ الله، ولاتُشرك به شيئا، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ هذا البيت، وتغتسل من الجنابة، ولاتتأمّر على رجل من المسلمين أبدا. قال: قلت: ياأبا بكر، أما أنا والله فإني أرجو الا أشرك بالله أحدا أبدا؛ وأما الصلاة: فلن أتركها أبدا إن شاء الله؛ وأما الزكاة: فإن يك لى مال أؤدّها إن شاء الله؛ وأما رمضان: فلن أتركه أبداً إن شاء الله؛ وأما الحج: فإن أستطع أحج إن شاء الله -تعالى-؛ وأما الجنابة: فسأغتسل منها إن شاء الله؛ وأما الإمارة: فإني رأيت الناس ياأبا بكر لايَشْرُفون عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعند الناس إلا بها، فلمَ تنهاني عنها؟ قال: إنك إنما استَجْهدتني لأجْهَدَ لك، وسأخبرك عن ذلك: إن الله ـ عزّ وجلّ .. بعث محمدا – صلى الله عليه وسلم – بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذَ الله وجيرانه، وفى ذمّته، فإياك لاتُخْفِر الله[١١]. فى جيرانه، فيتبعك الله خُفرته، فإن أحدكم يُخْفَر في جاره؛ فيظلّ ناتئا عضله[١٢]. غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير، فالله أشدّ غضبا لجاره. قال: ففارقته على ذلك.

قال: فلما قُبِضَ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأمّر أبو بكر على الناس، قال: قدمت عليه، فقلت له: ياأبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن أتأمّر على رجلين من المسلمين؟ قال: بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك قال: فقلت له: فما حملك على أن تلى أمر النّاس؟ قال: لا أجد من ذلك بُدّا، خشيت على أمّة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الفرقة[١٣]..

(٧) سورة الليل الآية (١).
(٨) سورة الليل الآية (٤).
(٩) سورة الليل الآية (١٧).
(١٠) نسبة إلى ماء بأرض (جذام) يقال له السلسل.
(١١) لا تنقض عهده.
(١٢) المرتفع المنتفخ والعضل جمع عضلة وهى القطعة الشديدة من اللحم
(١٣) ابن هشام ٦٢٤/٢، ٦٢٥.

الحرية الاقتصادية في الإسلام وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادي

للمستشار الدكتور/ محمد شوقي الفنجري (*)

١ - إن موضوع الحرية الاقتصادية وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى، وهو من أكثر القضايا جدلا وأكثرها تأثيرا، وبخاصة فى عصرنا الحديث الذى رفع شعار التنمية الاقتصادية.

فتختلف الآراء والمواقف فيما إذا كانت هذه التنمية هى مسئولية الفرد والقطاع الخاص، أم هى مسئولية الدولة والقطاع العام. ومايستتبع ذلك من آثار خطيرة، تتمثل فى التوسع أو التضييق فى نطاق كل من الملكية الخاصة والملكية العامة.

وتبدو أهمية هذا الموضوع فى أنه يتعلق بأسلوب معالجة المشكلات الاقتصادية، وهل هو الأسلوب الفردى أو الرأسمالى ممثلا فى الحرية الاقتصادية وتشجيع القطاع الخاص، أم هو الأسلوب الجماعى أو الاشتراكى ممثلا فى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى وسيطرة القطاع العام.

ولاشك أن لكل من الأسلوبين : الأسلوب الفردى متمثلا في الاقتصاد الرأسمالي، والأسلوب الجماعى متمثلا فى الاقتصاد الاشتراكى، مزاياه وعيوبه ولايرجح أحدهما على الآخر سوى ظروف كل مجتمع، أو بعبارة أدق - فى نظرنا - لايرجح أسلوب على آخر سوى اختيارات الفئة الحاكمة.

ونرى أن هناك أسلوبا ربانيا متميزا لايتأثر بالأهواء، أو اختيارات الحكام، ألا وهو الأسلوب الإسلامى فى معالجة المشكلة الاقتصادية، متمثلا في الاقتصاد الإسلامى، الذى يقوم على معايير موضوعية فى تحديد مجالات تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى ومدى هذا التدخل، متجنبا منذ أربعة عشر قرنا عيوب ومساوئ الأسلوبين الوضعيين : الفردى والجماعى، ومحققا مزايا كل منهما.

(*) الكاتب : عضو مجمع البحوث الإسلامية.

اختلاف المذاهب والنظم الاقتصادية حــول حــدود التدخــل

فى الاقتصاد الرأسمالى : الأصل هو حرية الأفراد فى ممارسة نشاطهم الاقتصادى، والاستثناء هو تدخل الدولة وقيامها ببعض أوجه النشاط الاقتصادى إذا استلزمته الضرورة، ويترتب على ذلك أن الأصل هو الملكية الخاصة إذ هى فى نظره مقدسة باعتبارها الباعث على النشاط الاقتصادى وجوهر الحياة، والاستثناء هو الملكية العامة إذا اقتضت الضرورة أن تباشر الدولة نشاطا معينا.

وإن تقدير هذه الضرورة من حيث التضييق أو التوسيع من تدخل الدولة وقيامها ببعض أوجه النشاط الاقتصادى، أو لجوئها إلى تأميم بعض المرافق، مرده ظروف الزمان والمكان، ولكن يظل الاقتصاد رأسماليا، طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة، ومثال ذلك مختلف دول الغرب.

فى الاقتصاد الاشتراكى : الأصل هو تدخل الدولة وانفرادها بمباشرة النشاط الاقتصادى، والاستثناء هو ترك الأفراد فى ممارسة بعض أوجه هذا النشاط. ويترتب على ذلك أن الأصل هو الملكية العامة، والاستثناء، هو الملكية الخاصة لبعض وسائل الإنتاج، يعترف بها النظام بحكم الضرورة، إذ الملكية الخاصة فى نظره غير مصونة بدعوى إنها سبب كل المشكلات الاجتماعية، وهذا الاستثناء قد يضيق أو يتسع، باختلاف ظروف كل مجتمع، ولكن يظل الاقتصاد اشتراكيا طالما لم يعد الاستثناء هو القاعدة، ومثال ذلك الصين وكوبا وغيرها.

وفى الاقتصاد الاسلامى : الحرية الاقتصادية للأفراد، وتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى، كلاهما أصل يتوازيان، إذ لكل منهما مجاله بحيث يكمل كلاهما الآخر، وكلاهما مقيد وليس مطلقا[1] ويترتب على ذلك أن الاقتصاد الإسلامى يقر الملكية المزدوجة : الخاصة والعامة، وكلاهما كأصل يكمل الآخر، وكلاهما ليس مطلقا، بل هو مقيد بعدة قيود، باعتبارهما أمانة واستخلافاً ومسئولية، مما أحال كلا من الملكية الخاصة والعامة إلى مجرد وظيفة اجتماعية، أو شرعية يسأل عنها الفرد أو الدولة[2].

ومن هنا كانت التنمية الاقتصادية فى الإسلام، هى مسئولية الفرد والدولة معا، بحيث لايغنى أحدهما عن الآخر. بل إن الإسلام فى اعترافه بالملكية سواء، كانت خاصة أم عامة، وفى نظرته إليها وتنظيمه لها، إنما أقامها باعتبارها وسيلة إنمائية، لتعمير الكون بقوله تعالى:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[3]

---

(١) أنظر تفصيل ذلك كتابنا الخامس من «سلسلة الاقتصاد الإسلامى» والمعنون (المذهب الاقتصادى فى الإسلام) ص (٢٠٩) وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص (١٢٧) وما بعدها.

(٣) سورة هود، الآية رقم (٦١).

اي : كلفكم بعمارتها. بحيث تنتفي أو تسقط شرعية الملكية، سواء كانت خاصة أو عامة، إذا لم يحسن الفرد أو الدولة استخدام هذا المال استثمارا أو إنفاقا في مصلحته، ومصلحة الجماعة. وقد عبر عن ذلك أصدق تعبير سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ حين قال للصحابي الجليل بلال ـ رضي الله عنه ـ وقد اقطعه الرسول ـ عليه السلام ـ أرض العُقيق (إن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يقطعك لتحجز عن الناس، وانما اقطعك لتعمل، فخذ ما قدرت على عمارته ورد الباقي)[٤].

حدود الحرية وتدخل الدولة في النشاط الاقتصادى فى الاسلام

فى مجال النشاط الاقتصادى، الدولة فى الإسلام، ليست عنصرا بديلا ولا منافسا للافراد، وإنما هى مجرد عنصر مكمل. فإذا كان (فرض كفاية) على الأفراد القيام بكافة أوجه النشاط الاقتصادى الذى يتطلبه المجتمع، فإنه عند عجز الأفراد عن القيام ببعض أوجه هذا النشاط كاستصلاح الصحارى، ومد خطوط السكك الحديدية، وإقامة المصانع الثقيلة، كالحديد والصلب، أو إذا اعرض الافراد عن القيام ببعض اوجه النشاط، التى قد لاتحقق لهم ربحا كإنتاج الأسلحة الحربية، أو إذا قصروا فى القيام ببعض أوجه هذا النشاط كعدم كفاية المدارس والمستشفيات الخاصة أو انحرفوا فى استغلالها، فإنه فى مثل هذه الأحوال يصير شرعا : فرض عين، على الدولة أن تتدخل، وأن تقوم بأوجه هذا النشاط.

وواضح أن هذا التدخل ليس مصادرة، أو معارضة، أو منافسة لحرية الأفراد، أو حقهم فى القيام بمختلف أوجه النشاط الاقتصادى، وإنما هو للتكامل والتعاون، من أجل تحقيق الصالح العام بحيث يجب أن يوزن ذلك التدخل فى سببه وفى مداه بقدر ماتقتضيه الضرورة أو المصلحة.

ومن هنا يتبين أن الدولة الاسلامية، لاتملك كما حدث فى مصر ـ سابقا ـ أن تصادر أو تؤمم نشاطا فرديا لمجرد شهوة، أو التزام مبدأ التأميم، بل لابد أن يثبت انحراف هذا النشاط وإضراره بالصالح العام، كما يجب أن ينظر فى تعويض أصحابه، إذ لايجوز شرعا أكل اموال الناس بالباطل.

وثمة صور أو مجالات يفترض فيها الإسلام تدخل الدولة ابتداء، ومقدما، ومن قبيل ذلك ضمان حد الكفاية لكل فرد، وهو حق إلهى مقدس، يعلو فوق كل الحقوق، وبدونه لاتستقيم عبادة، ومن ثم أقام له الإسلام منذ أربعة عشر قرنا مؤسسة خاصة، هى مؤسسة الزكاة، التى هى بالتعبير الحديث : مؤسسة الضمان الاجتماعى[٥]، ومن قبيل ذلك ـ أيضا ـ تحقيق التوازن الاقتصادى بين أفراد المجتمع، والعدالة فى توزيع الثروات والدخول، بقوله ـ تعالى ـ

---

(٤) (المذهب الاقتصادى فى الاسلام)، ص (١٠٤).

(٥) انظر كتابنا الإسلام والضمان الاجتماعى.

﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾[٦]، وهو مافعله الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين خص المهاجرين دون الانصار بفيء بنى النضير، وحين منع فى ظروف معينة استغلال الأرض الزراعية عن طريق الكراء أى التأجير، وهو مادعا سيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ إلى رفض توزيع الأراضى المفتوحة على الغانمين، وإحالتها إلى ملكية عامة، ومنا بقاؤها فى أيدى واضعى اليد إلا من قبيل الانتفاع مقابل الخراج، لبيت المال، أى أجرة الأرض.

وإذا كان الإسلام قد أقر الملكية الخاصة وحماها إلى حد قطع يد السارق، فقد وضع لها قيودا عديدة ليس فحسب من حيث اكتسابها والتزاماتها وإنما أساسا من حيث مجال وكيفية استعمالها، مما لانجد له مثيلا فى أى نظام اقتصادى وضعى. كذلك أقر الملكية العامة، ممثلة فى ملكية الدولة للمرافق الأساسية، وكافة الأراضى التى لامالك لها، بل استحدث صورا جديدة للملكية العامة لم تكن موجودة من قبل كالمساجد، والأوقاف، وأراضى الحمى والأراضى المفتوحة، ويرفض الإسلام مبدأ سياسة تقوية القطاع العام على حساب القطاع الخاص، أو العكس، إذ كلاهما بمثابة رئتى المجتمع، بحيث لا يتصور أن يتنفس برئة واحدة أو برئتين غير متوازيتين[٧].

والتنمية الاقتصادية فى الإسلام – كما سبق أن أشرنا – هى مسئولية الفرد، والدولة معا، وهى تنمية (شاملة) و(متوازنة) و(غايتها الإنسان نفسه)، ليكون بحق خليفة الله فى أرضه، ومن ثم لا يقبل الإسلام (تنمية رأسمالية) تضمن حرية التعبير ولا تضمن لقمة الخبز، كما لا يقبل (تنمية اشتراكية) تضمن لقمة الخبز وتقتل حرية التعبير. كما يستلزم الإسلام توازن جهود التنمية، فلا يقبل أن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى، أو أن تستأثر الصناعة بالتنمية دون الزراعة، أو أن يركز على المشروعات الإنتاجية دون الخدمات والتجهيزات الأساسية، أو تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات، أو الحاجات.. الخ من الأخطاء العديدة التى وقعت فيها مختلف الدول العربية والإسلامية، مقلدة دون وعى تجارب شرقية، أو غربية، غافلة أو جاهلة الصيغة الإسلامية بضرورة التوازن الإنمائى، كما أن غاية (التنمية الإسلامية) هو الإنسان نفسه، لا تستعبده المادة، شأن (التنمية الراسمالية)، ولا يستبد به الغير شأن (التنمية الاشتراكية)، وإنما محررا مكرما يعمر الدنيا، ويحييها بالعمل الصالح، ليكون بحق خليفة الله فى أرضه، فيسعد فى الدنيا ويفوز بجنة الله فى الآخرة[٨].

نسأله تعالى التوفيق والسداد

---

(٦) سورة الحشر، الآية رقم (٧).

(٧) (المذهب الاقتصادى فى الإسلام) ص (١٢٢) وما بعدها.

(٨) المرجع السابق، ص (١٠٢).

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد فضيلة الشيخ طوسون إبراهيم هواش

● السؤال: من الأستاذ س . ا . ع. من الإسكندرية:

■■ شاب مسلم فشل في دراسته، فأخذ في البحث عن عمل يبعده عن الأفكار الآثيمة التي تراوده فلم ينفع، ووجد نفسه قد صار في طريق المعصية بعد طاعة الله. وأخذ يحاسب نفسه في يوم ما، ووجد ما ينتظره من عذاب في الآخرة، ففكر في قتل نفسه، لعل الله يغفر له. ولكنه قرأ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما﴾(١).

وإزاء حيرته طلب بيان الحكم الشرعي في ذلك.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فنفيد بأن السبيل لك إلى نجاتك من عذاب الله أن تتوب إلى الله توبة صادقة خشية منه ـ سبحانه وتعالى ـ وخوفاً من عقابه بأن تندم ندماً صادقاً من قلبك على ما اقترفت من سيئات، وما عملت من ذنوب، وتعزم على ترك العود إلى ما اقترفت، فإذا وجد الندم والعزم الصادقان وانكسر قلبك ذلا لله وخوفاً من عقابه، كانت توبتك حينئذ صادقة، ونجاك الله من عذاب ما اقترفت من سيئات، وفرح الله بهذه التوبة أكمل فرح وأتمه، كما يدل على ذلك الحديث الصحيح عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد تكون بهذه التوبة أكرم عند الله وأفضل منك قبل حصول الذنب الذي تبت منه. أما قتلك نفسك فليس سبيلاً إلى نجاتك من عذاب الله، بل هو مما يزيد في آثامك وذنوبك، فإنه كبيرة من أعظم الكبائر، وربما كانت شراً أكبر مما اقترفت من سيئات وذنوب. فقاتل نفسه أشد وزراً من قاتل غيره، وإنما السبيل إلى نجاتك ما هديناك

(١) سورة النساء: (٩٣)

ودللناك عليه، والله أسأل أن يوفقك إلى ما يحبه ويرضاه ويجنبك الزلل فى القول والعمل.

والله أعلم.

● **السؤال من الاستاذ محمد ابراهيم من القناطر الخيرية:**

■ ■ طلق شخص زوجته بوثيقة رسمية، ثم ردها إلى عصمته أمام شاهدين وبوجودها، فهل يجوز ذلك دون إخراج وثيقة رسمية.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فقد اطلعنا على هذا السؤال ونفيد بأن الرجعة لا تتوقف شرعاً على كتابتها فى وثيقة رسمية فإذا راجع الزوج زوجته المطلقة منه طلاقاً رجعياً وهى فى العدة كانت الرجعة صحيحة شرعاً، ولو لم يكتب بها وثيقة رسمية وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم.

● **السؤال من الاستاذ س . ذ بالزقازيق:**

■ ■ قال إن الدرجة الأولى من درجات سلم العمارة التى يسكنها بالمدخل كتب عليها اسم صانع السلم واسم الصانع المكتوب مكون من بعض أسماء الله ـ تعالى، عبد الله أو عبد الرحمن مثلا، وأنه بذلك عرض اسم الله الكريم للمهانة بالسير عليه بالأقدام، وقامت بينه وبين مالك العمارة مشادات بسبب إصرار السائل على ضرورة رفع هذه الدرجة من درجات السلم ويرجو السائل الإفادة عن الحكم الشرعى ؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فقد جاء فى فتح القدير جـ ١ ص ١١٧ ما نصه: «تكره كتابة القرآن الكريم وأسماء الله ـ تعالى ـ على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش» وإذا كان النص المذكور قد قضى بكراهة كتابة أسماء الله ـ تعالى ـ على الدراهم والمحاريب والجدران وما يفرش، فتكون كتابتها على درجات السلالم محرمة وغير جائزة شرعاً، من باب أولى، وذلك لما فى كتابتها على هذا النحو من امتهان لأسمائه ـ تعالى ـ بالسير عليها وتعريضها لذلك وإذا استحل أحد امتهان اسم الله فإنه بذلك يعرض نفسه للكفر والعياذ بالله ـ وعلى ذلك فيجب على مالك هذه العمارة إزالة هذه الدرجة إن لم يمكن محو الكتابة بدون الإزالة، لأن إزالة المنكر أمر واجب شرعاً بنص الحديث الكريم وهو قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» وإذا لم يذعن المالك ويبادر بإزالة الدرجة أو الكتابة فينبغى رفع أمره إلى الجهة المختصة لتتخذ الاجراءات اللازمة لإزالة المنكر بالطريق الذى تراه، ومما ذكر يعلم الجواب عن السؤال، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

● **السؤال من: خ . ع . ب ـ الغربية**

■ ■ هل الحلف بالقرآن العظيم كالحلف بالله ـ تعالى ـ بحيث ينعقد به اليمين ويأثم الحانث به وتلزمه الكفارة أم لا؟

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فنفيد أن الأئمة الثلاثة مالكا، والشافعى، وأحمد، وعامة أهل العلم قد ذهبوا إلى أن الحلف بالقرآن أو بآية منه، أو بكلام الله يمين، وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن الحلف بالقرآن ليس بيمين، قال ابن قدامة ـ من الحنابلة فى المغنى ما نصه: «وجملته أن الحلف بالقرآن أو بآية منه أو

بكلام الله يمين منعقدة تجب الكفارة به بالحنث فيها، وبهذا قال ابن مسعود والحسن وقتادة ومالك والشافعي وأبو عبيدة وعامة أهل العلم، وقال ابو حنيفة وأصحابه: ليس بيمين ولا تجب به كفارة فمنهم من زعم أنه مخلوق ومنهم من قال لا يعتد اليمين به، ولنا أن القرآن كلام الله وصفة من صفات ذاته فتنعقد اليمين به، كما لو قال: وجلال الله وعظمته، وقولهم هو مخلوق قلنا: هذا كلام المعتزلة، وإنما الخلاف مع الفقهاء،، وقد روى عن ابن عمر أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق» وقال ابن عباس في قوله تعالى:

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾[1].

:أي غير مخلوق الخ ما قال.. وقد علل شمس الأئمة السرخسي كون الحلف بالقرآن ليس يميناً بأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن فقد جاء في المبسوط من الجزء السابع صفحة ٢٤ ما خلاصته «أنه إذا قال والقرآن لا أقربك لا يكون موليا لأن الناس لم يتعارفوا الحلف بالقرآن والمعتبر في الأيمان العرف فكل لفظ لم يكن الحلف به متعارفاً لا يكون يميناً، وقد طعن عليه بعض الناس وقالوا: القرآن كلام الله ـ تعالى ـ والكلام صفة المتكلم فلماذا لم يجعل الحلف بهذه الصفة يميناً ولكنا نقول، كلام الله ـ تعالى ـ صفة، ولكن الحلف به غير متعارف، فكان هذا بمنزلة قوله، وعلم الله. وكذلك اختار صاحب الهداية في تعليل كون الحلف بالقرآن غير يمين على مذهب متقدمي الحنفية أنه غير متعارف، ومن أجل ذلك ذهب صاحب فتح القدير الى أنه يمين، لأن العرف الآن الحلف بالقرآن، وبهذا يتبين أن الحلف بالقرآن الآن يمين عند الحنفية ـ أيضاً ـ للعرف كما قال صاحب الفتح فلا فرق الآن بين الحلف بالقران والحلف باسم من أسمائه ـ تعالى ـ وبهذا علم الجواب عن السؤال والله أعلم.

● **السؤال من: س. عبد القادر يقول:**

■■ انا مسلم الديانة، وأريد أداء فريضة الصلاة، ولكنى مريض برجلي ولا استطيع الجلوس إلا على كرسي، كما انني لا استطيع الركوع، رجاء بيان كيفية الصلاة وأنا بهذا المرض.

الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فالمنصوص عليه شرعا أن المريض إذا عجز عن الصلاة وهو قائم أو خاف زيادة المرض صلى قاعداً كيف شاء لأن ذلك أيسر على المريض. ولأن عذر المرض أسقط عنه الأركان فلأن تسقط عنه الهيئات أولى، وإذا تعذر الركوع والسجود أومأ برأسه قاعداً، إن قدر على القعود، وجعل سجوده بالإيماء أخفض من ركوعه، والسائل يقرر أنه لا يستطيع الجلوس إلا على كرسي وأنه لا يستطيع الركوع، وفي هذه الحالة يصلي وهو جالس على الكرسي ويومىء للركوع برأسه، ويسجد فعلا إن كان يستطيع السجود. فإن لم يستطعه ـ أيضاً ـ أومأ له برأسه كالركوع وجعل إيماءه للسجود أخفض من الركوع، وصلاته صحيحة مادام العذر قائماً، فإن زال عنه المرض وجب عليه أن يصلي وهو قائم بركوع وسجود لعدم وجود العذر حينئذ، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الزمر (٢٨).

من أكبر الدعاة فى هذا العصر

أبو الحسن الندوى

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

وكل إلىَّ صديقى الأستاذ عبد المعز الجزار أن أتحدث عن الراحلين من أعلام الفكر الإسلامى، وقد غربت شمس الداعية الكبير أبى الحسن الندوى فأحسست بدعوة الأستاذ عبد المعز تتجه إلى، وقد سبق أن دعانى لكتابة كلمة عن العلامة الكبير محمود شيت خطاب، وهى الآن قيد البحث وستظهر قريبا، أما أبو الحسن - رضى الله عنه - فلم أتعب فى إعداد كلمته لأن صديقى البحاثة الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامى قد اقترح على كتابة سيرة أبى الحسن الذاتية فأجبته مرحبا، وهأنذا أطالع قراء مجلة الأزهر بما كتبت، عالما أن مثل أبى الحسن لا يفى بقدره بحث فى مجلة بل لابد من سفر كامل ذى أبواب وفصول.. ولكن القليل المفيد أفضل من السكوت المهين..

وكان أشد ما يلفتنى فى سيرة أبى الحسن، أنه أشرق فى محيط العالم الإسلامى بدرا مكتملا، فعهدنا بصاحب الفكرة وعاشق البحث أن يتتبع سنة التطور فيبدأ ناشئاً صغيراً، ثم تمر به الأعوام حتى يكتمل نضوجه كما يبدو البدر فى أول الشهر هلالا ثم يسير نحو الكمال، حتى يكمل إشراقه فى الليلة الرابعة عشرة ولكن أبا الحسن أصدر كتابه باللغة العربية (ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين؟!) فى مطلع حياته الفكرية، فكان حدثا هائلا فى دنيا الفكر، لأنه رج القراء رجا، وكأنه نفخ فى الصور فأحيا نفوسا، وأشعل أرواحا، وأخذ الناس يقرءون مبهورين، يخافون أن تنفد صفحات الكتاب، فلا يستشعرون هذه اللذة الروحية بعد انقضاء الصفحات،وفيهم من كان يقرأ الصفحة والصفحتين ثم يطوى الكتاب دقائق معدودة، ليصعد زفرة مكتومة، أو يعلن آهة موجعة، وأشهد أمام الله أن بعض الصفحات التى كانت تصور فجائع المسلمين على أيدى أعدائهم، وطغيان العتاة على بلادهم، كانت تضع فوق كاهلى وأنا أقرأ أطنانا من الحديد الصلب، فلا أستطيع أن أتحرك إلا بعد أمدٍ يقصر أو يطول، هذا الكتاب الخالد قد رج القراء رجا، والعجيب أن أستاذنا الدكتور أحمد أمين قد كتب مقدمة الكتاب فى طبعته الأولى، دون أن يقرأه، وأجزم عامدا أنه لم يقرأه، وإلا لما قال: إن بعض عبارات الكتاب ضعيفة لأن المؤلف يكتب بغير لغته!! والكتاب فى المنزلة العليا من الأسلوب البيانى

المشرق، وتعبيره الساحر لا يبلغه باحث كبير كالدكتور أحمد أمين، لأن صاحب فجر الإسلام وضحاه وظهره باحث مؤرخ، لا يملك سحر الأسلوب الذى يتمتع به صاحب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟!) ولقد قرأت فى بعض ماكتبه أبوالحسن أن هذه المقدمة قد أضعفت الكتاب، وأقول إن هذا تخيل فقط، لأن القارئ النبيه قد عرف بُعْد هذه العبارة عن الصواب، وهو مقياس الحكم. أما القارئ الذى لا يفرق بين أسلوب وأسلوب، فسيان أن يصدق أو يكذب!

وقد توالت طبعات الكتاب حتى بلغت بضع عشرة طبعة، وأغفلت مقدمة الطبعة الأولى، حيث قام الأساتذة الكبار محمد يوسف موسى وسيد قطب وأحمد الشرباصى بكتابة مقدمات صادقة شفت صدور قوم مؤمنين، وأذهبت غيظ قلوبهم، ولا أنكر فضل الدكتور أحمد أمين حين احتفل بالكتاب، وطبعه فى مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر التى يرأسها، فكان صدور الطبعة الأولى عن هذه اللجنة ذات المستوى العلمى الباهر نصرا من الله وفتحا قريبا، اتصلت بعده الفتوح الممتدة، لأن فكر أبى الحسن كالشجرة الطيبة ذات الثمر المستطاب، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس.

لم يتح لأبى الحسن أن يكتب هذا السفر الرائع فى مطلع شبابه، دون أن يعتمد على موهبة رائعة ممتازة، جرت من عقله مجرى الماء فى فروع السرحة الفينانة ذات الظل الوارف، ودون أن يعتمد على نشأة علمية باهرة فى أعرق منازل الفضل بالهند وأخصب منابت العزة والكرامة والشموخ، ودون أن يعتمد على اطلاع شامل محيط فى كتب متعددة، ولغات متنوعة، اطلاع ناقد يعرف سطور الحق فيجتبيها، ويطرد سطور الباطل إذ يحتويها، ومن وراء ذلك كله روح إسلامية عالية هى قبسة من قبسات رجال الصدر الأول من تاريخ الإسلام، فقد عايش أبوالحسن هؤلاء الرجال معايشة العاشق المولع بكل ما يقرأ من أمثلة التضحية والفداء، ونماذج الإيمان والإيثار، فكانت سير هؤلاء، ومن تبعهم بإحسان ضياء لروحه قبل أن تكون غذاء لفكره، وقل ما شئت فى تلميذ نابغة أساتذته الأكرمون رسول الله وصاحبته المختارون.. مع من وليهم من أئمة السلف الصالح، خلفا عن سلف، حتى انتهت السلسلة الرائعة إلى والده الكريم وكلهم خيار من خيار..

ولد أبوالحسن بقرية «تكية» من قرى الهند فى المحرم سنة ١٣٣٣هـ، فنشأ فى أسرة عربية كريمة، ترجع بأصولها العريقة إلى الحسن بن على -عليه السلام-، أصولها التى ظلت تتناسل فى أكرم بقعة فى الأرض، فى مكة التى شرفها الله بالبيت العتيق، وبكونها مشرق الإسلام ذى الهداية الإنسانية التى أخرجت العالم من الظلمات إلى النور ثم انتقلت إلى المدينة المنورة حقبة من الدهر، حتى كان مطلع القرن السابع الهجرى فرأى عميد الأسرة إذ ذاك السيد قطب الدين بن محمد المدنى رؤيا منامية أوحت له أن ينتقل من المدينة المنورة إلى الهند مجاهدا فى سبيل الله؛ وقد صدع الرجل بالأمر على مشقة الهجرة، والنزول فى أماكن لم يعرفها من قبل، ولكنه اطمأن حين وجد الاستقبال الكريم. وحين ذاع فضله فيما تناول من أحاديث الدعوة، وشروح الفقه، وقد تبوأ مكان الصدارة فى مهاجره، واشتهر أبناؤه ومن وليهم بالدعوة إلى سبيل الله، عملا بالارتحال إلى أقصى البقاع،

مذكرين بأيام الله، وبحثا بالتأليف العلمي في فروع اللغة والشريعة، ولو بحثت عن المكتبة الإسلامية بالهند، لنطقت بآثار هذه الأسرة الماجدة، حتى جاء يوم بزغ في سمائها نجم سلطان المسلمين أحمد بن عرفان، وهو عالم بطل، لو تعارف المسلمون في بقاع الأرض سير رجالهم في الوطن الإسلامي الكبير، وطن الإسلام، لكان اسم أحمد بن عرفان الشهيد يتردد في آفاق آسيا وأفريقيا كما تتردد أسماء شهداء الإسلام من لدن العصر الأول إلى الآن: لقد تطلع الشهيد المغوار إلى ما حوله، فأزعجه أن يرى ويسمع فظائع طائفة السيخ في البنجاب، إذ أقدموا على قتل الأبرياء من المسلمين، وهدم المنازل، وهتك الأعراض فغضب لدين الله، ولإخوته في الإسلام، ورفع راية الجهاد، واستنفر الأبطال من كل صوب، فهرعوا إليه ملبين، وبويع بالإمارة في جمادى الآخرة سنة ١٢٤٢، ثم قاد الجيوش من نصر إلى نصر، حتى إذا أعيت أعداءه الحيلة لجئوا إلى الدس، حين هالهم أن ينشيء الإمام أحمد دولة إسلامية على الحدود الشمالية من الهند، أثبتت قوة الإسلام وحميته، وبقيت أربع سنين ترفع راية الإسلام، حتى ارتاعت بريطانيا وأمدت السيخ بالسلاح الأوروبي الحديث، ثم استعانت أيضا برجال السوء ممن جهلوا خبث المحتل، وأغراهم المنصب والذهب والجاه، فجعلوا يثيرون الفتنة، ولجأ الإمام الى كشمير مجاهدا، ولكن اجتماع الإنجليز والسيخ والطابور الخامس من المنافقين، قد كان أكبر من أن تصمد أمامه القلة المؤمنة، ولكنها آثرت الاستبسال على الفرار، واستشهد الإمام في معركة «بالاكوت» استشهاد الحسين في كربلاء، وهي مأساة تتكرر، على الزمن دون اعتبار.

إن تاريخ ابن عرفان لم يذهب عن خواطر المسلمين جميعا بالهند، ولكنه رسخ رسوخ الطود في أسرته الكريمة، فجعلت تتناقل آثاره وتتحدث عنه، ثم دونت أخباره، وكان والد أبي الحسن أحد العلماء الأفاضل الذين كتبوا تاريخ الشهيد، وهو لم يكتب تاريخ الشهيد وحده ولكنه سجل تاريخ الأفذاذ من المسلمين على مر العصور في كتابه الرائع «نزهة الخواطر» ذي الأجزاء الثمانية، وقد اشتمل على نحو خمسة آلاف ترجمة، لأعيان المسلمين في الهند، وأبوالحسن وإن لم يتمتع برعاية والده العلمية غير أمد قصير إذ ترك والده الدنيا إلى لقاء ربه وهو في التاسعة من عمره، فإنه وجد في هذه الموسوعة الثمينة خير زاد لروحه، لقد قرأ عن أفذاذ المصلحين قراءة جعلته يتهيأ لدور كبير يضيف به ترجمة حافلة إلى هذه التراجم! ولم تكن نزهة الخواطر، هي سلواه المختارة وحدها في عهد اليقاعة، بل دفعته إلى مثيلاتها في التراث الإسلامي، وفي كتب التراجم والطبقات، وهذا البحر الزاخر من المعارف التاريخية يحيى النفوس المتعطشة ويدفعها الى الاحتذاء الحسن، لا سيما إذا كان القارئ، أبا الحسن ذا النفس المتوثبة الطامحة للعلا، ونحن نرى أمثلة شتى في كتب أبي الحسن قطفها من حدائق هذه الكتب، وكم قرأها أناس من قبله ومن بعده، ولكنهم لم يحسنوا استغلالها على النحو الذي اهتدى إليه الشاب البصير، وإذا أردنا أن ننشيء شبيبة واعية، تعرف الإسلام الصحيح في سير رجاله، فعلينا أن نكتب هذه التراجم الجيدة بلغة

العصر، لنفتح الأبواب الفسيحة أمام من يريدون التنزه في بساتين الأجداد، وهم كثير.

إنّ رحمة الله -عز وجل- تسع كل شيء، فحين حرم أبوالحسن من رعاية والده العالم العامل البحاثة، لم يُحرمْ من رعاية اثنينْ عزيزين أثيرين، هما أمُّه وأخوه، أما أمه فكانت قارئةً كاتبةً شاعرة، جمعت هذه المزايا في عصر كان أكثرُ المسلمات شرقاً وغرباً لا تلتفتن إلى تعليم، ومن تتعلم منهن تقفُ عند حَدّ محدود لا يتجاوز معرفة القراءة والكتابة إلاّ من نشأنَ في أسر الفضل والفضيلة مثل والدة أبي الحسن؛ كانت الوالدةُ الفاضلة تحفظُ القرآن الكريم، وتقرأ تفسيره في كُتب التراث، كما كانتْ تكتب المقالة، وتُنشئ القصيدة، وفي هامش ص ٢٤ من مقدمة كتاب «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟!» أنها طَبعتْ عدةَ كتب، ومجموعاتٍ من الشعْر، كلها مناجاة لله - تعالى - ودعاء ضارع، كما أرسلتْ مدائحها في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقد كنتُ أرجو أن أقرأ بعض ما كتبتْ ونظمتْ، ولكنّ يدي لم تصلْ منها إلى شيء، هذا بَعضُ ما يقال عن الأم الكريمة، أما الأخ الشقيق فهو الدكتور السيد عبدالعلي عبدالحي، وقد جَمعَ بين الثقافة الدينية والثقافة العصرية، فكان إلى جانب تعمقه في بحوث الدِّين مثقفاً عارفاً بالتيارات الفكرية المعاصرة في العالم، وكانَت مكتبته ملأى بالأسفار في الاتجاهين، وهذا من حظ أبي الحسن الدارس الناشئ؛ لأنه وجد من وجهه إلى القديم والجديد معا، وقد ظهر أثرُ ذلك في نتاجه العلمي الحافل، لأن نظرته الشاملة الناقدة لوجوه المفاسد في الشّرق والغرب معاً لم تأت إلا من اطلاع شامل علَى مختلف التيارات المتعارضة، ونحن نجد لدينا قوماً ينكرون المفاسد الغربية، ولكنهم لم يبلغوا مبلغ أبي الحسن في هذا المجال، لأنهم لم يقرءوا ما قرأ عن هذه المفاسد، وإذا قرءوا لم يرزقوا الفكر الثاقب، والروح العالية، والقلم الصوال، ونحن نجل هذا الأخَ ونعرف فضله في رعاية الأخ اليتيم، وإذا كنا لم نطلع على شيء من آثارِ الوالدة الكريمة، فقد اطّلعنا على بعض آثار الأخ الأديب العالم، ومن بين ما قرأناه في مجلة الرسالة المصرية مقال تحت عنوان «أسطورة»، والمقالُ يدل على أنّ الأخوينْ العزيزين يصدران عن نبع واحد، فحديث السيطرة الغربية، والتخلف الحضاري في الشرق، وانهماك المترفين في الملذات، دون نظرٍ إلى النفع العام، هو شبيه بأحاديث أبي الحسن، وكنت أود أن اقتبس منه سطوراً تنطق بما أعنيه، ولكني لا أعجب بعد قراءة مقال (أسطورة) أن يكون كاتبه هو الشقيق الذي تولى رعاية أخيه، وطَبعه بطابعه الإسلامي الحار المتوهج، والشقيقان - بعدُ - أثر من آثار الأب المجاهد والوالدة الكاتبة الشاعرة، وقديماً قال القائل الحماسي:

أرى كلَّ عرق نازعاً لأرومة
أبَى نسبُ العيدان أن يتغيرا

وفي الثانية عشرة من عمره، بعد رحيل والده الكريم بثلاثة أعوام، وجه الأخُ الأكبر أخاه إلى تعليم الانجليزية والعربية معا فوق تعلمه للأردية - وهو توجيه منتظر من أستاذ يعرف فائدة الاطلاع المستوعب للتيارات المتضاربة في الشرق والغرب، حتى إذا بلغ من اللغتين حدّ الإجادة على يد أساتذة من الفضلاء، دفعته نوازعه الإسلامية إلى التضلع من الأدب العربي، وكان فضل الله عليه عظيما حين لم يتجه إلى نفر من كتاب الخلابة اللفظية في عصور الصنعة

البديعية، بل اتجه إلى كتب أربعة هي، كليلة ودمنة لابن المقفع، ونهجُ البلاغة للإمام علي، ودلائلُ الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، وحماسة أبي تمام. وهي كتب تنشئ أديبا في مثل سنه، لأن كليلة ودمنه، ونهج البلاغة مثلان للأدب الإبداعي، ودلائل الإعجاز مثل رائع للنقد البياني المستنير، أما حماسة أبي تمام فهي ـ في رأيي ـ من أبدع المختارات الممتازة في الشعر العربي القديم، وبعد هذا التضلع من التراث. التحق أبوالحسن بجامعة لكهنؤ، وهي جامعة تدرس العلوم المدنية باللغة الانجليزية، وفيها قسم لآداب اللغة العربية اختاره أبوالحسن عن شوق، ووجد من أستاذه الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي رائداً بصيرا يهدي للتي هي أقوم في استيعاب التراث الأدبي للغة العرب، ومن بعد الجامعة التحقَ بالندوة ليلاقي كبار العلماء في الهند من أساتذتها. وليحضر دروس الشريعة عليهم، ولم يروِ ظماه من ذلك كله، بل دفعه هيامه بالمعرفة إلى الالتحاق بدار العلوم بديوبند عدة شهور، وكأنه رأى أنه ألم سلفا بمقرراتها، فاقتصر الأمد، ثم سافر إلى (لاهور) وقرأ التفسير القرآني على كبار علمائها، وتحققت أمنيته السعيدة بلقاء شاعر الإسلام محمد إقبال فحرص على مجالسته والإفادة من توجيهه وهي صحبة عادت عليه بأجزل النفع علما وسلوكاً، وسأخصها قريباً ببعض التفصيل.

أما بذرة الأديب المتطلع إلى السبق فقد برزت في هذا أمد ـ أمد الطلب العلمي والتحصيل الثقافي ـ إذ دفعتهُ همته الواثبة إلى كتابة مقال تاريخي، وهو في سن الثامنة عشرة يتحدث عن جده المجاهد أحمد بن عرفان شهيد الإسلام، وإمام أهل التوحيد، وقد ألمحنا إلى بعض حديثه من قبل، وقد كتبه باقتراح من أخيه، فصادف إعجابه، وبعث به إلى مجلة «المنار» المصرية التي يقوم على إصدارها حجة الإسلام في هذا العصر السيد محمد رشيد رضا، وهي ذات صدى مسموع في ربوع الإسلام، فوجد السيد رشيد في المقال ما يرشحه للنشر عن إعجاب، وكان أول مقال كتبه الأديب الناشئ، ولاشك أن نشر المقال في هذه المجلة الممتازة، قد بعث في نفس أبي الحسن ثقة تمده بالعزم الطامح، والجد المثابر، إذ وجد المنار يضعه في صفوف كتابه، وإذا كانت أعداد المنار التي تصلُ إلى الهند ذات قدر محدود، فقد حَرص أبوالحسن على أن ينشره مستقلا في رسالة طبعها تحت عنوان (السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد) وقد ظهرت في سنة ١٣٥٠ هـ، فأحدثت صدى قوياً بين العلماء، والباحثين، وكانت بمثابة فجر صادق يبشر ضوؤه المشعّ بقدوم صبح مبين.

اهتدى أبوالحسن بعد نشر مقاله بالمنار إلى صميم رسالته التي يجب أن يحملها إلى العالم جميعه، لا إلى العالم الإسلامي وحده، هذه الرسالة. هي الدعوة إلى الله كاتبا متحدثا، أما كاتباً فقد ظهرت بشائر توفيقه فيما كتب بالمنار، وفيما نشر بصحف الندوة. وأما متحدثاً فقد ألفَ ـ على حداثة سنة ـ أن يصعد إلى المنبر خطيبا، وأن يحادث المستمعين في الندوة محاضراً، فيحظى بالقبول إن لم يكن يحظى بأكثر من القبول، وذلك وحده زاد يعين المدلجين على السرى في ظلمات الطريق...

«يتبـــع»

من أعلام الأزهر الشريف

فضيلة الأستاذ الدكتور
محمد عبد المنعم خفاجي

للأستاذ مصطفى أبو السعود وهدان

فضيلة الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي أو الخفاجي، واسم الشهرة: خفاجي، أو خفاجة... عالم أزهري معاصر، تتلمذت عليه وأديه أجيال من العلماء والأدباء المعاصرين.. ويلقبه العلماء بسيوطي العصر، وبالجاحظ الثاني.

وهو - مد الله في عمره - من مواليد ٢٢ يوليو ١٩١٥م في بلدته، تلبانة، من أعمال مركز المنصورة.. ولنترك له الحديث عن بداياته الأولى حيث يحكي ذكرياتها في كتابه (من مواكب الأيام) فيقول في ص١٧٦، وهاأنذا وحيد.. وحيد.. فأين قريتي بأهلها وبيوتها؟! وأين أمي وأبي واخواني؟! إنهم بعيد.. بعيد.. والقطار الذي ركبته أنا وأخي الأكبر من المنصورة إلى الزقازيق.. هاهو ذا يركبه أخي في عودته من الزقازيق إلى المنصورة.. أما أنا فجالس في الفصل حيث أصبحت وحيدا غريبا، لاشئ معي إلا الذكريات، والا زملاء الفصل والا المدرس يشرح الدرس، وأنا لا أفهم من شرحه شيئا، ولا من الدرس الذي يتحدث معنا فيه.. إنها غربة المكان.. وغربة الفكر التي لايعلم مداها إلا الله.

كان ذلك فاتحة لي لحياة جديدة، كم كانت أمي تتمناها منذ سنوات طوال: لقد كان والدها شيخا أزهريا جليلا، حصل من الأزهر على شهادة العالمية، لكنه آثر حياة القرية على الحياة في القاهرة: ليفيد الناس بعلمه.. ولكم كانت أمي تتمنى أن أكون المرشح من بعده: لأصبح صاحب عمود في قلب الأزهر العتيق، يتحلق من حولي الطلاب صفا وراء صف، ومن أجل ذلك كان التحاقي بمعهد الزقازيق طفلا صغيرا، لأتلقى العلم فيه تمهيدا ليوم موعود، أو مشهود، أصبح فيه فارس العمود وصاحبه المنتظر».

ثم يقول: «ولازلت أذكر ذلك اليوم الذي جلست فيه - بعد نحو خمسين عاما من هذا التاريخ - إلى عمود في قلب الأزهر الشريف،

أدرس لطلابي اللغة العربية وآدابها، وأبكي بكاء شديدا؛ حيث ذكرت الأمنية التي كانت أمي ـ رحمها الله ـ تتمناها».

ويضيف قائلا: «ومن يوم أن عشت الغربة طفلا إلى أن تخرجت.. بل إلى اليوم... وأنا أحيا حياة طالب علم نهم، لايرى الدنيا إلا كتابا ويراعا وورقا.. وتستمر بي مسيرة التعليم الطويلة تسعة عشر عاما.. من الابتدائي إلى نهايات الدراسات العليا، اختلفت فيها إلى مئات ومئات من الأساتذة، وقرأت فيها آلافا وآلافا من الكتب، ولقيت فيها العديد من المفكرين والعلماء والكتّاب والأدباء والشعراء، واختلطت فيها بالكثير من مختلف طبقات المجتمع، أستفيد من تجاربهم وخبراتهم ومعارفهم».

إذن فالشيخ عالم أزهري موسوعي، ترك بصماته على أجيالنا المعاصرة، بل وعلى الثقافة العربية الاسلامية في العصر الحديث. وحسبنا أن له أكثر من خمسمائة مؤلف منشور، بالإضافة إلى كتبه الكثيرة المخطوطة التي لم تنل حظ النشر بعد، ومن الكتب المنشورة:

- تفسيره للقرآن الكريم ١٣ جزءا.
- شرحه لصحيح الإمام البخاري ٩ أجزاء.
- موسوعته عن الخفاجيين وتاريخهم الطويل ١٩ كتابا.
- موسوعته في الأدب العربي القديم والحديث نحو مائة كتاب.
- موسوعته في البلاغة والنقد وتبلغ نحو ثلاثين كتابا.
- موسوعته في دراسات إسلامية وتبلغ نحو مائة كتاب.
- مؤلفات مشتركة مع بعض الأساتذة وتبلغ نحو ثلاثين كتابا.
- وتأليفه في التاريخ والأدب والشعر والتصوف والثقافة ـ وتبلغ نحو المائة كتاب.
- تحقيقاته لبعض كتب التراث، وتبلغ نحو العشرين كتابا.
- ودواوينه الشعرية: عشرون ديوانا.

بالإضافة إلى مؤلفاته التي لم تطبع بعد، والتي تبلغ نحو الثمانين كتابا ومن هذه الثمانين:

- أصول الأدب العربي ـ جزءان كبيران
- الأزهر القديم والحديث ـ جزءان كبيران
- دراسات في الفكر العربي ـ جزءان كبيران
- مصادر الثقافة العربية ـ جزءان كبيران

وتقرأ كتبه: مدارس النقد ـ مدارس الشعر الحديث ـ أصول النقد ـ الجاحظ ـ الأزهر في ألف عام (ثلاثة أجزاء) ـ ابن المعتز ـ وغيرها، فيروعك هذا العالم الجليل، بسعة أفقه، وعمق فكره، وبثقافته الواسعة، حتى لقب بالجاحظ الثاني، وبالسيوطي، تقديرا لفكره ولمعارفه الشاملة.

والخفاجي عاشق للعلم وللكتاب وللقراءة، وكثيرا مانصح تلاميذه بأن يعكفوا على القراءة والكتاب ما أمكنهم ذلك.. فالعلم بحر لاساحل له، والقراءة هي الزورق الذي يمخر به الإنسان لجة هذا البحر اللجي المتلاطم الأمواج.

● حصل الخفاجي على الدكتوراه في الأدب والنقد والبلاغة من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦ برسالته عن ابن المعتز؛ وشغل منصب الأستاذية في كلية اللغة العربية بالقاهرة، ومعهد الدراسات الإسلامية، وجامعة محمد بن علي السنوسي في

ليبيا، وجامعة محمد بن سعود في الرياض، وتخرج على يديه جيل كبير من العلماء والباحثين، ممن شغلوا مقعد الأستاذية في الجامعات المصرية والعربية والإسلامية، وفي جامعة الأزهر على الخصوص؛ حتى كان أغلب عمداء الكليات الأزهرية من تلاميذه، كما أشرف وناقش الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف الجامعات والمعاهد. وأُلِّفَ عنه أكثر من عشرين كتابا بأقلام لفيف من الباحثين والكتاب والأدباء والنقاد.

وأسهم الخفاجي بنشاطه العلمي الثقافي والأدبي في مدرسة أبولو، ومدرسة الديوان، ورابطة الأدب الحديث، وجماعة أبولو الجديدة. واتصل اتصالا وثيقا بمدرسة الرابطة القلمية في نيويورك، وبالعصبة الأندلسية في ريودي جانيرو، وبمدرسة الشعراء المهجرين في الأرجنتين: إلياس قنصل، وزكي قنصل، وعبداللطيف اليونس، وغيرهم.

وكان عضوا في الجمعية الأدبية بالنجف، كما كان عضوا في جمعية الأدباء في القاهرة، وفي اتحاد الكتاب منذ أول قيامه، وفي المجلس الأعلى للفنون والآداب، وفي المجلس الأعلى للفنون والآداب، وفي المجالس القومية المتخصصة، وفي المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وفي مجلس جامعة الأزهر، والمجلس الأعلى للأزهر الشريف، وخبيراً في مجمع اللغة العربية؛ وعضوا في جمعية الهداية الإسلامية التي كان يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر فيما بعد)، وفي جمعية الشبان المسلمين، وفي رابطة أدباء وادي النيل، وفي رابطة الأدب الإسلامي، ونادي القصيد، ونادي القصة، وجمعية الدراسات الإسلامية، وجمعية العشيرة المحمدية، واتحاد أبناء الدقهلية؛ وعضوا شرفيا بالمجلس الأعلى القومي للأدب السوداني، وباتحاد الكتاب والمؤلفين في بغداد.

وحضر الخفاجي عشرات المؤتمرات في مصر والسعودية والعراق وتونس والجزائر ومراكش والكويت، وفي باكستان والهند وبروناي، وفي لندن وسواها.

● ودوائر الاستشراق تعرف الخفاجي جيدا، ومن أصدقائه الحميمين من المستشرقين: عبدالكريم جرمانوس الأستاذ في جامعة بودابست، والدكتور أرنست بانرت، الأستاذ في جامعة فيينا، والمستشرق الأمريكي الدكتور رينز الذي توفي عام ١٩٩٧م، والدكتور نيلاند مدير المعهد الهولندي للدراسات عن الشرق الأوسط، والدكتور داود كاون بجامعة لندن، وغيرهم.

● و قد نال الخفاجي تقدير العديد من الزعماء، وفي مقدمتهم: مصطفى النحاس، ومحمد نجيب ، وأنور السادات، والرئيس السنغالي عبده ضيوف، والرئيس السوداني النميري، ورئيس الوزراء التونسي الأسبق محمد مزالي.. ومنحه الرئيس محمد حسني مبارك وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى.

كما نال تقدير العديد من أعلام الفكر العربي الحديث ومن بينهم: د. أحمد زكي أبو شادي، ونجيب محفوظ، توفيق الحكيم، وعبدالرحمن الشرقاوي، والشيخ أحمد حسن الباقوري، والإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي، ومبارك المغربي رئيس المجلس الأعلى القومي للأدب السوداني، والبشير بن سلامة وزير الدولة الأسبق للشئون الثقافية في تونس، محمد بن

حنينى وزير الدولة للشئون الثقافية بالمغرب، ومحمد العروسى المطوى (تونس)، وغيرهم.

وكرمت الخفاجى ندوة الأثنينية فى جدة التى يرأسها المفكر الكبير الشيخ عبدالمقصود خوجة. كما كرمه نادى القصيد، ورابطة الأدب الحديث، وغيرها.

وكان صديق الأدباء الكبار من أمثال: محمد مندور ومصطفى السحرتى، وعبدالله عبد الجبار (السعودية) وهلال ناجى (العراق) وصالح جودت، ووديع فلسطين، والدكتور الشرباصى، والدكتور فرهود وغيرهم كثير.

● والخفاجى هو الذى دعا إلى إنشاء مجمع فقهى قبل قيامه فى مكة بعشرين عاما، وهو الذى وضع مشروع جائزة البابطين ورأسها فى العام الأول من إنشائها.

كما أنه كان من أوائل الذين اشتركوا فى الاجتماع التأسيسى لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٣٧م الذى دعا إليه الشيخ حسن البنا - رحمه الله -.

وقد اشتغل الخفاجى طويلا بالصحافة وأصدر عام ١٩٥٣م جريدة أسبوعية باسم «الشعب» وأصدر عام ١٩٥٥م سلسلة كتاب البعث، وأصدر هو والدكتور عبدالعزيز شرف منذ عام ١٩٨٤ مجلة الحضارة.

وجهود الخفاجى فى «رابطة الأدب الحديث» معروفة منذ الجيل الأول الذى رأسها فيه أحمد زكى أبو شادى، والجيل الثانى الذى رأسها فيها الشاعر الدكتور إبراهيم ناجى، والجيل الثالث الذى رأسها فيها الناقد مصطفى السحرتى؛ وتولى الخفاجى رياسة الرابطة منذ عام ١٩٨٣م.

● إن الحديث عن الخفاجى ممتد وطويل ومتلاحم. وبحسب الخفاجى أنه امتلك أسلوبا أدبيا رفيعا من أصفى الأساليب العربية بيانا وبلاغة.

وهو فى شعره العمودى ذى الموسيقى الشعرية والأسلوب الرومانسى المطواع، يملك ناصية البلاغة والشاعرية الأصيلة المتمكنة.

والخفاجى وحده مدرسة أدبية متكاملة كبيرة تغوص فى الذات والوجدان، وتحتفى بالتراث والأصالة، وتساير حركات التجديد فى كل خطواتها المتوثبة، وتجودُ فى الموسيقى والصورة الشعرية والعاطفة الملتهبة، والتجربة الذاتية العميقة، وقصائده فى رثاء زوجته التى لقيت ربها فى السابع من أغسطس عام ١٩٨٧م، تعدُّ من أجمل قصائد الشعر الحديث.

وكما قلت: إن الخفاجى بحر متلاطم الأمواج أقول: تراثه لا يستطيع السباحة فى بحره إلا سباح ماهر يستطيع أن يدخل إلى الأعماق، وينظر إلى عالم الخفاجى المملوء بالعبقرية وبالإشراق، بعين المتأمل الناقد البصير.

وأخيرا أقول: إن الخفاجى شاهد على عصره، شهد أحداث القرن العشرين وعايشها واتصل بها اتصالا كبيرا، وأثرت فى حياته وفكره وأدبه تأثيرا بالغا.

إن أغلب الأعلام العربية والإسلامية، فى شتى مجالات الفكر والثقافة والأدب هم معاصروه وأصدقاؤه، وأسهم مع كثير منهم إسهاما بالغا فى خدمة العربية وتراثها وأدبها، وفى العمل الجاد من أجل ازدهارها، بقدر ما أتيح له من إمكانات وطاقات ومثابرة: حيث كتب فى نواحى الفكر المختلفة صفحات خالدات لايمحوها الزمان.

الإسلام ومنع التلوث بالضوضاء

للأستاذ أيمن حمودة

يعانى إنسان العصر الحديث من نوع جديد من أنواع التلوث البيئى ألا وهو: التلوث بالضوضاء، أوكما يطلق عليه التلوث السمعى، وتحدث الضوضاء نتيجة للأصوات العالية الصادرة من بعض الأجهزة الكهربائية الحديثة مثل: الميكروفون والراديو والتليفزيون والاستريو... إلخ.

وهناك ـ أيضاً ـ الورش والمصانع، التى يصدر عنها ضجيج مزعج نتيجة استخدام الآلات الميكنية أو الكهربية مع المعادن والمواد المختلفة. كذلك هناك الأصوات العالية المنبعثة من آلات التنبيه والإنذار فى وسائل المواصلات المختلفة: (القطارات ـ السيارات ـ الطائرات.. إلخ) كل هذه العناصر وغيرها المسببة للضوضاء تحدث ضجيجا مزعجا وصخبا شديداً وأصواتا مرتفعة تسبب أضراراً نفسية وعضوية للإنسان.

أضرار الضوضاء: أثبتت الأبحاث الطبية والنفسية أن الأصوات العالية ـ وكل ما يدخل فى تكوين الضجيج والضوضاء ـ تؤدى إلى مجموعة من التأثيرات الضارة على صحة ونفسية الإنسان، فالضجة القوية التى تسببها الضوضاء تحفز الجسم على إفراز كميات كبيرة من مادة الإدرينالين وزيادة وإفراز بعض الغدد فى الجسم، مما يؤدى إلى سرعة النبض، وارتفاع مستوى ضغط الدم، وارتفاع نسبة السكر فى الدم، وكثيراً ما ينجم عن الضجيج إصابة الإنسان بقرحة المعدة أو قرحة الإثنى عشر، كما يؤثر الضجيج يؤدى ـ أيضاً ـ على الكبد والجهاز الهضمى، ويؤدى إلى إرهاق القلب وصعوبة التنفس، كما أن الضوضاء والأصوات العالية تفقد الإنسان قدرته على التركيز الذهنى، وتصيبه بالقلق، والتوتر والأرق والصداع، مما يؤدى إلى قلة إنتاجه الفكرى والضجيج ـ أيضا ـ لإصابة الإنسان بالاكتئاب وبأورام سرطانية قاتلة.

ومن أخطر أضرار الضوضاء، والضجيج: أنها تؤدى لإصابة الإنسان بأمراض الأذن المختلفة فالأصوات العالية عن الحد أو مستوى الصوت المناسب تؤدى إلى تلف وتخريب جهاز السمع لدى الإنسان، وبخاصة فى الخلايا الحساسة الموجودة فى نهاية أعصاب السمع، المرتبطة بالأذن الداخلية، مما يؤدى لإصابة الإنسان بحالة

من ثقل السمع البطىء ينتهى عادة بإصابة الإنسان بالصمم[1]. وقد لوحظ أن الموسيقيين الذين يعيشون فترات عملهم فى وسط صخب صوتى مرتفع يتجاوز الـ ٨٠ (ديسبل) يتأثر مستوى سمعهم بسرعة، وغالبيتهم يفقدون السمع فى سن مبكرة، ولا يقتصر تأثير الضجيج والضوضاء على الإنسان فقط، فالحيوانات تتأثر - أيضاً - بالضجيج، حيث أثبتت التجارب أن مقدار حليب البقر يقل بجوار المطارات، كما يقل إنتاج الدواجن للبيض بسبب ارتفاع درجة الضجيج، كما أثبتت الأبحاث والتجارب أن الضوضاء تؤثر على نمو النباتات.

الإسلام ومنع التلوث بالضوضاء : بالنسبة لهذا التلوث الذى أحست به البشرية مؤخراً، نجد أن ديننا الإسلامى الحنيف من خلال آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، قد سبق إلى النهى عن الضجيج، ورفع الأصوات عالية وأمر بالهدوء والسكينة، وخفض الصوت فى أثناء الحديث حتى يستطيع كل فرد أن يؤدى ما بيده من عمل، دون توتر أو إثارة، وبذلك يتم إنجاز الأعمال مع الاحتفاظ بالصحة والحيوية ومداومة النشاط، فقد قال رب العزة - سبحانه وتعالى - على لسان لقمان وهو يعظ ابنه :

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[2]. وقد ذكر ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة (واغضض من صوتك) أى : لا تبالغ فى الكلام، ولاترفع صوتك فيما لا فائدة منه (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) أى : أقبح الأصوات هو صوت الحمير، وهو شىء بغيض إلى الله، وهذا التشبيه لعلو الصوت بصوت الحمير، يقتضى تحريم الصوت العالى والضوضاء، وذمه غاية الذم، ويلاحظ أن نهيق الحمار يكون بصوت عالٍ ومتغير، لذلك هو من الأصوات القبيحة المستنكرة، وفى آداب النبوة يحذر رب العزة - سبحانه و تعالى - المؤمنين من رفع أصواتهم فى مجلس الرسول - صلى الله عليه وسلم - متجاوزين بذلك حد الأدب معه، قال - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[3]

فالدعوة واضحة من خلال الآيات الكريمة السابقة، لعدم رفع الأصوات وضرورة خفضها بصفة عامة فى أثناء الحديث

---

(١) خالد عبداللطيف - البيئة والتلوث من منظور الإسلام ص٥٩-٦٠.

(٢) سورة لقمان (١٩).

(٣) سورة الحجرات الآيتان (٢، ٣).

وبالأخص فى مجلس الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

ومن أقوال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الداعية للهدوء، والبعد عن الضوضاء : ورد فى كتاب مختصر صحيح البخارى للإمام الزبيدى،[4] عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه دفع مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يوم عرفة وسمع النبى وراءه زجراً شديداً، وضرباً وصوتاً للإبل، فأشار النبى الكريم بسوطه إليهم، وقال : «أيها الناس عليكم بالسكينة، فإن البر ليس بالإيضاع». ومعنى الحديث الشريف أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع وراءه وهو ذاهب إلى عرفات لأداء مناسك الحج جلبة وصياحاً مرتفعين، مع ضرب الإبل، يصاحبها أصوات مرتفعة فلم يعجبه هذا، فطلب من المسلمين الالتزام بالسكينة والهدوء، ونصحهم بأن الخير ليس بالإضاعة، أى فى سرعة المشى، وإنما فى السير المعتاد، الذى لا يصاحبه ضجيج أو ضوضاء.

قوانين إسلامية لمنع الضوضاء

نستنبط مما سبق عرضه من آيات الذكر الحكيم، وأحاديث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله، أحكاما عامة فى موقف الإسلام من الضوضاء، و هذه الأحكام نوجزها فى البنود الآتية :

١ ـ الأصوات المرتفعة عموماً أياً كان مصدرها وسببها، بغيضة إلى الله، وإلى رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهذا الموقف يقتضى تحريمها وذمها غاية الذم.

٢ ـ عدم جواز رفع الإنسان لصوته فى أثناء الحديث عن الحد المعتاد، وضرورة خفض الصوت بحيث يكون هادئاً وطبيعياً وسطاً بين الهمس والارتفاع.

٣ ـ يتفرع من البند الثانى تجنب استخدام مكبرات الصوت والميكروفون إلا عند ضرورة شرعية، كالأذان للصلاة على سبيل المثال وليس الحصر(٥).

٤ ـ النهى عن ضرب الإبل والحيوانات الأليفة عموماً، والتسبب فى هياجها وإحداثها أصواتاً عالية ومزعجة.

٥ ـ يتفرع من البند الرابع : النهى عن دفع سائر المواصلات العامة والخاصة للسير بسرعة فائقة، وما يستتبع ذلك من إحداث أصوات عالية نتيجة استخدام آلات التنبيه والإنذار.

هذه كانت لمحة من الآداب والقوانين الإسلامية ترشد إلى منع تلوث البيئة بالضوضاء، فإن التزم بها الناس فهى كفيلة بأن تحافظ على صحتهم ونشاطهم، كما أن هذه القوانين لو تم العمل بها لمنعت وقوع الكثير من الأخطاء فى أثناء العمل وأدت إلى زيادة الإنتاج وحافظت على سلامة البيئة وهدوئها.

---

(٤) حديث شريف رقم ٧٩٢.

(٥) د.على السكرى، حماية البيئة من منظور إسلامي ص٦١.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«العزة غير الكبر»

قيل: لايحل للمسلم أن يذل نفسه، فالعزة : معرفة الإنسان بحقيقة نفسه، والكبر : جهل الإنسان بنفسه.

قيل للحسن بن على - رضى الله عنهما - : إن الناس يزعمون أن فيك كبرا وتيها، فقال : ليس بتيه ولكنه عزة المسلم، ثم تلا قول الله - تعالى - :

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).

أستحى من الله

ما رؤى صلاح الدين الأيوبى، مبتسما فى يوم من الأيام منذ شعر بمسئوليته عن تخليص بيت المقدس من يد الصليبيين، وقد حدث يوما أن ضحك جلساؤه من طرفة فى مجلسه، فضحكوا جميعا إلا هو، فلما سئل عن ذلك، قال : إننى أستحى من الله أن يرانى ضاحكا والمسجد الأقصى أسير فى أيدى هؤلاء الظالمين.

«حقا»

إنا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى نقص من الأجل

«هذا هو العدل»

التقى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - بأبى مريم الحنفى، قاتل زيد بن الخطاب، فقال له عمر : والله لولا الإسلام ما تركتك، والله إنى لا أحبك! فقال له أبومريم : أو تمنعنى لذلك حقا ياأمير المؤمنين؟ قال عمر : «لا»، وكررها ثلاثا، فقال أبومريم: لست أبالى بعد ذلك، مايفرحُ بالحب غير النساء.

«أصبت وأخطأت»

قيل : كان يجلس إلى أبى يوسف (القاضى) رجل فيطيل الصمت ولايتكلم، فقال له أبويوسف يوما : ألا تتكلم؟ فقال : بلى، متى يفطر الصائم؟ قال : إذا غابت الشمس، قال : فإن لم تغب إلى نصف الليل، كيف يصنع؟ فضحك أبويوسف وقال : أصبت فى صمتك؟ وأخطأت أنا فى استدعائى نطقك وأنشد :

---

(١) سورة المنافقون ٨.

عجبت لإزراء الغبى بنفسه
وصمت الذى قد كان بالقول أعلما
وفى الصمت ستر للغبى وإنما
صحيفة لب المرء أن يتكلما

«يعيش وحده.. ويموت وحده ..ويبعث يوم القيامة وحده»

جلست المرأة الحزينة على قارعة الطريق قرب صحراء «الربذة» وليس معها أحد إلا أطفالها الثلاثة إلى جوار جثمان زوجها.. ومر عليها ركبان فى الطريق وفيهم عبدالله بن مسعود.. فنادت عليهم المرأة: «أعينونى على دفن زوجى صاحب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ »!!

ونزل عبدالله ليرى ما الخبر، وكشف الغطاء عن الميت المسجى فى ثيابه فإذا به أبوذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ أبوذر الذى ترك الدنيا كلها حين قرأ قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[2]. وأراد أبوذر أن يحمل الناس جميعا على الزهد الرفيع فمنعه عثمان خليفة المسلمين ونفاه إلى «الربذة».

ولقد قال عنه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «ما أقلت الغبراء، ولا أظلت السماء رجلاً أصدق لهجة من أبى ذر، أبوذر يعيش وحده، ويموت وحده، ويبعث يوم القيامة وحده» تذكر عبدالله بن مسعود كل هذا وبكى ماشاء الله له أن يبكى، ثم صلى عليه وواراه التراب، وصحب أسرته إلى خليفة المسلمين.

«نصيحة»

وإن مدت الأيدى إلى الزاد لم أكن
بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

«سؤال.. وجواب»

سئل حكيم عن أفضل الحكمة، فقال: معرفة المرء بقدره، وعن أكمل العقل، فقال: وقوف الانسان عند علمه؛ وعن الحلم، فقال: حلم الانسان عند استماع شتمه، وعن أصون المروءة، فقال: استبقاء الإنسان ماء وجهه، وعن أكمل المال، فقال: ما أعطى الحق منه، وعن أحسن السخاء، فقال: البذل قبل المسألة، وعن أنفع الأشياء، فقال: تقوى الله وإخلاص العمل.

«ليس لثلاث حيلة»

قال حكيم: ليس لثلاث حيلة: فقر يخالطه كسل، وخصومة يخامرها حسد، ومرض يمازجه هرم.

«دعاء»

اللهم أعطنى من الحلم أجمعه، ومن العلم أنفعه، ومن الرزق أوسعه، واجعلنى من عبادك الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.

(٢) سورة النساء، ٧٧.

الآثار الباقية

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

٨

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا (*)

الجزء الثاني

مختارات من كتاب (الآثار الباقية) (١)

(أ) القول في ماهيّة اليوم والليلة:

يعرّف البيروني اليوم والليلة ومجموعهما وابتدائهما عند العرب وغيرهم، فيقول: «اليومُ بليلته هو عودةُ الشمس بدوران الكُلّ (أي كرة السماء بما فيها من النجوم) إلى دائرة فُرضت ابتداءً لذلك اليوم بليلته، أيّ دائرة كانت إذا وقع عليها الاصطلاح، ثم إن العربَ فرضت أولَ مجموعِ اليوم والليلةِ نُقطَ المغاربِ على دائرة الأفق إلى غروبها من الغد، فصار اليومُ عندهم بليلته من لدن غروب الشمسِ عند الأفق إلى غروبها من الغد، والذي دعاهم إلى ذلك هو أن شهورهم مبنيّةٌ على مسير القمر مستخرجة من حركاته المختلفة، وأوائلها مقيّدةٌ برؤية الأهلة لا الحساب، وهي (أي الأهلة) تُرى عند غروب الشمس، ورؤيتها عندهم أولُ الشهر، فصارت الليلةُ عندهم قبلَ النهار، وعلى ذلك جرت عادتهم في تقديم الليالي على الأيام إذا نسبوها إلى الأسابيع.

فأما عند غيرهم من الروم والفرس ومن وافقهم فإن الاصطلاح واقعٌ بينهم على أن اليوم بليلته هو من لدُن طلوعها (أي الشمس) من أفق المشرق إلى طلوعها منه من الغد، إذ كانت شهورهم مستخرجة بالحساب غير متعلقة بأحوال القمر ولا غيره من الكواكب، وابتداؤها من أول النهار، فصار النهار عندهم قبل الليل، واحتجوا بأن النور وجود والظلمة عدم، إلا أن بعض علماء الفقه، في الإسلام حدَّ أول النهار

(*) الكاتب: أستاذ الفيزياء، ووكيل كلية العلوم جامعة القاهرة.

(١) البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحرير سخاو، ليبزج (بروكهاوس) ١٨٧٨م.

بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس تسوية منه بينه وبين مدة الصوم...»(ص٦).

(ب) تحديد المصطلحات العلمية :

اهتم البيروني بتحديد المصطلحات العلمية، باعتبارها من أساسيات اللغة العلمية وضرورات المنهج العلمي المميزة لدلالات الأشياء، ومعانيها، وأدرك أن المصطلح العلمي يتبع بالضرورة تقدم العلوم وتطورها، بما يصاحبه من اكتشافات واختراعات، ذلك أن التقدم العلمي يثمر دائما أشياء جديدة تقتضي تسميتها بأسماء، توائم بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، وهذا ما يضطلع به العلماء، في مختلف التخصصات حتى يومنا هذا، وفي كل العصور.

ولذلك اهتم البيروني بتحديد المصطلحات التي يطرحها ويستخدمها في مؤلفاته، وشرح ما تتضمنه من مفاهيم ومعاني، وقد حدد هذه المصطلحات بتعريفاتها العلمية الواضحة في أحد كتبه الذي أفرده لهذا الغرض، وهو كتاب «التفهم لأوائل صناعة النجوم».

وربما يفسر لنا هذا ـ أيضا ـ اهتمام البيروني المبكر بمعرفة عدة لغات أجنبية، مما ساعده على الإحاطة بكثير جدا من المصطلحات والمفاهيم في كل علم يخوض فيه.

وكان البيروني يرى أن من حق القارئ العالم أن يصحح الأسماء، والمفاهيم عند نقلها من لغة إلى أخرى، حيث يعتد بأهمية نقل هذه الأسماء، سماعا، حتى تكون أصح رواية، وبخاصة وإن الكتابة تختلف عن النطق في كثير من اللغات، فهو يقول: «نقلت تلك الجداول بعينها إلى هذا الموضع، ولم يساعد الزمان على تصحيح أسماء الملوك بالسماع، فليبالغ في تصحيحها من عسى وقف عليها طالبا ما طلبته من تسهيل الأمر على المرتاد وإزالة مؤونة الطلب عنه»(ص٨٤).

وعندما يجهل البيروني طريقة الهند والصين والترك في كبس سنينهم الشمسية، فإنه يعتذر حتى يحيط علما بمصطلحاتهم، ويتثبت في ذلك متمسكا بمنهجه الرائد في البحث عن الحقيقة العلمية، ويقول: «أعرضنا عن ذكرها إلى وقت يتفق لنا الإحاطة فيه بها، إذ لا يليق بطريقتنا التي سلكناها أن نضيف الشك إلى اليقين والمجهول إلى المعلوم»(ص٦٨)

(ج) ممارسة المنهج التجريبي :

حذر البيروني من المعوقات التي تحول دون الوصول إلى المعرفة الصحيحة، فانتقد التقليد والمقلدين، ودعا إلى نبذ التعصب بكل أشكاله، فهو يقول: «إن العصبية تعمي الأعين البواصر، وتصم الآذان السوامع، وتدعو إلى ارتكاب ما لا تسمح باعتقاده العقول»(ص٦٦). ويلاحظ في هذا النص أن البيروني قد أشار إلى أدوات تحصيل المعرفة العلمية وإدراكها بالعين أو بالأذن أو بالعقل، وهي الأدوات التي أشار إليها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٢] وقوله: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾[٣].

(٢) سورة النحل ٧٨

(٣) سورة الحج ٤٦

ويرى البيروني أن العصبية تحول دون اتصال وسائل المعرفة بموضوعاتها اتصالا مباشرا، ويقول: «الكلام مع المصر عمداً والمتمطي جهلاً غير مجد على القاصد والمقصود»(ص٦٨).

ومن هنا يكون البيروني، وغيره من علماء الحضارة الإسلامية، قد سبقوا إلى التحذير من معوقات البحث العلمي وكشفوا عن الأوهام التي قال بها «فرنسيس بيكون» بعد ذلك إبان عصر النهضة الأوروبية الحديثة – ويتضح لنا هذا حين يحدثنا البيروني عن أحد علماء النجوم والفلك الذي استخرج بعض المعلومات بشكل خاطئ، ورفض مشورة البيروني إلى اتباع المنهج العلمي الصحيح، مستندا في ذلك إلى حالة الفقر التي كان يعيشها البيروني حينئذ إبان محنة كان يمر بها. يقول البيروني في ذلك[4]:

«فاعلمته أن الصواب في خلاف ما يعمله، فشمخ المذكور بانفه مستخفاً بي، وكان أدون مني مرتبة في جميع ما علمه، وكذب قولي، وجبهني واستطال عليّ لما كان بيننا من تفاضل الغنى والفقر الذي تستحيل معه المناقب مثالب، وتصير المفاخر معايب، فإني كنت في ذلك الوقت ممتحنا من جميع الجهات، مختل الحال، ثم صادفني بعد ذلك لما زالت المحن بعض الزوال»(ص٣٣٨).

من ناحية أخرى، يرفض البيروني الخرافات والأوهام التي لا تتفق مع نواميس الكون وحقائق الواقع، فيقول: «ولا أجد لهذا في الطبيعيات مأخذا لأن مداره على أسابيع الأيام. فأما ما كان على السنين، فيعلل من الشمس وشعاعها، وما كان على الشهور فمن القمر وضيائه»(ص٢٨٤).

ويضرب البيروني مثالا للتأثير الطبيعي لقوة أشعة الشمس التي يمكن تجميعها بالانعكاس واستخدامها لحرق القرابين في يوم معين من السنة ببلاد اليونان، فيقول:

«كما أن المذبح المحرق للقرابين في يوم معلوم واحد من السنة ببلاد اليونان محمول بشعاع الشمس المنعكسة المجتمعة في موضع من المذبح، وأمثال ذلك»(ص٢٨٤).

أما ما يخص الملاحظة والتجربة والاستقراء فنجده واضحاً بكثرة في مؤلفات البيروني. فقد قام في كتابه «الآثار الباقية» بشرح الجهاز المستخدم لتوازن السوائل، وهو ما أسماه «سارقة الماء»، ونطلق عليه الآن اسم «الأواني المستطرقة»، وبين القوانين التي بمقتضاها يرتفع السائل أو ينخفض في هذا الجهاز، وكيفية استغلال ذلك في رفع المياه إلى القلاع وأعالي الأبراج، وكيفية صنع النافورات، وهي تجارب تنتمي إلى علم «الموائع الساكنة» في العصر الحديث.

وحيث يناقش البيروني مختلف الآراء في موضوع السنة الكبيسة، ويستعرض طرق كل أمة في كبس سنتها، يستند في بيان ذلك إلى التجربة، والأرصاد الصادقة التي يجريها بنفسه لتحقيق تغير موقع الشمس في أبراجها طوال العام يقول:

«وليس اختلاف الأرصاد في كميتها من جهة العجز عن كيفية مأخذها ودرك حقيقة الحق فيها، لكنه من جهة العجز عن ضبط أجزاء الدائرة العظمى بأجزاء الدائرة الصغرى، أعني

(٤) د.بركات محمد مراد، البيروني فيلسوفا، القاهرة ١٩٨٨م.

صغر آلات الرصد مع عظم الأجرام المرصودة»(ص١٠).

ويقول في موضع آخر: «إن الأرصاد نطقت بنقصان كمية الكسر التابع لأيام سنة الشمس عن الربع التام، وقد وجدنا دخول الشمس أول برج الحمل قد تقدّم أول نيسان»(ص٥١).

وحيثما يستحيل الرصد والتجريب والمشاهدة، يلجأ البيروني إلى الفرض العلمي، فهو مثلاً لا يستبعد أن يكون الجزء الجنوبي من الأرض مسكونا، ويترك هذا للمشاهدة والعيان «الذي يعتبر المرجع في مثل هذه الأحوال»(ص٢٥٨).

(د) القول في ماهية الشهور والأعوام

يقول البيروني في كتابه «الآثار الباقية»:

«إن السنة هي عودة الشمس في فلك البروج إذا تحركت على خلاف حركة الكل إلى نقطة فُرضت ابتداءً حركتها، وذلك أنها تستوفي الأزمنة الأربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء، وتحوزُ طبائعها الأربعة وتنتهي إلى حيث بدأت منه.

وفي هذه المدة، أعني عودة الشمس في فلك البروج، يستوفي القمر اثنتيْ عشرة عودةً وأقل من نصف عودة، ويتسهلُ اثنتيْ عشرة مرة، فجُعلت تلك المدة، أعني عوداته الاثنتيْ عشرة، في فلك البروج سنة للقمر على وجه الاصطلاح، وأُسقط عنه الكسر الذي هو أحد عشر يوما بالتقريب، وكان ذلك ـ أيضا ـ سببا لانقسام فلك البروج باثنيْ عشر قسماً متساوية.. فصارت السنة عند الناس سنتين: سنة شمسية وسنة قمرية.. ثم انتج من هاتين السنتين سائر السنين»(ص١١) وعن النسيء عند العرب يقول البيروني:

«كانت العرب في جاهليتها ينظرون إلى فضلْ ما بين سنتهم وسنة الشمس – وهو عشرة أيام وإحدى وعشرون ساعة وخُمس ساعة بالجليل من الحساب – فيلحقونها بها شهراً كلما تم منها ما يستوفي أيام شهر. ولكنهم كانوا يعملون على أنه عشرة أيام وعشرون ساعة، ويتولى ذلك النَّسَأةُ من كنانة وهم المعروفون بالقلامس.. غير أنهم كانوا يكبسون كل أربع وعشرين سنة قمرية بتسعة أشهر، فكانت شهورهم ثابتة مع الأزمنة، جارية على سنن واحد لا تتأخر عن أوقاتها ولا تتقدم، إلى أن حج النبي – عليه السلام – حجة الوداع وأنزل عليه: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾[٥]. فخطب – عليه السلام – وقال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»[٦] وتلا عليهم الآية في تحريم النسئ، وهو الكبس، فأهملوه حينئذ، وزالت شهورهم عما كانت عليه، وصارت أسماؤهم غير مؤدية إلى معانيها..»(ص١٢).

وعن السنة الهجرية يقول البيروني: «.. وقد كان عمر [بن الخطاب قد] دوّن الدواوين، ووضع الأخرجة والقوانين، واحتاج إلى تاريخ، ولم يحب التواريخ القديمة، فجمع عليه عند ذلك واستشار، فكان أظهر الأوقات وأبعدها من الشُّبَه والآفات وقت الهجرة وموافاةُ المدينة – وكانت يوم الاثنين لثمانٍ خلوْنَ من ربيع الأول وأولُ السنة يومُ الخميس – فعمل عليها وأرخ منها، وذلك سنة سبعَ عشرة للهجرة..»(ص٣٠).

---

(٥) سورة التوبة ٣٧.

(٦) رواه البخاري.

الشيخ الشعراوى وقضية الإعجاز القرآنى

للدكتور / نبيل محمد رشاد

فى أوائل السبعينات وقبل أن يشرع الشيخ الشعراوى -رحمه الله تعالى- فى تفسير القرآن الكريم بانتظام فى حلقات أسبوعية، كان قد عرفه الناس من خلال أحاديثه التلفازية فى برنامج «نور على نور» الذى كان يقدمه الإذاعى الكبير «أحمد فراج».

ففى تلك الأحاديث خلب الشيخ ألباب الناس بأسلوبه الفذ وهو يتحدث عن الهجرة النبوية الشريفة، وعن صفة النبى -صلى الله عليه وسلم- وعن الإسراء والمعراج.

ولقد ذاع صيت الشيخ الشعراوى فى كل أنحاء مصر، وأخذ يلقى دروسه فى مساجدها الكبرى متجها فيها نحو الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، فما كان إلا أن منّ الله عليه، وحالفه التوفيق فى كل ما قال، وأعجب الناس بأسلوبه، وآرائه، وطريقته فى تحليل آيات القرآن، وبيان ما بها من إعجاز.

والحق أن الشيخ الشعراوى قد اقتحم ميدان الإعجاز القرآنى مسلحاً بعدد من الأدوات من أهمها:

أولاً - ذكاؤه الحاد:

فلقد وهبه الله -تبارك وتعالى- ذكاءً حاداً، وعقلاً راجحاً فكان -رحمه الله تعالى- يعمل عقله، ويستخدم ذكاءه فى خدمة النص القرآنى، وفى فهمه وتحليله وتفسيره.

ولعل مما يدل على ذكائه قدرته الباهرة على ضرب الأمثلة -وهو يشرح آيات الذكر الحكيم- من الأمور الحياتية التى لا يلتفت إليها الكثير من الناس، فقد استضافه -ذات مرة- المذيع المعروف «طارق حبيب» فى برنامجه التلفازى الشهير «من الألف إلى الياء» وسأله قائلاً:

يا فضيلة الشيخ: أيهما تحب: الليل أم النهار؟

وهو سؤال لو سألناه لمجموعة من الناس لما خرجت إجابتهم عن واحدة من ثلاث: أن يؤثر بعضهم الليل لهدوئه وسكونه، وأن يحب آخرون النهار لوضوحه وسفوره، ولكونه ميدانا للعمل والسعى على الرزق، أو أن يمسك بعضهم العصا من المنتصف فيقول لك: أحب النهار لكذا وكذا، وأحب الليل لكذا وكيت.

أما الشيخ الشعراوى فقد قال للمذيع: إن هذا السؤال بهذا الشكل خطأ، لأن الليل والنهار خارجان عن دائرة الحب والبغض، لأن لكل واحد منهما دوراً ووظيفة فى الحياة، وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى كثير من آياته قال -جل شأنه-:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾[1] ولأن الإنسان لا يستطيع أن يستغني بأحدهما عن الآخر، فلا يستطيع محبو النهار أن يستغنوا عن الليل، ولا يستطيع محبو الليل أن يستغنوا عن النهار، ولذا امتن الله -تعالى- علينا بهما فقال -عز وجل-:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٢) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[2].

ثم زاد الشيخ الشعراوي فكرته إيضاحا بضرب المثل فسأل المذيع: أيصح أن أسألك أيهما تحب القميص أم البنطلون؟

فقال المذيع للشيخ: لا يصح!

قال الشيخ: لماذا... وسكت هنيهة، واستأنف يقول: لأن لكل واحد منهما دورا وعملاً لا يؤديه الآخر، وإنما المنطقي أن أسألك أتحب القميص الأبيض أم القميص الأزرق؟ هنا يكون السؤال صحيحاً، لأن طلب المفاضلة هاهنا بين شيئين يؤديان غرضا واحدا، ويريد السائل أن يطمئن إلى أيهما يرتاح المسئول.

ثانيا - إحاطته بالعربية لسانا وبيانا:

كانت إحاطة الشيخ الشعراوي بالعربية كإحاطة السوار بالمعصم سواء بسواء، دون أدنى مبالغة في ذلك، ووهبه الله -تعالى- ذاكرة حافظة كانت تسعفه بما يبغى الاستشهاد به من شوارد الشعر العربي وأوابده وعيونه، هذا فضلا عما كان يحفظه ويستشهد به من روائع القصص والحكم والأمثال ولعل هذا راجع إلى:

(أ) حفظه القرآن الكريم في صغره حفظا متقنا، ثم كثرة تلاوته له بعد ذلك في كبره بتدبر وتمعن.

(ب) قراءته في بداية تكوينه العلمي «للعقد الفريد» لابن عبد ربه، و«الأمالي» لأبي على القالي، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة، وغيرها من أمهات كتب الأدب العربي.

(جـ) تأثره بما كان يموج به المجتمع من تيارات الثقافة والفكر في أوائل هذا القرن حيث لم يكن الشيخ -في سنه الباكرة هذه- بمعزل عن هذه التيارات، حيث قرأ المنفلوطي جيدا وتأثر به، وكان على صلة بما يصدر -في تلك الفترة- من مجلات أدبية كالرسالة، والثقافة، والعصور والبلاغ، والسياسة الأسبوعية، وغيرها، فقد قرأ كل تلك المجلات الرائعة، وقابل أمير الشعراء أحمد شوقي ذات مرة، وعبر له الشعراوي عن إعجابه بشعره الإسلامي.

(د) مشاركته فيما كان يموج به مجتمع معهد الزقازيق الديني من زخم ثقافي، حيث كان من زملائه في هذا المعهد الأساتذة: محمد عبدالمنعم خفاجي، ومحمد فهمي عبداللطيف، وكامل أبوالعينين، وعبدالرحمن عثمان، وحسن جاد، وطاهر أبوفاشا، وكانوا قد كونوا جماعة أدبية عام ١٩٢٨م ترأسها الشيخ الشعراوي[3]. وكانوا يتبارون في حفظ روائع الشعر والنثر، وفي إلقاء الخطب والقصائد في

(١) سورة النبأ الآيتان ١٠، ١١.

(٢) سورة القصص ٧١، ٧٢، ٧٣.

(٣) دكتور محمد عبدالمنعم خفاجي «إمام الدعاة وحجة الإسلام» مجلة الأزهر جمادى الأولى سنة ١٤١٩هـ.

المناسبات الدينية والقومية المختلفة، ولا شك أن هذا الجو قد فتق مواهب الشيخ وملكاته وأعانه على أن يتمثل العربية تمثلا تاما.

(هـ) تدريسه البلاغة العربية حقبة من الزمن بمعهد طنطا الديني، ثم بمعهد الإسكندرية، ثم بمعهد طنطا مرة ثانية.

ولا شك أنه قد قرأ في هذه المرحلة التي مارس فيها تدريس البلاغة الكتب المؤلفة في إعجاز القرآن مثل: إعجاز القرآن للباقلاني، وأسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وكتابي الفخر الرازي: التفسير الكبير، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز.

وقراءته لمثل هذه الكتب قد أفادته دون شك، حيث أطلعته على آراء علمائنا الأقدمين في هذه القضية من ناحية، وأوقفته على طرائقهم في بحثها ودرسها من ناحية ثانية مما كان له أثره في معالجته لهذه القضية فيما بعد.

الشعراوي والإعجاز اللغوي للقرآن الكريم

يتكئ الشيخ الشعراوي في شرح آيات الذكر الحكيم، وبيان ما بها من إعجاز على اللغة العربية، فاللغة كما يقول الدكتور محمود الطناحي: هي: «مفتاح شخصية هذا الشيخ»، والذي يستمع إلى ما خلفه الشيخ من أحاديث، ويقرأ ما نشر بإشرافه ومراجعته من كتب يجده قد أفسح المجال -أثناء تفسيره- للتحليل اللغوي للألفاظ والعبارات القرآنية.

فعلى مستوى اللفظة المفردة

١- يرى الشيخ الشعراوي أن كل زيادة في بنية الكلمة في القرآن الكريم لا بد أن تتبعها زيادة في المعنى والدلالة، ويضرب الشيخ مثالا على ذلك بالفعل «سقى» الذي يتعدى لمفعولين فقد استخدمه القرآن الكريم في كثير من آياته مجردا من الزيادة فمن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾[٤]، واستخدمه في آيات أخر مزيدا بالهمزة في أوله هكذا «أسقى» ومن الأمثلة على ذلك قوله -جل شأنه-:

﴿ وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾[٥]

وربما ظن الإنسان لأول وهلة أن لا فرق بين معنى الفعل «سقى» ودلالته في آية سورة الإنسان، ومعنى الفعل «أسقى» ودلالته في آية سورة الجن، فكلاهما يدل على الحدث وهو السقي، وبناء الجملة في الآيتين يدل على أن الساقي واحد، وهو الله -عز وجل-، فالله -تعالى- يسقي المؤمنين في الجنة شرابا طهورا، وهو -سبحانه- كان سيسقي من يتحدث عنهم في الدنيا لو كانوا قد استقاموا على طريق الحق وشريعته.

هذا ما يدركه الإنسان حين يأخذ الأمور بالظاهر أما الشيخ الشعراوي فيلتفت إلى زيادة الدلالة في الفعل «أسقى» فيقول: «ونحن حين نأتي ونتابع القرآن الكريم نجد أن «سقى» تستخدم في الأمر الذي ليس فيه كلفة ولا علاج، و«أسقيناهم» في الأمر الذي فيه كلفة وعلاج هذا في أمور الدنيا «أسقيناهم ماء غدقا» أمر فيه كلفة.. فيه جهد، نحن أوجدنا لهم الماء، وجعلناه متوافرا لديهم بلا تعب ولا نصب، فهو موجود في البئر، ولكن لكي تتم السقيا يجب أن يذهب الإنسان إلى البئر ليشرب أو أن يحضر له إنسان آخر الماء.. إذن هنا في أسقيناهم رغم أن

---

(٤) سورة الإنسان آية ٢١.

(٥) سورة الجن آية ١٦.

الماء متوافر بقدرة الله - سبحانه - إلا أن عملية السقي فيها عمل من الإنسان أو جزء من العمل، فإذا أتينا إلى كلمة سقيناهم نجد الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وسقاهم ربهم شرابا طهورا﴾ هذا في الجنة بمجرد الخاطر إذا أحسست العطش وجدت الماء أمامك يصل إلى فمك»(٦).

٢- ويرى الشيخ أن كل كلمة من كلمات أي القرآن مستقرة في مكانها ثابتة تؤدي المعنى الذي اختيرت من أجله، وهيهات ثم هيهات أن تؤدي هذا المعنى كلمة أخرى يظن أنها ترادفها أو تساويها في المعنى.

ولقد بلغ الشيخ الشعراوي -هنا- الذروة العليا من الإبداع في فهم دلالات الألفاظ القرآنية، ونمثل لهذه الظاهرة عند الشيخ بمثال: في سورة يس وقف الشيخ عند قوله -تعالى-: ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية﴾(٧) وتساءل «لماذا قال الله أصحاب القرية ولم يقل أهل القرية؟»(٨)

يريد الشيخ أن يشعرك أولاً بأنه ربما فاهم أن أصحاب القرية المقصود بهم أهلها، وهذا تفسير وارد قال به كثيرون إلا أن الشيخ يرى أن أهل القرية -على الرغم من كفرهم و تكذيبهم الرسل- ليسوا هم المقصودين في الآية، وإنما المقصودون بقوله تعالى: «أصحاب القرية» هم حكامها وكبراؤها، وأصحاب المكانة والنفوذ والسلطان فيها؛ لأن هؤلاء هم الأصل، وهم الذين يصدون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجا، ومن ثم فكفر الآخرين من أهل القرية من البسطاء والضعفاء وتكذيبهم الرسل ليس صادرا عن ذاتية منهم، وإنما هم يصدرون في ذلك عن إعراض غيرهم ممن يرونهم أعلى منهم، وهم أصحاب الجاه والسلطان يقول الشيخ: «لماذا قال الله، أصحاب القرية، ولم يقل: أهل القرية؟ لأن الذين يقاومون رسالات السماء، ويحاربون الرسل هم أصحاب النفوذ والسلطان الذين أترفوا في الحياة الدنيا وأعطاهم الله الجاه والملك.. وفي غالب الأمر يكون باقي الناس تبعا لهؤلاء، إما خشية من نفوذهم وسلطانهم وإيذائهم، أو محاولة للتقرب منهم باعتبارهم الوسيلة المتاحة أو الظاهرة للحصول على نعم الدنيا.. ومن هنا جاء المثل الذي ضربه الله -سبحانه وتعالى- بلفظ أصحاب القرية على أساس أن هؤلاء هم الذين يكذبون الرسل ويؤذونهم ويحاولون بما آتاهم الله من نعمه أن يبارزوا الله بالمعاصي»(٩)

وعلى مستوى العبارات والتراكيب القرآنية يقف الشيخ طويلا أمام خواتيم الآيات القرآنية ليحللها تحليلا لغويا نقف معه على ما بها من إعجاز لغوي وبلاغي، ومن الأمثلة على ذلك وقوفه أمام قول الله -عز وجل-:

﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾(١٠). يقول الشيخ: «يقول بعض الناس إن العبارة غير متمشية، وإن سياق الكلام كان يقتضي أن يقول عيسى بن مريم: إنك أنت الغفور الرحيم، ونحن نقول: إن كل من يثير هذا الكلام لا يفهم إعجاز القرآن، فقول ابن مريم: إن تغفر لهم يحمل نفس المعنى في إنك

---

(٦) محمد متولي الشعراوي «معجزة القرآن» الجزء الأول، دار أخبار اليوم ١٩٧٩م.

(٧) سورة يس آية ١٣.

(٨) محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن «الجزء السادس» دار أخبار اليوم ١٩٨٤م.

(٩) المصدر السابق

(١٠) سورة المائدة ١١٨.

أنت الغفور، وإلا إن لم تكن غفورا فكيف تغفر؟.

ولكن قوله: ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ ما سبب وضع العزيز الحكيم هنا؟ هل الآية مختومة بما لا يتمشى مع العقل؟ الآية مختومة بعبارة من أبلغ ما يمكن، هنا في مطلب الغفران وهو يدعو الله أن يغفر لعباده فيقول له: وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم الذي لا يحاسبه أحد على ما يفعل فلا أحد سيأتي ليقول له: لماذا غفرت لهؤلاء الناس الذين عصوا؟ لأنك أنت العزيز الذي لا يحاسبه أحد.. وليس فوقه قوة.. فأنت يا ربي إن أردت أن تغفر لهم فهي مشيئة رحمتك.. فإنك قادر.. لماذا؟ لأنك أنت العزيز تستطيع أن تفعل ذلك دون أن يسألك أحد، الحكيم الذي يتم كل أمر منك بحكمة، وهكذا نرى أن هذه الكلمة وضعت بحكمة زيادة في الاستغفار..»(١١)

الشعراوي والإعجاز العلمي للقرآن

وينطلق الشيخ الشعراوي لمعالجة الإعجاز العلمي للقرآن الكريم من منطلق لغوي -أيضا- ذلك أنه يرى -وحقا ما رأى- أن القرآن الكريم لم يكن معجزة للعرب الذين عاصروا النبي -صلى الله عليه وسلم- وحدهم، وإنما هو معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة لها عطاءاتها المتجددة على مر العصور، وكل جيل من أجيال البشر منذ نزل القرآن على رسول الإسلام محمد -صلى الله عليه وسلم- يأخذ من القرآن على قدر فهمه، وعلى قدر ما بلغه من رقي معرفي، وتقدم حضاري وفي هذا يقول: «إن القرآن الكريم له عطاء متجدد، وهذا العطاء المتجدد هو استمرار لمعنى إعجاز القرآن، ولو أفرغ القرآن عطاءه كله أو إعجازه كله في عدد من السنوات، أو في قرن من الزمان لاستقبل القرون الأخرى دون إعجاز أو عطاء، وبذلك يكون قد جمد، والقرآن لا يجمد أبدا، وإنما يعطي كل جيل بقدر طاقته.»(١٢)

ويتساءل الشيخ: إذا كان القرآن الكريم يحمل كثيرا من الإشارات التي تدل على ما سيتكشف في المستقبل من نظريات العلم حسبما تدل على ذلك الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١٣) فلِمَ لم يفسر الرسول - صلى الله عليه وسلم - للصحابة هذه الآيات ويكشف لهم عنها؟

ويجيب: «لأن العقل في ساعة نزول القرآن لم يكن عنده الاستعداد العلمي ليفهم حقائق الكون، ولذلك أخذ منها قدر حجمه، وأعطاه القرآن ما يعجبه ويرضيه، ثم مرت السنوات أو القرون وظهرت حقائق علمية حديثة فتبين لنا أن عطاء القرآن فيها كان عطاء متجددا»(١٤).

وينبه الشيخ في هذا المجال على أمر ذي بال قلما يلتفت إليه العلماء الأجلاء الذين يخوضون في الحديث عن الإعجاز العلمي، وهذا الأمر هو أن القرآن الكريم ليس كتاب طب، ولا كتاب هندسة، ولا كتاب كيمياء، أو فيزياء، أو غير ذلك، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد، كتاب سماوي أنزله الله -تعالى- على نبيه - صلى الله عليه وسلم - لغاية وهدف، فغايته هداية البشر والأخذ بأيديهم إلى صراط الله العزيز الحميد، وهدفه صيانة الإنسان جسما وروحا بـ (افعل ولا تفعل) حتى يستطيع القيام بواجبه المنوط به، وهو خلافة الله في الأرض، وعلى

---

(١١) محمد متولي الشعراوي معجزة القرآن «الجزء الأول».

(١٢) المصدر السابق.

(١٣) فصلت/ ٥٣.

(١٤) محمد متولي الشعراوي: معجزة القرآن «الجزء الأول».

هذا فينبغي توخي الدقة والحذر عند إقامة جسور من العلاقات بين الآيات القرآنية - حين شرحها وتفسيرها- والنظريات العلمية الحديثة، وذلك لأن آيات الكتاب العزيز لها صفات الثبات والاستقرار والصدق، أما النظريات العلمية الحديثة فليست كذلك؛ لأن التقدم العلمي المذهل يقف بالإنسانية -كل يوم بل كل ساعة- على جديد لم تكن تعرفه من قبل، وربما عارض هذا الجديد كشفا علميا سابقا عليه، بل وربما نسخه وفى هذا يقول الشيخ: «ومن هنا فإن خطورة ربط القرآن الكريم بنظريات علمية كاذبة وما أكثرها، تجعل موقف المفسر فى حرج عندما يثبت كذب هذه النظرية.. فهو لا يستطيع أن يغير أو يبدل في كلام الله.. ومن هنا يجب أن نتروى، وأن ندرس بإمعان، وننتظر حتى تثبت الحقيقة العلمية ثبوت اليقين قبل أن نتحدث عن ربطها بالقرآن الكريم، ولا نأخذ حديثا براقا يكون مجرد فرض، وليس نظرية علمية ونسرع ونربطه بكلام الله.. وحينئذ نكون قد ارتكبنا خطأ كبيرا فى حق القرآن عندما يثبت كذب هذا الافتراض»[15].

ويتخذ الشعراوى من الآيات القرآنية التى تشير إلى حقائق علمية مما ظهر فى هذا القرآن، يتخذ منها دليلا على حجية القرآن، وعلى أنه من عند الله -تعالى- خالق الكون بما فيه من عوالم علوية وسفلية، وخالق الإنسان ومكونه ومصوره، كما يتخذ منها حجة على أهل الإلحاد والشرك والزيغ الذين اغتروا بعلومهم، وما وصلوا إليه من تقدم مادى باعد بينهم وبين عالم الروح، حتى ادعوا كذبا وزورا: أن عصر الإيمان قد انتهى، وأن عصر العلم قد بدأ. يقول الشعراوى: «إن آيات الكون الكبرى التى أنبأنا الله بها فى القرآن الكريم والتى نعرف بعضها، وبعضها لا نعرفه معرفة اليقين حتى الآن أرادنا الله -سبحانه وتعالى- أن نفحم بها أولئك الذين يقولون: انتهى عصر الإيمان وبدأ عصر العلم وأن يقول لنا: إن العلم الذى يحاول بعض المضلين أن يتخذوه إلها جديدا هو من علمي ومن خلقى فلا تعبدوا المخلوق، وتتركوا الخالق»[16].

وانطلاقا من إيمانه بأن القرآن كتاب الله المسطور، وأن الكون كتاب الله المنظور، فإنه يرى أنه لا يمكن أبدا أن تتعارض حقيقة كونية كبرى مع آية قرآنية شريفة، لأن خالق الكون هو صاحب الكتاب، وصاحب الكتاب هو خالق الكون - سبحانه - قد أحاط بكل شىء علما، وأحصى كل شىء عددا.

ويرجع الشيخ ما يبدو للمستشرقين، وأهل الزيغ والإلحاد، وبعض محدودى الأفق من علماء الدين من تناقض آيات الكتاب العزيز مع قوانين الكون ونواميسه وحقائقه -أقول: يرجعه إلى سوء فهم هؤلاء، وأولئك جميعا وسوء تفسيرهم لتلك الآيات القرآنية، وإلى جهلهم بطرائق التعبير القرآنى والأداء اللغوى فى العربية.

الشعراوى وأنباء القرآن بالغيب

وبادئ ذى بدء، نلاحظ أن الشيخ قد استعاض عن هذا المصطلح الذى تعارف عليه الدارسون من القدماء، والمحدثين على حد سواء، وهو مصطلح الإخبار أو الإنباء بالغيب، واستبدل به مصطلحا آخر أتى به من عنده، وهو تمزيق حواجز الغيب.

وهو يقسم حواجز الغيب التى مزقها القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحاجز الذى مرده إلى أمور

---

(15) المصدر السابق.

(16) المصدر السابق.

تحدث في نفس اللحظة التي أعيش فيها لكني لا أعرفها، لأنها تحدث في مكان آخر غير المكان الذي أوجد فيه ويطلق على هذا الحاجز اسم حاجز المكان.

القسم الثاني: الحاجز الذي مرده إلى أمور حدثت في الماضي قبل أن أوجد ويطلق على هذا الحاجز اسم حاجز الزمن الماضي.

القسم الثالث: الحاجز الذي مرده إلى أمور ستحدث في المستقبل، ويطلق على هذا الحاجز اسم حاجز المستقبل.

ثم أضاف إلى هذه الأقسام الثلاثة قسما رابعا أطلق عليه حاجز النفس البشرية، وشرح مقصوده منه بأنه «ما يخفيه الإنسان داخل نفسه»(١٧).

هذا على مستوى الشرح النظري، فلما أراد التطبيق على شواهد من القرآن قام الشيخ الجليل -كما لاحظ الدكتور حسين نصار- بدمج الحاجز الرابع في الحاجز الأول وجعلهما حاجزا واحدا فصار حاجز المكان هو حاجز النفس البشرية(١٨)، استمع إليه وهو يقول: «ثم جاء الأمر الثاني.. فمزق الله حجاب المكان لمحمد -عليه الصلاة والسلام-.. وجاء في أمر من أدق الأمور وهو حديث النفس»(١٩).

على أية حال فقد دلل الشيخ الشعراوي على تمزيق القرآن لحاجز الزمن الماضي بما ورد في قصص الأنبياء السابقين مع أقوالهم، تلك القصص التي لم يكن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يعلم عنها شيئا من سير الأولين(٢٠).

ودلل على تمزيق القرآن الكريم لحاجز الزمن المستقبل بقوله -تعالى-: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾(٢١) وبقوله -تعالى-: ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾(٢٢)، وبالآيات الأولى من سورة الروم وهو قوله -تعالى-:

﴿ الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(٢٣).

ودلل على تمزيق القرآن لحاجز النفس البشرية بما حكاه المولى -عز وجل- عما تريد في صدور المنافقين من تمني وقوع العذاب بهم في قوله -جل شأنه-:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٢٤).

---

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) دكتور حسين نصار «الإنباء بالغيب في كتب الإعجاز القرآني» الهيئة العامة للكتاب.

(١٩) محمد متولي الشعراوي، معجزة القرآن، الجزء الأول ص١٠١.

(٢٠) المصدر السابق ص١٠٣، ١٠٤.

(٢١) سورة القمر: آية رقم ٤٥.

(٢٢) سورة القلم: آية رقم ١٦.

(٢٣) سورة الروم: الآيات ١-٥، ويراجع معجزة القرآن.

(٢٤) سورة المجادلة: آية رقم ٨ ويراجع معجزة القرآن، الجزء الأول.

حسان بن ثابت
شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الأسلوب: هو وسيلة التعبير عن مكنون الفؤاد والوجدان، بما لا يشترك فيه اثنان، فينم عن قسمات الشخصية، كما تنم عنها الملامح والقضون.

أما محاكاة أسلوب الآخرين، فهي ضرب من إلغاء الشخصية، إذ يلجيء إلى التقليد والاجترار، واصطناع قناع كثيف، يعوق عملية الإبداع والاختراع، بنداء حر، وتلقائية مواتية.. وبكلمة واحدة، فإن الأسلوب هو الذوق الخاص للمنشيء، كما عرفه حسين المرصفي في (الوسيلة الأدبية).. وهذا التعريف أشد ما يكون انطباقا على شاعرية حسان بن ثابت، التي ميزته عن غيره، في عملية الخلق الفني، فأصبحت له شخصيته المستقلة، وسمته الخاص، وبديهته الحاضرة، التي تساعده على الارتجال، عند الاقتضاء..

ونستطيع أن نتبيَّن ذلك، بجلاء، ووضوح، فيما يرْويه العلاَّمة عبدالله بن سعد، كاتب الواقدي، في كتابه: (الطبقات الكبرى[1])، من أن (خُزاعيا) خرج إلى قومه، فوجدهم غير ما ظنَّ، فأقام، فدعا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حسان بن ثابت، فقال: ـ اذكر خزاعيا، ولا تَهْجه. فقال حسان:

الا ابلغْ خزاعيًا رسولا
بان الذمّ يغسله الوفاءُ

وأنك خير (عثمان بن عمرو)
وأسناها، إذا ذُكر السناء

وبايعْتَ الرسولَ وكان خيرا
إلى خير، وأداك الثراء

قال: ـ فقام خُزاعي، فقال:- يا قوم، قد خصكم شاعر الرجل (يعني بالرجل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ)، فأنشدكم الله قالوا:- فإنا لا ننبوا عليك، قال:- وأسلموا، وتوافدوا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

---

(١) طبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٣٥٨ هـ ج٣ ص٣٧.

ترجمة حياته:

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري النجاري، من قبيلة الخزرج التي استقرت بالمدينة، وبنو النجار هم أخوال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد نشأ حسان في الجاهلية، وكان أبوه وجده شاعرين، إلا أنه برّهما في قول الشعر، حينما شهد بعض وقائع الأوس والخزرج، وتأثر بالأعشى والنابغة والحطيئة، في مدائحهم وحصولهم على المنح والعطايا.. فاتّبع نهجهم، قبل إسلامه، ومدح ملوك الغساسنة وأمراءهم، في الشام، بعد اتصاله بهم في جلّق (دمشق) وغيرها، وحصل على جوائزهم.

واستمر ينشد شعره في الأغراض المختلفة، في الجاهلية، حتى سنّ الستين، وحينما هاجر النبي - صلى الله عليه وسلم - من مكة إلى المدينة، سارع حسّان إلى الدخول في دين الله، ليُصبح بعد ذلك، لسانَ صدق في تأييد الإسلام وتدعيمه في النفوس، والدفاع عنه، بشعره، دفاعاً مجيداً بليغاً، الأمر الذي جعله في الذروة العليا بين شعراء الدعوة المحمدية، حتى أطلق عليه بحق، لقب: (شاعر الرسول) - صلى الله عليه وسلم - وقد أصلى القرشيين وشعراءهم هجاء مرًا شديداً، كان أشد عليهم من وقع النبل، بعد أن دله الصديقُ أبوبكر - رضي الله عنه - على ما لهم من مثالب، لأنه - رضي الله عنه - كان عالما بأنسابهم وأخبارهم.

وقد أدرك حسان بن ثابت مشرق الأنوار المحمدية، منذ نعومة أظافره، إذ يذكر ابن إسحاق، في (السيرة النبوية)[2] لابن هشام، قول حسان بن ثابت: «والله إني لغلام يفَعة[3]، ابن سبع أوثمان، أعقل كل ما سمعتُ، إذ سمعت يهودياً يصرخ بأعلى صوته، على أطمة[4] بيثرب: - يا معشر يهود، يا معشر يهود.. حتى إذا اجتمعوا إليه، قالوا له: - ويْلك مالك؟!

قال: طلع الليلة نجمُ أحمد، الذي وُلد به.

وقد عمر حسان طويلاً، إلى ما يقرب من مائة وعشرين عاماً من العمر، نصفها في الجاهلية، ونصفها الآخر في الإسلام، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤هـ.

شاعريته:

تخلص شعره بعد إسلامه، من خشونة الألفاظ الحوشية الغريبة، التي كانت تغلب على غالبية الشعر الجاهلي، بصفة عامة، وذلك لتأثر حسان ببلاغة القرآن الكريم، -التي سَجَدَ لها فصحاءُ العرب - وبحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، الذي يفيض بالحكمة والبيان والتبيين، كما نتبين مدى هذا التأثر، في قول حسان بن ثابت، مفتخراً:

لساني وسيفي صارمان، كلاهما..
ويبلغ، مالا يبلغ السيف - مذْودي[5]
وإنْ اكُ ذا مال كثير.. أجُدْ به
وإنْ يهتصر عودي، على الجهد، يُحمد

---

(٢) تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م ج١ ص١٥٩.

(٣) اليفعة (بفتحتين): الغلام القوي، الطويل القامة.

(٤) الأطمة: الحصن.

(٥) المذود: اللسان.

فلا مال ينسيني حيائي وعفتي
ولا واقعاتُ الدهر يفللْن مبردي
وإني لمُعْطٍ مـا وجـدتُ، وقـائل
لِموقـدِ، ناري، ليلة الريح، أوْقِـدِ

وقوله:

أصون عرضي بمالي، لا أدنّسه
لا بارك الله، بعد العرض، في المال
احتال للمال - إنْ أوْدَى - فاكسبه
ولست للعرض - إنْ أوْدَى - بمُحْتال

وما أبلغ قوله، في بيته الرائع المتفرد، من قصيدة أخرى، يقول فيه، مُجْمِلاً وصْفَه ومديحَه للمصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

ما إن مدحت (محمداً) بمقالتي
لكن مـدحت مـقـالتي بمحمـد

وهذه فَلْتة شعورية صادقة، تُظْهِر بجلاء ووضوح، مدى تغلغل حب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سويداء قلب حسان.. وعلى ضوء هذا البيت، المفعم بالوجد والحرارة، نستطيع أن نتفهَّم سائر شعره، في الرسالة، والرسول - صلى الله عليه وسلم ـ .

ومن ذلك، قوله في مدح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والإزْراء بأبي سفيان، قبل إسلامه، يومَ فتح مكة:

ألا أبْلِغْ أبا سـفـيـان عني
فـأنت مـجـوفٌ نَخِبٌ هواءُ
بأن سـيـوفنا تركـتك عـبـداً
وعـبـد الدار سـادتهـا الإمـاء
هَجَوْتَ مـحـمـداً، فـأجبتُ عنه
وعـنـد الـلـه في ذاك الجـزاء
أتهـجـوه ولست له بكفء
فشـركـمـا لخـيـركـمـا الفداء
.. هجوت مبـاركاً، بَرًّا، حنيفـا
أمين الله، شـيـمـتـه الوفـاء
فـمنْ يهـجـو رسـول الله منكم
ويمـدحـه، وينصـره.. سـواء
فـإنّ أبي، ووالده، وعـرضي
لعـرض مـحـمـد منكم وقـاء

×××

ويروي ابن هشام في (السيرة النبوية)[٦] قصةً تَستدْرِي الدموعَ من أقسى المآقي، عن موقف كريم فذ، لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما وَجَدَ الأنصار، لحرمانهم، ذات مرة، من بعض العطايا.. وكان ذلك لحكمة نبوية خَفِيتْ عليهم.. ونستطيع أن نتبينها، فيما رواه أبوسعيد الخدري، بقوله: ـ لما أعطى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أعطى من تلك العطايا، في قريش، وفي قبائل العرب - ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدَ الأنصارُ، في هذا الحي، في أنفسهم.. حتى كثرتْ منهم القَالَةُ، حتى قال قائلهم: ـ لقد لقي والله رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قومَه، فدخل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سعد بن عُبادة، فقال: ـ يا رسول الله، إن هذا الحي من الأنصار قد وَجَدوا عليك في أنفسهم، لما صَنَعْتَ في هذا الفيْء، الذي أصبْتَ، قسمتَ في قومك، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء.. قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ: فأين أنت من هذا يا سعد؟

(٦) جـ ٤ ص ١٩٨ ـ ١٩٩.

قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي..

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : فاجْمع لي قومك في هذه الحظيرة.

قال الخدري: ـ فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، قال: ـ فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم، فدخلوا.. وجاء آخرون، فردهم.

فلما اجتمعوا له، أتاه سعد، فقال: ـ قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار. فأتاهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا معشر الأنصار، ما قالةٌ بلغتني عنكم، وجِدةٌ وجدْتموها في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم.. قالوا: ـ بلى، والله ورسوله أمَنّ وأفضل.

ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم : ـ ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟

قالوا: ـ بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ولرسوله المنّ والفضل.

قال ـ صلى الله عليه وسلم: ـ أما والله لو شئتم لقلتم، فلصدقْتم ولصُدِّقْتُمْ: ـ أتيْتنا مكذّبا فصدقْناك، ومخذولا فنصرناك، وطريدا فآويْناك، وعائلا فآسيْناك.. أوجدْتم يا معشر الأنصار لُعاعة[7] من الدنيا ، تألفت بها قوما ليُسْلموا، ووكلتكم إلى إسْلامكم.. ألا ترضون، يا معشر الأنصار، أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار.. ولو سلك الناس شعبا[8]، لسلكت شعب الأنصار.. اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار..

قال الخدري: ـ فبكى القومُ حتى أخضلوا لحاهم[9] وقالوا: رضينا برسول الله قسْماً وحظاً[10].

ثم انصرف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتفرّقوا..

وفيما تقدم، يقول حسان بن ثابت:

قومي همُ آووْا نبيهمو
وصدّقوه، وأهل الأرض كُفّارُ
أهلا وسهلا، ففي أمْن وفي سَعة
نعم النبي، ونعم القسْمُ والجار

ومما يرويه ابن هشام –أيضا– في (السيرة النبوية) عن ابن إسحق، أن أُبي بن خلف، كان يلْقى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول إن عندي (العوذ) فرَسا.. أعْلفُه كلّ يوم فرْقا من ذرة، أقتلك عليه..

فيقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : بل أنا أقتلك إن شاء الله.. فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه (أي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في المبارزة) في عنقه خدْشا غير كبير، فاحتقن الدم، قال: ـ قتلني محمد!

قالوا له: ذهب والله فؤادك! والله إنْ ما بك من بأس..

قال: إنه كان قال لي بمكة: أنا أقْتلك، فوالله لو بصق، عليّ لقتلني.. فمات عدوُّ الله بسرف[11]، وهم قافلون به إلى مكة.

وفي هذه الواقعة، يقول حسان بن ثابت

---

(٧) اللعاعة: بقلة خضراء ناعمة، شبه بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدنيا ونعيمها.

(٨) الشعْب: الطريق بين جبلين.

(٩) أخْضلوا لحاهم: بلّوها بالدموع.

(١٠) القسْمُ: الحظ والنصيب.

(١١) سرف: اسم موضع قرب مكة المكرمة.

لقـد ورثْ الضـلالة عن أبيـه
أُبىٌّ.. يوم بـارزه الرسـول
أتيت إليـه تحـمل رمّ عظم
وتوعـده، وأنت به جهـول
فـقـد لاقـتك طعنة ذى حـفـاظ
كـريم البـيت، ليس بذى فـجـور
له فـضل على الأحـيـاء طُرّا
إذا نابتْ مُلمّـات الأمـور

×××

ويختتم ابن هشام (السيرة النبوية) فى الجزء الرابع والأخيـر، بأربع قـصـائد من ذوْب قلب حسان بن ثابت، وتباريحه، فى رثاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، تصوّر مدى فجيعته والتياعه، إذ يقول:

بطيبـة رسْمٌ للرسـول ومـعـهـد
مُنيرٌ، وقد تعفو الرسومُ وتهمد
ولا تمتحى[١٢] الآيات من دار حرمة
بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى مـعـالم
وربع له فيـه مصلىً ومسجـد
بها حـجرات كان ينزل وسْطها
من الله نورٌ يُستـضـاءُ ويوقد

إلى أن يقول مُستعْبرا:

ظللت بها أبكى الرسول، فأسعدتْ
عيونٌ ومثلاها من الجفن تُسْعد
يذكـرْن آلاءَ الرسـول، ومـا أرى
لها مُحْصياً نفسى فنفسى تبلد

ثم يذكر حال المسلمين بعد فراق رسولهم ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيقول:

وراحوا بحزن ليس فيـهم نبيُّهم
وقد وَهَنتْ منهم ظهورٌ وأعْضُدُ
وهل عَـدلَتْ يومـا رزيّة هالك
رزيّةَ يومِ مـات فـيـه مـحـمـد؟
تقطّعَ فيـه منزلُ الوحى عنهمو
وقـد كـان ذا نور يغـور ويُنْجِـدُ
ومـا فـقـد الماضون مـثل مـحـمـدٍ
ولا مثله، حـتى القيـامـة.. يُفقـد

ثم يقول فى المرثية الثانية، بوجد مُذيب:

بأبى وأمى مَنْ شـهـدت وفـاته
فى يوم الاثْنين النبى المهـتـدى
فظللْتُ بعـد وفـاته مـتـبلدا
مـتلدّدا.. يا ليـتـنى لم أولد

ويقول فى الدالية الثالثة:

تا الله ما حَملتْ أنثى ولا وضَعتْ
مثل الرسول.. نبى الأمة الهادى
يا أفضل الناس، إنى كنت فى نَهَر
أصبَحْتُ منه.. كمثل المفرد الصادى[١٣]

ونلاحظ أن ابن هشام لم يُثْبت أيّة مرثية أخرى، فى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، لشاعر آخر، غير حسان بن ثابت، على كثرة الراثين، وهذا يدل على إدراك ابن هشام لتفوّق حسان بن ثابت، ومنزلته الرفيعة التى احتلّها شاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى قلوب المسلمين الأوائل، والتى استمرت، عبر القرون -أيضا- فى أفئدة المسلمين الأواخر، حتى يومنا هذا.. فقد كان بحق: واسطة العِقْد، فى الشعر الإسلامى الرصين.

وسلام عليه فى الخالدين

وبالله التوفيق.

---

(١٢) تمتحى: تزول.

(١٣) الصادى: الظامئ.

خميلة الشعر

للأستاذ :

محمد عبد الوهاب

تتوجه خميلة الشعر إلى كل المسلمين فى كل بقاع الأرض بالتهنئة بمناسبة بدء العام الهجرى الجديد.. تلك المناسبة العزيزة، التى تحمل ذكرى هجرة نبينا الكريم محمد، صلى الله عليه وسلم، بعد ثلاث عشرة سنة طوال، يعرض هدى الله على الكفار، وهم يعرضون ويكذبون بل ويحاولون قتله، بعد أن أعجزهم أمره، فكان مثله مثل من يعرض الجواهر الثمينة على أناس، لا يرون الجواهر إلا فى الزجاج، فإن كان لها بريق فى ذاتها، فليس لها فى ذواتهم قيمة. لقد أصيب -صلى الله عليه وسلم- باليتم كبيرا من قومه، كما أصيب به صغيرا من أبويه.

ثلاث عشرة سنة، يعرض الهدى، فيميلون للضلالة، والنبى لا ييأس ولا يمل، ويحتسب معاناته وعذابه عند ربه، ذلك أنه، صلى الله عليه وسلم، كان يؤسس أمة عظمى، أراد الله سبحانه أن تقوم، لتكون للدنيا كلها فجر الحضارة، ولترسم الطريق القويم للاتصال بالسماء، وتكون العبادة الحقة لله الواحد، بلا شرك به - سبحانه - وبلا وساطة كهنوتية بين المخلوق وخالقه.

كان لابد للرسول الكريم والقائد الحكيم من أن يغير موقعه فى معركته الإيمانية ضد قوى الكفر والضلال، فأمره ربه بالهجرة المباركة، ليبدأ رحلته الميمونة إلى غايته النبيلة، لتنشأ فى المدينة المنورة، قاعدة إيمانية وضيئة، ترسل أشعة الهدى للدنيا بأسرها، لتحيل ليل الكون المظلم بالجهالات إلى نهار دائم بالهداية والرحمة ودين الحق.

وخميلة الشعر فى هذا العدد تقدم لقراء الأزهر، باقة شعر ندية، نستهلها بقصيدة بعنوان: (الهجرة) للشاعر الوجدانى الأستاذ محمد على جمعة الشايب بعدها نقدم قصيدة: (من وحى الهجرة) للشاعر المهندس عبد العاطى موسى عبد العاطى، وبعدها نقدم قصيدة: (سرت نحوك الركبان) الشاعر من العريش نقدمه فى الخميلة لأول مرة، هو الشاعر محمد عايش عبيد ثم نقدم قصيدة بعنوان: (هو الله) للشاعر الكبير الصديق الأستاذ أحمد عبد الهادى، ونختتم جولتنا المباركة بقصيدة بعنوان: (مسافر فى الزمان) الصديق الخميلة شاعر دمياط الأستاذ/ السيد صديق حافظ كل عام وأمتنا الاسلامية فى عزة وسؤدد ورخاء والله ولى التوفيق.

الهجرة

للأستاذ محمد على جمعه الشايب

أمَا تأملتَ نهْراً ضاقَ منْبَعُه ** وقيَّدَ الصَّخْرُ ظُلْماً ماءَه الجارى

فشقَّ بين ضلوعِ الصَّخْرِ مجْتهِداً ** للماءِ مجرىً وسوَّاهُ بأظفار

حتى جرى الماءُ فيه سلْسَلاً غرداً ** والموجُ غنَّى على ألحانِ أوْتار

فالشاطئانِ زهورٌ ريحُها عبِقٌ ** والنَّهرُ بينهما ضافٍ بأنوار

والشمسُ من بِشْرِها تسعى تقبِّلُه ** فيكشفُ الحبُّ عن مكنونِ أسْرار

والماءُ يجرى خلالَ الأرضِ يوقظها ** فيضحكُ الزرعُ فيها بعدَ إقفار

سيطعم الجوعَ، والعريانَ يلبسُه ** ماعاد يخشى فقيرٌ ذلَّ إعسار

لو لم يغادرْ رُضابُ النهرِ موطنه ** مهاجراً لانطوى فى قلبِ أحجار

لكنه سارَ يحيى ميتاً وجرى ** فى الأرض روحاً وريحاناً بتسيار

والجدبُ راحَ يلبِّى وحىَ دعوته ** ويغسلُ الرمْلَ منْ آثام فُجّار

فعن يمينٍ ترى الأشجارَ باسقةً ** وعن شمالٍ ترى عنقودَ أثمار

وليلُها الحالكُ الحيرانُ فى ظُلَمٍ ** أضحى يسبِّح فيه ضوءُ أقمار

كأنّ الظلام بلا عينٍ يسيرُ بها ** وكمْ تصادمَ أحجارٌ بأحجار

وكم تنفَّست «الغبراءُ»(١) ناقمةً ** على الفناء سرى فى زهْرِ أعمار

«وداحسٌ»(٢) فى يبابِ البيدِ مكتئبٌ ** له صهيلٌ خلا منْ عزِّ إكبار

(١) ، (٢) فرسان قامت من أجلهما حرب طويلة فى الجاهلية

«والراسيات»[٣] بكتْ إذ قد رأت حُفراً •• وأرى الصَّغيراتِ فيها كفُّ حفَّار
أبٌ لــهــنَّ وافٍ مِــنْ أبُــوّتِــه •• فما سمعْنا بها فى الكاسرِ الضّارى
وفى الزَّاحفِ لم نسمعْ بهــا أبدا •• ومــاسـمـعنا بها فى ذاتِ منْقار
هُنَّ البرينَاتُ.. هُنَّ الطُهرُ مافُتِحَتْ •• لــه صــحــائفُ زلاَّتٍ وأوْزار

•••

وســار نهــرُ الهــدى والأمْنُ ظللَه •• بسابغ الظلِّ لايخشَى سوى البارى
اللّيلُ ثوبٌ له قــد ضــمَّــه حَدباً •• أوصى به النجمَ يَهْدِى خطوَه السّارى
والشمسُ تخفضُ مِنْ أنفاسِ جمرَتِها •• فـهى النّسيمُ بدفءٍ غــيرُ ضـرّار
ومنْ تكنْ فى ســبـيـلِ الله خطوتُه •• فــالأسْــدُ تنْسى لديه نابَ غـدّار
طالَ الطريقُ به والشــوقُ قــائدُه •• لمنْ يرى فــيــهــمــو إيمانَ أنْصار
حتى استقرَّ بوادى الخصب فانطلقتْ •• له الأناشــيــدُ تسْبى شدْوَ أطْيار
«طلعَتْ بدْراً» على الآفــاقِ تمنحُــهــا •• نورَ البــصــائر يَهْدى نورَ أبصار
أزَحتْ مــاخلّفـتْــه أعْــصُــرٌ سلفتْ •• ببــســمــةِ الحبِّ لاتدميـر إعصار
فجَمَّعَ الناسَ أحبــابــاً وقد عرفوا •• عــمقَ المحــبــة أهْدتْ خيرَ إيثار
والخصمُ يسعى إلى منْ كان خاصمه •• إنّا حــبــيــبــان فى الإسلام والدار
(والأوسُ والخَزرج) انجابت عداوتهم •• مــثل الغــمــام طوتْه شمسُ آذار
نعم المهــاجــرُ لا يأســاً ولا خَــوراً •• لكنهــا قــوةٌ من صدقِ إصـرار

---

(٣) الجبال.

من وحي الهجرة

للشاعر/ عبدالعاطى موسى عبدالعاطى

يامن خرجتَ من الديار مُهاجِرا .. تشكو إلى الرحمن لوعَةَ ماجَرى
فالمشركون عَمتْ صحافُ قلوبهم .. كُلٌّ يجيئك ساخراً ومُكابرا
كادوا وكيف لهم مساءَ تربصوا .. بالباب ضَمَّ وراءه خيرَ الورى
خرج الرسولُ عليهمُ وكأنهم .. أعجازُ نخلٍ لاتحس ولاترى
وحبيبُه الصدِّيقُ يسرع فى الخطى .. مَنْ عاش عُمْرَه صادقاً ومؤازرا
وإذا هُما بالغار أوْجَسَ خيفةً .. يخشى على خير الورى مُستَعْبِرا
نظرَ الرسولُ إليه نظرةَ واثقٍ .. ومضى يُهدِّئُ رَوْعَهُ مُستبشرا
فالعنكبوتُ هفا «لأحمد» عُشُّهُ .. وكذا الحَمامُ رأى سراجاً نيِّرا
فنجوتَ من أهلِ الضلالِ وشَرَّفتْ .. قدماك «يثرب» صابراً ومُثابرا
خرجوا إليكَ بلهفةٍ وتشوقٍ .. والكل جاءك هاتفاً ومُكبِّرا
لتقيمَ بالإسلام أعظمَ قوةٍ .. للحقِّ هافيةً إلى «أمِّ القرى»
فإذا الجميعُ تعاطفٌ وتراحُمٌ .. وشمائلُ الإيثار تسمو للذُّرا
وفتحت مكةَ وهْيَ حلمٌ طفولةٍ .. وعفوْتَ... إنك خيرُ من وطئ الثرى
أرسلت رُسْلَكَ للبلاد مشاعلاً .. لتقيمَ من أجْلِ الجهادِ منابرا
يامَنْ نهجتَ من الخصالِ جَميلَها .. وهَجَرْتَ مايُزْدى النفوسَ ويُزْدرى
وسلكتَ دربَ الحقِّ بين قبابِها .. وملكت قلباً تائباً مستغفرا
عشتَ الحياةَ جَميلَها ومريرها .. ترعى الفضيلة والفريضة صابرا
وتجوب محرابَ القناعةِ راضياً .. وتضم قلباً بالجوانح شاكرا
ترعى حقوق الجار تؤثرُ حبَّهُ .. وتعيش تسعدُ بالعطاء وبالقِرَى
وتسير بين أحبةٍ وعشيرةٍ .. عفُّ اللسانِ فكان دوماً ذاكرا

سرت نحوك الركبان

للأستاذ / محمد عايش عبيد

أحن إلى أرض الحجاز لكى أرى .. رباها ماترنوا إليه العوالم

هنالك فيها البيت بيت لربنا .. على الأرض إذ يأتى إليه الأكارم

بناه الملائكة الكرام ولم يكن .. على الأرض بيت قبله ثم قائم

بنَوه ليبقى قبلة ومثابة .. وأمنًا لكل الناس مذ جاء آدم

ألا أيها البيت العتيق تحيةً .. من القلب تسرى، والخواطرُ حوّمُ

سرت نحوك الركبان تهفو قلوبهم .. بحبٍ يفوق الوصف فالحب عارم

أيا خير أبنية الوجود فإننى .. أحُج بقلبى كل عام.. أداوم

أحج بقلبى دون جسمى ورؤيتى .. أطوف وأسعى ثمّ والكون نائم

•••

أنادى إله العرش، لبيك إننى .. مليء بأثقال، وإنك راحم

هنالك فى عرفات، فى خير تربة .. فكم حلّ فيها تائب ثم نادم

على جبل الرحمات أضرع داعيا .. فنعم بقاع الأرض نعم المعالم

فكم جاءها الحجاج من كل بقعة .. يريدون غسل الذنب، والله عالم

وربك غفار يجود بعفوه .. بمنّ بما يرجوه عبدٌ مُسالم

أيا فرحة الحجاج، فاضوا إلى منى .. ويرمون بالجمرات فالرمى دائم

طافوا ببيت الله مثل قدومهم .. إلى الأهل عاد الكل والعود لازم

هو الله

شعر/ السيد الصديق حافظ

طوى الدهرُ صفحةَ عامٍ غبر .. فأمسى حديثًا لمن يذكر!

يمرُّ الزمانُ وأحداثُه .. مرورَ الرؤى وتوالى الصُّوَرْ!

نهارٌ يكرُّ وليلٌ يفرُّ .. وبينهما يتلاشى العُمُر!

فهذا الهلالُ الذى نجتليه .. منْجلُ حصْدٍ يجذُّ العُمُرْ!

بَلى! إنه القوسُ نُرمى بها .. ومن شدةِ النزْعِ يخفى الوترْ!

•••

لئنْ مرَّ عامٌ عميقُ الأثرْ .. فقد حلَّ عامٌ عظيمُ الخطرْ!

ولايعلمُ القومُ ماذا به .. وماذا يخبِّئ فيه القدرْ!

وكلٌ إلى ربِّه صائرٌ .. إذا ما أتى الموعدُ المنتظرْ!

ولله فى خلقِه حكمةٌ .. له الحكم فيما قضَى أو أمرْ!

•••

تعاليت ياربُّ فوق الزمانِ وفوق المكان وفوق البشرْ!

خلقْتَ الزمانَ وقدَّرتَه .. وصُغْتَ الوجودَ لأمرٍ قُدِرْ!

إذا الدينُ والعلمُ قاما على .. شئون الحياةِ خلَتْ من كدرْ!

فما الدينُ إلا سبيلُ الهُدى .. وما العلمُ إلا ضياءُ سَفَرْ!

وما اصطدما قطُّ فى موقفٍ .. فهذا الحديثُ وهذى السُّوَرْ!

ومَنْ كذَّبوا اللهَ فى كتْبِه .. فهم فى ضلالٍ وهُمْ فى سُعُرْ!

•••

حنانيْكَ ربى زمانى مَضَى .. وبُستانُ عُمْرى رديءُ الثَّمَرْ!

إذا جاءك الناسُ يوم الحساب .. بأعمالِ خيرٍ وجئتُ بشرْ!

فلا ضاقَ عفوك عنْ مذْنبٍ .. يَعضُّ البنانَ على ما بَدَرْ!

تعالى عُلاكَ! فمن لى سواكَ؟! .. وهل منكَ إلاّ إليك المفرّ؟!

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

أثر الهجرة

لفضيلة الأستاذ الشيخ/ السيد شريف

إعداد وتقديم الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فكلما أهل هلال شهر المحرم، تذكر المسلمون بالإعجاب والإكبار حادث الهجرة المباركة، هجرة النبى الكريم - صلوات الله وتسليماته عليه - هو وصحبه الأطهار من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر دينه، ضاربين بهذه الهجرة أروع المثل فى التضحية والفداء والاستهانة بمفارقة الوطن والأهل والأموال فى سبيل حماية العقيدة، والثبات على المبدأ الحق. لقد كانت الهجرة حداً فاصلا فرقت بين الحق والباطل، وفصلت بين الهدى والضلال، وباعدت بين الإيمان وعبادة الأوثان، شع بها نور الإسلام فى أجواء شبه الجزيرة العربية، ثم نفذ إلى ما حولها، وإلى ما وراء ذلك من أقطار الأرض. فكل خير أصابه المسلمون منذ انتقلت الدعوة الإسلامية إلى المدينة المنورة، وكل عزة أدركوها على مر الدهور والأعصار إنما كان ثمرة طيبة لهذه الهجرة المباركة.

إن حدث الهجرة يضع أمام المسلمين، بل أمام الدنيا كلها والعالم أجمع صوراً حية، ومثلا عليا للبطولة الحقة والتضحية المثالية النادرة فى تحقيق الأهداف السامية والأغراض الإنسانية الفاضلة - إنها حقا - لمن أهم أحداث التاريخ الإسلامى التى يجدر بنا أن نقف طويلا عندها، ونحلل كل جانب من جوانبها ونستضئ فى حياتنا وفكرنا بما أوحت به من مبادئ ومثل، وما بثته من قيم تقوم على أساسها خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

قال الكاتب - رحمه الله - :

إن هلال المحرم ليذكرنا بهذا الحادث الذى قام فيه الصراع بين قوم تغلغلت فى نفوسهم الجهالة، وتمكنت منهم الضلالة، ورجل من أشرف بيوتهم نسباً، وأكرمها محتداً، نشأ بينهم فقيراً، وتربى يتيما.

فلما بلغ أشده واستوى، قام يسفه آلهتهم، ويحقر عقائدهم، وقد اعتزل عبادتهم فى فتوته، وهجر ناديهم فى صبوته واتجه بنفسه إلى نوع من العبادة والتدين ندَّ عن فهمهم واستعصى

على إدراكهم، حينما فاجأهم بصوت الواثق مما يقول، المطمئن إلى ما يعتقد، ياقوم: إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

ولكن قريشاً عز عليها ما ألفت، وهالها أن تفقد ما هي عليه من جاه وسلطان، فتنكرت لهذه الدعوة الجديدة، وعملت جاهدة على محاربتها، والقضاء عليها في مهدها، قبل أن ينبثق نورها، ويتألق في الخافقين ضوءها.

وتنفيذا لما عقدت عليه العزم أنزلت أقسى ضروب التعذيب، وأنكى أساليب القسوة والاضطهاد بالمستضعفين الذين رأوا في الإسلام عدلا ومساواة، وتقريراً لكرامة الإنسان، ونزل إلى هذا الميدان سادتها وكبراؤها، وفي هذه الفترة امتحنت حرية الرأي بأشق وسائل الامتحان وابتليت بأعنف صنوف الابتلاء، وقد كظم المسلمون غيظهم، وصبروا يستعذبون الألم، ويستسيغون مرارة العنت حرصاً على دينهم، وانتهازاً للفرصة المواتية التي يستطيعون فيها أن يحاسبوا الظالم، ويواجهوا المستكبر، ويخاصموا الباغي.

واستمر الرسول ومن ورائه الذين آمنوا به يدعون الناس إلى دين الله، واندفع المشركون في عتوهم وطغيانهم، يسرفون في الإيذاء لهم، والتنكيل بهم. فقد أعماهم عن الحق الصلف والحرص على ما ورثوه عن آبائهم من رياسة وصدارة وكان لصنيعهم أثر لم يقدروه، فقد ازداد به الرسول وصحبه استمساكا بدينه، وكفاحاً لصون عقيدتهم، مؤمنين بأن طبيعة النفوس محاربة الهداة والمصلحين، ومطاردة الدعاة إلى المبادئ السامية، والأغراض النبيلة ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾[1] وموقنين بأن لهم - لا محالة - إحدى الحسنيين، الشهادة أو النصر.

ولما لم تفد مع رسول الله وصحابته أساليب التهديد المتنوعة، ووسائل الكيد التي لم يدعو شيئاً منها، مالوا عن الشدة إلى الملاينة، وعن العداوة إلى المصانعة، وبذلوا له الوعود ومنوه بالمال والجاه، وعرضوا عليه بيعة بالملك والطاعة، فأجابهم في حزم وقوة، وثبات ويقين بقوله المأثور: «والله يا عم ولو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما تركته».

وكيف يرضى بما بذلوا من وعود، وهو الذي عرض عليه أن تكون له بطاح مكة ذهبا فقال: «لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما».

وقد دفع هذا الموقف الكريم المشركين بعد أن باءوا بالفشل في محاولتهم إلى أن يزدادوا غياً على غيهم وضلالا على ضلالهم، وبالغوا في إيذاء المسلمين بكل ما هو في مقدورهم غير متورعين ولا متعففين.

ولما كان هدف الرسول أن ييسر السبل لنشر دعوته، فقد بدأ يفكر في الهجرة من مكة حفاظا عليها، وتمكينا لها، بعد أن ضاق ذرعا بإيذاء أهله ومحاربة عشيرته، واستيقن أن تربة مكة وعليها هذا الكفاح المستمر، والنضال القوي لا تصلح موطنا للذي ينادي به في أنديتها ومجالس سادتها وأشرافها، من حب وإخاء، ومودة وسلام، وحرية ومساواة، وقد أوحى إليه أن الصبر على الأذى، والإقامة على الضيم، ظلم للنفس وهضم لحقوقها، وقضاء على حريتها.

---

(١) يوسف ٥٣.

وتمكين لليأس منها، ومن يرتضى لنفسه هذا الظلم ليستحق اللوم والتأنيب ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(٢).

وأخيراً، بهذه الدوافع وبعد أن مضى من عمر الدعوة ثلاثة عشر عاماً. ينافح ويكافح، قد أسر بدعوته حينا وجهر بها أحيانا باذلا أقصى ما يستطيع من جهد ووقت، حريصا أشد الحرص على أن يستجيبوا لما يدعوهم إليه، وقابل أذاهم فى هذه الحقبة من الزمن، بصدر رحب ونفس مطمئنة، علهم يثوبون إلى رشدهم ويذعنون لصوت العقل، ونداء الضمير، ولكنهم بالغوا فى خصومتهم، وافتنوا فى عداوتهم، ولم يؤمن به إلا أقلية تنزهت عن الغرض ونأت عن العرض، قرر رأى الرسول الكريم على الهجرة من البلد الذى نبت فيه، ودرج فوق أديمه، وأشرب قلبه حبه، يذكر معه أهله وجيرته، إلى البلد الطيب الذى أقبل أهله عليه يعاهدونه على الوفاء لدينه، وبذل النصرة لتعاليمه، ضاربا بذلك المثل الرفيع فى التضحية والإيثار، والمثابرة والاحتمال، مع بعد الشقة، ووعورة الطريق، وقسوة الصحراء، وكان المشركون يترصدون خطى الرسول ويتسمعون لأخباره، وقد وصل إليهم نبأ الليلة التى قدرها لرحيله؛ وقد أوت فيه قريش إلى مضاجعها وسكنت فى مخادعها إلا فتية قد ملأ الشر قلوبهم، وأكل الغيظ أكبادهم، فسهدت أجفانهم، وقد كانوا من شباب قريش الأشداء، ينتمى كل فرد منهم إلى بطن من بطونها. حتى يتفرق دمه فى القبائل، فلا تقدر بنو عبد مناف على الثأر له. وتربصوا به أن يخرج ليقتلوه، فتهدأ ثائرتهم، وتستريح مكة من جلجلة هذا الصوت القوى. ولكن قضاء الله رد كيدهم إلى نحورهم، إذ خرج الرسول من مضجعه وهم قيام ينظرون، بعد أن ترك علياً يتدثر ببرده، يتحدى الموت الماثل والهلاك الراصد.

ولما تبينوا فشلهم ردوا سيوفهم إلى أغمادها، وصدورهم تغلى حقدا، وتضطرم غيظاً وانقلب أعوان الباطل إلى أهليهم حيارى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾(٣) ثم عقدوا العزم على ملاحقة الرسول وصاحبه. وساروا يقتفون أثره إلى أن وصلوا إلى غار ثور، وداروا حوله، ثم عادوا مهمومين آسفين، تلاحقهم الخيبة ويصاحبهم الفشل، مع أن أحدهم لو نظر تحت قدمه لراهما، ولكنها رعاية الله لهما وعنايته بهما ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

---

(٢) النساء ٩٧.

(٣) يس ٩.

(٤) التوبة ٤٠.

ويعد ثلاث ليال رحل إلى المدينة وفى وجوها الندى العطر، تفجرت ينابيع الهداية، وشع نور التوحيد وتفتحت قلوب أهلها إلى الدين الجديد الذى أخى بينهم على اختلاف قبائلهم وتفاوت مراتبهم وأحل الوحدة الدينية محل الوحدة القومية - فأصبحوا بنعمة الله إخوانا:

﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٥)

وتسابق أهلها إلى رسول الله يعلنون إسلامهم فى صراحة، لا تعرف الالتواء، وشجاعة عرفوها منذ القدم حببت إليهم أن يحملوا نفوسهم على أكفهم فى سبيل نصرته، والدفاع عن دينه، ويخرجوا عن أموالهم وديارهم فى سماحة ورضى لإخوانهم المهاجرين. وبعد حقبة من الزمن عاد الرسول وأصحابه إلى مكة فاتحين، ثم توالت بعد ذلك فتوح القرى والأمصار.

وكانت الهجرة مفتاح النصر للمسلمين لأنها نوع من الجهاد الحق الذى يتسم بالقوة والإقدام، ويجافى الضعف والتردد، والذلة والاستكانة، وفيها مغالبة لأهواء النفوس، وحث على صون الحياة من الخنوع والهوان، وهى مثل خالد يدفع الزعيم الذى يبغى التوفيق، والقائد الذى يأمل الظفر، أن يتزعم المجالدين المكافحين ويتقدم الصفوف، ويبرز إلى مواطن التضحية، ويقاسم أتباعه ما ينالهم من سراء وضراء، وما يلقونه فى مجتمعهم من عسر ورخاء، مادام مؤمنا بحقه، مخلصاً فى عمله، يهدف من نجاح دعوته إلى إقرار المبادئ الإنسانية التى تحارب الفروق بين الطبقات وتشعر الجميع بالعدالة والحرية والمساواة.

وقد رسم الزعيم الأول - صلوات الله عليه وسلامه - الطريق المستقيم، والنهج الواضح للسياسة الشعبية الحكيمة، حينما قدم الفرد لعمله لا لحسبه، ووسد الأمور إلى مستحقيها ممن يتسمون بالكفاية والنزاهة، والعفة والطهارة، إذ يقول لأهله لا يأتونى الناس بأعمالهم، وتأتونى بأحسابكم.

وما أحوج زعماء المسلمين أن يأتسوا بزعيمهم الملهم، فيصدفوا عن المآرب والأغراض، ويتجردوا عن الأثرة وحب الذات، ويتعرفوا آلام أممهم وآمالهم ليفسحوا لها مكانا فى ركب الحياة الكريمة، وقد أورثهم هو ومن اتبع سنته دولة قوية الأساس، متماسكة البناء، قادت الأمم، وأرست بين الشعوب قواعد العدل والإنصاف، ونشرت بينها ألوية التعاون والإخاء.

وفق الله القادة والزعماء إلى الطريق السوى، وبصرهم بما فى الهجرة من قدوة حسنة، ونهج قويم.

---

(٥) الأنفال ٦٣.

الغُزَاة الصَامِتُونَ

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

ترى من أولئك الغزاة؟ وأى شئ يحتاجون؟ وأين يعيشون؟ وعلام يتغذون؟.

كل تلك التساؤلات وغيرها، يجيب عنها العلماء فى الأسطر التالية:

اعلم - متعك الله بالصحة والعافية - أن هؤلاء الغزاة مخلوقات غريبة فى كون الله الواسع، تعيث فى الارض فسادا، اتخذت لها مكانا ما، يقع فى منطقة ما بين الحياة واللا حياة. وعلى الرغم من وهنها الظاهر، إلا أن باستطاعتها استعباد الخلايا الحية، وابتزازها، واستغلال كل مواردها فى إنجازها مهام لا طاقة للإنسان على مقاومتها، إلا بقدرة القوى المقتدر. وهذه المخلوقات الدقيقة الحجم، تقوم بأعمال يكاد يناقض بعضها بعضا، فبرغم أنها تكاد تكون ميتة، لكنها تعرف تماما كيف تغزو الخلايا الحية، بل تأخذ بزمام كل عمليات الحياة الضرورية لجسم الإنسان.

أظنك عزيزى القارئ قد أدركت الآن: عم نتحدث؟ أجل إن الحديث يدور عن: (الفيروسات)، تلك المخلوقات الواهية القوية فى آن معا.

فعلى خلاف (البكتريا)، التى هى: عبارة عن كائنات صغيرة الجرم، لكنها كائنات حية، تستطيع سكنى الجسم والاغتذاء على الأنسجة البشرية، فإن (الفيروسات) أجسام أصغر حجما، وأدق جرما، وأبسط تركيبا. ومن عجب أنها لا تأكل ولا تنمو، بل حتى لا تتوالد، أو تتناسل بنفسها. ولكى تبقى على قيد الحياة، فإن لزاما عليها وحتما أن تقوم بغزو الخلايا الحية، وتتولى بنفسها إدارة وتشغيل الآلة الداخلية لكل خلية، موجهة كل قدرات خلايا الجسم البشرى إلى إيجاد وتصنيع صور طبق الأصل من (الفيروس) المعتدى، وهذا هو بالضبط تعريف (الفيروس): إنه جُسيم مجهرى الشكل، يتسبب فى إجبار خلايا الجسم الحى على إنتاج وفرة من (الفيروسات)، ثم تقوم هذه (الفيروسات) حديثة التصنيع بالفرار من الخلايا، التى أصبحت منهكة القوى، بل غالبا ماتكون قد لقيت حتفها، وأبيدت، وعندئذ تنطلق تلك (الفيروسات) وهى فى حالة ما بين الحياة واللا حياة، تنطلق فورا إلى أهداف جديدة لتكرر ما قامت به من جُرم خطير، وتبدأ دورة الكر والفر من جديد.

وبعد أن يتم هذا الفعل الشنيع، فإن معظم (الفيروسات) تكون هى السبب المباشر فى وجود أنواع ثانوية من العدوى: كالإصابة بنزلات البرد أو

(الأنفلونزا) مثلا، بيد أن لبعض (الفيروسات) آثارا أكثر تدميرا، وأشد فتكا، وأعظم ضررا، إذ ينشأ عنها مرض (السرطان)، أو مرض نقص المناعة المكتسبة (الإيدز)، الذي ينشأ عن (فيروس HIV). كما ينتج عنها شيء ما بين هذا وذاك، كمرض (الهربيز) المعروف بـ(القوباء) وهو مرض جلدي، أضف إلى ذلك وباء (تيبس الكبد وتشحمه) والتهاب الغدة النكفية، والاكتئاب، والحصبة، وكلها أمراض (فيروسية) تدرع لها بدعاء النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – حين قال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل...»[١] الحديث.

ولا تقتصر الأمراض (الفيروسية) على الإنسان، بل تتعداه إلي الحيوان، وذلك كداء (السعار)، الذي يصيب معظم الحيوانات. أما (الجدري) فمرض لا يشارك الإنسان فيه غيره.

ولقد تبين للعلماء، عند دراستهم لـ(الفيروسات) بشئ من التفصيل والمعايشة، شملت كل مراحل حياة (الفيروس) من أعلاها، حتى آخر جزئ في تركيبه تبين لهم أمور أشبه بالخيال، ومن ثم بدأوا يتفهمون إلى حد كبير طبيعة حياة ذلك المخلوق غريب الأطوار. واتضح لهم أن (الفيروس) ليس قوة غامضة، فهو ينشأ عن سلسلة من التفاعلات الكيماوية تحدث بطريقة آلية عند اجتماع تركيبات واندماجات من بعض المواد، والتي يمكن لحسن الحظ التنبؤ بها، والعمل السريع على الحد من آثارها. وصفة الآلية واضحة جلية في كل عمليات حياة (الفيروس) لدرجة يمكننا معها أن نشبهها بالسيارة، التي تعمل أيا كان الشخص، أو العامل، الذي يحرك عجلة القيادة، وأيا كانت الوسيلة التي تمدها بالطاقة، اللازمة لتشغيلها،

أي أن التفاعلات الكيماوية التي تعتبر جوهر حياة (الفيروس) يحركها ويسيطر عليها ويتحكم فيها البناء الجزيئي شديد الذكاء، والخاص بجسم غير حي يُسمى (الفيروس).

لكن وكما يمكن عرقلة السيارة وتعطيلها عن السير لأسباب خارجية، فإن آليات الحياة الخاصة، بـ(الفيروس) يمكن أن تنقلب رأسا على عقب، فتكون النتيجة نهاية مميتة وضربة قاصمة لمن يُصاب بها، وهذا هو بالضبط ما حدث لـ(ديفيد).

و(ديفيد) هذا صبي من ولاية (تكساس) الأمريكية عرف بـ(الصبي الفقاقيعي)، والسبب أن جسمه كان عبارة عن فقاقيع، وحبيبات، وقد مات عام ١٩٨٤، بعد أن قضى اثنتي عشرة سنة، هي تقريبا كل عمره، قضاها داخل وحدة عزل معقمة، محاطا بكبسولة، أو واق مصنوع من البلاستيك، لحمايته من (البكتيريا) العادية، و(الفيروسات)، التي تسببت له في أخطار ثانوية، أي غير أساسية، وغير مؤثرة بالنسبة للناس العاديين، أو لنقل لمعظم الآدميين. و في محاولة لزرع خلايا لـ(ديفيد) تم أخذها من شقيقته، وذلك لإعطائه جهازا مناعيا قويا، فقد وضع الأطباء، دون أن يدروا أحد (الفيروسات) في جسم ذلك الصبي مما تسبب في موته.

وقد أمد موت ذلك الصبي العلماء، بواحدة من أشد الصور رعبا، وأراهم بما لا يدع مجالا للشك ما لهذا (الفيروس) من تأثير فتاك.

وحكاية (ديفيد) كما ترويها الـ(واشنطن بوست) تبدأ منذ ولادته. فبعد وقت قصير من قدومه للدنيا اكتشف العلماء، –ويا لهول ما كتشفوا – أن جسده عاجز عن انتاج خلايا الدم الخاصة بمهاجمة

---

(١) البخاري ٤/٢٣.

(الفيروسات) و(البكتيريا). ولعلمهم أن أقل أنواع العدوى يمكن أن تُودي به فقد قاموا بوضعه في غرفة (حجر صحي)، بعد أن أخلوها تماما من الجراثيم انتظارا لشفائه. وأخذت الأيام تمر، وديفيد يعاني سلسلة متصلة من الفقاقيع المتزايدة غطت كل بدنه في كل مكان يذهب إليه، سواء كان في المستشفى، أو البيت، أو حتى وهو في وحدة علاجية متحركة، أعدت له خصيصا في سيارة. وكانت الخلايا التي تنقصه تُنتج عادة في النُخاع العظمي، وكان من المحتمل أن زرع نخاع سليم من متبرعين ذوي صلة وثيقة به كان من المحتمل أن تساعد في شفائه، لكن لم يكن له أقارب تتوفر لديهم الخلايا المطلوبة، وعلى الرغم من أن جسمه كان ينقصه الجهاز المناعي الكفء، الذي لا يتسبب في رفض النخاع المزروع، إلا أن العكس كان هو الصحيح، إذ رفض النخاع البقاء في جسمه.

وعندما بلغ الصبي الثانية عشرة من عمره تمكن العلماء من تطوير طريقة للتعامل مع النخاع المأخوذ من أخته، وذلك لإزالة الخلايا، التي يحوم حولها الشك في أنها تهاجم جسمه. تم زرع النخاع، وبعد انقضاء أقل من ثلاثة أشهر - ثمانين يوما - مرض الصبي مرة أخرى، وأخذت أعراض المرض تتوالى: فقد الصبي الكثير من وزنه في البداية، ثم أصابته حمى معدية، وآلام في المعدة، واستسقاء، ثم أخذ يقئ دما - وقانا الله وإياكم - وفيما أخذ الأهل والأطباء يشاهدون - وهم لا يملكون لمريضهم ضرا ولا نفعا - أخذت حالته تزداد سوءا، حتى وافته المنية بعد أربعة أشهر من زرع النخاع، وقد أصيب الأطباء بالهلع والذهول عند تشريح جثته، والسبب أنهم اكتشفوا أن ما أودى بحياته ليس العدوى المعتادة، ولا حتى هجوم شنه النخاع المزروع، إنما مات (ديفيد) بـ(السرطان)، فقد اجتاحت جسده المهترئ حفنة من الأورام، حجم الواحد منها لا يزيد على حبة الفاصوليا، احتوت كل حبة منها على (فيروس) شديد الانتشار، معروف لدى العلماء بـ(الفيروس أحادي النواة)، وهي عدوى شديدة التأثير، وإن كانت وقتية سريعة الزوال، تصيب بصفة مبدئية الأطفال، وصغار البالغين.

ولقد كانت أخت (ديفيد) مصابة بهذا (الفيروس) منذ حياتها الباكرة، ومن الواضح -كما استنتج الأطباء- أن (الفيروس) قام باجتياح خلايا نخاعها، ثم قام جهازها المناعي القوي بكبح جماح ذلك (الفيروس) الواهي. ولكن هذا (الفيروس) الهش، تمكن بعد أن أفلت من هذا القيد أن يعود للحياة مرة أخرى في جسم (ديفيد)، وأخذ يمارس إفساده في جسد لا يملك إلا جهازا مناعيا تعطل عن العمل تقريبا. وكانت الأعراض الأولى، التي أصيب بها جسم ديفيد هي أعراض (الفيروس أحادي النواة) لكن مع استمرار العدوى، أخذت الآثار المميتة في الظهور شيئا فشيئا، حتى استشرت تماما. هذا وقد عُرِفَ (الفيروس) باسم العالمين اللذين اكتشفاه. و(الفيروس عضو من عائلة (الهيربز) وهي (فيروسات) وثيقة الصلة بـ(الفيروسات) التي تصيب الأعضاء التناسلية، و(قُرح) البرد في الفم، و(سرطان الغدة التيموزية THYMUS GLAND) أو (السعطرية)[٢] و(سرطان) آخر يُدعى: (بريكتز ليمفوما BURKITT'S LYMPHOMA).

وهناك آلاف الأنواع من الفيروسات، لكنها تشترك جميعا في أنها مركبة من جزأين أساسيين: وهو اندماج ذو فائدة. غلاف بروتيني خارجي يخدع الخلية ويغريها، ويدفع بها إلى امتصاص (الفيروس) واستيعابه في محتوياتها. وما إن يخترق (الفيروس)

(٢) غدة صغيرة صماء، قرب قاعدة العنق.

غشاء الخلية، حتي يقوم (الغلاف البروتيني) بالتخلص من الجزء الثاني المختبئ بداخله، وهو عبارة عن بعض من (الحمض النووي) الذي يحمل بين طياته التعليمات الوراثية لـ(الفيروس)، وهي عبارة عن مورثات تعمل، وتتصرف تماما، كتلك التي تم تشفيرها في (الجينات الأصلية) لكل الخلايا. والرسائل (الفيروسية) رسائل خاصة ، لكنها مكتوبة بنفس الشفرة التي تم تزويد الخلية بها من قبل لكي تقرأها وتنفذ ما بها حرفيا ودون إبطاء، والهدف من هذه التعليمات الصارمة هو إجبار الخلية على تخليق (فيروسات) جديدة، تشبه تماما (الفيروس) الذي أغار على الخلية، وقام باقتحامها وباستطاعة (فيروس) واحد إجبار الخلية علي تصنيع مئات من (الفيروسات) المزدوجة، التي تتمكن في النهاية من التسرب، لتواصل زحفها في اجتياح خلايا أخرى، وتستطيع بعض (الفيروسات) أن تجعل الخلية منفذة للأوامر دون أن تتخلى الخلية نفسها عن القيام بأداء الوظائف الخاصة بها، ومن ثم لا ينشأ عن هذا (الفيروس) أي مرض، بينما تقوم (فيروسات) أخرى بما يمكن أن نطلق عليه: «استعباد الخلية وتسخيرها»، إذ يأخذ (الفيروس) بقيادتها، ويدفع بها - في منتهى القسوة - لدرجة تتوقف معها الخلية عن أداء المهام المنوطة بها، وإلا فقدت حياتها في الحال، إذ تأخذ العدوى في السريان في أوصالها، ثم يأخذ عدد الخلايا المقتولة يتضاعف، وتتراكم الخلايا المحبطة، مما ينتج عنه: بيئة ينشأ فيها المرض، وأعراضه، و(فيروس الهيربيز) الذي يسبب (خراريج البرد) يقتل ببساطة الكثير من الخلايا في جلد (الشفة) وينشأ عنه (نُدبة) من الخلايا المتعفنة الميتة، والمعروفة علميا بـ(القرحة). وأما (فيروس الكساح) فإنه يغزو خلايا الأعصاب، ويقوم في أثناء إبادتها بإيقافها عن عملها، مما ينشأ عنه (شلل الأطفال).

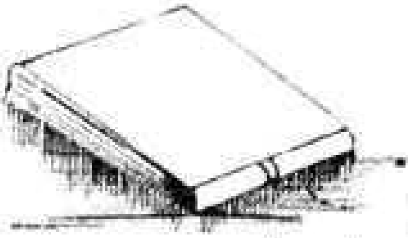
وإضافة إلى عامل نوع (الفيروس) هناك عامل التوقيت، أي: الزمن الذي تتم فيه هذه العملية، وهو زمن شديد التنويع سريع الخطوات، فمن قتل الخلايا في غضون دقائق معدودة إلى تركها دون أن يمسها أي سوء، بل جعلها تؤدي وظائفها لسنوات. كل ذلك يحدث، و(الحمض النووي الفيروسي) يقبع صامتا حتى ينتهز فرصة تغفل فيها الخلية، فيحدثُ تغيرات في بيئتها الداخلية، تُمكن (الفيروس) من أن يفعل فعله.

ويشك بعض الباحثين أن تلك (الفيروسات) البطيئة، المزعومة، يمكن أن تكون السبب الحقيقي وراء تنويعة كبيرة من الأمراض، غامضة السبب، مثل: تصلب العديد من الأنسجة، و(الزهايمر) وبعض أشكال (السرطان)، وأنواع (الروماتيزم). وحيث إن التفاعل الوئيد لـ(الفيروس) الذي ينشأ عنه القدرة علي إحداث المرض يستغرق وقتا طويلا، فمن الصعب توضيح انتقاله من حيوان لآخر في المعمل. وبينما يعرف علماء الحياة المتخصصون في دراسة الجزيئات، الكثير عن دورها في حياة الغزاة الصامتين: (الفيروسات)، فإن استنتاجاتهم توحي أنهم توصلوا إلى طرق حديثة لمواجهة أخطر الأمراض التي تصيب البشر. وكلما تقدم البحث العلمي، كلما أطلعنا على رؤى عميقة، تزيد فهمنا لطبيعة الحياة في أدق مستوياتها، وهو أمر يجعلنا نشهد للخالق بطلاقة القدرة، ونؤمن بصدق بقوله تعالى:

﴿ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(٣)

(٣) سورة النساء، الآية: (٢٨).

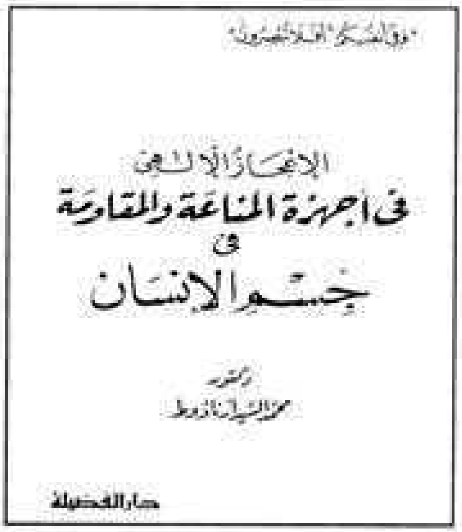
دوحة الكتب



إعداد: محمود الفقى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من اهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم- دون نقد او تعليق فى نبذة مختصرة- تعريفا بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر



● عزيزى القارىء: ليست هذه المرة الأولى، التى نطرح من خلالها كتاباً علمياً مرتبطاً ارتباطا وثيقا بالإعجاز الإلهى، ولكن هذه المرة نطرح كتابا يتحدث عن هذا التلوث البيئى الذى نعيش فيه وهذه الحرب المندلعة من أقل المخلوقات حجما وأحقرها شأنا وأصغرها وزنا وأبسطها شأنا من ميكروبات وجراثيم بكتيرية وفطرية وفيروسية على الإنسان فتصيبه بالمرض

والضعف.. وقد تؤدي إلى القضاء على حياته.

لقد أصبح العالم تصارعه أضعف المخلوقات وتقضي عليه برغم التقدم التكنولوجي، والحضاري.

وجبروت الإنسان على الأرض إلا أن هذه الطفيليات الضئيلة، تزيد من قلقه وتحاصره أينما كان ولكن الخالق المبدع، لم يترك الإنسان ضعيفا لا حول له ولا قوة، وسط غابة من الحشرات والكائنات التي تحيط به من كل جانب، وتتربص به، ويمكن أن تقضي عليه في أية لحظة.

● ففي هذا الكتاب حديث عن أجهزة المقاومة، والدفاع الطبيعية ضد الميكروبات، والجراثيم، في جسم الإنسان، وما فيها من إعجاز في الخلق، وإبداع في الصنع، ويحكي قصة المعارك الطاحنة، التي تدور بين الميكروب المرضي -عند غزوه لجسم الإنسان- وبين أجهزة الجسم الدفاعية، التي تدور رحاها في جسم الإنسان.

● بدأ المؤلف الباب الأول بجولة مع الإعجاز في خلق جهاز المناعة والدفاع الطبيعي ضد الميكروبات في جسم الإنسان وتحدث عن الخلايا الليمفاوية، التي تحمي الجسم، وتدافع عنه وتقوم بوظائف كثيرة للجسم تساعده على التصدي للبكتيريا والميكروبات.

● أما الباب الثاني فتحدث فيه المؤلف عن تركيب الجهاز المناعي ووظائفه، وطرق مقاومة الجسم للعدوى بالميكروبات، ثم تأثير الانفعالات على جهاز المناعة الطبيعية في جسم الإنسان

● ثم تحدث عن الخلايا البائية B-cells وهي عبارة عن قذائف مدفعية خاصة لقتل الميكروبات المهاجمة.

● ثانيا: طرق مقاومة الجسم للعدوى بالميكروبات وقد تحدث فيه عن الأمراض البيئية والأمراض الوراثية

● ثم تحدث عن الحصانات في جسم الإنسان: كالحصانة الطبيعية والحصانة الصناعية

● أما الباب الثالث فتحدث فيه المؤلف عن وسائل المقاومة، والدفاع الطبيعية بجسم الإنسان من الخارج حيث أشار إلى جلد الإنسان، والجهاز التنفسي، والعين، والأذن.

● ثم بين المؤلف في الباب الرابع أجهزة المقاومة والدفاع الطبيعية ضد الميكروبات داخل جسم الإنسان من حيث الدم، والجهاز الهضمي، وملحقاته، والجهاز البولي،

والجهاز الليمفاوى، ودوره فى المقاومة الطبيعية ضد الميكروبات.

● ثم تحدث عن الأدوية الضارة على الكبد، المباشرة وغير المباشرة وتحدث عن تأثير الأدوية على الكبد كاصفرار العينين- وتضخم الكبد، وانسداد القنوات المرارية، وتهتك خلايا الكبد، وتليف الكبد، وعقد ليمفاوية فى الكبد، وأورام كبدية حميدة وسرطانية.

● وتحدث المؤلف عن الجهاز الليمفاوى قائلا: إنه يحتوى على أوعية ليمفاوية، تنتشر فى جميع أجزاء الجسم، وتسير جنبا إلى جنب مع الأوعية الدموية، وتحتوى هذه الأوعية الليمفاوية على سائل رقيق شفاف، يسمى بالليمف، وأثناء سير هذا السائل فى الأوعية الليمفاوية، فإنه يمر على مرشحات تسمى: بالعقد، أو الغدد الليمفاوية.

● ثم تحدث عن الرضاعة الطبيعية للطفل، ومدى تأثيرها على المناعة.

● والجدير بالذكر أن النبات- أيضا قادر على مقاومة الفيروسات والبكتريا، بواسطة جهاز المناعة، فعند إصابة ورقة نبات بفطر -مثلا- تقوم بعض النباتات بسرعة بتدمير الخلايا المحيطة بنقطة الإصابة، وتنشأ بقعة مستديرة رمادية اللون تهزم البكتيريا أو الفطر، وتمنعه من توسيع انتشاره.

● وهذا الكتاب: يتحدث عن هذه الأجهزة فى جسم الإنسان ومافيها من إعجاز فى الخلق، وروعة فى الأداء، ودورها فى الحفاظ على صحته للاستمتاع بالحياة.

● لا شك عزيزى القارئ: أن عمل تلك الأجهزة الوقائية لجسم الإنسان يتناسب تناسبا طرديا مع قوة الإيمان بالله، والإلتزام بمنهجه، واتباع أوامره واجتناب نواهيه.

● ولا يملك أى إنسان إلا أن يؤمن بالله خالقه، وخالق كل شىء.. القادر المبدع، والبارئ، المصور.. وأن يسجد شاكرا له نعمه، التى لا تعد ولا تحصى، فسبحان الخالق البارئ، المصور ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

● وأخيرا: الكتاب يعتبر فريدا فى نوعه ومادته، ومفيدا فى علمه، وطرق توضيحه وسهولة ألفاظه وأسلوبه العلمى، وإضافة قيمة للمكتبة العربية والإسلامية.

● عزيزي القارئ : من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، لأن الفقه نور الإسلام، الذي يسير عليه المؤمن ويقتدي به في دينه ودنياه، فالعلم الإسلامي هو الأساس الذي بني عليه الإسلام، لأنه يبين ويوضح دستور الإسلام، وهو القرآن الكريم. ويعرف للناس السنة النبوية المصدر الثاني للتشريع.



● والكتاب الذي بين أيدينا ما هو إلا مشكاة تضيء لأبناء الإسلام الطريق السليم للإسلام، فهو ميسر وموضح لكل أحكام العبادات، والمعاملات يفهمه العامة قبل الخاصة، والصغير قبل الكبير.

فقد وضحه المؤلف وكأنه يكتب للأطفال الصغار ويخاطبهم ويتزل منازلهم ويخوض في إلهامهم حتى يصل هذا العلم إلى عقولهم من البداية إلى النهاية.

● فهو مختصر في الفقه، يضبط شوارده، ويجمع قواعده، اقتصر فيه على ما صح دليله، ورجح مدلوله

رتبه المؤلف على أبواب سهلة وبسيطة ليكون تمهيدا له ومدخلا إليه.

● بدأ المؤلف كتابه بكتاب الطهارة، وفيه أحد عشر بابا، منها: باب المياه، وباب الآنية وباب نواقض الوضوء، وباب التيمم، وباب الحيض، وباب إزالة النجاسة

● ثم شرح المؤلف كل باب على حدة، وكل باب له ضوابط كثيرة وواضحة، كباب قضاء الحاجة، وشرح فيه ثلاثة ضوابط: أولها ما يحرم كاستقبال القبلة واستدبارها بلا حائل، أيضا يحرم قضاء الحاجة في قارعة الطريق، ولظل وموارد الناس ثم وسط القبور.

● أيضا في الماء الراكد في المسجد، ثم الاستنجاء بروث أو عظم أو طعام.

الضابط الثاني : ما يكره

الثالث : ما يستحب

● انتقل بعد ذلك إلى باب الوضوء، وباب المسح على الخفين، وباب نواقض الوضوء، وباب الغسل، وباب التيمم، وباب إزالة النجاسة.

● ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى كتاب الجنائز منها: الآداب، التي ينبغي فعلها عند المحتضر، وغسل الميت، وأركان صلاة الجنازة. -أيضا- تحدث عن كتاب الزكاة، وكتاب الصيام،

● وكتاب الاعتكاف، وكتاب الحج، وكتاب الجهاد، وكتاب البيع، وكتاب الحجر، وكتاب الشركة، وكتاب العارية، وكتاب الغصب، وكتاب الوقف، وكتاب الوصايا، وكتاب الفرائض

● ثم كتاب العتق، وكتاب النكاح، وكتاب الطلاق، وكتاب الإيلاء، وكتاب الظهار، وكتاب العدة، وكتاب الرضاع، وكتاب الجنايات، وكتاب الديات، وكتاب الأطعمة، وكتاب الصيد والذبائح، وكتاب الأيمان، وكتاب القضاء، وكتاب الشهادات، وكتاب الإقرار.

● وهكذا عزيزي القارئ، ما زال يبحر معنا المؤلف في هذا الكتاب، مع كل ما يهم المسلم في دينه ودنياه، فعليك به ليكون لك ولأبنائك للتفقه في الدين والدنيا.

أطلس دول العالم الإسلامى

إعداد الدكتور/ **شوقى أبو خليل**

الناشر/ **دار الفكر بلبنان وسوريا**

● عزيزى القارئ، بعد التطور المتلاحق فى تكنولوجيا المعلومات، وشبكات الانترنت، واسطوانات الكمبيوتر، التى تحوى الكثير من التقدم العلمى، فى نشر الثقافة الحديثة، بطرق سريعة.

● إلا أن الكتاب سيظل نبراس الثقافة الحضارية.

● ورغم هذا التنافس المرئى والمسموع، إلا أن التطور الحديث فى استخدام أحدث تكنولوجيا الطباعة والإخراج الفنى للكتاب جعله فى منطقة عدم المنافسة.

● وقد قمنا بعرض الكثير من الكتب الشيقة الجميلة البسيطة الأسلوب، والبديعة الإخراج والفاخرة الخامة والطباعة والغزيرة المادة لناشرين تجولوا فى البلاد شرقاً وغرباً لملاحقة التطورات الحديثة فى نظم الطباعة والنشر.

● وهذا الكتاب الذى بين أيدينا يدل على تطور فن الطباعة العربية، فهو أطلس يأخذك معه إلى كل بقعة إسلامية، أو دول يتراوح الإسلام فيها ما بين ٢٠ و٥٠٪ فهو يقدم مصوراً لكل دولة مبيناً عليه الحدود، ثم الموقع فى القارة، التى تنتمى إليها الدولة بالألوان الهادئة الناسية، وفى الصفحة المقابلة للمصور: العلم والشعار والعاصمة والمساحة وعدد السكان، ونسبة المسلمين، واللغة الرئيسية والنقد المتداول، مع لمحة تاريخية موجزة تشمل زمن دخول الإسلام إليها، إبرز الأحداث التاريخية بها.

● تاريخ الاستقلال إن كانت ممن استعمر، ثم يقدم أيضاً لمحة تاريخية موجزة كبداية الدولة، وبداية ونهاية الاستعمار فيها.

● أيضاً قدم الدكتور شوقى لمحة اقتصادية موجزة.. زراعة، ثروات معدنية، أهم الصادرات.

● ثم الفهرس الميسر الذى جعل من هذا الأطلس صفحة مفتوحة يصل القارئ، من خلالها إلى مبتغاه بأيسر طريق، وأقصر وقت.

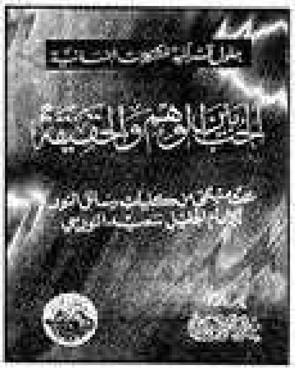
● لقد ضم هذا الأطلس خمسة وخمسين مصوراً، هى دول منظمة مؤتمر العالم الإسلامى وست مصورات ضمت الدول التى تزيد نسبة المسلمين فيها على ٥٠٪ ثم ستة وعشرين مصوراً فى القسم الثالث ضمت الدول التى تتراوح نسبة المسلمين فيها من ٢٠٪ إلى ٥٠٪.

ثم الفهرس العام، ويتضمن الأعلام، والبلدان والأقوام.

● وأخيراً عزيزى القارئ، استمتع معنا بالاطلاع على هذا الأطلس حيث قد خرج فى صورة مرضية، من الناحية العلمية والإخراجية، وبما تضمنه من معلومات عن دول العالم الإسلامى.

● فعليك بهذه الموسوعة الإسلامية التى تعطيك فكرة متكاملة عن المجتمع الإسلامى شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً.

الحب بين الوهم والحقيقة



إعداد / خديجة النبراوي

الناشر / سوزلر للنشر

● عزيزي القارئ، إذا تحدثنا عن الحب، فنقول: إن الحب الخالص قد أودعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ في فطرة الانسان، لا سيما الوالدين والأخوة والأقارب.

● فالحب كلمة سحرية غامضة، تستثير كوامن الإنسان، وتطلق العنان للخيال، وكما أن الحب يسعد فكذلك يشقي.

● ونظراً لأن الحب عاطفة إنسانية قوية، فإن الإسلام قد تناولها بالعناية والرعاية، حتى تتحول تلك البذرة الكامنة في أعماق النفس البشرية، الى شجرة مثمرة.

● وقد قام الإمام النورسي، بعرض مفهوم الحب بما يتفق مع نظرة الإسلام له.

● وها نحن نعرض غيضا من فيض، وقبسا من أنوار لامعة، تبين كيف يكون الحب حبا حقيقيا ساميا يجلب السعادة والهناء، وليس وهما خادعا يجلب التعاسة والشقاء.

● فالحب الحقيقي ينبع من محبة الله، ثم ينساب إلى المخلوقات حبا وطاعة لمنهج الله ورسوله، أما الحب الوهمي.. فهو الحب النابع من الهوى والشهوات، ففي هذا الكتاب نعرض أربعة مباحث رئيسية.

● أولها جولة في ميادين الحب داخل النفس البشرية حيث بين الإمام النورسي الحب بأنه متمم الامتزاج الروحي، ومكمل الاستئناس القلبي، وهو من ألطف أنواع الرحمة الإلهية، وسر الفعالية المحيرة للألباب الجارية في الكائنات.

● أيضا بين الحب الحقيقي، والحب الصوري، ثم محبة الله أسمى أنواع الحب حيث وضح أن جميع أنواع السعادة الحقيقية، والسرور الخالص والنعمة التي ما بعدها نعمة، واللذة التي لا تفوقها لذة، إنما هي في «معرفة الله» وفي «محبة الله» فلا سعادة ولا مسرة، ولا نعمة حقاً بدونها.

● وبين أن الانسان محتاج إلى محبة الله أشد الاحتياج.

● وتحدث عن حب النفس وأن من مخاطر البعد عن المحبة انفكاك الروابط المادية، والمعنوية للبشرية.

● أما في المبحث الثاني فتعرض الباحث لموضوع كيف يجذب الجمال السرمدي الخالد عشق الكون كله؟ أيضا كيف يجمع الحب بين الأرض والسماء. أما في المبحث الثالث فأشار فيه إلى انهزام العقل والقلب أمام دواعي الهوى قائلا: إن نوازع الانسان وأحاسيسه المادية لا ترى العقبى، فتفضل درهماً من اللذة الحاضرة المعجلة على رطل من اللذة الغائبة المؤجلة، كما بينها الإمام النورسي، ووضح معناها، ثم تحدث الإمام النورسي عن ضلالات النفس بالهوى.

● أما المبحث الرابع ففيه توضيح لكيفية ارتقاء الانسان بالحب الإلهي إلى أعلى عليين، من حيث جلاء الإنسانية في التغلب على الأحاسيس المادية، وكيفية معالجة أعراض الحب الوهمية وارتقاء الانسانية بالمحبة الإلهية.

● عزيزي القارئ، هذه بعض الأصداف التي بينتها لنا الباحثة عن الإمام سعيد النورسي، لتنتفع بها وينتفع بها كل حائر ضال، فعليك بهذا الكتاب حتى تعرف طريق الحب الخالص لله سبحانه وتعالى.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم : عادل رفاعى خفاجة

مجلة صوت المعهد فى عامها الرابع

ما أجمل التواصل بين أبناء المعهد الواحد، وبخاصة -إذا كان هذا المعهد هو «الأزهر الشريف»، فأبناء الأزهر -مهما تباعدت بينهم المسافات- يجمعهم الحق، وصوت الحق يعلو بمنطق واحد، مهما تغيرت الأفواه والألسن أو تغايرت الأساليب.

ومجلة «صوت المعهد» التى يصدرها معهد على ابن أبى طالب - بقرية أطفيح - جيزة منبر من منابر الحق - بإذن الله تعالى- يعلو من خلاله صوت الفضيلة، ويأخذ شيوخ أفاضل بأيدى أبناء لهم على بداية الطريق، حتى إذا اشتد عودهم، وآنس شيوخهم منهم رشداً سلموهم راية الدعوة إلى الله -تعالى-.

ومجلة «صوت المعهد» - فى عامها الرابع - واثقة خطواتها تسير نحو الهدف المنشود بفضل الله -تعالى- ثم بفضل هذه الهمم العالية لشيوخ أفاضل يحملون مشاعل النور، يحبون أن يصل النور إلى كل مكان ما وسعهم إلى ذلك سبيلاً.

والمجلة تستهل عامها الرابع بكلمة لأسرة التحرير، تضمنت شكر أسرة تحرير مجلة الأزهر.

ونحن بدورنا نشكركم على مداومة الاتصال الذى دام أربع سنوات، ونسأل الله أن نتواصل لسنوات عديدة، وأن يوفقنا المولى - عز وجل - جميعاً إلى سواء السبيل.

وتبدأ المقالات بكلمة لفضيلة الشيخ عبدالفتاح جمعان، الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية تحت عنوان: «الإسلام دين العلم»، ومما ورد بها قوله:

«إن الإسلام ثورة على الجهل وفساد الرأى ودعوة إلى العلم واستقامة التفكير، وإذا كانت هناك أديان حاربت أو حارب أتباعها العلم فإننا نرى الإسلام يصادق العلم، ويسير معه، بل يجعله أساساً له، فلا يستقيم إيمان المؤمن إلا على أساس من العلم، وليس أدل على ذلك من أن أول ما نزل من كتاب الله -مصدر الهداية والإيمان نوَّه بشأن العلم وأعلى من قدره

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

وجعل الله ـ سبحانه ـ تعليم القرآن والبيان من جلائل النعم التي يمتن الله بها على عباده «الرحمن* علم القرآن* خلق الإنسان* علمه البيان».

ثم يقول بعد التنويه عن قيمة العقل:

«... والسبيل إلى الانتفاع بالعقل هو العلم النافع المثمر وذلك لا يكون إلا بالتعليم والتعلم ولعل هذا هو السر في حفاوة القرآن بأدوات التعليم وتمجيدها حيث أقسم بها ـ سبحانه ـ قال ـ تعالى:

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾.

وقال جل شأنه:

﴿ وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ (٢) فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾.

لقد ظهر الإسلام في أمة جاهلة أمية لا يبلغ الذين يعرفون القراءة والكتابة فيها العشرين، ولذلك عرف العرب بين الأمم بالأميين.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾، فلم يمض على هذه الأمة حين هداها الله بالإسلام وقت طويل من الزمن حتى صارت أمة العلم والعلماء، وحتى نبغ من أبنائها من يحني التاريخ هامته لهم، إجلالاً وإكباراً كل ذلك بفضل طبيعة الإسلام التي تدعو إلى العلم وتحث عليه:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾.

وفي ختام كلمته وجه فضيلته الحديث إلى أدعياء الحضارة قائلاً:

«ألا فليفقه أدعياء المدنية والحضارة الذين يرمون المسلمين بالتخلف موقف الإسلام من العلم، وليعرفوا أنه لو أفنوا أعمارهم في العلم ما بلغوا معشار ما بلغه المسلمون الأوائل، كل ذلك بفضل الإسلام الذي يدعوا إلى العلم ويرغب فيه...

والله ولي التوفيق».

ثم يتوجه صاحب الفضيلة الشيخ/ محمد توفيق جمعة شيخ المعهد بالخطاب إلى الشباب موضحاً أهمية هذه المرحلة السنية في الدعوة فيقول:

«... والشباب سن الهمم المتوثبة والدماء الفائرة والآمال العريضة -سن العطاء والبذل والفداء- سن التلقي والتأثر والانفعال والشباب أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ـ تعالى ـ ولرسوله - صلى الله عليه وسلم- شباباً. وقد كان أهل الكهف شباباً

﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾.

وكذلك سيدنا يحيى ـ عليه السلام ـ الذي قال فيه القرآن منادياً وآمراً ومخبراً:

﴿ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾.

أي: تعلم الكتاب بجد وحرص واجتهاد وآتيناه الفهم والعلم والعزم وهو في بداية الشباب -قال عبدالله بن المبارك قال الصبيان ليحيى بن زكريا: «اذهب بنا نلعب فقال: ما للعب خلقنا».

ويستمر فضيلة الشيخ في إسداء توجيهاته وإرشاداته لأبنائه الطلاب، نسأل الله النفع بها.

أما الأستاذ/ شعبان أحمد رفاعي المدرس بالمعهد فيثلج صدورنا بجولته في رحاب السنة ليلقي الضوء في حديثه عن عدالة الإسلام فيقول:

«... بوعد من الله وفضله أرسى الإسلام

قواعده الراسخة التي لا يقدر أحدٌ على خلخلة أرجائها مهما اشتط وعظمت مكانته، وكثرت عدده وعتاده، ومع كل هذا فإن الإسلام لم يأخذ بمبدأ التفرقة بين الناس والتمييز بين العناصر، وأعظم مثال على ذلك تطبيق النبي -صلى الله عليه وسلم- لمبدأ العدالة والمساواة دون تفريق وتمييز بين قوى وضعيف وكبير وصغير وشريف ووضيع فالكل في نظر الإسلام سواء».

وبعد أن أوضح ما فعله الإسلام الحنيف من تحطيم للنظم الجائرة يختتم قائلاً:

«إن ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- يعتبر مثالاً خالداً على مر العصور، وشاهداً على أن رسالة الإسلام ودعوته إنما هي دعوة العدل والإنصاف، ودعوة الإنسانية والمساواة بين هذا وذاك، لا محاباة فيها ولا مدارة، فعدالة الإسلام ينبغي أن تجمع عليها النظم وتساس عليها الأمم، وتكون نبراساً لكل فرد في الإنسانية فهي شريعة الله الخاتمة لجميع الشرائع».

ثم تتوالى الموضوعات بين دينية وعلمية وأدبية بالإضافة إلى ما ضمنته من طرف وملح وأمثال.

وبعد.. فلنا قليل من الملحوظات التي نعرضها من منطلق حرصنا أن تخرج هذه المجلة في أرقى وأبدع صورها

من هذه الملاحظات:

١ ـ ما ورد في ص ١ حيث تأخرت البسملة.

٢ ـ ورود أخطاء طباعية في القطعة المترجمة الواردة ص١١، وكذلك في الأمثال الإنجليزية الواردة ص١٥، وكان من الأفضل مراجعتها على «مصابيح التجربة» قبل الطبع.

٣ ـ منها -أيضاً- ما ورد في ص٣٤ تحت عنوان: «حواء في نظر آدم» فعلى الرغم من جمال ما كتبه الأستاذ شحات عبدالله المدرس بمعهد الفتيات، إلا أنه جانبه التوفيق وكان عليه أن يتأسى بما جاء به في القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ﴾ . طه/ ١٢٠

أما ما كتبه الأستاذ/ جمال محمد سعد تحت نفس العنوان «حواء في نظر آدم» فبالإضافة إلى وقوع أخطاء طباعية في مقطوعته، فإننا لا نشاركه وجهة نظره، وقد حض النبي -صلى الله عليه وسلم- على حسن معاملة النساء والرفق بهن.

ثم أما بعد: فقد توفر للمجلة الإخراج الجيد، فظهرت في شكل لائق وثوب بديع، نأمل أن تزداد مع الأيام أناقة ورفعة، وثباتاً على طريق الحق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهجرة بين الأمس واليوم والغد

● ومن القارئ: أشرف عوض عوض - الاسكندرية - السيوف - شماعة

■■ بالأمس البعيد وفي دار الندوة ـ برلمان مكة حينئذ ـ اجتمع سادة القوم بزعامة أبليس اللعين يعدهم ويمنيهم.. ليطفئوا النور الذي أضاء، ويجتثوا الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ـ محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكن هيهات... هيهات فما تركهم رب الضياء، وماتخلى عنه رب الأرض والسماء.

وهاجر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى يثرب فالتف حوله المسلمون يناصرونه فنصرهم الله وأمدهم بجنده. ففتحوا البلاد، ودخل العباد في دين الله.

وأتم الله نوره وأتت الشجرة أكلها كل حين

يأتى ربها، حتى جاء يوم خاطب فيه أميرهم سحابة تمر من فوقه: «أمطرى حيث شئت فسوف يأتينى خراجك».

واليوم تحاك المؤامرات حول الأقليات المسلمة فى كل أنحاء العالم حيث يُدْفَنُ المسلمون أحياء فى «كوسوفا» و«البوسنة»، وتحصدهم مدفعية الروس فى الشيشان.

إن الله الذى حفظ نبيه بالهجرة لقادر على أن يحفظ هذه الأمة، ويهيئ لها من أمرها رشدا حتى تصل إلى المكانة التى كان يتبوؤها أسلافهم الأوائل، إنه - سبحانه - على ذلك لقدير.

البعد عن الشبهات

ومن القارئ، الدائم/ محمد عباس محمد عرابى فى كلمة له بعنوان: «البعد عن الشبهات» يقول:

«إن البعد عن الشبهات سلامة للدين والعرض، سلامة لشخصية الفرد والجماعة وتقوية لوشائج المودة والثقة وتقارب الناس وتواصلهم، لذا فإن من واجب المسلم أن يصون شخصيته من الشبهات، ومن كل ما يزعزع الثقة به، فهو يحرص على توثيق صلته بالله، وبالمجتمع الذى يعيش فيه، فلا يكتفى بالبعد عن الفحشاء والمنكر، ومن كل ما يغضب الله، ولكنه مع هذا يصون حياته عن مظان السوء، ويحفظ خطاه من مواطن الشبهات، لئلا يتسرب الشك إلى سمعته أو تهتز ثقة المجتمع به، وفى الحديث»: .. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» رواه مسلم.

والإسلام فى حرصه على مناخ البيئة الإسلامية من دخان الريبة أو ضباب النفوس، يحذر من ظن السوء، ومن تتبع حديث الناس والبحث عن عوراتهم قال - تعالى -:

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً ﴾.

(الحجرات : ١٢)

وبهذا يصون الإسلام الشخصية من رياح الفتنة وقالة السوء، يصونها من الجانب الذاتى فلا يتعرض المرء لمواطن الشبهات، ومن الجانب الخارجى فنهى الناس عن الظن، وإثارة الشبهة حول بعضهم حتى تقوى الروابط بينهم وتظل حياتهم نقية صافية.

أهمية الوقت فى الإسلام

ومن القارئ/ عبد السلام محمد وحيد عمرى -القداديح- أبنوب - أسيوط- وردت هذه الرسالة التى يتكلم فيها عن ضرورة الاهتمام بالوقت وتبدأ الرسالة بقول الله -تعالى-:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾.

(الإسراء : ١٢)

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» رواه البزار والطبرانى بإسناد صحيح.

وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» رواه البخارى.

للوقت أهمية كبرى فى حياة الفرد والمجتمع والشعوب والأمم، وقيمة الوقت من أغلى القيم، لأن الوقت إن كان فى معناه مقدار من الزمان إلا أنه فى الحقيقة هو الحياة التى يعمل فيها المسلم للدنيا والآخرة، والمسلم يحاسب فى الآخرة على ما قدم من عمل فى الدنيا، وبناء على العمل يترتب الجزاء، والمصير إما إلى الجنة وإما إلى النار.

ولقد اهتم القرآن الكريم بالوقت أهمية كبرى، فقد أقسم الله -سبحانه وتعالى- بفترات كثيرة من الزمن فأقسم بالليل وأقسم بالنهار، وببعض فترات النهار: كالفجر والضحى والعصر، والله - سبحانه وتعالى- إذا أقسم بشىء فمن أجل أن يلفت أنظارنا إلى قيمته وأهميته وإلى ضرورة التفكر والتأمل فى هذه الآيات الكونية.

وإذا كان الوقت هو الحياة، فإن الوقت - أيضاً - هو الحضارة، ولقد أدرك المصريون القدماء قيمة الوقت فأسسوا حضارة بهرت العالم ومن يذهب إلى المعالم السياحية فى أرجاء مصر يدرك ذلك، ولقد استفاد المسلمون الأوائل من الوقت استفادة ساعدتهم فى بناء حضارة لاتزال نعيش على أرضها ونفاخر بها حتى اليوم كما استفادت أوروبا من الحضارة الإسلامية -بخاصة- فى مجال الطب والهندسة، والكيمياء، والفيزياء والحساب، والفلك والمنطق والفلسفة.. وكان للمسلمين الفضل فى نهضة أوروبا والعالم.

غواص فى لغة الضاد

للأستاذ/ السيد أحمد أبو الفضل

نثقفها حتى تلين مُتونها	فيقصر عنها كل من يتمثل

ومن اللآلئ التى جمعها غواصنا لهذا العدد قوله:

• وجه القول فى «احتج العمال على سوء معاملتهم»:

نرى هذا الاستعمال وأمثاله كثيرا فى الصحف ونسمع دورانه على الألسنة، وهذا خطأ، إذ يستعمل الاحتجاج فى موضع الإنكار والسخط لبعض الأمور التى تلحق بطائفة أو فرد فيقال: احتجت الدولة الفلانية على إهانة رعاياها أو إهانة سفيرها، واحتج الشعب على إنكار حقه وهضمه.. وهكذا لا يكاد يخلو مقال أو حديث أو تعبير من مثل هذا الاستعمال. والاحتجاج فى اللغة: الإدلاء بالحجة والدليل؛ لتأييد الدعوة وإقامة البرهان على صحتها ولا نراه هنا يدل على الإنكار والسخط.

وقال تعالى مخاطباً أهل الكتاب:

﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ

تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾(١) فالمعنى الوصفي الظاهر لقولك: احتج على إهانتي: إنني أقيم الحجة على هذه الإهانة وأعتقد صحتها وأدافع عنها. وقد يحاول بعض الباحثين تخريج هذا الأسلوب على المجاز، فيدل بالمسبب وهو الاحتجاج على السبب وهو الإنكار والأولى أن يستبدل به لفظ «الإنكار» أو السخط أو الاستياء أو ما جرى هذا المجرى.

* مُغلفَ وغِلاَف:

من منا لم يسمع مثل هذا السؤال: الديك مغلف؟ وقد سمعته كثيرا، وكنت أقول: وما اسم الرسالة إذاً لأبعث هذه الرسالة؟ إن المغلف هو الرسالة نفسها، وما توضع فيه هو الغلاف، تقول: غلفت الكتاب أي جعلت له غلافا، وكذلك: غلفت الرسالة أو الهدية: جعلت لها غلافاً أضعها فيه، فهي مغلفة، وهي اسم مفعول، وهذا يذكرنا بالظرف والمظروف، فالظرف: هو الغلاف، والمظروف هو المغلف.

* الحمام الزاجل:

لم نعرف هذا النوع من الحمام في أيامنا إلا في بطون الكتب، إذ لا واقع له نراه أو نحسه الآن، ولكن اسمه يتردد كتاريخ، والزاجل: اسم فاعل من زجل الحمام: أرسله على بعد، فالزاجل هو الشخص الذي يقوم بهذه المهمة.

ولهذا ينسب الحمام إليه. فالصواب: أن يقال: حمام الزاجل، أو حمام الزجال، بإضافة الحمام إلى الزاجل، أو الزجال على صيغة المبالغة، إذ لو قيل: الحمام الزاجل، فإن الزاجل تكون صنعة للحمام، وليس الأمر كذلك.

* توفي فلان، وفلان المتوفى سنة كذا:

يُخطِّئُ أهل اللغة من يقول: توفي فلان، وفلان المتوفى ويرون أن الصواب هو: توفى الله فلاناً، تُوُفِّيَ فلان بالبناء للمجهول؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو «المتوفي» وهو اسم فاعل من الفعل «توفى» وفلان هو «المُتَوَفَّى» اسم مفعول، ومعنى توفي فلان: مات، وتوفاه الله إذا قبض نفسه أو روحه. روى أن عليا -كرم الله وجهه- سأله عامي وهو يسير وراء جنازة: من المتوفِّي؟.. فأجابه: الله. فقال الأعرابي: كيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

فأجابه: أما سمعت قوله سبحانه وتعالى:

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾(٢) قل: من المتوفِّي؟ وفاعل الفعل هو الله -عز وجل-: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾(٣)

وورد الفعل مبنيا للمعلوم في قوله تعالى -أيضا: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾(٤).

وورد بالبناء للمجهول في قوله تعالى- ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا ﴾(٥).

والمصدر هو «التوفي» وهو استيفاء مدة الميت التي وفيت له، وعدد أيامه وشهوره وأعوامه في الدنيا.

---

(١) آل عمران: آية ٦٦. (٢) سورة الزمر: ٤٢. (٣) سورة آل عمران: ٥٥.

(٤) سورة السجدة: ١١. (٥) البقرة من الآية ٢٣٤.

جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى

تم تحديد موضوعات جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامى الممنوحة من وقف المستشار الدكتور محمد شوقى الفنجرى.. والموضوعات هى:

١ ـ التجديد فى الفقه الإسلامى.

٢ ـ ظاهرة الانفصام بين العقيدة والسلوك (المشكلة والحل).

على أن يقدم البحث بموجب إيصال فى ميعاد غايته ٣١ مارس عام ٢٠٠١ إلى مكتب ناظر الوقف الأستاذ المستشار رئيس هيئة قضايا الدولة بالدور العاشر بمجمع التحرير، وذلك فى ثلاث نسخ بما لا يقل عن مائة صفحة ولا يتجاوز مائتين، مع ملخص له من خمس نسخ بما لا يقل عن عشر صفحات ولا يتجاوز عشرين صفحة.

من إبداعات القراء:

هيا تأمل يا فتى

أسمعت يوماً فى الصبا ... ح الطير وهو يشقشق؟!

أعجبت يوماً من حديـ ... ـث الماء إذ يترقرق؟!

أبكيت يوماً ثم دمـ ... ـعك صار ناراً تحرق؟!

أفزعت يوماً لست تد ... رى من تُحبُ وتعشق؟!

آياتُ نورٍ يا فتى.. ... فى كلِّ يومٍ تشرق

تسعى إليك وكل يو ... مٌ فى سماك تُحلِّق

وتحيد عنها يا فتى ... وكأن فكرك ضيقٌ

هيا تأمل يا فتى ... فلعل لبِّك يشرق

شعر/ السيد التحفة

شبراخيت ـ بحيرة

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٢٨ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٠٠٠/٣/٥م السيد دمينجو سيازون وزير خارجية الفلبين والسيد/ مكا بانجكت لاتنو سفير الفلبين بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى رحاب الأزهر الشريف، وأوضح فضيلته أن الأزهر الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يعلم أبناء المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها جنباً إلى جنب مع أبناء مصر، ويقوم بإرسال العلماء إلى كافة أنحاء العالم، يعلمون الناس صحيح الإسلام ويدعونهم إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة ذلك لأن الدراسة بالأزهر الشريف تمتاز بالاعتدال والوسطية، والبعد عن التعصب الأعمى، كما يمتاز بتدريس جميع المذاهب الفقهية، ولا يتعصب لمذهب بعينه، ويجمع بين جميع الآراء.

كما أوضح أن الأديان كلها جاءت لسعادة البشر وليس لشقائهم، وأنها تحث الناس وترشدهم إلى المعاملة الطيبة فيما بينهم وتحثهم على حسن الخلق والعدل والرحمة وحسن المعاملة، كما أشار إلى أن المسلمين والمسيحين فى مصر يعيشون متجاورين فى بيوتهم وحقولهم وكل إنسان يؤدى عبادته بحرية تامة وأن الجميع متساوون فى الحقوق والواجبات، وأن الذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل لأن العقائد لا تباع ولا تشترى.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة واللقاء، وتوضيح هذه المفاهيم، وقدم الدعوة لفضيلته لزيارة دولة الفلبين، ولقاء السادة خريجى الأزهر الشريف الذين تعلموا فيه ونهلوا من علمه الغزير وهم الآن يحتلون مناصب قيادية فى الفلبين.

وقد قبل فضيلته الدعوة ووعد بتلبيتها فى القريب إن شاء الله. حضر اللقاء فضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات.

● كما استقبل فضيلته السيد/ مصطفى بيلا وزير التجارة النيجيرى.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف وأوضح أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى سبيل نشر الثقافية الإسلامية؛ لأن التعليم الأزهرى يقوم على حفظ القرآن الكريم كاملاً موزعاً على القسم الابتدائى ومدة الدراسة بها ست سنوات والقسم الإعدادى ومدة الدراسة به ثلاث سنوات، والقسم الثانوى ومدة الدراسة به أصبحت ثلاث سنوات، ثم يلتحق بالجامعة حسب مجموعه يدخل الكلية، المناسبة مع ملاحظة حصوله على الثانوية الأزهرية قسم علمى أو أدبى وهكذا، وإلى جانب القرآن الكريم تدرس علوم الفقه والسيرة النبوية، والحديث والتفسير، والمواد العلمية والأدبية واللغات وهكذا يقوم بتعليم الوافدين إليه من دول العالم المختلفة، كما يرسل علماءه لتعليم أبناء المسلمين.

وأوضح فضيلته أن فى نيجيريا يوجد ثلاثة معاهد أزهرية يشرف عليها الأزهر ويمدها بالمناهج والكتب الدراسية والعلماء الذين يقومون بالتدريس، وعددهم ثلاثة وسبعون مدرساً، كما يقدم الأزهر المنح لطلاب نيجيريا للدراسة بالأزهر للطلبة والطالبات ويبلغ عدد المنح مائتى منحة دراسية، يقيم الطلاب بمدينة البعوث الإسلامية تحت الرعاية الكاملة تعليماً وسكناً وطعاماً وشراباً وعلاجاً وتذاكر للسفر ذهاباً وعودة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء، والحفاوة وقال إننا دائماً نستمد العون والعلم من قلعة العلم والنور وقبلة العلماء، وهو الأزهر الشريف ونطمع فى المزيد من المنح الدراسية.

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بتلبية طلب السيد الوزير.

حضر اللقاء الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات والإعلام بالأزهر الشريف.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يزور جمعية رعاية الأحداث

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة جمعية رعاية الأحداث وذلك فى يوم ٢٩ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ الموافق ٦ من مارس ٢٠٠٠م بدعوة من رئيسه وذلك للمشاركة فى الاحتفال بالعيد الذهبى للجمعية تقديراً للدور الرائد فى رعاية الأحداث وتنشئتهم مواطنين صالحين ينفعون أنفسهم ووطنهم.

وقد أشاد فضيلته بالرعاية الدينية حيث يوضحون لهم أمور دينهم فى سهولة ويسر على يد متخصصين، وبذلك ينشأون نشأة طيبة سوية، كما أشاد فضيلته بالرعاية الصحية للأحداث. كما أشاد بتعليمهم واكتسابهم إحدى الحرف والمهن اليدوية ليكتسبوا منها خبرة تعينهم بعد ذلك على مجابهة الحياة، كما أن ممارستهم للأنشطة الرياضية والفنية يكسبهم القوة والثقة فى أنفسهم؛ لأن العقل السليم فى الجسم السليم.

كما أبدى إعجابه بمنتجات أبناء الجمعية من الأثاث والمفروشات والملابس والتى ستشارك بها فى السوق الخيرى السنوى ويخصص دخل السوق بعد ذلك للإنفاق على مشروعات الجمعية.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يحضر احتفال جامعة الأزهر لتكريم أوائل خريجى كلية الطب

● حضر فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الاحتفال الذى أقامته جامعة الأزهر الشريف

لتكريم أوائل خريجى كلية الطب لعام ٩٨م والذى أقيم بقاعة الشيخ محمد عبده بالدراسة وذلك فى يوم ٢٤ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ والموافق ٢٠٠٠/٣/١م حيث أعلن فضيلته أن مهنة الطب مهنة إنسانية من أعرق المهن، فمن الذى يعالج المريض ويصف له الدواء النافع الناجع، ومن الذى يسهر بجانب المريض ويخفف عنه آلامه، وأوجاعه، ومن الذى يسعف المصاب ويضمد له جراحه ويقوم على رعايته ويسكن آلامه، ويعطيه الأدواء المناسب لحالته إنه الطبيب فى شتى تخصصاته المختلفة، ومن هنا أطالب أبنائى الأطباء الخريجين أن يكونوا بحق كما تعلموا فى الأزهر الشريف من القدوة الطبية والأخلاق الحميدة، ومراعاة واجب المهنة وقبل كل ذلك وبعده مراقبة الله -عز وجل- ومراقبته الضمير، والاخلاص لله وحده، فهى أمانة انتم مسئولون عنها أمام الله -سبحانه وتعالى- ودعاء، إلى الله أن يوفقكم ويرعاكم.

كما أعلن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر أن مشيخة الأزهر والجامعة لا يدخران جهداً فى كل ما هو خير لأساتذة الطب. وتوجه بكل الشكر والتقدير للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية الذى يسر على الأزهر الشريف وذلك بتفويض فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى بعض القرارات التى كان يصدرها، مشيراً إلى أن شيخ الأزهر يقود مسيرة أعرق جامعة بفكر مفتوح وقلب موصول، وذلك للنهوض بالأزهر الشريف بمعاهده المنتشرة فى محافظات مصر كلها، والتى تزيد على الخمسة آلاف معهد أزهرى حضانة، وابتدائى، وإعدادى، وثانوى، ومعلمين وقراءات وكذلك الكليات الأزهرية التى تربو على الستين كلية فى تخصصات مختلفة.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يبعث ببرقية تهنئة بمناسبة عيد الأضحى إلى السيد رئيس الجمهورية

● بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ببرقية تهنئة إلى السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية بمناسبة عيد الأضحى المبارك قال فيها:

فخامة السيد الرئيس/ محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..

فبمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، أتقدم لسيادتكم باسم الأزهر طلابه وعلمائه والعاملين فيه بأسمى آيات التهنئة القلبية، داعياً المولى -سبحانه وتعالى- أن يديم على مصرنا الحبيبة الأمن والرخاء فى ظل قيادتكم الحكيمة، كما أدعوه -سبحانه- أن يمتعكم بالصحة والعافية، إنه سميع مجيب.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيخ الأزهر الشريف

د./محمد سيد طنطاوى

٥ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ

١١ مارس ٢٠٠٠م

● كما بعث فضيلته ببرقية تهنئة للسيد الأستاذ الدكتور/ عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء، قال فيها:

الأستاذ الدكتور/ عاطف عبيد رئيس مجلس الوزراء:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فيطيب لى بمناسبة حلول عيد الأضحى

المبارك أن أبعث إلى سيادتكم بأسمى آيات التهنئة داعياً الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يعيد عليكم هذه الأيام المباركة بمزيد من الصحة والعافية وعلى شعب مصر بالاستقرار إنه سميع مجيب، وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

٥ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ

١١ من مارس ٢٠٠٠م

شيخ الأزهر الشريف

د./ محمد سيد طنطاوى

الدكتور محمد عبده يمانى يهنئ الإمام الأكبر

● تلقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف من الدكتور محمد عبده يمانى الرسالة الآتية ونصها:

فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حفظه الله:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فببالغ الفرح والسرور تلقيت خبر حصول الأزهر الشريف على جائزة الملك فيصل العالمية فى خدمة الإسلام ونشره، ولا شك أن حصول الأزهر الشريف على هذه الجائزة يعتبر تتويجاً للجهود المباركة لهذا الصرح الكبير فى نشر الإسلام، وتعاليمه، وخدمته، فى جميع أنحاء المعمورة، وختاماً: أكرر تهنئتى الحارة، وأسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الإسلام والمسلمين إنه سميع مجيب، وتقبلوا خالص شكرى وتقديرى.

أخوكم

محمد عبده يمانى

١٢ من ذى القعدة ١٤٢٠هـ

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لأبناء الأمة العربية والإسلامية بمناسبة عيد الأضحى المبارك

● فى كلمته للمسلمين بمناسبة عيد الأضحى المبارك دعا فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أبناء الأمة العربية والإسلامية إلى العمل بجد وصدق وأمانة لخدمة بلادهم وأمتهم مشيراً إلى أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا إلى إلى الاتقان فى العمل وتجويده وبذل أقصى الجهد فيه «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» كما طالب المسلمين جميعاً أن يبنوا ولا يهدموا، ويعمروا ولا يخربوا، ويصلحوا ولا يفسدوا، وأعرب فضيلته عن خالص التهنئة باسمه وباسم الأزهر الشريف للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك وشعب مصر الكريم بجميع فئاته، وإلى قادة وحكومات وشعوب الأمتين العربية والإسلامية داعياً المولى ـ عز وجل ـ أن يعيده على الجميع بالخير واليمن والبركات، وقال إننا نستقبل هذا العيد الذى تزداد فيه وبه البهجة وبخاصة حينما نرى الأمان والرضا، والمودة والسلام يعم العالم الإسلامى بل الكون كله.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يؤم المصلين فى صلاة عيد الأضحى المبارك

● أدى فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ صلاة عيد الأضحى المبارك مع السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية، والسيد رئيس مجلس الوزراء، والسادة الوزراء، وكبار رجال الدولة والقيادات

السياسية والشعبية، وجموع المسلمين، وذلك في مسجد الشهداء بمدينة شرم الشيخ بمحافظة جنوب سيناء، وقد أم المصلين في الصلاة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، ثم قام بخطبة العيد تناول فيها مكانة الأعياد في الإسلام، وقال إنها شرعت في الإسلام لحكم سامية ومقاصد عالية؛ لتكون فرصة للترويح عن النفس الإنسانية، كما شرعت الأعياد في الإسلام لتكون فرصة للتزاور والتراحم والتعاطف والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وإيجاد الصلة بين الأقارب بصفة خاصة وبينهم وبين غيرهم بصفة عامة، كما شرعت الأعياد في الإسلام لتقديم العون إلى البائسين والمحتاجين، لتكون لوناً من التكافل والتراحم والتعاطف، حيث تزداد بهجة الأعياد والسرور وعندما يرى الإنسان أمته وقد سادها الإيمان والسلام والاطمئنان، والتعاون على البر والتقوى، وزيادة الإنتاج، وتنمية الصناعة والزراعة، وكل ما يعود علينا في ديننا بالخير امتثالاً لأوامر الله - سبحانه وتعالى - لنا بالعمل والكفاح، ودعا فضيلته للمسلمين في شتى أنحاء العالم أن تعود عليهم أمثال هذه الأيام المباركة باليمن والخير والبركات وأن يعم العالم السلام والأمن والأمان وعلى مصر البركة والاستقرار.

مضاعفة الاهتمام بطلاب وطالبات مدينة البعوث الإسلامية

وجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى مضاعفة الاهتمام بطلاب وطالبات مدينة البعوث الإسلامية، بمناسبة عيد الأضحى المبارك وإعداد وجبات خاصة لهم بهذه المناسبة الطيبة الكريمة، حيث إنهم في ضيافة مصر بلد الأزهر الشريف، وقد صرح فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجي المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية، بأن توجيهات صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر كانت محل الاهتمام، حيث كان الاهتمام بوجبات الطعام واللحوم بهذه المناسبة للطلاب في القاهرة، وفي الإسكندرية، كما تم وضع برنامج حافل للطلاب خلال أيام العيد يشمل الرحلات الترفيهية إلى مدينتي بورسعيد، والإسكندرية، إلى جانب الندوات الدينية، كما أضاف أن عدد الطلاب الآن ٣٠٠٠ طالب وعدد الطالبات ٣٠٠ طالبة، وسنقبل طالبات بعد الانتهاء من افتتاح خمس عمارات سكنية ترمم الآن، ويقوم بترميمها أحد فاعلي الخير، وتبلغ تكاليفها مليون جنيه، كما قام أحد فاعلي الخير بإهداء مدينة الطالبات مكتبة إسلامية، تضم حوالي ٢٠٠٠ كتاب من كتب التراث الإسلامي والكتب الحديثة - أيضاً - بالإضافة إلى جهاز كمبيوتر لتدريب الطالبات على استخدام الانترنت.

مسابقة أوائل الطلاب للشهادة الثانوية الأزهرية القسم العلمي

● أسفرت مسابقة أوائل الطلاب للشهادة الثانوية الأزهرية القسم العلمي على مستوى الجمهورية عن فوز منطقة الدقهلية الأزهرية بالمركز الأول، والقليوبية بالمركز الثاني، والجيزة بالمركز الثالث، والفيوم بالمركز الرابع.

اشترك فى المسابقة ٦٠ طالباً يمثلون عشرين منطقة، وتم إجراء المسابقة فى العلوم الشرعية واللغة العربية والرياضيات والمواد العلمية واللغة الإنجليزية.

وفى نهاية المسابقة تم توزيع الجوائز المالية وشهادات التقدير على الطلاب الفائزين وسيتم اشتراكهم فى المعسكرات التى تنظمها الإدارة العامة لرعاية الطلاب وسيتم تكريم المتقدمين والمتميزين فى مختلف الأنشطة.

صرحت بذلك السيدة/ نبيلة زاهر المدير العام لرعاية الطلاب بقطاع المعاهد الأزهرية.

إنشاء مركز للسنة النبوية الشريفة بالأزهر الشريف

● سيتم إنشاء مركز للسنة والسيرة النبوية الشريفة بالأزهر الشريف، وذلك للنهوض بالبحوث فى مجال السنة والسيرة وتنقيتها من الشوائب، ويعمل المركز على إعداد موسوعة للحديث النبوى، تضم الأحاديث الصحيحة بعد تحقيقها: مبوبة ومفهرسة ومخرجة تخريجاً علمياً لتوضيح المناهج ودحض الشبهات، وكذلك الإسهام فى تحقيق المصادر المهمة للسنة والسيرة ونشرها بما يلائم العصر وبما يجعلها مفهومة لعامة المسلمين وخاصتهم، وسيصدر المركز دراسات عصرية عن السنة والسيرة تساهم فى تكوين الوعى الإسلامى الصحيح وتوضيح مقاصد السنة النبوية الشريفة.

وسوف يعمل المركز من خلال الأزهر الشريف على متابعة ما ينشر عن السنة والسيرة بأقلام المستشرقين، والرد على الافتراءات ونشر الدراسات الموضوعية الجيدة التى تنصف الإسلام والسنة النبوية، وسوف يضم مجموعة من الباحثين المتميزين، لوضع مصنف لرجال السنة والسيرة، ودراسة الأحكام الشرعية المستمدة من السنة بشكل متكامل للاستفادة منها عند وضع القوانين والتشريعات، وإصدار مجلة علمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر فى حقل الفكر الإسلامى وبخاصة فى مجال السنة والسيرة النبوية، وستخصص مكتبة إسلامية لبحوث السيرة والسنة تضم المؤلفات والمراجع والمخطوطات، وسيتم التنسيق بين المركز بالأزهر مع مراكز السنة والسيرة فى العالم الإسلامى.

مواعيد امتحانات الفصل الدراسى الثانى لجميع مراحل المعاهد الأزهرية

● حدد قطاع المعاهد الأزهرية برئاسة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية مواعيد امتحانات الفصل الدراسى الثانى الدورين الأول والثانى لسنوات النقل والشهادات لجميع مراحل المعاهد الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية والمعلمين والقراءات ومعاهد البعوث الإسلامية الأزهرية الدور الأول السبت الموافق ١٣ مايو سنة ٢٠٠٠م والدور الثانى السبت الموافق ١٢ أغسطس سنة ٢٠٠٠م.

= أما الصفان الرابع والخامس الابتدائى، والصفان الأول والثانى من المرحلة الإعدادية فتعقد امتحانات الدور الأول فى يوم ٦ مايو سنة ٢٠٠٠م، والدور الثانى فى ٨ يوليو سنة ٢٠٠٠م.

= كما تعقد امتحانات النقل للثانوى الدور الأول فى يوم ٧ مايو سنة ٢٠٠٠م وكذلك المعلمين والقراءات والنقل الثانوى لمعاهد البعوث الدور الثانى فى يوم ٨ يوليو سنة ٢٠٠٠.

ـ أما امتحانات الشهادة الابتدائية الأزهرية الدور الأول فتبدأ يوم ٢٠ مايو سنة ٢٠٠٠م والدور الثانى فى ٢٢ يوليو سنة ٢٠٠٠.

ـ وبالنسبة لامتحانات الشهادة الاعدادية الأزهرية والثانوية الأزهرية والمعلمين والقراءات والشهادة الاعدادية لمعاهد البعوث الإسلامية فيبدأ الدور الأول يوم ٣ يونيو سنة ٢٠٠٠م والدور الثانى يوم ١٢ أغسطس سنة ٢٠٠٠م.

ـ أما امتحانات الشهادة الثانوية لمعاهد البعوث الإسلامية فيكون الدور الأول ٢٤ يونيو سنة ٢٠٠٠ والدور الثانى فى ٢٦ أغسطس سنة ٢٠٠٠م

مد خدمة فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف

● أصدر السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية قراراً بمد خدمة فضيلة الشيخ فوزى فاضل إبراهيم الزفزاف وكيلاً للأزهر حتى ٢٠٠٠/٦/٣٠م.

صدر برئاسة الجمهورية فى ذى الحجة ١٤٢٠هـ الموافق مارس ٢٠٠٠م.

● صدر قرار شيخ الأزهر رقم ١٧٨ لسنة ٢٠٠٠م يسند إلى فضيلة الشيخ/ السيد وفا أبو عجور، الأمين المساعد للدعوة والإعلام الدينى بمجمع البحوث الإسلامية القيام بعمل وظيفة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية عند غياب شاغلها الأصلى.

صدر فى ٢ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ.
الموافق ٨ من مارس ٢٠٠٠م.

التصفيات لمسابقة القرآن الكريم الكبرى

● يبدأ قطاع المعاهد الأزهرية فى ٢١ من مارس ٢٠٠٠م فى عمل التصفيات النهائية لمسابقة القرآن الكريم الكبرى بالأزهر الشريف، وقد تقدم للمسابقة تسعة آلاف طالب من المعاهد الأزهرية فى ٢٧ منطقة أزهرية على مستوى الجمهورية، بالإضافة إلى طلاب جامعة الأزهر الشريف، وطلاب البعوث الإسلامية، الوافدين، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم التابعة لإشراف الأزهر الشريف.

ومواعيد امتحان المسابقة كالآتى:

● منطقة المنوفية ٣/٢١، منطقة الغربية ٣/٢٣، قنا وجنوب سيناء، والسويس ٣/٢٧ الشرقية ٣/٢٨، مطروح ،البحر الأحمر ٣/٣٠، الدقهلية ٤/١، البحيرة وأسوان ٤/٢١، سوهاج والجيزة ٤/١٢، القليوبية الإسماعيلية ودمياط ٤/١٥، كفر الشيخ وشمال سيناء، والمنيا ٤/١٧، أسيوط والوادى الجديد ٤/١٨ الفيوم وبنى سويف ٤/٢٠، الإسكندرية والأقصر ٤/٢٢، القاهرة ٤/٢٣، بورسعيد ومتخلفو المكاتب والمعاهد ٤/٢٦، جامعة الأزهر ٤/٢٩.

صرح بهذا فضيلة الشيخ حمدى طنطاوى وكيل قطاع المعاهد للخدمات.

وفد من الأزهر الشريف لحضور المؤتمر الإسلامى العالمى الثانى بشيكاغو

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على سفر كل من السادة: فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى رئيس الإدارة المركزية المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية، وفضيلة

الشيخ/ على محمود أبو الحسن مدير عام الدعوة بمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى على المدير العام للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف؛ وذلك لحضور المؤتمر الإسلامى العالمى الثانى المنعقد فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة الامريكية فى المدة من ٢٤ إلى ٢٧ فبراير سنة ٢٠٠٠م بالقرار رقم ١١٨ لسنة ٢٠٠٠م.

وقد حضر الوفد ممثلاً للأزهر الشريف مؤتمر أمة الإسلام برئاسة لويس فرخان (محمد فرقان) وقد شارك في المؤتمر وفود من كافة الدول العربية والإسلامية من دول إفريقيا، وآسيا، والأقليات الإسلامية في شمال كندا، وجنوب فرنسا، ومن اليابان.

وفى كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى اليوم الأول التى ألقاها فضيلة الشيخ فرحات السعيد المنجى بيّن أن الإسلام دعا إلى وحدة الأمة الإسلامية ووحدة الكلمة والتعاون على البر والتقوى، والبعد عن التنازع والشقاق والدعوة إلى السلام القائم على العدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، ودعا إلى الاعتصام بحبل الله المتين، والاعتماد على الله، والثقة به، ثم الاعتماد على النفس وإعداد العدة، وأن يتنبه المسلمون إلى ما يحاك بهم، وأن يكونوا يداً واحدة، وقلباً واحداً وصفاً واحداً؛ حتى يهيىء الله لأمة الإسلام النصر والغلبة.

وتمنى للمؤتمر التوفيق وأن تكون فعالياته مثمرة ونافعة، ودعا الله ـ سبحانه وتعالى ـ للمسلمين ولأمة الإسلام بدوام العزة والتوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير.

وكانت محاور المؤتمر التى تمت مناقشتها وقدمت فيها الأبحاث:

البنوك والاقتصاد الإسلامى، الشريعة الإسلامية، والرق، والأسرة المسلمة، والمرأة والزواج، العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين، الاعجاز العلمى فى القرآن، العقبات التى تواجه المسلمين فى هذه الفترة.

وقد أذاع التليفزيون الأمريكى والصحافة الأمريكية وقائع المؤتمر فى فترة انعقاده، وقد حضر المؤتمر أعداد كبيرة من المسلمين من الولايات المختلفة في أمريكا، إلى جانب الضيوف الذين حضروا المؤتمر، وفي اليوم الأخير حضر أكثر من عشرين ألف مسلم بنظام دقيق للغاية، وقد قرأ فضيلة الشيخ على أبو الحسن بعض آيات القرآن الكريم مرتلا أمام هذا العدد الحاشد، وقد ألقى/ محمد فرقان، زعيم أمة الإسلام بأمريكا خطاباً على مدى ساعتين، أكد فيه أن الإسلام هو هدفنا وغايتنا، ممثلاً فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وقال: إننا قمنا بمسيرة مليون مسلم من أمام البيت الأبيض فى العام الماضى، وأعلن أنه سيقوم بمسيرة بمليونى مسلم هذا العام تأكيداً لوجودنا كمسلمين فى أمريكا ولتكوين كيان إسلامى خالص؛ ليتم التوازن فى السياسة الأمريكية المنحازة إلى اليهود . وقد حضر المؤتمر طوائف من اليهود التى لا تؤمن بالاتجاه الصهيونى ولا تؤمن بمقولة أرض الميعاد، ولا أن القدس يهودية، وقد أعلن كبير هؤلاء الحاخامات فى المؤتمر أمام هذه الحشود المسلمة اعتذارهم عن أعمال اليهود والاسرائيليين والصهيونية ضد العرب والمسلمين وتبرأوا منها، وقالوا: إنها ليست من

اليهودية فى شىء، ولكنها من أعمال الفكر الصهيونى المستبد الذى لا يؤمنون به، كما يعلن هؤلاء الحاخامات تأييدهم لخطوات السيد/ لويس فرخان (محمد فرقان) زعيم أمة الإسلام فى أمريكا فى الدفاع عن قضايا المسلمين المظلومين من جراء السياسة الأمريكية فى الشرق.

ولجماعة أمة الإسلام فى كل ولاية أمريكية مركزاً إسلامياً به مستشار، ويبشر المركز بالإسلام المنتمى لأمريكا وطناً والإسلام الخالص ديناً على نهج القرآن والسنة فقط.

وكل ما يطالبون به هو الدعم المعنوى والتأييد الإسلامى من الدول الإسلامية، والمعونات العلمية، وأكثر أتباع أمة الإسلام من المثقفين، ورجال الأعمال، والعلماء، والعلماء، فى شتى المجالات، والتخصصات.

وقد أعلن زعيم أمة الإسلام فى خطابه عن تقديره للأزهر الشريف، وعلمائه وشيخه، ولمصر.

وقد قدم أعضاء الوفد الأبحاث، وحضروا جميع اللقاءات، وكان لهم وجود، وحضور، وتم التعارف مع الوفود المشاركة، مما كان له أطيب الأثر لوجود الأزهر الشريف فى هذا الجمع الكبير.

وقد صدرت توصيات اشترك فى صياغتها وفد الأزهر مع الوفود الأخرى وهى:

١ ـ أن حجر الأساس فى وحدة اللغة يأتى من خلال الإيمان بالله ـ سبحانه وتعالى ـ ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

٢ ـ معاملة واحترام المسلمين جميعاً كأخوة وهم جميعاً أمة واحدة.

٣ ـ التعهد بأن تكون الأخوة والوحدة الإسلامية مزيلة لكل الحواجز والاختلافات فى اللون واللغة والمكان والمواطنة والمعتقدات التى لاتخالف الشريعة.

٤ ـ النظر إلى المشاكل والصراعات التى تواجه هذه الأخوة المشتركة، وكأنها تخصنا جميعاً كأمة واحدة مسلمة، وعليه يجب أن يتحد المسلمون جميعاً، ويتساندوا جميعاً حتى يصلوا إلى قرار وحل مرضٍ وبعيدٍ عن الفشل.

٥ ـ الحض والدفاع وتقديم التضامن والتكاتف من أجل مصالح المسلمين محلياً وعالمياً.

٦ ـ الوقوف إلى جانب الإخوة والشعوب المضطهدة والاستفادة بكافة الوسائل المتاحة فى أيدينا للدفاع عنهم وحمايتهم.

٧ ـ أن نحمل رسالة الإسلام لإخوتنا فى الإنسانية فى شتى أنحاء العالم بالتى هى أحسن.

٨ ـ أن نوصى أنفسنا بالتصرف والسلوك الحسن والأخلاق الإسلامية السامية فى كل وقت ومكان، وتحت كافة الظروف.

٩ ـ أن نكون ـ دائماً ـ على اتصال ببعضنا البعض، وفق قواعد منظمة لمشاركة المعرفة والمعلومات من أجل الخير العام للأمة الإسلامية وللبشرية جمعاء.

١٠ ـ حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره، والدفاع عن القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وأنه فى قلب كل مسلم.

من أنباء العالم الإسلامى

إعداد: د. محمد عبد الحكيم محمد

الأزهر يشجع الحوار بين الأديان لإعمار الكون

أكد الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر ـ أن الحوار بين أتباع الديانات السماوية المختلفة، يجب أن يوجه لمناقشة القضايا العالمية لإرساء القيم الإنسانية الفاضلة فى المجتمع الدولى، وأوضح الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى: أن الأزهر يشجع الحوار بين الأديان لإعمار الكون واستخدام التكنولوجيا فى ترقية الشعوب، وأن تكنولوجيا التدمير والتخريب لاتقرها جميع الأديان.

وقال: إن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى علاقة اعتراف بجميع الأديان السماوية، حيث اعترف الإسلام بجميع الأنبياء والرسل ـ عليهم السلام ـ.

وأوضح شيخ الأزهر: أن الإسلام أرسى قاعدة الحقوق الإنسانية فى المجتمع البشرى منذ ١٤٠٠ عام، وصان حق العقيدة وحرية ممارسة الشعائر الدينية، حيث ﴿لا إكراه فى الدين﴾، لأن الإكراه لايأتى بمؤمنين وإنما يأتى بمنافقين، وأن الإسلام استهدف تحرير الإنسان ورفع شأنه، ووفر أسباب العزة والكرامة، فالرسالة الإسلامية تنحصر فى تحقيق الرحمة العامة الشاملة للبشر جميعاً على اختلاف أجناسهم وألوانهم وعلى امتداد أزمانهم واختلاف أمكنتهم.

السماح للمسلمين برفع الأذان فى مساجد «أوسلو»

سُمح للمسلمين برفع الأذان من مآذن المساجد الثمانية عشرة المنتشرة فى العاصمة النرويجية «أوسلو» بعد أن وافقت بلدية العاصمة على ذلك.

وأوضحت النشرة الالكترونية لصحيفة «افتنيوستن» النرويجية التى أوردت النبأ أن المسئولة عن التنمية المدنية والرفاه الاجتماعى فى «أوسلو» «غريتى هورنتفيت» اعتبرت أن الدعوة إلى الصلاة لاتتعارض مع قوانين المدينة.

وأضافت إن الدعوة إلى الصلاة لاتندرج ضمن قوانين البلدية المتعلقة بمنع الضجيج بقدر ما هى تابعة لمبدأ حرية ممارسة الشعائر الدينية المنصوص عليها فى الدستور.

وأوضحت النشرة أن القرار النهائى بالسماح للمؤذنين بالدعوة إلى الصلاة يعود إلى مجالس الأحياء بالعاصمة.

يذكر أن أصوات المؤذنين سمعت للمرة الأولى فى «أوسلو» ـ التى يبلغ عدد سكانها نحو ٥٠٠ ألف نسمة منهم نحو ٣٦ ألف مسلم ـ فى عيد الفطر الماضى.

تيسير أيام التشريق فى منى هذا العام

جده : وكالات الأنباء :

كانت أيام التشريق الثلاثة التى يقضيها الحجاج فى منى من أصعب أيام المناسك وأكثرها إرهاقاً، وكان الناس يتعجلون فى يومين، بسبب الفوضى والزحام الذى يبلغ ذروته بحيث تصل الكثافة البشرية فى منى إلى أقصاها وتصبح من أكثر مناطق العالم ازدحاماً، حيث يصل عدد الحجاج أحياناً إلى مايقرب من ثلاثة ملايين حاج فى مساحة لاتزيد على ٥.٢ مليون متر تحفها مناطق جبلية وعرة، بينما تبلغ المساحة الصافية لإقامة المخيمات مليونين ونصف المليون متر مربع بعد إستقطاع مساحة الطرق والخدمات.

وبسبب الفوضى والزحام ومحدودية المكان كانت تحدث حرائق كثيرة تسببت فى خسائر جسيمة، وارتفع حجم هذه الخسائر نظراً لعدم توافر تجهيزات كافية لمكافحة الحرائق فى الخيام.

كان هذا الوضع يقلق الحجيج والحكومة السعودية حتى بدأت وزارة الأشغال العامة والإسكان بالسعودية منذ عامين بإقامة مشروع ضخم لتحجيم مخاطر الحريق بمنى.

وبعد دراسات وتجارب تم إنشاء خيام مصنوعة من مادة غير قابلة للحريق من الأنسجة الزجاجية المغطاه بمادة التفلون، لعدم قابليتها للإشتعال وعدم إنبعاث غازات سامة منها إلا عند درجة حرارة تتعدى ٥٠٠ درجة مئوية. وفى الوقت نفسه، تم تطوير وتنفيذ أنظمة تؤدى لعدم انتشار الحرائق وتشتمل على إقامة مخارج مياه للإطفاء بضغط وقوة بحيث تتوزع هذه المخارج بالشوارع المحيطة بمخيمات الحجاج وذلك بمعدل مخرج لكل ٩٠ متراً، مع توصيلهابشبكة خراطيم تسهل على رجال الإطفاء مهمتهم وتعفيهم من استعمال سيارات الإطفاء التى يصعب تنقلها فى منى بين الخيام.

وفى الوقت نفسه، تم تزويد الخيام برشاشات المياه التى تعمل بشكل تلقائى بمجرد حصول أى حريق داخل المخيم، إضافة إلى توفير الطفايات اليدوية داخل كل خيمة.

ولتنفيذ هذا المشروع الضخم بصورة جادة تم تقسيمه إلى ثلاث مراحل:

الأولى: وتمثل ٢٥٪ من كامل المشروع، وتمت الاستفادة منها فى حج عام (١٤١٨هـ).

والثانية: وتمثل ٤٠٪، وقد تمت الاستفادة منها فى حج العام الماضى.

أما المرحلة الثالثة والأخيرة: فتمثل ٣٥٪ من المشروع، وقد استفيد منها فى حج هذا العام، إلى غير ذلك من الخدمات الكثيرة التى قدمتها المملكة العربية السعودية تيسيراً على ضيوف الرحمن هذا العام والتى جعلت أصعب أيام المناسك أيسرها بفضل من الله ـ تعالى ـ عليهم وعلى هذا البلد الأمن.

تفعيل لحركة المقاتلين الشيشان

جروزنى : وكالات الأنباء :

ذكرت وكالة أنباء «ار اى ايه» أن أربعة جنود روس لقوا مصرعهم وأصيب ثلاثة آخرون فى «تبادل لإطلاق النار مع المقاتلين» الشيشان بالقرب من «جروزنى» عشية انتخاب الرئيس الروسى فلاديمير بوتين، كما ذكرت وكالة أنباء «إنترفاكس» قيام نحو ألفى مقاتل شيشانى بالاستيلاء على مدينة «نوجاى يورت» فى جنوب شرق الشيشان.

هذا وقد تضاربت الآراء فى هذا الشأن مما جعل وزارة الدفاع الروسية تسارع بنفى صحة هذا الخبر.

seulement révélé que votre Dieu est un Dieu unique".[1]

"Muhammad n'est qu'un prophète; des prophètes ont vécu avant lui".[2]

"Tâ-Hâ. Nous n'avons pas fait descendre sur toi le Coran pour te rendre malheureux, mais comme un Rappel pour quiconque craint Allah, comme une Révélation de celui qui a créé la terre et les cieux élevés".[3]

A Suivre

2

"Introduction au Coran": [1]

> "A la différence du Christianisme, l'Islam primitif n'apparâit point comme une religion confirmée par des miracles. Rien n'a été plus étranger à l'esprit que Mohamet que de se présenter à ses compatriotes comme un sur-homme ou un thaumaturge. Pourtant le Coran met au défi les polythéistes d'apporter une sourate de sa ressemblance. Dans un autre passage qui vise sans doute une objection des Chrétiens et des Juifs, le défi est plus général encore"

Les arguments qui prouvent le caractére inimitable du Saint Coran sont nombreux:

- D'abord, il faut signaler que la premiére preuve réside dans les recits relatifs aux peuples anciens, disparus depuis longtemps tels les Juifs: le Prophéte Arabe était illettré, ne sachant ni lire ni écrire. Il n'avait jamais fréquenté des hommes de science, ni des hommes versés dans les lettres. Il avait été élévé et avait vécu au milieu d'un peuple idolâtre et ignorant. Ces récits et d'autres contenus dans l'Ancien et dans le Nouveau Testament, comme dans l'histoire de la crucifixion de Jésus, sont introduits dans le Coran avec l' intention, soit de prouver qu'Allah est le seul Révélateur des versets du Coran:

> *"Dès que Nous abrogeons un verset ou dès que Nous le faisons oublier, nous le remplaçons par un autre, meilleur ou semblable. Ne sais-tu pas qu'Allah est puissant sur toute chose?"* [2]
>
> *"Voici comment Nous te révélons un Coran arabe".* [3]

Soit de démontrer que Mohammad n'est qu'un homme, comme les autres, incapable de créer un seul verset:

> *"Dis: "Je ne suis qu'un mortel semblable à vous. Il m'est*

[1] Blachère (Régis). "Introduction au Coran" G P Maisonneuve. Editeur. Paris. 1947. Vol.III 1947. P: 1045

[2] Sourate: La Vache, verset 106, p.22.

[3] Sourate: La Délibération, verset 7,p.639.

1

"Le Caractère Inimitable du Saint Coran"

Par
Dr.Aly M.Fahmy

Allah dit dans le Saint Coran:

"Dis: "Si les hommes et les djinns s'unissaient pour produire quelque chose de semblable à ce Coran, ils ne produiraient rien qui lui ressemble, même s'ils s'aidaient mutuellement"[1]

En tant que Musulman et Azharien, en particulier, j'étais toujours attiré vers l'étude du Saint-Coran et de l'inimitabilité de son contenu et de sa forme qui'a tant préoccupé les penseurs musulmans comme Moustafa Sadik Al Râfi. Ce théologien Musulman a consacré en 1952 un important traité à cette question l'Djaz al - Qur'ân wal- balagha al -nabawiyya, qui explique que l'djaz combine deux notions: l'incapacité des forces humaines à tenter d'accomplir un miracle confirmatif et la persistance de cette incapacité à travers les âges. Or, on peut dire que l'Idjgaz laisse entendre que sa caractéristique est une action ou un défaut d'action qui ne peut s'expliquer que par un processus naturel et habituel, en même temps qu'un défi (tahaddi) qui n'a pas eu pour résultat quelque chose qui soit comparable à l'ojet du défi. A ce propos Régis Blachère dit dans son oeuvre intitulée:

---

[1] Sourat: Al-Isrâ (Le Voyage Nocturne), Verset 88, P.377
Essai d'interprétation du Coran Inimitable Traduction par Masson (Dr), revue par Dr. Sobhi El-Saleh, Dar Al-Kitab Al-Masri, Dar El-Kitab Allubnani.

qui usurpe des biens publics ou encore qui déprécie les possessions d'autrui, doit, après le Pélerinage, cesser ces pratiques malhonnêtes. Il n'est point licite après le Pélerinage de revenir aux péchés antérieurs. Il ne faut en aucun cas sacrifier les biens ni le sang qu'à bon droit. Certes cela n'est point une chose aisée car il est toujours difficile d'abandonner une habitude acquise; et que dire alors de celui qui a fondé sa vie sur l'iniquité et l'oppression d'autrui?

Le discours du Prophète - b.s. - met en valeur ce qui régit la relation entre l'homme et la femme liés par le mariage selon un acte qui n'est point semblable aux actes de vente et d'achat. Il montre que l'homme doit traiter son épouse comme un dépôt précieux qui lui est confié et auquel il doit veiller avec soin. Il recommande que l'affection et l'entente mutuelles régnent entre les époux.

Le discours d'adieu a montré en outre que le Coran est la source de toutes les valeurs culturelles et que le pélerin doit les respecter et y tenir fermement à son retour. Le Prophète a enfin résumé toute ces recommandations adressées à la nation islamique en ces mots : "***Votre sang et vos biens respectifs vous sont sacrés, tout autant que la sainteté de ce jour - ci (Arafat) en cette ville (La Mecque) et en ce mois-ci (Dhul - Hiddja)***". Or, ce caractère sacré de l'a me humaine est ce que tente vainement de défendre de nos jours l'Organ isation des Droits de l'Homme.

Toutes ces valeurs culturelles sont les rites à accomplir aprés le Pélerinage. Ainsilepélerinqui reprend ses anciennes habitudes et qui ne tire aucun profit des leçons en les mettant en pratique, ne mérite certes pas le titre de "Hadj".

Dr. Rokeya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

C'est par son comportement que le Pélerin mérite le titre de "Hadj"

par Dr. Rokeya Gabr

Si le comportement du pélerin reste le même après son retour du Pélerinage (Al Hadj), alors les peines et les fatigues qu'il a endurées pour accomplirles ritesonteine perdue et son voyage n'est plus qu'une forme de tourisme religieux durant lequel il apprend à réprimer ses instincts.

Or, le discours prononcé par le Prophète de l'Islam - à lui bénediction et salut - durant le Pélerinage d'adieu résume les points importants qui doivent régir la ligne de conduite du musulman, montrant comment mettre en application dans la réalité quotidienne les principes d l'Islam.

Ce discours explique aussi bien les rites du Pélerinage que tout ce qui a trait au comportement du musulman dans la vie quotidienne.

C'est en ce discours qu'il faut puiser les valeurs culturelles qui doivent régir le comportement et les transactions du musulman vis à vis de ses semblables. Il a montré qu'après son retour du Pélerinage le musulman doit se comporter entant que peronne lucide sachant ce qu'elle fait et non comme une personne passive dénée de toute volonté.Pour conclure son discours d'adieu le Prophète - b.s. - dit : "***Je vous ai laissé une chose qui vous aidera à ne pas vous égarer si vous y tenez fermement , et c'est le livre d'Allah. Ô Allah sois - en témoin. Ô Allah sois témoin de cela***" et il répéta trois fois cette dernière phase.

Voici donc les valeurs culturelles résumées par le Prophète Mohammad - b.s.- :

Tout d'abord la prophibition de s'approprier ou de porter atteinte à ce qui ne nous revient pas de droit. Ainsi le musulman qui pra ique l'usure ou la subornation,

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

Comité de Rédation :

Dr. Rokaya GABr, Professeur au Départe ment de Langye Francaise et de Traduction

M. Mohammad Omar Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

yard for drying dates belonging to Suhail and Sahl, the orphan boys who were under the guardianship of 'Asad bin Zurara. When his she-camel knelt down, Allah's Apostle said, "This place, Allah willing, will be our abiding place." Allah's Apostle then called the two boys and told them to suggest a price for that yard so that he might take it as a mosque. The two boys said, "No, but we will give it as a gift, O Allah's Apostle!" Allah's Apostle then built a mosque there. The Prophet himself started carrying unburned bricks for its building and while doing so, he was saying "This load is better than the load of Khaibar, for it is more pious in the Sight of Allah and purer and better rewardable." He was also saying, "O Allah! The actual reward is the reward in the Hereafter, so bestow Your Mercy on the Ansar and the Emigrants." (Al Bukhari 5.245)

Finally in this occasion we plea to Allah to bless our prophet who guided us and established our Nation. We supplicate to Allah to support the Muslims everywhere to regain the strength and might of the Muslim Nation and to give us victory and mastery. Ameen.

The book of Hadith also narrates the story of Suraqah:
Allah's Apostle arrived at Medina with Abu Bakr, riding behind him on the same camel. Abu Bakr was an elderly man known to the people, while Allah's Apostle was a youth that was unknown. Thus, if a man met Abu Bakr, he would say "O Abu Bakr! Who is this man in front of you?" Abu Bakr would say, "This man shows me the Way." One would think that Abu Bakr meant the road, while in fact, Abu Bakr meant the way of virtue and good. Then Abu Bakr looked behind and saw a horse-rider pursuing them. He said, "O Allah's Apostle! This is a horse-rider pursuing us." The Prophet looked behind and said, "O Allah! Cause him to fall down." So the horse threw him down and got up neighing. After that the rider, Suraqa said, "O Allah's Prophet! Order me whatever you want." The Prophet said, "Stay where you are and do not allow anybody to reach us." So, in the first part of the day Suraqa was an enemy of Allah's Prophet and in the last part of it, he was a protector.(Bukhari 5.250)

Narrated 'Urwa bin Az-Zubair: Allah's Apostle met Az-Zubair in a caravan of Muslim merchants who were returning from Sham. Az-Zubair provided Allah's Apostle and Abu Bakr with white clothes to wear. When the Muslims of Medina heard the news of the departure of Allah's Apostle from Mecca (towards Medina), they started going to the Harra every morning . They would wait for him till the heat of the noon forced them to return. One day, after waiting for a long while, they returned home, and when they went into their houses, a Jew climbed up the roof of one of the forts of his people to look for some thing, and he saw Allah's Apostle and his companions dressed in white clothes, emerging out of the desert mirage.

The Jew could not help shouting at the top of his voice, "O you 'Arabs! Here is your great man whom you have been waiting for!" So all the Muslims rushed to their arms and received Allah's Apostle on the summit of Harra. The Prophet turned with them to the right and alighted at the quarters of Bani 'Amr bin 'Auf, and this was on Monday in the month of Rabi-ul-Awal. Abu Bakr stood up, receiving the people while Allah's Apostle sat down and kept silent. Some of the Ansar who came and had not seen Allah's Apostle before, began greeting Abu Bakr, but when the sunshine fell on Allah's Apostle and Abu Bakr came forward and shaded him with his sheet only then the people came to know Allah's Apostle. Allah's Apostle stayed with Bani 'Amr bin 'Auf for ten nights and established the mosque (mosque of Quba) which was founded on piety. Allah's Apostle prayed in it and then mounted his she-camel and proceeded on, accompanied by the people till his she-camel knelt down at (the place of) the mosque of Allah's Apostle at Medina. Some Muslims used to pray there in those days, and that place was a

إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

If ye help not (your Leader), (it is no matter): for Allah did indeed help him, when the Unbelievers drove him out: he had no more than one companion: they two were in the Cave, and he said to his companion, "Have no fear for Allah is with us": then Allah sent down His peace upon him, and strengthened him with forces which ye saw not, and humbled to the depths the word of the Unbelievers. But the word of Allah is exalted to the heights: for Allah is Exalted in might, Wise. (Atawba :40)

The story of the migration is narrated in many Hadith and Sirah books as Al Bukhari for example, for it is very indicative for the Prophet's unshaken trust in Allah's protection and companionship.
In his authentic book of Hadith Al Bukhari narrates how Asma daughter of Abu Bakr would bring them food in her two waistbands:
"Asma, Abu Bakr's daughter, cut a piece from her waist belt and tied the mouth of the leather bag with it, and for that reason she was named Dhat-un-Nitaqain (i.e. the owner of two belts)." (5.420)

Then the Prophet and Abu Bakr went to a cave in a mountain called Thour and remained there for three nights. 'Abdullah bin Abu Bakr, who was a young intelligent man, used to stay with them at night and leave before dawn so that in the morning, he would be with the Quraish at Mecca as if he had spent the night among them. If he heard of any plot contrived by the Quraish against the Prophet and Abu Bakr, he would understand it and (return to) inform them of it when it became dark. 'Amir bin Fuhaira, the freed slave of Abu Bakr used to graze a flock of milch sheep for them and he used to take those sheep to them when an hour had passed after the 'Isha prayer. They would sleep soundly till 'Amir bin Fuhaira awakened them when it was still dark. He used to do that in each of those three nights. (ibid.)

this migration and they conspired to kill the Prophet (p.b.u.h.). The conspirators decided to share the responsibility of killing the prophet (p.b.u.h.), so that his tribe would accept the blood- money and would not be able to revenge.

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾

Remember how the Unbelievers plotted against thee, to keep thee in bonds, or slay thee, or get thee out (of thy home). They plot and plan, and Allah too plans, but the best of planners is Allah. (Al Anfal : 30)

Many interesting incidents happened from the beginning of this trip to certify that it was not an ordinary one, to the contrary it proves the trip's holiness and majesty.
For instance, Jibril warned the Prophet (p.b.u.h.) not to sleep in the bed he used to sleep in, in order to mislead the schemers. Ali was ordered to wrap himself with the Prophet's cloak so no harm would befall him.
The conspirators waited for the prophet (p.b.u.h.) outside so that all of them would attack him as one man. But when he went out he sprinkled dust on their heads and recited:

وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ
فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

And We have put a bar in front of them and a bar behind them, and further, We have covered them up; so that they cannot see. (Yasin 9)

The Prophet (p.b.u.h.) passed unnoticed and was able to leave Mecca safely accompanied with his faithful companion Abu Bakr.
The two migrants played a clever trick by taking a road that is not the usual road to Al Medinah in order to be missed by their followers.
On their way they would seek refuge in the caves and change their rout frequently. A price of 100 camels was set upon the head of each one. Accordingly horsemen and tracers of tracks eagerly searched for them. As they were hiding in one of the caves they heard they heard their enemies approaching. Ab u Bakr was terrified but the Prophet (p.b.u.h.) calmed him saying:

The Majestic Trip

By: Hadeer Refat Abo El Nagah

The month of Muharam ushered the beginning of a new Islamic calendar, for it is the month in which the Honorable Prophet Mohammed (p.b.u.h.) migrated from Macca to Al Medinah. He and his small group of followers suffered bitter persecution, which grew so fierce that in the year 622 Allah gave them the command to emigrate. This event, the Hijra, 'migration', in which they left Macca for the city of Madinah some 260 miles to the north, marks the beginning of the Muslim calendar. Narrated 'Ata bin Abi Rabah:

'Ubaid bin 'Umar Al-Laithi and I visited 'Aisha and asked her about the Hijra (i.e. migration), and she said, "Today there is no (Hijrah) emigration. A believer used to run away with his religion to Allah and His Apostle lest he should be put to trial because of his religion. Today Allah has made Islam triumphant, and today a believer can worship his Lord wherever he likes. But the deeds that are still rewardable (in place of emigration) are Jihad and good intentions." (Hadith No. 5.420 Bukhari).
This trip was not a normal one for it laid the foundations of the Islamic Nation and it is considered a rebirth of the newly-sprung religion. Therefore this Holy migration was observed by Allah and the two immigrants were divinely protected.
After the/ second pledge of Al-Aqabah the prophet was given the permission to fight the enemies of Islam because the Muslims and the believers were unjustly treated:

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

To those against whom war is made, permission is given (to fight), because they are wronged; and verily, Allah is Most Powerful for their aid; (Al Hajj-39)

Therefore many Muslims left for the "new" city leaving the Prophet and Abu Bakr, to protect and accompany him whenever he decided to catch up with the fellow Muslims. At that time Quraish planned to block

person miserable. People naturally stay away from anyone whose skin does not look nice. Consequently, he feels offended.

In a number of Ayahs, Allah mentioned the skin as it represents the center of all feelings and. Allah Almighty describes how the disbeliveers are tortured in the hereafter. He says:

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا

"Those who disbelieve in our Messenger We shall make them enter Fire. As often as their skins are burned, We shall change them for other skins, that they may taste the chastisement. Surely Allah is ever Mighty, Wise. "(Al Nisa, 56)

He also explains how the skin is a witness against the deeds of the person. Allah says:

وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

"And they will say to their skins: Why bear you witness against us? They will say: Allah who makes everything speaks has made us speak and He created you at first, and to Him you are returned.

"(Fusselat, 21)

- Reference;

An article entitled "Your Skin, The Garment That Does Not Wear Out" by Mr. Magdy Abdul Hamid Beshir, Al Azhar Magazine (Ragab 1420H – October 1999.

One of Allah's Blessings

By: Hanan Abdou El Tahtawy

Our skin is one of the countless blessings of Allah for humanity. The greatness of the Creator is revealed through this gift which covers and protects the whole body. It is the garment which one wears all his life. Allah makes the skin the first defense point for the human body against germs. It is responsible for preserving the temperature of the body and helps us to get to know the surrounding environment as well as feel things and interact with them.

Some people take matters for granted and forget to thank Allah for his gifts. Our duty is to be grateful because this is the means to gain protection from Allah and get more of his bounties. Allah Almighty says:

لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

"If you are grateful, I will give you more "

(Ibrahim, 7)

With the aid of the early morning sunlight vitamin "D", which is of great value for the bones especially for children, is formed under the skin, thus saving us from disease. Weather changes might affect the skin and cause some problems that worry many people. Dryness of the skin or its breaking is among those problems. When one gets older such troubles increase because the skin loses the moisture it possesses. Usually the body has the ability to produce special oil called Sebum that acts as a protector for the waxy layer of the skin. With elderly people this process is slowed down and the skin is usually dry.

According to researchers, bathing in very hot water should be avoided as well as soaps with strong chemical effect. In Islam cleanliness is something essential. A Muslim is always clean. The prophet (peace and blessings be upon him) said that cleanliness is part of one's faith.

However, bathing more than necessary especially in winter affects the skin with dryness and makes it flabby gradually. After bathing, one should dry himself properly and put some sort of cream if he suffers from skin dryness. In addition, cotton clothes are better to wear than synthetic ones.

It is a religious duty to look after the blessings you are endowedwithinthat case, care and attention are needed to preserve the skin which when unhealthy makes the

AL-AZHAR MAGAZINE
ALMUHARRM 1421 H.

ENGLISH SECTION
Apr. 2000

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ

الأعراف / ٤٣

*" Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."*

(AL A'raf 43)

EDITORS : Dr.TRANDIL H.EL RAKHAWY. PH.D.

Dept. of English Language and Translation

AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA.M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine.

الفهـــرس

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
• • •
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير عام التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

ذكر الله للمحبين نور وللمشتاقين سرور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله ومن والاه.

وبعد

فإن ذكر الله - تعالى - لهو أفضل العبادات، لأن الله - تعالى - جعل لسائر العبادات مقدارا، وجعل لها أوقاتا، ولم يجعل لذكر الله - تعالى - مقدارا ولا وقتا، وأمر بالكثرة بغير مقدار، وهو قوله - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾(١)

يعني: اذكروه في جميع الأحوال، لأن ذكر الله علم الإيمان، وبراءة من النفاق، وحصن من الشيطان، وحرز من النار؛ ولكل شيء صقال، وصقال القلب ذكر الله - تعالى - وذكر الله محصن من جميع السيئات

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٤١).

قال فضيل بن عياض: إن البيت الذي لا يذكر فيه اسم الله ـ تعالى ـ يظلم على أهله.

وتفسير الذكر في الأحوال كلها: أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال: إما أن يكون في الطاعة، أو في المعصية، أو في النعمة، أو في الشدة، فإن كان في الطاعة فينبغي أن يذكر الله ـ تعالى ـ بالتوفيق، ويسأل منه القبول، وإن كان في المعصية فينبغي أن يدعو الله بالامتناع، ويسأله التوبة، وإن كان في النعمة يذكره بالشكر، وإن كان في الشدة يذكره بالصبر.

وعلى العاقل أن يدرك أن في ذكر الله ـ تعالى ـ خمس خصال محمودة:

أولها: أن فيه رضا الله -تعالى-.

والثاني: أنه يزيد في الحرص على الطاعات.

والثالث: أن فيه حرزا من الشيطان إذا كان ذاكرا لله -تعالى-

والرابع: أن فيه رقة القلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصي.

قال الله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾[2].

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ٢٨ ﴾[3]

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4]، والآيات في الباب كثيرة ومنها قوله -عز وجل-: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[5].

واختلف العلماء في ذلك:

فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[6].

وقال سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي، كما قال الله -تعالى-: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢ ﴾[7].

---

(2) سورة آل عمران الآية (191).
(3) سورة الرعد الآية (28).
(4) سورة الأحزاب الآية (35).
(5) سورة البقرة (152).
(6) العنكبوت (69).
(7) آل عمران (132).

وقال فضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ : فاذكروني بطاعتي أذكركم بثوابي ، كما قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾[8] .. الآية .

وقال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من أطاع الله فقد ذكر الله، وإن قلت صلاته وصيامه، وتلاوته القرآن، ومن عصي الله فقد نسي الله، وإن كثرت صلاته وصيامه، وتلاوة القرآن »[9] .

وقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : « كفى بالتوحيد عبادة، وكفى بالجنة ثوابا » .

وقال ابن كيسان ـ رحمه الله ـ : فاذكروني بالشكر اذكركم بالزيادة، لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[10] .

وقيل: اذكروني بالتوحيد والإيمان أذكركم بالدرجات والجنان لقوله ـ عز وجل ـ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾[11] الآية .

وقيل : اذكروني على ظهر الأرض أذكركم في بطنها إذا نسيكم أهلها، كما قال الأصمعي : رأيت أعرابيا واقفاً يوم عرفة بعرفات، وهو يقول : الهي عجت إليك الأصوات بضروب اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك أن تذكرني عند البلاء إذ نسيني أهلي .

وقيل: اذكروني في الدنيا، أذكركم في الآخرة، وقيل: اذكروني بالطاعات أذكركم بالمعافات، دليله قوله ـ تعالى ـ :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[12] .

وقيل : اذكروني بالخلاء والملا أذكركم بالخلاء والملا، كما روى أن الله ـ تعالى ـ قال في بعض الكتب: « أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء، وأنا معه إذا ذكرني، فمن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، ومن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني ماشيا،

---

(٨) الكهف (٣٠، ٣١).

(٩) الدر المنثور (٢٧٤/١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن خالد بن أبي عمران.

(١٠) إبراهيم (٧).

(١١) البقرة (٢٥).

(١٢) النحل (٩٧).

أتيته هرولة، ومن أتاني بتراب الأرض خطيئة، أتيته بمثلها مغفرة، بعد ألا يشرك بي شيئا(١٣).

وقيل: اذكروني في النعمة والرخاء، أذكركم في الشدة والبلاء، كما قال -عز وجل-: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ ﴾(١٤).

وقال سلمان الفارسي -رضي الله عنه-: «إن العبد إذا كان دعا في السراء فينزل به البلاء، فتقول الملائكة: ياربنا عبدك قد نزل به البلاء فيشفعون له، فيجيبهم الله -تعالى- وإذا لم يكن دعاه قالوا: الآن، فلا يشفعون له، بيانه قصة فرعون ﴿ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾(١٥). الآية.

وقيل: اذكروني بالتسليم والتفويض، أذكركم بأصلح الاختيار، بيانه قوله -عز وجل-: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(١٦).

وقيل: اذكروني بالشوق والمحبة أذكركم بالوصل والقربة.

وقيل: اذكروني بالحمد والثناء أذكركم بالعطاء والجزاء.

وقيل: اذكروني بالتوبة، أذكركم بغفران الحوبة، اذكروني بالدعاء أذكركم بالعطاء، اذكروني بالسؤال أذكركم بالنوال، اذكروني بلا غفلة أذكركم بلا مهلة، اذكروني بالندم، أذكركم بالكرم، اذكروني بالمعذرة، أذكركم بالمغفرة، اذكروني بالإرداة أذكركم بالإفادة، اذكروني بالتنصل أذكركم بالتفضل، اذكروني بالاخلاص أذكركم بالخلاص، اذكروني بالقلوب أذكركم بكشف الكروب، اذكروني بلا نسيان أذكركم بالإيمان، اذكروني بالافتقار أذكركم بالاقتدار، اذكروني بالاعتذار والاستغفار أذكركم بالرحمة والاغتفار، اذكروني بالايمان أذكركم بالجنان، اذكروني بالاسلام أذكركم بالإكرام، اذكروني بالقلب أذكركم بكشف الحجب، اذكروني بالابتهال أذكركم بالافضال، اذكروني بالتذلل، أذكركم بمغفرة الزلل، اذكروني بالاعتراف أذكركم بمحو الاقتراف، اذكروني بصفاء السر أذكركم بخالص البر، اذكروني بالصدق أذكركم بالرفق، اذكروني بالصفو أذكركم بالعفو، اذكروني بالتعظيم أذكركم بالتكريم، اذكروني بالتكبير أذكركم بالنجاة من السعير اذكروني بترك الجفاء أذكركم بحفظ الوفاء، اذكروني بترك الخطأ أذكركم بأنواع العطا،

---

(١٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة مع اختلاف في بعض الألفاظ، وروى البزار بمعناه بإسناد صحيح وكذا الطبراني عن معاذ بن أنس بإسناد حسن.

(١٤) الصافات (١٤٣ - ١٤٤).　(١٥) يونس (٩١).　(١٦) الطلاق (٣).

اذكرونى بالجهد فى الخدمة أذكركم بإتمام النعمة، اذكرونى من حيث أنتم أذكركم من حيث أنا، ولذكر الله أكبر.

قال الربيع ـ رحمه الله ـ فى هذه الآية: إن الله ـ تعالى ـ ذاكر من يذكره، وزائد لمن يشكره، ومعذب من يكفره.

وقال السدى ـ رحمه الله ـ فيها: ليس من عبد يذكر الله ـ تعالى ـ إلا ذكره، لا يذكره مؤمن إلا ذكره بالرحمة، ولا يذكره كافر إلا ذكره بالعذاب[١٧].

وقال سفيان بن عيينة ـ رحمه الله ـ بلغنا أن الله ـ عز وجل ـ قال: أعطيت عبادى ما لو أعطيته جبريل وميكائيل، كنت قد أجزلت لهما، فقلت لهم: اذكرونى أذكركم، وقلت لموسى: قل للظلمة لا يذكرونى، فإنى أذكر من ذكرنى، وإن ذكرى إياهم أن ألعنهم.

وقال أبو عثمان النهدى ـ رحمه الله ـ: إنى أعلم حين يذكرنى ربى، قيل له: وكيف ذلك؟ فقال: إن الله ـ عز وجل ـ قال: «اذكرونى أذكركم» فإذا ذكرت الله ذكرنى.

وقيل: أوحى الله ـ عز وجل ـ إلى داود ـ عليه السلام ـ يا داود بى فافرحوا، وبذكرى فتنعموا.

وقال الثورى ـ رحمه الله ـ: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله[١٨].

وروى الشيخان: قال الله ـ تعالى ـ: «أنا عند ظن عبدى بى، إن ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير من ملئه» وروى الطبرانى: «وليس يتحير ـ يتحسر ـ أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله ـ تعالى ـ فيها».

وروى البزار: «ذاكر الله ـ تعالى ـ فى الغافلين بمنزلة الصابر فى الفارين» قال الأستاذ أبو على الدقاق ـ رحمه الله تعالى ـ: «الذكر ركن قوى فى طريق الله ـ تعالى ـ، بل هو العمدة فى هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله ـ تعالى ـ إلا بدوام الذكر».

واعلم يا أخى أنه لا يصل أحد إلى الحضرة الإلهية إلا بالذكر، ولا يحصل أحد الكشف والإخلاص إلا بالذكر، وأنه بالذكر تنزل الرحمة لحديث الطبرانى: «لا يقعد قوم يذكرون الله ـ تعالى ـ إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله ـ تعالى ـ فيمن عنده» وأن يذكر الله ـ تعالى ـ بزول الغم الواقع للناس فى هذه الدار، وبالذكر كذلك تذهب القسوة عن القلب

(١٧) الدر المنثور (٢٧٤/١).
(١٨) الغنية (٤٣/٢ ـ ٤٤)، وزهر الكمام بأخبار سيدنا يوسف ـ عليه السلام ـ لعمر بن إبراهيم الأوسى ١٩٧.

قال الحكيم الترمذي ـ رحمه الله تعالى ـ « ذكر الله يرطب القلب ويلينه، فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فقسى ويبس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة » وإن بمداومة ذكر الله – تعالى ـ تخمد الأمراض الباطنة من: كبر وعجب ورياء وحسد، وسوء ظن وحقد وغل ومكر وحب محمدة وغير ذلك، وبذكر الله تدفع الآفات.

قال ذو النون المصري ـ رحمه الله ـ: « من ذكر الله ـ تعالى ـ حفظه من كل شيء ».

وأجمع القوم على « أن الذكر مفتاح الغيب ، وجاذب الخير ، وأنيس المستوحش، وجامع لشتات صاحبه » وإن فوائد الذكر لا تنحصر، لأن الذاكر يصير جليس الحق ـ تعالى ـ من الأسرار والعلوم كلما ذكر.. ويروى: « إن بيوت الذاكرين لها نور يراه الملائكة بقدر ما فيها من الذكر، كما ترى نحن النجوم في السماء »(١٩).

وفي الحديث: « أفضل الذكر لا إله إلا الله » رواه الحاكم، أي: لأنها كلمة التوحيد، وإن التوحيد لا يماثله شيء، ولأن لها تأثير في تطهير الباطن، وفي الحديث: « خير الذكر الخفي، وخير العبادة أخفها» رواه القضاعي وإنما كان الأخف خير العبادة لسهولة المداومة، ولأنه أنشط للنفس. وقال الشعراني ـ رحمه الله ـ: أجمع العلماء سلفا وخلفا على استحباب ذكر الله – تعالى ـ جماعة في المساجد وغيرها من غير نكير، بشرط أمن من الرياء ومن تأذى نحو مصل.

وانظروا إخوة الإيمان إلى كلمة التوحيد، إلى كلمة الإخلاص، ما أعظم بركاتها، فرطبوا ألسنتكم بها، لتنالوا بركة إحسانها، وتظفروا بحلاوة امتنانها؛ ولله در القائل:

يا قوم لا تغفلوا بجهلكم	من ذكر لا إله إلا هو
كيف تنام العيون عن ملك	سبحانه لا إله إلا هو
تنسوه في الليل والنهار ولا	ينساكمو لا إله إلا هو
هو الإله العظيم قدرته	سبحانه لا إله إلا هو
يا فوز من مات وهو معتقد	يشهد أن لا إله إلا هو
سبحانه ما أعم رحمته	لمذنب تاب من خطاياه

إلهي ردنا إليك بفضلك ورحمتك، ووفقنا للإقبال عليك، والاشتغال بخدمتك، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

(١٩) طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب للعارف بالله الدريني ٢٧.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠) فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨٢) ﴾ الآيات من ١٨٠ : ١٨٢

بعد أن بين – سبحانه – ما يتعلق بالقصاص، أتبعه بالحديث عن الوصية، ليرشد الناس إلى ما ينبغى أن نكون عليه، وليبطل ما كان من عوائد الجاهلية من وصايا جائرة.

وقوله – تعالى –: «كتب عليكم» قد استفاض فى عرف الشرع بمعنى وجب عليكم. و«حضور

الموت، يقع عند معاينة الإنسان للموت، ولعجزه في هذا الوقت عن الإيصاء فسر بحضور أسبابه، وظهور أماراته، من نحو العلل المخوفة والهرم البالغ، وقد شاع عند العرب استعمال السبب كناية عن المسبب، ومن ذلك قول شاعرهم:

يأيها الراكب المزجي مطيته
سائل بني أسد ما هذه الصوت(١)
وقل لهم بادروا بالعذر والتمسوا
قولا يبرئكم إني أنا الموت

والخير: المال، وقالوا: إنه هنا مختص بالمال الكثير، لأن مقام الوصية يشعر بذلك، ولم يرد نص من الشارع في تقدير ما يسمى مالا كثيرا، وإنما وردت آثار من بعض الصحابة والتابعين في تقديره بحسب اجتهادهم، وبالنظر إلى ما يسمى بحسب العرف مالا كثيرا فقال بعضهم: من ألف درهم إلى خمسمائة درهم، وقال بعضهم: من ألف درهم إلى ثمانمائة درهم، والحق أن هذا التقدير يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والعرف.

ويرى بعض العلماء أن الوصية مشروعة في المال قليله وكثيره.

قال القرطبي: والوصية عبارة عن كل شيء يؤمر بفعله ويعهد به في الحياة وبعد الموت، وخصها العرف بما يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت، والجمع: وصايا، كالقضايا جمع قضية. والوصي يكون الموصي والموصى إليه، وأصله من وصى مخففا، وتواصي النبت تواصيا إذا اتصل، وأرض واصية: متصلة النبات. وأوصيت له بشيء، وأوصيت إليه إذا جعلته وصيك. والاسم الوصاية والوصاية -بالفتح وبالكسر- وتواصى القوم: أوصى بعضهم بعضا(٢).

والمعنى: كتب عليكم أيها المؤمنون أنه إذا ظهرت على أحدكم أمارات الموت: من مرض ثقيل، أو شيخوخة مضعفة، وكان عنده مال كثير قد جمعه عن طريق حلال، أن يوصي بجانب منه لوالديه وأقاربه رعاية لحقهم وحاجتهم، وأن تكون وصيته لهم بالعدل الذي لا مضارة فيه بين الأقارب، والوصية على هذا الوجه تعتبر حقا واجبا على المتقين الذين اتخذوا التقوى والخشية من الله طريقا لهم.

فالآية الكريمة استئناف لبيان الوصية بعد الحديث عن القصاص، وفصل القرآن الحديث عن الوصية عن سابقه للإشعار بأنه حكم مستقل جدير بالأهمية.

وقد جاء الحديث عن الوصية بتلك الطريقة الحكيمة، لتغيير ما كان من عادات بعض أهل الجاهلية، فإنهم كانوا كثيرا مانعون القريب من الإرث، توهما منهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه،

(١) الصوت مذكر، وقد أنثه الشاعر هنا لأنه أراد به الضوضاء، والجلبة على معنى الصيحة، كما أفاده المعلق على القرطبي نقلا عن لسان العرب.

(٢) تفسير القرطبي جـ٢ ص٢٥٩

وربما فضلوا بعض الأقارب على بعض فيؤدي ذلك إلى التباغض والتحاسد، وربما فضلوا -أيضا- الوصية لغير الأقارب للفخر والتباهي، فشرع الإسلام لأتباعه ما يقوي الروابط ويمنع التحاسد والتعادي.

قال الجمل: وكتب فعل ماض مبني للمجهول، وحذف الفاعل للعلم به وهو الله -تعالى- وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن يكون الوصية، أي: كتب عليكم الوصية، وجاز تذكير الفعل لكون القائم مقام الفاعل مؤنثا مجازيا ولوجود الفصل بينه وبين مرفوعه.

والثاني: أنه الإيصاء المدلول عليه بقوله: «الوصية» للوالدين، أي: كتب هو، أي الإيصاء.

والثالث: أنه الجار والمجرور. وهذا يتجه على رأي الأخفش والكوفيين وعليه فيكون قوله: «عليكم» في محل رفع، ويكون في محل النصب على القولين الأولين وجواب كل من «إذا» و«إن» محذوف. أي كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا فليوص[٣].

والباء في قوله: «بالمعروف» للملابسة، والجار والمجرور في موضع الحال من الوصية.

والمراد بالمعروف هنا العدل الذي جاءت به الشريعة، بأن لا يتجاوز بالوصية الثلث، وأن لايوصي للأغنياء ويترك الفقراء أو يوصي للقريب ويترك الأقرب مع أنه أشد فقرا ومسكنة.

وقوله: ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد للحدث الذي دل عليه «كتب» وعامله إما «كتب» أو فعل محذوف تقديره حق أي: حق ذلك حقا.

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ صفة له. أي حقا كائنا على المتقين.

وخص هذا الحق بالمتقين ترغيبا في الرضا به؛ لأن ما كان من شأن المتقي فهو أمر نفيس جدير أن يتأسى به الناس، ومن أهمله فقد حرم من الدخول في زمرتهم، وخسر بذلك خسارة عظيمة.

قال بعض العلماء: وقد وردت هذه الآية في الوصية للوالدين والأقربين، والمعروف عند الأمة منذ عهد السلف أن الوصية لا تصح لوارث، والوالدان لهما نصيب مفروض في المواريث، ومقتضاه عدم صحة الوصية لهما؟

ويزيح هذا الأشكال من طريق التفسير أن فريقا من أهل العلم وهم جمهور المفسرين ذهبوا إلى أن الآية قد نسخ منها حكم الوصية للوارث. وإيضاح وجه النسخ أن آية المواريث نزلت بعد آية الوصية فقامت مقامها في الوصية للوارث، ودل على هذا المعنى صراحة الحديث الشريف وهو قوله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث».

وهذا الحديث وإن لم يبلغ مبلغ الحديث المتواتر الذي يصح نسخه للقرآن بنفسه، فقد

---

(٣) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٤٤.

امتاز عن بقية أخبار الآحاد بأن الأمة تلقته بالقبول، وأخذوا فى العمل به من غير مخالف، فأخذ بهذا قوة الحديث المتواتر فى الرواية واعتمدوا عليه فى بيان أن آية المواريث قامت بتقدير الأنصباء فى الميراث مقام آية ﴿ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ فى الوصية للوارث.

وروى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس -رضى الله عنه- قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع.

ومن أهل العلم من لم يستطيعوا أن يهملوا حديث: «لا وصية لوارث» لاستفاضته بين الأمة وتلقيهم له بالقبول، فقرروا العمل به وأبطلوا الوصية لوارث، ولكنهم ذهبوا مع هذا إلى أن آية الوصية للوالدين محكمة غير منسوخة، وتأولوها على وجوه منها أن المراد من قوله: «للوالدين» الوالدان اللذان لا يرثان لمانع من الإرث كالكفر والاسترقاق، وقد كانوا حديثى عهد بالإسلام يسلم الرجل ولا يسلم أبواه، وقد أوصى الله بالإحسان إليهما»[4].

ثم توعد - سبحانه - من يبدل الوصية بطريقة لم يأذن بها الله فقال -تعالى-: ﴿ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ﴾.

بدله: غيره وتغيير الوصية يتأتى بالزيادة فى الموصى به، أو النقص منه أو كتمانه، أو غير ذلك من وجوه التغيير للموصى به بعد وفاة الموصى.

سمعه: أى علمه وتحققه، وكنى بالسماع عن العلم؛ لأنه طريق حصوله. والضمائر البارزة فى «بدله وسمعه وإثمه ويبدلونه» عائدة على القول أو على الكلام الذى يقوله الموصى والذى دل عليه لفظ الوصية أو على الإيصاء المفهوم من الوصية، وهو الإيصاء أو القول الواقع على الوجه الذى شرعه الله.

والمعنى: فمن غير الإيصاء الذى أوصى به المتوفى عن وجهه، بعدما علمه وتحققه منه، فإنما إثم ذلك التغيير فى الإيصاء يقع على عاتق هذا المبدل، لأنه بهذا التبديل قد خان الأمانة، وخالف شريعة الله، ولن يلحق الموصى شيئا من الإثم؛ لأنه قد أدى ما عليه بفعله للوصية كما يريدها الله -تعالى-.

وقد ختمت الآية بقوله -تعالى-: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) ﴾ للإشعار بالوعيد الشديد الذى توعد الله به كل من غير وبدل هذا الحق عن وجهه، لأن الله -تعالى- لا يخفى عليه شىء من حيل الناس الباطلة، فهو - سبحانه - سميع لوصية الموصى، عليم بما يقع فيه من تبديل وتحريف.

ثم استثنى -سبحانه- حالة يجوز فيها التغيير فقال:

﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾.

---

(٤) تفسير القرآن الكريم لفضيلة أستاذنا الشيخ محمد الخضر حسين. مجلة لواء الإسلام السنة الرابعة: العدد العاشر.

خــاف: من الخــوف، وهو فى الأصل حــالة تعـتـرى النفس عند الانقـبـاض من شـر يتـوقع حصوله على سبيل الظن أو على سبيل العلم.

والجنف: الميل والجور يقال: جنف فى وصيته وأجنف، مال وجار، فهو جنف وأجنف.

وقيل: أجنف مختص بالوصية وجنف فى مطلق الميل عن الحق، ويقـال: جنف وجنف عن طريقه جنفا وجنوفا.

والإثم: العمل الذى يبغضه الله. يقال: أثم فهو آثم وأثيم.

قـال بعـضـهـم: والمراد بالجنف هنا: الميل عن الحق فى الوصيـة خطأ، بقرينة مقابلته بالإثم وهو الميل عن الحق فيها عمدا.

هذا، ويرى جمهور العلماء أن هذه الآية الكريمة واردة فى الوصى يرى أن الموصى قد حاد فى وصيته عن حدود العدل، فللوصى حينئذ أن يصلح فيها، بحيث يجعلها متفقة مع ما شرعه الله، وهو فى هذه الحالة لا إثم عليه لأنه قد غير الباطل بالحق، وعلى هـذا الرأى يكون المعـنى: أن الوصـى إذا رأى فى الوصـيـة ميلا عن الحق خطأ أو عـمـدا وأصلح بين الموصى لهم يردهم إلى الوجه المشروع فلا إثم عليه فى التغيير فى الوصية. والضمير فى قوله: «بينهم» عائد على الموصى لهم.

ويرى آخرون أن هذه الآية واردة فى شأن كل من يـبـغى الإصـلاح من الناس، بأن يرى الموصى يوصى، فظهر له -أى هذا المصلح- أن الموصى قد جانب العدل والصواب فى وصيـته، فيـأخذ فى الإصلاح، بأن يرشده بأن فعله هذا لا يتفق مع شريعة العدل التى أمر بها الله، ويحاول قدر اسـتطاعـتـه أن يزيل ما حدث من خلاف بين الموصى والموصى لهم.

وعلى هذا الرأى يكون المعنى: إن خرج الموصى فى وصيته عن حدود العدالة، ورأى أمارات ذلك منه من يريد الإصـلاح من الناس، وتوقع أن شـرا سيترتب على هذه الوصية التى فيها جور، أو شاهد نزاعا بين الموصى لهم بسبب ذلك، فلا إثم على هذا المصلح فى أن يصلح بين الموصى والموصى لهم، وأن يرشـد الموصى إلى سلوك طريق العـدل والحق. وعليه فيكون الضمير فى قوله: «بينهم» يعود على الموصى والموصى لهم.

ويبدو لنا أن الرأى الأول أقرب إلى الصواب، لأن سياق الآية يؤيده، إذ هى بمنزلة الاستثناء من قوله -تعالى-: ﴿ **فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ** ﴾.. وهذا إنما يكون بعد موت الموصى لا فى حياته.

وقوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ تذييل أتى به -سبحانه- للوعد بالثواب للمصلح على إصلاحه، فإن من يغفر الذنوب ويرحم المذنبين تكون مغفرته ورحمته أقرب إلى من يقصد بعمله الإصلاح ولو اعتمد على ظن غالب أو أخطأ وجه الصواب فيما أتى من أعمال.

وبهذا تكون الآيات الكريمة قد بينت للناس حكما آخر من أحكامها السامية، يتعلق بالوصية فى الأموال، وفى هذا الحكم دعوة إلى التراحم والتكافل، وغرس لأواصر المودة والمحبة بين الأبناء والآباء وبين الأقارب بعضهم مع بعض.

يتبــع

قبس من أنوار النبوة

المسئولية فى الإسلام

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن عمر -رضى الله عنهما- أن النبى (صلى الله عليه وسلم) قال:

«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

(رواه الشيخان وأبو داود والترمذى وأحمد).

إن الإسلام دين الله جاء لإصلاح الحياة، وقيادة مسيرتها على طريق الخير، ولقد أراد الله لهذا الدين الخالد ان يكون المنهاج الكامل للحياة وللأحياء والمسلمون مهما اختلفت أنسابهم، وتناءت ديارهم، وتعددت لغاتهم هم إخوة فى الدين، وأشقاء فى العقيدة، يجمعهم الحب فى الله، ويربطهم التراحم والتعاطف، ويؤلف بينهم التعاون على البر والتقوى، ولا يزالون بخير وفى خير ما رحم كبيرُهم صغيرَهم، وما وقر صغيرُهم كبيرَهم،

«فليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا».

هذا القانون الذى فرضه الإسلام على أتباعه، وجعله شعارهم وعلامة على إيمانهم، وشاهداً على إسلامهم، يُحمِّل كل واحد من المسلمين مسئولية تجاه غيره من المسلمين جميعاً، كلٌّ على حسب طاقته ووجاهته، وزعامته، ومواهبه واستعداداته، فهو إلى جانب تحمل مسئولية نفسه وإصلاحها واستقامتها، مسئول عن أهله وولده فى إصلاحهم واستقامتهم، مسئول عن جيرانه وأهل بلده فى إصلاحهم واستقامتهم، مسئول عن مجتمعه الإسلامى فى شتى بقاع الأرض، فليس هناك إيمان منقطع عن الواقع الحياتى للإنسانية.

ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

وكل فرد فى مجتمع الإسلام يتوجب عليه نوعان من المسئولية:

مسئولية عن نفسه، فهو مسئول عن جوارحه، مسئول عن عقله وقلبه وعن حاله وحياته وأوقاته، فهذه رعاياه؛ كما علمنا الرسول الأمين.. فعن معاذ -رضى الله عنه- أن النبى

(صلى الله عليه وسلم) قال: «لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه».
رواه البزار والطبراني

يوم يقال للعبد ماذا عملت لنفسك أو لأهلك أو لولدك أو لذوي قرابتك أو لمدينتك أو لوطنك أو لأمتك.

والنوع الثاني: المسئولية عن عمل الغير بطريق الأمر أو الإيحاء عملاً بقاعدة الدال على الخير كفاعله، والآمر بالسوء والفحشاء وزره كوزر فاعله، وفي ذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما رواه أحمد عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: «من سن خيراً فاستُنَّ به كان له أجره كاملاً، ومن أجور من استَنَّ به، ولا يَنْقُصُ من أجورهم شيء، ومن استنَّ شراً فاستُنَّ به كان عليه وزره كاملاً ومن أوزار من استَنَّ به لا يَنْقُصُ من أوزارهم شيء».

إن الذي يروج شائعة كاذبة لا تقف مسئوليته عند قول الزور والبهتان، بل يتعدد ذنبه لعدد من تلقف لسانه هذه الكلمة ويتكرر بتكرارها كمن يروج نقوداً زائفة، «ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وقد يكون لنا تسبب في استمرار الشر بالسكوت عليه، فإن الساكت على الشر شريك لفاعله، والساكت عن الحق شيطان أخرس.

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: «مثل القائم في حدود الله -المدافع عنها- والواقع فيها -المرتكب لها- كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

(رواه البخاري).

وعندما نقرأ في كتاب ربنا - تبارك وتعالى - قوله:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

فقد جمعت هذه الآية في كلماتها القليلة أنواع المسئوليات، ففي قوله: لا تخونوا الله نجد المسئولية الدينية، وفي قوله: «والرسول» نجد المسئولية أمام الناس، وفي «وتخونوا أماناتكم» نجد المسئولية الأخلاقية أمام الضمير، ومما يزيد الأمر وضوحاً، والمعنى تفصيلاً نجد في قول الله تعالى:

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

ففي ﴿ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ هذه المحكمة الإلهية. وفي قوله: «ورسوله» المسئولية الإنسانية. وفي «فينبئكم بما كنتم تعملون» هذه هي محكمة الضمير التي تمر أمامها يوم القيامة قبل أن نعرض على المحكمة الإلهية. قال تعالى:

﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنفال ٢٧. (٢) سورة التوبة ١٠٥. (٣) سورة الإسراء ١٣، ١٤.

الهجرة

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

بعد بيعة العقبة الثانية، طابت نفس الرسول -صلى الله عليه وسلم- خاصة بعد أن جعل الله له منعة وقوة، فلما اشتد إيذاء المشركين للمسلمين، شكا المسلمون إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- واستأذنوه في الهجرة، فقال: «لقد أريت دار هجرتكم، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين -وهما الحرتان- ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت: هي هي، ثم مكث أياما، ثم خرج إلى أصحابه مسرورا، فقال: «قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب، فمن أراد الخروج فليخرج إليها»، فأخذ القوم يخرجون ذاهبين إلى هناك، أفرادا وجماعات في سرية تامة، ونزلوا على الأنصار، الذين آووا ونصروا، وهكذا خرج المسلمون جميعاً، حتى لم يبق منهم بمكة إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبوبكر وعلي... ومن بين من خرج من المسلمين: جماعة جمعوا بين الحسنيين، ونالوا شرف المهاجرين، وشرف الأنصار، وهؤلاء هم: ذكوان ابن عبد قيس، وعقبة بن وهب بن كلدة، والعباس بن عبادة بن نضلة، وزياد بن لبيد، وهؤلاء النفر من الأنصار كانوا قد بايعوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- في العقبة الثانية ثم رجعوا إلى المدينة، فلما قدم أول من هاجر إلى قباء خرجوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة حتى قدموا مع أصحابه في الهجرة، فهم مهاجرون أنصاريون.

وتمت هجرة جميع المسلمين في سرية تامة، إلا ما كان من عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- فيما رواه عنه المؤرخون، فإنه قد هاجر علانية، وتحدى قريش قائلاً:

«من أراد أن تثكله أمه، أو ييتم ولده، أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي»، فما اتبعه أحد.

وهاجر طلحة بن عبيد الله، وصهيب بن سنان الرومي معا، وكان لصهيب مال، فأراد المشركون أن يقتلوه ويأخذوا ماله، فما أن اقتربوا منه إلا أن قال لهم: قد تعلمون أني من أرماكم رجلا، ووالله لا تصلون إليّ أو يموت منكم عدد كبير، فاتركوني وشأني، قالوا: فاترك مالك فألقى إليهم ما معه من مال، ودلهم على ماله بمكة، ليأخذوه، فانصرفوا، وفي حقه نزل قول الله -تعالى-:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾[1].

أما أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- فلقد استأذن في الهجرة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا» وأما علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- فقد بقي مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بمكة؛ بل وبقي بعده، ليقوم برد الودائع، التي كانت عنده إلى أصحابها.

حول أسباب الهجرة

علمنا -فيما سبق- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أذن للمسلمين بالهجرة بعد أن رأى أصحابه من أعدائهم أذى كثيرا، فلما هاجروا نمى إلى علم المشركين خبر هجرتهم، وعرفوا أنهم قد أصبحوا في منعة وقوة، فخافوا أن يلحق بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويكون معهم قوة هائلة، يجابههم بها، فلا يستطيعون أن يقاوموه، وعندئذ يتطور الموقف من أزمة دينية إلى أزمة أخرى اقتصادية، قد تودي إلى ضياع بضاعتهم، وكساد تجارتهم، لأن يثرب ذات موقع حيوي، فهي تقع في الطريق بين مكة والشام، فرأوا أن هذه الدعوة وما تحمله من دين، أصبحت تشكل خطرا جسيما على عقيدتهم، وعلى تجارتهم، وعلى مستقبل حياتهم كله، فنهضوا ليعدوا للأمر عدته، واجتمعوا في دار الندوة[2] وجمعوا أهل الحجى والرأي فيهم؛ ليدلي كل واحد منهم برأيه،

وحضر إبليس معهم في صورة شيخ نجدي، وأشار كل واحد من القوم برأي:

فقال قائل منهم: نخرجه من أرضنا، وننفيه إلى مكان قاص حتى نستريح منه، ولكن هذا الرأي لم يلق قبولاً؛ لأنهم يرون أنه إذا خرج التف حوله الناس، وتألفت به القلوب لما له من عذوبة في الحديث، وجمال في النطق.

فقال آخر: نوثقه ونحبسه حتى يموت كما مات من قبله من الشعراء.

ولكن هذا الرأي -أيضاً- لم يصادف قبولا كذلك، إذ أنهم يعلمون أنهم إذا حبسوه فسوف يظهر أمره، وتترامى أخباره لأصحابه، وهنا يتواثبون عليهم، ليخلصوه منهم، ويغلبوهم.

ثم قال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيكم رأيا، ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاما نهدا جلدا، ثم نعطيه سيفا صارما، فيضربونه ضربة رجل واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا يدري بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع، وهنا وقع هذا القول من إبليس موقع القبول، فيقول: «لله در الفتى»، ولكن هذا المكر، وتلك المؤامرة ما كانت لتخفى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلقد أوحى الله إليه بما دبروه، وأمره بالهجرة، قال الله -تعالى-:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[3]. ويمكن إبراز الأسباب التي كانت من أجلها الهجرة، وتلخيصها فيما يأتي:

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٠٧.

(٢) هي دار قصي بن كلاب، كانت قريش تجتمع فيها للتشاور.

(٣) سورة الأنفال: ٣٠.

أولاً: الانتقال بالدعوة الإسلامية إلى بقعة خصبة تؤتي ثمارها وينتفع بها الناس.

ثانيا: شدة إيذاء المشركين للمسلمين، خاصة بعد وفاة أبي طالب، وخديجة.

ثالثا: إخلاص الأوس والخزرج لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقد ظهر ذلك من بيعتي العقبة: الأولى والثانية.

رابعا: محاولة المشركين الغدر برسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

هجرة رسول الله -ﷺ- وأبي بكر

ولما دبر الأعداء مؤامرتهم، وحاكوا في الخفاء خيوطها، أراد الله -تعالى- أن يحبط ظلمهم، ويرد كيدهم في نحورهم، فأرسل جبريل -عليه السلام- إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأخبره الخبر، وأمره ألا ينام في مضجعه تلك الليلة.

وهكذا تولى رب العزة -سبحانه وتعالى- رعايته لرسوله -عليه الصلاة والسلام- وكشف له ربه كل ما دبروه من غدر ومكيدة، وكل ما يسرون وما يعلنون:

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[4] ونام علي -رضي الله عنه- مكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لن يخلص إليك شيء تكرهه» وتسجى علي ببردته، وكان الأعداء إذا نظروا اعتقدوا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يزل نائما، حتى خرج من بينهم، دون أن يشعروا به، فقد أغشاهم الله:

﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[5]

وهكذا نجا الله -تعالى- رسوله -صلى الله عليه وسلم- من كيد الكائدين:

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[6]

وانطلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك.

فقال أبوبكر: فخذ -بأبي أنت وأمي- إحدى راحلتيْ هاتين- فقال -صلى الله عليه وسلم-: بالثمن، وكان أبوبكر -رضي الله عنه- قد اشتراهما بثمانمائة درهم، فأخذ إحداهما وهي القصواء، وهناك قال قائل القوم: ما تنتظرون؟، قالوا: محمدا، فقال: خبتم وخسرتم، قد -والله- مر بكم وذر على رءوسكم التراب. قالوا: والله ما أبصرناه.

وقاموا ينفضون التراب عن رءوسهم، وسألوا عليا عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ؟ فقال: لا علم لي به، ومضى الرسول -صلى الله عليه وسلم- هجرته المباركة، مودعا مكة الحبيبة، بكلماته المرهفات: «والله إنك لأحب البلاد إلى نفسي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت».

في الغار

خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر إلى غار ثور، ويقع جنوب مكة، على بعد حوالي خمسة كيلومترات، وأدرك كفار قريش أنه فر من مكة، فأعلنوا عن جائزة ثمينة قدرها مائة ناقة،

(٤) سورة ياسين ٧٦.
(٥) سورة ياسين ٩.
(٦) سورة آل عمران ٥٤.

لمن يأتي به حيا أو ميتا، وتسابق الشبان من المشركين والفت قريش بأقوى فتيانها بحثا في الطريق من مكة إلى المدينة، كل يحاول الظفر بالجائزة حتى وصل بعضهم إلى الغار، وأصبحوا بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصاحبه أبا بكر -رضي الله عنه-.

ولكن العناية الإلهية قامت بدورها الخارق للعادة، وظهرت من المعجزات في هذه الآونة، ما يجعل العقل البشري يسجد أمام عظمة الخالق البارىء -سبحانه وتعالى- لقد ضربت العنكبوت على باب الغار، ونسجت خيوطها، وأقامت عشها، فما أن وصلوا إليه حتى قال بعضهم: إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد، فانصرفوا؛ قال ابن سعد في «طبقاته الكبرى»: أخبرنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا عون بن عمرو القيسي -أخو رياح القيسي- حدثنا أبو مصعب المكي قال: أدركت زيد بن أرقم، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة، فسمعتهما يتحدثون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة الغار، أمر الله شجرة فنبتت، في وجهه، فسترته، وأمر الله العنكبوت فنسجت على وجهه فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار، وأقبل فتيان قريش، من كل بطن: رجل، بأسيافهم وعصيهم وهراواتهم حتى إذا كانوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- قدر أربعين ذراعا، نظر أولهم، فرأى الحمامتين فرجع، فقال له أصحابه: مالك لم تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار، فعرفت أن ليس فيه أحد، قال: فسمع النبي -صلى الله عليه وسلم- قوله فعرف أن الله قد درأ عنه بهما.

وكانت لأبي بكر منيحة غنم يرعاها عامر بن فهيرة، وكان يأتيهم بها ليلا، فيحتلبون، فإذا كان السَّحَر، سرح مع الناس، قالت عائشة: وجهزناهما أحب الجهاز، وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها، فأوكت به الجراب، وقطعت أخرى فصيرته عصاما، لفم القربة، فبذلك سميت ذات النطاقين. اهـ

وهكذا مكث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هو وصاحبه ثلاث ليال في الغار، كان يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وخرج من الغار ليلة الاثنين، لأربع ليال خلون من شهر ربيع الأول، وقد صور العارف بالله الشيخ البوصيري -رحمه الله- لقاء الغار بقوله:

فالصدق في الغار والصديق لم يرما
وهم يقولون: ما بالغار من إرم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة
من الدروع وعن عال من الأطم

في الطريق إلى المدينة

استأجر الصديق -رضي الله عنه- دليلا هو عبدالله بن أريقط، وبرغم أنه كان على دين الكفر إلا أنهما أمناه، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وفي طريقهم مروا بخيمتي أم معبد الخزاعية، وكانت تقعد بفناء الخيمة، تسقي الناس، وتطعمهم، فسألوا ليشتروا منها تمرا أو لحما، فلم يجدوا عندها شيئا، وقالت لهم: والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكما القرى، فنظر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: «ما هذه الشاة يا أم معبد؟» قالت: هذه شاة خلفها الجهد عن الغنم، فقال:

«هل بها من لبن؟» قالت: هي أجهد من ذلك، قال: «أتأذنين لي أن أحلبها؟» قالت: نعم، بأبي أنت وأمي، إن رأيت بها حلبا، فدعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله، وقال: «اللهم بارك لها في شاتها»، وهنا ظهرت معجزاته -صلوات الله وسلامه عليه- فإذا بالضرع يمتلئ لبنا، ويدر الكثير، فدعا بإناء لها يكفي الرهط، فحلب فيه، فسقاها فشربت حتى رويت، وسقا أصحابه حتى رووا، وشرب -صلى الله عليه وسلم- آخرهم، ثم حلب فيه ثانيا، وغادره عندها.

وقد أخذوا طريقهم بعد ذلك في الرحلة، ولما جاء زوجها أبومعبد، ورأى اللبن عجب، وقال: من أين لكم هذا، والشاة عازبة، ولا حلوبة في البيت؟» قالت: لا والله، إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت، قال: والله إني لأراه صاحب قريش الذي يطلب، صفيه لي يا أم معبد.

قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، متبلج الوجه، حسن الخلق... وظلت تصفه إلى أن قالت: فهو أنضر الثلاثة منظرا، وأحسنهم قدرا، له رفقاء يحفون به، إذا قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره.

قال: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر، ولو كنت وافقته يا أم معبد لالتمست أن أصحبه، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا، وأصبح صوت بمكة عاليا بين السماء والأرض يسمعونه، ولا يرونه يقول: ينادي قائلا:

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتي أم معبد

هما نزلا بالبر وارتحلا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم
به من فعال لا يجازى وسؤدد

سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد

دعاها بشاة حائل فتحلبت
له بصريح ضرة الشاة مزبد

فغادره رهنا لديها الحالب
تدر بها في مصدر ثم مورد

وهذا الموقف مع أم معبد يعطينا صورة واضحة لما كانت عليه هذه الرحلة من عناية وتوفيق، كما يوضح لنا أن الرعاية الإلهية، قد حرست خطى الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حله وترحاله، وأن تلك المعجزة التي جرى بها اللبن على يديه، إنما تدل على أن الخير قد انهمر من لا شيء، وعن قريب سيتهمر بصورة أكبر، وينتشر النور بصورة أوسع، وتعم الهداية كل الناس، وتتحول الجهالة إلى علم، والضلالة هدى، ويجيء نصر الله والفتح، ويدخل الناس في دين الله أفواجا.

وها هم أولاء في رحلتهم المباركة يعرض لهم سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فدعا عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فساخت فرسه فقال: يا هذان ادعوا لي الله، ولكما ألا أعود فدعوا الله، فعاد، فساخت، فقال: ادعو لي الله ألا أعود، قال: عرض عليهما الزاد، فقالا: اكفنا نفسك، فقال: قد كفيتكماها.

وهذه معجزة أخرى، ترد كل من قصد الرسول -صلى الله عليه وسلم- بشر، وتحبط كيد أعدائه، وترد بكل فتيانهم المتسابقين على الشر، تردهم بالخزي والعار فلا يستطيعون أن يلحقوا به في رحلته وهجرته.

وقد تجلى وفاء أبي بكر للرسول -صلى الله عليه وسلم- وحرصه على سلامته إذ كان يسبق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الدخول إلى الغار، ليطمئن على سلامته من الهوام والحشرات ثم ينادي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد ذلك، كما كان يدفعه -أيضا- أثناء السير، حيث يسبقه مرة، ويلحقه أخرى، وعندما سأله رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن ذلك قال: يا رسول الله أذكر الترصد فأسبقك، وأذكر الطلب فأتبعك.

استقبال أهل المدينة للرسول - ﷺ

لقد أخذت الرحلة ثمانية أيام، وانتظر أهل المدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في لهفة وشوق، ولما مرت الفترة اللازمة للرحلة، ولم يصل بعد ازدادت لهفتهم، وصاروا يصعدون الأماكن العالية، وينظرون إلى بعيد، حتى طال بهم الانتظار فرجعوا إلى بيوتهم، فإذا رجل من يهود يصيح على أطم بأعلى صوته، يا بني قيلة هذا صاحبكم قد جاء، فخرجوا، فإذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الثلاثة، وإذا بالفرحة تسود الجميع، وتصعد ذوات الخدور إلى أعلى المنازل، وتنساب الغبطة من كل القلوب عازفة أحلى الأناشيد وأرقها.. وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد نزل من قبل في قُباء عند عمرو بن عوف، ومكث بها أربعة أيام، أسس فيها مسجد قُباء، الذي وصفه الله بقوله:

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[7] وفي قباء لحق على بن أبي طالب -رضي الله عنه- برسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد أن قام برد الودائع إلى أهلها، ودخل المدينة في الموكب النبوي الشريف، وخرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من قُباء يوم الجمعة، فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وهي أول جمعة أداها بالمدينة.

ومر الموكب النبوي، وكلما مر على دار من دور الأنصار، دعوه للنزول عندهم، وأخذوا بزمام ناقته، فيقول لهم: «دعوها فإنها مأمورة» وظلت الناقة سائرة حتى بركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري، وفي محلات أخواله بني النجار، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ههنا المنزل إن شاء الله»، ﴿ رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[8].

فحمل أبو أيوب رحل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووضعه في بيته، وكان المكان الذي نزل فيه: لسهل، وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان، فاتخذ منه الرسول -صلى الله عليه وسلم- مسجدا بعد دفع العوض لصاحبيه.

المسجد النبوى

منذ وصل الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة ابتاع المكان، الذي بركت فيه ناقته، وكان مربدا للتمر يملكه الغلامان سهل وسهيل، فاشتراه، وأبى أن يقبله هبة، وأمر أن تسوى ما فيه من حفر،

(٧) سورة التوبة ١٠٨.

(٨) سورة المؤمنون ٢٩.

ويقطع ما به من نخل، واصلحت أرضه، وبدأ في إنشاء المسجد من اللبن -الطوب الأخضر- وجانبا الباب من الحجارة، وسقفه من الجريد، وأعمدته من جذوع النخل، وكان ارتفاعه لا يزيد عن قامة الإنسان إلا اليسير، واشترك معهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في البناء، تقوية للروح المعنوية، وبيانا لمنزلة المساجد، وقيمة العمل وشرفه، وكانوا يروحون عن أنفسهم عناء العمل بترديد بعض الشعر قائلين:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة
فارحم الأنصار والمهاجرة

ويرتجز بعضهم الشعر في حماس حين يرى الرسول -صلى الله عليه وسلم- يأبى أن يتميز على واحد منهم، ويقوم بالعمل كواحد منهم يقول بعضهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل
فذاك منا العمل المضلل

وكان المسجد آنذاك مركز الصلة الكبرى، الصلة بين الخلق وخالقهم، ففيه تؤدى الصلاة ويؤذن بالتوحيد، والصلة بين الأفراد والجماعات، ومنه تنبثق مبادىء الصبر والمرحمة، والأخلاق الرشيدة، وكان المسجد بجانب ذلك ملتقى لجميع المسلمين، تتم فيه مجالس الشورى، والفصل في القضايا، وشئون التجارة، وما إلى ذلك، وقد جاء في فضل المسجد النبوى أحاديث، منها ما روى في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد، مسجدى هذا، والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس» كما روى أيضا: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». وقوله -صلى الله عليه وسلم- «ما بين بيتي ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضي».

المؤاخاة

أما الخطوة التالية بعد ذلك فهي المؤاخاة بين المهاجرين، وبعضهم مع بعض، وبينهم وبين الأنصار، فالمهاجرون تركوا أوطانهم وديارهم وأموالهم مقبلين على عقيدتهم، مهاجرين في سبيل الله ورسوله، والأنصار تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ولقد أحس الأنصار بحاجة إخوانهم المهاجرين فآثروهم وآووهم، وفضلوهم على أنفسهم، مهما كانت حاجتهم، ووصلت هذه المؤاخاة درجة أصبحوا بها يتوارثون بعد الممات، إلى أن قال -تعالى-:

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٩) فرجع كل إنسان إلى نسبه، وورثه ذوو رحمه، وقد أظهر الأنصار من ضروب السماحة والإخاء مع إخوانهم، ما جعلهم أهلا لوصف القرآن لهم:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١٠)

حتى ليروى أن سعد بن الربيع،

---

(٩) سورة الأنفال: ٧٥

(١٠) سورة الحشر: ٩.

وهو من الأنصار وقد آخى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين عبدالرحمن بن عوف، كان أن شاطره ماله، فأبى عبدالرحمن، وسأله عن السوق، وراح يشتغل بالتجارة في سوق المدينة، حتى نما ماله، وهكذا رفض عبدالرحمن أن يعيش عالة على غيره، وأبى إلا أن يأكل من عمل يده، تمجيدا لشرف العمل، وتقديرا لكرامة المسلم، وهكذا ربط الرسول -صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، حتى أصبحت كل أسرة مرتبطة بأسر كثيرة، بسبب هذه المؤاخاة، ونسي الجميع كل الصلات الأخرى إلا هذه الصلة الجديدة، حيث أصبحوا بنعمة الله إخوانا، فلم يعد يظهر تعدد القبائل، وما له من آثار الفرقة والاختلاف، وإنما أصبح مجتمع المدينة مسلمين وغير مسلمين، ولم يبق أمام الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلا خطوة واحدة، فيها تتحقق الوحدة الوطنية، ويتم التحالف بين جميع سكان المدينة من المسلمين وغيرهم، ويعطي لهم أروع الأمثلة، وأنبل الدروس، في سماحة الإسلام، وسمو مبادئه، حتى يبصر أتباع الأديان الأخرى نور الدين الإسلامي ورحمة بالإنسانية كلها، على أساس من حرية العقيدة، فكانت المعاهدة التي أبرمها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين المسلمين وغيرهم.

المعاهـــــدة

أصبح سكان المدينة بعد الهجرة، والمؤاخاة يمثلون ثلاثة أنواع:

١- المسلمون.

٢- اليهود من بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع.

٣- العرب الذين لم يعتنقوا الإسلام.

فأراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يوحد بينهم جميعا، ويربط بين القلوب حتى تسود روح الإسلام وسماحته، فعقد هذه المعاهدة، وقامت بها أسمى المبادىء الإنسانية، التي تكفل حقوق الناس جميعا، من حرية العقيدة، وحرية الرأي، وحرمة المدينة، ومحاربة الظلم والعدوان.. وما عالجته هذه المعاهدة من مبادىء أن من حق الجماعة معاقبة المفسد، وأن يتعاون سكان المدينة، ويردوا أي عدوان يوجه إليهم، وأن الرياسة العامة تكون للرسول -صلى الله عليه وسلم- كما نصت على جميع الحقوق السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، التي تقوم على أساسها دعائم المجتمع الإسلامي الجديد السياسية منها، وتقوم على الشورى، كما قال -تعالى-:

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾(١١)، ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾(١٢) ودعائم اقتصادية تقضي بالتعاون الاقتصادي، وقد جاء في الأثر: «ليس بمسلم من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم»، ودعائم اجتماعية تسود فيها المساواة بين الناس، فلا فضل إلا بالتقوى.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١٣) فكان ذلك نواة للدولة الإسلامية الكبرى، التي ستكون خير أمة أخرجت للناس.

---

(١١) سورة آل عمران ١٥٩. (١٢) سورة الشورى ٣٨. (١٣) سورة الحجرات ١٣.

القرآن الكريم كتاب الله الخالد

١

للأستاذ الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجى

كتاب الله الخالد، وشريعة السماء الخاتمة لكل الشرائع، والرسالة الإلهية، المنزلة على خاتم المرسلين هداية للإنسانية، ورحمة للعالمين.. وهو بيان للشريعة، وتكليف لسيد الأنبياء بإبلاغ هذا البيان إلى الناس كافة، وهو الأساس الذى قامت عليه الدعوة والدولة والحضارة فى الإسلام، بل وهو أساس بناء المجتمع الإسلامى فى عصر الرسالة وبعد عصر الرسالة حتى اليوم.

ومجموع سور القرآن الكريم أربع عشرة ومائة سورة، منها الطويل، ومنها القصير.

وأول سورة أعلنها الرسول بمكة هى:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ . وأول سورة نزلت بالمدينة بعد الهجرة هى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ وآخر آية نزلت من كتاب الله قوله -تعالى-:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(١).

والسور القرآنية منها ما نزل فى الدعوة وتبليغها، أو فى الهداية والموعظة، ومنها ما نزل فى التوحيد ومحاربة الشرك والوثنية، ومنها ما نزل فى التشريع وأحكام العبادات والمعاملات وقوانين الجماعة والأسرة والحكومة الإسلامية، ومنها ما نزل فى تقرير البعث وفى أمور الآخرة والغيب، ومنها ما نزل فى دعوات رسل الله الكرام، إلى أممهم، أو فى شرح قصص الأمم الماضية وكفرها برسالات الله وبغيها ومصيرها المحتوم، وفى شرح تطور الإنسانية وفى خلق الله للكون والوجود والحياة.

والسور المكية غالباً ما تدعو إلى توحيد الله ومحاربة الشرك والأوثان، وتأييد رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتحدى العرب بهذه المعجزة الخارقة الباهرة، وإثبات البعث والحساب والنشور واليوم الآخر، والرد على من ينكرون ذلك، وفى قصص الأمم القديمة وإنكارها لرسالات رسل الله إليها، وما حل بها من عذاب الله، وفى محاربة التقليد والأساطير والخرافات والوثنية والشرك والضلال، والحث على التفكير فى نواميس الله فى الكون..

(١) سورة المائدة (٣)

والسور المدنية غالباً ما نزلت بالتشريعات الإلهية، وبيان النظم والقوانين للفرد والجماعة والأمة ومحاربة الرذائل، وتأكيد وحدة البشرية العامة، وتعزيز الصلات الإنسانية الاجتماعية والأخوة بين الناس عامة، وشرح خلافة الإنسان لله في شتى الأحوال.

٢

ولقد كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من كتاب الله ابتداء، أو بأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم- على ما يتفق لهم من الألواح والرقاع وقطع الأديم، وعلى العسب (جريد النخل) وعلى العظام وكل ما صلح للكتابة عليه.

وكان كل فرد من الصحابة يكتب ما تيسر له كتابته بنفسه أو بالاستعانة بغيره، وكان منهم القليل الذين كتبوا القرآن كله، والإجماع على: علي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وزيد ابن ثابت الذي تعلم الفارسية من رسول كسرى، والرومية من حاجب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، والحبشية من خادم النبي - صلى الله عليه وسلم -، والقبطية من خادمه أيضاً، كما يذكر ابن عبد ربه في كتابه: «العقد الفريد» (جـ٣ صـ ٦ العقد)، وكان كتاب الوحي نحو الأربعين.

وقبل وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- عرض زيد القرآن على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ففي عهده -صلى الله عليه وسلم- كان القرآن مرتب السور والآيات، ولكنه غير مجموع في كتاب واحد. وكان يحفظ القرآن كله أو بعضه كثير من الصحابة في عهد محمد -صلى الله عليه وسلم-، وتوفي الرسول -صلى الله عليه وسلم- والقرآن محفوظ في صدور الصحابة وفي الرقاع التي كانوا يكتبون فيها سوره وآياته.

وفي خلافة أبي بكر -رضي الله عنه- ووفاة الكثير من الصحابة في حروب الردة، التي قتل فيها كما قيل: (سبعون قارئاً من الصحابة) فزع أبو بكر وعمر، ورأى عمر جمع القرآن من صدور الصحابة ومن الألواح والخشب وغيرهما، ويروى أن عمر دخل على أبي بكر وقال له: يا خليفة رسول الله إن أصحاب الرسول باليمامة يتهافتون تهافت الفراش على النار، وإني أخشى ألا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك، حتى يقتلوا وهم حملة القرآن فلو جمعته وكتبته[٢]

وأرسل أبو بكر إلى زيد يستشيره في الأمر، فكره زيد ذلك، فقال عمر لهما: وما عليكما لو فعلتم ذلك ،حتى ألهمهما الله به، فأمر أبو بكر زيداً بن ثابت فجمع القرآن كله من الرقاع وصدور الرجال، ونسخه في قطع الأديم والعسب، وسمى أبو بكر هذه الألواح المكتوبة التي جمع فيها كتاب

(٢) الإتقان للسيوطي ص ٩٨ جـ ١.

الله مصحفاً، وحفظت عند أبي بكر، فلما توفي نقلها عمر عنده طول حياته، ولما استشهد حفظت عند حفصة أم المؤمنين صدراً من ولاية عثمان، وهذا هو الجمع الأول، الذى حدث في عهد أبي بكر على يد زيد بن ثابت[٣] وبإشراف عمر وكبار الصحابة، وكان الغرض منه جمع القرآن في مجموعة واحدة حتى لا يضيع منه شيء، بموت الصحابة والقراء في الغزوات.

وفي عهد عثمان تفرق الصحابة والقراء في الامصار، واخذ عنهم الناس وجوه القراءة والترتيل، مما أدى إلى تعدد القراءات، واختلف الناس في القراءة، وشاهد حذيفة بن اليمان[٤]. هذا الاختلاف وفزع له، ونقل ذلك إلى الخليفة عثمان، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر يستأذنها في الصحف القرآنية التي لديها وهي التي جمع فيها أبو بكر القرآن، وأذنت له، وأمر زيد بن ثابت المتوفى عام ٤٥ هـ[٥]. وعبد الله ابن الزبير(١/٧٣هـ)[٦]. وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسعيد بن العاص بأن ينسخوها في المصاحف، وأمرهم بأن يرجعوا فيما يختلفون فيه إلى زيد بن ثابت، وما اختلفوا فيه جميعاً أن يكتبوه بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، فكتبوا مصحفاً عرضوه على حفصة أم المؤمنين فلم يختلف في شيء منه، فرد عثمان صحف حفصة إليها وفرح بما عمل فرحاً شديداً، وهذا هو الجمع الثاني للقرآن الكريم.

٣

أما عن حروف القرآن السبعة[٧]، فإن هذه الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن كانت مفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش وهو معظمه، وما نزل بها كُتب بها أيضاً، وبعضه نزل بلغة هذيل، وبعضه بلغة اليمن فكُتب بلغتها، وهكذا.. ولا يخفى أن القبائل التى نزل بعضه بلغتها يجوز لها أن تقرأ جميعه بهذه اللغة، لأن في نزول بعضه بلغتها ترخيصاً لها في قراءته جميعه بهذه اللغة، فالذى حصل في عهد أبي بكر هو أنه جمع الآيات المتفرقة سوراً، فجعل كل آية بجوار صاحبتها طبقاً للمحفوظ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بدون زيادة ولا نقص، وجعل كل سورة على حدة

---

(٣) وكان يعاونه بعض كتاب الوحي وفيهم سالم مولى أبي حذيفة.

(٤) راجع: (حلية الأولياء ١/ ٢٧٠ - صفة الصفوة: ١/ ٢٤٩ - التهذيب لابن عساكر ٤/ ٩٣ - الاعلام ط ٦٣م للزركلي ٢/ ١٨٠ و ١٨١ - وقد توفي حذيفة عام ٣٦ هـ)

(٥) ١/ ٢٩١ صفة الصفوة، لابن الجوزي - الإصابة لابن حجر - أسد الغابة لابن الأثير - رجال حول الرسول (صلى الله عليه وسلم) لخالد محمد خالد - ٣٢٠ صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) للدكتور الجميلي

(٦) حلية الأولياء، لابي نعيم (١ /٣٢٩) - صفة الصفوة (١ /٣٢٢) - التهذيب لابن عساكر (٧ /٣٩٦) - تاريخ الطبري - تاريخ ابن الأثير (٤ /١٥٣) - ١٥٢ صحابة النبي (صلى الله عليه وسلم) للدكتور الجميلي

(٧) ص ٢٠ (تفسير القرآن الحكيم لخفاجي)

ولم يرتبه اكتفاء بترتيبه في صدور الحفاظ، على أنه لم يغير شيئا من المكتوب بل أبقاه على حاله، وأما عثمان فقد كتب مصحفا بلغة قريش خاصة، ورتبه طبق المحفوظ، فالأحرف السبعة كان بعض القرآن مكتوبا بها في عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم-، كما أنها كانت محفوظة يتداولها الحفاظ في القبائل، ولم يوجد منها شيء في مصحف عثمان لأنه كان مقصوراً على لغة قريش.

أما السبب في اختلاف القراءات السبع بعد أن جمع عثمان الناس على قراءة واحدة فقد أجاب عنه البعض بأن القرآن قد تواتر عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بلغات العرب على الوجه الذي سبق ونقله القراء من الصحابة إلى الجهات المختلفة على هذه الحالة، فتواتر نقله بلغات عدة، فلما كتب المصحف العثماني، وبعث به عثمان إلى الأمصار التي كان بها بعض القراء من الصحابة عملوا بما يمكنهم العمل به من ذلك المصحف، فكل ما تلقوه متواتراً عن الصحابة بما لا تدل عليه كتابة المصحف ثبتوا عليه وتركوا ما يخالف المصحف، يقول الحافظ ابن حجر: إن السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها أن الجهات التي وجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا قد تلقوه سماعاً من الصحابة، بشرط موافقة الخط، وتركوا ما يخالف الخط، امتثالاً لأمر عثمان الذي وافق عليه الصحابة، لما رأوا في ذلك من الاحتياطات للقرآن، فمن ثم نشأ بين قراء الأمصار الاختلاف.

وقد يكون عثمان لم يحرم قراءة القرآن باللغات التي تواترت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا لما عساه أن يترتب على ذلك من فرقة بين المسلمين، فكتب مصحفه ليكون مرجعاً يرجع إليه الناس عند الاختلاف، فإذا قرأت قبيلة بلغتها المتواترة وأنكرت عليها الأخرى، أمكنهم الرجوع إلى الأصل حيث يحصل الاتفاق حتماً بالإجماع على التمسك بنص ما كتب في المصحف، أما غيره من المد والتسهيل والإدغام والإظهار ونحو ذلك مما لا يترتب عليه تغيير في نص القرآن، فذلك ما لا ضرر فيه بحال.. وإلى ذلك يشير قوله -صلى الله عليه وسلم- لعمر: «يا عمر: القرآن كله صواب ما لم تجعل رحمة عذاباً أو عذاباً رحمة».. ويقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعمر: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه».

وبعد.. فقبائل العرب التي نزل القرآن بلهجاتها هي: قريش، ثقيف، سعد، هذيل، أسد، كنانة، قيس وأحلافها.

ثم ارتفعت هذه اللغات وبقيت لغة قريش وأصبح القرآن يقرأ بلغة قريش وحدها.. وعن مصحف عثمان نقلت كل المصاحف مخطوطة في جميع أنحاء الدنيا.

٤

لقد تنافس المسلمون على طول العصور في نسخ المصحف، واقتناء المكتوب منه بأجود الخطوط وأبدعها، وكانت كتابته بالخط الكوفي

حتى آخر القرن الرابع الهجرى، ثم حل محله خط النسخ أوائل القرن الخامس.

ثم ظهرت الطباعة، فصار المصحف يصدر مطبوعاً بواسطة حروف الطباعة وقد ظهر القرآن لأول مرة فى البندقية عام ١٥٣٠ م. لكن السلطة البابوية أصدرت أمراً بإعدامه.

ثم صدرت طبعة للمصحف فى هامبورغ بألمانيا عام ١٦٩٤م. / ١١٠٦هـ. ثم طبع فى بادوا عام ١٦٩٨م. / ١١١٠هـ ثم بطبع فى سانت بطرسبورغ فى روسيا عام ١٧٨٧م. / ١٢٠٢هـ قام بها مولاى عثمان، وظهر منها فى قازان، وفى إيران طبع طبعتين حجريتين فى طهران سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٢٨م. والأخرى فى تبريز.

وفى عام ١٢٥٠ هـ قام (فلوجل) بطبع القرآن فى ليبزج بألمانيا وقد انتشرت فى أوروبا بسبب إملائها الحديث السهل.

وطبع القرآن فى الهند طبعات كثيرة.. وكذلك فى الأستانة بدءاً من عام ١٨٧٧.

وفى القاهرة كذلك طبع مئات الطبعات.. وفى عام ١٣٤٢ هـ ظهرت طبعة متميزة بإشراف مشيخة الأزهر الشريف سمى مصحف فؤاد الأول، قامت على طبعه لجنة من العلماء - وقد ضبطت على ما يوافق رواية حفص.

وفى تونس عام ١٣٦٥ هـ والمغرب طبع المصحف الشريف طبعات عدة، كما صدرت طبعة قرآنية فى تونس عام ١٩٩٩ باسم مصحف الجمهورية التونسية وصدور مصحف الجزائر عام ١٩٣٧.

وصدر فى قطر المصحف الشريف مطبوعاً عام ١٩٨٦ قراءة نافع عن ورش.

كما طبع طبعات عديدة في باكستان..

وطبعته (بروناى) طبعة ممتازة فى مطابع جريدة الأهرام بالقاهرة - ولدىّ نسخة من هذه الطبعة الفاخرة بإهداء رئيس بروناى.

وعنيت المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم عناية فائقة.

وفى عهد خادم الحرمين أنشىء مجمع المصحف بالمدينة المنورة، وقد قام بعناية فائقة بطبع المصحف الشريف طبعات ممتازة، وصدر عن المجمع ما يكاد يبلغ المائة مليون نسخة وزعت كلها فى أنحاء العالم كافة.. والله يتولى الصالحين من عباده والعاكفين على إصدار كتاب الله فى حلته القشيبة خدمة للإسلام والمسلمين بمزيد رعايته الكريمة.

وبهذه المناسبة أصدر الأزهر الشريف، طبعة خاصة باسم مصحف الأزهر، وتتميز هذه الطبعة بالجمال والروعة التى لا حد لها.. والله ولى التوفيق.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفـــظ «القريـــة»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

ذكرنا فى ختام المقال السابق عن لفظ المدينة، أن هذا اللفظ يستعمل بمعنى «القرية كثيرا» ووعدنا بإفراد لفظ القرية بمقال مستقل، وها نحن أولاء نفى بوعدنا

وقد استعمل لفظ القرية فى القرآن الكريم عشرات المرات. وقد جاءت مفردة مقطوعة عن الإضافة، فى أربع وثلاثين آية، ومضافة إلى الضمير فى ثلاث آيات، ووردت مثناة مرة واحدة فى الزخرف، وجاءت مجموعة جمع تكسير «القرى» ثمانى عشرة مرة

وسنقتصر فى هذا المقال على الحديث عن اللفظة المفردة، وقد ذكرت مرتين فى البقرة، الأول فى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾(1)

والحديث فيها عن بنى اسرائيل، والقرية: مجتمع الناس، من قرأت الماء فى الحوض، أى: جمعته، وبهذا الاعتبار أطلقت على البلدة؛ لأنها تجمع الناس، والعرب تطلق القرية على المدينة، والمراد بها هنا: بيت المقدس وقيل: (أريحا) لأن بنى اسرائيل لم يدخلوا بيت المقدس فى زمن موسى -عليه السلام- وقد أمروا بدخولها بعد التيه، الذى ضربه الله عليهم؛ لتعنتهم مع نبيهم موسى -عليه السلام- وإيذائهم إياه، وقد طلب منهم أن يدخلوا باب القرية على حالة تشعر بالخضوع والتواضع والذلة لله، وأن يقولوا: حطة، أى: حط عنا ذنوبنا، ووعدوا إن فعلوا ذلك أن يغفر الله

(1) سورة البقرة «58».

لهم خطاياهم الكثيرة من عبادة العجل وطلب رؤية الله جهرة، وعدم دخول الأرض المقدسة، التي كتبها الله لهم خوفا من ساكنيها الجبارين.

وفوق المغفرة التي وُعدوها، وعدهم الله بالزيادة في الإحسان، في الدنيا، والدين، ومع كل ذلك لم يمتثلوا للأمر بل:

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾(٣) فلم يتواضعوا لله، بل دخلوا زاحفين على أدبارهم حتى لا ينحنوا، تواضعا لله، وقالوا: حنطة، تحريفا واستهزاء بالأمر الإلهي.

والآية الثانية التي فيها لفظ القرية في البقرة -أيضا- وهي قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٤)

والقرية: هي بيت المقدس، وكان بختنصر قد ضربها، وقتل الألوف من أهلها، والذي مر عليها هو عزير، أحد أنبياء بني اسرائيل، أو أحد علمائهم على أرجح الأقوال، فلما مر بها في أحد أسفاره، ورآها خربة خاوية، سقطت حيطانها على سقوفها، قال متعجبا. ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾(٤) أي متى وكيف يحيي الله هذه القرية بعد خرابها، وموت أهلها؟ وكان قد تجول في القرية فلم ير فيها دارا ولا ديارا مع بقاء أشجارها على حالها، فأخذ منها تينا وعنبا، وربط حماره في أحد أشجارها، فأماته الله مائة عام، ثم أحياه وسأله كم لبثت؟ فأجاب: يوما، أو بعض يوم، لأنه نام في الصباح، وأحياه الله قبل الغروب، فظن أنه اليوم الذي نام فيه، فأخبره الله بأنه لبث مائة عام، ولكي يتحقق من ذلك، ومن قدرة الله على البعث، وعلى كل أمر عجيب، أمره أن ينظر إلى طعامه: من التين، والعنب، وإلى شرابه: من عصير الفاكهة، فوجدهما لم يتغيرا، ثم أمره أن ينظر إلى الحمار، فوجده قد تفككت أوصاله، وتناثرت عظامه، وهذا من أقوى دواعي العجب، أن يبقى سريع التغيير والفساد، على حاله مائة عام، بينما الحيوان، الذي يبقى مدة أطول يسرع إليه الفناء والبلى، ويصبح عظاما نخرة قبل تغيير الطعام والشراب، ثم أراه -سبحانه- عظام الحمار، كيف ينضم بعضها إلى بعض؟! وكيف يلتصق كل عضو بما يناسبه؟ ثم جاء الرأس إلى مكانه، ثم العصب، ثم العروق، ثم انبسط اللحم عليه، ثم خرجت الشعور من الجلد، ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا وقال:

﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥)

---

(٢) البقرة ٥٩.
(٤) البقرة ٢٥٩.
(٣) البقرة ٢٥٩.
(٥) البقرة ٢٥٩.

والآية الثالثة هي قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾(٦).

وهذا جزء الآية، وأولها:

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا ﴾(٧)

والمراد بالقرية: هي مكة المكرمة، مسقط رأس رسول الله الأعظم، ومهبط الوحي الأقدس، وبلد الله الحرام، الذي فيه الحرم المحرم، والبيت المعظم، ومع ذلك فقد تمنى المسلمون وبخاصة المستضعفين الخروج منها، بعد أن أوذوا وضيق عليهم أن يعبدوا الله الواحد في بلدهم، فأذن لهم في الهجرة، فهاجر من هاجر، وبقي المستضعفون، فأمر الله المسلمين أن يجاهدوا في سبيل إعزاز دين الله، وفي سبيل نصرة هؤلاء المستضعفين الذين فقدوا النصير من البشر، وهؤلاء بعضهم من الرجال الضعفاء المغلوبين على أمرهم، وبعضهم من النساء، وآخرين من الأطفال، والجميع لا يستطيعون حيلة تنقذهم مما هم فيه، ولا يهتدون إلى سبيل، ييسر لهم أمر الهجرة، واللحاق برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في المدينة فتضرعوا إلى الله داعين:

﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾(٨)

دعوا الله أن يفرج كربهم، ويخرجهم من مكة لظلم أهلها لهم، ويجعل لهم نصراء، حين يأوون إلى إخوانهم بالمدينة، ويجعل لهم نصيرا بالإيمان، وبالالتجاء إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

والآية الرابعة التي ذكر فيها لفظ القرية هي قوله - تعالى -: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾(٩)

والمراد بالقرية هنا: كل بلاد الكفر والظلم، التي تشبه مكة في كفرها وعتوها وجبروتها، ومعنى الآية - والله أعلم - وكما جعلنا في مكة طغاتها، وصناديد الشرك فيها، ليمكروا بالرسل وأتباعهم، جعلنا مثل ذلك في كل قرية، وكل عاصمة أكابر مجرميها ومترفيها، ليكذبوا الرسل، ويصدوا عن الحق، فليس أهل مكة أول من فعلوا هذا مع رسولهم، فتعزْ يا محمد، وتسلْ، وتصبر واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل. قال المفسرون: «إنما جعل المجرمين أكابر، لأنهم لأجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر، وترويج الأباطيل على الناس من غيرهم. »(١٠).

وما يمكر هؤلاء المجرمون المقاومون لدعوة الإصلاح في كل زمان ومكان إلا بأنفسهم، لأن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله في الدنيا والآخرة، وما يشعرون بذلك، لأنهم جاهلون

---

(٦) النساء،٧٥.

(٧) النساء،٧٥.

(٨) النساء،٧٥.

(٩) الأنعام،١٢٣.

(١٠) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للإمام النيسابوري،١٣١٥/٢.

بسنة الله في خلقه، وفي الآية الكريمة وعيد لمجرمي مكة، وتسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-

والآية الخامسة هي قوله تعالى:

﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾(١١)

وكم: في الآية للتكثير، والمراد: لقد أهلكنا كثيرا جدا من القرى الظالمة الكافرة، فأرسلنا عليهم عذابنا وهم في البيتوتة نائمون كما حدث لقوم لوط، أو نائمون في القيلولة، كما حدث لقوم شعيب فكلا الوقتين -البيتوتة والقيلولة- وقت دعة واستراحة، وفي الآية تعريض بغرور أهل مكة وغفلتهم ودعتهم- والمراد بالقرية هنا: أهلها؛ لأنهم هم الذين يصيبهم الإهلاك وقد يراد بها المكان نفسه لأن الدمار والخراب يصيبه كما يصيب أهله (١٢)

والآية السادسة هي قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾(١٣)

والمراد بالقرية هنا: المدينة الكبيرة، التي تكون عاصمة للبلاد، والمعنى والله أعلم: لقد مضت سنة الله في خلقه ومع رسله أنه إذا أرسل نبيا في قوم فكذبوه، أنزل بهم ألوانا من العذاب تتمثل في المصائب والنكبات والمحن، من مرض وفقر، وجدب لكي يفيقوا من غفوتهم، ويستيقظوا من غفلتهم فيدعوا الله متضرعين ليكشف عنهم هذا الذي حل بهم، ثم يجعل الله -تعالى- مكان الشدة والجدب، الرخاء والخصب، حتى يكثر عددهم، ويزداد مالهم، فيركنون إلى النعمة ناسين المنعم -سبحانه وتعالى- وينسون أن هذه النعمة إملاء وإمهال، فيقولون مفترين قد مس آباءنا الضراء والسراء حينئذ يأتيهم العذاب بغتة دون أن يشعروا به

﴿ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾(١٤)

والآية السابعة هي قوله - تعالى:

﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١٥)

والقرية هنا: هي بيت المقدس، أو أريحا -كما سبق - وهذه الآية شبيهة بآية البقرة، التي جاءت في نفس السياق، والموضع، فلا داعي لإعادتها هنا، لكن من المفيد أن نتعرض للفرق بين الآيتين وهو:

(١) قال في تلك: ادخلوا وقال هنا: اسكنوا وهو أبلغ، لأنهم لا يسكنون إلا إذا دخلوا.

(٢) قال في البقرة: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾(١٦) وقال هنا: ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ

---

(١١) الأعراف ٤٠.
(١٢) تفسير المراغي ١٠١/٨٠.
(١٣) الأعراف ٩٤٠.
(١٤) الأعراف ٩٥٠.
(١٥) الأعراف ١٦١٠.
(١٦) البقرة ٥٨٠.

يشئتم ﴾(١٧) للإشارة إلى الفرق بين الأكل أول الدخول، وبين الأكل بعد السكن والإقامة الممتدة.

(٣) قدم في البقرة الأمر بالدخول ساجدين على الأمر بالدعاء، أن يحط الله عنهم ذنوبهم، ولا فرق في المعنى بين الحالين؛ لأن العطف بالواو التي لا تفيد ترتيبا المهم أن يفعلوا الأمرين معا الدخول ساجدين والدعاء ضارعين تقدم أحدهما على الآخر أو تأخر.

(٤) قال في البقرة ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾(١٨) وقال في الأعراف: (سنزيد) بلا واو، والمعنى واحد، إلا أن ترك الواو يفيد الزيادة تفضل من الله – تعالى.

والآية الثامنة قوله – تعالى:

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(١٩)

والقرية هنا: هي أيلة، وقيل: طبرية ومعنى حاضرة البحر، أي: قريبة منه، وعلى شاطئه وكانت شريعة اليهود تحرم العمل يوم السبت، ويتفرغون فيه لعبادة الله، فامتحن الله أهل هذه القرية فكان السمك يأتيهم ظاهرا يؤخذ بالأيدي يوم السبت، ولا يأتيهم كذلك في بقية الأيام فكانوا يعصون الله ويأخذون السمك في السبت، وهذا امتحان من الله، وابتلاء لهم، ﴿**كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون**﴾(٢٠) أي بسبب فسقهم، ولم يكن الرسول يعرف هذه القصة، فمعرفته بها مع أنه أمي دليل قاطع، على أنه –صلوات الله عليه– نبي يوحى إليه، والمعنى على سبيل الإجمال:

واسألهم: يا محمد عن أهل هذه القرية، الذين امتحنهم الله بالسمك ظاهرا فوق سطح الماء يوم السبت، فعصى فريق منهم، واصطادوا، وفريق وعظ العاصين، وفريق ثالث لام الواعظين، قائلين لهم: ما الفائدة من وعظ قوم قضى الله عليهم بالهلاك، فأجابهم الواعظون: نعظهم ليكون ذلك عذرا لنا عند ربنا حتى لا نكون من الساكتين عن المنكر

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾(٢١).

والآية التاسعة – قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾(٢٢)

والقرية: هي نينوى بالموصل، في العراق، والمراد: أهلها، وهم قوم يونس –عليه السلام– كفروا أول الأمر، فأنذرهم العذاب، وتركهم مغاضبا، فلما رأوا بوادره ومقدماته

---

(١٧) البقرة، ٥٨.

(١٨) البقرة، ٥٨.

(١٩) الأعراف، ١٦٣.

(٢٠) الأعراف، ١٦٣.

(٢١) الأعراف، ١٦٤.

(٢٢) يونس، ٩٨.

آمنوا، قبل أن يحل بهم العذاب فنفعهم ذلك الإيمان، وعاد يونس -عليه السلام- إليهم لما علم أنهم آمنوا ومتعهم الله -تعالى- إلى حين انتهاء آجالهم، وفي هذا حض لأهل مكة أن يؤمنوا قبل أن ينزل بهم العذاب لينفعهم الإيمان كما نفع قوم يونس، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم، حتى إن الرجل منهم كان يقتلع الحجر- أي: الذي اغتصبه- وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده، وروى أنهم لما رأوا مقدمات العذاب سألوا شيخا من بقية علمائهم: ماذا نفعل؟ فقال لهم: قولوا: يا حي حين لا حي، ويا حي يا محيي الموتى، وياحي لا إله إلا أنت، فقالوها فكشف الله عنهم العذاب، ومتعهم بالإيمان، وقال الفضيل بن عياض -رضي الله عنه، قالوا: «اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله».

والآية العاشرة قوله - تعالى:

﴿وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(٢٣).

والقرية هنا: هي العاصمة المصرية، التي كان يسكنها ملك مصر، وعزيزها، ويوسف -عليه السلام- يقول أبناء يعقوب لأبيهم -عليه السلام- إن ابنك بنيامين سرق، ولقد رأينا ذلك بأعيننا:

﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾(٢٤) وإن لم تصدقنا فاسأل أهل القرية، التي كنا فيها واسأل كذلك أصحاب العير، الذين كانوا يمتارون معنا، فقد شاع أمر السرقة بين الجميع، حتى لو سئلوا لشهدوا بذلك، وإنا والله صادقون فيما أخبرناك به سواء سألت، أو لم تسأل.

والآية الحادية عشر قوله - تعالى:

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾(٢٥)

أي: وما أهلكنا أهل قرية من القرى الكافرة، بأي لون من العذاب والهلاك، إلا ولها أجل مقدر، في اللوح المحفوظ، لا ينسى ولا يتقدم عن وقته، ولا يتأخر، وقد يراد هلاك القرية نفسها بالخسف بعد خرابها بإهلاك أهلها، فقد أصاب القرية ذاتها شؤم أهلها الكفار،

والله أعلم،

وإلى اللقاء في العدد القادم لنكمل الحديث عن لفظ القرية في القرآن الكريم.

---

(٢٣) سورة يوسف ٨٢.

(٢٤) يوسف ٨١.

(٢٥) سورة الحجر ٤.

الهادي هو الله

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

من عقيدة أهل السنة والجماعة، أن الله - تبارك وتعالى - متصف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص. ولفظ الجلالة: «الله» علم على ذاته المقدسة، وأما بقية الأسماء الحسنى: فهي أسماء فيها معنى الوصفية، ولذلك صح أن تسند إلى لفظ الجلالة، فتقول مثلا: الله هو الرحمن الرحيم. أو: الله هو الملك القدوس، وهكذا. يقول الله - تعالى -: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(1).

وبما أن كمالات الله لا تتناهى. فإن أسماءه كثيرة، حتى قال الإمام أبو عبدالله محمد بن المرتضى اليماني، المشهور بابن الوزير: «والذي عرفت منها إلى الآن بالنص صريحا - دون الاشتقاق - في القرآن مائة وخمسة وخمسون...

ثم قال: وأما المشتقات من الأفعال الربانية الحميدة فلا تحصى. وقد جمع بعضهم منها ألف اسم مثل: كاتب الرحمة على نفسه، مقلب الليل والنهار، وغير ذلك»(2).

والدليل على كثرة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، ما ورد في الحديث الشريف: عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه قال: «ما قال عبد أصابه هم، أو حزن: اللهم إني عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب

(1) الحشر: ٢٣-٢٤.

(2) انظر كتابه: إيثار الحق على الخلق.

عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور بصري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي. إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله مكان حزنه فرحا»[3].

وأصح الأحاديث الواردة عن أسماء الله الحسنى، ما روى عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لله تسعة وتسعون اسما، مائة إلا واحدا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر»[4].

هذا: وأما الحديث المشهور الذي جاء فيه عدد الأسماء التسعة والتسعين فقد رواه الترمذي، وقال عنه: هذا حديث غريب. وقال عنه الإمام ابن كثير في تفسيره في سورة الأعراف. عند تفسير قول –الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[5].

«لم تذكر الأسماء بهذا العدد، إلا في هذا الحديث، والذي عول عليه جماعة من الحفاظ أن سرد العدد في هذا الحديث مدرج فيه».

وأيا ما كان الأمر، فإن من أسماء الله الحسنى: الهادي، والحكيم، والحميد، وهذه الأسماء العظيمة تكرر ذكرها في القرآن الكريم، في عدة مواضع منها قول الله– تعالى:

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6] ومنها قول الله تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾[7].

ومنها قول الله – تعالى – :

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[8] ومنها قول الله –تعالى على لسان عيسى – عليه السلام – في الموقف بين يدي الله:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[9] ومنها قول الله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[10].

وقد تكرر وصف الله – سبحانه – بالحكيم، والهادي، في كثير من آيات القرآن الكريم، أحيانا بصيغة اسم الفاعل، كما في الآيات المذكورة، وأحيانا بصيغة الفعل.

يقول ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» «محال على أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم، والمصالح، والغايات الحميدة، والقرآن والسنة والعقول والفطر والآيات شاهدة ببطلان ذلك».

أي: ببطلان القول بخلوها عن الحكمة.

---

(3) رواه الإمام أحمد والبزار وأبو عوانة.

(4) متفق عليه.

(5) الأعراف: 180.

(6) الحج: 54.

(7) الفرقان: 31.

(8) الصف: 1.

(9) المائدة: 118.

(10) الشورى: 28.

وبيان ذلك: أن من أسمائه – سبحانه – الملك، وذلك يقتضي تفرده بالخلق، والأمر، والعزة، وعلم الغيب، والقدرة على كل شيء، ولذلك كله أدلة قاطعة من الكتاب، والسنة.

ثم إن الكمال الأعظم في ذلك كله يقتضي نفوذ المشيئة، وسبق القضاء من غير جبر، كيلا يفوت عليه – سبحانه – شيء مما يريد.

وأما اسمه تعالى– الحميد: فإنه يقتضي كمال الحمد، والعدل، والحكمة، والفضل، والصدق، والجود، والثناء، والتسبيح، والتقديس.

ثم إن الكمال الأعظم في ذلك كله يقتضي أوفر نصيب لأفعاله الحميدة، وأحكامه العادلة، من التنزيه عن اللعب والعبث، والخلو عن الحكمة.

ومعنى اسمه – سبحانه – الحكيم أنه ذو حكمة بالغة في أفعاله، وأحكامه.

وفي الجزء الأول من «البداية والنهاية» في قصة نوح – عليه السلام – عند تفسير قول الله –تعالى:

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[11] قال ابن كثير ما يأتي: «أي من يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدايته، فالله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وهو الفعال لما يريد وهو الحكيم العليم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة».

وفي هذا السياق نفسه يأتي قول الله– تعالى:

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[12]

فقد استحقوا الضلالة؛ لأنهم فاسقون، ينقضون عهد الله، ويخالفون تعاليمه، فيقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ويفسدون في الأرض، ولهذا فليس لهم إلا الضلال والخسران.

وفي تأكيد هذا الفهم الصحيح لهذه المسألة، يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه «المقصد الأسنى»: «ولذلك قال الله (سبقت رحمتي غضبي)[13] فغضبه إرادته الشر، والشر بإرادته. ورحمته إرادته الخير، والخير بإرادته، ولكن أراد الخير للخير نفسه، وأراد الشر لا لذاته بل لما تضمنه من الخير....» إلى أن قال: «فلا تشكن أصلا في أن الله أرحم الراحمين. وأنه سبقت رحمته غضبه، ولا تستريبنّ في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق اسم الرحمة».

ومما يدل على هذا ويتسق معه قول الله– تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[14].

وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا قام من

---

(11) هود: 34.

(12) البقرة: 26-27.

(13) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(14) البقرة: 216.

الليل يقول (..... لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك)[15].

يقول الإمام النووى فى شرح هذا الحديث: «أى ليس بشر بالنظر إلى حكمتك فيه، وانكي لا تفعل العبث».

ويقول الإمام محمد بن جرير الطبرى: «فإن قال قائل فما معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[16]. إن كان الأمر كما ذكرت، من أن الذى سبقه لأهل السعادة، وأهل الشقاوة لم يضطر واحداً من الفريقين إلى الذى كان يعمل، ولم يجبره عليه؟. قيل: هو أن أهل كل فريق من هذين مسهل له العمل، الذى اختاره لنفسه مزين له ذلك. كما قال جل ثناؤه:

﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[17]. وأما أهل الشقاوة فإنه زين لهم أعمالهم؛ لإيثارهم لها على العمل بطاعته. كما قال جل ثناؤه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾[18]. لأن المضطر إلى الشيء لا شك أنه مكره عليه لا محب له، بل هو له كاره، ومنه هارب. والكافر يقاتل دون كفره»[19].

وفى هذا السياق نفسه روى عن علي – رضى الله – قال: كنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى بقيع الغرقد فى جنازة، فقال (ما منكم من أحد إلا وقد كتب له مقعده من الجنة، ومقعده من النار، فقالوا: يا رسول الله: أفلا نتكل؟. فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ قول الله – تعالى –:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[20] «وهذا الحديث – للبصر النافذ – لا لبس فيه، فأما أن الله علم بما سيعمل الناس فى الدنيا، وما يصيرون إليه فى الآخرة، من ثواب، أو عقاب، فهذا مما لا شك فيه، وأما أن سبق العلم هو ما يرغم الناس على العمل بما كتب أزلا فباطل، لأن العلم نور يكشف، وليس قوة ترغم. والبشر – من تلقاء أنفسهم – يتوجهون إلى ما يريدون من أهداف، والله يتمم للعبد مراده فمن زرع تفاحا أتاه ثمرة شهية، ومن زرع شوكا جنى ما غرس. والآيات التى استشهد بها النبى – صلى الله عليه وسلم – تدل أوضح دلالة على ذلك، فإن من تعلق بأسباب الخير – من عطاء وتقوى وتصديق – أكمل الله غايته ويسره للحسنى. ومن تعلق بأسباب الشر – من بخل وفجور وتكذيب – أتم الله له قصده، وأملى له فى غيه ويسره للعسرى»[21].

---

(15) رواه مسلم.

(16) جزء من حديث متفق عليه.

(17) الحجرات: ٧ – ٨.

(18) النمل: ٤.

(19) انظر كتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص١٨٦.

(20) الليل: ٥ – ١٠ والحديث رواه البخارى.

(21) عقيدة المسلم للشيخ الغزالى ص١٢٢.

وأما الحديث الذى رواه عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال « والذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع او ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخل الجنة »[22].

فإن هذا لا يتعارض مع ما سبق لأنه إنما يصف لنا حالة صنفين من الناس، خواتيم أعمالهم تغاير مسالكهم الأولى مغايرة تامة. وذلك أمر واقع مشاهد فعلا، ولكنه ينبغى أن يكون معلوما أن المصير المناقض للمسلك الأول لم يكن بناء على جبر قدرى، ويزداد الأمر وضوحا بذكر الحديث الآتي عن سهل بن سعد - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : (إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل الجنة، وإنه من أهل النار، وإنه ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، وإنما الأعمال بالخواتيم)[23].

الهداية والضلالة من خلق الله

من كل ما سبق يتضح: أن الهداية لبعض الخلق، والضلالة لبعض آخر، هما من خلق الله - سبحانه - وبمشيئته وتقديره، بناء على علمه المحيط بحال عباده وما سيكونون عليه، واتساقا مع اتصافه سبحانه بصفة الحكيم، وصفة الحميد.

ومما يلفت النظر: أن آيات القرآن الكريم كثيرا ما يقترن فيها ذكر اسم الله العليم، مع ذكر اسمه الحكيم، أو ذكر اسمه العزيز مع ذكر اسمه الحكيم، ولذلك دلالته التى لا تخفى على لبيب.

ومن هذه الآيات قول الله - تعالى:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[24].

ومنها قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[25].

فأنت ترى أن الله - تبارك وتعالى - ذيل كلاً من الآيتين المذكورتين، بذكر اسمه العزيز، الدال على عظيم قدرته، على تعذيب من كفر به، بأعظم أنواع العذاب. وأردف بذكر اسمه الحكيم الدال على عظيم حكمته ولطفه ورحمته.

ومن هذه الآيات كذلك قول الله تعالى:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[26].

وأمثال هذه الآيات فى القرآن كثير. وفيها نكتة لطيفة حيث جمع فيها بين العزة والحكمة، ومن

---

(٢٢) رواه البخارى.

(٢٣) رواه البخارى.

(٢٤) الحشر: ٢٤.

(٢٥) النساء: ٥٦.

(٢٦) ابراهيم: ٤.

المعلوم أن اجتماعهما في المخلوقين عسير. فإن أهل العزة من ملوك الدنيا يغلب عليهم العسف في الأحكام فبين لنا - سبحانه - أنه يخالف الخلق في هذا، وأن عظيم عزته التي لا تحد لم يبطل لطيف حكمته ورحمته فسبحان من له الكمال المطلق: ومن الآيات التي اقترن فيها اسم الله العليم مع اسمه الحكيم قول الله - تعالى -

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٧)

أي: أنه سبحانه عليم حكيم في شرعه، وقدره، وأفعاله، وأقواله. وذلك من مقتضيات الكمال المطلق.

مشيئة الله ومشيئة العباد

وحين نتأمل الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، التي تتحدث عن مشيئة الله، ومشيئة الخلق، وتلك التي تتحدث عن وصف الله - سبحانه - بأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، حين نتأمل هذه النصوص في ضوء ما ذكرناه يظهر لنا: أنه ليس هناك تعارض بين هذا وذاك، وإليك بعض ما ورد من ذلك.

يقول الله -تعالى-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ ﴾(٢٨)

في الآية ربط قوي بين إيمانهم وعملهم الصالحات وبين هداية الله لهم، فالهداية نتيجة لما حدث منهم.

ويقول الله- تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

فقد هدى الله قلبه لأنه آمن بالله، ومعلوم أن القلب إذا اهتدى لا يفوته شئ من الخير، وقد منحه الله الهداية لأنه عليم بحاله واستحقاقه الهداية.

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(٣٠).

أي: أرشدناه إلى طريق الحق والباطل، والخير والشر، وحين يسلك الإنسان السبيل الأهدى يكون شاكراً، وحين يسلك السبيل المعوج يكون كفوراً.

ويقول الله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾(٣١).

وفي معنى هذه الآية يقول الإمام ابن كثير: (والذين قصدوا الهداية وفقهم الله - تعالى - لها فهداهم إليها وثبتهم عليها وزادهم منها، وآتاهم تقواهم أي: ألهمهم رشدهم).

ويقول الله -تعالى:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(٣٢)

---

(٢٧) النساء: ٢٦.

(٢٨) يونس: ٩.

(٢٩) التغابن: ١١.

(٣٠) الإنسان: ٣.

(٣١) محمد: ١٧.

(٣٢) الرعد: ٢٧-٢٨.

أي: أن الله يهدي من لجأ إليه ولاذ بحماه وآمن بما جاء من عند الله مراغماً هواه وباذلاً جهده في مقاومة الشهوات واطمأن قلبه بذكر الله. وهو كقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٣٣).

فهداية الله للناس بمعنى: لطفه بهم، وتوفيقهم للعمل بما يرضيه، إنما يكون ثمرة جهاد النفس، والإنابة إلى الله، والاستمساك بهدي الله ووحيه، وإرشاده. وهذا المعنى واضح بجلاء في قول الله تعالى:

﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣٤)

وأيضاً في قوله – تعالى – :

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣٥).

وفي هذا المعنى كذلك يأتي قول الله تعالى:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾(٣٦)

وفي تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير عند تفسيره لقول الله – تعالى – :

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾(٣٧) جاء قوله: «لما تقدم الثناء على المسئول – تبارك وتعالى – ناسب أن يعقب بالسؤال. وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسئوله، ثم يسأله حاجته، وحاجة إخوانه المؤمنين، بقوله:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٣٨) لأنه أنجح للحاجة، وأنجع للإجابة، ولهذا أرشدنا الله إليه؛ لأنه الأكمل.

والهداية هنا معناها: الإرشاد والتوفيق، والصراط المستقيم: هو الطريق الواضح، الذي لا اعوجاج فيه»، وبعد ذكر أقوال السلف في المقصود بالصراط المستقيم نقل عن الإمام ابن جرير – رحمه الله – قوله «والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي، أعني ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٣٨) أن يكون معنياً به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليهم من عبادك من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم. لأن من وفق لما وفق له الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للإسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمر الله به والانزجار عما زجره عنه واتباع منهاج النبي –

---

(٣٣) العنكبوت: ٦٩.
(٣٤) آل عمران: ١٠١.
(٣٥) المائدة: ١٦.
(٣٦) النساء: ٦٦ – ٦٨.
(٣٧) الفاتحة: ٦ – ٧.
(٣٨) الفاتحة: ٦.

صلى الله عليه وسلم - ومنهاج الخلفاء الأربعة وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم.

فإن قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟ فالجواب: أن لا. ولولا احتياجه ليلا ونهارا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله -تعالى- إلى ذلك. فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله- تعالى -في تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره. وازدياده منها، واستمراره عليها. فإن العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله، فأرشده الله إلى أن يسأله في كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق، فالسعيد من وفقه الله- تعالى- لسؤاله»[38].

ويقول الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية «في هذه الآية رد على القدرية والمعتزلة والإمامية لأنهم يعتقدون أن إرادة الإنسان كافية في صدور أفعاله منه، طاعة كانت أو معصية. لأن الإنسان عندهم خالق لأفعاله فهو غير محتاج في صدورها عنه إلى ربه، وقد أكذبهم الله في هذه الآية إذ سألوه الهداية إلى الصراط المستقيم، فلو كان الأمر إليهم والاختيار بيدهم دون ربهم لما سألوه الهداية، ولما كرروا السؤال في كل صلاة، وكذلك تضرعهم إليه في دفع المكروه وهو ما يناقض الهداية حيث قالوا: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فكما سألوه أن يهديهم سألوه ألا يضلهم، وكذلك يدعون فيقولون:

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[39][40]».

هذا بعض ما جاء في كتاب الله، وفي سنة رسول الله، عن هداية الله لبعض خلقه يظهر منه الارتباط الوثيق بين سلوك الإنسان وبين هداية الله له.

وزيادة في الإيضاح نذكر بقول الله - تعالى - :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[41].

فالرزق من الله مقسوم ومقدر والسعي لكسب الرزق سبب لتحصيله، وبين السبب والمسبب نوع من الارتباط معلوم ومفهوم.

يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية الكريمة «أي فسافروا حيث شئتم من أقطار الأرض وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم. ولهذا قال - تعالى - : ﴿ وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾[41] فالسعي في السبب لا ينافي التوكل على الله. كما قال الإمام أحمد وروى بسنده عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا)[42]. فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله - عز وجل - وهو المسخر المسير المسبب»[43].

وعلى هذا فمسألة الهداية كمسألة الرزق سواء بسواء.

«يتبع»

---

(39) من تفسير ابن كثير بتصرف.

(40) آل عمران: 8.

(41) من كتاب الجامع لأحكام القرآن بتصرف.

(42) الملك: 15.

(43) ورواه النسائي وابن ماجة والترمذي وقال: حسن صحيح

(44) تفسير ابن كثير بتصرف.

الفاكهة المحرمة

لفضيلة الأستاذ الدكتور / علي محمد حسن العماري

□ لا أدرى من قال هذه الكلمة: الغيبة فاكهة العلماء، ولكننى على يقين من أن القائل أصاب المحزّ، وطبّق المفصل حين سمى الغيبة (فاكهة). فلطالما وجد فيها الغافلون عن تعاليم الدين، والحائدون عن مكارم الأخلاق، والعابثون بأعراض الناس.. طالما وجدوا فيها متعة ولذة، وأنساً لمجالسهم، وفاكهة لسمرهم.

وعلى يقين - أيضا - أن هذا القائل عدل عن الجادة حين وصم العلماء بهذه النقيصة، ورماهم بهذه الرذيلة دون أن يستثنى، أو يتحفظ.

فقد يكون من بعضهم من يتفكه بها، ولكن الكثيرين منهم - وهم الذين يخشون الله - تعالى - يعلمون أن ثمرها شديد المرارة، فيتورعون حتى عن رؤيتها في أيدى الآخرين.

وإذا كانت الغيبة عند هذا القائل (فاكهة) فهى عند آخرين من أطيب الطعام.

قال قائل لإسماعيل بن حماد - حفيد أبى حنيفة - أيُّ اللحمان أطيب؟

قال: لحوم الناس، هى - والله - أطيب من الدجاج ومن الفراخ، ومن العُنوز الحمر[1].

وكان إسماعيل هذا صالحا، عابدا، فهو لا يحدث عن مكان الغيبة من نفسه، وإنما يصف ما يجده المغتابون من لذة حين يطعمون لحوم الناس!!

وعند فريق آخر من أطيب اللذات.

قال أحد الظرفاء، لم يبق من لذات العيش إلا أكل القديد، والوقيعة فى الثقلاء!

وكان هذا الظريف جعل اللذة، كل اللذة، فى اغتياب طائفة خاصة من الناس، وهم الثقلاء، فيبدو أن الأمر كذلك عند من يتفكهون بألوان من الغيبة.

وإذا كانت الغيبة فاكهة، ومن أطيب الطعام، والباقية - عند قوم - من لذات الحياة، بعد أن ودُعوا اللذات كلها، فإنها - فى حقيقتها - وكما صورها القرآن الكريم طعام كريه، من لحم كريه:

---

(١) العنوز: جمع عنز، والفرخ ما يخرج من كل بيضة فى الأرض، سوى بيض الدجاج، فإن ما يخرج منه يسمى: فروجاً، ولا يسمى: فرخا، إلا أن الشعراء يجعلون الفروج فرخا على التوسع فى الكلام. «الحيوان للجاحظ (١/١٩٩)».

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾[2]

فهذا التمثيل من أبلغ ما قيل في التنفير من الغيبة، وهو - ولاشك - إبراز لهذا المعنى في أقبح صورة يتخيلها إنسان.

إذ جعلها القرآن الكريم بمنزلة أكل لحم الأخ ميتا، فأكل لحم الإنسان مكروه بالطبيعة، ولكن النفس تكون أشد كراهية إذا كان لحم أخ، وأكل لحم الأخ بطبيعته مكروه شديد الكراهية، ولكن هذه الشدة تبلغ مداها إذا كان الأخ ميتا.

وهكذا يمثل القرآن المعنى، فلا يدع دقيقة من الدقائق تبرزه على أبلغ ما يكون من أداء الغرض الذي جئ به من أجله إلا جعلها جزءا من الصورة.

وذكر الأخوة هنا: للإشعار بأن المسلمين كلهم إخوة، فاغتياب أحد المسلمين إنما هو اغتياب أخ، ولما كان المسلمون كلهم إخوة كان من اغتاب واحدا منهم كأنما اغتابهم جميعا.

وغيبة الذي اغتيب من المغتاب تشبه الموت في أن كلا منهما: الغائب والميت لا يحس بما يصنع به.

وقد زاد هذا التشبيه نكرا ما جاء معه من الاستفهام الإنكاري: (أيحبُّ).

وذكر الحب - هنا أيضا - مما زاد الأمر شناعة، فقد كان يمكن أن يقال: « أيرغب » أو « أيريد » أو « أيستسيغ »، ولكن كان ذكر الحب للدلالة على أن ذلك غاية ما يُستقطع.

وهنا لطيفة أخرى - والله أعلم بمراده - ذلك أن الغيبة محبوبة من نفوس المغتابين، فبعض الناس - وربما كثير منهم - لا يجدون لذتهم إلا في قرض الأعراض، بل كثير من الناس لا يقضون أوقاتهم، ولا يطيب لهم الحديث إلا بتناول معايب الناس، والحديث عن مساوئهم، ولذلك ناسب هذا المقام كلمة (أيحب)[3].

ومن لطائف القرآن هنا - أيضا - أنه نكّر لفظ (أحد)، وكان المراد: أن إنسانا ما، كائنا ما كان، عدوا، أو صديقا، صغيرا، أو كبيرا، لا يحب أن يأكل لحم أخيه ميتا، وإن كانت الإضافة إلى المسلمين تشير إلى أن من شأن المسلم الذي طهّره الإسلام، وارتفع بغرائزه ألا يقع منه ذلك.

والغيبة - كما حدّدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « ذكرك أخاك بما يكره، ولو في وجهه ».

قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقوله؟ قال - عليه الصلاة والسلام - إن « كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »[4].

والمغتاب غافل عن أشياء، لو فطن لها لأبقى على نفسه، وعلى دينه وخلقه، غافل عن عيوب نفسه، وغافل عن قدرة الآخرين على أن يجازوه سوأى بسوأى، وغافل عما توعد به الله - سبحانه - المغتابين.

فلو أن الإنسان جعل دائما عيوبه على ذُكْر منه، واستحضرها أمام عينه كلما همّ بأن يتحدث عن عيوب الآخرين لزجره ذلك عما همّ به، ولأمسك لسانه، وألجم فاه بلجام، وهذا ما نبه إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في قوله: « طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس »[5]

---

(٢) سورة الحجرات من الآية (١٢)

(٣) أشار إلى هذه المعاني ابن الأثير في: «المثل السائر»، باب: الكناية.

(٤) رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٥) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

وقد يقع في بعض الأذهان أن هذه الكلمة ضيقة الحدود، قريبة الأفق، ولكن المتأمل يرى أنها أول كل تهذيب نفسي.

فالعاقل الذى لا يكون همه تتبع عيوب الناس وإذاعتها، ولكن همه منحصر فى تأمل عيوب نفسه، كلما رأى عيبا بادر إلى إصلاح ذلك العيب من نفسه، فيشغله إصلاحها عن تعداد عيوب الناس.

ولاشك أن كل إنسان فيه من العيوب نظير ما فى غيره، إن لم يكن فى النوع، ففى القدر والوزن، وكما قال الأول:

عيوبى إن سألت بها كثير

وأى الناس ليس له عيوب؟!

فإذا كان الإنسان - حياته - يراقب، ويعالج ما يجده فى نفسه من أدواء خُلُقية استقام سلوكه، وحسنت أخلاقه، وبرئت نفسه أو كادت من العيوب، وهذا من أجل ما يحث عليه الإسلام: إصلاح الأخلاق، وتتميم مكارمها.

ولا يقولن أحد إنه لا عيب فيه، وذلك الادعاء، إن وجد كذب على الطبيعة الإنسانية، وهو غرور لا يقع فيه من خالطت بشاشة الإيمان قلبه، وكثيرا ما يقع الإنسان فى الخطأ وهو لا يشعر، وعلى الإنسان أن يُصَدِّق نفسه، وأن يعترف بعيوبه - على الأقل بينه وبين نفسه - فإن ذلك أحرى أن يدفعه إلى التخلص من هذه العيوب، وهو - لا شك - يحبس لسانه عن الخوض فى عيوب الناس[6].

وقد روى أبوحيان التوحيدي هذه القصة:

التقى أخوان فى الله، فقال أحدهما لصاحبه: والله يا أخى إنى لأحبك فى الله، فقال الآخر: لو علمت منى ما أعلمه من نفسى لأبغضتنى فى الله، فقال: والله: يا أخى لو علمت منك ما تعلمه من نفسك لمنعنى من بغضك ما أعلمه من نفسى[7].

ولو أن الإنسان فطن إلى أن للناس ألسنا كما أن له لسانا، وأن لهم أعينا كما له عينان، وأن فيه من العيوب بعض ما فيهم، وأنهم لا يتورعون أن يعيبوه بما فيه، بل لا يتورع كثير منهم أن يختلق له العيوب، لو فطن لذلك لآثر السلامة، ونجا بعرضه من ألسنتهم، وربما تكون ألسنة حداداً.

فمما روى عن الإمام الشافعى - رحمه الله - قوله:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى

وذنبك مغفور وعرضك صيّن

لسانك لا تذكر به عورة امرئ

فكلك عورات وللناس ألسُن!

وكلمة حكيمة للشاعر نصير الدين الحمامى (ت٧١٢هـ):

لا تقل ما حييت إلا بخير

ليكون الجواب خيرا لديكا

قد سمعت الصدى وذاك جماد

كل شئ تقول ردّ عليكا

وفى الحديث الصحيح: «من تتبع عورة أخيه

---

(٦) بعض هذه الخواطر ذكرت فى كتابنا «بلاغة الرسول».

(٧) كتاب: «الصداقة والصديق» (ص: ٢) ط مكتبة الآداب بالقاهرة.

يتتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه وهو في جوف بيته»[8].

ومن قول بعض الشعراء:

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا
فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا
ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وقد ذكر أبوحيان التوحيدي هذه الحكمة: (من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون)[9].

□ وأخيرا وأولا.. لو استحضر الإنسان دائما ما توعد الله به هؤلاء الوالغين في الأعراض لأشفق على نفسه من سخط الله وعذابه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[10] وقد فسرت هاتان الكلمتان بتفسيرات عدة ترجع في جملتها إلى تناول عيوب الناس.

والويل: الهلاك، وهي كلمة شديدة الوقع على النفس المؤمنة، ولا تستعمل إلا حيث تكون المعصية بالغة الشناعة: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[11].. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (12).

□□□□

الناس ألوان

والناس في هذا الأمر ألوان شتى: فمنهم من يعف عن لحوم الناس أو يقربها، وينزه لسانه عن الخوض في أعراضهم. وينزه سمعه عما نزه عنه لسانه، ويظل حياته معرضا عن هذه الفاكهة المحرمة، التي ربما تشتهيها نفسه حينا فيقدعها، ويذودها عن هذا المورد الوبيء، فإذا جلست إلى واحد من هؤلاء لم يحدثك إلا بما طاب من الحديث، فإذا عرضت أنت لشخص أعرض، ونأى بجانبه، وأمالك بلطف عن هذا الحديث، ودخل فيما يعنيه، فإن كان عالما دخل بك من باب من أبواب العلم، وإن كان جاهلا - ولا تعجب - انصرف بك إلى ما يشغله من شئون الدنيا.

ولقد عرفتُ نفرا من هؤلاء، ولكن - والألم يملأ النفس - كانوا قليلا، بل أقل من القليل.

□ ومن الناس من تعاشره الدهر الطويل فلا تسمع منه إلا ذما وقدحا فيمن يعرف ومن لا يعرف، ولا تسمع منه كلمة واحدة طيبة في إنسان، حتى أصدقاؤه الذين ربما كان لبعضهم فضل عليه، لا يذكر عنهم حين يذكر إلا ما يعرف من مثالبهم.

فهو كهذا الجار، الذي جاء في ذكره في الحديث النبوي الذي رواه الطبراني: ثلاثة من الفواقر: وذكر منهم:

«وجار سوء، إن رأى حسنة دفنها، وإن رأى سيئة أذاعها».

وقد عبر عن هذا المعنى شاعر ضاق بمثل هذا العائب:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا
عني، وما سمعوا من صالح دفنوا

---

(8) إتحاف السادة المتقين ص٧ / ٥٣٤.
(9) الإمتاع والمؤانسة (٢/١٤٧).
(10) سورة الهمزة الآية (١).
(11) سورة المطففين الآية (١).
(12) سورة الجاثية الآية (٧).

صمٌ إذا سمعوا خيرا ذكرت به
وإن ذكرت بشرٍ عندهم أذنوا

وقد اكتفى هذا الشاعر فى وصف هؤلاء بأنهم يدفنون ما يسمعون من صالح، ويطيرون فرحا بما يسمعونه من ريبة، وأنهم يصمون آذانهم حين يذكر الشاعر بخير، ويطيلون الإصغاء حين يذكر بشر.

أما الشاعر الآخر فقد زاد على ذلك: أن أصحابه يفترون عليه الكذب إن لم يجدوا ما يقولونه فيه:

إن يسمعوا الخير يُخفوه وإن سمعوا
شرا أذيع وإن لم يسمعوا كذبوا!!

وقد تأكد لى فى هذا الصنف من الناس صدق ما قاله هذا الشاعر:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب
على عيب الرجال ذوو العيوب

وكما أن الصنف الأول الذى وصفته بأنه ينزه سمعه كما ينزه لسانه عن الخوض فى عيوب الناس قليل، كذلك هذا الصنف الذى لا يعرف فى الناس إلا عيوبهم قليل -أيضا- وهذا ما نحمد الله - تعالى - عليه.

أما الكثرة الكاثرة من الناس فيخلطون عملا صالحا وآخر سيئا، يقعون، ويعفُون، ولكنهم - أيضا - على درجات، فمنهم المكثر، ومنهم المقلّ.

سبب للعداوة

☐ ومن أضرار الغيبة أنها تؤثر - أحيانا كثيرة - فى قلوب من يسمعونها، فتسوء ظنونهم فيمن تتناوله الغيبة، ومن هنا تنشأ عداوات بين الناس بسبب سوء ظن بعضهم فى بعض.

وإذا كان النبى - صلى الله عليه وسلم - خشى أن يتغير صدره على أصحابه إن سمع عنهم ما يسوء بعضهم، فنهى أصحابه أن يذكروا أحدا أمامه بشر، وقال لهم: «إنى أحب أن أخرج إليكم سليم الصدر»[13].

إذا كان - صلى الله عليه وسلم - يخشى أن يتغير قلبه على أحد أصحابه من كلمة سيئة يسمعها عنه فكيف بعامّة الناس؟! إنهم أولى أن تتغير نفوسهم، ولا تسلم صدورهم.

ورذيلة أخرى أشنع وأفدح تنشأ -عادة- عند من يعتادون الحديث عن عيوب الناس، فهم يستطيبون الحديث، وهذا يدفعهم إلى أن يتزايدوا، ويختلقوا، ويكذبوا، فهى رذائل بعضها يفضى إلى بعض، وقديما قال الشاعر يصف قوما يمكرون به، ويتقوّلون عليه:

هم أيقظوا رُقط الأفاعى ونبهوا
عقارب ليلٍ نام عنها حواتُها
وهمْ نقلوا عنى الذى لم أفُهْ به
وما آفة الأخبار إلا رواتها

ولعل من لطيف الكلم ورائعه، فى هذا الباب ما يروى عن الحسن البصرى أن رجلا جاءه يعتب عليه أنه اغتابه فقال له الحسن - رحمه الله -: ما بلغ من قدرك عندى حتى أحكّمك فى حسناتى؟!

والله الهادى إلى سواء السبيل.

---

(١٣) رواه أحمد جـ١ / ٣٩٦، والبيهقى فى السنن الكبرى ٨/١٦٦/١٦٧.

وقولوا للناس حسنًا

لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾

ويقول الله ـ جل جلاله ـ:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٢)

والمؤمن التقى القوى الأمين لا ينطق إلا بما يرضى الله فيزن كلامه بالقسطاس المستقيم، لأن الإسلام يلاحظ مشاعر الناس وأحاسيس الآخرين، فمن أراد أن يتكلم فليقل خيرا أو ليصمت، ولاريب أن طهارة اللسان من كمال الإيمان، والكلمة الطيبة صدقة والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

وأما اللسان البذئ فيدل على الخلق الردئ، والكذب نقيصة ومهزلة.

وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة ويباعدنى عن النار. قال: «لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله

(١) الآيات ٢٤ ـ ٢٦ من سورة ابراهيم

(٢) الآية ١٨ من سورة ق.

لاتشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾(٣) حتى بلغ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾، ثم قال: ألا أخبرك بملاك الأمر وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: رأس الأمر: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد، ثم قال: ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ ثم قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال: كف عليك هذا، قلت: يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: ثكلتك أمك؛ وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم(٤).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)(٥).

وأفضل الناس قولا من قال خيرا فغنم، أو سكت فسلم؛ لأن الصمت في مواضعه من شيم الرجال، والنطق في مواضعه من كريم الخصال ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ ﴾(٦)

ومن فقه الرجل الرشيد أن يحفظ لسانه (إحفظ عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) : فهل لنا أن نحفظ ألسنتنا وأقلامنا.

إن خير وسائل الإصلاح الاجتماعي هو العمل بأدب الإسلام الذي أكمله الله لنا فهو يحفظ الكرامة التي كرم الله بها بني آدم، وهذه تربيته التي ليست من صنع البشر، بل هي من عند الله، جاءت لعلاج أمراض المجتمعات المعرضة عن ذكر الله وما نزل من الحق، وهل يجهل عاقل أن القرآن شفاء ورحمة ودواء لما في الصدور والقلوب؟!

آيات معجزات وعظات بالغات

من الحقائق الراسخة البالغة أن كلمات الله في القرآن الكريم لا نظير لها في أي قول آخر؛ لأن الله رب هذا الكون أنزله على عبده، ولم يجعل له عوجا: أنزله على خاتم رسله الذي أوتي جوامع الكلم، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾(٧)

وقد كانت كلمة: (اقرأ) بداية الوحي والله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو يختص برحمته من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، وخاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - بعثه الله للناس كافة يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويهديهم، وليبدل ظلام حياتهم نورا بإذن الله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

---

(٣) السجدة: ١٦.

(٤) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) رواه البخاري.

(٦) الآيات ١-٣ - من سورة المؤمنون.

(٧) النجم: (٣ : ٤).

وهذه الدنيا لا تصلح بغير دين الله الذى تجلى الله به على عباده لاستقامة العقيدة والسلوك، فهو يمحو الظلمات وبه تزول الضلالات والجهالات بآيات القرآن البينات المعجزات، والله يقول: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٨) والمتقون الذين يصفهم على ابن أبى طالب - رضى الله عنه - فى بيان معنى التقوى: الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل فهى، أى التقوى: خوف وعمل ورضا واستعداد للوقوف بين يدى الله - تعالى - والله يهدى إليه من ينيب ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ﴾(٩).

فـإذا هبت على المسلمين عواصف الشهوات المحرمة والحزازات الطارئة، فسوف يكون الإسلام كفيلا بتقديم الهداية إليهم؛ ليجمع كلمتهم ويقوى أمتهم، يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلى بن أبى طالب - كرم الله وجهه -: «ستكون فتن». قلت: ما المخرج منها يا رسول الله قال: عليكم بكتاب الله فيه: نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم، ومن علم علمه ثبت، وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذى لا تتشعب به الآراء ولا تمله الأتقياء، ولا يشبع منه العلماء هو الذى لا تنتهى الجن إذ سمعته أن قالوا:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾(١٠)، (١١).

والقرآن يقول للمسلمين:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١٢)

ويقول الله - عز وجل -:

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾(١٣)

وخير القول لمن شاء أن يستقيم هو ذكر الله ذكراً كثيراً وتسبيحه بكرة وأصيلا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ ﴾(١٤).

المؤمن لا يكون كذابـاً

سُئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم قيل له: أيكون بخيلا؟ قال: نعم، وقيل له: أيكون كذابا؟ قال: لا»(١٥)

---

(٨) الآيتان ١ - ٢ من سورة البقرة.

(٩) الآية ١٧ من سورة محمد.

(١٠) الجن آية ١ - ٢.

(١١) أمالى الشجرى ١/ ٩١.

(١٢) الآية ٢١ من سورة الأحزاب.

(١٣) الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

(١٤) الآيتان ٤١، ٤٢ من سورة الأحزاب.

(١٥) رواه أحمد.

والله يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١٦)

إن النفس الطاهرة، البريئة من أدران الرذائل والوساوس والهواجس، لا تضغن ولا تحقد ولا تهتف بما لا تعرف، تمقت الثرثرة، وتأبى الإسفاف ولغو القول: ولكنها تسمو وترتفع ولا تقابل السيئة بالسيئة، والله يقول:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١٧)

وسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أي الإسلام أفضل؟ قال تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(١٨)

لأن الإسلام دين السلام والمحبة والألفة فهو يأمر بالحلم، وضبط النفس وينهى عن المن والأذى:

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾(١٩)

الصدق أمانة والكذب خيانة

لأن الصدق حقا أمانة والكذب خيانة. والله يأمرنا بتأدية الأمانات وينهى عن الخيانات، والصدق فضيلة والكذب رذيلة، الصدق قوة أخلاقية والكذب هوان وضعف وذلة والله يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ﴾(٢٠)

وسيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ يدعو ربه قائلا:

﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ۝ ﴾(٢١)

ومن صفات عباد الرحمن قول الحق:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝ ﴾(٢٢)

التقوى ذروة مكارم الأخلاق

التقوى عصمة من الانحرافات وفعل المحرمات وارتكاب الخطيئات؛ لأن التقوى غايتها مكارم الأخلاق: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(٢٣) وهذا القول من أدب النبوة وذلك لأن الأخلاق أرزاق، ولاشك أن الإسلام دين السماحة والرحمة واليسر والعفة والعزة، وكل أولئك من صفات أصحاب الخلق المتين الذى يشق طريقه إلى عقول الملايين من البشر، وقلوبهم بيسر، فلا تعقيد في التوحيد، ولا التواء في السلوك السوى.

---

(١٦) سورة الإسراء: ٣٦.

(١٧) سورة الإسراء: ٥٣.

(١٨) رواه البخاري.

(١٩) سورة البقرة: ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢٠) التوبة: ١١٩.

(٢١) الشعراء: ٨٤.

(٢٢) الفرقان: ٧٢.

(٢٣) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/١٩٢.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٢٤)

وقد كان السلف الصالح في أيام الإسلام الأولى صورة للإسلام لما كان أكرمهم عند الله أتقاهم، ولما اهتدوا بالقرآن فزادهم الله هدى وآتاهم تقواهم فتشبهوا بالملائكة، فلا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون؛ فامتلأت بهم الأرض عدلا وأمنا وسلاما.

أمانــة الكلمــة

وإذا كانت الكلمة أمانة فإن العمل أمانة (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه)(٢٥)

والوقت ـ وعمر الإنسان أمانة: (خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله)(٢٦) والصدق في العمل كالصدق في القول، كلاهما يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة، وحقوق الإنسان أمانة في الإسلام.

(لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) فليؤدي الذي اؤتمن أمانته، وإذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكوا في صلاحه)(٢٧) لأن الدين المعاملة، وهي ـ أي المعاملة ـ الشاهد الذي لا ترد شهادته؛ وهي محك الرجال فهي رمز الصدق في القول والعمل، والصدق داخل في السلوك القويم، ودليل الإخلاص في العمل الصالح

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾(٢٨)

فإن الاسلام يقول للمسلمين ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾(٢٩)

ويقول لهم:

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ

---

(٢٤) الآية ١٥٣ من سورة الأنعام.
(٢٥) مجمع الزوائد للهيثمي ٩٨/١.
(٢٦) كشف الخفاء للعجلوني ١٦٦/١.
(٢٧) الترغيب والترهيب للمنذري ٢٤١.
(٢٨) الآية ٥ من سورة البينة.
(٢٩) الآية ٨٣ من سورة البقرة.
(٣٠) الآيتان ٢٤ ـ ٢٥ من سورة النور.

آداب الجدل

للأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الفيومي

عقد الجويني[1] فصلا طويلاً - في الكافية - بين فيه آداب الجدل نجتزئ منه ما يأتي (غير العناوين) :

١ - التقرب إلى الله - تعالى - بعمله هذا :

يقول الجويني : (فأول شئ فيه على الناظر أن يقصد التقرب إلى الله -سبحانه- وطلب مرضاته في امتثال أمره - سبحانه - فيما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الحق عن الباطل وعما يخبر فيه ويبالغ قدر طاقته في البيان والكشف من تحقيق الحق وتمحيق الباطل)[2].

٢ - تخلية قصده عن الرياء والمباهاة وسائر المذمومات : (ويتقي الله ان يقصد بنظره المباهاة وطلب الجاه والتكسب والممارأة والمحك والرياء، ويحذر الم عقاب الله ولا يكن قصده الظفر بالخصم والسرور بالغلبة والقهر فإنه من دأب الأنعام الفحولة) .

٣ - البدء بحمد الله والثناء على رسوله - صلى الله عليه وسلم:

(وقبل أن يشرع في الكلام يبتدئ بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فيستعين على ذلك بطلب الحق والتوفيق في الإبانة عن الباطل والكشف عن الصواب فإنه سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم .

وإن كان لا يتفق له ذكره باللسان فيقوله في نفسه سراً) .

٤- خفض الصوت :

(ويحذر رفع الصوت جهراً زائداً على مقدار الحاجة فإنه يورث الحدة والضجر) .

٥- رفض أسباب الضجر :

(ويتجنب من أسباب الضجر والحدة فإنه يورث البلاده وإن كان يتوهمه جلادة ويقطع مادة الفهم والخاطر)[3].

٦- التواضع :

(ويلزم الخشوع والتواضع ويقصد الانقياد للحق فيكون من جملة من (يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فإنهم الذين وصفهم الله بالهدى[4].

---

(١) أنظر الكافية في الجدل للجويني ص ٥٢٩ - ٥٢٤.

(٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٥٢٩.

(٤) الكافية في الجدل الجويني ص ٥٣٠ ، ٥٣١.

٧- الاقتصاد في الجدال والتريث :

(ولا تعود نفسك السباب والجدال بالباطل والمبادرة إلى ما سبق إليه الخاطر...)[٥].

٨- عدم الاعتماد على رضا الحاضرين :

(واحذر الاعتماد في كلامك على من تظن انه معك أو يستحسن كلامك في جملة الحاضرين، فربما تبين لك خلافه فيضعف ذهنك وخاطرك ويذهب عنك كثير مما لا تستغنى عنه.

٩- التقرب إلى الله بطلب الحق وحده :

(والتقرب إلى الله - سبحانه - يجب أن يكون بحيث يمنعك عن الالتفات إلى الحاضرين خالفوك أم وافقوك فإنه - سبحانه - عند ذلك يكفيك المهم، ويعينك على تقوية ذهنك، وتصفية فهمك، وإمداد خواطرك، والكشف عن الحق على لسانك)

١٠- الاطمئنان :

(وإياك والكلام في مجالس الخوف والهيبة فإنك عند ذلك في حراسة الروح على شغل من حراسة المذهب ونصرة الدين)[٦].

١١- الحياد والموضوعية.

وتجنب مجلس صدر لا يسوى بين الخصوم في الإقبال والاستماع وإنزال كل منزلته فإن الكلام بين يدى مثله سخيف)[٧].

١٢- احترام الخصم.

وإياك واستصغار من تناظره والاستهزاء به كائنا ما كان... وعليك المحافظة على قدرك وقدر خصمك... ولا تناظر النظير مناظرة المبتدئ المسترشد.

ولا تناظر أساتذتك مناظرة الأكفاء والنظراء بل تناظر كلا على حقه وتحفظ كلا على رتبته)[٨].

١٣- السماحة :

(وكن مع خصمك مستبشرا غير عبوس).

١٤- اختيار المناظر :

وعليك أن لا تفاتح بالمناظرة من تعلمه متعنتا... وإن لم تعلمه كذلك ثم علمته عليه وجب عليك الإمساك عن مناظرته)[٩].

١٥- البساطة وعدم التنطع.

يقول الجوينى : (وإن كان خصمك منتهيا عالما بقصد المناظرة واستبانة ما التبس فلا تعمق في العبارة فإنك تطول عليه وعلى نفسك الأمر بل تقصد بأسهل العبارات إلى نكتة الحكم)[١٠].

١٦- حسن الاستماع والإنصات :

(ومتى علم من خصمه قصد الحق وطلب الصواب والهداية مكنه من إيراد جميع ما يريد إيراده فإنه يجوز أن يكون موضع الالتباس عليه ما يظنه أظهر الأشياء فسادا ووهاء... وحتى لم يصبر خصمه بل داخله بالاعتراض أو الجواب في نوبته احتمله ووعظه فإن أصر عليه قطع مكالمته)[١١].

١٧- العلاقة بين المتجادلين :

وعلى كل واحد منهما أن يقبل على خصمه الذى يكلمه بوجهه في خطابه المتكلم في كلامه والمستمع في استماعه.

---

(٥)، (٦) (٧) الكافية فى الجدل الجوينى ص ٥٣٠ - ٥٣١.

(٨) الكافية فى الجدل ص ٥٣١.

(٩)، (١٠)، (١١)، الكافية فى الجدل - للجوينى ص ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤.

فإن التفت أو أعرض عنه في الاستماع أو الخطاب وعظه فإن لم يقبل قطع مناظرته ؛ لأن ترك الإقبال وحسن الاستماع يشغل قلب المتكلم والمستمع فتنقطع عليه مادة الفهم والخاطر)[١٢].

١٨- كيفية مناقشة الأعلم والأكبر:

(ولا تكلم الأستاذ إلا على ضربين : الاسترشاد مع غاية الاحترام، والتواضع وخفض الصوت وقطع الحجاج عند ظهور الرشد)[١٣].

١٩- ترتيب الإجابة وكيفية الاختيار:

(وإياك أن تتعلق عند الاستدلال إلا بأقوى ما في المسألة ولا يحرزنك ضعف السائل ؛ لأنك إذا تعلقت بأقوى ما في المسألة راح بعده ما هو أضعف منه.

وإذا تعلقت بالضعيف احتجت إلى وضع القوى موضع الضعيف فيذهب عند ذلك رونق نصرة الحق وبهائها...)[١٤].

٢٠- فهم كلام الخصم:

(وعليك بمراعاة كلام الخصم وتفهم معانيه على غاية الحد والاستقصاء فإن فيه أمانا من اضطراب ترتيب فصول الكلام عليك فيسهل عليك وضع كل شئ موضوعه)[١٥].

٢١- المجادل المشاكس:

(وإن طول عليك كلامه بعباراته الطويلة تلخص من جميعها موضوع الحاجة إليه فتحصره عليه ثم تكلمه فيه بما يليق به لأنك إذا فعلت ذلك زال ما أوهم به الحاضرين من إيراد العلوم الكثيرة، وإذا لم تحصر عليه موضوع الفائدة موه عليهم تقصيرك)[١٦].

٢٢- التأكد:

(وإياك إن تلزم خصمك ما لا تتحققه لازما فإنه إذا انكشف لك وللحاضرين سقوطه من فوره سقطت عن أعين الحاضرين)[١٧].

٢٣- التسامح مع الخصم وعدم تصيد الأخطاء:

(ولا تؤاخذ الخصم بما تعلم أنه لا يقصده من أنواع الزلل، بل تعلم أنه يسبق اللسان ولما لا يخلو المتكلم منه)[١٨].

٢٤- الابتعاد عن الحيل:

(واعلم أن الحيل في المناظرة لقطع الخصم محظور يجب الاجتناب عنه، وهو من دأب أهل الفسوق في المناظرة... بعيد عن سلوك سبيل أهل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

ومن الحيل المنهى عنها:

٢٥- أن يحتال المسئول على السائل فيخرجه عن سؤاله، أو السائل يحتال على المسئول فيخرجه عن جوابه إلى غيره)[١٩].

---

(١٢) الكافية في الجدل – للجويني ص ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤.

(١٣) الكافية في الجدل ص ٥٣٤.

(١٤)، (١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨)، الكافية في الجدل. الجويني ص ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦.

(١٩) الكافية في الجدل للجويني ص ٥٤٤.

من مظاهر العظمة في قدرة الله
إيجاد الضد من الضد

للشيخ عبد العزيز أحمد رضوان

أمرنا الله - سبحانه وتعالى - أن نتأمل ونتفكر في كل ما يدور حولنا، وتقع عليه أعيننا، وتدركه حواسنا، وتطمئن إليه قلوبنا، فقال سبحانه:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١)

والقرآن الكريم مشحون بالدعوة إلى التأمل والتفكر والتدبر، وما يتصل بهذه المعاني.

وسنحاول في هذا المقال - أن نلقي الضوء على جانب واحد من مظاهر العظمة في قدرته - عز وجل - وهو: إيجاد الضد من الضد، ولنتأمل قول الله العظيم:

﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾(٢) فانظروا معي إلى البذرة اليابسة التي لا حياة فيها، وإلى نواة البلح اليابسة، التي لا حياة فيها، كذلك كيف يفلقهما الله - سبحانه وتعالى - ويوجد منهما النبات الحي النامي، الذي يستوي على سوقه، ويخضر ويبهج ويترعرع، ويحمل أنواع الرزق والخير للعباد، وغيرهم؟! وكيف بهذا النبات الحي النامي يخرج من هذه الأرض الميتة، التي لا حياة فيها، كما قال عز من قائل:

﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾(٣) وهذه الأرض أمرها

---

(١) البقرة: الآية ١٦٤.
(٢) سورة الأنعام من الآية ٩٥.
(٣) سورة يس: الآية ٣٣.

عجب، فنحن لو زرعنا فوقها أنواعا مختلفة من النبات والفواكه وغيرهما، يكون لكل نوع مذاقه وطعمه ولونه، مع أن الأرض والماء الذى يسقيها واحد. قال تعالى:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[4] ثم كيف يودع الله - تبارك وتعالى - فى أعماق هذه الأرض ماء، يتم استخراجه عند الحاجة إليه، وهو ماء العيون؟! قال تبارك وتعالى:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (19) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (20) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22) ﴾[5]

ومن هذا القبيل - إيجاد الضد من الضد - إيجاد الليل من النهار، والنهار من الليل. وفى هذا المعنى يقول سبحانه:

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا ﴾[6] ويقول:

﴿ وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾[7] فانظر إلى آثار قدرة الله حيث يجعل نور الفجر، يشق ظلام الليل الدامس، ثم ينتشر رويدا، رويدا حتى تشرق الشمس بضيائها، فينكشف كل مستور. هذا، والقلوب كلها بيد الله - تبارك وتعالى - أودع فيها الحب الجارف، أو الحقد والبغض وهو - سبحانه وتعالى - قادر على أن يخلق الضد من الضد، فيودع فى هذه القلوب الحب مكان الكره، والكره مكان الحب. ومن الأمثلة والشواهد على صدق هذا ما حكته لنا السيرة النبوية، والتاريخ الاسلامى من قصص إسلام كثير من الصحابة، الذين كانوا قبل إسلامهم شديدى العداوة للاسلام ونبيه - صلوات الله وسلامه عليه - فهذا هو الفاروق عمر - رضي الله عنه وأرضاه -، الذى كان شديد العدوة للإسلام، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يكن أحد يطمع فى إسلامه، بسبب ما كان عليه من شدة الأذى للمسلمين، روت زوجة عامر بن ربيعة قالت: (إنا لنرحل الى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر لبعض حاجته إذ أقبل عمر - وهو على شركه - حتى وقف علىَّ - وكنا نلقي منه البلاء - فقال: أتنطلقون يا أم عبدالله؟ قالت - نعم والله لنخرجن فى أرض الله، فقد آذيتمونا، وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجا. قالت: فقال عمر: صحبكم الله، ورأيت له رقة وحزنا.. !! قالت: فلما عاد عامر أخبرته، وقلت له: لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا.. قال: أطمعت فى إسلامه؟ قلت: نعم فقال: لا يسلم حتى يسلم حمر الخطاب)[8] فإذا بهذا الغليظ

---

(4) سورة الرعد: الآية 4.

(5) سورة الحجر الآيات 19 - 22.

(6) سورة الإسراء من الآية 12.

(7) سورة يس: الآية 37.

(8) فقه السيرة للشيخ الغزالى ط دار الكتب الحديثة ص 122.

الجافي يتحول إلى محب للإسلام، مدافع عنه، ضاربا المثل الأعلى في حمايته، والحفاظ على آدابه وأخلاقه السامية، وهذا هو حمزة بن عبدالمطلب عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتحول من الكفر إلى الإسلام، بسبب غضبته لابن أخيه، حين يعلم أن أبا جهل شتمه فيذهب إليه مغضبا - وهو في مجلسه بين قومه - ثم يضرب رأسه بالقوس فيشجه شجة منكرة، ويقول له: أتشتمه وأنا على دينه؟[٩] وهذا هو ثمامة بن أثال، الذي تحول من الضد إلى الضد بسبب عفو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنه بعد الإمساك به وربطه بعمود من عمد المسجد، ولقد كان ثمامة تعرض وهو مشرك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأراد قتله، ولو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اقتص منه مع عداوته السافرة، وامتناعه عن الدخول في الإسلام، ما كان عليه لوم في ذلك. ومر عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على هذه الحال، فقال له: ما لك يا ثمام هل أمكن الله منك؟ فقال: قد كان ذلك يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تعف تعف عن شاكر، وإن تسأل مالاً تعطه، فمضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتركه، وتكرر ذلك في يومين آخرين، يسأله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يرد عليه نفس الرد. وكان أهل الصفة - وعلى رأسهم أبو هريرة - رضي الله عنه - يتمنون أن يأخذوا منه مالاً ويقولون: ما نصنع بدم ثمامة؟ والله لأكلة من جزور سمينة من فدائه أحب إلينا من دم ثمامة.

لكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: «أطلقوه فقد عفوت عنك يا ثمام» فكان هذا سببا في إسلام ثمامة، وحل الحب العظيم للإسلام ورسوله، محل البغض، والحقد الدفين، فخرج ثمامة حتى أتى حائطا - بستانا - من حيطان المدينة فاغتسل وتطهر، وطهر ثيابه، ثم جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو جالس في المسجد فقال: يا محمد لقد كنت وما وجه أبغض إليّ من وجهك، ولا دين أبغض إليّ من دينك، ولا بلد أبغض إليّ من بلدك، ثم قد أصبحت وما وجه أحب إليّ من وجهك، ولا دين أحب إلي من دينك، ولا بلد أحب إليّ من بلدك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وحين تلومه قريش يقول لهم: - والذي نفس ثمامة بيده لا تأتيكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانصرف إلى بلده ومنع الحَملُ إلى مكة فجهدت قريش فكتبوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسألونه بأرحامهم إلا كتب إلى ثمامة يخلي لهم حمل الطعام ففعل ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم[١٠].

وهذا هو عمير بن وهب الذي اتفق مع صفوان ابن أمية في خلوة بينهما، ولم يسمعهما أحد، أن يشحذ عمير سيفه، ويذهب إلى المدينة،

---

(٩) المصدر السابق.

(١٠) أسد الغابة بتصرف يسير جـ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٤ ط دار المعارف.

ويقتل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن يتكفل صفوان بديون عمير وعياله فى حالة ما إذا انكشف أمـره في المدينة وقـتل. وحين يرى الفاروق عمر، عميراً بن وهب أمام مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمسك بتلابيبه ويناديه بعدو الله، ويسأله عن سبب مجيئه، ويحدث ضجيج وصخب، يسمعه رسول الله، ويعرف سببه فيأمر بدخول عمير عليه، ثم سأله:

« .. ما جاء بك يا عمير»؟ قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم[11] فأحسنوا فيه. قال: «فما بال السيف في عنقك»؟ قال: قبحها الله من سيوف هل أغنت شيئا؟! قال: (أصدقنى ما الذي جئت له)؟ قال: – ما جئت إلا لذلك.

قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر – فى الكعبة – فذكرتما أصحاب القليب – بئر بدر – من قريش، ثم قلت: لولا دَيْن عليَّ، وعيال عندى لخرجت حتى أقتل محمداً، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك، على أن تقتلنى له، والله حائل بينك وبين ذلك» فقال عمير: أشهد أنك رسول الله. قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء، وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان، فوالله إنى لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذى هدانى للإسلام، وساقنى هذا المساق[12] وشاء الله – تبارك وتعالى – أن يسلم صفوان بن أمية – أيضاً – بعد جدل مثير بينه وبين عمير بن وهب، الذى ذهب من مكة إلى المدينة كافرا، ثم عاد مسلما يملأ قلبه اليقين والإيمان. وكان صفوان بعد فتح مكة قد فر هاربا يريد البحر؛ خوفا من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يقتله؛ لأنه لم يعلن إسلامه ولاحقه (عمير) ليعود به، بعد أن طلب الأمان له من رسول الله، فلما أدركه ظن صفوان أنه يريد به شرا، فقال له: يا عمير ما كفاك ما صنعت بي؟ حملتنى على دينك وعيالك ثم جئت تريد قتلى؟ فقال له: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أمنك. فقال صفوان: لا، والله لا أرجع معك حتى تأتيني بعلامة أعرفها. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لعمير لما عاد إليه وطلب منه هذه العلامة: (خذ عمامتى) فرجع عمير إليه بها .. فقال: أبا وهب!! جئتك من عند خير الناس، وأوصل الناس، وأبر الناس، وأحلم الناس، مجده مجدك، وعزه عزك، وملكه ملك ابن أمك وأبيك، وأذكـرك الله في نفسك، قال له: أخاف أن أقتل، قال: قد دعاك أن تدخل فى الاسلام .. وإلا سيرك شهرين – تركك بالخيار – وقد بعث إليك ببرده، الذى دخل به معتجرا – معتما به – فعرفه!! قال: نعم. هو .. هو!! فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو يصلى بالناس العصر فى المسجد، فوقفا. فقال صفوان صائحا: يا محمد: إن عمير بن وهب قد جاءنى ببردك، وزعم أنك دعوتنى للقدوم عليك، فإن رضيت أمرا وإلا سيرتنى شهرين.

قال: «انزل أبا وهب» قال: لا والله، حتى تبين لى. قال: «بل لك تسير أربعة أشهر» فنزل صفوان[13] وانتهى أمره إلى الاسلام، فسبحان مقلب القلوب. ومن هذا القبيل ما

---

(١١) كان ابنه وهب بن عمير أسيرا من أسرى بدر.

(١٢) حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوى جـ ١ ص ١٧٢ وما بعدها ط دار الشهداء.

(١٣) المصدر السابق ص ١٥٩ و ١٦٠ بتصرف يسير.

حدث من فضالة بن عمير، الذي استغل زحام الناس على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم فتح مكة، وانسل على خفيه يريد اغتياله، إلا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أدرك بفراسته ما ينويه فضالة، فسأله: «ماذا كنت تحدث به نفسك»؟ قال: لا شيء كنت أذكر الله!! فضحك النبي، ثم قال: «استغفر الله» وتلطف معه الرسول فوضع يده على صدره، فانصرف الرجل، وهو يقول: ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إليَّ منه[14] ومن أصدق الشواهد والبينات على أنه – سبحانه وتعالى – يخلق المحبة من العداوة، هذه الدعوة التي دعاها – صلوات الله وسلامه عليه – عندما جاءه جبريل – عليه السلام – وقال له: إن الله قد سمع قول قومك لك وماردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال النبي – صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يخرج الله – عز وجل – من أصلابهم من يعبد الله – عز وجل – وحده لا يشرك به شيئاً»[15] ولقد استجاب الله لرسوله، فإذا بأبناء الكفار الملوثين حقداً وضغناً، على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتحولون من الكفر إلى الإسلام، ويذودون عن حياضه، ويحمون حماه، ويصبحون أبطالاً عظماء، لهذا الدين: كعكرمة ابن أبي جهل، وخالد ابن الوليد.

ولنختم هذا المقال بفرعون الذي استشاط غضباً، وراح يقتل، ويذبح الأبناء، الذين نما إلى علمه أنهم أعداؤه، لأن ملكه سيزول على يد واحد منهم، فإذا بالله العلي القدير العليم الحكيم يرسل إليه كليمه موسى، وهو رضيع في تابوته ﴿ فَالْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾[16] لكن الله أراد أن تنقلب هذه العداوة إلى محبة؛ لكي يتربى موسى – عليه السلام – في قصر فرعون، وترضعه أمه بأجر من فرعون، والله – تبارك وتعالى – يقول في ذلك: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[17] وما صنع الله – سبحانه وتعالى – ذلك إلا ليحق الحق، ويبطل الباطل، وهذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يدلل على هذه القدرة الإلهية العظيمة بقوله: « .. فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»[18] فالواجب على أهل الطاعات ألا تغرهم طاعتهم، وإنما يجب أن يستقلوها، راجين رحمات ربهم، والواجب على العصاة أن يبادروا ويسارعوا ويتوبوا، ويثيبوا ولا ييأسوا من روح الله ولا يقنطوا من رحمة ربهم.

---

(14) فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٤١٥.

(15) البخاري ومسلم والنسائي وانظر حياة الصحابة جـ ١ ص ٢٥٤.

(16) سورة القصص: من الآية ٨.

(17) سورة طه: من الآية ٣٩.

(18) متفق عليه

أسرار علمية فى ألفاظ قرآنية :

الزوجية والأزواج فى القرآن الكريم

للأستاذ الدكتور / عفيفى محمود عفيفى (*)

وردت كلمة « زوج » ومشتقاتها فى آيات كثيرة من القرآن الكريم، وكان لها فى المواضع المختلفة معانٍ مختلفة أيضا، يدلنا عليها سياق الحديث، ومناسبة نزول الآية الكريمة.. ولعل أكثر هذه المعانى هو ذلك المعنى الشائع فى مفاهيمنا، وهو أن الزوج هو أحد الشقين التناسليين اللذين يكمل كل منهما الآخر، ويتم عن تواصلهما إنتاج الذرية.. وفى أغلب الآيات التى ورد فيها لفظ الزوج بهذا المعنى، كان وروده بصيغة المثنى، مثل قوله - تعالى - فى سورة القيامة: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾[1] وقوله فى سورة النجم: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾[2]. وقوله فى سورة الذاريات: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾[3]، وفى سورة هود: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾[4].

وفى آيات أخرى كان ورود الزوج بنفس المعنى بصيغة المفرد وهذا واضح فى قوله - تعالى - فى سورة النساء: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾[5] .. وقوله سبحانه فى سورة الأنبياء: ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾[6]... وفى سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ﴾[7]... وفى عدد أقل من الآيات ورد اللفظ بنفس المعنى، ولكن بصيغة الجمع، كما فى قوله تعالى فى سورة يس:

(*) الكاتب أستاذ بكلية العلوم جامعة المنصورة وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(١) القيامة (٣٨، ٣٩).

(٢) النجم (٤٥ - ٤٦).

(٣) الذاريات (٤٩).

(٤) هود (٤٠).

(٥) النساء (١).

(٦) الأنبياء (٩٠).

(٧) الأحزاب (٣٧).

﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾[8] .. وفى سورة الأحزاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ ... ﴾[9] وفى آية لاحقة: ﴿ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾[10] ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يلحق تاء التأنيث بالكلمة، حتى ولو كان المقصود هو الشق الأنثوى.

.. ولكننا فى أحاديثنا العادية بل والمتخصصة نفعل ذلك فنقول: «زوجةٌ» و«زوجات» وهذا من باب الخطأ الشائع الذى يمكن التجاوز عنه..

والمعنى الثالث الذى ورد به لفظ «زوج» فى القرآن هو: الفئة أو الطائفة المتميزة عن غيرها: كما فى قوله - تعالى - فى سورة الواقعة: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ ﴾[11].. وقوله عز وجل فى سورة طه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[12]..

وقوله فى سورة النبأ: ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾[13].

أما المعنى الثالث لكلمة «زوج» فى القرآن الكريم فهو: «النوع، أو الصنف» سواء ورد اللفظ بصيغة المفرد، كما فى قوله - سبحانه - فى سورة ق:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾[14] أو بصيغة الجمع كما فى سورة ياسين: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾[15] .. وإن كان السياق فى هذه الآية يحتمل معنى الشق المتكامل مع شقه الآخر، تكامل الذكر مع الأنثى، كما فى الكائنات الحية، وتكامل السالب مع الموجب، كما فى عالم الجمادات، التى لها خواص مغناطيسية وكهربية على النحو الذى سنتناوله ببعض التفصيل عما قليل.

عندما نفذت مشيئة الله بتعمير الأرض، بث فيها ما شاء من أنواع الكائنات الحية، بدءاً من أدناها، وهى الميكروبات، وانتهاءً بأرقاها وهو الإنسان، ومروراً بالنباتات فالحيوانات.. وأودع فى كل منها قدرة على التناسل: أولاً لإعمار الأرض، ثم بعد ذلك للتعويض عما ينقص بفعل الموت، وبهذا يظل نهر الحياة متجدد التيار جيلا بعد جيل، إلى أن يأتى أمر الله، بفناء الأرض بما عليها ومن عليها.

والتناسل بوجه عام نوعان

لا تزاوجى كما فى البكتريا، وما فى مستواها من الميكروبات، وكما فى حالات التكثير الخضرى المعروفة فى عالم النبات.

وتناسل تزاوجى، وهو ما نعرفه فى أنفسنا، وما حولنا، من حيوانات ونباتات، وما كشف

---

(8) ياسين (56)
(9) الأحزاب (28)
(10) الأحزاب (50)
(11) الواقعة (7)
(12) طه (131)
(13) النبأ (8)
(14) ق (7)
(15) ياسين (36)

عنه العلم حديثا في بعض الميكروبات.. والتناسل التزاوجي هو الذي يعنينا في هذا المجال، وهو يعتمد على أن أفراد كل نوع من الأحياء تتميز إلى صنفين، لهما صفات مشتركة، هي صفات النوع، الذي ينتميان إليه، ولكن كلاً منهما يختلف عن الآخر في بعض التفاصيل.. وهذان هما الشقان التناسليان للنوع، أي: الذكر والأنثى.

ومن بديع صنع الله: أن جعل الذكر والأنثى كائنين مستقلين في مخلوقات كثيرة عنه في الإنسان ومعظم أنواع الحيوانات، وبعض أنواع النبات كالنخيل، وبعض الميكروبات مثل البلازموديوم (المسبب لحمّى الملاريا).. بينما في حالات أخرى جعل الذكر والأنثى في فرد واحد، كما في معظم أنواع النبات، والديدان الطفيلية.

والتناسل التزاوجي لا يتم إلا بعد اندماج نطفة الذكر مع نطفة الأنثى، وهو أفضل من التناسل الخضري، لأن اندماج النطفتين يتضمن توليفات كثيرة من الجينات، وهذا من شأنه تحسين الصفات الوراثية للنوع، واستنباط سلالات جديدة أفضل.. ولكي يتحقق هذا الخير جعل الله بين كل ذكر وأنثاه تجاذبا فطريا، هو في حقيقته مظهر لرغبة كل منهما في الاتحاد مع الآخر.. ولعل هذا هو ما عبر عنه القرآن في قوله - تعالى - في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾(١٦).. وهذه المودة ليست قاصرة علينا نحن المخاطبين بهذه الآية الكريمة، لأن رحمة الله وسعت كل شئ، وبتعبير أوضح نقول: إن التجاذب بين الذكر والأنثى موجود في كل الأنواع، على النحو الذي نلمسه في أنفسنا، لأننا نمارسه، وما نلحظه بين الحيوانات من سَعْي الذكر إلى أنثاه واستجابتها له، أما بين النباتات المثبتة في الأرض، والحركة الانتقالية مستحيلة، ولكن التجاذب موجود على مستوى حبيبات اللقاح بمجرد سقوطها على مياسم الزهور المؤدية إلى المبايض.. ومثل هذا التجاذب - أيضا - أمكن تسجيله بالفحص الميكروسكوبي، بين الحيوان المنوي، والبويضة، بل وبين المشيج الذكري والأنثوي لميكروب بلازموديوم الملاريا في جدار معدة البعوضة الناقلة له.

ومن الحقائق الجديرة بالتأمل والتي تدعو إلى استشعار قدرة الله. أن هذا التجاذب بين الذكر والأنثى تجاذب نوعيّ أي: أنه لا يحدث إلا بين الزوجين من نفس النوع حيث يتم التعارف بين الذكر والإناث في الظلام بحاستَيْ: السمع والشم، اللتين جعلهما الخالق - سبحانه - في كثير من الحشرات والحيوانات أقوى عشرات المرات مما هما عليه عند الإنسان.

ولقد تمكن العلماء حديثا من تسجيل الذبذبات الصوتية، التي تتخاطب بها

---

(١٦) الروم (٢١).

الذكور والإناث في النمل والبعوض، ولا تسمعها آذان البشر، كما أمكن - أيضا - استخلاص الفيرومونات الجنسية، التي تفرزها إناث بعض أنواع الصراصير والفراشات لجذب ذكورها.. وهذا التجاذب النوعي أمر في غاية الأهمية لمنع التواصل الجنسي بين الأنواع المختلفة، وهذه هي الخطوة الأولى والضرورية للمحافظة على خصائص النوع بالالتزام بالخط الوراثي له عبر الأجيال المتعاقبة.. وهو أكثر أهميّة بالنسبة للأنواع التي يتم فيها التلقيح خارجيا، وهي ظاهرة شائعة في كثير من أنواع الحيوانات اللافقارية المائية حيث تضع الإناث بيضها على الصخور أو الأعشاب ويقذف الذكر منيّه في الماء، ثم إن تيار الماء يحمل النطف الذكرية لأنواع عديدة من هذه الحيوانات، ويسوق الى أماكن بيض كل أنثى هذا الخليط من الحيوانات المنوية، ولكن لا ينجذب إلى بويضات أى نوع حيواني إلا النطف الذكرية لنفس النوع.. وهذه الظاهرة تسمى علميا بنوعية الإخصاب، وهي تحدث أيضا في عالم النبات حيث تحمل تيارات الهواء. (والحشرات أثناء وقوفها على الزهور) غباراً به خليط من حبيبات اللقاح لأنواع مختلفة من النباتات، وتسقط عشوائيا على مياسم زهور أنواع مختلفة من النباتات.. ولكن لا يحدث أى اندماج إلا بين النطفتين لنفس النوع.

نعم لقد تأكدت ظاهرة نوعية الإخصاب بالتجربة، فأولا أجريت محاولات لإحداث تلقيح غير نوعي، بوضع بويضات إناث نوع معين من الحيوانات، في السائل المنوى لحيوان من نوع آخر.. فلم يتم الإخصاب، وماتت البويضات والحيوانات المنوية بعد انتهاء مدة صلاحيتها.. كما تم تعفير مياسم زهور نباتات معينة بغبار لقاح من زهور نوع آخر من النباتات ورُبط عليها بأكياس نيلون محكمة.. فلم يحدث إخصاب، وذبلت الزهور.. وظل العلماء يبحثون عن السر في هذه الظاهرة، إلى أن تمكنوا عن طريق التحليل الكيموحيوى من معرفة الحقيقة الدالة على قدرة الله، وهي أن بويضات إناث كل نوع من النباتات والحيوانات مغلفة بأغلفة محكمة من مواد بروتينية لا تذوب ولا تتحلل إلا بفعل انزيمات معينة لا تفرزها إلا الحيوان المنوى لنفس النوع الحيواني أو حبيبات اللقاح لنفس النوع النباتي.

على المستوى الأكثر دقة في عالم الأحياء، وهو مستوى الخلية، التي هي وحدة البناء والأداء في كل كائن حيّ فرد.. تتمثل الزوجية أيضا في أن نواة كل خلية تحوى مجموعتين من الكروموسومات المتناظرة تناظر أصابع اليدين.. وعندما تنقسم الخلية لتحقيق نمو الأنسجة أو تجديدها أو تعويضها تصطف المجموعتان بحيث أن كل كرموسوم يواجه نظيره مثلما يواجه كل أصبع نظيره عند ضم راحة الكف اليمنى إلى راحة الكف اليسرى، وينشطر كل كروموسوم شطرين متناظرين - أيضا - وبعد انقسام الخلية إلى خليتين نجد أن كلا منهما يحتوى شطرا من كل كروموسوم.. ثم إذا بكل شطر يتكامل عن طريق بناء شطر آخر مناظر له تماما..

وهذه هي ظاهرة الاستنساخ التي أودعها الخالق - سبحانه - في جزيئات الحمض النووي المسمىّ DNA (الدنّا كما أقرته مجامع اللغة العربية) والتي يزعم علماء الغرب أنهم أربابها ومبتدعوها.. بينما هي سر النمو والتناسل في جميع الكائنات منذ خلق الله الحياة..

وظاهرة التجاذب في الكروموسومات تتجلى بصورة أوضح وأكثر دلالة على قدرة الخالق في خلايا الأعضاء التناسلية بعد البلوغ الجنسي عندما تنقسم الانقسام الاختزالي لإنتاج الأمشاج الذكرية والأنثوية التي ستنفصل إلى الأبد عن جسم الأب أو الأم، ومعنى ذلك أن أي كروموسوم لن يلتقي بنظيره بعد هذا الانقسام.. ففي مرحلة استواء الكروموسومات المتناظرة وجها لوجه يقترب كل نظير من نظيره حتى الالتصاق في نقاط محددة ثم يتباعدان، ثم يعاودان الالتصاق في نقاط أخرى ويتباعدان.. ويكرران هذا حتى كأنهما يتبادلان العناق قبل أن يفترقا إلى الأبد، إما لأن كلاً منهما سيستقر في خلية جنين جديد مستقل (إذا قدر الله إتمام مسيرة التناسل في جيل جديد)، وإما إلى الفناء بعد انقضاء عمرها الافتراضي إذا لم يكن ذلك مقدرا في مشيئة الله.

وحتى في عالم الجمادات خلق الله من كل شئ زوجين اثنين، وإن كنا لم نكتشف ذلك إلا في حالات قليلة تقع في مجالين من مجالات خواص المادة، هما المغناطيسية والكهربية.. ففي الحالة الأولى تنجذب الأقطاب الموجبة إلى الأقطاب السالبة والعكس بالعكس. وفي الحالة الثانية تتجاذب الشحنات المتضادة..، وإن كان الوصف الأكثر دقة أن نقول: المتكاملة.. وذلك في نطاق التعريف الشمولي الواسع لكلمة الزوج، وهو أنه أحد شقين صنوين متمايزين ولكنهما متكاملان، ولهما أصل مشترك، ولذلك فبينهما صفات مشتركة تدل على هذا الأصل رغم اختلاف كل منهما عن الآخر في بعض التفاصيل.. وهذا الاختلاف هو سر النزعة إلى التوحد التي تجعل كلا منهما ينجذب إلى الآخر.. وهذا التجاذب في عالم الجمادات يأخذ شكلا يُطلَقُ عليه اسم الطاقة، والتي جعلها الله كامنة لتكون دافعا إلى بث شكل من أشكال الحياة على هذا المستوى الدقيق، وفي هذا العالم الخفي.. لعله هو أول خطوة على جسر العبور بين الميْت والحيْ، وبتوالي هذه الخطوات تتحد الذرات في جزيئات، والجزيئات البسيطة في جزيئات مركبة، فعملاقة حتى تصل إلى جزئ الحمض النووي الذي أطلق عليه العلماء اسم: القنطرة إلى الحياة Bridge to Life.. وهو تعبير لا يخلو من الدقة ويؤيده أن تجمعات الأحماض النووية، تؤدي إلى تكوين الفيروسات التي يمكنها أن تمارس أول مظاهر الحياة وهو التكاثر أو الاستنساخ إذا هُيّئ لها المسرح الملائم لهذه العملية، وهو سيتوبلازم الخلية الحية.. فسبحان الذي خلق الأزواج كلها مما علمنا ومما لم نعلم.

الزكاة فريضة إسلامية

للأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

تمهيد:

حين فرض الإسلام الزكاة وجعلها ركناً من أركانه لم يقتصر على هذه الفريضة التي تجب على كل من يملك النصاب أن يؤديها، ولكنه حث ـ إلى جانب ذلك ـ على الإنفاق في سبيل الله. فالأصل في المجتمع الإسلامي أن يكفل لأفراده حق الحياة الكريمة، وأن يوفر أسباب الرزق لكل قادر، ويعود بفضول أموال الأغنياء على الفقراء. فذلك حق الله ـ تعالى ـ الذي فرضه للفقراء على الأغنياء.

«والزكاة هي الركن المالي الاجتماعي من أركان الإسلام الخمسة؛ فلا عجب أن عنيت الشريعة الإسلامية ببيان أحكام الزكاة في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سنته الشريفة[1].

وتطلق الزكاة على الصدقة. كما تطلق الصدقة على الزكاة، لكن الفقهاء يخصون الزكاة بالفريضة الواجبة في المال، والثمار وما يتعلق بالعبادات، كزكاة الفطر، أما الصدقة فهي تتصل بما يخرجه الإنسان متطوعاً من تلقاء نفسه.

والزكاة في اللغة تعني: الطهارة والنماء. قال ـ تعالى ـ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[2] ومنه قوله ـ تعالى ـ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[3] ويقال زكا المال إذا نما، ومن معاني الزكاة البركة، ومن ثم نتناول في هذا القسم الثاني من البحث «الزكاة ودورها في تنمية المجتمع» على النحو التالي:

مشروعية الزكاة

لقد فرضت الزكاة في شهر شوال من العام الهجري الثاني، فبعد هجرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة المنورة بثمانية عشر شهراً، وبالتحديد في شهر شعبان، فرض الله ـ تعالى ـ صوم رمضان، أي بعد

(1) الدكتور عبدالله شحاتة، أركان الإسلام، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٨، ص١٨٧.

(2) سورة التوبة آية/١٠٣.

(3) سورة الأعلى آية/١٤.

ماصرفت القبلة إلى الكعبة بشهر، وقد تلا ذلك فرض زكاة الفطر على أن تؤدى فى ختام صوم رمضان وقبل الخروج لصلاة عيد الفطر.

والزكاة - كركن - من أركان الإسلام - فرض عين على كل مسلم توافرت فيه شروطها، وقد ثبتت فرضية الزكاة بالقرآن والسنة والإجماع على النحو التالى:

١ - القرآن : ثبتت فرضية الزكاة بالقرآن الكريم فى قوله - تعالى - ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[٤].

٢ - السنة : كما ثبتت الزكاة بالأحاديث النبوية الشريفة، ومنها قول الرسول - عليه الصلاة والسلام - : (بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم رمضان..) « متفق عليه ».

٣ - الإجماع : أجمعت الأمة على فرضية الزكاة واتفقت على أنها ركن من أركان الإسلام، يكفر منكرها؛ لأنها صارت معلومة من الدين بالضرورة، فمن امتنع عن أدائها أخذها الحاكم منه جبراً عنه ويعزره (أى يعاقبه). فالزكاة إذن عبادة مالية اجتماعية وليست مجرد إحسان يتبرع به المسلم وإنما هى حق معلوم وضريبة مقدرة على كل من يملك نصاباً محدداً من المال يحول عليه الحول[٥].

وفى ذلك يروى الإمام أحمد - بسند صحيح - عن أنس - رضى الله عنه - قال: أتى رجل من تميم (قبيلة عربية) رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يارسول الله: إنى ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة (الجماعة تنزل عنده للضيافة) فأخبرنى كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « تخرج الزكاة من مالك فإنه طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسلمين والجار والسائل»[٦].

وعن جرير بن عبدالله قال: بايعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[٧].

والزكاة شرعاً - كما يقرر العلماء - حق مقدر بتقدير الشارع، فالقرآن والسنة هما اللذان حددا وعاء الزكاة، ونصابها، وسعرها، ومستحقيها وسائر أحكامها، وقد عبر القرآن والحديث عن الزكاة بلفظ الصدقة للدلالة على الصدق فى مساواة الفعل للقول والاعتقاد. فتعتبر كل زكاة صدقة، ولكن لا تعد كل صدقة زكاة[٨].

والزكاة هى النماء للمال؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « ما نقص مال من صدقة»[٩].

---

(٤) سورة البقرة الآية/٤٣.

(٥) الدكتور السعيد عاشور، شعيرة الزكاة فى الإسلام، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٤ ص،١٣٠.

(٦) الشيخ سيد سابق فقه السنة.

(٧) رواه البخارى ومسلم.

(٨) الإسلام والضمان الاجتماعى د. محمد شوقى الفنجرى.

(٩) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح، انظر: رياض الصالحين للنووى.

كما أنها تطهر الإنسان من الشح لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾[10].

شـــروط وجـــوب الزكــــاة

إن الإسلام يشترط لوجوب الزكاة عدة شروط وهي: الإسلام، البلوغ، العقل، الملك (للشئ المزكى عنه)، الحرية، النصاب والحول، الدين، وذلك على النحو الآتي[11]:

١ ـ الإسلام : فلا تجب الزكاة على الكافر، سواء أكان أصلياً أو مرتداً؛ لأنه غير أهل للعبادة. وإذا أسلم المرتد فلا يجب عليه إخراج الزكاة زمن ردته[12]، أما المسلم فتجب عليه الزكاة سواء أكان ذكراً أو أنثى لا فرق بين طليق (حر) أو سجين.

٢ ـ البلوغ: فلا تجب الزكاة على الصبى الذى له مال ولكن تجب فى ماله لأنها حق يتعلق بالمال فلا يسقط بالصغر، ويجب على الولى أو الوصى إخراج الزكاة وقد خالف الحنفية فى ذلك بقولهم: إن الولى أو الوصى غير مطالب بإخراج الزكاة من مال الصبى؛ لأنها عبادة محضة كالصلاة، فهى غير واجبة على الصبى.

ويميل البعض إلى الأخذ بالرأى الأول، لأن الزكاة عبادة مالية، فى حين أن الصلاة عبادة بدنية.

٣ ـ العقل : فلا تجب الزكاة على المجنون الذى له مال، ولكن تجب فى ماله لأنها حق يتعلق بالمال فلا يسقط بالجنون ويجب على الولى أو الوصى إخراج الزكاة وقد خالف الحنفية ـ أيضاً ـ فى ذلك[13].

٤ ـ الملك: فلا تجب الزكاة فى المال الموقوف، ولا الديون التى فى ذمم المدينين والتى لا يرجى سدادها ولا المال المرهون، والمال الموضوع تحت الحراسة، والمال القائم بشأنه نزاع، فيجب أن يكون المال مملوكاً تاما (أى أن يكون المال بيد صاحبه)، وألا يتعلق به حق لغيره وأن يكون له حرية التصرف فيه باختياره، وأن تكون ثمرته له.

٥ ـ الحرية : فلا تجب الزكاة على الرقيق فيما ملك من المال لأن ملكه غير تام وكذا المكاتب؛ لأن تعلق حاجته إلى فك رقبته (أى عتقه وتحريره) من الرق بماله أشد من تعلق حاجة الحر المفلس بسكنه وملبسه فكان بإسقاط الزكاة فيه أولى وأحرى.

٦ ـ النصاب: فلا تجب الزكاة على من يملك أقل من النصاب (وهو المقدار أو الحد الأدنى الذى حدده الشارع لكل نوع من

---

(١٠) سورة الإسراء آية/١٠٠

(١١) شعيرة الزكاة فى الإسلام، د. السعيد عاشور

(١٢) قد خالف المالكية فى ذلك بقولهم: إن الزكاة تجب على الكافر وإن كانت لا تصح إلا بالإسلام وإذا أسلم فقد سقطت الزكاة بالإسلام

(١٢) كما خالف الشافعية أيضا بقولهم: إن الزكاة تجب على المرتد وجوبا موقوفا بعودته إلى الإسلام.

(١٣) بقولهم: إن الولى أو الوصى غير مطالب بإخراج الزكاة من مال الصبى ويميل د. السعيد عاشور إلى الأخذ بالرأى الأول لنفس السبب السابق.

أنواع المال المزكي، والذى يختلف مقداره باختلاف النوع) فتجب الزكاة فى المال الذى يبلغ النصاب أو أكبر منه. لقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾(١٤)،

أى الفائض عما يحتاجونه. وقد حدد الإسلام النصاب بحيث يتيح الفرصة لمعظم المسلمين أن يسهموا فى تأمين المجتمع المسلم ومواساة الضعفاء والمساكين وحماية المصالح الإسلامية، وبحيث لا تكون الزكاة مقصورة على أرباب الثروات فقط. لذلك فالغنى فى العرف الإسلامي هو من امتلك النصاب.

٧ ـ **الحول**: فلا تجب الزكاة على مالك النصاب ولم يمض عليه حول وهو مالكه، والحول عبارة عن سنة قمرية بالنسبة للأموال المنقولة، ويوم الحصاد بالنسبة للزروع ويوم الجنى بالنسبة للثمار وعند العثور على الركاز بالنسبة للمعادن والكنوز المدفونة فى باطن الأرض. يقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (لا زكاة فى مال حتى يحول الحول)(١٥).

٨ ـ **الدين**: فلا تجب الزكاة على المدين الذى يستغرق دينه النصاب أو ينقصه، فمن كان عنده مال وجبت زكاته وعليه دين فليخرج منه بقدر مايفى دينه أولاً، ثم يزكى بالباقى إذا بلغ النصاب. وقد خالف الشافعية فى الدين حالاً أم مؤجلاً أو ديناً للعباد (كاقتراض مبلغ من المال أو شراء سلعة بالأجل) أو ديناً لله ـ تعالى ـ (كالزكاة السابقة التى لم تؤد والفدية والكفارة) فتجب عليه الزكاة فيما تحت يده من مال لو بلغ نصاباً.

أما شروط صحة الزكاة فهى: الإسلام، فلا تصح الزكاة من الكافر وقد ذهب المالكية إلى أن «الإسلام شرط للصحة لا للوجوب»، مخالفين فى ذلك الشافعية والحنفية والحنابلة، ومن شروطها أيضاً النية فلا تصح الزكاة بدون نية، إذ أن الزكاة عبادة يشترط لها النية كسائر العبادات. . ويترتب على ذلك أن المسلم إذا أقرض إنساناً مالاً ثم ماطل المدين فى سداده فليس للدائن أن يحتسب هذا المال من الزكاة، لأن نية أداء الزكاة لم تكن موجودة وقت إقراض هذا المال. وطبيعى أن يثور السؤال عن الأموال التى تجب فيها الزكاة؟

المحاصيل والثمار والأموال.. والزكاة

وقد بين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى التطبيق العملى ـ المحاصيل والثمار

---

(١٤) سورة البقرة الآية/٢١٩، وانظر للمزيد والتفصيل: انفاق العفو فى الإسلام بين النظرية والتطبيق للدكتور/ يوسف إبراهيم يوسف كتاب «الأمة» قطر العدد ٣٦.

(١٥) انظر: صحيح مسلم بشرح النووى، المجلد الثالث، ج٧ «كتاب الزكاة» حديث «... وليس فيما دون خمس ذود من الإبل صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق من التمر صدقة» حيث يقول الإمام النووى «... وكذا اتفقوا على اشتراط الحول فى زكاة الماشية والذهب والفضة دون المعشرات...» (ص٥٣).

- وراجع كذلك كتاب الدكتور السعيد عاشور شعيرة الزكاة فى الإسلام.

والأموال التي تجب فيها الزكاة، كما في قوله الشريف (وفيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر، وفيما سقي بالنضح[*] نصف العشر)[16]. والعثري: أي النبات الذي يشرب بجذوره، لأنه عثر على الماء في باطن التربة، فلم يعد في حاجة إلى سقي، أما النضح، فهي آلة السقي كالساقية والماكينة ونحوها من تلك الآلات الحديثة. وهذا مايؤيده قوله - تعالى:

﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾[17]. وقد ذهب كثير من السلف إلى أن المراد بالحق هنا هو الزكاة المفروضة[18].

كما بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - المقادير التي تخرج من هذه الأموال والزروع، فاخذ الزكاة في ثلاثة أنواع من الأموال وهي:

الأول: الذهب والفضة وعروض التجارة بنسبة ٢,٥٪ حيث تقدر الزكاة فيما بلغ نصاباً من ذهب أو فضة بربع العشر (أي ٢,٥٪)، وكذا فيما زاد على النصاب، قلت الزيادة أو كثرت، لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبو ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (في الإبل صدقتها وفي الغنم صدقتها وفي البقر صدقتها وفي البر صدقته، ومن رفع دنانيرا أو دراهما أو تبرا أو فضة لا يعدها لغريم ولا ينفقها في سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة)[19].

وقوله - عليه الصلاة والسلام - عن عبدالله بن أبي بكر ومحمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيهما عن جدهما عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .. قال: (... فإذا بلغ قيمة الذهب مائتي درهم ففي كل ٤٠ درهماً درهم)[20].

وعن عاصم بن ضمرة عن علي - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (ليس في تسعين ومائة شئ «يعني الدرهم» فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم)[21].

وتجدر الاشارة هنا إلى مايقوله الشيخ أبو بكر الجزائري: «من ملك قسطاً من الذهب لم يبلغ النصاب، وآخر من الفضة لم يبلغ النصاب جمعهما معاً، فإذا بلغا نصاباً زكاهما معاً كلا بحسابه، لما روى أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ضم الذهب إلى الفضة والفضة إلى الذهب وأخرج الزكاة عنهما.[22] كما أنه يجزئ إخراج أحد النقدين عن الآخر، فمن وجب عليه دينار

(*) هو الري بالآلة: كالساقية وغيرها من الآلات الحديثة.

(١٦) رواه البخاري عن ابن عمر وأخرجه ابن ماجة وأبوداود والترمذي، انظر: الكنز الثمين ص ٣٦٩ الحديث رقم ٣٣١١.

(١٧) سورة الأنعام - الآية: ١٤١.

(١٨) د. السعيد عاشور، مرجع سابق ص ٢٤٥.

(١٩) رواه الحاكم في المستدرك ج١/٥٤٥، الحديث رقم ١٤٣٢/٥ «كتاب الزكاة» على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢٠) رواه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٢، الحديث رقم ١٤٤٦/٢٠ وهو صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢١) رواه الحاكم في المستدرك ١/٥٥٧، الحديث رقم ١٤٥٤/٢٨ على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢٢) ضم النقدين في تكملة النصاب هو مذهب مالك وأبي حنيفة والحديث يرويه أصحاب مالك عن بكير بن الأشج: مضت السنة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ضم الذهب إلى الفضة والفضة إلى الذهب وأخرج الزكاة عنهما.

جاز له إخراج عشرة دراهم من الفضة، والعكس يصح كذلك، كما أن الأوراق المالية اليوم تزكى زكاة النقدين وهو ربع العشر، في حين أن أرصدة الأوراق لدى الحكومات تتكون من الذهب والفضة معاً)[٢٣] وانتهى كلامه».

وتستمد زكاة الذهب والفضة فرضيتها من القرآن الكريم في قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝ ﴾[٢٤].

ومن السنة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبوهريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : (مامن صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيحمى عليها من نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، وكلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار)[٢٥] فزكاة «الرقة» وهي الفضة ربع العشر، لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ (في الرقة ربع العشر) أي ٢,٥٪ عن كل مازاد عن النصاب، وإن كان الحنفية لا يرون في الزائد زكاة حتى يبلغ خمس النصاب[٢٦].

والمهم أن يراعى في ذلك أن مايخرج من زكاة في الذهب أو الفضة أن يكون بالقيمة وفقاً للسعر السائد في السوق حال إخراج الزكاة.

الثاني: النعم (الأنعام) وهي الإبل والبقر وهذه هي السوائم التي كانت موجودة في البلاد العربية عملاً بقول الرسول الكريم : «مامن رجل تكون له إبل أو بقر أو غنم لايؤدي زكاتها إلا أتى بها يوم القيامة أعظم ماتكون وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونها ماجازت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس)[٢٧].

بيد أن الفقهاء المعاصرين يضيفون إلى هذه الأموال أموالاً أخرى لم تكن معروفة في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة، ورأوا أن فيها زكاة يطلب أداؤها، وهذه الأموال هي:

١ ـ الآلات الصناعية.

٢ ـ الأوراق المالية.

٣ ـ كسب العمل والمهن الحرة (المشروعة).

٤ ـ الدور والأماكن المستغلة.

وقالوا في تأكيد رأيهم «إن النصوص الواردة في الزكاة من حيث أموالها معللة وليست أموراً تعبدية (فقط)»[٢٨].

---

(٢٣) منهاج المسلم، للجزائري، مرجع سابق ص ٣٦٢.

(٢٤) سورة التوبة، آيتا/٣٤ ـ ٣٥.

(٢٥) رواه البخاري ومسلم، الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ج١، ص٥٣٦، باب الترهيب من منع الزكاة.

(٢٦) د. السعيد عاشور، مرجع سابق، ص ١٩٥.

(٢٧) رواه البخاري.

(٢٨) د. عبدالمنعم الجمل، موسوعة الاقتصاد الإسلامي، الباب الثالث، الفصل الأول «الزكاة»، ص ٢٢.

نظرات في مقال :

القرآن الكريم وتفسير العوام

للدكتور / صبحي عبدالمنعم سعيد (*)

عنى المرحوم الدكتور. محمود الطناحي في مقال له قبيل أن يلقى ربه الكريم - بنقد ما يشيع بين العوام في عصرنا الحاضر من أقوال في تفسير بعض آي القرآن الكريم، وقد رأى في أثناء نقده، أن بعضا من قدامى المفسرين وجهوا إحدى الآيات على المعنى الذي يشيع عند العوام، ومن هؤلاء القدامى: ابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، وقد اعتمد في بناء هذا الرأي على قول للزركشي، صاحب «البرهان في علوم القرآن».

أما هذا البحث فيعنى صاحبه بمناقشة الأستاذ الناقد في بعض ما نعاه على العوام في تفسير بعض آي القرآن، كذلك يعنى بمناقشة صاحب «البرهان» فيما عقب به على تفسير بعض أئمة السلف لتلك الآية.(**)

قدمت مجلة الهلال في عدد يناير ١٩٩٩م، ورمضان ١٤١٩هـ طائفة من المقالات اختصت شهر رمضان بها، واتخذت العبارة «رمضان كريم» عنواناً لها، وجاء في صدر هذه الطائفة فيما بين الصفحتين ٧١ و ٧٩ - مقال للدكتور / محمود الطناحي جعل عنوانه «القرآن الكريم وتفسير العوام» عني فيه بمناقشة نماذج من تفسير أناس وصفهم بأنهم: «ضعفت سلائقهم العربية، أو قعدت بهم هممهم، فتكاسلوا عن البحث والتفتيش والمراجعة، فسروا بعضا من القرآن العزيز بآرائهم، ومن عند أنفسهم، فضلوا وأضلوا(١).

وقد لاحظ الدكتور الطناحي «أن معظم

(*) تخرج في الأزهر، فدار العلوم ١٩٦٣م، ثم جامعة مانشستر ١٩٧٥م.

(**) وافق الفراغ من طباعة هذا البحث الأسبوع الذي فوجئنا فيه بنعي المرحوم الدكتور محمود الطناحي من العام الفائت بعد حياة حافلة بالدأب في خدمة تراث العربية والإسلام، فاقتضى ذلك السكوت عن النشر إلى حين.

(١) مجلة الهلال عدد يناير ١٩٩٩م ص (٧٤).

وجوه الخطأ في تفسير القرآن الكريم تأتي من سرعة الاستشهاد بالآية القرآنية، معزولة عن سياقها، منتزعة من أسباب نزولها، مع الغفلة عن وجه الإعراب فيها. . .» واستطرد بعد ذلك قائلاً: «ومن العجب أن بعض هذه الوجوه الخاطئة من التفسير قديمة ـ وقد استمرت إلى يومنا هذا ـ وهو ما أسميه «تفسير العوام» وأريد بالعوام هنا غير أهل العلم الذين يتحرون الصواب، ولا يقولون إلا بعد المراجعة، والمفاتشة، والتقصي».

لكن الدكتور الطناحي الذي أراد بكلمة «العوام» هنا «غير أهل العلم» ما لبث أن قال - وهو يعلق على وجه من وجوه تفسير إحدى الآيات رآه صحيحا: «وهذا هو التوجيه الصحيح للآية الكريمة: لكن بعضا من قدامى المفسرين وجهوا الآية على المعنى الذي يشيع عند العوام، ومن هؤلاء القدامى - ابن عطية في المحرر الوجيز(٢)، والقرطبي(٣)، وابن كثير(٤) لكن المحققين على غير ذلك»(٥).

وهذه العبارة الأخيرة من شأنها أن تستثير رغبة البحث والنقاش لدى كل باحث له صلة بالعربية، وعلوم القرآن ممن يعرفون سابقة هؤلاء العلماء في تفسير الكتاب الكريم، وشرح مقاصده.

ومن أجل ذلك لزم أن نناقش الأستاذ الكاتب فيما ساق من الأفكار، فنقول - وبالله التوفيق:

المفسرون وأسباب النزول

يستبين لقارئ المقال أن الدكتور. الطناحي يذهب مذهب بعض السلف من الصحابة - رضي الله عنهم - ممن لا يكادون يتعدون أسباب النزول في تفسير آيات القرآن الكريم(*)، يدل على ذلك عباراته الآتية، التي انتظمت أجزاء مقاله:

١- «أن معظم وجوه الخطأ.. تأتي من سرعة الاستشهاد بالآية القرآنية، معزولة عن سياقها، منتزعة من أسباب نزولها. . .» (ص٧٤).

٢- «إن سبب نزول الآية ينفي هذا التفسير الخاطئ» (ص٧٦).

٣- «كما أن سبب نزول الآيتين ينفي هذا الفهم والتأويل» (ص٧٧).

٤- «وكذلك تفهم الآية الثانية. . . في سياقها وسبب نزولها» (ص٧٧).

٥- ويظهر ذلك في تمام الآية، ومن معرفة سبب نزولها، وقول أهل التفسير فيها» (ص٧٧).

٦- «وسياق الآية، وسبب نزولها ينفيان ذلك» (ص٧٨).

٧- «وقد غفل هذا الخطيب عن سبب نزول تلك الآية» (ص ٧٩).

ولما كان ابن جرير الطبري هو إمام أهل التفسير بالمأثور بعد عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما-

---

(٢) (٥٢٠/٢).

(٣) (٤٠٦/٣)

(٤) (٥٠٠/١).

(٥) مجلة الهلال عدد يناير ١٩٩٩ ص (٧٨).

(*) من هؤلاء الصحابة - أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - وسيرد ذكره فيما بعد.

والثقات من تلاميذه - رأيت من الحتم أن أنظر فيما جعله الطبرى مقدمة لتفسيره: «جامع البيان عن تأويل آى القرآن» خصوصا ما جاء فيها عن وجوه التأويل، حيث ذكر الطبرى الآيتين ٤٤، ٦٤ من سورة النحل، اللتين تنصان على تكليف الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يبين للناس ما نزل إليهم، والآية السابعة من سورة آل عمران، التى تتضمن ـ قوله تعالى:

﴿ ... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ... ﴾[6]

ثم علق على ذلك بقوله: «فقد تبين ببيان الله جل ذكره: أن مما أنزل الله من القرآن على نبيه - صلى الله عليه وسلم - ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول - صلى الله عليه وسلم - وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره - واجبه، وندبه، وإرشاده - وصنوف نهيه؛ ووظائف حقوقه وحدوده؛ ومبالغ فرائضه؛ ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض؛ وما أشبه ذلك. وأن منه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار... كوقت قيام الساعة، والنفخ فى الصور، ونزول عيسى بن مريم، وما أشبه ذلك» (ص ٧٣ - ٧٥، تحقيق شاكر).

ثم ذكر الطبرى قسما ثالثا من وجوه التأويل إذ قال: «وأن منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن، وذلك إقامة إعرابه، ومعرفة المسميات بأسمائها اللازمة غير المشترك فيها، والموصوفات بصفاتها الخاصة دون ماسواها؛ فإن ذلك لا يجهله أحد منهم؛ وذلك كسامع منهم لو سمع تاليا يتلو:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ ﴾[7]،

لم يجهل أن معنى الإفساد هو ما ينبغى تركه مما هو مضرة، وأن الإصلاح هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعة - وإن جهل المعانى التى جعلها الله إفساداً، والمعانى التى جعلها الله إصلاحاً) (ص٧٥).

وإذا تأملنا ما قاله الطبرى فى بيان هذا الوجه الثالث من وجوه التأويل - علمنا أن صاحب العلم باللسان العربى ممن توافر لديه الشروط المذكورة فى هذا الوجه - لا ضير عليه إن هو جهل معانى الإفساد والإصلاح، التى يكشف عنها سبب نزول الآيتين المذكورتين، واكتفى بأن أدرك منهما «أن معنى الإفساد هو ما ينبغى تركه مما هو مضرة، وأن الاصلاح هو ما ينبغى فعله مما فعله منفعة». ولا ريب أن فى الإحاطة بأسباب النزول، والتفسير المأثور عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - زاداً من العلم يستطيع به المفسر أن يقارب مرتبة التمام؛ ولكن الحرج منفى عمن قعدت به أحواله عن تحصيل ذلك؛ وهذا ما يفهم من المثال الذى ساقه الطبرى، وذكرناه آنفاً، إذ فسر الآية الحادية عشرة من سورة البقرة تفسيراً مختصراً غير مربوط بسبب النزول، ولا مؤيد

---

(٦) آل عمران (٧).

(٧) سورة البقرة الآيتان (١١ - ١٢).

يشئ من المأثور، وإنما هو مبني على ما يمكن أن يفهمه من الآية كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن.

أما تفسير الطبرى للآية ذاتها فى سياق تفسير سورة البقرة فقد أتى فيه بالمأثور من تفسيرها، عن سلمان الفارسى، وعبدالله بن مسعود - رضى الله عنهما - من خلال رواية ستة آثار؛ ثم بين ما ارتضاه من هذا المأثور بقوله: «وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: إن قول الله -تبارك اسمه:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[8] نزلت فى المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وإن كان معنياً بها كل من كان بمثل صفتهم من المنافقين بعدهم إلى يوم القيامة»(٩).

متى تجاوز الآية سبب نزولها؟

ولا شك أن العبارة الأخيرة من تفسير الطبرى لهذه الآية ينبغى أن يحيط بها كل من يشغل نفسه بتفسير القرآن، وتدبر آياته؛ إذ هى تحرر النص فى هذه الآية، وما يماثلها من القرآن مما لم يقم دليل على تخصيص لفظه - من أن يربط معناه بسبب نزوله ربطاً أبدياً، فتجيز أن يعنى بهذه الآية كل نفاق يحدث اليوم أو غداً ممن يكونون على صفة المنافقين على عهد الرسول - عليه السلام - بل تجيز أن يعنى بهذه الآية كل إفساد يقع فى أى عصر، يدعى مبتدعه أنه من المصلحين. ويكاد الطبرى يصرح من خلال هذه العبارة بأن من القرآن ما يكون فيه السبب خاصاً والصيغة عامة مما يطابق القاعدة الأصولية المشهورة:

(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)[10] وكيف لا يكون كذلك - وقد أجمع علماء الأمة فى قرونها المتعاقبة على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان؟

أمثلة مما سمى «تفسير العوام»

ذكر د. الطناحى (فى ص ٧٦) قول الله - تعالى:

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[11] ثم قال بعد ذلك: «يستشهد بعض الناس بهذه الآية عندما يرون أحدهم يقدم على خطر، كأن يعترض سيارة مسرعة، أو يسير بجانب جدار يريد أن ينقض... ونحو ذلك من المشقات التى لا طاقة له بها: حسبك ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾[12].

ثم يعلق الدكتور على ذلك قائلاً: «والاستشهاد بالآية لهذه الحالة إرث قديم، وقد تناقلته الألسنة حتى وصل إلينا، والصحيح أن الآية الكريمة نزلت فى النفقة فى سبيل الله، والحض عليها بتصوير الإمساك والبخل بأنهما هلاك يلقى فيه الممسك والبخيل نفسه، وصدر الآية وختامها يدلان على ذلك، قال الله - تعالى:

---

(٨) البقرة (١١)

(١٠) البرهان (١/ ٣٢)

(٩) جامع البيان (١/ ٢٨٧، ٢٨٩).

(١١، ١٢) البقرة (١٩٥).

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾[13]. ثم إن سبب نزول الآية ينفي هذا التفسير الخاطئ».

بعد ذلك يسرد الدكتور الطناحي قصة نزول الآية، بما روي عن الحكم بن عمران من أن جمعاً من المسلمين كانوا يجاهدون الروم عند أسوار القسطنطينية، فحمل رجل مسلم على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج مقبلاً على إخوانه، فصاح الناس قائلين: سبحان الله، ألقى بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه -، فقال لهم: إنكم تتأولون هذه الآية على غير التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، وبين لهم أن جماعة من الأنصار هموا أن ينقطعوا لأموالهم يصلحونها بعد أن كادت تضيع بسبب انشغالهم عنها بالجهاد والنفقة في سبيل الله، فنزلت الآية، تحضهم على النفقة في سبيل الله، وتحذرهم مما هموا بفعله.

ولقائل من الناس أن يقول: نسلم بأن الآية نزلت في الأنصار كما أخبرنا أبو أيوب - رضي الله عنه - لكن الأصح لدى علماء الأصول: «أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»[14] كذلك نقل السيوطي[15]، عن الطبري أن محمد بن كعب القرظي، قال: «إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد»، وقد رأينا آنفاً أن الطبري فسر الإفساد في قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[16] - بأنه «ما ينبغي تركه مما هو مضرة» وهو يعلم أن الآية نزلت في بعض أهل المدينة تنهاهم عن نفاقهم. وإذا كان كذلك جاز - والله أعلم - أن يراد بالتهلكة في الآية كل مشقة لا طاقة للإنسان بها، سواء أكانت عامة أم خاصة وبذلك يتاح للناس في مختلف قرونهم أن يتلقوا تحذيراً إلهياً يزجرهم أن يلقوا بأنفسهم فيما لا طاقة لهم به من المشقات. وكفى العوام صواباً أن يفهموا الآية كما فهمها جمع من شيوخ الصحابة - رضي الله عنهم - غير الأنصار، وبعض شباب التابعين، أولئك الذين كانوا عند أسوار القسطنطينية، وهذا يعني: أن العوام قد فسروا هذه الآية بما تلقوه عن أسلافهم، مما أثر عن أولئك الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - وهو تفسير صحيح، لا ريب فيه، ولا سيما أنه لم يقم دليل يخصص لفظ الآية بما هم به بعض الأنصار من الإمساك عن النفقة في سبيل الله، والقعود عن الجهاد رعاية لأموالهم. ولا بأس على هؤلاء العوام إن هم أولوا هذه الآية على غير ما ذهب إليه أبو أيوب - رضي الله عنه.

ويقول الدكتور الطناحي (في ص ٧٧): يقول الله - تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾[17] يستشهد كثير من الناس بهذه الآية على النهي عن الحلف، وليس الأمر على ذلك، ويظهر ذلك من تمام الآية، ومن معرفة سبب نزولها، وقول أهل التفسير فيها..

---

(١٣) البقرة (١٩٥).

(١٤) الإتقان (١: ١١٠).

(١٥) في الإتقان (١: ١١١).

(١٦) البقرة (١١).

(١٧) سورة البقرة (٢٢٤).

ثم يذكر الدكتور أقوالاً في تفسير هذه الآية، منها ما نقله من قول ابن قدامة[18]: «معناه لا تجعلوا أيمانكم بالله مانعة لكم من البر والتقوى، والإصلاح بين الناس»، ومنها: قول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «إذا حلفت على يمين، فرأيت غيرها خيراً منها، فكفر عن يمينك، وأت الذي هو خير»؛ ثم يطلب الدكتور الطناحي إلى قارئه أن ينظر في بعض المراجع، منها تفسير الطبري ٤ / ٤٢٢.

ولقائل من الناس أن يقول: نسلم أن ما اختاره الدكتور. الطناحي من التفسير للفظ الآية هو ما ذهب إليه عامة المفسرين، بل هو ما زكاه الطبري في (جامع البيان)[19] حيث قال: «وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال: معنى ذلك: «لا تجعلوا الحلف بالله حجة لكم في ترك فعل الخير فيما بينكم وبين الله وبين الناس».

أما التأويل الآخر الذي تشير إليه هذه العبارة، ولم يُعنَ الدكتور الطناحي بنظره، فقد ذكره الطبري في (ص٤٢٣) حيث روى بسنده عن عروة أن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - قالت في تفسير هذه الآية: «لا تحلفوا بالله وإن بررتم»؛ وهذا تفسير صحيح لا ريب، وإن زكى الطبري غيره.

وإذا كان كذلك فلا وجه إذا استشهد العوام بهذه الآية على النهي عن الحلف - أن يقال لهم: «ليس الأمر على ذلك»؛ بل الأمر على ذلك، وإن كان على غيره أيضاً، وكفى العوام صواباً أنهم فسروا الآية بما تلقوه عن أسلافهم من تراث أم المؤمنين عائشة في تفسير القرآن؛ ولاسيما أننا نجد في تفسير القرطبي[20] ما نصه: «وقيل المعنى: لا تستكثروا من اليمين بالله، فإنه أهيب للقلوب؛ ولهذا قال - تعالى -:

﴿ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ﴾[21]، وذم من كثر اليمين، فقال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾[22].

ولذلك حق للعوام أن يلهجوا بتفسير أم المؤمنين ثقة ويقيناً؛ خصوصاً أنها حين قالت في تفسير الآية: «لا تحلفوا بالله وإن بررتم» - قد ردت بعض القرآن إلى بعض، ففسرت القرآن بالقرآن.

وإذا ثبت أن هذه الآية نزلت في الصديق - رضي الله عنه - إذ حلف ألا ينفق على مسطح بن أثاثة، أو في عبدالله بن رواحة إذ حلف ألا يكلم بشر بن النعمان - رضي الله عنه - تبين أن أم المؤمنين سبقت إلى إمضاء عموم اللفظ دون الوقوف عند سببه، إذا لم يقم دليل على تخصيص ذلك العموم.

ويقول الدكتور الطناحي في (ص٧٨):

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[23] يستشهد كثير من الناس بهذه الآية على أن التقوى طريق، وسبب لتعليم الله وتوفيقه لعباده، ويسوون بينها وبين قوله - تعالى -: «إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا»[24] وقوله - تعالى -:

---

(١٨) المغني (١٣/ ٤٤٠).

(١٩) تحقيق شاكر (٤٢١/٤).

(٢٠) (٩٧/٣).

(٢١) سورة المائدة الآية ٨٩.

(٢٢) سورة القلم الآية ١٠.

(٢٣) سورة البقرة (٢٨٢).

(٢٤) سورة الأنفال الآية (٢٩)

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[25] وهذا التفسير غير صحيح. وبداءة ذي بدء، فإن آيتي الأنفال والطلاق مبنيتان على أسلوب الشرط والجزاء...».

ولقائل من الناس أن يقول: إن نفى الصحة عن تفسير كثير من الناس آية البقرة بسبب تسويتهم بينها وبين ما ذكر من الآيات - لا يستقيم، فهذه الآيات جميعها إنما هي أجزاء من القرآن الكريم، وهي بعموم ألفاظها مشتركة في ترغيب الله عباده في تقواه وخشيته؛ وبذل الله - سبحانه - التوفيق والهداية والنافع من التعليم مثوبة لعباده على ذلك؛ والقرآن يصدق بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضا، ولا يسوغ في العقل أن تختلف مثوبة الله عباده على تقواه باختلاف التركيب النحوي في الآيات الثلاث.

وإذا استمسك الدكتور. الطناحي بسبب النزول، فبين أن آية البقرة نزلت في كتابة الدين، والإشهاد عليه، وأن الطبري[26] قال في تفسيرها: يعني بقوله: - جل ثناؤه (واتقوا الله): وخافوا الله: أيها المتداينون في الكتاب والشهود أن تضاروهم... ويعني بقوله (ويعلمكم الله): ويبين لكم الواجب لكم وعليكم - فقد نوقشت هذه الحجة فيما سبق أكثر من مرة بما لا نحتاج إلى إعادة ذكره هنا.

أما إذا علق الدكتور. الطناحي على تفسير الطبري للآية، فقال: «وهذا هو التوجيه الصحيح للآية الكريمة؛ لكن بعضا من قدامى المفسرين وجهوا الآية على المعنى، الذي يشيع عند العوام؛ ومن هؤلاء القدامى: ابن عطية[27] والقرطبي[28]، ابن كثير[29] لكن المحققين على غير ذلك». - فإن هذا التعليق يقتضينا أن نعرض على القارئ ما قاله كل من هؤلاء العلماء في تفسير هذه الآية حتى نتبين أن نصيب واحدا من هؤلاء بحكم جائر:

قال ابن عطية الأندلسي المتوفى ٥٤٦ في: (المحرر الوجيز) «وقيل: إن معنى الآية: الوعد بأن من اتقى علم الخير وألهمه». وقال أبو عبدالله القرطبي المتوفى ٦٧١ هـ في الجامع لأحكام القرآن.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[30]: وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه... ومن قوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾[31] والله أعلم.

وقال إسماعيل بن كثير المتوفى ٧٧٤ هـ «واتقوا الله» أي خافوه وراقبوه، واتبعوا أمره، واتركوا زجره. ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[32] كقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[34]

---

(٢٥) سورة الطلاق الآيتان (٢، ٣).

(٢٦) (٦/ ٩٣).

(٢٧) المحرر الوجيز (٢/ ٥٢٠).

(٢٨) (٣/ ٤٠٦).

(٢٩) (١/ ٥٠٠).

(٣٠) البقرة ٢٨٢.

(٣١، ٣٢، ٣٣) سورة الأنفال الآية ٢٩.

(٣٤) سورة الحديد ٢٨.

وإذا تأملنا ما قاله العلماء الثلاثة مجتمعين وجدنا أنهم وجهوا الآية على المعنى المستفاد من الآيات، التي تماثلها من القرآن الكريم، لا «على المعنى الذي يشيع عند العوام»!.

الزركشي وبعض أئمة التفسير

وإذا كان الدكتور الطناحي قد احتج على هؤلاء المفسرين بما قاله الزركشي المتوفى ٧٩٤هـ في «البرهان في علوم القرآن»[٣٥] فقد آن الأوان لفحص هذا القول حتى نكشف عن حقيقته:

يقول الزركشي في فصل عقده لشرح قاعدة (فعل المطاوعة) - بعد أن ملأ ثلاث صفحات بما جمعه من جدل نحوي يستنفد صبر الحليم، ويستفرغ طاقة الدَّرِب الدءوب -:

«وأما قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[٣٦] فظن بعض الناس: إن التقوى سبب التعليم؛ والمحققون على منع ذلك؛ لأنه لم يربط الفعل الثاني بالأول ربط الجزاء بالشرط، فلم يقل: «واتقوا الله يعلمكم»، ولا قال: «فيعلمكم الله»، وإنما أتى بواو العطف، وليس فيه ما يقتضي أن الأول سبب للثاني، وإنما غايته الاقتران والتلازم، كما يقال: زرني وأزورك، وسلم علينا ونسلم عليك، ونحوه، مما يقتضي اقتران الفعلين، والتعارض من الطرفين، كما لو قال عبد لسيده: أعتقني ولك على ألف، أو قالت المرأة لزوجها: طلقني ولك ألف؛ فإن ذلك بمنزلة قولها: بألف، أو على ألف. وحينئذ فيكون متى علَّم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك».

ولقائل من الناس أن يقول لصاحب (البرهان): إن الناس الذين ظنوا من الآية أن التقوى سبب التعليم - ومنهم ابن كثير الذي عاصرته، وتتلمذت عليه - قد بنوا هذا الظن الذي لم ينل رضاك - على رد بعض القرآن إلى بعض ناهجين بذلك أقوم سبيل لتفسير كتاب الله؛ إذ لم يستسيغوا أن يكون اختلاف التركيب النحوي سبباً في اختلاف ثواب الله عباده على تقواه.

ولسائل أن يسأل: ماذا يراد بالتلازم في عبارة صاحب (البرهان): «وإنما غايته الاقتران والتلازم»؟ وماذا يبقى من الخلاف بينه وبين شيخه ابن كثير، ومن ذهب مذهبه في تفسير هذه الآية - إن هو سلم بالتلازم بين (اتقوا الله) و(يعلمكم الله).

بل لسائل أن يسأل أيضاً: لماذا انعكس بناء الجملة الشرطية في عبارة (البرهان): «وحينئذ فيكون متى علم الله العلم النافع اقترن به التقوى بحسب ذلك»؟ ألم يكن الأولى أن يقال: متى اتقى العباد ربهم علمهم العلم النافع؟!

***

تستبين مما سبق: أن عوام الأمة إذا لهجت ألسنتهم بتفسير آية من القرآن الكريم، فإنهم يصدرون في ذلك غالباً عما تلقوه مروياً عن أسلافهم من التفسير المأثور عن صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو المشهور من أقوال علماء الأمة في مختلف العصور؛ لا يدخرون في ذلك وسعاً - صيانة للذكر الحكيم أن تحرف ألفاظه عن مواضعها، ووقاية لأنفسهم أن يقولوا في شئ من كتاب الله بغير علم أتاهم.

هذا، والله - سبحانه، وتعالى - أعلم.

---

(٣٥) (١٤٣/٤).

(٣٦) البقرة ٢٨٢.

العشرة المبشرون بالجنة

٢ الفـــاروق

عمـر بـن الخطـــاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

أخرج الشيخان، عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال النبى - عليه الصلاة والسلام -: «بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، قلت: لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر، فذكرت غيرتك، فوليت مدبرا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يارسول الله؟!

وأخرج ابن ماجة، والحاكم، عن أبى بن كعب، قال: قال النبى - عليه الصلاة والسلام -: «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه، وأول من يأخذ بيده فيدخل الجنة».

وأخرج البزار، عن ابن عمر: قال: قال النبى - صلى الله عليه وسلم -: «عمر سراج أهل الجنة» وأخرجه ابن عساكر من حديث أبى هريرة، والصعب من جثامة.

وأخرج الطبرانى فى «الأوسط» عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال النبى - عليه الصلاة والسلام -: «من أبغض عمر فقد أبغضنى، ومن أحب عمر فقد أحبنى، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة عامة، وباهى بعمر خاصة، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان فى أمته محدث، وإن يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر، قالوا: يانبى الله، كيف؟ قال: تتكلم الملائكة على لسانه».

فماذا كان من أمر الفاروق عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حتى يبشره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنة؟!

نسبه ومولده ونشأته

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدى بن

كعب بن لؤي بن غالب بن فهر العدوي، القرشي: أبو حفص[1].

أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم، وهي أخت أبي جهل، وبنت عم خالد بن الوليد[2].

وُلد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية[3]، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم، أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا، أي: رسولا، وإذا نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافرا، أو مفاخرا[4].

وكان والده الخطاب رجلا، فظا، غليظ القلب، لايعرف من دنياه إلا أصنام مكة، وأوثانها، يتقدم إليها بالعبادة، ويخصها بمزيد من العناية وتقديم القرابين. وتملكه الغيظ والحنق على ابن أخيه: زيد بن عمرو بن نفيل، وكان قد أجمع الخروج من مكة، ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم – عليه السلام – فكانت زوجته صفية بنت الحضرمي كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل، وكان عمه وأخاه لأمه، وكان يعاتبه على فراق دين قومه، وكان الخطاب قد وكل صفية به، وقال: إذا رأيتيه قد هم بأمر فآذنيني به[5]. والحق الخطاب الأذى بزيد حتى أخرجه إلى أعلى مكة، فنزل حراء مقابل مكة، ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائها[6].

أما عمر بن الخطاب فقد نشأ – رضي الله عنه – في صغره يرعى الغنم لأبيه الخطاب وكان يعاني من شدته وغلظته عليه؛ وفي هذا يروي عبدالرحمن بن حاطب – رحمه الله – فيقول: (كنت مع عمر بن الخطاب بضجنان[7]، فقال: كنت أرعى للخطاب بهذا المكان، فكان فظا غليظا، فكنت أرعى حينا واحتطب حينا..)[8].

الطريق إلى الإسلام

وكان عمر بن الخطاب – قبل إسلامه – يعذب جارية بني مؤمل – حي من بني عدي بن كعب – وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها؛ لتترك الإسلام، حتى إذا ملَّ قال: إني أعتذر إليك؛ إني لم أتركك إلا ملالة؛ فتقول كذلك فعل الله بك[9].

قال ابن إسحاق: حدثني عبدالرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبدالله بن عامر بن ربيعة، عن أمه: أم عبدالله بنت أبي حثمة، قالت:

والله إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا، إذ أقبل عمر بن الخطاب، حتى وقف عليَّ وهو على شركه – قالت: وكنا نلقى منه البلاء، أذى لنا وشدة علينا – قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبدالله. قالت: فقلت:

---

(١) الحاكم، المستدرك: (٣/٨٠)؛ تاريخ الطبري (٤/١٩٥)؛ الطبراني، المعجم الكبير: (١/٦١).

(٢) الاستيعاب (٣/١١٤٤)؛ أسد الغابة (٤/٥٢).

(٣) ابن هشام السيرة النبوية (١/٢٢٩).

(٤) الاستيعاب (٣/١١٤٥).

(٥) ابن هشام (١/٢٢٩، ٢٣٠).

(٦) المصدر السابق (١/٢٣٦).

(٧) جبل على طريق مكة.

(٨) خبر صحيح، وإسناده حسن، أخرجه ابن سعد في طبقاته (٣/٢٦٦)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/٦٥٦).

(٩) ابن هشام (١/٢٢٩).

نعم والله، لنخرجن في أرض الله، آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجا. قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا.

قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله، لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا. قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم؛ قال: فلايسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب؛ قالت: يأسا منه، لما كان يُرى من غلظته وقسوته على الإسلام(١٠).

إسلامه وتسميته بـ (الفاروق)

أخرج الترمذي، عن ابن عمر: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اللهم أعزّ الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك: بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام» وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود، وأنس رضي الله عنهما.

وأخرج الحاكم، عن ابن عباس: «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة» وأخرجه الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي بكر الصديق، وفي الكبير من حديث ثوبان.

ويورد ابن اسحاق رواية عن إسلام عمر فيقول:(١١)

حدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي، عن أصحابه: عطاء، ومجاهد، أو عمن روى ذلك: أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه، أنه كان يقول: كنت للإسلام مباعدا، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أحبها وأسر بها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحَزْوَرة(١٢)، عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي، قال: فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك، قال: فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا. قال: فقلت: لو أني جئت فلانا الخمار، وكان بمكة يبيع الخمر، لعلي أجد عنده خمرا فأشرب منها. قال: فخرجت فجئته فلم أجده. قال: فقلت: فلو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين. قال: فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، وكان مُصلاه بين الركنين: الركن الأسود، والركن اليماني. قال: فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول! (قال) فقلت: لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فدخلت تحت ثيابها، فجعلت أمشي رويدا، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قائم يصلي يقرأ القرآن، حتى قمت في قبلته مستقبله، ما بيني وبينه إلا ثياب الكعبة. قال: فلما سمعت القرآن رق له قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام، فلم أزل قائما في مكاني ذلك، حتى قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاته، ثم انصرف، وكان إذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين، وكانت طريقه، حتى يجزع المسعى، ثم يسلك بين دار عباس بن المطلب،

---

(١٠) ابن هاشم (١/٣٤٢، ٣٤٣).

(١١) المصدر السابق (١/٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨).

(١٢) الحزورة: مكان.

وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهرى، ثم على دار الأخنس بن شريق، حتى يدخل بيته. وكان مسكنه - صلى الله عليه وسلم - فى الدار الرقطاء، التى كانت بيدى معاوية بن أبى سفيان.

قال عمر - رضى الله عنه -: فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس، ودار ابن أزهر، أدركته؛ فلما سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حسى (صوتى) عرفنى، فظن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنى إنما تبعته لأوذيه فنهمنى، ثم قال: ما جاء بك يابن الخطاب هذه الساعة؟ قال: قلت: جئت لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله؛ قال: فحمد الله رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم قال: قد هداك الله ياعمر، ثم مسح صدرى، ودعا لى بالثبات، ثم انصرفت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيته.

قال ابن إسحاق: وحدثنى نافع مولى عبدالله ابن عمر، عن ابن عمر، قال: لما أسلم أبى عمر، قال: أى قريش أنقل للحديث؟

فقيل له: جميل بن معمر الجمحى. قال: فغدا عليه. قال عبدالله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أنى قد أسلمت، ودخلت فى دين محمد؟ فقال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر، واتبعت أبى، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم فى أنديتهم حول الكعبة - ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا. قال: ويقول عمر خلفه: كذب ولكن قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله.(١٣)

وأخرج أبو نعيم فى «الدلائل» وابن عساكر، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: سألت عمر - رضى الله عنه -: لأى شىء سميت الفاروق؟ فقال: أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد، فأسرع أبو جهل إلى النبى - صلى الله عليه وسلم - يسبه، فأُخبر حمزة، فأخذ قوسه، وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التى فيها أبو جهل، فاتكأ على قوسه مقابل أبى جهل، فنظر إليه، فعرف أبو جهل الشر فى وجهه، فقال: مالك يا أبا عمارة؟ فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه، فسالت الدماء، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر. قال: ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مختف فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، فانطلق حمزة، فأسلم، فخرجت بعده بثلاثة أيام، فإذا فلان بن فلان المخزومى، فقلت له: أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد؟ فقال: إن فعلت فقد فعله من هو أعظم عليك حقا منى، قلت ومن هو؟ قال: أختك وختنك، فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة، ففتح لى الباب فدخلت، فقلت: ما هذا الذى أسمع عندكم؟ قالوا: ما سمعت شيئا، فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى، فضربته ضربة فأدميته، فقامت إلىّ أختى فأخذت برأسى، وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك، فاستحييت حين رأيت الدماء، فجلست، وقلت: أرونى هذا الكتاب، فقالت أختى: إنه لا يمسه إلا المطهرون، فإن كنت صادقا فقم واغتسل، فقمت فاغتسلت وجئت فجلست، فأخرجوا إلىّ صحيفة فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقلت: أسماء طيبة طاهرة ﴿طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾(١٤) إلى قوله:

---

(١٣) ابن هشام، ٣٤٨/١، ٣٤٩.

(١٤) طه آية (١).

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[15] قال: فتعظمت في صدري، وقلت: من هذا فرت قريش؟! فأسلمت وقلت: أين رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فإنه في دار الأرقم، فأتيت الدار، فضربت الباب، فاستجمع القوم، فقال لهم حمزة: ما لكم؟ قالوا: عمر، قال: وإن كان عمر، افتحوا له الباب، فإن أقبل قبلنا منه، وإن أدبر قتلناه، فسمع ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخرج، فتشهد عمر، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة. قلت: يارسول الله: ألسنا على الحق؟ قال: بلى، قلت: ففيم الإخفاء؟ فخرجنا صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد، فنظرت قريش إليّ وإلى حمزة، فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسماني رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: الفاروق يومئذ؛ لأنه أظهر الإسلام وفرق بين الحق والباطل».

وأخرج ابن ماجة، والحاكم، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما أسلم عمر نزل جبريل، فقال: يا محمد، لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر».

وأخرج البزار، والحاكم وصححه، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم اليوم منا، وأنزل الله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[16].

وأخرج البخاري، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: مازلنا أعزة منذ أسلم عمر.

وأخرج ابن سعد، والطبراني، عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «كان إسلام عمر فتحا، وكانت هجرته نصرا، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا».

وأخرج الطبراني، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - (أول من جهر بالإسلام عمر بن الخطاب) إسناده صحيح حسن.

وأخرج ابن سعد، عن صهيب قال: «لما أسلم عمر - رضي الله عنه - أظهر الإسلام، ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا، وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به».

وأخرج ابن عساكر، عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الشيطان يَفْرَقُ من عمر». أي: يخاف.

وأخرج أحمد، عن طريق بُريدة، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الشيطان ليفرق منك ياعمر».

وأخرج ابن عساكر، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفرق عمر».

وأخرج ابن سعد، عن أسلم - مولى عمر - قال: «أسلم عمر في ذي الحجة من السنة السادسة من النبوة، وهو ابن ست وعشرين سنة».

وكان إسلامه - رضي الله عنه - بعد أربعين رجلا، وإحدى عشرة امرأة، وقيل بعد تسعة وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة، وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة.

(يتبع)

(١٥) طه آية (٨).

(١٦) الأنفال آية ٦٤.

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها

لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد فضيلة الشيخ طوسون إبراهيم هواش

● السؤال من إبراهيم محمد :

امرأة توفيت عن : زوجها ، ووالدتها ، وأخ ، وأختين أشقاء لا غير ، وتركت ما يورث عنها شرعاً ، فما نصيب كل واحد من الورثة المذكورين في تركتها ، وهل تجهيزها وتكفينها ودفنها لغاية القبر يخصم من تركتها ، أم هو واجب على الزوج خاصة ؟ وهل مصاريف ليلة المأتم من . أجرة فقهاء ، وثمن طعام ، وأجرة فراش ، تلزم الزوج - أيضاً - أم لا ؟ وهل لو فعل الزوج مازاد عن التجهيز والتكفين بدون إذن الورثة يكون متبرعاً به ، ولا يلزم الورثة بشيء من ذلك ، أم لا ؟ وهل مؤخر الصداق الباقي في ذمة الزوج يضم إلى تركة المتوفاة ، ويقسم مع التركة على عموم الورثة ، أم كيف الحال ؟ أفيدوا الجواب ولكم الثواب .

■■ الجواب : الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فقد اطلعنا على هذا السؤال ، ونفيد : بأن المنصوص عليه شرعاً أن كفن المرأة على زوجها بلا تبذير ولا تقتير بفعل ما تحتاجه من حين موتها إلى حين دفنها من الكفن الوسط عدداً ، وهو كفن السنة ، بأن يكون ثلاثة أثواب ، قميص وإزار ولفافة ، وقيمته من نوع ما تلبسه لزيارة أبويها ، وأما ما زاد على ذلك فغير لازم شرعاً ، وإذا ماتت الزوجة ولم تقبض في حياتها مؤخر صداقها من زوجها المذكور فبوفاتها يكون ذلك ديناً في ذمته ، فيضم إلى أصل تركتها ، ويقسم على جميع ورثتها بما فيهم زوجها المذكور ، وحيث إنها توفيت عن زوجها ووالدتها وأخ

وأختين أشقاء، فتقسم جميع تركتها بما فيها مؤخر صداقها بين ورثتها المذكورين، للزوج النصف فرضاً، ولأمها السدس فرضاً، والباقي لأخيها وأختيها الأشقاء تعصيباً للذكر مثل حظ الأنثيين، والله أعلم.

● **السؤال : من ع.ع.ع :**

يوجد عيب خلقي في أسناني يجعلني سخرية لكثير من الناس، ويسبب لي حرجا كبيرا حتى إنني لا أستطيع التقدم لأي فتاة، فهل إجراء عملية لتقويم الأسنان حلال أم حرام؟

■■ **الجواب :** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..

فنفيد: بأن تقويم الأسنان مباح شرعاً ولا يعد تغييراً لخلق الله بل هو تجميل يبيحه الإسلام، فإجراء العملية ليس فيه شيء والله ـ تعالى ـ أعلم.

● **السؤال من السيد / أحمد علي محمود ـ مصر للطيران يقول :**

لي ابن رضع من ابنة خالتي، وهو الآن في سن الزواج وعند التقدم لخطبة ابنتها أفادت بأنها أرضعته فترة اقامته معها وهو في سن الرضاع. فهل يجوز له الزواج من ابنتها؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين.. وبعد

فنفيد بأن هذه المسألة اجتمعت فيها شروط الرضاعة التي تحرم الزواج من الآخر، وهي : خمس رضعات، مشبعات، متفرقات في سن الحولين، وأن الوليد لم يتناول طعاماً على جهة التغذي وبناء على هذا فإنه لايجوز زواج هذا الابن من ابنة خالتك حسبما ورد في السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

● **السؤال من السيدة / ندا نعيم محمود، حلوان..**

١ - رضعت أمي على بنت عمها وبعد سنوات رضع خالي على بنت عمه، فهل يجوز لي أن أتزوج ابن عم والدتي الأصغر؟.

٢ - توفي الجد عن أولاد بنت ابن، فهل لهم أن يرثوا بالوصية؟.

■■ **الجواب :** الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..

فنفيد عن الأول: لا يجوز للسائلة أن تتزوج من ابن عم أمها؛ لأنه برضاع أمها من زوجة عمها صار أولاد العم جميعا إخوة لأمك، وبالتالي أصبحوا أخوالك وخالاتك، فلا يجوز لك الزواج من أخوالك من الرضاع.

وعن الثاني: لا ميراث لأولاد بنت الإبن بالوصية الواجبة وإنما الميراث كان للبنت فقط، وحيث إنها توفيت قبل الجد فلا ميراث لأولادها والله ـ تعالى ـ أعلم.

● **السؤال : أرجو التكرم ببيان رأي الدين فيما إذا كانت الخمر هي العلاج الوحيد بدون بديل لشفاء مريض مسلم، والحكم الشرعي في ذلك؟.**

■■ **الجواب** : الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فإن الخمر محرم قطعاً، يقول الله -تعالى- في سورة المائدة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] وقد أبان النبي - صلى الله عليه وسلم - في أحاديث كثيرة تحريم الخمر أياً كانت المادة التي أخذت منها، ومن هذه الأحاديث «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام» رواه الإمام مسلم في صحيحه.

وقوله: «ما أسكر كثيره فقليله حرام» رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والدارقطني.

وقد اختلف فقهاء المذاهب في إباحة التداوي بالمحرم، ومنه الخمر، فمنع التداوي بالمحرم فقهاء مذهبي الإمامين: مالك، وأحمد بن حنبل، وأجاز التداوي به فقهاء مذهب الإمام أبي حنيفة في القول المختار، وفقهاء المذهب الشافعي في أحد الأقوال، وذلك بشرطين:

أحدهما : أن يتعين التداوي بالمحرم بمعرفة طبيب مسلم خبير بمهنة الطب، معروف بالصدق والأمانة والتدين.

والشرط الآخر : ألا يوجد دواء من غير المحرم ليكون التداوي بالمحرم متعيناً، ولا يكون القصد من تناوله التحايل لتعاطي المحرم، وألا يتجاوز به قدر الضرورة.

هذا: وأساس هذه الإباحة الضرورة، لأن صون نفس الإنسان عن الهلاك من الضرورات الخمس التي هي مقاصد الأحكام في الإسلام، وقد استدل الفقهاء الذين أجازوا التداوي بالمحرم عند الضرورة بالشروط السابقة بآيات القرآن الكريم التي أباحت المحرمات عند الضرورة، ومنها قوله -تعالى-:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾[2]

ولما كانت إباحة التداوي بالمحرم حسبما تقدم في قول فقهاء المذهب الحنفي، وقول مذهب الإمام الشافعي للضرورة، وكانت الضرورة تقدر بقدرها، فإنه ينبغي أن لا يتمادى المريض المسلم في تعاطي المحرم استغلالاً لحالة الضرورة، فإن - الله سبحانه - يعلم السر وأخفى، وعلى المسلم الحريص على دينه أن يتحرى الصدق، وأن يبتعد عن الشبهات استبراء للدين، وألا يسوغ لنفسه رخصة أباحها الله دون حاجة وضرورة، وأن يجد ويجتهد في طلب مشورة أكثر من طبيب مسلم قبل الإقدام على التداوي بالمحرم.

هذا: وإنه مع التقدم العلمي في كيمياء الدواء، لم تعد الحاجة ملحة لاستعمال الخمر في التداوي لوجود البديل المباح، ومما تقدم يعلم الجواب عما جاء بالسؤال، والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

● **السؤال: من السيدة/ نجوى كامل سالم..**

توفيت سيدة عن: أولاد بنت - وأولاد ثلاثة إخوة - وأولاد أختين.. فما نصيب كل؟.

---

(1) سورة المائدة الآية ٩٠.

(2) سورة البقرة الآية ١٧٣.

■■ الجواب : الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛

فنُفيد بأن فى تركة المتوفاة وصية واجبة لأولاد البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة المورثة فى حدود الثلث، طبقاً لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس ١٩٤٦، بشرط أن لا تكون الجدة قد أعطت أولاد البنت من مالها حال حياتها ما يعادل الوصية بدون عوض، فتقسم التركة لثلاثة أجزاء: منها جزء وصية واجبة لأولاد البنت، يقسم بينهم للذكر ضعف الأنثى، والباقى جزآن هو الميراث للذكور من أولاد الإخوة الذكور تعصيباً بالتساوى بينهم كأنهم أولاد رجل واحد، ولا شىء للإناث من أولاد الإخوة، ولا لأولاد الأخوات؛ لأنهن من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث عند أصحاب الفروض والعصبات. والله - تعالى - أعلم.

إلى كتاب المجلة الأعزاء

ترجو إدارة مجلة الأزهر من السادة الكتاب الأفاضل عند التقدم بإنتاجهم العلمى، ملاحظة الآتى :

١ - أن تقدم الأعمال الخاصة بالمناسبات الدينية المختلفة قبل الموعد بفترة لاتقل عن شهرين.

٢ - أن تكون مكتوبة بخط واضح أو على الآلة الكاتبة.

٣ - ألا تقل عن ثلاث صفحات فلومسكاب.

٤ - أن تكون مدعمة الأسانيد ومخرجة النصوص مع ذكر المراجع.

٥ - ألا يكون سبق نشرها فى أى دورية أخرى.

والله الموفق

تصـــويب

فى عدد شهر المحرم ١٤٢١هـ وقع سهوا فى ص (١٤٦) من الآية رقم ٤٠ من سورة التوبة «إن تنصروه» وصحتها «إلا تنصروه» لذا لزم التنويه.

من أكبر الدعاة في هذا العصر

أبو الحسن الندوي

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

قلت إن أبا الحسن ألف أن يصعد المنبر خطيباً، وذلك توفيق من الله ساقه إليه على يد أحد أساتذته، فقد سافر إلى (دلهي) في رحلة علمية فشاءت المصادفات السارة أن يلتقي بداعيتها المجدد الكبير الشيخ محمود إلياس. والشيخ إلياس لا يعتمد في دعوته على الكتابة الصحفية، أو التأليف العلمي، ولكنه يرحل إلى الجماهير في كل مكان، فينتصب واعظاً مرشداً.

يتفجر البيان من جوانبه، كما ينبثق الماءُ من النبع الصافي، وهو رحالةٌ لا يهدأ، تراه كلَّ يوم في قرية أو مدينة، يُقابَل بالتجلة والترحاب، وتنتظر الجموعُ هديَه كما تترقبُ الأرضُ الجديبة تمسير الماء، وقد تتصلُ الرحلة إلى هذه الربوع المتجاورة شهراً أو شهرين، دُون أن ينقطع يوماً واحداً عن ارتقاء المنبر، وترديد الإرشاد، وأبو الحسن يسمع مُعجَباً مسروراً، ويرى انفعالَ السامعين بما يسمعون، فيعلمُ أنَّ اللقاءَ المباشرَ يفُوق تأثيرُه الحماسيّ ما يكتب في صحيفة أو يُرصَد في كتاب، ومن ثَمَّ عزم أبو الحسن على أن يكونَ داعيةً في المجتمع بلسانه، كما هو كاتبٌ للقارئ في مؤلفاته، وكانَ أستاذُه الشيخ إلياس صادقَ النيّة مُخلص السريرة، أسلم وجهَه إلى الله وهو مؤمنٌ، فعظُم تأثيرُه النفاذ، وأصبحت لكلمته التي ينطق بها أشعةٌ من الضياء تنتقل إلى الوجوه فتملؤها نوراً، وإلى القلوب فتصقُلها صقلاً يطردُ عنها نوازعَ السوء، وهواجسَ الوساوس، وهُنا كانَ الرجل قدوة في خُلُقه كما هو قدوةٌ في وعظه، واعتزم أبو الحسن أن ينحو منحاه! وقد كانَ منه بمكان قريب، فالمبادئُ هي المبادئ، والسرائرُ هي السرائر، ولم يترك الشيخ حتى صمّم على أن يدعوَ بلسانه كما يدعو بقلمه، ووفّقه الله في إرشاده اللفظي، إذ كانَ يملك أسلحتَه الماضية. بل كان يملك أكثرَ مما يملك أستاذه، لأنَّ الشيخ الكبير خطيبٌ منبر، يُحدِّث العامّة بما يجذبهم، وليسَ له سبحاتُ أبي الحسن في مطاوي الأسفار، وحواشي المجلدات، فإذا دُهشت الجموعُ إعجاباً به خطيباً داعية، فلنحمد الله أن اجتاب هذا السبيل، على أنَّ أستاذاً مُلهماً آخر

أذكى جمرة الشوق فى قلب أبى الحسن، أذكى جمرة الشوق فى قلبه، ثم زاد فطار بروحه إلى آفاق رحيبة تُشرق بالنجوم، ويهبّ بها النسيم المنعش مُحمّلاً بأطيب العبير، هذا المُلهِم هو الشاعر العالمىّ محمد إقبال فقد كان لقاؤه به فى (لاهور) مصدرَ ارتقاء شعورىّ لا يَسهل مرتقاه، وكلّ المثقفين فى العربيّة يقرءون إقبال ويردّدون مترجماته عن الأرْدية والفارسيّة، ولكنهم لا يلمسون تأثيرها النقاد، الّذى تتموج كهرباؤه فى اللّغة الأصليّة التى نظم بها إقبال، وأذكرُ أنى قلتُ فى قصيدتى عن الشاعر الكبير متحدثاً عن شعره(١)

معانٍ جلتها حكمةُ الشرقِ فائتلتْ
تدلّ على أهل الحجا أىّ إدلال
وتُغمضُ أحياناً فتبدو عويصة
كأنك منها واقفٌ بين أجبال
إذا أنقصَ التعريبُ بعضَ بريقها
فإنّ سياق النص يُوحى بإكمال

قلتُ ذلك قبل أن أقرأ ما حكاه أبو الحسن عن الشاعر إقبال، فقد قدّمه لقراء العربيّة خير تقديم حين أصدر مؤلفه اللطيف: (شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال) فتحدّث حديثاً رائعاً عن حياته، وعن العوامل التى كوّنتْ شخصيته وآراءه فى التعليم والعلوم والجيل الجديد، وحين تحدث أبو الحسن عن الإيمان، بين هذه العوامل، هذا الإيمانُ الّذى رفع الشاعر عن الاحتفال بمغريات المادة، وعنْ تيّار الحضارة الغربيّة الجارف ودفعه إلى مقومات الحياة لدى الأمة الإسلامية كما تغنّى بها إقبال، مبيناً جناية المدنية الحديثة على الإنسان، ثم حديثه عن القرآن الكريم وأثره الضخم فى تحديد رسالة الشاعر الكبير، وعنْ خبرته بالنفس الإنسانية شرقاً وغرباً، حين تحدّث عنْ ذلك كلّه

خلْتُ أنّ أبا الحسن يتحدثُ عن نفسه لا عن نفس إقبال، وليس معنى ذلك أنّه أضاف إلى شاعر الإسلام ما لم يَقُلْه، فقد استشهد بنماذج من شعره ليْس مكانها فى هذه السيرة الذاتية، ولكنْ معناه أن المصلحيْن العظيمين التقيا على هدف واحد، وأنّ إقبال قد صدق التعبير عن نفسِ كلّ مؤمن صادق الإيمان، بعيد النّظرة، واسع الأمل فى عون الله، وكانَ تجاوب أبى الحسن معه تجاوبَ حمامتيْن أليفتيْن يصدحان بالغناء فى دوحة واحدة، إذا حنّت الأولى رنّ صداها فى نفس الثانيّة فهتفتْ بالشجو المديد، أما مآخذ إقبال على التعليم المعاصر، وأمّا آراؤه فى العلوم والآداب، وأما تصويرُه للشّباب المسلم، فيستطيعُ باحث فاضلٌ أن يشرح كل ذلك مُقارناً بما سجّله أبو الحسن من آراء تتقارب، إنْ لم تكنْ تتماثل مع هذه الآراء ويكفى إقبالاً أن يُسجّل أنّ المسلم هو الإنسانُ الوحيد الّذى يُعدّ خطراً على الباطل فى كل زمان ومكان، وأن المسلم قد بَنى العالم المستنير فى الزمن البعيد، وهُوَ مهيىء اليوم لإعادة البناء فى العالم الحديث، وهى عناصرٌ موجزةٌ تجد تحليلها الشافى المبسوط فى مؤلفات أبى الحسن على نحو مبهج أنيق، لقد أحببتُ إقبالاً قبل أن أفهمه، أحببته عاطفيّا وجدانيا، ووقفْتُ أمامَ غوامضه حائراً لا أهتدى إلى منار وضيء، ثم قرأتُ أبا الحسن، وما كتبه عن إقبال، فأحببتُه وجدانيا وفكريّا، وزالت أكثر الغوامض عن نفسى.

رجع أبو الحسن من دلهى، وفى نفسه قبسٌ من روح شيخه إلياس كما رجع من لاهور وفى نفسه جذوةٌ من مشعلة إقبال، وقد صمّم على أن يرحل كما رحل أستاذُه الداعية، ولكنْ إلى أين يرحل؟ لقد قصر الأستاذُ الشيخ جهده على الربوع

---

(١) صدى الأيام، للدكتور محمد رجب البيومى ص ١٤٦.

الهندية وحدها، وقد استيقظت على دعوته من سباتها الطويل، وأولى بأبي الحسن أن يرحل لا إلى قرى الهند، وربوعها المترامية؛ بل إلى العالم الإسلامي في حواضره الزاهرة، إن العالم الإسلامي في حاجة إلى رحالة مثله يقابل علماءه، ويناقش مفكريه، ويجتمع مع شبابه، ويدرك أغوار هذه النفوس الحائرة بين أمواج الفكر المضطرب شرقاً وغرباً، وتلك رسالة صعبة، هي رسالة جمال الدين الأفغاني من قبل، ولكن جمال الدين الأفغاني كان نوراً وناراً، وأبو الحسن نور فحسب، إذ لا يميل إلى إشعال الثورات، ولكنه يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة ويجادل بالتي هي أحسن كما أشار القرآن الكريم.

لقد رحل أبو الحسن إلى الحجاز مرات وإلى مصر والمغرب، والشام وتركيا وزار أمريكا والدول الأوروبية، وطوف بأكثر عواصم العالم الإسلامي، وكانت رحلاته عظيمة التأثير لأن اسمه كان يسبق شخصه، وكان أحباؤه وخصومه في الرأي يحرصون على لقائه، فالأحباء ليطفئوا غليل الشوق برؤيته، وليمتعوا أنفسهم بكلماته، والخصوم يريدون أن يسمعوا الجديد مما يبدعه كل يوم دون إمهال، وعسى أن يجدوا مجالاً للرد، وموضعاً للحوار، والرجل يعرف مكانته من هؤلاء وأولئك ويلبس لكل حالة لبوسها، ويؤوب مؤزراً بنصر الله.

وقد تحدث عن رحلاته في كتب مستقلة، وفي مقالات سائرة، وعبر عن شعوره الصادق دون مجاملة للباطل، إذ رأى أن رحلته لا تتم على وجهها الصحيح إلا إذا أفصح عن مراده دون لثام، والحقيقة لا تؤلم إذا سيقت في أسلوب أدبي يترفع عن التعريض، وينأى عن الاستعلاء، وكم كان عجباً لأبي الحسن أن يدرك أن المسلمين في العالم الفسيح لا يكادون يعرفون شيئاً عن مسلمي الهند، فهو يقول في مطلع مقال بمجلة «بمجلة الأزهر»(٢): كنت في رحلتي إلى الشرق الأوسط أواجه سؤالاً يتكرر ويوجه في كل مجلس، وفي كل مناسبة عن عدد المسلمين في الهند فأجيب بأنهم أربعون مليوناً [كان ذلك سنة ١٣٨٠هـ] فيندهش الناس ويقول بعضهم: يا سلام! ولولا ثقتهم بالضيف لسارعوا بالتكذيب، لأنهم كانوا ينتظرون أن يكون المسلمون في الهند بعدما سمعوا عن موجات الهجرة الكبيرة مليوناً واحداً! لقد كانت هذه مفارقة لا تفارقني أينما حللت ونزلت، مفاجأة للطرفين، مفاجأة للمسلمين عن عدد زملائهم في الهند، ومفاجأة للمجيب عن استغرابهم، وهناك كانت مفاجآت أخرى، فيما يتصل بالمسلمين في الهند، فالذين كانوا يعرفون أن في الهند عدداً كبيراً من المسلمين - على قلة هؤلاء - كانوا يعتقدون أن المسلمين لا شأن لهم في هذا القطر العظيم، ليست لهم حضارة خاصة، ولا ثقافة واسعة. ولا آداب سامية، ولا مؤسسات علمية، ولا نشاط، ولا إنتاج في علم وأدب، إنما هم أمة أفلست في كل مقومات الحياة، وفي كل ما تعتز به أمة من علم وأدب، ودين واجتماع، وأخلاق ومروءة! بل كان البعض يسأل: هل في الهند مساجد، هل فيها مدارس دينية، هل عندكم علماء؟ هل يوجد من يحسن أن يقرأ القرآن؟ هل منا من يفهم العربية؟

ومضى الكاتب الكبير يجيب في مقاله الرائع عن هذه الأسئلة، ولكنه عاد باللوم على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا القطر العظيم، ومضى يفصل ما أنتجت الأمة الهندية

(٢) مجلة الأزهر: عدد رمضان سنة ١٣٨٠ هـ.

المسلمة من آثار علمية رائعة في الحديث والفقه والأصول وعلم الكلام والسيرة النبوية، ويعدد أسماء العلماء الكبار من مؤلفي الموسوعات والأجزاء المتتابعة، ويفيض في القول، حين يتحدث عما أضافه المسلمون إلى ثروة البلاد، وما قاموا به من إصلاحات قائلا في حديثه الرائع: «لقد كان ما اكتسبته الهند من المسلمين أعظم وأغلى مما استفاده المسلمون منها، وكان دخولهم في هذه البلاد فتحاً جديداً في تاريخها وحياتها ومكسباً عظيماً، والبحث شاف واف، والرجوع إليه يصحح أوهاماً كثيرة يجب أن تزول.

على أن لأبي الحسن شجاعة أدبية تكاد تكون منقطعة النظير، فهو في كل مكان يرحل إليه، يخطب في النوادي العامة، ويلقي المحاضرات الثقافية في ساحات العلم، وينشر ما يريده في أمهات الصحف، لأن اسمه الكريم يسبقه - كما قلت من قبل - معلناً قدره العظيم، ومن مظاهر هذه الشجاعة الأدبية أنه في مقالاته هذه يرسل نقداته الجريئة لبعض ما لا يوافق عليه مما يرى ويسمع، يرسلها في أمهات المجلات المقروءة ليصدع بكلمة الحق دون محاباة، أذكر أنه زار مصر في سنة ١٩٥٠م وخالط كتابها ومفكريها، وعقد ندوات ممتازة «بجمعية الشبان المسلمين» وغيرها، ثم عن له أن يكتب في «مجلة الرسالة» كلمة تحت عنوان: (اسمعي يا مصر) بدأها بالإشادة بما رآه من محاسن، ثم وجه الأمة المصرية إلى رسالتها الحضارية في إفهام الغرب ما يجهله من مزايا العرب والإسلام، لأنها بكتابها وجامعاتها ومفكريها أقدر بلد يقوم بهذه الرسالة، حتى إذا انتهى من ذلك، جاهر بنقداته الجريئة في مثل قوله: (٣)

«احرصي يا مصر على رجولة أبنائك وأخلاقهم، وصوني شبابهم وشرفهم ودينهم وصحتهم من أن يعبث بها العابثون، أو يتجر بها المتجرون، ممن يعيشون على أثمان الأعراض والأخلاق. ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، لتروج بضاعتهم وتزدهر تجارتهم، أولئك هم أصحاب الروايات الخليعة، والصور العارية، والأدب المكشوف، كافحي يا مصر الوباء الخلقي الذي يقضي على حيوية الأمة، وطاردي كل من يحاول أن يزعزع العقيدة في شعبك، إن العالم العربي قد أحلك من نفسه محلاً رفيعاً، ووضع ثقته فيك فلا تصدري إليه من أدبك وموضوعاتك ما يرزاه في إيمانه وأخلاقه، إن هذه الروايات الخليعة، والأدب الماجن أفسد وأضر بالأمة من الحبوب المسمومة، والفواكه الموبوءة.. إن القارة الإفريقية لايزال جزء كبير منها على فطرته، وهو حقل لجهودك وتربيتك فارسلي إليها دعاتك المبشرين لتنقذي نفوس هؤلاء، وتكتسبي قلوباً تكون خيراً لك من الأمم الغربية التي تخطبين ودها، وتحرصين على صداقتها وهي لا تدوم على حال».

وأذكر أن مقال الأستاذ الكبير قوبل بالاستحسان، وفسحت له المجلات الملتزمة مجال التحليل والتعقيب حين رأت فيه صيحة مخلصةيقوم بها مرشد أمين.

هذا في مصر، وكذلك في غيرها من الدول التي سعدت برحلة الأستاذ الكبير إليها، أذكر أنه في زيارته لعمان عاصمة الأردن عقد ندوة تتحدث عن (حيرة الشباب المسلم: أسبابها وعلاجها)(٤) فكان الرجل صريحاً كعادته حين

(٣) مجلة الرسالة سنة ١٩٥٠ ص ٢٦٦ السنة التاسعة عشرة.

(٤) في مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٣٩٨ تلخيص لندوة عمان.

جعل من أسباب هذه الحيرة التناقض الصريح في التوجيه والإعلام والتربية، لأنّ الشاب يجد في تقاليد بيته المسلم ما يسمعُ نقيضَه في الصحف والمجلات، بلْ قد يسمع في المدرسة مالا يتفقُ وتعاليم الإسلام، فيقع في صراعٍ فكريٍّ عنيف، وقد يقرأ صحيفة يحررها غير مسئول عن دينه وشرف أمته فيجدُ بها ما يدعو إلى الغواية والإلحاد، وقد شاعتْ بدعة القديم والجديد لترمي تراثنا بكل تأخّر، وتدفع إلى محاكاة أعدائنا في كلّ ما يقترفونه، وهذا كلّه يحتاج إلى قلْب نظام التعليم رأساً على عقب، يحتاج إلى أناسٍ لديهم الأصالةُ الفكرية فلا يعيشونَ متطفلين على مائدة الغرب، كما أنّنا نعيشُ في عزلة عن الشباب، ولدينا نحوهم كثيرٌ من سوء التفاهم وإساءة الظن، ولابُد أن نسعى إليهم، لننقذهم من الانحراف، وذلك يحتاج إلى مخططات دقيقة، مخططات علمية مدروسة، يحتاج إلى أقلامٍ بليغة، ولستُ متشائماً ولا يائساً ولكني أدعو إلى الإصلاح.

وقد يكرّر الأستاذ ما قاله في دولةٍ زارها من قبل، لا لأنّه لا يجد ما يقول، بل لأنّه يجد الداءَ مشتركاً، والطبيبُ حين يكتبُ دواءً مُماثلاً لمريضيْن يُعانيان من حالة واحدة، لا يكون مكرّراً للدواء، بل يضعُ الأمرَ في موضعه الصحيح، وقد كانت المملكة العربية السعودية ذات نصيب كبير من رحلات الأستاذ، لأنّها أقربُ البلاد إلى قلبه، ولأنّ الإسلام بها يجدُ متنفسه الّذي لا يجده في دُول شقيقات! وقد حَظي بلقاء الملك فيصل وقدّم له خطاباً يحمل مقترحات مخلصة صادفتْ قبول الملك الكريم، وهكذا كانَ أبو الحسن يرحلُ ليدقّ الناقوس، فهو سفيرٌ متنقل في بلاد الإسلام، ولا أنسى أن أشير إلى كتُبه الثلاثة:

(١) مذكرات سائح في الشرق العربي.

(٢) من نهر كابل إلى نهر اليرموك

(٣) أسبوعان في المغرب الأقصى

ففي هذه الآثار القوية بتوجيهها وتشخيصها ونقدها الصائب ما يضع الرحالة الكبير في مقدمة المصلحين الكبار من أبناء هذا القرن دون نزاع، وكم يروع القارىءَ أن يجد في صفحات هذه الكتب الخالدة، أوصافاً دقيقة لبلادٍ عزيزة علينا جميعاً، هي: أفغانستان وإيران وسوريا ولبنان والعراق والأردن، أوصافاً لا تتجاهلُ ما بهذه الدول من مؤسسات ثقافية وهيئات علميّة. ومبلغَ تمسّكها بالعقيدة الإسلامية أو مجافاتها في بعض اتجاهاتها، وما أحدثَ ذلك كلّه من آثار سلبية.

أما رحلة الداعية الكبير إلى الولايات المتحدة وكندا بدعوة من الطلاب المسلمين في الدولتيْن فقد وصَفها الكاتب في سفر خاص، وهي ذات مذاق مختلف عن الرّحلات الخاصة ببلاد الإسلام، لأنّ المسلمين في أمريكا وكندا محدودُو النشاط، ولكنْ عليهم ـ في رأى الأستاذ ـ أن يُحافظوا على كيانهم الإسلامي في بلاد الغُربة، وأن ينظروا نظرة واعية إلى الحضارة الغربيّة. فيعرفُوا أوجُه النفع وأوجُه الضرر، وهمْ بعد المثل الناطق للمسلمين في مرأى جيرانهم من ذوي الدّيانات المختلفة أو مّمن لا يدينون بدين مطلقاً، وإذا كانَت حضارة أوروبا وأمريكا تجد الدّعاية الكافية ذاتَ الإغراء الخالب، فعلينا أن نقيسها بمقياس الحضارة الإسلامية التي تستمد أصولها من شريعة الإسلام، وقد قُوبل الداعية الكبير بأسمى مظاهر التبجيل، وأقيمت الحفلات المتعاقبة لتكريمه، وما جاءَ الرجل المتواضعُ ليتصدرّ حفلات التكريم، بل قدمَ حاملاً مصباح الهداية لمن يفتح عينه على النور المبين.

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

التصريف

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا[*]

كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم الزهراوي[1] يعد أول كتاب علمي مصور في تاريخ الطب، وهو موسوعة طبية تقع في ثلاثين جزءاً، ومزودة بوصف الآلات المستخدمة في إجراء العمليات الجراحية، وكيفية استخدامها. وقد حظيت موسوعة الزهراوي باهتمام كبير لدى أطباء أوروبا، وبقيت مرجعاً تدريسياً معتمداً في الجامعات الأوروبية لعدة قرون.

صاحب «التصريف» والقيمة العلمية للكتاب

المؤلف هو: أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وُلد بالزهراء من ضواحي قرطبة حاضرة الأندلس في عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، وتوفي عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م، وعاش في فترة حكم عبد الرحمن الثالث الناصر، وابنه الحكم الثاني، وكان طبيبهما، وقد عرفه الأوروبيون بأسماء أخرى أشهرها «البوكاسيس» (Albucasis) وهو تحريف لـ «أبو القاسم».

ويقع كتاب «التصريف» في ثلاثين جزءاً، يتناول الأول منها: «العناصر والأخلاط وتركيب العقاقير والتشريح»، ويحوى الجزء الثاني فصولاً في: «تقسيم الأمراض وأعراضها وكيفية علاجها»، والأجزاء من الثالث حتى الخامس والعشرين تبحث في: «أطعمة المرضى وكثير من الأصحاء، مرتبة على الأمراض». ومرة أخرى يتناول علم العقاقير، أو الأدوية، في الجزءين السابع والعشرين والثامن والعشرين؛ أما الجزء التاسع والعشرون فقد خصصه للبحث في: «تسمية العقاقير باختلاف اللغات، وشرح الأسماء المركبة الواقعة في كتب الطب، والأكيال والأوزان»، وأخيراً يختتم الزهراوي موسوعته الطبية بالجزء الثلاثين الخاص بالجراحة.

(*) الكاتب: أستاذ الفيزياء، ووكيل كلية العلوم - جامعة القاهرة.

(١) للوقوف على المخطوطات العربية الموجودة لكتاب «التصريف» والترجمات الحديثة له إلى اللاتينية واللغات الأوروبية، وعلى الدراسات المتعلقة به يراجع:

- الدوميلي، «العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي»، الترجمة العربية، دار القلم، القاهرة ١٩٦٢م.
- د. أحمد مختار منصور، دراسة منشورة في مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ويتضح من هذا أن الجزء الأعظم من موسوعة الزهراوى كان مخصصاً لعلم العقاقير، فلم تكن عبقريته تنحصر فى الجراحة وحدها، حيث لقبه «جورج سارتون» بأنه «أكبر جراحى الإسلام»، وإنما شملت موسوعته أيضاً علم العقاقير لخبرته فى الأدوية المركبة والمفردة. وقد وصفه ابن أبى أصيبعة بأنه «كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج». وصنواه فى الطب: الرازى وابن سيناء، ولكنه فى الجراحة يتقدمهما.

وترى المؤرخة الألمانية (زيجريد هونكة) أن الفضل فى وضع أسس الجراحة الحديثة فى أوروبا، والسمو بهذا النوع من الطب بعد أن كان يُنظر إليه فى الغرب نظرة ازدراء، حتى أصبحت الجراحة مستقلة بذاتها ومعتمدة فى أصولها على علم التشريح، إن الفضل فى هذا كله كان يرجع إلى نجم الجراحة العربية الساطع الزهراوى، والرأى نفسه تراه مجلة (لندن كولينج) فى أحد أعدادها الصادرة عام ١٩٨٦.

ولم يكن تبويب الزهراوى لموسوعته الطبية عملاً عشوائياً، فقد جاء الجزء الثلاثون عن الجراحة ليؤكد ما يلزم للطبيب معرفته قبل ذلك من كليات الطب ومبادئه، وصنوف العلل وكيفية علاجها، ومختلف الأغذية والأدوية، وخصائصها ومقاديرها، وذلك فى إشارة واضحة إلى أن الطب القائم على العلاج الدوائى تمامه وآخره يكون فى العمل الجراحى.

وأول لغة ترجم إليها كتاب «التصريف» كانت العبرية، ثم ترجم إلى: اللاتينية بالبندقية عام ١٤٩٥م، وفينيسيا عام ١٤٩٧م، وستراسبورج عام ١٥٣٢م، وبال عام ١٥٤١م. كما نشرت له فيما بعد ترجمات عديدة إلى اللغات الحديثة. فقد نشر الجزء الخاص بالجراحة مرتين: إحداهما للنص العربى مع ترجمته اللاتينية بلندن عام ١٧٧٨م. على يد يوحنا شاننج بأكسفورد، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٣٥ طب.

والمرة الثانية للنص العربى فى لكنو بالهند عام ١٩٠٨م. وفى عام ١٩٧٣م. ظهرت ترجمة الجزء الخاص بالجراحة كاملاً إلى اللغة الإنجليزية فى جامعة كاليفورنيا على يد كل من سبنك ولويس[٢].

المنهج العلمى عند الزهراوى

يمكن إيجاز أهم خصائص المنهجية العلمية عند الزهراوى فيما يلى:

أولاً: يعتبر الزهراوى مثالاً عالياً للطبيب المسلم الحريص على شرف المهنة والمدرك لمتطلباتها الأخلاقية والعلمية، استناداً إلى توجيهات الدين الإسلامى الحنيف. ولايزال الكثير من القضايا الطبية التى عالجها فى زمانه مثار جدل حتى يومنا هذا، نذكر منها -على سبيل المثال- مدى المشروعية فى استجابة الطبيب لرغبة مريضه فى أن يضع نهاية لحياته طلباً للراحة من عذاب ألم لا يطاق، واحتمال تعرض الطبيب فى ذلك لترغيب أو ترهيب، وفى مثل هذه الأحوال يحذر الزهراوى تلاميذه من الوقوع فيما لا خبرة لهم فيه، كما يحذرهم من خداع المرضى الذين لا أمل فى شفائهم، واستغلال علمهم بذلك فى ابتزاز أموالهم، وينبههم إلى أهمية التسلح بالعلم والمعرفة المستقبلية (Prognosis)لتطور المرض. فهو يقول فى مقدمة الباب الثانى من المقالة الثلاثين الخاصة بالجراحة فى كتاب «التصريف» ما نصه:

«ينبغى أن تعلموا يا بَنِى أن هذا الباب فيه من الغرر فوق ما فى الباب الأول فى الكىِّ، ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون التحذير فيه (أى باب الجراحة بأنواعها) أشد؛ لأن العمل فى هذا الباب كثيراً ما يقع فيه الاستفراغ من الدم الذى به تقوم الحياة عند

(٢) (Spink M.S. And Lewis G.L., Albucasis On Surgery And Instruments, University of California Press, 1973)

فتح عرق، أو شق على ورم، أو بطّ خراج، أو علاج جراحة، أو إخراج سهم، أو شق على حصاة، ونحو ذلك مما يقع في أكثرها الموت، وأنا أوصيكم عند الوقوع فيما فيه الشبهة عليكم، فإنه قد يقع عليكم في هذه الصناعة صنوف من الناس يضجرون من الأسقام، فمنهم من قد ضجر بمرضه، وهان عليه الموت لشدة ما يجد من سقمه وطول بليته، وبالمرض من التقرر ما يدل على الموت، ومنهم من يبذل لكم ماله ويغنيكم به رجاء الصحة ومرضه قتّال. فلا ينبغي لكم أن تساعدوا من أتاكم ممن هذه صنعته البتة، وليكن حذركم أشد من رغبتكم وحرصكم، ولا تقدموا على شيء من ذلك إلا بعد علم يقين يصح عندكم بما يصير إليه العاقبة المحمودة، واستعملوا في جميع علاج مرضاكم تقدمة المعرفة والإنذار بما تؤول إليه السلامة، فإن لكم في ذلك عوناً على اكتساب الثناء والمجد والذكر والحمد ألهمكم الله يا بَنِى رشده، ولا حرمكم الصواب والتوفيق إن ذلك بيده لا إله إلا هو».

وإن شئنا مثالاً آخر لأخلاقيات الطبيب المسلم، نجد الزهراوي يتصدى لحل القيود الاجتماعية والمحاذير التي تصادف الطبيب في جراحات أمراض النساء، وذلك بدعوتهن إلى تعلم مهنة الطب، كما يظهر حرصه على تقدير ضرورة أن يتكيف الطبيب مع ظروف عصره وبيئته ضماناً لنجاحه، وتظهر عنده فضيلة الحياء المقترنة بالرفق، مما يجب أن يتحلى به الطبيب. ويتضح هذا كله في قوله ـ وهو يصف عملية إخراج الحصاة للنساء ـ في الفصل الحادي والستين من الباب الثاني: «إن عرض لأحد منهن حصاة فإنه يعسر علاجها ويمتنع لوجوه كثيرة: أحدها أن المرأة ربما كانت بكراً، والثاني أنك لا تجد امرأة تبيح نفسها للطبيب إن كانت عفيفة أو من ذات المحارم، والثالثة أنك لا تجد امرأة تحسن هذه الصناعة ولا سيما العمل باليد (أي الجراحة)، والرابعة أن موضع الشق على الحصاة من النساء بعيد عن موضع الحصاة فتحتاج إلى شق غائر، وفي ذلك خطر، فإن دعت الضرورة إلى ذلك فينبغي أن تتخذ امرأة طبيبة محسنة ـ وقليلاً ما توجد ـ فإن عدمتها فاطلب طبيباً عفيفاً رفيقاً، أو أن تحضر امرأة قابلة محسنة في أمر النساء، أو امرأة تشير في هذه الصناعة بعض الإشارة فتحضرها وتأمرها أن تصنع جميع ما تأمرها به». (٣)

وفي بيان القيمة المعرفية للعلم، يقول الزهراوي في معرض حديثه عن «الإخصاء Castration»: «إن الإخصاء في شريعتنا محرم، ولهذا ينبغي لي ألا أذكره في كتابي هذا، وإنما ذكرته لوجهين: أحدهما، ليكون ذلك في علم الطبيب إذا سئل عنه، وليعلم علاج من اعتراه، والوجه الآخر أنا كثيراً ما نحتاج إلى إخصاء بعض الحيوان لمنافعنا». (٤)

ثانياً: أظهر الزهراوي استيعابه لطبيعة البحث العلمي وخصائص المعرفة العلمية على أساس التواصل بين أجيال العلماء عبر العصور، وهو يعزو تخلف مستوى الجراحة في عصره إلى فقدان التواصل مع خبرة القدامى ومعارفهم، كما يدرك أن إهمال العلم السابق فيه تعطيل لمسيرة التقدم العلمي، وإذا ما ران على العلم جهل بتاريخه فإنه لا محالة مخفق في مهمته. وقد حرص على تأكيد القيمة الفائقة لعلوم الأوائل

---

(٣) راجع في ذلك:

د. مصطفى لبيب عبد الغني: دور الزهراوي في تأسيس علم الجراحة، دار الثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م.

(٤) عن المرجع السابق.

كتخطوة منهجية أولى تسبق إجراء البحوث التجريبية التي يتم من خلالها تجاوز معارف الأقدمين، ففي معرض حديثه عما يحتاج إليه الطبيب في جبر بعض أنواع الكسور في العظام، يقول: «إنه قد يدعي هذا الباب من الأطباء والعوام من لم يتصفح قط للقدماء فيه كتاباً ولا قرأ منه حرفاً، ولهذه العلة صار هذا الفن من العلم في بلدنا معدوماً، وإني لم ألق فيه قط محسناً البتة، وإنما استفدت منه ما استفدت لطول قراءتي لكتب الأوائل وحرصي على فهمها حتى استخرجت علم ذلك منها، ثم لزمت التجربة والدُّربة طول عمري»[٥].

على أن الزهراوي في الوقت نفسه ينبه إلى اعتبار الرؤية النقدية للنظريات القديمة، ولا يكون قبولها تقليداً ومشايعة بدون برهان عقلي أو دليل تجريبي. فهو -على سبيل المثال- لا ينساق إلى ما يسلِّم به بعض الأطباء قبله من أفضلية معدن الذهب على الحديد في الكيّ لشرف الذهب على بقية المعادن، وفي ذلك يقول:

«ذكرت الأوائل أن الكيّ بالذهب أفضل من الكي بالحديد، وإنما قالوا ذلك لاعتدال الذهب وشرف جوهره، وقالوا: إنه لا يتقيح موضع الكيّ. وليس ذلك على الإطلاق: لأنني قد جربت ذلك فوجدته إنما يفعل ذلك في بعض الأبدان دون بعض، والكيّ به أحسن وأفضل من الحديد كما قالوا. إلا أنك إذا أحميت الكواة في النار من الذهب لم يتبين لك متى تحمى عليه القدر الذي تريد لحمرة الذهب ولأنه يُسرع إليه البرد، وإن زدت عليه في الحمْي ذاب في النار والسبك فيقع الصانع من ذلك في شغل. فلذلك صار الكيّ بالحديد عندنا أسرع وأقرب إلى الصواب للعمل»[٦]. كما يظهر استقلاله في إيثاره لأساليب معينة لم يسبقه إليها غيره، وذلك في مثل قوله: «ولست أرى هذين النوعين من الكيّ البتة، إلا في بعض الناس، وعلى طريق الغرر، وتركه عندي أفضل ومع السلامة»[٧].

ثالثاً: أدرك الزهراوي أن العلاقة جدّ وثيقة بين التقدم العلمي وبين تطوير آلات العمل وأجهزة القياس أو الرصد التي تكفل المزيد من الدقة والقدرة على التكيف نحو الأفضل، وهو يرى أن مقياس النجاح في الطب مقياس عملي، يتمثل في حصول الشفاء، أو تحقيق البرْء، بحيث تصبح حالة المريض في عافيته غيرها في مرضه، ولعل هذا ما دفعه إلى القول: بأن أجزاء صناعة الجراحة لا يدرك بالوصف، وإنما الصانع الحاذق يقيس بالقليل على الكثير وبما حضر على ما غاب، فذلك هو ما يُعين على التنبؤ بما عساه يحدث في ظروف مشابهة، وإذا كان الثراء اللامحدود للواقع يجعل من اللازم الاقتصار على مراقبة عدد محدود من الوقائع إلى حد يتحقق معه الاطمئنان إلى إدراك قوانين هذا الواقع وثبات سننه الحاكمة، فإنه يبقى صحيحاً في الوقت ذاته أن الاستقرار العلمي للواقع ـ مهما تكررت مناسبات الحدوث ـ هو في النهاية استقراء ناقص، وربما كان من ثمار هذه التصورات المنهجية لطبيعة البحث العلمي لدى الزهراوي ما دفعه إلى ابتكار آلات جراحية جديدة، وتطوير أساليب جراحية رائدة دفعت بمهنة الطب قفزات إلى الأمام.

(يتبع)

---

(٥) مقدمة الباب الثالث من كتاب «التصريف» - عن المرجع السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) المرجع السابق.

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« سلني حاجتك »

قال الخليفة هشام بن عبد الملك لسالم بن عبد الله بن عمر عند الكعبة: سلني حاجتك.

فقال: والله لاستحي أن أسأل في بيته غيره، فلما خرج من المسجد قال هشام: الآن خرجت من بيت الله فاسألني، فقال: من حوائج الدنيا أم الآخرة؟ قال: من حوائج الدنيا، فقال سالم: ما سألتها من يملكها، فكيف أسألها ممن لا يملكها.

سل الإله إذا نابتك نائبة ..
فهو الذى يرتجى من عنده الأمل
فإن منحت فلا من ولا كدر ..
وإن رددت فلا ذل ولا خجل

« هكذا كانوا .. »

كان عبد الله بن المبارك في غزوة، فنزل عند نهر ونصب رمحه وربط فرسه وتوضأ، وشرع يصلي، فلما سلم وجد فرسه انفلتت وأكلت من الزرع، فقال: أكلت فرسي حراما، فلا ينبغي لي أن أغزو عليها، فتركها لصاحب الزرع، واشترى غيرها وغزا عليها.

« أنا ابن نفسي »

تكلم رجل عند عبد الملك بن مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب، فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه، فقال له: ابن من أنت، قال: أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت إليك، قال: صدقت، فأخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

مالي عقلي وهمتي حسبي ..
ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحد
فإنني منتم إلى أدبي

« من هذه العلة مات فلان »

دخل رجل على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه فسأله عن علته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان، فقال له عمر: إذا عُدتَ المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعُد إلينا.

« قالوا ... »

من سأل فوق حقه استحق الحرمان، ومن ألحف في مسألته استحق المطل، والرفق يُمن، والخرق شؤم، وخير السخاء ما وافق الحاجة، وخير العفو مع المقدرة.

« أيسرك أن تموت »

دخل سليمان بن عبد الملك مسجد دمشق، فرأى شيخاً، فقال: يا شيخ أيسرك أن تموت. فقال: لا والله، قال: ولم، وقد بلغت من السن ما أرى؟! قال: نفى الشباب وشره، وبقى الشيب وخيره، فأنا إذا قعدت ذكرت الله، وإذا قمت حمدت الله، فأحب أن تدوم لى هاتان الحالتان.

« حقيقة »

الأرض تحيا إذا ما عاش عالمها ..
متى يمت عالم منها يمت طرف
كالأرض تحيا إذا ما الغيث حل بها ..
وإن أبى عاد فى أكنافها التلف

« لك الرهان فقد غلبت خصميك »

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل وهم ثلاثة من فحول الشعراء المطبوعين المعدودين فى مجلس عبد الملك، فأحضر لهم رهانا من المال، وقال: ليقل كل منكم بيتاً فى مدح نفسه، فأيكم غلب وظفر وسبق وانتصر على خصيمه فله هذا الرهان.

فبدر الفرزدق وقال:

أنا القطران والشعراء جربى ..
وفى القطران للجربى شفاء

وقام الأخطل وقال:

فإن تكُ زق زاملة فإنى ..
أنا الطاعون ليس له دواء

ونشط جرير وقال:

أنا الموت الذى آتى عليكُمْ ..
فليس لهارب منه نجاء

فقال له عبد الملك:

لك الرهان فقد صرعت مناظريك وغلبت خصميك.

« دعاء »

(اللهم لك الحمد كما أنت أهله، فصل على سيدنا محمد كما هو أهله، وافعل بى ما أنت أهله، فإنك أهل التقوى وأهل المغفرة).

تنمية الوعي البيئي لدى المسلم

للأستاذ الدكتور / عبد الراضي حسن المراغي (*)

تحتل التوعية الإسلامية عموما مكانة كبيرة لدى المسلمين، فإذا ارتبطت هذه التوعية بالمفاهيم البيئية مثل الحفاظ على الموارد البيئية الطبيعية المكونة للنظام البيئى، وعدم استنزافها والعبث بها ودعمت هذه المفاهيم بتعاليم الإسلام، وتم الإسترشاد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، فسوف تعكس ذلك على سلوك المسلمين فى الحفاظ على هذه الموارد وتنميتها، ويمكن القول بأن التوعية البيئية الإسلامية هى: عملية يتم خلالها توعية الفرد والمجتمع المسلم بالبيئة من حوله وتفاعل عناصرها الحية (من نبات، وحيوان، وإنسان، وكائنات حية دقيقة) وغير الحية (من شمس وأرض، وقمر، وجبال، وبحار، ومحيطات، وأنهار، ورياح) والاجتماعية التى تناقش قضايا مثل تأثير الإنسان على البيئة، وتأثير البيئة المحيطة على الإنسان، والثقافية التى تناقش قضايا مثل القوانين والتشريعات البيئية.

فضلا عن تزويد الفرد والمجتمع المسلم بالمعارف والقيم والكفايات والخبرات البيئية التى تؤهله لحل المشاكل البيئية التى تواجهه مثل التلوث البيئى بصوره، وأنواعه المختلفة[1]، وصون التنوع البيولوجى، واستنزاف طبقة الأوزون، ومشكلة التصحر، وتدهور الأراضى الزراعية والغابات.

أهداف التوعية البيئية

١ ـ التوعية بالبيئة المحيطة والنظم البيئية المختلفة التى نعيش فيها ومن أمثلتها نظام البيئة الزراعية أو بيئة الحشائش، نظام بيئة المياه العذبة، نظام البيئة الصحراوية، نظام بيئة الغابات، ونظام البيئة البحرية، والمكونات البيولوجية والفيزيائية المختلفة لكل نظام من هذه الأنظمة وتفاعل بعضها مع البعض الآخر. وكيف خلق المولى ـ عز وجل ـ هذه الأنظمة وزينها بمقومات كثيرة ليختبر صنع الإنسان وعمله فيها قال ـ جل شأنه ـ فى محكم كتابه:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[2].

(*) الكاتب: أستاذ بكلية العلوم ـ جامعة الأزهر.

(١) د. عبد الراضى حسن المراغى، دعوة الإسلام إلى الرجوع عن تلوث البيئة ـ مجلة الأزهر ـ الجزء الحادى عشر ـ السنة الثانية والسبعون ـ ذى القعدة سنة ١٤٢٠ هـ.

(٢) سورة الكهف ـ الآية: ٧.

٢ ـ خلق الوعي البيئي الإسلامي الذي يدعو إلى الحفاظ على توازن البيئة الطبيعية وحماية مواردها الحية وغير الحية، ويتم ذلك في إطار المحميات الطبيعية وحماية الحياة البرية والبحرية والصحراوية من الصيد الجائر، والعوامل التي تؤدي إلى الانقراض، وفي نفس الوقت تلبية حاجة الفرد والمجتمع التي تسعى إليها عملية التنمية الاقتصادية من هذه الموارد وحتى تصبح عملية تنمية متواصلة.

٣ ـ تربية الفرد المسلم منذ الصغر على حسن استخدام البيئة المحيطة من حوله.[٣]

٤ ـ دعوة الفرد إلى الاشتراك في عملية حماية البيئة وتحمل المسئولية عما يسببه للبيئة من سلوك ضار، ويتطلب ذلك تشجيع القيم الإسلامية التي تدعو إلى ترشيد استهلاك الموارد الطبيعية مثل: ترشيد استهلاك الطاقة بأنواعها المختلفة من كهرباء، وبترول، وغاز طبيعي وطاقة السدود والرياح، وطاقة الاندماج النووي، وترشيد استهلاك المياه العذبة والتي أصبحت أحد مشاكل العصر الحالي وعدم الإسراف في استهلاك هذه الموارد الهامة قال ـ تعالى ـ في محكم كتابه:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[٤]

٥ ـ تنمية القدرات العلمية والمهارات العقلية للفرد والمجتمع المسلم لوضع الحلول للمشاكل البيئية الملحة وتنفيذها. ومن أهم هذه المشاكل البيئية: الاحتباس الحراري والتغيرات المناخية، صون التنوع البيولوجي، استنزاف المياه الجوفية، قطع الأشجار، الصيد الجائر، التلوث البترولي للبحار والمحيطات، التصحر، تلوث الهواء الجوي.

والهدف الرئيسي لتنمية الوعي البيئي لدى المسلم هو: المساهمة في وقف عملية تدمير البيئة التي تحدث على مستوى الأفراد والمصانع والمؤسسات، ويتم ذلك عن طريق إيصال المعلومات إلى جمهور المسلمين حول قضايا البيئة، عن طريق: الدعاة وخطباء المساجد والبرامج الدينية في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وكذلك عن طريق الصحف والجرائد والمجلات اليومية والأسبوعية والشهرية.[٥]

تنفيذ برامج التوعية البيئية الإسلامية

١ ـ نقل الأخبار والمواضيع البيئية إلى جمهور المسلمين وتزويدهم بالدراسات والاحصاءات المتعلقة بالبيئة وتوعيتهم بما يطرأ على الأحداث والموضوعات البيئية من تطورات، ويتم ذلك بعقد الندوات والحلقات الدراسية وورش العمل للدعاة وخطباء المساجد.

٢ ـ تقديم القضايا البيئية الهامة بشكل

(٣) د.عبدالراضي حسن الراقي، التربية البيئية في الإسلام، مجلة الأزهر شعبان ١٤٢٠هـ.

(٤) سورة الإسراء الآية: ٢٩.

(٥) د.عبدالراضي حسن الراقي. أ.د/ أحمد حسن عبدالرحمن: الاستراتيجية العربية لنشر الوعي والتثقيف البيئي. تحت النشر.

مبسط وتنمية الوعى عند جمهور المسلمين بأبعاد ومخاطر القضايا البيئية وآثارها عليهم كأفراد وعلى المجتمع الذى يعيشون فيه، بل وعلى المستوى العالمى عموما، ويتم ذلك عن طريق تبنى وسائل الأعلام المسموعة والمرئية والمقروءة عرض هذه القضايا من منظور إسلامى بمشاركة علماء الدين والبيئة قال ـ تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(٦)

٣ ـ تعزيز المشاركة بين جمهور المسلمين وصناع القرار لإيجاد حلول للمشاكل البيئية الملحة لتوسيع القاعدة الجماهيرية المهتمة بالبيئة.

٤ ـ العمل على تقبل تغير السلوك المدمر للبيئة بسلوك الحفاظ على خيرات الأمة التى تشكل مصادرها ومواردها البيئية المتنوعة ـ قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»(٧)

وهى دعوة خير وأمر بالمعروف، ونهى عن الإسراف والتبذير فى استهلاك وتدمير هذه الموارد.

إن النهى عن تلويث البيئة والإضرار بها وبمن يستعملها هو نهى عن المنكر قال ـ عز وجل :

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٨).

وقوله ـ تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾(٩).

٥ ـ إصدار كتيبات ثقافية تعالج قضايا البيئة من منظور إسلامى.

٦ ـ إعداد نصوص إذاعية وتليفزيونية تناقش قضايا البيئة من منظور إسلامى.

٧ ـ القيام بحملات إعلامية بيئية تتعاون فيها وزارات البيئة والإعلام والأوقاف لبيان الضرر الناتج من تلوث البيئة بحرق المخلفات على زيادة كمية غاز ثانى أكسيد الكربون على الهواء الجوى والذى يكون أحد أسباب السحابة السوداء (على سبيل المثال).

وعموما تحتاج التوعية البيئية الإسلامية إلى تكثيف وتضافر الجهود بين علماء البيئة وعلماء المسلمين لوضع إرشادات بيئية إسلامية يكون مصدرها الدين الإسلامى تجعل المسلم يحافظ على بيئته ويصونها وينميها.

---

(٦) سورة الزمر ـ الآية : ١٨.

(٧) رواه مسلم.

(٨) سورة آل عمران ـ الآية : ١٠٤.

(٩) سورة آل عمران ـ الآية : ٨.

خميلة الشعر

للأستاذ:
محمد عبد الوهاب

إن الإسلام هو دين السماحة والتسامح والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما أجمل الشعر حينما تنساب فى جنباته هذه المعانى القيمة التى تجمع ولا تفرق.

وخميلتكم اليوم تقدم إليكم باقة مختارة، تعبق بمعانى الإيمان الحق، وتزهو بالمشاعر الإسلامية الفياضة وتستهلها بقصيدة: (فى ذكرى إمام الأدب العربى مصطفى صادق الرافعى) لصديق الباب الشاعر الأستاذ محمود الطاهر الصافى.

تقدم بعدها قصيدة: (الرضى) التى نرحب بمبدعها الشاعر المهندس لطفى فؤاد حسن لأول إبداع له بالخميلة.

ثم نتبعها بقصيدة: (الأم) للشاعر محمد عايش عبيد

وتقدم خميلة الشعر أيضاً قصيدة: (كن لى حفيظا) للشاعر محمد على عبد السميع، الذى نرحب به أيضاً بالخميلة للمرة الأولى.

استدراك:

فى العدد الماضى قدمت قصيدة ، مسافر عبر الزمان ، للشاعر الأستاذ/ السيد الصديق حافظ تحت عنوان: (هو الله)، بينما قصيدة (هو الله) للشاعر الكبير / أحمد عبد الهادى. فقد سقط نشرها بالعدد الماضى سهواً، وتنشرها فى هذا العدد مع تقديم اعتذارنا للشاعرين الكبيرين.

اللهم اهدنا سبل الرشاد، وهيىء لنا الخير.

يا أكرم من سئل، ويا خير من أعطى.

والله ولى التوفيق

في ذكرى إمام الأدب العربي مصطفى صادق الرافعي

للشاعر / محمود الطاهر الصافي

يريدون حجب الشمس خلف السواتر ... ومنع مثال للعروبة سائر

مثال بيان لم ير الدهر مثله ... ولا مثله في النابغين العباقر

تحزب أقوام إلى كل منهج ... ومنهجه في الحق فخر المفاخر

مذاهبهم شتى إلى كل بدعة ... ومذهبه مثل النهار المجاهر

فكم شرقوا أو غربوا أو تعصبوا ... وإيمانه كالطود غير مغاير

فدافع عن آي وأنوار سنة ... دفاع فدائي مريد المخاطر

مقالته ذادت عن الدين فتنة ... وردت هجوما من عدو مكابر

وكان كلام الرافعي شموسنا ... إذا هجم الإلحاد مثل الدياجر

فكان هو الحزب الإلهي وحده ... وأحزاب غير الله فوضى المصادر

ولكنه رد العدو ممزقا ... بعلم كبحر موجه جد هادر

فصار تراث الرافعي منارة ... يضيء ظلام العالمين لحائر

تجلى عليه نور دين وحكمة ... من السنة الغراء مثل الأزاهر

فجدد في كل النفوس هداية ... وأظهر في الإيمان أغلى النوادر

فما هو مسبوق ولا هو مدرك ... وغاية من عاداه صفقة خاسر

وفي فكره للعالمين سموهم ... فموقعه في الفن أسمى المناظر

وما حجبوه! أين من يحجب العلا؟ ... ويخفي سماء بالأكف القواصر

فما هو إلا النور ينشر ضامنا ... وأعداؤه مثل الطبول النوادر

وبعد قليل سوف يذهب زيفهم ... وتلفيقهم بين القرى والحواضر

يضيء على أفق الوجود بآية ... ويكشف (إعجازا) عجيب السرائر

وما نفحات (الوحي) إلا سواطع ... من النور تأتي كالشموس الظواهر

وما شعره إلا رنين سواجع ... على روضة غناء نور النواظر

وعندئذ يعلو كلام إلهنا ... ويعبر دين الله كل المعابر
وترجع للآداب أعلى بلاغة ... وتبطل أفكار ملاذ عثائر
وننقذ كل العالمين بديننا ... وترفع عنهم ظلم باغ وكافر
ويعظم (إعجاز الكتاب) بأفقنا ... ويأتى لنا منه جليل البواهر
ويرحم كل الناس منا بفضلهم ... وترغم أعداء بسطوة قاهر
ويرتفع الإسلام فى كل موقع ... وكوكبنا تعلوه خير البشائر
هو الحق والعدل المتين هو الهدى ... ملاذ من الطغيان أو جور جائر

الرضى

للأستاذ: لطفى فؤاد حسن

أوجعتنى بالهجر.. مالك توجع؟ ... وخدعتنى بالغدر.. مالك تخدع؟
ورميتنى للهاجسات تنوشنى ... فتشدنى حينا وحينا تدفع
وحسبتنى مذ غبت طفل شكاية ... أشكو جفاك إلى الطيور فتدمع
وأنا الذى سفح السنين تأوها ... وأنا الرضى بحالتى والطيع
لا بل أقص على الطيور حكايتى ... أبكى ابتهالا والبكاء تضرع
وأذود عن نفسى أسد مواجدا ... وأزيح عن قلبى الهموم وأدفع
ما حيلتى والوجد فتت مهجتى ... وأقض متكأى وراح يضعضع
يا منتهى أملى ومبعث حيرتى ... إنى على درب اشتياقك ضائع
لما نزلت بساح روحى عاصفا ... وقعدت تبريحى ورحت تصارع
أدركت أنى لا محالة ذاهب ... فى إثر من ذهبوا الغداة وشيعوا
فجمعت من كتبى ومن شعرى ومن ... سير الأحبة ما يفيد وينفع
وسألت عن زاد يعين على الجوى ... قلبت أوراقى ورحت أراجع
فأطل من باب العناية بارق ... بالنور يغسلنى فقمت أبايع
يا سائلا والقرب غاية سؤله ... لا تبتئس فالقرب لما تخشع
لاه عن الرجعى وقلبك ضيق ... حرجا ودربك للبلايا مرتع
فاصدع بما تؤمر فربك راحم ... والروض منبسط الجوانب واسع

«الأم»

للشاعر / محمد عايش عبيد

هدية إلى أمي وإلى كل أم عانت وعرفت معنى الأمومة من لدن حواء العظيمة إلى آخر الدهر

أماه، واسمك في الفؤاد هواه … ما دمت حياً لن يزول صداه

لك أنحني مهما بلغت من الدنا … فالانحناء إليك ما أحلاه!!

بالانحناء إليك أسمو للعلا … والذل بين يديك ما أسماه!!

لرضاك أرجو دائماً لأناله … إذا ما رضيت فثم يرضى الله

منك الحنان فلا حنان مثيله … هو من إله العرش ما أصفاه!!

تعطين للأبناء كأس محبْة … أكرمْ بذاك الحبُ ما أنداه!!

حبٌ طهور للوليد سما به … أعطاه للأتراب في دنياه!!

قد صار مألوفاً أليفاً مرتضىً … في قومه فالغدر لا يرضاه

أرضعته الإخلاص مع ألبانه … والحب فهو يُحبُ مَنْ والاه

وحملت أعباء الطفولة عن رضىً … لا قسر في هذا ولا إكراه

ميراث حواء العظيمة عندما … وضعت وليداً جاء مع أنثاه

أماه يا أخت الجهاد تحية … فيها الوفاء يفوق كل مداه

لولاك ما شبّ الرضيع ولا غدا … رجلاً ينال المجد من علياه

قد شبّ عن طوق الطفولة يافعاً … لولا يداك تعثرت قدماه

شفتاك تعطيه الحنان بقبلةٍ … فيها غذاءُ العمر ما أهناه!!

تُدنيته في دفء حضنك ضمة … هي شربه وطعامه وغطاه

إن نام نمتِ فلن تنامي قبله … وإذا بكى ناديت، يا ولداه

وإذا أصيب بوعكة لازمته … خوفاً عليه من الردى يغشاه

وبلمسة فيها الحنان جميعه … هي دفؤهُ ودواؤهُ وشفاه

بوركت يا أم الرجال على المدى … يا كل نبض الحب .. ما أنداه!!

أماه يا كل الوفاء وصدقه … هذا نشيدُك فاسمعي مغناه

من أعذب الألحان ها قد صغته … وزناً ونظماً مشرقاً معناه

هاكي المودة ما حييت فإنني … صدق المودّة منك لن أنساه

وضراعة بالصدق أدعو خالقي … أن تسكني الفردوس في أعلاه

كن لى حفيظاً

للشاعر / محمد على عبدالسميع

لبارى الخلق قمت على اشتياق ... أناجى أكرم المتفضلين

وأسأله العطاء ففضل ربى ... وفير لا يضيق بطالبينا

سأهرع ضارعا لله ربى ... وأنهض فى ثياب التائبينا

بحفظك بارئى كن لى حفيظا ... فأنت تذل كل المارقينا

وصنى خالقى من كل سوء ... وجنبنى فعال الخاطئينا

وهبنى يا إلهى منك فضلا ... فأشرب من كئوس المتقينا

سألتك بالجلال وبالجمال ... عطاءك يا مليك المالكينا

وأنت مليك ذا الكون الفسيح ... وغيرك فى عداد العاجزينا

ترى كل الأمور بكشف علم ... وعلمك يكشف السر الدفينا

وما استعصى لدى الإيجاد شىء ... وكل الخلق جاءوا خاشعينا

وأنت المبدع الرزاق ربى ... بذا نطقت قلوب العارفينا

وما تحصى الثناء عليك ربى ... وجل ثناء رب العالمينا

فمنك لك الثناء بكل وصف ... حميد رغم أنف الجاحدينا

بذا هتف الفؤاد عن اقتناع ... وحسى والجوارح أجمعينا

فإنك وحدك القدوس ربى ... وكل من امترى فى الهالكينا

وللبارى المهيمن سوف أشدو ... بحمدى فى جموع الحامدينا

كذا منى الصلاة بكل وقت ... على خير الخلائق أجمعينا

***

هو الله

للشاعر / أحمد محمد عبدالهادى

سبحان ربى فالق الإصباح ** سبحان ربى عدتى ونجاحى
سبحان من أزجى إليه شكايتى ** سبحان ربى الرازق الفتاح
سبحان ربى من إليه توسلى ** سبحان من عليه توكلى
سبحان عون الوحيد الأعزل ** سبحانه فى غدوة ورواح

من علم الإنسان مالم يعلم ** وهدى المسافر فى الدجى بالأنجم
وأعد للطفل الضعيف شرابه ** لبنا خفيف الهضم حلو المطعم
الله علم عبده وأعزه ** وهدى الغريب كما سقى الطفل الظمى
من أيقظ الأطيار إبان السحر ** تشدو وتسعى للغذاء بلا حذر
وتعود للأعشاش مالئة الحشا ** لتزق أفراخا صغاراً تنتظر

الله أيقظها وأطلق شدوها
وأطارها للعيش من فوق الشجر

من أخرج الشجر العظيم من النواه ** وأقله الثمر الجميل كما تراه
وأعده للناس حلوا طيبا ** شتى المذاق وقد سقى نفس المياه

الله أخرجه وحمله الجنى
وسقاه ماء واحدا يجرى الحياة

من ذا الذى رفع السماء بلا عمد ** ومن الذى يعطيك إن ترجُ المدد
ومن الذى يدرى بسرك فى الخفا ** ويقيك سوء مايصدوك من كمد

الله رافعها السماء وعالم
بالسر وهو البارىء الفرد الصمد

من ذا الذى ناداه من قلب البحار ** قوم على الفلك الذى لقى الدمار
ريح وأمواج ترامت فوقهم ** فأتى بهم للبر ثم إلى الديار

الله نجاهم وأذهب روعهم
ووقاهم الله الهلاك والاندثار

من ذا الذى نظم الكواكب فى الفلك ** وترى النهار إذا مضى يأتى الحلك
بأدق ما كان النظام ودونما ** خلل ولاتلقى الكواكب تشتبك

الله ناظمها بغير مساعد
وهو المليك أجل ومالك من ملك

من أخرج الإنسان من ماء مهين ** ونشاه أطواراً على مر السنين
وأجاد صورته وأبدع خلقه ** وهداه بالتفكير للحق المبين

الله أبدعه وأكمل خلقه
وحباه عقلا يستضىء به اليقين

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

زهد الرعاة

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد خليفة

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من المعلوم لكل ذى بصر وبصيرة أن الدين الإسلامى هو الصورة الكاملة لشرائع الله، وضع فيه شارعه الأعظم وهو فاطر الأرض، وواهب الحياة ومنزل الوحى أسس القواعد التى تكفل للعالم نظامه وسلامه، وللمجتمع وحدته وقوته، وللفرد سعادته وكرامته، مهما يتطاول الأمد، وتتغير الحياة.

إن هذا الدين الذى تمسك به السادة والقادة من أمثال عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز - رضى الله عنهما - فرفعهم إلى الذروة، وضمن للخلافة فى عهودهم العزة والمنعة والقوة، لا يزال هو الدين لا يغيره الزمن، ولا تجافيه الطبيعة ولا يعاديه العلم، هو الدين الذى هدى النفوس الحائرة، وأنجب رجالا عاشوا لأداء رسالتهم، أحيوا العدل، وأثاروا الإنصاف، وأعطوا من سيرتهم وسلوكهم وأخلاقهم وتدينهم واعتدال ميزانهم فى تقدير الأشياء وحل المشكلات وفهم المعضلات ما جعل الناس يلتفون حولهم، ويبالغون فى الولاء لهم، والتمسك بهم، وما أظن وراء هذا كله من العدل والإنصاف، والتفانى فى خير الناس، غير أنه الورع والتقوى، والمبالغة فى مراقبة العزيز الجبار الذى لا يأمن مكره إلا الكافر، ولا ينسى رهبة عذابه إلا الجاحد.

وللمزيد من الإيضاح قال الكاتب - رحمه الله -:

اللهم قبسا من نورك الذى وسع السموات والأرض، يهدى النفوس الحائرة بين ظلمات المادية، ويربطها بشعاع من روحانية السماء، وينجب للحياة رجالا يعيشون للمجتمع لا لأنفسهم، ويتفانون فى إسعاد أممهم لا ذواتهم رجالا تشرق فيهم روح عمر بن الخطاب فى تقشفه، وحفيده عمر بن عبد العزيز فى زهده.

إنهما مثلان خالدان للتقشف والزهد تجردا من مادية الدنيا ومتاع الدنيا، واستعذبا مرارة الحرمان، واستمرآ خشونة العيش، وإن روعة التقشف لا تتجلى فى معدم يقضم كسرة

جافة أو يزدرد لقمة متعفنة، ولكنها تتجلى فيمن يملك خزائن المال، ويحرم نفسه منه ليحيى به غيره، ويعيش بنفسه فى دنيا من الفاقة والبؤس، فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذى فتحت جيوشه بلاد فارس، وأخضعت بلاد الشام وملكت مصر وعج بيت ماله بما حوى إيوان كسرى، وما يغل دجلة والنيل والفرات، عمر هذا يعيش كجمهرة الناس يلبس ما يلبس الناس، ويركب ما يركب الناس، ويفترش الثرى مع الناس، إنه يؤمن بأن أمير المؤمنين مسئول بين يدى الله عن المؤمنين، مسئول عن أخلاقهم، ومعاشهم وأمنهم وراحتهم، مسئول عن الدالجين فى ظلمات البيد، والهاجعين بين أفياء الحضر، فيعيش بيته على خمسة دراهم فى اليوم تنفق فى طعامه وطعام أهله ليوفر لغيره من المسلمين ما يقيم أودهم، وإنه يعس لعله يجد بين الأكواخ كهلا حطمته السنون، لايستطيع الكدح فى طلب العيش أو عساه يلقى أرملة أقعدها الحياء عن السؤال، إنه يرهب سؤال ربه عن أمثال هذين وغيرهما، ويرى أن حساب الخليفة عسير، ومن ثم فهو ينكر على من رشح ابنه عبدالله للخلافة قوله ويجيبه: حسب آل الخطاب أن يُسأل واحد منهم عن أمة محمد.

لقد بنى عمر نفوسا صالحة للولاية والعمل؛ ولغير الولاية والعمل.

يبنى الرجال وغيره يبنى القرى

شتان بين قرى وبين رجال

لقد نشأ الأمة العربية نشأة تجلت فيها سياسته العظيمة التى يكشف عنها كتابه إلى أبى موسى الأشعرى.

« وقد بلغنى أنه فشا لك ولأهل بيتك هيئة فى لباسك ومطعمك ومركبك، ليس للمسلمين مثلها؛ فإياك يا عبدالله أن تكون بمنزلة البهيمة مرت بواد خصيب، فلم يكن لها هم إلى السمن، وإنما حتفها فى السمن، واعلم أن العامل إذا زاغ زاغت رعيته، وأشقى الناس من شقى الناس به والسلام ».

وهكذا تشدد عمر على عماله ليعيشوا كما يعيش الناس منهم المثل يقتدى بها، وكما يكون الراعى تكون الرعية.

دخل عمر منزل أبى عبيدة فلم ير إلا لبدا، وإناء وقربة بالية، وسأله عن طعامه فأخرج له من سلته كسيرات، فبكى عمر وقال: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

أى دنيا تلك التى غيرتك ياعمر؟ ترى هى دنيا الحرمان الذى عشت فيه تحاسب زوجتك على الخمسة دراهم التى ادخرتها من قوتها وصنعت لك بها حلوى فأبيت إلا أن تحرمها وتحرم نفسك وتحمل الحلوى إلى بيت المال؟

ولم يكن عمر ولا أبوعبيدة وحدهما الزاهدين بين المسلمين، ولكن بين المسلمين الكثير من أمثالهما فمعاذ بن جبل يرسل إليه

عمر بأربعمائة دينار، وهو وال ليستعين بها على العيش. فينفقها معاذ على الفقراء إلا قليلا طلبته امرأته منه لحاجتها ويعلم عمر بما صنع فيقول: الحمد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا، وكيف لايصنع هذا وأكثر من هذا فى عهد الخليفة الزاهد عمر، إن معاذ بن جبل لايريد أن تنتعش نفسه بأربعمائة دينار، وإلى جانبه فقراء قد لايجدون لقيمات؛ بل إن معاذ رأى سعادة نفسه فى إسعاد غيره.

وسعيد بن عامر عامل حمص يشتكيه أهلها إلى عمر ويطلبون منه عزله لأنه لايخرج للناس حتى يرتفع النهار، ولأنه لايجيب أحدا بليل، ولأنه يعتزل الناس يوما فى الشهر لايخرج فيه، ويسأل عمر عنه فيعلم أن عامله يعجن كل يوم خبزه ويخبزه بنفسه ثم يخرج، وأن ليله يقضيه فى العبادة وأنه يغسل ثيابه مرة كل شهر فيبعث إليه عمر بألف دينار ليستعين بها فيفرقها سعيد على جيوش المسلمين، فأى نفس كانت نفس سعيد هذا؟ إنها النفس الملائكية التى ارتفعت عن المادة وسمت ففى الساعة التى يصل فيها إلى يده ألف دينار يقسمها على جيوشه ويعود إلى بيته كما كان يخدم نفسه ويغسل ثيابه.

وقد جاء سعيد هذا إلى المدينة فلم يجد عمر معه غير عكاز يحمل عليه زاده، وقدح يأكل فيه فلما رآه عمراً كبر فيه زهده وورعه.

وكما حاسب عمر نفسه وتشدد فى حسابها، حاسب عماله، وتشدد فى حسابهم؛ فقد قيل: إنه مر ببناء يبنى بحجارة وجص فقال: لمن هذا؟ فذكروا عاملا له بالبحرين، فقال: أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها! وشاطره المال! كما صادر أموال عمرو بن العاص، وهو القائد العظيم الذى فتح مصر وحكمها، وساعده خصبها على إنماء ثروته.

وصادر أموال أبى هريرة وهو من السابقين الأولين، وصادر أموال سعد بن أبى وقاص خال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فما حابى ذلك النسب، ولاتملق ذلك الحسب.

وصادر أموال خالد بن الوليد سيف الله المسلول، الذى نصر الله به المسلمين فى كثير من معاركهم، فلم تمنعه مكانة خالد الحربية، ولامنزلته القرشية من مصادرة أمواله لحساب المسلمين لا للهوى وللغرض.

وقد تقبل منه هؤلاء المصادرة طيبة نفوسهم؛ لأن عمر حرم التجارة واستثمار الأموال على ولاة الدولة وعمالها ليحبسوا جهودهم وعقولهم لخدمة المسلمين.

وأما أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز، فكانت خلافته كلها زهدا فى الدنيا وإعراضا

عن متاعها، فأول عمل بدأ به خلافته أنه نزل عن أملاكه التي ورثها عن أبيه، لأن أباه لم يشترها بماله، وإنما أقطعها كغيره من أمراء بني أمية، فهي حق للمسلمين، كما قطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق حراسهم، ورد ضياعهم إلى الخراج، وأبطل قطائعهم، وبذلك سوى بينهم وبين غيرهم من المسلمين.

وإنه لعظيم أن يبدأ بنفسه فيرد أمواله إلى بيت المال، ثم يُثني بأهله فيقطع عنهم ما فرض لهم من جوائز؛ فليس أبناء أبي سفيان أو مروان أعظم عند الله والناس من أحفاد رسول الله – صلوات الله عليه – أو غيرهم، فالناس سواسية، لافضل بالإمارة وإنما الفضل بالتقوى وزينتها الزهد.

ولقد كانت غلة عمر بن عبدالعزيز من أرضه حين بويع بالخلافة خمسين ألف دينار (٢٥ ألف جنيه) ومازال يرد إلى بيت المال أرضه حتى بلغ ما تغله الأرض التي يملكها عند وفاته مائتي دينار (١٠٠ جنيه) في السنة.

وقد خصص لبيته درهمين نفقة في اليوم، فقيل له إن عمر بن الخطاب كان يأخذ من بيت المال خمسة دراهم في اليوم، فقال: إن ابن الخطاب لم يكن له مايُنفق منه، أما أنا فلي من المال مايغنيني.

وما أنقى نفس الخليفة عمر بن عبدالعزيز حين رأى زوجته فاطمة بنت الخليفة عبدالملك بن مروان في ثوب كان قد أهداه لها أبوها، وقد نسج بالذهب ونظم بالدر، فقال لها: اختاريني أو اختاري الثوب، فإن اخترت عمر فسأجعل الثوب في بيت مال المسلمين، وإن اخترت الثوب فلست لك بصاحب! فقالت: أعوذ بالله من فراقك ياأمير المؤمنين! فضم الثوب إلى بيت المال.

وهكذا رأى عمر في ذلك الثوب ما ينم عن البذخ والإسراف، وكيف يضمه بيت مع امرأة ليس لها إحساس عمر!

حسبك ياعمر شهادة ملك القسطنطينية الذي بكاك حينما نعيت إليه وقال: لم أعجب لهذا الراهب الذي ترك الدنيا وعبدربه على رأس صومعته، ولكنني عجبت لهذا الراهب الذي صارت الدنيا تحت قدميه فزهد فيها حتى صار مثل الراهب.

أيها المسلمون الذين زخرت خزائنهم بكنوز الذهب وملكوا الضياع وشادوا العمائر، ورفلوا في نعيم الدنيا، وعاشوا لشهواتهم وبطونهم: هذه صور من زهد الرعاة وتقشف الحاكمين وسياسة الراشدين، لعل فيها مايخلق في المسلمين جيلا جديدا من الحكام والمحكومين يبني للإسلام مجده، ويخلد للتاريخ السنة شاكرة، ويعمل للآخرة، والآخرة خير وأبقى.

المجلد الثالث والعشرون

الله هاديها

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

استئناساً بالجواب الشافى الذى ورد فى القرآن الكريم، رداً على كل الأسئلة المحيرة فى الكون والكائنات، والذى جاء فى الأمر الكريم:

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾[1]. **وسيراً على درب العلم الإلهى الذى بينه الله فى قوله سبحانه:**

﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[2].

تظل شهية الإنسان لاستجلاء المجهول واستكناه أسرار الدنيا وحل ألغازها شهية لا يصيبها السأم، ولا يعرف إليها الملل سبيلاً. فطبيعة الإنسان حب المعرفة والانتشاء بعبق كل جديد، تندبه إلى البحث عنه يد القدرة الإلهية وحثته على الهتاف به آيات الذكر الحكيم، قال تعالى:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[3].

ومن هذه الأمور الغامضة عبر القرون والتى لا يمل الإنسان البحث فيها، ما يحيط بهجرة الطيور والحشرات من عجائب وإبداعات. ولاتزال الكيفية التى تتعرف بها ملكات الفراشات على وجه الخصوص الاتجاه الذى تسلكه فى أثناء رحلة طيرانها فى هجرة كل عام، سراً جديراً أن يماط عنه اللثام، فعندما

قام العلماء بدراسة الصفات التشريحية لذلك المخلوق الرقيق ذى الألوان الزاهية الجميلة، رأوا عجباً من خلق الله، وما بث فى دنياه، فمن مكونات هذا المخلوق توجد -أحياناً- بعض الجزيئات التى بدا أنها مصنوعة من معدن يسمى «الماجناتايت» وهو أكسيد الحديد الأسود وتعتبر تلك المادة أحد أشكال

---

(١) سورة الأعلى/ ١ : ٣.

(٢) طه/ ٥٠.

(٣) طه/ ١١٤.

أكاسيد الحديد، وحين توافرها بكميات كبيرة تعد خاماً مفيداً من ذلك المعدن، لكنْ تضاؤل كمياتها لا يقلل أبداً من جدواها أو ينفي نفعها، وتتمثل فائدتها العظمى فيما يوحي به اسمها، وهو عنصر (المغناطيس) الذى أوجده البارى فى الطبيعة، وهو يعد المركب الرئيسى والمكون الأساسى للبوصلات الأولى فى الكون.

وحتى لا يأخذنا زورق العلم بعيداً عما نود التركيز عليه نقول: إن ملكات الفراشات تشتهر بسفرها المسافات الطوال دون أن تصحب معها خرائط أو رسومات تستدل بها على الطريق، وهى بذلك حازت قصب السبق فى هذا المجال، متفوقة حتى على قدامى البحارة الذين كانوا يواجهون شتى المصاعب فى خوضهم عباب الأمواج.

ولهذه الملكات رحلات متعددة وتنقلات لا يعد لها قرار، ففى الشتاء يأخذ كل جنس الملكات الذى يبلغ حوالى مائة مليون من المخلوقات فى البيات الشتوى، وذلك فى بضع غيضات ورياض كثيرة الأشجار كثيفة الأغصان، فى قلب المكسيك، وما إن يأتى الربيع -باسم السن مشرق المحيا- حتى تشرع كل تلك الحشرات فى الطيران جهة الشمال.

أما إذا حل الصيف اتجهت الملكات بعيداً بعيداً ناحية كندا، وما إن يضرب الخريف أطنابه حتى تنقلب الصورة، إذ أن الملكات التى هاجرت فى الربيع إلى الشمال تقوم أحفادهن بالهجرة ناحية الجنوب التماساً لما فى أشجار المكسيك من أمان وغذاء وقبر، ولقد كان النجاح الذى تحققه هذه الملكات ولايزال مبعث حيرة ودهشة علماء الحشرات والهوام لعشرات السنين، ويكمن سر ذلك الانبهار بهجرة ملكات الفراشات فى أنها لا تهاجر فى جماعات كالطيور، وإنما تهاجر فرادى. أى: أنها لا تتبع قائداً يرشدها، أو موجهاً يأخذ بأجنحتها إلى الوجهة الصحيحة.

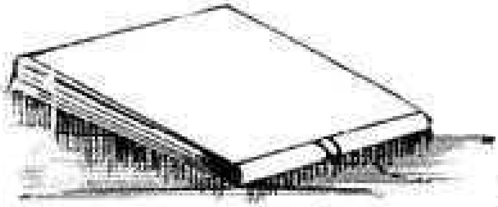
وبعد: فقد نشرت دراسة فى مجلة (Proceedings of the Nat ional Academy of Sciences).

أزالت بعض الغموض الذى يحيط بهجرة ملكات الفراشات ويشرح السبب الذى يجعلها تحمل بين مُركَّباتها مقدارا صغيراً من خام الحديد.

فقد اختبر الأساتذة الباحثون فكرة مؤداها أن ملكات الفراشات تحوى بداخلها بوصلة مغناطيسية، تبين لها الاتجاه الذى تسلكه فى طريق الذهاب والإياب، وقاموا أولاً بأخذ بعض الملكات التى كانت على وشك أن تبدأ رحلة الخريف وأجروا عليها تجربةً بسيطةً، إذ تم إطلاقها فى وسط حجرة مستديرة الشكل، فطارت على الفور، واستمرت فى الطيران، وواصلت القفز والركض، حتى بلغت جدار الحجرة، ثم قام العلماء بتسجيل النقطة التى حطت عليها الفراشات أولاً، وبالتحديد، ثم اتخذت التجربة

منحى آخر، إذ تم تقسيم الملكات موضوع التجربة إلا ثلاث مجموعات، حيث تبعت المجموعة الأولى في طيرانها المجال المغناطيسي العادي للأرض، ومن ثم اتجهت معظم تلك الحشرات إلى الجنوب الغربي أي الاتجاه الذي تسلكه في رحلة الهجرة في الخريف، أما المجموعة الثانية فقد أحيطت بجو يخالف سابقتها، إذ تم وضع الحجرة المذكورة في التجربة الماضية في داخل غرفة أكبر منها وتم طلاء حوائط الغرفة الجديدة بسبيكة مكونة من معادن النيكل والحديد والنحاس والموليبدينوم وهو عنصر معدني هش يمزج بالفولاذ، لحفظ صلابته ضد الحرارة الشديدة. وهذه السبيكة تعكس المجال المغناطيسي، وهنا حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد هامت الملكات على وجوهها، وضلت طريقها وأخذت تطير طيراناً عشوائياً على غير هدى، أما بالنسبة للمجموعة الثالثة فقد تم إحاطة الحجرة -تمييزاً لها عن الغرفة السابقة- بحلازون أو لولب أو حاوية كهرومغناطيسية، واستخدم هذا الحلازون لإنتاج مجال مغناطيسي يشبه في قوته المجال المغناطيسي للأرض لكن مع تعديل جذري، هو أن تكون الأقطاب متعاكسة بغرض إحداث التنافر بينهما ورداً على هذا الوضع المقلوب قامت الملكات بالطيران جهة شمال الشرق، وتوحي هذه النتائج أن هجرة ملكات الفراشات يوجهها في واقع الأمر بوصلة مغناطيسية ربانية وعلى الرغم مما تبين من تجارب سابقة من أن الشمس إلى جانب المجال المغناطيسي للأرض داخلة فيما تستدل به الطيور والحشرات في هجرتها من مكان إلى آخر فإن في الأمر سراً كامناً، لكن الجديد في هذه التجارب هو أنه تم تنفيذها داخل غرف ليس بها أي نوافذ وذلك بغرض استبعاد الشمس من التجربة، وأما تفسير وجود تلك البوصلة داخل الفراشات، فإنه أمر يتطلب تنوعها من جيل إلى جيل، فغريزة الطيران ناحية الجنوب الغربي لن تكون ذات جدوى في الربيع حينئذ، وحتى الآن فإن الباحثين لم يتأملوا سر ملكات الفراشات المهاجرة أثناء فصل الربيع، لكنهم قاموا بدراسة بعض الملكات اللاتي بقين ثاويات في أماكنهن في الربيع، وهن طبعاً أحفاد أولئك المهاجرين، لكنهن لم يعشن طويلاً ليفعلن ما فعل الآباء والأمهات، والسبب أن الحاسة المغناطيسية لديهن قد تلاشت وزال أثرها، وأما إن كانت تلك المخلوقات سوف تجشم نفسها عناء إنتاج المغناطيس فإن ذلك أمراً يحتاج أن يقول العلم فيه قولاً حاسماً ورأياً فصلاً، ولربما كانت الحقيقة هي أن تلك الفراشات الرقيقة لم يجدن من يعتني بهن من كبار الفراشات، ويعلمهن كيف يطورن ما لديهن من إمكانات، ليستفدن منها أقصى فائدة ممكنة، وعلى أية حال فإن البارى - سبحانه - قد وهب لكل مخلوقاته من العطايا والمنح والنعم والهبات والآلاء ما يحفظ عليها حياتها، ويجعلها تتعايش في البيئة التي تلائمها وتأخذ منها ما يلبي حاجياتها، وبتماشى مع طبيعتها أياً كانت.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

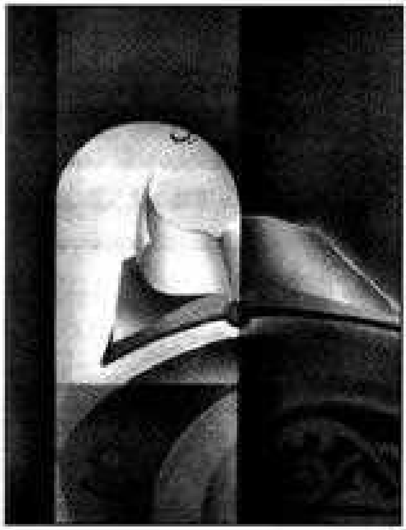
المحرر

قاموس كلمات القرآن للأطفال

إعداد
محمد العبد

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

● أيها القارئ الكريم إن مجلة الأزهر، هى صاحبة السبق الأول وإن باب دوحة الكتب، يقدم الجديد والمفيد، للأسرة المصرية وبخاصة بعد أن أرسل إلينا بعض القراء، واتصل البعض الآخر، وهم سعداء لما نقدمه؛ حرصاً على أسرهم، من المؤلفات الضعيفة، وبعض مرضى النفوس فيما يكتبون نقدم هذا القاموس الذى يعرض لأول مرة بهذا الشكل الميسر والمفيد لكل الأطفال المسلمين، فى بقاع الأرض، بتحليل واف وطريقة جديدة لهؤلاء الصغار بشرح



بأسلوب سهل القرآن الكريم ويلقى الضوء على معانيه، ويوضح مراميه.

وقد اعتمد فيه المُعد في جمع مادته، على خلاصة ماكتبه العلماء والمفسرون، باعتبارها أغنى مصادره، وأهمّ روافده.

وعندما يسبح الطفل في هذا المعجم يعيش بين صفحاته يفهم تفسيره وموضوعاته بحب وإخلاص، وفهم واعٍ، وإدراك سليم.

● هذا المعجم مخصص للأطفال حتى يصبح تفسير القرآن في متناول كل طفل وحتى يفهمه في أثناء حفظه وتلاوته.

● وهذا الكتاب يضم أكثر من ٤٥٠ صفحة ويشجع الطفل على مواصلة قراءته نظراً لطباعته، وورقه الملون وخطه الواضح والعناوين الفنية الظاهرة والخط الكبير الذي يضيف للطفل فرصة تعلم الخطوط المتنوعة وجمال الحرف العربي، ثم علامات الضبط التي تبين له النطق السليم للعربية الفصحى.

● وبهذا نكون قد عرضنا مجموعتين من الكتب المعجمية للقرآن الكريم، في العام الماضي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وهذا العام هذا المعجم، الذي بين أيدينا نقدمه للطفل المسلم حتى يصبح عالما بأمور دينه ودنياه متفقها وفقيها، وهذا ليس بعسير عليه بعد أن حفظ القرآن كاملا، والأحاديث كاملة، وهو مازال في سن صغيرة جداً.

اللغة العربية والتعريب

تأليف ـ الدكتور / عبدالكريم خليفة

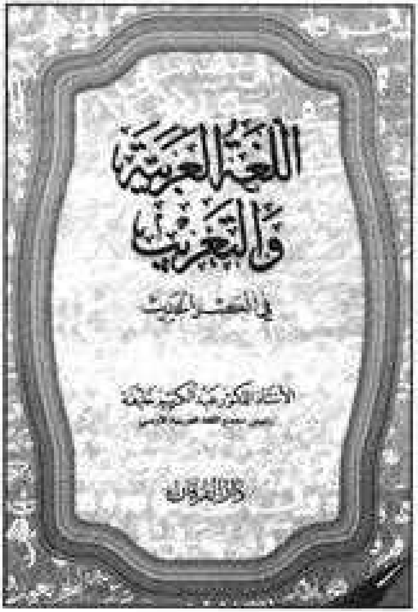
الناشر / دار الفرقان بالاردن

أيها القارئ الكريم: إن اللغة العربية قد قامت، وتقوم بدور مؤثر وفعال، في الماضي والحاضر، في حياة الشعوب، التي اعتنقت الإسلام، واتخذته منهاج حياة.

● لم يمض قرن من الزمان، حتى أصبحت اللغة العربية، لغة الكتابة، والتجارة، والسياسة والقضاء والعلوم والآداب، فاللغة أم التفكير، وماكان للمعرفة أن تأتي إلى حيز الوجود بدون اللغة وهي أساس نهضة أمتنا ووحدتها.

● والتقدم العلمي بما فيه من وسائل سمعية ومرئية، ومقروءة، وتقنية أصبح له دور كبير في إحداث تغيرات كبيرة في الحياة الاجتماعية، لبني الإنسان، ولا سيما ذلك التطور في تقنيات الاتصال اللغوي.

● ويقول ابن جني، العالم اللغوي المشهور: «إن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد



عن الطريقة المثلى إليها، فإما استهواه، واستخفّ حلمه ضعفه فى هذه اللغة الكريمة الشريفة، التى خوطب الكافة بها.

● وتحدث الكثيرون عن اللغة والبيان، ومسيرتها مع الأمم والشعوب حتى وقتنا هذا.

● وهذا الكتاب الذى يضم أجمل ما كتب عن تطور اللغة، وتطور الحضارة بها. خاصة المقدمة الطويلة، التى تحدث فيها المؤلف عن اللغة والشريعة، والتطور المتلاحق، والتقدم العلمى والحضارى.

● ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن نشأة مجامع اللغة العربية، خاصة الرجوع بأصولها إلى المجامع العلميّة فى المشرق القديم. يرى الباحثون أن أول هذه المؤسسات فى تاريخنا لجنة الترجمة، التى أنشأها الأمير الأمَوى خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، المتوفى سنة ٨٥هـ فى دمشق، وذلك لترجمة الكتب الكيماوية ونحوها من اليونانية إلى العربية، وكذلك (المنصور) وهو الذى وضع أسس (بيت الحكمة)، ويظهر لنا من خلال هذه الأنشطة اللغوية، والمجالات العلمية المتعددة أن أول مجمع للغة العربية هو (بيت الحكمة).

● وتحدث المؤلف بإفاضة عن تاريخ ودور هذه المجامع، واتصالها باللغات الأخرى، وتطورها بتطور الأمم والشعوب، واختلافها باختلاف العصور.

● ثم أشار إلى المجمع اللغوى، الذى أنشئ فى القاهرة ١٨٩٢ برياسة السيد توفيق البكرى، ـ وأيضا فى المجامع اللغوية ـ فى سورية والأردن، والمجمع العلمى الهندى بالهند، وفى جميع أنحاء الوطن العربى وضح دور هذه المجامع فى التوسعات والاجتهادات، ووضع المصطلحات، والترجمة والتعريب، ووضع المعجمات وإحياء التراث.

● ثم تحدث المؤلف عن (اتحاد المجامع اللغوية) الذى تأسس فى إبريل سنة ١٩٧٠م وله شخصية معنوية مستقلة بالقاهرة، ويهدف إلى تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية، والعلمية والعربية، وتنسيق جهودها فى الأمور المتصلة باللغة العربية، وتراثها اللغوى والعلمى.

● ثم أشار إلى تأسيس مجمع اللغة العربية بالأردن سنة ١٩٢٤ وكان أول رئيس له الشيخ سعيد الكرمى، وهذه كانت بداية التأسيس حتى وافق مجلس الوزراء سنة ١٩٧٣ على تأسيسه، ولهذا المجمع أهداف كثيرة منها: إحياء التراث العربى الإسلامى، ونشر فهارس المخطوطات.

● ثم طرح قضية تعريب التعليم الجامعى، والبحث العلمى فى الأردن، منذ الربع قرن الأخير، فى الجامعات، والمؤسسات العلمية، وفى معظم العلوم العلمية والطبية، وطرح هذه التجربة فى تعريب التعلم العلمى الجامعى.

● وتحدث، عن خطورة قضية التعريب قائلا: إن

قضية التعريب لاتنحصر فى كونها قضية لغوية، وإنما تتعدى ذلك لتشكل قضية سياسية تفرض تحديات قوية على الأمة العربية لتتمكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية.

● ثم تحدث عن تأهيل المعلمين، وهيئات التدريس، ثم تحدث عن وسائل تطور اللغة، ودور التراث العلمى، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة، من حيث المشكلات والنمو، والتحديات، والتطور، والتعريب.

● لقد طرح المؤلف كل هذه الأبحاث المتفرقة للإجابة عن سؤال: كيف يمكن أن تصبح اللغة العربية لغة التدريس فى جميع مستوياته ومعارفه ولغة البحث العلمى والتقنيات الحديثة؟

● وأخيرا: فاللغة العربية هى الأمة العربية، والأمة العربية هى اللغة العربية وبدون اللغة ليست هناك أمة عربية.

فى رياض صدق الصحابة

تأليف / نجاح عبدالقادر سرور

● هذا الكتاب: هو محاولة فريدة من نوعها، لإبراز صفة أساسية فى الإسلام، يتحلى بها سيد المرسلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ثم الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ ألا وهى: الصدق عند هؤلاء، تتناول فيه النورانيات، والنفحات والفيوضات من هذا الجيل، الذى زكاه رب العزة.

● فهو يجمع بين صفحاته معنى واحداً.. ألا وهو الصدق، وشريحة سامية من البشر هم خير القرون. صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.



● لنعيش مع هذا الصدق الذى صار مضرب الأمثال عبر القرون، إلى وقتنا هذا.

● قال المؤلف: الصدق من صفات الله ـ تعالى ـ والقرآن كتاب صادق، وقد ورد فيه لفظ الصدق، ومشتقاته مائة وخمسة وخمسين موضعا، بجميع معانى الفعل التى شملت الصدق، والصداقة، والصدقة..

● ثم تحدث المؤلف عن صفة الصدق الملقب بها الصادق الأمين منذ صغره، وقبل بعثته وذكر المؤلف قضية الحجر الأسود فى الكعبة، قائلا: عندما اختلفت فى وضعه القبائل وكادت أن تنشب العداوة فيما بينهم، وهنا قال أمية بن المغيرة ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم وكان أسن قريش، قال: يامعشر قريش، إجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه. ففعلوا فكان أول داخل دخل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما رأوه قالوا: هذا

الأمين رضينا، هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: هلموا إليّ ثوباً فأتى به وأخذ الحجر ووضعه عليه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم بنى عليه.

● أيضا تحدث المؤلف عن صدق الصحابة خاصة، علاقة الصديق بالصادق الأمين، وإسلامه وأثر الصدق فيه.

أيضا تحدث المؤلف عن الثلاثة الذين خلفوا، حيث قال: من مواقف الصدق العظيمة مع الله هذا الموقف الرائع الذى حدث لثلاثة من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو موقف فيه من التربية النبوية مايستحق أن يكون دستورا لكل أب مع بنيه، ولكل قائد مع جنوده، ولكل معلم مع تلاميذه، ولكل حاكم مع رعيته، الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزوة تبوك وهم: عبيد الله بن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العامرى، وهلال من أمية الواقفى، هؤلاء الثلاثة الذين لم يكذبوا على رسول الله، بل صدقوا فى قولهم، حين قالوا: والله ماكان لنا عذر والله ماكنا قط أفرغ ولا أيسر منا حين تخلفنا عنك قال: فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أما هؤلاء فقد صدقوا فقوموا حتى يقضى الله فيكم.

● أما الثمانين رجلا الذين طفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، فيقبل منهم رسول الله علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله – تعالى.

أيضا أشار إلى صدق الإمام على، وصدق الصحابة مع كتاب الله، ثم صدق الصحابة فى متابعة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

● ثم صدقهم مع حديث رسول الله فى التدوين والدقة فى الحديث، ثم صدقهم فى تقديم المشورة، أيضا صدقهم مع أنفسهم كالتوبة، وذكر منها: حادث الإفك، وكذلك حادث ماعز والغامدية.

● أيضا وضّح المؤلف صدق الصحابة فى العبادة والطاعة، والصبر على الأذى، ثم صدقهم مع الناس فى النصيحة، والعمل، والمعاملة، والدعوة والعلم وطلبه.

ثم صدق الصحابة مع ذويهم، وفى الحوار والسياسة والحكم والقضاء.

● وأشار ـ أيضا ـ إلى صدق الصحابة فى أقوالهم، ثم صدقهم ومناقبهم مع من يكذب عليهم.

ومن خطبه لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ قال: عليكم بالصدق، فإنه مع البر وهما فى الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما فى النار.

● وقال عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه: أصدق الحديث: كتاب الله وأوثق العرى: كلمة التقوى، خير الملل: ملة ابراهيم ـ عليه السلام ـ وأحسن السنن: سنة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وخير الغنى: غنى النفس، وأعظم الخطايا: اللسان الكذوب.

● وأخيرا عزيزى القارئ من خلال هذه المعايشة مع هذا الكتاب، الذى عاد بنا إلى صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلى مدرسته التى تحلت بالصدق والفضيلة وماأحرانا أن نتمسك بمبادئهم القويمة، وسلوكهم النبيل وأن نتخذهم قدوة ومثلا ولا غرو، فقد قال الحبيب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم».

تغريدة السيرة النبوية شعراً ونثراً

تأليف / محمد عايش عبيد

● كما أنا سعيد بهذا الكتاب الذى يخرج عن التقليد والأسلوب الواحد فى الكتابة عن السيرة الذاتية، لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى اعتادها كل مؤلف، وازدادت سعادتى عندما قرأت هذه الصفحات، وعشت داخلها سابحا فى محراب السيرة العطرة، التى تكتب كاملة لأول مرة، بهذا الأسلوب، يتغنى بها كل من عاش معها ليجد الدقة، والاستشهاد بالأحداث، والاستنباط الواعى والحاضر.

● والشعر، هذا الكلام الذى يطرق كل أبواب القلوب، فهو لغة العواطف، ولكن، كيف يصل هذا المؤلف بهذه اللغة الشعرية إلى عمق السيرة المطهرة، بهذه التغريدة القيمة، وحلاوة الكلمة، وانسجام النظم، وطلاقة القافية.

لقد حرص المؤلف على المعايشة مع السيرة العطرة، بأحداثها العظيمة، قراءة وتحليلا. أعواما طوالا، بأقلام الكثيرين، من قدامى، ومعاصرين، وعرب، ومسلمين، ومستشرقين.

● وقال المؤلف محمد عايش فى مقدمته: الذى دفعنى لتأليف هذا الكتاب، أن السيرة النبوية قد أهملت دراستها، وقراءتها، وأصبح معظم الناس ـ لاسيما شبابنا المثقف ـ يجهلون



سيرة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحيث استهوتهم دراسة حياة بعض الشخصيات، وتأثروا بها.

● وسبب إعراضهم عن قراءة كتب السيرة، أولا: لكبر حجمها، ثانيا: لأنها مصوغة باللغة العربية الفصحى، بألفاظها الجزلة، التى يحتاج القارئ معها إلى قاموس يرجع إليه، عند كل جملة. ثم اعتمادها على الشعر العربى القديم.

● وبما أن الإنسان يستهويه كل ماهو منظوم، وموزون، فقد حرص المؤلف أن يقدم الجديد، من خلال شعر موضوعى، هادف، شعر عف طهور، تلمح الإيمان يشع من ثنايا سطوره وكلماته.

● وهو سبحات تعمق فى سيرة الرسول ـ صلى

الله عليه وسلم ـ وما حوته من أحداث وعبر، ولحن شجي يتغنى بأمجادنا الخالدة، التي هي تاريخنا المشرق.

وفي مقطع رقم ١ يصف حال الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية قائلاً فيها:

كان الظلام مخيما في كل الجزيرة
لم يغشها نور السماء، فأظلمت منها البصيرة

حتى انتهى إلى:

كمن يهتدوا بعد الضّلال ويستقيموا في المسيرة
هذا لسان الحال يهتفُ بالمقال وبالسّريرة
كانت رسالات السماء تعوزها أخرى أخيرة
فاستكملت بمحمد ختم الرسالات الكثيرة

● ثم يوضح المؤلف المعنى الإجمالي للمقطع، بأسلوب سهل بسيط مشوق، وطرح في عدة مقاطع إعادة حفر زمزم، وحضور سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ حلف الفضول، ثم الأمر بدعوة الناس إلى التوحيد سرا وجهرا، وأحزان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وزواجه من السيدة خديجة، والسيدة عائشة ـ رضي الله عنهما - وبيعتي العقبة، وكتابة العهد بين المسلمين واليهود.

● حتى انتهت في الجزء الأول إلى هجرة المسلمين إلى المدينة، ولم يبق سوى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والاثنان. قائلاً:

المسلمون جميعهم قد هاجروا متتابعين
قد كان وجهتهم ليثرب أرض قوم مؤمنين
أبواب يثرب فتحت للمسلمين القادمين
كل الصحابة هاجروا للظلم كانوا هاجرين

● أما الجزء الثاني فاستهله المؤلف باستقبال الأنصار للمهاجرين

● ثم وصول رسول الله إلى قباء، ثم بناء مسجد رسول الله.

● تحدث ـ أيضا ـ عن مرحلة الدعوة الإسلامية الجديدة. بداية من الأذان للصلاة، بدايته، وكيفيته

● قائلاً:

نادى بلال بالأذان فنعم صوت الأوفياء
الصوت يطرق سمع عُمر جاء يرفل في الرداء
ويقول: جئت بمثل هذا يا إمام الأنبياء
قال النبيُّ: فإن جبريل الأمين بذاك جاء

● وهكذا قص علينا المؤلف سيرة الرسول بأسلوب شعري جميل، ونثري بديع، يخاطب به العامة قبل الخاصة، حتى يفهمه الجميع، وتصبح سيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعلمها الشباب المسلم، ويفهمها، لتقوم فيه روح الإسلام، والحرص عليه.

● هذا الكتاب جديد في أسلوبه، فريد في بابه، يختلف عن كل الكتب في طريقة تأليفه وتبويبه، فهو مزدوج الصياغة، ومزدوج الفائدة شعرا ونثرا معا.

● كم هو جميل وسهل، ومبدع، يجعلك في رحلة طويلة ترى خلالها التأسيس الحقيقي للدولة الإسلامية، والحب الحقيقي من الرسول، وللرسول، والصفاء، والوحدة، التي تجمع المسلمين على كلمة سواء، واعتصام بحبل الله.

● فعليك بهذا الكتاب، واجعله عنوان مكتبتك الإسلامية.

بين المجلة.. والقارئ

اعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

يوم مبارك

لما أصاب السيل الكعبة، بيت الله الحرام، وأجمعت قريش رأيها على إعادة بنائها، اختصت كل بطن من بطون قريش ببناء قسم، ولكنهم اختلفوا فيمن يحظى بشرف وضع الحجر في مكانه.. «تجادلوا فيمن يضعه، وتحالفوا، وكان الخلاف شديداً، وكادت الدماء تسيل لتلع فيها السيوف، أراد بنو عبد الدار أن يضعوه بما أعطاهم من قبل قُصيٌّ من سدانة البيت، وقربوا جفنة مملوءة دماً، ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت، وأدخلوا أيديهم في الدم المملوءة به الجفنة»[1]. ولولا الاستماع إلى صوت العقل، لدارت حرب طاحنة.

استقر الرأي أن يكون الحكم لأول من يدخل من باب المسجد، وكان أول الداخلين هو الأمين محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - فقال كبيرهم: هذا الأمين رضينا به حكماً.... وأخبروه، فطابت نفسه وقرت عينه، إذ قرت به القلوب المضطربة.. وقال: هلم إليَّ ثوباً فأتي به، فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً، ففعلوا، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه، بيده الشريفة، ثم بني عليه»[2]..

ورجع (صلى الله عليه وسلم) إلى بيته ليلقى زوجه - خديجة - رضي الله عنها - تخبره بمولد ابنته، فاستبشر خيرا بمولدها في هذا اليوم المبارك، وعلم أن سيكون لها شأن عظيم، فأسماها فاطمة ولقبها بالزهراء.

وعن السيدة فاطمة الزهراء وردت رسالة القارئة / مايسة صديق عبد الفتاح - جامعة الأزهر بالمنصورة تقول:

فاطمة الزهراء

ولدت السيدة فاطمة الزهراء بمكة يوم الجمعة العشرين من جمادي الآخرة، وقريش

---

(١) خاتم النبيين للإمام محمد أبو زهرة جـ ١ ص ١٥٤ - دار الفكر العربي

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥ - نقلاً عن سيرة ابن هشام

تبني الكعبة قبل البعثة بخمس سنين.

وهي صغرى بنات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأحبهن إليه، وقال عنها: «فاطمة بضعة مني يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»[1].

تزوجت من علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه- ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فولدت له حسناً وبه كان النبي يكني، وحسيناً، وفيهما قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «هما ريحانتاي من الدنيا»[2].

وقد بارك الله في ذريتهما، ونفع بهم الإسلام والمسلمين، وكان منهم سادة، وقادة، وأئمة في العلم والدين والجهاد والزهادة.

وولدت فاطمة لعلي: زينب وأم كلثوم[3].

وقد أخبر -صلى الله عليه وسلم ـ أنها سيدة نساء أهل الجنة[4].

والسيدة فاطمة تدعى: الصديقة، والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية، والمرضية، والمحدثة، والزهراء.

وكانت - رضي الله عنها - تلقب بالبتول تشبيهاً لها بمريم في المنزلة عند الله.

وكانت فاطمة -رضي الله عنها- تمثل أشرف ما في المرأة من إنسانية وكرامة، ورحمة، وكانت مضرب المثل في الذكاء الوقاد والفطنة الحادة والعلم الواسع، وكفاها فخراً أنها تربت في بيت النبوة، وتخرجت في مدرسة الرسالة، وتلقت عن أبيها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما تلقاه عن رب العالمين ـ سبحانه وتعالى ـ.

يا اللـــــه

ومن القارئة/ عبير محمد نصار.. بحيرة:

وصلت هذه الرسالة التي تحمل أقدس الأسماء «**الله**» والتي تصاحب المؤمن في كل أحواله.

تقول القارئة:

من منا لا يحتاج إلى عونه؟!.. من منا لا يلجأ إلى بابه؟!..

﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾

.. الرحمن/ ٢٩.

* إذا اضطرب البحر، وهاج الموج، وهبت الرياح، نادى أصحاب السفينة.. **يا الله**.

* إذا ضل المرء في الصحراء ومال الركب عن الطريق وحارت القافلة في السير نادوا: **يا الله**....

* إذا وقعت المصيبة وحلت النكبة وجثمت الكارثة، نادي المصاب المنكوب: **يا الله**..

---

(١) حديث متفق عليه.

(٢) الجامع الصحيح للبخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين.

(٣) السيرة النبوية.. لأبي الحسن الندوي ص ٣٦١ ط دار الشروق جدة.

(٤) جامع الترمذي جـ ٢ ص ٢٢٦ (الطبعة الهندية)

* إذا أوصدت الأبواب أمام الطلاب وأسدلت الستور في وجوه السائلين، صاحوا: **يا الله**...

* إذا ضاقت عليك الأرض بما رحبت.. وضاقت عليك نفسك.. فاهتف: **يا الله**...

* إذا بارت الحيل، وضاقت السبل، وانتهت الآمال وتقطعت الحبال.. نادوا: **يا الله**...

... إليه يصعد الكلم الطيب، والدعاء الخالص والهاتف الصادق، والدمع البريء... والتفجع الواله.. إليه تُمد الأكف في الأسحار والأيادي في الحاجات والأعين في الملمات... باسمه تشدو الألسن، وتستغيث وتلهج وتنادي... وبذكره تطمئن القلوب وتسكن الأرواح، وتهدأ المشاعر، ويستقر اليقين...

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾.. الشورى/ ١٩.

... **الله**... أحسن الأسماء، وأجمل الحروف، وأصدق العبارات، وأثمن الكلمات..

﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾.. مريم/ ٦٥.

الله... العناية واللطف والغوث، والمدد... **الله**... الجلال والعظمة والهيبة... والجبروت...

مهما رسمنا في جلالك أحرفاً

قدسية تشدو بها الأرواح

فلأنت أعظمُ والمعاني كلها

يا رب عند جلالكم تنداح

.... اللهم فاجعل مكان الخوف أمناً... وجزاء الحزن سرورا...

طالب الأزهر

أما القارئ/ فؤاد السيد شعيب ناظر معهد لقانة الابتدائي الأزهري فأرسل هذه الرسالة التي ترسم صورة الطالب الأزهري... تلك الصورة التي نتمنى أن يكون عليها كل طالب أزهري يقول:

الطالب الأزهري.. ينبغي أن تكون له سمات ومواصفات خاصة وظاهرة..

ينبغي أن يُعْرف بين الناس.. وفي المجتمع بإخلاصه.. بعلمه.. بثقافته.. بشخصيته.. بالتزامه.. بأدبه.. بورعه.. بتقواه.. بخشيته لله.. وبغزارة علمه، وبخاصة في مجالي اللغة العربية.. والشريعة الإسلامية..!

الطالب الأزهري ينبغي أن يكون مثلاً يحتذى به.. وقدوة يقتدى بها.. وعالماً يهتدى بعلمه.

إن على الطالب الأزهري أن يعرف للأزهر قدره.. وقداسته.. وجلاله.. ووزنه.. ومكانته.. وكيانه.. كما كان الأزهري قديماً يعرف ذلك.. لأن الأزهر الشريف هو منارة العلم والعلماء.. وهو حصن اللغة العربية وحاميها..! وراعيها..!

وكفى بالأزهر فخراً.. دراسة أشرف الكتب على الإطلاق.. كتاب الله ـ تعالى ـ القرآن الكريم حبل الله المتين.. ودستور الحياة.. حفظاً وتفسيراً ولغة وأحكاماً..

وكفى بطالب الأزهر فخراً أنه ابن من أبناء الأزهر نبت وغُذي وترعرع على علوم الأزهر..

غواص في لغة الضاد

للأستاذ / السيد أحمد أبو الفضل

نشقفها حتي تلين متونها	فيقصر عنها كل من يتمثل

ويواصل الغواص جمع الآلي، فيقول:

* **أخذت، أو أخذ الطائرة أو القطار:**

من الأخطاء الحديثة التي انتقلت إلينا عدواها من الترجمات الحرفية عن اللغات الأجنبية قولهم في السفر أخذتُ الطائرة من مكان كذا إلى مكان كذا، أو خُذْ الطائرة أو القطار، بدلاً من: سافر في الطائرة، أو اركبْ القطار. ومثله أيضاً قولهم: خُذْ وقتك، بدلاً من تأنَّ، أو تمهلْ.

* **وجه القول في «خُطبة» و «خِطبة»:**

يستعمل الناس خطأ لفظ «خُطبة» بضم أوله، لمعنيين مختلفين، والصحيح أن هناك فرقاً بينهما، فبضم أوله يكون من الخطابة، تقول: خطب الخطيب الناس خُطبة بليغة. فالخُطبة ما يلقى على المنابر، وخُطبة الكتاب مقدمته.

أما الخِطبة، بالكسر، فهي طلب الزواج. قال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1].

والخِطْب، بالكسر أيضاً، الذي يخطب المرأة، وهي خِطبه التي يخطبها، وخِطبته.

فالخِطْب يجري على الشاب الخاطب والفتاة المخطوبة، فلا يقال في الفصيح هو خطيبها، وهي خطيبته، بل هو خِطْبها، وهي خِطبه، إذ عرفنا أن الخطيب هو الذي يعلو المنابر.

* **وجه القول في: «حيّ على الصلاة، وحيّ على الفلاح»:**

كثيراً ما نسمع بعض المؤذنين ينطقون عبارة النداء إلى الصلاة بقولهم: «حيْ» بكسر الياء المشددة فيهما، والصواب فتح الياء في «حيَّ»، لأن «حيَّ» اسم فعل أمر بمعنى «أقبل» أو «أقبلوا» لأنه مبني يستعمل للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد. ومثله مثل قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾[2]. في لغة الحجازيين، إذ يقول التميميون: «هلموا» بتصريفه تبعاً للمخاطب.

* **وجه القول في: «لا شُلّتْ يمينك»:**

نسمعهم كثيراً يقولون: لا شُلَّتْ يمينك، بضم أوله في معرض المدح والدعاء لمن أحسن عملاً. الضم خطأ، وهو لغة رديئة، والصواب فتح الشين. والشواهد كلها جاءت تؤيد الفتح.

(١) البقرة: آية (٢٣٥).

(٢) الأنعام: آية (١٥٠).

والشلل: يبس اليد وذهابها أو فساد فيها، وهو معروف. فيقال: شَلّتْ يده، وأشلّها الله. ومثل: شلّ: حلّ، وحلّ، وقلّ.. وهو كثير.
قال الشاعر:

فشلّت يميني يوم أعلو ابن جعفر
وشلّ بناناها، وشلّ الخناصر!

وقال غيره:

وكنتُ كذي رجلين: رجلٌ صحيحةٌ
وأخرى رمى فيها الزّمانُ فشَلّت

وفي الحديث:
«شلّت يده يوم أُحُد»، وهو أشلّ، والأنثى: شلاّء.

القلب يحيا بنور العلم

ومن بيلا - كفر الشيخ.. أرسل إلينا القارىء / خيري محمد أبو الروس هذه الكلمات لأحد الصالحين يوصي ابنه.. نعرض منها قوله:

«يا بُني: لا تضحك من غير عجب، ولا تمش في غير أدب. ولا تسأل عما لا يعنيك.

يا بُني: لا تُضيع مالك وتُصلح مال غيرك. فإن مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت.

يا بُني: زاحم العُلماء بركبتيك، وأنصت إليهم بأذنيك، فإن القلب يحيا بنور العلماء كما تحيا الأرضُ الميتةُ بمطر السماء».

حقاً.. إنها لموعظةٌ بليغةٌ يجب أن توضع في حساب كل إنسان حتى ينجو بنفسه إلى بر الأمان.

«صنعة الله»

والقارىء عبد الوهاب عبد الغفار عمر - البحيرة - شبراخيت:

أرسل إلينا هذه المعلومات عن الجرذ القنغري، حيث جذب انتباهه أنه لا يشرب الماء مطلقاً.. فيقول:

من أطرف الحيوانات التي تقطن في الصحراوات الأمريكية حيوان صغير من عائلة القارضات، لونه كلون الغزلان الصغيرة، يشبه الفأر، بالرغم من أنه لا هو جُرذ ولا هو قنغر، ولكن السبب في هذه التسمية يرجع إلى أن رجليه الخلفيتين الزائدتي الطول اللتين يقفز بهما في الصحراء كقنغر صغير رفع رجليه الأماميتين القصيرتين صوب رقبته وهو يستطيع القفز مسافة ثلاثة أمتار أو حوالي عشرة أمثال طول نفسه وذيله أطول من بقية جسمه، وينتهي بخصلة بيضاء من الشعر.

يستطيع أن يعيش دون أن يذوق قطرة من الماء أبداً.. ولقد حاول الذين استأنسوا هذا الحيوان أن يقنعوه بأن يشرب..... ولكنه لم يشرب مطلقاً. بل أنه لا يُحبُ أن يُبلل فروته الحريرية، وفي أثناء المطر يظل داخل جحور تشبه المتاهة يتخذها مسكناً له وكل الماء الذي يحتاج إليه الجرذ القنغريُ ليبقى حياً- وهو يحتاج إلى الماء مثلما يحتاج إليه كلُ كائن حي- فإنه يستخلصه من الحبوب والغذاء الذي يتناوله.

من إبداعات القراء:

« حُبّي لأحمد » (صلى الله عليه وسلم)

حُبي لأحمد فاق الحبَّ للولد ... أو للحياة وللأحباب والبلد !
يارب صلِّ على الهادي وعترته ... واجمع إلهي بنا في الخُلد للأبد !
الروحُ تهفو له .. والقلب في شُغُلٍ ... من حُبِّ خيرِ الورى السيد السند !
إني انتظرتُك في الرؤيا لتسعدني ... فلم تزرني .. وشوقي مُحْرِقٌ كبدي !
إني - حبيبي - في شوق لرؤيتكم ... والشوق يجري مني في سائر الجسد !
العمر يمضي .. وما ابتلَّت جوانحنا ... والروحُ تنساب والقلبُ الحبُّ صدى !(١)
إني رأيتُك في رؤيا المُنى غرضاً ... ولم تُنِرني بوجهه النور والرَّغد !
عذراً - حبيبي - إني لا أطيق قلى (٢) ... فجُد برؤيا تقيم بنورها أودي !
الروح هامت بكم .. والقلب في نغم ... من حُبِّ خير الورى كالطائر الغرد !
إني أحبك .. كيف اللفظ يسعفني ... أو كيف يرسم شعري لوحة الأبد !

***

قررتُ بيعك يا دنياي قاطبةً ... فيك الجميلُ .. ولكن بين ألف ردى !
أنت المتاع الذي قد غرّنا زمناً ... يا من ملأت الورى بالحقد والحسد !
عني تولّي .. وداعاً دونما أسف ... فكم قتلتِ المُنى بالعمد والرصد !
إني اعتصمتُ بحبل الله في ثقة ... أني سأمضي .. ونصرُ الله ملء يدي !
الذكرُ جندي .. وتقوى الله أسلحتي ... والمصطفي .. بعد مدِّ الله لي .. مددي !
حسبي .. وكل مُناى الشربُ من يده ... والقربُ منه .. وهذا غايةُ السعد !

القارئ / نجاح عبد القادر سرور
محافظة البحيرة
كوم حمادة - كفر بولين

---

(١) صدى : ظامىء.
(٢) قلى : هجراً

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ـ شيخ الأزهر الشريف، بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة سعادة رئيس دولة باكستان الجنرال برفيز مشرف رئيس السلطة التنفيذية لجمهورية باكستان الإسلامية والوفد المرافق لسيادته فى ١١ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٦ أبريل ٢٠٠٠م، وذلك فى إطار زيارته الرسمية لجمهورية مصر العربية بدعوة من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف الكبير والوفد رفيع المستوى المرافق لسيادته فى رحاب الأزهر الشريف معربا عن عمق الروابط الأخوية بين مصر ودولة باكستان الإسلامية الشقيقة منذ عشرات السنين شارحا دور الأزهر العلمى والتعليمى فى جميع المراحل الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، والجامعية، وأن الدراسة فى الأزهر تمتاز بالاعتدال والتوسط، وأوضح فضيلته ما اشتملت عليه شريعة الإسلام من سماحة ويسر، وأن حفظ القرآن الكريم هو الأساس الذى تبنى عليه العلوم الشرعية والعربية، من أجل ذلك نهتم بتحفيظ الطالب الأزهرى القرآن الكريم كاملا أثناء مراحل التعليم المختلفة، ثم تدرس العلوم الشرعية من تفسير وحديث شريف وفقه، كما تدرس العلوم العربية من نحو وصرف وأدب وبلاغة، إلى جانب العلوم الأخرى مثل، الرياضة والطبيعة والكيمياء واللغات الأجنبية كاللغة الانجليزية والفرنسية والألمانية، والأزهر يقوم بتدريس جميع المذاهب الفقهية، وهو فى دراسته هذه ينبذ التعصب الأعمى والعنصرية البغيضة، ونعتبر أن كل من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فهو مسلم.

وأوضح فضيلة – شيخ الأزهر الشريف – أنه قد تخرج فى جامعة الأزهر طلبة من دولة باكستان خلال العشر سنوات الماضية بلغ عددهم ٢١٦ طالبا منهم فى حصل على الدكتوراه فى تفسير القرآن الكريم، وفى الأحاديث النبوية الشريفة، ويوجد من باكستان طلبة يتعلمون فى

الأزهر الشريف فى مراحل التعليم المختلفة ولدينا ٥٦ طالبا يقيمون بمدينة البعوث الإسلامية، كما توجد بدولة باكستان معهد نموذجى أزهرى ابتدائى إعدادى فى إسلام آباد بباكستان كما يوجد بعثة من علماء الأزهر الشريف، عددها ٥٣ مدرسا وعالما يدرسون لأبناء باكستان كل المناهج والعلوم والمواد التى تدرس فى الأزهر الشريف إلى جانب أنهم يلقون المحاضرات والدروس وخطبة الجمعة فى مساجد باكستان، وأيضا يوجد مجموعة من أساتذة جامعة الأزهر الشريف يدرسون لأبناء باكستان بجامعة إسلام آباد ويلقون المحاضرات ويقيمون الندوات أيضا.

كما أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن للأزهر شبكة للمعلومات تعمل على الإنترنت وذلك لتصحيح المفاهيم الإسلامية، ولدفع الشبهات التى يتعرض لها الإسلام

وقال فضيلته: إننا نعاهد الله ـ عز وجل ـ أن نكون فى خدمة ديننا وأمتنا الإسلامية والعربية، وأن نتعاون تعاونا تاما مع دولة باكستان الشقيقة.

وقد أعرب الضيف الكبير عن سعادته الغامرة لزيارة الأزهر الشريف ولشرف استقبال فضيلة الإمام الأكبر له وللوفد المرافق؛ وقال: إن شعب باكستان ورجال الدين يكنون لمصر وللأزهر الشريف كل احترام وتقدير، وأن للأزهر الشريف صورته القوية المضيئة لتصحيح المفاهيم الإسلامية فى كل انحاء العالم، وقال: إننا ننظم للتعليم الدينى فى باكستان فى الإطار الصحيح ويشرفنا أن نقدم الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة باكستان وفى هذه الزيارة سيرى أننا نرحب به كثيرا وسيرى الكرم والاهتمام والتقدير.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على الدعوة ووعد بتلبيتها ـ إن شاء الله تعالى ـ وقدم فضيلته للضيف مصحف الأزهر الشريف وكتاب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والانجليزية، كما قدم هدية لكل ضيف فى الوفد مصحف الأزهر الشريف.

وفى نهاية اللقاء شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الحفاوة والاستقبال.

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة مفتى الجمهورية وفضيلة رئيس جامعة الأزهر الشريف، والسيد سفير باكستان فى مصر والسيد سفير مصر فى باكستان وأصحاب الفضيلة علماء الأزهر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر ـ شيخ الأزهر الشريف ـ بمكتبه السيدة الحاجة سيته كونت حرم السيد الجنرال رئيس جمهورية غينيا كوناكرى والوفد المرافق لسيادتها والذى يضم السيدة وزيرة الشئون الاجتماعية والطفولة والأمومة بغينيا، والسيد سفير غينيا بالقاهرة وبقية الوفد وذلك فى ١٤ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٩ / ٤ / ٢٠٠٠.

رحب فضيلة شيخ الأزهر بالسيدة الفاضلة والوفد المرافق لسيادتها فى رحاب الأزهر الشريف، موضحا العلاقة القوية والقديمة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة غينيا الشقيقة، وأشار إلى التعاون المثمر فى الجانب العلمى والتعليمى حيث إن أبناء غينيا الدارسين فى الأزهر الشريف فى شتى مراحل التعليم يصل عددهم إلى ٤٠٠ طالب يقيمون فى مدينتى البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية وهم على منح من الأزهر الشريف ويلقون كل الرعاية والاهتمام، إلى

جانب بعثة أزهرية قوامها ٤٠ عالما يدرسون لأبناء غينيا علوم القرآن والشريعة واللغة على نفقة الأزهر الشريف.

وقد شرح فضيلته نظام التعليم فى الأزهر بين المرحلة التمهيدية وحتى الجامعة، ومايتلقاه الطلبة والطالبات من العلوم والمعارف فى شتى العلوم.

قدمت السيدة حرم السيد الجنرال رئيس جمهورية غينيا الشكر والتقدير لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن الضيافة والحفاوة البالغة التى قوبلت بها والوفد المرافق مؤكدة على أن مصر بلد كريم مضياف وأنها تحمل تحيات السيد الجنرال رئيس الجمهورية لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف، وأنها فخورة بوجودها فى مصر وفى الأزهر الشريف الذى لايدخر وسعا فى تقديم المساعدة فى المجال العلمى والتعليمى لأبناء غينيا، سواء عن طريق استقبال الطلاب على منح من الأزهر الشريف لتعليمهم فى الأزهر الشريف، أو عن طريق إرسال علماء لدولة غينيا لتعليم أبنائها، وأعربت عن أملها فى تقوية الروابط الدينية مع المؤسسات الدينية فى مصر، وعلى رأسها الأزهر الشريف وبين الرابطة الإسلامية فى غينيا.

وفى نهاية اللقاء قدمت سيادتها الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نيابة عن السيد الجنرال رئيس الجمهورية لزيارة دولة غينيا والبلدان المجاورة فى القريب العاجل لما لهذه الزيارة من أثر دينى بالغ الأهمية على الشعب الغينى.

رحب فضيلة الإمام بهذه الدعوة ووعد - شاكراً - بتلبيتها فى القريب - إن شاء الله -.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة والإعلام

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر الشريف - بمكتبه السيد بيلايو ديناز موجيرزا سفير أورجواى بالقاهرة وذلك فى ٢٠ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ الموافق ٢٦ / ٣ / ٢٠٠٠.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر دائما فى خدمة الدول جميعا، وخاصة دولة أورجواى، أعرب الضيف عن سروره بالحفاوة البالغة التى استقبل بها، وبالتسامح الدينى بين الإسلام والمسيحية، وبين الإسلام والديانات الأخرى ضاربا بذلك المثل بزيارة بابا الفاتيكان لمصر ولأزهرها الشريف وقال: إن هذا أكبر مثال على توثيق العلاقات بين الديانات المختلفة، وأوضح أن دولة الأورجواى فى أمريكا اللاتينية تتحدث الأسبانية وعلاقتهم وثيقة بالعرب لأن الأصل الأسبانى أصل عربى مسلم، وعلاقة الأورجواى وثيقة بالأصل العربى وبالمسلمين.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على حديثه الطيب مؤكدا على أن الأديان السماوية تدعو إلى نشر السلام والأمان وتبادل المنافع التى أحلها الله بين الناس، وأن الله - عز وجل - أوجد الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة لكى يتعارفوا ويتآلفوا، ويتعاونوا على مايعود عليهم بالنفع والخير، وهذا من تعاليم الدين الإسلامى، ومايحث الإسلام به ويدعو الناس إلى العمل به، وقال: إن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تتبادل التعاون مع دولة أورجواى الصديقة، وتمنى

فضيلته لدولة الأورجواى التقدم والرقى، وأن يعمها الأمان والرخاء والسلام.

وقد أعرب السيد السفير عن أن زيارته تأتى فى إطار توثيق العلاقات بين مصر والأورجواى، وتأييدا لدور مصر العظيم فى المحافل الدولية، والسلام فى الشرق الأوسط يحتاج إلى دور مصر وأزهرها الشريف والجامعة العربية، ودولة أورجواى تقدر هذا الجهد الطيب لمصر من أجل نشر السلام والأمان فى أنحاء الأرض، وطلب السيد السفير من فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عمل مؤتمر فى أمريكا اللاتينية لشرح دور الأزهر الشريف ولتوضيح وشرح الإسلام.

وقد أجاب شيخ الأزهر أنه لايمانع فى ذلك والأزهر على استعداد لتلبية هذه الفكرة، ودعا الله - عز وجل - أن يديم على مصر وكافة الشعوب نعمة الرخاء والأمان والإخاء والتعاون على نشر الفضائل حتى يعم الخير للجميع.

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه الدكتور أحمد على الإمام مستشار رئيس جمهورية السودان الشقيقة لشئون التأصيل وذلك فى ٢٨ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ ٣/٤/٢٠٠٠م.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف معربا بأن هذا لقاء الأخوة الصادقة والاحترام المتبادل، ونحن نتعاون على البر والتقوى وأن كل خير يأتى لدولة السودان هو خير لمصر، فنحن نشرب من ماء واحد ونعيش على أرض واحدة وتظلنا سماء واحدة، ومصر رئيسا وحكومة وشعبا ترحب بكم وبالسيد رئيس جمهورية السودان الشقيقة على أرضها، وأوضح أن الأزهر يفتح أبوابه وقلبه لدولة السودان، وأن طلبة جمهورية السودان الذين يدرسون فى الأزهر الشريف على منح يتعلمون بجوار أخوالهم المصريين، ويلقون كل اهتمام ورعاية، ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية.

وقد شكر الضيف حسن اللقاء والحفاوة التى حظى بها معربا بأن هذا هو دأب الأزهر الشريف فى العطاء فما تلقاه علماء السودان فى الأزهر الشريف من علم مليء بالرحمة والاعتدال والموعظة الحسنة، وما تلقاه أبناء السودان من علماء الأزهر الموفدين للسودان لتدريس القرآن الكريم وعلومه والقراءات، هو تواصل لاينقطع، فالأزهر لم يقصر فى أداء دوره بشيوخه الأجلاء فى بلادنا، كما يسعدنى أن أبلغ تحيات السيد عمر البشير رئيس جمهورية السودان لفضيلتكم.

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر على أن الروح السائدة بين الشعب المصرى والسودانى هى روح واحدة وأخوة صادقة، ونحن نعمل بقول الله - تعالى -

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1].

وفى نهاية اللقاء قدم الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة السودان فى الوقت الذى يحدده فضيلته، رحب فضيلته بهذه الدعوة ووعد بتلبيتها - إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الحجرات (١٠).

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات العامة بالأزهر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه وفد رابطة الأطباء الباكستانيين المقيمين بالولايات المتحدة الأمريكية برياسة الدكتور جاويد أخطر وذلك فى ٢٧ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ ٢ / ٤ / ٢٠٠٠م وتأتى هذه الزيارة فى إطار التعاون الثقافى والعلمى واللقاء بالقيادات الطبية من خلال سلسلة المحاضرات المتبادلة مع كلية طب الأزهر.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد معربا عن أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا، وأزهرها الشريف بمعاهده وجامعته تكن لدولة باكستان الشقيقة كل حب واحترام وتقدير، ودعا الله أن يديم علينا جميعا نعمة السلام والرخاء والاطمئنان والمحبة.

وقد أوضح السيد رئيس الوفد بأن هذه الرابطة هى ضمن المؤسسات الممثلة فى الاتحاد الإسلامى بأمريكا الشمالية التى يسعى أبناؤها إلى مد يد العون والدعم للعلاقات العلمية والتعاون الدينى، ومد الجسور لتقوية الروابط الإسلامية ونشرها فى شتى بقاع العالم، ومن برامج هذه الرابطة إنشاء المستشفيات والبحث العلمى، والمساهمة فى تحديث الوسائل البحثية، وتطور الوسائل العلمية الحديثة.

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر، وفضيلة وكيل الأزهر على أسئلة واستفسارات أعضاء الوفد التى دارت حول معاملات البنوك وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أن المعاملات فى الإسلام تقوم على التراضى وفى حدود ما أحله الله - تعالى - كما أبدى أعضاء الوفد رغبتهم فى تعليم أبناء المسلمين المقيمين فى أمريكا خلال الإجازة الصيفية بالأزهر الشريف، وقال شيخ الأزهر: نحن على استعداد لتعليم أبناء المسلمين فى أمريكا، وعندما يوجد التعاون الصادق تسهل كل الأمور وتهون، ويتم التنسيق فى ذلك مع فضيلة وكيل الأزهر.

وفى نهاية اللقاء قدم الوفد شكره على حسن اللقاء والحفاوة.

حضر اللقاء الأستاذ الدكتور عميد كلية طب الأزهر، والأستاذ الدكتور وكيل كلية الطب، وعدد من السادة أطباء كلية طب الأزهر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد جيزفالدو باسكوال سفير الأرجنتين بالقاهرة بمناسبة توليه مهام عمله كسفير لبلاده فى القاهرة وذلك فى ٢٩ من ذى الحجة ١٤٢٠هـ ٤ / ٤ / ٢٠٠٠.

رحب فضيلته بالضيف فى رحاب الأزهر الشريف مؤكداً على حسن العلاقة بين مصر ودولة الأرجنتين فى جميع المجالات، وأشاد فضيلته بحرص المسئولين فى البلدين على خدمة الأديان السماوية وإظهار سماحتها واعتدالها، وأضاف فضيلته أن حرية العقيدة مكفولة للجميع فى مصر فلا إجبار فيها، لأن العقائد لاتباع ولاتشترى، والأزهر على استعداد تام لكل تعاون صادق من شأنه توضيح المفاهيم السمحة للأديان السماوية.

قدم الضيف شكره على حسن الاستقبال والحفاوة، موضحا بأنه رجل دين وأنه متفهم لمكانة الأزهر الشريف وأهميته الدينية لدى

مسلمي العالم، وأكد على أن المسلمين في الأرجنتين يتمتعون بكامل الحرية في أداء شعائرهم الدينية، كما أن شعب الأرجنتين يحترم الأديان السماوية جميعها، والمسلمون يتمتعون بحريتهم كاملة.

وفي نهاية اللقاء دعا فضيلة الإمام الأكبر للسيد السفير بأن يوفقه الله - تعالى - في أداء مهامه كسفير لبلاده في القاهرة، حضر اللقاء فضيلة الشيخ وكيل الأزهر، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٤ من المحرم ١٤٢١هـ - ٩ / ٤ / ٢٠٠٠م الوفد السويسري لجمعية الحوار الإسلامي المسيحي بسويسرا المكون من عشرين عضوا برياسة السيدة سامية حسين والقس اليرت ريجا بهدف استمرار التفاعل الإسلامي المسيحي لحوار الأديان واستكمالا لفهم المعلومات الدينية بين الجمعية والجمعيات الأخرى بسويسرا.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيوف موضحا المفاهيم الأساسية للأديان السماوية التي أنزلها الله ومؤكدا على الأصول الثابتة للأديان وهي عبادة الله - عز وجل - وعلى أن الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وأن الله - تعالى - قد أوجدنا جميعا لإخلاص العبادة له وحده ولنتعاون ونتبادل المنافع التي أحلها الله - تعالى - والتي تعود على البشرية بالخير لتعمر الأرض ولأنه لايمكن أن يعيش الناس منعزلين، فكان ولابد من التعاون والتعارف ومساعدة بعضنا البعض، لأن العالم أصبح كالقرية الصغيرة فما يحدث في الغرب يعرفه من في الشرق في أقل من بضع دقائق نظرا لتطور وسائل المواصلات والاتصالات.

كما أكد فضيلته على أن الفضائل واحدة منذ القدم وستظل كذلك، فالصدق فضيلة وسيظل هكذا حتى نهاية الكون، العقلاء جميعا يحبون العدل والسلام والأمان والرخاء والتعاون ومساعدة المحتاج والمظلوم، ويكرهون مايخالف ذلك من غش وخداع وعدوان وإرهاب وقتل واعتداء على أموال الناس وأعراضهم وأنفسهم، ولذلك عندما يكثر عدد العقلاء في العالم يقل عدد السفهاء وبذلك ينتشر الخير والرخاء، ويعم الأمان والسلام والاطمئنان.

وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلتهم واستفساراتهم التي دارت حول صورة الإسلام غير الصحيحة في الغرب، موضحا لهم بأن أسس العلاقة بين بني البشر تقوم على تبادل المنافع التي أحلها الله - عز وجل - وأننا نتعاون على نشر الفضائل والسلام، والتعاون يتم في جميع المجالات الزراعية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاج وأن تسود العدالة بين الناس بغض النظر عن جنسياتهم أو عقائدهم، والدين الإسلامي يحترم الآخرين وفي مصر حرية العقيدة مكفولة للجميع، فالدين الإسلامي لايكره أحدا على اعتناق دين معين، ولا إجبار على العقائد لأن العقائد لاتباع ولاتشترى، والاكراه على العقائد لايولد مؤمنين صادقين وإنما يولد منافقين كذابين.

كما أوضح فضيلته بأن لجنة الحوار بين الأديان في الأزهر الشريف على اتصال بالفاتيكان، وتتم اجتماعات ولقاءات، والمسلم يتقابل مع المسيحي للتحاور؛ لكي يسود السلام والأمان والرخاء للمجتمع كله، لأن من وظيفة اللجنة شرح مبادىء الأديان

السماوية التي تدعو إلى العدل والسلام والتحلي بمكارم الأخلاق.

كما أجاب فضيلته على الأسئلة التي دارت حول حقوق المرأة التي كفلها لها الإسلام.

واختتم فضيلته حديثه بأن تجارب الأيام علمتنا أنه في النهاية لايصح إلا الصحيح.

كما استقبل فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر الشريف الوفد وأجاب فضيلته على أسئلتهم واستفساراتهم حول زواج المسلم من غير المسلمة، وحقوق كل على الآخر.

وفي نهاية اللقاء، شكر الوفد حسن الاستقبال معربين عن سعادتهم بما حظوا به من رعاية وعناية وشرح وتوضيح لأسئلتهم.

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير آدم تمبر سفير تشاد بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله كسفير لبلاده في القاهرة في ٧ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٢/٤/٢٠٠٠م.

رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف معربا عن أن مصر وأزهرها الشريف تقف بجوار الشقيقة دولة تشاد، وتستقبل أبناءها للتعليم بالأزهر الشريف، وتمنى لسيادة السفير دوام التقدم والرقي وأن يوفقه الله - تعالى - في عمله الجديد ببلاده.

قدم السيد السفير شكره وشكر بلاده لمصر ولأزهرها الشريف على مايقدم لأبناء تشاد من مساعدات في مجالات كثيرة ومن أهمها: مجال التعليم في الأزهر، وإيفاد المعلمين للتدريس في المعاهد الأزهرية المنشأة بدولة تشاد والتي تسير على غرار معاهد الأزهر بمصر.

كما التقى السيد السفير بفضيلة الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر الشريف لمناقشة أوضاع بعض المعاهد بدولة تشاد والأسلوب المتبع تجاه معادلتها بنظرائها بالمعاهد التي يشرف عليها الأزهر وخاصة أن بدولة تشاد ثلاثة معاهد أزهرية في بيشا - سار - الدومان ويقوم بالتدريس فيها مدرسون من الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد جمعية الحرية والأديان السماوية بالولايات المتحدة الأمريكية الذي حضر لزيارة الأزهر الشريف ضمن زيارتهم لمصر في ٧ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٢/٤/٢٠٠٠م.

أعرب فضيلته عن ترحيبه بالوفد شارحا لهم أن الناس جميعا قد أوجدهم الله - تعالى - لإعمار الأرض وخلق الرسل لهداية البشر ليعيشوا في أمان وأمن وسلام، ومحبة لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(٢)

وبين أن الأديان السماوية إنما جاءت لتدعو الناس إلى الخير وإلى نشر الفضائل وإلى التمسك بها وترك الرذائل ونبذها حتى يسود الأمان والسلام والاطمئنان، والرخاء بين الناس جميعا والفضائل لاتتجزأ كما أن الرذائل لاتتجزأ،

(٢) سورة الحجرات (١٣).

فالعدل جاءت به كل الشرائع السماوية، والعقلاء يعلمون أن الأديان السماوية جميعها تدعو إلى إخلاص العبادة لله - عز وجل - وإلى نشر الفضائل، ولا خلاف على ذلك بين الرسل جميعا، فالعدل جاء مع جميع الأنبياء - عليهم السلام - وكذلك الصدق والتعاون ونصرة المظلوم ومساعدة المحتاج، وتبادل المنافع بين الناس في حدود ما أحله الله - عز وجل - والفضائل منذ عهد آدم وحتى اليوم هي فضائل تدعو إليها العقول السليمة والفطرة القويمة.

أعرب الوفد عن سعادتهم بزيارة الأزهر الشريف، وشيخه الجليل، ووكيله فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف رئيس لجنة الحوار الدائم بين الأديان قائلين بأنهم مواطنون أمريكيون يحبون السلام وهدفهم جمع الناس من كل مكان للتعارف والتعاون وأشاروا إلى أن حبهم لله نابع من حبهم لبعضهم البعض.

فضيلة الإمام الأكبر يلتقي ومديري عموم مناطق القاهرة والقليوبية والبحيرة

● عقد فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه في يوم ٨ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٣ / ٤ / ٢٠٠٠م اجتماعا مع مديري عموم المناطق في القاهرة والقليوبية والبحيرة وكذلك المهندسين بهذه المناطق، وذلك بغرض بحث عملية ترميم المعاهد الأزهرية وتطويرها خلال العام الدراسي ٢٠٠٠ / ٢٠٠١، وطلب فضيلته من السادة رؤساء المناطق والسادة المهندسين حصرا كاملا لكل معهد يحتاج إلى ترميم، حتى يتسنى اتخاذ اللازم نحو ترميمه في الفترة القادمة، ويكون جاهزا للدراسة في بدء العام المقبل إن شاء الله - تعالى -.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، ووكيل قطاع المعاهد لشئون الخدمات.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقي وطالبات المكتب التنفيذي لاتحاد منطقة القاهرة الأزهرية

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بطالبات المكتب التنفيذي لاتحاد منطقة القاهرة الأزهرية وبرفقتهن المشرفات القائمات على هذا الاتحاد وذلك في ١٢ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٧ / ٤ / ٢٠٠٠م.

وفي بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر بهن وأكد على حفظ الطالبات للقرآن الكريم، ونصحهم بالفهم الجيد للمواد التي يدرسونها وللدين الإسلامي، وللسنة النبوية المطهرة حتى يكنّ من المتفوقات في دراستهن لأن المستقبل الآن للطالب والطالبة المتفوقة، ولامكان الآن للمتخلفين والمتكاسلين واللاهين، وطالبهم بالتأني والرسوخ في فهم المناهج الدراسية وأجاب فضيلته على أسئلتهن واستفساراتهن التي دارت حول إضافة درجات للطلبة المتفوقين، وعن شروط التعيين بالأزهر وحول قيمة المصروفات الدراسية للمعاهد النموذجية، وأوضح أن الارتقاء بمستوى التعليم يتطلب الجهد من جميع العاملين، ومن الطلبة، بالدرجة الأولى، وأشار فضيلته إلى أن مسابقة حفظ القرآن الكريم للطلبة والطالبات هذا العام ستتم في شهر مايو ٢٠٠٠ ورصد لها جوائز

تقدر قيمتها بـ (١٥ مليون جنيه) ويحصل الطالب الفائز في حفظ القرآن الكريم كله خمسة آلاف جنيه، وفي نهاية اللقاء شكر الطالبات فضيلة الإمام الأكبر على سعة صدره وإجابته على أسئلتهن ونصائحه الغالية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ جابر مصطفى رئيس منطقة القاهرة الأزهرية، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسي المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف عقد المجلس الأعلى للأزهر الشريف جلسته في ٢٢ من ذي الحجة ١٤٢٠هـ - ٢٨ / ٣ / ٢٠٠٠م حيث تمت الموافقة على الآتي:

١- إنشاء مستشفى تعليمي بدمياط تابع لكلية الطب بنين بدمياط فرع كلية الطب بنين جامعة الأزهر بالقاهرة.

٢- إضافة شرط إلى نص الإعلان عن وظيفة معيد بقسم التربية الرياضية بكلية التربية للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة على أن يكون من خريجي الكلية، ويُفضل الحاصلون على بطولات رياضية.

٣- إضافة شرط إلى نص الإعلان عن وظيفة مدرس مساعد بقسم الفقه المالكي بكلية البنات الإسلامية بأسيوط تخصص السياسة الشرعية.

٤- إدخال بعض التعديلات بخطة الدراسة لمرحلة الإجازة العالية نظام الفصلين الدراسيين بكلية أصول الدين بالقاهرة، وكليات أصول الدين بالأقاليم، وإضافة مادة العقيدة وفلسفة العلم، واستخدام التكنولوجيا لتخريج وتحقيق الأحاديث النبوية عن طريق الكمبيوتر، ويضاف ساعات التخريج للأحاديث على الكمبيوتر.

٥- تحديد الشعب والأقسام العلمية بكلية الدراسات الإنسانية للبنات بتفهنا الأشراف بالدقهلية.

٦- اعتماد اللائحة الداخلية لمركز أبحاث وعلاج أمراض الدم والمناعة في الأطفال مرحلة ماحول الولادة بكلية طب البنات جامعة الأزهر القاهرة (وحدة ذات طابع خاص).

٧- أن يؤدي المتقدمون من معيدين ومدرسين مساعدين لشغل وظائف أعضاء هيئة التدريس بكليات الجامعة العملية من الكليات العملية المناظرة بالجامعات المصرية الامتحان في المواد الاسلامية التي تدرس في الكليات العملية على أن يطبق ذلك اعتبارا من العام الجامعي ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م.

٨- استثناء الطلاب الذين انتهوا من كتابة مخططات بحوثهم لدرجة العالمية (الدكتوراه في الفلسفة)، واعتمدت من مجالس الأقسام والكليات من أحكام اللائحة الموحدة لكليات التجارة وتسجيلهم في أكتوبر ٩٩.

٩- إعلان الأزهر الشريف عن حاجته لشغل وظيفة مدرس مادة ثالث بالمجموعة النوعية لوظائف التعليم الأزهري والدعوة بالدرجة الثالثة من خريجي كليات جامعة الأزهر للعمل محفظين للقرآن الكريم وتجويده بالمرحلة الابتدائية من معاهد المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية من الذكور والإناث، وبامتحان شفوي وتحريري طبقا للشروط المعلنة بكل منطقة أزهرية.

١٠- تحديد رسوم إقامة طالبات جامعة الأزهر

المقيمات في مبنى الجمعية الإسلامية لتيسير الحج بأسيوط بسبعة عشر جنيها شهريا وثمانية جنيهات رسم تغذية إلى جانب ماتتحمله الطالبة من الرسوم السنوية والشهرية المقررة.

حضر الاجتماع الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، والسادة نواب رئيس الجامعة والسادة أعضاء المجلس الأعلى للأزهر.

الدورة العالمية التدريبية لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي

صدر قرار شيخ الأزهر رقم ٢٥١ لسنة ٢٠٠٠ بالموافقة على إقامة الدورة العالمية التدريبية التاسعة والأربعين لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي بالأزهر الشريف لمدة ثلاثة شهور اعتبارا من ١ / ٥ / ٢٠٠٠ وذلك للسادة الآتية أسماؤهم وعددهم ٢٧ إماما وواعظا وتتحمل موازنة الأزهر الشريف تذاكر السفر ذهابا وإيابا لهؤلاء الدارسين بالإضافة إلى نفقات الإقامة لهم بمدينة البعوث الإسلامية وهم:

وفد دولة نيجيريا:

١- أبو بكر دونيا إبراهيم حما.

٢- إبراهيم ذكرى أبو بكر.

٣- عمر بلاين إسماعيل ألفا.

٤- موسى بنذادو وعثمان

٥- عبدالكريم سليمان مامر.

وفد دولة كينيا:

١- عبدالله سالم أبو بكر.

٢- محمد مادى عمر صبور.

٣- سليمان بكر متاتا.

٤- عبدى ديرى محمد عبدى.

٥- حسن أحمد على السماحى.

وفد دولة غانا:

١- عبدالمؤمن موسى فيصل

٢- يوسف إمام عبدالرحمن سليمان

٣- عبدالرازق محمد الأمين أحمد.

٤- محمد منير لارى.

وفد دولة توجو:

١- ابن إدريس محمد الطاهر.

٢- سعيد محمد أول.

٣- محمد ثالث بارا.

وفد دولة بنين:

١- عبدالفتاح اكابى حمزة.

٢- عيسى داوود مصطفى.

٣- مشهود يوسف توكورو.

وفد دولة السنغال:

١- محمد المنصور عبدالله انجاى.

٢- بابكر دمبه موريامى نديان.

وفد دولة بوركينا فاسو:

١- أبو بكر بن عبدالوهاب سانا.

٢- صالح إبراهيم تسامبدو.

٣- عمر ديالو جبريل سعيد.

٤- تشامبدو محمد البشير.

٥- أحمد صديق كورفو.

من أنباء العالم الإسلامى

إعداد : د. محمد عبد الحكيم محمد

فضيلة المفتى يطالب بمقاطعة الدول التى تحارب المسلمين

القاهرة - دار الإفتاء :

أكد فضيلة مفتى جمهورية مصر العربية الدكتور نصر فريد واصل على أن الإسلام وضع للأنشطة التجارية مجموعة من القيم التى تتحقق من خلالها التنمية البشرية والاقتصادية كالصدق فى المعاملات والوفاء بالعقود والالتزامات، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات.

وأوضح أن التزام دول العالم الإسلامى بالأخلاقيات الإسلامية للاقتصاد هو السبيل الأول لحل المشكلات المالية والاجتماعية والسياسية.

وطالب فضيلة المفتى بضرورة اتخاذ موقف اقتصادى موحد ضد المجتمعات التى تحارب المسلمين، حتى ولو وصل إلى حد مقاطعة هذه الدول تجاريا حتى لاتوفر لهم وسائل إبادة المسلمين كما حدث فى البوسنة وكوسوفو، وكما يحدث الآن فى روسيا ضد شعب الشيشان.

الشيشان ستقاوم الروس حتى النصر

القاهرة - نقابة الصحفيين :

فى ندوة عقدتها «نقابة الصحفيين» مساء الاثنين الموافق ١٢ من المحرم ١٤٢١هـ - ١٧ من أبريل ٢٠٠٠م عن «مستقبل القضية الشيشانية» أعلن الدكتور إسلام حليموف مستشار الرئيس الشيشانى، أن شعب الشيشان لن يستسلم وسيقاوم المعتدين الروس حتى النصر.

وكشف سيادته النقاب عن انتهاكات الروس تجاه الشعب الشيشانى مبينا أن الشعب الشيشانى يتعرض لحرب إبادة وحشية لم يسبق لها مثيل، حيث قام الروس بتدمير المدن والقرى وتسويتها بالأرض، وقتلوا وشردوا مئات الآلاف من الأبرياء.

وأكد الدكتور حليموف على : أن الشعب الشيشانى وقيادته مستعدون للتفاوض

والتعايش مع الشعب الروسى على أساس حسن الجوار شريطة عدم التدخل فى شئوننا وأن يتركونا نعيش فى دولتنا المستقلة دون فرض لأية قوانين تمس حريتنا وعقيدتنا الإسلامية التى لن نرضى عنها بديلا .

أول مجمع فقهى بدولة السودان

القاهرة - الأزهر :

زار القاهرة مؤخرا الدكتور أحمد على الإمام لاجراء مباحثات مع فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - حول تعزيز سبل التعاون بين مجمع الفقه الإسلامى الذى تم إنشاؤه بالسودان وبين مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة .

صرح الدكتور أحمد الإمام للصحفيين عقب اللقاء بأن الهدف من إنشاء المجمع الفقهى تشجيع الاجتهاد الفقهى الجماعى واستنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الفقهاء .

مسلمو منغوليا ينشدون دعم العالم الإسلامى

يعيش المسلمون فى منغوليا فى ظروف صعبة، ويحتاجون لاستثمارات من المسلمين فى العالم لتنفيذ مشروعات لديهم لرفع مستواهم الاقتصادى، ويقدر عددهم بـ « ١٢٠ » ألفا .

ويقول رئيس جمعية مسلمى منغوليا سايران قادر : إن بعض المسلمين يرسلون مساعدات لمسلمى منغوليا ، ولكن الحاجة ماسة إلى مشاريع للتنمية، تفيد المسلمين على المدى الطويل .

ومنغوليا تقع غرب الصين وشرق روسيا، ومساحتها مليون ونصف المليون كيلومتر مربع، والسكان مليونان و« ٣٠٠ » ألف والعاصمة أولان باتار .

وكانت تابعة للمعسكر الشيوعى، تحت نفوذ الاتحاد السوفيتى، والآن أصبحت مستقلة، وأغلبية السكان من البوذيين .

والمسلمون من القازاق، وهم أصل الأتراك، وجاءوا من تركستان الشرقية إلى غرب منغوليا فى القرن الـ« ١٩ » الميلادى، وخلال الحكم الشيوعى دمرت المساجد، ومنع التعليم الإسلامى، وبعد الاستقلال أصبح للمسلمين الحرية فى العبادة، واعترفت الحكومة بالدين الإسلامى، وأسست أول منظمة إسلامية فى منغوليا عام ١٩٩٠م، وهى جمعية «مسلمى منغوليا»، والتى قامت ببناء ١٩ مسجدا ومصلى، ويدرس ألفان من الأطفال والكبار القرآن الكريم فى المساجد . وتم ابتعاث « ١٠٠ » طالب إلى جامعات العالم الإسلامى لتعلم العلوم الإسلامية، ووزعت الجمعية هناك « ١٥٠٠٠ » نسخة من المصاحف على المسلمين. وردت كهدايا من السعودية ومصر والكويت وتركيا وباكستان .

ختان الذكور يمنع الإصابة بالإيدز

●● فى دراسة علمية أعدها الدكتور روجر شورت أستاذ التوليد بجامعة ملبورن

باستراليا وزميله الدكتور روبرت زابو، حول إصابة مناطق الجسم بالإيدز وجد أن عدم ختان الذكور يجعلهم أكثر عرضة للإصابة بمرض الإيدز، وقد لاحظ وجود اختلافات بين انتشار مرض الإيدز داخل حزام الإيدز في الدول الأفريقية جنوب الصحراء فقد وصلت نسبة الاصابات في بعض مناطقها إلى ٢٥٪.

بينما وصلت في مناطق أخرى إلى ١٪، وترتبط النسبة المتدنية بممارسة واسعة لختان الذكور.

إنشاء جامعة إسلامية في مدينة سيول

●● الاتحاد الإسلامي في كوريا الجنوبية حصل على قطعة أرض تبلغ مساحتها ٤٣٠ ألف متر مربع من الحكومة لينشيء عليها جامعة إسلامية. يبلغ عدد المسلمين في كوريا الجنوبية ٥٧ ألف نسمة يتمركزون في العاصمة سيول ومدينتي بوسان وكوانغو، ويشرف عليها الاتحاد الإسلامي الكوري الذي يصدر مجلة شهرية اسمها «صوت الإسلام».

المعهد الأوروبي بفرنسا يشيد بتكريم المرأة في الإسلام

أكد مدير المعهد الأوروبي للعلوم الإنسانية في فرنسا، الدكتور زهير شكر محمود، أن الإسلام كرم المرأة وأعطاها حقها وحفظها وحفظ أنوثتها.

وقال: إن المرأة المسلمة في فرنسا تشق طريقها بكفاح مشرف لإثبات وجودها في جميع المجالات.

أربعة ملايين مسلم يعانون من المشاكل في بورما

مازال أربعة ملايين مسلم في بورما يعانون من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المستمرة التي فرضها عليهم الحكم العسكري في بورما.

ففي عام ١٩٨٢م أصدر الحكم العسكري قانون المواطنة والجنسية الذي تم بموجبه إلغاء جنسية المسلمين الروهنجيا في بورما، وحرمان المسلمين من التنقل داخليا والسفر إلى الخارج وقد هرب منهم ٣٠٠ ألف إلى جمهورية بنجلاديش.

وقام الحكم العسكري البوذي باعتقال المسلمين الأبرياء ووضعهم في المعتقلات وتعذيبهم، وفرض عليهم القيام بأعمال السخرة دون أجر، فيما سدت أمام مسلمي أراكان أبواب الوظائف الحكومية، وصودرت أوقافهم وأراضيهم الزراعية.

وعمل الحكم العسكري في بورما على وضع العقبات والعوائق أمام تعليم أبناء المسلمين في المدارس والجامعات الحكومية، وعدم السماح للمسلمين بالمشاركة في الندوات والمؤتمرات الإسلامية العالمية.

Telle est la doctrine musulmane orthodoxe (Hanif), celle de notre ancêtre "Ibrahim" (Abraham) qui ne reconnaissait qu' :Allah" pour Dieu, Créateur,Pourvoyeur, Guérisseur et Sauveur. Celui à qui "Djibril" (Gabriel) apparut, lorsqu'ill fut jeté au feu, et qui lui demanda ce qu'il désirait. Ce prophète monothéiste lui répondit: "De ta part? Rien!"

Dans les moments de crainte, de peur et de panique il n'implore que son Seigneur. Parce qu'il sait que personne ne peut rien pour lui, même pas le plus important des anges, l'Esprit-Saint lui-même. Il n'y a qu'"Allah qui agit vraiment dans l'univers. Personne ne peut être ni utile ni nuisible sans Sa permission.

C'est là un degré de savoir auquel seul un prophète peut accéder.

Traduit de l'arabe par

Zeinab Hassan

Or, prendre pour dieu unique sa propre personne, ses passions et ses dons relève du polythéisme caché:[Vois- tu celui qui prend sa passion pour sa propre divinité?] ("Al Djathia" 23).

Ceux qui sont bien informés ne s'attribuent pas le mérite de leurs actions mais ils les ramènent à "Allah" et à Son appui. Et même plus que celà: il y a des êtres qui ne se reconnaissent aucun mérite, nient leur volonté de choix et leurs bonnes intentions parce qu'ils pensent que tout cela est dû à la grâce de leur Seigneur. Ils vont même jusqu'à renier leur propre identité. Ils oublient leur essence, et témoignent que la personne ne possède d'elle-même que le néant et que tout ce qu'elle a provient d' "Allah". Aussi, ils ne font plus de choix, tout en observant que c'est "Allah" qui choisit pour eux à tout instant, puis il ne voient plus que Lui en toute chose; telle est la foi en l'unicité absolue. Ceci est la mise en pratique du témoignage "Il n'ya d'autre dieu qu' Allah" qui devient alors un mode de vie.

La récompense de cet acte de foi en l'unicité absolue où le serviteur rejette son propre choix et opte pour celui d' "Allah" en toute chose, sera le pardon total et la dispense de tout jugement. "Allah" dit au pêcheur dans Le Hadith divin (Qudussy): "Si tu viens à mois avec une quantité de péchés grande comme la terre en ne Me donnant aucun associé, tu trouveras chez moi un pardon aussi immense."

Ceci est le fruit de la foi en l'"unicité et la récompense pour cette attestation: Il n'y a pas d'autre dieu qu' "Allah", quand l'un de nous en fait son mode de vie, sa ligne de conduite, les pulsations de son être, son souffle de vie et même la substance dans laquelle nage son coeur. C'est ce que le Coran entend par la formule "La Soumission à Allah –qu'il soit glorifié". C'est ce que notre noble Messager a voulu dire, lorsque quelqu'un lui a demandé de lui résumer en deux mots la religion qu'il a reçue d'"Allah", Il a répondu par cette formule succinte: "Dis: Il n'y a d'autre dieu qu' "Allah:, puis agis avec droiture".

Malgré cette multitude "Il n'ya d'autre dieu qu' "Allah". Il est derrière toute action: Il est le Guérisseur, le Pourvoyeur, le Désavantageur et le Prééminant. Son Essence Unique est la seule qui agit de tout temps et éternellement.

L'énergie électrique n'apparaît-elle pas différente dans chaque lampe selon la nature du fil métallique qui s'y trouve?

L'électricité n'apparaît-elle pas dans les lampes en néon avec des couleurs et des intensités différentes suivant les gaz utilisés dans ces tubes?

Combien elles ressemblent à nos âmes dont les actions diffèrent en fonction de leurs ressemblances, bien que celui qui agit soit le même.
Ceci n'est qu'un exemple!

Le monde tout entier n'est qu'un exemple symbolique de la puissance de L'Unique auquel rien n'est pareil.
Si tu vois "l'Unique" derrière la multitude, sans être affecté par cette dernière, si tu sais que tu n'as toujours affaire qu' à lui directement, si tu ne vois d'autre guérisseur que lui, malgré le médicament que tu prends et ta confiance dans le bistouri du chirurgien, si tu vois que c'est Lui qui te nourrit et te donne à boire et si tu sens que tu manges et bois dans Sa main quelque soit la variété de restaurants que tu fréquentes; si tu t'oublies et que tu ne vois que Lui, alors tu es véritablement le mulsulman monothéiste.

Le mal vient de ce que chacun de nour pense que ses actions proviennent de sa propre initative tout comme "Qarûn" (Crésus) avait pensé qu'il était le possesseur du savoir, de l'oeuvre; et il avait dit en évoquant ses biens et sa notoriété: ["Je n'ai reçu cela que grâce à un savoir que je possède"] ("Al Qaçaç"78). Il ne voyait alors que son propre savoir, oubliant qu'il ne possédait aucun savoir ni acun pouvoir par lui-même, mais que sa puissance, son intelligence et son savoir étaient un don de son Seigneur.

L'attestation de L'unicité,

Que signifie-t-elle?

Lorsqu'on demande: à qui appartient le Royaume,de nos jours? La reponse des cieux et de la terre ainsi que celle des anges et de toutes les créatures est: A "Allah" " L'Unique", Le Vainqueur." Ce qui n'a rien de nouveau:"Allah" a toujours été Le Roi, aussi bien de nos jours que tous les jours.or les apparences de ce monde à première vue sont trompeuses. Certains paraissent posséder des pouvoirs: le médecin guérit, le sultan octroie, le poison tue, tout comme les armes. On peut penser que celui-ci est utile alors que celui-là est nuisible et qu'il ya des tyrans qui gouvernent. Or,nous avons oublié qu' "Allah" se désigne ainsi dans Le Coran: ["Il est Le Premier, Le Dernier, L'Apparent et L'Occulte"] ("Al Hadid"3).

En effet, lorsque le médecin guérit, le sultan octroie, le poison fait mourir et la balle tue, c'est "Allah" qui apparaît dans toutes ces manifestations et Il est la source de l'action même, c'est L'apparence visible de la volonté divine qui se manifeste par les mains de tous ceux-là en cet instant. Qu'Il soit glorifié, lui qui se manifeste chaque jour par une oeuvre différente, et telles sont ses oeuvres.

Si nous avons vu des tyrans qui gouvernaient, ils ne l'ont fait en vérité que par lui. Mais c'est l'attribut du "Réformateur" qui s'est révélé en eux, car par leurs aptitudes ils ne pouvaient recevoir que cet aspect de l'Essence divine. Ils n'étaient pas âptes à être éclairés ni par "Le Tout-Plein de Miséricorde" ni par "Le Bienveillant", ni par "Le Compatissant". Ils ne pouvaient pas non plus recevoir les beaux attributs du "Clément", du "Généreux", du "Tout-Plein d'Amour", du "Tout Plein de Grâce", ni du "Trés Subtil".

Nous sommes toujours avec "Allah" et rien d"autre que Lui ne se manifeste en nous. Il est, par Son nom et ses actions "Apparent" en toute chose: toutefois Il nous est caché par les causes et par la multitude.

Le Messager -b.s.-, heureux de voir la profondeur de la foi des Musulmans, leur dit: "*Avancez et soyez sans crainte car Allah m'a promis l'une des deux récompenses. Par Allah, c'est comme si je voyais les gens combattre!*".

Cette consultation eut pour effet d'unifier les voix et les rangs et d'enfammer les cœurs des musulmans en les incitant au sacrifice.

D'autre part, lorsqu'Allah eut comblé de Ses grâces le Prophète et les Musulmans grâce à leur victoire dans le combat de Badr, ils prirent comme captifs soixante-dix polythéistes. Alors le Messager d'Allah -b.s.- voulut prendre l'avis de ses compagnons au sujet de ces captifs. 'Umar ibn Al Khattab dit: "*Ô Messager d'Allah, ils t'ont renié, l'ont combattu et t'ont chassé, tue-les car ils sont les chefs du polythéisme et de l'égarement*". Un groupe de Musulmans approuva cet avis. Ensuite Abu Bakr dit : "*Ô Messager d'Allah, ces gens sont ton peuple et ta famille. Allah t'a donné la victoire sur eux. Je suggère que tu prennes d'eux une rançon et ce que nous leur prendrons sera un appui et une force pour nous contre les incroyants. Peut-être qu'Allah les guidera et qu'ils seront un appui pour nous*".

Un groupe des compagnons approuva cet avis. Le Prophète -b.s.- suivit le conseil de Abu Bakr et non celui de 'Umar et il accepta les rançons versées en échange des la libération de captifs.

Dr. Rokaya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

En commémoration du combat de Badr

par Dr. Rokaya Gabr

Le combat de Badr renferme de nombreuses leçons dont nous exposerons quelques-unes qui sont des modèles de ce que devrait être la consultation en Islam.

Lorsque le Messager d'Allah -b.s.- apprit que la tribu de Quraïch était sortie pour couper la route à leurs chameaux, il décida de les affronter. Toutefois il ne voulut pas être seul à prendre cette décision, aussi demanda-t-il l'avis de ses compagnons. D'abord Abu Bakr puis 'Umar approuvèrent et appuyèrent l'avis du Prophète -b.s.-. Ensuite Al Miqdad ibn 'Amr prit la parole; il dit : "Ô Messager d'Allah, poursuis la route qu'Allah t'a tracée, et nous sommes avec toi. Par Allah! Nous ne ferons certes pas comme le peuple d'Israïl qui dit à Moïse; "*Va combattre, toi et ton dieu; quant à nous, nous restons là*". Nous te disons plutôt : "*Va combattre, toi et ton Dieu et nous combattrons à vos côtés*".

Alors le Prophète -b.s.- s'adressa aux Ançar qui lui avaient prêté serment d'allégeance en lui promettant de le défendre contre ses ennemis si ceux-ci arrivaient à Médine. En effet il craignait que les Ançars entendaient le soutenir uniquement au cas où on l'attaquerait à Médine. C'est alors que Sa'd ibn Mu'adh prit la parole et dit: " Nous avons cru en toi et nous avons témoigné que ce que tu nous apportes est la Vérité. Nous t'avons prêté serment et nous t'avons fermement promis de t'écouter et d'obéir. Fais donc ce que tu as décidé de faire et nous te suivrons. Par Celui qui t'a envoyé avec la Vérité si tu nous emmenais au milieu de la mer et que tu t'y jetais, nous nous jetterions avec toi et aucun d'entre nous ne penserait à rester en arrière. Il ne nous répugne pas que tu nous fasses affronter demain nos ennemis, car l'endurance dans la guerre sera une preuve de la sincérité de la foi, le Jour de la Rencontre (où les humains comparaîtront devant Allah). Peut-être Allah te fera-t-il voir en nous de quoi te rendre heureux. Va donc avec la bénédiction d'Allah".

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

Comité de Rédation :

The lessons

Human emotions such as jealousy and hatred can lead to stressful family situations. Therefore, it is important that we do the best we can to try to control these negative emotions. However, if one finds that it is not possible to control these emotions then it is best that the parties involved separate.

Dedication and total submission to Allah are compensated with His Mercy and Reward both in this life and the hereafter. Kindness, forgiveness and mercy towards our enemies also help to teach them the righteousness of Islam as well as possibly helping to bring them to the worship of Allah alone. However, we must also remember that no one can guide one whom Allah has led astray and no one can lead astray one whom Allah has guided.

The Prophets of Allah
Prophet Ishaaq & Prophet Ya'qub عليهما السلام
by M.M. Gemea

When Allah سبحانه وتعالى sent the angels to destroy the disbelievers among the people of Prophet Lut, He also sent them to bring the glad tidings of a son to Prophet Ibrahim. The angels told Ibrahim that Allah سبحانه وتعالى had commanded that Ibrahim and Sarah would have a son named Ishaaq and he would have a son who would be named Ya'qub.
Allah سبحانه وتعالى bestowed Ishaaq and his son Ya'qub upon Ibrahim in fulfillment of His promise to Ibrahim that his offspring would be prophets of Allah.
We do not know much of the lives of Ishaaq and Ya'qub as the Qu'ran and the Sunnah do not speak of them often. However, Allah سبحانه وتعالى has told us that both Ishaaq and Ya'qub would possess much knowledge and wisdom (Surah 15:53), that they would be prophets amongst those who were inspired (Surah 2 :163), and guided by Allah. Allah has also said that He gave Ishaaq and Ya'qub to Ibrahim and made each one of them a prophet (Surah 19:49), and that both were righteous and blessed. (Surah 21:72, Surah 37:113).
We know from the Qur'an that Allah has stated that Ishaaq and Ya'qub both taught Tawheed (the Oneness of Allah), and told their children, before they died, that they should not die unless they were Muslims. Both Ishaaq and Ya'qub have been remembered because of their truthfulness. They were both leaders who guided mankind by the Command of Allah and were inspired to do good deeds. They offered prayers perfectly and gave Zakat, and they worshipped Allah alone. Both Ishaaq and Ya'qub were in constant remembrance of the hereafter and reminded others about their final destiny on the Day of Judgment. Prophet Ya'qub has also been mentioned throughout the story of his son Yusuf as will be seen in greater detail later.
Reliable Qur'anic commentators mentioned that when Ibrahim felt that his life was drawing to a close, he wished to see Ishaaq married. He did not want Ishaaq to marry one of the Canaanites, who were pagans, so he sent a trustworthy servant to Haran in Iraq to choose a bride for Ishaaq. The servant's choice fell on Rebekah Bint Bethuel. Ibn Nahor, who was a brother of Abraham. Isaac married her and she gave birth to a set of twins, Al-Eis and Ya'qub.
feelings developed between the two brothers when they grew into manhood. Al-Eis disliked the fact that Ya'qub was favored by his father and by Allah with prophethood. This ill-feeling became so serious that Al-Eis threatened to kill his brother. Fearing for his life, Ya'qub fled the country.
Ya'qub had twelve sons who are also known as Al-Asbat and Bani Isra'il (Ya'qub was also called Isra'il). They were : Robil, Shamun, Lawi, Yahudh, Isakher, Zablun, Yusuf , Bin Yamin, Dan, Neftali, Gad and Asher.

"And whoever obeys Allah and the Messenger, they are with those upon whom Allah has bestowed fervors from among the prophets, and the truthful and the faithful, and the righteous, and a goodly company are they!"
(Al Nisa'a, 69)

The prophet's saying i.e. traditions or Hadith are very important. They have been collected and studied by great scholars who exerted efforts to ensure their authenticity. Once we know that a Hadith is authentic, we have to follow it. Generally speaking a Hadith focuses on the creed of Islam, explains acts of worship, calls for some good manner, or prohibits what causes corruption ... etc. In that case it is a legislation that has to be followed.

The rightly guided Caliphs, the companions of the prophet (p&buh) or the successors who rightly followed them, knew the Sunna best. They loved the prophet (p&buh) and followed the shari'a better than anyone. We are commanded to follow the example of those people and take what Allah and His Messenger have given us because of its perfection.

Narrated Abu Hurairah (May Allah be pleased with him), Allah's Messenger ([p&buh) said," All my followers will enter Paradise except those who refuse" They (the people) asked, "O Allah's Messenger! Who will refuse?" he said, "Whoever obeys me will enter Paradise, and whoever disobeys me is the one who refuses (to enter it).
(Related by Al Bukhari-volume 9-Book of Holding Fast to the Qur'an and the Sunna).

May Allah help us and all the Muslims to understand His religion, to continually confirm us on it, stick to Sunna and keep away from the innovation.

Reference

A book entitled "The place of Sunna in Revealing the Teachings of Islam" by Sheikh Ali Al Khafif. (Al Azhar Magazine, Shawal 1420 - January 2000)

The Qur'an and the Sunna
By : Hanan Abdou El Tahtawy

The Holy Qur'an is the Book of guidance in which there is no doubt. By following its teachings, it guards man against evil and saves him from sin. It lays down the principles by following which, man reaches a higher stage in this life and the life Hereafter.

Prophet Mohammed (peace and blessings upon him) is the model for all Muslims. His deeds and words are the Sunna, which all Muslims must follow. Together with the Qur'an, the Sunna is considered a reference for understanding the message and the basic rules of religion.

The value of the Sunna lies in explaining the verses of the Qur'an, and providing details for the set obligations. For example, when the Qur'an spoke of prayers, zakat and Haj, no one knew how such duties could be performed. Consequently, the prophet (p & buh) told the believers what they needed to know. He explained to them the number of prayers and showed them how to perform them. He stated who should pay the zakat and all that is related to it.

According to the rule of the Islamic Shari'a, all matters regarding legislation or prohibition and all disputes among the people, should be referred to the Book of Allah and the Sunna of His Messenger in line with the saying of Allah:

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴿٥٩﴾

"O you who believe, obey Allah and obey the Messenger and those in authority from among you; then if you quarrel about anything, refer it to Allah and the Messengers, if you believe in Allah and the Last Day. This is best and more suitable to (achieve) the end.
(Al Nis'a, 59)

After the death of the prophet (p&buh), his companions used to refer first to the Holy Qur'an to settle any problem, then they go through the Sunna and finally when they could not reach a solution they work hard and try to find their own ways depending on (Ijtihad) In fact, obeying the prophet (p&buh) is essential as stated in the Qur'an. Allah says:

يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ﴿٢٠﴾

"O you who beleive, obey Allah and His Messenger and turn not away from Him while you hear" (Al Anfal, 20)

He also says :

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴿٦٩﴾

AL-AZHAR MAGAZINE
Safar 1421 H.

ENGLISH SECTION
May 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهـــرس

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
يصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى

المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار
مدير عام التحرير
عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب
سكرتير التحرير
عادل رفاعى خفاجة
المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.
ت : ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

في مولد البشير النذير

دروس - عبر - عظات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، ذى الفضل والإنعام، الذى أنار الوجود بمولد سيد الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إمام كل إمام، وعلى آله وأصحابه، وذريته وأهل بيته الكرام.

وبعد: فإن نعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحد، قال -تعالى-:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1] وهذه النعم تتفاوت كمالاً وشرفاً، وإن أجل هذه النعم علينا وأعظمها وأتمها وأشرفها سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

(١) سورة النحل الآية ١٨.

وإن وجوده -ﷺ- وكذا سائر نعمه -تعالى- من واسع كرمه وجوده.

وهذا النسب الشريف أشار إليه صاحب الهمزية بقوله:

وبدا للوجود منك كريمٌ ... من كريم آباؤه كرماءُ

نسب تحسب العلا معه حلاهُ ... قلدتها نجومها الجوزاءُ

حبذا عقد سؤدد وفخارٍ ... أنت فيه اليتيمة العصماءُ

وقال العلامة الماوردى فى كتاب «أعلام النبوة»: وإذا اختبرت حال نسبه -ﷺ- وعرفت طهارة مولده -ﷺ- علمت أنه سلالة آباء كرام، ليس فيهم مسترذل، بل كلهم سادة قادة، وشرف النسب، وطهارة المولد، من شروط النبوة».

وقال عمه أبو طالب:

إذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر ... فعبدُ مناف سرها وصميمُها

وإن حصلتْ أنساب عبد منافها ... ففى هاشم أشرافها وقديمُها

وإن فخرتْ يوماً فإن محمداً ... هو المصطفى من سرها وكريمها[٢]

هذا هو النسب الناصع للصادق الأمين -عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم- نسب الذى شرف الله- تعالى- به الوجود ببعثته الخيرة، واصطفاه من خلقه، وأرسله رحمة للعاملين. واختاره هادياً مهدياً، فهو من صميم قريش، التى لها القدح المعلى فى الشرف والمجد، وعلو المكانة، والفخر بين سائر العرب، ولا تجد فى سلسلة آبائه إلا كريماً من كريم، وليس فيهم مسترذل ولا وضيع، بل كلهم سادة قادة، وكل اجتماع بين آبائه وأمهاته كان شرعياً حسب الأصول العربية، ولم ينل نسبه الطاهر شىء من سفاح الجاهلية كما أقره العلماء الأعلام.

أخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم من طريق عكرمة، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فى قوله -تعالى-: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[٣] قال: ما زال النبى -ﷺ- يتنقل فى أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه، وعلى هذا يكون كل أصوله موحدين.

وأخرج البيهقى والطبرانى فى الأوسط وابن عساكر، عن عائشة -رضى الله عنها- قالت: قال رسول الله -ﷺ- : «قال لى جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمد، ولم أجد بنى أب أفضل من بنى هاشم».

---

(٢) إنسان العيون فى سيرة المأمون (١/٤٥).

(٣) الشعراء (٢١٩).

ورأت آمنة في منامها ليلة عرسها، كأن شعاعاً من نور يشع في كيانها، فيضيء الدنيا من حولها، وسمعت هاتفاً يبشرها بأعظم ولد.

وذهب جمهور العلماء إلى أنه -ﷺ- ولد يوم الاثنين، الثاني عشر من شهر ربيع الأول بمكة المكرمة، ويوافق رأى الجمهور إلى ما ذهب إسحاق إليه وغيره عام الفيل ٥٧٠م.

وكانت مكة حين ذاعت فيها بشرى مولد ابن عبدالله، ما تزال تحتفل بما أتاح الله لها من نصر على أصحاب الفيل، من حيث لا تحتسب، فرأى القوم في ولادة سيد الوجود، ورسول كل والد ومولود آية أخرى يوم أن اختير أبوه قرباناً لله رب الكعبة، ثم افتدى بمائة رأس من الإبل.

أقول ولا أكون مغالياً، إن الله اصطفى مع الزمان أم القرى مكة، وبنى عندها ما اصطفى لنفسه بيتاً، ثم اصطفى لنا مع الزمان ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الأول موعد مولد المصطفى -ﷺ- ليكون ربيعاً للإنسانية، ورسولاً للبشرية، هادياً مهدياً، رحمة للعالمين.

وإذا تأملنا في كل ما سبق وغيره لنجد الدروس النافعة لنا في حياتنا التي منها أن آباءه موحدون، وأنه سليل آباء طاهرين ساجدين، وأن اختيار اسم محمد، هذا الاسم الشريف هو أشرف أسمائه -ﷺ- وأشهرها بين العالمين، وألذها سماعاً عند جميع المسلمين، وأشوقها إلى الصلاة والسلام على سيد الأنام، ولذا خصت به كلمة التوحيد، ولم يسم قبله بهذا الاسم إلا خمسة عشر، سموا به رجاء النبوة؛ لعلمهم بأنه سيكون نبي آخر الزمان، وأن اسمه محمداً، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ثم إنه يستحب التسمية به محبة فيه -ﷺ- ثم يجب حفظ نسبه وإن نعلمه أطفالنا، وشبابنا، وأنه ولد بمكة، ودفن بالمدينة عليه الصلاة والسلام.

ثم إن إهلاك أصحاب الفيل الذى كان إهلاكهم تشريفاً له -ﷺ- ولبلده، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه أهل مكة، لأن أهل مكة كانوا عُبّاد أوثان، فنصرهم الله -تعالى- نصراً لا صُنع للبشر فيه، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذى نشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي خاتم الأنبياء محمد -ﷺ- ثم إن حب العرب حب للنبي -ﷺ- وأن بغض العرب مفارقة للدين، وقال بعض أهل المعاني: كان مولده -ﷺ- في فصل الربيع، وهو أعدل الفصول، ليله ونهاره معتدلاً بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة، وشمسه معتدلة في العلو والهبوط، وقمره معتدل في أول درجة من الليالي البيض، وينعقد في سلك هذا النظام، ماهيأ الله -تعالى- له -ﷺ- من أسماء مُربيته، ففي

الوالدة والقابلة: الأمن والشفاء، وفي اسم الحاضنة: البركة والنماء، وفي مرضعيه -ﷺ- الثواب والحلم والسعد.

وأن ظهوره -ﷺ- وفي شهر ربيع فيه إشارة ظاهرة لمن تفطن لها بالنسبة إلى اشتقاق لفظة ربيع، إذ أن فيه تفاؤلاً حسناً، وبشارة لأمته -ﷺ- وإشارة ظاهرة من المولى -تبارك وتعالى- إلى التنويه بعظيم قدر هذا النبي الكريم -ﷺ- وأنه رحمة للعالمين، وبشرى للمؤمنين، وحماية لهم من المهالك والمخاوف في الدارين، وحماية للكافرين بتأخير العذاب عنهم لأجله -ﷺ- قال -تعالى-:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾(٤) فوقعت البركات وإدرار الأقوات والأرزاق، ومن أعظمها مَنّه على عباده لهدايته -عليه الصلاة والسلام- لهم إلي صراط الله المستقيم.

ثم إن ما في شريعته -ﷺ- من شبه الحال، ألا ترى أن فصل الربيع أعدل الفصول وأحسنها، إذ ليس فيه برد مزعج ولا حر مقلق، وليس في ليله ولا نهاره طول خارق، بل كله معتدل وفصله سالم من العلل والأمراض والعوارض، التي يتوقعها الناس في أبدانهم في زمان الخريف، بل الناس فيه تنتعش قُواهم وتنصلح أمزجتهم وتنشرح صدورهم؛ لأن الأبدان يدركها فيه من أمداد القوة ما يدرك النبات حين خروجه، إذ منها خلقوا فيطيب ليلهم للقيام، ونهارهم للصيام، فكان في ذلك شبه الحال بالشريعة السمحة التي جاء بها -صلوات الله وسلامه عليه- من رفع الإصر والأغلال التي كانت على من قبلنا.

ثم إن الحكيم -سبحانه وتعالى- قد شاء أنه -ﷺ- تتشرف به الأزمنة والأمكنة لا هو يتشرف بها، بل يحصل للزمان أو المكان الذي يباشره -عليه الصلاة والسلام- الفضيلة العظمى والمزية على ما سواه من جنسه إلا ما استثني من ذلك لأجل زيادة الأعمال فيها وغير ذلك، فلو ولد -ﷺ- في شهر رمضان أو في شهر محرم أو في يوم معظم أو نحو ذلك لكان قد يتوهم أنه يتشرف بها فجعل الحكيم -جل جلاله- مولده -ﷺ- في غيرها؛ ليظهر عظيم عنايته -سبحانه وتعالى- وكرامته عليه(٥).

اللهم وفقنا لمحبته ومحبة من يحبه واحشرنا في زمرته وأمتنا على ملته واجعله شافعاً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون.

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

(٤) سورة الأنفال (٣٣).

(٥) سبل الهدى والرشاد (١/٤٠١).

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الآيات من ١٨٣ : ١٨٥]

بعد أن تحدثت السورة الكريمة عن القصاص، وعن الوصية، أتبعتهما بالحديث عن عبادة عظيمة من العبادات التي جعلها الله – تعالى – ركنا من أركان الإسلام وهي صوم رمضان :

الصيام: مصدر صام كالقيام مصدر قام، وهو في اللغة : الإمساك وترك التنقل من حال إلى حال، فيقال للصمت صوم لأنه إمساك عن الكلام ومنه قوله – تعالى – مخبراً عن مريم :

﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا ﴾ أي : سكوتاً عن الكلام. وصوم الريح ركودها وإمساكها عن الهبوب. وتقول العرب : صام النهار وصامت الشمس عند قيام الظهيرة لأنها كالممسكة عن الحركة.

أما الصيام في عرف الشرع فهو – كما يقول الألوسي – : إمساك عن أشياء مخصوصة على وجه مخصوص في زمان مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة.

وقد فرض الله – تعالى – على المسلمين صيام شهر رمضان في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، وعده النبي – ﷺ – أحد أركان الإسلام الخمسة، فقد روى البخاري – بسنده – عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : «بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».

وأل في الصيام للعهد الذهني، فقد كان العرب يعرفون الصوم، فقد جاء في الصحيحين عن عائشة قالت : «كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش والجاهلية».

والتشبيه في قوله – تعالى – :

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

راجع إلى أصل إيجاب الصوم وفريضته. أي : أن عبادة الصوم كانت مكتوبة ومفروضة على الأمم السابقة، ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله، إذ لم يرد نص صحيح عن رسول الله – ﷺ – يبين لنا فيه كيف كان صيام الأمم السابقة على الأمة الإسلامية.

وقيل إن التشبيه راجع إلى وقت الصوم وقدره، فقد روى عن مجاهد أنه قال : كتب الله – عز وجل – صوم شهر رمضان على كل أمة.

وهذا القول ليس له دليل، ولذا قال القاضي أبوبكر بن العربي : المقطوع به أن التشبيه في الفرضية خاصة، وسائر الوجوه مجرد احتمال.

ولفظ «كما» في قوله – تعالى – :

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾

في موضع نصب على المصدر، أي : فرض عليكم الصيام فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم.

ومن فوائد هذا التشبيه، الاهتمام بهذه العبادة والتنويه بشأنها إذ شرعها – سبحانه – لأتباع النبي – ﷺ – ولأتباع الرسل الذين سبقوه في الدعوة إلى توحيد الله، وهذا مما يقتضي وفرة ثوابها، ودوام صلاحها.

كذلك من فوائده تسهيل هذه العبادة على المسلمين؛ لأن الشيء الشاق تخف مشقته على الإنسان عند ما يعلم أن غيره قد أداه من قبله.

والفائدة الثالثة من هذا التشبيه إثارة العزائم والهمم للنهوض بهذه العبادة، حتى لا يكونوا مقصرين في أدائها، بل يجب عليهم أن يؤدوها

بقوة تفوق من سبقهم لأن الأمة الإسلامية قد وصفها - سبحانه - بأنها خير أمة أخرجت للناس وهذه الخيرية تقتضى منهم النشاط فيما كلفهم الله بأدائه من عبادات.

وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ جملة تعليلية جيء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام فكأنه - سبحانه - يقول لعباده المؤمنين : فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه على الذين من قبلكم، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوى والخشية من الله، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، ولا شك أن هذه الفريضة ترتفع بصاحبها إلى أعلى عليين متى أداها بآدابها وشروطها، ويكفى أن الرسول - ﷺ - قد قال فى شأن الصوم : «الصوم جنة»[1] أى : وقاية. إذ فى الصوم وقاية من الوقوع فى المعاصى، ووقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن الإفراط فى تناول بعض الأطعمة والأشربة.

وقوله : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ أى : معينات بالعد أو قليلات، لأن القليل يسهل عده فيعد والكثير يؤخذ جزافاً.

والمراد بهذه الأيام المعدودات شهر رمضان عند جمهور العلماء.

قالوا : وتقريره أنه - تعالى - قال أولا:

﴿ كتب عليكم الصيام ﴾ وهذا محتمل ليوم ويومين ثم بينه بقوله :

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ فزال بعض الاحتمال ثم بينه بقوله :

﴿ شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ فعلى هذا الترتيب يمكن جعل الأيام المعدودات بعينها شهر رمضان، وإذا أمكن ذلك فلا وجه لحمله على غيره[2].

وإنما عبر عن رمضان بأيام وهى جمع قلة ووصف بمعدودات وهى جمع قلة - أيضاً - تهوينا لأمره على المكلفين، وإشعاراً لهم بأن الله - تعالى - ما فرض عليهم إلا ما هو فى وسعهم وقدرتهم.

وقيل : إن المراد بالأيام المعدودات غير رمضان، وذكروا أن المراد بها ثلاثة أيام من كل شهر وهى الأيام البيض: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر مضافاً إليها يوم عاشوراء.، ثم نسخ ذلك بوجوب صوم شهر رمضان.

والمعتمد بين المحققين من العلماء هو القول الأول، لأنه - كما قال الإمام الرازى - لا وجه لحمله على غيره، والقول بالنسخ زيادة لا دليل عليها.

وقوله : ﴿ أياماً ﴾ منصوب على الظرفية، أو بفعل مضمر مقدر أى : صوموا أياماً. وقوله : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ زيادة بيان ليسر شريعة الإسلام بعد أن أخبرهم - سبحانه - بأن الصوم المفروض عليهم إنما هو أيام معدودات، وتعجيل بتطمين

---

(١) قطعة من حديث رواه البخارى فى كتاب الصوم جـ ٣ ص ٣١.

(٢) تفسير الرازى جـ ٥ ص ٧٨

نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم فى كل حال.

والمرض : الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، بأن يصاب بانحراف فى جسده يجعله فى حالة وجع أو اضطراب بدنى.

قال القرطبى : وللمريض حالتان :

إحداهما : ألا يطيق الصوم بحال فعليه الفطر واجباً.

الثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة فهذا يستحب له الفطر، فالفطر مباح فى كل مرض إلا المرض اليسير الذى لا كلفة معه فى الصيام(٣).

وقوله : ﴿ أو على سفر ﴾ قال الآلوسى معناه : أو راكب سفر مستعل عليه متمكن منه، بأن اشتغل به قبل الفجر، ففيه إيماء إلى أن من سافر فى أثناء اليوم لم يفطر، واستدل بإطلاق السفر على أن السفر القصير وسفر المعصية مرخص للإفطار، وأكثر العلماء على تقييده بالمباح وبما يلزمه العسر غالباً وهو السفر إلى المسافة المقدرة فى الشرع»(٤).

والعدة فعلة من العد، وهى بمعنى المعدود، كالطحن بمعنى المطحون ومنه عدة المرأة.

والمعنى : لقد فرضنا عليكم الصوم أيها المؤمنون، وجعلناه كما هو الشأن فى كل ما شرعناه متسماً باليسر لا بالعسر، ومن مظاهر ذلك أننا فرضنا عليكم صوم أيام معدودات وهى أيام شهر رمضان، ولم نفرض عليكم صوم الدهر، وأننا شرعنا لمن كان مريضاً مرضا يضره الصوم أو يعسر معه، أو كان على سفر يشق عليه معه الصوم، شرعنا له أن يفطر وأن يصوم بدل الأيام التى أفطرها أياما أخر مساوية لها فى العدد.

قال الإمام الرازى : قال القفال : انظروا إلى عجيب ما نبه الله عليه من سعة فضله ورحمته فى هذا التكليف، إذ أنه بين فى أول الآية أن لهذه الأمة فى هذا التكليف أسوة بالأمم المتقدمة، والغرض منه ما ذكرناه من أن الأمور الشاقة إذا عمت خفت، ثم ثانيا بين وجه الحكمة فى إيجاب الصوم وهو أنه سبب لحصول التقوى فلو لم يفرض الصوم لفات هذا المقصود الشريف، ثم بين ثالثا أنه مختص بأيام معدودة فإنه لو جعله أبداً أو أكثر الأوقات لحصلت المشقة العظيمة، ثم بين رابعا : أنه خصه من الأوقات بالشهر الذى أنزل فيه القرآن لكونه أشرف الشهور بسبب هذه الفضيلة، ثم بين خامساً : إزالة المشقة فى إلزامه فأباح تأخيره لمن شق عليه من المسافرين والمرضى إلى أن يصيروا إلى الرفاهية والسكون، فهو - سبحانه - راعى فى إيجاب الصوم هذه الوجوه من الرحمة فله الحمد على نعمه كثيراً»(٥).

هذا، وقد نص الفقهاء على أن الإفطار مشروع على سبيل الرخصة للمريض والمسافر، وهما بالخيار فى ذلك إن شاءا أفطرا وإن شاءا صاما، إلا أن أكثر الفقهاء قالوا : الصوم أفضل لمن قوى عليه.

---

(٣) تفسير القرطبى جـ ٢ ص ٢٧٦ بتصرف وتلخيص.

(٤) تفسير الآلوسى جـ ٢ ص ٥٨.

(٥) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص ٨٠.

والذى نراه أن الله - تعالى - قد أباح الفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر، لأن كلا منهما مظنة المشقة والحرج، والحكم الشرعى يوجد حيث توجد مظنته وينتفى حيث تنتفى، وعلى المسلم أن يقدر حال نفسه، فإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره ليس فى الصوم معه مشقة أو عسر صام عملا بقوله - تعالى - : ﴿ وأن تصوموا خير لكم ﴾ . وإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره يجعل الصوم شاقاً عليه أفطر عملا بقوله - تعالى - :

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾

فالمسألة ترجع إلى ضمير الفرد ودينه واستفتاء قلبه .

والثابت عن رسول الله - ﷺ - أنه صام فى السفر وأفطر، وخير بعض أصحابه بين الصوم والفطر، فقد روى البخارى ومسلم عن أبى الدرداء - رضى الله عنه - قال : خرجنا مع النبى - ﷺ - « وفى إحدى روايتى مسلم - فى شهر رمضان - ، فى يوم حار، حتى ليضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا ما كان من النبى - ﷺ - وابن رواحه » .

وروى الإمام مسلم فى صحيحه عن قزعة قال: أتيت أبا سعيد الخدرى فسألته عن الصوم فى السفر فقال : سافرنا مع رسول الله - ﷺ - إلى مكة ونحن صيام، قال : فنزلنا منزلا فقال رسول الله - ﷺ - : إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم، فكانت رخصة، فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر فقال : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا؛ وكانت عزمة فأفطرنا، ثم قال : ولقد رأيتنا نصوم مع رسول الله - ﷺ - بعد ذلك فى السفر.

وروى الشيخان عن أنس بن مالك قال : كنا نسافر مع النبى - ﷺ - فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة .

وهناك مسألة أخرى تعرض لها الفقهاء بالحديث وهى مسألة قضاء الأيام التى أفطرها المريض أو المسافر هل يقضيها متتابعة أو متفرقة وهل يقضيها على الفور أو على التراخى؟

وجمهور الفقهاء على أن للمفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر أن يقضى ما أفطره متتابعاً أو متفرقاً؛ لأن قوله - تعالى - :

﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ . دل على وجوب القضاء من غير تعيين لزمان، لأن اللفظ - كما قال القرطبى - مسترسل على الأزمان لايختص ببعضها دون بعض، وله كذلك أن يقضى ما عليه على الفور أو على التراخى على حسب مايتيسر له . ففى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - قالت : « يكون علىّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا فى شعبان، وذلك لمكان رسول الله - ﷺ - وهذا النص وزيادة بيان للآية » .

ويرى داود الظاهرى أن على المفطر فى رمضان بسبب المرض أو السفر أن يشرع فى قضاء ما أفطره فى اليوم الثانى من شوال المعاقب له، وأن يتابع أيام القضاء.

والمعتمد بين العلماء هو قول الجمهور لقوة أدلته التي سبق بيانها.

وقوله - تعالى - :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ بيان لحكم آخر من أحكام الشريعة فيما يتعلق بصوم رمضان يتجلى فيه تيسير الله على عباده فيما شرع لهم من عبادات.

ومعنى (يطيقونه) يقدرون عليه ويتحملونه بمشقة وتعب، لأن الطاقة اسم للقدرة على الشيء مع الشدة والمشقة، والوسع اسم للقدرة على الشيء على جهة السهولة.

قال الراغب : والطاقة اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء، ومنه

﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾ أي ما يصعب علينا مزاولته، وليس معناه : «لا تحملنا مالا قدرة لنا به»[6].

والعرب لا تقول فلان أطاق الشيء إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف بحيث يتحمله بمشقة وعسر. فلا يقال - مثلا - فلان يطيق حمل نواة أو ريشة أو عشرة دراهم من حديد، وإنما يقال : هو يطيق حمل قنطارين من الحديد أو حمل الأمتعة الثقيلة.

وللعلماء أقوال في المراد بقوله - تعالى - :

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾

أشهرها:

١ - إن هذا راجع إلى المقيم الصحيح خيره الله - تعالى - بين الصوم وبين الفداء، وكان ذلك في بدء الإسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم، فرخص لهم في الإفطار والفدية، ثم نسخ ذلك وأوجب الله عليهم الصوم.

ويشهد لهذا القول ما جاء في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها.

وفي رواية للإمام مسلم من طريق آخر عن سلمة - أيضاً - قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله - ﷺ - من شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾.

٢ - ويرى بعض العلماء أن قوله - تعالى - :

﴿ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ ﴾ إلخ، ليس بمنسوخ بل هو محكم، وأنه نزل في شأن الشيخ الكبير الهرم، والمرأة العجوز، إذا كانا لا يستطيعان الصيام فعليهما أن يفطرا وأن يطعما عن كل يوم مسكينا.

وأصحاب هذا الرأي يستدلون بما رواه البخاري عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية : ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فعليهما أن يطعما مكان كل يوم مسكيناً.

٣ - وهناك رأي ثالث لبعض العلماء يرى أصحابه أن قوله - تعالى - :

---

(٦) مفردات القرآن ص ٣١٢ للراغب الأصفهاني

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾

ليس بمنسوخ - أيضاً - بل هو محكم، وأن معنى الآية عندهم : وعلى الذين يطيقونه، أي : يقدرون على الصيام بمشقة شديدة إذا أرادوا أن يفطروا أن يطعموا عن كل يوم يفطرونه مسكيناً. (بأن يقدموا له نصف صاع من بر أو صاعا من تمر أو شعير، أو قيمة ذلك).

ولم يقصروا ذلك على الرجل الكبير والمرأة العجوز - كما فعل أصحاب الرأى الثانى - وإنما أدخلوا فى حكم الذين يقدرون على الصوم بمشقة وتعب المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما ومن فى حكمهما ممن يشق عليهم الصوم مشقة كبيرة.

وأصحاب هذا الرأى يستدلون على ما ذهبوا إليه بمنطوق الآية، إذ أن الوسع اسم للقدرة على الشىء على جهة السهولة، والطاقة اسم للقدرة عليه مع الشدة والمشقة - كما سبق أن بينا -، كما يستدلون - أيضاً - على ما ذهبوا إليه بقراءة (يطيقونه) - بضم الياء الأولى وتشديد الياء الثانية - أى يتجشمونه، ويتكلفونه بمشقة وتعب، وقد انتصر بعض العلماء لهذا الرأى بناء على أن منطوق الآية يؤيده.

كما انتصر بعضهم للرأى الأول بناء على أن الأحاديث الصحيحة تسانده وعلى أنه هو الأقرب إلى روح الشريعة الإسلامية فى التدرج فى تشريع التكاليف التى فيها مشقة على الناس، كما انتصر بعضهم للرأى الثانى الذى روى عن ابن عباس.

وهناك أقوال أخرى فى الآية رأينا أن نضرب عنها صفحاً لضعفها.

وقوله : ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ﴾ حض من الله - تعالى - لعباده على الإكثار من عمل الخير.

والتطوع : السعى فى أن يكون الإنسان فاعلا للطاعة باختياره بدون إكراه، والخير : مصدر خار إذا حسن وشرف، وهو منصوب لتضمين تطوع معنى أتى، أو على أنه صفة لمصدر محذوف أى تطوعاً خيراً.

والمعنى : فمن تطوع خيراً بأن زاد على القدر المفروض فى الفدية، أو أطعم أكثر من مسكين، أو جمع بين الإطعام والصوم، فتطوعه سيكون خيراً عند الله - سبحانه - لا يضيع أجر من أحسن عملا.

وقوله : ﴿ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ترغيب فى الصوم وتحبيب فيه. أى : وأن تصوموا أيها المطيقون للصوم، أو أيها المكلفون جميعاً خير لكم من كل شىء سواه، إن كنتم تعلمون فوائد الصوم فى حياتكم، وحسن جزائه فى آخرتكم.

روى النسائى وابن خزيمة عن أبى أمامة - رضى الله عنه - قال : « قلت : يارسول الله مرنى بعمل قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له - أى لا يعادل ثوابه بشىء - فقلت يارسول الله مرنى بعمل، فقال : عليكم بالصوم فإنه لا عدل له. فقلت : يارسول الله مرنى بعمل أدخل به الجنة، فقال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له »[٢].

وقوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ كلام

مستأنف لبيان تلك الأيام المعدودات التي كتب علينا الصوم فيها وأنها أيام شهر رمضان الذي يستحق كل مدح وثناء لتشرفه بنزول الكتب السماوية فيه.

قال الإمام ابن كثير : يمدح - تعالى - شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم، فقد ورد في الحديث بأنه الشهر الذي كانت الكتب الإلهية تنزل فيه على الأنبياء، فعن واثلة بن الأسقع أن رسول الله - ﷺ - قال : « أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل القرآن لأربع وعشرين خلت من رمضان »[8].

و (الشهر) مأخوذ من الشهرة، يقال : شهر الشيء يشهر شهرة وشهراً إذا ظهر بحيث لا يتعذر علمه على أحد، ومنه يقال : شهرت السيف إذا سللته قال بعضهم : وسمي الهلال شهراً لشهرته وبيانه، وبه سمي الشهر شهراً.

و (رمضان) اسم لهذا الشهر الذي فرض علينا صيامه، وهو مأخوذ - كما قال القرطبي - من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش والرمضاء : شدة الحر، ومنه الحديث : « صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال » - أي صلاة الضحى - قيل : إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر فسمي بذلك، قيل إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب، أي : يحرقها بالأعمال الصالحة »[9].

وقوله : (شهر رمضان) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو شهر رمضان أي : الأيام المعدودات، وقوله : (الذي أنزل فيه القرآن) صفة للشهر.

ويجوز أن يكون قوله (شهر) مبتدأ وخبره الموصول بعده، أو خبره قوله :

﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ وصح وجود الفاء في الخبر لكون المبتدأ موصوفاً بالموصول الذي هو شبه بالشرط، وقرىء بالنصب على أنه مفعول لفعل محذوف، أي : صوموا شهر رمضان و« القرآن » هو كلام الله المعجز المنزل على محمد - ﷺ - المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته.

والمراد بإنزال القرآن في شهر رمضان ابتداء إنزاله فيه، وكان ذلك في ليلة القدر، بدليل قوله - تعالى - :

﴿ **إنا أنزلناه في ليلة القدر** ﴾ أي بدأنا إنزال القرآن في هذه الليلة المباركة، إذ من المعروف أن القرآن استمر نزوله على النبي - ﷺ - ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة.

وقيل المراد بذلك، أنزل في فضله القرآن، قالوا: ومثله أن يقال : أنزل الله في أبي بكر الصديق كذا آية، يريدون أنزل في فضله.

وقيل المراد أنزل في إيجاب صومه على الخلق القرآن، كما يقال : أنزل الله في الزكاة كذا

---

(٧) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ ص ٨٥ من «كتاب الصوم».

(٨) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢١٦.

(٩) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٢٩١ بتصرف وتلخيص.

وكذا، يريد في إيجابها وأنزل في الخمر كذا يريد في تحريمها.

قال الألوسي : وقوله - تعالى - :

﴿هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾

حالان لازمان من القرآن والعامل فيهما أنزل، أي : أنزل وهو هداية للناس بإعجازه المختص به كما يشعر بذلك التنكير، وآيات واضحات من جملة الكتب الإلهية الهادية إلى الحق والفارقة بين الحق والباطل باشتماله على المعارف الإلهية والأحكام العملية، كما يشعر بذلك جعله بينات منها، فهو هاد بواسطة أمرين، مختص وغير مختص، فالهدى ليس مكرراً، وقيل : مكرر تنويهاً وتعظيماً لأمره وتأكيداً لمعنى الهداية كما تقول : عالم نحرير»(١٠).

وقوله : **﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾** يصح أن يكون شهد بمعنى حضر. كما يقال : فلان شهد بدراً، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - أي : حضرها، فيكون المعنى : فمن حضر منكم دخول الشهر أو حلوله بأن كان مقيما وليس عنده ما يمنعه من الصوم كمرض ونحوه، فليصمه؛ لأن صيامه ركن من أركان الدين، وعليه يكون لفظ «الشهر» منصوب على الظرفية.

ويصح أن يكون شهد بمعنى علم كقوله - تعالى - : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

فيكون المعنى : فمن علم منكم هلال الشهر وتيقن من ظهوره فليصمه.

وعليه يكون لفظ «الشهر» منصوب على أنه مفعول به بتقدير المضاف المحذوف و (من) موصولة أو شرطية وهو الأظهر و (منكم) في محل نصب على الحال من الضمير في شهد فيتعلق بمحذوف أي : كائناً منكم، والضمير في «منكم» يعود على الذين آمنوا، أي كل من حضر منكم الشهر فليصمه و (أل) في الشهر للعهد.

وأعيد ذكر الرخصة في قوله - تعالى - ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر، لئلا يتوهم من تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه خير، أنه قد صار متحتماً بحيث لا تتناوله الرخصة بوجه من الوجوه أو تتناوله ولكنها مفضولة، وفي ذلك عناية بأمر الرخصة وأنها محبوبة له - تعالى -.

وقوله - تعالى - : **﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾** بيان لحكمة الرخصة.

أي : شرع لكم - سبحانه - الفطر في حالتي المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر والسهولة. ولا يريد بكم العسر والمشقة. قال - تعالى - :

﴿يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا﴾ وقال - تعالى - :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

وفي الصحيحين أن رسول الله - ﷺ - قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري حين بعثهما إلى اليمن : «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا».

وقوله - تعالى - :

﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ معطوف على قوله:

---

(١٠) تفسير الألوسي جـ ٢ ص ٦١.

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾

إذ هذه الجمل الأربع تعليل لما قبلها من قوله :

﴿ فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾

إلى قوله : ﴿ فعدة من أيام أخر ﴾ .

والمعنى : شرع لكم - سبحانه - ماشرع من أحكام الصيام، ورخص لكم الفطر في حالتي المرض والسفر، لأنه يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولأنه يريد منكم أن تكملوا عدة الشهر بأن تصوموا أيامه كاملة فتحصلوا خيراته ولا يفوتكم شيء من بركاته، ومن لم يستطع منكم أداء الصوم في هذا الشهر لعذر فعليه قضاء مافاته منه في أيام أخر ويريد منكم أن تكبروه - سبحانه - أي تحمدوه وتعظموه، فهو وحده الذي هداكم إلى تلك الأحكام النافعة التي فيها صلاحكم وسعادتكم ويريد منكم أن تشكروه بأن تواظبوا على الثناء عليه، وعلى استعمال نعمه فيما خلقت له فهو - سبحانه - الرءوف الرحيم بعباده، إذ شرع لهم ما فيه اليسر لا ما فيه العسر.

وقد دلت الآية الكريمة على الأمر بالتكبير إذ جعلته مما يريده الله - تعالى - ولهذا جاءت السنة باستحباب التحميد والتسبيح والتكبير بعد الصلوات المكتوبات، وفي عيدي الفطر والأضحى يكون تكبير الله - تعالى - هو مظهرهما الأعظم.

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت أكمل بيان وأحكمه فضل الصوم، وحكمة مشروعيته ومظاهر رحمة الله بعباده في هذه الفريضة، وقد ذكرت أن المسلم له بشأن هذه الفريضة حالة من حالات ثلاث.

الحالة الأولى : إذا كان المسلم في شهر رمضان كله أو بعضه مريضاً بمرض عارض غير مزمن يرجى الشفاء منه، أو مسافراً تتوفر فيه شروط الفطر، فله أن يفطر وأن يقضي بعد رمضان الأيام التي أفطرها بدليل قوله - تعالى - :

﴿ فمن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر ﴾ .

الحالة الثانية : إذا كان المسلم في شهر رمضان مريضاً بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه والصوم فيه مشقة عليه، أو كان شيخاً كبيراً أو امرأة عجوزاً ولا يستطيعان الصوم، فقد أباح الشارع لهؤلاء أن يفطروا وأن يطعموا عن كل يوم مسكيناً، لأن هذه الأعذار لا يرجى زوالها، ولا ينتظر أن يكون المبتلى بعذر منها بعد رمضان خيراً منه في رمضان، لذا أوجب الشارع على هؤلاء الفدية دون القضاء، بدليل قوله - تعالى - :

﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ﴾ .

الحالة الثالثة : إذا كان المسلم في شهر رمضان سليماً مقيماً وليس عنده عذر يمنعه من الصوم، فقد أوجب الله عليه أداء هذه الفريضة بقوله - تعالى - : (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) ويحرم عليه أن يفطر، وإن أفطر لغير عذر شرعي كان من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ففي الحديث الشريف الذي رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : « من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه - أي لم يجزه - صوم الدهر كله وإن صامه »[١١] .

أي : لو حصل منه صوم طول حياته فلن يدرك ثواب ما ضيع بسبب فطره بغير عذر شرعي.

والأحاديث في الترغيب في صوم شهر رمضان، وفي الترهيب من الفطر فيه كثيرة متنوعة.

« يتبع »

---

(١١) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ ص ١٠٨.

بيان مجمع البحوث الإسلامية

بشأن رواية

وليمة لأعشاب البحر

لمؤلفها : حيدر حيدر

طبع ونشر الهيئة العامة لقصور الثقافة التابعة لوزارة الثقافة بالقاهرة.

تم عرض موضوع الرواية المشار إليها على «لجنة البحوث الفقهية» فكلفت اثنين من أعضائها المتخصصين بكتابة تقريرين منفصلين عن الرواية لعرضهما فى جلسة استثنائية «لمجمع البحوث الإسلامية» حدد لها يوم الأربعاء ١٣ من شهر صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٧ من شهر مايو سنة ٢٠٠٠م، وقد تم عرض هذين التقريرين والرواية على المجمع فى جلسته الاستثنائية وتبين ما يأتى:

أولاً : أن وزارة الثقافة التى نشرت هذه الرواية لم تستطلع رأى الأزهر الشريف أو مجمع البحوث الإسلامية مع ما ورد فيها من أمور كثيرة تتصل بالإسلام والعقيدة والشريعة، وذلك على خلاف ما يقضى به القانون ١٠٣ لسنة ١٩٦١م بشأن إعادة تنظيم الأزهر والهيئات التى يشملها ولائحته التنفيذية والقوانين المتصلة بحماية حق المؤلف وتنظيم وزارة الثقافة مما قطعت فيه الجمعية العمومية لقسمى الفتوى والتشريع بمجلس الدولة بفتواها الصادرة بجلسة ٢ من فبراير سنة ١٩٩٤ (ملف رقم ٥٨ / ١-٦٦) من أن الأزهر الشريف هو وحده صاحب الرأى الملزم لوزارة الثقافة فى تقدير الشأن الإسلامى للترخيص أو رفض الترخيص بالمصنفات، وأن شيخ الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية، وما يتبعه من إدارات هو صاحب الولاية فى فحص المؤلفات والمصنفات التى تتعرض للإسلام لإبداء الرأى فيها.

ثانياً : إن الرواية مليئة بالألفاظ والعبارات التى تحقر وتهين جميع المقدسات الدينية بما فى ذلك ذات الله -سبحانه وتعالى- والرسول -ﷺ- والقرآن الكريم واليوم الآخر، والقيم الدينية.

ومن ذلك أنها تستهزىء بذات الله، مثل وصفه بأنه «فنان فاشل» ص٢١٩، وأنه نسى بعض مخلوقاته من تراكم مشاغله التى لا تحد فى بلاد العرب وحدها (ص٢٥٧) وأنه أقام مملكته الوهمية فى فراغ السماوات ليدخل فى خلود ذاته بذاته (ص٤٢٦).

كما يفترى على الرسول -عليه الصلاة والسلام- بأنه تزوج لأكثر من عشرين امرأة ما بين شرعية، وخليلة، ومتعة (ص١٤٨)، وأنه كان يتزوج من عذارى القبائل بغية توحيدها (ص٤٢٦، ٤٢٧).

وأنه حرف فى آيات القرآن الكريم ونسب إليه ما ليس منه كقوله: «والله -تعالى- قال فى كتابه العزيز:

(إذا بليتم بالمعاصى فاستتروا)ص١٤٨).

كما أن الرواية تحرض صراحة على الخروج عن الشريعة الإسلامية وعدم التمسك بأحكامها وذلك بالدعوة إلى ضرورة الانفصال عن الدين والله والأخلاق والتقاليد، والأزمنة الموحلة، والجنة والجحيم الخرافيين، وطاعة أولى الأمر والوالدين، والزواج المبارك بالشرع، وسائر الأكاذيب والطقوس التى رسمتها دهور الكذب ص (٣٤٨).

ثالثاً: إن الرواية خرجت عن الآداب العامة خروجاً فاضحاً وذلك بالدعوة إلى الجنس غير المشروع واستعمال الألفاظ فى الوقاع وأعضائه الجنسية للذكر والأنثى بلا حياء مما يعف اللسان عن ذكرها وكتابة نصها حفاظاً على الحياء العام الذى انتهكته الرواية.

رابعاً: إن الرواية لم تكتف بذلك بل حرضت صراحة على إهانة جميع الحكام العرب ووصفتهم بأقبح وأقذع الأوصاف مما يعف المقام عن ذكرها، وطالبت بالخروج عليهم والثورة ولو بإراقة الدماء.

خامساً: اتضح لمجمع البحوث الإسلامية من كل ما سبق أن ما ورد برواية «وليمة لأعشاب البحر» لمؤلفها حيدر حيدر خروج عما هو معلوم من الدين بالضرورة، وينتهك المقدسات الدينية والشرائع السماوية، والآداب العامة، والقيم القومية ويثير الفتن ويزعزع تماسك وحدة الأمة التى هى الركيزة الأساسية لبناء الدولة، ويضع على عاتق من نشروا هذه الرواية دون استطلاع رأى أهل الاختصاص المسئولية الكاملة عن هذا التجاوز والآثار المترتبة عليه دينياً واجتماعياً وذلك على النحو الموضح تفصيلاً بالتقريرين المقدمين من عضوى مجمع البحوث الإسلامية المشار إليهما.

والله ولى التوفيق.

شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى

تحريراً فى ١٣ من صفر سنة ١٤٢١ هـ

الموافق ١٧ من مايو سنة ٢٠٠٠ م

بيان مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف حول جلاء القوات الإسرائيلية عن أرض لبنان

استقبل مجمع البحوث الإسلامية في اجتماعه المعقود صباح يوم الخميس ٢١ من صفر سنة ١٤٢١ هـ. الموافق ٢٥ من مايو سنة ٢٠٠٠م. أنباء جلاء القوات الإسرائيلية عن أرض لبنان نتيجة لصمود الشعب اللبناني وكفاحه.

ويعرب المجمع عن تقديره لنضال الشعب اللبناني في كفاحه من أجل استرداد حقوقه وأرضه، ويضرع إلى الله -سبحانه وتعالى- أن يحقق للأمة العربية والإسلامية أهدافها واسترداد كل حقوقها المغصوبة حتى يسود الأمن والاستقرار ربوع العالم العربي والإسلامي، وأن يتحرر القدس الشريف من المعتدين والغاصبين. والله ولي التوفيق.

رئيس مجمع البحوث الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي

شيخ الأزهر

قبس من أنوار النبوة

الأسوة الحسنة في منهج الرسول ﷺ

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى». رواه البخاري.

كلما أقبل شهر ربيع الأول على الأمة الإسلامية، فإنها تعيش في أغلى الذكريات وأعزها على قلوب أهل الإيمان، ذكرى مولد نبي الله وصفوته من خليقته، ونعمة الخالق على الخلائق، أعز من الوجود وأغلى من الحياة، ويوم مولده - ﷺ - ليس يوم فرد ولا شعب ولا مملكة ولا دولة، بل هو يوم الأيام والعصور والأعوام، ويوم الإنسانية جمعاء، يوم شمسه مشرقة على الدوام لا يحجبها الغروب ولا يطويها الظلام، وهو كذلك أبد الآبدين حتى يقوم الناس لرب العالمين.

ولكن هل سألنا أنفسنا ونحن نحتفي بذكرى المولد النبوي، ماذا جددنا في أنفسنا من ذكرياته من تطبيق أحكام دينه، والعمل بهديه والتمسك بسنته، والتحلي بأخلاقه وآدابه..؟

أما أن نقيم المعالم والزينات، ونرسل الأضواء، ونوزع الحلوى، ونكتفي بالمظاهر والأشكال حتى تحول الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللعب واللهو، وحق فيمن يفعل ذلك قول الله - عز وجل -: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾(١).

فهل هذا هو الاحتفال بمولد الرسول، مع البعد عن منهجه - ﷺ - من طهارة الروح والبدن، وإخلاص في السر والعلن، وأمانة في القول والعمل، وبر في السر والجهر، وعدل مع العدو والصديق ومرحمة تتجاوز صلة الأرحام إلى صلة الناس جميعاً بل إلى العجماوات.

لقد كان المسلمون الأولون يعيشون منهج الرسول في قوله وعمله، في حركته وسلوكه، في سلمه وحربه، في يقظته ومنامه، في سفره وإقامته، في مزاحه وجده، في طعامه وشرابه، في منزله وفي أصحابه، ليس في شهر أو في عام بل في سائر الأوقات.

إن حب الرسول لا يكون في المظاهر والأشكال، بل في العمل بما جاء به رسول الله - ﷺ -، في الإيمان الصادق بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، والقدر، خيره وشره، حلوه ومره.

إن المسلمين الأول أقبلوا على نبي الإسلام يهتدون بهدى الإسلام ويأخذون تعاليم دينهم من منهج وعقيدة وتشريع وأحكام وآداب وأخلاق كما جاء في حديث

---

(١) سورة الأنعام ٧٠.

عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- فيما رواه الخمسة إلا البخاري - قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: «بينما نحن جلوس عند النبي -ﷺ- إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي -ﷺ- فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه.

قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت.

قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل قال: فأخبرني عن أماراتها» قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

قال: ثم انطلق فلبثت ملياً، ثم قال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل -عليه السلام- أتاكم يعلمكم دينكم».

فهذه أعمال ظاهرة تدل على أصل الإسلام وأنه انقياد ظاهري، واستسلام لكل ما جاء به النبي -ﷺ- فكل تطبيق عملي لما دعا إليه الدين من فريضة واجبة كهذه الفرائض التي بين بها الرسول حقيقة الإسلام، أو طاعة دعا إليها القرآن وبينها -ﷺ- في قوله وعمله وإقراره.

كل هذه الفرائض والعبادات ثمرات للتصديق الباطني بالقلب الذي هو الإيمان كما فسره النبي -ﷺ-: بأنه التصديق القلبي والاعتقاد الجازم بوجود الله -عز وجل- والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره، وهو بيان لأصل الإيمان الذي حقيقته أنه تصديق بالقلب.

وحقيقة الإسلام: إذعان واستسلام وانقياد ظاهري، وعمل بالجوارح على مقتضى الإيمان.

وإن أداء الطاعات إنما هو ثمرة للتصديق الباطني.

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٢)

وإن استشعار المؤمن في كل عباداته وأحواله كلها، بأنه يرى الله فهذا يحمله على أدائها على خير الوجوه وأكملها حتى تكون خالصة لله وحده لا شريك له، لا يشوبها مطمع ولا غرض إلا أن يكون الطمع في مرضاة الله -سبحانه وتعالى-.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾(٣).

هذا هو احتفاء المسلمين بمولد رسول الله، احتفاء بدينه وعمل بشريعته، أداء لحق الله بالإيمان بذاته وصفاته وأفعاله وأن تذكره فلا تغفل عنه عملاً وسلوكاً؛ كما أن حقه سبحانه عليك أن تؤدي الحقوق لأصحابها، وأن تعمل هذا كله لله وحده لا تبتغي بذلك إلا رضوانه وجنته.

هذا هو منهج الإسلام الذي جاء به رسوله -ﷺ-.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾(٤).

﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾(٥) ومن أحيا سنة رسول الله فهو أحب لرسول الله.

---

(٢) سورة النور ٥١، ٥٢. (٣) سورة الأنعام ١٦٢، ١٦٣. (٤) سورة الأحزاب ٧١ (٥) سورة النساء ٨.

القرآن دستور الإسلام

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

إن أعظم ما يقف عليه المسلم في القرآن: حديث القرآن عن نفسه وما أروع حديث القرآن عن نفسه، إنه حديث الصدق في أسمى درجاته، وحديث الطهر في أنقى صوره؛ لأنه مصون عن كل المؤثرات، محفوظ من التبديل والتغيير.

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، **وقد أقسم الله -تعالى- على ذلك، فقال:** ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾[2].

وقد ضرب الله الأمثلة على عظمة القرآن، وأنه لو أنزل على جبل لخشع وتصدع من خشية الله، قال -تعالى-:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

هذا وإن القرآن الكريم لهو أجل النعم الإلهية وأولها، ولذا صدر القرآن به حديثه عن النعم الوافرة، وذكره قبل نعمة النطق وغيرها من النعم والآلاء.

فقال: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝﴾[4].

وحين سمع الإمام علي -كرم الله وجهه- رسول الله -ﷺ- يقول: ستكون فتن.... إلخ، سأله عن المخرج من الفتن، فأجابه الرسول -ﷺ- قائلا: «كتاب الله -تبارك وتعالى- فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم،

(1) الحجر/ 9. (2) الواقعة/ 75 : 80. (3) الحشر/ 21. (4) الرحمن/ 1 : 7.

وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا:

﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾(٥)، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم «تخريج».

وإذا تبين لنا مما سبق عظمة القرآن ومنزلته التى تمثلت: أولا: فى الهداية ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب، قال -تعالى-:

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾(٦)

، وقال:

﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(٧)، وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾(٨).

كما بين القرآن نتيجة من أعرض عنه فى قوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ۝﴾(٩).

ثانيا: فى الإعجاز وما اشتمل عليه القرآن من كونه معجزة دالة على صدق الرسول - ﷺ - جاء به فى وقت اكتملت فيه كل ملامح القوى البلاغية ووسط قوم ملكوا زمام الفصاحة والبيان، فجاءهم بمعجزة من نوع ما برعوا فيه فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١٠)، بل إن التحدى كان للإنس والجن معا فكان عجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله واضحا قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١١).

وفيما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة قال: قال النبى - ﷺ - «ما من الأنبياء نبى إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة».

ولقد حفظ الله كتابه فى القديم وفى الحديث، من بين يديه ومن خلفه ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١٢).

وقد حاول بعض المعاندين أن يثيروا حول القرآن الكريم بعض الشبه وأن يقولوا تنزلت به الشياطين، فرد الله - تعالى - عليهم بقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾(١٣).

(٥) الجن/١.
(٦) النحل/ ٤٤.
(٧) النحل/ ٦٤.
(٨) الإسراء/ ٩.
(٩) طه/ ١٢٤ : ١٢٦.
(١٠) البقرة/ ٢٣.
(١١) الإسراء/ ٨٨.
(١٢) فصلت/ ٤١ : ٤٢.
(١٣) الشعراء/ ٢١٠ : ٢١٢.

أما تنزل الشياطين فلا يكون إلا على أهل الإفك والكذب والزور: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾(١٤).

ولما كان رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه - يجلس عند المروة إلى مبيعة غلام نصراني يقال له جبر، فزعم أعداء الدين أن جبرا هذا هو الذي يعلم الرسول أغلب ما يأتي به وحاولوا ترويج تلك الفرية فتنزل قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ۝ ﴾(١٥) بل إنهم تخبطوا في ضلالات كثيرة وأثاروا حول القرآن شبها عديدة لا يثبتون على حال، ولا يهدأ لهم بال، شأن كل متحد، فمرة يقولون عنه: إنه خلط من أخلاط الأحلام وأخرى يقولون عنه: إنه افتراء، وأخرى: بل هو شاعر، ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴾(١٦).

«وعندما فكر الرسول - ﷺ - في الالتقاء بوفود العرب والقبائل في موسم الحج يدعوهم إلى الله، اجتمع بعض المعاندين من قريش إلى الوليد بن المغيرة يتشاورون، وقالوا: ماذا عسى أن يقال في شأن محمد للعرب القادمين إلى موسم الحج، حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا، واقترح بعضهم أن يقولوا أن محمدا كاهن، فرد الوليد هذا الرأي: أن ليس ما يقول محمد بزمزمة الكاهن - أي الكلام الخفي - ولا بسجعه، واقترح آخرون أن يزعموا أن محمدا مجنون، فرد الوليد هذا الرأي بأنه لا تبدوا عليه لهذا الزعم ظاهرة، واقترح غيرهم أن يتهموا محمدا بالسحر، فرد الوليد بأن محمدا لا ينفث في العقد ولا يأتي من عمل السحرة شيئا، وبعد حوار اقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحاج من العرب أن هذا الرجل ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته»(١٧).

وفي صدد بيان تلك الفرى التي افتراها أعداء الإسلام يتحدث القرآن الكريم عنها، ويفندها ويبددها في قول الله - تعالى -:

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ ﴾(١٨) إلخ الآيات.

وجاءت هذه الآيات الكريمة لتقرر قضية الوحي الإلهي في أجل صورها وأسمائها، وهي آيات الله البينات التي اشتمل عليها القرآن الكريم وقد عالجت هذه الآيات ذلك الموضوع الهام المتعلق بأمر الوحي، بعد أن تصدت الآيات السابقة لها من صدر سورة «الأحقاف» إلى تقرير عقيدة التوحيد عن طريق بيان ما أنزل الله من كتاب، وما خلق من السماوات والأرض وما بينهما، وكتاب الكون المفتوح بما فيه من شواهد العظمة الإلهية والقدرة القوية شاهد على صدق

---

(١٤) الشعراء/ ٢٢١ : ٢٢٢. (١٥) النحل/ ١٠٣. (١٦) الأنبياء/ ٥.

(١٧) حياة محمد.. محمد حسين هيكل. (١٨) الأحقاف/ ٧ : ٨.

الكتاب المنزل الذي يهدي للتي هي أقوم، وكلاهما يتضافران في بيان أوضح الأدلة على وحدانية الله - تعالى - . . . ومن عجب بعد كل هذا الوضوح أن يعرض الذين كفروا عن تلك الحقيقة الواضحة التي لا لبس فيها ولا غموض ﴿ حم ۞ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾(١٩).

ثم أخذت الآيات بعد ذلك تطرح تساؤلاتها القوية والحجج المفحمة وتتحدى من يعبدون أحدا غير الله، وتبين عجز الجميع أن يخلقوا شيئا ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾(٢٠).

إن نهايتهم ونهاية ما عبدوا في الدنيا عجز ومهانة. وأما نهايتهم في الآخرة فهي وقوع العداوة بينهم وبين معبوديهم وتبرؤهم منهم وكفرهم بهم: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۞ ﴾(٢١)، وهكذا أبطلت الآيات السابقة عقيدة الشرك وأثبتت قضية التوحيد في جلاء ووضوح.

بعد هذا أخذت الآيات في إثبات قضية الوحي الإلهي فبينت كيف جاء القرآن وحيا جليا وآيات بينات، ومع هذا فإنهم لا يملكون أمام إعجاز القرآن إلا أن يقولوا:

﴿ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۞ ﴾(٢٢).

ثم بينت ما آل إليه أمرهم من التخبط والتضارب فيقولون: افتراه، وهنا يبرز القرآن هذه الفرية الأخرى لا في صورة الخبر بل على صورة الاستفهام؛ لأن هذا لا ينبغي أن يقول به عاقل، ومن المستبعد أن ينطق به إنسان ومعه عقله:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾(٢٣)، وهنا تأتي الإجابة أمرا من عند الله - تعالى - يتضمن استبعاد تلك الفرية على طريق التدرج معهم حتى يأتي عليها من القواعد، فعلى فرض ما ادعيتم فهل يكون مفترى من أجل أن تؤمنوا، وماذا يجدي إيمانكم لو أخذني ربي؟ ﴿ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾(٢٤)

ولكن الحقيقة واضحة، ويعلم الله ما تندفعون فيه من طعون زائفة وكفى به شهيدا على صدق ما جئت به وعلى افتراء ما تطاولتم به ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴾(٢٥).

وفي وسط هذا الجو الخانق لديهم، ومع هذا الحوار الشديد يكشف القرآن عن أسرار الرحمة الإلهية، ويشعرهم بحلم الله عليهم رغم تلك الجرائم والافتراءات فيقول:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٢٦)، فقد تتداركهم هداية الله فيهديهم، وقد يثوبون إلى رشدهم فيرحمهم، وبعد مناقشة المشركين في ضوء تلك الآيات البينات وبيان أنها حق، أخذت في مناقشتهم عن طريق من أنزل عليه القرآن وهو الرسول - ﷺ - فهو لا يختص نفسه بشيء ولا

---

(١٩) الأحقاف/ ١ - ٣.
(٢٠) الأحقاف/ ٤.
(٢١) الأحقاف/ ٦.
(٢٢) الأحقاف/ ٧.
(٢٣) الأحقاف/ ٨.
(٢٤) الأحقاف/ ٨.
(٢٥) الأحقاف/ ٨.
(٢٦) الأحقاف/ ٨.

يصدر في أمر إلا عن وحي الله، وقلبه واثق من ربه فلا يمد عينيه إلى سر ما من الأسرار، وأنه ليس أول رسول جاء برسالة ربه فقد سبقه من قبل الرسل

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٢٧)، أما ما أشارت إليه الآية ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ فالمراد به ما لم يكن عليه من وظائف النبوة كالحوادث والوقائع الدنيوية، أما ما يحدث في الآخرة من ثواب وعقاب أو غير ذلك فإن علم مثل هذا من شئون النبوة ووظائفها، ولذا ختمت الآية الكريمة بما يبين إنذار الرسول - ﷺ - بعقاب الله - تعالى - لهم: ﴿ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾(٢٨).

كما أخذت الآيات بعد ذلك في إثبات صدق القرآن عن طريق أحد بني إسرائيل، كواحد من جنس المعاندين،أنه استدل على صدق الآيات من نفس القرآن، ثم استدل على صدقها - أيضا - عن طريق واحد من نوع المعاندين وجنسهم وهو: «عبد الله بن سلام» لما سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله - ﷺ - أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر، فقال له: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول شرائط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال - عليه الصلاة والسلام - : أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته، فقال: أشهد أنك رسول الله حقا، فقام، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاءت اليهود فقال لهم النبي - عليه الصلاة والسلام - : أي رجل عبد الله فيكم؟ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر، قال سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- ما سمعت رسول الله - ﷺ - يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام وفيه نزل:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢٩).

ورحم الله البوصيري إذ يقول:

آيات حق من الرحمن محكمة	قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهي تخبرنا	عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة	من النبيين إذ جاءت ولم تدم
ما حوربت قط إلا عاد من حرب	أعدى الأعادي إليها ملقي السلم

نفعنا الله تعالى بالقرآن الكريم ووفقنا إلى العمل به إنه سميع مجيب.

---

(٢٧)، (٢٨) الأحقاف/ ٩.

(٢٩) الأحقاف/ ١٠.

شمس الهُدى عمَّت الأكوان

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

إنه النور الذي أضاء وقد بشرت به الأنبياء.
وكان الناس في لهف شديد إلى فجر جديد.
قالت آمنة بنت وهب: «رأيت حين حملت بمحمد أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام..»
رواه ابن إسحاق وغيره [من رواية عبدالله بن جعفر بن أبي طالب]
وقال ابن إسحاق من رواية ثور بن يزيد الكلاعي عن بعض أهل العلم: «إن نفراً من أصحاب رسول الله - ﷺ - قالوا له: يارسول الله، أخبرنا عن نفسك؟ قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشرى أخي عيسى، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام».

ويرمزُ هذا النور إلى عموم رسالته - ﷺ - وقد فتح اللهُ عليه من تلك البلاد وانتقلت إليها حاضرةُ الخلافةِ الإسلامية في عهد بني أمية، ومنها اتَّصل خروجُ الدعاة إلى الله وجيوشُ الفتح حتى عبرت إلى شاطىء البحر المتوسط من الجانب الأوروبي، وأحاطت به من الجانبين، وسعدت القلوب ببركات الأذان للصلاة في الأندلس، وصقلية - وغيرها من جزر المتوسط - وفي فرنسا، وإيطاليا، وعرف الناس نورَ العلم، وهداية القرآن الكريم واطمأنوا إلى العدل والتواضع والرفق، ورأوا لأول مرة أنه لا سُلطانَ لنفس على نفس أخرى، ولاتملك نفس لأحد ضراً ولانفعاً، ولاتحمل نفس عن نفس وزراً، ولا تمحو عنها ذنباً، فكل إنسان مرهونٌ بعمله، ومسئول أمام ربه، وإنَّ الله في رحمته بعباده غيرُ مُحتاج إلى وسيط أو شفعاء بينه - سبحانه - وبينهم، فهو - سبحانه - عليم بهم، سميعٌ لنجواهم وجهرهم، لطيفٌ خبير بصيرٌ بكل ماخفي أو ظهر من أحوالهم، يقول العبدُ: يارب، يقول له: لبيك ياعبدي.

إن الفتح الإسلامي خير ورحمة ونور ونعمة تامَّة.

ونـور من زمــزم

حكى خالد بن سعيد بن العاص القرشي المكي أنه رأى قبل البعث بيسير نوراً يخرج من بئر زمزم أضاء له حتى ظهر لعينيه البُسْر - التمر - في نخيل يثرب - المدينة المنورة - فقصّ ذلك على أخيه عمرو، فقال له : إن زمزم حفرها عبدالمطلب - بعد أن كانت مطموسة - وإن هذا النورَ من آل عبدالمطلب - وهو جدُّ النبي محمد - ﷺ -.

فكان هذا النور سبب مبادرة خالد بن سعيد إلى الإسلام كان إسلامه بعد أبي بكر، وترتيبه في السابقين الثالث أو الرابع أو الخامس، وهاجر وزوجته وأخوه عمرو وزوجته إلى الحبشة - رضي الله عنهم -.

ونور من التوراة والإنجيل

إنها البشارة بصفته - ﷺ - وبقُرب زمان ظهوره، وبأمارات مولده جاءت عن طريق الوحي الإلهي لجميع النبيين والمرسلين وفي الكتب والصحف السماوية ومنها : التوراة، والإنجيل.

وأخذ ربُّ السموات والأرضين ورازقُ الخلق أجمعين العهدَ على الأنبياء والمرسلين أن يؤمنوا بالنبي العربي الأمي، وأن يطلبوا إلى المؤمنين بهم أن يؤمنوا به، ثم عند بعثته وظهوره فعلى كلِّ المكلَّفين من إناثٍ وذكور أن يُبادروا إلى الانضواء تحت لوائه، وينصروا دينَهُ، ويتّبعُوا سنته، ومن لم يفعل فهو من الخاسرين.

وفي نـور البشــارات

وفي نورها، وفي ضوء الأمارات والعلامات الواردة فيها شهد التاريخُ حركة عظيمة من التبشير بقُرب مولد خاتم النبيين والمرسلين وبعثته، إذْ أخذ الأحبارُ والرهبانُ يتحدّثون إلى الناس، ويتطلّعون في لهفة إلى ظهور نجمه، وبزوغ فجره.

ومن هـذا المنطلق

● لذا توافدت أعداد من علماء أهل الكتابين وفُقهائهم إلى الشام وأطراف شبه جزيرة العرب، يسألون ويتلمّسون الأخبار، ويتحدّثون إلى الناس عن قرب ظهور النبي العربي الأمي الذي جاء نعتُه وصفة زمانه في آيات الوحي الإلهي.

● ومن ذلك أن بني إسرائيل في «يثرب» وما حولها كانوا إذا اشتدّ النزاعُ بينهم وبين مشركي العرب من الأوس أو الخزرج، كانوا يتوعّدونهم بقُرب ظهور نبيٍّ يعرفون صفته وأمارات ظهوره من التوراة، وبأنهم - أي اليهود - سيبادرون إلى الإيمان به لأنه أخو موسى بن عمران، لتكون لهم قوّةٌ وشوكةٌ باتباعه تجعلهم أهلاً للنصر على مشركي العرب.

وقد جاءت قصّتهم تلك في قوله -تعالى- من سورة البقرة :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(1) وقد ذمهم سياق الآيات لسوء مسلكهم إذ تراجع معظمهم حسداً وكبراً وبغياً أن تكون خاتمة الرسالات في بنى إسماعيل ابن إبراهيم وليست في بنى يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، وكانوا يعرفون محمداً وصدقه أكثر مما يعرفون أبناءهم، ولكنه الكبرُ المدمِّر، والحسدُ القاتل - أعاذنا الله من ذلك -.

الوفاء بالعهد ونبذة عن صفوة منهم

لقد أوفى بعهد الله أكابر وأشراف من بنى إسرائيل ومنهم علماء أجلاء ذوو قدر كبير، نورد منهم:

● عبدالله بن سلام من نسل يوسف الصدّيق - عليه السلام -، والذى كان يقول لعمته يوم دخول النبى - ﷺ - المدينة المنورة: «إنه - ياعمتى - أخو موسى بن عمران» وقد أثنى الله عليه في القرآن الكريم، لتنبيه مشركى العرب الأميين بما عند عبدالله من علم الكتاب الأول بصفة النبى محمد وصدقه فيما يبلغ عن ربه، حتى يرتدعوا عن الاستكبار والعتو وتكون لهم في ذلك عبرة قال - تعالى -:

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(2)

وفيه ثناء على أهل العلم العاملين به، وعلى الذين يتواضعون لله، وينضوون تحت لواء رسوله مع ذم الكبر والبغى وعدم التدبّر الصحيح لطلب الحق.

● ومنهم الشهيد الفقيه السخى في سبيل الله: «زيد بن سَعْنة» - بفتح السين وسكون العين وتاء مربوطة - وله قصة غاية في الروعة وجمال الحق مع رسول الله - ﷺ - حتى تحقق من صفة له في التوراة فآمن وأخلص - رضى الله عنه - وهى أنه - ﷺ - لايغضب إلا للحق، وإذا غضب لايُخرجه الغضبُ عن الحق، ومن شمائله: العفو والصفحُ وعدمُ مقابلة الإساءة بمثلها إلا في حدٍّ أو حقٍّ من حقوق الله: «ولاتزيده شدةُ الجهل عليه إلا حِلماً».

● ولاينبغى لنا أن ننسى الشهيد البارّ مُخيريق - بضم أوله وفتح ثانيه - أحد بنى ثعلبة بن الفطْيون، وموقفه حين عتب على عشيرته من بنى إسرائيل لعدم مبادرتهم لنُصرة الرسول - ﷺ - والإيمان به والخروج معه، حين تجمّع مشركو مكة في أُحُد للأخذ بثار يوم بدر، وقال لهم عاتباً على كتمانهم العلمَ به وبأنه - ﷺ - ظاهرٌ عليهم لا محالة وأن النصرَ لدينه آت: «والله لقد علمتم أنّ نصْرَ محمد عليكم لحقّ» وتعللوا حَرَجاً منه بأن اليوم يومُ سبْت، فدعا عليهم ونهرهم بقوله: «لاسبْتَ لكم» لأن هذا مما نسخته الشريعة بعد موسى وأخذ سيفه وعُدّته وأوصى قائلا: «إن

---

(1) البقرة: 89 - 91.

(2) الاحقاف: 10.

أصبحتُ فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء» وقاتلَ فى أُحُد وأكرمه ربُّه بالشهادة، وشهد له رسولُ الله - ﷺ - بقوله : «مُخيريق خيرُ يهود» كما قال ابن إسحاق. ومن أعرق بيوتهم نسباً : ثعلبةُ وأسيد - بفتح الهمزة - ابنا سَعْيَة وأسَدُ بْن عُبيد، وهم نفر من بنى هَدَل إخـــوة بنى قـــريظة أو من بنى عُمومتهم، وقد تحدَّثوا إلى بنى قُريظة يدعونهم إلى العمل بما فى التوراة فقالوا : «يابنى قريظة، والله، إنه للنبىُّ المنتظر - الذى كان عهد إليكم فيه ابنُ الهَيْبان» ثم أسلم هؤلاء الثلاثة.

وابن الهَيْبان من أكابر الأحبار وفد إلى المدينة من الشام يترقب ويتلمَّس أخبارَ ظهور النبى العربى، ويقول : «لقد أظلَّ زمانُه» أى : صار قريباً، وقال : «إن يثرب مُهاجَره» أى مكان هجرته» وأوصى بنى إسرائيل قبل موته : «لايسبقكم أحد إليه يامعشر يهود» وظلت وصيته بعد موته فى قلب وعقل هؤلاء الثلاثة.

من أمارات الإعجاز

ومن أمارات الإعجاز أن الله - عز وجل - هَدَى إلى الإسلام أقواماً كانوا على مِلل ونِحَل شتىً، منهم من كان عابداً الصنم، ومنهم من كان منكراً، وآخر كان من عبدة النار ومن بيت سادنها، وآخرون كانوا من أهل الكتابين (التوراة والإنجيل) هذا إلى جانب تنوّع الألسنة والألوان والقبائل والأوطان والثقافات والأجناس فكان منهم الفارسى والرومى والسودانى والحبشى والإسرائيلى والعربى، وتلك معجزة دعوته بأمر ربه : ﴿إنى رسول الله إليكم جميعا﴾ فبدأت الدولة الناشئة مجتمعاً إنسانياً تحت راية الرسول - ﷺ -، ومازال الناس من كل جنس يدخلون فى دين الله أفواجاً - والحمد لله رب العالمين -.

شريعة سمحة وافية

اقتضت حكمة الخالق - سبحانه - أن تكون شريعةُ الإسلام وافيةً بحاجات الإنسان الروحية والعقلية، النفسية والبدنية، وتعاليمُها ملائمةٌ لفطرة الإنسان، وفيها من اليُسْر والوضوح مايجعلها قابلةً للتطبيق ومناسبة لجميع الناس على اختلاف الألسنة والأماكن والأزمنة، محفوظة بعناية الله وحفظه فى كتاب الله وسُنّة نبيّه - ﷺ -.

إن الإسلام يؤكدُ إحترامَ الإنسانِ وتكريمه، والحفاظ على حقوقه وصيانتها، وحفظه فى بدنه ونفسه وعقله وماله وعرضه هذا إلى جانب تحقيق التوازن بين مطالب الروح ومطالب البدن فلم يُحرّم عليه حلالاً، ودعاه إلى السعى، والتشمير بالوسائل الصحيحة المباحة، وحثّه على أداء حقوق الله وفرائضه واجتناب الظلم والتعدّى والتعاون لبناء حياة إنسانية نظيفة خالية من الشرور والمفاسد والآثام، تنمو فيها العلاقاتُ الإنسانيةُ فى الطريق الصحيح.

في ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم
رد على المارقين والمتفيهقين

للشيخ عبد العزيز أحمد رضوان

من أعجب ما يشيعه بعض الشباب الملتاث بلوثة التدين المشوه، قولهم: إن الاحتفال بمولده - ﷺ - بدعة؛ لأنه لم يحتفل بتلك المناسبة، ونحن مقيدون بما ورد عنه فقط. وهذا غلط شنيع، والدليل على ذلك ما يأتي:-

أولاً: نحن مطالبون بالتذكر والتبصر والتأمل والتعقل في الكون وعجائبه، وأحداث التاريخ وغير ذلك، وليس ماقصه الله - عز وجل - في القرآن الكريم عن الأنبياء والمرسلين، وأهل الكهف، وذي القرنين وغيرهم، إلا نوعاً من إيقاظ الذاكرة، وتنبيهها لكي تأخذ العبرة والموعظة. قال - سبحانه وتعالى -:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1] فهل إذا تناولنا هذه القصص بالدراسة والتاريخ والمقارنة والسرد التفصيلي للأحداث إلى غير ذلك نكون مبتدعين؟ إن الله - عز وجل - يقول لرسوله - ﷺ -:

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ﴾[2] ويقول له: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[3] ومن البدهي أننا مطالبون بما يطالب به الرسول - ﷺ - إلا ما قامت الأدلة على أنه خاص به وحده، لا يتجاوزه إلى أمته، ولهذا فنحن مأمورون شرعا باستغلال المناسبات الدينية وغيرها، لاسترجاع الذاكرة، واستنهاض الهمم، والوعظ، وإسداء النصيحة، وما مولد الرسول - ﷺ - إلا نوع من هذه

(١) سورة يوسف الآية ١١١.
(٢) سورة الأعلى الآية (٩).
(٣) سورة الغاشية من الآية (٢١).

المناسبات . وإنك إذا تأملت فى القرآن الكريم، وتدبرته تراه مشحونا بهذا التوجيه السامى العظيم، يقول - عز وجل - :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ﴾ الآيات إلى قوله تعالى :

﴿ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾[4]

ويقول عز من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾[5]

الآيات . ومعلوم أن هذه الآيات تطلب منا أن نسترجع الأحداث فى غزوة الأحزاب . وعن غزوة بدر يوجه الله - عز وجل - إلينا نفس الأمر، فيقول : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[6] ومن هذا القبيل : الأوامر المصدرة بحرف الشرط (إذ)، ومنها على سبيل المثال لا الحصر قوله - تعالى - :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾[7] وقوله - سبحانه - :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[8] ومن هذه الآيات ما يأمرنا بتخيل ما سيحدث فى اليوم الآخر وما فيه من أهوال مثل قوله - سبحانه - :

﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[9] ومثل قوله - عز وجل - : ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾[10]

فهل بعد هذا كله يقول قائل إن مناسبة مولد الرسول - ﷺ - ليست جديرة بأن نسترجعها ونتدارس أحداثها ونذكر العبر والعظات للنشء والشباب والمسلمين وغيرهم ليستبصروا ويتعظوا!!؟

ثانياً : لو فرضنا جدلا أن هذه الأوامر لاوجود لها، أليس الاحتفال بمولده - ﷺ - من السنة الحسنة، التى باركها الرسول - ﷺ - بقوله : «من سنّ فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء»[11] ومن هذا القبيل ما لجأ إليه سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فدون الدواوين، ومنه أيضا ما استجد فى العصور المتأخرة من شهر العقارات وتوثيقها، حتى لاتضيع الحقوق على أصحابها، ومنه إنشاء

---

(٤) سورة إبراهيم الآيات من (٥ - ٩).
(٥) سورة الأحزاب الآيات من (٩ - ١٢).
(٦) سورة الأنفال من الآية (٢٦).
(٧) سورة البقرة من الآية (٣٤).
(٨) سورة الأنفال الآية (٣٠).
(٩) سورة غافر الآية (١٨).
(١٠) سورة غافر الآيات (٧٠ - ٧٢).
(١١) رواه مسلم.

الجمعيات الخيرية، التي تكفل اليتامى، وتعالج المرضى، وتمد يد العون للفقراء والمحتاجين الخ.

هل نترك كل هذا بحجة أنه بدعة لم تكن على عهد رسول الله - ﷺ - وفي نفس الوقت نكون مخالفين له، تاركين لسنته، بموجب حديث «من سن في الإسلام سنة حسنة.. الخ»؟ إن الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان لايعالجون قضية من القضايا إلا ويستشهدون لها بعمل رسول الله - ﷺ - وقوله وجهاده، وصبره وثباته، وشجاعته، وأخلاقه الحميدة، فهل إذا جاء شهر ربيع الأول نقول لهم: اتركوا الاحتفال بمولده، فلا تذكروا الناس في تلك المناسبة بشيء من هذا؟!!

إننا في هذه الحالة يصدق علينا قول القائل:

كلهم في الهوى يزين دينه
ألف سقف ومالك في المدينة
جهلوا لجة البحار ومجرى
ريحها وادعوا قياد السفينة
لحها رب إننا قد جعلنا
كل فن في غير من يحسنونه
كل من صاح بالنبوة فينا
قام أوس وخزرج ينصرونه

ثالثا: إن رسول الله - ﷺ - نوه بيوم مولده، وختم نبوته، وعموم رسالته، فقال: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»[١٢].

ولاشك أن مولده - ﷺ - كان بداية لفجر جديد وسراج منير، ونور وهاج، وكانت رسالته - ﷺ - بعثا للخير، والحق، والعدل، والمساواة، ودحضا للجهالات، والخرافات، والضلالات، ولقد صدق الكاتب الكبير الأستاذ العقاد عندما قال في كتابه: «عبقرية محمد»: إن العلامات التي ظهرت في يوم مولده من خمود نار فارس، وسقوط شرفات إيوان كسرى، وغيض بحيرة ساوة، يمكن أن يدعيها آباء الأطفال، الذين ولدوا في نفس اليوم، الذي ولد فيه محمد - ﷺ - ولكن هناك علامة شهد بها الكون، وعلامة شهد بها التاريخ يختص بها النبي وحده، لايشاركه فيها أحد، فإن الكون قال: إن العالم كان محتاجا لمن ينقذه من الفوضى والجهالة، وقال التاريخ: إن هذا المنقذ كان رسول الله - ﷺ - ولا كلام لأحد بعد شهادة الكون وشهادة التاريخ.

رابعا: نحن لانريد أن يخرج الاحتفال بمولده - ﷺ - عن حد الاعتدال، كأن نتدارس سنته وآدابه، وخلقه، وتوجيهه، وجهاده، لإحقاق الحق، وإبطال الباطل فننهج نهجه، وننسج على منواله، وإذا فرحنا وابتهجنا فليكن فرحا وابتهاجا لاينسينا حقوق إخواننا في ميادين القتال أينما كانوا؛ لاينبغي أن يكون الاحتفال ملء معدة، ولا تهريجا فارغا، ولا طقوسا مبهمة.

ثم أما بعد:

فها هو رسول الله - ﷺ - يحتفل بيوم عاشوراء عندما وجد اليهود في المدينة يحتفلون به، ويقولون عنه: إنه يوم مبارك، فيه أنعم الله على بني إسرائيل بجملة إنعامات، وبصرف النظر عن صدق وقوع هذه الأحداث فيه، أو عدم صدقها، فإنه - ﷺ - رأى أن يجامل اليهود بشيء، لم يضر الإسلام، وإذا كان اليهود يصومون فيه حسب معتقداتهم، فنحن نصومه صوما

(١٢) رواه أحمد عن العرباض بن سارية وانظر تفسير ابن كثير (١/١٨٤) ط عيسى البابي الحلبي

إسلاميا، حسب عقيدتنا، وهو – ﷺ – ضرب المثل الأعلى في تقريب وجهات النظر، وتضييق دائرة الخلاف بيننا وبين من يخالفون ديننا، ليحفزهم ذلك على مراجعة أفكارهم نحو الإسلام، فيتدارسونه، وربما يهتدون وقد اهتدى بعضهم فعلا، وإذا كنا في العادات نتذكر الأيام الوطنية، ونهتم بها، ونسترجع ما فيها من أحداث ووقائع ونحكيها لأولادنا، فهل من اللائق أن يأتي علينا يوم الثاني عشر من ربيع الأول، ونحن نتجاهله ولا نذكر ما كان من أمر الفيل، أوأمر إبرهة مع عبدالمطلب جد النبي – ﷺ ؟ – وهل نقول لله – سبحانه وتعالى – : لماذا يارب أنزلت سورة الفيل؟ وسبب نزولها يذكرنا بهذا اليوم العظيم، ونحن لانريد أن نتذكره لأن ذلك بدعة؟!!!

أيهـا الشـبـاب

إعلموا أن أعداء الإسلام يثيرون حوله الشكوك والشبهات، ويبثون في مطبوعاته وتراثه الإسرائيليات، ويناصرون الأفكار العلمانية، والمذاهب والنحل الباطلة، والآراء الغريبة المترجمة، التي لاتعبر عن سماحة الإسلام ويسره وسهولته.

ولذلك : فإن الغزو الثقافي لايقل في خطورته عن الغزو العسكري، إنه لمن توافه الأمور أن تشغل أوقاتنا بالجدال الفارغ، والنقاش المحتد المتعصب، الذي لا طائل من ورائه، والذي لايعود على ديننا بالخير، بينما هو يفيد أعداءنا.

فتقاربوا فيما بينكم، وليعذر بعضكم بعضا فيما تختلفون فيه، ووحدوا صفوفكم، وكلمتكم، وغايتكم، حتى تفوتوا على شياطين الإنس والجن، ما يبتغون من تفريقكم وبذر بذور العداوة بينكم، ولاتخافوا على الإسلام فهو باق – إن شاء الله – ولن يتزلزل، ولن يتخلخل؛ لأنه قد كمل، وتم كما قال – سبحانه وتعالى – :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(١٣).

وتفقهوا في المغزى والمعنى في قول رسول الله – ﷺ – : « . . . أما بعد، فيأيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم . . . »(١٤) وتذكروا هذا التوجيه الكريم لأمر ربنا – سبحانه وتعالى – حيث يقول :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾(١٥).

فاللهم اجمع شملنا على خير وألف بين قلوبنا، وانصرنا بالحق، وهيىء لنا من أمرنا رشدا.

---

(١٣) سورة المائدة من الآية (٣).

(١٤) مسلم عن جابر وانظر فقه السيرة ص (٤٨٧).

(١٥) سورة آل عمران الآيات (١٠٣ – ١٠٥).

الوجدان في حياة النبي الإنسان صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور / مبروك عطية أبوزيد

ما وقفت أعين القارئين على صفحة من كتاب البشر؛ لتستمد ضياءها مما بين السطور، مثلما وقفت على تاريخ سيدنا رسول الله، محمد بن عبد الله، الرحمة والنور، قد تعجب عين القارئ بالنظر إلى زعيم إنسان، وسرعان ما تجد هنا أو هناك ما يمحو عن هذا العجب صفة الكمال والتمام من نقص أو عيب، أو خلل، لكن تلك العين عندما تعجب بسيدنا رسول الله - ﷺ - لا ترى في حياته وسيرته عوجاً ولا أمتاً؛ وذلك لأن الله - عز وجل - قد اصطفاه وطهره، وصنعه فأبدعه، وأرسله فعصمه، وأوحى إليه فعلمه، وشرع له من الدين والحكمة ما أتقنه، وجعله - سبحانه - الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيراً.

والوجدان في حياة الناس جميعاً شريان مهم ينطلق بهم إلى خير حياة؛ لأن الوجدان نهر من أنهار الرحمة، وآية من آيات العاطفة، وقد خلق الله الرحمة والعاطفة لتكون بمثابة الظل في قسوة الهجير، ومعنى الأمومة في التطام الظروف، وقسوة الأحوال، وعون الأبوة في ضعف الرجال وصوت الأمل في صمت الحال؛ فلا حياة بلا رحمة، ولا جمال بلا وجدان.

لكنَّ وجدان سيدنا رسول الله - ﷺ - يختلف عن وجدان البشر العاديّ؛ لأنه في قلوب الناس لا يخلو من كدر وإن بلغ من الصفاء مبلغه، ولا يخلو مَنْ يتطلع إلى صاحب الوجدان مِنْ شيء من الخوف وإنْ ظن أنه بلغ منه مأمنه، وذلك لأنَّ وجدان سيدنا رسول الله - ﷺ - من رحمة الله عز وعلا - به وبالبشرية جميعا، يقول المولى سبحانه -:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(1)

فوجدانه - ﷺ - نهر من الرحمة غير آسن، وغير مقطوع؛ لأنه مدد من الرحمن الرحيم الذي

(1) سورة آل عمران ١٥٩.

أراد بقدرته وفضله أن يكون عبده ورسوله سيدنا محمد رحمة للعالمين، فقال - وهو أصدق القائلين : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٢] فكان للصغير رحمة وحباً وحناناً، روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك - رضي الله تعالى عنه - أنه قال : « كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له : أبو عمير، قال : أحسبه كان فطيماً، قال : فكان إذا جاء رسول الله - ﷺ - فرآه قال : أبا عُمَيْر، ما فعل النُّغَيْرُ؟ قال : فكان يلعب به »[٣].

يقول الإمام النووي - رحمه الله - : وفي هذا الحديث فوائد كثيرة جداً، منها جواز تكنية مَنْ لم يولد له، وتكنية الطفل، وأنه ليس كذباً، وجواز المزاح فيما ليس إثماً، وجواز تصغير بعض المسميات، وجواز لعب الصبي بالعصفور وتمكين الولي إياه من ذلك، وجواز السجع بالكلام الحسن بلا كلفة، وملاطفة الصبيان، وتأنيسهم، وبيان ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - عليه من حسن الخلق، وكرم الشمائل والتواضع، وزيارة الأهل؛ لأنَّ أم سليم والدة أبي عمير هي من محارمه - ﷺ »[٤].

وقد ثبت أنه - ﷺ - عبَّر عن عدم تقبيل الصبيان بنزع الرحمة من هؤلاء الذين لا يُقَبِّلُون صغارهم فعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت : قدم ناس من الأعراب على النبي - ﷺ - فقالوا : أتقبِّلُون صبيانكم؟ قال -عليه الصلاة والسلام- : نعم؛ فقالوا : لكنَّا - والله - ما نُقَبِّلُ؛ فقال النبي - ﷺ - : « وما أملك أنْ كان اللهُ قد نزع منكم الرحمة »[٥].

ومن يتأمل هذا الحديث يدرك أنَّ تقبيل الصغير ليس مجرد عمل عابر، أو ملاطفة طريفة، وإنما هو دليل رحمة وعلامة إحسان ولا يتصور كذلك أن يكون مجرد طبعة لشفة المُقَبِّل على جبين الصغير تنتهي بوجدان معتم، وانصراف كُلِّيّ عن شئونه، وإنما تقبيل الصغير بداية إحسان، وعقد رحمة يوجب على الكبير أن يكون رحيماً بالصغير عطوفاً عليه انعطاف الغصن على الغصن إثر مداعبة النسيم الرقيق للغصن العاطف، حتى مال على الغصن المعطوف عليه رقَّة وليناً، والباعث وراء ذلك رغبة الكبير في أن يكون من أمة سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - الذي آثر سيدنا زيد بن حارثة أن يظل عنده - ﷺ - ويرفض العود إلى قومه قائلاً : « إنِّي قد رأيت من هذا الرجل شيئاً، وما أنا بالذي أفارقه أبداً »[٦].

ومـــا من شك في أنَّ هذا الشيء الذي رآه سيدنا زيد بن حارثة في سيدنا رسول الله - ﷺ - وجدان تسْمى في ضميره يسمو فوق تعبير اللسان؛ لأنه وجدان سيد ولد عدنان - ﷺ.

وأرباب الوجدان الذين عرفناهم سواء قرأنا لهم أو عاشرناهم إذا ما ألمَّت بهم مصيبة نطقوا بما لم نكن نتوقعه يخرج من أفواههم، فإن قال قائل : أرأيت إلى هذا العالم أو الشاعر أو الأديب ماذا قال! كان الجواب : إنه معذور، أفلا ترى مصابه

---

(٢) سورة الأنبياء ١٠٧.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٣٠٧/١٤ ط- دار الخير بيروت ودمشق ١٩٩٤م

(٤) شرح النووي ٣٠٧/١٤.

(٥) سنن ابن ماجه/كتاب الأدب رقم (٣٦٦٥).

(٦) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف للسهيلي ٢٨٦/١، ٢٨٧.

لكنْ سيدنا رسول الله - ﷺ - المعصوم لايقول إلاّ ما يرضى ربه ومولاه في كل الأحوال، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - انه قال : قال - ﷺ -: «إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولانقول إلاّ مــا يرضى ربنا، وإنّا بفــراقك بإبراهيم لمحزنون»(٧).

فمع دمع العين، وحزن القلب، وفراق الولد لاينطق لسان الحبيب إلاّ بما يرضى المولى الحسيب الرقيب؛ ومن ثم يسمو وجدان سيدنا رسول الله - ﷺ - فوق وجدان البشر، كما سما هو - عليه الصلاة والسلام - فوق البشر.

وأهم مايُميّز وجدان سيدنا رسول الله - ﷺ - الذي شمل الصغير والكبير، والإنسان، والحيوان، والجماد، أنه وجدان مقرون بالعطاء، وليس وجدان لسان كما هو عند كثير من الناس الذين يعطونك العبارات المشرقة، والوعود البرّاقة، ويقدمون لك أعينهم، وأرواحهم على صفحات البيان، وأمواج اللسان، فإذا جدّ الجد، وكنت في حاجة إلى مساعدتهم لم تجد لوجدانهم الذي صوروا لك من آية ولا برهان، فهؤلاء وجدانهم وجدان لسان، أما وجدان سيدنا رسول الله - ﷺ - فصدق في اللسان والجنان، وعطاء لاينتهي.

يروي البخاري في صحيحه أنّ ناساً من الأنصار سألوا رسول الله - ﷺ - ؛ فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ماعنده، فقال : «مايكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله»(٨).

وقد وقر في سمع الدنيا ماثبت عنه - ﷺ - من أنه كان أجود الناس خصوصاً في رمضان، حيث كان - ﷺ - أجود وأسبق من الريح بالعطاء، وأنه - ﷺ - ما قال لسائل : لا، قدّمت له امرأة مسلمة بُرْدَةً، نسجتها بيدها، فتقبلها منها محتاجاً إليها (كما روى البخاري) فقال له أحد أصحابه : اكسنيها ما أحسنها! فأعطاه إياها، فلما قال له القوم : ما أحسنت، لبسها النبي - ﷺ - محتاجاً إليها، ثم سألته، وعلمت أنه لايرد، قال - رضي الله عنه - : «إنّي والله ما سألته لألبسها، وإنما سألته لتكون كفني، قال سَهْل راوي الحديث : فكانت كفنه»(٩).

إنّ هذا الصحابي أحبّ سيدنا رسول الله - ﷺ - وأراد أن يكفن ببردة مست جسده الشريف والذين يحبون سيدنا رسول الله - ﷺ - ويحتفلون بمولده الشريف عليهم أنْ يقتبسوا من أشعة وجدانه نوراً يهديهم إلى حياة جميلة، اللين فيها يسكن القلوب، والرحمة فيها تغمر النفوس، والأيدي فيها تسبق اللسان بما يدل على صدق الوجدان ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، وصلِّ اللهم وسلِّم على سيدنا ومولانا محمد ما ارتد طرف بعيد النظر إلى السماء، ورأى من آلائك ربنا مايوجب الحمد والثناء، فكان رمزاً لوجدان صافٍ معطاء إنك سميع قريب مجيب الدعاء.

---

(٧) صحيح البخاري/كتاب الجنائز رقم (١٣٠٣).

(٨) البخاري/كتاب الزكاة/باب الاستعفاف عن المسألة.

(٩) صحيح البخاري/كتاب الجنائز/باب من استعار الكفن في زمن النبي - ﷺ - فلم ينكر عليه.

مِنَن إلهية بالرسول صلى الله عليه وسلم

لفضيلة الشيخ / معوض عوض إبراهيم

لقد اصطفى الرحمن الرحيم لخير أمة أخرجت للناس خير أنبيائه وخاتم رسله سيدنا محمد ـ ﷺ ـ، وبعثه بالدين الذى أكمله وأتمه وامتن به على كل ما خلق ومن خلق، وأوحى ذلك إلى الرسول وهو وأصحابه فى المشهد المهيب والموقف العظيم من فوق عرفات فقال تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾(١).

وليس وراء ما أكمله العليم الخبير، وأتمه الرحيم الخبير وارتضى الله الذى يحق الحق بكلماته، ما يستشرفه الأبرار، وتتعلق به أنفسهم، وتصلح به دنياهم وآخرتهم!!

والذين يعيشون مع القرآن ظعنا وإقامة وقياما وقعودا وعلى كل حال حافظين آياته، تالين لها، ممعنين نظرهم وقلوبهم فى استخلاص آياته، واستكناه أسراره وأخباره، واستلهام أحكامه وتوجيهاته، أولئك يجدون كتاب الله، يقودهم برفق إلى الإيمان بالله ورسوله والإذعان لما جاءهم به من لدن ربه كما قال ـ جل شأنه ـ:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

إنها منة أن يكون ـ صلوات الله عليه ـ «منهم» يعرفون حسبه ونسبه، وآباءه وأمهاته ومولده ومسيرة حياته منذ شب فيهم، ودرج على الكمالات، لم يشبه شىء من أهواء أقرانه وانفعالاتهم، والله يتولاه ويفيض عليه رعايته وهداه بمثل قوله:

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾(٣).

إنه ـ صلوات الله عليه ـ «رسول منهم» والرسالة هبة الله الذى يعلم حيث يجعل رسالته، والذى يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس لا بأنساب أو أحساب أو قوى خارقة، ولكن بما طبعهم عليه، وأمدهم به من علم ربهم، وإيمان به، ويقين فى أنه «وحده» له الخلق والأمر وبيده «دون سواه» الخير،

(١) سورة المائدة/ ٤.

(٢) سورة البقرة/ ١٥١.

(٣) سورة الضحى/ ٦ ـ ٨.

ولا يقمع الشر، ويدفع العسر إلا بحوله وقوته، ومراده الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝ ﴾(٤).

وكل ما عرف الناس ويعرفون من نعوت الملك البشري، والسلطان والإمرة في الناس، وإن قام على قواعد مشروعة، واختيار سليم من الشبهات والصوالح الخاصة لا يوضع في كفة ميزان أمام «الرسالة» التي هي اجتباء الله للصفوة الخاصة من عباده الذين كانوا في أزمنتهم جوامع إيمان، وطلائع تقوى وإحسان، وجوامع مكارم، نصبها الله على طرائق أممهم؛ لتكون هدى في دياجير الحياة، لمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝ ﴾(٥).

﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(٦)

وكان من خصائص سيدنا محمد في القرآن الكريم، أن وصف «الرسول» معرفا بالألف واللام قد انصرفت جميعا إليه - ﷺ - إلا في مواضع أربعة: قال تعالى:-:

﴿ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝ ﴾(٧)،

فالرسول رسول في الأمم السابقة. وقال:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ﴾(٨)، فالمراد به ساقي الملك ورسوله إلى يوسف في سجنه.

وقال: ﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾(٩)، فالرسول هنا هو جبريل - عليه السلام.

وقال: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴾(١٠)،

فالرسول ههنا هو موسى - عليه السلام - ويبقى الرسول في غير هذه الآيات من القرآن مرادا به سيدنا رسول الله الذي شارك المرسلين فيما وراء «الرسول» من ألفاظ رسله، ورسلنا، ورسلا، والرسل، وغيرها.

لقد امتن الله على مصطفاه بالرسالة في ألفاظ منطلقات الهدى والصلاح والخير والسعة فقال - تعالى -:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(١١)،

فلقد كان ذلك بعد إعداد رباني، وإمداد علم يطلعك كثيرا في إيناس الله لقلب مصطفاه بمثل قوله:

(٤) سورة الأعراف/ ٥٤ : ٥٦.
(٥) سورة الأحزاب/ ٣٩.
(٦) سورة النساء/ ١٦٥.
(٧) سورة البقرة/ ٢١٤.
(٨) سورة يوسف/ ٥٠.
(٩) سورة طه/ ٩٦.
(١٠) سورة المزمل/ ١٦.
(١١) سورة الفتح/ ٨.

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾(١٢).

● الرسول والمنهج :

وخليق بمن آتاه الله الكتاب والحكمة، فطابت بهما نفسه، وسكن فؤاده، وشف حسه ووجدانه، واكتمل إيمانه أن يحيىء الناس بإذن ربه بمنهجه

﴿ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾(١٣).

فيمن الله برسوله كما امتن عليه بتلاوة آياته على أمته كما قال - تعالى - :

﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾(١٤)، وكما روت أم المؤمنين عائشة وغيرها من صفة قراءة النبي - ﷺ - في قراءة القرآن المجيد : « أنه كان قرآنا يتلى، وقرآنا من مفرق شعره إلى شتى جوانبه يسير على قدمين !! ».

وإبراهيم - عليه السلام - وهو يرفع وإسماعيل القواعد من البيت يستعين بذكر الله على العمل الذى شرفه وإسماعيل بالقيام به، مكافأة لإبراهيم « الذى وفى » ولإسماعيل الذى ربا إيمانه فسارع يقول لأبيه :

﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾(١٥)، حتى كان الفداء والثناء.. وكان إبراهيم وهو يرفع القواعد من البيت يدعو ربه.

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾(١٦).

إنه رسول محكوم بمنهجه، معتصم أبدا بآيات الله يتلوها عليهم لينطلق منها إلى تزكية أرواحهم، وتنقية قلوبهم مما عسى أن يكون قد عراها من غبش الشرك وسفه الأهواء التى يلتبس فيها الحق والباطل، ويرى أهلوها الحسن ليس بالحسن !

والله - جل جلاله - يبدى من ضراعة خليله إبراهيم فيقول :

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾(١٧) لتكون عقب ﴿ يتلو عليهم آياتك ﴾ تفريعا على أقوم أساس فالله - تعالى - يقول :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾(١٨)، وجاءت فى هذه الضراعة التحلية بعد التخلية، وإعداد المناخ الصالح

---

(١٢) سورة النساء/ ١١٣.
(١٣) سورة البقرة/ ١٥١.
(١٤) سورة المزمل/ ٤.
(١٥) سورة الصافات/ ١٠٢.
(١٦) سورة البقرة/ ١٢٩.
(١٧) البقرة ١٢٩.
(١٨) سورة الإسراء.

للتزكية وإعداد الأنفس لتكون مناهل الإيمان وينابيع البر والإحسان، وميادين التنافس الحق في الصالحات كما يحب ربنا ويرضى.

وكما زكى الله رسوله وجبله على ما تفرق في خاصة عباده وعامتهم من آدم وإلى يومنا الماثل وحتى يرث الله الأرض ومن عليها من مكارم وكمالات، وأشهد بذلك كتابه المحفوظ بحفظه فقال في سياق قول الله لموسى حين أخذته والسبعين رجلا الرجفة

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[19]

ثم يتبع الآية ما سبقه في توكيد عالمية الإسلام، والتقاء النبي مع إخوانه النبيين وآبائه في وحدة الدين الذي يضاعف منه الإيمان بالله، والاعتصام بكلماته فهي سبيل الهدى قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[20]

ولقد لفت الإمام الرازي في التفسير الكبير النظر إلى أن بعضهم قرأ

﴿ الم ۞ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ﴾[21]، حتى بلغ قول الله – تعالى:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[22]، وأملى لعقله وقلبه في الآيتين ثم قال «من لم يهتد بالقرآن فليس من الناس».

● وجاء الإسلام:

إن الكتب السماوية يوم كانت على صبغتها الإلهية تخاطب الناس بالحق، وتعمر حياتهم بنورها قد هدت الكثيرين للحياة الطيبة، وصرف عن هداها آخرون حتى جاء الإسلام، ونزل القرآن يكشف الخبيء، ويميط عن الخطايا اللثام ويفتح الأبواب إلى رحاب الإيمان الحق وسبل السلام قال – تعالى –:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[23]

---

(١٩) سورة الأعراف/ ١٥٧.

(٢٠) سورة الأعراف/ ١٥٨.

(٢١) سورة البقرة/ ٢.

(٢٢) سورة البقرة/ ١٨٥.

(٢٣) سورة المائدة.

إنه ـ ﷺ ـ النور والبرهان المبين من خلال سمط القيم والفضائل التى تمثلها البوصيرى بعمق إيمانه وصدق وجدانه حتى قال:

فإن فضل رسول الله ليس له حد

فيعرب عنه ناطق بفم !!

وصدق الله العظيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾(٢٤).

● **من تتابع:**

إن رسول الله أخلق بأكثر مما قاله المادحون لولاتهم وأمرائهم يصدقون فى أحيان وقد جاوزوا القصد، وجانبوا الصدق فى أحايين، ويا ويح الذى قال فى ممدوحه:

وأخفت أهل الشرك حتى إنه

لتخافك النطف التى لم تخلق

والله تعالى يقول:

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾(٢٥).

وأين همم الرجال عددا وجلالة من مدح من قال:

له همم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

من همم الرسول المعنوية والمادية، وهو يبلغ من الإيمان بالله المدى الذى لا يدانى، وينهض بتكاليف رسالة الله للعالمين إنسهم وجنهم، وأقام حجج الله فى أوامره أخذا وتركا

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢٦).

فلا يجد المتصفون قضية من قضايا الحياة المتجددة أو شأنا من شئون الأحياء إلا وجلاؤها نص فى كتاب الله أو فى سنة رسول الله أو فى ميراث الشيخين من بعده، وتبقى أبواب الحق مشرعة مفتحة فيما أصل أئمتنا من أصول ووضعوا من قواعد الإجماع والقياس وغيرها، وامتن الله على رسوله بكتابه المصدق لكلمات الله الأولى، حاكما إلى الأبد

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۝ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٢٧).

---

(٢٤) سورة النساء/ ١٧٤.

(٢٥) لقمان/ ٣٤.

(٢٦) سورة الأنفال/ ٤٢.

(٢٧) سورة المائدة/ ٥٠.

وجلت هذه الكلمات وما وعت من من الله التي تبدو لك في مثل قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٢٨)، وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٢٩)، وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣٠).

وما أجل لفظ «من أنفسكم» فهي تفيد إضافة إلى ما أفادته الآيات قبلا أنه ـ ﷺ ـ منهم، وقد تعطي «من أنفسكم» ـ في قراءة بفتح الفاء ـ معنى نفاسة العنصر وجلال الجوهر وعلو القدر، وجل الله الذي أخذ على أنبيائه العهد في الأزمنة السابقة والعصور المتقدمة على الإيمان والنصرة للرسول ﷺ ـ فقال تعالى:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾(٣١).

ويا لعظمة رسول شغل الله ـ عز وجل ـ به أنباء آبائه المرسلين وإخوانه النبيين على النحو الذي عرضته هذه الآية الكريمة، وكان صفوة الله من خلقه من هؤلاء المرسلين أحرص شيء على أن يذكروا أقوامهم بالنبي الخاتم، الذي لم يبر الوجود بعد على مستوى العهد الذي قطعوه لله وأشهدوا به على أنفسهم وكان الله ـ تعالى ـ به خير الشاهدين، وجاءت حياة النبي ـ ﷺ ـ بعد ذلك كما جاءت رسالته وهما أشبه من النجم بالنجم بلاغا عن الله ـ عز وجل ـ بكلماته وأداء من النبي ـ ﷺ ـ بأعماله وتصرفاته، لكي تتم الأسوة وتكمل القدوة بالرسالة والرسول، فالسعادة الحقة ترتبط بك وترتبط بها بقدر تمثلك للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ متكلما، وتمثلك له عاملا، وسعيك بعد ذلك بين الركب الميمون من خير أمة أخرجت للناس..

وطوبى لمن وجد نفسه على كل حال بين من قال الله فيهم:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(٣٢).

---

(٢٨) سورة آل عمران/ ١٦٤.

(٢٩) سورة الجمعة/ ٢.

(٣٠) سورة التوبة/ ١٢٨.

(٣١) سورة آل عمران/ ٨١.

(٣٢) سورة آل عمران/ ١١٠.

الهادى هو الله

٢

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

بعد أن بينا مدلول بعض أسماء الله الحسنى، ومنها اسمه: الهادى، وبينا أن الله يهدى من علم أنه يستحق الهداية، وأن الهداية والضلالة من خلق الله: ننتقل لبيان سبب ضلالة من أضلهم الله، والرد على الشبه التى أثارها المشركون، وكيف يكون الأدب مع الله وذلك فيما يأتى:

ويضل الله الظالمين

هذا وأما الآيات التى ورد فيها ذكر الإضلال، فإنها كذلك ربطت الإضلال بسلوك العبد نفسه، أو إغواء شياطين الإنس والجن له بحيث تظهر مسئولية الإنسان عن انحرافه وضلاله، وهذه بعض الآيات:

يقول الله - تعالى -:

﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١).

وفى معناه يقول قتادة - رضى الله عنه -: «وما يضل به إلا الفاسقين» فسقوا فأضلهم الله على فسقهم.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧ ﴾(٢) أى: بسبب ظلمهم أضلهم الله - سبحانه -.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) البقرة: ٢٦ - ٢٧. (٢) إبراهيم: ٢٧. (٣) النحل: ١٠٤.

ويقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(٤).

ويقول ـ سبحانه ـ :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾(٥).

فهؤلاء المسرفون الكذابون المرتابون، المكذبون بآيات الله، لا يهديهم الله؛ لأنهم رفضوا الهداية واختاروا الضلالة.

وفي هذا المعنى ـ أيضاً ـ يأتي قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾(٦).

يقول الإمام ابن كثير: «أي فلما عدلوا عن الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان»، كما قال تعالى ـ :

﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(٧).

وكما قال ـ سبحانه ـ :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(٨).

ولهذا قال ـ تعالى ـ في هذه الآية:

﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾»(٩).

أي: ما داموا قد فسقوا عن أمر الله، واختاروا الزيغ والضلال، فإن الله لا يهديهم، إذ كيف يهديهم ـ سبحانه ـ مع علمه بزيغهم، وميلهم إلى الضلالة، وبغضهم للهداية؟

وفي هذا المعنى يجيء قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾(١٠).

أي: هل ترى أن من يتبع هواه ويأتمر بأمره فما رآه الهوى حسناً فعله، وما رآه قبيحاً تركه، وقد أضله الله بسبب هذا بناء على علمه ـ سبحانه ـ بحاله، أو بعد ما علم الحق وجحده فختم الله

---

(٤) غافر: ٢٨.
(٥) غافر: ٣٤.
(٦) الصف: ٥.
(٧) الأنعام: ١١٠.
(٨) النساء: ١١٥.
(٩) الصف: ٥.
(١٠) الجاثية: ٢٣.

على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، فلا يسمع ما ينفعه، ولا يعي شيئاً يهتدي به، ولا يرى برهاناً يستضيء به، فهل هناك من يملك هداية هذا من بعد الله؟.

وهذا نظير قوله ـ تعالى ـ:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(١١).

فهؤلاء أهملوا منافذ العلم والمعرفة، وعطلوها عما خلقت له، فلم يصل إليها نور الحق، فقلوبهم غلف لا تعقل عن الله وحيه، وعيونهم عمي لا ترى الله في ملكوته، وآذانهم صم لا تسمع آيات الله، فهم مثل الأنعام التي لا تنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة، بل هم أضل من الأنعام، إذ الأنعام لم تزود بما زود به الإنسان من قوى نفسية وعقلية وروحية.

ويقول الله ـ تعالى ـ أيضاً:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١٢).

ويظهر من الآيات السابقة أن أسباب الإضلال تتمثل في الزيغ والخروج عن تعاليم الله، والظلم واتباع الهوى، ونقض عهد الله، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع، والإفساد في الأرض واقتراف الآثام، وما إلى ذلك.

فلهذه الأسباب كافأهم الله، فأصمهم وأعمى أبصارهم، بمقتضى حكمته ـ سبحانه ـ في ربط الأسباب بمسبباتها، والمقدمات بنتائجها.

شبهة حول المشيئة والرد عليها

وهناك شبهة تشبث بها المشركون، وعللوا بها شركهم، وتحريم ما حرموه مما أحله الله، وقد أكذبهم الله ورد عليهم هذه الشبهة بأنصع بيان، وأقوى حجة.

أما هذه الشبهة: فهي قولهم: إن الله مطلع على ما هم عليه من الشرك، وتحريم ما حرموه، وهو قادر على تغييره بإلهامهم الإيمان، وأن يحول بينهم وبين الكفر ولم يغيره، فدل ذلك ـ بزعمهم ـ على أنه بمشيئته وإرادته رضي منهم ذلك.

وقد حكى القرآن الكريم شبهتهم هذه ورد عليها رداً قوياً مفحماً، في عدة مواضع، منها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۚ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾(١٣).

ومنها: قول الله ـ تعالى ـ:

---

(١١) الأعراف: ١٧٩.
(١٢) ص: ٢٦.
(١٣) النحل: ٣٥ ـ ٣٧.

﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(١٤).

ومنها: قول الله - تعالى -:

﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾(١٥).

وفي هذه الآيات رد مفحم على هذه الشبهة التي تعللو بها.

ومضمون هذا الرد: أن هذه حجة داحضة، وشبهة باطلة، للأسباب الآتية:

١ - أنها مبنية على ظن ووهم، وادعاء على الله بغير دليل، بل الدليل قائم على خلافه.

٢ - ليس لديهم كتاب موثوق به يقول ذلك، وليس لديهم علم صحيح يعتمد عليه، وقد أمر الله رسوله أن يتحداهم بأن يأتوا بأي علم عندهم يقول بهذا، وقد بهتوا.

٣ - لو كان قولهم هذا صحيحاً فلماذا انتقم الله ممن سبقوهم على هذا الطريق، وزعموا هذا الزعم، وسلط عليهم رسله حتى أذاقوهم بأسه، وعليهم أن يسيروا في الأرض؛ ليروا كيف كانت عاقبة المكذبين.

٤ - إن زعمهم هذا يتعارض مع الحكمة من إرسال الرسل؛ لأنه لو كان قولهم صحيحاً فما هو الداعي لإرسال الرسل؟.

٥ - إن زعمهم هذا يتعارض مع ما بعث الله به رسله الصادقين المؤيدين بالمعجزات، والذين بلغوا عن الله دينه وأحكامه بلاغاً مبيناً، ولم يحرم الله أمة من الأمم من رسول بعثه إليها، وبذلك قامت حجة الله البالغة على كل الخلق.

وبعد أن أبطل الله شبهتهم، ودحض حجتهم أبان عن وجه الحق، وهو أنه - سبحانه - يبعث الرسل؛ ليرشدوا الناس إلى الله، ويأمروهم بعبادة الله وحده، واجتناب عبادة الطواغيت فمنهم من هدى الله لعلمه السابق باختيارهم للهداية، ومنهم من حقت عليه الضلالة لما سبق في علم الله من اختيارهم للضلالة.

ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً ولكنه بحكمته التامة، وحجته البالغة، شاء لكل فريق ما اختاره لنفسه.

وفي هذا المعنى وردت آيات كثيرة، منها: قول الله - تعالى -:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

(١٤) الزخرف: ٢٠.

(١٥) الأنعام: ١٤٨-١٤٩.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾(١٦).

قال على بن أبى صحة، عن ابن عباس فى قوله: «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» قال: إن رسول الله - ﷺ - كان يحرص أن يؤمن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السعادة فى الذكر الأول.

وقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴾ أى: إنما يستجيب لدعوتك يا محمد من يسمع الكلام ويعيه ويفهمه ويرغب فى الهداية، وقوله:

﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾

يعنى: بذلك الكفار لأنهم موتى القلوب، فشبههم الله بموتى الأجساد وهذا من باب التهكم بهم والازدراء عليهم(١٧).

ومن الآيات فى هذا -أيضاً- قول الله - تعالى - :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾(١٨).

أى: لو شئنا لهدينا الناس جميعاً، ولكن حكمتنا اقتضت هداية من أحبوا الهداية دون سواهم ممن لا يحبون الهداية، وهؤلاء وقود جهنم يذوقون عذابها بسبب أعمالهم.

«وهنا قد يسأل بعض الناس عن حدود الإرادة الدنيا والإرادة العليا فى الأعمال، ومع أن هذا السؤال لا مبرر له فنحن نسرع بالإجابة عنه حتى يظهر السر فى نسبة الهداية والإضلال تارة لله وتارة للإنسان.

هل تعرف ما يفعله الفلاح فى حقله؟. إنه يلقى البذور ويتعهدها بالسقى وعلى الله الإنبات والإثمار، وتستطيع أن تسمى الفلاح زارعاً وأنت صادق لقيامه بالسبب، وتستطيع أن تسمى الحق -سبحانه زارعاً لقيامه بالعمل:

﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ۝ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾(١٩).

فما للإنسان فى سعيه مثل ما للفلاح فى زرعه، فازرع عمرك -إن شئت خيراً-، فإن يد القدرة سوف تنميه لك ورداً يانعاً، أو ازرعه -إن شئت شراً- فإن يد القدرة تنميه شوكاً رائعاً(٢٠). وفى ضوء هذا البيان نستطيع أن نفهم معنى قول الله - تعالى - :

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢١).

---

(١٦) الأنعام: ٣٥ - ٣٦.

(١٧) تفسير ابن كثير بتصرف.

(١٨) السجدة: ١٣.

(١٩) الواقعة: ٦٣ - ٦٥.

(٢٠) عقيدة المسلم للشيخ محمد الغزالى ص١١٣.

(٢١) الإنسان: ٢٩-٣١.

وقوله جل شانه:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾(٢٢).

فهذه الآيات تدل على أن الله قد شاء أن يكون العباد مختارين في أعمالهم بمشيئتهم لها لأنه - سبحانه - لم يقل: «وما تشاءون» بدون استثناء، وإنما استثنى فقال: «إلا أن يشاء الله» وذلك يعني: أن للعباد اختياراً ومشيئة مع مشيئة الله لذلك.

وعلى هذا فالآيات دليل ينقض مذهب الجبرية الذين يقولون: إن الإنسان ليس مخيراً، وبهذا تكون مسئولية الإنسان عن عمله قد تقررت وتأكدت، وعليه أن ينتظر جزاء عمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وهذا ما صرحت به كثير من آيات القرآن الكريم. منها: قول الله - تعالى -:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾(٢٣).

أي: أخبر الناس يا محمد أن ما جئتهم به هو الحق من عند الله فمن اهتدى به واتبعه فإنما يعود نفع الهداية والاتباع لنفسه، ومن ضل وأعرض، فإنما يرجع وبال ذلك عليه، وإنما أنت نذير ولا تملك لهم ضراً ولا نفعاً.

ومن هذه الآيات قول الله - تعالى:

﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٢٤).

وفي معنى هذه الآية يقول الإمام ابن كثير «يخبر - تعالى - أن من اهتدى واتبع الحق، واقتفى أثر النبوة فإنما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه «ومن ضل» أي: عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فإنما يجني على نفسه، وإنما يعود وبال ذلك عليه، «ولا تزر وازرة وزر أخرى» أي: لا يحمل أحد ذنب أحد، ولا يجني جان إلا على نفسه. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.. من عدل الله -سبحانه- أنه لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسل إليه»(٢٥).

ومن هذه الآيات -أيضاً- قول الله - تعالى -: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(٢٦).

والآية الكريمة في غاية الوضوح للدلالة على ما ذكرناه.

---

(٢٢) التكوير: ٢٧ - ٢٩.

(٢٣) يونس: ١٠٨.

(٢٤) الإسراء: ١٥.

(٢٥) من تفسير ابن كثير بتصرف.

(٢٦) فصلت: ٤٦.

أدب رفيـــع

ومع أن كل شيء بقدر الله ومشيئته -على النحو الذي شرحناه فيما سبق- فإن الله -تبارك وتعالى- علمنا على ألسنة رسله وفي صريح كتابه العظيم أن ننسب الهداية وما نحبه من الخيرات إلى الله - عز وجل- وأن ننسب التقصير والإهمال والضلال إلى أنفسنا، كما ننسب ما نكرهه من الأشياء إلى أنفسنا كذلك.

فهذا خليل الله إبراهيم - عليه السلام - يتحدث إلى قومه محذراً لهم من عبادة الأصنام، وداعياً إلى عبادة الله وحده واصفاً الله بما يليق به من صفات الجلال والكمال، وذلك في قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾(٢٧).

فأنت ترى أنه - عليه السلام - نسب إلى الله الخلق والهداية، والإطعام والسقيا، والإحياء، والإماتة، كما نسب إليه الشفاء من المرض، لكنه- عليه السلام - نسب المرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله -تعالى- وإن كان المرض حادثاً بتقديره جل شأنه.

وقد قال الله -تبارك وتعالى- تعليماً لمحمد -ﷺ- ولأمته:

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴾(٢٨).

أي أن الخير كله من عند الله، وفيما أنزل الله من الهدى والحق المبين، فيه الهدى والبيان والرشاد، وبه اهتدى حين اهتدى. ومن ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، وبإعراضه عن هدى الله.

وقد اتبع الصحابة -رضوان الله عليهم- رسول الله ـ ﷺ ـ في ذلك فقد روى الحافظ ابن حجر في كتابه «التلخيص الكبير» قول ابن سيرين، عن أبي بكر -رضي الله عنه- «أنه لم يكن أحد أهيب لما لا يعلم من أبي بكر. وأنها نزلت به فريضة (أي: مسألة ميراث) لم يجد لها في كتاب الله أصلاً، ولا في السنة أثراً، فقال: أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله -تعالى ـ وإن يكن خطأ فمني، واستغفر الله.

(٢٧) الشعراء: ٧٥-٨٢.
(٢٨) سبأ: ٥٠.

كما روى الحافظ ابن حجر مثل ذلك عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عن مسروق قال:

كتب كاتب لعمر: هذا ما أراه الله – تعالى – أمير المؤمنين، فانتهره عمر وقال: بل اكتب، هذا ما رآه عمر، فإن يكن صواباً فمن الله – تعالى – وإن كان خطأ فمن عمر».

«وهذا عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – وقد سئل عن مسألة لا يجد فيها نصاً، فقال: أقول فيها برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله (أي: بتوفيقه) وإن يكن خطأ فمني، ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه»(٢٩).

وفي ضوء ما سبق نستطيع أن نفهم الكثير من آيات القرآن الكريم، دون لبس أو غموض، إذ يكون الفاعل هو الله الخالق، ولا ينسب الفعل إليه تأدباً.

ومن هذه الآيات قول الله – تعالى – حكاية لقول الذين آمنوا من الجن حين استمعوا إلى القرآن الكريم، وذلك في قوله – جل ثناؤه ـ:

﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾(٣٠).

حيث نسبوا إرادة الرشد والخير بمن في الأرض إلى الله – عز وجل – وأما إرادة الشر بمن في الأرض فلم ينسبوه ولم يذكروا الفاعل وبنوا الفعل للمجهول فقالوا: «أشر أريد بمن في الأرض...».

وكذلك فعل الخضر –عليه السلام– عند حديثه عن خرق السفينة. فإنه وإن كان قد فعل ذلك بأمر الله، إلا أنه قال – فيما ذكره القرآن الكريم – :

﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾(٣١).

ولكنه – عليه السلام – عند حديثه عن إقامة الجدار لحفظ الكنز للغلامين اليتيمين قال كما جاء في الآية الكريمة:

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾(٣٢) فنسب هذا الخير إلى الله ـ تعالى – وإن كان هو الذي أقام الجدار، وهذا هو السلوك اللائق بأهل الهداية والإيمان والصلاح.

---

(٢٩) رواه أبو داود وغيره.

(٣٠) الجن: ١٠.

(٣١) الكهف: ٧٩.

(٣٢) الكهف: ٨٢.

معجزة من معجزات القرآن الكريم

١

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

وما أجل وأعظم وأكثر معجزات هذا الكتاب الخالد العظيم، كتاب الله رب العالمين، المنزل على خاتم النبيين محمد - صلى الله عليه وعلى آله أجمعين -.

وكيف يمكن إدراك أسرار إعجاز القرآن الكريم، وأنت حين تتدبر كتاب الله حق التدبر تجد إعجازا مافوقه إعجاز، وتجد أسرار جلال يفوق الوصف، ويتعالى على الإحصاء والعد.

جلال بلاغته التي أعجزت البلغاء.

أم شرف معانيه، وسمو مراميه.

ام عظمة أغراضه ومضامينه ومقاصده ومناحيه.

أم حديث الكتاب المبين عن الإنسانية في ماضيها وعن الإنسان وطباعه وتكوينه.

أم حديثه عن المستقبل الذى لايعلمه إلا الله - جل جلاله -

أم إعجازه العلمى الذى لم تصل إليه عقول الأولين والآخرين. ولقد تنوعت مذاهب العلماء في تفسير كتاب الله:

فمنهم من جنح إلى التفسير بالمأثور، كالطبرى فى تفسيره «جامع البيان»، والسيوطى فى «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور».

ومنهم من جنح إلى التفسير بالرأى كالرازى فى تفسيره «مفاتيح الغيب» والألوسى فى تفسيره «روح المعانى» والبيضاوى فى تفسيره «أنوار التنزيل».

ومنهم من جنح إلى التفسير البلاغي أو البيانى كالزمخشرى، وذهب أبو حيان إلى التفسير النحوى فى «البحر المحيط» واختار القرطبى التفسير الفقهى فى تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».

ولكننا الآن نقف أمام إعجاز القرآن الكريم فى تنبؤه بالمغيبات، وإخباره بما يحدث في آخر الزمان، وصدق كل ماأخبر به الله – عز وجل – ومن ذلك قوله – تعالى – :

﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾(١) وقوله – تعالى – :

(١) سورة الفتح ٢٧.

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٢) وقوله – تعالى – :

﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾(٣)

وقوله – تعالى – :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝ ﴾(٤)

وقوله –تعالى– فى شأن أهل بدر

﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ ﴾(٥)

وقد نزلت هذه الآية بمكة قبل غزوة بدر بسبع سنين.

وقوله – تعالى – :

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝ ﴾(٦)

وقوله – تعالى – :

﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝ ﴾(٧) وكان المستهزئون جماعة بمكة يؤذون الرسول ويتعرضون له، وينفرون الناس منه، فهلكوا جميعا. ولما نزلت هذه الآية بشر الرسول أصحابه بذلك.

وقوله – تعالى – :

﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(٨) فحفظه الله وحرسه مع كثرة من أرادوا به السوء، وقصدوا قتله.

كتاب الله العظيم لايحيط بجوانب إعجازه بشر، ولايدرك سر هذا الإعجاز إنسان، ولايصل إلى غور محيطه اللجىّ عقل.. إنه كتاب الله وكفى، وحسبنا بذلك وصفا، وحسبنا بهذا إقرارا بالعجز عن فهم أسرار هذا الإعجاز.

٢

ومعجزة جديدة لم يكتب عنها من قبل أحد، معجزة فى آية من آيات سورة «الدخان» هذه السورة المكية التى تبلغ آياتها تسعا وخمسين آية، والتى تبدأ بالقسم بكتاب الله، الذى أنزله الله على رسوله الأمين فى ليلة مباركة هى ليلة القدر لينذر به العالمين، وليدعوهم به إلى الصراط المستقيم.

وفى صدر السورة ما فيها من تمجيد لله – عز وجل –، رب السماوات والأرض وما بينهما، وواهب الحياة للناس، والذى بيده حياة الناس وفناؤهم.

ثم تخاطب السورة مشركى مكة، الكافرين برسالة رسول الله، محمد –صلوات الله عليه–، وتذكرهم بأن الله وحده هو ربهم ورب آبائهم الأولين، وبأنهم سيظلون فى خوضهم وشكهم يلعبون.

وبعد ذلك يتحدث القرآن الكريم عن جحود المشركين لرسالة خاتم النبيين، وقولهم عنه : ﴿ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ ﴾(٩)، ويتنبأ بمصيرهم

(٢) سورة النور ٥٥. (٣) سورة الروم ٢ – ٤. (٤) سورة الحجر ٩.
(٥) سورة القمر ٤٥. (٦) سورة التوبة ٣٣. (٧) سورة الحجر ٩٥.
(٨) سورة المائدة ٦٧. (٩) الدخان.

وهلاكهم في بدر بقوله - تعالى :

﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾(١٠).

ويذكرهم بمصرع فرعون وجنده في اليم بكفرهم بموسى ورسالته، ويعود كتاب الله إلى إنكار المشركين للبعث والجزاء بالتقريع لهم وبالإنكار عليهم، ويذكرهم بقدرة الله خالق السموات والأرض وما بينهما، وبأن يوم الفصل -وهو يوم القيامة- آت لاريب فيه، وأن الكافرين سيلقون فيه العذاب الأليم، وأن المؤمنين سينالون فيه أعلى درجات النعيم. ويختم الله السورة بالحديث إلى رسوله الأمين :

﴿ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴾(١١).

وسورة الدخان من السور المكية التي تجادل المشركين، وتتحدث عن كفرهم وآثامهم.

وفي الآية العاشرة فيها يخاطب المولى رسوله الكريم بقوله :

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(١٢)

وهذه الآية هي موضع شاهدنا، وهي موضع المعجزة الإلهية الجليلة.

وبهذه الآية سميت السورة سورة الدخان، وقد وردت كلمة الدخان في القرآن الكريم في هذا الموضوع، وفي موضع آخر في سورة فصلت، وهو قوله -تعالى- :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾(١٣)

وتسمية « سورة الدخان » بهذا الاسم، لقوله - تعالى -

﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾(١٤)،

دليل على أن في هذه الآية تكمن المعجزة، معجزة التنبؤ بالمستقبل وأحداثه، ولم تسم سورة فصلت باسم « سورة الدخان » لأن لها غرضا آخر جليلا غير غرض هذه النبوءة الواعدة الصادقة.

في هذه الآية رد على المشركين مابعده من رد : وكان الله - عز وجل - يقول لنبيه الكريم : انتظر فيوم هلاك المشركين قريب، ويوم مصارعهم في بدر غير بعيد، بل ويوم خروجهم من قبورهم للبعث والجزاء وللعذاب آت لاريب فيه، كما سيأتي يوم تمتلىء السماء فيه بدخان مبين ظاهر تراه العين ولم يحدث أن روى أحد أن السماء ملأها الدخان إلا هذه الأيام، الأيام التي غشي الأفق فيها في بلادنا سحب كثيفة من الدخان، لا يعلم سره إلا الله، وإن قالوا في سببه : إنه من آثار دخان المصانع وحرائق النفايات وعوادم السيارات وغير ذلك.

السماء تمتلىء بالدخان.. بالله.

لم تحدث هذه الظاهرة إلا هذه الأيام وقد تنبأ بها القرآن قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.. وطالب الله - عز وجل - رسوله بأن ينتظر حدوث ذلك، والرسول لن يعيش هذا الأمد الطويل، ولكن ذلك الترقب هو ولاشك سيكون من أتباعه أتباع رسول الله الذين يعيشون حدوث هذه الظاهرة، والذين يدعون الله قائلين:

---

(١٠) سورة الدخان ١٦.
(١١) سورة الدخان ٥٩.
(١٢) سورة الدخان ١٠.
(١٣) سورة فصلت ١١.
(١٤) الدخان ١٠.

﴿ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾(١٥).

ويقول الله -عز وجل- :

﴿ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾(١٦)

أى إلى الكفر والشرك والمعصية والضلال.

قد يقال: إن ظاهرة «الدخان يملأ الأفق» ظاهرة موضعية، ونقول: إن كل الأمور التى جعلها الله علامات ليوم القيامة هى موضعية، وإن ظاهرة هذا الدخان التى تحدث إنما هى علامة من علامات الساعة.

ففى تفسير مدلول هذه الآية يذهب على بن أبى طالب وابن عباس أن الدخان يكون قبل يوم القيامة، وهو من أشراط الساعة، وروى حذيفة (بن اليمان) أن رسول الله - ﷺ - قال: إن أول أشراط الساعة الدخان، بينما ذهب ابن مسعود إلى رأى آخر فى تفسير هذه الآية، وهو أن الدخان عبارة عما أصاب قريشا حين دعا عليهم رسول الله - ﷺ - بالجدب فكان الرجل منهم يرى دخانا بينه وبين السماء من شدة الجوع.

قال ابن مسعود: خمس (أى خمس علامات من أشراط الساعة) قد مضين: الدخان واللزام والبطشة (بدر) والقمر (وانشق القمر) والدم.

وتفسير ابن مسعود حمل للآية الكريمة، على المجاز، والحمل على الحقيقة أولى لعدم وجود القرينة الدالة على المجاز.. والظاهرة أمامنا اليوم حقيقة واضحة.. أما أن تقول: إن الرجل كان من أثر الجوع يرى كأن السماء مملوءة بالدخان فذلك مع عدم القرينة مجاز لاتحمل الآية عليه لانتفاء الضرورة فى هذا الحمل.

وقد يقال: إن تفسير الآية بظاهرة الدخان الذى يملؤ الأفق فى سمائنا هذه الأيام هو فصل للكلام والحديث الذى هو عن قريش إلى الكلام عن عصرنا وزمننا وجيلنا اليوم فأقول: إن ذلك الفصل مقصود، وكأنه التفات إلى المستقبل من بين ثنايا الحاضر فى عصر رسول الله - ﷺ - ولذلك جاءت لفظة «فارتقب» للدلالة على ذلك ولولا أن هذه الظاهرة حديث عن المستقبل ونبوءة به وبإحداثه لما فسرها على بن أبى طالب وابن عباس بهذا التفسير الذى هو دليل رأينا، ودليل المعجزة التى سوف تحدث فى آخر الزمان، وهو زمننا اليوم.

٣

والذى أقوله هنا هو أن كتاب الله الحكيم قد تنبأ بأمر سوف يحدث بعد أربعة عشر قرنا من نزول القرآن الكريم، وهو ظاهرة الدخان تملأ الأفق، وتنتشر فى سمائنا، ونفزع لها، ونحاول تفسيرها عاجزين قاصرين فلا نستطيع بدليل قول من أصابت هذه الظاهرة أفقهم: «إنا مؤمنون»، وكفار قريش لم يقولوا ذلك أبدا لرسول الله، ولم يلجئوا إلى الله بالدعاء لكشف هذه الظاهرة، وإذا كانوا قد فكروا فى هذا اللجوء فإنما يكون لجوؤهم إلى أصنامهم - كعادتهم دائما وأبدا - إن ظاهرة الدخان يلمؤ أفق السماء هى ظاهرة تنبأ بحدوثها كتاب الله، وعُدت علامة من علامات قيام الساعة فتبارك الله رب العالمين، - وعز وجل - شأن الله خالق الإنس والجن أجمعين، وسبحان الله، منزل العذاب بالكافرين، وكاشف العذاب عن عباده المؤمنين، ولاحول ولاقوة إلا بالله يحيى ويميت، وهو ربنا ورب قريش ورب آباء قريش الأولين، وإليه - عز وجل - مصيرنا ومصير كل البشر أجمعين.

(١٥) سورة الدخان ١٢.

(١٦) سورة الدخان ١٥.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ القرية

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله، وبعد:

فقد تناولنا فى مقال سابق هذا اللفظ مفرداً مقطوعاً عن الإضافة وتتبعنا ما ذكر منه من أول سورة البقرة إلى سورة الحجر، وفى هذا المقال نحاول - بعون الله وتوفيقه - تتبع هذه اللفظة حتى نهاية القرآن المجيد.

ففى سورة النحل: ذكرت لفظة القرية فى قوله - تعالى -:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢)﴾[1].

والقرية هى: مكة على ما ذهب إليه أكثر المفسرين أو قرية تشبهها فعلت فعل أهل مكة فأصابها ما ذكر فى الآية. ويحتمل أن تكون قرية مفترضة لا وجود لها لكن أوصافها المفترضة تنطبق على أهل مكة[2].

والمعنى والله أعلم: ضرب الله لأهل مكة مثلاً هو قرية كانت تنعم بالأمن، لا تخشى بأس عدو، والصحة والطمأنينة والقرار لا تضطر إلى الهجرة، كما تنعم بالرخاء، فرزقها يأتيها من كل مكان، فكفر أهلها بهذه النعم ولم يشكروا واهبها ومسديها، فبدل الله أمنهم خوفاً ورخاءهم شدة، فعمهم الجوع والخوف بعد الأمن والطمأنينة وسعة العيش؛ لأنهم كذبوا الرسول الذى جاءهم من أنفسهم فدعا عليهم قائلاً: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف» فاضطروا إلى أكل الجيف، وكان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه الدخان

(١) النحل ١١٢.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازى جـ ٩ ص٦٠ بتصرف ط دار الغد العربى

من الجوع وضاقت عليهم الأرض بما رحبت من جيوش المسلمين والهزيمة يوم بدر(٣).

ولقد شبه القرآن الكريم إحاطة الجوع والخوف بهم واشتماله عليهم باللباس، وجعل شدة إصابتهم بالجوع والخوف إذاقة، قال الرازى فى تفسيره:(٤) «إن الأحوال التى حصلت لهم عند الجوع نوعان: أحدهما أن المذوق هو الطعام، فلما فقدوا الطعام، صاروا كأنهم يذوقون الجوع، ثانيهما أن ذلك الجوع كان شديداً كاملاً، فصار كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس، فالحاصل أنه حصل فى ذلك الجوع حالة تشبه المذوق، وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله -تعالى- كلا الاعتبارين فقال **﴿ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ﴾**.

واللفظة التالية جاءت فى سورة الإسراء فى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾(٥)

وليس المراد هنا قرية بعينها، بل أى قرية ينطبق عليها هذا الوصف، ولهذا جاءت نكرة، والمعنى -والله أعلم- إذا فشت المعصية فى أهل قرية وتلطخت نفوسهم بالإثم، واستحقت العذاب، لم نعاجلها بالعذاب، بل نملى لها فنأمر أهل الثراء والترف بالطاعة، فإذا لم يدخلوا فى طاعتنا وفسقوا عن أمرنا، حق عليهم العذاب، فدمرناها تدميراً شديداً بمعاصيهم وسوء فعالهم، وخص المترفين بالذكر لأن العامة يقلدونهم فيما يفعلون ويكونون تبعاً لهم، وقال بعض المفسرين: إن معنى أمرنا: أكثرنا أى أغدقنا عليهم النعم التى تبطرهم وتجعلهم يقعون فى المعاصى فكان الله أمرهم بها إذ مهد لهم الأسباب الموصلة إليها(٦).

وفى الإسراء آية ثانية فيها لفظ (القرية) هى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَوۡ مُعَذِّبُوهَا عَذَابٗا شَدِيدٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾(٧). والمعنى والله أعلم-: ما من قرية من القرى التى كفر أهلها، فظلموا أنفسهم بهذا الكفر والمعاصى إلا نازل بهم أحد أمرين إما الإبادة والإفناء وهلاك الاستئصال، وإما أن نعذبهم فى الدنيا بصنوف من البلايا والمصائب والمحن كالهزيمة فى الحرب والقتل بالسيف والقحط والجوع والأمراض والعلل كل ذلك قبل يوم القيامة، ثم يردون إلى العذاب الأشد فى نار جهنم وبئس المصير، وقد سبق ذلك فى علم الله، أو كتب فى اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله العالم.

وذكرت هذه اللفظة (القرية) فى سورة الكهف فى سياق قصة موسى مع الخضر -عليهما السلام- قال -تعالى-:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴾(٨).

والقرية هي كما قال النيسابورى هي: أنطاكية(٩) والمعنى: فانطلق الخضر وموسى -عليهما السلام- حتى وصلا إلى قرية طلبا من

---

(٣) تفسير المراغى حـ ١٤ ص ١٥٩.
(٤) مفاتيح الغيب المصدر السابق ص ٦٥١.
(٥) الإسراء ١٦.
(٦) تفسير المراغى حـ ١٥ ص ٣٦ ط الحلبى.
(٧) الإسراء/٥٨.
(٨) الكهف/ ٧٧.
(٩) غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابورى حـ ٣ ص ٢٦٦٦ ط دار الصفوة.

أهلها أن يطعموهما فرفضوا، مع علمهم أنهم ضيوف غرباء ومن اللؤم طرد الضيف وفي الحديث: «كانوا أهل قرية لئاما بخلاء» ورغم ذلك حين رأيا في القرية جداراً مائلاً يكاد يسقط وينهار فمسحه الخضر بيده فقام واستوى، وكان ذلك من معجزاته(10) فقال له موسى -عليه السلام-: لو شئت لأخذت على إصلاحك الجدار أجراً تنفقه في الطعام والشراب ومتطلبات الحياة الأخرى فقال له الخضر: هذا الاعتراض هو سبب الفراق بيني وبينك كما شرطت على نفسك.

وذكرت لفظة القرية أربع مرات في سورة الأنبياء في الآيات السادسة، والحادية عشرة، والرابعة والسبعين والخامسة والتسعين.

أولاها قوله -تعالى-:

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ﴾(11) روي أن أهل مكة قالوا للنبي -ﷺ-: «إذا كان ما تقوله حقاً ويسرك أن نؤمن فحول لنا الصفا ذهباً، فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنظروا وإن شئت استأنيت بقومك، فقال: بل استأني بقومي، فأنزل الله قوله:

﴿ مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ ﴾(12) أي إن أقوام الأنبياء من قبلك اقترحوا على أنبيائهم المعجزات ووعدوهم الإيمان حين مجيئها فلما جاءتهم لم يوفوا بالعهد فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وقومك يا محمد أشد عتوا ممن سبقهم فلو أجيبوا إلى ما سألوا لكانوا أشد نكثا، ولكن سبقت كلمة الله أن مشركي هذه الأمة لا يعذبون بعذاب الاستئصال، هذا والقرية هنا غير معينة، ولذا جاءت نكرة في سياق النفي.

وثاني آيات سورة الأنبياء قوله -تعالى-:

﴿ وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٍ كَانَتۡ ظَالِمَةً وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴾(13)

أي ما أكثر القرى التي أهلكناها بكفرهم واستبدلنا بهم أمماً غيرهم لم يلوثوا بالكفر؛ بل أنشأناهم على فطرة الإيمان التي فطر الله الناس عليها، والقرية هنا غير معينة لأنها نكرة وقعت في سياق كم المفيدة للعموم.

وثالث الآيات قوله -تعالى-:

﴿ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمًا وَعِلۡمًا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٍ فَٰسِقِينَ ﴾(14) . والقرية هي سدوم، والمراد أهلها، وكانت خبائثهم كثيرة، منها إتيان البيوت من ظهورها، وإتيان الذكران من العالمين، فنجى الله نبيه لوطاً منهم ومن الهلاك الذي نزل بهم؛ لأن الله أعطاه الحكمة والنبوة وأدخله في رحمته، أي جنته.

ورابع الآيات هي قوله -تعالى-:

﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾(15).

والقرية هنا عامة أيضاً غير معينة والمعنى -والله أعلم-: إذا أهلكنا أهل قرية بسبب

---

(10) تفسير المراغي جـ16 ص5.
(11) الأنبياء/ 6.
(12) الأنبياء/ 6.
(13) الأنبياء/ 11.
(14) الأنبياء/ 74.
(15) الأنبياء/ 95.

كفرهم امتنع عليهم أن يرجعوا إلى الدنيا بعد هلاكهم إلى قيام الساعة، وذلك كقوله -تعالى-: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (16).

وفي الحج ذكرت اللفظة مرتين: أولاهما في الآية الخامسة والأربعين. ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (17)

ومعناها كالسابقة، أي فكثير من القرى أهلكناها لما كفر أهلها بالله فخوت دورها وسقطت على عروشها وتعطلت آبارها فلم يعد يسكن القصور المشيدة ساكن ولم يعد يرد الآبار وارد؛ لأنهم بادوا وتركوا القصور المشيدة والآبار المعطلة، قال قتادة: شيدوه وحصنوه فهلكوا وتركوه(18).

ويرى بعض العلماء أن في الآية إشارة إلى مسلك الحكام الطغاة، وما ينطوي عليه من فساد فهم يهتمون بقصورهم الخاصة ويهملون المرافق العامة التي تنفع عامة الشعب فبينما يشيدون القصور يعطلون الآبار.

وثاني الآيتين في الحج هو قوله -تعالى-: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (19) ومعناها لا يختلف كثيراً عن معنى الآية السابقة، غير أن هذه الآية أشارت إلى إملاء الله للظالمين علهم ينزجروا فاغتروا بالإمهال وأصروا على كفرهم فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وفي الفرقان ذكرت اللفظة مرتين: مرة في الآية الأربعين وهي قوله -تعالى-: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ (20).

والقرية هي سدوم التي كانت تعمل الخبائث فقلبها الله وأمطرها بحجارة من سجيل مسومة على كل حجر اسم من يهلك به، والغرض من ذكرها هنا توبيخ أهل مكة لعدم اعتبارهم بما حل بالأمم المكذبة قبلهم، مع أنهم كانوا يمرون على سدوم في رحلة الصيف فيرون خرابها ولا يتعظون، لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، ولا يخافون عذاب يوم القيامة لأنهم غير مؤمنين به.

والمرة الثانية في الآية الحادية والخمسين وهي قوله -تعالى-:

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ (21)

والمعنى: إننا يا محمد رفعنا ذكرك، وأعلينا قدرك، فبعثناك إلى جميع العالمين، إلى العجم والعرب والأحمر والأسود، لتنهض بأعباء الرسالة على خير وجه، وتستوجب بصبرك على أذى الناس الفضيلة والدرجة العالية الرفيعة التي أعدها الله لك، ولولا ذلك لبعثنا في كل قرية رسولاً يبشرهم وينذرهم، وذكرت اللفظة في الشعراء في قوله -تعالى-:

﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ (22)

أي أن الله -تعالى- لا يهلك أهل قرية إلا بعد الإنذار وإقامة الحجة عليهم بإرسال الرسل ينذرونهم

---

(16) المؤمنون/ 99، 100.
(17) الحج/ 45.
(18) تفسير المراغي جـ 17 ص 122.
(19) الحج/ 48.
(20) الفرقان/ 40.
(21) الفرقان/ 51.
(22) الشعراء/ 208.

ويخوفونهم عذاب الله إن كفروا، وما كنا ظالمين في إهلاكهم؛ لأنهم جحدوا نعمتنا وعبدوا ما لا يستحق العبادة من مخلوقاتنا، وهذه الآية كقوله -تعالى-:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾[٢٣].

وجاءت اللفظة في النمل في قوله -تعالى-:

﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[٢٤]

حكى القرآن الكريم ما قالته بلقيس للملأ من قومها حين اقترحوا عليها أن يحاربوا سليمان -عليه السلام- والمعنى: إن عاقبة الحرب الدمار والهلاك، لأن الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين أفسدوها بتخريب العامر من بيوتها، وإتلاف الصالح من أموالها، وإذلال أهلها بالقتل والأسر والطرد من البلاد، ومثل هذا يفعلون معنا إن حاربناهم، وفي هذا دليل على رجاحة عقلها وكياستها في سياسة رعيتها، ولهذا اقترحت عليهم أن تختبر سليمان - عليه السلام - بالمال فإن قبله تبين لهم أنه رجل دنيا، وإن رفض المال تأكد لهم أنه رجل دين ومبدأ، وأنه رسول حقاً، وقد كان، وفي القصص ذكرت اللفظة في قوله -تعالى-:

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾[٢٥] ومعناها كمعنى آية النحل السابقة أي أن كثيراً من القرى لما فتحنا عليهم بركات الأرض، فأترى أهلها أصابهم البطر وصاروا من المترفين وجحدوا نعمة الله عليهم، خرب الله ديارهم، فأصبحت خاوية خربة لم يسكنها أحد، وكنا نحن الوارثين، إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم.

وفي العنكبوت ذكرت اللفظة مرتين يراد في كلتيهما سدوم قرى قوم لوط -عليه السلام-.

والأولى قوله -تعالى-:

﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾[٢٦]

ذلك أن الله -تعالى- حين أرسل الملائكة لإهلاك قوم لوط في سدوم، مروا على عمه إبراهيم -عليه السلام- ليبشروه بالغلام العليم إسحاق، فسألهم عن خبرهم فقالوا: إنا مهلكوا أهل هذه القرية، إن أهلها كانوا ظالمين لأنفسهم بارتكابهم أقبح أنواع الفساد وتكذيبهم لوطا - عليه السلام - فجروا على أنفسهم الدمار والوبال ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[٢٧].

والثانية هي قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[٢٨] وهي في نفس السياق لبيان نوع العذاب الذي قضى الله بإنزاله على أهل سدوم وهو الرجز، أي عذاباً يرتجزون به وتنخلع قلوبهم التي عشش فيها الفسق وباض وأفرخ، قال العلماء: «إن زلزلة خسفت بهم الأرض وابتلعتهم في باطنها فصار مكان قريتهم بحيرة ملحة» (البحر الميت)[٢٩].

---

(٢٣) الإسراء/ ١٥.

(٢٤) النمل/ ٣٤.

(٢٥) القصص/ ٥٨.

(٢٦) العنكبوت/ ٣١.

(٢٧) النحل/ ٣٣.

(٢٨) العنكبوت/ ٣٤.

(٢٩) تفسير المراغي جـ ٢٠ ص ١٣٨.

إنه لقرآن كريم

للأستاذ: محمد إبراهيم العشماوى (*)

عهدى بالقرآن، وعهد العقلاء به، أنه كتاب كريم، بكل ما فى الكلمة من معنى ودلالة.

وكرم القرآن من نوع خاص، لا يعرفه البشر، وتعجز عنه كل العجز طاقاتهم الفذة، وسجاياهم النادرة، فما من كريم إلا وكرمه يتناهى، وكرم القرآن لا يتناهى، وكيف لا يكون كذلك وخالق الكرم منزله، وأكرم الملائكة حامله؟ وسيد الكرماء مبلغه وموصله، والأمة الكريمة تتلوه وترتله ؟!!

ولو أن وصف القرآن بهذا جاء على لسان البشر لصدقه واقع القرآن، فكيف والمتكلم به هو واصفه بهذا ؟

إذن، فقد أصبح جزءا من عقيدة المؤمنين بهذا الكتاب أن يؤمنوا بأنه كريم، وأن يأخذوا طريقهم للإفادة من كرمه هذا، ليكونوا هم الآخرون كراما كما أن كتابهم كريم، وربهم كريم، ورسولهم كريم، وإلا فكيف يكرم القرآن أمة تأبى أن تكون كريمة، وترضى أن تكون ذليلة مهينة ؟

● ولقد جاء وصف القرآن بالكرم، فى صورة من التقدير والتأكيد، لا تدع مجالا للريب إلا عند من فى قلبه مرض، إذ يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾(١) وهذا أبلغ ما أنت واجد من صور التأكيد، فالجملة اسمية تؤذن بدوام مضمونها واستمراريته، ثم هى مصدرة بأبلغ الحروف دلالة على التأكيد، وهى «إن» الناسخة، ثم اللام المؤكدة الداخلة على الخبر تثبيتا له وزيادة فى تأكيد معناه، ثم الجملة كلها جواب للقسم المتقدم فى قوله تعالى:

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾(٢). وقد جرى العرف على أن القسم يكون فى الأمور المهمة الخطيرة، أو الأمور التى قد يستريب فيها السامع. فإذا كان رب العالمين هو المقسم ـ وهو الغنى عن القسم ـ لأنه صادق لا محالة، والأمر ليس

(*) الكاتب معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

(١) الواقعة (٧٧).

(٢) الواقعة

محل ريب، بل هو محل يقين من المؤمنين بهذا الكتاب. فكيف يكون الأمر إذن ؟

وإذ قد جاء الوصف على هذه الصيغة، أعنى صيغة «فعيل»، وقد تقرر أنها تطلق ويراد بها معنى الفاعل، وتطلق ويراد بها معنى المفعول، فإننا نرى صلاحيتها لكلا المعنيين معا، بحيث يصير كل منهما مرادا. فالقرآن كريم بمعنى مكرم ـ بكسر الراء اسم فاعل ـ أى: صاحب إكرام، وهو بهذا المعنى متعد. والقرآن كريم بمعنى مكرم ـ بفتح الراء اسم مفعول ـ أى: كرمه الله وصانه، وأمر بتكريمه وصيانته، وهو بهذا المعنى متعد أيضا. وهو فوق هذا وذاك كريم فى نفسه بحيث لو لم يكرم لاستحق أن يكون كريما. وهو بهذا المعنى لازم لأنه صفة مشبهة، وهى تصاغ من اللازم للدلالة على الصفة الدائمة الملازمة لصاحبها، التى لا تنفك عنه ولا ينفك عنها.

وفى ظلال هذه المعانى تسبح الأفكار، وتجول الخواطر، لتبحث فى وجوه الكرم القرآنى، إكرام الله للقرآن، وإكرام القرآن لأهله. ودونك فى هذا بحوثا ضافية تزخر بها المكتبة الإسلامية فى شتى العلوم والمعارف.

وأذكر هنا بعض النماذج التى تشير إلى هذا، اكتفاء بالقليل عن الكثير.

فمن إكرام الله للقرآن: أن رفع درجته، وأعلى منزلته، ففضله على سائر أنواع الكلام، كفضل الله على أدنى واحد من خلقه، وما أدراك ما الفارق بين المخلوق والخالق؟ وجعله مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليه، ويسره للذكر، أى: للحفظ، حتى إنك لتجد من أطفال المسلمين ممن هو دون العاشرة من يحفظ القرآن عن ظهر قلب، لا يكاد يسقط منه حرفا واحدا، وسائر الكتب عسيرة الحفظ على أهلها، لا يقرأونها إلا نظرا فيها، وكما يسره الله للحفظ تولى حفظه بنفسه من أن تمتد إليه يد التحريف والتبديل، ورغم كل المحاولات العتيدة التى يقوم بها أعداء القرآن منذ أنزل إلى اليوم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، لم يستطيعوا أن يغيروا منه حرفا واحدا، أو يسقطوه، على الرغم من توفر الدواعى والإمكانات الهائلة المعدة لذلك، والتى تكفى لإبادة ملايين الكتب ومحوها من الوجود، وهذا ـ وحده ـ كاف فى الاعتبار، فاعتبروا يا أولى الأبصار!!

وأما سائر الكتب فقد وكل الله حفظها لأصحابها، فضاعت وحرفت، ولا سبيل إلى القرآن البتة، اللهم إلا أن تمتد أيديهم إلى تحريف المصاحف ـ وقد حفظها المسلمون ـ فإن فعلوا ـ وقد فعلوا ـ عرضنا ذلك على صدور الحفاظ الثقات، فما وافقها أخذنا به، وما خالفها طرحناه، ولا ثقة لنا بالمصحف مالم يوافق ما فى الصدور، ولا ثقة لنا بما فى الصدور مالم يوافق ما فى المصاحف الموثوقة،

ولا نعلم كتابا على ظهر الأرض تواتر نقله بالإسناد المتصل جيلا فجيلا غير القرآن الكريم» !!».

ومن إكرام الله له ـ أيضا ـ أنه لا ينبغى التعامل معه إلا على طهارة، فيحرم على المحدث مسه، وعلى الجنب والحائض تلاوته خلافا لسائر الكلام، الإلهى منه والنبوى، وأنه لا تجوز قراءته بالمعنى، ولا ترجمة ألفاظه «وإن جازت ترجمة معانيه»، وأن تلاوته عبادة، والإنصات عند تلاوته واجب، وأنه معجز للخلق لا يتهيأ لأحد الإتيان بمثله، ولا بسورة منه، وهذه مكانة عزيزة رفيعة، وقد تعددت وجوه إعجازه، في ألفاظه، ومعانيه، وأساليبه..... إلخ، كما تعددت وجوه إعجازه للخلق على اختلاف طوائفهم وأجناسهم، عربا وعجما. فمن إعجاز لغوى، إلى بلاغى، إلى تشريعى، إلى علمى، إلى طبى، إلى كونى، إلى غيبى..... إلخ.

فهذه بعض وجوه تكريم الله للقرآن ـ وهو كلامه ـ وكم هى كثيرة، ويتعرض العلماء لها فى علوم مختلفة: فى القرآن وعلومه، والسنة وعلومها، والفقه وأصوله، واللغة وآدابها، وسائر العلوم المادية الأخرى التى تتصل بالبحث والتجربة من طب وفلك وجغرافيا وطبيعة وأحياء..... إلخ.

وأما وجوه إكرام القرآن لأهله فإنها تند عن الحصر، وحسبك أن كل خير يصل إليه حملة القرآن وأهله فإنما هو ببركة القرآن وكرمه.

فمن ذلك: أن متعلميه ومعلميه هم خير الخلق، وأنه سبب فى انتسابهم إلى حضرة الله، فهم أهل الله وخاصته، وأنهم قد استدرجوا النبوة بين جنبيهم غير أنه لا يوحى إليهم، وأنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه، وأن حامله يشفع فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار، ويكرم أبواه بسببه ويحليان بحلى الجنة وتيجانها، ويرفع البلاء عن الخلق ببركته، وأن حامله أولى الناس بالإمامة فى الصلاة، وأولاهم باتباع رأيه وطاعة أمره، وأنه يقدم على غيره فى اللحد عند الدفن، وأن الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن، وأن قارئه يعطى بكل حرف حسنة والحسنة بعشر أمثالها، والذى يقرؤه وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة من الملائكة، والذى يقرؤه ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران، ويرتقى صاحبه فى منازل الجنة على قدر قراءته وحفظه له، والبيت الذى يقرأ فيه القرآن كثر خيره، واتسع بأهله، ودخلته الملائكة، وخرجت منه الشياطين، وحامل القرآن دائما فرح، وصدره منشرح، لا يعرف الهم، ولا يدرى ما الغم، عيشته هنية، وميتته سوية، ومرده غير مخز ولا فاضح، وحامل القرآن أقوى الناس ذاكرة، وأصحهم جسما، وأجودهم فهما، وأسدهم

فكرا، وأرفعهم ذكرا، وأعمقهم أثرا، وأقومهم لسانا، وأفصحهم بيانا، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم حجة، وأرقاهم حسا، وأطيبهم نفسا، وأسعدهم حظا، وأعفهم لفظا، وأهداهم سبيلا، وأقومهم قيلا.

بهذا وغيره ـ وهو كثير ـ جاءت النصوص، لتكشف لنا عن كرم القرآن، الذى لا يحد، وعن أياديه التى لا تحصى ولا تعد، وها هى ساحته الكريمة تمتد لتشمل الدنيا والآخرة، وتتسع آفاقها لتعم الفرد والمجتمع.

هذه الأفكار والمعانى طافت بى وأنا أقرأ الآية الكريمة التى فى أواخر سورة المجادلة ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾[3] قلت فى نفسى: كان القضية معكوسة، فالأصل أن ينسى الإنسان ذكر الله فيستحوذ عليه الشيطان، لأنه فقد السلاح الذى يستدفع به كيد الشيطان، هكذا فهمت أو تصورت، ولكن من يصوب لى هذا الفهم إن كان خطأ؟ أو يؤيده إن كان صوابا؟ وما أن انتهى حديث النفس حتى سمعت حديث القرآن الكريم هامسا الذى تطلبه أمامك!!

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾[4]. قضيتان متلازمتان تسلم إحداهما إلى الأخرى، فنسيان الإنسان لذكر الله سبب فى استحواذ الشيطان عليه، واستحواذ الشيطان عليه سبب فى إنسائه ذكر الله، والنتيجة واحدة:

﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[5]. وهكذا وجدت حاجتى فى القرآن الكريم الذى لا تغلبه المسائل، ولا يعجز عن سؤال سائل. وكفانى مئونة البحث فى غيره، وعادت بى الذكريات إلى الوراء قليلا، حيث كنت أضيق ذرعا بدراسة المنطق والفلسفة اليونانيين، وأجد الأنس كله والراحة فى دراسة علوم القرآن والسنة فترجمت عن هذا فى بيتين من الشعر قلت فيهما:

يضيق بمنطق اليونان صدرى
وفى القرآن لى شرح وبسط
ولى فيه الكفاية عن سواه
فما سقراط ذاك وما أرسطو ؟

حقيق بمن أكرمهم الله بالقرآن أن يكونوا معه كراما، وأن يتخذوا منه قدوة وإماما، وأن يجعلوه لهم شرعة ونظاما.

اللهم حققنا بذلك، وأنقذنا من المهالك، ووفقنا لأقوم المسالك. يارب العالمين.

---

(٣) المجادلة (١٩).

(٤) الزخرف (٣٦).

(٥) المجادلة (١٩).

النظر والمناظرة (١)

٧

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

فأما النظر:

فهو اسم مشترك بين معان شتى.

يقال للانتظار: نظر، وللرحمة، والتعطف: نظر، وللعناية للغير فيما يحتاج إليه: نظر، وللمقابلة: نظر، كما يقال: باب دار فلان ينظر إليك، وهذا الباب ينظر إلى ذلك الباب، وهذا الجبل ينظر إلى ذلك الجبل إذا تقابلا. يقال للرؤية: نظر، وللفكر والتأمل: نظر.

والمراد بالنظر هنا فكر القلب وتأمله في حال المنظور ليعرف حكمه جمعا أو فرقا أو تقسيما، وحقيقة هذا النظر هو التأمل أو التفكر أو التدبر أو الاعتبار أو الاستدلال.

وكل واحد من هذا يصلح أن يكون حداً لما نعنيه بالنظر هنا.

ثم ذكر الجويني إشكالاً للبعض مؤداه أن النظر الذي هو الاعتبار غير الفكر، وإن الفكر حتى غير التدبر ثم أجاب عنه(٢).

المناظــــــرة:(٣)

هي مأخوذة من النظر، وكل مناظرة نظر. وإن كان ليس كل نظر مناظرة، من حيث أن المناظرة مفاعلة من النظر.

ولا فرق بين المناظرة والجدال والمجادلة والجدل في عرف العلماء بالأصول والفروع، وإن فرق بين الجدل والمناظرة على طريقة اللغة وذلك أن الجدل في اللغة مشتق من غير ما اشتق منه النظر. ثم تكلم بعد ذلك عن سؤال مؤداه: عن ماذا اشتق الجدل؟ وبين آراء العلماء في جواز الاشتقاق وعدمه.

الجدل عند الباجي، نموذج الفلاسفة،

١ - مكانة الجدل وأهميته:

وهذا العلم من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال، وتمييز الحق من المحال، لولا تصحيح الوضع في الجدل لما

(١) الكافية في الجدل الجويني ص ١٦.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١٧ - ١٩.

قامت حجة، ولا اتضحت حجة، ولا علم الصحيح من السقيم، ولا المعوج من المستقيم[4].

٢ - أقسام الجدل :

(أ) الجدل المذموم :

وقد نطق الكتاب بالمنع من الجدل لمن لا علم له، والحظر ممن لا تحقيق عنده، فقال -تعالى- :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[5]، [6].

(ب) الجدل المحمود :

وقد ورد الأمر به لمن علم واتقن، فقال -تعالى-:

﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[7].

وقد روى عن النبي -ﷺ- أنه أتاه رجل أنكر لون ولده فقال يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلاماً أسود فقال رسول الله -ﷺ- : «هل لك من إبل؟ قال: نعم، قال: ما ألوانها، قال: حمر قال: هل فيها من أورق؟ قال: نعم، فمن أين ذلك؟ قال: لعل عرقاً نزعه. فقال رسول الله -ﷺ- وهذا الغلام لعل عرقاً نزعه[8] وهذا حقيقة الجدال ونهاية تبين الاستدلال من رسول الله -ﷺ- وهو المعصوم الذي يجب علينا اتباعه وامتثال أوامره من غير أن نطالبه بدليل على أعيانها، بين الأدلة ويرتبها، حق ترتيبها ليكون أسبق إلى الفهم وأبعد من الوهم، فكيف بمن يجوز عليه كثرة النسيان والسهو، بل لا يخلو من الخطأ والهفو.

٣ - آداب الجدل :

١ - ينبغي للمناظر أن يقدم على جدله تقوى الله -عز وجل- ليزكو نظره. ويحمد الله -عز وجل- ويصلي على رسوله -ﷺ- كثيراً لتكثير بركاته وتعظم فوائده، ثم يسأله المعونة والتوفيق لنفسه على طلب الحق والوكلة عليه ليدرك مقصوده ويحوز أجره.

٢ - ولا يقصد به المباهاة والمفاخرة فيذهب مقصوده ويكتسب إثمه ووزره ويدخل في النظر على جد واجتهاد ويفرغ له قلبه ويبذل له وسعه؛ لأن ذلك كله يعينه على إدراك مقصوده.

٣ - ويتوقر في جلوسه.

٤ - ولا يعبث بيده ولحيته فإن ذلك يذهب بالوقار.

٥ - ولا يكثر الصياح حتى يشق على نفسه ذلك لأن ذلك يقطعه.

٦ - ولا يخفض صوته جداً فينسب منه إلى ضعف المنة وكان بين ذلك قواماً.

٧ - ولا يشغف بكلامه ولا يعجب بجداله فإن ذلك يدعو إلى المقت.

٨ - ويقبل على خصمه فإنه أحسن في الأدب، ويحسن الاستماع إلى كلامه فإنه ربما بان له في كلامه ما رآه له على فساده فيكون عوناً على نظره.

---

(٤) المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٨. (٥) آل عمران آية ٦٦. (٦) المنهاج ص٩.

(٧) النحل آية ١٢٥. (٨) الحديث أخرجه البخاري ٥٣٠٥، ٦٨٤٧، ٧٣١٤ ومسلم ١٥٠٠، وأبو داود ٢٢٦٠.

٩ ـ ولا يداخله من نوبته ويصبر له حتى يفرغ من كلامه فإن المداخلة تذهب بالفائدة وتدعو إلى الوحشة.

١٠ ـ ويجتنب إظهار العجب من كلام خصمه والتشنيع عليه في جداله فإن ذلك يفعله الضعفاء ومن لا إنصاف عنده.

١١ ـ ولا يتكلم على ما لم يقع له العلم به من جهته، ولا يتكلم إلا على المقصود من كلامه، ولا يتعرض لما لا يقصده مما جرى في كلامه.

١٢ ـ ولا يناظر في حال الجوع والعطش ولا في حال الخوف والغضب ولا في حال يتغير فيها عن طبعه.

١٣ ـ ومتى أخذ المناظر نفسه بما وصفناه وتأدب بما ذكرناه انتفع بجداله وبورك له في نظره ـإن شاء الله ـ(٩).

مشروعية الجدال وفرضيته وآدابه كما بينها ابن حزم

١ ـ بعد أن يورد ابن حزم قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١٠) يذكر أن الله ـتعالى ـ قد أوجب الجدال في هذه الآية، وعلم فيها ـ تعالى ـجميع آداب الجدال كلها من الرفق والبيان والتزام الحق والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة(١١).

٢ ـ ويقول في موضع آخر عقب إيراده لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾(١٢) فأمر ـعز وجل ـ كما ترى ـ بإيجاب المناظرة في رفق وبالإنصاف في الجدل، وترك التعسف والبذاء والاستطالة إلا على من بدأ بشيء من ذلك فيعارض حينئذ بما ينبغي(١٣).

٣ ـ ويقول في موضع ثالث «ووجدناه ـتعالى ـ قد علمنا في هذه الآيات ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾(١٤) وجوه الإنصاف الذي هو غاية العدل في المناظرة وهو أنه من أتى ببرهان ظاهر وجب الانصراف إلى قوله(١٥).

٤ ـ وقد أمرنا ـتعالى ـ في نص القرآن باتباع ملة إبراهيم ـعليه السلام ـ وخبرنا ـتعالى ـ أن من ملة إبراهيم المحاجة والمناظرة، فمرة للملك ومرة لقومه، والاستدلال كما أخبرنا ـتعالى ـ عنه، ففرض علينا اتباع المناظرة لتصرف أهل الباطل إلى الحق، وأن نطلب الصواب بالاستدلال فيما اختلف فيه المختلفون. قال الله ـعز وجل ـ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٦) فنحن المتبعين لإبراهيم ـعليه

---

(٩) المنهاج في ترتيب الحجاج ص ٩، ١٠.
(١٠) النحل آية ١٢٥.
(١١) الاحكام في أصول الأحكام لابن حزم الظاهري ج١/٢٣.
(١٢) العنكبوت آية ٤٦.
(١٣) الاحكام لابن حزم ج١/٢٥.
(١٤) يونس آية ٦٨، ٦٩.
(١٥) الاحكام ج١/٢٤.
(١٦) آل عمران آية ٦٨.

السلام- في المحاجة والمناظرة، فنحن أولى الناس به وسائر الناس مأمورون بذلك، قال الله -تعالى-: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾[17] ومن ملته المناظرة كما ذكرنا فمن نهى عن المناظرة والحجة فليعلم أنه عاص لله -عز وجل- ومخالف ملة إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم-[18].

٥ - فإذا قد حض الله - تعالى - على المجادلة بالحق وأمر بطلب البرهان، فقد صح أن طلب الحجة هي سبيل الله -عز وجل- وصح بالنص الذي ذكرنا أن من نهى عن ذلك وصد عنه فهو صاد عن سبيل الله -تعالى- ظالم ملعون[19].

٦ - وقال -تعالى-: ﴿ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ﴾[20] ولا غيظ أغيظ على الكفار والمبطلين من هتك أقوالهم بالحجة الصادعة، وقد تهزم العسكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً، فهي أدعى إلى الحق والنصر للدين من السلاح الشاكي والأعداد الجمة، وأفاضل الصحابة الذين لا نظير لهم، إنما أسلموا لقيام البراهين على صحة نبوة محمد -ﷺ- عندهم فكانوا أفضل ممن أسلم بالغلبة بلا خلاف من أحد من المسلمين.

وأول ما أمر الله -عز وجل- نبيه محمد -ﷺ- أن يدعو له الناس بالحجة البالغة بلا قتال فلما قامت الحجة وعاندوا الحق أطلق الله -تعالى- عليهم السيف حينئذ وقال -تعالى-: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾[21] وقال -تعالى-: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[22] ولا شك في أن هذا إنما هو الحجة، لأن السيف مرة لنا ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبداً ودافع لقول مخالفينا ومزهق له أبداً، ورب قوة باليد قد دفعت بالباطل حقاً كثيراً فأزهقته[23].

٧ - وقد أمر الله بالجدال على لسان رسوله -ﷺ-... عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -ﷺ- «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[24]... وهذا حديث في غاية الصحة وفيه الأمر بالمناظرة وإيجابها كإيجاب الجهاد والنفقة في سبيل الله[25].

٨ - ويختتم ابن حزم قوله ببيان الجدال الذي تدعو إليه فيقول: والجدال الذي تدعو إليه هو طلب الحق ونصره، وإزهاق الباطل، فمن ذم طلب الحق وأنكر هدم الباطل فقد ألحد وهو أهل الباطل حقاً والخصام بالباطل هو اللدد الذي قال فيه -عليه السلام-: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[26][27].

---

(١٧) آل عمران آية ٩٥.
(١٨) الأحكام لابن حزم ج١/٢٥.
(١٩) الأحكام لابن حزم ج١/٢٨.
(٢٠) التوبة آية ١٢٠.
(٢١) الأنعام آية ١٤٩.
(٢٢) الأنبياء آية ١٨.
(٢٣) الأحكام لابن حزم ج١/٢٩.
(٢٤) الحديث أخرجه أبو داود ٢٥٠٤، وأحمد ٣/١٢٤، ١٥٣، وابن حبان ١٦١٨ والحاكم ٢/٨١ وسنده قوي.
(٢٥) الأحكام لابن حزم ١/٣٠.
(٢٦) الحديث أخرجه البخاري ٢٤٥٧، ٤٥٢٣، ٧١٨٨، ومسلم ٢٦٦٨ والترمذي ٢٩٧٦ والنسائي ٨/٢٤٨ وأحمد ٦/٥٥، ٦٢.
(٢٧) الأحكام لابن حزم ج١/٣١.

الإعلام في دول الغرب كيف يصور الإسلام والمسلمين بصورة مخيفة ورهيبة ومرعبة؟

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لم يعد خافيا أننا فى زماننا المعاصر نعيش عصر الإعلام، فلقد تعددت وسائل الإعلام، بالإضافة إلى تقدم التقنية الإعلامية بشكل مثير، بحيث صارت الكلمة والصورة تطير عبر الأثير، فقد طوت الأقمار الصناعية المسافات، وعبرت الحدود والجبال والبحار؛ لتنقل الكلمة والصورة عبر آلاف الأميال، وتقدمت وسائل الطباعة وتوسعت، وأصبحت الصحف والمجلات يمكن أن تطبع فى مراكز صحفية متعددة، والكتب فى دور نشر بعيدة مختلفة، بحيث تصل يد القارىء فى أى وقت فى صبيحة كل يوم والكتب فى أزمنة متقاربة معتمدة على أحدث ما ابتكر العقل الإنسانى غزوا للعقل والقلب معا[1].

كيف تستغل القوى المعادية للإسلام فى الغرب الإعلام ضد المسلمين؟

ذلك أنها تقوم بحملات إعلامية ضخمة ضد الإسلام والمسلمين، تنشط بين الحين والحين، تعبر بقصد أو دون قصد عن مدى سوء فهم الناس هناك للإسلام، ومدى تأصل ما ورثوه فى هذا الصدد من أوهام ترسخت فى أذهانهم، ويعجب المرء عندما يجد الأديان الأخرى وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل الأديان فى العالم هو الذى يُهاجم ويُساء إليه وإلى المسلمين ويرمونه بكل النقائص هناك.

فقد دأب الغرب على ترسيخ صورة الإسلام بشكل مخيف رهيب فى مخيلة القارىء، والسامع، والمشاهد هناك وليلوغ هذا

(١) كتاب (نحو إعلام إسلامى إعلامنا إلى أين؟) بتصرف تأليف المستشار الدكتور على جريشة.

الهدف لا يتوانى بطريق الإعلام المطبوع والمسموع والمرئي في التنافس من أجل التركيز المغالى بأن الإسلام هو الدين المهدد للغرب، ويؤيد مزاعمه بتشويه صورة المسلمين والتعتيم على آدابهم وفضائلهم وأخلاقهم ثم التجهيل على أمورهم وقضاياهم وتزييف الوقائع إذا تعارضت مع سياساتهم طمعا أن تكون لصالحهم ضد المسلمين[٢].

التصور الغالب للأمريكيين عن المسلمين بين شعوب الأرض

يردده ريتشارد نيكسون رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية الأسبق في كتابه (الفرصة السانحة) فيقول: «إن كثيرا من الأمريكيين يتصورون المسلمين في العالم شعوبا غير متحضرة، ودمويين، وغير منطقيين، وأن سبب اهتمام حكومات أمريكا بهم هو أن بعض زعمائهم يسيطرون بالمصادقة على بعض الأماكن التي تحوى ثلثى البترول الموجود في العالم ويتذكرون:

١- ثلاث حروب قامت بها الدول العربية (المسلمة) -في محاولة لمحو دولة إسرائيل من الوجود.

٢- واحتجاز الرهائن الأمريكيين في إيران (المسلمة) بواسطة آية الله الخميني المتطرف المسلم.

٣- وهجوم الإرهابيين على القرية الأوليمبية في ميونيخ بواسطة جماعة أيلول الأسود (المسلمة).

٤- والمذابح التي لا نهاية لها ولا معنى بين الميليشيات المسلمة في لبنان.

٥- وتفجير الطائرات المدنية بواسطة السوريين والليبيين (وهم من المسلمين).

٦- وغزو الكويت الذى قام به صدام حسين رئيس دولة العراق (وهي دولة مسلمة) تشبيها بهتلر.

وليس هناك صورة أسوأ من هذه الصورة في ذهن وضمير المواطن الأمريكي عن العالم الإسلامي[٣].

زعماء آخرون في بلاد الغرب يحملون على العرب والإسلام

١) يقول مورو بيرجر في كتابه: (العالم العربي): «لقد ثبت تاريخيا أن قوة العرب تعني قوة الإسلام فلتدمروا العرب لتدمروا بتدميرهم الإسلام.

ويضيف ذلك الحاقد الصليبي: «إن الخوف من العرب واهتمامنا بالأمة العربية ليس ناتجا عن وجود البترول فقط بغزارة عند العرب بل بسبب الإسلام، ويجب محاربة الإسلام للحيلولة دون وحدة العرب التي تؤدى إلى قوتهم وقوة العرب تتصاحب دائما مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره».

---

(٢) كتاب (الإسلام والغرب) تأليف الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق.

(٣) كتاب: (الفرصة السانحة بعد نهاية الحرب الباردة هل الإسلام هو الخطر) تأليف ريتشارد نيكسون - ترجمة أحمد صدقي مراد - تنشره دار الهلال بمصر.

٢) ويقــــول لورانس براون : « إن الخطر الحقيقي على الغرب في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي ».

٣) أما سالازار - دكتاتور البرتغال السابق - فيقول: « إن الخطر الحقيقي على حضارة الغرب هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون حين يغيرون نظام العالم ».

٤) ويقول المفكر الانجليزي هيلد بيلوك : « لا يساورني أدنى شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين وتتماسك أطرافها تماسكا قويا، وتحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام لا ينتظرها مستقبل باهر فحسب بل ستكون أيضاً خطراً على أعدائه ».

٥) ويقول البارون دي كارافو : « علينا أن نعمل جاهدين على تمزيق العالم الإسلامي وتحطيم وحدته الروحية مستخدمين من أجل هذه الغاية الانقسامات السياسية والعرقية وذلك لكي تضعف الإسلام لتجعله عاجزا إلى الأبد عن صحوة كبرى »[٤].

٦) مشاركة بعض الجامعات الأمريكية في حملة التضليل المشوهة على الإسلام:

يقول برنارد لويس الأستاذ بجامعة برنستون الأمريكية: « إن الإسلام قوة جبارة جدا وإذا كان لم يلعب دوره بعد في المجال الدولي فما ذلك إلا لفقدانه القيادة التي تستطيع القيام بذلك لكن ظهور هذه القيادة محتمل جدا وعندئذ لن يتسامح مع اليهود في إسرائيل والنصارى في لبنان ولا مع أوروبا ذات الخلفية الصليبية[٥].

وفي كتابه (الإسلام والغرب) يردد ذلك المفكر اليهودي الأمريكي صاحب الدراسات العديدة المعادية للإسلام ما سبق أن كتبه غلاة المستشرقين الغربيين في القرون الماضية حول حتمية الصدام والعداوة بين طرفين لا يلتقيان إلا في ساحات النزال والمعارك، وأنه بقدر ما تحافظ الحضارة المسيحية واليهودية الغربية على تفوقها بقدر ما يجب أن تحاصر الإسلام وتقهره، وبقدر ما يستيقظ الإسلام ويقوى بقدر ما يهدد الحضارة الغربية ويغزوها ويدمرها على نحو ما فعل أو حاول أن يفعل من قبل[٦].

٧) ويتبنى الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون آراء المفكر اليهودي برنارد لويس المعادية للإسلام فيقول في كتابه السابق الإشارة إليه: « إن بعض المراقبين يحذرون من أن الإسلام سوف يصبح قوة جبارة متطرفة وسوف يشكل المسلمون مخاطر كبيرة للغرب مما يضطر معه الغرب إلى أن يتحد مع موسكو ليواجه خطر العالم الإسلامي العدواني لأن الإسلام والغرب متضادان ولأن نظرة الإسلام للعالم تقسمه إلى قسمين: دار الإسلام، ودار الحرب حيث يجب أن

---

(٤) كتاب الإسلام وأمريكا حوار أم مواجهة تأليف الدكتور محمد مورو.

(٥) مجلة « الوعي الإسلامي » الكويتية - شعبان ١٤٢٠ هـ نوفمبر، ديسمبر ١٩٩٩م مقال بعنوان « سياسة التخويف من الإسلام في الإعلام الغربي » بقلم الأستاذ الدكتور حسن عزوزي.

(٦) نقلا عن مقال « الإسلام والغرب » بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ - نشر بجريدة الأهرام القاهرية بتاريخ ١١ من ربيع الأول سنة ١٤١٨ هـ - ١٦ من يوليو سنة ١٩٩٧م.

تتغلب الأولى على الثانية وأن المسلمين يوحدون صفوفهم للقيام بثورة ضد الغرب، وعلى الغرب أن يتحد مع روسيا ليواجه هذا الخطر الداهم بسياسة واحدة[7]».

٨) وعلى نفس الطريق جاءت نظرية صراع الحضارات التي ابتدعها المفكر الأمريكي هانتنجتون، والتي تخلص في أنه لا مكان ولا تعايش فوق القمة إلا للحضارة الغربية، والتي عليها أن تستغل تفوقها الراهن لإخضاع الآخرين بل لقهرهم قبل أن يعلو صوتهم.

ولقد لقيت هذه النظرية ترحيبا حارا وترويجا واسعا من جانب الحركة الصهيونية صاحبة المصلحة في نشر وتعميق نظرية الصدام الحتمي بين حضارة الغرب وبين العدو القائم الذي هو الإسلام[8].

بعض الأمثلة مما تقوم به الصحافة الغربية في ذلك الدور المشبوه

تتبارى الصحف والمجلات هناك في تقديم تقارير استطلاعات تغذيها إحصائيات مبالغ فيها تثير الخوف والفزع للناس:

أ) عن كثرة المساجد الموجودة ببلادهم.

ب) وعن ازدياد نمو الجالية المسلمة المقيمة على أرضهم.

جـ) والتوقعات المستقبلية لاحتمال وجود إسلامي قومي مما يسهم في إذكاء مشاعر القلق والرعب في صفوف الغربيين.

ففي فرنسا:

أصدر الخبير الفرنسي في شئون الحركات الإسلامية (جيل كيبل) عام ١٩٨٧م كتابا ضخما يحمل عنوان: (ضواحي بلاد الإسلام) ضمنه بيانا تفصيليا عن واقع الوجود الإسلامي في فرنسا.

١- فذكر أنه من استطلاعاته الميدانية أمكنه استنتاج وجود أكثر من ألف مسجد في فرنسا مع أن هذا العدد يشمل بطبيعة الحال في أكثر من أربعة أخماسه قاعات للصلاة لا يتجاوز طولها بضعة أمتار.

٢- عندما تحدثت بعض الصحف الفرنسية عن الكتاب السابق الإشارة إليه قبل وبعد صدوره كان أبرز عنوان مثير تصدر الحديث عنه هو: (فرنسا بلاد الألف مسجد ومسجد) وهو عنوان له بريقه وجاذبيته تناقلته عنها باقي الصحف والمجلات الأخرى سعيا وراء الإثارة وتحريك مكامن الخوف والذعر في نفوس المواطنين الفرنسيين.

٣- ومن أمثلة العناوين المثيرة أيضاً:

أ) (الإسلام في حمى) ورد بجريدة لوموند الفرنسية في ١٠ أعداد متتالية بتاريخ ٣/٤/١٩٨٩ وما بعدها.

ب) (هل يجب الخوف من الإسلام؟) ورد بمجلة الخميس العدد ٢٧٠ في ٤ من يناير سنة ١٩٩٠.

جـ) (فرنسا أرض للإسلام) ورد بمجلة الاكسبريس العدد ١٩٧٥ بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٨٩.

---

(٧) كتاب الفرصة السانحة المرجع السابق.

(٨) نقلا عن مقال الأستاذ صلاح حافظ السابق نشره بجريدة الأهرام المرجع السابق.

د) (صدام الإسلام والغرب) ورد بمجلة : L'evene ment du Feudu بتاريخ يونيه سنة ١٩٩٦ (٩).

وفى الولايات المتحدة الأمريكية

أظهرت بعض الإحصاءات الرسمية عام ١٩٩٨م أن عدد المسلمين بها ستة ملايين نسمة مما يفوق عدد اليهود، وبذلك أمسى الإسلام هناك يحتل المرتبة الثانية بعد المسيحية فاجمعت الصحف والمجلات السيارة هناك عن امتعاضها وتخوفها الشديد من احتمال تكوّن لوبيات إسلامية قوية تعبر عن انتمائها وتمسكها بمبادىء الإسلام وتعاليمه فتشكل بذلك خطراً إسلامياً يهدد الغرب برمته.

ولم تتورع الصحافة الأمريكية ومعها الصحافة الأوروبية من تحرير عنوانها بالمصطلحات اللغوية الرنانة لاستغلالها فى الأزمات هناك مثل : (اليقظة الإسلامية – الإحياء الإسلامى – عودة الإسلام – الانفجار الإسلامى) وغير ذلك من تلك المصطلحات المثيرة. ومن أمثلة ذلك :

١) ما نشره الصحفى الأمريكى (مايكل والترز) فى ديسمبر سنة ١٩٧٩ فى مقالة تحت عنوان : (الانفجار الإسلامى) عندما نجحت الثورة الإسلامية فى إيران، وأكد أن الغلو والعنف موجودان بتلك الثورة، كما أكد بشىء من الإلحاح على ما يشابهه فى فلسطين وفى لبنان رغم أنهم يدافعون هناك عن وطنهم وأنفسهم.

٢) وخلص بعد سرد تلك الوقائع بكثير من التشويه والتمويه إلى القول بأنه من الممكن تفسيرها كوقائع لشىء واحد مخيف هو -الإسلام- فهو مرآة كل ما يقع ضد الغرب وبالتالى فهو نمط ثابت من القوة السياسية الضاغطة على الغرب، كما أنه شعور معنوى ودينى خلاق لكنه مخيف :

أ – فمثلاً عندما يقاوم الفلسطينيون الاحتلال الإسرائيلى يؤكد صاحب المقال أن تلك المقاومة إنما هى مقاومة دينية لا سياسية ولا تحريرية.

ب – وفى تأكيده بأن الإسلام شىء مخيف عندما يصفه لقرائه يقول بأنه : (قوة تتخطى المسافات زمانا ومكانا).

جـ – ويؤكد ذلك الصحفى فى نزعته المتعصبة التى تنضح حقداً على الإسلام أنه حيثما وجدت الجرائم والحروب والنزاعات الدائمة التى تتخللها الفظائع والأهوال لعب الإسلام بوضوح دوراً هاماً فيها.

د – ويخلص ذلك الإعلامى الغربى فى مقاله إلى القول بأن الإسلام بطبيعته معاد للولايات المتحدة الأمريكية وضار بمصالحها، كما وأن المسلمين أينما وجدوا يكرهون أمريكا بل ويبغضونها(١٠).

٣) ولقد خصصت مجلة التايمز الأمريكية فى عددها الأخير من عام ١٩٧٩ صفحتين كاملتين لندوة تحمل عنوان : (الانفجار فى العالم الإسلامى) شارك فيها سبعة أشخاص ثلاثة من العالم الإسلامى يقيمون فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأربعة باحثين أمريكيين مشهورين

---

(٩) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية – المرجع السابق.

(١٠) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية – المرجع السابق.

بتخصصهم فى تاريخ الإسلام، وكانت جميع الأسئلة الموجهة إليهم أسئلة سياسية يشير كل منها إلى تهديد الإسلام للمصالح الأمريكية وخطره عليها وأن المنطق والإقناع لن ينجحا مع المسلمين وعليه فقد يكون من المحتم اللجوء إلى القوة ضدهم كملاذ أخير[11].

وبعـــد :

فمما لا جدال فيه أن المرء عدو ما يجهل، والجهل يورث الكراهية والبغضاء وأن عدم المعرفة التى ينجم عنه الخوف حقيقة يسجلها دارسو العلاقات بين الأفراد وبين الدول بعضها ببعض وذلك على تقلب العصور والأزمان.

(١) وقد كانت أول محاولة علمية جادة للتعرف على الإسلام فى الغرب على يد (هادريان ريلاند) أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة أوترشت بهولندا فقد صدر له كتاب باللغة اللاتينية عن الإسلام عام ١٧٠٥م بعنوان : (الديانة المحمدية) فى جزئين عرض فى :

أولهما : للعقيدة الإسلامية معتمدا على مصادر بالعربية واللاتينية .

وفى الجزء الثانى : قام بتصحيح الآراء الغربية التى كانت سائدة وقتئذ عن تعاليم الإسلام ويشير المؤلف فى مقدمة كتابه إلى أن الإسلام تعرض نتيجة عدم فهمه إلى كل سوء بطريقة تنبىء عن قصد خبيث، وإذا أبدى أحد رغبة صادقة فى التعرف على الإسلام، لا تقدم له إلا الكتب المضادة الخبيثة والمليئة بالضلالات، فلم يحدث أن تعرض دين من الأديان فى هذا العالم فى أى عصر من العصور إلى مثل ما تعرض له الإسلام من جانب خصومه من الاحتقار والتشويه والوصف بكل أوصاف السوء .

لذلك ينبغى على من يريد البحث عن حقيقة الإسلام أن يتعلم اللغة العربية وأن يقتنى الكتب العربية حتى يرى بعينيه الحقيقة وليس بعيون الآخرين، وحينئذ سيتضح له :

أ ـ أن المسلمين ليسوا مجانين ـ كما يظن ـ فقد أعطى الله العقل لكل الناس .

ب ـ وقد كان فى رأيه دائما أن الإسلام ذلك الدين الذى انتشر بعيداً عن آسيا وأفريقيا وفى أوروبا أيضا ليس ديناً ماجناً أو ديناً سخيفا كما يتخيل كثير من المسيحيين فى الغرب (انتهى كلامه) .

ولكن هل تركت الكنيسة ذلك الكتاب يتداول بين الناس هناك ؟!

لا . لم تتركه على حال سبيله لقد أدرجته سريعا فى قائمة الكتب المحرم تداولها منذ ظهوره[12] .

(٢) وكررت ذلك الكلام الدكتورة (أنا مارى شمل) عميدة الاستشراق فى ألمانيا فى زماننا المعاصر إذ تقول :

«إن الكثير من الأحكام الظالمة التى يلصقها الغرب بالإسلام ناشئة عن سوء الفهم والخطأ فى القياس المنطلق عن ذلك الفهم السيء حتى وصل الحال إلى ذلك الأمر المحزن من أن الكثيرين فى الغرب لا يميزون بين الإسلام وبين ما يلصق زورا

---

(١١) مجلة «الوعى الإسلامى» الكويتية - المرجع السابق.

(١٢) كتاب «الإسلام والغرب» للدكتور محمود حمدى زقزوق - مرجع سابق.

وبهتانا بالإسلام أو ما يقترف من جرائم باسم الإسلام:

أ – فالإسلام برىء من الإرهاب والإرهابيين وكذلك ما يدعوه الغرب بالأصوليين.

ب – بل إن هذا التعبير (تعبير الأصوليين) لا يمت إلى الإسلام بصلة، فهذه الكلمة تطلق فى اللاهوت المسيحى على اتجاه معين فى امريكا وليس له وجود فى بلاد الإسلام»[13].

٣– كما بذل الأمير تشارلز ولى عهد بريطانيا النصيحة للغرب وذلك فى محاضرة عميقة ألقاها فى فبراير سنة ١٩٩٤م فى أكسفورد وتعرض فيها للعلاقة بين الإسلام والغرب مبديا قدرا كبيرا من الفهم والتحليل العميق والروح المتسامحة والدعوة الصريحة لأن يبادر الغرب إلى تفهم الإسلام والمسلمين بعقلية جديدة تختلف عن تلك التى ورثها عبر قرون من دراسات المستشرقين المعادين للإسلام وثقافته.[14]

وبناء على ما تقدم تفصيله يمكننا أن نقرر – ونحن مطمئنون بأن الغرب المسيحى حتى ولو فهم الإسلام وحقيقة المسلمين فهما صحيحا سليما، ووعى الدور الحضارى والتاريخى للمسلمين، فإنه يرى أنه ليس فى حاجة لأن ينسج علاقته مع الإسلام على ضوء ما هو ثابت فيه من الحق، بل على ضوء مصالحه الاستعمارية فى دول الإسلام، وعلى ضوء عداوته التاريخية مع المسلمين بمعنى أن علاقته لا تتقرر على ضوء ما ينبغى أن تكون عليه العلاقات الصحيحة السوية بل تكون وفق رؤيته الاستعمارية ليبنى عليها علاقات مزيفة تتناسب مع تلك الرؤية المشينة التى زيفت التاريخ كثيرا والتى ورثها من الدولة الرومانية، وهى احتكار القوة لنفسه واستغلال الأمم الأخرى لمصلحته.

وفى هؤلاء الناس الجاحدين للحق والنظر السليم يقول ربنا –جل وعلا–:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[15]

وستفشل خططهم ومؤامراتهم التى يمكرون بها على الإسلام وجماعة المسلمين كما حدث من قبل من كفار الأمم السابقين، وصدق الله فى قرآنه إذ يقول:

﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾[16]

---

(١٣) مقدمة بقلم عميدة الاستشراق فى ألمانيا الدكتورة أنا مارى شمل ملحقة بكتاب (الإسلام كبديل) تأليف الدكتور مراد هوفمان سفير ألمانيا بالرباط.

(١٤) مقال «الإسلام والغرب» بقلم الأستاذ صلاح الدين حافظ – مرجع سابق –

(١٥) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

(١٦) سورة سبأ آية رقم ٥٤.

العشرة المبشرون بالجنة

٢ الفــاروق

عُمَر بن الخَـطَّاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

أحدث إسلام عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - دويا هائلا، ليس فى قريش، ولا فى مكة، أو حتى فى جزيرة العرب، إنما بلغ أرض الحبشة، التى لجأ إليها من لجأ من المسلمين، فرارا من بطش قريش، وتحدث الناس بخبر إسلام عمر، وطواف المسلمين حول الكعبة علانية، خلف عمر، وحمزة، وقال البعض: أسلم أهل مكة، وبلغ أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة، كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا[1]

أما قريش فقد قال بعضها لبعض: إن حمزة وعمر، قد أسلما، وقد فشا أمر محمد فى قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبى طالب، فليأخذ لنا على ابن أخيه، وليُعطه منا[2]

قال ابن إسحاق: فحدثنى العبَّاس بن عبدالله ابن معبد (بن عباس) عن بعض أهله، عن ابن عبَّاس، قال: مَشَوْا إلى أبى طالب فكلموه، وهم أشراف قومه: عُتبة بن ربيعة، وشَيْبة بن ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأُميَّة بن خَلَف، وأبوسفيان ابن حَرْب، فى رجال من أشرافهم، فقالوا: يا أبا طالب، إنك منَّا حيث قد علمتَ، وقد حَضَرك ما ترى، وتخوَّفنا عليك، وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أخيك، فادعُه، فخُذْ له منَّا، وخُذْ لنا منه، ليكف عنا، ونكفَّ عنه، وليدعْنا وديننا،

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٦٤).

(٢) المصدر السابق (١/٤١٧).

وندعه ودينه، فبعث إليه أبوطالب، فجاءه، فقال: يا ابن أخي: هؤلاء أشرافُ قومك، قد اجتمعوا لك، ليُعطوك، وليأخذوا منك. قال: فقال رسول الله - ﷺ -: نعم، كلمة واحدة تُعطونيها تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم. قال: فقال أبوجهل: نعم وأبيك، وعشرَ كلمات، قال: تقولون: «لا إله إلا الله، وتخلعون ما تعبدون من دونه». قال: فصفقوا بأيديهم، ثم قالوا: أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا، إنَّ أمرك لعجيب! (قال): ثم قال بعضهم لبعض: إنه والله ما هذا الرجل بمُعطيكم شيئا مما تريدون، فانطلقُوا وامضُوا على دين آبائكم، حتى يحكم الله بينكم وبينه. قال: ثم تفرقوا[3].

هجـــرته

ولما أذن المولى - جل وعلا - لنبيه وأصحابه بالهجرة أبى الفاروق إلا أن تكون هجرته علانية، يقول ابن عباس - رضي الله عنهما - قال لي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - «ما علمت أن أحدا من المهاجرين هاجر إلا مختفيا إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهما، واختصر عَنَزَته، ومضى قِبَل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعا متمكنا، ثم أتى المقام فصلي متمكنا، ثم وقف على الحَلَق واحدة، واحدة، فقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، أو يوتم ولده، أو يرمل زوجه، فليلقني وراء هذا الوادي.

قال علي - رضي الله عنه - فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علّمهم وارشدهم، ومضى لوجهه[4].

قال ابن إسحاق: ثم خرج عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي، حتى قدما المدينة. فحدثني نافع مولى عبدالله بن عمر، عن عبدالله ابن عمر، عن أبيه عمر بن الخطاب، قال: اتَّعدتُ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة، أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار، فوق سَرِفَ، وقلنا: أينا لم يصبح عندها فقد حبس، فليمض صاحباه. قال: فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب، وحبس عنا هشام، وفتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بقُباء، وخرج أبوجهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما، حتى قدما علينا المدينة، ورسول الله - ﷺ - بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط حتى تراك، ولا تستظل من شمس حتى تراك، فرقّ لها، فقلت له: ياعياش، إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت. قال: فقال: أبر قسم أمي، ولي هنالك مال فآخذه، قال: فقلت: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالا، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما. قال: فأبى عليَّ إلا أن يخرج معهما، فلما أبى إلا ذلك، قال: قلت له: أما إذا قد فعلت ما فعلت، فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها.

---

(٣) المصدر السابق.

(٤) خبر لا بأس به. أخرجه ابن عساكر. (٥٢/٤٥) وابن الأثير أسد الغابة (٢١٥٢/٤) والسيوطي. تاريخ الخلفاء (١٠٨).

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبوجهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني على ناقتك هذه؟ قال: بلى. قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة، وفتناه فافتتن.

قال ابن إسحاق: فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة: أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا، ثم قالا: يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا.

كتاب عمر إلى هشام بن العاص

قال ابن إسحاق: وحدثني نافع، عن عبدالله ابن عمر، عن عمر في حديثه، قال: فكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة، قوم عرفوا الله، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم! قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. فلما قدم رسول الله - ﷺ - المدينة، أنزل الله - تعالى - فيهم، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾(٥).

قال عمر بن الخطاب: فكتبتها بيدي في صحيفة، وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال: فقال هشام بن العاص: فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت: اللهم فهمنيها. قال: فألقى الله - تعالى - في قلبي أنها إنما أنزلت فينا، وفيما كنا نقول في أنفسنا، ويقال فينا. قال: فرجعت إلى بعيري، فجلست عليه، فلحقت برسول الله - ﷺ - وهو بالمدينة.

قال ابن هشام: فحدثني من أثق به: أن رسول الله - ﷺ - قال، وهو بالمدينة: «ومن لي بعياش ابن أبي ربيعة، وهشام بن العاص؟» فقال الوليد ابن الوليد بن المغيرة: أنا لك يارسول الله بهما، فخرج إلى مكة، فقدمها مستخفيا، فلقي امرأة تحمل طعاما، فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين - تعنيهما - فتبعها حتى عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسى تسور عليهما، ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه: «ذو المروة» لذلك، ثم حملهما على بعيره، وساق بهما، فعثر فدميت أصبعه، فقال:

هل أنت إلا أصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله - ﷺ - المدينة(٦).

عمر في المدينة

ونزل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين قدم المدينة، ومن لحق به من أهله وقومه، وأخوه زيد بن الخطاب، وعمرو وعبدالله ابنا سراقة بن المعتمر، وخنيس بن حذافة السهمي - وكان صهره على ابنته: حفصة بنت عمر، فخلف

(٥) الزمر الآيات ٥٣ : ٥٥

(٦) ابن هشام (١/٤٧٤ : ٤٧٦).

عليها رسول الله - ﷺ - بعده - نزلوا وغيرهم على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر، في بني عمرو ابن عوف بقباء[7].

وآخى رسول الله - ﷺ - بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال فيما يرويه بن إسحاق: «تآخوا في الله أخوين أخوين» فكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعتبان بن مالك، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين[8].

رؤيا عمر في الأذان

قال ابن إسحاق: حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن محمد بن عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه، عن أبيه. قال ابن هشام: وذكر ابن جُريج قال: قال لي عطاء: سمعت عبيد بن عمير الليثي، يقول: ائتمر النبي - ﷺ - وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس، إذ رأى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في المنام: فقال لا تجعلوا الناقوس، بل أذنوا للصلاة، فذهب عمر - رضي الله عنه - النبي - ﷺ - ليخبره بالذي رأى، وقد جاء النبي - ﷺ - الوحي بذلك، فما راع عمر إلا بلال يؤذن، فقال رسول الله - ﷺ - حين أخبره بذلك: قد سبقك بذلك الوحي[9].

في بدر

وكان عمر - رضي الله عنه - في طليعة الملبين لنداء رسول الله - ﷺ - لما أتاه الوحي بخبر خروج قريش، لملاقاة المسلمين يوم بدر، وكان (مهجع) مولى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أول شهيد في الإسلام، حيث رُمِيَ يومئذ بسهم[10].

قال ابن إسحاق: وحدثني العباس بن عبد الله ابن معبد، عن بعض أهله، عن ابن عبّاس: أن النبي - ﷺ - قال لأصحابه يومئذ: «إني قد عرفت أن رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أُخرجوا كُرْها، لا حاجة لهم بقتالنا، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُله، ومن لقي أبا البَخْتَريّ بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله، ومن لقي العباس بن عبد المطلب، عمّ رسول الله - ﷺ - فلا يقتله، فإنه إنما أُخرج مُستكرها» قال: فقال أبو حُذيفة: أنقتُل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا. ونترك العبّاس، والله لئنْ لقيتُه لألحمنّه السيفَ - قال ابن هشام: ويقال: لألجمنّه (السيف) - قال: فبلغت رسول الله - ﷺ - فقال لعمر بن الخطّاب: يا أبا حفص - قال عمر: والله إنه لأول يوم كنّاني فيه رسولُ الله - ﷺ - بأبي حفص - أيُضرب وجهُ عمّ رسول الله - ﷺ - فقال عمر: يا رسول الله، دعني فلأضْرِب عُنقَه بالسيف، فوالله لقد نافق. فكان أبو حُذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذ، ولا أزال منها خائفا، إلا أن تكفّرها عني الشهادة. فقُتل يوم اليمامة شهيداً[11].

---

(7) ابن هشام، السيرة النبوية (176/1، 177).

(8) المصدر السابق (504/1، 505).

(9) المصدر السابق (508/1، 509).

(10) ابن هشام، السيرة النبوية (627/1).

(11) المصدر السابق (629/1).

ثم كانت المعركة، معركة بدر، حيث انتصر المسلمون انتصارا مدويا تسامع به العرب.

قال ابن هشام: وحدثني أبوعبيدة وغيره من أهل العلم بالمغازي: أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال لسعيد ابن العاص، ومر به: إني أراك كأن في نفسك شيئا، أراك تظن أني قتلت أباك، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام بن المغيرة، فأما أبوك فإني مررت به وهو يبحث بحث الثور بروقه فحدت عنه، وقصد له ابن عمه علي فقتله[12].

ثم بعثت قريش في فداء الأسارى، فقدم مكرز ابن حفص بن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم، أخو بني سالم بن عوف، فقال:

أسرت سهيلاً فلا أبتغي
أسيراً به من جميع الأمم
وخندف تعلم أن الفتى
فتاها سهيل إذا يظلم
ضربت بذي الشفر حتى انثنى
وأكرهت نفسي على ذي العلم

وكان سهيل رجلاً أعلم من شفته السفلى.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لمالك بن الدخشم.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن عمرو بن عطاء، أخو بني عامر بن لؤي: أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله - ﷺ - : يارسول الله، دعني أنزع ثنيتي[13] سهيل بن عمرو، ويدلع[14] لسانه فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا، قال: فقال رسول الله - ﷺ - : «لا أمثل به فيمثل الله بي وإن كنت نبيا».

قال ابن إسحاق: وقد بلغني أن رسول الله - ﷺ - قال لعمر في هذا الحديث: إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه[15].

أسرى بدر

وبعد انتهاء معركة بدر، شاور رسول الله - ﷺ - أبا بكر وعليا وعمر في أمر أسرى قريش، فقال أبوبكر: يانبي الله هؤلاء بنو العم، والعشيرة، والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم فدية، فيكون ما أخذناه منهم قوة، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا.

فقال رسول الله - ﷺ - : «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: لا والله ما أرى الذي رأى أبوبكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، حتى يعلم أن ليس في قلوبنا هوادة للكفار، هؤلاء صناديدهم وقادتهم.

فهوى رسول الله - ﷺ - ماقال أبوبكر، ولم يهو ما قال عمر[16] فقال - ﷺ - : إن الله - عز وجل - ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال:

---

(12) ابن هشام، السيرة النبوية (1/636، 637)

(13) الثنيتان: الثنية: واحدة الثنايا من السن. والثنية من الأضراس أول ما في الفم، وثنايا الإنسان في فمه الأربع التي في مقدم فيه: ثنتان من فوق وثنتان من أسفل. وللإنسان والخف والسبع ثنتان من فوق وثنتان من أسفل. انظر ابن منظور، لسان العرب (1/516) طبع دار المعارف بمصر.

(14) يدلع لسانه: يخرجه من فمه. (15) ابن هشام (1/649). (16) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (2/294).

﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٧) ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال:

﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١٨).

ومثلك يا عمر مثل نوح قال:

﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(١٩)

ومثلك مثل موسى قال:

﴿ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾(٢٠).

ثم قال رسول الله - ﷺ - أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق(٢١).

القرآن يؤيد عمر

قال عمر: فلما أن كان الغد، غدوت إلى النبى - ﷺ - فإذا هو قاعد، وأبوبكر، وإذا هما يبكيان فقلت: يارسول الله، أخبرنى ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما.

فقال النبى - ﷺ -: «الذى عرض على أصحابك من الفداء، لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله - تعالى - فى ذلك:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾(٢٢)

وقال رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية: «لو نزل العذاب لما نجى منه غير عمر» (٢٣).

وأخرج الترمذى عن ابن عمر أن النبى ﷺ - قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» قال ابن عمر: «وما نزل بالناس أمر قط فقالوا وقال، إلا ونزل القرآن على نحو ما قال عمر»(٢٤).

---

(١٧) سورة إبراهيم: الآية (٣٦).
(١٨) سورة المائدة: الآية (١١٨).
(١٩) سورة نوح: (الآية) (٢٦)
(٢٠) سورة يونس: الآية (٨٨).
(٢١) الطبرى، تاريخ الأمم والملوك (٢/٢٩٤).
(٢٢) الأنفال (٦٧: ٧٥).
(٢٣) رواه أصحاب السنن.
(٢٤) السيوطى، تاريخ الخلفاء (١٠٩).

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم فضيلة الشيخ / طوسون ابراهيم هواش

■ **السؤال من السيد / خالد أبو العينين - طنطا :**

ما حكم كتابة المصحف بقلم دقيق جداً ؟ وحكم المصحف في البيت ولا يقرأ فيه ؟ وينوى بذلك الخير والبركة ؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فقد صرح العلماء بأنه يكره تنزيهاً تصغير حجم مصحف وكتابته بقلم دقيق، وبأنه ينبغي أن يكتب بأحسن خط وأبينه على أحسن ورق وأبيضه بأفخم قلم وأبرق مداد، وتفرج السطور وتضخم الحروف ويضخم المصحف، وصرحوا أيضاً بأن الشخص إذا أمسك المصحف في بيته ولا يقرأ ونوى به الخير والبركة، لا يأثم بل، يرجى له الثواب فتداول هذا المصحف بالصفة التي وجد عليها بين المسلمين بنحو بيع وشراء وقراءة منه متى أمكنت ولم يكن فيه تغيير ولا تبديل، غير ممنوع شرعاً، وإن كان تصغير حجمه على وجه ماسبق مكروهاً تنزيهاً والله تعالى أعلم.

■ **السؤال من السيد / عبدالله محمد حامد :**

ماحكم الإسلام فيمن يقدم مسابقات دينية على شكل كلمات يطلب استكمال أحرفها :

ويكون السؤال على النحو التالي : (آية من

سورة طه مكونة من أربع كلمات عبارة عن ١٢ حرفا، ثم يقول : الحرف الأول والثالث كذا والرابع والخامس كذا.. فيكون حل المسابقة في النهاية (رب اشرح لى صدرى).

فهل يصح أن تكون الآيات القرآنية محوراً لمثل هذه الأغراض؟

وبخاصة وقد تعرضت الآية للتحوير، حيث نص الآية (قال رب اشرح لى صدرى) نرجو الإفادة؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فنفيد بأنه لايجوز مثل هذا العمل لما فيه من اتخاذ القرآن الكريم وسيلة للهو واللعب، ولما فيه أيضاً من الإخلال بما يجب له من كمال التعظيم ونهاية الإجلال، فضلا عما فيه مما جاء في السؤال، ولأن فتح هذا الباب لمثل هؤلاء الناس يؤدى إلى مفاسد كثيرة يجب لمنع حصولها درء كل ما يفضى إليها. والله - سبحانه وتعالى - أعلم.

■ **السؤال من السيد/ سيد أحمد محمود - الجيزة :**

يوجد عندنا جامع بدون إمام ولا مقرىء. فهل يجوز سماع القرآن والخطبة من الراديو، ثم نصلى بعد الخطبة؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد :

فنفيد بأنه ورد في الحديث كما رواه البخارى، أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : (صلوا كما رأيتمونى أصلى) ولم يصل عليه السلام الجمعة إلا في جماعة، وكان يخطب خطبتين يجلس بينهما كما رواه البخارى، ومسلم، ولذا انعقد الإجماع على أنها لاتصح إلا بجماعة يؤمهم أحدهم كما ذكره الإمام النووى في «المجموع».

وقال ابن قدامة في «المغنى» : إن الخطبة شرط في الجمعة لاتصح بدونها، وانعقد إجماع الأئمة الأربعة على ذلك وعلى هذا لاتصح صلاة الجمعة في هذه القرية المسئول عنها بدون إمام ولا خطبة، ولا يكفى في ذلك سماع الخطبة، وحركات الإمام من المذياع والله أعلم.

■ **السؤال من السيدة/ ا.م.ع.،**

تقول : أنا مريضة بمرض لا أستطيع معه الصوم في شهر رمضان، علما بأن سنى فوق الستين، فما الحكم؟

●● **الجواب :**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله أجمعين.. وبعد :

فنفيد بأن الجمهور يرى أن كبير السن والمريض الذى لايرجى برؤه يجوز له الإفطار، ويكفر عن كل يوم بإطعام أكلتين، وتقدران بأربعة جنيهات، ويرى الإمام مالك أن من عجز عن صوم رمضان وعن القضاء سقط عنه القضاء والكفارة، ويفتي برأى الإمام مالك للفقراء وبرأى الجمهور للأغنياء.

■ السؤال من السيد / ح.ع.ج ـ الإسكندرية:

مرض والدى فترة لم يستطع فيها الصوم فأفطر شهر رمضان لمدة عامين، وتوفى إلى رحمة الله قبل أن يتمكن من القضاء، فهل يمكن أن أصوم عنه هذين الشهرين؟ وهل يلزم أن تكون الأيام متصلة؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم وآله وبعد تفيد بأنه :

يجوز ذلك عند الإمام أحمد خلافاً للجمهور، ولايشترط الترتيب فى القضاء.

عن النبى – صلى الله عليه وسلم – رداً على الخثعمية فى قولها: إن أختى ماتت وعليها صيام شهرين متتابعين قال: «أرأيت لو كان على أختك دين أكنت تقضينه؟».. قالت: بلى قال: «فحق الله أحق»[1].

■ السؤال من / ع.ب.د..

أنا فتاة فى السادسة عشرة من عمرى، منذ فترة وجدت بعض الإفرازات البيضاء وبعض السوائل تخرج منى بصفة دائمة وبدون إحساس منى بأية رغبة، فهل هذه الإفرازات تنقض الوضوء؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله أجمعين وبعد :

فنفيد بأن هذه الإفرازات إن كانت غير مستديمة أفسدت الوضوء، وعليها تجديد الوضوء فأما إن كانت مستديمة لايخلو وقت من نزولها فإنها تصير من ذوات الأعذار، وتتوضأ لكل وقت بعد دخوله وضوءاً تصلى به الفرض فقط، وما تشاء من النوافل، أما النجاسة فيجب التطهر منها عند الجمهور قلّت أو كثُرت، وقال الحنفية : يعفى عن مقدار مقعر الكف[2].

■ السؤال من السيد / حسين أحمد السيد

١ ـ هل أكل لحم القرود حلال أم حرام؟ وما حكم استعمال جلودها؟

٢ ـ هل قتل النمور حرام أم حلال؟ وماحكم استعمال جلودها والاتجار فيها وأكل لحومها؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فنفيد بأنه لايحل أكل لحم القرود والنمور وكل حيوان مفترس، أما جلود القرود والنمور فإنها تطهر بالدباغ، ومثلها كل ميتة أو حيوان لايؤكل يطهر جلده بالدباغ ويحل الانتفاع به وبيعه إلا جلد الكلب والخنزير فإنهما لايطهران أبداً.. والله ـ تعالى ـ أعلم.

(١) الحديث من سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب من مات وعليه صيام من نذر/ حديث رقم١٧٥٨.

(٢) مقعر الكف : دائرة قطرها نحو ٣ سم.

من أكابر الدعاة فى هذا العصر

أبو الحسن الندوى

٣

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

عاد الأستاذ الداعية من رحلاته المتتابعة لا ليكتفى بانطباعه الخاص، بل ليسجل ما رأى ويسمع، والتسجيل لديه لا يعنى وصف ما شاهده فحسب، بل لابد أن يعرض الداء ثم يكتب الدواء، واطلاع الأستاذ الكبير على روعة الماضى، وفداحة الحاضر، هذا الاطلاع الشاسع الممتد فى آفاق التاريخ الإسلامى فى شتى ربوعه ماضياً، وهذه النظرات المتأملة الممتدة فى آفاق العالم الإسلامى حاضراً، حملت الكاتب على السرعة فى العلاج وعلى النظر الباهر للماضى والحاضر ليصير علاج المريض الهامد الذى كان بالأمس عملاقاً يتوثب نافعاً مصيباً، وللأستاذ خيال رائع يقرب به الحقيقة، التى يريد أن يتحدث عنها، فليس خياله الأدبى تهويمات طائرة فى الفضاء كما نرى لدى بعض من يرسمون الصور الباهتة دون أن تلفت الأنظار إلى ما وراء الصورة من الحقيقة، وقد قال النقاد وأكثروا من القول: بأن وظيفة الخيال تقريب الحقيقة، وتدعيمها وتأكيدها، وليست وظيفة الخيال الشطح البعيد عن الحقائق، والإغراق فى تصورات تضل ولا تهدى! لقد أراد الداعية الكبير أن يتحدث بعد رحلاته المتتابعة عن المسلمين بين الأمس واليوم، فكتب مقالاً[1] هو من أنفس ما قيل فى موضوعه، كتبه تحت عنوان: (بين الصورة والحقيقة) وهو جدير أن يدرّس على الطلاب فى جميع المعاهد والكليات نظراً لمغزاه الدقيق.

فقد جعل الأستاذ الصورة البعيدة عن الحقيقة مثل الثمار المصنوعة من الخزف تتراءى للناظر كأنها تفاح أو رمان أو عنب أو موز أو برتقال فى لونها وشكلها، ولكن أين الصورة من الحقيقة؟ وأين طعم الثمار ورائحتها؟ إنها ليست إلا للزينة أو المثال، لأن الصورة لا

---

(١) مجلة المسلمون - العدد الثامن من السنة الثالثة ص٤٢ ومابعدها

تستطيع أن تسدَّ مكان الحقيقة وتنوب عنها، ولا تمثل دورها، فإذا وقع صراع بينهما انهارت الصورة إذ لا تتحمل عبء الحقيقة، إنَّ صورة إسلامنا اليوم وصورة كلمتنا لا تقدران أن تتغلبا على عاداتنا الحقيرة، وتقهر شهواتنا، إنّنا نتلفظ بكلمة الشهادة والتوحيد، ومنّا مَن يعرف ما يقول، ولكنّ الصورة شيء والحقيقة شيء آخر، إنَّ أصحاب النبي - ﷺ - كانوا على حقيقة هذه الشهادة فإذا قالوا: لا إله إلا الله اعتقدوا أنّه لا إله غيره ولا ربَّ سواه، ولا نافعَ ولا ضار إلا هو، أما نحن فنقولها ونَغفل معناها حيَن نرجو الخير من الأعداء، ونشرك إله الكون الوهّاب، إنَّ أكبر انقلاب وقع في تاريخ هذه الأمة هو أن الصورة احتلّت مكان الحقيقة، واستولت على حياة الأمّة من عَهد بعيد من التاريخ، والّذين كانوا يرون الصورة من بعيد يعتقدون أنّها الحقيقة، ولذلك يذعرون ويشفقون من قربها، لقد حَرسَ الإسلام المسلمين بالصورة مدة طويلة، فلم يجترئ عليهم أحد، ثم تجرأ التتار عليهم في بغداد وماواليها، فانهارت الصورة، وأصبحت عاجزة عن أن تدفع المكروه، وكلّ ما نقرأ في تاريخ الإسلام من أخبار انكسار المسلمين وهزيمتهم في ميادين القتال، هو أثر انخذال الصورة وفَضيحتها لا غير، لقد فضحتْنا الصورة في كل معركة أو اصطدام، والذنب ذنبنا لأننا حمّلنا عبءَ الحقيقة على الصورة فجاء الخذلان!

هذا المقال النارى (وأرجو ألاّ أكونَ أخفقت في تلخيص نقاطه الهادفة) يرسم وجوهَ الإصلاح إذا أردنا أن نسير في الطريق الصحيح، وقد كررَ الأستاذ الكبير معناه الرائع في أبواب شتى من تآليفه، لأنه يعتقد أن بدء البرء العاجل أن نعرف مكامنَ الداء القاتل، وها هو ذا قد عرف موضع الداء ووصف الدواء..

ولكنْ كيف السبيل إلى النّهوض من هذه الكبوات المتلاحقة، لقد فكّر الأستاذ في رجال اليوم وفي بعض شبابه، فوجَد التربية المدرسية والإعلاميّة في أكثر بلاد الإسلام قد ضلّتْ سواء السبيل، إذ خضعت أجهزة التعليم إلى النظام الأوروبيّ، فأحدثتْ فجوات هائلة بين عقيدة الطالب المسلم، وما تُوحي به المقرراتُ المستوردة من انفصام عن مبادئ هذه العقيدة، والعلاج الصحيح في خطواته الأولى أن نبدأ بالنظر في أساليب التربية المتخذة دستوراً راسخاً لا تتخطاه بعض هذه الدول، ثم ننظر في تربية النشء وفق مقررات هادفة تعرف طريقها الصحيح، بدلَ الكتب المترجمة، وأشباه المترجمة، مما يُضلّ النّشء عن حقيقة تاريخهم المجيد، ودينهم الرشيد، لقد ألقى الأستاذ أبوالحسن محاضرة هادفة في مهرجان «ندوة العلماء» المنعقد بتاريخ ٢٦/١٠/٩٥ هجرية تحت عنوان: (أهميّة نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية) وكلمة الأقطار الإسلامية لا يتلفت إليها إلا أمثال أبي الحسن الندوى ممن يحسّون أنّ العالم الإسلامي وطنٌ واحد، فقد رأينا من أشياع أوروبا، مَنْ يجزّءون الوطن الواحد إلى عدة مناطق، مدّعين أنّ كل منطقة لها بيئتها الخاصة، التي تُحتّم أن يقدَّم لها مقررٌ خاصٌ يختلف عن مقررات جاراتها، ومراعاة البيئة وظروفها المحلية قد تكون نافعة في علوم الزراعة والتجارة والاقتصاد! ولكنْ كيف يختلف المقررُ في مناهج التاريخ واللّغة والدين تحتَ ستار مموه كاذب مفضوح، لقد التفت الأستاذ إلى خطر التجزئة حين تحدّث عن أساليب التربية بالأقطار الإسلامية بعامّة، فذكر أول ماذكر إنّ كثيراً من التربويّين في

هذه البلاد يحكمون في مناهجهم التعليمية، ومؤسساتهم التربوية تقرأ من الإخصائيين والمستشارين من البلاد الأوروبية، ثم هم يرسلون البعثات من أبنائهم ليرجع الطلاب ملزمين بما رأوه من المناهج هناك، وكأنها قرآن منزل! فكانت النتيجة وجود طبقة مضطربة العقائد والسير والأخلاق، وهي في أحسن أحوالها مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وفي كثير من الأحيان تنسلخ عما يدين به مجتمعها الإسلامي كل الانسلاخ، إن التربية في أمة من الأمم ليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل كالمصنوعات والمواد الخام والمخترعات التي لا تخص بلداً دون بلد، وإنما هي لباس يفصل على قامة الشعوب، وملامحها القومية، وتقاليدها الموروثة، والتربية في صحيحها وسيلة راقية مهذبة لدعم العقيدة التي يؤمن بها شعب أو بلد، وتغذيتها بالاقتناع الفكري القائم على الثقة والاعتزاز.

وقد دارت مناقشات الندوة حول كلمة الأستاذ، ولاقت من القبول التام ما جعلها موضع التنفيذ المباشر لدي من يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أما رعاية النشء فذات عبء خاص يجب أن ينهض به كل من يستطيع المشاركة في تحمله، وقد بدأ الأستاذ بتأليف سلسلة كتب خاصة بالأطفال، ثم بمن يعلوهم من تلاميذ المدارس متوسطة وثانوية، وتأليف الكتب للأطفال شاق عسير، لأنه يتطلب مراعاة العقول الغضة واختيار ما يناسبها تعبيراً وتفكيراً وتوجيها، وقد اقتحم هذا الباب نفر من مقلدة الغرب، فكتبوا للأطفال سلاسل الرعب والفزع، وملئوا كتبهم بأساطير المردة والشياطين، وفيهم من حاول أن يقتطع قصصاً من إلياذة هوميروس لتكون غذاء الأطفال في الشرق الإسلامي، وبعد ذلك سبقاً حضارياً لا مثيل له، هذا الغثاء المتراكم في كل مكان قد دفع الأستاذ أبا الحسن إلى أن يكتب للطفل كما يكتب للشاب وكما يكتب للرجل، لأنه جندي كان من قدره المحتوم أن يحارب في شتى الجبهات، وقد أصدر سلسلة (قصص النبيين للأطفال) في خمسة أجزاء جعلها -على صغرها في الحجم- ميداناً لغرس الفضائل الخلقية، بل لغرس العقيدة الإسلامية الصحيحة بحيث تغني عن بعض ما يسمى بدروس التوحيد.

فإذا تركنا مرحلة الطفولة إلى ما يليها من مرحلة الصبا، فإننا نجد السيد أبا الحسن لا يغفل عن توجيه الناشئة في هذ السن الغضة، فقد كتب سلسلة كتب تحت عنوان (القراءة الراشدة) من ثلاثة أجزاء، فاختار من الموضوعات ما يهدف إلى بناء الكيان الإسلامي الصحيح، ومن التعبيرات ما يصلح أن يكون زاداً للقارئ المتطلع، يحفظه ويحرص عليه ليكون مدداً له في التعبير الصحيح، أما قواعد اللغة من نحو وصرف وبلاغة فقد كلف بعض الأساتذة بالتأليف فيها، ورسم الخطة في التيسير، وقام بمراجعة هذه المؤلفات قبل أن يتداولها الطلاب! لقد كان الإمام محمد عبده يرى بعد إخفاق الثورة العرابية في مصر أن تكون التربية الإسلامية وسيلة لإعداد جيل ناشئ ينهض بمكافحة المستعمر الغاصب، كما يفهم أصول دينه على وجهها الصحيح، نادى الإمام محمد عبده بذلك، ودعا المؤلفين، إلى إعداد الغذاء الروحي الكفيل بتربية الشبيبة

المسلمة، وقد انتظر الأستاذ الإمام طويلاً حتى نهض نفر من المخلصين في تنفيذ خطته، وكان السيد أبوالحسن الندوي في طليعة من قاموا بهذا العبء عن كفاءة تامة، ضربت المثل لكثير من تابعيه فجعلوا يقتفون أثره مغتبطين، وقد كان مما يشغل الأستاذ أبا الحسن غذاء الشبيبة من الأدب العربي فقد نظر إلى السائد المشتهر من هذا الغذاء في مختارات المدارس والجامعات فوجده يقف عند حدود الأدب الصناعي، إذ احتل الميدان أمثال: ابن العميد والصابيء الصاحب والهمداني والحريري والقاضي الفاضل، وأدب هؤلاء أدب صنعة - في أكثره - واقتصار الشباب على مطالعة هؤلاء يعتبر إجحافا بالأدب العربي في أفقه الفسيح، لذلك كانت رياسته المباركة لرابطة الأدب الإسلامي العالمي توجيها جديدا لمفهوم الأدب الإسلامي بعامة، والأدب العربي بخاصة، وقد لاقت الرابطة في ضوء توجيهاته السديدة من الترحيب والقبول في العالم الإسلامي جميعه ما عقد عليها أكبر الآمال، فبدأت تؤتي أكلها -بإذن الله- وقد افتتح أبوالحسن كتابه (نظرات في الأدب) بكلمة ممتازة تحت عنوان: (نظرة جديدة إلى التراث العربي) بدأها بالإشارة إلى المحنة القاسية التي أصيب بها الأدب العربي حين تسلط عليه من سماهم بأصحاب التصنع والتكلف ، الذين اتخذوا الأدب حرفة وصناعة ليصلوا به إلي أغراض شخصية محضة ، فحجب هذا الأدب فيضا من الأدب الطبيعي الذي يملأ صحف المكتبة العربية ، وقد جاء في بحث ديني أو كتاب علمي أو موضوع فلسفي جاء في كتب السيرة المطهرة، وفي نصوص الحديث النبوي الشريف، وفيما تركه أمثال أبي حامد الغزالي، وأبي الفرج الجوزي، وأبي حيان التوحيدي، وابن حزم، وابن القيم، وأصحاب الرحلات الجغرافية الذين وصفوا الأماكن المشاهدة وصف استقصاء وشمول، وأصحاب التراجم والطبقات من أمثال: الخطيب البغدادي، وابن عساكر، وياقوت، وابن خلكان، مؤكدا أن وصف الشخصية أو ترجمة الذات ليستا من السهولة بحيث يستطيعهما الجميع، ولكن العالم الدقيق، والأديب الحساس هما اللذان يقومان بهما على أحسن وجه يتاح! وقد باشر أبوالحسن فيضا من هذه التراجم في مؤلفاته البارعة، فتحدث عن رجال الفكر والدعوة في الإسلام في أجزاء أربعة تعتبر موسوعة أدبية حافلة، ومن خصائص المؤلف انه يفطن إلي مضمون كلمات قد يمر بها القارئ مرا عابرا، ولكنها تحتمل من المعاني ما يفتح الله به عليه، فيمد قارئه بفيض من الخواطر يعجب كيف أدركه هذا الباحث الحساس، وقد قرأت ترجمات لبعض من خصهم أبوالحسن بالحديث، عند من كتبوا عنهم سواه، فوجدت الفرق ملموسا بين ترجمة وترجمة، فمن التراجم ما يكون (ملفا في إدارة حكومية) يقدم المعلومات وكأنها إحصاء « حسابي » يعتمد على التواريخ والأرقام فحسب، ولكن تراجم أبي الحسن ذات نبض حي جذاب حتى ليصلح بعضها أن يكون شعرا منثورا، ومرجع ذلك لاعتماده على إحساسه الحي، واختياره من يتفقون مع مشاعره الدينية، وأهوائه الإسلامية ممن صدقوا الله فاجتباهم بفضله، وأذكر أن أبا الحسن جعل الصدق أساسا للتعبير الجيد، فهو باعث الحرارة والنشاط

كما التفت إلى مقاييس أخرى ليس من طبيعة هذا البحث أن يستقصيها ولكني انتهى من هذه النقطة البارزة في اتجاه الباحث الكبير لأقول: إنه فتح الأبصار على كنوز مطمورة تراكم عليها الصخر بثقله الضاغط، ونسيها الوارثون من أهلها، بل ربما عدوا كنوزها مزيفة مزورة لا تصلح للتداول في أسواق الأدب والعلم، فانبرى الأستاذ الكبير ليحفظ لهذه الكنوز حرمتها، وليفسح لها الطريق كي تطمئن في مستقرها المريح!

قلت: إن أبا الحسن قد يفطن إلى مضمون كلمة يمر بها القارئ مرورا عابرا فلا يهتدي إلى أبعادها الشاسعة وأغوارها العميقة. وأضرب المثل بوقوفه عند كلمة واحدة جاءت في حديث البطل (ربعي بن عامر) حين واجه قائد الفرس رستم فسأله القائد: ما جاء بكم؟ فقال ربعي على البديهة: جئنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها» فقد وقف عند كلمة «ضيق الدنيا» وقفة ما أظن أحداً وقفها من قبل، فقال فيما قال محللا قولة ربعي: «إني لأتساءل، ماهو الضيق الذي كان فيه الفرس؟ وماهي السعة التي كان فيها العرب؟ لقد قرر التاريخ وأجمع المؤرخون على أن الفرس والروم كانوا يعيشون في رغد من العيش، ويتقلبون في أعطاف النعيم، لقد اتسعت لهم الدنيا ولانت لهم الحياة! أما العرب فيعيشون في شظف، والمدنية لم تنعقد أمامهم بعد، فأين هي السعة؟ إن ربعي بن عامر كان ينظر إلى هؤلاء الملوك والأمراء، كما ينظر العاقل إلى دمى قد كسيت ملابس فاخرة جميلة، وإلى تماثيل قد أحكمت صياغتها، وتأنق صانعوها في تصوير قسماتها وملامحها، ولكنها تماثيل من حجر أو جبس لا حياة فيها ولا حراك بها! وكان ربعي - كبقية المسلمين - يتمتع بالحرية التي عرفه بها الإسلام فنقله من دنيا ضيقة محدودة خانقة، دنيا المعدة والمادة، ودنيا الشهوات والأغراض، ودنيا الاستعباد إلى دنيا القلب والروح، والإيثار والمساواة، والعدل والرحمة، وتلك هي السعة!

هذه سطور تنبئ عن صفحات أبدع الكاتب بها في تحليل كلمة «الضيق» وكلها معجب رائق، فهل يصل أحد إلى استبطان هذه المعاني الدافقة من لفظ واحد غير ملهم بصير.

لقد طوفت في حديثي عن أبي الحسن ونسيت أن أذكر في مجال السيرة الذاتية، أنه انتخب أمينا عاما لندوة العلماء بعد وفاة أخيه الأكبر الدكتور عبدالعلي الحسيني سنة ١٣٨٠هـ، وأنه اختير عضواً مراسلا في المجمع العربي بدمشق سنة ١٣٧٥هـ وأنه دعي لإلقاء محاضرات كأستاذ زائر في جامعة دمشق سنة ١٣٧٥هـ، واختير عضوا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة سنة ١٣٨٠هـ وعضوا في المجلس الاستشاري الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وانتخب رئيساً لهيئة التعليم الديني في الولاية الشمالية في الهند سنة ١٣٧٧هـ وهو بعد ذلك إمام العصر، ورائد الإصلاح الديني والأدبي في وطنه الإسلامي الكبير، ولا أقول ذلك دون دليل، فمؤلفاته ساطعة، ومواقفه ناصعة، والسنة القلوب تهتف بذكره في كل مكان ترفرف عليه راية الإسلام - ولما عند الله أوفى وأجزل.

أمهات الكتب العلمية في التراث الإسلامي

التصريف

٩

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

الجزء الثاني

اكتشافات ومخترعات طبية

(أ) العلاج بالكيّ :

أفرد الزهراوى في كتابه : « التصريف » باباً للكيّ جعله في ستة وخمسين فصلاً تضمنت الكثير من المعلومات الطبية التي لا تزال تحتفظ بأهميتها التاريخية، فضلاً عن قيمتها العلمية.

على سبيل المثال، يتناول في الفصل الثامن والعشرين حالة « خُرَاج الكبد »، فيصف لفتحه آلة معينة تتكون -ليس فقط من المكواة المصممة على شكل خاص، وإنما أيضاً الأنبوبة الخاصة بها، وبهذا يجمع الزهراوى في تصميم هذه الآلة صفات الكيّ، والبطّ، وتفريغ الصديد، فيقول : « إذا عرض في الكبد خراج وأردت أن تعلم إن كان ذلك الورم في لحم الكبد أو في صفاقه، فإنه إن كان في لحم الكبد فإنه يجد العليلُ ثقلاً ووجعاً بغير حدة، وإن كان في صفاق الكبد كان مع الوجع حدة شديدة ورأيت أنه قد أعيا الأطباء علاجه، فينبغي أن يستلقي العليل على قفاه ثم تُعلّم على الموضع الوارم بالمداد ثم تحمى المكواة في النار، وهي المكواة التي تشبه الميل (وهذه صورتها) وتكويه بها كيّة واحدة حتى تخرق الجلد كله وتنتهي بالكي إلى الصفاق وحتى تخرج المدّة كلها ثم تعالجه بعلاج الخراجات حتى يبرأ، وهذا النوع من الكي لا ينبغي أن يستعمله إلا من طالت دربته في صناعة الطب وجرت على يده هذه الأمراض بالتجربة مراراً فحينئذ يقدم على هذا العمل، وتركه عندى أفضل ».

ويقرر أحد الجراحين المعاصرين أنه لم يحدث أي تقدم حقيقي على طريقة العلاج هذه في

حالات خراج الكبد حتى بداية القرن العشرين، إلى أن جاء روجرز (عام ١٩١٢) و« ديبكي » (عام ١٩٥١م) اللذين أرسيا قواعد العلاج المتبعة حاليا[١].

وفي الفصل السادس والخمسين يحدثنا الزهراوي عن كيّ النزف الحادث عن قطع الشريان فيقول :

« كثيراً ما يحدث نزف الدم من شريان قد انقطع عند جرح يعرض من خارج أو عند شق ورم أو كيّ عضو ونحو ذلك، فيعسر قطعه، فإذا حدث لأحد ذلك فاسرع بيدك إلى فم الشريان فضع عليه إصبعك السبابة وشده نعماً حتى يحصر الدم تحت إصبعك ولا يخرج منه شيء ثم تضع في النار مكاوي زيتونية، صغاراً وكباراً، فتنفخ عليها حتى تصير حامية، ثم تأخذ منها واحدة، إما صغيرة وإما كبيرة، على حسب الجرح والموضع الذي انفتق فيه الشريان، فتنزل المكواة على نفس العرق بعد أن تنزع إصبعك بالعجلة وتمسك المكواة حتى ينقطع الدم، فإن اندفع عند رفعك الإصبع من فم الشريان وطفأ المكواة فخذ مكواة أخرى بالعجلة من المكاوي التي في النار المعدة، ولا تزال تفعل ذلك واحدة بعد أخرى حتى ينقطع الدم وتحفظ ألا تحرق عصباً يكون هناك فتحدث على العليل بليّة أخرى، واعلم أن الشريان إذا نزف منه الدم فإنه لا يستطاع قطعه، ولا سيما إذا كان الشريان عظيماً، إلا بأخذ أربعة أوجه : إما بالكي كما قلنا، وإما ببتره إذا لم يكن قد انبتر، فإنه إذا بتر تقلصت طرفاه وانقطع الدم، وإما أن يربط بالخيوط ربطاً وثيقاً، وإما أن توضع عليه الأدوية التي من شأنها قطع الدم والشد بالرفائد شداً محكماً ».

ويورد الزهراوي في هذا الفصل ربط الأوعية كأحد الطرق لوقف النزيف لأول مرة في تاريخ الطب، ويقرر « هارفي » في عام ١٩٢٩، أن من أهم أسباب شهرة الجراح الفرنسي الشهير « أمبروز باري » في القرن السادس عشر الميلادي هو استخدامه لربط الأوعية الدموية لوقف النزيف بدلاً من الكيّ في حالات البتر، وبالإضافة إلى ذلك فإن الزهراوي يثبت لنا في كتاب « التصريف » أنه كان على دراية عميقة بفسيولوجية الشرايين لأن القطع الجزئي يستمر منه النزيف، أما القطع الكامل فقد يقف معه النزيف تلقائياً[٢].

(ب) من فنون الجراحة :

كان الزهراوي جراحاً شاملاً، وما زالت إسهاماته في ميادين الجراحة المختلفة واضحة جلية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ الجراحة العامة : حيث نجد في الفصل الأربعين من الجزء الثلاثين من كتاب « التصريف » وصفاً تفصيلياً لجراحة الأورام بالشق والبط، وفي

---

(١) راجع : د. أحمد مختار منصور، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

(٢) المرجع السابق، راجع أيضاً :

Harvey S.C., The History of Haemostatis, Ann, Med, His,1929. –

- Leclerc.L., La chirurgie d'Albucasis, paris, 1961.

هذا الفصل يتحدث أساساً عن الأورام الالتهابية ويرسي مبادىء مهمة ما تزال تتبع لطلبة الطب حتى اليوم، ومن هذه المبادىء البط المبكر للخراج الحادث قرب المقعدة، وأن يكون البط في أسفل موضع من الورم إن أمكن «ليكون أسهل لسيلان المدة إلى أسفل، أو في أرقّ موضع من الورم وأشده نتوءاً، وأن تستخدم الفتيلة بحسب حجم الجرح، «فإن كان جرح الورم صغيراً أو كان الشق واحداً بسيطاً فاستعمل الفتل من الكتان أو القطن البالي، وإن كان الورم عظيماً وكانت شقوق البط كثيرة فينبغي أن تدخل في كل شق فتيلة حتى يصل بعضها إلى بعض».

وفي الفصل الواحد والأربعين من الجزء الثلاثين في الشق على الأورام التي تعرض في جلدة الرأس يميز الزهراوي بين الكيس الدهني Sebaceous cyst وبين الورم الشحمي Lipoma ويدرك أن كلا منهما يحيط به صفاق ويؤكد على أهمية استئصال الصفاق جميعه «فكثيراً ما يعود إذا بقي منه شيء».

وفي الفصل الثاني والخمسين يتناول الزهراوي علاج نتو السرة أو ما يسمى اليوم بالفتق السرى، فيبدأ أولاً بمناقشة التشخيص لحالات الفتق وأسبابها ثم يصف تفاصيل إجراء العملية قائلاً:

«يكون نتو السرة من أسباب كثيرة: إما من انشقاق الصفاق الذي على البطن فيخرج منه الثرب(*) أوالمعاء على ما يعرض في سائر الفتوق، وإما من دم ينبعث من وريد أو شريان على ما تقدم، وإما من ريح تحتقن فيه، فإن كان من قبل انشقاق الصفاق وخروج الثرب، فإنه يكون لون الورم شبيهاً بلون الجسد، ويكون ليناً من غير وجع، ويظهر مختلف الوضع، وإن كان من قبل خروج المعاء فيكون وضعه مع ما وصفنا أشد اختلافاً، فإذا كبسته بإصبعك يغيب ثم يرجع وربما كان معه قرقرة ويعظم كثيراً عند دخول الحمام والتعب الشديد، فإن كان من قبل الرطوبة، فإنه يكون ليناً لا يغيب إذا كبسته بيدك ولا يزيد ولا ينقص، فإن كان من قبل الدم، فإنه مع هذه العلامات يظهر الورم إلى السواد، فإذا كان من قبل لحم نابت، فيكون الورم جاسياً صلباً ويثبت على قدر واحد، فإن كان من قبل الريح، كان لمسه ليناً، والعمل في ذلك أن تنظر: فإن كان نتو السرة من قبل دم الشريان، أو الوريد أو الرسخ، فينبغي أن تمتنع من علاجه، فإن في ذلك خوفاً وغرراً، كما أعلمتك في الباب الذي ذكرت فيه الأورام التي تحدث من قبل الشريان والوريد، فإن كان نتو السرة من قبل المعاء أو الثرب، فينبغي أن تأمر العليل بأن يمسك نفسه ويقف واقفاً ممتداً ثم تُعلِّم بالمداد حول السّرة كلها ثم تأمره أن يستلقي بين يديك على ظهره، ثم تمر بمبضع عريض حول السرة على الموضع الذي علمت بالمداد، ثم تمد وسط الورم إلى فوق بصنارة كبيرة، ثم تربط موضع الحز بخيط قوي أو بوتر حرير ربطاً وثيقاً ويكون عقد الرباط أنشوطة،

(*) الثرب هو غشاء لحمي رقيق الجرم يغطي الأحشاء Omentum.

ثم تفتح وسط الورم المشدود فوق الرباط وتدخل فيه إصبعك السبابة وتطلب المعاء، فإن وجدته قد أخذه الرباط، فأرخ الانشوطة وادفع المعاء إلى داخل البطن، وإن وجدت ثرباً فمده بصنارة واقطع فضلته، فإن اعترضك شريان أو وريد، فاحزمه نعماً وارجع إلى عملك وخذ إبرتين فادخل فيهما خيطين قويين وتدخل الإبرتين في الحز الذي صنعت حول الورم، مصلبتين قد انفذتهما، ثم تشد الورم في أربعة مواضع على الإبر......».

وهكذا يلاحظ أهل الاختصاص في الجراحة العامة أن المبدأ الأساسي في جراحة الفتق السرى لا يزال كما وصفه الزهراوى منذ عشرة قرون، وهو إرجاع محتويات الفتق إلى داخل تجويف البطن ثم رتق الفتق.. وما أضافه المحدثون يعتمد على التقدم الذى حدث في نوعية الخيوط الجراحية وطرق التخدير والتعقيم.

٢ ـ جراحة التجميل : حيث نجد في كتاب «التصريف» وصف الكثير من العمليات الجراحية التي أصبحت -مع شيء من التطوير والإضافة- جزءاً من الممارسة اليومية لهذا التخصص، مثال ذلك ما قدمه الزهراوى من وصف لأحد ضروب «تشمير العين» Blepharoplasty، وهي جراحة رأب الجفن لإزالة الحروف الزائدة على أهداب العين، والعلاج الجراحي للشترة Ectropin، وهي قصر أو انقلاب جفن العين، وقطع اللحم الزائد في اللثة Epulis، وخياطة الأنف والشفة والأذن إذا تفرق اتصالها عن جرح أو نحو ذلك. وفي جميع هذه الحالات أرسى الزهراوى مبادىء مهمة لا تكاد تختلف عما يمارس اليوم.

٣ ـ جراحة الفم والأسنان : حيث تكلم الزهراوى عن حالات كثيرة، منها الأورام التي تحت اللسان، ويقول عنها : «قد يحدث تحت اللسان ورم شبيه بالضفدع الصغير تمنع اللسان عن فعله الطبيعي... وربما عظم حتى يملأ الفم، والعمل فيه أن يفتح العليل فمه بإزاء الشمس، وتنظر من الورم، فإن رأيته كمد اللون وأسود صلباً ولم يجد له العليل حسّاً فلا تعرض له فإنه سرطان، وإن كان مائلاً إلى البياض، فيه رطوبة، فالق فيه الصنارة وشقّه بمبضع لطيف من كل جهة، فإن غلبك الدم حين عملك، فضع عليه زاجاً مسحوقاً (كبريتات الحديد والنحاس وغيرهماVitriol) حتى ينقطع الدم، ثم عد إلى عملك حتى تخرجه بكماله، ثم يتمضمض بالخل والملح، ثم تعالجه بسائر العلاج الموافقة لذلك حتى يبرأ إن شاء الله».

وقدم الزهراوى في كتاب «التصريف» وصفاً تفصيلياً لعلاج أمراض أخرى تعرض في الفم مثل تحرير اللسان المعقود وكيف يقطع الشكال الرابط له تحته حتى يعود طبيعياً، ويصف ما يتبع ذلك من دواء. ومثل إخراج العقد التي تعرض في الشفتين على هيئة أورام صغار يشبه بعضها حب الكِرْسنّة Karsinna Vetch (من الفصيلة القرنية) وبعضها أصغر، ويصف ذلك بأن «تقلب الشفة وتشق على كل عقدة وتعلقها بالصنارة وتقطعها من كل جهة، ثم تحشو الموضع بعد القطع بزاج مسحوق حتى ينقطع الدم، ثم يتمضمض بالخل، وتعالج الموضع بما فيه قبض إلى أن يبرأ الجرح إن شاء الله -تعالى-».

ويبدو الزهراوى بارعاً فى وصفه لعملية قلع الضرس، حيث يقول: «فإذا صحّ عندك الضرس الوجع بنفسه، فحينئذ ينبغى أن يشرط حول السن بمبضع فيه قوة حتى يحلّ اللثة من كل جهة، ثم تحركه بإصبعك، أو بالكلاليب اللطاف أولاً قليلاً حتى تزعزعه، ثم تمكّن حينئذ فيه الكلابتين الكبار تمكيناً جيداً، ورأس العليل بين ركبتيك قد ثقفته يتحرك، ثم تجذب الضّرس على استقامته لئلا تكسره، فإن لم يخرج وإلا تتخذ أحد تلك الآلات، فادخلها تحته من كل جهة برفق. ورُم تحريكه كما فعلت أولاً». ولا يفوت الزهراوى أن يحذر من «أن تصنع ما يصنع جهال الكلاّبين فى جسرهم وإقدامهم على قلعه (أى الضرس) من غير أن يستعملوا ما وصفنا، وكثيراً ما يجلبون على الناس بلايا عظيمة، وأشرها أن ينكسر الضرس ويبقى أصولها كلها أو بعضها، وإما أن تقلعه ببعض عظام الفك».

(جـ) الأدوات الطبية :

لا نجد قبل الزهراوى فى كتابه «التصريف» أى مؤلف طبى يحتوى على وصف دقيق لأجهزة طبية وأدوات جراحية ومواد كيميائية، جاء معظمها من ابتكار الزهراوى نفسه، ونذكر من أمثلتها:

الجفت : وهو آلة لاستخراج العظام المكسورة من الفك أو أحد عظام الفم.

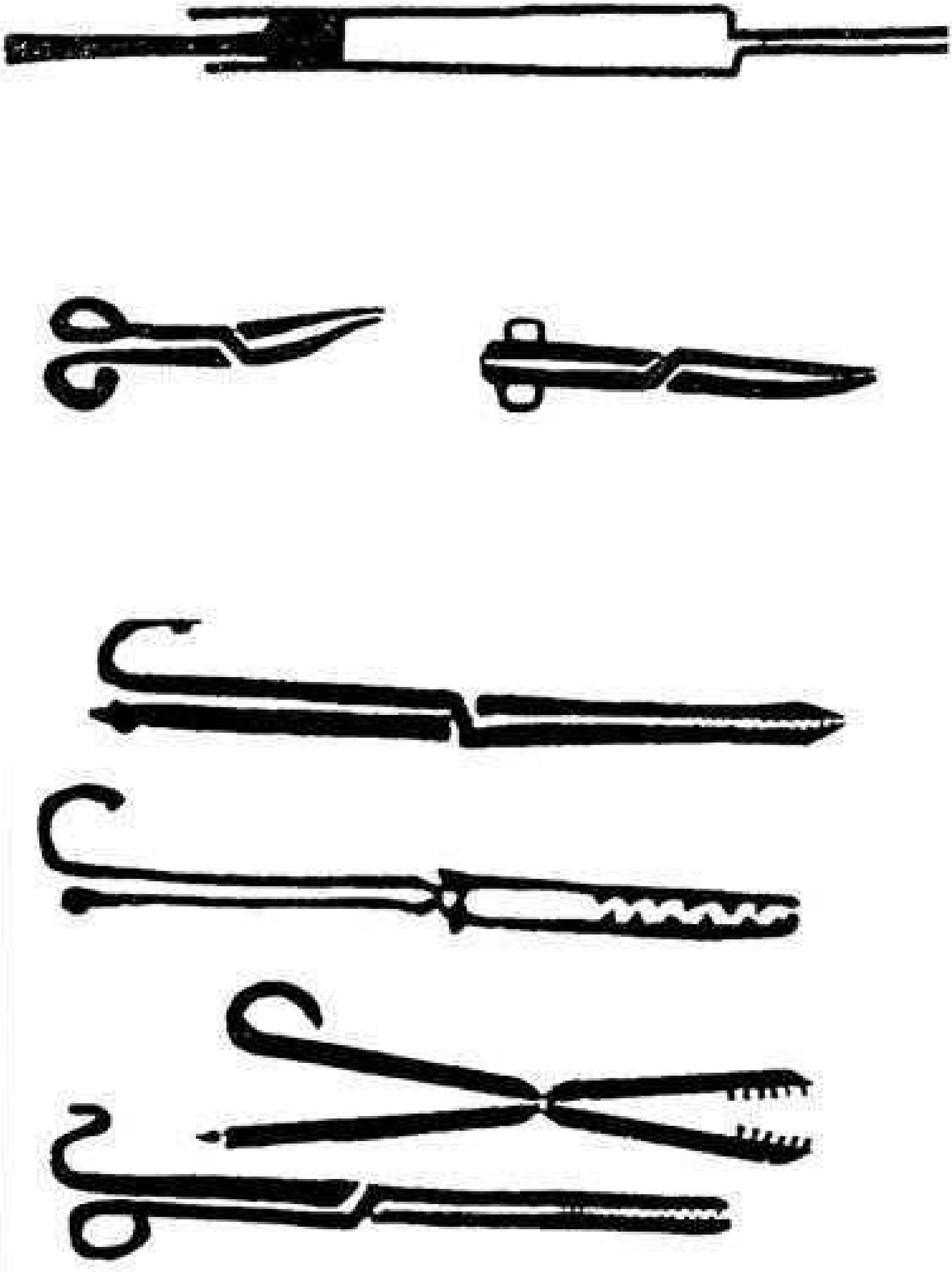
الضارة : فيها غلظ قليل لئلا تنكسر، وبها يجذب الجنين.

المقدح : وهو آلة كالمبضع، يستخدم فى قدح الماء النازل من العين.

المبضع : لشق الأورام والتجمعات الصديدية، وهو كالمشرط المدوّر إلا أن نصله مستدير.

ويكفى هنا أن نشير إلى آلة وصفها الزهراوى فى كتاب «التصريف»، واستخدمها لأول مرة فى تاريخ الطب فى عملية غسل المثانة، وأطلق عليها اسم «الزراقة»، ويقول عنها: «تصنع من فضة أو من عاج مجوفة لها أنبوبة طويلة على رقة الميل مجوفة كلها، إلا الطرف فإنه مصمت فيه ثلاث ثقب، اثنتان من جهة وواحدة من جهة أخرى كما ترى فى الشكل، والموضع الأجوف الذى فيه المدفع (أى المكبس) يكون على قدر ما يسدّه بلا مزيد حتى إذا جذبت به شيئاً من الرطوبات، انجذبت، وإذا دفعت به اندفعت إلى أبعد على ما تصنع النضاحة التى يرمى بها النفط فى حروب البحر، فإذا أردت طرح الرطوبات فى المثانة أدخلت طرف الزراقة فى الرطوبة وجذبت بالمدفع إلى فوق، فإن الرطوبة تنجذب فى جوف الزراقة، ثم تدخل طرفها فى الإحليل على حسب ما وصفنا فى القاثاطير، ثم تدفع الرطوبة بالمدفع، فإن تلك الرطوبة تصل إلى المثانة على المقام حتى يحس بها العليل».

يتضح من هذا الوصف أن «الزراقة» هى الجيل الأول الذى تطور إلى «السرنجة» (أو المحقن) التى نستخدمها اليوم، بعد إضافة الإبرة، لإدخال الأدوية إلى الجسم. إن أهمية زراقة الزهراوى فى الممارسة الطبية لا تقل عن أهمية أى اختراع تقنى أو اكتشاف علمى مؤثر فى تطور الحضارة الإنسانية.



طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حب النبي ﷺ

من يدعي حب النبي ولم يفد
من هديه فسفاهة وهراء
الحب أول شرطه وفروضه
إن كان صدقا: طاعة ووفاء

الغنى عن الناس

قال رجل لابن عباس: ادع الله أن يغنيني عن الناس، فقال: إن حوائج الناس تتصل بعضها كاتصال الأعضاء، فمتى يستغني المرء عن بعض جوارحه؟! ولكن قل: اللهم اغنني عن شرار الناس.

ذكاء القاضي

قيل لإياس القاضي: لاعيب فيك إلا أنك تعجل في القضاء من غير ترو في الحكم، فرفع كفه، وقال: كم أصبعا؟ فقالوا: خمسة. قال: تعجلتم، هلا قلتم: واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة،؟ قالوا: لا نعد ما عرفناه فقال: فإني لا أؤخر ما تبين لي الحكم فيه.

وصف الذل

قيل لأعرابية: ما الذل؟

فقالت: الذل هو وقوف الشريف بباب الدنيء ثم لا يؤذن له.

قيل: وما الشرف؟

فقالت: عقد المنن على أعناق الرجال.

في تفصيل «الشدة»

الجشع: شدة الحرص.
الخفر: شدة الحياء.
السُّعار: شدة الجوع.
الصدى: شدة العطش.
الشنف: شدة البغض.
الوَصَب: شدة الوجع.
الهلع: شدة الجزع.
اللدد: شدة الخصومة.

البث : شدة الحزن .
النصب : شدة التعب .
الحسرة : شدة الندامة .

من حسن الأدب

أن لا تغالب أحدا على كلامه، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه، ولا تقتحم عليه فيه، ولا تره أنك تعلمه، وإذا كلمت صاحبك فأخذته حجتك فحسن مخرج ذلك عليه، ولا تظهر الظفر به، وتعلم حسن الاستماع كما تعلم حسن الكلام .

ما خاطبته إلا بما يستحق

كان الأستاذ عباس العقاد - رحمه الله - يعمل في مقتبل حياته في وظيفة كتابية، وكانت المكاتبات في ذلك العهد تلتزم صيغا لا يقبلها الذوق العربي السليم، فإذا جاء موظف ولم يلزم هذه الصيغ أعيدت إليه المكاتبات، وطلب إليه تغييرها حتى تأخذ طريقها إلى الاعتماد، وكان يرأس العمل رجل في وظيفة «باشكاتب» اشتهر في أنحاء القطر بالحزم والمهابة والدراية بأصول الإدارة وأساليب المكاتبات . وقد ضاق الأستاذ العقاد ذرعا به لأنه كان يعيد إليه ما يكتبه ليصوغه حسب الكليشيهات المعهودة، وكان الأستاذ العقاد يرى أنها أساليب غير مقبولة عربيا فاتجه يوما إلى مكتب «الباشكاتب» ومعه المكاتبات التي ردها إليه، فإذا به يجده في مكتبه وحيدا ففاجأه الأستاذ العقاد بقوله : يا أيها الحمار الأزعر، أمثلك يصحح الكتابة العربية، وأنت لا تعرف منها غير الهجاء وكتابة العرضحالات، ولم يصدق الرجل أذنيه واستولى عليه أنه أمام مجنون يوشك أن يبطش به، ويعتدي على حياته فقفز من كرسيه خارج الحجرة يستغيث بالفراشين والموظفين المساعدين، واتجه إلى مكتب وكيل المديرية يشكو إليه، وكان رجلا مرحا فاستدعى الأستاذ العقاد، وسأله فأقسم أنه ما خاطبه إلا بما يستحق من الاحترام .

أخذت على ما أحسن

كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة، وكان يسخر بذلك، فسئل يوما في مجلس الخليفة، فقال : لا أدرى فقالوا : تأخذ في كل يوم كذا وكذا ولا تحسن المسألة، فقال : إنما أخذت على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال ولا يفنى ما لا أدرى، فأعجب أمير المؤمنين جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته .

دعاء

يا حي ياقيوم، ياعلي يا عظيم ياواحد أحد، يا فرد صمد، يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . يا ذا الجلال والإكرام أسألك أن تفتح لدعائنا باب القبول والإجابة، وأن ترزقنا صدق التوبة، وحسن الإنابة وأن تغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين .

الإعلام والأمية

دراسة فى سبل ودعم المواجهة

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد (*)

لقد تعثر العمل الإسلامى وانتكس كثيرا بسبب غياب أو قصور الدراسات الفنية والمنهجية فى المجالات المختلفة للدارسين الإسلاميين، وأصبحت الحاجة ماسة إلى مزيد من الجهد فى مختلف ميادين البحث العلمى وخطط البناء الفكرى والاجتماعى اللازمة لقيام النهضة الإسلامية المنشودة.

وليس هناك شك فى أن حل مشكلة « الأمية » يأتى فى مقدمة المهام الصعبة التى تواجه الأمة فى العصر الحاضر، إذ لايمكن أن يكون هناك أى أمل فى إنماء حقيقى للأمة ما دام هناك أميون يفتقدون « التعليم الأساسى » وذلك لأنهم - ببساطة شديدة - يفتقدون القدرة على قراءة ما يتعلق بمهنهم وحرفهم ومصانعهم وآلاتهم من الإرشادات اللازمة، كما يعجزون - بصفة عامة - عن استيعاب ما يطرأ على المجتمع من تغيير.

فقد أصبح « التعليم الأساسى » لهذه الفئات من أهم الأسس التى تقوم عليها النهضة الصناعية الحديثة، ويشكل انعدامه عقبة كئود تعترض خطط الدولة من أجل التقدم والتنمية، الأمر الذى يجعل من هذه القضية: قضية حياة ومصير.

ومن ثم تأتى هذه « اللبنة » البحثية عن « مشكلة الأمية فى مصر، ودور الإعلام الإسلامى فى مكافحتها » دعما ومشاركة فى هذا الجهد البناء الذى تضطلع به « الدولة ممثلة فى الهيئة القومية لمحو الأمية » من أجل بناء الإنسان وتطوره وتقدم المجتمع وازدهاره.

مفهوم الأمية

الأمى فى اللغة : الذى لا يعرف القراءة والكتابة(١)

وفى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٢)

أميون أى: لا يكتبون ولا يقرأون، واحدهم « أمى »: منسوب الى الامة أو الأمية التى هى على أصل ولادات أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا القراءة، ومنه قوله عليه السلام : « إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب »(٣).

والأمى : فى الاصطلاح : من لم تتح له فرصة التعليم من المنبع، اى فى الدراسة الإبتدائية، اى الذين لم تشملهم خطة التعليم الأساسى، فلم توجد لهم

(*) مدرس الصحافة والاعلام بجامعة المنصورة.

(١) المنجد فى اللغة والأعلام - دار الشرق - بيروت: ص١٧.

(٢) البقرة (٧٨).

(٣) تفسير القرطبى : ج ١ طبعة دار الريان للتراث ص ٤٠٠.

أماكن في التعليم الأولي، أو توفرت لهم الأماكن لكنهم تسربوا قبل هضم هذه المرحلة.

والأميون : هم أيضا هؤلاء الكبار الذين انقوا على أميتهم مدة طويلة، فالأمية فئتان[4].

الفئة الأولى : تقع في المرحلة العمرية من ٨ – ١٥ عاماً.

الفئة الثانية : تقع بين المرحلة العمرية من ١٥ – ٦٠ عاما فأكثر.

وهؤلاء جميعا يحتاجون إلى عملية مسح شاملة حسب بيئتهم الزراعية أو الصناعية أو التجارية أو الصحراوية ومواقع تجمعاتهم والأوقات المناسبة لتعليمهم بشكل يتمشى مع ما يقومون به من أعمال، ويتفق مع مراحلهم العمرية.

المفهوم الشامل لمحو الأمية

ويجب أن تستمد الكتب المؤلفة والمستخدمة – في هذا الميدان – مادتها وطريقتها من إطار محو الأمية بمفهومه الشامل المتكامل والمتوازن، وحبذا لو زودت ببعض الآيات القرآنية، لما في ذلك من أثر طيب في المتلقي لغوياً وخلقياً، فلا يكون البرنامج قاصرا على (القراءة والكتابة والحساب)، وإنما يشمل التربية الاجتماعية والصحية والسياسية والقومية والروحية؛ ليكون بذلك برنامج تعليم وتوعية وتثقيف وتدريب شامل ومتكامل، ولعل من الأهمية بمكان في هذا الصدد الانتفاع بخريجي مركز « سرس الليان » وطلاب الجامعات، وسائر المثقفين؛ للقيام بعبء محو الأمية، مع التوسع في إنشاء أقسام وشعب متخصصة في طلبات التربية لمحو الأمية من الكبار.. فمثلما يوجد معلم الكيمياء أو الرياضيات أو اللغة الانجليزية؛ يجب إيجاد الكوادر الجديدة من المعلمين المتخصصين في التعليم الأساسي ومحو الأمية[*].

وترجع أهمية هذه التخصصات إلى استيعاب المفهوم الشامل لمحو الأمية، بل إن مجرد « فك الخط » أو معرفة رموز القراءة والكتابة، يعتبر مرحلة أولية لها الأولوية ما بقي في المجتمع أمي واحد، على أن ذلك لا يقلل من حجم مشكلة الأمية في حد ذاتها، لأنه يجب تجنيد كل القوى للانتهاء منها، حتى ننطلق بعد ذلك إلى آفاق أرحب تتعلق بتنمية مهارات الفرد الأمي وتربيته من أجل حياة أفضل أكثر تلاؤما مع التغييرات الاجتماعية أو الصناعية الجديدة.

بل إنه يمكن للقائمين على برامج محو الأمية توظيف قدراتهم المهنية والثقافية في خدمة الاتجاهين، بشكل مطرد ومتزامن، وهما : محو أمية الفرد وتنميته معا، ذلك أن النظر إلى « محو الأمية » على أنها جزء من برنامج كلي متكامل لتعليم الكبار يخدم قضية محو الأمية والتقدم في بلادنا [6].

محو الأمية قضية إسلامية

نستطيع النظر باطمئنان بالغ إلى القضايا التي ورد بشأنها نصوص نقلية من « الكتاب والسنة »، على أنها قضايا إسلامية، وتعتبر قضية الأمية « جزئية »، في منظومة المنهج الإسلامي للنهوض بالأمة، ومن هذا قول

---

(٤) مجلة النيل : الصادرة عن مركز النيل للإعلام والتعليم والتدريب – العدد ١١ أبريل ١٩٨٢ – دراسة عن : مشكلة الأمية في ج م ع وأبعادها – د إبراهيم عصمت مطاوع ص٦٢.

(*) مرجع سبق – بتصرف.

(٦) المرجع السابق : دراسة بعنوان «مفهوم تعليم الكبار ووظائفه في الدول النامية» د عبدالفتاح جلال – ص٦٧.

الحق – تبارك وتعالى –:

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾(٧)، وقوله:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً ﴾(٨) وقوله:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾(٩).

أليس ذلك مما يدعو المسلمين إلى «التعليم والهداية» بهدي المنهج الإسلامي؟ والحقيقة أنه منذ فجر الإسلام وللتعليم مكانته السامية وخطره الكبير.

وكان أول نداء موجه من السماء إلى الأرض من المولى – عز وجل وعلا – إلى رسوله الكريم – ﷺ –

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾(١٠).

بل إن من أهداف الرسالة الخالدة «التعليم» الذي تنتقل به الإنسانية من الضلالة والجهالة إلى الهداية والحكمة، ومن الظلمات إلى النور

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ ﴾(١١).

وقد جاء التعليم دعوة لأبينا إبراهيم وابنه إسماعيل لهذه الأمة النجيبة ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ﴾(١٢).

فالتعليم في الإسلام إذن فريضة مقدسة، وليس من شك في أن (محو الأمية) هو حجر الزاوية في أبجديات التعليم، والعلم أمنية غالية أرشد إليها – عز وجل – واستجاب لتحقيقها أصفياؤه وأخلاؤه، وتدل الأحاديث النبوية على أن النبي – ﷺ – كان يحث على طلب العلم ويرشد إليه قائلا «من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»(١٣)، ويقول «يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء»(١٤)، ولا عجب في ذلك الفضل وتلك المنزلة التي رغب الله إليها، لأن العلم سبيل الرقي والتحضر بالنسبة للأمم والشعوب.

موقف النبي - ﷺ - من قضية «محو الأمية»

ويتجلى لنا موقفه – ﷺ – معلم البشرية الأول في غزوة «بدر الكبرى» أول موقعة حربية في الإسلام، تلك التي نصر الله – تعالى – فيها المسلمين نصرا عزيزا مؤزرا ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ﴾(١٥)، وذلك على الرغم من تفوق المشركين في هذه الغزوة – على المسلمين في العَدَد والعُدَد.

فقد روى يزيد بن هارون(١٦): أنه لما كان يوم

---

(٧) النساء/١١٣.
(٨) النحل/٨٩.
(٩) الزمر/٤١.
(١٠) سورة العلق/٥.
(١١) سورة الجمعة/٢.
(١٢) سورة البقرة/١٢٩.
(١٣، ١٤) رواهما البخاري.
(١٥) سورة آل عمران/١٢٣.
(١٦) تفسير القرطبي، ج٥ بتصرف ص ٢٨٨٦.

«بدر» جيء بالأسارى فقال رسول الله – ﷺ – لأصحابه ما ترون في هؤلاء الأسارى، فقال أبوبكر: يا رسول الله أهلك وقومك استبقهم لعل الله أن يتوب عليهم، وقال عمر بن الخطاب: كذبوك وقاتلوك وأخرجوك، قدمهم فاضرب أعناقهم، فقال رسول الله – ﷺ – مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم – عليه السلام – قال: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٧)، ومثلك يا عمر مثل نوح – عليه السلام – قال: ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾(١٨) ثم أخذ النبي – ﷺ – بالفداء – وعاتبه ربه – بعد ذلك في القرآن على تعجل الأخذ بمبدأ الفدية في قوله –تعالى–: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾(١٩) ولكن في هذه الغزوة سمح رسول الله – ﷺ – لمن كان يجيد القراءة والكتابة من المشركين ولم يكن معه مال؛ أن يفدي نفسه بتعليم عشرة من المسلمين.

وتأسيسا على ما تقدم نرى أن قضية «محو الأمية» قضية إسلامية ترتبط بمصلحة الفرد والجماعة، وحيثما كانت المصلحة فثم شرع الله –عز وجل– وشرع الله أولى أن يكون هو الناظم لمنظومة الحياة، وأدعى إلى أن يوجب المؤمن على نفسه ما يوجبه عليه دينه من أصول وتعاليم.

كما تعتبر هذه المشكلة بالنسبة لجمهورية مصر العربية قضية «قومية»، وليست قضية حكومة أو أفراد، ويكفي للتدليل على أهميتها أنها تقف حجر عثرة في طريق تحقيق التنمية الشاملة التي طالما أتعب المتخصصون أنفسهم في سبيلها، على الرغم من أن مصر من الدول ذات الحضارة الموغلة في القدم، إلا أنها دولة نامية، لم يتوقف تقدمها على عراقتها التاريخية، لأن تقدم الشعوب يرجع إلى ما حققته من النهضة الصناعية وما استحدثته من الأساليب العلمية والفنون التكنولوجية، فلا غرابة أن يكون التخلف عن الثورة العلمية من أهم آفات المجتمعات النامية التي تطرد فيها نسبة الأمية.

الأمية قضية حضارية

وبالإضافة إلى أن قضية «الأمية» إسلامية قومية، فهي – أيضا – قضية «حضارية» ترتبط بحياة الأمة ومصيرها، فالذين يرزحون تحت وطأة الأمية لا يستطيعون استيعاب الحضارة الإنسانية الحديثة، ولا الإضافة عليها، – لا سيما – بعد أن مكن الله للبشرية تلك النقلة الحضارية الهائلة في البر والبحر والجو من سيارات وقاطرات وطائرات وصواريخ ودبابات وأسلحة حرب وسفن فضاء ووسائل اتصال برقي وهاتفي ولا سلكي، إلى غير ذلك مما يقف الأمي مشدوها أمامه ولا يملك القدرة على تفهمه ولا السيطرة على أدواته، إنها إنجازات رائعة ساحرة منّ الله – تعالى – بها على البشرية بعدما أعملوا عقولهم وأخذوا بأسباب العلم والبحث.

«يتبع»

---

(١٧) سورة إبراهيم ٣٦.

(١٨) سورة نوح ٢٦.

(١٩) سورة الأنفال/٦٧.

الشاعر أحمد محرم وديوان مجد الإسلام

للأستاذ أحمد مصطفى حافظ

كان الشعر - ولايزال - فن العربية الأول.

وقد بلغ من منزلته، فى عصر صدر الإسلام، أن النبى - ﷺ - أثاب كعب بن زهير ببردته، بعد إنشاده قصيدته المشهورة:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول الخ..

كما حث رسول الله - ﷺ - شاعره، حسان بن ثابت، وزملاءه من شعراء الأنصار، وغيرهم، على الرد على المشركين من شعراء قريش، فامتثلوا، وأجادوا.. فكانوا - حين يبدأ الشعراء المناهضون للدعوة الإسلامية، بالهجاء أو الفخر - يردون عليهم، بما ينقض مزاعمهم وترهاتهم، على البديهة، من نفس البحر، والقافية.

فمثلا، عندما قال هبيرة بن أبى وهب المخزومى، من المشركين، فى يوم أحد:

نحن الفوارس يوم الجد من أحُد
هابت معد، فقلنا: نحن نأتيها

أجابه حسان بن ثابت لتوه:

سقتم كنانة - جهلا من سفاهتكم -
إلى الرسول: فجند الله، مخزيها

وحينما يقول الزبرقان بن بدر، مفتخرا:

نحن الملوك، فلا حى يعادلنا
منا الملوك، وفينا تنصب البِيَعُ

أجابه حسان:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع

ومن هذا النبع الثر، لتراثنا الشعرى الإسلامى، استقى شاعر الإسلام المعاصر، أحمد محرم، مادة ديوانه: «مجد الإسلام»، الذى عارض به إلياذة هوميروس، شاعر اليونان القديم، وشاهنامة الفرس، للفردوسى، شاعر الفرس الأكبر، وكانت تلك المعارضة قد تمت، باقتراح من الأستاذ محب الدين الخطيب، أحد رؤساء تحرير «مجلة الأزهر»

***

الغراء السابقين، فدلنا محرم، بإبداعه للإلياذة، على مدى إمكانيات التراث العربي الكبير وحده، في تكوين الخلفية الثقافية للشاعر، وبلورتها وإنضاجها، وفتح السبل أمامها، لتطرقه، وتمضي قدما بالشاعر، إلى مراقي الإبداع.

وقد خطط أحمد محرم بنفسه لنفسه، منذ البداية، فيما يأخذ وما يدع، في محيط الآداب والمعارف، ببصيرة نافذة، وخصوصية إيمانية عميقة، ومشاعر فطرية نقية.. واستطاع بعكوفه الدائب في عقر داره، وانكبابه على استيعاب نتاج شعراء الجاهلية وصدر الإسلام والعصرين: الأموي والعباسي، ووقوفه طويلا، بصفة خاصة، أمام روائع المتنبي، وأبي تمام والبحتري ،وابن الرومي، وأضرابهم - أن يعد نفسه لأداء رسالته السامية للأمة العربية الإسلامية، بإبداع الملحمة الكبرى: الإلياذة الإسلامية، في أكثر من خمسة آلاف بيت، في أنصع بيان، وأروع تبيين.

***

ترجمة حياته:

كان ميلاده في حي باب الوزير بالقاهرة، في شهر المحرم ولعل هذا هو سبب إطلاق اسم «أحمد محرم» عليه- كاسم مزدوج- لأن اسم والده خال من: «محرم»، فهو: حسن عبدالله، وكان رب أسرة متوسطة الحال، ويعمل ناظر زراعة لأحد كبار الملاك للأراضي الزراعية بدمنهور. وقد قام على تلقين ابنه مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وحفظ القرآن الكريم، في البيت بدمنهور، ثم ألحقه بعد ذلك بإحدى مدارس القاهرة الابتدائية، إلا أن محرما- لشدة شغفه باللغة العربية وحدها وآدابها، ولعدم قدرته على أن يعيش بعيدا عن أسرته- قفل راجعا إلى دمنهور، بعد ستة أشهر من إقامته وحده بالقاهرة، متخليا عن مقاعد الدرس، إلى الأبد!

ولم يعنفه والده على ذلك، بل تفهم حقيقة ميوله واستعداده، فأحضر له بعض أساتذة الأزهر، يلقنونه فقه العربية وآدابها، وكان طوال هذه المرحلة، مثلا للجد والاجتهاد، مع أساتذته الأزهريين، بعد أن تحقق له ما ابتغاه، ويصور لنا ذلك في أبيات له بديوانه الأول الذي أصدره سنة ١٩٠٨م:

لعمرك ما ينهنهني شبابي
إذا هفت الحلوم إلى الأناة
صحبت الجد في علواء عمري
فقد جعلتْ تعاتبني لداتي

ويزيد الأمر بيانا وإيضاحا، بقصيدة أخرى، يقول فيها:

قالوا: زمان الصبا لهوٌ لصاحبه
فقلت: مالي أراه وهو لي كمد
إني امرؤ ما جدُ الأخلاق فاضلها
ما عابني لعب يوما ولا فنَدُ
سموتُ بالجد والإخلاص اللذين هما
خدْناي.. إياهما أبغي وأعتمد

ويزيدنا أحمد محرم تعريفا بظروف نشأته وتكوينه الأدبي، بقوله:

«ولدت من أب تركي، كان -رحمه الله- شديد الشغف باللغة العربية، وبالشعر بخاصة.. وحدث أن انقطعت عن الدراسة، لأسباب خاصة، فأحالني والدي - «بعد أن سبق ما ذكرناه آنفا - على مكتبته، التي كانت حافلة بشتى

أنواع الكتب الأدبية، والعلمية، ثم وجهنى توجيها شديدا، إلى الشعر، وجعل لى جائزة على نظمه، وكنت مستعدا بطبعى لهذا الفن، فأقبلت عليه بكليتى، وشاء الله أن أكون من رجاله.»[1]

وظل الشاعر يحيا فى كنف والده، حياة ناعمة راضية، متفرغا لقراءاته المحببة إلى نفسه، مسجلا لما يسنح لشاعريته، من فيوضات، دون أن يفكر فى الالتحاق بعمل ما، قد يتطلب شهادة دراسية ما لم يحصل عليها - كما بينا..

إلا أنه، بعد وفاة والده، تعرض لضيق ذات اليد، وظل يعيش فى منزله بدمنهور، وإن كان قد عمل فى آخر أيامه، مشرفا على مكتبة البلدية بدمنهور..

ولحرصه على أن يحيا حياة مستقلة، بعيدا عن الأضواء التى كان يزهد فيها، فقد كلفه ذلك عدم الاتصال بمن يملكون الأخذ بيده لعالم الشهرة والإثراء بالقاهرة، كفاء لموهبته الفذة.. ومن ثم فقد عانى من الجحود الشىء الكثير، الأمر الذى حدا به إلى التعبير عن ذلك، بقوله:

ظمئتُ وفى فمى الأدبُ المصفّى
وضعتُ، وفى يدى الكنزُ الثمينُ
لربّى ما عملتُ، وعند قومى
ديونى، حين تُلتمسُ الديونُ

ولعل جهد المقل، فى كتابة هذا المقال عنه، ما يسدد بعض هذه الديون التى ذكرها..

ديوان مجد الإسلام

سجل أحمد محرم فيه: مغازى رسول الله - ﷺ - وما تخلل السيرة العطرة من وقائع تاريخية، ومواقف بطولية، لرجالات الإسلام وأعلامه، وتم له ذلك كله، بتناغم أخاذ، يحفل بالمشاهد والصور، التى يعرضها ببيانه السامق، فى ثنايا لوحات شعرية رائعة..

وقد استهل ديوانه هذا، بقوله:

إمْلأ الأرضَ يا محمدُ نورا
واغمر الناس حكمة والدهورا

وقال عن فتح مكة:

ديارُ مكة هذا «خالدٌ» دلفا
فما احتيالك فى الطود الذى زحفا
طود من الشِّرْكِ خانتْه جوانبُه
لما مشى نحوه الطود الذى زحفا
إن الجبال التى فى الأرض لو كفرتْ
لدكّها جبل الإسلام أو نسفا

إلى أن يقول:

الله أكبر، جاء الفتحُ، وابتهجتْ
للمؤمنين نفوسٌ سرَّها وشفى
مشى النبىُّ، يحفُّ النصرُ موكبه
مُشيَّعا بجلال الله مُكتنفا

ولشدة إجلاله وحبه لشخصية رسول الله - ﷺ - فقد أنطقه الشعر بالأبدة التى يقول فيها:

من هيبةٍ يغضى القريض ويُطرق
ويميل فيك إلى السكوت المنطق
إيذن يفض هذا البيان، فإنه
مما يفيض بيانك المتدفق

(١) انظر كتاب «رسائل محرم» للأستاذ حسنين محمود حسنين دار النشر للجميع بالاسكندرية سنة ١٩٦٢م ص١٧.

ما في النوابغ من لبيب حاذق
إلا وأنت ألبُّ منه وأحذق

إلى أن يقول:

حسان منبهر وكعب عاجز
والنابغ الجعدى عانٍ موثق
لى عذرهم.. ما أنت من عدة الْمُنى
إلا وراء مخيلةٍ ما تصدق

***

هذا، وعلى الرغم من أن إلياذة هوميروس، تتشابه إلى حد ما، في تساوقها وتلاحمها، مع إلياذة أحمد محرم فإننا نجد الدكتور شوقي ضيف، يصف إلياذة محرم، بأنها: «مجموعة كبيرة من القصائد، لا رابطة بينها ولا حياة، ولا خيال..»[2] إلى أن يقول: «وليس فيها شيء من الشعر القصصي، الذي يخلق الخيال فيه مادة الشعر، خلقا جديدا..»[3]

وقد كفانا صديقنا الدكتور محمد رجب البيومي أمر تفنيد هذا الرأى المجانب للصواب، بقوله في الرد على الدكتور شوقي ضيف، في مقولته تلك: «نرى الناقد الفاضل، يصف ديوان «مجد الإسلام»، بأنه قصائد لا رابط بينها، وهذا ما يخالفه الواقع، لأن الديوان يتحدث عن سيرة مترابطة الأحداث، وقد سلسل الشاعر حديثه تسلسلا زمنيا..»[4] إلى أن يقول: «ولكن ناقدى محرم، لايريدون أن يفهموا من ديوان مجد الإسلام، إلا ما فهموه من إلياذة هوميروس، فلابد أن يخلق الشاعر أسطورة»[5]

«أما محرم، فيتحدث عن بطل مشهور الوقائع، لا ليختلق، مع وقائعه، أحداثا تضاف إليها، بل ليصورها في جوه الشعرى، كما صدرت عن صاحبها.»[6]

***

وبالإضافة إلى ما تقدم، فإن الشاعر أحمد محرم قد ذاق الأمرين عند محاولة طبع ديوانه: «مجد الإسلام»، ولم يوفق في مسعاه.. فهو يروى لنا قصة أليمة مؤثرة، في وصف ما لاقاه من عناء وعنت وإحباط، بهذا الشأن، ونتبين ذلك بجلاء ووضوح، من قراءتنا لرسائل شخصية، بعث بها إلى الأديب السكندري حسنين محمود، يقول في إحداها بتاريخ ١/٢/١٩٣٩م: «.. ولقد يسرك أني أعكف منذ سنين، على نظم الإلياذة الإسلامية، في أمجاد العروبة، ومفاخر الإسلام، وهو الأثر الذى أرجو أن ينفع الله به، ويبارك فيه»[7] ويقول في رسالة أخرى مؤرخة في ٦/٣/١٩٣٩م:

«قدمت الجزء الأول من هذا الكتاب «أى الديوان» إلى السراى الملكية» على يد مراد محسن باشا، بعد أن طلبه بكتاب منى، فبقى في مكتب عبدالله عفيفي بك (شاعر وإمام الخاصة الملكية) نحو عام، تكررت خلاله رسائلى إلى السراى، للبت في أمره.. وأخيرا، جاء من الباشا خطاب يقول فيه: إنه تحدث بشأنه مع هيكل باشا وزير المعارف، فيجب أن أقابله، فذهبت إليه، وكان «الكتاب» قد أعيد إليَّ في البريد، لتقديمه بنفسى.. فاطلع عليه،

---

(٢)، (٣)، (٤) انظر كتاب «النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين» للدكتور البيومي ط سنة ١٤٠٥هـ - سنة ١٩٨٤م ص١٥٧.

(٥)، (٦) المصدر السابق ١٥٦.

(٧) انظر كتيب «رسائل أحمد محرم» للأستاذ حسنين محمود حسنين «كناري» ط دار النشر للجميع بالإسكندرية سنة ١٩٦٣ ص١١.

واعجب به، وقال: إنه سيحيله على لجنة من شعراء الوزارة وأدبائها، للنظر فيه، وتقديم تقرير عنه.. وأن الأمر لا يستغرق أكثر من خمسة عشر يوما.. وقد انقضى الصيف، وقريبا ينقضي الشتاء، و«الكتاب» لا يزال تحت الفحص!»[8]» وأخيرا، يصف ختام مساعيه التي لم تكلل بالنجاح، في رسالة ثالثة بتاريخ ٦/٥/١٩٣٩: «إن وزارة المعارف «التربية والتعليم حاليا» قد أعادت إليّ الجزء الأول من الإلياذة، مع خطاب تقول فيه: إنها ليست على استعداد لطبعه!!»[9]

وهكذا انتقل الشاعر أحمد محرم إلى الرفيق الأعلى، في اليوم السابع عشر من يونيو سنة ١٩٤٥، دون أن تكتحل عيناه برؤية إلياذته الإسلامية مطبوعة في حياته، كما كان يتمنى، وكل الذي استطاع أن يعمله هو قيامه بإيداع نسخة مصورة من الإلياذة، بدار الكتب، تحت رقم: «٢٩٤٦٨» بقسم المخطوطات..

وقد طبعت الإلياذة الإسلامية، فيما بعد، لتكون من حسناته الباقية، في أكثر من أربعمائة وخمسين صفحة.

وهكذا يصدق على محرم، قول الزهاوي من قصيدة له:

قلت للشاعر والشا
عر ذو سهم يطيش
أنت إذا عشت تمت
وإذا مت تعيش!

***

ومهما يكن من أمر، فإن الزهرة تتخذ رونق ألوانها من كف الربيع ووشيه، وتغيير وشاحه... والبلبل الغريد يصدح ملء لهاته متجاوبا مع إيقاع حركة الكون من حوله..

والشاعر بدوره يهتز وتتدفق شاعريته من مرائي الجلال من حوله، في إطار المثل العليا، ومعارج السمو، كما اتفق ذلك لشاعر الإسلام والعروبة أحمد محرم، الذي كان اسمه يقرن دائما، في حياته، باسم الشاعرين الكبيرين: شوقي وحافظ، كنظير وند لهما.. وقد كتب «الزيات» عنه، غداة رحيله: «فجع الشعر العربي في علم من أعلامه، الذين حفظوا وجوده، وأقاموا عموده، ومهدوا السبيل له في هذه النهضة: ذلك هو المغفور له الأستاذ أحمد محرم.. والناظر في تاريخ الشعر الحديث يراه في الرعيل الأول من الشعراء الأحياء، الذين خلفوا البارودي على إرث الشعر.»[10].

وصفوة القول، إن من يقرأ تراث أحمد محرم الشعري، في دواوينه المختلفة، وكان -بصفة خاصة- ذا تجربة شعرية ومعاناة فنية، فلابد له أن يدرك قدر ومدى توفيق أحمد محرم، في التعبير المواتي، عن أعمق وأصدق وأروع المعاني الإسلامية السامية- التي جعلتنا بحق وبنص الذكر الحكيم

﴿خير أمة أخرجت للناس﴾[11] ندعو إلى سبيل الله، بالحكمة والموعظة الحسنة.

رحم الله أحمد محرم رحمة واسعة.

---

(٨)، (٩)، المصدر السابق ص١٢-١٣

(١٠) انظر عدد مجلة الرسالة، الصادر في ٢٥ من يونية ١٩٤٥م.

(١١) سورة آل عمران/ ١١٠.

خميلة الشعر

للأستاذ:
محمد عبد الوهاب

يشرق علينا شهر ربيع الأول، حاملا فى طياته ذكرى ميلاد أعظم إنسان فى تاريخ الإنسانية كله، إنه المثل الرائع العظيم للإنسان الحق، فمن أراد أن يتصف بالإنسانية، عليه أن يتمثل ذلك الإنسان الحق، فى أخلاقه، وفى صفاته.

إنه محمد رسول الله - ﷺ - نبى البر والرحمة والدعوة الصادقة إلى الله -سبحانه وتعالى-.

وخميلة الشعر فى هذه المناسبة الوضيئة تقدم على شرف استقبال هذه المناسبة، زهرات شعرية ترفل فى أنداء الهدى والفضائل، مفعمة بالمعانى السامية، والمشاعر الفياضة الرقيقة، ونقدم منها فى مستهل ما نقدمه، قصيدة: (محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) للشاعر الأستاذ محمد على جمعة الشايب. ثم نتبعها بقصيدة: (فى ظلال السيرة النبوية) للشاعر الدكتور مبروك عطية أبو زيد، وبعدها نقدم قصيدة: (بيوت الله) للشاعر الدمياطى الأستاذ السيد الصديق حافظ، نختتم جولتنا المباركة بقصيدة: (خميلة الشعر) للشاعر الأستاذ محمد على عبد السميع.

اللهم هيىء لنا الخير واهدنا سبل الرشاد.

محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

للأستاذ / محمد علي جمعة الشايب

تقلّب في الأصلاب نوراً مقدساً •• ففاح له عطرٌ يبوح به الزّهرُ

فمن آدم قد سار في موج أعصر •• إلى عصر عبد الله يزهو به الدّهر

فنجوى، وأفراحٌ وهمسٌ بشائر •• تقول: تولّى الليلُ وانتصر الفجرُ

محمدٌ المختارُ أشرق عهدُهُ •• إلى النور يهدينا وطلعتهُ البدْرُ

ولما سرى نورٌ لأحمد في الورى •• وزلزل إيوانُ المجوس ولم يدرُوا

وخرّتْ به الشُّرفاتُ من فرط هيبة •• لأحمد مولوداً وفي مهده الخيرُ

وقد هزّت الأصنامَ رجفةُ خائف •• ولو يستطيعون الفرارَ إذنْ فرُّوا

وراحوا عن البيت الحرام أذلةً •• فوا أسفاً للصخر يعبُدُهُ صخرُ

•••

وتبدُو صحارَى الجدْبِ كالرّوْض بهجةً •• وأضحتْ بنورِ اللهِ ينفحُها العطرُ

كأنّ جناحاً للملائك ظلّها •• وأنسامه فيها السكينةُ والطُّهرُ

ومِنْ بيتِ عبد الله دقّتْ بشائرٌ •• ففي كلّ بيتٍ من بشائرها بِشْرُ

محمدٌ يا خيرَ الأنام ومنحةٌ •• من الله للأزمانِ مهما ارتقى العصْرُ

ستبقى أماناً للزمانِ إذا غوى •• وضلّ به الساعي ولم يدْرِ ما الأمرُ

ستُلقِي له طوق النجاة وحوله ** جبالٌ من الأمواج همستُها زأر
فشرعك شرعُ الله مرسًى لتائهٍ ** يُضيءُ منارات إذا عصف البحر
نهضتَ بدين الله فرداً مجاهداً ** يُحاصرك الإملاقُ واليُتم والكُفرُ
فحولت هذا اليُتمَ عزةَ مؤمنٍ ** برب الورى والناسُ من بعده ظهرُ
وإنْ يكُ إعسارٌ ألمَّ فإنما ** غِنى النفسِ أقوى من متاعٍ به وفرُ
وإنْ يكُ كفارٌ أطالوا عنادهم ** ففي الكُفرِ ذلُّ الضعف لم يُخفه سترُ
خرجتَ من الأزمات أبهى مُظفرٍ ** كما قد تهادى من محارته الدرُّ
فإنْ كُنت فرداً غدتَ بالدين أمةً ** إذا قدرتَ أمراً ففي وجهها النصرُ
وصارتْ لك الدنيا تسوقُ ثراءَها ** إلى الناسِ والكفانِ من ثروةٍ صفرُ
فلا المالُ ترجوهُ لجاهٍ وإنما ** ليَعلو دينُ الله ما مسه ضُرُ
وتلتحفُ الصحراءُ بالنورِ والهدى ** فلا ذنبُها وغدٌ ولا نشرُها مكرُ
يُهلُّ عليها الوحيُ نوراً مُنزلاً ** كما انهلَّ يُحيي ميتَ أرضٍ بها القطرُ
وتتلى من القرآنِ آيٌ تفجرتْ ** ينابيعَ إعجازٍ يذوبُ لها الصخرُ
تُظلُّ على المظلومِ واحةَ أمنهِ ** وتدفعُ عنه ظالماً سيفُه القهرُ
سواسيةٌ كالمشطِ أسنانُه استوتْ ** وما شذَّ منها لا يطولُ به العمرُ
فليتَ الذي يدعو (لعولمةٍ) يرى ** مبادىءَ للإسلامِ يزهو بها الفكرُ

في ظلال السيرة النبوية

للأستاذ الدكتور/ مبروك عطية أبو زيد

هتفت دموعُ الأرضِ لا تتكلم ... إلا بشكوى من غُلٍّ يظلم

إلا أنيناً من قلوبٍ قد قست ... في صدرِ مَنْ أمسى بعزّى يُقسم

حمل الفتاةَ بزينةٍ في مهدها ... كي يدفن الطهرَ الذى هو مُقدمُ

وثوى على صدرِ الصغيرةِ ضاحكاً ... فهوَ البهيمُ بخطيه يتبسّمُ

فأجابَ ربُّ العرشِ هذا المصطفى ... يهدى العبادَ بإذنه ويعلّمُ

فافترّ ثغرُ الأرض حين نزوله ... هدياً تجلّى من إله يرحمُ

لم تشكُ آمنةٌ صداعاً أمّها ... حملتْ رسولَ الله لا تتألمُ

فازت حليمةُ يوم كانت مرضعاً ... سعدتْ به فبكلِ خيرٍ تنعمُ

ما كان مثل صغارهم في نشأة ... فالله قد ربّاهُ وهو المنعمُ

يا سيدى أحييت كلَّ فضيلة ... حيث الفضائل في البرايا تكتم

ورفعتَ صرح العلم مُذ علمتها ... اقرأ محمد واسم ربك أكرمُ

وشهادةُ التوحيدِ كانت دوحةً ... جمعت أبا بكر وصحباً أسلموا

صاروا نجومَ الخيرِ بين هلالهم ... والنور يخشاهُ الضبابُ المعتمُ

وعلوتَ أفلاكَ الثُّريا ليلةً ... وقف الأمينُ وأنت من يتقدّمُ

وأتيتَ بالصلوات ذكراً دائماً ... وخشوعُ قلبك يا حبيبي أدومُ

ولقد وقفت بباب مكةَ باكياً ... يوم الرحيل وبدر مكة مظلمُ

لتئنَّ شوقاً من حنانك قائلاً ... يا خيرَ أرضِ الله أنتِ المَعْلَمُ

لكنّ قومك ظالمون بكفرهم ... لولاهمو ما غابَ عنك الملهَمُ

خضعتْ رقابُ الشركِ بعد عزوفها ... وتبسَّمتْ وهي التي تتجهمُ

وسعتْ وفودُ الأرضِ نحوكَ عن رضاً ... كنسائم الصيفِ التي تترنمُ

فقد استوى بالدين كل معوّجٍ ... بالضادِ قد نطق اللسانُ الأعجمُ

فلقد أتيت بذكر ربك آيةً ... والحق يعرفه اللبيبُ ويفهمُ

قرآنُ ربي قد تحدى أمةً ... ملكت زمام القول فيه تحكمُ

لم يأت أفصحهم بمثل نظامه ... وهو الأريب بكل فن ينظمُ

مَنْ ذا يحاكي البدر في عليائه ... ولو ارتقى أين السبيل السُّلَّم

أو مَنْ يكرر كل يومٍ جملةً ... فإذا به يحيا بها لا يسأمُ

في غير آيات الكتاب يرومُها ... ولو ادعى فهو الذي يتوهمُ

ونزلْتَ بالخلق العظيم مكانةً ... ما طاولتها في السماء الأنجمُ

قد كنت قرآناً تحرّكَ في الورى ... ولكل آيات الجمال تترجمُ

ولأنت أصدق من تفوّه ناطقاً ... وفعالك الصدق الذي يتكلمُ

دانتْ لك الدنيا فشئت كفافها ... فتبيتُ يَسْقيك الإلهُ ويطعمُ

خُيِّرْتَ فاخترتَ الرفيقَ جوارَهُ ... إنّ الحبيب مع الحبيب مُنعَّمُ

وتركت فينا سنّةً نحيا بها ... هي خيرُ هَدْيٍ يرتجيه المسلمُ

ولبابها التيسير زان جمالها ... إنّ العسار مكبّلٌ ومحطّمُ

هذي قرونُ الدهر تمضي بالهدى ... حاشا لدين الله يوماً يُهدمُ

ونوازلُ الأيام إنْ مرت بنا ... فهي امتحانٌ للنفوس يقوّمُ

حتى تعود صلابةً في بأسها ... لا يعتريها كافرٌ أو مجرمُ

والمسجد الأقصى يعود بأرضه ... والفوز بالرضوان ذاك المغنمُ

يا ربِّ صلِّ على رسولك كلما ... بصلاتنا صدحت مآذنُ تُعلمُ

يا ربِّ صلِّ عليه ما عبدٌ دعا ... وتلا كتابك طاهراً يسترحمُ

يا ربِّ صلِّ عليه دوماً كلما ... نامت عيونٌ واستراحت أعظمُ

بيوت الله

للأستاذ / السيد الصديق حافظ

بيوت الله فى الأرض المساجد — مصلى خاشع، ومقام عابدْ
ومنزل رحمة ومناط بر — ومرتاد المكارم والمحامدْ
تحلّ به ملائكةٌ كرام — وتنبذ كل شيطان ومارد
ضيوف الله أطهار تُقاةٌ — يؤلف بينهم نبل المقاصد
تلاقوا طائعين على يقين — وإيمان بأن الله واحدْ
توحّد جمعهم فهمو سواءٌ — كما انتظمتْ قوافيها القصائدْ
تراهم ركّعا خرّوا سجودا — لمنْ خلق الجداول والجلامدْ
وفيهم من بكي وشكا زمانا — تولى فى المناكر والمفاسدْ
وفيهم ضارع لله داعٍ — يؤمّلُ عونَهُ عند الشدائدْ
وفيهم فتيةٌ غُرٌ سِماحٌ — تضيءُ وجوهُهُمْ مثل الفراقدْ
هم الرحماء بينهمُ، تراهمْ — أشدّاءُ على الباغى المعاندْ
إذا سمعوا كتابَ الله يُتْلى — تناثرَ دمعهم نثر الفرائدْ
بيوت الله حصن الدين فيها — تراث نبوةٍ للمجد رائدْ
تربّى فى محاربها رجال — جهابذة وفرسان أماجدْ
أقاموا الدين والدنيا جميعا — وكانوا للعدالة خير شاهدْ
أراها قسمة ما بين داع — ومدعوّ إلى حقّ يجاهد
يعض بناجذيه على صحيح — ولا يبغى الجدال، ولا يعاند
ويغضى عن هنات قد يراها — فمن ذا وحده حاز المحامدْ

خميلة الشعر

للشاعر محمد على عبد السميع

لقد قرأت خميلة الشعر فى مجلة الأزهر فوجدتها تهدف لغاية نبيلة وتحقق رغبة كريمة فهى إذ تعرض نتاج الشعراء فى مكان واحد ليأخذ بعضه بحجز بعض، فإنما تعيد بذلك بعض ما كان فى سوق عكاظ فى سالف الأيام وغابر الأزمان. فقلت أحييها على ذلك النهج الكريم بما يلى:

حىّ الخميلة شادياً بثنائى ... وانثر زهور الروضة الغناء

وأذكر لها الأمجاد عالية الذرا ... وانسب جليل النهج للعظماء

وارفع لها بين الأماجد منزلا ... فلقد سمت للقمة الشماء

وتدرجت تبغى العلا فى همة ... ومضت تعيد مجادة الشعراء

فلها من الأفضال ما يشدو به ... جيل من الأدباء والفصحاء

ولمن يقوم منسقاً لأمورها ... منى الثناء معطر الأجواء

وله دعائى أن يظل موفقا ... ومحلقاً فى دارة الجوزاء

روائع من الماضي بمجلة الأزهر

من ذكريات الميلاد

لفضيلة الشيخ / عبد الحميد محمود المسلوت

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حين نتذكر ميلاد الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - ينبغي أن نستحضر سيرته لنتبعها، ومكارم أخلاقه لنقتدي به. فلقد ولد - ﷺ - والعرب أسرى خرافات وعبدة أوهام، يدينون بالأباطيل، ويتعلقون بالترهات، ويؤمنون بالخرافات، يأكل القوي الضعيف، ويظلم المبطل المحق، ويسود المفسد المصلح.

ولد - ﷺ - بين قوم التاث عليهم الأمر، واشتبهت أمامهم الحقائق، وأظلمت بهم الدنيا، فلا فضيلة جامعة، ولا عقيدة موحدة، ولا غاية مرموقة يدفعون عنها، ويرمون من ورائها إلى مجد يرجى أو عز يراد، وإنما هي عصبية جامحة يوقظها العناد والمكابرة، ويؤججها نار الحقد والمهاترة.

لقد كان بمولده - ﷺ - الضياء الساطع، الذي أنار الأنام وبدد الظلام، وقضى على العصبية الصماء.

ولهذا ينبغي علينا أن يكون الاحتفاء بذكرى مولده - عليه السلام - بما يناسبه من إجلال وتكريم، ومراجعة لأقواله وأفعاله، وأن نتخذ من القرآن إماما ومن سنته بيانا، ومن شرعته منهاجا.

ينبغي أن نقتدى به في سياسة الدين، وسياسة الدنيا، لنعرف كيف واجه الصعاب، وتغلب عليها، وكيف صابر وثابر، حتى بلغ رسالته، فتحول قومه من فرقة وتعصب وتفاخر بالأموال والأولاد إلى أمة واحدة تنتسب إلى الإسلام، وتؤمن به، وتقيم أوامره، وتجتنب ما نهى عنه، ولمزيد من الإيضاح قال الكاتب - رحمه الله - :

من الأحداث الكريمة ما يغير مجرى التاريخ الإنساني، ويبدل أوضاع الحياة، ويعدل سلوك الناس، وينقلهم من ضيق إلى سعة، ومن قلق إلى دعة، ومن حضيض إلى رفعة، ومن ذل إلى عزة، ومن فزع واضطراب إلى هدوء وأمن واستقرار.

ومن أنصع الحوادث التي مرت بالإنسانية، فغمرتها بالنور والسعادة، ونقلتها من الضلالة إلى الهداية، ومن الظلم والفجور إلى العدل والتقى، ومن حياة عابسة مضطربة مختلة الجوانب والأوضاع، إلى حياة باسمة هادئة ناصعة الحدود مشرقة المعالم؛ ميلاد الرسول الأكرم محمد بن عبدالله النبي الأمي الذي أرسله ربه إلى الناس كافة

﴿ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

لقد نشأ محمد – صلوات الله عليه – في بيت طاهر كريم كله صلاح وتقوى وعبادة وتدين، وكان يطلق على أهله: أهل الله، لأنهم جاوروا البيت الحرام وقاموا بأمره وأخذوا أنفسهم بخدمته، ومن هنا كانت لهم السلطة الروحية التي فرضت على الناس احترامهم ومحبتهم، وقذفت في النفوس تبجيلهم وهيبتهم، وجعلت أقدارهم فوق أقدار الناس، وكان عبدالمطلب جده يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيئات الأمور، وكان يقول دائماً: لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه وتصيبه عقوبة الله، إلى أن هلك ظالم غشوم من أهل الشام لم تصبه عقوبة، فقيل لعبدالمطلب في ذلك، فقال: والله إن وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

ولما ولد رسول الله سماه جده محمداً، وقيل له كيف سميته باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم.

ولقد تمثلت حياطة الله ورعايته لنبيه ومجتباه أتم تمثيل، فقد مات أبوه قبل أن يولد، فولد في كنف جده عبدالمطلب، هذا الرجل البر التقي الذي توسم فيه الخير وتنبأ له بالمجد والعظمة، وتوفي كافله عبدالمطلب وهو في الثامنة من عمره، فقام على كفالته وتربيته عمه أبوطالب، وانتقل من قلب عاطف رقيق إلى قلب عاطف رقيق، اتسع له بالحب والعطف والشفقة أكثر مما اتسع لأبنائه، فرعاه أحسن رعاية وحفظه أتم حفظ، فكان لا يأكل إلا معه ويخصه بأطيب الطعام، ولا ينام إلا إذا كان إلى جانبه ولا يسافر في تجارة إلا كان في صحبته وهكذا مما وعته صحائف التاريخ.

وأول عبرة نقتبسها من سيرته وسلوكه: الوفاء الحق الذي عز على الناس أن يأخذوا أنفسهم به وأن يردوا طباعهم إليه، فقد نشأ محمد يتيماً فقيراً، وكان لذلك أثره في نظر الناس له وإقبالهم عليه، فهذا اليتيم لابد له من مرضع تقوم بأمره وتتكفل بحضانته

---

(١) سورة الأعراف ١٥٧.

وتؤويه في باديتها، ليشتد جسمه، ويشب عوده، ويستقيم لسانه، ويتسع افقه، وتقوى طبيعته في جو البادية الفسيح.

اقبلت النساء على مكة يلتمسن الرضعاء في عام ممحل مجدب، وعرض عليهن الأطفال وفيهم محمد، فلا تكاد مرضع تراه حتى تنزوي عنه ولا تكاد رغبة تبدو فيه حتى تخمدها دوافع المادة ومطالب الحياة وإلحاح الحاجة، واخذت كل امراة وليداً توسمت فيه الخير ورجت من ورائه المنفعة، وبقيت امرأة فقيرة بائسة، أجهدتها الحاجة والح عليها العوز في سنة شهباء أكلت الأخضر واليابس وجففت الضرع واتلفت الزرع واعطبت الثمر، تلك هي حليمة السعدية، وبينما هي تتاهب للرحيل إذا بهاتف من أعماق نفسها يهيب بها ويستحثها أن يكون نصيبها هذا اليتيم الذي أجفلت عنه المراضع وفترت فيه رغبات النساء، فاستجابت لهذا الهاتف وعادت إلى اليتيم فاخذته وهي أشد ما تكون حاجة إلى وليد ميسور الحال كثير المال، ولكن ببركة هذا المولود ويمن طالعه لم يلبث أن انهال عليها الخير لبناً يدر من ثدييها، وحياة تدب في ضرع ناقتها الهزيلة المسنة التي جففها الجوع والكبر منذ امد طويل، فرضيت واستقرت ونعمت حياتها، ورأى الناس عليها مظاهر النعمة، فكانوا يعجبون لما أصابها من نعيم بعد بؤس، ورخاء بعد شدة، وفطنت هي كذلك لنعمة الله عليها بهذا الرضيع الأغر الميمون النقيبة، فكان اثيراً على نفسها حبيباً إلى قلبها محاطا بالإكرام والرعاية من زوجها وأبنائها، وكانت بنتها الشيماء تخرج به لتلاعبه وتنشد له الأناشيد المحببة.

وقد ارادت أمها ذات مرة أن تعنفها وتلومها على خروجها به في الحر الشديد، فقالت يا اماه: والله إن الشمس لا تصيبه أبداً، فقد رأيت غمامة تظلله، إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت، ومكث عند حليمة حتى تم فصاله وأرجع إلى أهله.

على أنه بعد ذلك لم ينس لحليمة ما قدمت إليه من إكرام، وما أسلفت له من رعاية، ولم ينس خدمتها وإخلاصها، فوفى لها اكرم الوفاء وكافا جميلها وذكر معروفها وبذل لها بما يملك ما قرت به عينها واطمانت نفسها.

فقد روى أنها وفدت عليه بعد أن تزوج خديجة، وشكت إليه الجدب والفقر والحاجة فاعطاها عشرين رأساً من الغنم وبكرات، وفي هذا انصع الدلالة على ما يكن في فؤاده من تقدير كريم وعرفان صادق. وكانت بنتها الشيماء من بين من أسر من بني هوازن بعد حصار الطائف، فلما جيء بها إليه رجع بذكرياته إلى الماضي البعيد وإلى عهد الطفولة السعيد وإلى الزمن الجميل الذي قضاه معها فاكرمها وأعادها إلى اهلها كما رغبت واحبت.

ذلك مثل كريم من أمثلة الوفاء النادر، يجب أن يتدبره الناس ويتهذبوا عليه في حياتهم ويتأسوا به في دنياهم، ويجب حين

تطوف بنا ذكرى مولد الرسول الأكرم أن نذكر أكرم صور الوفاء وأروع آيات الإخلاص، فإنه لايهيج الأحقاد ويورث نار العداوة بين الناس مثل كفران المعروف وإنكار الإحسان.

وهذه صورة أخرى من صور وفائه وإنابته، فإن أهل مكة كان قد أصابهم جدب شديد وحلت بهم ضائقة ماحقة، وكان عمه أبوطالب ذا عيال كثير فآذته تلك الضائقة وأرهقه ما أرهق الناس من شدة وضنك، فلما رأى محمد ما حل به وكان قادراً على أن يمد له يد العون والمساعدة لم يبخل ولم يتردد، فاتفق مع عمه العباس على أن يخففا عنه الحمل وينهضا معه بالعبء، فأخذ العباس جعفراً وأخذ محمد - ﷺ - علياً، وقام بأمره ومازال عنده حتى بعثه الله نبياً فكان أول صبي آمن به وصدقه.

والعبرة الثانية التي تشرق من تاريخه وتنبجس من حياته، الصبر على المكاره والثبات في الحق وصدق الجهاد في سبيل الله.

أوذي في نفسه وفي صحابته، فلم يلن عوده للخطب يرهقه، ولم يتزعزع ثباته للحدث المدلهم مهما برح الألم، وقال له عمه: ياابن أخي إنا لانستطيع حرب هؤلاء القوم ولا طاقة لنا بخلافهم، فاترك ما أنت فيه ولك ما تحب، فقال تلك الكلمة الخالدة التي وعاها سمع التاريخ: والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ماتركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.

فهذه السيرة العطرة وذلك التاريخ المشرق، يحفل دائماً بأروع الأمثلة في الصبر على الأحداث والثبات عند الخطوب وعدم الاحتفال للقوة الغاشمة مهما طغت واستبدت.

إنه يذهب إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الحق وإلى رب العالمين، فإذا بهم يقابلونه أبشع مقابلة ويحيونه أشنع تحية ويغرون به سفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى يدموا عقبيه ويجلس إلى جوار حائط متعباً مكدوداً، ثم يتجه إلى ربه قائلا: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي».

ويترك الرسول - ﷺ - مكة ويهاجر إلى يثرب فتظهر دعوته، وتنتشر كلمته، وتسري في الآفاق شريعته، ويداخل قريشاً الحقد والغيظ، ويدب في نفوس العتاة الجبابرة مالا يستطيعون دفعه من الكراهية والحسد، فيلتئم جمعهم ويجتمع شملهم وتتفق كلمتهم على أن يقوموا بعمل حاسم يقضي على الدعوة ويطمس ذلك التاريخ الحافل، وحالف قريشاً جميع القبائل الضاربة حولهم كما، حالفهم يهود المدينة والمنافقون منها، واختارت كل قبيلة أحسن رجالها وخير قادتها، وزهرة أبنائها، وخرجوا من

مكة وعدتهم اثنا عشر ألفاً على رأسهم أبوسفيان بن حرب، وفيهم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص.

هنا يتجلى إيمان محمد وحكمته وحسن تدبيره، يتجلى إيمان قائد يعوزه السلاح وتنقصه العدة فإن أتباعه عراة إلا من لباس التقوى، ضعفاء إلا من قوة الإيمان، مجردون إلا من سلاح الحق والثقة برب العالمين ورضا أحكم الحاكمين، استشار الرسول أصحابه.

فقال البعض : يارسول الله ما لنا بهم من طاقة، نعطيهم ثلث ثمار المدينة ليرجعوا عنها، وصاح سعد بن معاذ بكل قوته قائلا : يارسول الله لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا؟ والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

واستقر الرأى على عمل خندق حول المدينة، فأخذوا فى الحفر، وكان أبوبكر وعمر ينقلان التراب فى ثيابهما لأنهما لايجدان مكاتل، ورسول الله يأخذ المعول فيكسر الحجر الذى يعترضهم فى حفرهم، ثم أخذ الجيش القليل يحرس الثلم، ورسول الله يحرس ثلمته فى البرد القارس والجوع الشديد.

وفى هذا الوقت العصيب الشديد الذى يواجه فيه المسلمون قوة عاتية طاغية باطشة مجهزة بالخيل والنبل والسلاح وخيرة الفوارس، كان الرسول يطمئن المسلمين ويعدهم بالنصر ويقول : « والله لتفتحن الشام، ولتظهرن عليه ولا ينازعكم أحد، ولتفتحن اليمن، ولتفتحن هذا المشرق ».

ويزيد على ذلك فيرسل إلى أبى سفيان قائلا : « أما بعد فقديماً غرك بالله الغرور، ولقد ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، وذلك أمر يحول اللهُ بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لاتذكر اللات والعزى ».

ولقد حقق الله لنبيه وعده بالنصر، فأرسل على قريش وأحلافهم ريحاً قوية وعواصف شديدة، كفأت قدورهم وقلبت أخبيتهم وقلعت خيامهم، فانقلبوا راجعين من حيث أتوا.

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾(٢).

وهكذا كل ناحية من نواحى الرسول الأكرم تروع العالم بما فيها من جلال العبرة وسمو الموعظة، وحسن الأسوة.

صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحابته الأمجاد.

---

(٢) سورة الأحزاب ٢٥.

غسل اليدين

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

فى عصر باتت الجراثيم فيه أشد مقاومة للمضادات الحيوية، فإن غسل اليدين غسلاً جيداً أصبح عادة طبية، لكننا فى شهر المولد النبوى الشريف، نؤكد أن ديننا الحنيف ارتفع بالنظافة والطهارة من مجرد سلوك يومى معتاد، إلى عبادة يثاب عليها المسلم إن فعلها، ويبطل عمله إن تركها، يقول الرسول - ﷺ - «الطهور شطر الإيمان».

ونخص بالذكر هنا، غسل اليدين، الذى هو فرض من فرائض الوضوء، الذى يقوم به الإنسان المسلم على الأقل خمس مرات فى اليوم، وذلك؛ ليتمكن من أداء الصلوات الخمس على الوجه الأكمل.

كما لا يفوتنا التنويه بسنة تخليل الأصابع.

ولأهمية غسل اليدين، وأثره الفعال على الصحة العامة، نورد مشهداً، الصورة فيه أبلغ من الكلام، وأعمق أثراً من البيان. إنها صورة لأحد الأطباء، الذى يعمل جراحاً، بإحدى المشافى، وهو يستعد للقيام بعملية جراحية، تماماً، كما يستعد المصارع، الذى اعتاد حصد جوائز المصارعة، قبل دخوله حلبة المباراة المصيرية.

فها هو أولاً يضع إحدى قدميه على زر، يتحكم عن طريقه فى انسياب الصابون السائل، ثم ها هو يضرب بركبته ضربة خفيفة لمفتاح صنبور المياه، ثم يقوم بدلك يديه بالصابون، لمدة تزيد على الدقيقة، ثم يقوم بإزالة ذلك الصابون بخفة ورشاقة، عن كلتا يديه، وذلك باستخدام خطافين، أو قل فرشتين، على يمينه وشماله، وذلك تحت تيار متدفق من المياه، ولا تنتهى المسألة عند هذا الحد، بل إنه يتجه على الفور إلى أظافره، مصوباً نحوها فرشاة معقمة لأكثر من دقيقة أخرى، مستمراً فى غسل يديه بدأب، ومثابرة، باستخدام قطعة من الإسفنج المعقم.

ويظل يكرر تلك العملية من الغسل، والتنظيف إلى أن يسمع صوت دقات جرس، ساعته منهية دورة كاملة لغسل اليدين، دامت خمس دقائق، بلا انقطاع، إنها عملية مملة مضجرة. أليس كذلك؟ بلى: إنها كذلك إلى أن تضع فى اعتبارك أن حياة مريض الفتاق الراقد فى الحجرة المجاورة تعتمد اعتماداً كلياً على ذلك العمل الشديد الانضباط، الذى لا تمس فيه يد الطبيب المعالج شيئاً إلا جسم المريض.

أقول: لا تمس شيئاً، أى شىء، حتى ولو كان الزر الذى ينطلق عن طريقه الصابون، أو مفتاح صنبور المياه، أو حتى الفرش المستعملة، فى إزالة المنظف أو الإسفنجة المعقمة، وممارسات الحياة اليومية تثبت بما لا يدع مجالاً للشك ما لنظافة اليدين من تأثير أكيد على صحة الإنسان، خصوصاً ضد بكتيريا Staphylococcus Aureus والتى نشير إليها اختصاراً بالحرفين S.A وهى بكتيريا سريعة الانتقال، عبر تلامس الأيدى، والتى ثبتت عدواها الفتاكة، خصوصاً على صغار السن. ولقد أصبحت مجموعة من هذه البكتيريا شديدة المقاومة لأكثر المضادات شيوعاً، وهو Methicllin ومع هذا فإن غسل اليدين غسلاً جيداً ومنتظماً، كفيل بمحو ذلك الخطر.

كما تؤكد على غسل اليدين، الذى اعتبره الكثيرون أحد مخلفات الماضى، منخدعين بالنجاح الظاهرى لبعض المضادات، التى يرون أنها قد تقوم بتلك المهمة التى لا ينوب عنها شىءٌ أبداً. إذ ثبت أن نصف الحالات المصابة ببكتريا S.A عنيفةالمقاومة للمضادات الحيوية، وإذا وضعنا فى الحسبان ما يقوله علماء البشرة فإن الحالات، التى تم اكتشافها هى: ناقوس الخطر، الذى يقول لنا: إن أعظم النار من مستصغر الشرر.

وكما يقول أحد أساتذة الأمراض الجلدية، فى مراكز الوقاية، والسيطرة على الأمراض فى أطلنطا، فإنه فيما عدا الوقاية الناشئة، أو المحتملة عن قوة الجهاز المناعى للجسم، فإن غسل اليدين يعُد من أشد الإجراءات تأثيراً فى الوقاية من المرض، وهى عملية من السهل على كل إنسان أن يمارسها.

ولإشعار القارىء العزيز بالكم الضخم من البكتيريا التى يحملها نقدم له تجربة مثيرة نفذت منذ سبعين عاماً، فقد قام الطبيب «بريس» بوضع أربعة عشر حوضاً وعقمها، ثم قام بطلائها بالمينا، وهو طلاء خزفى ثمين، ثم قام بملئها بماء دافىء معقم، وغسل يديه بالصابون العادى، لمدة دقيقة فى كل حوض على حدة، ثم قام بعد ذلك بحساب عدد البكتيريا المترسبة فى الأحواض، فوجد أن عددها ٤,٥٨ مليوناً من البكتيريا وهو رقم مخيف بالطبع، كما أوضحت الدراسات الأحدث: أن العدو الحقيقى للبكتيريا باليد واحدة ارتفع إلى ٢٠٠ مليون، وتشمل -أيضاً- الفيروسات، والفطريات، إضافة إلى البكتيريا- وقانا الله- والكثير من هذه الكائنات الدقيقة مثل S.E, S.A وهى بكتيريا جلدية، تستوطن يد الإنسان، ويشبهها العلماء بالزريعة، أى المولدات لسائر ما بالجسم من أمراض، لكنها - أيضاً - قد تكون سبباً فى الوقاية من الأمراض، وذلك لمزاحمة بعضها البعض الآخر، ولتنافسها فيما بينها، لتحمى نفسها من الغزاة الجدد. وأخطر تلك المخلوقات وأسرعها زوالاً التى تظل قابعة جاثمة على صنابير المياه، ومناشف التعقيم والتطهير، فى استراحات المطارات، وعلى مقابض أبواب قطارات الأنفاق، وعلى سماعات هواتف الخدمة العامة بالشوارع، والأهم من ذلك ما يكون منها موجوداً بين أصبعى الإبهام والسبابة للشخص، الذى تقوم بمصافحته، خصوصاً بعد

تناول إحدى الوجبات الغذائية، والخير في الأمر (كما ترى) أنه من الصعب التمييز بين الضار والنافع، من تلك البكتيريا، فعلى سبيل المثال عندما قام العلماء بتلوين بكتيريا S.Aوتكبيرها مائة مرة، هي وبكتيريا S.Eوكلا النوعين يشبه عناقيد العنب، وجد أنهما خطيرتان لكن بعض البكتيريا سريع الزوال لا تسكن يد الإنسان، فموطنها الأصلي هو أمعاؤه. إنها البكتيريا المعوية، واسمها Coliceescherichiaوتعرف اختصارا بالحرفين E.C، ولما تم صبغها بلون قرمزي، بدت من أحد جوانبها، كحبات الأرز الطويل، وهي تسبب التسمم الغذائي، ولا يخيفها العيش خارج أمعاء الإنسان، طالما توافر لها الغذاء، فعلى سبيل المثال. عند تحويل بقايا اللحم البقري الملوث إلى همبورجر، يمكن أن يكون الجمرة المستعرة، التي توجد بها ١٠ ملايين بكتيريا مسببة للأمراض، كما أن أطراف الأصابع، وعقدها - التي جعل الرسول - ﷺ - غسلها سنة من سنن الفطرة - يمكن أن تكون مرفأ آمناً للبكتيريا، التي تظل قابعة بها أكثر من ساعة، لكنها ليست المخبأ المناسب لها بالطبع، ويقترح عليك الأطباء النظر إلى راحتي يديك مستخدماً مجهراً من طراز: (3D)بقوة تكبير تبلغ خمسين مرة، وعند هذا المستوى تبدو اليد مستعمرة اكتظت بكل ما نبتهل إلى الله، أن يقينا إياه، ويحمينا منه، كما أن كميات الشحم الرهيبة توفر مستقراً، أي مستقر (لفيروسات الأنفلونزا) ونزلات البرد، التي تظل منتظرة حتى يلامس الشخص بيديه الأغشية الدقيقة، داخل الأنف، والعينين، والفم، حيث تقوم هذه البكتيريا باختراق الخلايا، متبعة ذلك بالتوالد والتناسل إلى مالا نهاية.

ولربما كان من المفيد أن تعلم أن حوالي من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ غدة عرقية في كل (سم٢) من الجلد، تقوم بضخ البخار على راحتيك؛ لتروي الجيوش العطشى من البكتيريا، كما أن الغدد ذاتها تشبه مناجم الفحم الصغيرة، التي لكل منها عمود للتهوية، يمتد بعمق داخل الأدمة، وهي الطبقة الأولى للبشرة، وأكثر طبقات الجلد سمكاً، مكونة في النهاية ما يشبه مطعماً مستدير الشكل، تجمعت فيه كميات العرق الهائلة، لتمثل وجبة مشبعة للبكتيريا الجائعة، أما على أظهر الأيدي فإن الغدد الدهنية، وبويصلات الشعر، تكون جحوراً تسكنها البكتيريا، تشبه جحور الثعالب، فهي كثيرة الالتواءات والتعرجات. وأما أكثر المكامن أمناً، وأشدها اتساعاً، فتقع تحت الأظافر، فيما يطلق عليه الباحثون: (الفراغات فوق الظفرية)، وفي تشبيه يقرب هذه الأماكن؛ لأفهام البسطاء، يقول أحد علماء (الميكروبولوجي): إذا تصورنا يد الإنسان إحدى قارات الدنيا، فإن الفراغات فوق الظفرية تعتبر الكهوف داخل هذه القارة، ويضيف قائلا: إنها (التيه)؛ لأن ٩٥٪ من البكتيريا الموجودة بأيدينا تعيش تحت الأظافر، ويقدر العلماء المدة المناسبة لغسل اليد غسلاً جيداً بزمن لا يقل عن خمس دقائق، وربما ذلك تشدداً يقينا منه إسباغ الوضوء على المكاره، وحجة الباحثين

في ذلك: التشدد. هو التأكد من إزالة وتشتيت وتبديد وقتل كل تلك البكتيريا أو ٩٩٪ منها على الأقل، وهي عملية نادراً ما ينظر إليها بعين الرعاية، والاهتمام كل الناس، بل معظم الأطباء.

وفي دراسة أجريت منذ بضع سنوات قام الأطباء فيها، والممرضات، وذلك في أحد غرف الطوارئ، بغسل أيديهم في ثلث المدة المقرر أن يغسلوا فيها أيديهم بعد لمس أحد المرضى فلما اتبعوا ذلك باستعمال الماء والصابون في غسلها مرة ثانية وجدوا أن أيديهم لم تكن قد طهرت بعد، وغالباً ما لا يتمكن الكثيرون من تنظيف أيديهم بشكل جيد، كما ينطبق ذلك على ما لديهم من أظافر لا يقومون بتقليمها، كما أوصى بذلك رسول الله -ﷺ- في حديث (سنن الفطرة). كما يوصي المختصون بالعناية الشديدة بإصبع الإبهام وما براحات الأيدي، من: شقوق، وتجاويف، وزوايا، وأن تكون اليدان نظيفتين ظاهراً وباطناً.

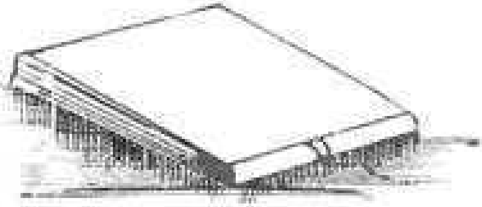
وإزاء كل تلك الأمور نرى أن الأمر يسير إن شاء الله، إذ عليك بالبدء بالصابون والماء الجاري، غير شديد السخونة. وهنا يؤكد العلماء على الصابون العادي -أيضاً- فيقولون: إن الصابون المضاد للأمراض الميكروبية غير ضروري، ولربما ساعدت بعض أنواعه البكتيريا على التكاثر وزادت قدرتها على مقاومة المضادات الحيوية، فما أن يمس الصابون الجلد حتى تبدأ جزر الشحم في التحلل مثيرة الفيروسات الهاجعة، والبكتيريا الحية. فعليك إذاً بالصابون العادي وابتعد قدر المستطاع عن الكيماويات. إذ أن بكتيريا: (E.C) والبكتيريا الحيوية الأخرى سريعة الزوال ستقع في شباك الماء المختلط بالصابون العادي، وذلك خلال الخمس ثوان الأولى من عملية الغسل، والسبب أن الصابون العادي يمزق الغلاف الخارجي لفيروس الأنفلونزا ويجعله ساكناً هامداً لا حراك له، كما تنزاح الفيروسات أشباه عناقيد العنب، وإن غسلت يديك بالطريقة العلمية الموصى بها، فستكون قد أزلت ٩٥٪ من الكائنات الدقيقة قبل أن يزول كل الصابون عن يديك.

ومهما طالت المدة، التي استغرقتها في غسل يديك، فإن الزريعة القديمة، ستعود للظهور من مخابئها، ومن الفراغات فوق الظفرية، والغدد العرقية، وبويصلات الشعر، وزوايا الجلد، وتنشر من جديد فواتكها، ومن ثم فعذراً لما قام به الطبيب الصيني في أول سطور هذا المقال، والشكر والتقدير لأمهاتنا اللاتي كن يأمرننا بغسل أيدينا، ويلححن في ذلك أشد الإلحاح، والتقدير والتكريم، والتفضيل والتوقير والتبجيل لمعلم الناس الخير: محمد رسول الله -ﷺ- الذي كان مولده مولداً للبشرية جمعاء، وارتقاء بها إلى معالي الأمور، والعادات الحميدة، التي تعود على المتمسكين بها بالنفع في الدنيا والآخرة.

عن أنس بن مالك قال: «ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله -ﷺ-».

وهداني الله وإياكم إلى اتباع السنة الشريفة.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

العقيدة الإسلامية للأطفال

إعداد
د. حسام العقاد
الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

● عزيزى القارىء : الكتابة للأطفال أحدّ من السيف المسنون؛ لأنها معلومة قوية، قد تقضي على أجيال، وقد تعمل على بناء أجيال، وتأسيسهم فى قوة وصلابة، وكما يقولون: التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر، فكاتب الأطفال تتوافر فيه بجانب الموهبة والثقافة الشاملة : الأمانة، والصدق، والإخلاص.

● والمؤلف فى هذا الكتاب له باع طويل فى هذا المجال، بأمانة وإخلاص وموهبة صادقة، له الكثير والكثير، واليوم نعيش معه من خلال مجموعة قصصية تشرح مسائل العقيدة، فى أسلوب مُيسّر، وهى سلسلة قصصية تربوية، تهدف من بين ماتهدف إلى عرض جوانب العقيدة الإسلامية، وتصحيح ما انحرف منها، عن جادة الصواب بصورة جميلة وسهلة، متخذةً من الأخطاء العقدية الشائعة - التى يقع فيها الناس - محوراً تدور الأحداث حوله، ومن خلال أسلوب الحوار الممتع، والمقنع يدرك الشخص الذى يمارس هذه الأخطاء مدى ماوقع فيه، فيعلن ندمه وتوبته.

وطرح المؤلف بأسلوب سهل حكايات جميلة، لعدة رسائل عن طريق عرض قصصى ممتع، منها:

● النصيحة الخاطئة، والوصية الغالية، وفضل الدعاء.

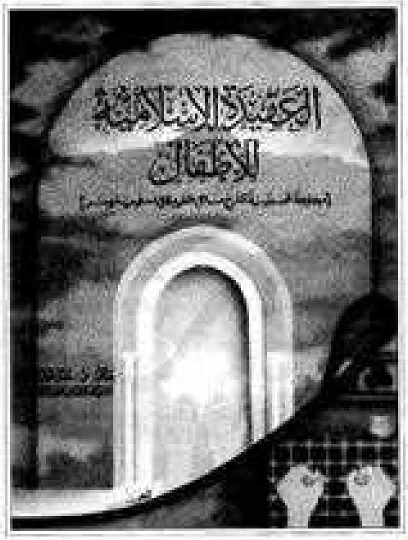
● أما الرسالة الثانية فهى عن الجن، وأدلة وجودها وعن القرين والدجال.. وعلم الغيب.

● أما الرسالة الثالثة فهى عبارة عن مجموعة قصص منها : مجلس العلم، والشرك الأصغر وشروط قبول التوبة، والذبح لغير الله.

● أما الرسالة الرابعة فكانت عن: التبرك، والحسد، والتطير.

● أما الرسالة الخامسة فهى عن: حلقات الذكر.

● أما الرسالة السادسة فكانت عن: الظلم العظيم، الشرك بالله.



● أما الرسالة السابعة فكانت عن: الشرك الخفى، والشفاعة، وأنواع الشفاعة، والتوكل على الله.

● أما الرسالة الثامنة فتحدث فيها المؤلف عن: السحر، وكل مايتصل به من قريب أو بعيد.

● ثم الرسالة الأخيرة وهى عن: رد القضاء والقدر، وعرض فى أسلوب قصصى جميل تحت عنوان: السفر إلى الخارج، ومجلس علم، وفى المستشفى، وعرض كريم، ومراتب القضاء والقدر.

● هكذا تناول المؤلف فى حكايات قصصية بسيطة وخفيفة ليقف منها كل فتى وفتاة على الأمور الخاطئة والعقائد المخالفة للشريعة، والمفاهيم التى لاتمت للدين الحنيف بصلة.



اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان

تأليف: د. كامل سعفان

الناشر: دار الفضيلة للنشر والتوزيع

إن هذه النوعية من الكتب تفضح عن الوجه الحقيقى لليهود، وتكشف عنهم قناع المكر والخديعة، ونقد العهود منذ عصور الأنبياء، حتى وقتنا هذا، بوسائلهم الذرائعية، المتسللة إلى مصادر القوة، وإلى معرفتهم مختلف السراديب، وحرصهم - حين يملكون -، على ابتزاز القادرين، وإبادة غير القادرين واتخاذ أحط الوسائل وأخبثها للوصول إلى الأهداف القريبة والبعيدة، من أجل تخريب كيانات الآخرين، والالتفاف من حولهم، حتى يتم تذليلهم، والاستيلاء على مقدراتهم وهم يتحصنون داخل مايسمى بالجيتو، وهو لفظ مأخوذ عن كلمة (Getto) وهو مسك كان فى البندقية، وكأن اليهود أرادوا أن يحدوه فى ذلك الحى من المدينة، الذى يتكفئون فيه على نفوسهم، يضمدون جراحهم، ويلملمون ما تبعثر منهم، ويكيدون للعالم كله، الذى وقف منهم، أو وقفوا منه موقف العداء.

● فى هذا الكتاب الخصب حديث المؤلف فى بدايته عن أبى الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - وموقفه من أهله، عبدة الأصنام والكواكب.

● ثم تحدث عن اليهود فى مصر القديمة، منذ عهد يعقوب - عليه السلام - حتى ١٩٤٨.

● وأشار إلى الهكسوس وهم ملوك الرعاة، وهجرة أول أسرة يهودية إلى مصر فى عهد الملك راسيس، وهو عزيز مصر. ويقول أحمد فخرى : إن الهكسوس هم العماليق، خرجوا من تهامة بأرض الحجاز، واستولوا على بلاد مابين النهرين، وأسسوا ملك بابل، وآشور، ونزلوا بسورية ومنها هبطوا إلى دلتا النيل.

كما تحدث المؤلف عن الحضارة العبرانية، حيث قال : إن العبرانيين كانوا لايكتسبون إلا هوامش من الحضارات؛ لأنهم كانوا لايقصدون المدن بل يقيمون على مقربة منها، ثم تحدث عن

التلمود، وماكان يحويه، وإهاناته للمسيحية، وتحريضه على الغش والخداع، ثم تحدث عن شعائر وأعياد اليهود.

● يقول المؤلف: كان لليهود خلال العصور الوسطى شريعة ولم تكن لهم دولة، كان لهم وجود، ولم يكن لهم وطن، ولقد عومل اليهود في ظل الدولة الإسلامية معاملة طيبة، وبخاصة في العراق ومصر.

● ثم تحدث عن اليهود وهم تحت وطأة اليونان، والرومان، ثم أشار إلي الخرافة قائلا: الخرافة هي أقدم العلوم الإنسانية، وأصدقها دلالة على مايعتمل في نفس المرء، ومايتطبع على حسه، ومايمزج بين واقعه وحسه.

● ثم عرض المؤلف موضوع الجيتو من حيث معناه وتنظيمه ثم الماسونية، ويقول فيها المؤلف: لقد انبثق الفكر الحاقد الناقم شديد الجشع عن بناء إسطوري وهمي أشبه بخيوط العنكبوت، تصطاد الحشرات والديدان من أجل إفناء الآخرين، بأيدي الزعماء وكبار رجال الأعمال والمثقفين، هذه هي الماسونية، تحت ستار العمل من أجل بناء العالم على أسس جديدة من التعاون الحر، وتبادل المنفعة.

● ثم تحدث عن امتداد اليهود في بقاع الأرض حتى وقتنا هذا.

● واستطرد الكاتب، فأشار إلي مقولة «رجينا الشريف»: مع عصر الإصلاح الديني تسرب الحلم الألفي الي أوساط الجماهير، واستمر هذا الحلم يستقطب أنصارا له في كل فترات التاريخ، التي تلت حركة الإصلاح الديني، إلى أن بلغت ذروتها في القرن العشرين.

● ثم يقول المؤلف: وتكمن أهمية حركة الإصلاح الديني في أنها مهدت الطريق للأفكار الصهيونية، وكون فلسطين وطنا لليهود.

● ووضح المؤلف دور الأدب في التعريف باليهود، حيث وصف الأدباء اليهود للوطن الذي يحلمون به، ومنهم كتاب روسو التعليمي (إميل) ١٧٦٢ (لن نعرف الدوافع الداخلية لليهود حتى تكون لهم دولتهم الحرة ومدارسهم وجامعاتهم).

● ثم تحدث عن الطريق إلي وعد بلفور، وروسيا، واليهود، ثم أشار المؤلف الي اليهود في البلاد العربية.

● وفي باب: «أرض بلا شعب» أشار المؤلف إلى القائمة التي أوردها (إسرائيل شاحاك) ١٩٧٥ عن ٣٨٥ قرية عربية دمرت بالبلدوزر من بين ٤٧٥ كانت تنعي من بناها سنة ١٩٤٨، وقد حُرف قانون (العودة) لصالح اليهود، فأي يهودي قادم من أي مكان يصبح مواطنا إسرائيليا بمجرد أن تطأ قدماه مطار تل أبيب، أما الفلسطيني المولود في فلسطين ومن أبوين فلسطينيين فيجوز اعتباره عديم الجنسية.

● هكذا عرض المؤلف هذا التاريخ الصهيوني وتأثيره منذ بداية تجمعهم، كأفراد، وحتى استعمارهم كجماعات، وسيطرتهم على الأراضي الفلسطينية، حتى انتهى بنا إلى هذا القول بأن الدنيا دول.

الصوائت والمعنى في العربية

تأليف: د. محمد داود

الناشر: دار المنار للنشر والتوزيع

كم هي شيقة وجميلة، والحديث عنها طويل ومفيد؛ لأنها أجمل لغة في الوجود، فهي لغة القرآن الكريم، واليوم ونحن نعيش مع هذا الكتاب الشائق الجديد في أسلوبه، والحديث في معناه، والسهل في عرضه، وبحثه، بل الغزير في علم العربية، وبخاصة مشتقاتها، التي لا تنتهي، فهي ممتدة وساطعة مادام كلام الله باقيا.

فالكلمات تتسيد وسائل التعبير عن المعاني المتزاحمة في أذهان البشر، فعن طريق الكلمات تعبر المعاني المستترة حاجز الخفاء، إلى عالم الظهور والعلانية، وهذا الكتاب يعبر عن دراسة دلالية لعنصر من عناصر التعبير عن المعنى في العربية، وهو عنصر الحركات (الصوائت) وذلك لمعالجة قضايا هامة في العربية، وهي مشكلة المتحدثين بالعربية، والكتاب المعاصرين كضبط عين المضارع، ومعالجة الخلاف حول الحركة الإعرابية، وإبراز دورها، وإبراز دور الحركة في التمييز بين البيئات المختلفة، والمستويات اللغوية المتنوعة، ثم تحديد مفهوم الحركة، وقد تناول الكتاب عدة مباحث: المبحث الأول: حول الحركات بين القدماء والمحدثين في ضوء الدرس اللغوي الحديث، كالأصوات الصامتة وأطلق عليها العرب مصطلح «الحروف الأصول» ومنها يتكون جذر الكلمة وعددها في العربية ثمانية وعشرون صوتا، يدخل فيها الواو غير المدة والياء غير المدة.

وفي ضوء علم اللغة الحديث حدث اتساع لمصطلح الحركات في العربية، وأصبحت الحركات في العربية، تصنف من حيث النوع إلى ثلاثة أنواع: الفتحة، الكسرة، والضمة، أما من حيث الزمن المستغرق لنطقها فهي ستة أنواع، بينها المؤلف.

● والمبحث الثاني فتحدث فيه المؤلف: عن دلالة الحركات الثابتة في بنية الكلمة، أما في المبحث الثالث فطرح العلامة الإعرابية من حيث أنواعها، ووظائفها وأشار - أيضا - إلى جداول الأفعال، وقائمة الأسماء المتشابهة، وطرح فيه عرضا موسعا لهذه الجداول والمتشابهات من حيث اختلاف المعنى، واتفاقه، أما من حيث الأسماء المتشابهة والتي يقع فيها الخلط بين معانيها عند المتحدثين فقد رتبها المؤلف ترتيبا هجائياً على حسب حروف الأصول لكل كلمة، دون مراعاة لموضع تغيير الحركة أو عدد هذه المواضع داخل الكلمة الواحدة، وقد نسقها المؤلف مجدولة ومرتبة وسهلة على القارىء في بيان موجز، واشتقاقات ميسرة، وموضحة توضيحاً فريداً في طريقة عرضه وبيانه.

وأخيراً عزيزي القارىء من خلال رحلتنا في هذا البحث الشائق عن العربية تبين لنا أهمية دور الحركة على المستويات (الصوتية، الصرفية، النحوية) كعنصر من عناصر التعبير عن المعنى في العربية، وبخاصة أن العربية لغة اشتقاقية تأخذ الحركة فيها دوراً في توليد الصيغ المختلفة، ومايتبع ذلك من تنوعات لوجوه المعنى الواحد، أو التباين بين المعاني المختلفة، وأظهر البحث نوعين من دلالة الحركات الثابتة في المستوى الصوتي كالدلالة اللغوية للحركة، والدلالة الاجتماعية للحركة.

أيضا ميز المؤلف بين دورين للحركة في توليد الصيغ المختلفة في العربية حتى انتهى بنا إلى معالجة الخلاف القائم حول دور الحركة الإعرابية من خلال المنهج الوصفي، ودراسة وظيفة الحركة على المستوى النحوي، فأبرز الوظيفة الصوتية للحركة لوصل الكلام بجوار الوظيفة الدلالية لها.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

نور الحق

كلما ازداد الظلام، آذن الفجر بالبزوغ، تلك حقيقة كونية أرادها الله -تعالى- مثالاً تطمئن إليه نفوس المؤمنين، ليعلموا أنه كلما اشتدت الأزمة، لاح في الأفق الفرج، تماماً كشروق الشمس بعد ليل بهيم طويل.

ولقد بلغ الظلام مداه يوم أراد أبرهة هدم الكعبة المشرفة بيت الله الحرام، ولم يكن لقريش -في ذلك الوقت- طاقة للقاء جيش أبرهة، مما دعا عبدالمطلب إلى اللجوء إلى الله -تعالى- طالباً منه أن يحمي بيته قائلاً:

يا رب لا أرجو لهم سواكا
يا رب فامنع منهم حماكا
إن عدو البيت من عاداكا
فامنعهم أن يخربوا قراكا

استجاب الله -تعالى- لدعاء عبده «عبدالمطلب»، وصرف أعداء الدين عن بيته الحرام، وأذن الله -تعالى- لشمس العدل أن تشرق، ولنور العدل أن يشتت الظلم وظلماته ويتلألأ حتى قيام الساعة فكان مولده -ﷺ- في ذلك العام، عام الفيل. وسيبقى نوره إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، اللهم أفض علينا من نوره المبارك، وأعد علينا وعلى الأمة الإسلامية مثل هذه الأيام المباركة بالخير واليمن والبركات .. آمين.

النبي محمد ﷺ

وحول هذه المناسبة الطيبة، واحتفاء بمولد الرسول الكريم .. وردت هذه الكلمة من القارئ: محمد أحمد بدير سرحان -من المحلة الكبرى- يقول:

● ولد الرسول -ﷺ- في عام الفيل يوم الإثنين، في الثاني عشر من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ من إبريل (نيسان) ٥٧٠م في مكة المكرمة وكانت نشأته في مضارب قبيلة بني سعد وكانت مرضعته حليمة السعدية بنت أبي ذؤيب السعدي.

● وأبوه هو عبدالله بن عبدالمطلب، مات قبل ولادة الرسول -ﷺ- بأشهر وكانت وفاته بالمدينة، وأمه هي آمنة بنت وهب، توفيت في طريق عودتها من المدينة بعد زيارة قبر زوجها عبدالله .. وكانت وفاتها في مكان يسمى بالأبواء بين مكة والمدينة وكان عمر الرسول -ﷺ- وقتها ست سنوات.

● لم يحمل اسم محمد قبل الرسول -ﷺ- في الجاهلية إلا سبعة.. منهم: محمد بن الجلاح، محمد بن سفيان بن مجاشع، محمد بن حمراء بن ربيعة، محمد بن سلمة الذي أدرك الإسلام واشترك في غزوة بدر.. أما الذي اختار الاسم للرسول -ﷺ- فهو جده عبدالمطلب.. ويروى أن ثلاثة من الذين حملوا هذا الاسم قبله أطلق عليهم آباؤهم اسم محمد لأنهم علموا ممن لهم صلة بمطالعة الكتب السابقة أن نبياً سيولد في زمانهم يسمى محمداً.. ويُروى - أيضاً - أن أم النبي -ﷺ- آمنة رأت في المنام من يقول لها: «إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا ولد قولي: أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وسمّيه محمداً».. وقد ذُكر اسم محمد في القرآن الكريم أربع مرات: مرة في الآية (١٤٤) من سورة [آل عمران] ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾..

ومرة في الآية (٤٠) من سورة [الأحزاب] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾..

ومرة في الآية (٢) من سورة [محمد] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾.

ومرة في الآية (٢٩) من سورة [الفتح] ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾.

أما اسم أحمد فقد ذكر في القرآن الكريم مرة واحدة فقط في الآية (٦) من سورة [الصف] ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾.

وقد روى مسلم بسنده عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم.. فأنا خيار من خيار».

المولد النبوي مولد الكرامة الإنسانية

ومن القارىء: حاتم إبراهيم محمد سلامة- منوف - وردت هذه الرسالة احتفاء بالذكرى الطاهرة- يقول:

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

وهكذا وصف القرآن نبينا -ﷺ- فهو لم يكن مجرد رسول، بل كان رحمة للعالمين.. رحمة في أخلاقه.. رحمة في الرسالة التي حمل لواءها، تلك الرسالة التي قلبت موازين الحياة الآثمة، وأحدثت بهذا العالم القاسي تحولاً كبيراً.

لقد كان العالم قبل مجيئه -ﷺ- أشبه بالغابة الموحشة التي يفترس القوي فيها الضعيف، ويطغى الكبير فيها على الصغير.

كانت المادة هي سمة ذلك العالم، بل الميزان الذي يوزن به الإنسان فتكون منه مكانته ومقامه.

فلا اعتبار للخلق والمروءة، ولا قيمة للفضيلة وكرامة الإنسان.

إنك إذا تأملت الحياة الاجتماعية قبل بعثة النبي -ﷺ- وقبل مولده الشريف. لرأيت كيف

كان الإنسان رخيصاً، بل رأيت أفدح من هذا وأكثر.. رأيت عالما بأركان متهاوية، فالظلم سماؤه والحقد شمسه، والقتل والفتك بالضعيف نسيمه وعبيره، والغدر والخداع ليله ونهاره.

بل كانت العصبية الجاهلة قانوناً ينخرط فيه ناسه، فكانت الحروب نتاجها والعداوات ثمرتها، وإنك لتعجب من هذه الحماقات المزرية، حينما ترى القبائل يتألب بعضها على بعض قتالاً وبطشاً، وظلماً وعدواناً لتوافه الأمور وحقيرها.

هذا هو مجتمع الجاهلية، الذي قدر لرسالة الإسلام أن تشق ظلامه بنورها وضيائها. فكانت رسالة إنقاذ، ودعوة للتحرر، حملت في طياتها ما تحتاج إليه البشرية من معاني الحرية والمساواة، والرفق بالضعيف، والرحمة بالبائسين والفقراء.

وكذلك كان الميلاد المبارك، مولد الأمل الإنساني، بل مولد الكرامة الإنسانية، كان مولده -ﷺ- فجراً جديداً، وتروي لنا السيرة أنه لما بُشر أبو لهب من جاريته بمولد ابن أخيه أعتقها كرامة للبُشرى التي أسعدته.

وفي عام مولده -ﷺ- فتكت طيور السماء بطاغية آثم حاول هدم بيت الله، فكان المولد الشريف بما صادف من مواقف النصر والحرية، بشرى للبائسين من هذا الزمان، والمعذبين في كل مكان.

لقد تميز -ﷺ- بالصدق والأمانة، حتى لقب بالصادق الأمين.

ولقد وقف عمه كالطود الشامخ يوم خطبه خديجة وقال: «إن هذا ابن أخي ما قورن بأحد إلا فاقه شرفاً ونبلاً، وفضلاً وخلقاً، وهو وإن كان في المال قل، فإن المال ظل زائل.. أمر حائل».

هذا هو محمد -ﷺ- الرحمة المهداة.

فما أحوجنا هذه الأيام ونحن نحتفل بذكرى مولده أن نتأسى به -ﷺ-.

أسماء بنت أبي بكر

ومن القارئة عبير محمد نصار - البحيرة- وردت هذه الكلمة عن السيدة أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- تقول فيها:

هي أسماء بنت عبدالله بن أبي قحافة الملقب «بأبي بكر» أمها قتيلة بنت عبدالعزى - ولدت -رضي الله عنها- قبل البعثة بحوالي ١٤ سنة.

أسلمت - رضي الله عنها - بعد إسلام أبيها - رضي الله عنه - وكانت من أوائل المسلمات.

تزوجت -رضي الله عنها- من الزبير بن العوام (ابن عمة النبي) والعوام أخو السيدة خديجة - رضي الله عنها-.

وأنجبت منه: عبدالله - عروة - المنذر - ومن البنات: خديجة.. تزوجها عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي - وأم الحسن.. تزوجها عبدالرحمن بن الحارث - وعائشة.. تزوجها الوليد بن عثمان بن عفان.

وكفاحها وصبرها مع زوجها صورة مشرقة ومشرفة فمن حديث مسلم -عن أسماء -رضي الله عنها- قالت: «تزوجني الزبير وماله من مال، ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه.. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى وأعلفه.. وأستقي الماء.. إلخ» [رواه مسلم برقم ٢١٨٢]

وتظهر رعايتها لزوجها أنه -رضي الله عنه- لم يتخلف عن غزوة قط، واشترك في الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر وعثمان.. فقد أتاحت له المناخ المناسب في البيت كي يتفرغ هو للجهاد.

ولقد تميزت -رضي الله عنها- برجاحة العقل وقوة الإيمان والشجاعة والصبر. ولذلك أطلعها أبوها على خبر هجرته مع الرسول - ﷺ - بل وكانت تُعرض نفسها للخطر حين كانت تذهب إليهما في غار ثور بالطعام والشراب.

فشقت نطاقها نصفين كي تحكم وضع الطعام والشراب وحينما رأى ذلك الرسول -ﷺ- لقبها بذات النطاقين وبشرها بالجنة» [صحيح البخاري - ٧ / ٣٣٢].

وهاجرت وهي حامل محتسبة ذلك في سبيل الله، فرزقها الله بمولودها الأول «عبدالله بن الزبير» أول مولود في المهاجرين، ليبطل مزاعم اليهود بأن المسلمين لن يولد لهم ولد.

وجاء في سير أعلام النبلاء (٢ / ٢٩٢) روى ابن سعد في الطبقات عن أسامة بن زيد عن محمد بن المنكدر، «كانت أسماء بنت أبى بكر سخية النفس».. وعلى الرغم من كل أعمال البر إلا أنها -رضي الله عنها- كانت تتهم نفسها وتستقل عملها.. روى ابن سعد في الطبقات الكبرى -أيضا-: (كانت أسماء تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول: «بذنبي وما يغفره الله أكثر» مصداقاً للآية ﴿ وَمَا أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى- ٣٠].

ولا ينسى لها التاريخ موقفها الشجاع عندما استشهد ابنها عبدالله بن الزبير وأبى الحجاج إلا أن يصلب جثمانه، فقالت أسماء للحجاج في لهجة قوية: «أما آن لهذا الفارس أن يترجل».

توفيت - رضي الله عنها - بعد أيام من دفن ابنها عبدالله.

رحم الله أسماء بنت أبي بكر، بنتاً وزوجة وأما ومجاهدة وصابرة.

ذو القرنين (الخبير المؤمن)

ومن القارئ الدكتور أحمد شوقي عرفة -مصر الجديدة- وردت هذه الكلمة عن «ذى القرنين» يقول فيها:

- ذكر القرآن الكريم في سورة الكهف عن ذى القرنين أشياء تدعو إلى التأمل، لاستخلاص الدروس والعبر. لقد آتاه الله - سبحانه وتعالى - الملك العظيم والسلطان، وزوده بكل ما يفيد وينفع من أسباب العلم والقدرة وحسن التصرف. وفي رحلته إلى منطقة بين السدين العظيمين وجد قوما جاهلين لا يكادون يفقهون قولا؛ بسبب عزلتهم وانقطاعهم عن العالم. وكان قوم يأجوج ومأجوج المتوحشون المفسدون يغيرون عليهم في كل عام، فيوسعونهم قتلا وأسرا وسلبا لحيواناتهم ومتاعهم لا يستطيعون لهم دفعا ولا يملكون عدة تفيدهم لمحاربتهم والتغلب عليهم، بل إنهم كانوا ينتظرون مصيرهم البائس مستسلمين بدون أدنى مقاومة أو محاولة لتغيير واقعهم المظلم. لذلك لما جاءهم ذو القرنين فإنهم طلبوا منه أن يبنى لهم سدا يحميهم من غارات القوم المفسدين قوم يأجوج ومأجوج على أن يعطوه خرجا -أي أجراً- فقال لهم: ما عند الله خير مما تريدون أن تقدموه لي. لقد رفض أخذ الجعل آملا في المثوبة من الله - عز وجل - وطلب منهم أن يعينوه بقوة بالرجال والدواب؛ فلا بد أن يعمل طالب العون مع من يقدم المعونة حتى يتعلموا منه وأن يتدربوا على عمل ما كانوا يجهلونه مما قد يفيدهم في قابل

حياتهم. ولا بد أن ذا القرنين بإدارته الحكيمة وعلمه المجدي قد نظمهم وقسمهم فرقا وخص كل فريق بعمل معين ينفذونه بسرعة وقوة وإتقان حتى ينتهي العمل قبل موعد قدوم القوم المفسدين. فهذا يقطع الصخور، وذاك ينقلها على الدواب وذلك ينقل الرمال والتراب اللازمين للردم وهو الحاجز أو السد. وفريق يبحث عن الحديد وآخر يبحث عن النحاس وآخرون يجمعون الحطب والأخشاب، وغيرهم يقومون على خدمة العاملين بإحضار الطعام والشراب لهم وللدواب. وقد قاموا بعمل السد تحت إشراف ذي القرنين وتوجيهه.

حتى إذا ارتفع وتساوى من جانبي الجبلين وضع قطع الحديد التي جمعوها على السد، وأمرهم أن ينفخوا فيه بالمنافيخ ـ وهي آلات مثل كير الحدادين ـ حتى إذا صار الحديد لينا وسائلا وصار متوهجا كالنار، صب النحاس المسال على الحديد، فتكونت سبيكة قوية صلبة لا يمكن نقبها ـ أي إحداث ثقوب في السد ـ وكانت ملساء لا يمكن للمفسدين من قوم يأجوج ومأجوج أن يتسوروه. وما أن انتهى من بناء السد وعاين قوته وصلابته وعدم إمكان تسلقه وأنه خير دفاع عن القوم وأمانا لهم من غارات يأجوج ومأجوج. قال:

﴿ **قال هذا رحمة من ربي** ﴾ أي أن هذا السد نعمة من الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده.. أليست هذه من صور الهندسة الإنشائية في عهدها الأول؟

نستخلص من هذه القصة دروسا وعبرا.

من هذه الدروس والعبر أن العلم لازم وضروري للأفراد والأمم وبدونه يكون الناس كالسائمة والدواب يتنازعهم الأقوياء، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا يملكون دفع الضر عن أنفسهم، وأن العلم يجب أن يسخر للخير وفائدة الناس، وأن من آتاه الله علما يجب ألا يغتر به وألا يتعالى به على غيره ويسخره لفائدته الشخصية، وألا يسخره في الشر كما فعل قارون الذي آتاه الله المال الوفير فكان من الفرحين وبطر بنعمة الله عليه ولم يعط من أمواله شيئا للفقراء والمساكين ولم يشكر الله على ما آتاه بل إنه كان من المتكبرين، ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض** ﴾. أما ذو القرنين فإنه يعلم نعمة الله وفضله عليه فقد عمل في السد بدون أن يأخذ الجعل الذي عرضه القوم عليه، ﴿ **قال ما مكني فيه ربي خير** ﴾. في هذا المقام نهيب بأثرياء الأمة الإسلامية أن يبذلوا مما أفاء الله عليهم بسخاء، وهناك مصارف عديدة لهذا البذل، فمثلا إنشاء المستشفيات والمدارس والملاجيء بل وإنشاء المصانع.. كل هذا وغيره لفائدة الفقراء مما يعود على البلد بالفائدة.

لقد تبرعت أميرة في أوائل القرن الماضي لإنشاء أول جامعة في مصر، كما تبرع رجل يوناني في الأسكندرية بحديقة غناء واسعة يقدر ثمنها الآن بملايين الجنيهات، وكان اسمه انطونيادس كما تبرع آخرون بمنشآت أخرى.. كما يمكن وقف بعض الأطيان أو الأوراق المالية لإدارة ما تبرعوا لإنشائه حتى يضمنوا استمرارها.

وعلى الحكومات والأفراد طلب الاستشارة والخبرة من المستشارين المعروف عنهم التقوى والصلاح والورع ليضمنوا النصيحة الصائبة والفائدة.

أكثر الله من أمثال الخبير المؤمن «ذي القرنين».

الخجل عند الأطفال

أما القارىء / محمد عباس محمد عرابى، فيبحث عن حل لمشكلة: «الخجل عند الأطفال» فيقول:

إن بعض الآباء يقعون فى خطأ إصدار الأوامر الصارمة إلى الأبناء، فيأمرون - مثلاً - الطفل الخجول بالا يخجل وان يكون مقداماً جريئاً، إنهم يتصورون ان الابن يمكن ان يكون فى يدهم آلة طيعة لتنفيذ الاوامر..

ولكن بعض الآباء قد يعثرون على الطريق الصحيح ويشجعون ابنهم الخجول ويرعونه رعاية سليمة فينجحون فى بناء شخصيته، فما الذى يفعلونه؟! وكيف نشجع الطفل الخجول؟!

إن الطفل الخجول فى الواقع طفل مسكين وبائس يعانى من عدم القدرة على الأخذ والعطاء مع اقرانه فى المدرسة وفى المجتمع، وبذلك يشعر بالنقص بالمقارنة بغيره من الأطفال، ولعل من المزعج اعراض الانزواء وأحلام اليقظة، ذلك لان المنزوى الذى يعانى من أحلام اليقظة يعيش منطويا على نفسه يجتر وساوسه وهواجسه، وبذلك تجده حساسا، قلقا، يعانى من عدم الثقة فى النفس، ومن آلام الوحدة وتوقع الخطر، ومن الخوف من نقد الغير له.

ولعل أهم أضرار الخجل، أن الطفل الخجول لا يندمج فى الحياة فلا يتعلم من تجاربها ذلك لأنه يمتنع عن الاشتراك مع اقرانه فى نشاطهم، ولذلك يكون محدود الخبرات لدرجة قد يصبح معها عالة على نفسه وعالة على مجتمعه؛ لبُعده عن الغير وانطوائه على نفسه.

والسؤال: كيف نعالج الطفل الخجول؟

لكى نعالج طفلا خجولاً يجب ان ندرك أولا انه حساس حساسية مفرطة، وفى أمس الحاجة لان نعيد إليه ثقته فى نفسه وذلك عن طريق تصحيح فكرته عن نفسه، وعن الغير، وعلى قبول بعض النقائص التى قد يعانى منها، على أساس الواقع، كما يجب ان ندرك ان الطفل الخجول فى حاجة ماسة إلى تنمية شخصيته، وتكوين قدرات التفاعل مع الغير، ولكى نحقق ذلك يجب اتباع الخطوات الآتية:

أولاً: يجب أن يشعر الطفل الخجول بحبك وقبولك له، ولذلك يجب ان تتعرف عليه جيداً وتفهمه فهما عميقاً.

ثانياً: يجب تهيئة الجو الآمن الودى عن طريق الألفة والطمأنينة مع الكبار الذين يعيش الطفل معهم.

ثالثاً: عدم دفع الطفل للقيام باعمال تفوق قدراته.

رابعاً: يجب تدريب الطفل الخجول على الأخذ والعطاء وتكوين الصداقات مع أقرانه من الأطفال.

خامساً: التربية الاستقلالية وعدم تدليل الطفل خير وسيلة للوقاية والعلاج من الخجل.

وفى ضوء هذه الأساليب، يمكن تخفيف حدة الخجل شيئا فشيئا عند الطفل الخجول، ويمكن اكتشاف مزاياه ونقط القوة فى قدراته، وتنمية شخصيته فى جو من الدفء العاطفى والأمن والطمأنينة، حتى تتحول نظرة الطفل من ان الناس يتحرون حركاته وسكناته، إلى الاندماج معهم والشعور بأنه فرد منهم.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

الإمام الأكبر يتسلم جائزة الملك فيصل العالمية الممنوحة للأزهر الشريف

قام فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، بزيارة للمملكة العربية السعودية وذلك لأداء مناسك العمرة، ولحضور الاحتفال الذى أقامته «مؤسسة جائزة الملك فيصل العالمية» حيث تسلم فضيلته جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام والتى منحتها المؤسسة للأزهر الشريف هذا العام - ولأول مرة تمنح لمؤسسة - حيث كانت تمنح قبل ذلك للأفراد.

والجائزة عبارة عن براءة مكتوبة باسم الأزهر الشريف تحتوى على أسباب حصوله على الجائزة بالإضافة إلى ميدالية ذهبية، وجائزة مالية قدرها ٧٥٠ ألف ريال سعودى.

وقد تسلم فضيلته الجائزة فى احتفالية كبرى وإشادة بالأزهر الشريف ودوره البارز فى خدمة الإسلام والمسلمين، وقد ألقى فضيلته كلمة أوضح فيها أن «مؤسسة الملك فيصل الخيرية» عندما تكرم كل عام صفوة من العلماء الذين قدموا للإنسانية العلم النافع تكون قد سنت سنة حسنة لأصحابها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لأن تكريم العلم النافع والعلماء الأخيار قد مدحته الشريعة الإسلامية.

والأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية قد أقامت موازينها فى منح الجوائز على الأسس التى جاءت بها شريعة الإسلام والتى من أهمها: إعطاء الجائزة فى كل فرع من فروعها لكل من يستحقها نظير ما قدمه من جهد بارز أمين فى خدمة الحق والخير والفضائل بصرف النظر عن عقيدته أو لونه أو نسبه، محققة بذلك ما تدعو إليه شريعة الإسلام من نبذ العصبية البغيضة والعنصرية المقيتة التى ما وجدت فى شىء إلا أفسدته.

وقد حصل على جوائزها النفيسة منذ منحها لأول مرة (١٣٩) عالما مائة وتسعة وثلاثون عالماً من خمس وثلاثين دولة بعضها فى الشرق، وبعضها فى الغرب، وبعضها فى الشمال، وأخرى فى الجنوب.

وقال فضيلته إن مؤسسة الملك فيصل الخيرية هى واحدة من المؤسسات الكبرى التى هى قطعة من المملكة العربية السعودية قد أقامت أعظم الأدلة وأوضح البراهين على أن المملكة العربية السعودية دولة

على رأس الدول التي تكرم الإنسان وتعطيه حقوقه كاملة غير منقوصة سواء أكان مسلماً أم غير مسلم.

تعطيه حقوقه التي تتعلق بعقيدته وبذاته وبعقله وبماله وبحريته في التعبير وبكرامته الإنسانية التي تصونها من أي عدوان عليها وذلك بتطبيق شريعة الإسلام التي تأمر أتباعها من بين ما تأمرهم به بالعدل في الأقوال: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[1] وبالعدل في الأحكام: ﴿ إِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾[2] وبالعدل في الشهادة ﴿ وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ﴾[3] وبالعدل مع العدو ... إلخ.

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[4]

ولقد قالوا في الحكم: «لا ملك إلا بالرجال ولا رجال إلا بالمال ولا مال إلا بالتعمير ولا تعمير إلا بالعدل فالعدل أساس الملك».

والأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام قالت عنه لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام: إنه كان ومازال مأوى لآلاف الطلاب للتعليم الديني، وإن له دوراً كبيراً في حفظ التراث العربي الإسلامي.

والأزهر الشريف الذي حصل على جائزة خدمة الإسلام لهذا العام ليتقدم إلى مؤسسة الملك فيصل الخيرية ذات المنزلة الرفيعة، بأصدق ألوان الشكر وبأخلص عبارات الامتنان، داعياً المولى عز وجل أن يديم على المملكة العربية السعودية، ملكاً وحكومة وشعباً، وعلى شقيقاتها وعلى العالم أجمع نعمة السلام والأمان والرخاء والاطمئنان، وأعرب فضيلته عن تأثره بالحفاوة التي قوبل بها من جانب خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وولي عهده الأمير عبدالله، والأمير سلطان وزير الدفاع وكافة الأوساط الرسمية والعربية والعلمية.

نص البراءة

بسم الله الرحمن الرحيم

براءة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

إن هيئة جائزة الملك فيصل العالمية بعد الاطلاع على نظام جائزة الملك فيصل العالمية المعدل والمصادق عليه من مجلس أمناء مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالقرار رقم ٢٣/١١١٧/٤٠٣ وتاريخ ١١/٩/١٤٠٣هـ وعلى محضر لجنة الاختيار لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في دورتها الثالثة والعشرين بتاريخ ١٠ من رمضان ١٤٢٠ هـ الموافق ١٨ ديسمبر ١٩٩٩ تقرر منح الأزهر الشريف جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام لهذا العام (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، وذلك للخدمات الجليلة التي قدمها للعالم الإسلامي، ومنها أنه قام -ومازال يقوم- عبر جامعته وفروعها ومعاهده داخل مصر وخارجها بجهود عظيمة في سبيل نشر الإسلام وتعليم أحكامه ونشر اللغة العربية وإنه كان -ومازال- مأوى آلاف الطلاب للتعليم الديني، إضافة إلى دوره الكبير في حفظ التراث العربي الإسلامي، ومقاومته محاولات التغريب، ومساهمته في تعميق الأصالة الإسلامية والعربية.

وإن هيئة الجائزة إذ تمنحه هذه البراءة لترجو الله أن تزداد جهوده الخيرة لخدمة الإسلام والمسلمين عمقاً وثراءً.

والله ولي التوفيق

صدرت في الرياض برقم ١٣٣ وتاريخ ١٠/٢/١٤٢١هـ الموافق ٢٤/٥/٢٠٠٠م

رئيس هيئة الجائزة

خالد الفيصل بن عبدالعزيز

---

(١) سورة الأنعام/١٥٢. (٢) سورة النساء/ ٥٨. (٣) سورة الطلاق/ ٢. (٤) سورة المائدة/ ٨.

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمشيخة الأزهر الشريف، الفريق أول سمو الشيخ / محمد بن راشد آل مكتوم ولى عهد دبى وزير دفاع دولة الإمارات العربية المتحدة والوفد المرافق لسموه في ١٩ من المحرم سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٤ / ٤ / ٢٠٠٠م، رحب فضيلته بسمو الأمير والوفد المرافق له في الأزهر الشريف شارحا المراحل التعليمية في الأزهر الشريف منذ الحضانة من سن الرابعة مروراً بالمرحلة الابتدائية، ومدة الدراسة بها ست سنوات، والمرحلة الإعدادية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات والمرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات والمرحلة الجامعية، وأكد على أن حفظ القرآن الكريم هو الذى يميز الطالب الأزهرى عن غيره، وأنه ليس بأزهرى من لا يحفظ القرآن الكريم، كما أوضح فضيلته أن امتحان القرآن الكريم توضع له درجات على المقرر السابق وتوضع درجات على المقرر الحالى بحيث ينتهى الطالب من دراسته وهو حافظ للقرآن الكريم حفظا جيدا، وقال فضيلته: إن الأزهر يقوم بعمل مسابقة في حفظ القرآن الكريم كل عام يشترك فيها جميع الطلبة بجميع المستويات ويتم توزيع مبالغ مالية ضخمة كجوائز للطلبة الفائزين في الحفظ، كما يتم التحديث في دراسة المواد المختلفة ليكون الطالب مواكباً للتطور وملما بالمناهج العلمية الحديثة وذلك كله لخدمة الدين الإسلامى الحنيف، ويسخر العلم لخدمة الفضائل والحق والعدل، ويصان المجتمع من الإرهاب والتطرف.

وأضاف فضيلته بأن مصر رئيسا وحكومة وشعباً تتقدم بخالص الشكر والتقدير لسمو الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة لرعايته لحفظة القرآن الكريم في مصر، وباقى البلاد العربية والإسلامية.

وأعرب فضيلته عن سعادته بتلك الزيارة الكريمة، داعياً المولى -عز وجل- أن يديم على مصر ودولة الإمارات المتحدة نعمة السلام والأمان والاطمئنان، وعلى سائر البلاد العربية والإسلامية.

شكر الضيف فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر على حسن الحفاوة والاستقبال ونقل تحيات سمو الشيخ زايد رئيس دولة الإمارات لفضيلته ولمصر رئيسا وحكومة وشعبا، معرباً عن سماحة الإسلام وأن جائزة دبى لحفظ القرآن الكريم سيتم زيادة المبالغ المرصودة لها للجوائز، ونحن نتبناها لخدمة حفظة القرآن

منذ الطفولة، ونحمد الله على أنها فى تزايد كل عام، وقد شملت الجائزة المسجونين فمن يحفظ القرآن الكريم كاملاً يتم العفو عنه فوراً، لأن فى حفظ القرآن الكريم حماية وصوناً للنفس البشرية وعصمة لها من الوقوع فى المعصية، وأبدى رغبة سموه فى إمداد طلبة الأزهر بأجهزة كمبيوتر حديثة.

ثم قدم فضيلة الإمام الأكبر لسمو الأمير والوفد المرافق تفسير القرآن الكريم.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر والشيخ عمر البسطويسى المدير العام للعلاقات والإعلام.

●●●

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ محمد صالح نور -وزير خارجية الصومال- والسيد/ أحمد يوسف وزير التعليم والسيد/ صلاح حليمة سفير مصر فى الصومال وذلك فى ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢/٥/٢٠٠٠م

رحب فضيلته بالسادة الضيوف موضحاً أن الأزهر من خلال بعثاته وعلمائه يمد يد العون لجميع الدول الإسلامية وخاصة دولة الصومال، لأن تواجد الأزهر فى الصومال منذ القدم وأول بعثات الأزهر كانت للصومال.

شكر السادة الضيوف فضيلته على حسن الاستقبال معربين عن حاجة الصومال للأزهر من أئمة ودعاة ومدرسين وكتب ومناهج والمصحف الشريف، كذا إقامة قسم للغة العربية بجامعة (بيسا) يتولاه علماء الأزهر، كذا افتتاح معهد (برعو) الابتدائى الإعدادى الثانوى تمهيدا لالتحاقهم بالأزهر، كما طالبوا ببعثة أزهرية للوعظ والإرشاد.

كما أبدى الوفد رغبته فى إدخال التعليم الدينى كمادة أساسية للكليات.

وقد وعد فضيلة شيخ الأزهر بدراسة كافة احتياجاتهم تمهيدا لتلبيتها فى القريب العاجل. حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى مدير عام العلاقات العامة والإعلام.

● كما استقبل فضيلته السيد/ عبدالعزيز عبدالله زاهر النهائى سفير سلطنة عمان بالقاهرة يرافقه السيد المستشار/ أفلح بن سليمان الطائى القائم بأعمال السفارة.

رحب فضيلته بالضيف داعيا المولى -عز وجل- أن يديم على البلدين نعمة السلام والأمان والرخاء والاستقرار، وقد أعرب السيد السفير عن سعادته البالغة لوجوده فى الأزهر الشريف، ذلك الصرح التنويرى الكبير الذى يتولى إظهار صورة الإسلام المشرقة والصحيحة للعالم أجمع، وأشار إلى أنه جاء للأزهر الشريف كأول زيارة له بعد تقديم أوراق اعتماده كسفير لبلاده بالقاهرة، تعبيراً عن مكانة الأزهر الشريف ومصر العظيمة لدى أبناء السلطنة، ولفضلهما على السلطنة من نهضة علمية فى كافة المجالات.

حضر اللقاء المدير العام للعلاقات العامة والاعلام.

●●●

● استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ١٨ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٠م وفد مجموعة أصدقاء مصر بمجلس العموم البريطانى برئاسة السيد / كين برشاس يرافقه اثنا عشر عضوا، وتأتى تلك الزيارة ضمن زيارتهم « لجمهورية مصر العربية » بدعوة من « مجلس الشعب » ويرافق الوفد الدكتور / محمد عبداللاه رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشعب، رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف شارحا الدور الذى يقوم به الأزهر الشريف فى إظهار الصورة الصحيحة للأديان السماوية، وأوضح أن الدين الإسلامى الحنيف أكد على أن الله أوجدنا على هذه الأرض لكى يعمر الكون ولكى نتعارف ونتآلف والقرآن الكريم يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾(١)

كما أوضح أن الشريعة الإسلامية تقوم على أسس ثابتة من أن الناس جميعا من أب وأم واحدة، وفى هذا الزمن الذى أصبح فيه العالم كقرية صغيرة أصبح لزاما على البشر أن يتعارفوا ويتبادلوا المنافع التى أحلها الله ـ تعالى ـ لخير البشرية والإنسان، ومن المبادىء الهامة فى الإسلام نصرة المظلوم، وإعطاء كل ذى حق حقه، والقاعدة العامة أنه لا إكراه فى الدين ولا إكراه على العقائد لأن العقائد لا تباع ولا تشترى، مؤكدا على أننا فى مصر مسلمين ومسيحيين نعيش منذ أكثر من ألف سنة على أرض واحدة وتحت سماء واحدة ونشرب من نيل مصر العظيم وتجمعنا مصالح مشتركة وبيوتنا وحقولنا متجاورة، ونتساوى جميعاً فى الحقوق والواجبات وأن لكل عقيدته.

ودائما أقول: إن الناس ليسوا بملائكة فهم يصيبون ويخطئون ولكننا على المستوى العام كدولة نتساوى فى الحقوق والواجبات، وأوضح فضيلته أنه قد زار المملكة المتحدة والتقى بالأمير تشارلز وبرئيس الوزراء، كما زار الأمير الأزهر الشريف. وقال فضيلته: انه تربطه صداقة مع الدكتور/ كارى رئيس الكنيسة الإنجيلية، وقد زاره وكان فى ضيافته ووصفه بأنه رجل عاقل حكيم.

شكر الوفد فضيلته على حُسن اللقاء معربين لفضيلته بأنه يمثل الحكمة والعلم ويرأس أكبر مؤسسة دينية فى العالم.

وقد أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد التى دارت حول بعض الظواهر من عدم التسامح والتخوف وعدم

---

(١) سورة الحجرات ١٣.

الفهم للبعض، وقد أوضح فضيلته بأن كل دولة فى العالم فيها الخير وفيها الشر، فيها العقلاء وفيها غير العقلاء وكل ما يرجوه أن يزيد عدد العقلاء عن عدد السفهاء، وعندنا القاعدة الدينية التى تؤيدها العقول الإنسانية السليمة وهى أنه فى النهاية لا يصح إلا الصحيح، وعلى العقلاء ورجال الدين أن يداوموا النصح والإرشاد والدعوة إلى الفضائل، والبُعد عن الظلم والأنانية، وعلينا الا نمل من المداومة على ذلك، والأديان السماوية تدعو إلى اعتناق الفضائل، واجتناب الرذائل، وتبادل المنافع والتعاون، وسلامة القلوب من الأحقاد، ولمن يريد أن يفهم الإسلام فهما صحيحا أن يسأل أهل العلم المتخصصين، ونحن على استعداد تام للإجابة بكل صدق وأمانة ، والإسلام ضد التطرف والاعتداء على أموال الناس وأعراضهم وممتلكاتهم، والدين الإسلامى يدعو للعدل والسماحة والحرية وإعطاء كل ذى حق حقه وهو ضد القتل وضد الإرهاب.

وحول سؤال عن إلغاء عقوبة الإعدام أجاب فضيلته : بأنها عقوبة مقررة فى القرآن وفى شريعة الإسلام وكل من يرتكب جريمة تستحق هذه العقوبة ويقرها القضاء فالإسلام ينفذها.

شكر الوفد شيخ الأزهر على حُسن الحفاوة واللقاء موضحين بأن الوفد يمثل جميع الأحزاب بالمجلس البريطانى وفيه عضو مسلم، ويوجد فى مجلس اللوردات ثلاثة مسلمين.

حضر اللقاء فضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة المدير العام للعلاقات العامة والإعلام.

× × ×

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى بأعضاء المعهد العالى لدراسات الأمن الداخلى الفرنسى

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة أعضاء المعهد العالى لدراسات الأمن الداخلى الفرنسى المكوَّن من ٦٢ عضوا برياسة السيد / ماركو بازتى بسفارة فرنسا بالقاهرة وذلك فى ١٣ من صفر ١٤٢١هـ الموافق ١٧ / ٥ / ٢٠٠٠م وتأتى هذه الزيارة فى إطار زيارتهم للقاهرة لحضور الدورة التدريبية السنوية.

رحب فضيلته بالوفد مشيراً إلى دور فرنسا حيث إنها على رأس الدول التى لها تاريخ فى مجال حرية الإنسان وحرية الفكر وفى مجال الحضارة بصفة عامة، وأشار إلى أن بعض علماء الأزهر الشريف درس بجامعة السربون بفرنسا، وفضيلته التقى بالعديد من المسئولين فى وزارة الداخلية الفرنسية باعتبارها الوزارة المسئولة عن الأديان وأوضح فضيلته أنه من المؤمنين بتعاون الحضارات وليس بتصارعها. التعاون الذى من أجله تنشر السلام والأمن والأمان والرخاء، وتبادل العلوم النافعة فى كل مجالات الحياة ونشرها على العالم أجمع.

وأوضح وركز على أن الدين الإسلامي يدعو إلى التسامح وإلى نشر الأمن والأمان والسلام والاطمئنان والرخاء وتبادل المنافع التي أحلها الله بين الناس جميعاً.

وقد أجاب فضيلته على ما طرح من أسئلة واستفسارات وفيها تصحيح المفاهيم الإسلامية وقد أوضح فضيلته على أن الإسلام يكرم الإنسان، ويحافظ على حقوقه وحريته كما أوضح باننا في الأزهر نتبع مبدأ الحوار بين المسلم والمسلم، وبين المسلم وغير المسلم أيا كانت عقيدته ونرحب به بقلب مفتوح، لان الحوار بين العقلاء يؤدي إلى أن يفهم كل إنسان الآخر ما دام المتحاورون يلتزمون بالكلمة الصادقة وبأدب الحوار بصفة عامة.

× × ×

افتتاح منشآت جديدة بمدينة البعوث الإسلامية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يرافقه السيد الدكتور/ عبدالرحيم شحاتة محافظ القاهرة، وفضيلة وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فرحات المنجي المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية، ورجال الأعمال: الحاج محمد رجب والحاج محمد كليلة وعلماء الأزهر ونواب السيد محافظ القاهرة ولفيف من العلماء، وذلك في ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢/٥/٢٠٠٠م بافتتاح منشآت جديدة بمدينة البعوث الإسلامية، منها البوابة الرئيسية لمدينة البعوث وقد تكلفت ١٥٠ الف جنيه، كذا عمارة سكنية بالمدينة لطلاب العلم الذين يدرسون بالأزهر من دول العالم المختلفة تكلفت حوالي ٤ ملايين جنيه وقام ببنائهما الحاج محمد رجب رجل البر والخير، كذا تم افتتاح العمارة السكنية التي قام ببنائها فضيلة المرحوم الشيخ الشعراوي وقد سميت باسمه وقد تكلفت ٢ مليون جنيه، كذا تم افتتاح العمارة التي قام ببنائها الشيخ محمد كليلة وقد تكلفت أكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات وبها قاعة الجمنزيوم المغطاه المجهزة بأحدث الوسائل الرياضية الحديثة، وهذه العمارات تسع الف طالب جديد يدخلون المدينة لأول مرة، بالإضافة إلى الاعداد الموجودة وعددهم الفا يمثلون ٩٤ دولة من دول العالم الإسلامي الذين يدرسون على منح الأزهر في الأزهر الشريف.

وقد أعلن الحاج محمد كليلة عن قيامه ببناء عمارة أخرى تستوعب ٣٢٠ طالبا، كما أعلن الحاج محمد رجب عن تبرع زوجته لبناء عمارة سكنية جديدة لطلاب المدينة.

ومدينة البعوث الإسلامية اقيمت على مساحة عشرين فدانا وبها ٤٢ عمارة سكنية وانشئت في الخمسينيات لاستقبال أبناء العالم الإسلامي ليدرسوا في الأزهر الشريف العلم النافع، وبالمدينة نهضة عمرانية ونهضة خدمية مميزة.

× × ×

حفل توزيع الجوائز وشهادات التقدير في حفظ القرآن الكريم على مستوى المناطق الأزهرية

أناب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية لحضور حفل توزيع الجوائز وشهادات التقدير على الطلبة والطالبات الفائزين فى حفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره وذلك على مستوى المناطق الأزهرية وقام بتنظيم الحفل رعاية الطلاب بالأزهر بمجمع المعاهد بمدينة نصر وذلك فى ٢٥ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٣٠/٤/٢٠٠٠م. ألقى فضيلته كلمة هنأهم فيها بالتفوق وحثهم على مداومة حفظ القرآن الكريم وفهم علومه وتفسيره لتكون لهم نبراسا يضيء لهم الطريق ويعصمهم من كل سوء، وأوضح أن الأزهر الشريف يولى حفظ القرآن وعلومه اهتماما كبيرا إلى جانب العلوم الأخرى التى تؤهلهم ليكونوا علماء صالحين نافعين لوطنهم وأمتهم.

كما ألقى فضيلة الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس الجامعة كلمة هنأ فيها الطلبة الفائزين المتفوقين وحثهم على التمسك بكتاب الله -عز وجل- حفظا وتجويدا وتفسيراً واتخاذ سيدنا رسول الله - ﷺ - لهم قدوة وأن يحتذوا به فى سلوكهم وحياتهم العملية، وأثنى على المجهود الذى بذله العلماء، والمحفظون وعلى رأس الجميع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى يبذل كل وقته وجهده فى سبيل حفظ القرآن الكريم، وهنأ أسر الطلبة المتفوقين وأساتذتهم ومناطقهم.

وتم توزيع الجوائز وشهادات التقدير والمصاحف على الفائزين من الطلبة والطالبات وعلى رؤساء المناطق وقد بلغت قيمة الجوائز للمركزين الأول والثانى ٣٣,٥٢٥ ألف جنيه لعدد ٢٠٣ طلاب، وبلغت قيمة الجوائز للمركز الثالث ١٢ ألف جنيه لعدد ٢٠٠ طالب وطالبة.

واشترك فى المسابقة ٢٦ منطقة أزهرية وقد فازت بالمراكز الخمس الأول: منطقة الغربية، كفر الشيخ، الدقهلية، البحيرة، القاهرة.

حضر الحفل أمين عام مجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الأمين المساعد للدعوة والإعلام الدينى بالأزهر، ووكلاء قطاع المعاهد والمسئولون برعاية الشباب ورؤساء المناطق الأزهرية والقائمون على الأنشطة الطلابية ورئيس العلاقات العامة وأولياء أمور الطلبة والطالبات الفائزين فى المسابقة.

×××

حفل تخريج الدورة التدريبية الثامنة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامي

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخريج الدورة التدريبية الثامنة والأربعين لأئمة ودعاة العالم الإسلامي في قاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف في ١٨ من المحرم ١٤٢١ هـ الموافق ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٠م.

والعلماء الذين شاركوا في هذه الدورة ٣٣ إماما وداعية من دول الهند، وجيبوتي، موزمبيق، سيرلانكا، بورما، الصين، ليبريا، استراليا.

وقد استضافهم الأزهر الشريف بمدينة البعوث الإسلامية لمدة ثلاثة شهور متتالية تلقوا خلالها العلوم والمعارف والثقافة الإسلامية الصحيحة والتزود من العلوم النافعة والتدريب على الفتيا.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة حثهم فيها على أن يكونوا رسل سلام ودعاة خير يدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حينما يعودون إلى بلادهم وأن يترفعوا عن الخلافات المذهبية، فالإسلام دين الوسطية ودين اليسر لذا يجب عليهم أن يتمسكوا بالوسطية المتوازنة التي تأخذ من كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - وأن يظهروا سماحة الإسلام، ويتعاونوا على البر والتقوى، وأن ينبذوا العنف، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق وأن يبلغوا ما تعلموه على يد العلماء إلى أهليهم وأخوانهم وأبنائهم في بلادهم ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١)

كما أوضح فضيلة الشيخ على أبو الحسن «الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية» بأن هناك تيارات مختلفة فيها تيارات: خرافية واهمة، وتيار حرفي ضيق الأفق، وثالثهم تيار الرفض والعنف، فيجب على الداعية أن يتجنب الانزلاق في هذه التيارات أو الخوض مع أصحابها لأنها تيارات هدامة، وعليهم الالتزام بوسطية الإسلام لأنه التيار الحسن الذى يدعو إلى جمع الكلمة وتوحيد الصف وهو مبدأ التسامح والتعاون.

وفي نهاية اللقاء قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج والكتب التى تفيدهم عند الرجوع إليها في فتاواهم.

حضر الحفل فضيلة الشيخ وكيل الأزهر وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ولفيف من علماء الأزهر الشريف ورئيس العلاقات العامة والإعلام ورجال الصحافة والإعلام.

---

(١) سورة آل عمران ١٠٤.

الاجتهاد فى الأحكام الشرعية

● فى إطار الموسم الثقافى الذى تقيمه وزارة الأوقاف والذى ينظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ألقى فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- محاضرة تحت عنوان «الاجتهاد فى الأحكام الشرعية» وذلك بمسجد النور بالعباسية مساء ٢٧ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ٢ / ٥ / ٢٠٠٠م.

أكد فيها فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن موضوع الاجتهاد فى الأحكام الشرعية من الموضوعات التى كتب فيها الكاتبون قديما وحديثا، والإمام الغزالى وابن القيم والإمام الشوكانى كتبوا كثيرا عن الإجتهاد ونجد عددا كبيرا من مشايخنا كتبوا كتابات مفصلة عن الاجتهاد ذلك لأن أحداث الحياة متغيرة ووقائعها لا تنتهى، والعالم كل يوم يتحرك ويحتاج إلى تفكير وتدبر واجتهاد، لأن اختلاف العقول موجود فى كل مكان، وعصرنا الذى نعيشه أحوج ما يكون إلى الاجتهاد فى كل أمر يجوز فيه الاجتهاد، ويحدد فضيلته معنى الاجتهاد فيقول: الاجتهاد هو بذل الجهد للوصول إلى الحق فى قضية معينة أو فى بيان حكم شرعى يقبل الاجتهاد، مجال الاجتهاد يكون فى النصوص الشرعية التى ليس فيها دليل على أنها قطعية الثبوت أو قطعية الدلالة.

ويؤكد فضيلته أنه لا اجتهاد فى الأحكام التى ثبتت من الدين بالضرورة وفى النصوص التى هى قطعية الثبوت أو قطعية الدلالة، كالنصوص التى تأمر بإخلاص العبادة لله -تعالى- وباتباع الرسول -صلى الله عليه وسلم- وبأداء العبادات التى كلفنا الله بها، وباعتناق الفضائل وباجتناب الرذائل.

وإنما يكون مجال الاجتهاد فى النصوص التى هى ظنية الثبوت كبعض الأحاديث النبوية الشريفة التى يحكم عليها العلماء بأنها صحيحة أو حسنة أو ضعيفة كذلك يكون الاجتهاد فى النصوص التى هى ظنية الدلالة كبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تحمل فى فهمها أوجها من الفهم المعقول المستند إلى التراكيب اللغوية أو الأدلة الشرعية ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾(١)

فكل مسلم يؤمن ويقر بأن هذه الآية من

---

(١) سورة المائدة (٦).

كتاب الله -تعالى- الذى هو قطعى الثبوت، وخلاف الفقهاء إنما هو فى فهم بعض ألفاظها وحملها فى قوله تعالى:

﴿ وامسحوا برءوسكم ﴾ اجمع الفقهاء على أن مسح الرأس من أركان الوضوء بدليل منطوق الآية الكريمة إلا أنهم اختلفوا فى مقدار هذا المسح فبعضهم يرى مسح جميع الرأس، والبعض الآخر يرى مسح بعض الرأس ومنهم من قدر مسح البعض بالربع، ومنهم من لم يقدر المسح بمقدار معين ولكل فريق أدلته التى استند إليها.

ثم تحدث عن شروط الاجتهاد ومن يتصدى له: أن يكون ملما بعلوم اللغة العربية وطرق دلالتها على المعانى، وأن يكون حافظا للقرآن الكريم، وفاقها لمعانيه، وأن يكون ملما بالسنة النبوية المطهرة وبأحكامها، وأن يكون مدركا لمقاصد الشارع ولأحوال المسلمين، وما جرى عليه عرفهم، وما فيه صلاح حالهم، وأن يكون على دراية بالفقه وأصوله هذا إلى جانب كمال دينه وعقله.

ثم تحدث عن اجتهاد الرسل وضرب الأمثلة على ذلك، ثم تحدث عن اجتهاد الخلفاء الراشدين وقال: مرحبا بالاجتهاد ما دام فى أمر يقبل الاجتهاد.

ثم أجاب فضيلته عن أسئلة الحضور فيما يتعلق بفوائد البنوك، وأنواع التأمين، وطالب الشباب على وجه التحديد أن يبتعدوا عن التعميم فى الأخذ بالأحكام الشرعية مؤكدا أن لكل حالة حكمها والعبرة بالقصد.

حضر اللقاء فضيلة الدكتور وزير الأوقاف/ محمود حمدى زقزوق، والدكتور طه أبوكريشة نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف وعلماء الأزهر والأوقاف والبعوث الإسلامية ورجال الصحافة والإعلام.

× × ×

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يقوم بزيارة إلى جيبوتى

صدر قرار شيخ الأزهر رقم ٣٦٨ لسنة ٢٠٠٠ بالموافقة على سفر فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر ونائب رئيس لجنة التعليم والدعوة بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة إلى جيبوتى لمدة أربعة أيام تبدأ من تاريخ السفر لحضور الاجتماع المقرر انعقاده فى جيبوتى فى الفترة من ١٩ - ٢٢/ ٥/ ٢٠٠٠ لدراسة مشروع مجمع المعاهد الأزهرية فى جيبوتى.

صدر فى ٢٧ من المحرم سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢ مايو سنة ٢٠٠٠م

× × ×

تجديد التعيين

صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ٣٨ لسنة ٢٠٠٠ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، بجدد تعيين الشيخ محمد عوض السيد الزغوى

وكيلا لمشيخة علماء منطقة ازهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بدرجة مدير عام لمدة عام اعتبارا من ٨ / ٥ / ٢٠٠٠.

صدر في ١٤ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٩ من ابريل سنة ٢٠٠٠م [وهو يشغل مدير عام منطقة بورسعيد الأزهرية].

كما صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ٤٠ لسنة ٢٠٠٠ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجدد التعيين في الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة ايهما أقرب اعتبارا من ٨ / ٥ / ٢٠٠٠ لكل من السادة:

الشيخ / حسن خضيرى موسى عكاشة. وكيل مشيخة علماء منطقة ازهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية [مدير عام منطقة الاسماعيلية]

الشيخ / محمد أحمد ابوالمعاطى يونس. مدير عام شئون المبعوثين والإيفاد [مجمع البحوث الإسلامية]

الشيخ / محمد سلامة عبدالسلام زغلول. مدير عام مكتب رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

صدر برياسة مجلس الوزراء في ١٤ من المحرم ١٤٢١هـ الموافق ١٩ من أبريل ٢٠٠٠م

X X X

تجديد المعاهد الأزهرية التى تحتاج إلى ترميم عاجل

صدر قرار شيخ الازهر رقم ٣٤٢ لسنة ٢٠٠٠ تشكل لجنة برياسة فضيلة وكيل الأزهر وعضوية كل من:

١- فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

٢- السيد الأستاذ الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر

٣- فضيلة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق

٤- السيد المهندس مدير عام الشئون الهندسية بالأزهر

٥- السيد الأستاذ مدير عام الشئون المالية بالأزهر.

٦- السيد مدير عام الحسابات بالأزهر

٧- السيد مدير إدارة الميزانية بالأزهر

٨- السيد مدير إدارة الترميمات بالإدارة الهندسية بالأزهر.

٩- رئيس قسم الترميمات بالإدارة الهندسية بالأزهر.

وتكون مهمة هذه اللجنة مناقشة وتحديد المعاهد الأزهرية التى تحتاج إلى ترميم عاجل لمواجهة احتياجات العام الدراسي الجديد ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ وتكلف الإدارة الهندسية بتحديد المعاهد الأزهرية في المناطق الأزهرية المتوفرة لدى الإدارة الهندسية معلومات عنها، وكراسة الشروط وصورة الإعلان.

من أنباء العالم الإسلامى

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد*

اهتمام عالمى بتسلم شيخ الأزهر جائزة الملك فيصل

الرياض:

نيابة عن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز سلم الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران السعودى جائزة الملك فيصل العالمية فى مجال خدمة الإسلام للأزهر الشريف، وتسلم الجائزة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر.

وأعلن الأمير خالد الفيصل أمير منطقة عسير والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية أن هذه هى المرة الأولى التى تمنح فيها الجائزة لمؤسسة علمية، وذلك نظرا للخدمات الجليلة التى يقدمها الأزهر للعلم والعلماء ودوره فى الحفاظ على التراث العربى والإسلامى وإسهاماته الفعالة فى التعليم الإسلامى، ومواجهته حملات التغريب، وتعميق الأصالة الإسلامية ونشر الإسلام واللغة العربية، وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أن قيمة الجائزة ستوجه إلى تدعيم المعاهد الأزهرية والأعمال الخيرية التى تعود على المحتاجين من المسلمين بالخير، وأكد فضيلته أن حصول الأزهر على الجائزة يعد تكريما لدوره فى خدمة الدعوة الإسلامية وتتويجا للجهد العلمى الذى يبذله. وأضاف: إن الأزهر الشريف استطاع أن يقف صامدا فى وجه الأعاصير الفكرية التى هبت على المسلمين وأرادت أن تقتلعهم من جذورهم، وأن الأزهر مازال حصناً منيعا من حصون الإسلام، وقلعة من قلاعه العريقة فى حماية اللغة العربية وعلوم الإسلام وشرائعه.

وقد اهتمت الصحف السعودية بفوز الأزهر الشريف بجائزة الملك فيصل فى خدمة الإسلام، وأفردت لذلك مساحات مطولة.. فقد نشرت جريدة عكاظ فى تقرير لها أن منح الجائزة للأزهر الشريف تأكيد على دوره الريادى فى خدمة الإسلام على مر الأيام والسنين، كما أن الجائزة تكريم لأهله الذين ما بخلوا بتقديم ما يعرفونه لإنارة العقول والتاريخ والتراث والحضارة الإسلامية العريقة، بالإضافة إلى جهودهم فى الحفاظ على اللغة العربية، لغة القرآن الكريم، فليس غريبا إذن أن ينال الأزهر الجائزة وهو الذى صدّر للعالم نوابغ وعلماء وأدباء طبعوا للثقافة العربية ورسموا خطوطاً مميزة وبارزة.

وفى تناولها للجائزة أشارت جريدة «الرياض» السعودية إلى الاهتمام الإعلامى بتكريم شيخ الأزهر ولقاء المسئولين به، وأشادت بدور الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام ونشر تعاليمه.

أما جريدة «الجزيرة» فتناولت دور الأزهر الشريف باعتباره هيئة اعتبارية ومؤسسة إسلامية كبرى يقدم خدمات جليلة للعالم الإسلامى وبالذات دوره فى نشر التعليم الدينى، وحفظ التراث العربى والإسلامى ومقاومة محاولات التغريب.

كما أفردت الصحيفة مساحات عن الجائزة ودور الأزهر الشريف فى خدمة الدعوة الإسلامية، وزيارات شيخ الأزهر لعدد من المؤسسات السعودية منها: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، والحفاوة البالغة التى أحاطت بشيخ الأزهر.

أما جريدة «المدينة» فأفردت مساحات كبيرة لحفل توزيع الجائزة والحفاوة البالغة بشيخ الأزهر وأهمية الأزهر الشريف فى خدمة الإسلام ودور الفائزين بالجائزة فى مختلف المجالات.

كما أشارت جريدة «البلاد» إلى أهمية حصول الأزهر الشريف على الجائزة فى فرع خدمة الإسلام ورعاية طلبة العلم، جاء ذلك فى كلمة وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الشيخ عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ والذى استقبل شيخ الأزهر بمكتبه، وجرى تبادل الأحاديث الودية، وبحث عدد من الموضوعات ذات الاهتمام المشترك.

كما نشرت تصريحات عدد من المسئولين السعوديين حول الجائزة وأهميتها وأهمية دور الأزهر الشريف.

كتابة اللغات الأفريقية بالحروف العربية

تبدأ فى شهر يوليو المقبل اجتماعات اللجان المتخصصة فى اللغات الأسيوية وذلك لبحث إعادة كتابة لغات المسلمين فى قارة آسيا بالأبجدية العربية، وذلك بعد أن نجحت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة فى كتابة ١٧ لغة أفريقية بالحروف العربية، وقد تم اختيار مدينة (طهران) لعقد هذه الاجتماعات باعتبار إيران من الدول الإسلامية الآسيوية الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامى والتى تكتب لغتها الفارسية بالأبجدية العربية.

طبعة نادرة للقرآن الكريم فى الصين

عثر فى مدينة لانتشو الواقعة غرب الصين على طبعة نادرة للقرآن الكريم مذهبة بكيلو جرامين من الذهب، وإجمالى طول الصفحات ٦٠٠ متر. أثارت هذه الطبعة النادرة اهتماما بالغاً فى الأوساط الإسلامية والأدبية والفنية الصينية، ويعد هذا الإنجاز واحدا من المساهمات المهمة للثقافتين الإسلامية، والعالمية وقد أنجز هذه الطبعة المذهبة الرسام الصينى المسلم ماتشيان بون، واستمرت كتابته لها ثلاث سنوات.

إريتريا تتهم واشنطن بالسلبية إزاء هجوم إثيوبيا

أسمرة ـ أديس أبابا ـ وكالات الأنباء:

فى تطور جديد للحرب المتفجرة فى الوقت الراهن بين القوات الإريترية والاثيوبية. اتهمت أسمرة الولايات المتحدة بالسلبية إزاء ما وصفته باجتياح القوات الإثيوبية لأراضيها.

وفي تصريح لوكالة الأنباء الفرنسية قال يمانى جيبرمسكل المتحدث باسم الرياسة الإريترية: إن واشنطن لم تتخذ أى تدبير ملموس واقعى أو حازم ضد «الاجتياح الأثيوبي». وأضاف قائلا: إن التزام واشنطن الصمت إزاء «هذا الاجتياح» أمر غير مفهوم على الإطلاق، مؤكدا في الوقت نفسه أن أسمرة لا تتعرض لخطر الاجتياح برغم تقدم القوات الإثيوبية.

وقد ذكرت تقارير صحفية من أسمرة أن هناك حالة من القلق المتصاعد بين سكان العاصمة الإريترية بعد الانتصارات الإثيوبية، في الوقت الذى بدأت فيه السفارة الأمريكية في اتخاذ الإجراءات اللازمة لترحيل الرعايا الأمريكيين من العاصمة، وهو الشيء نفسه الذى أقدمت عليه مجموعة من السفارات الغربية في أسمرة، وأشارت التقارير إلى أن الآلاف من سكان العاصمة بدأوا يفرون إلى السودان، وقالت: إن المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة قد وزعت اللاجئين الإريتريين الجدد على ١٢ معسكرا في السودان، وهى المعسكرات التى يتكدس فيها بالفعل نحو ١٦٠ ألف لاجيء إريترى منذ نحو ربع قرن.

وقال مسئولون سودانيون: إن نحو ٩٠٠ ألف لاجيء إريترى قد فروا بالفعل إلى الأراضى السودانية، وقالت منظمات الإغاثة الإنسانية العاملة في منطقة القرن الإفريقى: إن السلطات السودانية أعدت خططاً خاصة لإعادة اللاجئين الإريتريين إلى بلادهم مرة أخرى.

محاولات لمنع تنفيذ المقاطعة العربية لمنتجـــات إســـرائيل

باريس ـ أ. ش. أ:

بدأت الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية ومعاداة السامية «ليكرا» حملة ضارية ضد شركة فرنسية للأدوات المنزلية ومعها غرفة التجارة والصناعة في مدينة ليموج الفرنسية. وتهدف الحملة التى تشنها الرابطة إلى إرساء قاعدة قانونية واستصدار حكم قضائى من المحاكم الفرنسية يكون سنداً ومرجعا لإرغام الشركات الفرنسية على عدم الانصياع لإجراءات المقاطعة العربية لإسرائيل التى يشرف على تطبيقها مكتب المقاطعة العربية ومقره دمشق. وتقول مجلة «لكبرسى» الفرنسية: إن الدافع الذى يحرك رابطة «ليكرا» الدولية هو رغبتها في وضع حد لانتشار حالات المقاطعة للمنتجات الإسرائيلية، برغم صدور قانون فرنسى عام ١٩٩٧ برفض مبدأ المقاطعة وكما تهدف الرابطة إلى توعية رؤساء الشركات الفرنسية وتعريفهم بهذا القانون. وتشير المجلة الفرنسية إلى اختصام رابطة «ليكرا» مع شركة «الميرام» الفرنسية التى عقدت مع احدى شركات دبى عقدا لتزويدها بشحنة من الأوانى المنزلية إلا أن الأخيرة اشترطت أن تصدر الشركة الفرنسية شهادة مدوناً عليها أن هذه السلعة فرنسية ولا تحتوى على أى مكون من إسرائيل.

مؤتمر علمي يوصي بتدريس التربية الإسلامية في الجامعات

أكد المؤتمر السنوى الثانى للمركز القومى للبحوث في القاهرة على توصية مهمة بتدريس التربية الدينية بالجامعات كأفضل وسيلة للحد

من الزواج العرفي بين الطلبة والطالبات ونشر التوعية والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام بينهم.

الشيشان يحققون انتصارات عسكرية فى شرق الإقليم

موسكو ـ وكالات الأنباء:

أكد المقاتلون الشيشان انهم نجحوا فى تحقيق انتصارات عسكرية ضد القوات الروسية فى شرق جمهورية الشيشان.

وصرح مولدى أودوجوف المتحدث الرسمى باسم المقاتلين الشيشان بأن المقاومة تمكنت من قتل ثلاثة عشر جندياً روسياً وتدمير سيارتين عسكريتين فى هجوم شنته على قافلة عسكرية روسية قرب قرية (باتشى يورت) الواقعة على مسافة خمسة وثلاثين كيلو مترا إلى الشرق من العاصمة الشيشانية جروزنى.

وقال المسئول: إن المقاتلين فجروا الغاماً ثم استخدموا بعد ذلك قاذفات قنابل يدوية لمهاجمة القافلة التى كانت تضم ست مدرعات وكانت تحرسها من الجو طائرات الهيليكوبتر، واضاف ان الخسائر فى صفوف القوات الشيشانية التى نفذت العملية لا تزيد على اربعة مصابين فقط احدهم فى حالة خطيرة.

وبالرغم من نفى القوات الروسية تعرضها لهذا الهجوم. فإن وزارة الداخلية الروسية اعترفت بأن المقاتلين هاجموا قواعد للقوات الروسية فى مدينة (جوديرميس) ثانى أكبر المدن الشيشانية خلال ساعات الليل مساء أمس الأول رغم إعلان القوات الروسية قبل عدة أشهر عن إحكام سيطرتها الكاملة على هذه المدينة.

أخبار قصيرة من هنا وهناك

● انتقد الشيخ عبدالله الأحمر رئيس مجلس النواب اليمنى ورئيس حزب التجمع للإصلاح زيارات قام بها يهود صهاينة من أصل يمنى لبلاده فى الفترة الأخيرة ووصفها بانها محاولة لاختراق المجتمع اليمنى ورفض ما تردد حول إمكانية تطبيع العلاقات على أى مستوى بين اليمن والكيان الصهيونى.

● أصدر مركز الدراسات الإسلامية فى لندن أول ترجمة صحيحة ودقيقة بالإنجليزية لصحيح البخارى ليسد نقصاً كبيرا فى مجال ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة خاصة بالنسبة للجاليات الإسلامية فى بريطانيا واوروبا وقال مدير المركز الدكتور محمد عبدالحليم: إن المركز يستهدف إصدار مجلة متخصصة للدراسات القرآنية باللغتين العربية والإنجليزية بجانب نشر أبحاث تأصيلية قرآنية ومنها علوم الشريعة والتوحيد والاخلاق وكذلك إصدار دراسات ذات صبغة أكاديمية بالإنجليزية بعنوان: «دراسات فى القرآن».

● ذكرت صحيفة «باكستان» الباكستانية أن الكيان الصهيونى يرسل جواسيس إلى باكستان للحصول على معلومات عن المنظمات الإسلامية هناك، وأن من الجواسيس اليهود مواطنين امريكيين من أصل باكستانى حيث يقومون بجولات فى منطقة كشمير المتنازع عليها بين الهند وباكستان.

● استعادت تركيا أجزاء من مصحف بالخط الكوفى مكتوبة بالذهب من جامعة «جونز هوبكنز» الأمريكية وقالت مصادر تركية إن هذه الأجزاء كانت قد سرقت من مكتبة «نوروزمانين» فى إسطنبول عام ١٩٤٢ وظهرت فى أمريكا حيث تم ضمها لمجموعة «هوبكنز» النادرة فى نفس العام.

Hadith rapporté par Al-Termizie.

Examinons de près le sens du mot **"maudit"** c'est le fait d'être expulsé de La Miséricorde d'Allah -Gloire à Lui- et d'être aussi privé de Son Approbation. Le Hadith a souligné clairement que le vin est maudit ainsi que chaque personne qui touche au vin de loin ou de près.

Le bénéfice acquis de la fabrication du vin ou de sa vente est illicite, privé de bénédiction, il détériore le corps et l'abîme dans le monde d'ici-bas, tandis que dans celui de l'au-delà il l'expose aux pires châtiments, car le corps qui est nourri d'un gain illicite ne méritera que l'Enfer.

Il n'est pas permis au Musulman de rester en compagnie de celui qui consomme le vin, ni de se trouver dans un lieu où on le sert, il est même défendu d'acheter sa nourriture dans les endroits où le vin est vendu de risque d'attirer vers soi la malédiction qui l'entoure, comme le Prophète-b.s- nous en a avertis.

Le Prophète-b.s-a interdit de maudire le Musulman sur lequel la sanction de la consommation du vin est appliquée, et il a incité ses compagnons d'invoquer le Seigneur en sa faveur. Par contre, il a permis de maudire l'alcoolique invétéré qui ne renonce pas à ce vice et qui ne se repent pas.

Le commerce des boissons alcooliques:

L'Imam Malik nous raconte que Ibn Abbas-A.s.eux- a dit : ***Un homme offrit au Prophète-b.s- une amphore de vin. Le Prophète-b.s- lui dit:"Sais-tu qu'Allah l'a prohibé?***

- Non, dit l'homme."Un autre homme qui assistait à la scène chuchota quelque chose au propriétaire de l'amphore.

Le Prophète-b.s- lui demanda:"Qu'est ce que tu lui as dit secrètement?". "Je lui ai ordonné de la vendre" répliqua-t-il.

Le Prophète-b.s- dit alors:"Celui qui a prohibé sa consommation a prohibé sa vente." C'est alors que l'homme ouvrit le bouchon de l'amphore et en laissa couler le contenu.

Les Ulémas sont unanimes pour certifier que le vin est impur formellement et que son impureté a été confirmée par un argument définitif. Ils sont unanimes également sur le fait que le vin -mis en possession chez un Musulman- ne fait pas partie de ses biens auxquels il ne faut pas porter atteinte. Ils ont dit que si un Musulman possède une quantité de vin, il ne lui est pas permis de la vendre, et si on lui vole ou on l'âbime, il ne peut pas demander à être dédommagé.

Il n'est pas permis de donner un permis de vente publique des boissons alcooliques aux non-musulmans dans les pays musulmans. Il est à noter que le fait d'annoncer publiquement la vente du vin est un étalage de débauche, et en plus une invitation à la corruption pour les indécents parmi les musulmans.

Tant que le commerce du vin est permis aux non-musulmans, on ne les empêche pas de le pratiquer tant qu'ils le font clandestinement. Il leur est permis de vendre le vin et le porc entre eux, de posséder le vin, de le conserver ou de le fabriquer. La valeur financière du commerce du vin est très estimée chez les non-musulmans.

Le Musulman qui possède du vin, le vend, le fabrique, le transporte ou l'achète ne subit pas la sanction malgré la prohibition des actions susdites, mais il est soumis à "Al-Tà zir". Cette charge ne revient qu'aux autorités, c'est à eux de décider la correction dissuassive qui empêche de transgresser les lois divines. On raconte que le Prophète-b.s- a dit:***"Allah a maudit au sujet du vin 10 individus: celui qui foule son raisin, celui pour qui il est préparé, celui qui le boit, celui qui le transporte ainsi que celui qui l'a commandé, celui qui le sert, celui qui le vend, celui qui en touche le prix, celui qui l'achète et celui pour qui il est acheté."***

LES CONDITIONS REQUISES POUR L'APPLICATION DE LA SANCTION AU CONSOMMATEUR DE VIN (Suite)

Par Mme: **HODA HUSSIN CHAARAWY**

1-Le transgresseur doit être Musulman: les non-musulmans sont dispensés de la sanction, même s'ils vivent dans un pays musulman.

2-Le transgresseur doit être doué de raison: l'aliéné et l'infirme sont déchargés de toute responsabilité.

3-Le transgresseur doit être majeur, il importe que le garçon soit pubère et la fille nubile. Certains Ulémas sont d'avis de décider de l'âge sur ce sujet, car ils considèrent que le fait de se baser sur le développement du corps à travers les manifestations des signes naturels à l'âge de la puberté peut représenter une difficulté dans l'application. Selon l'avis des deux Ulémas Malik et Abu Hanifa, l'âge à prendre en considération est de 18 ans, d'après le calendrier hégirien.

4-Le transgresseur doit être au courant de la nature de la boisson qu'il consomme, et averti de la prohibition , car il sera jugé sur son action.

5-Le libre choix: celui qui est contraint de le faire est dispensé du châtiment, qu'il s'agisse d'une contrainte corporelle ou morale.

6-Le transgresseur ne doit pas être soumis à une nécessité impérieuse ni à une raison légale. A défaut d'eau, ou d'autres boissons licites, il est permis à un assoiffé, craignant pour sa vie, d'absorber une gorgée de vin. De même, quelqu'un qui risque d'être étranglé par une bouchée d'aliment, peut se servir de vin pour la dégager.

Quant à la raison légale, nous citons par exemple le cas de celui qui boit le vin par inadvertance, ou par erreur ou en ignorant sa composition. Il arrive que quelqu'un boive un jus en pensant qu'il n'est pas énivrant, ensuite il s'avère que cette boisson est énivrante.

Question: Que faire si toutes les conditions requises sont remplies, excepté celle de l'âge?

Réponse: Le transgresseur mineur est dispensé de la sanction, mais il sera soumis à "Al-Tàʿzir".(Charge qui ne revient qu'aux autorités pour blâmer et corriger.)

romps le jeûne, dors et .. accomplis les prières nocturnes, jeûne 3 jours du mois. La bonne action sera décuplée et c'est comme si tu jeûnais pour toujours".

Il a dit: je supporte plus que cela, le prophète lui a dit: "Jeûne un jour et romps le jeûne deux jours". Abdallah a dit : je peux supporter davantage. Le Messager a dit alors: "jeûne un jour et romps le jeûne un autre, c'est le jeûne de David et c'est le plus modéré"

Abdallah dit: "je peux faire mieux".

Le Messager lui répondit fâché : "Il n'y a pas mieux que cela"!!

On a rapporté que Abdullah Ibn Amr a dit après cela: "j'ai vieilli et je me suis affaibli au point que j'ai souhaité que mon argent et ma famille périssent et que j'applique l'autorisation du Messager, de jeûner chaque mois trois jours.

On rapporte que Amr Ibn El Ass- qu'Allah soit satisfait de lui- alla visiter l'épouse de son fils "Abdallah et comme il l'interrogeait sur son mari, elle dit : "les meilleurs hommes à part lui, préservent leur famille et ne désertent pas leurs couches".

Alors Amr blâmo son fils en lui disant que par cet acte c'est comme s'il avait déserté sa femme", ensuite il alla se plaindre de son fils au prophète, ce dernier envoya le chercher, et lui dit: "est-ce que tu jeûne le jour? "oui; dit – il". Il lui demanda: fais –tu les prières nocturnes? Il dit : oui. Le messager lui dit: "moi je jeûne et je romps le jeûne, je fais les prières et je dors, je touche les femmes, celui qui s'écarte de ma tradition, n'est pas des nôtres".

Imitons donc le noble Messager dans sa modération

Dans une autre version d'après Ibn Abbas, un homme a dit au prophète: "ma soeur a fait voeu de faire le pélerinage à pied, le prophète dit: "Allah n'a pas besoin de la souffrance de ta soeur, qu'elle aille en pélerinage sur une monture puis qu'elle expie son serment."

Ce qui montre la miséricorde du prophète envers sa nation et son désir de les décharger des peines et de ne pas être intransigeants en religion c'est que : quand Allah a prescrit le jeûne du mois de Ramadan certains compagnons (As Sahaba) du Prophète l'ayant vu poursuivre le jeûne nuit et jour pendant plusieurs jours voulurent l'imiter alors ils ont poursuivi le jeûne comme lui.

Mais il leur interdit cela et leur dit : Jeûnez comme Allah – qu'Il soit glorifié – vous l'a commandé et poursuivez le jeûne jusqu'à la tombée de la nuit puis rompez le jeûne.

Selon Abu Horaira – qu'Allah soit satisfait de lui – le prophète- à lui bénédiction et salut – a dit : "ne poursuivez pas". Ils ont dit: mais tu le fais". Il répondit: "je ne suis pas comme vous: mon seigneur me nourrit et me désaltère pendant la nuit".

Il défendait à ses compagnons d'être intransigeants en dévotion et leur ordonnait de tirer profit des dispenses d'Allah, car Allah aime qu'on profite de ses dispenses.Suivons l'excellent exemple de dévotion et du comportement (sirat) du Messager.

On rapporte qu' Abdallah Ibn Amr Ibn El Ass – qu'Allah soit satisfait de lui – a dit : "au nom d'Allah j'accomplirai les prières nocturnes et je jeûnerai pendant le jour, tout le long de ma vie".

Le prophète a dit: "est-ce toi qui dit cela? Abdallah répondit: "Oui, je l'ai dit ô Messager. Le Messager dit: "Tu en seras incapable; jeûne puis

Le prophète.. le modèle de la perfection humaine … le plus compâtissant des compâtissants

Dr. Rokeya Gabr

Le Messager- à lui bénédiction et salut-est le modèle de la perfection humaine dans la miséricorde et la pitié. Il était compâtissant envers les membres de sa famille, ses compagnons et sa nation.

Il recommandait toujours aux "Wali" des musulmans d'être compatissants envers eux mêmes et envers ceux qu'Allah a mis sous leur tutelle et de ne pas être intransigeants sinon Allah serait intransigeant envers eux.

Le Prophète- à lui bénédiction et salut – a dit: "Quand Allah a achevé la création, Il a écrit chez lui au – dessus de son trône: "Ma miséricorde a précédé ma colère".

Il a dit: "Allah est miséricordieux envers les compatissants".

Le prophète – à lui bénédiction et salut – a dit : "Allah – qu'Il Soit glorifié – est clément. Il aime la clémence pour laquelle il accorde sa récompense tandis qu'Il ne l'accorde pas pour la violence".

Il a dit également: "celui qui prohibe la bienveillance prohile totalement le bien".

On rapporte que le Prophète – à lui bénédiction et salut – voyant un vieillard marcher péniblement avec ses deux fils demanda:

"Qu'a –t-il?" On lui répondit: il a fait voeu de marcher c.à.d. de faire le pélerinage à pied. Le prophète, dit: "Allah a interdit à celui- ci de se torturer dans le but d'obtenir récompense" et il lui ordonna de prendre une monture.

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

in the plane. Enquires from the crew members inside revealed that one of the coffin boxes could not be loaded due to its excessive width by two inches, a mistake by the carpenters in Atlana. The coffin could not go through the cargo door which was 42" in width while. Therefore, it was left behind to be loaded at the earliest possible flight to Paris where it would be put on the same plane as the bereaved family flying to Pakistan. Disclosure of all these facts could not convince Mr. Ali and the funeral party. In chorus they declared they would not proceed further without the coffin. No assurancs or arguments could make them change their mind. With the result that Boeing 747 jetliner of TWA flight 800 had to taxi back to the airport building and off-load the funeral party along with one coffin box.

Thereafter, the jetliner with 12 crew members and 217 passengers again headed for the runway for the scheduled flight. It is said that minutes after the Paris bound plane took off form JFK airport, people heard a loud explosion and saw a fireball plunge into the Atlantic ocean.

The 17 precious lives of Mr. Ali's family were spared due to two inches of excessive width of one coffin box a mistake by the carpenters in Atlanta. This is how God works in His mysterious ways.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ ﴾

Every soul shall have a taste of death : and only the Day of Judgment shall you be paid your full recompense. Only He who is saved for from the Fire and admitted to the Garden will have attained the object (of Life): for the life of this world is but goods and chattels of deception. (3:185)

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾

Verily the knowledge of the Hour is with Allah (alone). It is He Who sends down rain and He Who knows what is in the wombs. Nor anyone know what it is that he will earn on the morrow; nor does anyone know in what land he is to die. Verily with Allah is full knowledge and He is acquainted (with all things). (31 : 34)

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ﴾

He Who Created Death and Life, that He may try which of you is best in deed; and He is the Exalted in Might, Oft-Forgiving. (67:2)

THE MYSTERY OF LIFE AND DEATH

By Dr. Maher Nofal

No person can ever die except by Allah's leave and an appointed term. May Allah guide us all to the correct path. Aameen

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

O ye who believe! Fear Allah as He should be feared, and die not except in a state of Islam. (Al Quran 3:102)

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾

Nor can a soul die except by Allah's leave, the term being fixed as by writing. if any do desire a reward in this life, We shall give it to him: and if any do desire a reward in the Hereafter, We shall give it to him. And swiftly shall We reward those that (serve us with) gratitutde. (Al Quran 3:145)

Back in 1996, as usual Mr. Mohamed Ali along with his family, his wife and two daughters aged eigh and thirteen, visited the USA. Instead of going to New York the family disembarked at Atlanta, Georgia. Being pre-Olympic days, they stayed in a hotel for a couple of days just to enjoy the bustle of the pre-Olympics. While leaving Atlanta for New York, on the way to the airport they stopeed for a while to make certain petty purchases from a roadsie store. Mr. Ali stayed in the car, hs wife and daughters crosed the street and entered the store. After a short while, all the three emerged holding packages and began to cross the street. They were almost midway when they were hit and run over by a speeding vehcile. Immediately, people gathered around and police vechicles and ambulance arrived on the scene. The driver of the speeding vasn was put under arrest and his van was impounded by the police. All the three victims, moher and two duaghters were taken to a nearby hospital where the mother and the elder duaghter breathed their last due to serious multiple injuries on the head, in spite of the best efforts by the doctors and paramedics. The younger daughter who sustained simple injuries and bruises was given first aid and discharged. In a few moments the whole scenario of this poor, ill-fated family changed - from rejoicing to mourning. Mr Ali rang up his near and dear ones in New York and let them know about the tragedy. Those who could rushed to Atlanta by the immediate available flight to share his sufferings. And together, they began to make the travel arrangements to New York and then onwards to Pakistan along with the coffins.

In New York everything was arranged on top priority basis for them. Two coffin boxes, Mr. Ali, his injured daughter and fifteen other relatives and community members accomapanying the dead bodies were all booked in TWA flight 800 from John F. Kennedy Airport to Charles De Gaulle Airport, Paris, and from there onwards to Pakistan. At John F. Kennedy Airport, New York the two coffin boxes and baggage were handed over to the TWA flight Mr. Ali and the relatives accompanying him boarded the plane, a TWA jetliner 747 with 229 people.

While the Boeing 747 jetliner was taxiing on the tarmac two members of Mr. Ali's party sitting bgy the winodow of the plane sported a coffin box lying on the tarmac.

They imm'ediately informed Mr. Ali and the other members of the funeral party who created a row

this life. They believed that there was nothing but the life of this world, that they would live and die and be buried, and that once dead they would become nothing more than mere dust and bones. They accused Hud عز وجل of inventing a lie against Allah سبحانه وتعالى (Surah 23 : 33 - 38)
Prophet Hud عليه السلام continued to preach the Oneness and worship of Allah سبحانه وتعالى even though the majority of his people refused to listen to him or believe in what he was saying. He told his people that he had completed his mission by bringing them the truth and that if they did not follow the commands of Allah سبحانه وتعالى a terrible torment would fall on them. Their reply was :"... bring us that wherewith you have threatened us if you are of the truthful". (Surah 7 : 70)
Prophet Hud عليه السلام then prayed to Allah سبحانه وتعالى saying : "I call Allah to witness and bear you witness that I am free from that which you ascribe as partners in worship with Him." (Surah 11 : 34 - 35) Prophet Hud عليه السلام andthose who believed in his message then completely separated themselves from the disbelievers. In the meantime Allah سبحانه وتعالى had sent drought upon the people of Ad. One day a thick dark cloud was approaching their valleys and they happily ran outside believing that the cloud was bringing them rain to end the drought.
It was not rain approaching - it was the punishment that they had been asking for - the torment sent to them by Allah سبحانه وتعالى. Allah سبحانه وتعالى has described this torment and the end of the people of Ad in the Qur'an. Then, when they Saw it as a dense cloud coming towards their valleys, they said : "This is a cloud bringing us rain." Nay, but it is that (torment) which you were asking to be hastened! - a wind where in is a painful torment! Destroying everything by the Command of its Lord! So they became such that nothing could be seen except their dwellings! Thus do We recompense the people who are Mujrimun (polytheists, disbelievers, sinners, etc.)! (Surah 46 : 24 - 25)
So As - Saiha (torment - awful cry, etc.) overtook them with justice, and We made them as rubbish of dead plants. (Surah 23 : 41) Ad people denied the Qari'ah (the striking Hour (of Judgment)! And as for Ad, - they were destroyed by a furious violent wind which Allah سبحانه وتعالى imposed on them for seven nights and eight days in succession so that you could see men lying overthrown (destroyed), as if they were hollow trunks of plam - trees! (Surah 69 : 4, 6, 7)
Ad (people) belied (their Prophet, Hud), then how terrible was My Torment and My Warnings? Verily, We sent against them a furious wind of harsh voice on a day of evil omen and continuous calamity. Plucking out men as if they were uprooted stems of palm - trees. (Surah 54 : 18 - 20) Prophet Muhammad صلى الله عليه وسلم said : "..... the people of Ad were destroyed by Ad - Dabur (i.e. a westerly wind). (Sahih Bakhri). He also said, after speaking about the people of Ad : "....... then is there any that will remember (or receive admonition)?
Thus the story of Prophet Hud and the people of Ad ends.

The Lessons

As the stories of Prophet Hud and Prophet Salih are so similar the lesson for both stories is the same. Therefore, we shall put lesson at the end of the story of Prophet Salih.

The Prophets of Allah
Prophet Hud
by sheikh Muhammed Mustafa Gemea'ah

After Prophet Nuh عليه السلام died Allah عز وجل sent another prophet to mankind as they had begun to deviat from his straight path. These people were the people of Ad. They were a tribe whose name came from their ancestors who were the children of Aram, son of Sam, who was the son of Nuh عليه السلام. They were known as Ad-e-Aram or Ad-Ula as well. They lived in an area extending from Oman to Hadhramaut and Yemen in the southern part of the Arabian peninsula from about 2800 B.H. (before Hijrah) to 2300 B.H. They no longer followed the teachings of the Prophet Nuh, instead they worshipped idols. Prophet Hud called them to the belief in Allah alone. However the majority of his people refused to listen to this call. Consequently they were destroyed by a divine punishmend in the form of a sand storm which lasted for eight days.

The tribe of Ad were strong and powerful people. They were filled with arrogance and pride. They bulit high towers and buildings on top of mountains just to impress other people of how powerful they were. No one lived in these buildings nor were the buildings used for any other purpose. (surah 26 : 128 - 129)

Prophet Hud عليه السلام tried to counsel and warn his people. He told them to worship Allah عز وجل alone and that there was no other God but Him. (Surah 11 : 50) Prophet Hud عليه السلام told his people that they were nothing more than liars because they invented gods other than Allah عز وجل without His permission, and gave these gods names. (Surah 7 : 71)

Prophet Hud عليه السلام tried to make his people understand that it was Allah عز وجل Who gave them their strength and power over other people. He also told them that it was Allah عز وجل alone Who gave them wealth, luxuries, comforts of life, cattle, children, gardens and springs. (Surah 26 : 133 - 134)

Hud عليه السلام told his people that he wanted no reward from them as his reward would come from Allah عز وجل. (Surah 26 : 127) He tried to assure them that he was a messenger and a warner sent to them by Allah عز وجل to warn them of a terrible torment for those who denied His signs and proofs and worshipped anyone or anything other than Allah عز وجل alone. (Surah 7 : 67) Prophet Hud عليه السلام told the people of Ad that they should repent and ask Allah عز وجل for His forgiveness.

Prophet Hud's عليه السلام words fell on ears that could not hear and hearts that could not comprehend this message. (Surah 46 : 26) They told him that he was nothing more than a human being like them (Surah 23 : 33) and that he gave them no proof that what he was saying was the truth. (Surah 11 : 53) The people of Ad told Prophet Hud عليه السلام that as far as they were concerned he was a liar. They told him that they were sure that Hud عليه السلام made their gods angry and in turn the gods had struck Hud عليه السلام with madness.They refused to abandon their idol worship. (Sura 11 : 53 - 54)

The people of Ad did not believe in that Allah سبحانه وتعالى was going to resurrect all mankind on the Day of Judgment so that they would have to answer for their deeds (whether good or bad) in

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiu Alw'wal 1421 H.

ENGLISH SECTION
June 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.
Dept. of English Language and Translation
Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

صدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

قيمة الوقت عند المؤمن

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد

فإن الوقت هو رأس مال الإنسان، وهو أغلى ما يكون عند العلماء والعقلاء، إذ هو قوام علمهم، وعماد حياتهم، وهو أرخص ما يكون عند الجهال، كان السلف الصالح من هذه الأمة يعرفون شرف الوقت وقيمته وأهميته، وكيف كانوا يكسبون الوقت إذا زارهم ضيف، أو نزل بهم ثقلاء بطالون، قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- : «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر قيمته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور، بما لا يعجز عنه البدن من العمل[١]، كما جاء في الحديث

(١) صيد الخاطر (١/٤٦ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢/٢١٨ ، ٢١٩).

←

الشريف: «نية المؤمن خير من عمله، وعمل المنافق خير من نيته، وكل يعمل على نيته، فإذا عمل المؤمن عملا نار في قلبه نور»[٢].

وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات، إذ نُقل عن عامر بن قيس- أحد التابعين العباد الزهاد- أن رجلا قال له: كلمني، فقال له عامر: أمسك الشمس، وقد رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا، إن طال الليل فبحديث لا ينفع، أو بقراءة كتاب فيه غزل وسمر، وإن طال النهار فبالنوم، وهم في أطراف النهار على دجلة، أو في الأسواق.

عزيزي القارىء: عمر الإنسان رأس ماله الذي فيه تجارته، فإذا ضيّعه فيما لا يعنيه، فقد أتلفه فيما لا شيء»[٣].

كما روى عن الحسن البصري أنه قال: «يا عجبا كل العجب من قوم أمروا بالزاد، ونودوا بالرحيل، وقد جلس أولهم لآخرهم، وهم قعود يلعبون، أو قال: جلس أوائلهم وهم يلعبون»[٤].

وإن العاقل الموفق هو من يملأ كل لحظة وثانية من حاضر عُمره، ووقته بفائدة، أو عمل صالح، وقد كره سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- التعطل والبطالة، وإضاعة الزمن سُدًى، فقال: «إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا -أي فارغا- لا في عمل الدنيا ولا في عمل الآخرة[٥] وليعلم أن الوقت أغلى مملوك وأرخص مُضيَّع، وصدق ابن هبيرة إذ يقول:

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع![٦]

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: «أثقل الساعات عليَّ: ساعة آكل فيها».

وقال موسى بن اسماعيل التَّبُوذَكيّ: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت، كان مشغولا: إما أن يحدِّث، أو يقرأ، أو يسبِّح، أو يصلي، وقد قسم النهار على ذلك». حتى قال يونس المؤدب: مات حماد بن سلمة، وهو في الصلاة -رحمة الله -تعالى- عليه».

---

(٢) الفتح الكبير (٣/٢٦٥) للبيهقي عن أنس، وفي الطبراني عن سهل بن سعد.

(٣) كفاية الأتقياء ومنهج الأصفياء للدمياطي.

(٤) تنبيه الغافلين للسمرقندي (٢٠٣).

(٥) قيمة الزمن للأستاذ عبدالستار أبوغدة (١١/١).

(٦) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٨١/١).

وكان أبو يوسف القاضي يُباحث -وهو في النزع والذماء: النفس الأخير من الحياة -بعض عواده في مسألة فقهية، رجاء النفع بها لمستفيد أو متعلم، ولا يُخلي اللحظة الأخيرة من لحظات حياته من كسبها في مذاكرة علم وإفادة واستفادة.

وكان سلفنا الصالح، ومن سار على نهجهم من الخلف أحرص الناس على كسب الوقت وملئه بالخير سواء في ذلك عالمهم وعابدهم، فقد كانوا يسابقون الساعات، ويبادرون اللحظات، ضنا منهم بالوقت وحرصا على ألا يذهب منهم هَدَرًا(٧)

وهذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- يقول: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غَرَبَتْ شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي». ثم إن عمر بن عبدالعزيز يقول: إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما».

وقال الحسن البصري: أدركت أقواما كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصا على دراهمكم ودنانيركم»(٨) وفي القرآن الكريم تنبيه بليغ على ندامة من يفرطون في حياتهم، وينفقون في غير نافع لدنياهم وأخراهم، قال الله -تعالى-:

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾(٩) أي: قدمت عملاً صالحاً في الدنيا من أجل الحياة الآخرة، لأنها أبقى وأدوم، وهذه الآية تدل أبلغ دلالة على خسارة من يتركون حياتهم دون الانتفاع بها. كما جاء في السنة النبوية الشريفة قوله -ﷺ-: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»(١٠)

وكم من تفريط جعل صاحبه يطلب المستحيل، ويتمنى إتاحة الفرصة مرة أخرى، ولاتحين فرصة، ومن ذلك قول أهل النار، وقد رأوا خسرانهم: «ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا»(١١) وقوله -تعالى-:

﴿يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا﴾(١٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «الكيِّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»(١٣)

---

(٧) قيمة الزمن (٢٦، ٢٨، ٢٩).

(٨) المرجع السابق (٢٧).

(٩) سورة الفجر (٢٤).

(١٠) الفتح الكبير (٢٠٣/١) للحاكم والبيهقي عن ابن عباس.

(١١) سورة الأنعام (٢٧).

(١٢) سورة الأحزاب (٦٩).

(١٣) الفتح الكبير (٢٣٩/٢) لأحمد والترمذي وابن ماجه والمستدرك عن شداد بن أوس.

وها هم القدماء قد ضبطوا أوقاتهم فاخترعوا التوقيت عن طريق قياس الظل بالأقدام ثم اخترعوا المزاول والساعات الرملية والساعات المائية حتى لا يكون زمنهم فوضى، ثم لما تقدم الوعي اخترعت الوسائل الحديثة.

وقد صدق أحمد شوقي حينما قال:

دقات قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان

لأن هذه اللمحة التي نسميها الثانية هي مختصر حياة المرء كله مهما انفسح أجله، وإذن فالاستهانة بالزمن القصير خطر عظيم، ولعل حياة سيدنا رسول الله -ﷺ- كانت أملأ بالنشاط المثمر من كل حياة عرفتها البشرية، فلم يعرف عنه منذ اضطلع بعبء الرسالة أنه أضاع دقيقة واحدة في غير فائدة، ولا أخر صلاة عن وقتها حتى لحق بالرفيق الأعلى، كذلك كانوا -رضي الله عنهم أجمعين- في القدوة به إلى حد يدعو إلى العجب والإعجاب.

أما اليوم فيكاد يكون التهاون بقيمة الزمن يصبح ظاهرة فاشية في الأوساط الجاهلة من أمم الشرق، يبددون وقتهم دون مبالاة في المقاهي والملاهي ودور السينما لا ليفيدوا من الحضارة النافعة التي برز فيها الغرب، بل على الأكثر ليتمتعوا بالعرض الزائل أمامهم، ويعجبوا بمهارة اللصوص والقتلة، وعصابات السلب والنهب والقتل، وإذا لم تكن الملاهي أكبوا على لعب الورق والنرد، وأقاموا حلقات القمار، وكل ما يضيع الوقت ويبدد الأعمار في غير طائل، ويذهب بالدين والخُلق.

ولا يخفى عليك عزيزي القارىء أن أسباب التهاون بالزمن كثيرة.

فمنها: فساد التربية الأولى، في بيئات مصابة بهذا المرض الوبيل.

ومنها: عدم الرقابة على الأخلاق، وترك الناشئة، ليمرح كل في مرعاه الوبيل.

ومنها: شيوع المغريات بلا رقابة كافية، وترك أصحاب الثروات يبتكرون المفاتن بلا رادع لغواية الشباب، وابتزاز أمواله.

ومنها: أحلام اليقظة، وغرور النشىء بقدرته على تدارك كل ما يخسره من زمنه، ناسين الحكمة المشهورة: «لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، فإن للغد عملا يكفيه»

ومنها: عدم وجود المؤسسات الكافية لتعليم الشباب عمليا، وتعويدهم على العمل المنظم والانتاج النافع والتعاون المثمر لخير الناس والوطن، والله الله في مواسم العمر، والبدار البدار، قبل الفوات، وإن في الحفاظ على الوقت والزمن لهو دليل صدق الإيمان وعمق اليقين وانه برهان على محاسن الإسلام.

وهنا يقول سيدى عبدالوهاب الشعرانى فى المنن والأخلاق (١١٢) :

ومما أنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ به على : نظرى إلى الوقت الذى أنا فيه، دون الماضى والمستقبل، فإن الماضى قد ذهب بما فيه من خير أو شر، وختم على صحيفته، والمستقبل لا يدرى العبد ما الله صانع فيه، وما بقى إلى الحالة الراهنة، ولا يخلو العبد فيها من أن يكون مخاطبا فيها بأحد ثلاثة أمور : إما أمر يمتثله، وإما نهى يجتنبه، وإما قدر يرضى به، وقد قال القوم: الصوفى ابن وقته، وقال الإمام الشافعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: استفدت من الصوفية طول صحبتى لهم شيئين: قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: إن لم تشغل نفسك بالخير شغلتك بالشر.

أى: لأنها لا تترك نفسها مهملة طرفة عين من حين كلفت، والمهتدى من هداه الله تعالى. وقال – تعالى –: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾[١٤] أى: ألهمها فجورها لتجتنبه، وألهمها تقواها لتعمل بها، ثم لا يخفى أن تفكر العبد فيما مضى من سيئاته، ليستغفر منه لا بأس به للمريدين، بخلاف العارفين، لأن من اشتغل بالماضى ضيع وظيفة الوقت، فإن على العبد فى كل نفس عبودية يؤديها، وصاحب هذا المشهد لا يرى شيئا من عبادة الله يقضى إذا فات، وبه قال بعض المالكية قال: لأن الوقت إذا ذهب فارغا ختم على صحيفته فارغة، فلأى شىء يطلب تفريغ محل ليملأ به محلا آخر، والكل مناقش عليه، ومحاسب به، فلكل دقيقة من الدرجة من عمره دائرة، ولكل ثانية منها دائرة، ولكل درجة دائرة، ولكل درجتين دائرة، ولكل ساعة دائرة ولكل يوم دائرة، ولكل جمعة دائرة، ولكل شهر دائرة، ولجميع عمر الإنسان دائرة، فلا يصح دخول عمل دائرة فى دائرة أخرى.

فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم، وما منا أحد وفى بآداب عبوديته، ولو أن العبد جعل بقية عمره كله استغفارا لما بقى ربما أنه لا يجبر خلل الذنوب الماضية، فضلا عن الآتية، فالحمد لله رب العالمين.

نسأل الله أن يوفقنا جميعا لاستثمار زمننا فى كل ما هو نافع ومفيد حتى نكون بحق خير أمة أخرجت للناس، وصلى الله وسلم على الحبيب رسول الله والحمد لله رب العالمين.. وبالله التوفيق.

عبدالمعز عبدالحميد الجزار

---

(١٤) سورة الشمس ٨.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى -: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الآيات من ١٨٦ : ١٨٨]

بين الله - سبحانه وتعالى - أن العباد إذا حافظوا على فرائضه، واستجابوا لأوامره، وابتعدوا عن نواهيه، فإنه - عزوجل - لا يرد لهم طلبا ولا يخيب لهم رجاء.

قال - تعالى -:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ آية (١٨٦).

قال الإمام البيضاوى فى وجه اتصال هذه الآية بما قبلها من آيات الصيام: «واعلم أنه - تعالى - لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر، عقبه بهذه الآية الدالة على أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم، مجيب لدعائهم، مجاز على أعمالهم تأكيداً له وحثا عليه».

وروى المفسرون فى سبب نزول هذه الآية الكريمة روايات منها: ما أخرجه ابن جرير، وابن أبى حاتم أن أعرابيا جاء النبى - ﷺ - فقال: أقريب ربنا فنناجيه - أى: ندعوه سرا - أم بعيد فنناديه؟ فسكت رسول الله - ﷺ - فأنزل الله هذه الآية.[١]

ومنها مارواه مردويه - بسنده عن الحسن قال: سأل بعض الصحابة رسول الله - ﷺ -: أين ربنا؟ فأنزل الله - تعالى - هذه الآية[٢]

والمعنى: وإذا سألك عبادى يا محمد عن قربى وبعدى فقل لهم: إنى قريب منهم بعلمى ورحمتى وقدرتى وإجابتى لسؤالهم قال - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٣].

فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أنه قال: كنا مع النبى - ﷺ - فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبى - ﷺ - «أيها الناس أربعوا على أنفسكم - أى ارفقوا بها فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته».[٤]

فقوله تعالى - ﴿ فإنى قريب ﴾ تمثيل لكمال علمه - تعالى - بأفعال عباده وأقوالهم، واطلاعه على سائر أحوالهم بحال من قرب مكانه منهم إذ القرب المكانى محال على الله - تعالى -.

وفى الآية الكريمة التفات عن خطاب المؤمنين كافة بأحكام الصيام، إلى خطاب النبى - ﷺ - بأن يذكرهم ويعلمهم ما يجب عليهم مراعاته فى سائر عباداتهم من الإخلاص والأدب والتوجه إلى الله وحده بالسؤال.

ولم يصدر الجواب بقل أو فقل كما وقع فى أجوبة مسائلهم الواردة فى آيات أخر، نحو ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾[٥] بل تولى - سبحانه - جوابهم بنفسه

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢١٨.
(٢) سورة ق ١٦.
(٣) تفسير البيضاوى ص٣٩.
(٤) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢١٨.
(٥) سورة طه ١٠٥.

إشعاراً بفرط قربه منهم، وحضوره مع كل سائل بحيث لا تتوقف إجابته على وجود واسطة بينه وبين السائلين من ذوى الحاجات.

والمراد بالعباد الذين أضيفوا إلى ضمير الجلالة هم المؤمنون لأن الحديث عنهم، ولأن سياق الآيات فى بيان أحكام الصوم وفضائله وهو خاص بالمؤمنين، وقد أضيفوا إلى ضمير الجلالة لتشريفهم وتكريمهم.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ تقرير للقرب وتحقيق له، ووعد الداعى بالإجابة متى صدر الدعاء من قلب سليم، ونفس صافية، وجوارح خاشعة، ولقد ساق لنا القرآن فى آيات كثيرة أمثلة لعباد الله الذين توجهوا إليه بالسؤال، فأجاب الله سؤالهم، ومن ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾[6] وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝٨٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾[7] وقوله ـ تعالى ـ ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٨٣ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ﴾.[8]

وورد فى الحديث ما يدل على أن العبد إذا دعا الله ـ تعالى ـ بما فيه خير، لم يخب عند الله دعاؤه، ولكن لا يلزم أن يعطيه ـ سبحانه ـ نفس ما طلبه، لأنه هو الأعلم بما يصلح عباده. روى الإمام أحمد عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «ما من مسلم يدعو الله ـ عزوجل ـ بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل إليه دعوته، وإما أن يدخرها له فى الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها». وقوله ـ تعالى ـ ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾

توجيه منه ـ سبحانه ـ إلى ما يجعل الدعاء مرجو القبول والإجابة.

والاستجابة: هى الإجابة بعناية واستعداد، والسين والتاء للمبالغة.

والرشد: الاهتداء إلى الخير وحسن التصرف فى الأمر من دين أو دنيا يقال: رشد ورشد يرشد ويرشد رشداً أى اهتدى.

والمعنى: لقد وعدتكم يا عبادى بأن أجيب دعاءكم إذا دعوتمونى، وعليكم أنتم أن تستجيبوا لأمرى، وأن تقفوا عند حدودى، وأن تثبتوا على إيمانكم بى، لعلكم بذلك تصلون إلى ما فيه رشدكم وسعادتكم فى الحياتين العاجلة والآجلة وأمرهم ـ سبحانه ـ بالإيمان بعد الأمر بالاستجابة، لأنه أول مراتب الدعوة، وأولى الطاعات بالاستجابة.

قال الحافظ ابن كثير: وفى ذكره ـ تعالى ـ هذه الآية الباعثة على الدعاء متخللة بين أحكام الصيام إرشاد إلى الاجتهاد فى الدعاء عند إكمال العدة بل وعند كل فطر، كما روى أبوداود الطيالسى فى مسنده عن عبدالله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: للصائم عند

(٦) سورة الأنبياء ٧٦.
(٧) سورة الأنبياء ٨٩ ـ ٩٠.
(٨) سورة الأنبياء ٨٣ ـ ٨٤.

إفطاره دعوة مستجابة، فكان عبدالله بن عمرو إذا أفطر جمع أهله وولده ودعا.

وروى ابن ماجة عن عبدالله بن عمرو قال: قال النبي - ﷺ - «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» وكان عبد الله يقول إذا أفطر: «اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شئ أن تغفرلي» وروى الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - ﷺ - ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم، يرفعها الله دون الغمام يوم القيامة وتفتح لها أبواب السماء ويقول: بعزتي لانصرنك ولو بعد حين.(٩)

هذا والحديث عن الدعاء وعن فضله وعن آدابه وشروطه وفوائده وجوامعه وغير ذلك مما يتعلق به قد بسطناه في غير هذا المكان فليرجع إليه من شاء.(١٠)

وبعد هذا الحديث المؤثر عن الدعاء، عاد القرآن إلى الحديث عن أحكام الصيام، وعن مظاهر رحمة الله بعباده فيما شرع لهم فقال - تعالى -:

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ الآية: (١٨٧).

روى بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية الكريمة أحاديث تفيد أن المسلمين كانوا عندما فرض صيام شهر رمضان، إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويقربون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا حرم عليهم بعد ذلك الطعام والشراب وقربان النساء حتى يفطروا من الغد.

ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ما أخرجه الإمام أحمد وابن جرير وابن حاتم عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه، قال: كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد فرجع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - من عند النبي - ﷺ - ذات ليلة وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت: إني قد نمت، فقال: ما نمت ثم واقعها، وصنع كعب مثل ذلك فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي - ﷺ - فأخبره فنزلت.(١١) ومنها ما رواه البخاري عن البراء قال: كان أصحاب محمد - ﷺ - إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس ابن صرمة الأنصاري كان صائما وفي رواية: كان يعمل في النخيل بالنهار وكان صائما، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق فأطلب لك

---

(٩) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢١٩.

(١٠) راجع كتاب (الدعاء) للمؤلف طبع مجمع البحوث. الكتاب السادس والخمسون.

(١١) تفسير الألوسي جـ٢ ص٦٤.

وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ـ ﷺ ـ فنزلت هذه الآية

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾ ففرحوا فرحاً شديدا، ونزلت ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾.(١٢)

وجمهور المفسرين ـ كما يقول الإمام الرازى ـ على ان هذه الآية من قبيل النسخ، لأنها قد نسخت ما كان حاصلا في أول فرضية الصيام من ان الصائم إذا نام بعد فطره لا يحل له الأكل أو الشرب أو الجماع إلى ان يفطر من الغد.

ويرى بعض العلماء ان الآية ليست من قبيل النسخ وإنما هى إرشاد إلى ما شرعه الله ـ تعالى ـ لعباده خلال شهر الصوم من إباحة غشيان أزواجهن ليلا، ومن جواز الأكل والشرب، حتى يتبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، وكان الصحابة كانوا يتحرجون عن ذلك ظنا منهم أنه من تتمة الصوم، ورأوا أن لا صبر لأنفسهم عن الأكل والشرب والجماع ليلا، فبين الله لهم أن ذلك حلال لا حرج فيه.

وأصحاب هذا الرأى يستشهدون لذلك بما رواه البخارى عن البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله. وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾(١٣) فالمقصود من الآية الكريمة عند هؤلاء رفع ما توهمه بعض الصحابة من ان الأكل أو الشرب أو الجماع لا يجوز ما داموا قد ناموا بعد فطرهم؛ لان الله ـ تعالى ـ رءوف رحيم بهم، ولم يشرع ما فيه حرج أو مشقة عليهم.

وعلى كلا القولين فالآية الكريمة تسوق لنا لونا من ألوان رحمة الله ـ تعالى ـ بعباده فيما شرع لهم من فرائض وأحكام.

والمراد بليلة الصيام: الليلة التي يصبح فيها الإنسان صائما دون تحديد ليلة معينة من شهر رمضان، فالإضافة لأدنى ملابسة.

قال الجمل وقوله: ﴿لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ منصوب على الظرف، وفي الناصب له ثلاثة أقوال: أحدها: وهو المشهور عند المعربين أنه أحل، وليس بشيء لان الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت.

الثاني: أنه مقدر مدلول عليه بلفظ الرفث تقديره: أحل لكم أن ترفثوا ليلة الصيام.

الثالث: أنه متعلق بالرفث وذلك على رأى من يرى الاتساع في الظرف والمجرورات.(١٤) والرفث في الأصل: الفحش من القول وكلام النساء حين الجماع، كني به عن المباشرة للزومه لها غالباً يقال رفث في كلامه ـ كنصر وفرح وكرم ـ وأرفث، إذا أفحش فيه. و المراد به في الآية الجماع والمباشرة.

---

(١٢) ، (١٣) تفسير القرطبي جـ ٢ ص٣١٤.

(١٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٤٩.

وعدى بإلى ـ مع أن المستعمل الشائع أن يقال: رفث بالمرأة ـ لتضمنه معنى الإفضاء كما في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾.(١٥)

والمعنى: أحل الله في ليالي صومكم الإفضاء إلى نسائكم ومباشرتهن وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾

وارد مورد المقتضي لإباحة مباشرة النساء في ليالي الصيام، ذلك أن كلا من الزوجين يسكن إلى صاحبه، ويكون من شدة القرب منه كالثوب الملابس له وكانت العرب تسمي المرأة لباساً، وهذه حال تقوى معها الدواعي إلى المباشرة، فمن رفقه ـ تعالى ـ بعباده أن أحلها لهم ليلة الصيام.

قال الراغب: جعل اللباس كناية عن الزوج لكونه ستراً لنفسه ولزوجه أن يظهر منهما سوء كما أن اللباس ستر عنه أن يبدو منه السوء.

وقال صاحب الكشاف: «فإن قلت: ما موقع قوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ ﴾ قلت: هو استئناف كالبيان لسبب الإحلال، وهو أنه إذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن، فلذلك رخص لكم في مباشرتهن».(١٦)

وفي هذه التعبير القرآني ما فيه من اللطافة والأدب وسمو التصوير لما بين الرجل وزوجه من شدة الاتصال والمودة واستتار كل واحد منهما بصاحبه.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ جملة معترضة بين قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ﴾ وبين قوله: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ إلخ. وقد جيء بها لبيان حالهم بالنسبة إلى ما فرط منهم ولبيان مظهر من مظاهر لطف الله بهم، ورحمته إياهم.

وقوله: ﴿ تَخْتَانُونَ ﴾ قال الراغب: الاختيان مراودة الخيانة، ولم يقل تخونون أنفسكم لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيان، فإن الاختيان تحرك شهوة الإنسان لتحري الخيانة وذلك هو المشار إليه بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾.(١٧)، (١٨).

والمعنى: علم الله ـ تعالى ـ أنكم كنتم تراودون أنفسكم على مباشرة نسائكم ليلاً، وعلى الأكل بعد النوم، قبل أن يظهر الفجر الصادق، بل إن بعضكم قد فعل ذلك، فكان من رحمة الله بكم أن أباح الأكل والشرب والجماع في ليالي الصوم، وأن قبل توبتكم وعفا عنكم، أي: محا أثر ما فعلتموه من الأكل والجماع قبل أن يأذن لكم بذلك.

وجملة ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ معطوفة على محذوف، والتقدير: فتبتم فتاب عليكم.

والذين لا يرون أن الآية ناسخة لحكم سابق عبر عن وجهة نظرهم صاحب المنار فقال: وقوله ـ تعالى ـ:

---

(١٥) سورة النساء ٢١.

(١٦) تفسير الكشاف للزمخشري جـ١ ص٢٣٠.

(١٧) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص١٦٣.

(١٨) سورة يوسف ٥٣.

﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ ﴾ أى: تنتقصونها بعض ما أحل الله لها من اللذات توهما أن من قبلكم كان كذلك فيكون بمعنى التخون أى: النقص من الشيء أو معناه: تخونون أنفسكم إذ تعتقدون شيئا ثم لا تلتزمون العمل به فهو مبالغة من الخيانة التى هى مخالفة مقتضى الأدلة ولم يقل تختانون الله كما قال فى آية أخرى.

﴿ **ولا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم** ﴾[19] للإشعار بأن الله ـ تعالى ـ لم يحرم عليهم بعد النوم فى الليل ما حرمه على الصائم فى النهار، وإنما ذهب بهم اجتهادهم إلى ذلك فهم قد خانوا أنفسهم فى اعتقادها، فكانوا كمن يتغشى امرأته ظانا أنها أجنبية، فعصيانه بحسب اجتهاده لا بحسب الواقع، فهم على أية حال كانوا عاصين بما فعلوا محتاجين إلى التوبة والعفو ولذلك قال:

﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾[20].

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ الأمر فيه للإباحة وهو مرتب على قوله: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾.

ولفظ ﴿ فَالْآنَ ﴾ يطلق حقيقة على الوقت الذى أنت فيه، وقد يقع على الماضى القريب منك وعلى المستقبل القريب الوقوع تنزيلا له منزلة الحاضر وهو المراد هنا.

و﴿ بَاشِرُوهُنَّ ﴾ من المباشرة وأصلها اتصال البشرة بالبشرة، وكنى بها القرآن عن الجماع الذى يستلزمها.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ تأكيد لما قبله، والابتغاء الطلب والمعنى: لقد أبحنا لكم الإفضاء إلى نسائكم فى ليالى رمضان بعد أن كان محرماً عليكم فضلا منا ورحمة بكم فالآن باشروهن واطلبوا من وراء هذه المباشرة ما كتبه لكم الله من الذرية الصالحة ومن التعفف عن إتيان الحرام.

وفى هذا إشعار بأن النكاح شرع ليبتغى به النسل حتى يتحقق ما يريده الله ـ تعالى ـ من بقاء النوع الإنسانى، ومن صيانة المرء نفسه عن الوقوع فى فاحشة الزنا.

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ معطوف على باشروهن.

والمقصود من الخيط الأبيض: أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض فى الأفق قبل انتشاره.

والمقصود من الخيط الأسود: ما يمتد مع بياض الفجر من ظلمة الليل.

والمعنى: لقد أبحنا لكم مباشرة النساء فى ليالى الصوم، وأبحنا لكم كذلك أن تأكلوا وأن تشربوا فى هذه الليالى حتى يتبين لكم بياض الفجر من سواد الليل.

---

(19) تفسير المنار جـ2 ص176.

(20) سورة الأنفال 27.

قال الإمام الرازى : ﴿ والفجر ﴾ مصدر قولك : فجرت الماء أفجره فجرا، وفجرته تفجيرا، قال الأزهرى : الفجر أصله الشق، فعلى هذا الفجر فى آخر الليل هو انشقاق ظلمة الليل بنور الصبح.

وقد وردت روايات صحيحة تفيد أن قوله : ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ قد تأخر نزوله عن الجمل السابقة له، ففى الصحيحين عن سهل بن سعد قال: أنزلت ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾ ولم ينزل ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾

فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ويأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعده ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ فعلموا أنه يعنى الليل والنهار.

وروى أيضا عن عدى بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ ﴾.

عمدت إلى عقالين لى أسود وأبيض فجعلتهما تحت وسادتى وجعلت أنظر فى الليل إليهما فلا يتبين لى، فعمدت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فذكرت ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار» ونزل قوله ـ تعالى ـ: ﴿ من الفجر ﴾.

وشبه بياض النهار وسواد الليل بالخيطين: الأبيض والأسود لأن أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق وما يمتد معه من غبش الليل يكون كالخيط الممدود.

وفى الإتيان بلفظ التفعل فى قوله :

﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ ﴾ إشعار بأنه لا يكفى إلا التبين الواضح لا مجرد التوهم، فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « لا يغرنكم نداء بلال ولا هذا البياض حتى يبدو الفجر ـ أو قال ـ حتى ينفجر الفجر

وقوله : ﴿ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾ بيان للخيط الأبيض، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود، لأن بيان أحدهما بيان للثانى، ويجوز أن تكون «من» للتبعيض، أى : من بعض الفجر وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ بيان لانتهاء وقت الصيام بعد أن بينت الجملة السابقة بدايته. أى: ابدءوا صومكم من طلوع الفجر وانتهوا منه بدخول الليل عند غروب الشمس، إذ الليل ليس بوقت الصيام.

قال الإمام الرازى : كلمة ﴿ إلى ﴾ لانتهاء الغاية، فظاهر الآية: أن الصوم ينتهى عند دخول الليل، وذلك لأن غاية الشىء مقطعه ومنتهاه وإنما يكون مقطعا ومنتهى إذا لم يبق بعد ذلك وقد تجىء هذه الكلمة لا للانتهاء، كما فى قوله ـ تعالى ـ: ﴿ إلى المرافق ﴾ إلا أن ذلك على خلاف الدليل، والفرق بين الصورتين أن الليل ليس من جنس النهار فيكون الليل خارجا عن حكم النهار، والمرافق من جنس اليد فيكون داخلا فيه.

وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ـ: «إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم».

وكان من عادته ـ ﷺ ـ تعجيل الفطر، فقد روى الشيخان عن سهل بن سعد أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر».

وقد أخذ العلماء من هذه الآية ومن عمل ـ الرسول ـ ﷺ ـ وقوله، أن من واصل الإمساك عن المفطرات في الليل فلا ثواب له على هذا الإمساك، لأنه لم يقع في الوقت الذى رسمه الشارع لعبادة الصوم، بل يعد هذا المواصل فاعلا لمحظور، فلابد للصائم من تناول شيء من المفطرات بعد غروب الشمس ولو قليلا من الماء، فقد روى الترمذى عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ـ ﷺ ـ يفطر قبل أن يصلى على رطبات فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء، والوصال – بمعنى أن يصوم الشخص اليوم وما بعده من غير أن يتناول مفطراً في الليل الفاصل بينهما – وردت في النهى عنه أحاديث كثيرة، ومن ذلك ما جاء في الصحيحين عن أنس ابن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ قال: «لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل يارسول الله قال: «لست كأحد منكم إنى أطعم وأسقى» أو قال: «إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى».

وروى الإمام أحمد عن ليلى امرأة بشير بن الخصاصية قالت أردت أن أصوم يومين مواصلة فمنعنى بشير وقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ نهى عنه وقال: يفعل ذلك النصارى ولكن صوموا كما أمركم الله ثم أتموا الصيام إلى الليل، فإذا كان الليل فافطروا».

وقوله:

﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾

استثناء من عموم إباحة المباشرة، وذلك لأنه لما أطلق في الجملة السابقة الإذن في مباشرة النساء ليلة الصيام بقوله:

﴿ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ ﴾ كان هذا الإطلاق مظنة لأن يؤخذ منه أن المعتكف كالصائم في أنه يجوز له أن يباشر زوجته ليلا لا نهارا، فبين – سبحانه – بهذه الجملة أن المعتكف يحرم أن يباشر النساء في الليل والنهار.

قال القرطبى: والاعتكاف في اللغة: الملازمة، يقال: عكف على الشيء إذا لازمه مقبلا عليه قال الشاعر:

وظل بنات الليل حولى عكفا
عكوف البواكى بينهن صريع

ولما كان المعتكف ملازما للعمل بطاعة الله مدة اعتكافه لزمه هذا الاسم وهو في عرف الشرع: ملازمة طاعة مخصوصة في وقت مخصوص على شرط مخصوص في موضع مخصوص، وأجمع العلماء على أنه ليس بواجب وهو قربة من القرب ونافلة من النوافل عمل بها رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه وأزواجه، ويلزمه إن ألزمه نفسه، ويكره الدخول فيه لمن يخاف عليه العجز عن الوفاء بحقوقه.

وأجمع العلماء على أنه لا يكون إلا في المسجد واختلفوا في المراد بالمساجد في قوله – تعالى –:

﴿ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ ﴾ فذهب قوم إلى أن الآية خرجت على نوع من المساجد وهو ما بناه نبى كالمسجد الحرام والمسجد النبوى وبيت المقدس، وقال آخرون لا اعتكاف إلا في مسجد تجمع فيه الجمعة، وقال آخرون الاعتكاف في كل مسجد جائز (٢١).

---

(٢١) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٣٢ بتصرف وتلخيص.

والمشار إليه في قوله - تعالى - :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ الأحكام التي سبق تقريرها من إيجاب وتحريم وإباحة.

والحدود جمع حد، وهو في اللغة الحاجز بين الشيئين المتقابلين ليمنع من دخول أحدهما في الآخر ومنه سمي الحديد حديدا لأنه يمنع وصول السلاح إلى البدن.

وسميت الأحكام التي شرعها الله حدودا لأنها تحجز بين الحق والباطل.

أي: تلك الأحكام التي شرعناها لكم من إيجاب الصوم، وتحريم الأكل والشرب والجماع في نهاره، وإباحة ذلك في ليله، هي حدود الله التي لا يحل لكم مخالفتها أو مجاوزتها.

وعبر - سبحانه - عن النهي عن مخالفة تلك الأحكام بقوله : ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ مبالغة في التحذير من مخالفتها، لأن النهي عن القرب من الشيء نهي عن إتيانه بالأولى، والآية ترشد بقولها ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ إلى اجتناب ما فيه شبهة، كما ترشد إلى ترك الأشياء التي تفضي في غالب أمرها إلى الوقوع في حرام.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت : كيف قيل ﴿ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ مع قوله :

﴿ **فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله** ﴾ قلت: من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي أن يتعداه لأن من تعداه وقع في حيز الباطل، ثم بولغ في ذلك فنهي أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل، وأن يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن أن يتخطاه كما قال رسول الله - ﷺ - : « إن لكل ملك حمى، وحمى الله محارمه، فمن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه » فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد. . ويجوز أن يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ ﴾ وهي حدود لا تقرب(٢٢).

ثم ختم - سبحانه - هذه الآية الكريمة بقوله : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾.

أي: مثل ذلك البيان الجامع الذي بين الله به حدوده التي أمركم بالتزامها ونهاكم عن مخالفتها، يبين لكم آياته، أي أدلته وحججه لكي تصونوا أنفسكم عما يؤدي بكم إلى العقوبة، وتكونوا ممن رضي الله عنه.

وبذلك تكون الآية الكريمة قد ختمت الحديث عن الصوم، ببيان مظاهر رفق الله بعباده، ورعايته لمصالحهم ومنافعهم، بأسلوب بليغ جمع بين الترغيب والترهيب، والإباحة والتحريم، وغير ذلك من أنواع الهداية والإرشاد إلى ما يسعد الناس في دينهم ودنياهم.

وبعد أن أنهى القرآن حديثه عن الصيام، وما يتعلق به من أحكام، أردف ذلك بالنهي عن أكل الحرام، لأنه يؤدي إلى عدم قبول العبادات من صيام واعتكاف ودعاء وغير ذلك، فقال - تعالى - :

---

(٢٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٢٣.

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

والخطاب فى الآية الكريمة موجه إلى المؤمنين كافة فى كل زمان ومكان.

والمراد بالأكل مطلق الأخذ بغير وجه حق، وعبر عنه بالأكل، لأن الأكل أهم وسائل الحياة وفيه تصرف الأموال غالبا.

والباطل فى اللغة : الزائل الذاهب، يقال: بطل يبطل بطولا وبطلانا، أى ذهب ضياعا وخسرا، وجمع الباطل أباطيل، ويقال: بطل الأجير يبطل بطالة إذا تعطل واتبع اللهو.

والمراد هنا : كل ما لم يبح الشرع أخذه من المال وإن طابت به النفس، كالربا والميسر وثمن الخمر، والرشوة، وشهادة الزور، والسرقة، والغصب، ونحو ذلك مما حرمه الله – تعالى – والباء للسببية، والجار والمجرور متعلق بالفعل قبله، وكذلك قوله : ﴿ بَيْنَكُم ﴾.

والمعنى : لا يأخذ بعضكم مال بعض، ويستولى عليه بغير حق، متذرعا بالأسباب الباطلة، والحيل الزائفة، وما إلى ذلك من وجوه التعدى والظلم.

وفى قوله – تعالى – : ﴿ أَمْوَٰلَكُم ﴾ – مع أن أكل المال يتناول مال الإنسان ومال غيره – فى هذا القول إشعار بوحدة الأمة وتكافلها، وتنبيه إلى أن احترام مال غيرك وحفظه هو عين الاحترام والحفظ لمالك أنت، ففى هذه الإضافة البليغة تعليل للنهى، وبيان لحكمة الحكم، إذ استحلال الإنسان لمال غيره يجرىء هذا الغير على استحلال مال ذلك الإنسان المتعدى، وإذا فشا هذا السلوك فى أمة من الأمم أدى بها إلى الضعف والتعادى والتباغض.

فما أحكم هذا التعبير، وما أجمل هذا التصوير.

وقوله : ﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ بيان لصورة أخرى قبيحة من صور أكل أموال الناس بالباطل وقوله : ﴿ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ معطوف على ﴿ لا تأكلوا ﴾.

والإدلاء فى الأصل: إرسال الدلو فى البئر للاستقاء، ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء، ومنه أدلى فلان بحجته، أى : أرسلها ليصل إلى مراده.

والمراد بالإدلاء هنا: الدفع والإلقاء بالأموال إلى الغير من أجل الوصول إلى أمر معين.

والحكام: جمع حاكم، وهو الذى يتصدى للفصل بين الناس فى خصوماتهم وقضاياهم والفريق: القطعة المعزولة من جملة الشيء، ومنه قيل للقطعة من الغنم تشذ عن معظمها فريق.

والإثم : الفعل الذى يستحق صاحبه الذم والعقاب، وجمعه آثام.

والمعنى : لا يأخذ بعضكم أموال بعض – أيها المسلمون – ولا يستولى عليها بغير حق، ولا تدلوا بها إلى الحكام، أى: ولا تلقوا أمرها والتحاكم فيها إلى القضاء لا من أجل الوصول إلى الحق، وإنما من أجل أن تأخذوا عن طريق التحاكم قطعة من أموال غيركم متلبسين بالإثم الذى

يؤدى إلى عقابكم، حال كونكم تعلمون أنكم على باطل، ولاشك أن إتيان الباطل مع العلم بأنه باطل أدعى إلى التوبيخ من إتيانه على جهالة به.

فعلى هذا الوجه يكون المراد بالإدلاء بالأموال إلى الحكام طرحها أمامهم ليقضوا فيها، وليتوسل بعض الخصوم عن طريق هذه القضاء إلى أكل الأموال بالباطل حين عجزوا عن أكلها بالمغالبة.

وهناك وجه آخر تحتمله الآية احتمالا قريبا، وبه قال كثير من العلماء وهو أن المراد بالإدلاء بالأموال إلى الحكام، إلقاؤها إليهم على سبيل الرشوة ليصلوا من وراء ذلك إلى أن يحكموا لصالحهم بالباطل، وعليه يكون المعنى:

لا يأخذ بعضكم أموال بعض أيها المسلمون، ولا تلقوا ببعضها إلى حكام السوء على سبيل الرشوة، لتتوصلوا بأحكامهم الجائرة إلى أكل فريق من أموال الناس بغير حق. ولا غرابة في أن يعنى القرآن في سياسته الرشيدة بالتحذير من جريمة الرشوة، فإنها المعول الذي يهدم صرح العدل من أساسه وبها تفقد مجالس القضاء حرمتها وكرامتها، وتصير تلك المجالس موطنا للظلم لا للعدل.

وخص القرآن الكريم هذه الصورة بالنهي- وهي صورة الإدلاء بالأموال إلى الحكام- مع أنه قد ذكر ما يشملها بقوله:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ لأنها على وجهي تفسيرها شديدة الشناعة، جامعة لمنكرات كثيرة، كالظلم، والتباغض والرشوة، والغصب وغير ذلك. والحق، أن هذه الآية الكريمة أصل من الأصول التي يقوم عليها إصلاح المعاملات، وقد أخذ العلماء منها حرمة أكل أموال الناس بالباطل، وحرمة إرشاء الحكام ليقضوا للراشي بمال غيره، وقد لعن النبي - ﷺ - الجميع في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش» وهو الواسطة الذي يمشي بينهما.

كما أخذوا منها أن حكم الحاكم على ما يقتضيه الظاهر من أمر القضية لا يحل في الواقع حراماً، ولا يحرم حلالاً، والدليل على ذلك ما أخرجه الشيخان عن أم سلمة - رضي الله عنها - عن رسول الله - ﷺ - أنه سمع خصومة بباب حجرته، فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر، وإنه ليأتيني الخصم. فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه قد صدق، فأقضي له بذلك. فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها».

قال الإمام ابن كثير: «فدلت هذه الآية الكريمة وهذا الحديث على أن حكم الحاكم لا يغير الشيء في نفس الأمر، فلا يحل في نفس الأمر حراماً ولا يحرم حلالاً، وإنما هو ملزم في الظاهر، فإن طابق في نفس الأمر فذاك وإلا فللحاكم أجره وعلى المحتال وزره، ولهذا قال الله -تعالى- في آخر الآية ﴿ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾. أي تعلمون بطلان ما تدعونه وترجونه في كلامكم». (٢٣)

وبذلك تكون الآية الكريمة قد رسمت طريق الحق لمن يريد أن يسير فيه

﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٤)

يتبع

---

(٢٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٥.

(٢٤) سورة الأنفال ٤٢.

المؤتمر الإسلامي العالمي

الثانى عشر - المنعقد فى القاهرة

٨ - ١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ

١١ - ١٤ يونية ٢٠٠٠م

تحت رعاية السيد الرئيس محمد حسنى مبارك - رئيس الجمهورية - انعقد في القاهرة المؤتمر الإسلامى العالمى الثانى عشر، والذى تنظمه وزارة الأوقاف ممثلة فى: «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» وموضوعه.

«نحو مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى»

الإسلام ومتغيرات العصر

وقد شارك فى جلساته وفود من سبعين دولة من قارات العالم الخمس، وناقش أكثر من خمسين بحثا، خلال عشر جلسات صباحية ومسائية، تحت الرياسة الشرفية لفضيلة الإمام الأكبر - شيخ الأزهر.

ويسر «مجلة الأزهر» أن تقدم للسادة القراء كلمة السيد رئيس الجمهورية والتى ألقاها بالإنابة عن سيادته الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف.

وكلمة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - وقرارات وتوصيات المؤتمر.

كلمة السيد الرئيس
محمد حسنى مبارك
رئيس الجمهورية

فى افتتاح المؤتمر الثانى عشر
للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾(1)

صدق الله العظيم

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر الكرام :

السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أود فى البداية أن أحييكم وأرحب بكم على أرض وطنكم الثانى مصر ، التى يسعدها أن تشرف بمشاركتكم السنوية فى هذا المؤتمر الإسلامى الكبير ، الذى تعبرون فيه عن اهتمامكم البالغ بقضايا أمتكم العربية والإسلامية ، وتطلعكم جميعا إلى إحداث نهضة حضارية فى هذا الجزء من العالم ، ذى التاريخ العريق ، والعطاء العلمى والحضارى الذى يعرفه الجميع ، حتى تحتل أمتنا مكانتها اللائقة بها فى عالم اليوم .

---

(1) سورة الرعد ١١.

الإخوة الأعزاء :

الموضوع المعروض للمناقشة هذا العام تحت عنوان : «الإسلام ومتغيرات العصر» إنما هو حلقة من حلقات الموضوع الأساسي الذى تمت مناقشته فى مؤتمر العام الماضى بعنوان : (نحو مشروع حضارى لنهضة العالم الإسلامى) .

وقد ركز مؤتمركم هذا العام على قضية تعد من أهم القضايا التى تواجهها أمتنا فى هذا العصر وهى قضية توطين التكنولوجيا فى العالم الإسلامى .

ويقينى أنكم جميعاً تشاركوننى الرأى فى أنه لا يليق بالأمة الإسلامية فى الألفية الجديدة أن تظل تعانى من مشكلة الأمية الأبجدية بينما العالم المتقدم منشغل بمحو الأمية التكنولوجية .

وللخروج من هذا المأزق الخطير أود أن أضع أمامكم بعض الأفكار التى قد تساعد فى العثور على الحلول المناسبة لما تعانيه أمتنا الإسلامية من تخلف علمى وتكنولوجى :

أولاً : إن من أوجب الواجبات اليوم أن يكتمل التعاون والتنسيق والتكامل بين شعوب أمتنا وحكوماتها فى مجالات البحث العلمى والتكنولوجيا ، لأنه من العسير على دولة واحدة أن تحقق إنجازات ذات شأن فى كل المجالات العلمية والتكنولوجية المتقدمة ، ولكن إذا تكاملت الجهود ، وتعاونت العقول ، وتم التنسيق ، فيمكن حينئذ للعالم الإسلامى أن يشهد إنجازاً ملموساً يرتقى بأمتنا ، ويحقق لها ريادة علمية فى القرن الجديد .

- لاسيما - إذا أخذنا فى الاعتبار أن المسلمين لا تنقصهم العبقرية ، فهناك علماء مسلمون كثيرون يعملون فى مختلف بلدان العالم المتقدم ، قد برهنوا على تفوقهم العلمى ، بما تحقق على أيديهم من إنجازات وابتكارات علمية اعترف العالم بفضلها وإسهامها فى التقدم العلمى للبشرية .

وقد حصل بعضهم على جائزة نوبل تقديراً لاكتشافاته العلمية التى حظيت بتقدير العالم ، ومن هؤلاء كان العالم المصرى أحمد زويل وقبله بسنوات كان العالم الباكستانى محمد عبدالسلام ، ومعنى هذا أننا إذا وفرنا لعلمائنا الإمكانات المطلوبة للبحث بمستواه المتقدم فستكون لهم إسهاماتهم العظيمة فى مجال البحوث العلمية وخدمة البشرية .

ثانياً : ينبغى ألا ننسى أن ديننا العظيم قد جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة .. وفضلاً عن ذلك فإنه دين لا يتناقض فى أى من تعاليمه مع حقائق العلم المستقرة ، وقد فتح القرآن الباب على مصراعيه بلا حدود أمام البحث العلمى حين قال :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)

كما دعا فى الكثير من آياته إلى النظر والتدبر فى آيات الله الكونية والإنسانية ، كما فى قوله ـ سبحانه ـ :

---

(٢) سورة الجاثية ١٣ .

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾[3].

وفى قوله:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[4]

ثالثاً: يؤكد الإسلام على ضرورة الحرص على الالتزام التام بالقيم الأخلاقية في مجال البحث العلمي فكل ما يفيد الإنسانية يؤيده الإسلام ويحثُ عليه، وكل ما يضرها يحرّمه ويحذّر منه، ومن هنا فإن الإسلام فى الوقت الذى يحث فيه على البحث العلمي بلا حدود، للتعرف على آيات الله فى الكون وفى الإنسان، فإنه من ناحية أخرى يناشد العلماء والباحثين أن يراعوا فى ذلك كله القيم الأخلاقية التى تمثل السياج المنيع الذى يحمي البشرية من الدمار، ويحفظُها من الانهيار، ويقيها من أخطار الانفلات الأخلاقى فى مجال البحث العلمي.

رابعاً: إن الإسلام لا يحرص فقط على مشاركة المسلمين فى كل الإنجازات العلمية والتكنولوجية التى تخدم البشرية، بل يدعوهم إلى أن يكونوا فى المقدمة فى كل ما يعود على الإنسانية بالخير، كما كانوا روّاداً للعلوم وللحضارة التى استفادت منها أوروبا فى عصر النهضة، وقد ساعدها ذلك على التطوير والابتكار مما عاد على البشرية بالكثير من الخير.

ومن أجل ذلك جعل الإسلام فعل الخير الذى تستفيد منه الإنسانية هو الميدان الحقيقي للتسابق والتنافس بين البشر، وفى هذا يقول القرآن الكريم: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[5]

خامساً: ليس هناك شك فى أن الإنجازات العلمية التى تفيد البشرية تعد من أهم أفعال الخير التى يبقى أثرها قائماً حتى بعد رحيل أصحابها عن هذه الدنيا، ومن هنا يجعلها الإسلام مصدر ثواب لهم لا ينقطع ما بقيت الحياة، كما جاء فى الحديث الشريف: «إذا مات ابن آدم انقطع عَمَلهُ إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

سادساً: وإذا كان الإسلام يدعو أتباعه إلى التسابق فى كل ما من شأنه أن يعود بالخير على البشرية كلها، فإن ذلك يعنى من جانب آخر أن المسلمين ـ من منطلق تعاليم دينهم ـ ليسوا طلاب استعلاء وهيمنة على الآخرين، وإنما هم طلاب عدل وسلام.

ولكن العدل والسلام فى حاجة إلى قوة تحميه وتسنده، والقوة الحقيقية في عصرنا تتمثل فى العلم والمعرفة، وتلك قضية مصيرية للمسلمين فى عالم اليوم، فلا يجوز أن يظل المسلمون فى القرن الجديد فى عداد الدول النامية أو المتخلفة، ولا يليق بهم أن يظلوا فى مؤخرة ركب التقدم الحضارى، وعليهم اليوم مسئولية مضاعفة تتمثل فى القضاء على أسباب التخلف القائم فى مجتمعاتنا من ناحية، وإسراع الخطى فى مجال التقدم الحضارى من ناحية ثانية.

---

(3) سورة يونس ١٠١. (4) سورة الذاريات ٢١. (5) سورة البقرة ١٤٨.

الإخوة الأعزاء :

لقد خطت مصر فى الفترة الأخيرة خطوة رائدة فى مجال توطين التكنولوجيا فى مصر من خلال برنامج قومى للنهضة التكنولوجية ، وأنشأت مدينة للأبحاث العلمية والتطبيقات التكنولوجية على أحدث المستويات العالمية ، كما تهتم ببناء مجتمع المعلومات الذى يشمل تطوير المحتوى الإلكترونى باللغة العربية ، وتطوير البنية الأساسية لشبكة الاتصالات ، ونشر الحاسبات والإنترنت فى جميع أنحاء الجمهورية ، وبخاصة لطلاب المدارس والجامعات ، من أجل إعداد جيل من الشباب والباحثين يكون قادراً على التعامل مع كل منجزات العصر فى مجال المعلومات والاتصالات والبرمجيات والتكنولوجيا بصفة عامة ، وليس الهدف هو القدرة على استخدام التكنولوجيا المعاصرة فحسب ، وإنما المشاركة الإيجابية فى الإنتاج والإبداع فى هذه المجالات ، وقوة مصر فى هذا الصدد ستكون بطبيعة الحال دعماً وسنداً لأشقائها فى العالم الإسلامى .

الإخوة الأعزاء ضيوف مصر الكرام :

إن العصر الذى نعيش فيه يفرض علينا تحديات كبيرة فى جميع المجالات ، ولا مفر أمامنا من مواجهتها والتعامل معها بإيجابية للخروج من المأزق الحضارى الذى تئن الأمة الإسلامية تحت وطأته ، وإنى لعلى يقين من أنكم تدركون تماما مدى الأخطار والتحديات التى تواجهها الأمة فى عالم اليوم كما تدركون السبل الكفيلة والملائمة للتعامل مع هذه التحديات .

وأود أن ألخص بعض الأفكار والملاحظات التى قدمت لها فى حديثى إليكم فى النقاط التالية :

أولاً : ضرورة العمل الجاد وفق خطة محكمة للقضاء على الأمية الأبجدية فى العالم الإسلامى تمهيداً للقضاء على الأمية التكنولوجية .

ثانياً : دراسة جعل مادة الحاسبات الآلية مادة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة فالتكنولوجيا هى لغة العصر التى لابد لمن يريد أن يجد له مكاناً فى عالم اليوم أن يجيد هذه اللغة إجادة تامة .

ثالثاً : ضرورة البحث عن وسيلة فعالة للتعاون والتكامل والتنسيق بين مؤسسات البحث العلمى فى العالم الإسلامى بهدف تبادل الخبرات والأبحاث والمعلومات والنشرات ، فمن البديهى أن دولة واحدة من دولنا لن تحقق التقدم فى جميع مجالات البحث العلمى والتكنولوجى ، ومن هنا تأتى الحاجة الملحة إلى التنسيق حتى لا تتكرر الأعمال وتتبدد الجهود .

وهذا التكامل من شأنه أن يفسح الطريق فى فترة زمنية قصيرة لإنجازات علمية رائعة .

رابعاً : لقد آن الأوان لتكوين تجمع علمى من علماء العالم الإسلامى فى مجال البحث العلمى والتكنولوجى يكون محوراً للتعاون والتنسيق والتكامل ، وتقديم المشورة فى توجيه الأبحاث ومراعاة الأولويات الملحة فى هذا الصدد .

وفى ختام كلمتى أسأل الله لمؤتمركم التوفيق والنجاح ، ولضيوف مصر الأعزاء إقامة طيبة فى القاهرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر

الأخوة الأعزاء،

الحفل الكريم،

لعل من المناسب فى الأوساط العلمية الممتازة أن نسوق الكلمات فى حقائق محددة.

الحقيقة الأولى: أن من المقاصد التى من أجلها أوجدنا الله ـ عز وجل ـ أن نتعارف فالله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(١)

وهذه المؤتمرات لو لم يكن فيها إلا التعارف والتناصح والتلاقى على طاعة الله ـ عز وجل ـ والتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان لكفاها ذلك شرفاً وفخراً.

الحقيقة الثانية: أن الناس إذا ماتعاونوا بإخلاص فإن ثمرة هذا الإخلاص لابد أن تكون خيراً لهؤلاء المتعاونين؛ بل للعالم أجمع: لأن التعاون الذى يقوم على تقوى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لن يضيعه الله: لأنه هو القائل:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾(٢)

الحقيقة الثالثة: أن لفظ العلم وما اشتق منه علم، ويعلم، واعلم، وتعلمون.. إلى آخره. هذا اللفظ تكرر مئات المرات فى القرآن الكريم، ويكفى أن الله ـ عز وجل ـ لم يفضل أبانا آدم عن الملائكة إلا بفضيلة العلم حيث قال:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾(٣).

فيكفى العلم شرفاً أن الله ـ عز وجل ـ أمر نبينا وشفيعنا محمداً ـ ﷺ ـ أن يسأله المزيد من العلم فقال:

---

(١) الحجرات: ١٣. (٢) الطلاق: ٢ ـ ٣. (٣) البقرة: ٣١ ـ ٣٣.

﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[4]

الحقيقة الرابعة: أن شريعة الإسلام تشجع كل علم نافع سواء أكان علماً زراعياً، أم صناعياً، أم اقتصادياً، فكل علم نافع شريعة الإسلام تشجع عليه مادام هذا العلم فى حدود ما أمر به ـ سبحانه وتعالى ـ وفى خدمة الإنسانية.

وهناك آيات كثيرة تشير إلى أن الله ـ عز وجل ـ علم أنبياءه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ علوماً متنوعة، فسيدنا داود قال الله عنه:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[5]

وكما نعلم بأن صناعة الدروع من الصناعات التى لم يستغن الإنسان عنها فى الأزمنة الماضية، وربما يحتاجون إليها فى زمننا هذا، لكن نجد فى آية أخرى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جمع بين العلم الروحى وبين العلم المادى ـ أيضا ـ يسوق القرآن هذا بالنسبة لسيدنا داود فيقول:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[6].

انظر كيف جمع القرآن الكريم بين القوتين: القوة الروحية المتمثلة فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾ وبين القوة المادية فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ وقال له:

﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾. أى اعمل دروعاً سابغات وقدر فى السرد ـ لتكون الدروع محكمة ـ

﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

القرآن يشير إلى أن كل إنسان فتح الله بصيرته وأعطاه علماً نافعاً، ورسخ فى هذا العلم سواء أكان علماً طبياً، أم زراعياً، أم صناعياً. هذا الإنسان هو أقرب الناس إلى الله وهو أكثر الناس خشية من الله ـ سبحانه وتعالى ـ ولعل من الأدلة على ذلك قوله ـ عز وجل ـ:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[7].

شريعة الإسلام تؤيد كل علم مادام هذا العلم فى خدمة الإنسانية، وفى حدود ما أحله الله ـ عز وجل ـ لكن العلم إذا استعمل فى الشر والظلم والغدر والعدوان، وفى إذلال الناس ـ عندما يكون العلم كذلك ـ يكون نكبة على البشرية ولعل أمير الشعراء الذى توفى منذ مايقرب من سبعين

---

(4) طه: ١١٤.　(5) الأنبياء: ٨٠.

(6) سبأ: ١٠ ـ ١١.　(7) فاطر: ٢٧ ـ ٢٨.

سنة عندما قال في قصيدة له وهو يتكلم عن الغواصة وعن مفاسدها - ولاندرى لو كان أمير الشعراء موجودا في عصرنا الحاضر ماذا كان يقول عندما وجد أن الغواصات تقتل وتهلك - فقال:

هي الحوت منها مشابه فلو
كان فرلاذاً لكان أخاها

خئول إذا غاصت غدور إذا
طفت مقبحة في سفحها وخفاها

فلا كان بانيها ولاكان ركبها
ولاكان بحر ضمها وحواها

وأف من العلم الذى تزعمونه
إذا كان في علم النفوس رداها

مرحباً بالعلم الذى يخدم الحق والفضائل والإنسانية ويكون في حدود ما أحله الله - سبحانه وتعالى -.

وسحقا لعلم يستخدم في الظلم والغدر والعدوان، وفى أكل أموال الناس بالباطل.

الحقيقة الخامسة: ونحن في شهر ميلاد رسولنا - ﷺ - نجد أن - الرسول - عليه الصلاة والسلام - فتح لأمته أبواب العلم النافع. يكفى أنه - ﷺ - أمر سيدنا زيد بن ثابت أن يتعلم بعض اللغات الأخرى ليكون مترجما للنبى - ﷺ -: فتعلم سيدنا زيد بن ثابت إحدى اللغات في خمسة عشر يوماً، وتعلم الثانية في سبعة عشر يوماً، يريد النبي - ﷺ - أن يفتح العقول للعلم بكل ألوانه، مادام هذا العلم في خدمة الحق والفضائل، ويكفى أن الرسول - ﷺ - كما ترى - كان يرسل بعض أصحابه إلى البلاد الأخرى لكى يتعلموا من غيرهم فنون السلاح.

فتحت شريعة الإسلام أبواب العلم على مصارعها وأمرتنا بأن نتعلم من شتى العلوم التى تخدم الإنسانية وفى حدود ما أحله الله - عز وجل -.

نسأل الله أن يوفقنا جميعاً إلى مايحبه ويرضاه، وأن يجمعنا دائما على طاعته، وأن يجعل هذه المجالس خالصة لوجهه الكريم، وأن يجعلها في ميزان حسناتنا جميعاً يوم نلقاه

﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾(٨)

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(٨) الانفطار: ١٩.

التوصيات

١ - دراسة إعادة النظر فى مناهج التعليم فى مراحله المختلفة بما يكشف عن القدرات الإبداعية لدى الدارسين وتنميتها، والعمل على إعداد جيل من الشباب والباحثين يكون قادرا على التعامل مع كل منجزات العصر فى مجال المعلومات والاتصالات والبرمجيات، والمشاركة الإيجابية فى الإنتاج والإبداع.

٢ - تعميق مفهوم القيم الإسلامية الدافعة للتقدم مثل تحمل المسئولية واحترام الوقت، وإجادة العمل وإتقانه، والعمل بروح الفريق وذلك لدى الأجيال الجديدة.

٣ - توثيق الاتصال بمراكز البحث العلمى والتكنولوجيا فى الخارج بما يُحقق التواصل المستمر بينها وبين مراكز البحوث فى العالم الإسلامى.

٤ - تكوين قاعدة بيانات شاملة لكل الهيئات والجهات المهتمة بالبحث العلمى والتكنولوجيا والعلماء المتخصصين فى داخل دول العالم الإسلامى، والعمل على إيجاد آلية للتنسيق بينها، ونشر ما تتوصل إليه هذه المؤسسات من إنجازات علمية وتكنولوجية.

٥ - تكوين قاعدة بيانات عن العلماء والمبدعين للبحوث التكنولوجية من أبناء العالم الإسلامى فى الخارج للإفادة من بحوثهم ومشاركتهم فى تطوير مراكز البحوث فى العالم الإسلامى.

٦ - تشجيع البحوث المشتركة بين العلماء فى البلاد الإسلامية والإفادة بنتائجها فى المجالات الاقتصادية والزراعية والصناعية.

٧ - العمل على امتلاك تكنولوجيا متطورة تستطيع منافسة نظيرتها فى الدول المتقدمة، ويتم ذلك على خطوات مدروسة ومحسوبة تبدأ بتدريب عدد مناسب من الكفاءات التكنولوجية تمهيداً لاستيعاب التكنولوجيا المتقدمة، ثم استخدامها فى مجالاتها المختلفة مما يؤدى إلى الإبداع والابتكار.

٨ - إيفاد عدد مناسب من البعثات الدراسية للبلاد المتقدمة لكسب الخبرة، والوقوف على أحدث الإنجازات العلمية فضلا عن تخصيص هيئة أو جهة تتولى ترجمة ما توصل إليه العلماء فى الخارج من إنجازات علمية وتكنولوجية أولا بأول.

٩ - يناشد المؤتمر الدول الإسلامية للعمل على دعم المؤسسات العلمية والثقافية المنبثقة عن «منظمة المؤتمر الإسلامى» وجامعة الدول العربية، من أجل مزيد من الاهتمام بقضايا البحث العلمى والتكنولوجيا وتزويد مراكز البحوث العلمية فى مختلف دول العالم الإسلامى بما تنجزه من أعمال.

١٠ - تتولى المنظمات والهيئات الدولية الإسلامية والعربية تكوين فرق بحثية تكون مهمتها كيفية الإفادة من الاتفاقيات الدولية التى تنظم التجارة الدولية مثل: اتفاقيات الجات، والجاتس، والتربس.

١١ - مراعاة الاهتمام بتطوير تكنولوجيا محلية تخدم البيئة، وتتلاءم مع ظروف العالم الإسلامى الاجتماعية.

١٢ - تحتاج البحوث التكنولوجية إلى نفقات باهظة تعجز ميزانيات كل دولة على حدة عن تدبيرها، ويعجز القطاع الخاص بمفرده عن مواجهتها، ولذلك يتعين على الدول الإسلامية أن تواجه هذا الأمر بتخصيص نسبة من ميزانيتها تتناسب والتكاليف المتوقعة لإنجاز البحوث المطلوبة.

١٣- توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لنشر الثقافة الإسلامية وبيان مقوماتها وخصائصها في مواجهة الثقافات الأخرى، والرد على ما يثار حول الإسلام وتعاليمه من دعايات مغرضة.

* توصيات عامة:

انطلاقاً من وحدة الأمة الإسلامية وتضامن أبنائها فيما بينهم، ودفاعاً عن حضارتها في ظل العولمة وما تفرضه من قيود على سيادة الدول الإسلامية يوصي المؤتمر بما يلي:-

١- التأكيد على توصياته في المؤتمرات السابقة ببذل أقصى الجهود الدبلوماسية لحمل إسرائيل على تنفيذ تعهداتها بخصوص ما يلي:

أ- تمكين الشعب الفلسطيني من الحصول على حقوقه المشروعة، وعلى رأسها حقه في تقرير مصيره، وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وتمكين الفلسطينيين الذين أجبروا على ترك ديارهم من العودة إليها، وتعويضهم عما لحق بهم من أضرار، وإيقاف بناء مستوطنات إسرائيلية جديدة، والكف عن تغيير الطبيعة الجغرافية للأرض الفلسطينية المحتلة.

ب- تنفيذ قرارات مجلس الأمن الخاصة بانسحاب إسرائيل من الجولان السورية.

٢- يشيد المؤتمر بجهود المقاومة اللبنانية، ويشارك شعب لبنان فرحته بإذعان إسرائيل لقرارات مجلس الأمن الخاصة بالانسحاب من الجنوب اللبناني، ويحث المؤتمر الهيئات الدولية على ضرورة الالتزام بالحدود الدولية المعترف بها للجمهورية اللبنانية.

٣- يشيد المؤتمر بالجهود الدولية التي أدت إلى إيقاف الإبادة العنصرية لأبناء كوسوفو وعودتهم إلى ديارهم، ويسجل تقديره لإنشاء محكمة جنائية دولية لمحاكمة مجرمي الحرب في يوغوسلافيا السابقة.

٤- يؤكد المؤتمر على ما جاء في توصياته في المؤتمرات السابقة على ضرورة حل النزاع بين باكستان والهند حول كشمير بالطرق والوسائل السلمية.

٥- يشيد المؤتمر بالجهود الدبلوماسية للدول الإسلامية مع الدول التي تعيش فيها أقليات إسلامية والتي أسفرت عن تحقيق قدر كبير من مساواة المسلمين فيها بغيرهم، والالتزام بتطبيق مبادئ حقوق الإنسان بالنسبة لهم وعلى رأسها حقهم في حرية العقيدة، وحرية ممارسة الشعائر الدينية، والحفاظ على هويتهم الثقافية الإسلامية، ويسجل المؤتمر بهذه المناسبة تقديره لما أعلنه ممثل مسلمي اليونان في المؤتمر من اعتزام الحكومة اليونانية إقامة مركز إسلامي يضم مسجداً يتم الانتهاء من بنائه عام ٢٠٠٢م، بالإضافة إلى موافقتها على تدريس الفلسفة الإسلامية في الجامعات اليونانية.

٦- يؤكد المؤتمر على توصيته في المؤتمرات السابقة بأهمية تنفيذ القرار الصادر من منظمة المؤتمر الإسلامي بإنشاء محكمة عدل إسلامية تختص بالنظر فيما يثور من منازعات بين الدول الإسلامية وحلها بالطرق السلمية في ضوء أحكام الشريعة الإسلامية امتثالاً لقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾(١)

٧- يرحب المؤتمر بالجهود التي تبذل للإفادة من استخدام التكنولوجيا في تحديد أوائل الشهور القمرية.

وبالله التوفيق

---

(١) الحجرات : ٩.

احتفال مصر بذكرى

المولد النبوي الشريف

كلمة السيد رئيس الجمهورية

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ هـ - ١٤ من شهر يونية ٢٠٠٠ م

كلمة السيد رئيس الجمهورية

في

احتفال مصر بذكرى

المولد النبوى الشريف

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

السادة العلماء الأجلاء..

الإخوة والأخوات الأعزاء.

إحياء لهذه الذكرى العطرة، يحتفل المسلمون فى كل بقاع الأرض بيوم مولد النبى الكريم، الذى أرسله الله رحمة للعالمين، فأخرج به ملايين البشر فى كل عصر من الظلمات إلى النور، وهداهم إلى صراطه المستقيم، وأنقذهم من الجهالة والظلم والعدوان إلى العلم والعدل والسلام، بنور الإيمان وهدى الإسلام، وفتح بذلك صفحة جديدة ناصعة فى حياة الإنسان على هذا الكوكب.

وقد اعتدنا مع حلول موعد هذه الذكرى من كل عام، أن نستذكر سيرة النبى الطاهرة التى جعل الله لنا فيها أسوة حسنة، إذ علمنا الخالق - جل شأنه - أن سيرة الأنبياء والمرسلين ليست مجرد قصص تتلى، أو تاريخ يروى ثم ينسى، وإنما هى نماذج رفيعة لحياة إنسانية فاضلة نبيلة، فقال - سبحانه وتعالى -:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(1)،

ثم قال عن نبينا محمد - ﷺ -:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(2)

(1) سورة يوسف (111).

(2) سورة الأحزاب (21).

الاقتداء بالرسول الكريم

وجدير بنا في هذا المنعطف الهام في تاريخ الإنسانية الذى حقق فيه المجتمع البشرى تقدماً هائلاً غير مسبوق في جميع ميادين العلم والمعرفة أن ترسخ هذا التقدم الكبير، بالتمسك بعناصر أساسية، ذات أهمية قصوى في تحديد مستقبل الإنسانية ومصيرها.

وأول تلك العناصر هو الاقتداء بالرسول الكريم في خلقه ومنهجه في التعامل مع الناس، والسير على رؤيته لما يحقق الخير للجماعة..

وثانيها هو إرساء أسس ثابتة متينة لوحدة المجتمع الإنسانى، وتجنب النظريات والممارسات التى تفرق بين الناس وتمزق وحدتهم، وتشيع الكراهية والبغضاء في صفوفهم.

أما ثالث هذه العناصر فهو إعلاء شأن العلم والعلماء... والحث على مخاطبة العقل والاحتكام إلى المنطق السليم، ومجادلة الآخرين بالتى هى أحسن.

وقد كانت الأخلاق الكريمة هى جوهر دعوة النبى -عليه الصلاة والسلام- إذ قال: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣]، وكان على رأس تلك القيم الأخلاقية الرفيعة قيمة الرحمة التى تشمل دعوته كلها، مصداقاً لما جاء في القرآن الكريم في قوله:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[٤]، وقد تجسدت هذه القيم العظيمة في شخص النبى الكريم، فقالت عنه السيدة عائشة -رضى الله عنها-: «لقد كان خُلُقه القرآن» وامتدحه القرآن الكريم في قوله:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[٥]

جوهر الإسلام

وإذا كانت الأخلاق تعتبر جوهر الإسلام، فإن على كل مسلم أن يقتدى بالنبى الكريم في أخلاقه وفي سلوكه، وفي تعامله مع الناس أجمعين، صغيرهم وكبيرهم. وتوضح لنا السيرة النبوية العطرة أن النبى لم تصدر عنه أبداً كلمة أو إشارة أو تصرف يسىء إلى غيره، كما توضح لنا حرصه على الرحمة والعفو عن كل من أخطأ وأساء.. ومن أبلغ الأمثلة على ذلك أنه عندما دخل مكة فاتحاً منتصراً على المشركين الذين آذوه وعذبوا أصحابه وقاتلوهم وأخرجوهم من ديارهم، قال لهم: «ماتظنون أنى فاعل بكم؟» قالوا خيراً.. أخ كريم وابن أخ كريم، فقال -ﷺ-: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» وعفا عنهم جميعاً، ضارباً لنا مثلاً طيباً في العفو عند المقدرة.

---

(٣) حديث شريف. (٤) سورة الأنبياء (١٠٧). (٥) سورة القلم (٤).

وفى تأسيــس مجتمع المدينة المنورة بعد الهجرة إليها، كان حريصاً كل الحرص على أن يكون كل من ينتسب إليها عضواً عاملاً وصالحاً فى مجتمعها، بصرف النظر عن معتقداته أو توجهاته وحملهم جميعاً مسئولية ضمان سلامة المجتمع واستقراره، ولم يستثن أحداً منهم أو يستبعد أحداً من غير المسلمين، بما فيهم اليهود، الذين كانوا يشكلون أحد عناصر هذا المجتمع الجديد وبذلك ضرب الرسول أعظم الأمثال فى الإخوة الإنسانية والوحدة بين أبناء المجتمع الواحد، التى تسوى بين جميع المواطنين دون استثناء، والتى تجعل معيار المفاضلة بينهم هو ما يقدمه كل فرد من خير لهذا المجتمع.

عظمـــة الكـــون

ومن جهة أخرى، كان اهتمام الإسلام بالعلم واضحاً وساطعاً منذ الوهلة الأولى، وتمثل هذا الاهتمام فى أن أول ما نزل على الرسول من الوحي الإلهى كان قوله ـ تعالى ـ:

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾(٦). كما تمثل فى تكريمه للعلماء فى قوله ـ تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ﴾(٧)، لأن العلماء هم الذين يدركون أسرار الخلق وعظمة الكون وجلال الخالق، وتمثل كذلك فى مقارنته بين من يعلمون ومن لايعلمون

﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾(٨).

وقد أدرك المسلمون الأوائل هذه المعانى السامية فأقبلوا على طلب العلم والاستزادة من المعرفة، باعتبار هذا السعى فريضة على كل مسلم ومسلمة كما جاء فى الحديث النبوى الشريف، فنبغوا فى جميع مجالات العلم وأقاموا حضارة من أعظم الحضارات وأكثرها ثراء وعطاء للإنسانية جمعاء، وجدير بنا اليوم ونحن نجتاز مع العالم ثورة هائلة فى شتى مجالات التعلم والمعرفة، أن نقتدى بتلك السيرة العطرة ونهتدى بتعاليم الإسلام وجوهر رسالته، فرسالة الإسلام لايحملها النبى وحده، وإنما يحملها معه ومن بعده جميع المسلمين، أمة بعد أمة، وجيلاً بعد جيل، عملاً بقوله ـ تعالى:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾(٩).

الإســلام تعميـــر وبنـــاء

فرسالة الإسلام الحق هى رسالة تعمير وبناء، ورسالة هداية وإصلاح، والمسلمون اليوم يواجهون تحديات كبرى على مستوى هاتين الرسالتين:

---

(٦) سورة العلق (١). (٧) سورة فاطر (١٨).

(٨) سورة الزمر (٩). (٩) سورة الزخرف (٤٤).

١ ـ فشعوب الدنيا تتسابق لبناء مجتمعات متقدمة، متفوقة قادرة على الريادة والسبق والتميز بينما تواجه أكثر الشعوب الإسلامية مشاكل طاحنة، وتحاول اللحاق بالآخرين.. ولن ينفعنا ونحن نواجه هذا التحدى الكبير الهروب إلى الماضى، والاكتفاء بالحديث عن فضل الأولين السابقين، فتلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولنا ما تكسبه، ولأسلافنا أعمالهم ولنا أعمالنا ومن واجب العلماء والدعاة أن يرفعوا أصواتهم عالية داعين الأمة إلى العمل الكثير والكلام القليل مذكرين المسلمين فى كل مكان أن أمة الإسلام قد حملها الله أمانة، وجعل لها رسالة، وعلمها أن للتفوق أسبابا وللنهضة شروطا وسوف يسألها ـ سبحانه وتعالى ـ عن ذلك كله، فمن أخذ بتلك الأسباب وأوفى بتلك الشروط كان جديرا بالتفوق والريادة.

التجمع والتقارب

٢ ـ وشعوب الدنيا من حولنا أيها الاخوة والأخوات تتجمع وتتقارب وتتواصل بعد أن سقطت أسوار العزلة والتباعد التى صنعتها ظروف تاريخية مضى أكثرها وانقضى، ولم تكتف الشعوب بهذا التقارب الذى أخذ شكل تجمعات إقليمية تضم مواردها الطبيعية والبشرية فى وعاء واحد وتدافع وهى مجتمعة موحدة عن مصالحها المشتركة فى مواجهة الآخرين؛ بل إنها انطلقت تتواصل مع سائر الشعوب رافعة شعار الحوار بدلا من المواجهة والصراع والتعددية بدلا من الانفراد واستبعاد الآخرين.

ولابديل أمامنا نحن المسلمين سوى إدارك هذا الواقع والتعامل معه بفكر جديد وأساليب متطورة، فالعزلة عن العالم لم تعد ممكنة بعد سقوط حواجز الزمان والمكان بفضل الثورة الهائلة فى وسائل الانتقال والاتصال مما أصبح معه التواصل مع الآخرين وحده سبيلا لتوفير أسباب النهضة من خلال تبادل الخبرة والتجربة وتبادل الأخذ والعطاء.

إن هذا التواصل يمنحنا فرصة لاتعوض لتصحيح سوء الفهم الذى أحاط بديننا وثقافتنا فى أذهان كثير من الناس، وهو فرصتنا لتعرف الدنيا من جديد حقيقة رسالة الإسلام التى جاءت هدى للناس ورحمة، تؤمن بالله وتصدق برسالاته وتقيم الحق والعدل بين جميع الناس وتؤمن بالإنسان، مخلوقا مكرماً مفضلاً بما منحه الله من علم وإرادة واختيار، وترتفع فى هذا الإيمان فوق كل عوارض اللون والجنس والثروة والجاه، وتدعو بعد ذلك كله إلى تعاون الشعوب كلها بتعدد أصولها ودياناتها على البر والخير وإقامة العدل، واحترام حقوق الإنسان.

العلماء الأجلاء .. الإخوة والأخوات الأعزاء .

لقد احتضنت مصر الإسلام منذ نحو أربعة عشر قرناً واحتضنها الإسلام منذ ذلك التاريخ وعلى امتداد القرون كانت مصر وعلماؤها مصدر إشعاع ثقافي متصل الحلقات تجاوز حدود العالم العربي وامتد إلى ربوع الدنيا كلها .. ومنذ أنشىء الأزهر الشريف وبجهود علمائه وأبنائه وماقدموه من علم راسخ وفهم صحيح للإسلام ظلت مصر على الدوام معبرة عن وسطية الإسلام، وسماحته واتساع صدره للناس أجمعين الموافقين منهم والمخالفين بعيدا عن الغلو والشطط، وترفعا عن الإفراط والتفريط، ودعوة إلى الحق والخير بالكلمة الطيبة والحوار الذى يحترم حق الآخرين فى الاجتهاد وفى الاختلاف.

حمـــل الأمانــــة

واليوم وقد فتحت أبواب الحوار بين الثقافات وتجدد التواصل بين الحضارات بعد قطيعة طويلة أثق فى أنكم تتفقون معى على أن من واجب علمائنا الأجلاء أن يطرقوا تلك الأبواب، وأن يعرفوا الدنيا من جديد بما تحمله حضارة الإسلام من خير وإصلاح للناس أجمعين وما تقوم عليه شريعته من رعاية للمصالح ورفع للحرج وتباعد عن العنت وحرص على التيسير، بما من شأنه أن يصنع أمة قوية قادرة على النهضة والبناء، يبنى الحضارة فيها رجال ونساء يؤمنون بالله تضىء عقولهم بأنوار العلم والمعرفة التى تزداد توهجاً جيلاً بعد جيل، ويوماً بعد يوم كما تمتلىء نفوسهم عزما وثقة وإصراراً على مواجهة التحديات دون أن يتخلوا عن سماحة الإسلام، وماتعلموه تحت ظلاله من الرحمة بالناس والرفق بهم والاقتراب الودود منهم جمعاً للصفوف، وتأليفا للقلوب، وإشاعة للسلام داخل الوطن وبين الأمم والشعوب.

نسأل الله ـ تعالى ـ ، ونحن نحتفل بذكرى مولد نبيه العظيم ، أن يعيننا على الاقتداء به، والتأسى بسيرته، وأن ييسر لنا حمل الأمانة الكبيرة التى حملناها يوم آمنا به وبرسالته.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله

احتفال مصر بذكرى المولد النبوى الشريف

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

إن من مظاهر عظمة الرسول الكريم - ﷺ - كمرب أنه كان مؤثرا تأثيرا طيبا فى أتباعه فإن سيدنا وشفيعنا محمدا - ﷺ - هو صاحب الدرجات العليا فى هذا المجال فقد ربى - ﷺ - أصحابه وأتباعه على أداء العبادات التى كلفهم خالقهم بها بأن يؤدوها بجد وإخلاص واجتهاد ونشاط، ونجد القدوة الطيبة فى سيدنا رسول الله - ﷺ - تصف أخلاقه السيدة عائشة - رضى الله عنها - فتقول: «كان رسول الله - ﷺ - يكون معنا - يكون مع أهل بيته - يحدثنا ونحدثه ويؤانسنا ونؤانسه ويسامرنا ونسامره فإذا حضرت الصلاة انصرف عنا حتى لكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه».

.. وهكذا نجد أن رسول الله - ﷺ - قد كان القدوة الطيبة فى حسن صلته بخالقه - عز وجل - لأنه يعمل بقول الله - عز وجل -

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[(١)] وربى سيدنا رسول الله - ﷺ - أصحابه على طهارة اليد، وعلى نظافة القلب والعمل بإخلاص، وعلى البعد عن كل ما نهى الله - سبحانه وتعالى عنه - رباهم على هذه الطهارة فى كل أحوالهم .. ومن أحاديثه الصحيحة قوله - ﷺ -: «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله فى أرضه محارمه ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب» ربى سيدنا رسول الله - ﷺ - أتباعه على أن يشيعوا بين

---

(١) سورة القصص (٧٧)

الناس الكلمة الطيبة وأن يتعودا في حياتهم على الصدق وعلى اجتناب النطق بغيبة أو نميمة .. وكان من توجيهاته - ﷺ - أن يقول دائما لأصحابه : «لا تبلغوني عن أصحابي شيئا أكرهه فأنا أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وهكذا ربى سيدنا رسول الله - ﷺ - أصحابه وأتباعه ،رباهم على أن ينشروا فيما بينهم نعمة الأمان، ونعمة السلام ونعمة الاطمئنان .

وأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، ومن وصاياه - ﷺ : «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فأثبتوا» رباهم على أن يكونوا من الذين يبنون ولا يهدمون، يعمرون ولا يخربون، يصلحون ولا يفسدون، يجمعون ولا يفرقون ، يعمرون دنياهم بالعمل الصالح يعمرون دنياهم بكل ما يعود عليهم بالخير، سواء أكان ذلك عن طريق الزراعة، أو عن طريق الصناعة، أم عن أي طريق من الطرق التي أحلها الله - سبحانه وتعالى - فقد أوجدنا الله - سبحانه وتعالى - في هذه الحياة لكي نعمرها بكل ما يعود علينا بالخير، ومن أحاديثه الصحيحة قوله - ﷺ -:

«ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة».. رباهم على تحمل المسئولية بشرف وبأمانة وبطهارة، و بقوة وبنشاط وبعزيمة، صادقة، ومن أحاديثه الشيقة «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز ولا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»!!

السيد الرئيس محمد حسني مبارك - أكرمه الله وسدد على طريق الحق خطاه - إن الكلام عن سيدنا رسول الله - ﷺ - محبب لا يمل وإن جوانب العظمة في حياته - ﷺ - أكثر من أن تحصى، وبركة الكلام ليست في كثرته، وإنما بركة الكلام في العمل بما نقول وفي العمل بما نسمع.

ورحم الله الإمام البوصيري عندما قال :

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حد
فيعرب عنه ناطق بفم

سيادة الرئيس كل عام وأنتم بخير والعالم كله بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة السيد الأستاذ الدكتور
محمود حمدي زقزوق
وزير الأوقاف

في مثل هذا الموعد من كل عام نلتقي - ياسيادة الرئيس - بشعبك الوفي، كعادتك الكريمة - التي أصبحت معلما بارزا تنتظره مصر ومعها المسلمون في مختلف أنحاء العالم - لتوجه رسالتك للأمة الإسلامية بصفة عامة ،ولشعب مصر بصفة خاصة، تعبر فيها عن تطلعاتك لبعث حضاري يعم الأمة الإسلامية كلها مستلهما من سيرة الرسول ،ومن التاريخ الحضاري للإسلام الدروس والعبر، والقيم الدافعة إلى التقدم والنهضة لتلحق الأمة بركب العصر وتستعيد مكانتها ودورها العظيم الذي أسهمت به في الماضي في صنع الحضارة التي كانت بمثابة مشعل النور الذي استضاءت به أوروبا في عصر نهضتها.

وبهذا اللقاء المتجدد - ياسيادة الرئيس - حولت المناسبات الدينية من مجرد احتفال يتلاقى المحتفلون به ثم ينفضون، إلى فرصة للتأمل في أحداث الماضي ودراسة وقائع الحاضر واستشراف آمال المستقبل.

لقد كان ميلاد محمد - ﷺ حدثا فريدا غير مجرى التاريخ ،وحفل بكل بشائر الخير والنور، وبحرا فياضا بالدروس والعبر التي تصاحبنا في مسيرة حياتنا ، وتضيء لنا طريق هذه الحياة.

لقد انعقد في الأيام الثلاثة الماضية المؤتمر العام الثاني عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، والذي انتهت أعماله قبل ظهر اليوم ، وحضره السادة وزراء الأوقاف والشئون الإسلامية ، وممثلون من العالم الإسلامي وأكثر من سبعين دولة ، وقد ناقش المؤتمر موضوع «الإسلام ومتغيرات العصر» في إطار ما سبق أن بدأه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في العام الماضي من طرح مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي.

وقد كانت القضية الرئيسية في مؤتمر هذا العام هي الدعوة إلى توطين التكنولوجيا في العالم العربي والإسلامي ، وما يرتبط بذلك من تغيرات في مجال القيم الاجتماعية

والأخلاقية ، وضرورة التعاون بين المؤسسات البحثية فى العالم الإسلامى من ناحية وتوثيق صلاتها مع المؤسسات البحثية الدولية من ناحية أخرى ، حتى يتمكن المسلمون من اللحاق بركب التقدم العلمى الهائل فى هذا العصر ، وذلك بالتسلح بكل منجزات العلم والتكنولوجيا ، وتلك قضية ملحة لم تعد تحتمل التأخير أو التسويف .

وقد كان للرسالة التى وجهتموها لأعضاء المؤتمر فى حفل افتتاحه أثرها الكبير فى لفت الأنظار إلى أنه لايليق بالعالم الإسلامى أن يظل يعانى حتى اليوم من تفشى الأمية الأبجدية فى حين أن العالم المتقدم منشغل بمحو الأمية التكنولوجية كما كانت رسالتكم حافزا على إصدار التوصية التى تبناها المؤتمر بتشكيل تجمع علمى من علماء العالم الإسلامى على النحو الذى أشرنا إليه .

السيد الرئيس :

لقد عكفت لجنة متخصصة فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ عامين على الإعداد لإصدار سلسلة من الموسوعات الإسلامية المتخصصة التى تهدف إلى التوعية السليمة بالمفاهيم الإسلامية فى شتى المجالات بأسلوب علمى بعيد عن الحشو الذى لافائدة منه وبعيد ـ أيضا ـ عن التحيز لمذهبيات ضيقة أو اتجاهات معينة ، وقد صدر منذ أيام المجلد الأول من هذه السلسلة بعنوان : «موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة» الذى يشرفنى اليوم أن أقدمه لسيادتكم والذى يمثل باكورة إنتاج المجلس فى هذا المجال ، سوف تتلوه ـ إن شاء الله ـ فى فترات غير متباعدة مجلدات أخرى حتى تكتمل الموسوعة باستيعاب جميع جوانب الفكر والحضارة الإسلامية فى ستة عشر مجلدا .

ويعتزم المجلس ترجمة هذه الموسوعة إلى الانجليزية والفرنسية لتحمل وجهة النظر الإسلامية إلى المسلمين من غير الناطقين بالعربية ، وإلى غير المسلمين ممن يريدون التعرف على الإسلام بأسلوب موضوعى وفكر متحضر مستنير .

السيد الرئيس :

فى إطار خطة الوزارة للإشراف على جميع المساجد والزوايا فى مصر تم فى السنوات الأربع الماضية ضم ثمانية وعشرين ألف مسجد أهلى كما تم أيضا فى العامين الماضيين ضم عشرة آلاف زاوية وبذلك يصبح عدد المساجد التابعة للوزارة خمسين ألف مسجد بالإضافة إلى عشرة آلاف زاوية ، وهناك عدد من المحافظات لم تعد بها مساجد أهلية غير تابعة للوزارة . . وبعون الله ستنتهى«وزارة الأوقاف »خلال عامين من ضم جميع المساجد الأهلية والزوايا ، وذلك ضمانا لإيصال الدعوة الإسلامية إلى المواطنين صافية مبرأة من كل شائبة ، ومؤسسة على المنهج القرآنى للدعوة الإسلامية فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.[1]

وتقديرا منكم ـ ياسيادة الرئيس ـ لرجال الدعوة الإسلامية الذين كان لهم عطاء متميز فى خدمة رسالتهم تحرصون كل عام على تكريم عدد منهم بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف عرفانا بما قدموه من خدمات جليلة، وتشجيعا لغيرهم من الدعاة على التفانى فى أداء رسالتهم فى التوعية الدينية السليمة للمواطنين، كما تحرصون ـ أيضا ـ على تكريم بعض الشخصيات من خارج مصر ممن كان لهم دور بارز فى خدمة التراث الإسلامى.

وفى هذه المناسبة ـ أيضا ـ يمتد تكريمكم إلى الفائزين فى المسابقات الدينية التى تجريها الوزارة للناشئة وللشباب وذلك بتفضلكم بتسليمهم الجوائز التى حصلوا عليها.

وهذه كلها دلالات واضحة على مدى اهتمامكم شخصيا، واهتمام مصر كلها بقيادتكم الحكيمة بالرعاية الدينية للمواطنين لما للدين من أثر عميق فى النفوس وتوجيه للسلوك إلى ميادين الخير والعدل والسلام، وتمتد هذه الرعاية لتشمل مواطنى مصر جميعا مسلمين ومسيحيين، ومن هنا كان الاحتفال الكبير الذى أقامته مصر منذ أيام قليلة بذكرى مرور ألفى عام على قدوم العائلة المقدسة إلى مصر طلبا للأمان الذى وجدته فى كل مكان حلت فيه فى ربوع مصر على مدى أربع سنوات قبل أن تعود مرة أخرى إلى أرض فلسطين.

وستظل مصر ـ كما عرفها العالم منذ آلاف السنين ـ واحة الأمن والأمان، والسلم والاطمئنان، كما أكد ذلك القرآن الكريم على لسان يوسف ـ عليه السلام ـ حينما استقبل أبويه على مشارف مصر قائلاً:

﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾[2]

نسأل الله العلى القدير أن يحفظكم لمصر ويحفظ مصر بكم وأن يسدد على طريق الحق والخير خطاكم وأن يحقق لمصر بقيادتكم ما يتمناه لها كل أبنائها المخلصين.

وكل عام وأنتم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) سورة النحل ١٢٥.

(٢) سورة يوسف ٩٩.

قبس من أنوار النبوة

من أعطاه الله الدين فقد أحبه

لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله - عز وجل - قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله - عز وجل - يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من أحب، ألا إن من أعطاه الله الدين فقد أحبه، والذي نفس محمد بيده لا يسلم عبد حتى يسلم لسانه وقلبه، ولا يؤمن عبد حتى يأمن جاره من بوائقه، قيل: وما بوائقه يارسول الله؟ قال: غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه، أو يتصدق به فيقبل منه، أو يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث».

رواه الإمام أحمد

البيان

إن الإسلام - دين الله القويم - الذي ارتضاه الله لنا دينا يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين المخلصين لله رب العالمين بسعادة الدارين وإن الداعي إلى صراط الله المستقيم هو الرسول القدوة والمثل الأعلى الذي أوحى الله إليه روحا من أمره وهو القرآن الكريم.

قال - تعالى -:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾(١)

وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ -: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن

(١) الشورى ٥٢، ٥٣.

يأبى يارسول الله..؟ قال: من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى...» رواه البخارى.

ولقد كان الرسول - ﷺ -: المثل الأعلى فى صدق الإيمان والتوجه إلى الله، لأنه المظهر العملى لما فى القرآن من معانى الكمال البشرى وصالح الأخلاق، ولقد فرض الله طاعته على جميع خلقه وحضهم على الاقتداء به ليفوزوا بالحسنيين

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾(٢).

وها هو الرسول الكريم يبين لنا فى هذا الحديث الذى بين أيدينا أن الله - عز وجل - قد ارتضى لنا الإسلام دينا، وأن الله يحب من اهتدى بهدى هذا الدين، وأن من اعتنق هذا الدين وتخلق بأخلاقه يحبه الله ويرضى عنه، وأن الدنيا وما فيها من متاع وما عليها من زينة جعلها الله كلأ مباحاً يعطيها للبار وللفاجر، وللمسلم ولغيره، ويعطيها لمن يحبه ولمن لا يحبه من عباده. لأنها لا تزن عند الله جناح بعوضة، ومن أعطاه الدنيا وتجرد من عمل الصالحات، ولم يقم بشئون العبادات، ولم يؤت الزكاة، ولم يكن من أهل الطاعات، فهذا قد سخط الله عليه وباء بغضب الله عليه لأنه ابتعد عن دين الله.

ولكن الناس قد غفلوا عن ميزان الله الذى يزن به عباده، ووزنوا الناس بميزانهم الخاطئ، لأنهم يقولون: إذا أقبلت الدنيا على شخص أو منحه الله من فضله مالا أو جاها، يقولون: إن الله يحبه لأنه أعطاه، وغفلوا عن قول الحبيب المصطفى: «إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب».

لقد بين لنا نبينا - ﷺ - مفهوم الإسلام، ومفهوم الايمان حين قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم».

وإن أركان هذا الدين توجه المؤمن إلى الخير فى قوله وعمله وأمره كله وأن يسلم الناس من لسانك ويدك - فلا تنتهك لهم حرمة ولا تلحق بهم ضررا، قيل لرسول الله - ﷺ -: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، ولكنها تؤذى جيرانها بلسانها، فقال رسول الله: «لا خير فى صلا تها ولا فى صيامها إنها من أهل النار».

وإن الإيمان عقيدة مقرونة بالعمل الصالح، فالإيمان أن تحفظ جارك من شرك، وأن تصون صاحبك وغيرك من جورك وظلمك.

ثم يحدثنا رسول الله عن المال وعن متاع الدنيا محذرا. فقد روى البخارى أن رسول الله - ﷺ - قال: «يأتى على الناس زمان لا يبالى ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام».

---

(٢) الأحزاب ٧١.

إن الدنيا تتصنع لطلابها ببريق المال، وخادع المنى والآمال وزهو المنصب، وسكر الشهوة، فإذا أرخص لها دينه، وأقبل عليها شغلته عن آخرته.

قال -تعالى-:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(٣).

ولقد جاء في مأثور الحكم: «ما رأيت كالدنيا يكثر صرعاها، وتتعدد ضحاياها وهي مع ذلك كثيرة الخطاب».

وفي ذلك يقول الرسول - ﷺ -: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا» وإن الله - عز وجل - أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين: فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾(٤).

وقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾(٥).

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يقول: يارب يارب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وقد غذي با لحرام فأنى يستجاب له» - رواه مسلم والترمذي، عن أبي هريرة.

وفي حديثنا يقول - ﷺ -: «ولا يكسب عبد مالا حراما فيتصدق به فيقبل منه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره، إلا كان زاده إلى النار» والإسلام يبين طرق كسب المال المشروعة وإن المال ليس خيرا لذاته بل خيره في الاستغناء به عن الناس والإنفاق منه في وجوه الخير، وإنه ليس شرا لذاته، بل شره في الشح به والبخل والطغيان بالمال والغرور به وإنفاقه في الفسق والفجور، والباطل والزور.

إن المال قد يفتح لصاحبه أبواب النعيم، وإذا تصدق منه قبلت صدقته وإذا تركه ميراثا كان على الورثة خير وبركة.

وإن المال الحرام لا خير فيه ولا نفع منه، منزوع البركة، طعامه مسموم وشرابه مذموم، وتجارته خاسرة، وإذا تصدق منه صاحبه فلن تقبل صدقته، بل ترد عليه، وإذا تركه ميراثا كان شؤما على الورثة؛ وإن من يستكثر من الحرام فإنه يستكثر من نار جهنم، بل إن المال الحرام يمحق ويكتسح حتى يذهب معه الحلال.

فهل نعمل العمل الذي ينجينا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وفقنا الله لصالح القول والعمل، وهدانا سواء السبيل.

---

(٣) آل عمران ١٤. (٤) المؤمنون ٥١. (٥) البقرة ١٧٢.

منهج الإسلام في العبادة والعمل

للأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشم

قال الله -تعالى-: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾.(١)

وقال -سبحانه-: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾.(٢)

وقال: «وما جعل عليكم في الدين من حرج».(٣)

قال الإمام مسلم -رحمه الله-: «حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم قال زهير: حدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة قال: سألت أم المؤمنين عائشة قال: قلت: يا أم المؤمنين كيف كان عمل رسول الله هل كان يخص شيئا من الأيام؟ قالت: كان عمله ديمة، وأيكم يستطيع ما كان رسول الله -ﷺ- يستطيع».

وقال الإمام مسلم: وحدثنا ابن نمير حدثنا سعيد بن سعيد أخبرني القاسم بن محمد عن عائشة قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «أحب الأعمال إلى الله -تعالى- أدومها وإن قل. قال: وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته».

وروى الإمام البخاري بسنده عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -ﷺ- دخل عليها وعندها امرأة فقال: «من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها، قال: مه عليكم بما تطيقون فو الله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين ما داوم عليه صاحبه».

وجاء في رواية الإمام مالك أن المرأة المذكورة من بني أسد، وفي رواية الإمام مسلم أنها الحولاء بنت تويت بن حبيب بن أسد عبدالعزى من رهط خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها-، وقيل عنها: إنها كانت لا تنام الليل.

وأما ذكر السيدة عائشة -رضي الله عنها- للمرأة ومدحها لها مع النهي عن المدح فلعلها أمنت عليها الفتنة؛ فلذلك مدحتها في وجهها، ولكن رواية حماد بن مسلمة عن هشام في هذا الحديث تدل على أنها ما ذكرت ذلك إلا بعد أن خرجت المرأة، أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده من طريقه، ولفظه «كانت عندي امرأة فلما

(١) البقرة ٢٨٦. (٢) البقرة ١٨٥. (٣) الحج ٧٨.

قامت قال رسول الله -ﷺ-: «من هذه يا عائشة؟» قالت: يا رسول الله هذه فلانة وهي أعبد أهل المدينة، الحديث، وكلمة «مه» مبنية على السكون وهي اسم فعل بمعنى اكفف وهذا النهي متجه إلى السيدة عائشة حتى لا تمتدح المرأة بما ذكرت، كما يحتمل أن يكون نهياً عن الفعل المذكور وهو قيام الليل كله، وقد قال بعض الأئمة: بكراهة صلاة جميع الليل ومعنى عليكم بما تطيقون: أي: افعلوا من الأعمال ما يمكنكم أن تداوموا عليه، ومنطوقه، يقتضي الأمر بأن يقتصر المسلم على ما يطيقه من العبادة، ومفهومه يقتضي النهي عن تكلف ما لا يطاق، ولئن كان سبب ورود هذا الحديث خاصا بالصلاة إلا أن لفظه عام وجاء الخطاب به عاما في قوله: «عليكم» مع أن المخاطب النساء ومعنى «لا يمل الله حتى تملوا»: الملال هو استثقال الشيء والنفور عنه بعد محبته، وهذا المعنى لا يمكن أن يستقيم بالنسبة لله -تعالى- بل هو محال ولكن جاء التعبير به على جهة المقابلة اللفظية مجازاً كقوله -تعالى-:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾(٤)

وقال الهروي: معناه لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا سؤاله فتزهدوا في الرغبة إليه وقيل: إن حتى بمعنى الواو وعليه فيكون التقدير لا يمل وتملون، والأولى أنه من باب المقابلة ومعنى: «أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» المحبة من الله -تعالى-: إرادة الثواب، أي أكثر الأعمال ثوابا أدومها؛ لأن بدوام العمل القليل تستمر الطاعة والإخلاص والإقبال على الله بخلاف الكثير الشاق، فإن العمل الدائم، ولو كان قليلا ينمو ويصبح أكثر من الكثير المنقطع، أما الذي يترك العمل بعد الدخول فيه فهو كالمعرض بعد الوصل.

ولطالما وجه الرسول -ﷺ- المسلمين بأن يأتوا من الأعمال ما يوافق استطاعتهم كقوله: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وهذا عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يا عبدالله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: فلا تفعل، صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك عليك حقا، وإنه بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها».(٥)

ومن المعلوم أن منهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد في الأمور كلها، لا إفراط ولا تفريط قال -تعالى-:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾(٦) وقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾(٧) وقال تعالى:

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ ﴾(٨) وقال:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾(٩) وعن

(٤) الشورى ٤٠.
(٥) رواه البخاري.
(٦) الأعراف ٣١.
(٧) الفرقان ٦٧.
(٨) البقرة ١٨٥.
(٩) الحج ٧٨.

أبي هريرة -رضي الله عنه أن- رسول الله -ﷺ- قال: «إن هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»(١٠). وهكذا يتبين لنا حرص الشريعة الإسلامية على اليُسر، فمعروف أن العمل القليل الذي يكون متصلا يكون صاحبه منشرح الصدر نشيطاً للعبادة بخلاف الكثير الشاق فإنه بصدد أن يتركه الإنسان أو أن يفعله بتكلف وبغير انشراح، وقد ذم الله -تعالى- من اعتاد عبادة ثم أفرط فيها فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.(١١)

وكثيرا ما نادى الإسلام بتواصل أعمال الخير ودوامها وعدم احتقار اليسير منها قال -عليه الصلاة والسلام-:

«يا نساء المسلمين لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»(١٢) والفرسن هو عظم قليل اللحم ويطلق على الظلف وقد قال -تعالى-:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١٣) وقد قاوم الرسول -ﷺ- الذين يغالون في أعمالهم.

روى أنس -رضي الله عنه- أن النبي -ﷺ- دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «ما هذا الحبل»؟ قالوا: هذا حبل لزينب تقوم تصلي فإذا فترت قامت فتعلقت به، فقال النبي -ﷺ- «حُلُوه» ثم قال: «ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد»، كما روى أنس -رضي الله عنه- أيضا، قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -ﷺ- يسألون عن عبادة النبي -ﷺ- فلما أخبروا كأنهم تقالوها -أي عدوها قليلة- وقالوا: أين نحن من النبي -ﷺ- قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.. فجاء رسول الله -ﷺ- إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وقد حكي أن أقواماً أتوا قيس بن عبادة يسألونه أن يعاونهم على أداء دية لزمتهم فنظروا إليه فرأوه وهو في البستان يجمع ما يتساقط من التمر ويميز بين الجيد والردىء، فلما انتهى من عمله سألوه ما أرادوا فأعطاهم ما طلبوه، فقال له بعضهم: لقد داخلنا بعض الشك في جودك بعد أن رأينا ما تصنعه في البستان، فأجابهم: إن ما رأيتم من حرصي على مالي هو الذي مكنني من تحقيق غرضكم، أي أن الاعتدال في الأمور كلها والتوسط بين الإفراط والتفريط، يحفظ على الإنسان مواصلة العمل، والاستمرار في وجوه الخير والنفع العام، وقد كان منهج الإسلام فيما يتصل بهذا الجانب عاما وشاملا

---

(١١) الحديد ٢٧.

(١٢) البقرة ٢٨٦.

(١٢) رواه البخاري.

لسائر العبادات والأعمال، ووجوه النفع الشامل، ولم يدع جانبا من تلك الجوانب إلا وجه المسلم إلى الاعتدال فيه، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط، ولا مغالاة ولا تقصير.

ففى جانب الأكل والشرب، قال -تعالى-: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾(١٤)

وفى جانب الإنفاق والصدقة نادى القرآن بالاعتدال بحيث لا يكون المسلم بخيلا ولا مبذرا، قال -تعالى-:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾(١٥)

وفى جانب العبادة، لم يكلف الله الناس بما لا طاقة لهم به، قال -تعالى-:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(١٦).

وروى الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة قال: لما نزلت على رسول الله -ﷺ-، ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

اشتد ذلك على أصحاب رسول الله -ﷺ- فأتوا رسول الله -ﷺ- ثم جثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله -ﷺ- «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير».

فلما أقر بها القوم ونطقت بها ألسنتهم أنزل الله فى أثرها:

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل قوله:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾(١٩)

وقد كشفت السنة الشريفة عن هذا الجانب من التجاوز والعفو..

روى البخارى بسنده عن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله تجاوز لى عن أمتى ما وسوست به صدورها مالم تعمل أو تكلم».

---

(١٤) الأعراف ٣١.
(١٥) الإسراء ٢٩.
(١٦) البقرة ٢٨٦.
(١٧) البقرة ٢٨٤.
(١٨) البقرة ٢٨٥.
(١٩) البقرة ٢٨٦.

وقد اجتهد الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- في تثبيت منهج الاعتدال في الأعمال والعبادات عند المسلمين، حرصاً منه على استمرارهم في العمل ورأفة ورحمة بهم، وصدق الله -تعالى- إذ يقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢٠) لقد حرص على ترسيخ هذا المنهج حتى إنه كان يترك -في بعض الأحيان- بعض الأعمال، فلا يقوم بأدائها أمام الناس مخافة أن يواظبوا عليها فتفرض عليهم، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «إن كان رسول الله -ﷺ- ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله -ﷺ- سبحة الضحى قط وإني لأسبحها» وهي نافلة الضحى.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢١) ومعنى الآية: إن -الله تعالى- يمتن على المؤمنين حيث أرسل إليهم رسولا من جنسهم وعلى لغتهم، كما دعا إبراهيم -عليه السلام- كما قال الله -تعالى- حكاية عنه: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾(٢٢).

وقال -تعالى-:

﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾(٢٣)

وإنه يعز عليه ما يعنت أمته أو ما يشق عليها، لأنه بعث بالحنيفية السمحة وهو حريص كل الحرص على هداية أمته والتيسير عليها ووصولها إلى سعادة الدنيا والآخرة، وفيما رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس... أن رسول الله -ﷺ- أتاه ملكان فيما يرى النائم فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه.. فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه... اضرب مثل هذا ومثل أمته، فقال: إن مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا إلى رأس مفازة، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة، فقال: أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء تتبعوني؟ فقالوا: نعم . قال: فانطلق بهم فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم: ألم ألقكم على تلك الحال فجعلتم لي أن وردت لكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعوني؟ فقالوا: بلى. فقال: فإن بين أيديكم رياضا هي أعشب من هذه وحياضا هي أروى من هذه فاتبعوني فقالت طائفة: صدق والله لنتبعه، وقالت طائفة: قد رضينا بهذا نقيم عليه. كل هذا يدل على رأفة الرسول -ﷺ- ورحمته بأمته واتباعه معها طريق اليسر والتسامح، فإنه يعز عليه أن يرى شيئاً يشق عليها أو حرجا تلاقيه؛ لأنه بعث رحمة للعالمين، فالرحمة

---

(٢٠) الأنبياء ١٠٧.

(٢١) التوبة ١٢٨.

(٢٢) البقرة ١٢٩.

(٢٣) آل عمران ١٦٤.

جوهر رسالته قال -تعالى-:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٢٤)

والطريق إلى هذه الرحمة يسير في اتجاهين مستقيمين مستنيرين أحدهما: في التيسير في التكاليف والعبادات، والرحمة بالأمة في كثير من أحكام الإسلام كما هو معروف.

والثاني: بدوام العمل والعبادة، واستمراره، وعدم انقطاعه، فكلما استمر المسلم في العبادة وداوم عليها -وإن كانت قليلة- داوم -الله تعالى- بإسباغ رحمته عليه، ورفقه به، ورعايته له وحبه إياه، لأن هذا المنهج من السلوك هو أحب الأعمال إلى الله -سبحانه وتعالى-، كما قال الرسول -ﷺ-: أحب الأعمال إلى -الله تعالى- أدومها وإن قل»(٢٥) أما نتيجة هذا الحب من الله تعالى فقد بيّنه فيما جاء في الحديث القدسي: «... فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه».

ومن مظاهر حرص الرسول -ﷺ- على أمته اجتهاده معهم في جانب التكليف والعبادة ألا يفعلوا ما يتسببون به في الزيادة وما لا يستطيعون القيام به، عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله -ﷺ- فقال: «يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال النبي -ﷺ-: «لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم»

رواه مسلم والنسائي وروى أحمد والنسائي بمعناه

عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله -ﷺ- فقال: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام الأقرع بن حابس فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: «لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم تعملوا بها ولم تستطيعوا أن تعملوا بها، الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

ومن مظاهر التيسير أن الرسول -ﷺ- كان لا يشق على المسلمين ويتحاشى ما يكون سببا في تسرب الملل إلى نفوسهم حتى ولو كان ذلك في توجيهه وإرشاده فكان -ﷺ- يتخول المسلمين بالموعظة كراهة السآمة.

عن ابن مسعود قال: كان النبي -ﷺ- يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا، وكان يخشى إذا استمر في التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم، فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها من التثبيت والتركيز ولهذه الطريقة الرشيدة تدين اليوم مؤسسات التربية التي استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوي الحكيم، وحين بعث رسول الله -ﷺ- معاذ بن جبل إلى اليمن زوده بالتوجيه الكافي، وأمره أن يسير

---

(٢٤) الأنبياء ١٠٧.

(٢٥) رواه مسلم.

على سنن التدريج معهم فيقول له: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

ويتبادر هنا سؤال هو: إن الله -تعالى- قد أمرنا بالاقتداء بالرسول -ﷺ- قال -تعالى-:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٢٦)

ومن المعلوم أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- كان يقوم الليل متهجداً راكعاً ساجداً حتى تتورم قدماه وتفيض عيناه بالدمع من خشية الله، وحتى يسمع لصدره أزيز المرجل من البكاء فتقول له في ذلك السيدة عائشة -رضي الله عنها- أتفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيجيبها: «أفلا أكون عبدا شكورا»، وكان يواصل الصيام، والوصال: هو الترك في ليالي الصيام لما يفطر بالنهار بالقصد، ومع هذا فقد نهى عن الوصال بالنسبة للمسلمين فلم لم يكن الاقتداء به في مثل هذه الأمور؟ أو بمعنى آخر كيف يأمر بالتيسير وهو يأتي مثل هذه الأعمال الشاقة.

وللإجابة على هذا نقول: إن كل حكم يثبت في حق النبي -ﷺ- فهو ثابت أيضا في حق أمته إلا ما استثني بدليل، كبعض خصائصه -ﷺ- فإن خصائص الرسول -ﷺ- لا يتاسى به في جميعها وقد توقف في ذلك إمام الحرمين، وقال أبو شامه: ليس لأحد التشبه به في المباح كالزيادة على أربع نسوة، ويستحب التنزه عن المحرم عليه «كالأكل من الصدقة» ويستحب التشبه به في الواجب عليه «كالضحى».

قال الحافظ ابن حجر: وأما المستحب -أي في حقه -ﷺ- فلم يتعرض له والوصال فيه -أي وصال الصيام- من قبيل المستحب في حق النبي -ﷺ- فيحتمل أن يقال: إن لم ينه عنه لم يمنع الإتساء به فيه، ولعل مراده بقوله: «إن لم ينه عنه» أي بالنسبة لبعض الناس، وفي بعض الأحوال -وهذا نادر- وأما الأعم الأغلب فهو ما ورد بشأنه السنة الصحيحة الصريحة في ذلك في النهي عن الوصال.

روى الإمام البخاري -رحمه الله- بسنده: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «إياكم والوصال مرتين» قيل: إنك تواصل قال: «إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني فاكلفوا من العمل ما تطيقون».

(٢٦) الأحزاب ٢١

مُحَمَّدٌ عَلَمُ الهُدَى

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

لقد بعث الله محمداً - ﷺ - على حين فترة من الرسل حاملاً معه مشعل الهداية، وممتلىء القلب بنور الإيمان، ومتمماً مكارم الأخلاق، وفى شريعته التى يعمل بها، ويدعو إلى تطبيقها قبس الرحمة، وميزان العدل، وقاعدة السلام.

بعثه الله بالرحمة العامة، والعدل الكامل، والسلام الشامل، لا يستثني من ذلك أمة، ولا يخص فريقاً دون فريق ولا شعباً دون شعب.

يقول الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝﴾[1]

ويقول الله - تعالى -: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2]

ويقول - عز وجل -: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

ولقد حاول زعماء الضلال أعداء الهدى منع الهداية التى جاء بها محمد - ﷺ - من الوصول إلى قلوب الخلق فـفشلوا فشلاً ذريعاً، لأنهم لا يدركون أن القلوب بيد الله وحده وأن الهدى هدى الله، وأن الذى كلف محمداً بهداية الخلق

(١) الأحزاب: (٤٥ – ٤٨).
(٢) المائدة: (١٥ – ١٦).
(٣) المائدة: (١٩).

هو الله -عز وجل- وهذا يعني أن نجاحه في مهمته مضمون بفضل الله القائل:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[4]

فمن الواضح أن الله وصفه في هذا النص الشريف بأنه الهادي إلى صراط الله المستقيم.

ولقد سعد رسول الله بهذه النعمة أيما سعادة، لا سيما بعد أن كلفه الله بأن يعلن ذلك على الملأ، في قوله سبحانه:

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[5]

أي: وأنا أول المسلمين من هذه الأمة، لأن جميع الأنبياء بعثهم الله بالإسلام، وهم جميعا إخوة، رسالتهم واحدة، هي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وإن تعددت شرائعهم. وفي هذا يقول رسول الله -ﷺ-: «الأنبياء إخوة لعلات[6]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإنني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي[7]»

وأولاد العلات هم: الإخوة من أب واحد وأمهات شتى. والمعنى أن الدين واحد، وهو التوحيد الخالص، وأن الشرائع المتعددة هي الأمهات أي أن لكل نبي شريعة. ومعلوم أن كل شريعة لاحقة تنسخ الشريعة السابقة. وذلك يعني أن شريعة محمد -ﷺ- لن تنسخ وأنها باقية وخالدة إلى أبد الآبدين. ولا تزال قائمة منصورة وأعلام هدايتها وعدلها منشورة إلى قيام الساعة.

وقد كان رسول الله -ﷺ- يؤكد صلته الوثيقة بالأنبياء جميعا ويهتدي بهداهم ويقتفي أثرهم كما أمره الله في قوله:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ..﴾[8]

وهذا بعض ما عبر به رسول الله -ﷺ- عن هذا المعنى: «مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[9]

كما أنه -ﷺ- كان يكرر بيان صلته بإبراهيم -عليه السلام- فهو أبوه، وأبو الأنبياء، وخليل الرحمن، وقد أمره الله باتباعه، على وجه الخصوص، وذلك في قوله سبحانه:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[10]

---

(4) الشورى: (52 - 53)

(5) الأنعام: (161 - 163)

(6) العلات: بفتح العين وتشديد اللام: الإخوة لأب.

(7) رواه أحمد، وأبو داود، وهو عند الإمام مسلم، بلفظ قريب منه

(8) الأنعام: (90)

(9) رواه مسلم، عن أبي هريرة، وله روايات أخرى.

(10) النحل: (123)

لذا كان رسول الله يقول في دعائه، إذا أصبح، وإذا أمسى: «أصبحنا -أو أمسينا- على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين»[(١١)]

وقد جمع الله لمحمد -ﷺ- كل ما وهبه للأنبياء السابقين من قبله، وورثه كل الهدى، الذي بعثهم به. وفي هذا المعنى يقول الله -تبارك وتعالى-:

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[(١٢)]

وفوق ذلك فقد ميّز الله محمداً بمزايا كثيرة، منها ما جاء في الحديث الذي رواه جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي. نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة»[(١٣)]

ولما كانت رسالة محمد خاتمة وعامة لجميع الخلق، فقد خاطب الله الناس جميعاً، وأمرهم بأن يتبعوا محمداً -ﷺ- إن أرادوا الهداية لأنه علم الهدى، وقد أمر الله رسوله بأن يبلغ ذلك للناس فقال -سبحانه-:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[(١٤)]

ولما كانت مهمة الرسول هي البلاغ والبيان والإرشاد، وهو إنما يبلغ من الله ما كلفه بتبليغه فإن الطائعين له هم المهتدون، وغيرهم هم الضالون. لأن الهداية مرتبطة بطاعته. وفي هذا يقول الله -عز وجل-:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[(١٥)]

وفي رحلة الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة كان أبوبكر الصديق يسير خلف رسول الله -ﷺ- في غالب الأحيان. وكان أبوبكر معروفاً عند كثير من الناس بسبب رحلاته الكثيرة في التجارة. وكان كلما لقي أبوبكر في الطريق رجلاً. وقال له من هذا الرجل الذي يسير بين يديك؟ يرد عليه أبوبكر قائلاً: هذا الرجل يهديني الطريق. فيحسب السائل أنه يقصد الطريق في السفر. لكن أبا بكر يقصد سبيل الخير.[(١٦)]

---

(١١) أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده.

(١٢) الشورى: (١٣)

(١٣) متفق عليه.

(١٤) الأعراف: (١٥٨)

(١٥) النور: (٥٤)

(١٦) أنظر الرحيق المختوم للمباركفوري (١٨١)

وقد أكد القرآن الكريم في العديد من المواضع، أن محمداً -ﷺ- مرسل من الله بالهداية، وللهداية. يقول الله - تعالى -:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(17)

أي: ولو حاول أعداء الحق والهداية أن يمنعوا وصول الهدى إلى خلق الله -كراهية له- فلن يفلحوا وسيظهر دين الله على كل دين وتصل هدايته إلى جميع الخلق، وقد تكررت هذه الآية في سورة الصف لمناسبة هنا، ومناسبة هناك.

وأيضا يقول الله - تعالى -:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(18)

وهنا يؤكد الله هذه القضية، ويوثقها بشهادته -سبحانه- عليها، ﴿ **وكفى بالله شهيداً** ﴾.

وقد أخبر رسول الله عما سيكون من ذلك في عدد من أحاديثه الشريفة، التي تؤكد أن المستقبل لهذا الدين، وأن الله سيظهره على كل دين، من ذلك ما رواه ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال النبي -ﷺ-: «إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها(19) وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها(20)».

ومن ذلك ما رواه تميم الداري -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: ﴿ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله - عز وجل - بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيزاً أو بذل ذليلا، عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر﴾(21)

فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصغار والجزية.

وقد شهد الله لمحمد - ﷺ - بأنه على الهدى، وعليه ألا يهتم بمن ينازعه في الأمر، وذلك حيث يقول الله - عز وجل -:

﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾(22)

أي: لا تتأثر بمنازعة من ينازعونك، ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق، وادع إلى ربك، فأنت على الهدى وعلى الطريق الواضح المستقيم الذي يوصل إلى المقصود.

ومن عجب أن المشركين المكذبين اعترفوا بأنه -ﷺ- على الهدى، وتعللوا لرفض دعوته بالخوف من عدوان الناس عليهم وتهديد أمنهم، فرد الله اعتذارهم الباطل، وبين أنه - سبحانه - جعل لهم حرما آمنا، وهو آمن في حال كفرهم وشركهم، فكيف لا يكون آمنا في حال إيمانهم وهدايتهم؟ وهذا ما جاء في قول الله - تعالى -:

---

(17) التوبة: (33).

(18) الفتح: (28).

(19) زوى الأرض: جمعها وطواها.

(20) رواه أحمد ومسلم وغيرهما.

(21) رواه أحمد، والطبراني، والحاكم.

(22) الحج: (67).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[٢٣]

ومن المعلوم: أن جميع الآيات التي ورد فيها وصف رسول الله -ﷺ- بأنه يهدي إلى الصراط المستقيم، أو أنه حامل الهدى إلى الناس، وأنه هاد ومهدى إنما تعني أنه يرشد الضالين، ويهدي الحائرين، ويبين للخلق ما ينبغي أن يفعلوه لكي يهتدوا إلى الله. أما خلق الهداية فيهم وتحصيلها لهم فلا يخفى أن ذلك ليس من شأنه وإنما هو من صنع الله -سبحانه- يعطيه لمن علم فيهم صدق التوجه، وحسن الطوية.

وفي ضوء هذا نستطيع أن نفهم معنى الآيات القرآنية، التي ذكرت أن رسول الله -ﷺ- لا يستطيع هداية من يحب هدايته، فلا تعارض بين هذه وتلك، فأما الآيات التي أثبتت له هذه الصفة فإن الهداية فيها بمعنى البيان والإرشاد والتوجيه. ولا شك أن الرسول -ﷺ- قد بلغ في هذا الأمر أعلى القمم وأرفع الدرجات.

وأما الآيات التي نفت عنه هذه الصفة فإنما تعني تحقيق الهداية بالفعل وتحصيل الرشد في نفس الأمر، وذلك من شأن الله وحده.

ومن هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[٢٤]

يقول الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يقول الله لرسوله -ﷺ- إنك يا محمد ﴿ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ أي ليس إليك ذلك. إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة. كما قال - تعالى -:

﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾[٢٥]. وكما قال - تعالى -:

﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾[٢٦]. وهذه الآية أخص من هذا كله فإنه قال:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾.

أي هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية وقد ثبت في الصحيحين أنها نزلت في أبي طالب عم رسول الله -ﷺ- وقد كان يحوطه وينصره، ويقوم في صفه ويحبه حبا شديداً -طبيعيا لا شرعيا- فلما حضرته الوفاة وحان أجله دعاه رسول الله -ﷺ- إلى الإيمان والدخول في الإسلام، فسبق القدر فيه فاستمر على ما كان عليه من الكفر، ولله الحكمة التامة. قال الزهري: حدثني سعيد بن المسيب، عن أبيه وهو المسيب بن حزن المخزومي -رضي الله عنه- قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله -ﷺ- فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله -ﷺ- «يا عم قل لا إله إلا الله. كلمة أحاج لك بها عند الله». فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا

---

(٢٣) القصص: (٥٧).

(٢٤) القصص: (٥٦).

(٢٥) البقرة: (٢٧٢).

(٢٦) يوسف: (١٠٣).

طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله - ﷺ - يعرضها عليه، ويعودان له بتلك المقالة، حتى كان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله - ﷺ - «لأستغفرن لك مالم أنه عن ذلك» فأنزل الله تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ ﴾(٢٧).

وأنزل في أبي طالب:

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٢٨)

كما أنه في ضوء ما سبق تستطيع أن تفهم معنى الآيات القرآنية، التي يخاطب الله فيها رسوله - ﷺ - مبينا أن بعض الأصناف من الخلق لا يستطيع رسول الله أن يهديهم، خاصة بعد أن ذكرت الآيات سبب ذلك وهو عنادهم وجحودهم واستكبارهم عن قبول الحق والهداية.

من هذه الآيات قول الله تعالى:

﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾.(٢٩)

والمعنى: إنك لا تستطيع أن تسمع صوت الهداية لمن ماتت قلوبهم، ولا من في آذانهم صمم بسبب كفرهم، ومن أصر على الضلالة والعمى فلن تستطيع هدايته. ولكنه يستجيب لك من هو سميع وبصير ومتفتح القلب ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(٣٠)

وكيف يهدي رسول الله قوما أعلنوا أن قلوبهم عليها أقفالها، وفي آذانهم صمم، وقد جعلوا بينه وبينهم حجابا كثيفا من العناد والجحود؟

العقل السليم يقول هنا: إن هؤلاء لن يهتدوا، وعليهم أن يتحملوا وزر أعمالهم.

وهؤلاء هم الذين حكى الله مقالتهم لرسول الله في قوله - سبحانه -:

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾(٣١)

وفي هؤلاء وأمثالهم يقول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٣٢)

وعلى هذا: فإن الهداية لا يستحقها إلا أولئك الذين فتحوا أبصارهم وبصائرهم لنور الهدى وهيأوا أنفسهم لقبوله بقلوب متفتحة، وآمنوا بالله ورسله، واستقاموا على أمره، وهم الذين قال الله فيهم:

﴿ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.(٣٣)

نسأل الله أن يجعلنا من الهداة المهديين، الذين رضي الله عنهم، ورضوا عنه.

---

(٢٧) التوبة: (١١٣).
(٢٨) من تفسير ابن كثير بتصرف. والحديث متفق عليه.
(٢٩) النمل: (٨٠ - ٨١).
(٣٠) الحج: (٤٦).
(٣١) فصلت: (٥).
(٣٢) الأنفال: (٢٢ - ٢٣).
(٣٣) البقرة (٥).

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

لفظ القرية

٣

لفضيلة الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان

ذكرنا في مقالين سابقين الآيات، التي جاء فيها هذا اللفظ، من سورة البقرة، إلى سورة العنكبوت، ونذكر إن شاء الله في هذا المقال بقية الآيات، التي ورد فيها هذا اللفظ مبتدئين بسورة سبأ، وهي سورة مكية، وقد ذكر فيها لفظ القرية في الآية الرابعة والثلاثين، وهي قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾(١)

وفيها تسلية لرسول الله - ﷺ - عن مخالفة قومه له، وتكذيبهم إياه، مع إخلاص النصح لهم، وشدة الحرص على هدايتهم، وحزنه الشديد - صلوات الله عليه - بسبب كفرهم، وتعريضهم أنفسهم لعذاب الله، ومعنى الآية، وما بعثنا إلى أهل قرية رسولاً ينذرهم بأسنا إلا قال أهل الثراء، والنعمة الذين أبطرهم الثراء، وأترفوا في النعيم إنا لا نؤمن بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان والدين الحق ولا عجب في ذلك فهذا شأن المنغمسين في الشهوات ولذائذ الحياة يظنون أن أموالهم وأولادهم دليل على محبة الله لهم وأنها تمنع عنهم عذاب الله يوم القيامة وكذبوا لأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسب سننه التي وضعها لكسب المال في هذه الحياة.

ثم جاء ذكر هذه اللفظة في سورة يس، في قوله - تعالى -:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾(٢) والقرية هي: أنطاكية، وقد كانت أول مدينة آمن أهلها بالمسيح -عليه السلام- وهي إحدى قرى أو مدن أربع، بادرت بالإيمان بدعوة عيسى - عليه السلام - وهي أنطاكية، والقدس، والإسكندرية، ورومية.

(١) سبأ: ٣٤.

(٢) يس: ١٣.

والمعنى: واضرب يا محمد لقومك، الذين كذبوك، وأصروا على تكذيبك، أهل هذه القرية مثلا، فقد أصروا على تكذيب الرسل، الذين أرسلوا إليهم، كما أصر قومك على تكذيبك جهلا، وسفها، وعنادا، واستكبارا، فلا يحزنك تكذيب قومك لك، فتلك سنة الله في الذين خلوا من قبلك من المرسلين والكافرين.

والرسل في هذه الآية: كما يرى جمهور المفسرين: هم رسل عيسى -عليه السلام- وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- إنهم رسل الله أرسلهم تعزيزا لعيسى -عليه السلام- داعين إلى شريعته وملته، كما كان هارون مع موسى -عليهما السلام- ولم يرسلوا بدين جديد، ولا بشريعة خاصة.

وفي الآية الثالثة والعشرين من سورة الزخرف جاءت اللفظة في قوله - تعالى - :

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ ذلك أن كفار العرب لما عجزوا عن الإتيان ببرهان عقلي أو نقلي على ضلالهم قالوا: إنا وجدنا آباءنا وأسلافنا على هذه الطريقة فلن نحيد عنها؛ لأنهم كانوا أرجح منا عقولا فنحن مقتدون بهم بل وبهم مهتدون وقد أحزن الرسول - ﷺ - هذا التقليد الأعمى فسلاه القرآن بهذه الآية، والمعنى - والله أعلم - أن هذا القول المنكر الذي قاله لك قومك قالته الأمم السابقة لأنبيائهم فلم نرسل قبلك رسولا في قرية إلا قال أهلها له : إنا وجدنا آباءنا على دين ملة لن نخالفهم فيها لأننا سائرون على درب أسلافنا نعبد ما عبدوا ونفعل ما فعلوا.

وفي السورة نفسها «الزخرف» جاء لفظ القرية مثنى، في قوله تعالى:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[3] ذلك أن كفار مكة ظنوا لجهلهم أن الرياسة والجاه والغنى من مؤهلات الرسالة فقالوا : هلا نزل هذا القرآن على رجل عظيم الجاه كثير المال من إحدى القريتين: مكة والطائف؛ يعنون بعظيم مكة : الوليد بن المغيرة، وعظيم الطائف : عروة بن مسعود الثقفي، فأنكر عليهم القرآن قولهم ذلك، وأبان جهلهم فيه لأنهم بنوه على مقدمة فاسدة وهي أن منصب الرسالة شريف لا يليق إلا برجل كثير المال عظيم الجاه، فقال - سبحانه - :

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[4] أي إذا كنا قد تولينا قسمة حظوظ الدنيا بينهم ولم نجعلها لهم - مع هوانها وتفاهتها - فكيف يتطلعون إلى رحمة ربك بالنبوة وهي أعظم بكثير من حطام الدنيا

وفي الآية الثالثة عشرة من سورة محمد -عليه السلام- ذكر لفظ القرية مرتين : مضافا مرة ومقطوعا عن الإضافة مرة أخرى، وذلك قوله - تعالى - :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

عن ابن عباس - رضي الله عنهما- «أن النبي - ﷺ - لما خرج من مكة إلى الغار -أي في الهجرة- التفت إلى مكة وقال:- أنت أحب بلاد الله إلى الله وأنت أحب بلاد الله إلي ولولا أن أهلك أخرجوني لم أخرج منك وأعدى الأعداء من عدا على الله في حرمه

---

(3) الزخرف:31.

(4) سورة الزخرف:32.

أو قتل غير قاتله أو قتل بثارات الجاهلية فأنزل الله - سبحانه - على نبيه «وكأين من قرية ....» الآية، رواه ابن أبي حاتم وابن مردويه(٥) ومعنى الآية والله أعلم: وكثير من الأمم التي سبقتك كان أهلها أكثر من أهل مكة عدداً، وأشد منهم بأساً، ومع ذلك أهلكناهم ولم يمنعهم منا بأسهم ولا عددهم، فاصبر كما صبر الرسل من قبلك فالله ناصرك عليهم ومهلكهم إن لم يؤمنوا كما أهلك من قبلهم

وآخر الآيات التي جاء فيها لفظ القرية هي قوله - تعالى - من سورة الطلاق

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴾(٦)

أي: وكثير من القرى عتت عن أمر ربها أي أعرضت عن دينه ولم تطبق شريعته وخالفت رسل الله، فحاسبها الله حساباً شديداً، وعذبت على كفرها وجحودها في الدنيا والآخرة، فذاقت وبال فعلها وكفرها، فخسرت بذلك خسراناً مبيناً» وقد ذكرت هذه اللفظة مجموعة «القرى» في الأنعام، والأعراف، وهود، ويوسف، والكهف، والقصص، وسبأ، والشورى، والأحقاف، والحشر، ومعانيها متقاربة؛ لذلك سنعرض لها في إيجاز شديد على النحو التالي :

(١) في الأنعام ذكرت مرتين

الأولى في قوله تعالى:

﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ -الأنعام٩٢-)

والثانية في قوله تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ - الأنعام ١٣١» والمعنى: أن الله أرسل الرسل إلى الخلق ليخرجوهم من الضلال إلى الهدى، فإن آمنوا أثابهم وإن كفروا عذبهم، وذلك بسبب أن الله - تعالى - ليس من سنته أن يهلك الأمم ظلما وهم غافلون عما يجب عليهم ويطلب منهم؛ بل لابد من إرسال الرسل قبل الهلاك قال - تعالى -:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ وجاء لفظ القرى في سورة الأعراف ثلاث مرات في ثلاث آيات متتالية هي قوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾(٧)

والمعنى أن الله -تعالى- أهلك الأمم السابقة بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم، ولو أنهم آمنوا بالله وأطاعوا الرسل لفتح الله عليهم أبواب الخيرات من السماء بالوحي والهداية، والمطر والأرزاق، ومن الأرض بالنبات والمعادن والعلوم والكنوز والخصب لكنهم كذبوا فأخذهم أخذ عزيز مقتدر وأهلكهم بغتة، أبعد ذلك يأمن أهل القرى أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون أو يأتيهم العذاب ضحى وهم يلعبون.

وجاء لفظ القرى ثلاث مرات في سورة هود وهي قوله - تعالى - :

---

(٥) تفسير المراغي الجزء السادس والعشرون صـ٦».

(٦) الطلاق «٨».

(٧) الأعراف «٩٦-٩٨».

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾(٨) والمعنى ذلك الذى ذكرناه لك من أخبار هلاك قوم نوح وعاد وثمود وشعيب وقوم موسى نقصه عليك ليتعظ به قومك، وبعض هذه القرى مازالت آثارها باقية ماثلة للعيان وبعضها محيت آثارها فصارت كالزرع المحصود وما ظلمها الله ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر.

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٩) وهى كالتعليق على ما سبق من آيات لبيان رحمة الله بالمؤمنين وشدة بأسه بالكافرين فإن أخذه للكافرين الذين ظلموا أنفسهم شديد فاعتبروا يا كفار مكة وآمنوا قبل أن يحل بكم ما حل بالأمم السابقة،

والمرة الثالثة فى هود قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾(١٠) والمعنى لا يختلف كثيرا عن معانى الآيات السابقة فليس من شأن الله ولا سنته أن يهلك أهل القرى وهم مصلحون فذلك ظلم تنزه الله - تبارك وتعالى - عنه.

وجاء اللفظ مرة فى سورة يوسف فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١١)

والمعنى: ما أرسلنا قبلك يا محمد رسلاً من الملائكة، فكل الرسل من البشر الذكور ليفهم الناس عنهم وليقتدوا بهم فكيف يعجب أهل مكة من إرسال بشر إليهم أفلم يسيروا فى الأرض فيعلموا أن الذين كذبوا الرسل من قبلك قد هلكوا فتلك عاقبة الكفر أما عاقبة الإيمان فهى النجاة فى الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

وجاءت اللفظة فى الكهف بنفس المعنى تقريبا فى قوله - تعالى -:

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾(١٢) أى: وهذه قرى ثمود وعاد ومدين تمرون عليها فى أسفاركم أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر وتكذيب الأنبياء وجعلنا لهلاكهم موعدا محددا لا يتأخر ولا يتقدم فاعتبروا يا أهل مكة ولا تغتروا بحلم الله

وفى القصص جاءت اللفظة مرتين فى آية واحدة هى قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾(١٣) وهى تعليل وتعليق على الآية السابقة عليها، وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين» فهم قد استحقوا الهلاك بكفرانهم أنعم الله وقد جرت سنة الله وعدله، أنه لا يهلك القرى قبل أن يبعث فى أمها أى عاصمتها رسولا يبشرهم وينذرهم، فإن أطاعوا نجوا، وإن كذبوه هلكوا، فالله لا يهلك أهل القرى إلا

---

(٨) هود: ١٠٠.
(٩) هود: ١٠٢.
(١٠) هود: ١١٧.
(١١) يوسف: ١٠٩.
(١٢) الكهف: ٥٩.
(١٣) سورة القصص: ٥٩.

إذا ظلم أهلها وكفروا، وفي سبأ ذكرت اللفظة مرتين في الآية الثامنة عشرة وهي قوله - تعالى -:

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ والآية جاءت في تضاعيف قصة أهل سبأ الذين كفروا بأنعم الله، فبدل الله رخاءهم شدة ونعيمهم بؤسا وأرسل عليهم سيل العرم، فهدم السد، وغرقت البلاد وتشتت الناس ومزقوا كل ممزق بعد أن كانوا يعيشون آمنين في ديارهم وكان بينهم وبين المدن المباركة كمكة والشام قرى ظاهرة للعيان، وكانوا يسيرون إليها ليالي عدة وأياما معدودة آمنين.

ثم ذكر لفظ القرى في سورة الشورى في قوله - تعالى -:

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾(١٤) والمراد بأم القرى مكة أصل البلاد التي حولها وقد أثبت العلم الحديث أن مكة شرفها الله مركز العالم، والمعنى «لقد أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن الكريم بلسان عربي مبين لتنذر به مكة وما حولها من بلاد المعمورة ولتخوفهم يوم القيامة الذي يجتمع فيه الخلائق جميعا للبعث والحساب والجزاء فيكون فريق المؤمنين في الجنة وفريق الكافرين في السعير».

وجاءت الكلمة في سورة الأحقاف في قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(١٥) والآية تخويف لأهل مكة أن يحل بهم ما حل بالأمم السابقة كعاد وثمود وقرى قوم لوط إن لم يؤمنوا فلم ينصرهم من الله أحد ولا شيء.

وفي سورة الحشر جاءت لفظة القرى مرتين:

الأولى في قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ - الحشر ٧ ، والآية نزلت في الفيء الذي استولى عليه المسلمون من بني النضير من غير حرب ولا ضرب وتبين طريقة قسمته التي تخالف قسمة الغنيمة إذ أمر الفيء إلى رسول الله يقسمه بعد أن يدخر منه نفقة عام لأهله على ذوي قرباه واليتامى والمساكين وابن السبيل حتى لا يكون المال متداولا بين الأغنياء فقط، وعلى المسلمين أن يرضوا بما أعطاهم الرسول من هدى ومال، وأن ينتهوا عما نهاهم عنه، ثم يأمر بتقوى الله لأن الله شديد العقاب.

والثانية في قوله - تعالى -:

﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١٦)

والحديث فيها عن اليهود والذين لا يقاتلون المسلمين إلا من وراء الأسوار والحصون لأن جبنهم يحول بينهم وبين مواجهة المسلمين وجها لوجه، فلا يخدعنكم ظاهرهم فهم في حقيقة الأمر منقسمون متعادون وبأسهم ليس على عدوهم بل على أنفسهم لأنهم قوم لا عقل لهم.

هذا والله أعلم، وإلى اللقاء مع لفظ آخر.

---

(١٤) الشورى ٧٠. (١٥) الأحقاف ٢٧٠. (١٦) الحشر ١٤٠.

سر عداوة اليهود لسيدنا جبريل عليه السلام

للدكتور/ محمد وهدان(*)

كشفت سورة البقرة عن عداوة اليهود لسيدنا جبريل -عليه السلام- .. يقول الحق - سبحانه وتعالى -:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾(1).

ولعلك عندما تتدبر هذه الآيات تتساءل:

● ما سر عداوة اليهود لسيدنا جبريل - عليه السلام-؟

● إن جبريل - عليه السلام- ليس بشرا، يعمل مع اليهود أو ضدهم.. فلماذا يعادونه؟

● إن جبريل- عليه السلام- لا يعمل برأيه ولا بتدبيره، وإنما هو عبد الله ورسوله، يفعل ما يأمره به الحق - سبحانه- فما سر عداء أحفاد القردة والخنازير له؟

● إن جبريل - عليه السلام- خلق من النور.. واليهود من التراب، فلماذا العداوة بينهما، وقد خلقا من عنصرين مختلفين؟

● إن جبريل - عليه السلام- لا علاقة له بأهواء البشر، وإنما ينفذ أوامر الله.. فلماذا يكرهه اليهود؟

● إن جبريل -عليه السلام- لم يقل لهوى فى نفسه: «إنه يكره اليهود» ولكنه يحب من أحبه الله، ويبغض من يبغضه الله.. فلماذا العداء؟

يقول الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية: قال -تعالى-:

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أى: من عادى جبرائيل -عليه السلام- فليعلم أنه الروح الأمين، الذى نزل بالذكر الحكيم، على قلبك من الله بإذنه له فى ذلك، فهو رسول من رسل الله، ومن عادى رسولاً فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل كما قال -تعالى-:

(*) كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات جامعة الأزهر.

(1) سورة البقرة الآيتان (97 - 98).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ ﴾(٢) فحكم عليكم بالكفر الحقق، إذا آمنوا ببعض الرسل، وكفروا ببعضهم.

وكذلك من عادى جبرائيل، فإنه عدو الله، لأن جبرائيل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه. وإنما ينزل بأمر ربه، كما قال:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ﴾(٣).

وقال -تعالى-: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾(٤).

كما روى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب» ولهذا غضب الله لجبريل على من عاداه، فقال -تعالى-:

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة ﴿ وهدى وبشرى للمؤمنين ﴾.

أي: هدى لقلوبهم وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك إلا للمؤمنين(٥).

ويمضي ابن كثير فيقول: ثم قال -تعالى-: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ والمعنى أن من عاداني وملائكتي ورسلي «ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر، كما قال -تعالى-:

﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾(٦).

«وجبريل وميكال» وهذا من باب عطف الخاص على العام، فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل، ثم خصا بالذكر، لأن السياق في الانتصار لجبرائيل وهو السفير بين الله وأنبيائه، وقرن معه ميكائيل في اللفظ، لأن اليهود زعموا أن جبرائيل عدوهم، وميكائيل وليهم، فأعلمهم الله -تعالى- أن من عادى واحداً منهما فقد عادى الآخر، وعادى الله -أيضا-(٧).

لكن الإمام ابن عباس- رضي الله عنهما- يذكر أسباب عداوة اليهود لسيدنا جبريل، فيقول: أقبلت يهود إلى رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا أبا القاسم: إنا نسألك عن خمسة أشياء فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي، واتبعناك فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه إذ قالوا: «الله على ما نقول وكيل».

قال: «هاتوا»-

قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟

قال: «تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: فأخبرنا كيف تؤنث المرأة؟ وكيف تذكر؟

قال: «يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت».

قالوا: أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه؟

قال: «كان يشتكي عرق النسا، فلم يجد شيئا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا».

قال بعضهم: يعني الإبل، فحرم لحومها.

---

(٢) النساء (١٥٠). (٣) مريم (٦٤). (٤) الشعراء (١٩٢- ١٩٤).

(٥) الحافظ ابن كثير -تفسير القرآن العظيم (١/١٣٢) مطبعة دار إحياء الكتب العربية- القاهرة-

(٦) سورة الحج (٧٥). (٧) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٣٢، ١٣٣).

قالوا: صدقت.

قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟

قال: «ملك من ملائكة الله –عز وجل–، موكل بالسحاب بيده، أو في يده مخراق من نار، يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمر الله..».

قالوا: في هذا الصوت الذي يسمع؟

قال: «صوته».

قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة وهي التي نبايعك إن أخبرتنا بها، فإنه ليس من نبي إلا له ملك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟

قال: «جبريل –عليه السلام–».

قالوا: جبريل.. إذاك، الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب.. عدونا، لو قلت ميكائيل، الذي ينزل بالرحمة، والنبات والقطر لاتبعناك، فأنزل الله –عز وجل– ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾ إلى آخر الآية[8].

وقال ابن جرير الطبري –رحمه الله– أجمع أهل العلم بالتأويل، أن قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ نزل جواباً لليهود من بني إسرائيل حين زعموا أن جبريل –عليه السلام– عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم..

ثم اختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا ذلك:

فقال بعضهم: إنما كان السبب من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله –ﷺ– في أمر نبوته،

وذكر ابن كثير هذه المناظرة فقال:[9]

حضرت عصابة من اليهود إلى رسول الله –ﷺ– فقالوا يا أبا القاسم: حدثنا عن خلال نسألك عنهن، لا يعلمهن إلا نبي فقال رسول الله –ﷺ–: «سلوا عما شئتم، ولكن اجعلوا لي عهد الله وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم شيئا فعرفتموه أن تبايعوني على الإسلام».

فقالوا: ذلك لك.

فقال –عليه الصلاة والسلام–: «سلوني عما شئتم».

فقالوا: أخبرنا: أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوارة؟

وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم، ووليه من الملائكة؟

فقال النبي –ﷺ–: عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم أن تتبعوني؟

فأعطوه ما شاء من عهد وميثاق.

فقال: «ناشدتكم بالذي أنزل التوارة على موسى: هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضا شديدا فطال سقمة منه، فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان ذلك لحوم الإبل وألبانها».

فقالوا: اللهم نعم.

فقال –ﷺ–: «اللهم اشهد عليهم».

قال: ناشدتكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى: هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه».

قالوا: اللهم نعم.

---

(8) رواه الإمام أحمد في المسند (274/1) وإسناده صحيح.

(9) الحافظ ابن كثير- مرجع سابق ص 129.

قـالوا: أنت الآن.. فـحـدثنا من وليك من الملائكة.. فعندها نكون معك أو نفارقك.

قـال: إن وليي جـبـريل، ولم يـبـعث الله -سـبحانه- نبيا قط إلا وجبريل -عليه السلام- وليه؟

قالوا: فعندها نفارقك، لو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك.

قال: فما منعكم أن تصدقوه».

قالوا: إنه عدونا.

فأنزل الله - عز وجل- الآية:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴾.

وذكر بعض العلماء: إن المناظرة كانت بين اليهود وبين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في أمر النبي - ﷺ - وأورد ابن كثير -رحمه الله- في ذلك روايات كثيرة منها:

قال الشعبي: نزل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- الروحاء فرأى رجالا يبتدرون أحجارا، يصلون إليها.

فقال: ما هؤلاء؟

قالوا: يزعمون أن رسول الله - ﷺ - صلى ها هنا.

قال: نكره ذلك.

وقال: إنما رسول الله -ﷺ- أدركته الصلاة فصلاها ثم ارتحل، فتركه- ثم أنشأ يحدثهم فـقـال: كنت أشـهـد اليـهـود يوم مدراسـهـم -كنيستهم- فأعجب من التوراة كيف تصدق الفرقان، ومن الفرقان كيف يصدق التوراة، فبينما أنا عندهم ذات يوم.

فقالوا: يا ابن الخطاب ما من أصحابك أحد أحب إلينا منك.

قلت: ولم ذلك؟

قالوا: إنك تغشانا وتأتينا.

قلت: إني آتيكم فأعجب من الفرقان كيف يصدق التوراة، ومن التوراة كيف تصدق القرآن.

قال: ومر رسول الله -ﷺ- فقالوا: يا ابن الخطاب.. ذاك صاحبكم فالحق به.

قال: فقلت لهم عند ذلك: نشدتكم بالله الذي لا إله إلا هو وما استرعاكم من حقه، واستودعكم من كتابه.. أتعلمون أنه رسول الله؟

فقال عالمهم وكبيرهم: إنه قد استحلفكم بالله فأجيبوه.

فقالوا: أنت عالمنا وكبيرنا فأجبه أنت.

قال: أما إذ نشدتنا بما نشدتنا به؛ فإنا نعلم أنه رسول الله.

قال: قلت: ويحكم فأنى هلكتم؟

قالوا: إنا لم نهلك.

قلت: وكيف ذاك وأنتم تعلمون أنه رسول الله، ولا تتبعونه ولا تصدقونه؟

قالوا: إن لنا عدوا من الملائكة وسلما من الملائكة، وإنه قرن بنبوته عدونا من الملائكة.

قال: قلت: ومن عدوكم؟ ومن سلمكم؟

قالوا: عدونا جبريل، وسلمنا ميكائيل.

قال: قلت: وفيم عاديتم جبريل؟ وفيم سالمتم ميكائيل؟

قالوا: إن جبريل ملك الفظاظة، والغلظة، والإعسار، والتشديد، والعذاب، ونحو هذا، وإنما ميكائيل ملك الرأفة، والرحمة، والتخفيف ونحو هذا.

قال: قلت: وما منزلتهما من ربهما -سبحانه وتعالى؟

قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن يساره.

قال: قلت: هو الذى لا إله إلا هو، إنهما والذى بينهما لعدو لمن عاداهما، وسلم لمن سالمهما، ما ينبغى لجبريل أن يسالم عدو ميكائيل وما ينبغى لميكائيل أن يسالم عدو جبريل.

قال: ثم قمت، فاتبعت النبى - ﷺ - فلحقته وهو خارج لخوخة بنى فلان(طريق ضيق بين بنايين) فقال: يا بن الخطاب: ألا أقرأ عليك آيات نزلن قبل: فقرأ على

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾.

قال: قلت: وبأبى وأمى يا رسول الله، والذى بعثك بالحق لقد جئت وأنا أريد أن أخبرك، فأسمع اللطيف الخبير قد سبقنى إليك بالخبر»[١٠].

وبعد.. فهذه هى أسباب عداوة اليهود، كما رواها القرآن الكريم، وهى تكشف عن حقد أحفاد القردة والخنازير للإسلام، ورسول الإسلام -عليه الصلاة والسلام- وتوضح بما لا يدع مجالاً للشك أنهم أساتذة فى الدعاية الكاذبة، وتلفيق التهم بالأبرياء، وافتعال معارك وهمية للفت الأنظار عن القضايا الأصلية.

ولكن ها هو القرآن الكريم يفضح مفترياتهم، ويكشف باطلهم، ويدحض زيفهم وكذبهم، مشيرا إلى أنه لو تخلت الثعالب عن مكرها، والحيات عن لدغها، ما تخلى اليهود أبداً عن عدائهم للإسلام والمسلمين.

لقد زعم أحفاد القردة والخنازير أن جبريل -عليه السلام- عدوهم، لأنه ينزل بالدمار والهلاك والعذاب، وأن هذا هو الذى يمنعهم من الإيمان بسيدنا محمد -ﷺ- من جراء صاحبه سيدنا جبريل -عليه السلام- ولو كان ميكائيل هو الذى ينزل بالوحى لآمنوا برسول الله -ﷺ- لأن ميكائيل - عليه السلام- ينزل بالرخاء والمطر والخصب.

إنها فعلا «الحماقة المضحكة» على حد تعبير سيد قطب رحمه الله[١١].

.. فلماذا يعادون جبريل وهو ليس بشرا يعمل معهم أو ضدهم، ولم يكن يعمل بتصميم من عنده وتدبير؟ إنما هو عبد الله يفعل ما يأمره به الله رب العالمين، فما كان له ولغيره من الملائكة أن يعصى الله طرفة عين:

﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[١٢].

ثم إن جبريل - عليه السلام- لا ينزل بالدمار بمحض إرادته ولا تبعا لهواه الشخصى، وإنما ينزل بأمر الله، وميكائيل - عليه السلام- لا ينزل بالمطر والخصب بمحض إرادته، وإنما ينفذ أوامر الله -عز وجل-.

ولكنها أخلاق اليهود، الذين يعلمون الحقائق جيداً، وعندما تكون ضد مصالحهم، يلتفون حولها، ويبدأون فى اختلاق القصص الوهمية، وافتعال المعارك الجانبية.. حتى ولو كانت ضد روح القدس -عليه السلام- الذى يعرف اليهود -وغيرهم- أنه لا يعادى إلا من عادى الله، ولا يوالى إلا من والى الله، وليس له من الأمر شئ، إنما الأمر كله لرب واحد هو الله -عز وجل- الواحد.

---

(١٠) ابن كثير (١٨٨/١).

(١١) فى ظلال القرآن- ط ١٣- دار الشروق- القاهرة- (٩٢- ٩٣).

(١٢) سورة الأنبياء (٢٦ - ٢٨).

الجدال المذموم

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

يورد ابن حزم بعض الآيات التي يتمسك بها المانعون للجدل، ثم يبين المراد بها وأنها خاصة بالجدال المذموم:

١- فيقول: (واحتجوا في إبطال الجدال والمناظرة بآيات ذكروها وهي قوله -تعالى-:

﴿ لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾[1]

يقول ابن حزم: وهذه الآية مبينة وجه الجدال المذموم، وهو... فيمن يحاج بعد ظهور الحق، وهذه صفة المعاند للحق، الآبي من قبول الحجة بعد ظهورها وهذا مذموم عند كل ذي عقل.

ومنها قوله -تعالى-:

﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾[2]

قال أبو أحمد -ابن حزم-: وإنما ذم الله -تعالى- في هذه الآية من خاصم وجادل في الباطل[3].

٢- ويقول في موضع آخر: (فلما وجدنا الله -تعالى- قد أمر في الآيات التي ذكرنا بالحجاج والمناظرة ولم يوجب قبول شيء إلا ببرهان وجب علينا تطلب الحجاج المذموم على ما قدمنا فوجدناه قد قال:

﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾[4] فذم -تعالى- كما ترى الجدال بغير حجة والجدال في الباطل[5]. ثم يقسم ابن حزم الجدال المذموم إلى قسمين:

٣- والمذموم وجهان بنص الآيات التي ذكرنا أحدهما من جادل بغير علم،

والثاني من جادل ناصرا للباطل بشغب وتمويه بعد ظهور الحق إليه.

(١) الشورى آية ١٥، ١٦.
(٢) الزخرف آية ٥٨.
(٣) الأحكام لابن حزم ج١/٢٢، ٢٣.
(٤) الكهف آية ٥٦.
(٥) الأحكام لابن حزم ج١/٢٧.

وفي هذا بيان أن الحق في واحد وأنه لا شيء إلا ما قامت عليه حجة العقل وهؤلاء المذمومون هم الذين قال الله – تعالى – فيهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾[6] وقوله –تعالى–: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾[7] ... وغير ذلك من الآيات.

فبين –تعالى– كما ترى– أن الجدال المحرم هو الجدال الذي يجادل به لينصر الباطل ويبطل الحق بغير علم.[8]

ثانياً: «قانون الغزالي»

وأقول: بين المعقول والمنقول تصادم في أول النظر وظاهر الفكر، والخائضون فيه تحزبوا إلى «مفرط» بتجريد النظر إلى «المنقول»، وإلى «مفرط» بتجريد النظر إلى المعقول، وإلى «متوسط» طمع في الجمع والتلفيق.

والمتوسطون انقسموا إلى من جعل «المعقول» أصلا و«المنقول» تابعا، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه، وإلى من جعل المنقول أصلا، والمعقول تابعاً، فلم تشتد عنايتهم بالبحث عنه، وإلى من جعل كل واحد أصلا ويسعى في التأليف والتوفيق بينهما فهم إذن خمس فرق.

الفرقة الأولى:

«هم الذين جردوا النظر إلى المنقول»، وهم الواقفون على المنزل الأول من منازل الطريق، القانعون بما سبق إلى أفهامهم من ظاهر المسموع، فهؤلاء صدقوا بما جاء به النقل تفصيلا وتأصيلا، وإذا شوفهوا بإظهار تناقض في ظاهر المنقول، وكلفوا تأويلا امتنعوا وقالوا: إن الله قادر على كل شيء، فإذا قيل لهم –مثلا– كيف يرى شخص للشيطان في حالة واحدة في مكانين، وعلى صورتين مختلفتين؟ قالوا: إن ذلك ليس عجبا في قدرة الله، فإن الله قادر على كل شيء، وربما لم يتحاشوا أن يقولوا: إن كون الشخص الواحد في مكانين في حالة واحدة مقدور لله –تعالى–.

والفرقة الثانية:

تباعدوا عن هؤلاء إلى الطرف الأقصى المقابل لهم، و«جردوا النظر إلى المعقول». ولم يكترثوا بالنقل، فإن سمعوا في الشرع ما يوافقهم قبلوه، وإن سمعوا ما يخالف عقولهم زعموا أن ذلك صورة الأنبياء، وأنه يجب عليهم النزول إلى حد العوام، وربما يحتاج أن يذكر الشيء على خلاف ما هو عليه. فكل ما لم يوافق عقولهم حملوه على هذا الحمل، فهؤلاء غلوا في المعقول حتى كفروا، إذ نسبوا الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– إلى الكذب لأجل المصلحة.

ولا خلاف بين الأمة أن من جوز ذلك على الأنبياء –صلوات الله عليهم– يجب حز رقبته، وأما الأولون فإنهم قصروا طلبا للسلامة من خطر التأويل والبحث فنزلوا بساحة الجهل، واطمأنوا بها، إلا أن حال هؤلاء أقرب من حال أولئك. فإن تخلص هؤلاء عن المضايق بقولهم: إن الله على كل شيء قدير، ونحن لا نقف على كنه عجائب أمر الله، ومخلص أولئك بأن قالوا: إن النبي إنما ذكر ما ذكر على

---

(6) غافر آية 69.

(7) الحج آية 3.

(8) الأحكام لابن حزم 1/28.

خلاف ما علمه للمصلحة، ولا يخفى ما بين المخلصين من الفرق فى الخطر والسلامة.

والفرقة الثالثة:

جعلوا «المعقول أصلا» فطال بحثهم عنه، وضعفت عنايتهم بالمنقول فلم تجتمع عندهم الظواهر المتعارضة المتصادمة فى بادىء الرأى، وأول الفكر المخالفة للمعقول، فلم يقعوا فى غمرة الإشكال، لكن ما سمعوه من الظواهر المخالفة للمعقول جحدوه، وأنكروه، وكذبوا روايته، إلا ما يتواتر عندهم كالقرآن، أو ما قرب تأويله من ألفاظ الحديث، وما شق عليهم تأويله جحدوه حذرا من الإبعاد فى التأويل. فرأوا التوقف عن القبول أولى من الإبعاد فى التأويل. ولا يخفى ما فى هذا الرأى من الخطر فى رد الأحاديث الصحيحة المنقولة عن الثقات الذين بهم وصل الشرع إلينا.

والفرقة الرابعة:

جعلوا «المنقول أصلا» وطالت ممارستهم له فاجتمع عندهم الظواهر الكثيرة وتطرقوا من المعقول ولم يخوضوا فيه، فظهر لهم التصادم بين المنقول والظواهر فى بعض أطراف المعقولات، ولكن لما لم يكثر خوضهم فى المعقول، ولم يخوضوا فيه، لم يتبين عندهم المحالات العقلية، لأن المحالات بعضها يدرك بدقيق النظر وطويله الذى ينبنى على مقدمات كثيرة متوالية ثم انضاف إليه أمر آخر وهو: إن كل ما لم يعلم استحالته حكموا بإمكانه، ولم يعلموا أن الأقسام ثلاثة:

قسم علم استحالته بالدليل.

قسم علم إمكانه بالدليل.

وقسم لم يعلم استحالته ولا إمكانه، وهذا القسم الثالث جرت عادتهم بالحكم بإمكانه، إذ لم يظهر لهم استحالته، وهذا خطأ كمن يحكم باستحالته إذا لم يظهر إمكانه، بل من الأقسام ما لم يعلم إمكانه ولا استحالته، إما لأنه موقف العقل، وليس فى القوة البشرية الإحاطة به، وإما لقصور هذا الناظر خاصة، وعدم عثوره على دليله بنفسه وفقده لمن ينبهه عليه.

ومثال الأول:

من حس البصر قصور الحس البصرى عن أن يعرف عدد الكواكب أنه زوج أو فرد، وأن يدرك عظم الكواكب مع بعدها على ما هى عليه.

ومثال الثانى:

وهو القصور الخاص. قصور حس بعض الناس عن أن يدرك منازل القمر، وظهور أربع عشرة منها فى كل حالة، وخفاء أربع عشرة مقابل درج المنازل فى الغروب والشروق وغير ذلك مما وقف عليه بعض الناس بحس البصر دون بعض، كذلك يتطرق إلى إدراك العقل مثل هذا النوع من التفاوت.

وهؤلاء لما قل خوضهم فى المعقولات لم يكثر عندهم المحالات فكفوا مؤنة عظيمة فى أكثر التأويلات إذ لم يتنبهوا للحاجة إلى التأويل كالذى لم يظهر له أن كون الله بجهة محال إذا استغنى عن تأويل «الفوق» و«الاستواء» وكل ما يشير إلى الجهة.

والفرقة الخامسة:

هى الفرقة المتوسطة الجامعة بين البحث عن المعقول والمنقول، الجاعلة كل واحد منهما أصلا

مهما، المنكرة لتعارض العقل والشرع وكونه حقا، ومن كذب العقل فقد كذب الشرع، إذ بالعقل عرف صدق الشرع، ولولا صدق دليل العقل لما عرفنا الفرق بين النبي والمتنبي، والصادق والكاذب، وكيف يكذب العقل بالشرع، وما ثبت الشرع إلا بالعقل.

وهؤلاء هم الفرقة المحقة، وقد نهجوا منهجا قويما، إلا أنهم ارتقوا مرتقى صعباً، وطلبوا مطلبا عظيما، وسلكوا سبيلا شاقا. فلقد تشوفوا إلى مطمع ما أعصاه، وانتهجوا مسلكا ما أوعره، ولعمري إن ذلك سهل يسير في بعض الأمور، ولكن شاق عسير في الأكثر[٩].

ضوابط الجدل في العلاقة بين الدين والعقل وقانون التأويل عند ابن رشد

١- يرى ابن رشد أن الشريعة توجب التفلسف كما توجب استعمال البرهان المنطقي لمعرفة الله وموجوداته وساق لهذا وذاك دليلا من القرآن وهو قوله تعالى:

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[١٠] مبينا أن الاعتبار هنا ليس إلا استنباط المجهول من المعلوم وهو القياس الفلسفي أو المنطقي المعروف»[١١]

ويلاحظ أن صاحب كتاب (الدين والفلسفة) لا يوافق ابن رشد على المعنى الذي ذكره للاعتبار لسياق الآية، وإن كان يرى أن هناك العديد من الآيات تحث على استعمال العقل والنظر في الموجودات: ﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ ﴾[١٢]»[١٣].

٢- وإذا كان الشرع يوجب النظر الفلسفي فمن الواجب أن نلتمس تأويل مالا يتفق معه في النصوص على أن يتفق هذا التأويل وقواعد اللغة العربية وذلك لأن من المقطوع به -كما يقول فيلسوفنا-: إن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع، أن هذا الظاهر يقبل التأويل حتى لا يصطدم الشرع والعقل: كما أنه من الجائز أن يؤدي البرهان إلى نتائج تتفق وظواهر النصوص التي أجمع المسلمون على تأويلها، أو تتفق والمعاني الخفية الباطنة التي أجمعوا على أخذها حسب ظواهرها، وبعبارة أخرى يجوز أن يؤدي البرهان إلى مخالفة الإجماع في الأمور النظرية ما دام الإجماع لا يمكن أن يتحقق بيقين من العلماء في عصر من العصور»[١٤]. [١٥]

٣- وما دامت الشريعة توجب التفلسف وما دام التأويل أمراً لا بد منه لبعض النصوص (فإن ابن رشد رأى ألا يترك الأمر فوضى فيؤول من يشاء ما يريد من النصوص ويذيع من

---

(٩) قانون التأويل للإمام الغزالي من ص٤٢ - ٤٨. ت الشيخ محمد زاهر الكوثري ط- الأزهر.

(١٠) الحشر آية ٢.

(١١) فصل المقال لابن رشد ص٢ نقلاً عن الدين والفلسفة. د/ محمد يوسف موسى.

(١٢) يونس آية ١٠١.

(١٣) الدين والفلسفة د/ محمد يوسف موسى ص٩١ بتصرف.

(١٤) المصدر السابق ص٩٢.

(١٥) فصل المقال لابن رشد ص٧ - ٩.

التأويل ما يريد ولمن يريد؛ بل جعل لذلك قانونا وقواعد يسترشد بها الباحث وتحفظ الإخاء بين الحكمة والشريعة»[16]

قانون التأويل عند ابن رشد

ويتلخص هذا القانون في أن المعاني الموجودة في الشرع خمسة أصناف:

١- أن يكون المعنى الظاهر من النص هو المراد حقيقة في نفس الأمر، وهذا الصنف لا يجوز تأويله مطلقا، بل يجب أخذه حسب ظاهره للناس جميعا.

٢- أن يكون المعنى الظاهر للنص ليس مراداً، بل هو مثال ورمز للمعنى المقصود حقيقة، ولكنه لا يعلم أنه مثال، ولا لماذا اختير بذاته ليكون مثالا ورمزا لذلك المعنى الخفي، إلا بقياسات بعيدة مركبة لا يوصل إليها إلا بتعلم طويل، وعلوم جمة لا يقدر عليها إلا الخاصة من الناس، وهذا الصنف لا يجوز أن يؤوله إلا الراسخون في العلم، وليس لأحدهم التصريح به لسواهم.

٣- أن يكون المعنى الظاهر مثالا ورمزا أيضا لمعنى خفي، ولكن من اليسير أن يفهم أنه مثال، ولماذا هو بذاته مثال، وهذا الصنف ليس لأحد الأخذ بظاهره بل لا بد من تأويله والتصريح بهذا التأويل للجميع.

٤- أن يكون المعنى الظاهر مثلا، ولكن يعرف بنفسه أو بعلم قريب أنه مثال، وبعلم بعيد لا تقدر عليه العامة ومن في حكمهم لماذا هو بنفسه مثال؟ وذلك مثل قوله -ﷺ-: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»[17] وهذا الصنف تأويله خاص بالعلماء ويؤولونه لأنفسهم خاصة.

ويقال للآخرين الذين شعروا أنه مثال ولكن ليس من أهل العلم الذين يعرفون لماذا هو مثال بأنه من المتشابه الذي يجب عدم البحث عنه إلا للعلماء الراسخين أو ينقل لهم التمثيل لما هو أقرب إلى معارفهم ومداركهم كما يرى الغزالي في كتابه «التفرقة بين الإسلام والزندقة».

وأخيراً أن يكون المعنى الظاهر مثالا ورمزا لآخر خفي، ولكن لا يتبين أنه مثال إلا بعلم بعيد، ومتى عرف أنه مثال يتبين بعلم قريب لماذا اختير بذاته ليكون مثالا، وهذا القسم من الممكن أن تقول بأن الأحفظ للشرع ألا يتعرض لتأويله، بل الأولى لغير العلماء أن تبطل الأمور التي من أجلها ظنوا أن المعنى الظاهر من النص هو مثال لآخر خفي هو المراد منه، ولنا كذلك أن تقول بجواز التأويل لهؤلاء -أيضا- وذلك لقوة الشبه بين المعنى الخفي المراد وبين ما ضرب رمزا ومثالا له.[18]

(يتبع)

---

(١٦) الدين والفلسفة د/ محمد يوسف موسى ص٩٧.

(١٧) الحديث - أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٦/٣٢٨، وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٨٥: هذا حديث لا يصح؛ لأن في سنده إسحاق بن بشر كذبه ابن أبي شيبة وقال الدار قطني هو في عداد من يضع الحديث.

(١٨) الدين والفلسفة نقلاً عن مناهج الأدلة ص١٢٦ - ١٢٧.

الصغائر الكبائر

للأستاذ / محمد إبراهيم العشماوي(*)

حقوق الله على العباد ما أكثرها، وما أعجزهم عن الوفاء بها، ومن حقه -تعالى- عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يطيعوه، ويشكروه فلا يكفروا به، ويذكروه فلا ينسوه. فهو الذي أوجد وأمد، وهدى وأرشد، وأسدى وأنعم، ووفق وألهم وأمر بالتقوى، فأعان وقوى، ويسر وسهل، وأعطى فأجزل، وحمد وشكر، وستر وغفر:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾(1).

ومن ظلم الإنسان وجهله أن يقابل إحسان الله إليه بالإساءة، ونعمته عليه بالكفر، وذكره له بالنسيان:

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾(2).

ولا أحد أحق بالطاعة المطلقة -لسابق إفضاله، ومزيد إنعامه، فضلاً عن استحقاقه الذاتي من رب العباد -تعالى وتقدس- فيما أمر به، ونهى عنه، إذ قامت الشواهد والأدلة على أنه لا يأمر بشيء، ولا ينهى عن شيء إلا لحكمة تنطوي على مصالح العباد، فهو أحق أن يطاع لذلك، وماذا بعد الحق إلا الضلال؟!

على أنه -تعالى- لو لم يأمر الخلق بطاعته، ويحذرهم من مخالفته، بما أرسل إليهم من رسل، وأنزل عليهم من كتب؛ لكانت دلائل العقول، وشواهد الأحوال، تدل على ذلك، وترشد إليه.

وإذا أيقن العبد بهذا علم أن كل مخالفة لله، في أمر أو نهي؛ معصية كبيرة، وذنب عظيم -بالنسبة لجلال ألوهيته، وعظيم مقام ربوبيته- وإن صغر في عيني فاعله ورائيه، حتى قال بعض المحققين: «لا صغيرة، والذنوب كلها كبائر» نظراً لهذا المعنى.

ولا شيء أخطر على العبد، ولا أضر له في الدنيا والآخرة من تلك المخالفة، فهي سبب كل ضر، ومفتاح كل شر.

(*) الكاتب معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

(1) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(2) سورة الأحزاب ٧٢.

أقسام الذنوب

والحق: أن الذنوب -بعد التسليم بهذا المعنى، الذي قاله المحققون- تنقسم بحسب تفاوتها في القبح والضرر، والجزاء المترتب عليها، إلى صغائر وكبائر.

وقد اختلف السلف في هذا، فذهب الجمهور إلى أن من الذنوب كبائر ومنها صغائر، وشذت طائفة منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني فقال: ليس من الذنوب صغيرة، بل كل ما نهى الله عنه كبيرة، ونقل ذلك عن ابن عباس، وحكاه القاضي عياض عن المحققين[٣]، واحتجوا: بأن كل مخالفة لله فهي معصية -بالنسبة إلى جلاله- كبيرة، ونسبه ابن بطال إلى الأشعرية.

قال ابن فورك: معاصي الله -تعالى- كلها عندنا كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة؛ وقال القاضي عبدالوهاب المالكي: لا يمكن أن يقال في معصية: إنها صغيرة، إلا على معنى أنها تصغر عند اجتناب الكبائر.

قال العلامة ابن حجر العسقلاني: قد حقق إمام الحرمين ما نقل عن الأشاعرة، واختاره، وبين أنه لا يخالف ما قال الجمهور، فقال في «الإرشاد»: المرضي عندنا أن كل ذنب يعصي الله به كبيرة، فرب شيء يعد صغيرة بالإضافة إلى الأقران، ولو كان في حق الملك لكان كبيرة. والرب أعظم من عصي، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم، ولكن الذنوب -وإن عظمت- فهي متفاوتة في رتبها.

وظن بعض الناس أن الخلاف لفظي، فقال: التحقيق أن للكبيرة اعتبارين: فبالنسبة إلى مقايسة بعضها لبعض فهي تختلف قطعاً. وبالنسبة إلى الآمر الناهي فكلها كبائر[٤].

قال الإمام الآلوسي: والحق أنه لا خلاف بين الفريقين في المعنى، وإنما الخلاف في التسمية والإطلاق لإجماع الكل على أن من المعاصي ما يقدح في العدالة، ومنها ما لا يقدح فيها، وإنما القائلون بأن المعاصي كلها كبائر فروا من التسمية، فكرهوا تسمية معصية الله صغيرة نظراً إلى عظمة الله - تعالى - وشدة عقابه، وإجلالاً له -عز وجل- عن تسمية معصيته صغيرة، لأنها إلى باهر عظمته -تعالى- كبيرة، وأي كبيرة!! ولم ينظر الجمهور إلى ذلك -لأنه معلوم- بل قسموها إلى قسمين كما تقتضيه صرائح الآيات والأخبار، ولذلك قال حجة الإسلام الغزالي: لا يليق إنكار الفرق بين الصغائر والكبائر، وقد عرفنا من مدارك الشرع؛ نعم قد يقال لذنب واحد كبير وصغير باعتبارين لأن الذنوب تتفاوت في ذلك باعتبار الأشخاص والأحوال، ومن هنا قال الشاعر:

لا يحقر الرجل الرفيع دقيقة ... في السهو فيها للوضيع معاذر

فكبائر الرجل الصغير صغائر ... وصغائر الرجل الكبير كبائر

وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض في تائيته بقوله:

---

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (بتحقيق د يحيى إسماعيل) (٣٥٥/١) ط دار الوفاء.

(٤) انظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٣٩٦) (ط السعادة، ونشر الخانجي)، وفتح الباري (٤٢٣/١٠) (ط دار الريان للتراث).

ولو خطرت لي في سـواك إرادة
على خاطري -سهوا- حكمت بردتي

وأشار إلى التفاوت من قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين[5]. وإليه الإشارة أيضاً بقول الصحابة -رضي الله عنهم-: إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله من الكبائر[**].

وقال الإمام الطيبي: الصغيرة والكبيرة أمران نسبيان فلا بد من أمر يضافان إليه، وهو أحد ثلاثة أشياء: الطاعة، أو المعصية، أو الثواب.

فأما الطاعة فكل ما تكفره الصلاة مثلاً فهو من الصغائر، وكل ما يكفره الإسلام أو الهجرة فهو من الكبائر، وأما المعصية فكل معصية يستحق فاعلها بسببها وعيداً أو عقاباً أزيد من الوعيد أو العقاب المستحق بسبب معصية أخرى فهي كبيرة، وأما الثواب ففاعل المعصية إذا كان من المقربين فالصغيرة بالنسبة إليه كبيرة، وقد وقعت المعاتبة في حق بعض الأنبياء على أمور لم تعد من غيرهم معصية .ا.هـ[6].

والحق هو انقسام الذنوب إلى صغائر وكبائر، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة وجمهور العلماء خلافاً للمرجئة حيث ذهبوا إلى أنها كلها صغائر ولا تضر مرتكبها ما دام على الإسلام، ولذلك قال شاعرهم:

مت مسلماً ومن الذنوب فلا تخف
حاشا المهيمن أن يرى تنكيدا
لو رام أن يصليك نار جهنم
ما كان ألهم قلبك التوحيدا

وخلافاً للخوارج حيث ذهبوا إلى أنها كلها كبائر، وأن كل كبيرة كفر، وخلافاً لمن ذهب إلى أنها كلها كبائر نظراً لعظمة من عصي بها، ولكن لا يكفر مرتكبها إلا بما هو كفر منها؛ كسجود لصنم، ورمي مصحف في قاذورة ونحو ذلك[7].

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على القول الأول، وأن الذنوب منها الصغائر ومنها الكبائر. فمن القرآن قول الله -تعالى-:

﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**﴾[*]، يعني: الصغائر[8]. ودل مفهوم قوله: «كبائر ما تنهون عنه» على أن هناك صغائر ينهى عنها بطريق المفهوم المخالف.

ومن القرآن - أيضاً - قول الله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾[*].

---

(5) انظر: روح المعاني (٣/١٧) (طدار الفكر). وأصل الكلام مبسوط في "الزواجر عن اقتراف الكبائر" لابن حجر الهيتمي (١/٧ - ١٨) (طدار الكتب العلمية) وعنه نقل الألوسي مختصراً وزاد عليه.

** أخرجه البخاري في الرقاق ٦٤٩٢ من حديث سيدنا أنس - رضي الله عنه -.

(6) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/٥٠٢) (طنزار مصطفى الباز - مكة المكرمة).

(7) شرح البيجوري على جوهرة التوحيد (تحفة المريد) (ص١٩٦) (طدار الكتب العلمية).

(*) سورة النجم ٣٢.

(8) تفسير السيئات بالصغائر مروي عن السدي، رواه عنه ابن أبي حاتم (٣/٩٣٤) (طنزار - مكة) وابن جرير (٨/٢٥٤) ط دار المعارف.

(9) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) (١٧/١٠٥) (ط دار الحديث).

قال القرطبي هي الصغائر التي لا يسلم من الوقوع فيها إلا من عصمه الله وحفظه[9]. وفي الصحاح: ألم الرجل: من اللمم، هو صغائر الذنوب، ويقال: هو مقاربة المعصية من غير مواقعة[10]. وقد اختلفوا في تأويل معناه فقيل: النظرة والغمزة والقبلة والضمة والشمة والمباشرة، وقيل: الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب منها، ويقال: اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود، واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود، وقيل: هو ما دون الجماع، وقيل: ما دون الشرك، وقيل: اللمم: كل شيء بين الحدين، حد الدنيا والآخرة يكفره الصلاة، فأما حد الدنيا فكل ما فرض الله عقوبته في الدنيا، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار، وأخر عقوبته إلى الآخرة[11].

وقد دلت الأحاديث النبوية -أيضاً- على أن الذنوب: صغائر وكبائر، فمنها قوله -ﷺ-: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[12]. فقد أفاد هذا الحديث أن الصلاة تكفر ما دون الكبائر، يعني الصغائر.

ومنها أيضاً قوله -صلوات الله وسلامه عليه-: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور»[13]. فقد دل هذا الحديث على أن الكبائر تتفاوت فيما بينها في القبح والفحش، فمنها ما هو أكبر، ومنها ما هو أصغر، ودل مفهوم الكبائر على أن هناك صغائر وهي أيضاً متفاوتة المراتب. وقال ابن حجر في شرح الحديث: ويؤخذ منه ثبوت الصغائر لأن الكبيرة بالنسبة إليها أكبر منها، والاختلاف في ثبوت الصغائر مشهور، .... وقد فهم الفرق بين الصغيرة والكبيرة من مدارك الشرع[14].

ضابط الصغيرة والكبيرة

للناس في بيان حقيقة الصغيرة والكبيرة اختلاف كبير، ومرجعه: أن الكبيرة ما عظم أمره عند الله، والصغيرة ما خف أمره عند الله. قال الإمام ابن عجيبة: الصغيرة هي الجريمة التي لا وعيد عليها من القرآن ولا من الحديث، والكبيرة هي التي توعد عليها بالعذاب أو الحد في القرآن أو في السنة، وقيل غير ذلك، هذا كله بالنظر لظاهر الأمر، فأما باعتبار ما عند الله من أمر غيبه فقد يبرز خلاف ما يظن. قال -تعالى-:

﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾(*).

فمن سبقت له العناية لا تضره الجناية،

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾(*).

فإذا قابلك الحق -سبحانه وتعالى- بعدله وجلاله لم يبق لك صغيرة، وعادت صغائرك كبائر، وإذا واجهك الحق بفضله وكرمه وإحسانه وجماله لم يبق لك كبيرة، وعادت كبائرك صغائر. قال في الحكم: لا صغيرة إذا واجهك عدله، ولا كبيرة إذا واجهك فضله[15]. قال

---

(١٠) الصحاح للجوهري (١٤٩٧/٢) (ط دار الفكر).

(١١) ثمت أقوال أخرى في معنى اللمم انظر في: القرطبي (بتحقيق د الحفناوي، د محمود عثمان) (١٠٥/١٧)، البحر المحيط (١٦٣/٨) (ط دار الكتب العلمية)، والدر المنثور (١٦٥/٦) (ط دار الكتب العلمية)، زاد المسير ٢٨١/٧ (ط دار الكتب العلمية)، فتح القدير ١١٥/٥ (ط عالم المعرفة).

(١٢) أخرجه مسلم في الطهارة ٢٠٩/١ رقم ١٦ (ط عبدالباقي).

(١٣) أخرجه البخاري في الشهادات ٢٦٥٣ وفي الأدب ٥٩٧٦ وفي الاستئذان ٦٢٧٣، ومسلم في الإيمان ٩١/١ رقم ١٤٣، ١٤٤.

(١٤) فتح الباري ٣٦٢/٥. (*) سورة الزمر ٤٧. (*) سورة الفرقان ٧٠.

(١٥) إيقاظ الهمم في شرح الحكم (ص ١٠٨، ١٠٩) (ط الحلبي).

الشيخ زروق: فانظر لعدله وفضله لا للذنوبك وعيوبك سواء كانت صغائر أو كبائر، وقد قال يحيى بن معاذ: إن أنا لهم فضله لم يبق لهم سيئة، وإن أقام عليهم عدله لم يبق لهم حسنة، ومما أوحى الله إلى بعض أنبيائه: قل لعبادى الصديقين: لا يغتروا، فإنى إن أقم عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم، وقل لعبادى المذنبين: لا يقنطوا، فإنى لا يتعاظمنى ذنب أغفره لهم(١٦).

ومما أبدع ما صور الإمام البوصيرى هذا المعنى إذ يقول:

يا نفس لا تقنطى من زلة عظمت
إن الكبائر فى الغفران كاللمم
لعل رحمة ربى حين يقسمها
تأتى على حسب العصيان فى القسم

وللعلماء فى ضبط الكبيرة طريقتان. الأولى: ضبطها بالحد (التعريف)، والثانية: ضبطها بالعد، فأما ضبطها بالحد فقد اختلفوا فيه على أقوال كثيرة أقربها إلى الصواب قول من قال: هى كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن بنص كتاب أو سنة، أو علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به وعيد أو حد أو لعن، أو أكثر مفسدته، أو أشعر بتهاون مرتكبه فى دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك، وقريب منه قول من قال: الكبيرة كل ذنب عظم عظما يصح أن يطلق عليه اسم الكبيرة، ويوصف بكونه عظيماً على الإطلاق، ولها أمارات، منها: إيجاب الحد، والإيعاد عليه بالعذاب بالنار، ونحوها فى الكتاب والسنة، ومنها: وصف فاعلها بالفسق، ومنها: اللعن أ.هـ.

وأنكر بعضهم تعريفها بالحد. قال الواحدى: الصحيح أن الكبيرة ليس لها حد يعرفها العباد به، وإلا لاقتحم الناس الصغائر واستباحوها، ولكن الله أخفى ذلك عن العباد ليجتهدوا فى اجتناب المنهى رجاء أن تجتنب الكبائر، ونظير ذلك إخفاء الصلاة الوسطى، وليلة القدر، وساعة الإجابة(١٧).

وأما ضبطها بالعد فقد اختلفوا فيه أيضاً على أقوال كثيرة، وأقصى ما قيل فيها إنها سبعمائة. والصحيح أنها غير محصورة فى عدد، بل كل ما صدق عليه حد الكبيرة الذى سبق ذكره فهو داخل فيها، وقد حصرها الإمام أبو طالب المكى(١٨) فى سبع عشرة كبيرة جمعها من جملة الأخبار، وقسمها تقسيماً حسناً، فخص القلب بأنواع، وسائر الجوارح بأنواع، وقد استحسنه الإمام الغزالى لكن عقب عليه بقوله: هو قريب، ولكن ليس يحصل به تمام الشفاء إذ يمكن الزيادة عليه والنقصان منه(١٩).

ما تكبر به الصغائر

حقيقة التقوى هى التوقى من كل ما نهى الله عنه صغيراً كان أو كبيراً على نحو ما قال القائل:

خل الذنوب صغيرها
وكبيرها فهو التقى
واصنع كماش فوق أر
ض الشوك يحذر ما يرى

---

(١٦) شرح الشيخ زروق على الحكم العطائية (بتحقيق: شيخ الإسلام د. عبدالحليم محمود، د. محمود بن الشريف) ص ٩٤، ٩٥) (ط.الشعب)

(١٧) انظر: الزواجر (١/٧-١٨)، روح المعانى (٣/١٧)، الدر المنثور (٢/٢٦٠)، كمال المعلم للقاضى عياض (١/٣٥١)، شرح الإمام النووى على صحيح الإمام مسلم (٢/٨٤، ٨٥) (ط. الفكر).

(١٨) قوت القلوب له (٢/١٤٧) (نشر مكتبة المتنبى).

(١٩) إحياء علوم الدين (٤/٢٦) (ط.دار الفجر).

لا تحقرن صغيرة

إن الجبال من الحصى

غير أن كثيراً من الناس قد يتهاون في أمور يراها صغيرة، ويرى أنه ما دام مجتنباً للكبائر التي توجب الحد في الدنيا والوعيد في الآخرة فهو على رجاء الخير، وقد يكون في هذا مصيباً لا سيما والآية صريحة في أن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر (مع المحافظة على فرائض الدين قطعاً) غير أنه غفل عن عدة أمور نود أن ننبهه إليها.

الأول: أن الشيء قد يحسبه الإنسان هيناً وهو عند الله عظيم، وما دام لا سبيل له إلى الاطلاع على العلم الإلهي فالأولى ترك الكل.

الثاني: المعنى الذي قدمناه من أن كل معصية لله -وإن صغرت- فهي كبيرة بالإضافة إلى باهر عظمته.

الثالث: أن الصغائر كثيراً ما جرت فاعلها إلى ركوب الكبائر، وقلما يتصور الهجوم على الكبيرة بغتة من غير سوابق ولواحق من جملة الصغائر، فقلما يزني الزاني بغتة من غير مراودة، ومقدمات، وقلما يقتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة، فكل كبيرة تكتنفها صغائر سابقة ولاحقة، ولو تصورت كبيرة وحدها بغتة ولم يتفق إليها عودة ربما كان العفو فيها أرجى وأقرب من صغيرة واظب الإنسان عليها طول عمره، ومن هنا قال العلماء: إن الصغائر تتحول إلى كبائر عن طريق عدة أمور[٢٠].

* منها: الإصرار والمواظبة عليها، ولذلك قيل: «لا صغيرة مع إصرار، ولا كبيرة مع استغفار»[٢١] فكبيرة واحدة تنقضي ولا يتبعها مثلها -لو فرض ذلك- يكون العفو عنها أرجى من صغيرة يواظب العبد عليها، ومثال ذلك: قطرات من الماء تقع على الحجر -على توال- فتؤثر فيه، وذلك القدر من الماء المتقاطر لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر، والقليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب.

* ومنها: أن يستصغر الذنب، فإن الذنب كلما استعظمه العبد من نفسه صغر عند الله -تعالى- وكلما استصغره عظم، لأن استعظامه يصدر عن نفور القلب عنه وكراهيته له، وذلك النفور يمنع من شدة تأثره به، واستصغاره يصدر عن الإلف به، وذلك يوجب شدة الأثر في القلب، والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات، والمحذور تسويده بالسيئات، وقد جاء في الخبر: «المؤمن يرى ذنوبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فطاره»[٢٢]. وقال بعضهم: الذنب الذي لا يغفر قول العبد: ليت كل ذنب عملته مثل هذا. وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعلمه بجلال الله، فإذا نظر إلى عظم من عصى رأى الصغيرة كبيرة، قد قيل: لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها، ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها، وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل، ويتجاوز عن العامي في أمور لا يتجاوز في أمثالها عن

---

(٢٠) أفدنا في ذكر هذه الأمور من كلام الإمام الغزالي (حجة الإسلام) وانظره في الإحياء، كتاب التوبة من ربع المنجيات.

(٢١) رواه أبو الشيخ والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً، وكذا العسكري عنه في الأمثال بسند ضعيف، ورواه ابن المنذر والبيهقي عنه موقوفاً، وله شاهد عند البغوي، ورواه الديلمي عن أنس مرفوعاً، وأخرجه الطبراني والثعلبي وابن شاهين في الترغيب عن أبي هريرة، وانظر: كشف الخفا للعجلوني (٣٦٤/٢) (ط الكتب العلمية).

(٢٢) أخرجه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨).

العارف، لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف.

* ومنها: أن يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد أتيانه، أو يأتيه في مشهد غيره، فإن ذلك جناية منه على ستر الله الذي سدله عليه، وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له، صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر، وفي الخبر: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»(٢٣) وهذا لأن من صفات الله ونعمه أن يظهر الجميل، ويستر القبيح، ولا يهتك الستر، فالإظهار كفران لهذه النعمة، وقال بعضهم: لا تذنب، فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذنب ذنبين. ولذلك قال الله - تعالى -:

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾(*).

وقال بعض السلف: ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه.

* ومنها: السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها، واعتبار التمكن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونه سبب الشقاوة، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت وعظم أمرها في تسويد قلبه حتى إن من المذنبين من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بفعله كما يقول: أما رأيتني كيف مزقت عرض فلان؟! ويقول المناظر في مناظرته: أما رأيتني كيف فضحته؟ وكيف ذكرت مساوئه حتى أخجلته؟ وكيف استخففت به؟ وكيف لبست عليه؟ ويقول المعامل في التجارة: أما رأيت كيف روجت عليه الزائف؟ وكيف خدعته؟ وكيف غبنته في ماله؟ وكيف استحمقته؟

* ومنها: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به، فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه، كلبس العالم الحرير، وتختمه بالذهب، وأخذه مال الشبهة، وتركه إنكار المنكر، واشتغاله من العلوم بما لا يقصد منه إلا الجاه، فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيموت العالم ويبقى شره مستطيراً في العالم آماداً متطاولة، فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه، وفي الخبر: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»(٢٤) وقال - تعالى -:

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾(*). والآثار ما يلحق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل(٢٥)، وقال ابن عباس: ويل للعالم من الأتباع، يزل زلة فيرجع عنها، ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق؛ وقال بعضهم: مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة، تغرق ويغرق أهلها.

فهذا يتضح: أن أمر العلماء مخطر، فعليهم وظيفتان: إحداهما: ترك الذنب، والأخرى: إخفاؤه، وكما تتضاعف أوزارهم على الذنوب؛ فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فيها.

فهذا الذي ذكرنا وأمثاله مما تكبر به الصغائر، وصغائر فاعليه كبائر، والذنوب مهلكات، وقانا الله شرها، ووفقنا لطاعته على الدوام.

ونسأله - تعالى - حسن الختام، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٣) أخرجه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد (٤/٢٢٩١) رقم (٥٢).

(٢٤) أخرجه مسلم في حديث طويل فيه قصة، في الزكاة (٢/٧٠٥) رقم (٦٩)، وفي العلم (٤/٢٠٥٩) رقم (١٥).

(*) سورة التوبة ٦٧. (*) سورة ياسين ١٢.

(٢٥) روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن الآثار هي ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم. وانظر: زاد المسير (٦/٢٧٥).

العشرة المبشرون بالجنة

٣ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

أخرج البخاري، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون[1] فإن يكن في أمتي أحد، فإنه عمر»[2].

الحارس الفطن

وبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم من عدوهم، إذ أبصر عمر عمير بن وهب، وكان شيطانا من شياطين قريش، وممن يؤذون رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه ويلقون منه عناء، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية بعد مُصاب أهل بدر من قريش، فقال صفوان: والله إن في العيش بعدهم خير، قال له عمير: صدقت والله، أما والله لولا دين ليس له عندي قضاء، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبلهم علة: إبني أسير في أيديهم، قال: فاغتنمها صفوان وقال: علي دينك، أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، فقال له عمير: فاكتم شأني وشأنك، قال: أفعل.

فلما أبصره عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وقد أناخ على باب المسجد متوشحا سيفه، قال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرش بيننا وحزرنا للقوم يوم بدر.

---

(١) المحدث: الملهم الذي تتكلم الملائكة على لسانه.

(٢) فتح الباري (٨/ ٦٠)، شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ١٦٧).

ثم دخل عمر علي رسول الله -ﷺ- فقال: يا نبي الله هذا عدو الله: عمير بن وهب قد جاء متوشحا سيفه، قال: فأدخله عليَّ، قال: فأقبل عمر حتى أخذه بحمالة سيفه، في عنقه فلببه بها، وقال لرجال ممن كانوا معه من الأنصار: أدخلوا على رسول الله -ﷺ- فاجلسوا عنده واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون، ثم دخل به على رسول الله -ﷺ-.

وفوجيء عمير برسول الله -ﷺ- يخبره بما هو قادم لأجله وما كان بينه وبين صفوان فلم يملك إلا أن يُسلم.[3]

في يوم أحد

وعندما ارتقت خيل المشركين يوم أحد، جبل أحد، قال رسول الله -ﷺ- «اللّهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا». فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين، حتى أهبطوهم من الجبل.[4]

ويروى ابن إسحاق: أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال لحسان بن ثابت: لو سمعت ما تقول هند، ورأيت أشرها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ فقال له حسان: أسمعني بعض قولها أكفكموها، فأنشده عمر بعض ما قالت، فقال حسان:

أشرت لكاع وكان عادتها

لؤما إذا أشرت مع الكُفر[5]

ثم إن سفيان بن حرب حين أراد الانصراف، أشرف على جبل أحد، ثم صرخ بأعلى صوته، فقال: أنعمت فعال، وإن الحرب سجال، يوم بيوم، فقال رسول الله -ﷺ- قم يا عمر فأجبه، فقل: الله أعلى وأجل، لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، فلما أجاب عمر أبا سفيان، قال له أبوسفيان: هلم إليَّ ياعمر، فقال رسول الله -ﷺ- لعمر: ائته فانظر شأنه، فجاءه، فقال له أبوسفيان: أنشدك الله ياعمر، أقتلنا محمدا؟ قال عمر: اللّهم لا، وإنه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابن قمئة وأبر، لقول ابن قمئة لهم: إني قد قتلت محمدا[6].

عمر المؤيد بالقرآن

أخرج ابن مردويه، عن مجاهد، قال: كان عمر -رضي الله عنه- يرى الرأي فينزل به القرآن، وأخرج ابن عساكر، عن علي قال: «إن في القرآن لرأيا من رأي عمر».

وأخرج عن ابن عمر مرفوعا: ما قال الناس في شيء وقال فيه عمر إلاجاء القرآن بنحو ما يقول عمر.

فبعد موافقة القرآن لعمر بشأن أسارى بدر توالت تلك الموافقات وتتابعت.

أخرج الشيخان عن عمر - رضي الله عنه - قال: وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت:

﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[7]

وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر الفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت آية الحجاب.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا

---

(3) ابن هشام، السيرة النبوية ١/.
(4) ابن هشام (٢/ ٨٦).
(5) المصدر السابق (٢/ ٩٢، ٩٣).
(6) المصدر السابق (٢/ ٩٣، ٩٤).
(7) البقرة/١٢٥.

﴿ ... وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴾(٨)

واجتمع نساء النبى -عليه الصلاة والسلام- فى الغيرة. فقلت: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت:

﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾(٩).

فى الخمــــر

وفى مستدرك الحاكم أن عمر -رضى الله عنه- قال: اللّهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله -تعالى-

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٠)

وذلك فى ربيع الأول من السنة الرابعة للهجرة أثناء حصار بنى النضير(١١).

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس، قال: قال عمر، نزلت:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾(١٢).

قلت أنا: فتبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت: ﴿ فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾(١٣).

عمر وعبد الله عن أبى بن سلول

وفى شعبان سنة ست غزا رسول الله -ﷺ- بنى المصطلق من خزاعة.

أصيب رجل من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر، يقال له: هشام بن صبابة، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو، فقتله خطأ.

فبينا رسول الله -ﷺ- على ذلك الماء، وردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار، يقال له: جهجاه بن مسعود يقود فرسه، فازدحم جهجاه، وسنان بن وبر الجهنى، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء، فاقتتلا، فصرخ الجهنى: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فغضب عبدالله بن أبى بن سلول، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد بن أرقم، غلام حدث، فقال: أوقد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما عدنا وجلابيب، قريش إلا كما قال الأول: سمّن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم. فسمع ذلك زيد بن أرقم، فمشى به إلى رسول الله -ﷺ- وذلك عند فراغ رسول الله -ﷺ- من عدوه، فأخبره الخبر، وعنده عمر بن

---

(٨) الأحزاب (٥٣). (٩) التحريم (٥). (١٠) الأنفال (٦٧).

(١١) ابن حزم، جوامع السيرة (١٨١). (١٢) المؤمنون (١٢). (١٣) المؤمنون (١٤).

الخطاب، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله، فقال له رسول الله -ﷺ-: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل، وذلك في ساعة لم يكن رسول الله -ﷺ- يرتحل فيها، فارتحل الناس.

وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله -ﷺ وسلم- حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمعه منه، فحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به -وكان في قومه شريفا عظيما-، فقال من حضر رسول الله -ﷺ- من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله، عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل، حدبا على ابن أبي بن سلول، ودفعا عنه[14].

وأنزل الله تعالى سورة المنافقون في ابن أبي ومن كان على مثل أمره:

﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ۝ اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ۝ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ۝ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون ۝ وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون ۝ سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين ۝ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون ۝ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾

ومع عودة رسول الله -ﷺ- إلى المدينة من غزوة بني المصطلق ترنح يشرب بقصة الإفك، قصة اتهام السيدة عائشة -رضي الله عنها- تلك القصة التي وضعها رأس النفاق عبدالله بن أبي بن سلول، واستشار رسول الله -ﷺ- أصحابه في هذا الأمر، فكانت قولة عمر: من زوجكها يا رسول الله؟ قال: الله. قال: أفتظن أنه ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. فنزل قوله -تعالى-:

﴿ ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾[16]

ولا تصل على أحد منهم

ولما مات زعيم المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول جاء ابنه إلى رسول الله -ﷺ- فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له، فأعطاه قميصه، ثم قال: آذني حتى أصلي عليه، فآذنه.

يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: فلما وقفت عليه تحولت حتى قمت في صدره، فقلت: يا رسول الله.. أعلى عدو الله عبدالله بن أبي القائل يوم كذا.. كذا وكذا؟ أعدد أيامه ورسول الله -ﷺ- يبتسم، حتى إذا أكثرت عليه قال: أخر عني يا عمر[17] إني خيرت فاخترت، قد قيل لي:

---

(١٤) ابن هشام، السيرة النبوية (٢/ ٢٩٠، ٢٩١).

(١٥) المنافقون (١ – ٨).

(١٦) النور (١٦).

(١٧) رواه البخاري (٢/ ٧٦)، ورواه مسلم (٢/ ١٢٠).

﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾(١٨)، ولو أني أعلم إن زدت على السبعين غفر له لزدت.(١٩)

قال: ثم صلى -ﷺ- ومشى إلى أن وصل إلى قبره، فقام على قبره حتى فرغ منه.

قال: فعجبت لي وجراتي على رسول الله -ﷺ- والله ورسوله أعلم، فو الله ما كان يسيرا حتى نزل:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴾(٢٠)

قال: فما صلى رسول الله -ﷺ- بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله -تعالى-

فلا وربك لا يؤمنون

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي الأسود، قال: اختصم رجلان إلى النبي -ﷺ- فقضى بينهما، فقال الذي قضى عليه: ردنا إلى عمر بن الخطاب، فأتيا إليه، فقال الرجل: قضى لي رسول الله -ﷺ- على هذا، فقال: ردنا إلى عمر، فقال: أكذاك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانكما حتى أخرج إليكما، فخرج إليهما مشتملا على سيفه، فضرب الذي قال ردنا إلى عمر فقتله، وأدبر الآخر، فقال: يا رسول الله، قتل عمر -والله- صاحبي، فقال: ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل مؤمن، فأنزل الله:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٢١)

فأهدر رسول الله -ﷺ- دم الرجل وبرأ عمر من قتله.

من كان عدوا لجبريل

وأخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن يهوديا لقي عمر بن الخطاب، فقال: إن جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا، فقال له عمر: «من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين» فأنزل الله -تعالى-: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾(٢٢)

سواء عليهم

وأخرج الطبراني عن ابن عباس أنه لما أكثر رسول الله -ﷺ- من الاستغفار لقوم قال عمر: «سواء عليهم» فأنزل الله -تعالى-

---

(١٨) التوبة (٨٠).

(١٩) الواحدي، أسباب نزول القرآن، تحقيق أحمد صقر (٢٥٧).

(٢٠) التوبة (٨٤).

(٢١) النساء (٦٥).

(٢٢) البقرة (٩٧، ٩٨).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (5) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (6) ﴾[23]

ولما كان ذو القعدة من السنة السادسة، خرج رسول الله - ﷺ - معتمرا في ألف ونيف، وقيل خمسمائة، وقيل أربعمائة، وقيل ثلاثمائة، وقيل غير ذلك.

فلما علم المشركون بذلك جمعوا أحابيشهم وخرجوا من مكة صادين له عن الاعتمار هذا العام، وقدموا على خيل لهم خالد بن الوليد إلى (كراع الغميم)[24].

فأرسل رسول الله - ﷺ - عثمان بن عفان - رضي الله عنه - سفيرا إلى قريش يعلمها بأنه جاء معتمرا فاحتبست قريش عثمان بن عفان، وبلغ رسول الله - ﷺ - أن عثمان بن عفان قد قُتل، فقال: لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة بيعة على الموت، وأرسل عمر ابنه عبدالله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه، ورسوله الله - ﷺ - يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبدالله، ثم ذهب إلى الفرس، فجاء به إلى عمر، وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبايع تحت الشجرة قال: فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله - ﷺ -[25] وتتابعت الأحداث لتنجلي عن عقد صلح الحديبية بشروط كان وقعها عظيما على نفوس المسلمين لفرط شجاعتهم وحرصهم على نصر الإسلام، ولأن الشروط في ظاهرها تضعهم في مكان الضعف، فذهب عمر إلى أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، أليس برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى قال: فعلام نُعطى الدنيّة في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر، الزم غرزه، فإني أشهد أنه رسول الله، قال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله، ثم أتى رسول الله - ﷺ - فقال: يا رسول الله ألست برسول الله؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطى الدنيّة في ديننا؟ قال: أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره، ولن يضيعني! قال: فكان عمر يقول: ما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق، من الذي صنعت يومئذ! مخافة كلامي الذي تكلمت به، حتى رجوت أن يكون خيرا[26]. قال عمر: فحركت بعيري، ثم تقدمت أمام المسلمين وخشيت أن تنزل فيّ، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيّ قرآنا، وجئت رسول الله - ﷺ - فسلمت عليه، فقال: لقد أنزلت عليّ الليلة سورة لهي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس[27]، ثم قرأ:

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (1) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (2) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (3) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (4) ﴾[28]

[يتبع]

---

(23) المنافقون (5 - 6).

(24) ابن كثير، الفصول في اختصار سيرة الرسول - ﷺ - (163).

(25) البخاري (5/ 163).

(26) ابن هشام، السيرة النبوية (2/ 316 ، 317).

(27) البخاري (5/ 160/ 161).

(28) الفتح (1 - 4).

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد : الشيخ عبد الفتاح الزيات

● السؤال من السيد / علاء محمود محمد ـ البحيرة

توفى رجل سنة ٩٩ عن : زوجة ـ بنتين ـ ابن بنت ـ ابن عم شقيق ـ أخ لأم ـ فما نصيب كل ؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، وبعد :

فنفيد بأن تركة المتوفى بها وصية واجبة لابن البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة المورث في حدود الثلث .. طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس ١٩٤٦، بشرط ألا يكون الجد قد أعطى ابن البنت من ماله حال حياته ما يعادل الوصية بدون عوض .. فتقسم التركة تسعة أجزاء : جزآن منها وصية واجبة لابن البنت لا يشاركه أحد والباقي سبعة أجزاء هو الميراث، للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث، وللبنتين الثلثان فرضا لعدم من يعصبهما بالتساوي بينهما، والباقي لابن العم تعصيبا، ولاشيء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث

والله تعالى أعلى وأعلم

حكم الاستمناء

● السؤال ورد من خالد علي ـ الدقهلية نصه :

إن عادة الاستمناء باليد قد فشت بين الشبان، فقام بعض الأطباء ينهونهم عنها

ويبينون أخطارها العظيمة لكي يرتدع كل عنها، وقد قال بعض الناس: إنها من ضروب الزنا، أي: أنها محرمة، وقام فريق آخر يناقشهم في ذلك بدعوى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما حرم الزنا منعاً لاختلاط النسل، ومن ذلك ينشأ ضرر المجموع، ولما كانت عادة الاستمناء تضر بصاحبها جسمانياً، إلا أنها لاتحدث نسلا فلا تكون إذن من الزنا، فنرجو حل هذه المشكلة؟

●● الجواب :

اطلعنا على هذا السؤال.. ونفيد: أنه قال في شرح الدر ما نصه «في الجوهرة الاستمناء حرام وفيه التعزير» أ هـ . كما أنه صرح في رد المحتار على الدر المختار بأنه لو أدخل ذكره في حائط ونحوه حتى أمنى أو استمنى بكفه بحائل يمنع الحرارة يأثم أيضا اهـ . وقد استدل الزيلعي على عدم حل الاستمناء بالكف بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝ ﴾(١)

وقال: فلم يبح الاستمتاع إلا بهما أي الزوجة والأمة، فأفاد عدم حل الاستمتاع، أي قضاء الشهوة بغيرهما، وقد استدل صاحب الدر على ذلك بحديث: «ناكح اليد ملعون» ومن ذلك يعلم أن الاستمناء بالكف على وجه ما جاء بالسؤال حرام يعزر فاعله شرعا.

والله أعلم

لعبة الكوتشينة

● السؤال: من حرم فؤاد حسن حمزة قالت: أود أن استفتي في أمر يهمني ويهم المجتمع وهو: هل لعب الورق «الكوتشينة» بالنقود محرم مثل الكونكان، إني اعتقد أنه ميسر محرم، ولكنهم يقولون: إنه مادام اللعب بين أفراد العائلة وفي المنزل ليس محرماً، ولايسمى ميسراً، أفيدونا بالحكم الشرعي.

●● الجواب :

اطلعنا على الخطاب الذي أرسل إلينا بشأن بيان الحكم الشرعي في لعب ورق الكوتشينة بالنقود وسرني منك الحرص على معرفة حكم الله فيما يعمله الناس التماساً للنجاة من العقاب في الآخرة، ونفيد بأن ذلك من الميسر المحرم شرعاً، سواء أكان بين أفراد العائلة بعضهم مع بعض أم بين غيرهم، والقول بغير ذلك قول في الدين بغير علم، أو التماساً لأعذار لايقيم لها الشارع ميزاناً، وإذا كان لابد للنفس من استرواح في وقت الفراغ من العمل ففيما أحله الله من العمل متسع فسيح، وكم من الأعمال الرياضية من نفع الجسم والنفس مالا يقام بهذه الألعاب وزن بجانبه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

عدم جواز إحداث مستودع نجس بمقابر المسلمين

● سؤال ورد من إبراهيم عكاشة ـ القاهرة:

رجل أجرى بناء حوش بجبانة المسلمين بأرض الإمام الليث ـ رضي الله عنه ـ وجعل في بناء الحوش

(١) سورة المؤمنون: ٥ ، ٦ .

مرحاضا عموميا بجوار المقابر، حتى إن حيطان هذا المجرور سالت منها المياه النجسة، وبها بعض من الغائط على المقابر التى بجوارها، حيث جئت بميت لى لدفنه، وبفتح القبر الذى بجوار المجرور وجدته مملوءا بالمياه ويتبعها شيء من الغائط، وشاهد ذلك كثير من المعزين أى المؤاجرين فى الجنازة، وقد أحضر بعضهم من الأتربة لتجفيف القبر ونزول الجثة، ولم يزل هذا المحل يصب من جميع جوانبه إلى القبور المجاورة له. فهل يجوز فتح هذا المجرور بأرض وقف المسلمين وبها موتى المسلمين ويكون ذلك شرعاً؟.. أفيدونا.

●● الجواب :

جاء فى متن نور الإيضاح وشرحه ما نصه «وكره تحريما قضاء الحاجة أى البول والتغوط عليها بل وقريبا منها «أى القبور» اهـ. ومنه يعلم بالأولى أن إحداث مستودع للمياه النجسة المخلوطة بالبول والغائط فى الأرض الموقوفة على دفن موتى المسلمين مكروه تحريما، فينبغى إزالة ذلك الأذى عن هؤلاء الموتى لأنهم مكرمون بعد وفاتهم، كما هم مكرمون فى حياتهم، ولأن هذا خروج عما أعدت له تلك الأرض الموقوفة.. والله أعلم.

ما يشترط فى تلقين الميت

● السؤال الوارد من «ب.ض ـ القاهرة».

لجنة جبانات المسلمين بمدينة القاهرة حضرت مشروعاً للائحة الجبانات، ووضعت مادة هذا نصها : يشترط فيمن يقوم بتلقين الموتى أن يكون حاصلا على إجازة به من لجنة الجبانات إلا إذا كان حائزاً للشهادة العالمية أو الأهلية من أحد المعاهد الدينية، ولما كان ذلك من الأمور الشرعية، نرجو إفادتنا بما ترون فضيلتكم فى هذه الحالة من الوجهة الشرعية؟

●● الجواب :

إن المادة التى وضعت فى مشروع لائحة الجبانات التى نصها : «ويشترط فيمن يقوم بتلقين الموتى أن يكون حاصلا على إجازة به من لجنة الجبانات، إلا إذا كان حائزاً للشهادة العالمية أو الأهلية من أحد المعاهد الدينية» والذى نص عليه الفقهاء أنه يستحب أن يكون الملقن غير متهم بالمرة بموته، وأن يكون ممن يعتقد فيه الخير.. كذا فى الهندية نقلا عن السراج الوهاج، ومعلوم أن الحائز للشهادة العالمية أو الأهلية أو الثانوية من أحد المعاهد الدينية ممن يعتقد فيه الخير، وبالجملة فمدار الاستحباب فى التلقين على كون الملقن غير متهم بالمرة بموته وعلى اعتقاد الخير فيه، وهذا ما لزمت به الإفادة. والله أعلم.

هل يبقى فى النار من يوحد الله؟

● السؤال ورد من نبيل فهمى ـ الاسماعيلية؟

عن التنافى بين قوله – تعالى –: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾(٢) وبين قول صاحب كتاب زبد العقائد التوحيدية «ولم يبق فى النار الجحيم موحد ولو قتل النفس الحرام تعمداً».

(٢) من الآية ٩٣ من سورة النساء.

●● الجواب :

الدلائل متضافرة على أن عصاة المؤمنين لايخلدون فى النار، وهذا معنى كلام العقائد المذكور، وأما الخلود فى قوله – تعالى :

﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ﴾ فالمراد منه: المكث الطويل، أو هو محمول على المستحل لذلك، كما ذكره المفسرون، فإن استحلال قتل المؤمن محقون الدم عمداً بلا شبهة كفر، والعياذ بالله تعالى. والله تعالى أعلم.

● **السؤال من م. ح. أ:**

شخص مقيم بالقاهرة، وله أقارب يستحقون الزكاة يقيمون فى بلد آخر؛ هل يجوز له أن يدفع إليهم زكاة الفطر؟

●● الجواب :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فنفيد بأنه يجوز نقل الزكاة إلى الأقارب ببلد أخرى لأنها حينئذ صدقة وصلة.

مرض الموت

● **السؤال من عبدالنعيم أبوالخير – أسيوط**

رجل طلق زوجته وهو فى مرض موته طلاقاً مكملا للثلاث، وظلت تعاشره بعد ذلك إلى أن توفى بعد توقيع الطلاق المذكور خمسة أشهر.. فهل ترث فى زوجها المذكور أم لا، علماً بأنها من ذوات الحيض، وأنها لم تحض فى حياته بعد الطلاق إلى الوفاة إلا حيضة واحدة، ومع العلم بأن الطلاق صدر فى غيبتها وظلت تعاشره إلى أن مات.

●● الجواب :

اطلعنا على السؤال.. والجواب: أن مرض الموت الذى يعتبر به المطلق فاراً من إرث زوجته شرعاً: هو المرض الذى يعجزه عن القيام بمصالحه القريبة خارج البيت كإتيان المسجد، وذهاب التاجر إلى دكانه ونحو ذلك، ولم يتطاول به سنة فأكثر من غير زيادة ولا خوف هلاك ثم يتصل به الموت، فإذا كان مرض المطلق قد بلغ الحد الذى ذكر، وطلق زوجته طلقة مكملة للثلاث بغير إذنها ولا رضاها ومات وهى فى العدة، كان فاراً من إرثها، فترث رداً لقصده عليه، وإن لم يبلغ هذا الحد بأن كان لايعجز عن القيام بمصالحه خارج منزله أو لم يتصل بمرضه الموت أو لم يخف من مرضه الهلاك أو تطاول به سنة فأكثر من غير زيادة ولا خوف هلاك لم يكن مرض موت، فلا يكون فاراً، ولا ترث منه زوجته، ومن هذا يعلم الجواب والله أعلم.

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر

اللّواءُ الرّكنُ محمودُ شيت خطّاب رَبُّ السّيفِ والقلمِ

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

قضى الأستاذ الدكتور محمد الطيب النجار - رحمه الله - بعثته العراقية صديقا للواء الركن محمود شيت خطاب، فكان يطالعه بكثير من وقائع حياته، ويروى له عن نشأته الدينية ما ردده الدكتور الطيب على أصدقائه فى مناسبات مختلفة، واذكر أنه أفاض فى إمتاعى بما يعلم عن صاحبه، ثم اطلعت على الكتاب القيم الذى أصدره الأستاذ محمد المجذوب تحت عنوان، علماء ومفكرون عرفتهم، فوجدت ما نقله الأستاذ المجذوب عن اللواء الركن قريبا جدا مما رواه الدكتور الطيب، إن لم يكن هو بعينه فى جوهره الخالص، لذلك كانت سيرة الرجل موثقة مؤكدة من عالمين فاضلين، وعنهما أنقل.

ولد محمود فى سنة ١٩١٩م بالموصل فى بيت ذى فضل ونباهة، إذ كان جدّه تاجرا ثريا، وكان والده عالماً فاضلا؛ روى العلم عن مشايخ بلده، وقد كفلتْه جدته بالرعاية نيابة عن والدته التى اهتمت بمولود جديد، وكانت الجدة تقيةً عابدة ينتهى نسبها إلى الحسين بن على، ولها شغف بالصّلاة فى المسجد واستماع المواعظ الدينيّة فى مكان خُصص للسيدات، كما ألفتْ صلاة القيام بالليل، وقد رآها الطفلُ الناشىء عابدةً ومحسنةً ومسبّحة، فتأثر بها، وكان البيت الإسلامى إذ ذاك بعيداً عن ترف الحضارة وزخرفها الذى سحر الناس الآن فألهاهُم عن الخشية المؤمنة والرجاء الآمل، هذا إلى انتظام سهرات الأقارب والأصدقاء فى رحْبته الواسعة، وفيهم كبارُ الشيوخ يُناقشون أحوالَ المجتمع فى ضوء ما يعرفون من الكتاب والحديث، وقد يقرءون سير التابعين من صحابة رسول الله - (ﷺ) - وتابعيه،

والصبيُّ يسمع ويتأمل، وقد نشأت في نفسه بذرة طيبة تأخذ نموها الناضر في حقل التاريخ الإسلامي، هذا غير مااهتم به والده من دروس اللغة العربية، وهي في رأيه قريبةٌ من المنحى الأزهري، وقد رُزق أستاذاً من صحابة والده ذاعَ صيته في علوم العربية، فكان موجهاً له، لذلك تميّز محمود بين طلبة المدارس حين التحق بها، بنبوغه في الكتابة إذ ادّخر من محفوظه ما جعله أقوى تلاميذ فرقته في سنوات متوالية، ثم التحق بعد الدراسة الثانوية بالكلية العسكرية، على غير رغبة منه أولاً، وحين وجد نفسه ملتزما بتوجهه الجديد، عكف على دروس الكلية، ووعى أساليبها الميدانية والتطبيقية، دون أن ينسى شغفه الكبير بعلوم الأدب واللغة والتاريخ، ودون أن يغفل كتب التفسير والتشريع! وهو بهذا التنوع الثقافي يكاد يكون فريدا في بابه.

وقد تخرج برتبة ملازم ثان، ولكنّ رؤساءه لم يرحبوا باتجاهه الثقافي، لنوازع سياسية غشت على بصائرهم، ولانهماكهم في شهوات هابطة كانوا يرونها مصدر التقدم الحضاري، مع نزوع إلى الإلحاد دون دليل، وعدّ الالتزام بالدين تأخرا وجمودا، وكان التيار أقوى من أن يقف الملازم الناشئ في وجهه معارضا، فاكتفى بالابتعاد عنه لائذاً بمُثله؛ وكان شعوره النفسي بأنه من درجة الحسين - عليه السلام - يمده بقوة روحانية يستعلى بها على السقوط، ثم اتجه إلى الدراسات العليا، فقضى سنتين في كلية الأركان تخرج بعدهما ضابط ركن ثم ابتعث إلى لندن، فكان نمطاً فريدا في سلوكه، حتى دُهش عميدُ الكلية لسلوكه المترفع بالقياس إلى من جاءته أبناؤهم من المتحللين، وقد عظم إعجابه به، حين رآه يمتنع عن المحرمات في المشرب والمآكل، وارتقب له نجاحا سريعا، وهذا ما كان، فعاد إلى وطنه سليم النفس، قوى اليقين.

وقد جعل جانباً من اهتمامه في عهده الباكر موجّها إلى دراسة قادة الحروب في الإسلام، إذ شاهد الأساتذة في الكلية العسكرية ببغداد يتحدثون عن قواد أوروبا، ويدرسون وقائعهم الحربية دون أن يجول بخاطرهم حديثٌ ما عن قادة الحروب في الإسلام، حتى اعتقد الأغرار أن التاريخ الإسلامي لم يحفل ببطل يُقرن بأمثال الإسكندر وقيصر ونابليون! وأبطال الحربين العالميتين في هذا القرن، وقد تألم لذلك الإهمال وعدّه خيانةً للإسلام، والعروبة، وتمنّى أن يكون مؤرخا عسكريا للأبطال المسلمين.

وقد ظهرت دوافع قوية لانتهاجه هذا المنحى، إذ فوجئ بكتاب رائع عن خالد بن الوليد كتبه الفريق طه باشا الهاشمي أحدُ القادة العسكريين بالعراق، إذ تولى رئاسة أركان الجيش العراقي، وعيّن وزيرا للدفاع، ثم رأس الوزارة من بعد، وله كتب تاريخية في مجالات مختلفة، ولكنّ الذي لفت محمود شيت لفتاً شديداً هو كتابه عن: «خالد بن الوليد» إذ تحدث عن وقائع هذا البطل بما لم يُسبق إليه، إذ كان اهتمامه الكبير بالميدان الحربي، والمساحات الشاسعة التي قطعها خالد بجيشه دون تهيّب، وتحدّيه لما بالجزيرة من صحارٍ وجبال ووديان مقفرة تحتاج إلى خبرة قائد مجرّب، مع موازنات بارعة بين معارك

خالد، ومعارك غيره من القادة الذين ترنّ أسماؤهم في الأسماع شرقا وغربا، لقد كان كتابُ الفريق طه الهاشمي باعثاً قويّا دَفَعَ الشّاب المؤمن إلى الكتابة الحربيّة التاريخية، وقد بدأها سنة ١٩٥٨م بكتابه الشهير: «الرسول القائد» وهو كتاب يُلمّ بمعارك محمد -ﷺ- إلمام الدارس المستوعب لمناخ الجزيرة العربية بعامة، ومواقع الغزوات، في بدر وأحد والخندق وحنين وتبوك ومؤته، ومن آرائه الجديدة في غزوة أحد، أنها لمْ تكن بالهزيمة الفادحة، بل كانت نصراً، إذا نظرنا إلى عدد من قُتل من المسلمين بالقياس إلى عَدد من قُتل من المشركين، مع ملاحظة الفارق الكبير بين الجيشين في العدد، فجيشُ المسلمين سبعمائة فقط، وجيشُ المشركين ثلاثة آلاف بينهم مائتان من الفرسان المهرة، وسبعمائة من الدارعين المسلحين، غير حُشود خلفية من العبيد والغلمان يهيئون السلاح لمن يكرّ طالبا المزيد، ثم فرار المشركين لأول بادرةٍ من بوادر النصر، وتعقب المسلمين لهم حتى بلغوا «حمراء الأسد» فلم يجدوا من يُحاول القتال، ولوْ كانت الهزيمة قاصمة لما تعقّب المسلمون أعداءهم متأهبين لمعركة فاصلة! إنّ كلّ ما كتبه اللواء الركن في هذه المسألة جديرٌ بالانتباه، وإعادة النظر، وقد كرّر الرجل رأيه في موقفٍ آخر أشار إليه الأستاذ محمد المجذوب إذ نقل عن اللواء قوله:

«ذات يوم كُنت ألقي محاضرة في القاهرة عن نكْبة سنة ١٩٦٧م، وأعدّدُ أثناءها بعض مواطن الخطأ العسكرى فاعترضني أحدُ أعضاء الاتحاد الاشتراكي يقول: إنّها نكسةٌ فقط، وقد أصابت النكسة رسول الله في أحد فكانَ من ردّي على هذا الرجل. إنها ليست نكسة، بل هزيمة، لا، بل فضيحة لا مثيل لها في تاريخ الحروب، إن ما يُسمّيه نكسة في أحد لم تكنْ من أخطاء القيادة، بلْ من أخطاء الجنود، ومع ذلك فقد قادَ رسول الله -ﷺ- المسلمين لمطاردة المشركين، في اليوم التالي في «حمراء الأسد،» فهل طاردت القيادة الحاضرة إسرائيل منذُ ذلك اليوم، وأعقب ذلك الرّد ضجة بين الحضور سرعان ما أخرست ذلك المتزلف».

وهذا المعنى الموجز الذى ردّ به اللواء الركن على المعترض المتزلّف، لم يكنْ خاطراً وقتيًا طرًا في نفسه، بل كان نتيجة تحليل عميق للكارثة التي حلّتْ بالمسلمين حُلولاً فادحا، ولم يشأ أن يُحجم عنه في أكبر مؤتمر علمي عُقد بعد الهزيمة، هذا المؤتمر هو مؤتمر «مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة» المنعقد في سنة ١٩٦٨م والذى افتتحه الإمام الأكبر الشيخ حسن مامون بكلمة أعلن فيها صراحة أنّ الهزيمة كانت غضباً من الله، لأنّنا خالفنا تعاليمه، وبَعُدنا عن الدين، فأراد بها أن يَرُدنا إليه، ولو كُنا قد انتصرنا لكان معنى ذلك أن مخالفة الإسلام باب النصر، ولكنّ منهج الإسلام لا يتغير، فإن تنصروا الله ينصركم.

أما كلمة اللواء الركن فقد كانت تحت عنوان: (إرادة القتال في الجهاد الإسلامي) وفحواها أنّ العزيمة الصارمة على القتال هي أول أسباب النصر، وقد أشاع الإسلام معانيَ الخلق الكريم، ومنه الصبر الجميل، وغرْسُ روح الشجاعة والإقدام، وأمر

بالثبات عند القتال، وحرم التولي يوم الزحف، ودعا إلى الجهاد بالنفس والمال لإعلاء كلمة الله، وجعل مقام الشهداء من أعظم المقامات.

ثم هدف إلى لب المأساة فقال[1]: «والسؤال الذي يتردد اليوم هو: «ألسنا مسلمين؟ فلماذا لا ينصرنا الله على أعدائنا، والجواب على هذا السؤال يورده القرآن بصراحة ووضوح إذ يقول - تعالى -:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وقال: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[3] فهل نحن مؤمنون حقا؟ وهل نصرنا الله حقا، حتى ينصرنا ويثبت أقدامنا؟ إن مقياس الإيمان واستحقاق النصر واضح في قول الله - تعالى -:

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) ﴾[4]. فهل أقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر؟ وكيف ينصرنا الله ولم نطبق تعاليمه، إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله، وعند ذلك سيقول اليهود كما قالوا من قبل:

﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ (22) ﴾[5].

إن تجاوب المشاعر بين المخلصين هو الذي يدفع إلى توضيح الحقائق دون لبس، لذلك لم يكن عجيبا أن يتفق الإمام الأكبر، واللواء الركن على معنى واحد في مؤتمر واحد؛ وأن يقول الشيخ في صراحة[6]:

«إن نكبة النكسة لم تكن محنة سياسية بقدر ما كانت محنة دين، فمن الجائز على سياسة البشر أن تخطيء تخطيطا أو تخور مواجهة، ولكن ليس من الجائز أن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، فحين صدم المسلمون بما كان عجبوا أن يتخلى الله عنهم، ولو أنهم أنصفوا لعرفوا موقعهم من دين الله، إذ ليس الإيمان بالتمني».

وقد شارك اللواء في الأحداث بسيفه كما شارك في التوجيه بقلمه، فقد انضم إلى ثورة رشيد عالي الكيلاني التي قامت ضد الانجليز وحلفائهم وسنه حينئذ لم تتجاوز العشرين، وقد قام بواجبه الضخم حيث كانت قنابل العدو تمطره كل ثانية، ولولا نفاد الذخيرة بالنسبة لقدرات الحلفاء الهائلة لتم النصر، وقد حمي المواطنين من أبناء العراق من ظلم الطغاة حين كان رئيسا لهيئة أركان الحرب، ومسئولاً عن أمن الجنوب من البصرة إلى بغداد، وقد تسلط الشيوعيون على الحكم، وصار الحكم لعبة في أيديهم فكانوا يقتحمون الدور ويقتلون الرجال سحلا دون

---

(1) مجلة الأزهر، نوفمبر ١٩٦٨م.
(2) الروم/٤٧.
(3) محمد/٧.
(4) الحج/٤٠-٤١.
(5) المائدة/٢٢.
(6) مجلة الأزهر، نوفمبر ١٩٦٨م.

محاكمة، وقد فعلوا ذلك في جميع أماكن العراق، ولكن اللواء الركن محمود شيت قد وقف أمام طغيانهم، فلم يُطيقوه وتآمروا به فسيق إلى السجن مدى ثمانية عشر شهرا وقال: «إنها كانت مليئة بالتعذيب الذى يُعجز الوصف»[٧].

وقد بدأ الكتابة التاريخية لأبطال المسلمين فى أوائل الستينيات، وأرسل بحوثه الأولى إلى مجلة الرسالة فنشرتْها مرحبة، وقالتْ فى تقديم بحثه عنْ عمرو بن العاص السهمى فاتح فلسطين ومصر وليبيا»[٨]:

«اللواء الركن محمود شيت خطاب، وزير البلديات بالجمهورية العراقية، وعضو المجمع العلمى العراقى، وعضو الوفد العراقى للمحادثة بالقاهرة، كاتبٌ مجيد، ومؤرخٌ نابه، وقد لاحظ أن هناك كتبا فى طبقات الشعراء والأدباء والأطباء، وغيرهم من قادة الفكر الإسلامى، ولم يجدْ من بينها كتابا عن طبقات قادة الفتح الإسلامى الّذين رفعوا راية الإسلام فى أقصى الشرق، وأقصى الغرب فأخذ على نفسه أن يكتب سلسلةً عنهم للرسالة، وقد بدأ اليوم بعمرو بن العاص».

وقبل أن نكْشف عن منهجه فى تحليل هذه العبقريات الخالدة فى دنيا الحرب والجهاد، نُشير إلى أن الرجل كان متنوع الثقافة دارساً فنونا كثيرة من أساليب الكتابة المعاصرة، وحين كان أستاذاً بالكلية أبدعَ فى الفنون العسكرية بُحوثا ذات طابع علمى مركز وكان انتخابه عضوا بالمجمع العلمى العربى العراقى، والمجمع اللغوى المصرى حافزاً له إلى تنميق بُحوث فى المصطلحات العسكرية كانت بذرةً لقواميس مُبتكرة سدتْ فراغا كان من الحتْم أن يُشغل. أمّا السياسة الحربيّة المعاصرة، فقد كتب عنها عشرات المقالات، وعمل على نشرها فى شتّى صحف العالم العربى إذ كانت جرائد مصر والشام والعراق والمغرب العربى جميعه تتسابق إلى نشر آثاره، وتمهّد لها بتزكيات مُضيفة على نحو ما نقلنا فى هذه الكلمة عن الرسالة، وكتابه: «الأيام الحاسمة» كانَ ذا صدى قوىٍّ فى الدوائر الإسرائيلية لأنه كشفَ عن نيّات العدو، وتحدّث عن خُططه المكشوفة والمستترة بما كان موضع استغراب عند هؤلاء، حتى قال عنه أحدُ مفكريهم: «إنه أكبر عقلية استراتيجية فى العرب، ولكنّه كالنّبى فى الصحراء لم يجد من يستفيد منه».

ولا نستطيع فى هذا البحث المحدود أن نتحدّث بإفاضة عن جُهوده فى كتب الفاتحين من قادة الإسلام، لأنه أصدر المجلدات الضّافيةعن هؤلاء، حيث مكّن الله لهم فى الأرض شرقا وغربا، وكانَ حديثه عن المشهورين من أمثال: سعد، والمثنى بن حارثة، وابن العاص، وخالد، وعقبة بن نافع، يَحفل بالجديد مع اشتهارهم، لأنه يَفْطن إلى نواح عسكرية لا يبلغها إلاّ من رزق إيمانه وعلمه معاً، وأقول الإيمان لأن بعض الكاتبين من المسلمين قد تحدّثوا عن هؤلاء حديثاً لا

---

(٧) مجلة الرسالة ٥/٩/١٩٦٢م.

(٨) علماء ومفكرون عرفتهم ٢٦٦.

تلمس فيه روح الحب التي يجب أن تكون عند المؤرخ المسلم إذا خاض في حديث أهله، ولستُ أعني بذلك أن يتعصب لهؤلاء فيُضيف إليهم ما لم يفعلوه، فهذا ما لا يقول به ناقد، بل ما يُؤاخذ عليه الكاتب مؤاخذة شديدة إذا وُجد، ولكنّي أعني أن الروح المؤمنة تجدُ من الدوافع ما يبعث على تسجيل البطولات بهمة والبة، وقد رأينا من أبناء ديننا من يُظهر التعالي على هؤلاء الأبطال حين يتحدث عنهم وكأنه أستاذ يعرض أعمال تلاميذه، وقد يتجرأ فيقول: كان عليه أن يفعل كذا، بدلا كذا، وقد نسي شيئا هاما هو أنّ البطل في المعركة غير الكاتب الذى يُؤرخ لها بعد انتهائها بأحقاب طالت أو كثرت، لأنّ البطل في المعركة يصنعُ الأحداث صُنعا، ويجتهدُ في كفاحه دون أن تلوح له عاقبة نضاله، أما الكاتب فقد عرفَ ما كان بدءاً وخاتمة، وانكشفت له من المعاني أشياءُ لم تكن لتكشف عواقبها أثناء المعركة المشتعلة، ومهمة المؤرخ هي التحليل والتفسير، لا التباهي والخُيلاء.

لقد كان الرجل فذاً في أبناء طبقته، وإنه ليتحدث عن مشاعره الخاصة فيقول: «إنّه حين كان سجينا في بغداد كان يجدُ من الفراغ ما يجعلهُ يتحدث مع زملائه المسجونين فعرفَ أنهم وهم في مركز القيادة العسكرية لا يعرفون شيئا ما عن أبطال الإسلام، بل لا يعرفون كيفَ فُتحت العراق نفسها، وخلّصت من أيدى الفُرس، وكانَ المنهج التعليمى الذى أشرف عليه المحتل، يقتضب أحاديث الفتح الإسلامى بدءاً، ثم حذفها بالمرة، وحين كانت الكلّيات العسكرية جعلت مناهجها وكُتبها تنحو منحى الكتب الأوروبية، ومعنى ذلك أن الاستشهاد التاريخى كان مقصُوراً على المعارك الأوروبية، وأن أبطال المعارك هم أبطال أوروبا وحدهم، وكأنه ليس لدينا فتوحات رائعة حقّقتْ في مدى ثمانين عاما مالم تُحققه الدولة الرومانية في ثمانية قرون! وليس الحال في ذلك حال العراق وحده، فقد جرؤ بعض الشيوعيين ممّن يتسمون بأسماء المسلمين على أن يتهجم على كتاب: (عبقرية خالد) للأستاذ العقاد، فيقول في استخفاف: «إن العقاد يظنّ أنّه محام في محكمة، وأنّ عليه أن يبرىء المتهم! وهذا الكاتبُ نفسه استشاط غضبا حين رأى مقالاً في جريدة مصرية عن ستالين يصف ما ارتكبه من الفظائع الدامية حين حصد آلاف الآلاف دون جريرة، فكتب يقول: إنه يَبْني دولة فلا بُد أن يستأصل المعارضين، وإن بلغوا آلاف الآلاف! إذ المهم بقاء الشيوعية والترسيخ لها، فلا يجب أن نتحسّر على استئصال الدهماء!» هكذا قال.

وقد كان اللواء الركن مؤيدا بتوفيق الله، فأصدر في هذه الناحية موسوعة كبيرة، ما كان من الممكن أن تصدر لو ألفت لها لجنة من كرام المؤرخين، لأن العمل الفردى في بلادنا هو الأسرع والأنفع، أما اللجان فتجتمع وتتفرق لترسم الخطة -إذا فعلت- ثم تتفرق دون شيء!

وقد اختط طريقة الأسلوب المباشر الذى يلامس الأحداث، ويتغلغل في صميم الوقائع، دون افتعال لتمهيدات كثيرة يذكرها بعض المؤرخين المحدثين لا لأهميتها في البحث، بل

لتدل على بُعد النظر، وانفساح الأمل، وهذا البسط الممتد - وإن كان نافعاً من بعض وجوهه - فإنه يبعد القارىء عن الموضوع الأصلى بعض البعد، ويقف حائلا دون توهج اشتعاله الفائر أثناء القراءة، لاسيما والحديث فى الجزء الواحد عن عدة أناس لا عن شخص واحد، ومن خطر الحديث عن الزملاء المشتركين فى معركة واحدة أن الكاتب يتعرض للحديث عن الوقائع فى كل مناسبة تلوح، فأبطال «القادسية» مثلا قد خاضوا غمار معركة واحدة، وإذا كان الحديث عن المعركة وحدها فى كتاب يحمل اسم المعارك، فإن هؤلاء الأبطال يذكرون وفق أدائهم الطبيعى للأعمال، ويكتم من ذلك الحديث المتصل عنهم دون استطراد، أما لو كان الحديث عن الأبطال فى كتاب يحمل اسم: (القادة)، فلا بد أن يتكرر ذكر الوقائع، ومن الصعب هنا الإحالة على ما سبق، فقد يكون فى هذه الإحالة ما يطفىء بريق الصورة، فلا تلوح بوجهها الوضاء، أذكر كل هذا لأمهد العذر لكاتب التراجم فى مجموعة واحدة إذا اضطر إلى إعادة ما يقول، وقد كان الأقدمون من كُتاب الطبقات لا يلحظون ما يقعون فيه من تكرار بل يرونه طبيعيا، لأنهم قد يكررون الحادث الواحد فى الموقعة الواحدة إذا اختلف راو عن راوٍ فى شىء يسير لا يُعد موضعا للتعارض، لهذا كثر اهتمامهم بالإسناد المتصل، وكان المؤرخ يُبرىء نفسه إذا وقع فى خطأ ما، لأنه ذكر الإسناد، وإذن فالتبعة على الراوى وليست عليه، على أن للواء الركن زكاءه الثاقب فى تجنب كثير مما قيل إذ يعرض الموقف بإيجاز يعتمد على اللمح فى بعض التراجم، فإذا اتسع ولم يعتمد الإيجاز فهو يرحم القارىء المتوسط، الذى يكون دائماً فى حاجة إلى تذكير، ومما يحمد للواء أنه اهتم بالجنود كثيراً ولم يجعل اهتمامه بالقادة وحدهم، لأنه يرى الجنود أداة التنفيذ الحقيقى، وبجهودهم كان إتمام الخطة المرسومة التى رسمها القادة، بل من عجائب الفتح الإسلامى أن الإخلاص لله وحده قد دفع بعض الجنود إلى العدول عن الخطة المرسومة حين وجد نفسه فى موقف يدعو إلى العدول، وبعد انتهاء المعركة يجد الشكر من قائده لأنه وهو الجندى الملتزم كان بطل الموقف حقاً، وإذا اختلفت الأنظار فيما أتاه الجندى بعد المعركة، فالمؤرخ هنا ينصب الميزان الدقيق لمحاكمة الإثنين معاً، ويظهر ذلك على سبيل المثال فيما كان من أمر طارق بن زياد فى معركة الفتح المبارك للأندلس حين تخطى تعاليم موسى بن نصير فواصل الزحف، ورأى موسى فى مخالفة رأيه ما يدعو إلى الملامة والتجريح، ولسنا معه فى ذلك، لأن الطريق كان ممهدا، وقد نجح طارق فى توسّعه الظافر، وضمّ مدنا كثيرة إلى فتوحاته، ووجد من المؤرخين من حبذ اتجاهه كل التحبيذ، واللواء الركن فى مثل هذه الخلافات كان ينظر بعين العسكرى المحنك، فيقدّر كل موقف بما انتهى إليه من نتائج، عاطفاً على الجميع كل العطف، إذ لا مجال هنا للتعصب على زيد أو عمرو، فالكل جنود فى جبهة الفتح المبين.

[يتبـــــع]

«إسهامات العلماء المسلمين في التقدم العلمي والتكنولوجي عبر العصور»(*)

للأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد باشا(**)

تشهد الفترة الحالية من عصرنا اهتماما كبيرا بالتأريخ للعلم وفلسفته، خاصة فيما يتعلق بقضية التأصيل لنشأة العلم وأولية المنهج العلمي، حيث يدور الجدل بين الباحثين حول الإجابة عن أسئلة من قبيل: أين ومتى نشأ العلم، وتكونت بذرة المنهج العلمي في فكر الإنسان؟

وتاريخ العلم والتكنولوجيا جزء من التاريخ الإنساني العام الذي أسهمت في صنعه جميع الأمم على مر العصور، إنه تاريخ الفكر الذي منحه الله - تعالى - للإنسان لكي يرتقي بعقله، ويدرك أهمية المعرفة في صنع التقدم وفهم حقائق الأشياء، ومن يقرأ تاريخ العلم بحيدة وموضوعية بعيدا عن مختلف ضروب الهوى والتحيز، يجد أنه وثيق الارتباط في تقدمه وتعثره بمراحل ازدهار حضارات الإنسان وانحطاطها، منذ عصور الحضارات القديمة، ومرورا بعصر الحضارة العربية الإسلامية فعصر النهضة الأوربية الحديثة، وصولاً إلى حضارة التكنولوجيا المعاصرة، كما يجد أن فلسفة العلم والتكنولوجيا معنية بتتبع نمو المفاهيم والأفكار العلمية والتكنولوجية وتطورها عبر تلك المراحل ومهتمة بما قدم العلماء والتقنيون من نظريات أو حلول لمختلف القضايا العلمية والتكنولوجية وفق منهج تحليلي مقارن يهدف إلى وضع الحقائق في نصابها المقبول عقليا والممكن تاريخيا ومنطقيا.

(*) ألقي هذا البحث في المؤتمر العام الثاني عشر الذي نظمه «المجلس الأعلى للشئون الإسلامية» بالقاهرة في الفترة ٨-١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ/ ١١-١٤ يونيو ٢٠٠٠م تحت عنوان: «نحو مشروع حضاري لنهضة العالم الإسلامي».

(**) الكاتب: أستاذ الفيزياء، ووكيل كلية العلوم - جامعة القاهرة.

من هنا، فإن الأمانة في التاريخ لأى علم من العلوم تقتضى أن نتتبع مراحل تطوره منذ نشأته ونقف على كيفية نموه وتدرجه، ونتعرف على ما قام به عظماء رجاله من الأعمال والابتكارات التى أحدثت هذا النمو والتدرج، فذلك أدعى إلى حسن تصور الأفكار والنظريات العلمية والتكنولوجية المختلفة، فضلا عن أنه الأسلوب الواجب لإيضاح التسلسل الطبيعى للخطوات التى أدت إلى الكشف عن الحقائق العلمية والإنجازات التكنولوجية منسوبة إلى أصحابها الشرعيين.

وانطلاقا من هذه المقدمة سوف نعرض لبيان بعض إسهامات العلماء المسلمين فى التقدم العلمى والتكنولوجى عبر العصور، ونلقى الضوء على ما قدموه من مآثر ذات قيمة معرفية أو منهجية أو تطبيقية فى تاريخ الحضارة الإنسانية ونكشف عن بعض المفاهيم والإنجازات التى تشكل أساساً لكثير من المباحث التى نتعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة، نظراً لاتساع دائرة البحث فى موضوعاتها، وسوف نعتمد فى توثيق هذا العرض على ما جاء فى أمهات الكتب التراثية المحققة.

(أ) العلوم الأساسية والتطبيقية

لم يقف علماء الحضارة الإسلامية عند حد المواريث الفكرية، لكنهم أضافوا بعد ذلك ما توصلوا إليه من تجاربهم وخبراتهم واستطاعوا أن يكونوا نسقاً فكريا وعمليا متميزا قوامه البحث عن الحقيقة فى أعماق النفس وآفاق الوجود، وأساسه العلم والعمل من أجل ترقية الحياة على الأرض، استنادا إلى مبادئ الإسلام الحنيف،

ونذكر من مآثر المسلمين بعض الثورات العلمية التى أشعلوا جذوتها، فى العلوم الأساسية والتطبيقية الآتية:

فى مجال الرياضيات: جرت الدراسات وفق الطريقة الاستقرائية للوصول إلى المبدأ العام من ملاحظة التفاصيل، على نحو ما فعل الخوارزمى عندما وضع معادلة جبرية تصلح لإيجاد حلول خاصة لمشكلات متشابهة، واستطاع أن يتوصل إلى علم جديد يضيفه للمعرفة هو علم الجبر الذى ظل محتفظا بلفظه العربى فى كل اللغات، وواصل العلماء بعد ذلك عملية التعميم للكائنات الرياضية سواء كانت خطوطا هندسية أو أرقاما عددية، فأضاف ثابت بن قرة تعميما لنظرية فيثاغورث يصلح لأى مثلث، وبرع عمر الخيام فى تصنيف وحل المعادلات ذات الدرجة الثالثة والرابعة.

وظل هذا المنهج أسلوباً لفكر الرياضيين حتى أصبح من أهم خصائص المعرفة العلمية وأدى فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى إلى اكتشاف معادلات التحويل التى تربط بين إحداثيات الموضع وإحداثيات معممة تكون مسافات أو زوايا، أو كميات تتصل بالمسافات والزوايا، ولولا هذه المسيرة الرياضية التى بدأت بعلماء الحضارة الإسلامية لما ظهرت معادلات «لاجرانج» ومعادلات «هاميلتون» التى تتميز فى العصر الحاضر بسهولة استخدامها لاستنباط وحل العديد من المسائل العلمية فى علوم ميكانيكا الكم والميكانيكا الإحصائية والميكانيكا السماوية والكهروديناميكا وغيرها.

وفى مجال العلوم الفيزيائية: كشفت الدراسات التراثية المعاصرة عن سبق علماء

المسلمين إلى تحديد الكثير من المفاهيم العلمية فى ميادين الميكانيكا والبصريات والصوتيات وخواص المواد الصلبة والسائلة والغازات وغيرها. فعلى سبيل المثال: عبر هبة الله بن ملكا البغدادى فى كتابه «المعتبر فى الحكمة» والشيخ الرئيس ابن سينا فى كتابه «الشفاء» وابن المرزبان فى كتابه «التحصيل» وابن الهيثم فى كتابه «المناظر» وغيرهم عبروا عن عناصر الحركة وأنواعها وقوانينها بصياغات علمية لا تختلف عما نعرفه اليوم.

كذلك قدم علماء المسلمين لأول مرة فى تاريخ العلم أساسا مقبولا لتفسير السقوط الحر للأجسام تحت تأثير الجاذبية الأرضية، وبدأ الهمدانى هذه الثورة العلمية بقوله فى سياق حديثه عن الأرض وما يرتبط بها من مياه وهواء ما نصه -فى كتاب الجوهرتين-: «... فمن كان تحتها (أى تحت الأرض عند نصفها الأسفل) فهو فى الثبات فى قامته كمن فوقها، وكثبات قدمه عليه، فهى بمنزلة حجر المغناطيس الذى تجذب قواه الحديد إلى كل جانب ....» ويتضح من هذا النص أن الهمدانى قد أرسى أول حقيقة جزئية فى فيزياء ظاهرة الجاذبية، ثم تبعه عبد الرحمن الخازنى الذى ذكر فى كتابه «ميزان الحكمة» أن الجسم الثقيل يتحرك بقوة ذاتية أبدا إلى مركز الأرض فقط.. ولولا هذه الحقائق الجزئية على طريق استكمال التصور الإنسانى لظاهرة الجاذبية والحركة لما وجد إسحق نيوتن من يقف على أكتافهم من عمالقة العلماء لكى يصنع مجده وشهرته بصياغة قوانين الحركة والجاذبية.

وفى علوم الفلك والأرصاد: وضع علماء المسلمين أصول الكثير من النظريات الحديثة عن الظواهر الجوية والفلكية كما اهتموا بوضع الأزياج (الجداول الفلكية والرياضية) التى جمعها «تيكوبراهى»، واستخدمها من بعده «كبلر» فى صياغة قوانينه المشهورة عن حركة الكواكب، وترتب على ذلك كله تقدم علوم الفلك والأرصاد وصاحبه ازدهار الملاحة البحرية فى البحرين الأبيض والأحمر، وفى المحيطين الهندى والهادى، وظلت اختصاصا عربيا إسلاميا حتى مطلع العصور الحديثة.

وفى مجال الكيمياء: يجمع المؤرخون على أنها تحولت فى عصر النهضة الإسلامية من «الصنعة» الخرافية إلى العلم التجريبى بفضل علماء أفذاذ أمثال: جابر بن حيان، والرازى والجلدكى، وغيرهم، عرفوا العديد من العمليات الكيميائية: كالترشيح، والتبخير، والتصعيد، والتقطير الجزئى والتبلور، واستخدموا فى ذلك الآلات والأجهزة، فتجاوزوا حدود الآراء النظرية والتأملات الفلسفية المميزة لعلوم الإغريق والهنود.

ومن بين الإنجازات التى يصعب حصرها ما توصل إليه علماء المسلمين فى ميدان الكيمياء التطبيقية، حيث استخدموا الفحم الحيوانى لأول مرة فى قصر الألوان، ولا تزال هذه الطريقة تستعمل فى إزالة الألوان والروائح من المواد العضوية، وتوصلوا إلى أن الشب، وهو أحد أملاح الألومنيوم يساعد على تثبيت الأصباغ فى الأقمشة، وذلك قبل أن يصل العلم الحديث إلى تفسير خاصية

التصاق الشب على الألياف، وتكوين أملاح معقدة مع الأصباغ الملونة تعمل كوسيلة ربط لجزيئاتها على القماش.

وفى مجال العلوم الطبية والصيدلة: أخذ علماء المسلمين بنظام التخصص واهتموا بعلم التشريح والتشريح المقارن واعتمدوا في استخلاص النتائج على المشاهدة والتجارب كذلك اهتموا بعلم الجراحة وأظهروا دراية فائقة بجراحة الأجزاء الدقيقة من الجسم كالأعصاب والعظام والعيون والأذن والأسنان واستئصال الأورام الخبيثة واكتشفوا العديد من الأمراض ووصفوا أعراضها وطرق علاجها وقدموا خدمات جليلة للحضارة الإنسانية تتمثل في العديد من المؤلفات القيمة التي نهلت منها أوروبا وظل معظمها يدرس في جامعاتهم حتى عهد قريب، مثل: كتاب «الحاوى» لأبى بكر الرازى، و «القانون» لابن سينا، و «التصريف» للزهراوى.

وكان تقدم العلوم الصيدلية مواكبا لتطور علوم الطب خطوة بخطوة فظهر علم «الأقرابازين»، أو «دستور الأدوية» الذى كان يعنى فى بادئ الأمر تركيب الأدوية المفردة وقوانينها، وأصبح يعنى فى العصر الحديث علم طبائع الأدوية وخواصها، واكتشف علماء المسلمين العديد من العقاقير التى لاتزال تحتفظ بأسمائها العربية فى اللغات الأجنبية، مثل: الحناء، والحنظل، والكافور، وغيرها وفى السنوات الأخيرة زاد اهتمام شركات الأدوية بإعادة قراءة كتب التراث العلمى، وإجراء التجارب على الوصفات الشعبية التي وردت فيها في محاولة للكشف عن أدوية جديدة للأمراض باستخدام التقنيات الحديثة، وعندما ترجمت مؤلفات المسلمين إلى اللاتينية واطلع الغرب عليها سطعت شمس العلم الإسلامى على كل أوروبا وتشهد المستشرقة الألمانية «سجريد هونكه» بهذه الحقيقة فى كتابها: «شمس العرب تسطع على الغرب» مؤكدة: «أن كل مستشفى، وكل صيدلية، ومخزن أدوية فى أيامنا هذه يعتبر نصبا تذكاريا للعبقرية العربية (الإسلامية) كما أن كل حبة من حبوب الدواء مذهبة أو مسكرة، إنما هى كذلك تذكار ظاهر يذكرنا باثنين من أعظم علماء المسلمين ومعلمى بلاد الغرب. وتقصد: الرازى وابن سينا.

وفى مجال العلوم البيطرية، أو طب الحيوان: اهتم علماء المسلمين بالثروة الحيوانية وكل ما يتعلق بتطويرها ونمائها، يشهد على ذلك ما تضمنته مؤلفاتهم من دراسات قيمة تتعلق بتغذية الحيوان وتربيته ومداواته من الأمراض التى تصيبه، فقد أفرد أبو بكر أحمد بن وحشية فى القرن التاسع للميلاد كتابا للحيوانات المعينة على الفلاحة مثل: البقر، والغنم، والإبل، وغيرها وجعل بابا خاصا للحمام والطيور والكراكى، كذلك خصص ابن العوام الأبواب الأخيرة من كتاب: «الفلاحة الأندلسية» لتربية الماشية وتحدث عن أمراض الحيوان، وكيفية اختيار الجيد، ومدة الحمل، وما يصلح من العلف، ثم تحدث عن التسمين ورياضة الأمهار، وخصص فصلا عن اقتناء الطيور فى البيوت مثل:

الحمام، والأوز، والدجاج، ونحل العسل، ثم اقتناء الكلاب للصيد أو الزرع.

من ناحية أخرى، عرف علماء المسلمين ظاهرة التهجين وأنماطه المختلفة ووصفه الجاحظ في كتابه: «الحيوان» بقوله: «إننا وجدنا بعض النتاج المركب وبعض الفروع المستخرجة منه أعظم من الأصل».

ويعترف العالم بإسهامات المسلمين في مجال تحسين النسل الوراثي (اليوجينا) عن طريق انتقاء صفات وراثية معينة، وقد تجلى هذا بوضوح في حرصهم على أنساب الخيول العربية بحصر التزاوج فيما بينها وبين أفراس أصيلة ذات صفات وراثية محددة، وتابعوا اصطفاء الصفات على الأنسال القادمة، ومنعوا أى تزاوج عشوائى مع أفراد مغمورة أو وضيعة النسب، وكان لهذا الأسلوب الوراثى أكبر الأثر في لفت الانظار بعد ذلك إلى استيراد الخيول العربية ودخولها في التهجين مع سلالات أخرى لرفد مورثاتها (جيناتها) وخصائصها الفذة: كالرشاقة والجمال، وضمور البطن، والعدو السريع، والحس المرهف والذكاء المفرط، والعرق الغزير، وصغر الآذان، وغير ذلك.

وفي مجال علوم الأرض، أو الجيولوجيا والجغرافيا: بحث علماء المسلمين وألفوا قبل أن ينقلوا كتب غيرهم إلى العربية، وكان لاكتشاف الأجهزة العلمية كالبوصلة والاسطرلاب، أثر هام في تسهيل الرحلات وتشجيع الرحالة فقام علم الجغرافيا أو تقويم البلدان على أسس علمية سليمة وقد أحصى «ميللر» الخرائط التى رسمها علماء المسلمين للعالم الإسلامى فوجدها مائتين وخمسة وسبعين خارطة، باستثناء خرائط «الإدريسى» التى وصفها «ميللر» بأنها تمثل مدرسة جغرافية خاصة ذات أثر كبير في تصوير الدنيا للأوروبيين.

وتحدث علماء المسلمين عن العصور الجيولوجية، ووصفوا تكون الجبال والصخور بأنواعها وحدوث الزلازل وما يطرأ على اليابسة والماء من تطورات خلال الأزمنة الجيولوجية المتعاقبة، كذلك اهتم علماء المسلمين بالمناجم وتوزيع المعادن في أنحاء الكرة الأرضية، ويعتبر كتاب البيرونى: «الجماهر في معرفة الجواهر» من خير ما صنف في عصر الحضارة الإسلامية لدراسة خواص المعادن والبلورات، كذلك اهتم الهمدانى في كتابه: «الجوهرتان العتيقتان» بسرد مناجم الذهب والفضة المعروفة في: جزيرة العرب، وبلاد الأعاجم، وأرض النوبة، والحبشة، وقد أفادت منه اليمن حديثا في الاهتداء إلى العديد من المناجم الهامة.

أما «علم التربة» (أو «البيدولوجيا») فتجد أصوله في كتاب: «جامع فرائد الملاحة في جوامع فوائد الفلاحة» لرضى الدين الغزى (ت ٩٣٥ هـ)، الذى تحدث بإسهاب عن نظرية تكوين التربة، ووصف بوضوح تام الفروق المميزة بين ما يعرف باسم: «التربة السطحية» و«التربة التحتية» و«التربة المنقولة»، وربط حالة التربة وخصوبتها بمجموعة من العوامل الفيزيائية تشمل: الحرارة، والرطوبة، والكثافة الظاهرية باعتبارها مقياسا للانتفاش أو المسامية.

«يتبع»

طرائف.. ومواقف

للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم

«الشعور بالمسئولية»

قالت السيدة فاطمة زوجة عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ : دخلت يوما عليه، وهو جالس فى مصلاه، واضعا خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت: مالك؟ فقال: ويحك يافاطمة، قد وليت من أمر هذه الأمة ما وليت، فتفكرت فى الفقير الجائع، والمريض الضائع والعارى المجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيدة، والمظلوم المقهور، والغريب والأسير، والشيخ الكبير، وذى العيال الكثير والمال القليل، وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد، فعلمت أن ربى ـ عز وجل ـ سيسألنى عنهم يوم القيامة، وأن خصمى دونهم ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فخشيت ألا تثبت لى حجة عند خصومته، فرحمت نفسى فبكيت.

«حقيقة»

إذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأتمنه، وأساء به الظن من كان يحسنه، فإذا أذنب غيره نسب إليه، ومن كان له صار عليه.

لم لا تصحب الناس؟

قيل لإبراهيم بن أدهم: لم لا تصحب الناس؟ فقال:

إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله وإن صحبت من هو فوقى.. تكبر علىَّ. وإن صحبت من هو مثلى حسدنى فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ولا فى وصله انقطاع، ولا فى الأنس به وحشة.

«عمى البصر أم البصيرة؟»

ذكر أن عالما ممن ينكر المجاز والاستعارة فى القرآن الكريم، جاء إلى شيخ فاضل عالم منكرا عليه دعوى المجاز ـ وكان ذلك السائل المنكر أعمى ـ فقال له الشيخ: ما تقول فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾(١) هل المراد بالعمى الحقيقة وهو عمى البصر، أم المراد به المجاز وهو عمى البصيرة؟ فبهت السائل وانقطعت حجته.

(١) سورة الإسراء، ٧٢.

«هكذا تعيش البهائم!!»

كان عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه - إذا أصبح أمسك بلحيته ثم قرأ قوله - تعالى - ﴿ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴾(٢)

ثم يبكي وينشد:

نهارك يامغرور سهو وغفلة

وليلك نوم والردى لك لازم

تسر بما يفنى وتفرح بالمنى

كما سر باللذات في النوم حالم

وتسعى إلى ما سوف تكره غبّهُ

كذلك في الدنيا تعيش البهائم

«زيارة غير محبوبة»

زار رجل بعض العُباد، ونقل إليه كلاما عن بعض معارفه، فقال له العابد: قد أبطأت في الزيارة وجئتني بثلاث جنايات:

بغضت إليَّ أخي وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك.

«من الشقي؟»

قيل: لم أر أشقى من البخيل بماله، لأنه في الدنيا يشقى بجمعه، وفي الآخرة يحاسب على منعه، غير آمن في الدنيا من همه، ولا ناج في الآخرة من إثمه.

ليس مع الجزع فائدة

كان سيدنا أبو بكر - رضي الله عنه - إذا عزى رجلا قال:

ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أشد ماقبله وأهون مابعده، اذكروا فقد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تهن عندكم مصيبتكم، صلى الله على محمد، وعظم الله أجركم.

«دعاء»

اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءا أو أجره إلى مسلم.

---

(٢) الشعراء: ٢٠٥ - ٢٠٧.

البوصيرى إمام المادحين

٦٠٨ - ٦٩٥ هـ : ١٢١٢ - ١٢٩٦ م

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

(١) يحتل الإمام البوصيرى منزلة عالية بين أعلام التصوف، وبين شعراء عصره.. وقصيدتاه البردة والهمزية سارتا مسير الشمس، وضرب بهما المثل فى البلاغة والروعة والبيان فى كل العصور.

والبوصيرى هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيرى.

ينتهى نسبه إلى قبيلة صنهاجة الكبيرة التى عاشت فى بلاد الغرب، ويحقق ابن خلدون فى تاريخه أن صنهاجة من القبائل العربية اليمنية .. وقد تفرقت هذه القبيلة فى الشمال الأفريقى كله.

ومن هذا يكون البوصيرى عربيا، وإن كان عهده بالعروبة الصميمة بعيدا، لطول إقامة هذه القبيلة بالمغرب، ولاختلاطها بالبربر وتأثرها بهم على أنه إن فاته من نسبه العربى سلامة الملكة، لا يفوته كثير من صفات العرب التى عرفوا بها، لأن هذه الصفات لم يغير منها إقامة قبيلة صنهاجة بين البربر، إذ كانت معيشتهم وحالة اجتماعهم لا تختلفان عما للعرب فى جزيرتهم، ومن ثم عرف البوصيرى بالصراحة فى القول والشدة فى الحق..

وقد ولد الإمام البوصيرى وعاش فى مصر، وكان أحد أبويه من أبو صير، والآخر من دلاص، وهما قريتان من محافظة بنى سويف، وتقع أبو صير جنوبى دلاص، ويرجح أن دلاص هى بلدة والده، وأن أبو صير هى بلدة أمه، وأنه ولد بالأولى ونشأ بالثانية، ومن ثم قيل له البوصيرى، أو الدلاصى.

(٢) عاش البوصيرى فى ظلال الدولة الأيوبية، وفى أوائل دولة المماليك.

وكان العصر عصر جهاد للصليبيين، ودفاع عن وطن الإسلام من هجوم الغزاة المتعصبين من الصليبيين ووحشيتهم، شاهد انتصار مصر فى معركة المنصورة الكبيرة التى أسر فيها لويس

التاسع ملك فرنسا واعتقل في دار ابن لقمان عام ٦٤٨ هـ كما عاصر معركة عين جالوت التي انتصر فيها السلطان قطز على جيش التتار في أرض فلسطين عام ٦٥٨هـ - ١٢٦٠م.

٣ ويحدثنا التاريخ عن سطوة الدولة الأيوبية وشدة شكيمتها في محاربة الصليبيين وحرصها على نشر العلم، وبناء المدارس، وتكريم العلماء. وكان يعاصر البوصيري الصوفي الكبير عمر بن الفارض المتوفى عام ٦٣٢هـ ١٢٣٥م، وفي هذه الفترة ظهر كثير من علماء علوم الشريعة وانتقل البوصيري إلى القاهرة، وأقام بها وتعلم فيها، ومن شيوخه الكبار: الشيخ أبو العباس المرسي «٦١٦ - ٦٨٦هـ»، وكذلك عاصر السيد أحمد البدوي «٦٠٦-٦٧٨هـ» والسيد إبراهيم الدسوقي «٦٣٣-٦٧٢هـ» والشيخ عز الدين بن عبد السلام «٥٧٧ - ٦٦٠هـ» كما عاصر أبا الحسن الشاذلي «٥٩٣-٦٥٦هـ» وابن عطاء الله السكندري «٦٥٨ - ٧٠٩هـ» وابن دقيق العيد «٦٢٥ - ٧٠٢هـ» وغيرهم من أعلام العلماء وأئمة التصوف، وشيوخ الإسلام.

وكان البوصيري وابن عطاء الله من أشهر تلامذة أبي العباس المرسي، ومن أكثرهم ملازمة له، وقد رحل المرسي من الأندلس إلى مصر، وأقام بالقاهرة حينا ثم رحل إلى الإسكندرية، وعاش فيها، وتوفي بها، وكان ورعا تقيا، أخذ الطريق عن شيخه أبي الحسن الشاذلي.

وكان البوصيري وابن عطاء الله ممن تشربوا روح أبي العباس المرسي، وأخذوا مذهبه في السلوك، وطريقه في التصوف، وانتفعوا أكبر نفع بصحبته، حتى قيل: إنه خلع على البوصيري الشعر، وعلى ابن عطاء الله النثر.

ومن تلامذة البوصيري محقق عصره العز بن جماعة الذي تولى قضاء مصر وعمر طويلا.

وكان للإمام البوصيري مدرسة صوفية عرف بها، ولا نكاد نعلم من شئون حياة البوصيري، وما تناوله من أعمال. إلا القليل، وأنه كان يعمل في صناعة الكتابة، ويلي أعمالا في بلبيس، ويراد من الكتابة هنا كتابة الحساب.

وعرف من أحوال البوصيري الفقر والشكوى من كثرة العيال، مما لا يساعد على تصور أنه ولي وظيفة مباشر في الشرقية «أي: محافظة» وكانت الشرقية ثلاثمائة بلدة وثمانين، ويتولى المباشر شئونها، وهذا منصب كبير، لا يحوج صاحبه إلى شكوى، فما بالنا والبوصيري كان فقيرا يمدح الرؤساء، وقد يكون قد عمل مباشرا من مباشري المساحة، الذين يأمرهم المباشر الأكبر بزرع الأرض، وتوزيع البذور - شأن بنوك التسليف التي تقوم اليوم بهذه المهمة - ولعل قلة جدوى مثل هذا العمل قد حمل البوصيري على تركه، زاهدا ناسكا متذرعا بالورع والعبادة وطلب مرضاة الله.. وتوفي الإمام البوصيري بالإسكندرية عن قريب من تسعين عاما..

٤

كان البوصيرى من أعلام شعراء التصوف فى عصره وصارت شاعريته بمدائحه النبوية البليغة مضرب المثل فى الفصاحة، ومن العجب العجاب أن شعره فى أغلبه لا يمتاز بجودة ولا بلاغة ولا بروعة كبيرة، ولكن مدائحه النبوية وحدها هى التى نالت من البيان والبلاغة أعلى نصيب، واستحوذت على قصب السبق فى كل رهان.

فنراه فى قصيدته «البردة»، قد استولت عليه النشوة وموهبة البيان فى كل جانب، فانطلقته بهذه الحكمة الرائعة، وجعلت قوله رصينا جزلا، ولا بدع فتناوله للمدائح النبوية هو الذى أهله لهذه البلاغة، ولذلك السمو فى المعانى، ولتلك الروعة والسحر فى القول وكان ذلك بمثابة العون والرعاية والمكافأة وشد الأزر من حب الرسول - ﷺ - له على حسن نيته وصدق عقيدته، وعميق إيمانه.

وذلك شبيه بأمر حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ إذ كان شعره فى الدفاع عن رسول الله وعن الإسلام وعن المسلمين، هو أجود ما نظم وأبلغ ما قال، حتى كان رسول الله - ﷺ - يقول له: «قل وروح القدس معك».

والبوصيرى فى شعره يمتاز ببساطة القول، وعدم الاحتفال بالزينة اللفظية، وبطول النفس، فقصيدته المسماة بـ «أم القرى» فى مدح رسول الله صلوات الله عليه تبلغ ٤٣٦ بيتا، وقصيدته «ذخر المعاد فى وزن بانت سعاد» تبلغ ٢٠٦ أبيات، وقصيدته البردة ١٥٩ بيتا.. كما يمتاز شعره بأنه مرسل على السجية، لا تكلف فيه ولا تعمل.

ومن قصائد البوصيرى فى مدح رسول الله، قصيدته، التى مطلعها:

أمدائح لى فيك أم تسبيح؟
لولاك ما غفر الذنوب مديح

وقصيدته:

إلهى على كل الأمور لك الحمد
فليس لما أوليت من نعم عد

وتبلغ تسعة وتسعين بيتا.

أما الهمزية فمشهورة ذائعة، وتتناول السيرة النبوية بأبلغ بيان، وأروع بلاغة.. وفى مطلعها يقول الإمام البوصيرى:

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء

وللهمزية شروح كثيرة، ومعارضات طويلة وقد عارضها أمير الشعراء أحمد شوقى بقصيدته الهمزية المشهورة، التى مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

وقصيدة البوصيرى «ذخر المعاد» مطلعها:

إلى متى أنت باللذات مشغول؟
وأنت عن كل ما قدمت مسئول

وهو يعارض بها قصيدة كعب بن زهير المشهورة:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم أثرها، لم يفد، مكبول

وقصيدة البوصيرى «البردة» طبقت شهرتها المشرقين والمغربين، وعارضها الجم الغفير من الشعراء وشرحها وخمسها عدد

كبير منهم، وممن عارضوها البارودى وشوقى وغيرهما.

ويقول البوصيرى فى سبب نظمها ما نصه: كنت نظمت قصائد فى مدح رسول الله - ﷺ - ثم اتفق بعد ذلك أن أصابنى فالج «شلل» أبطل نصفى، فـفكرت فى عمل قصيدتى هذه «البردة» فعملتها واستشفعت بها إلى الله - تعالى - فى أن يعافينى، وكررت إنشادها وبكيت وتوسلت ونمت فرأيت النبى - ﷺ - فمسح على جنبى بيده الكريمة، وألقى على بردة، فانتبهت، فوجدت فىَّ نهضة، فقمت، وخرجت من بيتى، ولم أكن أعلمت بذلك أحدا، فلقينى بعض الفقراء، فقال لى: أريد أن تعطينى القصيدة التى مدحت بها رسول الله - ﷺ - فقلت: أيها، فقال: التى أنشأتها فى مرضك وذكر أولها، وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهى تنشد بين يدى رسول الله فرأيته يتمايل وأعجبته.

وألقى على من أنشدها بردة، قال البوصيرى: فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك للناس، وشاع المنام، وبلغ الرؤساء، ومطلعها:

أمن تذكر جيران بذى سلم

مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقصيدة شوقى فى معارضتها مشهورة، ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم

أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

ومعارضة البارودى للبردة مطلعها:

يا رائد البرق يمم دارة العلم

واحد الغمام إلى حى بذى سلم

وعلى الجملة فإن شعر البوصيرى فى جملته مملوء بروح صوفية رفيعة، وفيه إشراق الصوفيين وبلاغتهم فى أسلوبهم وتعبيرهم.

وبحق لقد كان البوصيرى بعد ابن الفارض من أعظم شعراء التصوف الذين ظهروا فى مصر، والذين لم يجارهم فى بلاغتهم شاعر، ولم يصل إلى مستوى شاعريتهم أحد.

لقد كان ملهما، وكان ينطق عن ميراث حكمة وحق وحب لله - عز وجل - ولرسوله ﷺ

وتعد بردة البوصيرى بمثابة ملحمة شعرية فى سيرة رسول الله، وبسببها لقب البوصيرى بإمام المادحين «ومن المعروف أن المديح النبوى باب كبير من أبواب الشعرالعربى، وفن من فنونه، وهو خاص بمدائح الشعراء للشخصية المحمدية - صلوات الله وسلامه عليه - وإن كان المديح النبوى فرعا من فن المديح فى الشعر العربى.

وقد تطورت المدائح النبوية فى العصر الحديث من القصيدة إلى فن الملحمة فى السيرة العطرة سيرة رسول الله - ﷺ - ومن شعراء الملاحم النبوية: أحمد محرم فى «الإلياذة الإسلامية»، وعزيز أباظة فى «السيرة الزكية»، وكامل أمين فى «الملحمة المحمدية» ود. خفاجى فى «ملحمة السيرة النبوية الخالدة»، وسواهم.

رحم الله البوصيرى، وأجزل مثوبته فى دار الحق والخلود.

علماء من مصر

الإمام العلامة ابن حجر

٨

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلي القرني

هو من مفاخر مصر الزاهية، وأعلامها الزاهرة، وتيجانها اللامعة، ونجومها الساطعة.

ولد ونشأ في مصر، وتنفس في روابيها ودرج على ترابها الطيب، وعاش في جوها المنعش، وتقلب بين جوانبها ودروبها ينعم بما أنعم الله به عليها من نعم وفيرة ومآثر كثيرة، يأتي من بينها الأزهر المعمور الذي منحه الله لمصر يحفظ به تراث العروبة، ويحيي به حضارة الإسلام، ويجدد به شباب الدين، ويثبت به قواعد الإيمان واليقين، ويتصدى بالكشف والدحض لشبهات المشككين وحملات المزيفين.

ولد - رحمه الله - في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة على شاطئ النيل بمصر القديمة، في ظل أسرة نزحت أصولها من عسقلان أيام صلاح الدين الأيوبي، واستقرت في القاهرة، ومن خصائص مصر أنها تصهر من ينزح إليها في بوتقتها، وتطبع من يقيم فيها بطابعها، فلا يلبث أن يصبح من أهلها وواحدا من أبنائها المخلصين ومواطنيها الصالحين.

واسمه كما ورد في كتب التراجم هو: أحمد ابن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود ابن أحمد المعروف بابن حجر الكناني العسقلاني، الشافعي المصري المولد والمنشأ والدار.

والكناني نسبة إلى قبيلة كنانة

وابن حجر لقب للعائلة التي ينتمي إليها، كان أحد أجداده قد لُقِّبَ بحجر، لحرفة كان يحترفها أو صناعة كان يقوم بها، وغلب اللقب على العائلة.

نشأته وعصاميته

ونشأ ابن حجر يتيماً، فقد مات أبوه بعد مولده بقليل، كان في الرابعة من عمره حين مات أبوه، وكانت أمه قد ماتت قبل ذلك، فنشأ يتيم الأبوين.

وكان أبوه قد أوصى به عند موته إلى صديق له اسمه: زكي الدين أبي بكر بن نور الدين علي الخروبي، وكان تاجراً كبيراً بمصر فأحسن الوصاية عليه.

كما تولى العناية به العلامة شمس الدين بن القطان وكان له بوالده اختصاص.

وكان ابن حجر عصامياً، فقد أقبل على التعليم بنفسه، وكان شغوفا بالعلم وطلبه، حفظ القرآن وله تسع سنوات.

واشتغل بطلب العلم بعد اتقانه القرآن حفظاً وتجويداً.. وقد أهّله إجادة حفظه للقرآن ان قدم في الحرم المكي - في أثناء رحلة قام بها مع وصيه الخروبي وجاور بمكة - إماماً يصلي بالناس التراويح في رمضان، وكانت سنه إذ ذاك اثنتى عشرة سنة.

لقد ظهرت عليه مخايل النجابة مبكرة، وأقبل على كتب العلم المهمة بشغف، فقرأها وفهمها جيداً، ومن جملة ماقرأه وهو في الثالثة عشرة من عمره: عمدة الأحكام للمقدسي، والحادى الصغير للقزويني، ومختصر ابن الحاجب في الأصول، وملحة الإعراب للهروي، ومنهج الأصول للبيضاوي، وألفية العراقي في الحديث، وألفية ابن مالك في النحو، والتنبيه في فروع الشافعية للشيرازي.

لقد عُرف بين أقرانه بأنه نادرة في الحفظ والذكاء وسرعة التحصيل مع جودته، حتى إنهم كانوا يقولون عنه: إنه كان يحفظ الصفحة من الكتاب بمجرد قراءتها ثلاث مرات.

ثم سمع صحيح البخاري وغيره من كتب الحديث، واهتم بالأدب والتاريخ منذ صغره، وكان له شيوخ كثيرون لا يكادون يحصون، كلهم أئمة في فنونهم وعلومهم، لقد اجتمع له من الشيوخ الذين يشار إليهم ويعول عليهم مالم يجتمع لأحد من أهل عصره، لأن كل واحد منهم كان متبحرا ورأسا في فنه الذي اشتهر به، لا يُلحق فيه.

وقد استقصى السخاوي في كتابه عنه «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر» أسماء هؤلاء الشيوخ، ومن أجاز له منهم، ومن أخذ منه مذاكرة أو إنشاء، وقدرهم بستمائة وأربعة وأربعين شيخاً..

يأتي في مقدمتهم الإمام الكبير زين الدين أبوالفضل عبدالرحيم بن الحسين المعروف بالحافظ العراقي المتوفى سنة ست وثمانمائة..

وكان شيخه في العربية الفيروزبادى صاحب القاموس المحيط، والغمارى شمس الدين محمد بن محمد وقد توفي سنة سبع وثمانمائة.

ومن شيوخه إمام الشافعية في وقته سراج الدين البلقيني، وكان قد بلغ مرتبة الاجتهاد.

رحلاتــــه

ورحل ابن حجر في طلب العلم إلى بلاد كثيرة حيث التقى بكثير من الشيوخ الفضلاء والعلماء الأجلاء: ومن قوله في أسباب ترحله:

وإذا الديار تنكرت سافرت في ... طلب المعارف هاجرا لدياري

وإذا أقمت فمؤنسي كتبي فلا ... أنفك في الحالين من أسفاري

وأول رحلة كانت له إلى قوص من بلاد الصعيد، وكانت مشهورة بكثرة العلماء، كان ذلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة.

وفي أواخر سنة سبع وتسعين وسبعمائة رحل إلى الإسكندرية، واجتمع فيها بالعلامة

شمس الدين بن الجوزى وأخذ عنه كما أخذ عن غيره من علماء الإسكندرية.

وفى سنة تسع وتسعين رحل إلى الحجاز، ثم رحل إلى اليمن سنة ثمانمائة، وفى اليمن التقى بشيخ اللغويين مجد الدين الفيروزبادى صاحب القاموس.

وعاد من اليمن ثم سافر إليها مرة أخرى سنة ست وثمانمائة، وتعرض فى أثناء سفره لمخاطر عدة.

ثم رحل إلى مكة حاجاً، ثم عاد إلى مصر، ثم رحل إلى مكة والمدينة ورحل إلى الديار الشامية وزار بيت المقدس والتقى بدمشق بكثير من العلماء الفضلاء وفى زيارة بيت المقدس يقول:

إلى البيت المقدس حيث أرجو
جنان الخلد نزلاً من كريم
قطعنا فى مسافته عقاباً
ومابعد العقاب سوى النعيم

ـ والعقاب جمع عقبة وهى المكان المرتفع ـ

وسافر إلى حلب وسمع بها، وقال فى أثناء رحلته هذه متشوقاً إلى مصر:

كل يوم يمضى أقول تقضى
البَيْن فازداد بالرحيل البعادا
فمتى تنقضى بنا مدة الترحال
حتى ألقى بسعدى سعادا؟

براعته فى علم الحديث

كانت سنه عشرين سنة حين أقبل على علوم الحديث بشغف واهتمام، والتقى بالشيخ زين الدين العراقى، إمام أهل الحديث فى مصر وفى غيرها، وكان يقصده القاصى والدانى، ولزمه ابن حجر عشر سنوات، وقرأ عليه ألفيته المشهورة، كما قرأ عليه غيرها من كتب الحديث.

ثم حصل على إذن من شيخه بتدريس علوم الحديث، وكان ذلك فى سنة سبع وتسعين وسبعمائة.

وتولى درس الحديث بالمدرسة الجمالية الجديدة وأملى فيها.

وقام بتدريس المذهب الشافعى بالمدرسة المؤيدية الجديدة، وقام بتدريس الفقه عامة بالمدرسة الشيخونية، ثم بالمدرسة الصلاحية المجاورة للإمام الشافعى. وتولى مشيخة المدرسة البيبرسية فى دولة المؤيد.

توليه الخطابة والقضاء

وتولى ابن حجر الخطابة فى عدة مساجد بالقاهرة واختير خطيباً للجامع الأزهر، وكان يخطب فى أقدم مسجد بالقاهرة وهو مسجد عمرو بن العاص.

وأقبل عليه الطلاب من كل مكان يتلقون عليه العلم، وينهلون من ورده الصافى ماطاب لهم.

لقد كان مرجعاً واسعاً فى علوم الحديث، حتى لقد ظفر بلقب أمير المؤمنين فى الحديث، وهذا اللقب لم يظفر به إلا أعلام يعدون على أصابع اليد الواحدة منهم: سفيان الثورى وسفيان ابن عيينة.

وفى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وعشرين وثمانمائة أسند إليه القضاء. وكان يقوم بالإفتاء إلى جانب القضاء.

وندم ابن حجر بعد ذلك على قبوله منصب القضاء، لأنه كان لايؤثر على الاشتغال بالتأليف والتصنيف شيئاً، ويقول ابن حجر: إن آفة التلبس بالقضاء أن بعضهم ارتحل للقائي، ولما بلغه تلبسي بالقضاء رجع دون أن يلقاني، وترك القضاء عدة مرات، ولكنه كان يعاد إليه ثقة فيه، وكان آخر ولايته للقضاء إذ عزل نفسه سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة في جمادى الآخرة.

مؤلفات ابن حجر

ولابن حجر مؤلفات شتى تتناول كثيراً من العلوم والفنون، ولاسيما علوم الحديث ومايتعلق بها. قال عنه السيوطى فى حسن المحاضرة: كان ابن حجر إمام الحفاظ فى زمانه، وعانى الأدب، وقال الشعر وبلغ فيه الغاية، ثم طلب الحديث فسمع الكثير ورحل فى طلبه، وتخرج بالحافظ العراقى وبرع فيه، وتقدم فى جميع فنونه، وانتهت إليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها، فلم يكن حافظ سواه، وألف كتبا كثيرة: كشرح البخارى، وتعليق التعليق، وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب، ولسان الميزان، والإصابة فى تمييز الصحابة، وغيرها، وأملى أكثر من ألف مجلس.

فتح البارى

ومؤلفاته كلها رائعة تدل على عقل راسخ وفهم دقيق، وتنظيم حسن، ومن أعظم مؤلفاته فتح البارى بشرح صحيح البخارى، وله مقدمة جامعة هى: هدى السارى لمقدمة فتح البارى، وقد قال أحد الأعلام عن كتاب فتح البارى: لقد كان شرح صحيح البخارى دينا فى ذمة الأمة الإسلامية حتى جاء ابن حجر فوفى هذا الدين.

وله غير هذا الكتاب سلسلة من الكتب يبلغ تعدادها مائة واثنتين وثلاثين كتاباً تتناول أنواعا مختلفة من العلم، وإن كان أغلبها ينصرف إلى الحديث وفنونه، قال شمس الدين السخاوى - وهو تلميذ ابن حجر: زادت تصانيفه التى معظمها فى فنون الحديث، وفيها فنون من الأدب والفقه والأصلين وغير ذلك على مائة وخمسين تصنيفاً، رزق فيها السعد والقبول، خصوصاً فتح البارى بشرح البخارى الذى لم يسبق نظيره أمراً عجباً.

ومن مؤلفاته فى علوم القرآن: الإتقان فى فضائل القرآن، الإحكام لبيان ما فى القرآن من إبهام، الأفنان فى رواية القرآن، أسباب النزول، تجريد التفسير.. وغير ذلك.

ومن مؤلفاته فى الأدب: ديوان شعر، ديوان منظوم الدرر، نزهة النظر بتوضيح نخبة الفكر، النيرات السبعة: ديوان ابن حجر، وفى أدب الرحلات كتب: اتباع الأثر فى رحلة ابن حجر.

ومن مؤلفاته فى التاريخ والتراجم والرجال: الإصابة فى تمييز الصحابة، الدرر الكامنة فى أعلام المائة الثامنة، الألقاب، إنباء الغمر بأبناء العمر، تعريف الفئة بمن عاش مائة، مختصر البداية والنهاية لابن كثير، النبأ الأنبه فى بناء الكعبة، الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة.

إلى غير ذلك من الكتب النافعة المفيدة التى تدل على فكر واسع وعقل راسخ، وعلم غزير، ومعرفة وفيرة، وقبل ذلك تشير إلى البركة التى منحها الله إياه فى وقته وعمله، والإلهام الذى من الله به عليه ففتح بصيرته وأثار قريحته، ورزقه بياناً ناصعاً وفهماً حسناً.

ثناء العلماء عليه

وقد ظفر ابن حجر بثناء مختلف العلماء فى مختلف الأقطار، وشهد له شيخه العراقى بأنه أعلم أصحابه بالحديث، وقد سئل العراقى: من تخلف بعدك؟ قال: ابن حجر، ثم ابنى أبو زرعة، ثم الهيثمى.

وقال عنه الحافظ تقي الدين محمد بن فهد ـ فيما يذكره محققاً كتاب تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ـ : ألف التآليف المفيدة، الدالة على غزارة فوائده، والمعربة عن حسن مقاصده، جمع فيها فاوعى، وفاق أقرانه جنساً ونوعاً.

وقال أيضاً: هو إمام علامة حافظ محقق، متين الديانة، حسن الأخلاق، لطيف المحاضرة، حسن التعبير، لم تر العيون مثله.

وقال عنه السيوطى: وإن يكن فاتنى حضور مجالسه والفوز بسماع كلامه والأخذ عنه فقد انتفعت فى الفن بتصانيفه واستفدت منها الكثير، وقد أغلق بعده الباب وختم به فى هذا الشأن.

من أخلاقه وصفاته

كان ابن حجر صاحب وقار وأبهة ومهابة، وكان ذا عقل راجح وحلم وسكون وسياسة وكان على دربة وافية بالأحكام، وكان لا يخاطب الإنسان بما يكره، بل كان يحسن إلى من يسئ إليه، ويتجاوز عمن قدر عليه، وهذه هى أخلاق الصديقين.

وكان حاذقاً ذكياً عند المحاضرة والمناظرة، وكان ذواقاً للشعر جيد الرواية له، وكان فصيح اللسان شجى الصوت.

وكان تقياً ورعاً كثير الصوم والصلاة والعبادة، وكان له شعر جيد أشرنا إلى بعضه فى أثناء الحديث.

وفاته

توفى الإمام ابن حجر فى ذى الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وشيعه الناس جميعاً بما يليق به، وبما جرت به عادتهم حين يفقدون أهل الفضل من الأئمة العلماء. قال السيوطي: حدثنى الشهاب المنصورى شاعر العصر أنه حضر جنازته فأمطرت السماء على نعشه، وقد قرب إلى المصلى ولم يكن زمان مطر.

وتقول: لولا التأدب بأدب النبى ـ ﷺ ـ الذى يقول: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد أو ولادته» لقلنا: إن السماء بكت عليه يوم وفاته، وقد عد ذلك من النوادر، وقد أنشد الشهاب المنصورى قائلاً:

قد بكت السماء على قاضي القضاة بالمطر

وانهدم الركن الذى كان مشيداً من حجر

رحمه الله رحمة واسعة ورضى عنه.

الإعلام والأمية

دراسة في سبل ودعم المواجهة

(٢)

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد (*)

تناولنا في المقال السابق مفهوم الأمية، وعرضنا بشكل موجز المفهوم الشامل لمحو الأمية، وبينّا أن محو الأمية قضية إسلامية وحضارية.

وفي هذا المقال - بمشيئة الله تعالى - نتناول مشكلة الأمية في مصر من حيث الأسباب والأبعاد فإذا حاولنا تحديد أسباب هذه المشكلة القومية لوجدنا أنفسنا نتحدث عن مجتمعنا ككل - كدولة نامية - والذي يختلف بالضرورة عن وضع الدول المتقدمة، حيث التقدم الصناعي والنمو الكبير في الاستثمارات والمدخرات والتقدم التكنولوجي، فضلا عن الرخاء والتعاون الاقتصادي بين هذه الدول، وما ترتب على كل ذلك من فتح ميادين وآفاق جديدة للعمل، بينما يختلف الوضع اختلافا بينا في الدول النامية، ولا يخفى علينا انعكاس ذلك على هذه المشكلة.

وسأحاول من جانبي وضع تصور متواضع لأهم أبعاد هذه المشكلة وما ينجم عنها أو يؤثر فيها من أسباب دينية أو اقتصادية أو سكانية أو استعمارية، بغية تشخيص الداء والسيطرة عليه.

أولاً : البعد الديني للأمية :

وقد سبقت الإشارة إلى أهمية فهم المنهج ودعوته إلى طلب العلم كفريضة مقدسة وهنا تبدأ أهمية نشر الوعي الإسلامي والتأكيد على رسالة الإسلام لإنقاذ البشرية جمعاء، وهي رسالة قائمة على منهج ثابت وشامل للحياة، ومن ثم ترجع أهميته في أنه يصبغ جميع تصرفات المسلم بما يعود عليه وعلى مجتمعه بالنماء والتقدم، بدءاً من « التعليم الأساسي » إلى استيعاب الحضارة الحديثة، والإضافة عليها بالتفكير والشامل، واستخدام العقل وفق ما يدعوه إليه القرآن الكريم وتحث عليه السنة النبوية.

ثانياً : البُعد الاقتصادي للأمية :

وأقصد بهذا البعد ضعف المستوى المعيشي للأفراد، أو هبوط الدخل السنوي، وهو المعيار الذي

(*) مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة.

تأخذ به الأمم المتحدة كمعيار للحكم على تقدم المجتمع أو تخلفه، وهذا البعد وما يترتب عليه من الجوع والمرض والبطالة، نتيجة قلة الدخل والعمل، وتضخم الأسعار وقلة الموارد، يجعل التعليم في ذيل قائمة الأولويات المطروحة لدى محدودي الدخل.

ويذهب الكاتب الفرنسي « جاك أوستروى » إلى أن : النظم الاقتصادية السائدة في العالم اليوم لم يثبت صلاحها؛ لأنها كانت سببا لويلات الإنسانية بسبب فقدانها الجانب الأخلاقي والروحي.

أما النظام الإسلامي فإنه يقدم الحل الأمثل للمشاكل الاقتصادية، لأن الإسلام هو نظام الحياة التطبيقية والأخلاق المثالية الرفيعة معا، وهاتان الوجهتان مترابطتان لا تنفصلان أبدا، ومن هنا يمكن القول : إن المسلمين لا يقبلون اقتصاداً علمانياً، والاقتصاد الذي يستمد قوته من وحي القرآن يصبح بالضرورة اقتصاداً أخلاقيا.(٢٠)

ومن ثم يمكن للمفكرين علاج المشكلات الاقتصادية، وعلى رأسها مشكلة الفقر وانخفاض الانتاجية، وقلة الموارد، وتقاعس الأفراد عن العمل، وغيرها من منظور إسلامي.

ثالثاً: البُعد السكاني للأمية :

وكذلك يقف الدخل المنخفض لكثير من أفراد الشعب حجر عثرة في وجه توفير السكن في البلاد النامية، حيث يقل متوسط الدخل إلى الحد الذي يجعلهم يؤثرون المأكل، لأن دخولهم يستغرقها المأكل ولا تتسع لبناء مساكن لائقة لأسرهم.

ولعل ما يزيد الأمر سوءاً أن تردى الأوضاع السكنية مستمر، بل متزايد نظرا للدخول المنخفضة، وهناك أكثر من نصف سكان العالم في أمريكا اللاتينية وأفريقية وآسيا أو أقطار العالم الثالث - أكثر من مليون من البشر - أغلبهم بلا مأوى، وبعضهم يعيش في مساكن وصفتها بعثات الأمم المتحدة بأنها تشكل خطرا كبيرا على الصحة، وتعتبر طعنة وإهانة لكرامة الإنسان(٢١).

ولعل النتيجة المنطقية لذلك الانفجار السكاني انتشار الأمية والجهل وتفشى البطالة والأمراض والأحقاد وارتفاع نسبة الطلاق، وغير ذلك من السلبيات التي تلمس خطرها، ومن ثم يتعين سرعة تفادى مشكلاتها ودراسة حلولها على المستوى المحلى والقومى والعالمى.

رابعاً: البعد الاستعمارى للأمية :

ولنا أن نتساءل ونحن نعالج هذه الجزئية ..

لماذا تظل شعوب الدول النامية على حالها بعيدة عن أحداث النهضة الصناعية، وتبقى في عزلتها دون أن تهب عليها رياح التقدم أو التغيير؟؟

يرى الدكتور إبراهيم إمام : أن الاستعمار العالمى قد ساعد - في معظم الأحوال - على تأخر هذه البلاد النامية حتى تظل حقولا للمواد الخام الرخيصة، وأسواقا شاسعة لمنتجات الدول الاستعمارية المتقدمة صناعيا(٢٢).

كما ينص الدكتور محمد سيد محمد على أن : الاستعمار قد عمد إلى خلق ظروف

---

(٢٠) جاك أوستروى : التنمية الاقتصادية في الإسلام، ص١٤، نقلا عن د.إبراهيم إمام : أصول الإعلام الإسلامي ـ دار الفكر العربي ـ ص٢١٣.

(٢١) مجلة العربي : العدد ٢٠٦ (١٩٧٦) مقاله عن «أزمة الإسكان أكثر الأزمات تعقيدا في عالم اليوم» د.محمد على الفرا ـ ص١٨ ـ بتصرف.

(٢٢) الإعلام والاتصال بالجماهير ـ مكتبة الأنجلو ـ (١٩٧٥) ص٢٧٦.

اجتماعية متخلفة في البلدان التي استعمرها، وأنه لم يطور البيئة الجغرافية في المستعمرات إلا بالقدر الذي يخدم مصالحه المباشرة فقط[٢٣]، وهو هنا يفسر ظاهرة التخلف بالظروف الاستعمارية، ولا شك في صحة هذه الرؤية، فعلى الرغم من استقلال الدول النامية، إلا أن المشاكل التي خلفها الاستعمار فيها من الجهل والمرض والفقر والبطالة وقلة الموارد والاستثمارات، لا زالت تنعكس على واقع هذه البلاد بتأخر النمو اقتصاديا واجتماعيا.

وأخيرا.. فإني أعتقد أن هذه هي أهم أبعاد هذه الظاهرة، وهي كما يبدو شديدة الارتباط ببعضها لا تستوعبها إلا خطة قومية، ولا يستطيع أحد أن ينكر ما بذلته المؤسسات والهيئات المعنية - المحلية والعالمية - في سبيل القضاء على هذه الظاهرة منذ أن تعمت ... بالاستقلال في يوليو (١٩٥٢) حتى يومنا هذا، إلا أنه لابد من تضافر القوى والجهود والتحلي بطول النفس إلى أن يتم القضاء على هذه الوصمة قضاءً مبرماً.

علاقة الأمية بالتنمية الشاملة

يعني مفهوم التنمية الشاملة: «زيادة الإنتاج والخدمات باستخدام الأساليب العلمية الحديثة»، ولضمان القضاء على «الأمية» من المتيع لابد أن يكون «محوها» داخلا في إطار التنمية القومية الشاملة التي تجمع جوانب التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية جميعا، بحيث تكون فيما بينها نسيجا واحدا يشترك فيها جميع الناس على اختلاف فئاتهم، حتى يمكن تحقيق برامج التنمية في أقصر وقت، فمن الخطأ أن نظن إمكانية استجابة الأميين لخطط التنمية دون أن تمحى أميتهم وتنمى قدراتهم على التعامل بوعي وذكاء لخدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بما اكتسبوه من خبرات ومهارات ومفاهيم جديدة.

أما ماقبل ذلك التغيير - في العقلية الأمية - فإن الأمي سيظل جامدا في تفكيره، يرفض تعليم الأبناء، ويرفض نصائح المرشدين والخبراء في تحديث زراعته أو صناعته اعتمادا على ما ورثه عن آبائه وأجداده، بل إنه يرى في تغييره تهديدا لكيانه، ومن ثم لا يتجاوب مع أي خطة للتنمية إلا بالقدر الذي تسمح به معتقداته الراسخة وتقاليده البالية وخبراته الماضية، وتؤيده في ذلك جماعته التي ينتمي إليها، لأنها تعيش مثله داخل إطار جامد من التعاليم الموروثة والقيم الاجتماعية، وهكذا تذهب الأصوات الجديدة التي تنادي بالتغيير هباءً.

ولعل ما أريد أن أنص عليه هو ضرورة وضع هذه المشكلة - مشكلة محو الأمية - في حسبان خبراء التنمية القومية لضمان نجاح خططهم وأهدافهم، فالتنمية القومية وإن كانت تستهدف النهوض الاقتصادي والتطور الزراعي والتقدم الصناعي، فإن هذه الأهداف أو العناصر لن تكتمل إلا بمحو أمية الأميين، وزيادة وعيهم وخلق رغبة حقيقية - لديهم - في التغيير الاجتماعي.

فالشعب لابد أن يتعلم ويمحو أميته، والأمة لابد أن تتحضر وتغير اتجاهاتها القديمة وعاداتها

---

(٢٣) الإعلام والتنمية ـ دار الفكر العربي ـ (١٩٨٨) ص١١٣.

البالية، والدولة لابد وأن تخطط لنهضتها تخطيطاً علمياً وواقعياً بحيث تشارك الجماهير فى ذلك كله مشاركة إيجابية فعالة.[٢٤]

النموذج الأمثل للتنمية

وهنا يأتى دور الإعلام الإسلامى فى الدولة المسلمة، ليقوم بمسئوليته الإسلامية فى التنوير والتعبير والتوعية وإثارة الحماس والدفاع عن المنجزات الحضارية وتكثيل فئات الشعب وتوضيح الأهداف وتجسيمها وتنشئة الجماهير تنشئة دينية وسياسية واجتماعية تمكنها من تصور المستقبل والقيام بأدوارها فى مجتمع الغد بغية الإسراع بخطوات التنمية.

ونؤكد هنا على دور الإعلام الإسلامى - على وجه التحديد - لأنه إعلام متكامل له فلسفته ورغباته وأصوله الإلهية التى ينطلق منها ويحكم بها «الوسيلة» بمثله الذاتية التى تقوم على الحق لذات الحق، والخير والجمال والعدل ابتغاء مرضاة الله -عز وجل- بل إنه يأتى تثبيتاً لكل القيم التى تشكل التزام الإنسان المسلم إزاء الغايات العليا كما رسمها الإسلام[٢٥].

وبذلك يتسم نموذج التنمية الإسلامى عن غيره من النماذج الوضعية بالشمول فى جميع النواحى الإنسانية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتحكمه النظرة الأخلاقية قبل أن تحكمه النظرة المادية.. وأهم معوقات النموذج الإسلامى للتنمية إنه أخلاقى إنسانى[٢٦].

والواقع أن النظرية الإسلامية فى التنمية هى فى جملتها كنز مخبوء لم يكشف الباحثون أبعاده بعد، كما لم يطبق ما كشف منه فى مجتمعاتنا التطبيق الأمثل وفق مراد - الله عز وجل - بدليل تزايد الهوة اتساعاً بين البلدان الغنية والبلدان الفقيرة فى عالمنا الإسلامى، فضلاً عن مشكلات التخلف والمجاعة فى بلدان العالم الثالث.

ويرى الدكتور محمد سيد محمد. أن متوسط دخل الفرد السنوى فى (بنجلاديش) يبلغ لمائتين دولاراً، بينما يزيد فى (الخليج) عن ثمانية عشر ألف دولار، برغم ذلك فإن العالم الأسلامى ينتمى إلى العالم الثالث، لأن التنمية الإسلامية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لم تتحقق فى تلك البلدان البترولية بالقدر الذى يخرجها من إطار العالم الثالث[٢٧].

وعلى أية حال فإنه يتحتم على الإعلام - بكافة وسائله - أن يقوم بالتهيئة النفسية والاجتماعية لإتاحة الفرص المواتية لتطبيق النظام الإسلامى فى التنمية، وتشجيع التطبيقات المبتكرة لهذا النظام فى مجالات التعليم والإنتاج والتوزيع والتمويل وأعمال البنوك والزراعة والصناعة والتجارة والصحة، وغيرها من مجالات التنمية من أجل «البقاء» ثم «النماء» ثم «السبق».

دور الإعلام الإسلامى فى مكافحة الأمية

من المفاهيم الشهيرة عن الإعلام بصفة عامة أنه : «التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها

---

(٢٤) د.إبراهيم إمام : الاعلام والاتصال بالجماهير ط٢ (١٩٧٥) ـ مكتبة الأنجلو ـ ص٢٨٥.

(٢٥) مجلة الفيصل : السعودية ـ العدد العاشر ـ السنة الأولى «حول الإعلام الإسلامى» أحمد فراج ـ ص٧٩.

(٢٦) د.إبراهيم إمام : أصول الإعلام الإسلامى ـ دار الفكر العربى ـ ١٩٨٥ ـ ص٢١٣.

(٢٧) الإعلام والتنمية ـ ط ٤ ـ دار الفكر العربى ـ (١٩٨٨) ص ١٢٦.

واتجاهاتها» وقيل: «إنه تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب فى واقعة أو مشكلة».

وهذا المفهوم للإعلام بصفة عامة ينطبق على «الإعلام الإسلامى» غير أنه يلتزم بقيم الإسلام ومعاييره ومبادئه فيما يقدمه للناس من حقائق ومعلومات، ويخلو من المداهنة أو التحيز، أو التطويع واللعب بعقول الناس كما يتسم بالاستقلال والحرية ولا يعالج القضايا إلا من المنظور الإسلامى.

ولا شك أن الإعلام - بصفة عامة - بوسائله وأهدافه يستطيع أن يلعب دوراً فى تبنى برامج «محو الأمية» على أساس أنها قضية قومية يشارك فيها الإعلام المطبوع والمسموع والمرئى، والحملة من أجل «محو الأمية» فى وقت متزامن، ومن ثم لا يمكن أن تنحيه جانباً بعيداً عن دور الإعلام الإسلامى فى هذا الاتجاه، إنما يمكن أن تتضافر جهود الإعلام الإسلامى بوسائله المتميزة فى خدمة هذه القضية وتبنى حملتها على أنها قضية إسلامية، وبذلك تكتسب الحملة مساحة أوسع - نظراً لتعدد الوسائل وتباينها - وقاعدة أعرض من جماهير الوطن.

وسائل الإعلام الإسلامى فى خدمة محو الأمية:

١ - وسائل مطبوعة:

وتشتمل على الجرائد والمجلات والدوريات والكتب والنشرات التى تقوم بالإشراف عليها الأجهزة الإسلامية: كالأزهر ووزارة الأوقاف وإدارات الوعظ فيهما، والجمعيات الدينية المشهرة فى وزارة الشئون الاجتماعية، وكذلك الصفحات الدينية بالصحف القومية، اليومية أو الأسبوعية وما نهج نهجها من الصحف الحزبية، وما أكثر هذه الوسائل.

٢ - وسائل سمعية:

وتشمل إذاعة القرآن الكريم، والمساحات أو البرامج الدينية فى شتى الإذاعات الأخرى بجمهورية مصر العربية، كالبرنامج العام، وإذاعة صوت العرب، والشرق الأوسط، والشعب، وفلسطين، والإسكندرية.

٣ - وسائل سمعية وبصرية:

وهى تعتمد على حاستىْ البصر والسمع، أو التى تجمع بين الصوت والصورة، ويقصد بها البرامج الدينية فى التليفزيون المصرى بقنواته الخمسة.

٤ - وسائل شفوية:

وهى التى تعتمد على الاتصال الشخصى المواجهى الذى يقوم به العلماء والوعاظ والخطباء من خلال الندوات والمحاضرات وخطب الجمعة والدروس المستقلة.

فهذه وسائل دينية مختلفة تتمتع كل واحدة منها بقوة تأثير فى جمهور متباين، يمكن التنسيق معها وتزويدها بالمعلومات والوثائق والتقارير والبرامج التى تخدم «محو الأمية» والقضاء على أسبابها، كما يمكن تطويعها لخدمة الأهداف الإسلامية الأخرى فى ضوء الخطة الشاملة.

دور خطبة الجمعة فى محو الأمية

غير أن وسيلة المسجد - على وجه التحديد - يمكنها أن تلعب دوراً مؤثراً فى خدمة «الأمية» فى مصر، - لا سيما - إذا تم تهيئة الخطيب التهيئة اللازمة وألمّ بحجم المشكلة، فإنه يحدث تأثيراً مباشراً لدى المتلقين لخطبته، نظراً لما ترتبط به خطبة الجمعة من تقدير المسلمين واحترامهم.

فقد لعبت خطبة الجمعة دوراً كبيراً فى المسيرة الإسلامية الطويلة، ومن خلال هذا المنبر الإسلامى انتشر الإسلام فى ديار الإسلام وطرحت مفاهيم العقيدة وتعاليم الشريعة وسير الأنبياء الصالحين والمجاهدين.

من هنا يمكن تجنيد الخطباء فى قرى ونجوع ومدن مصر - بعد تزويدهم بالأهداف المرجوة من هذه الحملة - لبعث روح التعلم ومحو الأمية وخلق دوافع تحسين المستوى ونشر المعلومات الحديثة المتصلة بنهضة الأمة، وبذلك نكون قد وظفنا خطبة الجمعة التوظيف المطلوب لخدمة التنمية الإسلامية التى بدأت طلائعها تظهر فى مصرنا الحبيبة.

توصيات

- تنظيم حملة إعلامية عن هذه القضية تشارك فيها الصحف والإذاعة والتليفزيون لحث الهمم وتكتيل الجهود وتهيئة المناخ من أجل القضاء على هذه الظاهرة، انطلاقاً من الإيمان بأنها قضية قومية حضارية إسلامية.

- سدّ وزارة التربية والتعليم لمنابع الأمية باستيعاب جميع الأطفال الذين فى سن الإلزام، وهذا يستدعى التوسع فى بناء الدولة للمدارس.

- تغطية جميع البيئات ببرامج محو الأمية بما يتمشى مع ظروف أعمالهم وأوقاتهم، حتى لا تكون «النجوع والكفور» بمعزل عنها.

- الاهتمام فى التعليم الأساسى بتحفيظ ما تيسر من القرآن الكريم ولا غرابة فى ذلك، فقد ثبت أنه أقوى منهج فى وضوح التعابير وبه يتعلم الدارس «فى سن مبكرة» النطق الصحيح، والتدريب على كتابة ما حفظه، فمن أكبر الأخطاء إهمال القرآن واستبعاده من برامج محو الأمية.

- استنفار همم الأميين إلى التعلم بخلق الدوافع لديهم، بأن يكونوا مستنيرين، ويتابعوا أولادهم، ويجدوا فرصاً أفضل فى العمل، ويعتمدوا على أنفسهم، ويقرأوا الجرائد، ويراسلوا الأهل، والأقارب، ويكونوا مثل الآخرين... الخ.

- التوسع فى مراكز إعداد الكوادر القادرة على تحمل هذا العبء، مع الاستعانة بالمثقفين ورصد الحوافز المشجعة لهم من أجل الاستمرار فى العمل والدراسة، فالدافع الوطنى لا يكفى.

- دعوة العلماء والخطباء للإسهام فى هذه الحملة القومية الإسلامية بالتنسيق مع الأجهزة الدينية فى مصر، ولا سيما إدارات الدعوة والوعظ بالأزهر والأوقاف.

- قياس رأى عام مستمر لرد فعل البرنامج الإذاعى الخاص بمحو الأمية لتعديل أسلوبه إذا لزم الأمر، والسماح بإعادة إذاعته فى اليوم الواحد.

- محاولة إيجاد مساحة بالتليفزيون لخدمة هذا الاتجاه القومى.

- بحث إمكانية تحويل مراكز رعاية الأسرة المنتشرة فى ريف مصر إلى مراكز مسائية للتعليم الأساسى، ويمكن الاعتماد - بصفة أساسية - على المساجد المنتشرة فى المدن والقرى.

- ألا تقل عدد ساعات الدراسة فى التعليم الأساسى عن النسب المتفق عليها فى المدارس الابتدائية.

- عدم قبول الأمى فى أى وظيفة حرفية أو فنية أو عمالية إلا إذا كان حاصلاً على شهادة «محو الأمية» من أحد المراكز المعتمدة، وليس من أى مصلحة حكومية.

والله ولى التوفيق

الأدب السواحيلي في مواجهة التغريب

للأستاذ الدكتور / عبد الله نجيب محمد

لم يحدث فى تاريخ إفريقيا كلها، أن طرأ على القارة تغيرات وبالسرعة التى تمت بها، قلما طرأ عليها أثناء الفترة الواقعة بين عامى ١٨٨٠ و ١٩٣٥ وهى الفترة التى شهدت احتلال القارة بأسرها تقريباً على أيدى الدول الاستعمارية.

قبل هذا التاريخ كان قرابة ثمانين فى المائة من أفريقيا لايزال يحكمه ملوكها ورؤساء قبائلها فى إمبراطوريات وممالك ومجتمعات ووحدات سياسية مختلفة، ثم تمكنت أوروبا من قهر الإفريقيين وبدأ عهد الإمبريالية، والاحتكارات الرأسمالية، وانهزم الأفارقة جميعاً واستسلموا واحداً وراء الآخر

وبعقد مؤتمر برلين سنة ٨٤، ٨٥ تسارع السباق إلى الاستعمار وامتدت ذراع الاستعمار إلى أفريقيا بالسلب والنهب بشكل ليس له نظير فى تاريخ البشرية وعندما نتطرق إلى سجل الاستعمار فى المجال الاجتماعى نجد أن الغرب قد عمل على تقويض الأسس الروحية الإفريقية القديمة، ولم تفلح التقاليد الغربية فى حل مشكلات الأفارقة الروحية، ولم تقدم بديلاً معقولاً عن تقاليدهم وأعرافهم، يحميهم من الانحلال والتفسخ، بل كانت هى نفسها عاملا من عوامل التفسخ والأنانية والمادية.

وعمد الغرب - أيضاً - إلى تطبيق نظام التعليم الغربى، وكانت المناهج التى تدرس لاتلبى حاجات القارة؛ لأن مضمونها يتعارض تعارضاً جذرياً مع المعتقدات الدينية والمحللات والمحرمات فى أفريقيا، فهزت أركان المجتمعات الأفريقية، وملأت نفوس الناس بمشاعر الشك، والإحباط والافتقار إلى الأمن.

وكان الأثر الذى تركه على المجتمعات الأفريقية هذا النوع من التعليم، يتسم بالخلل، وساهم بقدر كبير فى اجتثاث صفوة اعتنقت الثقافة الأوروبية والحضارة الأوروبية

وازدرت الثقافة الأفريقية، وبما أن هذه الصفوة كانت تنتمى إلى الطبقات الثرية وتحتل أرفع المناصب أثناء الحقبة الاستعمارية فلقد استطاعت أن تؤثر تأثيراً بالغ الخطورة.

وقد روج نظام التعليم - أيضا - للغات الأوروبية، وقد ترتب على ذلك نتيجة يؤسف لها، فقد منعت بعض اللغات المحلية من أن تتطور وتصبح لغة عامة مشتركة لشعوبها.

وكانت هناك - أيضا - النزعة العرقية أو التفرقة العنصرية والدور الذى لعبته فى تاريخ العالم كله بما فى ذلك أفريقيا، وقد ظهر أثر هذه النزعة واضحاً فى معاملة الأوربيين المهينة للسكان السود فى القارة الأفريقية، ولكن هذه المعاملة السيئة ذاتها هى التى أدت إلى تعاطف الأفريقيين، وتمسكهم بفكرة الانتماء الأفريقى.

وعلى كل حال فإن قصة الاستيلاء على أفريقيا، ومحاولة طمس هويتها هى فى ذاتها ملحمة المقاومة البطولية عسكريا وثقافيا فى وجه قوى لا تقهر، ساندها المبشرون والمستكشفون والمغامرون من كل مكان.

قام الباحثون والدارسون والفنانون والأدباء وقام الروائيون والمسرحيون بجهود كبيرة، لإبراز شخصية أفريقيا المستقلة المتميزة، والاعتزاز بمقومات هذه الشخصية واتخذت هذه الجهود عدة أشكال ومظاهر لعل أبسطها وأوضحها فى الوقت نفسه الاتجاه المتزايد نحو الاعتماد على اللغات الوطنية، بدلاً من استخدام اللغات الأوربية كما كان عليه الحال أيام الحكم الاستعمارى.

بدأت هذه الجهود بجيل كامل كشف عن عمق التراث الأفريقى وتنوعه وثرائه، ولا يزال هؤلاء عاكفين - على دراسة ثقافتهم ومجتمعاتهم القبلية من وجهة نظر أفريقية خالصة من هؤلاء: الزعيم الكينى الشهير «جومو كينياتا» JOMO KENYATA الذى كتب فى العشرينيات كتابه المهم Facing Mount OF KenYa فى مواجهة جبل كينيا» وهؤلاء اتجهوا اتجاهاً قومياً يعلى من شأن الثقافة والتقاليد والقيم والسلوكيات والعلاقات الأفريقية الأصلية.

ثم بدأ بعد ذلك ظهور جيل يعبر عن التوتر والتمرد والعصيان الاجتماعى وكل التغيرات السريعة المتناقضة، وليس ثمة ما هو أخطر من التغيرات غير المحكومة وغير المقيدة يقول «على المزروعى»: إن الشىء الذى يجب تغييره هو ميلنا نحن للتغير [1].

وقد خضعت هذه الهوية التى ترتكز على أسس وركائز قوية من عناصر الشخصية لعوامل وتأثيرات خارجية أسهمت فى إعادة تشكيلها وصياغتها.

من أوائل من ساهموا فى الحركة الأدبية الشاعر والكاتب الشهير «شعبان روبرت» الذى بدأ حياته كاتباً صغيراً فى خدمة

(١) راجع: أحمد أبوزيد: أفريقيا ومشكلة البحث عن هوية. مقالة فى مجلة الفكر

الحكومة التنجانيقية تحت إمرة «جون الأن» الذى كتب عدداً من الروايات منها: KUSADIKIKA» ١٩٥١ ورواية عادل واخوته Adili na Nduguze ١٩٥٢ ورواية الوضع المثالى للفلاح Utu bore ١٩٦٨(٢) mkulima وسيرة حياته الشخصية MAISHA YANGU ١٩٦٦.

وهو إن لم تتضح فى رواياته بشكل مباشر «الحالة الأفريقية» إلا انها كانت إحدى المساهمات المهمة فى مجال الرواية السواحيلية وبها كثير من الرموز التى لاتخفى على عين الفاحص، وقد نظم كثيراً من القصائد الشعرية، تحدث فى بعضها عن الاوربيين، وملحمة تحرير تنزانيا مدافعاً عن لونه وعن اللغة السواحيلية (٣).

ويمكن ان نضيف إلى هؤلاء محاولات «جيمس نجوجى» وهو ابرز روائى فى شرق افريقيا، وكتب العديد من الروايات والمقالات باللغة الإنجليزية، فى الفترة ما بين ١٩٦٤ - ١٩٩٨ ومن أشهر رواياته: لاتبك ايها الطفل Weep not Child ١٩٦٤، والنهر الفاصل The river Between ١٩٦٧، وحبة القمح A grain of Wheat.

كل هذه الروايات ترجمت إلى اللغة السواحيلية، كما ان مضمونها شديد الشبة بمضامين الرواية فى غرب افريقيا، التى ساهمت فى الحركة الوطنية الزنجية، ويبدو انه كان متأثراً بزميله «عثمان سمبين» فهما يشتركان فى كثير من الآراء والتحليلات، ومن ذلك ما يراه نجوجى من ان الاستعمار بمدارسه وإرسالياته وشركاته هو السبب فى تخلف أفريقيا، وهو الذى أدى إلى ضعفها وارتباكها، وأنه لكى تعود أفريقيا إلى مكانتها وثقافتها الاصيلة، لابد من العمل الخلاق لإعادة التوازن الثقافى إلى البلاد.

واشهر الروائيين على الإطلاق هو: كيزيلاهابى الذى كتب باللغة السواحيلية، وله عدة روايات بداها برواية «روزا مستيكا» التى تصور التغيرات الثقافية والاجتماعية غير المحسوبة، وآثارها على الأفراد فى المجتمع، والتى أدت ببطلة الرواية «روزا» إلى الانتحار وهو رمز لما يمكن أن يحدثه التغيير من هلاك، اما الرواية الثانية فهى «رأس ماء» وقد عالج فيها مشكلة النخبة الحاكمة التى اجتثت من أصولها الثقافية الافريقية وحلت محل رجال الاستعمار فكانت بذلك طبقة سوداء مستبدة وظالمة كما كانت الطبقة الحاكمة الاستعمارية، كما عالج أيضا فشل النخبة المثقفة فى التواصل مع مجتمعها والاخذ بيده نحو الترقى والازدهار وبدلاً من ذلك وقعت هى نفسها فى الفساد، وتأثرت بما جلبه الاستعمار من موبقات وعادات سيئة

(٢) راجع: L.Harris Swahili Poetry

(٣) J.W.T. Allen : Utenzi Wa Vita wadachi, Kut amalaxi Mrima 1307 A.H Nairobi - Dar el Salam. Kambala 1971.

أدت بالبطل إلى الانتحار، لأنه لم يستطع أن يقدم شيئا لوطنه، كما عالج مشكلة الانتماء العقائدي.

أما المسرح فقد ظل بمصادره الشعبية وصورته الأفريقية الخالصة، وبصورته المتأثرة بالثقافة العربية الإسلامية في بعض المجتمعات قائماً إلى أن جاء الاستعمار إلى أفريقيا، فظهر ما يسمى «مسرح الإرساليات».

وفي مرحلة تالية بدأ بعض كتاب الإرساليات يؤلفون مسرحيات هزلية بهدف تشوية صورة الأفريقي السواحيلي المسلم وإظهاره بمظهر الجاهل الأمي، والحط من ثقافته وطريقة تفكيره، ومن هذه المسرحيات مسرحية: «الفلاحة والمرأة Mshamba WA Kioo» ومسرحية «الأغبياء» لمؤلفها «جون روجاندا» ومسرحية «المنافق» لمؤلفها الفرنسي «موليير».

بهذه المسرحيات وغيرها حاول الإرساليون الحط من قدر الثقافة الوطنية وهدم بنائها كي يتمكنوا من بث ثقافتهم الجديدة، وقد نجحوا في خلق وضع جديد يتسم بالقلق والشك والحيرة حول كل ما هو أصيل، ماترتب عليه مشكلات عديدة. مازالت آثارها قائمة حتى اليوم.

وكان ظهور عدد من المسرحيات التي كتبها الإرساليون، بهدف تشويه الثقافة الأفريقية الخالصة والأفريقية السواحيلية الإسلامية على حد سواء سبباً في رد فعل من جانب المواطنين الذين حاولوا الوقوف ضد أهداف الارساليين والمستعمرين.

وكان رد الفعل من جانب الوطنيين هو إنشاء مسرح أفريقي وطني وظهور ماسمي «رابطة المسرح الطليعي Youth D.Association» الذي استعان باللغة السواحيلية إلى جانب الإنجليزية في عروضها المسرحية الأولى، ثم اكتفت آخر الأمر باللغة السواحيلية سواء في الكتابة المسرحية أو التمثيل.

وفي بعض مناطق من «تنزانيا» بدأ نوع من الدراما الشعبية يقوم به الباعة الجائلون في المدن، حيث كانوا يعرضون بضائعهم بطرق مسرحية يرتدون أثناءها جلابيب وخلاخيل ويعزفون على قيثارات، وينشدون أناشيد وطنية، ويحضون الناس على التماسك بتقاليدهم وأعرافهم، وكانوا يسخرون من الأوربيين في حركاتهم المسرحية وأغانيهم الشعبية.

وفي زنجبار، ومنذ القرن الحالي ـ تحولت الدراما الهزلية التي كان يقوم بها هؤلاء الباعة وأمثالهم إلى مسرحيات حقيقية، قام بها ممثلون معروفون، وقدموا عروضاً مسرحية بين الفصلات الغنائية لمشاهير الطرب مثل «سيتي بنت سعد» [٤] وغيرهم، وانتشرت هذه

---

(٤) راجع Mlama.P. 184

المسرحيات في طول البلاد وعرضها، وخاصة في مدينة «تانجا» و«دود وما» وانتقلت من جزيرة زنجبار إلى دار السلام والعاصمة التنزانية، ومعظم مدن تنزانيا.

وفي أوغندة ظهر الكاتب «موكاتاتي روجيندو» وآخرون وظهر في كينيا «روبرت سيروما وجون وجيندا» قد شغلا بالتحولات الاجتماعية ولاسيما المشكلات التي ترتبت على الانفصال العائلي والقبلي، اما «نجوجي واثينجو» فله دور بارز في تأصيل وتدعيم المسرح في شرق أفريقيا كلها، وله ست مسرحيات بدأها بـ«الناسك الأسود» The Black Hermit التي ألفها بالإنجليزية عام ١٩٦٢ للمسرح الأوغندي بمناسبة استقلال أوغندة، ثم ترجمها إلى السواحيلية تحت عنوان: Mtawa Mweusi وهي تدور حول الصراع بين العاطفة والواجب القبلي، والصراع بين مغريات المدنية والعودة إلى القرية لأداء الواجب تجاه الأسرة والقبيلة، وألف «نجوجي» مسرحيات أخرى كان مشغولاً فيها بموضوع الأرض والوطن والانتماء، وبعضها ينتمي لمرحلة الصدام مع الغرب وبعضها ينتمي إلى مرحلة التحولات الاجتماعية التي تلت ذلك (*)

لذلك نلاحظ أن المسرحيات السواحيلية في هذه الفترة كانت تدور حول إيقاظ الروح الأفريقية، وإحياء مشاعر الاعتزاز بالنفس والوطن والثقافة الوطنية، حيث اتخذت المسرحيات – في معظمها – موضوعات تدور حول الصدامات الأولى التي حدثت بين الشعوب السواحيلية وجيوش الغزاة الأوربيين، وكانت الشخصية الرئيسية في المسرحيات تنتمي ـ عادة ـ إلى الشعب وحكامه وزعمائه وأبطاله، الذين خاضوا الكفاح ضد المستعمرين العنصريين والمستغلين، وحاول الكتاب رسم صورة لماضيهم وتراثهم وتاريخهم بعد تخليصه من تشويهات المستعمر.

وكان هدف الكاتب عموماً هو إحياء الشعور بالانتماء الأفريقي والحفاظ على الهوية الأفريقية في مقابل سياسة التغريب التي تبناها الاستعمار، ونقد الأوروبي في صلفه واستغلاله والسخرية من هيئته ونفاقه وكذبه، وإظهار ما في ثقافته من سلبيات وعيوب ومآخذ.

(*) راجع: المرجع السابق.

خميلة الشعر

للأستاذ:
محمد عبد الوهاب

الشعر عمل فردى، يعتمد على الإبداع الذى يرتكز على أساسين:
أحدهما هو التقاليد الشعرية الراسخة، والثانى هو لغة الحياة المعاصرة.

وللكلمة فى الشعر المكانة الرفيعة، فمكانها ومضمونها يشكلان قيمتها الشعرية، وبذلك نرى استقلالية الشعر عن باقى فنون الأدب.

والصورة الشعرية هى جوهر فن الشعر وهى تصبح أشد حساسية وتأثيراً، كلما تعلقت بشعور جوهرى لدى المتلقى، فتثير خيالاته، وتدفعه إلى تصورات قد تصل إلى درجة كبيرة من التعقيد، إلا أنها ينبغى ألا تتعدى حدود ماهو ممكن الفهم والتخيل، وأن شيئاً من الرقة والدقة والذكاء، كفيل بأن يضمن القدرة على فهم تلك الصورة الشعرية، حتى تتيح للفكر أن ينطلق نحو آفاق من الحرية، والتمتع باستخدام الملكات التى لم يسبق للغة عادية كشفها من قبل.

هذا و«خميلة الشعر» فى هذا العدد من «مجلة الأزهر» الغراء، يسعدها تقديم باقة عبقة من أزاهير الشعر الفواحة بأريج الإيمان، والمندة بمعانى التقوى والصلاح، ونستهلها بقصيدة: «حقائق وأوهام» للشاعر الأزهرى الكبير فضيلة الشيخ محمد عبد الرحمن صان الدين، ونتبعها بقصيدة بعنوان: «المصطفى - ﷺ - فى مراقى السمو» للشاعر الأستاذ أحمد مصطفى حافظ.

ونختتم باقتنا اليوم بقصيدة: «مصر الأزهر» للشاعر الأستاذ محسن عبد المعطى محمد عبد ربه.

اللهم هيئ لنا الخير واهدنا سبل الصلاح، والله ولى التوفيق.

حقائـــق وأوهـــام

للشاعر / محمد عبدالرحمن صان الدين

أيمكن أن أكـون كـمـا أشـاء .. وتغـمـرنى الهناءة والرفـاءُ؟
وأرتع في رحـاب الأرض حـراً .. مـعافـا لايصـيب الجسم داء؟
وتأتينى الرغـائب دون جـهـد .. وترعـانى الخليـقـة والسـماء؟
أم التـفكير يغـرب فى خـيال .. ويحـمله على الوهم الخـواء؟
وأكـبـر دافع للمـرء وهم .. يعربد في المشاعـر واشتهاء؟
فـإن سـعادة الإنسان حلم .. يجـسـمه لعـينيه الغباء
فـتلك بهـذه الدنيـا مـحـال .. تقـاصـر عنه حـتى الأولياء

...

فـكـيـف بمن تـكـبلـه ذنوب .. وآثام، وفطنتـه عـمـاء؟
خلقت وفـيك يا ابن الطين ضـعف .. به تحـيـا تمجـد أوتسـاء
فتلك مـشـيـئـة الأقدار فـيـهـا .. نعـيش فلا مـحـيص ولا وقاء
إلى أن نغـتـدى في التـرب عظمـاً .. رمـيـمـا سوف يدركـه الفناء
وتبـقى الروح عند الله غـيـبـاً .. وسـرا دون مـشـهـده غطاء
وَضَـرُبك في الحـيـاة له حـدود .. بهـا للناس جـاء الأنبـيـاء
فـمن يلزم شـريعـة من براه .. فـأنى سار يغـمـره الصـفـاء
فـرابط عند حـدك بامـتـثـال .. وإلا فـيك يـسـتـشـرى الشقاء

...

وفي الدنيا طريق مستقيم .. وآخر فيه تيه والتواء
وربك قد هدى النجدين إما .. ضلال، أو رشاد واستواء
ومن يركن إلى الرحمن يبصر .. سبيل الرشد يغمره الضياء
فينجو في الحياة وبعد موت .. من الأهوال، والتقوى وقاء

***

تهيأ للحمام فسوف يأتي .. فما في هذه الدنيا بقاء
صراع كلها الدنيا وزوع .. فليس بها سلام أو رخاء
فكن فيها على سفر غريباً .. إلى أخراك يحدوك الرجاء
وخذ من عيشك الموقوت .. من الأعمال ليس بها رياء
فإن الفعل يحبطه التباهي .. فترحل فوق عاتقك الغثاء

***

تذكر من رأت عيناك ممن .. له حول وطول واحتماء
وغادر هذه الدنيا وحيداً .. فلا جاه يصاحب أو ثراء
وبذل الجهد للأرزاق حتم .. فلا دعة تثبط أو عياء
عرفت حقيقة الدنيا أخيراً فكل متاعها الغالي هباء
فكن فيها كما تهوى وتبغي .. فعند الله في الأخرى الجزاء
ويارب أغثني من ذنوبي .. وسامحني إذا حان اللقاء

***

بشعاعات من أنوار النبوة:

المصطفى ﷺ فى مراقى السمو

للشاعر: أحمد مصطفى حافظ

أى نور يشع فى الظلماء   أى مسك يضوع فى الأرجاء
برق الفجر بعد ليل عماء   فى دجى الجاهلية العمياء
ثم تاه الربيع فى خيلاء   وتبدى بحلة زهراء
منذ أن طاب بالأشذاء   يوم ميلاد.. خاتم الأنبياء

***

صار شهر الربيع فصل رواء   وازدهار.. بسائر الأنحاء
فازدهى الكون بالسنا الوضاء   من ثنايا المحجة البيضاء
كل عام يفيض بالآلاء   بجلال وروعة واحتفاء

***

بارك الله «عبده» باصطفاء   فتناءى عن حرمة الأهواء
وأتى الوحى فى رحاب حراء   فدعا الناس صوب خير اهتداء
آمن البعض.. وارتضوا بالفداء   وتمنوا منازل الشهداء
جاءه النصر قال للأعداء: لاتراعوا.. وكلكم طلقائى

***

رب ذكرى مآلها لانطفاء   غير ذكرى.. لقمة العلياء
بين كر العصور والأنواء   تتجلى على مدى الآناء
وستبقى.. كواحة فيحاء   فى هجير الأيام والبرحاء
بربَاها.. يقر أهل العناء   فجلاد الرسول خير عزاء
قل لمن حاد عن ذرى شماء   ينشد الرأى فى وهاد خُواء
بدعاوى تحضر وارتقاء: قد تقدمت خطوة.. للوراء!
ليس قصد السبيل بالغلواء   بل بنبع الشريعة السمحاء
بارتواء، وفطنة، وامتلاء   واقتداء.. بالسنة الغراء

مصر.. الأزهر

للأستاذ محسن عبدالمعطى محمد عبدربه

مصر في القلب على طول المدى ... زهرة، صامدة، فوق العدا

مصر، نادت يابني المخلصين ... جددوا مجدى، على طول السنين

مصر ياحسى، ونبضى فى الدنا ... ستنالين مفاتيح الهنا

مصر كم جاءك زحف الغاصبين ... فاكتوى بالنار جيش الظالمين

مصر، ياأمى، وياتبع الحنين ... قد روى الفل، وزهر الياسمين

***

مصر، ياأزهر عز، مجد ... رد، ياأماه، كيد المعتدى

مصر، يانورا، تجلى، فى الورى ... اصعدى، يامنيتى، فوق الذرى

مصر ياساحة خير العلماء ... تبعثين النور، من هدى السماء

مصر، والأزهر ظل السيدا ... ومعز الحق(*) أم المسجدا

مصر، ياربـاه، أيد مصرنا ... وعلى الأيام، سدد خطونا

***

مصر، ياأماه، هلا تذكرين ... شهداء النصر، بين الخالدين

مصر، ياجنة ربى، سجلى ... مجدهم، فى الانتصار الأمثل

مصر، داوينى، بفيض من حنان ... أنت، ياأماه، عنوان الأمان

مصر، إيماءاتها، بلسم جرحى ... مصر، فى الشدة، والبلواء، نجحى

(*) معز الحق: هو العالم الجليل الأستاذ الشيخ/ عبدالمعز عبدالحميد الجزار، الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية (سابقا) ورئيس تحرير مجلة الأزهر.

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الوحدة فى تعاليم الإسلام

لفضيلة الشيخ/ المنشاوى عبود الخولى

إعداد وتقديم الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد:

فقد وصف القرآن الكريم الأمة الإسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وبهذه التوجيهات السديدة رسم القرآن الكريم المنهج السلوكي للأمة لتنضوى تحت لوائه وحدتهم، وتقوى به رابطتهم.

ومن أهم مبادئ هذه الوحدة: الأخوة فى الدين، وهى أخوة جعلها الإسلام أعظم من أخوة النسب، فقد كان الولد المسلم فى السابق يقاتل أباه الكافر والعكس، وكان الابن ينتصف للحق وللإسلام من أبيه، ولقد كانت استجابة المسلمين لمبادئ الأخوة والوحدة استجابة رائعة، أصبحت مضرب المثل، واستحقت أن تسجل فى كتاب الله الخالد، فلم تكن الوحدة مجرد شعار يرفعه المسلمون أو شارة يعلقونها، وإنما الوحدة تسرى فى كيان المسلم وشعوره ووجدانه، فكرا فى القلب، وقولا باللسان، وصلة بالناس.

ويسجل كتاب الله ما يؤكد أن المسلمين دائما كانوا منطقيين مع مبادئهم فلا يقولون بلسانهم غير ما تخفى قلوبهم.

والوحدة الصادقة لا تقوم على الغش والخداع والمراوغة والنفاق، وإنما تقوم على الصراحة والوضوح والالتزام والإخلاص.

وقد أعلن الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - فى صراحة ووضوح أن الاتحاد دعامة الأمة التى ترتكز عليها قواعدها، ويجعلها رفيعة العماد مرهوبة السلطان، ودرعها الحصين الذى تعتصم به عند الخطوب، فتفيض الثقة والأمن فى ربوعها، والخوز والهلع فى أعدئها، وللمزيد من الإيضاح.

قال الكاتب - رحمه الله -:

من مظاهر التكريم الذى أسبغه الله على الإنسان، أن أودع فيه حباً ذاتيا لبنى نوعه، فجعله يحس بالحاجة الملحة إلى الإقامة فى كنفهم، وتبادل العون معهم. والاعتصام بحبل مودتهم، والإذعان بأن وجوده مرتبط بوجودهم، فلن يدور بخلده أن ينأى عنهم، ويحيا بعيدا عن محيطهم، لأنه يعتقد

أنهم عوامل بقائه، والعناصر المتممة لوجوده ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾[1]

وبوحى الفطرة يدرك أنه لبنة فى بناء المجتمع الذى يستظل بلوائه، ويجنى ثمراته، وأن هذا المجتمع لا تقوى دعائمه، ويحكم بناؤه إلا بتضافر القوى، وتآزر الأفراد وتماسكهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، لكن هذه الفطرة قد يعرض لها ما يفسد جوهرها، ويضعف سلطانها، فجاء الإسلام للفطرة حاميا ونصيرا، وعضدا وظهيرا، ولفت الأذهان إلى تلك المعانى القيمة المركوزة فيها، وأوصى بضرورة الاسترشاد بهديها، والاقتباس من نورها، وأخذ النفس بقانونها، وأعلن فى صراحة ووضوح، أن الاتحاد دعامة الأمة التى تركز عليها قواعدها، وتشد صروح عزها وباذخ مجدها، و عصبها الحساس الذى يشد أزرها ويجعلها رفيعة العماد مرهوبة السلطان، وروحها القوى الجبار الذى يبعث الحياة الماجدة فى عروقها، وينشر النهضة المباركة فى جميع آفاقها، ودرعها الحصين الذى تعتصم به عند الخطوب.

فلا عجب إذن أن تعنى الدولة بضم صفوف أبنائها أكثر من عنايتها بسلاحها ومعداتها الحربية، لأن السلاح لا يغنى فتيلا إذا كانت تحمله نفوس متناحرة متخاذلة، عندئذ لا يرهب العدو لها بأسا ولا يخاف بطشا، ويهون عليه أمرها، والأمة إذا هان أمرها على أعدائها كانت عرضة للزوال والانهيار. أنظر إلى تصوير القرآن الكريم لحال قوم وقفوا من المسلمين موقف المحاربة، وقد أفسدوا ذات بينهم، ومزقت الفرقة أواصر مودتهم ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾[2] ثم علل ذلك بقوله:

﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[3].

لهذا كله عنى الإسلام بالوحدة عناية فائقة فما ترك عاملا من عوامل الفرقة والانقسام إلا قضى عليه، ولا بابا من أبواب جمع الكلمة وتأليف القلوب إلا دعا إليه، ونوجز ذلك فيما يأتى:

(١) عمد إلى بدعة التفاخر بالأنساب والمباهاة بالأجناس فهتك حجابها، وبدد ظلامها وصراعها فى مهدها، وذكر فى نداء صريح جامع أن البشر جميعا أبناء أب واحد وأم واحدة، والكل إخوة متساوون فى الانتساب إليهما، فليس لأمة أن يداخلها الزهو بأصلها، أو تزعم أنها شعب الله المختار بعد أن يرن فى آذانها هذا الخطاب الرائع الوارد فى قوله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾[4] فجعلهم شعوبا وأمما، إنما هو وسيلة لتعارفهم وتوحيد أهدافهم لخير الإنسانية وهنائها.

يا من تنشدون السلام هذا هو الإسلام يحقق ضالتكم ويعطيكم ملء أيديكم من السلام، فهو يدعو إلى أخوة شاملة جامعة، لا تعرف التفرقة بين شعب وشعب، ولا بين أمة وأمة، ويجعل تبادل

---

(١) سورة الروم ٣٠.
(٢) سورة الحشر ١٤.
(٣) سورة الحشر ١٤.
(٤) سورة الحجرات ١٣.

الإحسان فيما بينهم وفاء بحق القرابة وصلة للأرحام، فخذوا عنه ولا تولوا وجوهكم شطر مدنيات الغرب فدولهم تتستر بالدعوة إلى السلام، وتخفي وراء ذلك روغان الثعالب وغدر الذئاب.

أرأيت أبلغ في الرد على فريتهم من فقد السلام بينهم وهم دعاته؟

ولقد عجزت إحدى تلك الدول عن التسوية في الحقوق والامتيازات بين رعاياها، ففرقت بين لون ولون، أين هذا مما يدعو إليه الإسلام من المساواة، وأعلنه نبي الإسلام من فوق منبر دولي عام في حجة الوداع فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ثم يفتح الإسلام ميدان التسابق في الفضائل، والتزود من المحامد التي منها توثيق أواصر المودة والتآخي بين الشعوب جميعاً فيقول ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[5]، ويقول عليه الصلاة والسلام ـ: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى».

(٢) أعلنه في صراحة وإيضاح أن الأديان كلها تنبع من معين واحد، وتلتقي في غاية واحدة وهي توحيد الله ـ تعالى ـ والإخلاص في عبادته، والإحسان في معاملة خلقه ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[6]

فلا يليق بعاقل بعد هذا أن يعكس القصد من الدين، ويجعله مادة للشقاق والنزاع الذي يزرع الأحقاد ويقطع الأرحام، إنه إن اقترف ذلك فقد مزق رداء الإسلام، وتقلص عنه ظله وفارقه برد اليقين ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[7]

(٣) ترفق بخصومه من أهل الأديان ودعاهم إلى التفاهم في جو مفعم بصفاء المودة، والإخلاص للحقيقة فطلب من الرسول الأكرم أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة معترف بها من الجميع، ليست خاصة بفريق، ولا تنسب إلى دين دون غيره، فإذا أثير في نفوسهم المتفق عليه لم يشق عليهم بعد ذلك الإذعان بالمختلف فيه ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[8].

وإنك لو صوبت النظر إلى أي حكم من أحكام الإسلام لوجدت الاتحاد ثمرته وغايته.

ففي العبادات شرع الله الصلاة، وحث على الحرص في أدائها بالجماعة، ليقف الكل على قدم المساواة، يقتدون بإمام واحد في صلاة واحدة متجهين إلى قبلة واحدة، مخلصين العبادة لإله واحد، عندئذ تجتمع القلوب في مناجاته، والضراعة إليه والثقة به والتوكل عليه.

ولتحقيق الوحدة في صورة باهرة دعا الإسلام إلى اجتماع أسبوعي في صلاة الجمعة، حيث يتضاعف العدد وتقوى أسباب الوئام.

---

(٥) سورة الحجرات ١٣.

(٦) سورة الشورى ١٣.

(٧) سورة الأنعام ١٥٩.

(٨) سورة آل عمران ٦٤.

وزيادة في تمكين الرابطة الإسلامية وإكسابها متانة وصلابة، شرع الدين اجتماعين حاشدين كل عام في صلاة العيدين.

لكن هذه الاجتماعات كلها قد تكون قاصرة على أهل البلد الواحد، فعمد الإسلام بشرعه للحج مؤتمراً عاما شاملا يجتمع فيه المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها، وقد تجاوب شعورهم وتوحدت أهدافهم، يؤدون عبادة واحدة، ويطوفون حول بيت واحد، ويجأرون بالتلبية لإله واحد مغتبطين بالاجتماع على طاعته، والاعتصام بحبل مودته، متسابقين في الشكر على جزيل فضله وعظيم توفيقه إذ أصبحوا بنعمته إخوانا.

وناهيك بمشروع الزكاة الذي هو خير نظام اجتماعي، يوثق أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء، ويجعل منهما أعوانا متناصرين بل إخوة متحابين، يكونون جبهة منيعة تسعى جاهدة في بناء مجد الأمة، وتصد عنها تيار النزعات الهدامة والمذاهب الجامحة.

ونظام العقود في الإسلام يحقق الوحدة في أروع صورها، لأنه قائم على التزام النصح والأمانة ومجانبة الكذب والتدليس والخيانة، حتى لقد حكم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بإخراج الفاسق من حظيرة الإسلام فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من غشنا فليس منا».

وأما العقوبات فقد شرعت زجرا للغاوين وردعا للمفسدين وقضاء على فكرة السوء التي تطوف بأذهان المفتونين، فتدفعهم إلى الاعتداء على الآمنين، والعدوان أقوى هادم لبناء الوحدة ومثير للبغضاء الحالقة للدين، فرهبة العقوبة تمنع من التوجه إلى اقتراف أسبابها، وبذلك يصان جوهر الوحدة ويتبادل الجميع الأمن والاحترام والمودة والوئام، و جعل الكل أمام قانون العقوبات سواء، لتجتمع كافة الناس على تقديسه وخشية سلطانه، لا فرق في ذلك بين شريف ووضيع وغني وفقير، ورئيس ومرءوس وسيد ومسود، كان ابن الأيهم أميرا على الشام وفي أثناء طوافه حول الكعبة داس أعرابي على طرف ردائه فلطمه جبلة، فشكاه الأعرابي إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فحكم عمر بالقصاص، وقال: لجبلة لابد أن تخضع للطمة مثلها من الأعرابي، فقال له: أتسوون بين الملوك والسوقة؟ فقال عمر: «الإسلام قد سوى بينكما». هل سمع الناس بمثل هذا التشريع في سموه وعدالته الخالدة التي تنتصف من الأمير لأحد رعيته؟

وهل أتاهم نبأ ذلك الدين القيم الذي يجعل شعار الخليفة الإسلامي «من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه» يعلن هذا أحد الخلفاء فيرد عليه أحد الخاضعين لحكمه قائلا: والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا. فيحمد الله - تعالى - أن جعل في الرعية من يقوم اعوجاج الخليفة بسيفه.

وهل علموا أروع من أن الإسلام يجيز لأحد أتباعه أن يقاضي الخليفة أمام قاض من قضاة المسلمين، فلا يبالي القاضي أن يحكم على من ولاه القضاء، إذا كان الحق في جانب خصمه، ولا يتهيب أن يرد شهادته إذا لم تتوفر لديه أسباب الأخذ بها، ذلك لأن نصرته للحق أحب لديه من

صلته بالخليفة، فنصرته للحق اعتصام بربه ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٩).

هذا هو الاتحاد الذى فهمه الرعيل الأول من المسلمين، وفتحوا له قلوبهم وسكنت جوارحهم، واتخذوه منهاجا عمليا، فى كل شئونهم، فظفروا بعون الله وإمداده وعزه وإسعاده، ونصرهم بالرعب، وشرفهم بالخلافة عنه، ومكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، وجعلهم للعالم أئمة مهتدين، وقادة موفقين، فملئوا الوجود حكمة ورشدا، وعدلا وفضلا، وتمت كلمة ربك الحسنى عليهم بما أصلحوا فسعدوا بتحقيق وعده الكريم الوارد فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴾(١٠).

لكن المسلمين فى هذه الأيام قد فرقت بينهم المطامع والأهواء، وسدت مسامعهم الشهوات وحجبت عنهم منافذ الهداية، فقطعوا صلتهم بأسلافهم الأمجاد، وصاروا شيعا متنافرة، وأحزابا متناحرة، فصاروا كثرة لا غناء فيها، وغثاء كغثاء السيل، فنزع الله هيبتهم من قلوب أعدائهم، وسلطهم عليهم فسلبوهم لذة الأمن، وساموهم الخسف والنكال، ووضعوا يدهم على موارد الثروة فى بلادهم، وتقضى أمورهم فى غيبتهم، ولا يستأذنون وهم شهود.

ولقد بلغ من انحلال المسلمين أن اتخذ الأعداء من بعضهم مطية ذلولا، يركبونها لتنفيذ أطماعهم الجامحة، وأغراضهم الآثمة، وهذا الصنف من الخونة المجرمين شر ما تبتلى به الأمم، لأنهم أشد فتكا بأمتهم، وأسرع فى القضاء عليها من عدوها السافر، فهم بالنسبة لها كالنار فى الوقود، لا تدعه حتى تجعله هشيما تذروه الرياح.

أيها المسلمون: إذا كان الأسى قد أذاب نفوسكم حسرة وكمداً لهوان أمركم على أعدائكم، وهاجكم الشوق إلى أن تنعموا بما نعم به أسلافكم من عزة الملوك وطهارة الملائكة، فاعلموا أن محاولتكم لإرجاع حقوقكم المغصوبة، مع تمزيق وحدتكم صيحة فى واد، ونفخة فى رماد، لا يرفع العدو رأساً، ولا يقيم وزناً.

صوت الشعوب من الزئير مجمّعاً
فإذا تفرق كان بعض نباح

ولا عاصم اليوم من هذه الذلة والصغار إلا أن تجمعوا شملكم، وترأبوا صدعكم، وتقفوا أمام عدوكم جبهة متماسكة، لا تذهب الأهواء ريحها، ولا تلين قناتها، وليس هذا الدواء بعيداً عن أيديكم، بل هو ماثل فى دينكم الذى يظلكم لواؤه، فأصلحوا ذات بينكم، وضموا صفوفكم، وضاعفوا جهودكم، ولا تيأسوا من روح الله، فإنه قادر على إحياء الأرض بعد موتها، والقادر على ذلك قادر على إقالة الأمم من عثرتها، وإعزازها بعد ذلها، وإمدادها بعد التخلى عنها، وإعطائها بعد سلبها، فأشعلوا جذوة الإيمان، وألهبوا الحماس لسعى مجيد، وعمل رشيد، والله معكم، ولن يتركم أعمالكم.

---

(٩) سورة آل عمران ١٠١.   (١٠) سورة الأنبياء ١٠٥.

تحت الجليد

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

يظن البعض أن الجليد ما هو إلا ثلج متجمد لا مياه فيه، ولربما انحصرت أهميته عندهم فى كونه مصدرا للماء العذب فقط، والحقيقة العلمية خلاف ذلك تماما إذ كلما حل فصل الربيع أخذت كتلة ضخمة من الجليد يبلغ حجمها حجم الولايات المتحدة مرتين أخذت فى الذوبان بعد أن تكونت حول القارة القطبية ويداخل تلك الكتلة من أنواع الحياة كل ما هو مثير ومحير، ولا يملك الإنسان أمامه إلا أن يهتف من أعماقه: سبحان الله! فهذه الطبقة من الماء النقى المتجمد التى يبلغ سمكها آلاف الأقدام تغطى القارة القطبية كلها وهذا هو الثلج المألوف لدينا جميعا الذى نعرفه على هيئة جبال جليدية ضخمة تنشأ من أنهار القارة القطبية، لكن فى وسط محيط القارة يوجد نوع آخر من الجليد تشكل من مياه المحيط المالحة.

ففى أشهر صيف القارة القطبية - وهى أشهر الشتاء عندنا - لا يوجد سوى ١,١ مليون ميل مربع من ذلك الثلج، لكن فى شهر مارس حينما تنخفض الحرارة فى تلك القارة إلى ٤٠ درجة تحت الصفر يبدأ جبل الجليد فى التنامى بمعدل يبلغ ٢٢ ميلا فى الدقيقة الواحدة، وفى نهاية شتاء القارة القطبية، وهو شتاء طويل يمتد ويدوم أكثر من نصف العام يكون الجليد المتكاثر قد تضخم ليصل حجمه إلى ٧,٧ مليون ميل مربع، وهو ضعف حجم امريكا بطبقة لا يزيد سمكها على ثلاثة أقدام لكنها تلف القارة بكاملها ويزخر هذا الجليد بأشد نظم البيئة غرابة على كوكب الأرض.

وقصة هذا الكشف العلمى الرهيب تعود إلى عقد من الزمان لا غير حين اعتقد معظم علماء الأحياء أن الجليد الناتج عن شتاء القارة القطبية الطويل ما هو إلا غطاء ثلجى أحادى التركيب عديم الفائدة خال من الحياة، بل إنهم قالوا: إن كل الكائنات الحية الدقيقة تقوم بعملية بيات شتوى وتنتقل إلى أجواء ذات مناخات دافئة حيث لا تستطيع تحمل ذلك البرد القارس خصوصا عندما تغيب الشمس بأشعتها المليئة بالحياة عن القارة التى يلفها عندئذ ظلام دامس، وليل داج كئيب، حين تتجمد البحار، لكن فى شهر ١٩٨٦/٧ قامت كسارة الجليد الألمانية التى سميت «العانود

القطبى» وهى سفينة أطول قليلا من مساحة ملعب كرة قدم قامت بالإبحار فى ذلك الجليد الناشىء عن القارة القطبية فى بحر يسمى Weddell وغيرت النظرية السائدة التى كانت تؤكد خلو ذلك الجليد من كل أنواع الحياة، وقد كان على متن تلك السفينة التى يوحى اسمها بالأصرار والتصميم على كشف المستور جماعة من أحسن الخبراء معرفة بذلك النوع من الجليد فى العالم، وهم علماء توفرت لهم روح المغامرة والإقدام وهو أمر نادر الحدوث وكان القسم الذى انتقوه من الجليد القارى قد تم اختياره على أساس معلومات حصلوا عليها من مصدرين هما- الأول الانهيارات الجليدية التى تمت على حافة القارة القطبية المتجمدة والثانى حواف ذلك الجليد على وجه الخصوص وعندما قام علماء الأحياء باستكشاف النوع الأول من الجليد سنة ١٩٦٠ توقعوا أن يكتشفوا آثارا لسلسلة غذائية بسيطة متجمدة فى ثبات عميق كان من المعتقد تشكلها فى المحيط الجنوبى لكنهم وجدوا فى قاع تلك السلسلة ما يعرف باسم: Phy to Plank ton وهى نباتات صغيرة الحجم تطفو على السطح وتتغذى على مخلفات المحيطات ومن أشعة الشمس الذهبية وقد قامت كائنات المحيطات الدقيقة بالتهام تلك النباتات وازدرادها وهذه الكائنات تعرف باسم Krill، وهى بدورها كانت وجبة شهية مشبعة للطيور والثدييات وهذا هو معنى السلسلة الغذائية، لكن الباحثين لم يجدوا أبدا نباتات «بلانكتون» شبه ميتة أو هامدة خامدة لكنها كانت نباتات حية مفعمة بالحياة مترعة مزدهية تعج بالكائنات الحية الذاتية الحركة التى تنمو وتتكاثر وتتوالد بوفرة وغزارة أثارت دهشة العلماء وانبهارهم، وهذه النباتات تمتد فى بساط غزير الشعر سميك الجسم فى عمق أغوار الجليد والطحالب كما يسمى البلانكتون أحيانا عندما يكون حبيس الجليد هذه الطحالب تتمكن من العيش فى درجات حرارة تصل إلى ٤° تحت الصفر ويكفيها من الضوء بصيص لا يتجاوز أقل من ٠,٠٥٪ كما أنها تستحم فى ماء تعادل شدة ملوحته ثلاثة أضعاف ملوحة ماء البحر ويقول أحد علماء أحياء المحيطات كما جاء فى مجلة (Discover) «الكشف»: إن بمقدورنا استخراج المياه من قاع الجليد ويضيف أنه يوجد من ٢٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ ضعف من الكائنات التى تسكن الجليد فى نفس كمية المياه الموجودة تحت الجليد وتعيش البيكتريا إلى جانب الفيتوبلانكتوز وإضافة إلى تلك الكائنات البسيطة اكتشف الباحثون مجموعة متنوعة من المخلوقات البحرية والقشريات والأسماك وبدا بوضوح خطأ الفكرة التقليدية القائلة بوجود سلسلة غذائية بسيطة، وقد حدث ذلك عندما قامت سفينة لخفر السواحل الأمريكيين بالإبحار إلى عمق ١٥٠ ميلا فى داخل الحواف الجليدية وبدأت المغامرة فى الخريف، وانتهت فى الربيع وشوهد فى أثنائها طيور البحر وطيور البطريق وعجول البحر فى قطعان كبيرة كما رأى الغواصون البلانكتون ينتقل عبر قاع الجليد وتساءل العلماء إن كان ذلك الثراء ينتشر فى الجليد كله لا فى حوافه فحسب، وجلت السفينة الألمانية الغموض حيث اكتشفت

شرائط طويلة من الجليد السميك على شكل رقائق ممتدة تشبه مصابيح النيون وبدت تلك الشرائط كخرق رثة من الحرير الأسود، وسرعان ما تحولت إلى كرات جميلة الشكل أخذت العانود تتوغل وسط ملايين منها ويبلغ عرض كل كرة منها من ١ إلى ٢ قدم ثم بدت وكأنها أكوام مكدسة من أزهار السوسن والزنابق الشديدة النقاء الناصعة البياض والليلك الذى تغنى الأدباء والشعراء بجمالها وسحره، وبدا الجليد أمام المستكشفين كالصحارى الشاسعة التى لا نهاية لها ولا مدى لامتدادها، لكنها ليست صحارى جامدة وإنما تكتظ بالطرق والحارات التى تشبه أنهارا بها مزارع جليدية مسطحة مترامية الأطراف، وتمتاز تلك الأنهار بالدفء النسبى إذا ما قورن بما يعلوه من هواء يلف المكان بضباب كثيف، وواضح إذن أن الجليد هنا يعج بالحياة الصاخبة التى لا تهدأ لحظة إذ اكتشفت فيه الطحالب التى تعيش بين رقائق الجليد، ويشاركها فى حياتها الكثير والكثير من البكتيريا والفيروسات.

أما القاع فقد ازدحم بالبلانكتون الذى تعيش عليه وترعى فيه بلايين الكائنات مثل طائر النوء الذى يعبر الأنهار الجليدية جنبا إلى جنب مع طيور البطريق ببطونها اللؤلؤية الشكل وأجنحتها السود كما كانت الطيور فى الشتاء أسمن منها فى الصيف، وهكذا بدأت تتكشف أعماق الجليد السحيقة المليء بالغموض والغرائب كما اكتشفت أهم القواعد والأسرار التى أذهلت البيولوجيين عند التعامل مع الجليد، وأولى هذه القواعد هى حاجتهم الماسة إلى أن يتعاون معهم ويساندهم علماء الفيزياء وذلك لإدراك الكيفية التى تمكن الكائن الحى من العيش فى هذه الأغوار السحيقة، ولمعرفة ذلك فإن عليهم تتبع الطريقة التى تشكل بها الجليد من اللحظة التى شرع فيها فى اكتساح البحار فجليد القارة القطبية الجنوبية يختلف تماما عن جليد القطب الشمالى، ففى القطب الشمالى تحيط الأرض بالمحيطات التى توقف زحف المياه وتجعل الهواء أكثر استقرارا وقبولا، ومن ثم يصبح الثلج أقل ملوحة حيث يتسرب الملح إلى القاع، ولذا فإن الإسكيمو سكان هذه المناطق يعلمون أن الجليد الذى مر عليه ثلاثة أعوام يحوى جزءا فى الألف من الملح يمكن إذابته واستعماله كماء شرب أما فى القارة القطبية المتجمدة فإن المحيطات منسابة لا تعرقلها الأرض على خلاف سابقتها حيث تهب العواصف وتزمجر الرياح وتعوى، مما يجعل البحار تترجرج وتهتز حيث تنتقل وتنزاح طبقة سميكة من الماء الدافىء المالح على عمق ٣٠٠ قدم تحت السطح تنزاح إلى المحيط الجنوبى قادمة من المحيط الأطلسى وتمتزج بمياه القارة القطبية، وبعد عمليات معقدة تتكون منها كرات وأقراص تكون فى البداية رفيعة وأسفنجية وسرعان ما تسلك سبيل الأمواج ثم تصبح أشد سمكا وأصلب بناء فتتغلب على الأمواج ليصير الماء أكثر هدوءا.

أما لغز طحالب الجليد فقد تم كشفه سنة ١٩٩٢ عندما قامت جماعة من علماء الفيزياء والأحياء الروس والأمريكان بعمل معسكر جليدى طاف فى غرب بحر Weddell فى نهاية الصيف ونفذوا مهمة شديدة العسر تمثلت فى

مراقبة ثلاث مساحات من الجليد تبلغ كل منها ٢٠ مترا مربعا وبدلا مما توقعوه من موت موسمي لنظم البيئة بالقارة القطبية وجدوا الطحالب تنموا في الخريف وأوائل الشتاء وفسروا ذلك بتجمع رقائق الجليد التي كونت مدينة جليدية مليئة بالشوارع والمصاعد والجسور التي تربط مكامن ومأو بداخل تلك المدينة على شكل جيوب جليدية عديدة، وما أن يتجمد الماء حتى ينتقل الملح للقنوات حيث يصبح أكثر ملوحة وأشد كثافة مما يؤدي به إلى الترسب في قاع ترع الجليد ثم الانسياح إلى البحر لتحل مكانه مياه بحر أخف لكنها غنية بالمواد الغذائية، وتظل تنمو حتى تأخذ الشمس في المغيب شتاء فيتجمد كل شيء كما وجدوا - أيضا - أن البكتريا تكون نشيطة كما يقول العالم الألماني جيرهارد ديكمان الذي يضيف: عندما تخيلنا أن كل شيء قد توقف وأن الحياة أصابها الشل التام إذا بنا نرى أن البكتريا تفوق في نشاطها الطحالب وغيرها، ويؤكد العلماء أن جليد القارة القطبية لا يهدأ طيلة ٢٤ ساعة هي ليل شتاء القارة والسبب أن أماكن كثيرة تحصل على ثلاث أو أربع ساعات من أشعة الشمس يوميا أثناء ذلك الشتاء لكن معظم الكائنات الدقيقة تعد نفسها للجوع في ذلك الشتاء بل إن بعضها يأكل نفسه، ومن ثم يصبح بعد تحلله غذاء شهيا لملايين من طيور البطريق وعجول البحر وآلاف الحيتان والمتوفر من هذه الكائنات وفير غزير قدره العلماء بحوالي ١,٣٥ بليون طن وهو ما يساوي وزن سكان العالم من البشر خمس مرات، والآن ترى هل الطيور والثدييات تكون كالبدو الرحل أثناء الشتاء القطبي أم تكون لها أماكن تستقر بها؟

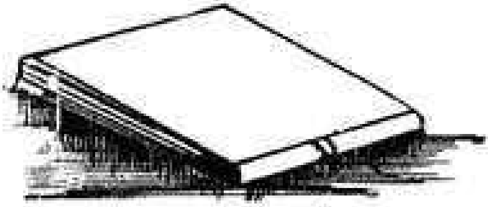
وسؤال آخر: إلى أي درجة تتنوع مناطق الجليد بالقارة القطبية من سنة إلى أخرى؟

وسؤال أهم هو: هل الحال كما هو الحال على وجه الأرض إذ تتوفر بها الواحات والصحاري وغابات السافانا التي تزخر بساكنيها؟

والإجابة على تلك الأسئلة وغيرها هي شغل العلماء الشاغل ثم يختتم البحث بحقيقة تقول: إن الماء الناتج عن ذوبان الجليد يحوي غباراً ظل مختزنا في الجليد ٦ أشهر كاملة ومصدره المحيط الذي حمله من سهول الصين ومصانع أمريكا وأوربا وهو غبار غني بالحديد الذي هو أهم مصادر الغذاء الصلبة لنباتات البلانكتون التي تعتبر أهم نباتات البحر فما أعظم مشيئة الخالق وباله من كون يموج بالأسرار والألغاز.

وبعد فلست أدري إن كان العالم الألماني ديكمان يجلي القضية أو يزيدها غموضا حيث يقول: لربما تكون الحياة في القارة القطبية الجنوبية عاملا غير سلبي يفيد منه الجليد فنحن معشر العلماء والكلام لايزال لديكمان نعتقد أن الحياة البيولوجية تغير شكل الجليد بدرجة كبيرة تؤثر على طريقة ذوبانه، وذلك بامتصاصه الضوء وإخراجه على شكل حرارة مما دفع بالعالم الألماني أن يغذي الحاسوب بمعلومات بيولوجية في نماذج فيزيائية للجليد الذائب ليتأكد من معلوماته التي قام بجمعها ثم يقول: لقد اعتاد علماء الفيزياء أن يعرفوا الجليد بقولهم: ما الجليد إلا الجليد ولا يهمنا تركيبه البيولوجي في قليل أو كثير، لكنهم مؤخرا بدءوا يتخلون عن هذه الفكرة الساذجة إذ يرى علماء الفيزياء أنه قد آن الأوان لأن يصغوا باهتمام إلى رأي علماء الأحياء في دراستهم للمحيطات والمياه والجليد بشكل عام.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

تفسير القرآن الكريم للأطفال

إعداد الشيخ
مجدى فتحى السيد

الناشر
دار الصحابة للتراث بطنطا

● عزيزى الطفل: أن مجلتنا الغراء، وبخاصة باب «دوحة الكتب» تبحث وتتجول فى كل مكان، لتجد الجديد والمفيد لكل القراء الأعزاء حتى تكون عند حسن ظنهم دائما.

● واليوم وعقب انتهاء العام الدراسى، وبداية الأجازة الصيفية كان همنا الشاغل هو الطفل المسلم كيف ومتى وأين يستفيد من هذه الأجازة؟

● وها أنتم رجال الغد وأمل المستقبل، يجب أن تكونوا هداة مهديين، ليسعد بكم المجتمع وعلى آبائكم أن يغرسوا فى نفوسكم روح الخشوع، والتقوى والعبودية لله رب العالمين، فإن للبيئة أثرا فى حياتكم.

● ولهذا نقدم لكم هذا التفسير الميسر المناسب مع عقولكم بأسلوب سهل مبسط، لا يستعصى على الفهم، فيحفر فى قلوبكم طريقا إلى الله، ويأخذ بأيديكم إلى نور الهدى والمعرفة، ويعصمكم من التيارات الهدامة، والأفكار المتطرفة، التى قد تعصف بكم ذات اليمين وذات الشمال.

● وهذا الكتاب الذى يحتوى على خمسة مجلدات فاخرة يضم بين طياته تفسيرا ميسرا لآيات القرآن الكريم، وقد ألف خصيصا ليناسب الناشئة المسلمة، وليملأ فراغا كبيرا فى المكتبة الإسلامية.

● وهذا التفسير سهل الصياغة فلا صعوبة فى ألفاظه، ولا وعورة فى تراكيبه، وإنما جاء أسلوبه مناسبا لمن ألف لهم، مراعيا قدرتهم الذهنية، وواقعا من إمكاناتهم اللغوية والتعبيرية، وعاملا على الارتقاء بمشاعرهم وأحاسيسهم فى تذوق معانى الألفاظ ومعانى الآيات الكريمة.

● فهو يضم توضيحا للألفاظ الصعبة لغويا، ثم الدقة فى اختيار ما قدم فيه من معلومات.

● أيضا حرص المؤلف على ألا يذكر فى هذا التفسير، إلا ما صح عن رسول الله ـ ﷺ ـ من الأحاديث ثم الابتعاد عن ذكر الخلافات حتى لا تزيد الأطفال حيرة وبعدا عن روح القرآن.


[٨]
تفسير القرآن الكريم للأطفال

● وقد ضم التفسير أشهر وأصدق المراجع العلمية والتفسيرية واللغوية.

● والمعد قد حرص فى هذا التفسير على مخاطبة الأطفال، وإفهامهم النص القرآنى بمقام يناسبهم على غير المألوف من كتب التفاسير الأخرى.

● أيضا قام بالفصل بين آيات القرآن وبين التفسير، إبرازا للقرآن، وتقديرا له.

● ثم قام ببيان معنى الكلمة التى يصعب فهمها على حدة.

● أيضا قام بوضع عنوان بارز لمضمون الآيات، التى تحتوى على معنى واحد، ثم الحرص على ذكر الأحاديث الصحيحة، والبعد عن التطويل والتعقيد والحشو الزائد من أجل إعطاء الأبناء الجرعة المناسبة لهم.

● يأخذ المعد بلب الطفل حينما يسرد التفسير على هيئة سؤال، ثم يتولى الإجابة

بنفسه، ثم كتابة التفسير بأسلوب علمي واضح.

● والكتاب يضم القرآن الكريم، الذي هو دستور المسلمين، فيه حكم ما بينهم ونبأ ما قبلهم، وخبر ما بعدهم، وهو القول الفصل، والنور المبين، والذكر الحكيم

● يقول الرسول - ﷺ - «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[1] وقراءة القرآن، تحببنا إلى الرحمن وإلى النبي -عليه الصلاة والسلام- وتنجينا من النيران، وتدخلنا الجنان وهو سبيلنا إلى الراحة والأمان، وعلامة الإيمان، ويطرد عنا الشيطان.

● أيها الطفل المسلم: القرآن نتعلم منه التوحيد، والحلال والحرام، وأخبار السابقين، والآداب الرفيعة، والأخلاق السامية، والحق والحقيقة، والعلم النافع، والبيان الكافي، ومن علوم القرآن التي ضمها هذا التفسير، توحيد الله -تعالى- التكاليف والأحكام، أخبار الأولين والآخرين، وقد ضم الكتاب عدة مجلدات ختمها بالفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم، والفهرس العام للتفسير والفهارس العلمية للكتاب، ثم أركان الإسلام، وفهرس قصص القرآن، وفهرس أمثال القرآن الكريم، ثم فهرس مكارم الأخلاق ومحاسنها، ومساوىء الأخلاق ومذمومها، ثم فهرس الإيمان، والمؤمنون وأحوالهم، والكفر والكفار وأحوالهم، ثم فهرس الشرك والمشركون وأحوالهم، والنفاق والمنافقون وأحوالهم، ثم الأحكام الشرعية وآيات الأحكام بحسب ترتيبها في السورة، ثم الجهاد في الإسلام وأحكامه، والمعجزات ودلائل النبوة، الساعة وعلاماتها الكبرى، الإيمان بالجنة وصفة نعيمها، الإيمان بالنار وصفة عذابها الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، العمل وقيمته في القرآن، المحافظة على البيئة في القرآن ثم فهرس الموضوعات الإجمالي.

وهكذا أيها الطفل المسلم عشنا مع هذا التفسير المجمل والمفسر والواضح والمبين لكل ما يحتويه القرآن الكريم.

قضية اللفظ والمعنى

● أيها القارىء ما زلنا نبحث سويا عن قضايا وهموم لغة الضاد، من حيث التلفظ بها، وكتابتها أو المعاملة من خلالها، وقد طرحنا في أعداد سابقة الكثير والكثير عن هذه اللغة، التي نحارب من خلالها، ومهما كان الدفاع عنها فلن نوفيها حقها

● واليوم نطرح كتابا قيما، يهم العامة قبل الخاصة، في عروبتهم المتمثلة في هويتهم اللغوية، وهي قضية اللفظ والمعنى، فهي قضية شغل بها النقاد والعلماء والباحثون عن الحقيقة منذ بدأ الإنسان يتأمل لغته الأدبية

(1) حديث صحيح أخرجه البخاري ٦٠/٢٣٦، وأبو داوود ١٤٥٢، والترمذي ٢٩٠٩.

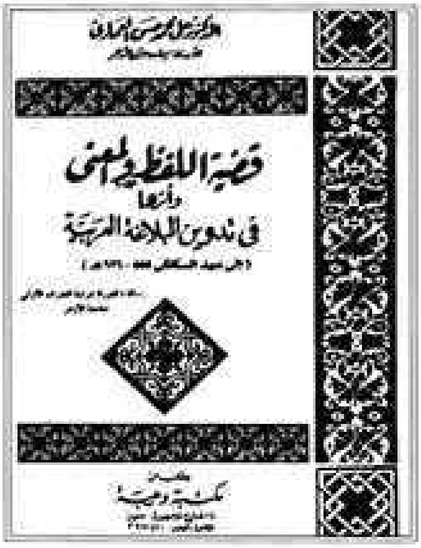
التى يعبر بها عن خوالجه النفسية وعن تأملاته فى الكون والحياة ليعرف سر الجمال فى هذه اللغة وموضع الروعة من أدبها

● لقد عاش الباحث فى هذه القضية أكثر من ثمانية قرون، منذ ظهرت تباشيرها فى أعماق العصر الجاهلى، إلى أن تلخصت نتائجها فى أوائل القرن السابع الهجرى، رغم أن الباحثين لم يتناولوا هذه القضية من الناحية التاريخية.

● واجتهد الباحث فى إبراز قضية اللفظ والمعنى، وما يتعلق بها منذ بدأ الجاحظ تدوينها فى أوائل القرن الثالث الهجرى إلى أن تلقف الرازى والسكاكى نتائج دراستها فى أواخر القرن السادس، وأوائل القرن السابع.

● شرح فى الفصل الأول صلة اللفظ بالمعنى حيث أشار المؤلف إلى الخلاف حول الكلمة المفردة واللفظ المركب بل حول اللغة ذاتها، فالإنسان مع ما أوتى من سعة المعرفة والرغبة الجامحة فى كشف الحقائق، ومع من يملك من الوسائل المادية والعقلية للوصول إلى كثير من مجاهل هذه الحياة، مع ذلك لايزال عاجزا عن معرفة التاريخ الأول للكلمة متى بدأت؟ وكيف بدأت؟

● ثم تحدث عنه بين اللغة والاصطلاح كاللفظ والمعنى، والأسلوب، والقالب،



والنظم والطبع والصنعة والجزالة والرقة.

● أما فى الباب الثانى فتحدث عن الأصول الأولى للقضية، كقضية الإعجاز، ثم الباب الثالث كمدرسة الجاحظ فى أصالة البلاغة العربية، وطرح قضية المفاضلة بين اللفظ والمعنى عند الجاحظ حيث قضى قضاء واضحا لا لبس فيه ولا غموض، وطرح -أيضا- قضية المعنى عند الجاحظ، ثم تحدث عن أصالة البلاغة العربية وتحدث عن ابن قتيبة الناقد

● ثم مذهب المبرد فى اللفظ والمعنى ورأيه فى الكلام الجيد.

وطرح الباحث -أيضا- عدة أبواب هامة منها: مدرسة البديع ومحاسن الكلام،

وصناعة الشعر والنثر، وأشار إلى باب مذاهب الإعجاز، كمذهب الأعجاز البياني، ومذهب الصرفه

● ثم مذهب عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١، كمذهبه في إعجاز القرآن، ومذهبه في اللفظ والمعنى والنظم البلاغية، ثم البلاغة التقريرية

● وأخيرا كان الباحث واضحا في هذه القضية، وقد طرحها في سهولة ويسر حتى يستطيع القارىء أن يتحقق منها وتناولها عبر ثمانية قرون من الزمن، من حيث نشأة العلوم وتطورها وفي تاريخ قضاياها الكبرى، وتعرض الباحث لمسألة الفصل بين اللفظ والمعنى في النفس الإنسانية حيث انتهى إلى أن المعنى يصحبه اللفظ إذا وصل إلى منطق الفكر

● وعرض قضايا كلية وجزئية هامة.

● وهكذا كان هذا البحث فيه الكثير والكثير من القضايا البلاغية واللفظية في اللغة بحيث تصاحب المعنى اللغوى، وتصل إلى المبدع في هذا القضايا المتصلة بعضها ببعض.

وبالله التوفيق.

الخصخصة آفاقها وأبعادها

● عزيزي القارىء هذه هي المرة الأولى التي نطرح من خلالها موضوعا اقتصاديا هاما مطروحا بشكل موسع على الساحة العالمية والمحلية لأنه يحاول أن ينمي ويدعم الاقتصاد، وهذا موضوع جديد في أسلوبه الذي يتيح لكل باحث فرصة كافية كي يناقش الآخر بهدوء وموضوعية وكسر الحواجز بين التيارات الفكرية.

● ولقد عانت تجارب التنمية العربية جميعها من عدة عوامل، جعلت اقتصاديات الدول العربية عاجزة أمام التحولات غير المواتية من الاقتصاد العالمي، وأصبح مطلوبا إعادة تقويم المسيرة السابقة والقيام بإصلاحات شاملة للخروج من الأزمة والانطلاق في تنمية اقتصادية اجتماعية شاملة.

● هل الخصخصة هي الحل لكي نحقق الازدهار الاقتصادى والاجتماعى

● وما هي الخصخصة أصلا؟ وما المكاسب التي يمكن أن نحققها؟ وما العواقب التي يمكن أن يتركها تطبيقها.

● كيف ينظر المفكرون الاقتصاديون والاجتماعيون للخصخصة؟

هذه بعض التساؤلات وهناك الكثير غيرها يطرحها هذا الموضوع الكبير

● في هذا الكتاب: يحاول المؤلفان- وهما من الخبراء الاقتصاديين في هذا الموضوع- أن يبرزا بأسلوب علمي وموضوعي- قل نظيره- الزوايا المتعددة للخصخصة

● طرح المؤلف موقف الاقتصاديين العرب وأيضا مأساة الفكر الاقتصادي العربي ثم إمكانات القطاع الخاص

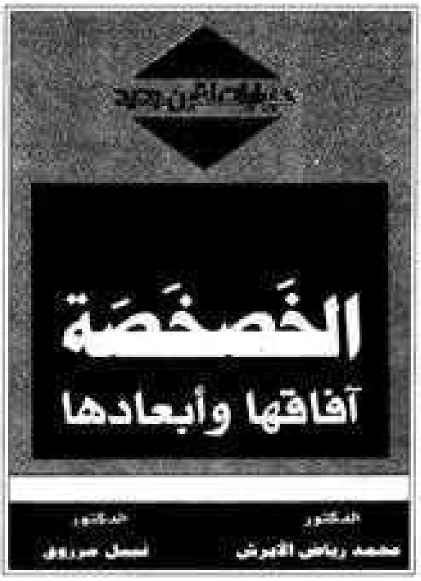
● والاقتصاديون مختلفون على كل شيء بما في ذلك التعاريف الأساسية للمتغيرات الاقتصادية وهذا ينطبق على التخصيص -أيضا- فالتخصيص يعني لبعضهم مجرد اعادة ملكية القطاع العام إلى الأفراد حينما يعني عن طريق البيع

● وطرح المؤلف سؤالا: لماذا العودة إلى القطاع الخاص وذكر منها عدة أسباب سياسية، وإدارية واقتصادية، وضرورة الاستثمار، والتنمية، وضغوط المنظمات الدولية

● ثم تحدث عن الخصخصة في البلاد العربية

● وأشار الدكتور نبيل مرزوق إلى الخصخصة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، وتحدث عن الاستراتيجية والتخطيط، ثم الفساد البيروقراطي، وغياب المشاركة الديمقراطية

● ثم وضع النظرية الاقتصادية السائدة

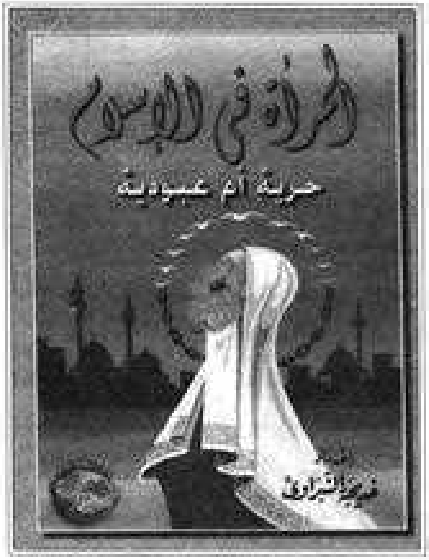


● ثم يتناول الكتاب التعقيبات على ضرورة الاستمرار في الاعتماد على الملكية العامة

● ثم تعقيب على مقالة د. محمد رياض الأبرش، حول مفهوم الاشتراكية وتجربه الدول الاشتراكية والقطاع الخاص وإمكاناته في ظروف الدول النامية، وحول مفهوم تمويل الأغنياء للفقراء، ثم التحولات في النظام الرأسمالي والعودة للقطاع الخاص ومفهوم التنمية وشروطها في الظروف الحالية من التطور الرأسمالي

● وهكذا عزيزي القارىء: طرح هذان المؤلفان رؤيتهما بصفتهما من واقع خبرتهما في الاقتصاد من حيث الحياة العلمية والمنهجية وأيضا من الناحية العالمية والمحلية ووجهات النظر والتطور الاقتصادي المقترح لمفهوم الخصخصة وتطبيقها.

المرأة فى الإسلام حرية أم عبودية



لم أر سيدة صادقة تعبر في إخلاص، كهذه المؤلفة، التي كتبت الكثير، والكثير من الأبحاث والمؤلفات الإسلامية؛ تدافع بعيداً عن الاختلافات الجنسية، والتعصب الأعمى بين المرأة والرجل، والمساواة الساذجة، التي يطالب بها البعض، فيقيمون المؤتمرات، ويعقدون الندوات، ويرفعون الشعارات للمطالبة بهذه المساواة.

● فترد هذه المؤلفة الصادقة قائلة: ترى في أي شيء بالضبط تريد المرأة مساواتها بالرجل؟ هل في الحقوق فقط؟ أم في الحقوق والتبعات الملقاة على عاتقه؟؟

وأتعجب بيني وبين نفسي - هذا على لسان المؤلفة - ؛ لأنه لو انكشف الغطاء واستضاءت البصائر بنور الله، لعرفت النساء أنهن يطالبن بما يشقيهن، ويبحثن عن متاعب، هن في غنى عنها، ولقنعت كل منهن بدورها الحقيقي في الحياة، لأنه أخف وطأة بكثير من الدور الذي فرضه الله على الرجال.

أهناك حرية أعظم من تلك الحرية المتدفقة من ينابيع الإسلام الفياضة؟ أهناك مساواة تحلم بها امرأة أكثر من المساواة التي حققتها لها شريعة الإسلام؟

● وتقول - أيضا -: على النساء اللاتي يتزعمن حركات تحرير المرأة والمنادة بمساواتها بالرجل، عليهن أن يحددن بالضبط المساواة بمن؟ هل بالرجال الذين لايعرفون الله ولايعرفون أعباء الرسالة الإسلامية؟ أم بالرجال الذين صدقوا الله فجاهدوا وانتشروا في ربوع الأرض يجاهدون بأموالهم وأنفسهم، ويتحملون أشد أنواع المخاطر لإعلاء كلمة الحق والعدل، وكل معاني الحياة السامية؟

فإن كانت المساواة بالنوع الأول فالعدل يقول: إن هؤلاء الرجال هم الذين يحق لهم المساواة بالمرأة المسلمة، وإن كانت المساواة من النوع الثاني فلتعرف النساء أنهم يطلبن ماهو فوق طاقتهن، ومن رحمة الله وعدله في شرعه، أنه لايكلف نفساً إلا وسعها، ولهذا فقد رحم الله المرأة، ولم يفرض عليها السعي في طلب الرزق، أو الجهاد في سبيل الله، أو صلوات الجماعة في المسجد كل فرض أو كل جمعة.

● في الفصل الأول تحدثت المؤلفة عن دور الإسلام في تحرير المرأة، وطرحت أهمية المرأة في الشريعة الإسلامية، وبزوغ حرية المرأة مع فجر الإسلام، ومكانة المرأة قبل ظهور الإسلام.

● وطرحت اتهامات الحاقدين على الإسلام، من حيث: انتقاص مكانة المرأة وأيضا دائرة المعارف البريطانية من حيث طرحها لوضع المرأة، في أثينا، وتدهوره لدرجة أنها أصبحت بمثابة أمة تلد الأولاد لسيدها. ثم طرحت وضع المرأة في الشرائع المسيحية واليهودية والصينية والإنجليزية، ثم تكريمها وتعزيزها من ناحية الدين الحنيف، الذي فضلها، ورفع مكانتها، وحررها من العبودية والمهانة.

● وطرحت المؤلفة قول «لورا فيشيا غليرى» في كتابها: (دفاع عن الإسلام)، ولكن إذا كانت المرأة قد بلغت من وجهة النظر الاجتماعية في أوروبا مكانة رفيعة، فإن مركزها - شرعيا على الأقل - كان حتى سنوات قليلة جداً - ولايزال في بعض البلدان - أقل استقلالا من المرأة المسلمة في العالم الإسلامي.

● تحدثت أيضا عن مدارج الشريعة في تحرير المرأة، وأشارت إلى الفرق بين الحرية المطلقة، والحرية الملتزمة، ثم حريتها في طلب العلم.

● وقدمت أيضا نماذج من حرية المرأة في التعبير عن رأيها واختيار شريك حياتها وتقرير مصيرها، ثم حريتها بعد زواجها، كحريتها في التصرف في ممتلكاتها، ثم في أداء عباداتها وحريتها في خدمة زوجها، ثم في تنظيم حملها، ورضاع طفلها، ثم استمرار حياتها الزوجية وإنهائها.

● أيضا حريتها في حضانة طفلها، وفي أحكام الزواج.

● أما في الفصل الرابع: «نظرة الإمام النورسي نحو المرأة» فقد جاء فيه: «أخذ الإسلام بيد المرأة، ليرتقي بها إلى عنان السماء، ويبعدها عن تطاحن الغوغاء، وينبهها بأنها مخلوق كله رقة وحنان خلقته العناية الآلهية؛ لإشاعة الرحمة والشفقة في النفوس البشرية، وأنها يوم أن تتخلى عن تلك الرسالة النبيلة؛ فإنها تشارك في تحطيم الإنسانية.

● عرضت أيضا منهج الإمام النورسي في تحرير المرأة.

● ثم تحدثت عن قضايا هامة في حياة المرأة: كالحجاب، وقضية تعدد الزوجات، وقضية عمل المرأة.

● وأخيرا الخاتمة التي تحدثت فيها المؤلفة لدعاة تحرير المرأة تحت دعاوى الحضارة الحديثة.

● ثم ردها عليهم بالحجة الدامغة، والقول البين، والأسلوب القوي، واللفظ المفيد.

● هكذا عزيزي القارئ، عشنا مع هذا الكتاب الذي يحتوي على كل معاني الصدق، والوفاء، والإخلاص في الكلمة لسيدة مسلمة، توجه كلمة حق لكل نساء المسلمين؛ لتحررهم من عبوديتهم وتنقلهم إلى الحرية الساطعة في الإسلام الحنيف.

● فعليك وعلى كل فتاة مسلمة بضم هذا الكتاب الى مكتبتك الإسلامية وقراءته جيداً؛ لتكون حجة على من انحرف عن الطريق المستقيم.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

زهور المستقبل

أسعدنا أن يكون ضمن بريد المجلة نسخة من مجلة «زهور المستقبل» التي يصدرها معهد أسوان الابتدائي النموذجي، ومصدر سعادتنا أنها صادرة عن معهد ابتدائي.

فالمجلة تذخر بأعمال الطلبة من رسوم ومعلومات توضح المستوى التعليمي الطيب لأبناء المعهد.

كما تضم المجلة بين دفتيها صوراً لبعض شهادات التقدير التي نالها بعض طلبة المعهد المتميزين، وهي توضح المستوى الطيب الذي بلغه أبناء المعهد على المستويين العلمي والرياضي.

والمجلة جيدة الإخراج، مناسبة من حيث المادة التي تتلاءم ومستوى التعليم الابتدائي.

هذا بالإضافة إلى عدد من الكلمات بأقلام الأساتذة والمشرفين على العملية التعليمية بالمعهد مثل: التعليم من أجل التميز للأستاذ يوسف الجبلاوي، ثم الطفل الأزهري للأستاذ أسامة مختار، قطرات من الهجرة للأستاذ بهاء حشمت.

بالإضافة إلى عدد من القصائد الشعرية ومقتطفات الصحف.

وقد أعجبتنا كلمة فضيلة الشيخ محمد عبدالعزيز وكيل أول منطقة أسوان الأزهرية حول الطفولة في الإسلام:

حيث ورد بها قوله:

(الطفولة هي المرحلة السنية الأولى للإنسان، وقد وضع الإسلام نظاماً كاملاً لمرحلة الطفولة حتي تؤتي ثمارها في المستقبل، وقد اهتم نبينا - ﷺ - بالطفولة فقال - ﷺ -:

«أحسنوا لأولادكم وأكرموهم وأحسنوا أسماءهم وأدبهم فإنهم هدية الله إليكم»

وقد وضع الرسول الكريم في حياته نماذج للتربية الإسلامية ضارباً المثل في العناية والرعاية بالأطفال.

فقد كان الحسن والحسين سبطا رسول الله - ﷺ - يلعبان معه وقد امتطيا ظهره في فناء البيت فدخل عليهم أحد الصحابة فقال لهما:

نعم الرحل رحلكما » أى نعم الركوبة ركوبتكما » فتبسم الرسول - ﷺ - وقال: نعم الراكبان هما.

ومثل آخر مع غلام له وبينهما طعام فإذا يد الغلام تطوف فى كل الإناء فيقول له - ﷺ - بأدب جميل معلماً كل أطفال الأمة الإسلامية: (يا غلام: سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك) وصورة أخرى لأم تنادى ولدها ذات يوم: يا بنى تعالى وخذ هذا. وهى تقبض يدها فسمعها الرسول - ﷺ - فقال لها: «ماذا تعطيه إذا أقبل عليك فقالت: سأعطيه تمرة فقال - ﷺ -: «إذا لم تعطه التمرة فقد كتبت عليك كذبة» إنه الصدق فى القول والصدق فى العمل ينميه الرسول - ﷺ - فى نفوس الآباء لأنهم موضع قدوة الأبناء فهذا هو واجب الآباء ومسئوليتهم تجاه أطفالهم.

نسأل الله أن يوفقنا جميعا بالاقتداء برسول الله وأنتم فى مرحلة الطفولة ستصيرون بعدها شبابا ترفعون راية الإسلام فى كل مكان بسلاح العلم واللغة فى ظل أزهركم الشريف خصوصا اللغات الأجنبية لتكونوا رسل الإسلام فى أقصى الدنيا وأدناها إن شاء الله).

وبعد، فإن أسرة تحرير مجلة الأزهر تتمنى لمجلة «زهور المستقبل» الدوام والتوفيق كما تتمنى أن ترى فى كل معهد من معاهد الأزهر الشريف مجلة تعكس مدى نشاط أبنائه وتفوقهم... وعلى الله قصد السبيل.

ميلاد النبى محمد ﷺ

من القارئ/ جمال محمود الطاهر - السيوف - الإسكندرية وردت هذه الرسالة احتفاء بميلاد النبى محمد - صلوات الله وسلامه عليه - يقول فيها:

كان ميلاد النبى محمد - ﷺ - ميلاداً للرحمة وتجسيداً للقيم الإسلامية العليا التى ذكرها الله - تعالى - فى القرآن الكريم، فكان النبى المصطفى - ﷺ - المثل الأعلى والأسمى الذى يطمح ويتوجه إليه جميع المؤمنين مصداقا يقول الحق - تبارك وتعالى:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾

الأحزاب/ ٢١

هذه القيم الإسلامية العليا هى التى أقام بها النبى - ﷺ - المدينة الفاضلة التى أسست وبنيت على أحكام الدين الإلهى المعجز وتعاليم النبى فجاءت فى واقعها وحقيقتها وكمالها أعظم وأفضل من تلك التى طالما تخيلها وتمناها الفلاسفة والشعراء، وبلغت بتشريعاتها وأحكامها الإلهية الغاية القصوى، فكانت هذه التشريعات والأحكام أعلى وأشمل من كل ما صاغه البشر.

هذه القيم الإسلامية العليا هى التى ربى بها النبى - ﷺ - أصحابه فكانوا ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾، تلك الأمة التى أقامت بقوة إيمانها والتأسى بنبيها - ﷺ - أكبر وأسمى حضارة إنسانية عرفها التاريخ الإنسانى كله، ألا وهى الحضارة الإسلامية التى أشرقت الدنيا بنور علومها وآدابها وفنونها.

فياليتنا وقد احتفلنا بالمولد النبوى الشريف أن نقتدى بنبينا - ﷺ - حتى يرزقنا الله الخلافة فى الأرض والتمكين فى الدين:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ النور: ٥٥.

اغتنام الوقت

ومن القارئ/ محمد عباس محمد عرابي وردت هذه الكلمة عن أهمية الوقت يقول فيها:

الوقتُ نعمةٌ عظمى، ومنحة كبرى يستفيد منها كل الفائدة الموفقون الأفذاذ، فقد روى البخاري والترمذي وابن ماجه، عن ابن عباس – رضي الله عنهما –، قال: قال رسول الله – ﷺ –: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وحثنا – ﷺ – على اغتنام الوقت، فقد روى أحمد عن عمر بن ميمون قال: قال رسول الله – ﷺ –: «اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك».

على الرغم من أن العمر الطويل ينقضي يوما بعد يوم، ويمضي مسرعا ولا يعود، تظنه مديدا طويلاً، مقيما، وحقيقته غير ذلك، قال الإمام أحمد بن حنبل –رضي الله عنه–: «ما شبّهْتُ الشباب إلا بشئ كان في كُمي فسقط» وقد عاش ٧٧ سنة. فالشباب وإن امتد يسير، والعمر وإن طال قصير، ورحم الله القائل:

أذانُ المرْءِ حين الطفلُ يأتي
وتأخيرُ الصلاة إلى المَمَات
دليلٌ أنّ محياهُ يسيرٌ
كما بين الأذانِ إلى الصلاة

وقال آخر:

وما بين ميلاد الفتى ووفاته
إذا نصحَ الأقوامُ أنفسهم عُمُرْ.
لأنَّ الذي يأتي شبيهُ الذي مضى
وما هُو إلا وقتُكَ الضيِّقُ النَّزْرُ.

وقد بين العلامة عبدالفتاح أبوغدة في كتابه القيم: «قيمة الزمن عند العلماء» أن الفائت من الزمان لا يعود أبداً، فأوصى قائلاً: «عليك أيها الأخ الفاضل، والذكي العاقل، أن تحفظ على نفسك: وقتك من أن يذهب هَدْراً وسُدى، فإن الزمان الذي تعيشُ فيه ظرف عابر ولا يتجددُ ولا يعود، وقد قيل:

ما مضى فاتَ والمؤمَّلُ غيبٌ
ولك الساعةُ التي أنت فيها.

فاحرصْ على كسب الزمن والانتفاع به بتنظيم نفسك وأعمالك وأوقاتك، متعلماً أو معلّما أو مؤلفا أو مُطالعاً أو مستمعاً أو قارئا تاليا أو عابدا زاكيا، ولا تكن ظالمَ نفسك في قتل الوقت، مبدِّداً لساعات حياتك ولحظاتِ وجودك! غابنا مغبوناً في عمرك!! تصبُو إلى الراحة والكسل، وتزهد في الفضائل والمقام الجلل.

الأمانة

القارئ/ محمد حسني حسين الشيخ – الكوم الأخضر: شبين الكوم – منوفية:

يقول في كلمته عن الأمانة:

«إنّ من يمعن النظر في آيات القرآن المجيد التي تحدثت عن الأمانة يجد أنها -أعني كلمة الأمانة- قد جمعت كل أوامر الشرع وتكاليفه، ولا عجب في ذلك فقد قال -تعالى- في سورة الأحزاب آية ٧٢ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

قال الإمام ابن كثير - طيب الله ثراه- بعد أن ذكر آراء العلماء في المراد بالأمانة: «وكل هذه الأقوال لا تنافي بينها بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف وقبول الأوامر والنواهي بشرطها، وهو أنه: إن قام بذلك أثيب وإن تركها عوقب» ا.هـ[1] ولذا أمر الله بالأمانة وتأديتها ونهى عن خيانة الأمانة.

ويمتد المفهوم الإسلامي للأمانة إلى ما هو أكبر من ذلك وأشمل حتى يسع كل جوارح الإنسان، فالعين أمانة لا ينظر بها الإنسان إلا إلى ما أحل الله ولا ينظر بها لمحرم.

واليد أمانة أمرنا أن نستخدمها في الخير ونكفها عن الشر.

والأذن أمانة لا تسمع لما إلا ما أحل الله وخيانتها التجسس والتسمع بها لا يحل، والرجل أمانة والفرج أمانة، واللسان أمانة ما أعظمها، قال عنها ربنا ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق ١٨.

والمال أمانة يُسأل عنه الإنسان أمام ربه، والعمر أمانة، والشباب أمانة والعلم أمانة. أخرج الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة قال - ﷺ - «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن علمه فيما فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه».

ومن خلال ذلك ندرك أهمية الأمانة كدعامة من الدعائم الأصيلة للحياة الآمنة التي إن زالت منها الأمانة فقد الأمن وفقدت الثقة ودب الشك والريبة في قلب الأمم وكياناتها وكان ذلك نذير شؤم وخراب على من انسلخ من الأمانة.

من روائع الحكم

وأرسل القارئ/ ربيع عبدالعظيم الخياط، من الشرقية هذه الطاقة من الحكم فيقول:

- من سار على نهج الصواب لا خوف عليه من الحساب.
- إذا كنت أهلاً للنضال فصارع الأمواج، وإذا آثرت السلام فالزم الشاطئ.
- تستطيع أن تسحق الزهرة تحت قدميك ولكن أنى لك أن تزيل عطرها.
- ذقت الطيبات فلم أجد أطيب من العافية.
- الذي يحصي عيوب الآخرين أمامك، تيقن أنه سيعلن عيوبك أمام الآخرين.

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه بمبنى مشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة فخامة السيد الرئيس / عبدالرحمن واحد رئيس جمهورية أندونيسيا الشقيقة والوفد المرافق وذلك فى ١٧ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ – ٢٠ / ٦ / ٢٠٠٠ حيث رحب فضيلة شيخ الأزهر الشريف بالضيف الكبير والوفد المرافق فى الأزهر الشريف معقل العلم والعلماء ودار الحديث حول توطيد العلاقات بين مصر وأزهرها الشريف، وبين دولة أندونيسيا الشقيقة فى جميع المجالات الاقتصادية والعلمية والتعليمية والثقافية.

وأوضح فضيلة الإمام الأكبر أن مصر وأزهرها الشريف تعتز بصداقتها منذ القدم بدولة أندونيسيا المسلمة الشقيقة، ونحن لا ندخر وسعا فى تقديم أى عون أو مساعدة فى كل النواحى لدولة أندونيسيا، وقال فخامة الرئيس: إنه حضر لزيارة مصر الشقيقة فى إطار اشتراك أندونيسيا فى مؤتمر القمة العاشر لدول المجموعة الخمسة عشر المنعقد فى مصر والذى يعمل على إتاحة نظام اقتصادى دولى يقوم على الديمقراطية والعدل والاهتمام بمصالح الدول النامية ومواجهة التحديات التى تواجه العالم حتى يكون أكثر تكاملا، والتأكيد على مواجهة التحديات التى تواجه الدول النامية، وأشار إلى أنها فرصة طيبة لزيارة مصر ولقاء السيد الرئيس محمد حسنى مبارك –رئيس الجمهورية–، ولقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وعلماء الأزهر الأفاضل وزيارة الأزهر، وقال: إنه يعتز بأنه تعلم فى الأزهر الشريف كما تعلم فيه رؤساء دول وسفراء وعلماء فى مناصب هامة فى دولة أندونيسيا ومنهم السيد: سفير أندونيسيا فى مصر، وإنه يكن للأزهر كل تقدير واعتزاز لأن طلاب أندونيسيا يدرسون فى الأزهر الشريف وهم أعداد كثيرة فى معاهده وجامعته العريقة، وقدم الشكر لمصر والأزهر الشريف على المنح

الدراسية التي تقدم لأبناء أندونيسيا، وأيضا للعلماء الذين يوفدهم الأزهر لأندونيسيا ليتعلم أبناء أندونيسيا في معاهد على غرار المعاهد الأزهرية في مصر، ويقوم العلماء والأساتذة بدور هام وكبير في نشر العلم النافع وإلقاء المحاضرات والدروس وخطبة الجمعة في مساجد أندونيسيا، لأن الأزهر الشريف تقوم دراسته على الاعتدال والوسطية والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي نهاية اللقاء أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن الأزهر الشريف في خدمة أبناء المسلمين جميعا في أي مكان من أرض الله وخاصة في دولة أندونيسيا المسلمة الشقيقة سواء حضروا إلى مصر للتعلم في الأزهر الشريف أو أرسل الأزهر علماءه الى المسلمين في بلادهم لتعليمهم أمور دينهم وتوضيح المفاهيم الإسلامية الصحيحة للدين الحنيف.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة والاستقبال ووجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة أندونيسيا لأن المسلمين في أندونيسيا يتطلعون لزيارة فضيلته، وقد وعد فضيلته بتلبية الدعوة في الوقت المناسب إن شاء الله - تعالى -.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر الشريف، والدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل المعاهد.

كما حضر مع السيد الرئيس وزير الخارجية الأندونيسي والسيد سفير أندونيسيا بالقاهرة وهم من خريجي الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١هـ ١٠/٦/٢٠٠٠م سماحة الدكتور / محمد رشيد قباني مفتي لبنان، وسعادة الأستاذ / هشام دمشقية سفير لبنان بالقاهرة، والوفد المرافق لهما.

رحب فضيلة الإمام بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف وقدم التهنئة لهم بعودة الجنوب اللبناني المحتل إلى لبنان داعيا المولى - عز وجل - أن تعود باقي الأراضي المحتلة كالجولان والضفة الغربية والأراضي الفلسطينية.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن الاستقبال موضحا بأن الساحة الآن ممهدة للمفاوضات السلمية لعودة باقي الأراضي المحتلة إلى الأرض الأم لبنان وتمنى أن تحذوا جميع الدول العربية والإسلامية حذو مصر ورئيسها / محمد حسني مبارك لزيارته للبنان وما كان لها من أثر عظيم وتحول تاريخي للعرب وبخاصة دولة لبنان.

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر، سماحة الشيخ / عكرمة صبري المفتي العام للقدس والديار الفلسطينية والوفد المرافق له، وأعرب فضيلة الإمام عن أن القدس إسلامية وستظل دائما إسلامية عربية، ونحن نرحب بإخواننا في فلسطين وعلى استعداد تام للتعاون معهم في كل المجالات.

شكر الضيف فضيلة الإمام على موقف مصر والأزهر الشريف من قضية القدس، وأن هذا عهد الأزهر دائما في القضايا الإسلامية، وقدم سماحة

المفتى وثيقة عهد القدس لفضيلة الإمام للتوقيع عليها والذى جاء فى مضمونها بأن أبناء الشعب الفلسطينى المترابط فى بيت المقدس يعاهدون الله -سبحانه وتعالى- أن يظلوا حملة لواء الرباط فى القدس وأن تظل القدس جوهرة عقيدتنا ورمز وحدتنا الوطنية وأن يكون هذا العهد عروتهم الوثقى فى التضحية والوحدة والعمل الجاد المستمر لزوال الاحتلال الإسرائيلى عن مدينة القدس وكافة الأراضى الفلسطينية وأن تظل لأصحابها ولأهلها الشرعيين ليعيشوا بأمن وأمان وبطمأنينة وسلام.

جاءت كلمات فضيلة الإمام على تلك الوثيقة: بأن الأزهر الشريف يعاهد الله - سبحانه وتعالى - أن يبقى دائما الى جانب أبنائه وإخوانه الفلسطينيين لنكون جميعا يدا واحدة وقلبا واحدا، لتبقى القدس إسلامية عربية ونعاهد الله -تعالى- جميعا على ذلك وهو - سبحانه - وتعالى خير الشاهدين.

حضر اللقاءات فضيلة الشيخ/ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٣ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ ٦/٦/٢٠٠٠م الدكتورة/ بوانا فرونيتسكا سفيرة جمهورية بولندا بالقاهرة، وذلك بمناسبة توليها العمل كسفيرة لبلادها بالقاهرة والوفد المرافق.

حيث أعربت السفيرة عن سعادتها لهذا اللقاء، وأنها كباحثة اكتشفت أن الحضارة الإسلامية ببولندا موجودة منذ أمد طويل وكذا فكرة التسامح ونحن فخورون بذلك، وأن عدد المسلمين فى بولندا ٥ آلاف مسلم ويحفظون القرآن، كما توجد مساجد على الطراز الإسلامى، وأن البولنديين يؤمنون بالله، وتواجد المسلمين فى بولندا منذ زمن التتار من القرنين ١٣,١٢ وهناك طلبة من بولندا يدرسون اللغة العربية فى مصر، كما توجد مدرسة للغات الشرقية فى وارسو وفى جنوب بولندا وهم يحبون تعلم اللغة العربية ولديهم أساتذة متخصصون فى اللغة العربية والأدب كما توجد كتب لنجيب محفوظ مترجمة، وكذا بعض كتب التراث والأدب والفلسفة والنصوص، وقد أعربت السفيرة عن رغبتها فى الحصول على منح من الأزهر لأبناء بولندا المسلمين، شكر فضيلة الإمام السيدة السفيرة على معلوماتها وفهمها للمذاهب الدينية والفلسفية موضحا لها بأن مصر وبولندا دولتان شقيقتان والتعاون قائم فى المجالات المختلفة والأزهر على استعداد لاستقبال الطلاب والطالبات المسلمين الراغبين فى الالتحاق بالأزهر الشريف من خلال القنوات الشرعية، ونحن نرحب بمزيد من التعاون فى كل المجالات الدينية والعلمية والثقافية والاجتماعية، والأزهر أبوابه مفتوحة دائما، كما أوضح فضيلته نظام التعليم بالأزهر الشريف فى المراحل المختلفة من الحضانة حتى المرحلة الجامعية وما بعدها، والتخصصات المختلفة بالكليات الأزهرية والكليات العلمية والعملية، وما تمتاز به الدراسة بالأزهر من توسط واعتدال، وأوضح فضيلته أن لغة العصر الآن هى الانفتاح على العالم ووسائل الإعلام وأصبح العالم كله كقرية صغيرة، كما أوضح فضيلته بأن

لقائه ببابا الفاتيكان كان من أجل نشر الفضائل، ومساعدة المحتاج، وإعطاء كله ذى حق حقه وأننا نأخذ من حضارات بعضنا البعض ما يناسبنا.

وبالنسبة للعقائد فلكل إنسان عقيدته لأن العقائد لاتباع ولا تشترى، والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل -، وعلينا أن ندعو إلى القول: إن الحضارات يجب أن تتعانق وتتعاون ولا تتصادم لأن لكل دولة حضارتها.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للإعلام بالأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى ١٠ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١ - ١٣ / ٦ / ٢٠٠٠ السيد / محمد طلحه حسن وزير الأوقاف والشئون الدينية بدولة أندونيسيا والدكتور / محمد قريش شهاب سفير أندونيسيا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلة الإمام بالضيف ومرافقيه وأعرب عن شكره وتقديره لدولة وشعب أندونيسيا لتخطيه الأزمة التى مر بها معربا عن عمق الروابط القديمة والعريقة بين الشعبين المصرى والأندونيسى.

شكر الضيف فضيلة الإمام للحفاوة التى استقبل بها معربا عن أن الشعب الأندونيسى له تذوقه الخاص فى التعليم الأزهرى لما يمتاز به من اعتدال ووسطية وطلب زيادة المنح الدراسية للدراسة بالأزهر الشريف ورغبته فى إقامة معاهد أزهرية أخرى بأندونيسيا على غرار المعهدين اللذين تم إقامتهما هناك.

أعرب فضيلة الإمام للضيف عن أن الأزهر الشريف وجامعته العريقة لا تدخر وسعا فى سبيل تلبية أى مطالب وخاصة لدولة أندونيسيا.

كما قدم السيد الوزير الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر من السيد / عبدالرحمن واحد رئيس جمهورية الدونيسيا لزيارة أندونيسيا متمنيا أن تكون بمناسبة المولد النبوى الشريف، رحب فضيلة الإمام بالدعوة ونظرا للارتباطات المسبقة فسيقوم فضيلة الإمام بإرسال وفد برئاسة فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر لحضور المولد النبوى الشريف بأندونيسيا

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف، فى ١٠ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ ١٣ / ٦ / ٢٠٠٠ بمكتبه السادة / آية الله أحمد خمينى عضو فقهاء مجلس صيانة الدستور فى إيران، والسيد / آية الله محمد رئيس المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية، والوفد المرافق لهما، وذلك فى إطار انعقاد المؤتمر العالمى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد فى القاهرة تحت رعاية فخامة الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية فى الفترة من ١١ وحتى ١٤ / ٦ / ٢٠٠٠م.

رحب فضيلة الإمام بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف، وموضحا لهم بأن الأصول في الإسلام لا تتغير، أما الفروع فهي محل الاجتهاد، وفي مصر الدستور هو الأب الشرعي للدولة ونحن جميعا نخضع للقوانين.

شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال ووجهوا الدعوة لفضيلة الإمام لحضور المؤتمر الذي سيعقد في شهر شوال القادم يناير ٢٠٠١م في مدينة قم بمركز الحوزة العلمية بإيران.

شكر فضيلة الإمام الوفد على الدعوة مؤكدا على أن العلم رحم بين أهله سائلا المولى -عز وجل- أن يجمعنا على الأخوة الصادقة.

● كما استقبل فضيلته السيد / محمد رشيد وزير الأوقاف السابق ورئيس المحكمة الدستورية العليا بدولة المالديف والوفد المرافق الذي نقل لفضيلة الإمام الأكبر تحيات وشكر وتقدير فخامة الرئيس / مأمون عبدالقيوم رئيس جمهورية المالديف لما يقدمه الأزهر الشريف من عناية ورعاية وتعليم لأبناء المالديف في مصر ودولة المالديف، كما وجه الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة المالديف لما لها من أثر طيب في نفوس شعب المالديف، وجدير بالذكر أن رئيس دولة المالديف والسادة رئيس الوزراء ووزراء الأوقاف والتعليم والعدل جميعهم من خريجي الأزهر الشريف

● كما استقبل فضيلته سعادة الشيخ / عبدالرحمن بن محمد بن راشد آل خليفة وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية بدولة البحرين والسيد السفير / إبراهيم على الماجد سفير دولة البحرين بالقاهرة والوفد المرافق لهما.

دار الحديث حول توطيد العلاقات الثقافية والدينية والعلمية بين مصر وأزهرها الشريف ودولة البحرين الشقيقة.

حضر اللقاءات فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر وفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على رئيس الأدارة المركزية للإعلام بالأزهر

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يستقبل وفد الجامعة الإشرافية في الهند

● استقبل فضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- الشيخ / شمس الهدى المصباحي القادرى أستاذ الجامعة الإشرافية مباركفور أعظم كرة «الهند» والوفد المرافق وذلك في ١٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ ١٨ / ٦ / ٢٠٠٠ دار الحديث حول معادلة الشهادات التي تمنحها الجامعة الإشرافية في الهند بشهادات الأزهر الشريف.

كما طلب مراجعة ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأردية للإمام / محمد أحمد رضا خان القادرى الهندى وإجازتها من قبل الأزهر الشريف، وطلب أيضا إرسال مبعوثين من الأزهر للتدريس بالجامعة الإشرافية في الهند، كما طلب زيادة عدد المنح الدراسية لطلاب الهند للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة وطلب الضيف تزويد مكتبة الجامعة الإشرافية بالهند بالمطبوعات التي يصدرها الأزهر الشريف وتفسير معاني القرآن الكريم لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف.

كما قام الوفد بزيارة فضيلة الإمام الأكبر وقدموا الدعوة لفضيلته لزيارة الجامعة الإشرافية لإلقاء بعض المحاضرات ومناقشة البحوث حول دور الأزهر الشريف، وإمداد المسلمين بالمعلومات الإسلامية، وتوضيح المفاهيم الإسلامية السمحة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية للإعلام بالأزهر.

محاضرة للإمام الأكبر شيخ الأزهر في الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة

● ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف وذلك في ١٩ من شهر صفر ١٤٢١ - ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٠ محاضرة بعنوان «أخلاقيات الوظيفة» وذلك في إطار برنامج إعداد القادة للجهاز الحكومي بالجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، أوضح فيها بأن النفس البشرية أوجدها الله، وأوجد لها قواعد معينة وأصولا يجب أن نلتزم بها في كل زمان ومكان، وهي لا تتغير بتغير المكان أو الأشخاص أو الوظيفة، كما أن العقائد لا تتغير بتغير الزمان أو المكان وكذلك العبادات وأيضا السلوك الإنساني وكذلك المعاملات التي شرعها الله -سبحانه وتعالى- فهي تهدف إلى تبادل المنافع بين الناس فيما بينهم، مشيرا إلى أن العدل قد أحله الله، والظلم حرمه الله، وأن الرسل جميعا جاءوا برسالة واحدة في جوهرها ولا خلاف في أصولها، أما الفروع فهي محل للاجتهاد، وفيما يتعلق بالعقيدة فهي تقوم على إخلاص العبادة لله الواحد القهار، والعبادات لا تختلف باختلاف الزمان، والمكان أو الأشخاص أو الوظائف، فالعبادة ترقق القلوب وتصفي النفوس، وتجعل الإنسان على صلة جيدة بخالقه والرسل جميعا كانت الكلمة الأولى لهم هي عبادة الله -عز وجل- وقد بين فضيلته بأن السلوك الإنساني الأصيل متواجد منذ أن وجد الإنسان على الأرض، فالعدل فضيلة دعت إليها جميع الأديان السماوية، وكذا الصدق، أما الظلم فهو رذيلة حاربتها جميع الأديان السماوية، كذا الكذب، فأخلاقيات الوظيفة ثابتة لا تختلف باختلاف الزمان أو المكان فيما يتعلق بأصولها ولا فرق بين مسلم وغير مسلم فكل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى في الحقوق والواجبات مع غيره، لأن العقائد الذي يحاسب عليها هو الله -عز وجل-، فالعدل والصدق والأمانة والشرف والاستقامة وإعطاء كل ذي حق حقه، هي أخلاقيات وظيفية وجوبية بها يصلح حال المجتمع، فيعطي كل ذي حق حقه وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في العدل بين الناس بصرف النظر عن العقيدة والدين فقد قال الله -تعالى- لنبيه ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾(١) حينما خبأ الدرع عند يهودي ولم يكن السارق الحقيقي، فنصره الإسلام.

---

(١) سورة النساء: ١٠٥.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

ترأس فضيلة الامام الأكبر الاستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى ٢٤ من شهر صفر سنة ١٤٢١ هـ - ٢٨ / ٥ / ٢٠٠٠ جلسة المجلس الاعلى للازهر لمناقشة الموضوعات المدرجة بجدول الاعمال وتمت فيه :

الموافقة على قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العالية بكليات جامعة الأزهر (بنين - بنات) للعام الجامعى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م.

الموافقة على إنشاء كلية للتمريض بجامعة الأزهر.

الموافقة على إنشاء كلية للدراسات الإسلامية والعربية للبنات بمدينة بورسعيد.

الموافقة على إجراء بعض التعديلات باللائحة الداخلية لكليات الشريعة والقانون بجامعة الأزهر.

الموافقة على إجراء بعض التعديلات باللائحة الداخلية لكليات الزراعة جامعة الأزهر.

الموافقة على إضافة بعض الشروط إلى نص الإعلان عن وظيفة معيد بقسم المحاسبة بكلية التجارة بنات بتفهنا الأشراف محافظة الدقهلية.

الموافقة على إضافة بعض الشروط إلى نص الإعلان عن وظائف « مدرس، مدرس مساعد » بأقسام كلية الاقتصاد المنزلى للبنات بطنطا.

الموافقة على إضافة شرط إلى نص الإعلان عن وظيفتى معيد بقسم جراحة الأذن والأنف والحنجرة تخصص « سمعيات » والأمراض العصبية بكلية طب البنات جامعة الأزهر.

الموافقة على قصر القبول فى مرحلة الدراسات العليا بكليات الجامعة الأصيلة على الحاصلين على الشهادة الثانوية الأزهرية.

الموافقة على اعتماد تشكيل اللجنة العلمية الدائمة للأمراض الباطنة.

الموافقة على اعتماد اللائحة الداخلية لكليات « الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة والأقاليم »، وكلية البنات الإسلامية بأسيوط، وكليات الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالأقاليم وكلية الدراسات الإسلامية للبنين بأسوان.

الموافقة على اعتماد لائحة المركز الدولى الإسلامى للدراسات والبحوث السكانية بجامعة الأزهر

حضر الجلسة فضيلة الأستاذ الدكتور / محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ / فوزى الزفزاف وكيل الأزهر، وفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الشيخ / على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وجمع من علماء مجمع البحوث الإسلامية.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى برؤساء المناطق الأزهرية

اجتمع فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر الشريف في ٢٦ من شهر صفر سنة ١٤٢١ هـ ٣٠ / ٥ / ٢٠٠٠م بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية، والسادة القائمين على أعمال الامتحانات للشهادات الأزهرية الابتدائية والإعدادية والثانوية والقراءات والمعلمين، وذلك للتأكيد على اتخاذ الاجراءات التأمينية لمراكز توزيع الأسئلة والحافظ على سريتها على الوجه الأكمل، كما تم التأكيد على أعمال الملاحظة وتوفير الجو المناسب للطالب، وأن يأخذ الطالب حقه في الوقت المحدد له وعدم تعجله في الإجابة وأن يتحلى الملاحظ بالأخلاق الحميدة وعدم المحاباة والمحسوبية، كما تم مناقشة الإجراءات التى تتخذ فى حالة سد العجز الطارىء في المنتدبين لهذا الغرض. وناقش المجلس الإجراءات المتبعة فى مراكز التصحيح بالمناطق الموجود بها هذه المراكز والضوابط التى يجب مراعاتها فى هذا الشأن، والتأكيد على الدور الهام للأجهزة المعنية بالمناطق فى تكثيف المتابعة الجادة لسير الامتحانات وتوفير عنصر الانضباط والاستقرار لها، كما تم مناقشة الترتيبات الخاصة بالكتب الدراسية للعام ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م، سواء كانت كتب شرعية أو عربية أو ثقافية، وأن يتسلمها الطلاب قبل بدء الدراسة بوقت كاف، والتأكيد على أن تكون الكتب من الطبعات الجديدة للعام ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م مع وضع الاعتبار بالنسبة لكتب الصف الثالث الثانوى. والتأكيد على الالتزام بالمواعيد والضوابط المتبعة حيال المعاهد التى تحتاج إلى تشغيل والتزام المناطق بذلك. وحول ما يتعلق بقبول التلاميذ بالصفوف التمهيدية، والصف الأول الابتدائي، وبداية ونهاية مواعيدها فيطبق فى ذلك قرار المجلس الأعلى للأزهر الشريف بألا يقل السن عن ست سنوات للصف الأول الابتدائى ولا يقل عن ٤ سنوات للأول التمهيدى وأن يتم التوسع فى القبول للمرحلة التمهيدية مع مراعاة الكثافة العددية للصف الأول التمهيدى للمناطق النائية ذات الكثافة العددية القليلة، وحول الأنشطة الصيفية والمكتبات، فيتم فتح أبواب المعاهد أثناء فترة الإجازة الصيفية لتكون مراكز للاطلاع وممارسة الأنشطة الرياضية والاجتماعية والمسابقات بكافة أنواعها، وقد ناقش المجلس المبالغ التى زيدت إلى (٦) ستة ملايين جنيه لحفظ القرآن الكريم من طلبة وطالبات المعاهد الأزهرية وكذا طلبة الجامعة ومكاتب تحفيظ القرآن، وأنه قد تصل قيمة المكافأة الى ١٥٠٠ جنيه للحافظين من الفئة الأولى، ويذكر بأنه قد بلغ عدد الفائزين هذا العام ٤٢٠٠ طالب وطالبة ويحظى بحفظ القرآن الكريم بمكتب تحفيظ القرآن على ١٠٠٠ جنيه عن كل حافظ مهما بلغت أعداد من قام بتحفيظهم.

كما تم التأكيد على المناطق التى بها معاهد فى حاجة إلى ترميم بأن يتم حصرها طبقاً للأولويات مع وضع التكلفة التقديرية تمهيداً لطرحها فى مناقصة عامة لسرعة إجراءات ترميمها حتى تنتهى قبل العام الجديد فى اكتوبر.

قـــــرارات

● صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ۱۷۲ لسنة ۲۰۰۰ وبناء على ما عرضه صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

(المـادة الأولـى)

يعين في الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من:

- الشيخ / محمد رفعت عثمان أحمد ـ وكيل منطقة أزهرية «أ» للمواد الثقافية.
- الشيخ / عبدالواحد محمد أحمد شمس الدين - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أمين عبدالله أحمد خطاب - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / محمد عبدالقادر إسماعيل شلبي - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / عبيد إبراهيم سليمان سليم - وكيل منطقة أزهرية «أ» للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أحمد محمد السيد محمد - وكيل منطقة أزهرية «أ» للمواد الثقافية.
- الشيخ / عبداللطيف حامد سالم عبدالرحيم العزازى.. شيخ معهد الأسكندرية الثانوى الأزهرى بنين.
- الشيخ / أحمد حامد عبدالمعطى مذكور - مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الديني.
- الشيخ / محمد صبرى عبدالعليم أحمد البديوى - مدير عام التوجيه الفني للتعليم الابتدائي.
- الشيخ / السيد عبدالفتاح محمد خضير - مدير عام البحوث والتأليف والترجمة.
- الشيخ / عوض إبراهيم سعد طايل - شيخ معهد دمنهور الثانوى الأزهرى بنين.
- الشيخ / معوض مبروك عباس طرقاية - مدير عام شئون مناطق الوعظ.
- الشيخ / يوسف عبدالمنعم عبدالمقصود - مدير عام الإدارة العامة للقضايا والتنفيذ.
- الشيخ / توفيق عبدالعزيز عبدالسلام عمر - مدير عام الشئون الفنية التعليمية.
- الشيخ / على على على الفحار - مدير عام مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.
- الشيخ / محمد شوقى محمود محمد السبكى - مدير عام شئون الطلاب الوافدين.

(المـادة الثانيـة)

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

رئيس مجلس الوزراء

(دكتور / عاطف عبيد)

صدر برياسة مجلس الوزراء في ۲۳ من شهر صفر سنة ١٤٢١ هـ

الموافق ۲۷ من مايو سنة ۲۰۰۰م

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ٤٦٥ لسنة ٢٠٠٠ :

مادة ١ : يسند إلى فضيلة الشيخ / محمود عبدالغنى السيد فرحات وكيل أول منطقة الجيزة الأزهرية بالدرجة الأولى بالمجموعة النوعية لوظائف التعليم والدعوة القيام بعمل مدير عام المنطقة .

مادة ٢ : يسند إلى السيد جعفر أحمد جعفر الشناوى مستشار العلوم بقطاع المعاهد الأزهرية من شاغلى الدرجة الأولى بالمجموعة النوعية لوظائف التعليم والدعوة القيام بعمل مدير عام الوسائل والمعامل بقطاع المعاهد الأزهرية .

مادة ٣ : على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار

صدر فى ١٩ من شهر صفر ١٤٢١هـ الموافق ٢٣ من مايو ٢٠٠٠

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رقم ٤٧٢ لسنة ٢٠٠٠

مادة١ : يسند إلى السيد / حسين عبدالعظيم مصيلحى شحاتة مدير عام الشئون الإدارية بالأزهر الشريف القيام بعمل وظيفة الأمين العام المساعد للشئون المالية بصفة مؤقتة لحين شغلها بصفة أصلية عند خلوها من شاغلها الأصلى وذلك وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية .

مادة٢ : يسند إلى السيد / أسامة عبدربه عبدالمقصود مدير عام الشئون المالية والإدارية بمدينة البعوث الإسلامية القيام بعمل وظيفة مدير عام الشئون الإدارية بالأزهر الشريف وذلك بناء على رغبته فى العمل بإحدى الوظائف القيادية بالأزهر الشريف بدرجة مدير عام .

مادة ٣ : على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار

صدر فى ٢٦ من شهر صفر ١٤٢١ الموافق ٣٠ من مايو ٢٠٠٠ .

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ١٧ من شهر محرم ١٤٢١ هـ ٢٢ من ابريل ٢٠٠٠ على إسناد الأمانة العامة للدعوة والإعلام الدينى الى فضيلة الشيخ / على محمود أبوالحسن الأمين العام للجنة العليا للدعوة ، وإسناد أمانة اللجنة العليا للدعوة إلى فضيلة الشيخ / عبدالخالق عطية نصير مدير عام وعظ الغربية بناء على اقتراح فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

● كما وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٢١ من شهر محرم ١٤٢١ هـ ٢٦ / ٤ / ٢٠٠٠ على أن يقوم الشيخ / حسن نصار مدير الدعوة بوعظ المنوفية بعمل مدير منطقة وعظ كفرالشيخ نظراً لإحالة شاغلها إلى المعاش فى ٥ / ٥ / ٢٠٠٠ بناء على اقتراح فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية .

● صدر قرار شيخ الأزهر الشريف رقم ٥٢٨ لسنة ٢٠٠٠ بالموافقة على إطلاق اسم المرحوم الأستاذ الدكتور / محمد البهى على القاعة الكبرى بمركز المؤتمرات بمبنى مجمع البحوث الإسلامية بمدينة نصر بالقاهرة تكريما لفضيلته صدر فى ١٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢١ هـ ١٨ من يونية ٢٠٠٠ .

قرار رئيس مجلس الوزراء
رقم ١٧٨ لسنة ٢٠٠٠

رئيس مجلس الوزراء

بعد الاطلاع على الدستور،

وعلى قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة الصادر بالقانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨.

وعلى القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩١ فى شأن الوظائف المدنية القيادية فى الجهاز الإدارى للدولة والقطاع العام ولائحته التنفيذية.

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٣٥٨ لسنة ١٩٩٩ بتحديد الوزير المختص بشئون الأزهر.

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٠٠ لسنة ١٩٩٩ بالتفويض فى بعض الاختصاصات.

وبناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر،

قــــرر

(المـادة الأولـى)

يعين فى الوظيفة الموضحة قرين اسمه بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو المدة الباقية لبلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من:

- فضيلة الشيخ / محمد حسن محمد محمد الشيخ رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالاسكندرية.
- فضيلة الشيخ / محمد أحمد عامر مصطفى رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالغربية.
- فضيلة الشيخ / جابر مصطفى محمد الفرجاوى رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالقاهرة.
- فضيلة الشيخ / محمد محمد عبدالقادر على رئيسا للإدارة المركزية لمنطقة أزهرية (أ) بالشرقية.
- فضيلة الشيخ / أحمد رأفت عبدالعظيم غنيمة رئيسا للإدارة المركزية لرعاية الطلاب.
- السيد / عبدالعزيز محمد أسعد رئيسا للإدارة المركزية للشئون الإدارية والأفراد.
- فضيلة الشيخ / عمر البسطويسى على حمزة رئيسا للإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.
- فضيلة الشيخ / أحمد خليفة محمد على رئيسا للإدارة المركزية لمكتبة الأزهر.
- فضيلة الشيخ / محمد سيد أبوالعلا عزيز رئيسا للإدارة المركزية للتعليم الابتدائى.
- فضيلة الشيخ / صالح محمد عبدالهادى صالح رئيسا للإدارة المركزية للتعليم الاعدادى.
- فضيلة الشيخ / أحمد حمدى محمد مرسى الطنطاوى رئيسا للإدارة المركزية للتعليم الثانوى.

(المادة الثانية)

يعين في الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو المدة الباقية لبلوغ السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من :

- الشيخ / إبراهيم عطا إبراهيم الفيومي مديرا عاما للإدارة العامة للدعوة.
- الشيخ / محمد حسانين إسماعيل شريف وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أحمد على محمد السمين وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / الصديق الصادق محمد محمود وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / رمضان محمد عبده الزقزوق وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / محمود طه محمود لولح وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / أحمد السيد أحمد الجوهرى وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- الشيخ / محمود إمبابي أمين قناوى وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية.
- السيد / محمد عبدالمجيد بكر الخزرجي مديرا عاما للتحقيقات.
- السيد / عبدالرازق السيد علي الشعراوى مديرا عاما للتفتيش الإدارى.
- السيد / سيد أحمد اسماعيل عطية مديرا عاما لمركز المعلومات والتوثيق.
- السيد / سمير زين العابدين سيد سيد مديرا عاما لمكتب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.
- الشيخ / شوقي حسن عبدالجليل نويجي مديرا عاما لشئون القرآن الكريم.
- السيد / رفعت محمد محمد الغرباوى وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية.
- الشيخ / حسن عبدالمعطى مبارك هلالي شيخا لمعهد ثانوى أزهرى (أ) بقنا.
- الشيخ / محمود زكي النادى إبراهيم شيخا لمعهد ثانوى أزهرى (أ) بالشرقية.
- الشيخ / فاروق عبدالعال أحمد عبدالرحمن شيخا لمعهد ثانوى أزهرى (أ) بسوهاج.
- الشيخ / محمد أمين المنزلاوى مديرا عاما للتوجيه الفنى للتعليم الإعدادى.
- الشيخ / عبدالفتاح عباس أحمد يوسف النجار مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بمرسى مطروح.
- السيدة / سناء حسين حافظ عبدالرحمن مديرا عاما للإدارة العامة لنشاط الفتيات.
- السيد / فتحي أحمد محمد محمد مديرا عاما للإدارة العامة للرعاية الاجتماعية.
- الشيخ / أحمد محمد موسى حسين مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الديني.

- الشيخ / عبدالغنى محمد شحاته حسن مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / سعدالدين أحمد همام عبدالرحيم مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / سعد عبدالجابر محمود أبوحليقة مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ / أحمد عبدالمعطى حسن سليمان مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى.
- السيد / السعيد فهيم العراقى شهاب الدين مديرا عاما لمطابع الأزهر.
- السيد / مصطفى أبوالسعود أبوالسعود وهدان مديرا عاما لشئون مجلس المجمع ولجانه.
- الشيخ / محمد الدرينى على الجزار مديرا عاما للتوجيه العام للدعوة.
- الشيخ / شحاته يوسف محمد شحاته مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بالسويس.
- الشيخ / عمر إسماعيل عمر سالم مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بالبحر الأحمر.
- الشيخ / مغاورى الزهار عبدالسيد إسماعيل مديرا عاما لمنطقة أزهرية (ب) بجنوب سيناء.
- الشيخ / عبدالفتاح حسين السيد صقر مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بالبحيرة.
- الشيخ / أحمد محمد أحمد دحلوب مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بأسيوط.
- الشيخ / شرف الدين أحمد إسماعيل شرف الدين مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بالمنوفية.
- الشيخ / زاهر رجب محمد المتولى رجب مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بكفرالشيخ.
- الشيخ / سيف النصر عبدالفتاح الدسوقى مديرا عاما لمنطقة الدعوة والإعلام الدينى بالجيزة.
- الشيخ / توفيق إبراهيم عراقى أبوحجر وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالبحيرة.
- الشيخ / محمد عبدالحى حسين سالم وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بأسيوط.
- الشيخ / فاروق عباس كامل أبوزيد وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بكفرالشيخ.
- الشيخ / أحمد عبدالهادى عبدالحميد أحمد عبدالهادى دويدار وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالمنوفية.
- الشيخ / أحمد زكى دكرورى حسانين وكيلا لمنطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية بالمنيا.
- الشيخ / محمود إبراهيم درويش حلاوة مديرا عاما لشئون المناطق.

(المادة الثالثة)

على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

رئيس مجلس الوزراء

(دكتور / عاطف عبيد)

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ١٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٤٢١ هـ

الموافق ٢٠ من يونية سنة ٢٠٠٠م

من أنباء العالم الإسلامي

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد (*)

انعقاد مجلس الاتحاد البرلماني الإسلامي بالقاهرة

القاهرة ـ الأخبار:

يعقد مجلس الاتحاد البرلماني للدول الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي دورته الثانية بالقاهرة يومي ٣، ٤ يوليو القادم بمشاركة وفود برلمانية من حوالي ٣٠ دولة إسلامية.. يأتي انعقاد هذه الدورة في مصر تأكيداً لدورها الإسلامي وأزهرها الشريف في التصدي للتحديات التي تواجه العالم الإسلامي في الألفية الثالثة. وتكتسب هذه الدورة أهمية خاصة في ضوء تعزيز الجهود الإسلامية المشتركة المبذولة حالياً لدعم التضامن الإسلامي والتي تلعب فيها مصر دوراً بارزاً على الصعيد الدولي.

يتضمن جدول أعمال هذه الدورة ثلاث قضايا أساسية هي:

● السلام والاستقرار في الشرق الأوسط وبناء معالم استراتيجية برلمانية للحفاظ على القدس الشريف.

● سياسات التعاون الاقتصادي بين دول منظمة المؤتمر الإسلامي بهدف إنشاء السوق الإسلامية المشتركة.

● رؤية إسلامية مشتركة في فعاليات الحوار بين الحضارات.

وقد أعدت الشعبة البرلمانية المصرية برئاسة د. فتحي سرور رئيس مجلس الشعب أوراق عمل ومشروعات قرارات في القضايا الثلاث، حيث أكدت الورقة الخاصة بقضية السلام أهمية الحفاظ على القدس الشريف والتصدي لممارسات سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مخططات تهويد القدس. وطالبت بتفعيل قرارات مجلس الأمن ومقررات مدريد لاسيما مبدأ الأرض مقابل السلام.

وتضمنت ورقة العمل حول التعاون الاقتصادي ضرورة مواكبة العالم الإسلامي للبيئة الاقتصادية الدولية الجديدة في إطار تحديات العولمة وتأثير اتفاقية الجات على اقتصاد الدول الإسلامية.. وأشارت إلى معوقات التعاون الاقتصادي بين الدول الإسلامية وأبرزها مشكلة الديون والحروب والصراعات السياسية. وأكدت الورقة أهمية إقامة السوق الإسلامية المشتركة.

أول مركز علمي تقيمه اليونسكو لعلماء الشرق

باريس - الأهرام

للمرة الأولى تقيم منظمة اليونسكو مركزاً دولياً للعلوم المتقدمة والأبحاث العلمية يضم خبرة علماء ١١ دولة عربية وشرق أوسطية ومتوسطية في طليعتها مصر واليونان وإيران وتركيا والمغرب والأردن وإسرائيل وقبرص وأرمينيا وعمان وفلسطين. وذكر بيان لليونسكو أن أهمية هذا الحدث العلمي الكبير تأتي من أنه سيعمل أساساً على الحد من هجرة عقول علماء الشرق الأوسط والمتوسط بالتعاون مع المراكز المحلية من ناحية، ومن ناحية أخرى يضع للتعاون العلمي والبحثي بين علماء تلك الدول أهمية قصوى على أساس أنه لا وطن للعلم في عالم يزداد انفتاحاً.

إندونيسيا تتهم قوى خارجية بتمويل العنف الطائفي

جاكرتا - وكالات الأنباء:

في محاولة لوقف أعمال العنف الطائفي بين المسلمين والمسيحيين في جزر الملوك بشرق إندونيسيا، والتي أسفرت عن مصرع نحو ١١٤ شخصاً، قررت الحكومة الإندونيسية حظر السفر إلى الجزر، وذلك لمنع تدفق المتطوعين المسلمين إلى الإقليم الواقع على بعد ٢٣٠٠ كيلو متر شرقي العاصمة جاكرتا.

وأبلغ الرئيس الإندونيسي عبدالرحمن واحد الصحفيين، بعد اجتماعه مع نائبته ميجاواتي سوكارنو والأميرال ويدودو قائد القوات المسلحة بأنهم اتفقوا على ضرورة عدم السماح للغرباء بالسفر إلى الإقليم، وذلك في إشارة إلى المتطوعين المسلمين الذين تدفق المئات منهم على الإقليم أخيراً، بعدما أدت الاشتباكات العرقية في بداية العام الحالي إلى مقتل نحو ألفي شخص معظمهم من المسلمين.

وقال الرئيس عبدالرحمن واحد: إن الأوامر صدرت للقوات المسلحة والشرطة بالبحث عن الأسلحة ومصادرتها، مشيراً إلى أن أشخاصاً من خارج الجزر يقدمون المال للمنطقة لتمويل الصراع هناك.

وقد استمرت أعمال العنف في مدينة «أمبون» عاصمة جزر الملوك حيث ذكر شهود العيان أن الاشتباكات تفجرت في وسط المدينة حيث تلتقي المنطقتان الإسلامية والمسيحية، وأن شخصاً واحداً على الأقل نقل إلى المستشفى كما تم تدمير ١٥ منزلاً، ومجمعاً حكومياً بعدما تم إضرام النيران فيها، وأن المدارس والمتاجر أغلقت أبوابها.

وقد بلغت أعمال العنف في «جزر الملوك» ذروتها عندما هاجم المسلمون جزيرة هالماهيرا للانتقام من مقتل العديد من المسلمين فيها في وقت سابق، وأحرقوا كنيسة، وأسفرت الاشتباكات التي تلت ذلك مصرع ١١٤ شخصاً.

وأوضح شهود العيان أن الجنود اكتفوا بإطلاق الطلقات التحذيرية، ولم ينفذوا الأوامر الصادرة لهم بإطلاق الرصاص على مرتكبي أعمال العنف، مما شجع الجانبين المسلم والمسيحي على تبادل الهجمات.

وذكرت صحيفة «جاكرتا بوست» أن البحرية الإندونيسية رصدت ٣ سفن محملة بالرجال

المسلحين بالقرب من جزيرة هالماهيرا، واعتقلت ركابها ولكنها لم توضح ما إذا كان المسلحون مسلمين أو مسيحيين.

وفي تطور آخر فتحت القوات الإندونيسية النار على مجموعة من المسلحين المسيحيين في منطقة «سواسيو» بـ«هالماهيرا» كانت تستعد لمهاجمة المسلمين انتقاماً مما حدث.

ومن المعتقد أنه منذ تفجر أعمال العنف الطائفي في جزر الملوك المعروفة باسم جزر البهار في بداية العام الماضي فإن حوالي ٣آلاف شخص لقوا مصرعهم وجرى إحراق آلاف المنازل، واضطر نحو مليون مواطن إلى اللجوء إلى مناطق أو جزر أخرى.

شهادة عالمية باستعادة مكتبة الإسكندرية مجدها التاريخي

لندن ـ وكالات الأنباء:

أكدت صحيفة الجارديان البريطانية أن مكتبة الإسكندرية التي تجري الاستعدادات لافتتاحها قريباً في عروس البحر المتوسط تعتبر «آخر عجائب الدنيا».. في القرن الجديد.

نشرت الصحيفة تحقيقاً موسعاً حول المكتبة التي تستعيد المجد التاريخي والحضاري.. بأحدث تكنولوجيا الفهرسة وعرض الكتب لتكون في متناول كل طلبة العلم والمعرفة القادمين إليها من جميع أنحاء العالم.

قالت أن المكتبة المعجزة.. الفرعونية الجديدة سوف تضم بين جدرانها ١٨٠ مليون كتاب و٨ملايين مجلد.

٢٠هجوماً للمقاتلين الشيشان خلال ٢٤ ساعة

موسكو ـ وكالات الأنباء:

شن المقاتلون الشيشان ٢٠هجوماً على القوات الروسية خلال الأيام الأخيرة مما أدى إلى مصرع جندي روسي وجرح أربعة آخرين حسبما تقول وكالة الأنباء الروسية الحكومية نقلاً عن مصدر عسكري.

وفي واحدة من هذه الهجمات على العاصمة الشيشانية جروزني قتل جندي روسي وأصيب اثنان بجروح كما عطبت سيارة مصفحة حربية بعد تعرضها للتفجير من لغم أدى إلى إصابة عدد من الجنود.

ومن ناحية أخرى، شنت الطائرات الحربية والهليوكوبتر ٧٠هجوماً على مواقع المقاتلين الشيشان في منطقة أرجون وفيدينو في المناطق الجبلية من جنوب الشيشان.

وقد التقى فالتر شيمر، رئيس وفد الاتحاد الأوروبي والعضو البرلماني النمساوي البارز مع المسئولين في الخارجية الروسية قبل سفره إلى الشيشان كما يقابل بعد عودته من الشيشان ديمتري راجوزين، رئيس لجنة العلاقات الدولية بمجلس الدوما بعد أن أعلن راجوزين عن مقاطعة اجتماعات المجلس الأوروبي التي ستعقد الشهر القادم إثر قرار المجلس الأوربي تعليق عضوية روسيا في نادي ٤١دولة ديمقراطية بسبب الانتهاكات الروسية في الشيشان.

Abou Horayra nous raconte qu'il se sentit vraiment chagriné et déçu (Il voulait se rassasier de ce lait). Il était dit:

"Etant donné que le Prophète m'a désigné comme émissaire, c'est à moi de leur offrir le lait. Que me restera-t-il donc?".

Mais je ne pouvais pas désobéir au Prophète aussi. Je me dirigeai vers les hôtes musulmans et exécutai l'ordre.

Les gens se rendirent chez le Prophète-b.s- et chacun prit une place."Abou-Horayra, me dit le Messager, prends le récipient et fais-le passer à tour de rôle".

Je pris le récipient et le tendis à tour de rôle aux hommes présents. Chacun buvait jusqu'à satiété et me rendait le récipient.

Quand je fis le tour des hommes, je retournai au Prophète et lui donnai le récipient. Il le prit, leva la tête, me regarda et sourit:"Abou-Horayra, me dit-il, il ne reste que nous deux".-"Tu as raison, Messager d'Allah",dis-je.

-"Assieds-toi et bois"m'ordonna-t-il. J'obéis et je bus.

-"Bois encore me dit-il". Je bus à satiété. "Bois encore répéta-t-il. Je lui dis "je n'en peux plus".

-"Donne-moi donc le récipient", me dit-il, il le prit et but le reste.

Voilà un miracle étonnant: comment un petit récipient a-t-il pu calmer la faim et la soif de tous ces hommes!,

Le Hadith révèle également plusieurs directives à suivre dont nous citons quelques unes:- Le lait est un aliment complet.

- On sert à tour de rôle, ceux qui sont à la droite.

- L'homme qui sert sera le dernier à boire.

- Le Messager d'Allah-b.s-a fait preuve de modestie et de noblesse d'âme car il a préféré être le dernier à boire du même récipient qui a servi à tous les musulmans.

(à suivre)

"Ô Messager d'Allah, nous avons perdu nos biens et nous ne savons plus quoi faire. Implore pour nous le secours du Seigneur."

Le Prophète-b.s-leva ses mains vers le ciel et dit:"***Seigneur! accorde-nous des pluies***."Anas a rapporté que le ciel était limpide, aucun nuage ne s'y trouvait. Il dit aussi que rien n'obstruait la vue, de façon qu'il n'y avait pas de maisons entre les quartiers et le mont Salá.

Soudain, un nuage pareil à un bouclier surgit derrière la montagne. Arrivé au milieu du ciel, il s'étendit et déversa des pluies. On raconté que les pluies tombèrent jusqu' vendredi suivant.

Une semaine s'écoula, un autre homme entra par la même porte, tandis que le Prophète-b.s-prononçait son sermon."Ô Messager d'Allah, nos biens sont perdus et nous ne savons plus quoi faire; implore le Seigneur pour que les pluies cessent."

Le Messager d'Allah leva ses mains vers le ciel et dit:

"***Seigneur! que les pluies tombent autour de nous et non sur nous, sur les collines, les montagnes et les terres de cultures***." Les pluies cessèrent et le soleil apparut sur-le-champ.

3-Un récipient de lait suffit pour désaltérer une multitude de gens:

Al-Bokhary rapporte que Abou Horaïra-A.s.l-a dit:

-"Je m'appuyais sur la terre parfois sous l'effet de la faim. Il m'arrivait même de me serrer une pierre sur mon ventre pour calmer mon estomac qui criait famine. Je me suis installé un jour sur la route qu'empruntaient les Musulmans.

Abou Bakr-A.s.l-passa et je lui demandai de m'enseigner un verset du Coran. Je voulais par là qu'il me demande de le suivre chez lui afin, qu'il m'offrît de la nourriture, mais il n'en fit rien.Omar-A.s.l-passa ensuite, je fis de même; mais en vain.

Puis, Abul Quassem-b.s- passa,dès qu'il me vit, il sut de quoi je souffrais.

-"Abou-Horaïra" me dit-il. J' accourus vers lui.

-"Suis- moi" m'ordonna-t-il. Je le suivis et vis un petit récipient de lait.

-"D'ou provient ce récipient de lait?"demanda le Prophète-b.s-

-"La famille Untelle nous l'a offert" lui répondit-on.

-"Abou Hirr"(c'était le diminutif de son nom) m'appela-t-il de nouveau,"Va appeler les hôtes des musulmans"(Les gens de Sofah qui avaient émigré vers Médine et délaissé leurs biens et leurs familles).

Le Prophète-b.s-avait reservé un endroit pour les gens de Sofah.

Les miracles du Prophète Mohammed
(salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha'raoui

Mohammed -b.s- est le serviteur et le prophète qu'Allah a envoyé à tous les humains de toutes les races.Sa mission a clos toute mission prophétique antérieure: Point de Prophète après lui, Allah l'a préféré aux autres prophètes, comme Il a préféré aussi, sa communauté à toutes les autres sociétés.

Allah-gloire à lui- l'a soutenu par des miracles, en voici quelques-uns tirés des "khutbas" et des cours donnés

1-La lune se fend:

Un jour,Walid Ibn Al-Moughira, un infidèle Koraïchite, demanda au Prophète-b.s-, de produire un miracle pour prouver sa qualité de prophète. D'autres mecquois, se rangèrent auprès de l'infidèle et ils précisèrent le miracle: ils demandèrent que la lune se fendît en deux parties égales.

Le Prophète-b.s-demanda à Son Seigneur de réaliser leur demande. La nuit, la lune qui était pleine, se fendit, se séparant en deux parties: une se figea au-dessus de la montagne et l'autre un peu plus loin.

-"Regardez et témoignez", dit le Prophète-b.s-.

L'une des personnes présentes attesta en disant:"J'ai bien vu la lune partagée en deux, de part et d'autre de la montagne."Ils dirent:"Ils nous a ensorcelés". Un des infidèles dit:"patientez jusqu'a ce que nous demandions aux gens du désert qu'est ce qu'ils ont vu."

Les Koraïchites présents, demandèrent par la suite aux habitants des autres contrées s'ils avaient vu la lune fendue en deux. Ils confirmèrent le phénomène tel qu'il s'était produit. C'est pour cela qu'ils dirent:"La magie se poursuit."

Le Coran a mentionné ce fait en disant:

[L'heure du Jugement approche! et la lune s'est fendue. S'ils voient un miracle, ils s'en détournent en disant:La magie se poursuit! Ils démentent et suivent ce que leur dicte leur fantaisie.] **Surate 54"AL'Kamar"(La Lune)V.1à3.**

2- La chute des pluies grâce à son invocation:

Du vivant du Prophète-b.s-une sècheresse étouffante frappa le pays.

Un vendredi, pendant que le Prophète-b.s-debout sur sa chaire, prononçait un sermon, un homme entra dans la mosquée et s'adressa au Messager en ces termes:

Allah – qu'Il soit exalté – dit [***ne vous avons – Nous pas créés d'une eau vile***]. *(1)*

Sourate Al. Mursalate (ceux qui sont envoyés) V.20

La majorité du corps de l'embryon est composée d'eau, il en est de même du corps de l'enfant. Si le nourrisson pèse 5 kg, 4 kg sont formés d'eau. En grandissant, le taux de l'eau diminue pour atteindre les 2/3 du poids du corps de l'adulte. Allah- qu'Il soit exalté – dit:

[Et c'est Lui qui de l'eau a créé une espèce humaine qu'Il unit par les liens de la parenté et de l'alliance. El ton Seigneur est l'Omnipotent.]

Sourate Al Furqân (le Coran) V. 54

"C'est Lui" signifie Allah- qu'Il soit exalté- Ce verset fait partie des versets miraculeux du Coran: il définit le Créateur "c'est Lui", la matière de la création" l'eau" et l'être créé "une espèce humaine" Ce noble verset s'adresse aux gens de toutes les époques et jusqu' au jour de la Résurrection. Allah leur dit:

Voici l'eau que vous connaissez tous, créez alors, si vous le pourez à partir de cela, une espèce humaine.

Dans la sourate AN-NÛR, Allah- le Très Haut dit [***Et Allah a crée d'eau tout animal***]. Ce verset affirme qu'Allah a créé tout être vivant et tout animal à partir de l'eau.

La sourate Al Furqân, qui est mécquoise, annonce que l'homme est créé d'eau. Par suite, la sourate An Nûr, qui est médinoise, fut révélée pour généraliser cette verité: l'homme n'est pas le seul être vivant créé d'eau, tous les animaux le sont également. Donc après la spécification dans la Sourate Al Furqân, la généralisation fut révélée dans la sourate An Nûr.

---

(1)Eau vile : le liquide spermatique.

Le prophète.. le modèle de la perfection humaine

... le plus compâtissant des compâtissants

Dr. Rokeya Gabr

Le Messager- à lui bénédiction et salut-est le modèle de la perfection humaine dans la miséricorde et la pitié. Il était compâtissant envers les membres de sa famille, ses compagnons et sa nation.

Il recommandait toujours aux "Wali" des musulmans d'être compatissants envers eux mêmes et envers ceux qu'Allah a mis sous leur tutelle et de ne pas être intransigeants sinon Allah serait intransigeant envers eux.

Le Prophète- à lui bénédiction et salut – a dit: "Quand Allah a achevé la création, Il a écrit chez lui au – dessus de son trône: "Ma miséricorde a précédé ma colère".

Il a dit: "Allah est miséricordieux envers les compatissants".

Le prophète – à lui bénédiction et salut – a dit : "Allah – qu'Il Soit glorifié – est clément. Il aime la clémence pour laquelle il accorde sa récompense tandis qu'Il ne l'accorde pas pour la violence".

Il a dit également: "celui qui prohibe la bienveillance prohile totalement le bien".

On rapporte que le Prophète – à lui bénédiction et salut – voyant un vieillard marcher péniblement avec ses deux fils demanda:

"Qu'a –t-il?" On lui répondit: il a fait voeu de marcher c.à.d. de faire le pélerinage à pied. Le prophète. dit: "Allah a interdit à celui- ci de se torturer dans le but d'obtenir récompense" et il lui ordonna de prendre une monture.

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

intercession on the day of Judgment for nonbelievers. (Surah 26 : 100 - 101).
Prophet Ibrahim was given a scripture by Allah سبحانه وتعالى . Although we do not today know what was in these scriptures we do know that Allah سبحانه وتعالى has said: "Indeed whosoever purifies himself (by avoiding polytheism and accepting Islamic Tawheed) shall have success, and remembers (glorifies) the Name of his Lord (worships none but Allah), and prays (five compulsory prayers and Nawafil - additional prayers). Nay, you prefer the life of this world; although the Hereafter is better and more lasting. Verily! This is in the former scriptures, the scriptures of Ibrahim and Musa." (Surah 87 : 14 - 19).
Prophet Ibrahim died at the age of one-hundred-seventy-five. It has been said that he is buried at al-Khalil (Palestine). Through his son Ishaq (180 years old) and grandson Yaqub the family line was a continuous chain of Prophets which ended with Prophet Isa who prophesied the coming of the Prophet Muhammad. Through his son Isma'il (137 years old) came the seal of all prophets Muhammad.
Apart from Sarah and Hajar, Ibrahim had a third wife, Qaturah who gave birth to Madyan. He is said to be the father of the Midianites or Ashab al-Aikah (the people of the wood) to whom the prophet Shu'ayb was sent.
"And (remember) when Ibrahim said: "My Lord! Show me how You give life to the dead." Allah said: "Do you not believe?" Ibrahim said: "Yes (I believe), but to be stronger in Faith." He said: "take four birds, then cause them to incline towards you (then slaughter them, cut them into pieces), and then put a portion of them on every hill, and call them, they will come to you in haste. And know that Allah is All-Mighty, All-Wise." (Surah 2 : 260).

The Lesson

Prophet Ibrahim was declared a highly truthful (Siddiq) person and a Prophet of Allah سبحانه وتعالى He endeavored to dissuade his father from idol worship. He expressed his curiosity on worshipping objects devoid of benefiting those who worshipped them as they were powerless in every aspect.
Ibrahim, through divine knowledge given to him by Allah سبحانه وتعالى was able to show his father As-Sirat Al-Mustaqeem even though he was a child and his fahter a grown man. He argued with his father and their people and tried to stop them from worshipping and following the ways of Iblees. He warned them of the chastisement of Allah سبحانه وتعالى if they kept on obeying Iblees.
Ibrahim left the idol worshippers to lead a life as a Muslim. He promised his father he would pray for him and ask Allah سبحانه وتعالى to forgive him. However when he eventually realized that his father was not going to accept Islam he disassociated himself completely from him. (Surah 9 : 114).
Ibrahim was chosen by Allah سبحانه وتعالى to receive His guidance. No one can claim to be a Prophet on his own. Ibrahim explained to his people the fallacy of idol worship in the light of divine revelation.
Prophet Ibrahim's story, like Prophet Nuh's story, teaches us that blood relationships are not the relationships of importance to a Muslim. The relationship between a Muslim and his Lord and the relationship between a Muslim and another Muslim are the only relationships of importance to a Muslim.

believe?" Ibrahim replied that he did indeed believe but he wanted to be stronger in his faith. Allah سبحانه وتعالى told Ibrahim to take four birds, slaughter them, put a part of each bird on different hills surrounding him, and then call the birds back to him. Allah سبحانه وتعالى told Ibrahim once he had done this the birds would come rushing back to him. Ibrahim did as Allah سبحانه وتعالى commanded and the birds did indeed return to him in haste. This is representative of how all the souls will hastily rush to Mash-har (the gathering ground) on the Day of Resurrection.

Ibrahim was a believer but he wanted to go further in his faith and his belief. He wanted to have no doubts whatsoever. He asked Allah سبحانه وتعالى to show him how He brought life to the dead so that his heart and soul would be totally satisfied in regards to the resurrection. (Surah 2 : 260).

One day Ibrahim was approached by three strangers. They greeted him by saying Salaam and he returned the greeting. Ibrahim invited them to enter his home and then had a calf slaughtered and cooked for them to eat.

When the food was served he noticed that the three strangers were not eating. Ibrahim became fearful and did not trust the strangers when he saw that they did not eat. The strangers sensed Ibrahim's fear and mistrust and one of them told Ibrahim not to be afraid as they were angels and were sent to impose a torment upon the people of Prophet Lut. Then they gave Ibrahim and Sarah glad tidings of a son who would be named Ishaq and his son whose name would be Yaqub.

Sarah began to laugh nervously and was totally surprised by this news. She told the angels that she could not understand how she and Ibrahim, having passed the age of child-bearing, could have a child. The angels asked her if she doubted the command of Allah سبحانه وتعالى. They told Ibrahim that the Mercy and Blessings of Allah سبحانه وتعالى were upon him and his family, and that Allah was All-praise-worthy, Al-Glorious.

After Ibrahim had calmed and accepted the glad tidings happily the angels told him of their mission to destroy the people of Prophet Lut. Ibrahim being the most forbearing and forgiving of all the prophets asked the angels if they would destroy all the people even if there were some who believed.

The angels told him that this was the command of Allah سبحانه وتعالى and His command can never be changed by anyone except Him. They told Ibrahim that Allah سبحانه وتعالى had commanded that a torment overtake Lut's people and this could not be changed. Then the angels left Ibrahim and proceeded on their journey to Prophet Lut and his people. (Surah 11 : 69 -76, Surah 51 : 24 - 33).

Ibrahim spent his life in complete submission to Allah سبحانه وتعالى. He traveled all over the land for the sole purpose of preaching the worship of Allah سبحانه وتعالى alone (Tawheed). He and his son Isma'il built the House of Allah, the Ka'ba in Makkhah. (Surah 14 : 35 - 41, Surah 2: 124 - 129, Surah 3: 96 - 97). Prophet Ibrahim established the rites of Hajj as enjoined upon him by Allah سبحانه وتعالى (Surah 22 : 26 - 30). He taught the people he came into contact with Tawheed (Surah 60 : 4), the Attributes of Allah سبحانه وتعالى, (Surah 26 : 77 - 84) belief in judgment on the Day of Resurrection, (Surah 2 : 260) the existence of Jannah and Jahannam. (Surah 26 : 83; Surah 2 : 126) repentance, (Surah 2 : 128) forgiveness, (Surah 26 : 86 - 87) Iblees and his associates, (Surah 19 : 44) and that there would be no

Time passed and Sarah, Ibrahim's wife, felt sad that they did not have any children. She offered her slave Hajar to Ibrahim for marriage hoping that she would give Ibrahim children. Ibrahim also felt the loneliness of not having children and he often supplicated to Allah سبحانه وتعالى to give saying: "My Lord! Grant me (offespring) from the righteous." (Surah 37: 100) Hajar became pregnant and gave brith to Ibrahim's first son Isma'il. Ibrahim was eighty six years old when Isma'il was born.

Ibrahim was settled in palestine and he loved Isma'il more than anything in the world. This was a deeper love than most fathers have for their sons. Ibrahim was old when his son was born and he had prayed and supplicated to Allah سبحانه وتعالى to give him offspring that would continue to call people to Islam. When Allah سبحانه وتعالى answered his prayer and Isma'il was born Ibrhaim was overjoyed. However, Isma'il, was to be the cause of two trials for Ibrahim.

Isma'il was still a nursing baby when Allah سبحانه وتعالى commanded Ibrahim to take Hajar and Isma'il to a desolate and barren place in the desert. Ibrahim was commanded to leave them in this valley in the Arabian peninsula which we know as makkah. He brought Hajar and Isma'il to a place near the Ka'ba and left them under a tree in the exact spot where the Zamzam well is now. At that time Makkah was a desolate place with no people, water or food. Ibrahim left them a leather bag containing dates and a small water-skin containing some water. Then he left to return to Palestine. His wife Hajar asked him: "Oh Ibrahim! Where are you going, leaving us in this valley where there is no person whose company we many enjoy, nor is there anything (to enjoy)?" Hajar repeated this many times but Ibrahim did not answer her. Finally she asked: "Has Allah سبحانه وتعالى ordered you to do so?" Ibrahim replied: "Yes". Then Hajar said: "He will not neglect us." (Sahih Al-Bukhari)

Ibrahim then left his wife and child to return to Palestine. He walked a little while then he stopped and prayed to Allah سبحانه وتعالى saying: "Oh our Lord! I have made some of my offspring to dwell in a valley with no cultivation, by Your Sacred House (the Ka'ba at Makka); in order, Oh our Lord, that they may offer prayers perfectly (Iqâmat-as-Salât), so fill some heart among men with love towards them, and (Oh Allah) provide them with fruits so that they may give thanks." (Surah 14 : 37) Then Ibrahim returned to Palestine.

Ibrahim used to visit Hajar and Isma'il occasionally. On one of his visits Allah سبحانه وتعالى commanded him to offer his son as a sacrifice. This was the second and most difficult test for Ibrahim's faith.

When Isma'il was old enough to walk with Ibrahim he told his son that he saw himself in a dream offering Isma'il as a sacrifice to Allah سبحانه وتعالى . Then he asked Isma'il: "What do you think?" Ismail told his father: "Do that which you are commanded, Inshâ Allah (Allah's willing) you shall find me of the patient/" When they had both submitted themselves to the Will of Allah سبحانه وتعالى and Isma'il had laid prostrate prepared to be sacrificed, Allah سبحانه وتعالى called on to Ibrahim and said: "Oh Ibrahim! You have fulfilled the dream (vision)!" Then He told Ibrahim that the sacrificing of his son had been a trial for him, and sent a ram to be sacrificed instead of Isma'il (Surah 37 - 102 - 107).

Ibrahim wondered how Allah سبحانه وتعالى brought the dead back to life so he asked Allah سبحانه وتعالى to show him how He did this. Allah سبحانه وتعالى said: "Do you not

destroy their idols. He waited with patience and one day when all the people had gone to a festival of celebration for their gods Ibrahim went to the temple and smashed all but the largest idol. When the people returned and saw all of their idols smashed into little pieces they began to ask each other who was the sinner who could do such a thing. Then some of the people remembered that they had heard a young man named Ibrahim speaking against their gods. The disbelievers then ordered Ibrahim to be brought before them so that they could put him on trial for his cirmes.

When Ibrahim arrived he told them that he had not destroyed the idols. He pointed to the one left and told the people that god must have destroyed the rest. He told the people to ask the idol :if he can speak." The people were infuriated. They told Ibrahim that he knew the idols could not speak. Ibrahim asked them: "Do you then worship besides Allah, things that can neither be of any good or harm to you. Have you no sense?" The disbelieves amongest his people then said that Ibrahim was guilty of destroying their idols and that the punishment for this crime was death. They decided to execute him by throwing him into a fire. (Surah 6 : 57 - 68).

Allah ordered the fire to be cool and peaceful for Ibrahim. Ibrahim supplicated to Allah the entire time he was in the fire. His heart was filled with love for his Lord and nothing else. No fear entered his heart or his mind.

The disbelievers removed Ibrahim from the fire expecting to find him dead. Instead they found that he was not harmed at all. The disbelievers plotted to kill Ibrahim but Allah made them the losers instead. (Surah 6:70).

Ibrahim then left his people accompanied by two other believers. One of the believers was to become his wife and her name was Sarah. The other believer was his nephew Lut who was to become a prophet himself later on. They all traveled together to Palestine. (Surah 29:26).

Abu Hurairah narrated that Ibrahim عليه السلام did not tell a lie except on three occasions, twice for the sake of Allah (Exalted and Almighty) when he said: "I am sick," (Surah 37:89) and when he said: "(I have not done this but) the big idol has done it." The (third was) that while Ibrahim and Sarah (his wife) were going (on a journey), they passed by (the territory of) a tyrant. Someone said to the tyrant: "This man (i.e., Ibrahim عليه السلام is accompanied by a very charming lady." So, he sent for Ibrahim and asked him about Sarah saying: "Who is this lady?" Ibrahim said: "She is my sister." Ibrahim went to sarah and said: "O Sarah! There are no believers on the surface of the earth except you and me. This man asked me about you and I have told him that you are my sister, do not contradict my statement." The tyrant then called Sarah, and when she went to him, he tried to take hold her with his hand, but (his hand got stiff and) he was confounded. He asked Sarah: "Pray to Allah for me, and I shall not harm you." So Sarah asked Allah to cure him and he got cured. He tried to take hold of her for the second time, but (his hand got as stiff as or stiffer than before and) he was more confounded. He again requested Sarah: "Pray to Allah for me, and I will not harm you." Sarah asked Allah again, and he became all right. He then called one of his guards (who had brought her) and said: "You have not brought me a human being but have brought me a devil." The tyrant then gave Hajar as maid servant to Sarah. Sarah came back (to Ibrahim) while he was praying. Ibrahim, gesturing with his hand, asked: "What has happened?" She replied: " Allah has spoiled the evil plot of the infidel (or immoral person) and gave me Hajar for service." (Sahih Al-Bukhari).

However, his people like those of the 'Ad and Thamud, as well as most other human beings, had a desire to follow their forefathers' practices. They refused to abandon what their forefathers worshipped and considered anyone who did so, a sinner and in grave error.
Some of the people during this time worshipped idols of stone and wood, some worshipped stars, planets, the sun and the moon, and some worshipped humans such as kings and rulers.
One night Ibrahim was gazing into the heavens and saw a star. He told his people that this star was his Lord. They accepted this as the worship of stars was permissible. Then when Ibrahim saw the star set he told them that he did not like things which set. (Surah 6 : 76). Then he saw the moon rising and said to his people: "This is my Lord." Then when he saw the moon set he said: "Unless my Lord guides me I shall surely be among the erring people." (Sura 6 : 77). Then Ibrahim saw the sun rise and said "This is my Lord. This is greater." But again he saw it set. At this point he told his people: "O my people ! I am indeed free from all that you join as partners in worship with Allah." (Surah 6 : 78).
What Prophet Ibrahim was trying to do was to show his people by rational argument that all of these things were controlled by some other force. The stars, sun, moon, etc., had no choice in whether to rise or set. They rose and set in patterns which were controlled by someone else. If these celestial things, which they were worshipping, could not control their own movements how then could they help or cause harm to people? Prophet Ibrahim then told his people that the one who controlled these and all other things in the universe was Allah. Ibrahim also told his people that his Lord was Allah and that he would not worship anyone or anything other than Allah. His people warned him that their gods would punish him severely if he did not stop saying such things. Ibrahim told his people that it was they who were wrong-doers and that they were the ones who would suffer torment from Allah for worshipping and associating others with, or instead of, Allah.
Prophet Ibrahim also addressed the issue of worshipping kings and rulers. One day one of the kings which his people worshipped. Namrud the king of Ur in Chaldea (Babylonia) the homeland of Ibrahim, told Ibrahim that he was the one who gave life and took life away. Namrud believed himself to be a god and worthy of being worshipped as he could decide at anytime to put any person to death or to save any person from being executed.
Prophet Ibrahim could have argued the point with Namrud. Instead he cut the discussion off with one simple sentence: :My Creator causes the sun to rise from the east. Let it rise from the west if you are the Lord!" (Surah 2 : 258) Namrud knew that he could not accomplish this task and therefore he was not a god. The news of this incident spread and all the people were talking about how Ibrahim had persuasively argued that that kings and rulers were not the Lord of the Universe.
Prophet Ibrahim, Khalil-ul-Allah (Surah 4 : 125) then faced his final challenge amongst the idol worshippers. He asked the people why they worshipped images of stone and wood. They told him that their forefathers worshipped these idols and therefore they also worshipped them. Prophet Ibrahim told them that both they and their forefathers were wrong-doers and in grave error. The disbelievers asked Ibrahim if he was playing with them or if he had really brought them the truth. Ibrahim told them that their only Lord was the Lord of the heavens and the earth, and that He created everything from nothing. Then Ibrahim said: "And I am one of the witnesses to this." (Surah 21 : 51 - 56).
Prophet Ibrahim then warned them that once they turned their backs he was going to

The Prophets of Allah

Prophet Ibrahim عليه السلام

by Sheikh Muhammad Mustafa Gemea'ah

Prophet Ibrahim was born in Iraq. His father's name was Azar and he used to carve idols out of wood and sell them to the idol worshippers. Prophet Ibrahim led his life in continuos struggle to establish Islam, and is remembered with praisweworthy titles in the Qur'an which help us to understand his distinguished character. Some of these titles are: Khalil-u-Allah, the friend of Allah (Al-Nisa: 125); Hanif Away from Shirk, (Al-Imran: 67) - he preached the Unity of Allah and followed that way throughout his life. Muslim, (Al Imran: 67). Siddiq, (Maryam: 41) - His sacrifice in the way of Allah stands as a great witness to his truthfulness. Chosen and guided, (Nahl: 120; Baqara: 130). Awwah, Tender-hearted, (Tauba 114 Hud: 75). Halim, Forbearing of faults, (Tauba: 114 Hud: 75). Builder of the House of Allah, (Baqara: 127). Pronouncer to the call for Hajj. (Hajj: 27). Father of the Muslim Millah, (Hajj: 78). The master of a sound heart, (Saffat: 84).

Prophet Ibrahim was endowed with knowledge of Allah عز وجل from a very young age. He questioned and abhorred the practice of idol worship and could not understand how other people could follow such a mindless practice. One day he asked his father why he worshipped things which did not hear or see and which coud not help or harm him. He told his father that Allah سبحانه وتعالى had given him knowledge of Tawheed - the Oneness of Allah. He also told his father that he should abandon idol worship as it was the same as following the way of Iblees the eternal enemy of Allah سبحانه وتعالى . Ibrahim told his father that Iblees had deceived him and his people and led them astray and that the only chance they had for redemption was to turn back to the worship of Allah سبحانه وتعالى alone. Then Ibrahim told his father that he feared a terrible torment would overtake his father and their people if they did not take heed to what he was saying. (surah 19 : 41 - 45).

Prophet Ibrahim's father became extremely angry. He told Ibrahim that he should be stoned for abandoning their gods. Then he ordered Ibrahim to leave his house before he punished him severely. Prophet Ibrahim calmly said to his father: "Peace be on you! I will ask Forgiveness of my Lord for you. Verily! He is most Gracious to me. And I shall withdraw from you." (Surah 19 : 46 - 48).

Prophet Muhammad عليه السلام said: "On the Day of Resurrection Ibrahim will meet his fatherAzar whose face will be covered with dust. Ibrahim will say to him: 'Didn't I tell you not to disobey me?' His father will reply: "Today I will not disobey you.' Ibrahim will say: 'Oh Lord! You promised not to disgrace me on the Day of Resurrection; and what will be more disgraceful to me than cursing and dishonoring my father?' Then Allah سبحانه وتعالى will say to him: 'I had forbidden Paradise to the non-believers." (Sahih Bukhari).

Prophet Ibrahim then withdrew from his family and his people. He turned instead to Allah سبحانه وتعالى and devoted himself to His worship and he tried to think of how he could prove to his people that their worshipping idols was a great sin which would avail them nothing other than the anger of Allah سبحانه وتعالى .

AL-AZHAR MAGAZINE
Rabiu Al -Akhar 1421 H.

ENGLISH SECTION
July 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة



علماء الآخرة وعلاماتهم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أسعد خلق الله، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الكرام البررة.

«وبعـــد»

فإن العلماء هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، وبهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ والفساد، وإن مثلهم فى الأرض كمثل النجوم فى السماء، وقد أخذ علينا العهد العام من سيدنا رسول الله - ﷺ - أن نبجل العلماء والصالحين والأكابر، وإن لم يعملوا بعلمهم، لنقوم بواجب حقهم، ويجب علينا أن نحسن الظن بالعلماء، لأن صلاح الأمة وفسادها بصلاح العلماء وفسادهم، وإن من العلماء رحمة على الناس، يسعد من اقتدى بهم، وان من العلماء فتنة على الأمة، يهلك من تأسى بهم، فالعالم اذا كان عاملا برضوان الله، مؤثراً للآخرة على الدنيا، فأولئك خلفاء الرسل - عليهم الصلاة

←

والسلام ـ والنصحاء للعباد، والدعاة إلى الله ـ تعالى ـ وأولئك رفقاء الأنبياء على منابر النور، في الحلي والحلل يكرمون ويحبرون، وفي الأقارب والأباعد يشفعون، إذ الخلائق ببعثهم مشغولون، أولئك رحمة الله على الأمة، وبركته عليهم، يدعون إلى سبيل النجاة، فسعد من أجابهم، وفاز من اقتدى بهم، ولهم مثل أجر المتأسين بهم، وقد جاءت الآثار بنعتهم، بلغنا أن بعض أهل العلم تلى هذه الآية:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(1).

قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، ان هذا خليفة الله.

إخواني أحباب رسول الله: بمثل هذا العالم اقتدوا، وبه تأسوا وتعودوا تسعدوا، الا إن صنفا من العلماء، رضوا بالدنيا عوضا عن الآخرة، فآثروها على جوار الله ـ تعالى ـ ورغبوا في الاستكثار منها، واحبوا العلو فيها، فتاسى بهم عالم من الناس، وافتتن بهم خلق كثير، أولئك أسوا فتنة على الأمة، تركوا النصح للناس، كيلا يفتضحوا عندهم، ويحيهم كيف ينالون الخير بوعيد الله إياهم، وشروا بالعلم ثمنا قليلا، لقد خسروا وبئس ما أتجروا، واحتملوا أوزارهم مع أوزار المتاسين بهم، فهلكوا وأهلكوا، أولئك خلفاء الشيطان، ودعاة إبليس، أقل الله في البرية مثلهم، وقد حذر رسول الله ـ ﷺ ـ فتنة العالم المؤثر للدنيا.

قال المحاسبي: بلغنا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا، فإذا فعلوا ذلك فاتهموهم على دينهم»(2) وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لاتزال هذه الأمة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يحل قراؤهم أمراءهم، وما لم يزك خيارها شرارها، وما لم يميز صلحاؤها فجارها، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم يده، وسلط عليهم الجبابرة فيسومونهم سوء العذاب».

وبلغنا أن الله ـ عز وجل ـ أوحي إلى داود عليه السلام: «لا تستشر في أمرك عالما أسكره حب الدنيا، فيسقطك بسكره عن طريق محبتي، أولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين»(3) وهنا يقول سيدي عبدالوهاب الشعراني (4): ومما أنعم الله ـ تبارك وتعالى ـ به علي، من صغري مخالطة العلماء العاملين، مع خوفي من عدم القيام بواجب حقهم، والبعد عن كل من لا يعمل بعلمه، وما أمثل نفسي بين يدي العالم العامل إلا كأنها بين يدي رسول الله ـ ﷺ ـ من حيث إنه ـ ﷺ ـ لو كان في عصري، لم يرشدني بغير ما

---

(1) سورة فصلت الآية (33)

(2) الوصايا للمحاسبي (37).

(3) الوصايا للحارث المحاسبي (38).

(4) لطائف المنن والأخلاق (136).

أرشدني به ذلك العالم، الذى هو وارث له، وقد قالوا ليس فوق منزلة العالم العامل إلا منزلة النبوة.

فعليك يا أخي بمجالسة كل من رأيته يعمل بعلمه، وإياك أن تخالفه، أو تنافره، أو تجانبه، أو تعاديه، فإن السلامة فيما يقوله من النصح، وفي مخالفته: الضلال والهلاك».

وإن علماء الآخرة هم علماء الدين العاملين أما علماء الدنيا فهم علماء السوء، الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا، والتوصل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها.

ومن علامات علماء الآخرة أنه لا يطلب الدنيا بعلم المسائل التي تعلمها، فإن أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها، وكدرتها وانصرامها، وعظم الآخرة ودوامها، وصفاء نعيمها، وجلالة ملكها، ويعلم أنهما متضادتان، وأنهما كالضرتين، مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى. وأنهما ككفتي الميزان، مهما رجحت احداهما خفت الأخرى، وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى، وأنهما كقدحين احدهما مملوء والآخر فارغ، فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلىء، يفرغ الآخر، وإن من لا يعرف ذلك فهو فاسد العقل.

ثم أن من علاماته كذلك: ألا يخالف قوله فعله، بل يكون أول عامل لما يأمر به، وأول مجتنب لما ينهى عنه، قال الله تعالى:

﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٥). وقال الله تعالى في قصة سيدنا شعيب: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ﴾(٦) وقال الله تعالى:

﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾(٧) وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مررت ليلة أسرى بي بأقوام تقرض شفاهم بمقاريض من نار، فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه، وننهي عن الشر ونأتيه».

وقال الفضيل بن عياض: بلغني أن الفسقة من العلماء ومن حملة القرآن يبدأ بهم يوم القيامة، قبل عبدة الأوثان(٨) وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ «ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات».

وأيضا: أن يكون عالم الآخرة معتنيا بتحصيل العلم النافع في الآخرة، المرغب في الطاعة، الناهي عن الدنيا، ويكون متوقيا علما يكون مكثرا قيلا وقالا أي: فضول ما

---

(٥) سورة الصف الآية (٣).
(٦) سورة هود الآية (٨٨)
(٧) سورة البقرة الآية (٤٤).
(٨) جامع بيان العلم وفضله (١٩٢/١).

يتحدث به المتجالسون ويكون مزينا له، قال في «الإحياء»: بل ينبغي أن يكون التعلم من جنس ما روي. عن حاتم الأصم ـ تلميذ شقيق البلخي ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال له شقيق: منذ كم صحبتني؟ قال حاتم: منذ ثلاث وثلاثين سنة. قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثمان مسائل. قال شقيق له: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[9]، ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثمان مسائل. قال يا أستاذ: لم أتعلم غيرها، وإني لا أحب أن أكذب. فقال: هات ما هي حتى أسمعها؟ قال حاتم: نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا، فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي. فقال: أحسنت ياحاتم، فما الثانية؟ قال: نظرت في قول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾[10] فعلمت أن قوله ـ سبحانه ـ هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى، حتى استقرت على طاعة الله ـ تعالى ـ. **الثالثة**: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه، ثم نظرت إلى قول الله عز وجل:

﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾[11] فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله، ليبقى عنده محفوظا.

ثم رابعا: أني نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[12] فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما.

ثم خامسا: أني نظرت إلى هذا الخلق، وهم يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضا، وأصل هذا كله: الحسد، ثم نظرت إلى قول الله ـ عز وجل ـ:

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[13] فتركت الحسد، واجتنبت الخلق، وعلمت أن القسمة من عند الله ـ سبحانه ـ فتركت عداوة الخلق عني.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلق يظلم بعضهم بعضا، ويقاتل بعضهم بعضا، فرجعت

---

(٩) سورة البقرة الآية (١٥٦).

(١٠) سورة النازعات الآية (٤٠).

(١١) سورة النحل الآية (٩٦).

(١٢) سورة الحجرات الآية (١٣).

(١٣) سورة الزخرف الآية (٣٢).

إلى قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[14] فعاديته وحده، واتخذت حذري منه، لأن الله ـ تعالى ـ شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره.

سابعا: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت الواحد منهم يطلب كسرة الخبز فيذل بها نفسه، ويدخل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[15] فعلمت أني واحد من هذه الدواب، التي عليَّ الله رزقها، فاشتغلت بما لله ـ تعالى ـ عليَّ، وتركت ما لي عنده.

ثامنا: نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم متوكلين على مخلوق مثلهم، هذا على عقاره، وهذا على تجارته، وهذا صناعته، وهذا على صحة بدنه، فرجعت إلى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[16] فتوكلت على الله ـ عز وجل ـ فهو حسبي.

قال شقيق، ياحاتم وفقك الله ـ تعالى ـ فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور، والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة، تدور على هذه الثمانية، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة[17].

العلامة الرابعة لعالم الآخرة: أن يكون مجتنبا الترفه في المطعم والمشرب، والتجمل في المسكن، وفي أثاثه، ومتاعه ومجتنبا التنعم والتزين في لباسه، ويكون مائلا إلى القناعة، والتقلل في جميع ذلك ما أمكنه، ويتشبه فيه السلف ـ رحمهم الله ـ ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه، وارتفع في علماء الآخرة نصيبه، قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم باق لا يزول[18] أما العلامة الخامسة فأن يكون العالم منقبضا متباعدا عن مخالطة السلطان وزيارته، وإن المراد به كل من كان له سلطنة وولاية في محل لأن المخالط له لا يخلو إما أن يلتفت إلى تجمله، وكثرة ماله، فيزدري نعمة الله عليه، أو يسكت عن الإنكار عليه، فيكون مداهنا له، أو يتكلف في كلامه كلاما لمرضاته، وتحسين حاله، فيكون بهتانا صريحا، أو يطمع في أن ينال من دنياه، فيكون آكلا للسحت، وقد احترز الأولون من الدخول على السلاطين، لما روى عن علي ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن في جهنم واديا إذا فتح استجارت منه النار سبعين مرة أعد للقراء المرائين»[19] وأشد القراء عذابا الذين يدارون الأمراء.

---

(14) سورة فاطر الآية (6).

(15) سورة هود الآية (6)

(16) سورة الطلاق الآية (3)

(17) كفاية الأتقياء للدمياطي (77)

(18) سلالم الفضلاء (81، 82) وكفاية الأتقياء (78)

(19) كفاية الأتقياء (78).

وكتب سيدنا عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ إلى الحسن البصري: « أما بعد فأشر عليّ بقوم أستعين بهم على أمر الله ـ تعالى ـ» فكتب إليه: « أما أهل الدين فلن يريدوك، وأما أهل الدنيا فلن تريدهم، ولكن عليك بالأشراف، فإنهم يصونون شرفهم عن أن يدنسوه بالخيانة »[٢٠]. فهذا عمر بن عبدالعزيز ذكر له أن أهل الدين لن يريدوه، وكان أزهد أهل زمانه.

وقال أبوذر لسلمة: « ياسلمة، لا تغش أبواب السلاطين، فإنك لا تصيب شيئا من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه، وهذه فتنة عظيمة للعلماء، وذريعة صعبة للشيطان عليهم، لاسيما من لهجته مقبولة، وكلامه حلو، إذ لايزال الشيطان يلقي إليه أن في وعظك لهم، ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم، ويقيم شعائر الشرع الى أن يخيل إليه أن الدخول عليهم من الدين، ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام، ويداهن ويخوض في الثناء والإطراء، وفيه هلاك الدين.

وكان يقال: « العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شغلوا، فإذا شغلوا فقدوا، فإذا فقدوا طلبوا، فإذا طلبوا هربوا ».

أما إن كان الدخول على السلطان لتقديم النصيحة له، ودفع المظالم، والشفاعة في المراضي، فلا بأس به لكن مع قطع الطمع عن ماله وجاهه حتى تنفذ النصيحة، وتقبل الشفاعة.

العلامة السادسة لعالم الآخرة: ألا يكون مسارعا الى الفتيا إذا سئل، بل يقول له: اسأل من يكون تأهل للفتاوى احتياطا وحزما، ويمتنع من اجتهاد لا يكون متعينا عليه، بأن وجد في غيره غنية عنه، وإذا لم يسهل الاجتهاد عليه يقول: « لا أدري، ولا يستنكف ».

قال في الإحياء: « ومن علامات عالم الآخرة: ألا يكون مسارعا إلى الفتيا، بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا، فإن سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله، أو بنص حديث، أو إجماع، أو قياس جليّ أفتى، وإن سئل عما يشك فيه، قال: لا أدري، وإن سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط، ودفع عن نفسه، وأحال على غيره، ان كان في غيره غنية، هذا هو الحزم، لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم ». وفي الخبر: العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري،، قال الشعبي: « لا أدري نصف العلم، ومن سكت حيث لا يدري لله ـ تعالى ـ فليس بأقل أجرا ممن نطق، لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس ».

أما العلامة السابعة لعالم الآخرة: أن يكون قصده باشتغال العلوم تحصيل ثواب الله في الآخرة، وأن يكون أكثر اهتماما بعلم الباطن، ليعرف به ما يفسد الأعمال، ويشوش القلوب ومتصفا بمراقبة قلبه، لأجل سياسته، أي: تأديبه وتخلقه بأخلاقه الحميدة، ويكون متوقعا

---

(٢٠) كفاية الأتقياء (٧٩).

وراجيا انكشاف طريق الآخرة من المجاهدة، فإنها تفضي إلى المشاهدة، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾[٢١] فبالمجاهدة والجلوس مع الله في الخلوة، وتطهير القلب عن شواغل الدنيا، تنكشف دقائق علوم الدين، وتنفجر ينابيع الحكمة من القلب، من غير عدٍّ ولا حصر، فتصفية القلب والجلوس في الخلوة مع الله مفتاح الإلهام، ومنبع الكشف، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموع بكلمة، وكم من مقتصر على المهمّ في التعلم، ومتوفر على العمل، ومراقبة القلب، فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب، ولذلك قال ـ ﷺ ـ : «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

وفي الكتب السالفة: يابني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء، من ينزل به إلى الأرض، ولا في تخوم الأرض من يصعد به، ولا من وراء البحار من يعبر يأتي به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدبوا بين يديّ بآداب الروحانيين، وتخلقوا بأخلاق الصديقين، أظهروا العلم في قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم[٢٢].

وأن يكون عالم الآخرة معتمدا في علومه على تقليده لصاحب الشريعة، في أقواله وأفعاله، ومعتمدا على بصيرته في كشف أستار تلك العلوم، وإدراك حكمها ودقائقها.

وأخيرا فلعل سائلا يسأل ويقول: هل هناك من يجمع هذه الخصال التي تميز عالم الآخرة؟ أقول: نعم، يوجد الكثير ممن سترهم الله بستره، وعلى رأس هؤلاء أئمة المذاهب المتبوعة كانوا جامعين لها، معتصمين بحبل الله، ومتمسكين بسنة نبيهم، ومن هنا اقتدى بهم أتباعهم اقتدوا بهم في الأحكام، فهذا إمامنا الشافعي وإمامنا مالك وأمامنا أبوحنيفة وإمامنا ابن حنبل وسفيان الثوري وغيرهم كانوا كاملين في ست خصال وهي: الزهد والصلاح والعبادة، والعلم بعلوم العقبى النافعات للخلق، والتفقه في مصالح الخلق في الدنيا، وإرادتهم بتفقههم وجه الله ـ تعالى ـ وإن فقهاء العصر لم يتبعوهم إلا في خصلة واحدة، وهي الفقه وتفاريعه لأنها تصلح للدنيا كما تصلح للآخرة.

أسأل المولى ـ سبحانه ـ أن يفقهنا في ديننا، وأن يوجهنا إلى كل خير، وأن نعرف لسادتنا من العلماء الأعلام مكانتهم، حتى نحشر في زمرتهم وصلى الله وسلم على حبيبي رسول الله.

(عبدالمعز عبدالحميد الجزار)

---

(٢١) سورة العنكبوت الآية (٦٩). (٢٢) الحديث.

(٢٣)كفاية الأتقياء (٨٠) وسلالم الفضلاء (٨٢) وإحياء علوم الدين للغزالي.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله – تعالى –:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[الآية: ١٨٩]

انتقل القرآن إلى الحديث عن الأهلة لما لها من صلة بالصيام وبالقتال في الأشهر الحرم وبمواقيت الحج.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية روايات منها ما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: «بلغنا أن بعض الناس قالوا: يارسول الله، لم خلقت الأهلة؟ فنزلت».

والأهلة: جمع الهلال، وهو الكوكب الذي يبزغ في أول كل شهر، ويسمى هلالا لثلاث ليال أو لسبع ليال من ظهوره، ثم يسمى بعد ذلك قمرا إلى أن يعود من الشهر الثاني.

قال بعضهم: وهو مشتق من استهل الصبي إذا بكى وصاح حين يولد، ومنه أهل القوم بالحج إذا رفعوا أصواتهم بالتلبية، وسمي بذلك لأنه حين يرى يهل الناس بذكره أو بالتكبير، ولهذا يقال أهل الهلال واستهل[1].

والمواقيت: جمع ميقات بمعنى الوقت، وهو ما يقدر لعمل من الأعمال وقيل: الميقات منتهى الوقت.

والمعنى: يسألك بعض الناس عن الحكمة من خلق الأهلة، قل لهم يامحمد إن الله تعالى - قد خلقها لتكون معالم يوقت ويحدد بها الناس صومهم، وزكاتهم، وحجهم، وعدة نسائهم، ومدد حملهن، ومدة الرضاع، وغير ذلك مما يتعلق بأمور معاشهم.

قال - تعالى - :

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾

وخص الحج بالذكر مع أن الأهلة مواقيت لعبادات أخرى كالصوم والزكاة للتنبيه على أن الحج مقصور وقت أدائه على الزمن الذى عينه الله - تعالى - وأنه لا يجوز نقله إلى وقت آخر كما كانت العرب تفعل، إذ كانوا ينقلون ما شاؤوا من الأشهر الحرم الأربعة التى من جملتها ذو الحجة إلى شهر آخر غير حرام، وهو النسيء المشار اليه بقوله - تعالى - :

﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾.

وخص الشارع المواقيت بالأهلة وأشهرها دون الشمس وأشهرها، لأن الأشهر الهلالية تعرف برؤية الهلال ومحاقه، وذلك مما لا يخفى على أحد من الخاصة أو العامة أينما كانوا، بخلاف الأشهر الشمسية، فإن معرفتها تنبني على النظر في حركات الفلك وهي لا تتيسر إلا للعارفين بدقائق علم الفلك.

هذا، ومن الروايات التى وردت في سبب نزول هذه الآية ما رواه أبونعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال: نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم قالا: يارسول الله ما بال الهلال يبدو - أو يطلع - دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يعظم ويستدير، ثم لايزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحد؟ فنزلت.

وعلى هذه الرواية يكون الجواب بقوله - تعالى - :

﴿ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ من قبيل أسلوب الحكيم، وهو إجابة السائل بغير ما يتطلبه سؤاله، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيها له على أن ذلك الغير هو الأولى بالسؤال لأنه هو المهم بالنسبة له.

---

(١) تفسير الألوسي (٧١/١).

فأنت ترى هنا أن السائلين قد سألوا عن سبب اختلاف الأهلة بالزيادة والنقصان، فأجيبوا ببيان الحكمة من خلقها فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم: عليكم أن تسألوا عن الحكمة والفائدة من خلق الأهلة لأن هذا هو الأليق بحالكم وهو ما أجبتكم عليه، لا أن تسألوا عن سبب تزايدها في أول الشهر وتناقصها في آخره، لأن هذا من اختصاص علماء الهيئة، وأنتم لستم في حاجة إلى معرفة ذلك في هذا الوقت.

ولعلماء البلاغة كلام جيد في مزايا ما يسمونه بأسلوب الحكيم، فقد قال السكاكي ما ملخصه: «ولهذا النوع ـ أعني إخراج الكلام لا على مقتضى الظاهر ـ أساليب متفننة ولكل من تلك الأساليب عرق في البلاغة يتشرب من أفانين سحرها، ولا كأسلوب الحكيم فيها، وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب، أو السائل بغير ما يتطلب، كما قال ـ تعالى ـ :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ﴾ الآية، قالوا في السؤال، ما بال الهلال يبدو دقيقا... الخ فأجيبوا بما ترى، وأن هذا الأسلوب الحكيم لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور، وهل الآن شكيمة «الحجاج الثقفي» لذلك الرجل الخارجي، وسل سخيمته، حتى آثر أن يحسن علي أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب؟ إذ توعده الحجاج بالقيد في قوله: «لأحملنك على الأدهم» فقال الخارجي متغابيا: مثل الأمير يحمل على الأدهم الأشهب، مبرزا وعيده في معرض الوعد، متوصلا أن يريه بألطف وجه: أن رجلا مثله جدير بأن يعد لا أن يوعد».

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ هذا القول الكريم نهى لجماعة المسلمين عن عادة كانوا يفعلونها في الجاهلية، وهي أنهم كانوا إذا عادوا من حجهم أو أحرموا لا يدخلون من أبواب بيوتهم بل كانوا يدخلون من نقب ينقبونه في ظهور بيوتهم.

أخرج البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ـ رضي الله عنه ـ يقول: نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه عير بذلك فنزلت: ﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ﴾ الخ.

والمعنى: وليس من البر ما كنتم تفعلونه في الجاهلية من دخولكم البيوت من ظهورها عند إحرامكم أو عودتكم من حجكم، ولكن البر الحق الجامع لخصال الخير يكون في تقوى الله بأن تمتثلوا أوامره وتجتنبوا نواهيه، وإذا ثبت ذلك فعليكم أن تأتوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم أو رجوعكم من حجكم.

وفي الأمر بإتيان البيوت من أبوابها إشعار بأن إتيانها من ظهورها باسم الدين غير مأذون فيه، وكل ما يفعل باسم الدين وليس له في الدين من شاهد فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وفي الآية الكريمة تعريض بمن يسأل النبي - ﷺ - عما هو ليس من العلم المختص بالنبوة، ولا تتوقف معرفته على الوحي، فهذا السائل في سؤاله مثله كمثل من يدخل البيت من ظهره لا من بابه.

قال بعضهم: وذلك لأن العلم على ضربين: علم دنيوي يتعلق بأمر المعاش كمعرفة الصنائع ومعرفة حركات النجوم ومعرفة المعادن والنبات، وقد جعل الله لنا سبيلا إلى معرفة ذلك على غير لسان نبيه - ﷺ -.

وعلم شرعي يتعلق بالعبادات والمعاملات والعقيدة ولا سبيلا الى اخذه إلا من الصادق المصدوق - ﷺ -.

فلما جاءوا يسألون النبي - ﷺ - عما أمكنهم معرفته من غير جهته أجابهم، ثم بين لهم أن البر في التقوى وذلك يكون بالعلم والعمل المختص بالدين.(٢)

قال صاحب الكشاف: فإن قلت. ما وجه اتصال قوله - تعالى -:

﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ ﴾ إلخ بما قبله؟ قلت كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها: أن كل ما يفعله الله تعالى - لا يكون إلا عن حكمة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً، ويجوز أن يكون ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج، لأنه كان من أفعالهم في الحج، ويحتمل أن يكون هذا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره، والمعنى: ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم، ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) أي: باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا، والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب.(٣)

وقوله تعالى:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أمر بالتقوى التي تتضمن القيام بجميع الواجبات واجتناب البدع والمنكرات، أي: افعلوا ما أمركم الله به، واجتنبوا ما نهاكم عنه، لتكونوا من المفلحين، وهم الفائزون بالحياة المطمئنة في الدنيا والنعيم الخالد في الآخرة، وبذلك تكون الآية الكريمة قد ردت عقول الناس إلى النظر والتأمل في سنن الله وفي خلقه على النحو الذي ينشيء التقوى في النفوس، ويوجه إلى العمل الصالح الذي يرضي الله - تعالى -.

(يتبع)

---

(٢) تفسير القاسمي (٤٧٢/١) بتصرف.

(٣) تفسير الكشاف (٢٤٢/١)

قبس من أنوار النبوة

من صفات المؤمن الحليم

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - قال: صلى بنا رسول الله - ﷺ - يوما العصر، ثم قام خطيبا فلم يدع شيئا يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه.. وكان فيما قال:

«إن الدنيا خضرة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون؟ ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء...».

وكان فيما حفظنا يومئذ:

ألا إن بنى آدم خلقوا على طبقات شتى، ألا وإن منهم البطىء الغضب سريع الفىء - أى الرجوع - والسريع الغضب سريع الفىء، والبطىء الغضب بطىء الفىء، فتلك بتلك.

إلا وإن منهم بطىء الفىء سريع الغضب، ألا وخيرهم بطىء الغضب سريع الفىء، وشرهم سريع الغضب بطىء الفىء...».

«أخرجه الترمذى. تيسير الوصول. حـ ٤ ص ٢٧٩»

البيان

خلق الله -عز وجل- الناس طبقات وأصنافاً تختلف طبائعهم، وتتفاوت درجاتهم وهم أمام المثيرات فى الثبات غير سواء؛ فمنهم من يكون عصبى المزاج سريع الغضب لأتفه الأسباب، فتهيج دورته الدموية، وتثور أعصابه وتتوتر حتى يتحول إلى وحشية تفقده عقله وصوابه، وينفلت منه زمام نفسه ولسانه، فيثور ويحطم، ويتفوه بفاحش القول وغليظ الكلام مما يجر إلى سوء العواقب والفعال، ويمزق الروابط الوثيقة فيفارق الأخ أخاه، والولد أباه، وتحرم الزوجة من أولادها، بل قد تثور حروب تهدد سلام الدول والشعوب، وتفسد الدين والأخلاق، وهذا هو الغضب المذموم شرعاً وعقلاً، وهذا يحذرنا منه نبى الإسلام -عليه الصلاة والسلام-.

ومن الناس من يغضب ولكن غضبه لا يخرجه عن حد الاعتدال: فهو يغضب ليدافع عن نفسه، أو عن دينه، أو عن عرضه،

أو عن ماله، أو عن وطنه أو ينصر مظلوماً، وهذا هو الغضب المحمود؛ وأصحاب هذا الخلق خاضعون لسلطان الدين والعقل، ومن بلغ أن تكون قوة غضبه منقادة للدين والعقل فهذا هو الحليم الذي يضبط نفسه عند الغضب - وليس من شرط الحليم أن يفقد قوة الغضب بحيث يكون حاله أمام الإساءة وعدمها سواء، وإنما شرطه ألا يطغى الغضب حتى يدفع الرجل إلى الانتقام، أو يمنعه من الصفح حيث يكون الصفح أولى به.

وديننا الإسلام دين الصفح والعفو وكظم الغيظ، واجتناب الأحقاد وسوء العواقب.

قال الله -تعالى-:

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾(١).

وجعل الصبر والتسامح والتغلب على الغضب من صفات أولي الفضل قال -تعالى-:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(٢).

ولما كان الحلم أنفع علاج لداء الغضب لذلك كان من صفات المرسلين؛ فقد وصف الله به سيدنا إسماعيل -عليه السلام- فقال:

﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾(٣)

كما اتصف به سيدنا يوسف -عليه السلام- فقال الله على لسانه مخاطباً أخوته:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٤).

وكان رسول الله -ﷺ-: قد ألف الله بحلمه القلوب.

قال الله -تعالى-:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾(٥).

ولما استشهد عمه حمزة -رضى الله عنه- في غزوة أحد بيد وحشي ومُثل به غضب النبي -ﷺ- وعزم على قتل سبعين من المشركين.

نزل قول الله - تعالى -:

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾(٦).

فقال: -ﷺ-: «نصبر ولا نعاقب».

إن الحلم وسهولة الأخلاق والعفو عند المقدرة من أخلاق نبينا التي علمها لأمته في قوله وفعله حيث يقول: «**من كظم غيظاً وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق، ويخيره من أى حور العين شاء**» رواه أبو داود.

وقال محمد بن كعب القرظي -فيما رواه ابن أبي الدنيا: «ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله: من إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له».

وها هو أبو بكر الصديق -رضى الله عنه- يقسم ألا ينفق على أحد أقاربه الذي خاض مع الخائضين في

---

(١) سورة الشورى ٤٠.
(٢) سورة الشورى ٤٣.
(٣) سورة الصافات ١٠١.
(٤) سورة يوسف ٩٢.
(٥) سورة آل عمران ١٥٩.
(٦) سورة النحل ١٢٦و١٢٧.

حديث الإفك؛ فنزل القرآن على رسول الله -ﷺ- بقوله -تعالى-:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(٧)

فعاد الصديق إلى العطاء والإنفاق قائلاً: «إني أحب أن يغفر الله لي».

وينكر النبي -ﷺ- على أبي بكر أن يلعن بعض رقيقه وقال: **«لا يجتمع أن تكونوا لعانين وصديقين»** رواه الحاكم.

فأعتق أبو بكر أولئك الرقيق كفارة عما بدر منه لهم؛ وجاء إلى النبي -ﷺ- يقول له: «لا أعود».

وقد أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- أن الله -عز وجل- أكرم أهل الحلم والرفق وسعة الصدر في شخص الأشج، فقال النبي للأشج **«إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله»** قال: ما هما -بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: **«الحلم، والأناة»** فقال: خلقان جبلت عليهما، فقال: **«بل خلقان جبلك الله عليهما»** فقال: **«الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله»** متفق عليه.

جاء في مأثور القول، عن الحسن البصري: من علامات المسلم: «قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة وإحسان، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه... ينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، يغفر إذا ظُلم ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء، والناس منه في رخاء».

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، واصرف عنا سيء الأخلاق.

«تهنئة واجبة»

يسر إدارة «مجلة الأزهر الشريف» أن تقدم أسمى التهاني وأطيب الأماني إلى فضيلة الشيخ/

محمود عبدالغنى عاشور

وكيل الأزهر الشريف

بصدور قرار رئيس الجمهورية بتعيينه لهذا المنصب.

سائلين المولى - سبحانه - أن يوفقه لخدمة الإسلام والمسلمين.

(٧) سورة النور ٢٢.

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

لفــــظ «آل»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن والاه.. وبعد..

فقد ذكر هذا اللفظ في الكتاب العزيز ستا وعشرين مرة، منها أربع عشرة مرة مضافا إلى فرعون (آل فرعون)، والباقي جاءت الكلمة فيه مضافة إلى الأنبياء، آدم، ونوح، وابراهيم، ولوط، ويعقوب، وداود، وعمران عليهم جميعا صلوات الله وتسليماته.

ونرى قبل استعراض تلك الآيات: الست والعشرين، أن نثبت ماقاله الفيروزآبادي عن هذه اللفظة في كتابه القيم، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، قال - رحمه الله -.. وقد ورد - أي: لفظ آل - في القرآن على ثلاثة أوجه:-

الأول: بمعنى القوم والتبع

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾(١).

الثاني: بمعنى أهل البيت، والحاضرين من أهل القوت والنفقة.

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾(٢).

الثالث: بمعنى القرابة، والذرية الكلية:

﴿ وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾(٣).

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾(٤).

وقيل: الآل مقلوب من الأهل، لأنه يصغر على أهيل، إلا أنه خص بالإضافة إلى إعلام الناطقين، دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، لا يقال آل فلان، ولا آل رجل، ولا آل زمان كذا،

---

(١) القمر (٤١).
(٢) آل عمران (٣٣).
(٣) القمر (٣٤).
(٤) مريم (٦).

وموضع كذا، كما يقال أهل زمان كذا، وقيل: هو في الأصل اسم الشخص، ويصغر أويلا، ويستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصاً ذاتياً، إما بقرابة قريبة، أو بموالاة[٥].

وبعد هذه المقدمة نستعرض الآيات الكريمة، التي جاءت فيها هذه الكلمة، ففي سورة البقرة جاءت في ثلاث آيات، أولاها: قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[٦].

والمراد بالآل هنا: القوم والشيع، أي قوم فرعون، وفي الآية امتنان من الله ـ تعالى ـ على بني اسرائيل بإنجائهم، من ذل فرعون وقومه، على يد موسى ـ عليه السلام.

والمعنى: واذكروا معشر اليهود وقت أن نجيناكم ـ أي: نجينا آباءكم ـ من بطش قوم فرعون حيث كانوا يكلفونكم، من الأعمال مافيه مشقة بالغة، وإهانة واضحة، وفي هذا أسوأ العذاب البدني والنفسي، وقد أمعنوا في هذا العذاب، فكانوا يقتلون الذكور، ويستبقون الإناث، إذلالاً لكم، حتى ينقرض نسلكم، وفي ذلك العذاب والنجاة منه اختبار عظيم من ربكم.

وثاني الآيات، التي ذكر فيها لفظ الآل، هي قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾[٧] وهي في نفس السياق السابق، وبيان للطريقة، التي تم بها إنجاء بني اسرائيل من آل فرعون، وأنه كان معجزة من الله ـ تعالى ـ وكان معه إلى جانب ذلك نعمة أخرى، وهي إهلاك أعدائهم، ومعنى الآية ـ والله أعلم ـ واذكروا يابني اسرائيل وقت أن جعلنا لكم البحر طرقاً على عدد أسباطكم، فسرتم فيها، حتى خرجتم إلى الشاطئ الآخر، ولما سار فرعون ومن معه في هذه الطرق خلفكم، انطبق عليهم البحر، فغرقوا عن آخرهم، وأنتم تشاهدون ذلك بأعينكم، زيادة في نعمة الله عليكم.

وفي الآية الثامنة والأربعين بعد المائة الثانية ذكرت اللفظة مرتين، قال تعالى ـ

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٨]

والمراد بآل موسى، وآل هارون فيها: أتباعهما، الذين آمنوا بهما، والآية تشير إلى احدى قصص بني اسرائيل في عهد نبيهم، صموئيل ـ عليه السلام ـ الذي عاصر انتصار الفلسطينيين على بني إسرائيل، وأخذهم تابوت الرب منهم، وهو عبارة عن صندوق فيه التوراة، وبعض مخلفات موسى ـ عليه السلام ـ ولما طلب بنو اسرائيل من نبيهم صموئيل أن ينصب لهم ملكاً، يقودهم في الحرب حتى

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الجزء الثاني ص١٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

(٦) البقرة (٤٩).

(٧) البقرة (٥٠).

(٨) البقرة (٢٤٨).

الله ـ تعالى ـ اختار طالوت لهذه المهمة، فاعترضوا كعادتهم، في اللجاجة والمخالفة، وقالوا: كيف يكون له الملك علينا وهو فقير لا مال له؟ فبين لهم أن اصطفاء الله له بسبب ماأنعم عليه من القوة العقلية، والبدنية، والعلم بفنون الحروب والمعارك، وقيادة الجيوش، فلم يقتنعوا، وظلوا على لجاجتهم، وسوء معتقدهم، فقال لهم: من دلائل اختيار الله لطالوت أن التابوت الذي أخذ منكم قهراً، سيأتيكم على عجلة (عربة) تجره بقرتان، وتحرسه الملائكة، فيه ماتطمئن به قلوبكم من التوراة، ومخلفات موسى وهارون، وفي هذا معجزة، وآية بينة إن كنتم مؤمنين.

وذكرت هذه اللفظة في الآية الحادية عشرة من سورة آل عمران، قال ـ تعالى ـ: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(9).

والمعنى: أن الكافرين سيكونون وقود جهنم، ولن تغني ـ عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، كما حدث لقوم فرعون، مع موسى ـ عليه السلام ـ حين كذبوا بآيات الله، فأهلكهم وأغرقهم، بسبب كفرهم، والله شديد العقاب.

وذكرت الكلمة في السورة نفسها مرتين، في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ﴾(10).

ومعناها: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ اختار للنبوة آدم، ونوحاً ـ عليهما السلام ـ كما اصطفى لها من ذرية ابراهيم، وذرية عمران، من فضلهم على العالمين، بالنبوة والرسالة، كإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، وعيسى بن مريم، وسائر الأنبياء والمرسلين وصفوتهم، وأفضلهم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

وذكرت اللفظة مرة واحدة في سورة النساء، في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾(11).

والمراد بالناس: محمد ـ ﷺ ـ والمراد بآل ابراهيم: الأنبياء الكرام من ذرية ابراهيم ـ عليه السلام ـ والمعنى: إذا حسد اليهود محمداً ـ ﷺ ـ والمؤمنين به على ماآتاهم الله من فضله، فلم لم يحسدوا آل إبراهيم على ما أوتوا من الكتاب والحكمة، والملك العظيم.

وفي سورة الأعراف ذكرت الكلمة، في قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾(12).

والآية: تخبر وتفيد أن الله ـ تعالى ـ أخذ قوم فرعون، أي: عذبهم بالجدب والقحط، ونقص الثمار بسبب تكذيبهم موسى ـ عليه السلام ـ رجاء أن يعرفوا ضعفهم، أمام قدرة الله ـ سبحانه ـ فيؤمنوا بموسى، وبما دعاهم إليه، لكنهم لم يتذكروا، ولم يتعظوا.

---

(9) آل عمران (11).
(10) آل عمران (33).
(11) النساء (54).
(12) الأعراف (130).

وتأتي الكلمة في الأعراف مرة أخرى، في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(١٣).

وهي كآية البقرة، التي بدأنا بها هذا الاستعراض.

وفي سورة الأنفال، جاءت الكلمة مرتين، في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١٤).

وقوله:

﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾(١٥).

أي: ان الله ـ تعالى ـ أهلك مشركي مكة بالقتل، في بدر، كما أهلك قوم فرعون، والذين من قبلهم، لأن فعل هؤلاء، كفعل أولئك، فالكل كذبوا بآيات ربهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر، لأنه شديد العقاب، والجميع كانوا ظالمين، وهما في المعنى كآية آل عمران.

وجاءت الكلمة في يوسف:

﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١٦).

والمراد: بآل يعقوب: الأشراف من ذريته، الذين فازوا بشرف النبوة، ففي مثل هذا السياق تستعمل كلمة آل، في الأشراف، كما يقال آل النبي، وعلى الجملة فكلمة «آل» لا تستعمل إلا فيما شرف، فلا يقال آل الإسكاف وشبهه(١٧) ومعنى الآية، والله أعلم: وكما أراك الله الشمس، والقمر، والاحد عشر كوكباً، ساجدين لك، يجتبيك ويعلمك تفسير الرؤى، ويتم نعمته عليك بالملك والنبوة، كما أتمها على إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم بمن هو أهل للاجتباء والاصطفاء، حكيم في إرادته وتدبيره.

وفي سورة إبراهيم: نرى الكلمة، في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾(١٨).

ومعناها: كالمعنى في آيتي البقرة، والأعراف.

ووردت الكلمة مرتين في سورة الحجر، في الآية ٥٩

﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١٩)

والآية الحادية والستين:

﴿ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴾(٢٠) ذلك ان الله ـ تعالى ـ لما حكم على قوم لوط، الذين كانوا يأتون الذكران من العالمين، بالهلاك، أرسل الملائكة، لتتولى تنفيذ هذا الحكم الإلهي، فمروا

---

(١٣) الأعراف (١٤١). (١٤) الأنفال (٥٢). (١٥) الأنفال (٥٤).
(١٦) يوسف (٦). (١٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ٢ صـ١٦٣.
(١٨) ابراهيم (٦) (١٩) الحجر (٥٩). (٢٠) الحجر (٦١).

على إبراهيم - عم لوط - عليه السلام - وأخبروه بوجهتهم ومهمتهم، وقالوا له: إن العذاب سيلحق الجميع إلا آل لوط، أى: الذين آمنوا به، فإنهم ناجون، ولما وصلوا إلى قرى قوم لوط أنكرهم لوط، فعرفوه بأنفسهم، وأمروه بالخروج ليلاً قبل أن يطلع الفجر.

وفى الآية السادسة من سورة مريم جاءت الكلمة، فى قوله - تعالى -: ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾(٢١)

وهى من بقية دعاء زكريا - عليه السلام - ربه أن يرزقه غلاماً طاهراً يرثه فى النبوة، والدين، ويرث آل يعقوب بن ماثان - قوم زكريا - فى ملكهم، وحسن سياستهم، لأنه عرف أن الأحياء الذين يبقون بعده من عشيرته ليسوا على مستوى وراثة الدين أو الدنيا، ثم قال:

﴿ واجعله رب رضياً ﴾ أى: اجعله براً تقياً مرضياً عندك، تحبه لتقواه، ومرضياً عند خلقك يحبونه لدينه، وخلقه، وحسن سياسته.

وفى سورة النمل جاءت الكلمة، فى قوله - تعالى -:

﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾(٢٢).

ذلك أن لوطاً - عليه السلام - نهى قومه عن الفاحشة، فقال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً، ومن آمن به من بلدكم، لأنهم يتنزهون عن فعل ماتفعلون، ويعدونه من الأمور النجسة.

وفى سورة القصص جاءت الكلمة، فى قوله تعالى:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾(٢٣)

والمعنى: أن أم موسى - عليه السلام - ألقته فى البحر، بإلهام من الله، فدفعه الموج إلى قصر فرعون، فأخذه قوم فرعون أخذ اللقطة الثمينة، لتكون عاقبة أمره، كما أراد الله، لا كما أرادوا وأعدوا ومصدر حزن دائم لهم، وذلك لأن فرعون ووزيره وجنودهما أعماهم الكفر عن الصواب، فكان الخطأ دأبهم باستمرار، ولذلك قتلوا الآلاف، مخافة طفل من بنى اسرائيل، تكون نهاية ملكهم على يديه، والتقطوا الطفل الذى يحذرون، بل وقاموا على تربيته بأنفسهم.

وجاءت الكلمة مرة أخرى، فى سورة سبأ: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾(٢٤)

والآية الكريمة، مع آيات سابقة عليها، ولاحقة لها تذكر ما من الله به على داود وابنه سليمان - عليهما السلام - ومنها: أن الله - تعالى - سخر لسليمان الجن، يعملون له مايشاء من القصور الشاهقة، والمحاريب البديعة، والجفان الواسعة، التى تشبه الأحواض الكبيرة، والقدور الثابتة، لضخامتها، والصور المختلفة ثم طلب - تعالى - من آل داود أن يشكروه شكراً عملياً بالطاعة، وقليل من الناس الذى يقوم بهذا الشكر.

وجاءت الكلمة فى غافر ثلاث مرات، فى آيات ثلاث، وكلها عن آل فرعون: الأولى فى قوله تعالى:

---

(٢١) مريم (٦). (٢٢) النمل (٥٦). (٢٣) القصص (٨). (٢٤) سبأ (١٣).

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(٢٥).

ذلك أن فرعون لما أصر على قتل موسى - عليه السلام - انبرى من قومه رجل آمن بموسى سرا، فأنكر عليهم عزمهم، وقال لهم: أتقتلونه بلا ذنب، إلا أنه قال ربى الله، ودعاكم إليه، وأتاكم بالبينات على صدق قوله ودعواه، إن ذلك لا ينبغى أن يكون، ثم إنه إن كان كاذباً انتقم منه الله، الذى كذب عليه، وإن كان صادقاً حل بكم ما أوعدكم به، ولو كان كاذباً ما هداه الله، وما أيده بهذه المعجزات، التى شاهدتموها، فالله لا يهدى الكذاب المسرف فى كذبه، وفى هذا تعريض بفرعون، وأنه مسرف فى الفساد، والقتل، والكذب، إذ لا كذب أفحش من ادعاء الربوبية.

والثانية، والثالثة: فى قوله تعالى:

﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾(٢٦).

والحديث فيهما عن مؤمن آل فرعون، الذى أخلص النصح لقومه الكافرين فما انتفعوا، ولا ارتدعوا، بل كادوا له ومكروا به، ففوض أمره إلى الله، فحفظه الله من مكرهم، السيئ، وكيدهم الخبيث، بأن نجاه مع موسى من الغرق، وأدخله الجنة فى الآخرة، وحل بآل فرعون عذاب الدنيا بالغرق، وعذاب الآخرة فى جهنم، وبين الغرق وجهنم عذاب القبر، إذ يعرضون فيه على النار فى الغداة، والعشى، وحين تقوم الساعة يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب.

وذكر اللفظ مرتين فى سورة القمر فالأولى فى قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴾(٢٧)

لقد كذب قوم لوط بآيات الله، التى أنذرهم بها، فأرسل الله عليهم الريح الشديدة، ترميهم بالحصباء، وحجارة السجيل، فهلكوا إلا آل لوط، أى: المؤمنين نجاهم الله من هذا العذاب، حيث خرجوا من البلدة بأمر الله فى آخر الليل قبل أن يحل العذاب بالكافرين.

والثانية فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴾(٢٨) أى: والله لقد جاء آل فرعون الإنذارات تترى، والآيات مترادفة، الآية تلو الأخرى، فكذبوا بالآيات كلها، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر.

وننهى هذا المقال عن لفظ الآل ببقية معانيه، فاللفظ من المشترك، ومن معانيه: السراب، والخشب، وأطراف الجبل، ونواحيه، والشخص، وعمد الخيمة، غير أن القرآن الكريم لم يستعمل اللفظة بأحد هذه المعانى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٢٥) غافر (٢٨).
(٢٦) غافر الآيتان (٤٥، ٤٦).
(٢٧) القمر (٣٤).
(٢٨) القمر (٤١).

دلائل القدرة الإلهية تفحم المذاهب الهدامة

للأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم

إن دلائل القدرة الإلهية في السموات والأرض على خالق الكون، وعلى وحدانيته، وأنه المحيي والمميت، دلائل تفحم كل الملحدين، والوجوديين، وأرباب المذاهب الهدامة، قال - تعالى -:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾(١)

إن قدرة الله - تعالى - على كل شئ واضحة، لدى كل مؤمن، فإن الله - سبحانه - هو الذى خلق السموات والأرض، وبيده مقاليد كل شئ، وهو المحيى والمميت، وهو على كل شئ قدير، وهو الذى يبعثنا بعد الموت، وأدلة البعث كثيرة وواضحة، تمام الوضوح، ولا ينكرها إلا جاحد أو معاند، فالله - سبحانه - خلق الإنسان من عدم، وهو الذى يحييه ويبعثه، وفى هذه الآيات الكريمة، رد على من أنكر البعث، واستدلال قوى ببدء الخلق على إعادته، فإن الله - تعالى - الذى خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين، ومن نطفة ضعيفة، قادر على إعادته بعد موته، ولقد جاء أبى بن خلف إلى رسول الله - ﷺ - وفى يده عظم رميم، وهو يفته، ويذره فى الهواء، وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ قال - ﷺ -: نعم يميتك الله - تعالى - ثم يبعثك، ثم يحشرك، إلى النار».

ونزلت هذه الآيات من آخر سورة «يس»

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا

(١) سورة يس الآيات (٧٧ - ٨٠).

﴿ مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(٢)

والآيات عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله - تعالى -:

﴿ أولم ير الإنسان ﴾ للجنس، يعم كل منكر للبعث، ولقد مات أبي بن خلف على الكفر، والضلالة كما أخبر الرسول - ﷺ -

وأن الله - تعالى - الذي أنشأ تلك العظام البالية، أول مرة، هو الذي يحييها ويبعثها، وهو بكل خلق عليم، يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت؟ وفيما رواه الإمام أحمد بسنده، قال عقبة بن عمرو لحذيفة - رضي الله عنهما - ألا تحدثنا ما سمعت من رسول الله - ﷺ -

فقال سمعته - ﷺ - يقول: «**إن رجلا حضره الموت، فلما أيس من الحياة أوصى أهله، إذا أنا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا جزلا، ثم أوقدوا فيه نارا، حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي، فامتشحت - أي احترقت فخذوها فدقوها فذروها في اليم، ففعلوا فجمعه الله - تعالى - إليه، ثم قال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك، فغفر الله - عز وجل - له**».

وهو في الصحيحين بلفظ: «إنه أمر بنيه أن يحرقوه، ثم يسحقوه، ثم يذروا نصفه في البر، ونصفه في البحر، في يوم رائح، أي: كثير الهواء، ففعلوا ذلك، فأمر الله - تعالى - البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له: كن فإذا هو قائم، فقال له: **ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، وأنت أعلم، فما تلافاه أن غفر له**، ثم أوردت الآيات الكريمة دليلا آخر على قدرة الله - تعالى - وعظمته، وعلى الموت والحياة، وعلى البعث، وذلك بما في الكون من مخلوقات، وبما أنبته الله - تعالى - في الأرض من أشجار، فهو - سبحانه - قد بدأ خلق الشجر أخضرنضرا مثمرا، ثم هو - سبحانه- الذي يعيد الشجر حطبا يابسا، توقد به النار.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾(٣)

وقال قتادة في هذه **الآية**: يقول الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر، قادر على أن يبعثه، وقيل المراد بذلك: شجر المراخ والعفار يأتي من أراد قدح النار، وليس معه زناد فيأخذ منه عودين أخضرين، ويقدح أحدهما بالآخر، فتتولد النار من بينهما كالزناد.

إنها قدرة الله - تعالى - الذي يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، فهو الفعال لما يريد، لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء، فكيف ساغ لأولئك الجاحدين والمعاندين أن ينكروا البعث؟ وشواهده من الوضوح بمكان، بحيث لا ينكره صاحب عقل، ولكن إنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

---

(٢) سورة يس الآيات (٧٧ - ٧٩).

(٣) سورة يس (٨٠).

لقد اتضح دليل البعث من خلق الإنسان، ووجوده بعد العدم، وبعد أن لم يكن شيئا مذكورا، وهذا دليل على أن البدأ من العدم أكبر، والقادر على خلق الإنسان من العدم، وعلى خلقه أول مرة قادر على إعادته، وعلى البعث والنشور، والحساب، والعقاب، وهذا دليل من نفس الإنسان، ومن خلق الإنسان.

وهناك دليل آخر كوني، يتضح من هذه الأشجار، التي خلقها الله - تعالى - وجعل من شجرها الأخضر ناراً، يوقدون منها، وأنها أدلة قوية، وشواهد ناطقة، بأن الله - سبحانه - قادر على البعث والإعادة، قادر على الحياة والموت، قادر على كل شئ، لأنه خالق كل شئ، فلا معبود غيره، ولا رب سواه، تبارك الله رب العالمين.

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٤)

وفي هذه الآيات الكريمة استدلال على البعث، وعلى إعادة خلق الأجساد، وذلك بالتنبيه، والإشارة إلى خلق السموات والأرض، فالسموات السبع بما فيها من الكواكب السيارة، والأرض وما فيها من جبال وبحار، وقفار وأشجار وأنهار، في خلق هذا الكون الفسيح، والملكوت الكبير أكبر دليل على البعث والنشور، وعلى إعادة الناس، لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فخالق هذه المخلوقات وهو الله - سبحانه وتعالى - قادر على خلق الناس، وإعادتهم وبعثهم بعد موتهم، فهو الذي بدأ الخلق، وهو الذي يعيده، وهو على كل شئ قدير.

وقال - تعالى - في آية:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٥)

فهو - سبحانه - لا يعجزه شئ في الأرض ولا في السماء، وهو - سبحانه - الخلاق العليم، لا خالق سواه، فهو الواحد الأحد، القادر العظيم، الذي يعلم السر وأخفى، ويعلم ما تبدون وما تكتمون، لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء... وأمره - تعالى - نافذ، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، إذا أراد نفذ المراد، وأمره واحد لا يحتاج إلى تكرار،

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾(٦)

وهو - سبحانه - المنزه عن الخلق، الملك القدوس، إليه يرجع الأمر كله، له الخلق والأمر، وله المرجع والمآب، وهو العادل الذي يجازي كل إنسان بعمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، له كل شئ وإليه ترجعون.

وتنزيه الله - تعالى - وتسبيحه من أهم ما ينبغي أن تشتمل عليه عبادة المسلم، آناء الليل وأطراف النهار، في عمله وسيره،

(٤) سورة يس الآيات (٨١ - ٨٣).

(٥) سورة الأحقاف (٣٣).

(٦) سورة يس ٨٢.

وعبادته، ولقد ضرب رسول الله- ﷺ - أروع الأمثلة في العبادة، وفي تسبيح الله وحده وشكره، روى الإمام أحمد - بسنده - **عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال: قمت مع رسول الله - ﷺ - ذات ليلة، فقرأ السبع الطوال في ركعات، وكان - ﷺ - إذا رفع رأسه من الركوع، قال: سمع الله لمن حمده، ثم قال: «الحمد لله ذي الملكوت والجبروت، والكبرياء والعظمة»، وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي.**

وفيما رواه أبو داود - بسنده - عن عوف ابن مالك الأشجعي - رضي الله عنه - قال: قمت مع رسول الله - ﷺ - ليلة فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت، والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران،

والآيات الكريمة، تؤكد وضوح الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة، على قدرة الله العزيز الحكيم، وعلى البعث، وإعادة الناس، والإيمان بالبعث أو اليوم الآخر، من صميم العقيدة الإسلامية، ومن أركان الإيمان بالله - تعالى - ففي حديث جبريل حين سأل الرسول - ﷺ - عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر، خيره وشره»، وفي رواية قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر».**

واختلف في المراد بالجمع بين الإيمان بلقاء الله - تعالى - والبعث، فقيل: اللقاء يحصل بالانتقال إلى دار الجزاء والبعث بعده عند قيام الساعة، وقيل: اللقاء: ما يكون بعد البعث عند الحساب.

وقال الإمام النووي، وأما وصف البعث بالآخر، فقيل هو مبالغة في البيان والإيضاح، وذلك لشدة الاهتمام به، وقيل سببه: أن خروج الإنسان إلى الدنيا بعث من الأرحام، وخروجه من القبر للحشر، بعث من الأرض، فقيد البعث بالآخر ليتميز.

هذا، الإيمان بالبعث أعظم واقع دافع للإنسان، ليأخذ من حياته زادا لآخرته، كي يفوز برضا ربه - سبحانه وتعالى - في اليوم الآخر.

وكما ثبتت أدلة البعث والإعادة، عن طريق خلق الإنسان، وخلق الأكوان فقد ثبت كذلك عن طريق الإيمان، بأن الله - تعالى - حكيم وعادل.

فما دام الخالق حكيماً وعادلاً، فيستحيل عليه العبث والظلم، كما قال سبحانه:

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(٧)

(٧) سورة المؤمنون الآيتان (١١٥، ١١٦).

القرآن الكريم كتاب الهداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز المنزل على محمد ـ ﷺ ـ وقد تحدى به العرب وهم أهل الفصاحة والبلاغة، فعجزوا عن الإتيان بمثله، كما عجزوا عن الإتيان بعشر سور فى مثله، وعجزوا كذلك عن الإتيان بسورة من مثله مع استمرار التحدى، وقد ثبت بذلك أنه كلام الله - عز وجل -.

ومادام العرب قد عجزوا عن الإتيان بشىء من مثله فإن غيرهم يكون أشد عجزا، ولهذا قال الله ـ سبحانه ـ:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

والقرآن الكريم هو كتاب الهداية التامة الشاملة لكل الخلق، مصداقا لقول الله ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[2].

وهو هدى لكل الناس لأنه يتضمن الرسالة الخاتمة التى بعث الله بها محمدا ـ ﷺ ـ وهى بالإضافة إلى كونها الخاتمة رسالة عالمية لأن الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[3].

وقد أكد القرآن الكريم حقيقة عالمية الهداية القرآنية الملازمة لعالمية الرسالة الإسلامية وذلك فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[4].

وتبرز هذه الحقيقة بوضوح تام إذا تأملنا الآية القرآنية الآتية:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[5].

فإذا كان من المعلوم أن القرآن الكريم وصف

(١) الإسراء: ٨٨. (٢) البقرة: ١٨٥. (٣) الأنبياء: ١٠٧.
(٤) إبراهيم: ١. (٥) إبراهيم: ٥.

التوراة بأنها فيها هدى ونور، فإن هذه الآية تصرح بأن هذا الهدى والنور لإخراج قوم موسى من الظلمات إلى النور، أما القرآن الكريم فقد نزل لإخراج كل الناس من الظلمات إلى النور.

ومما يؤكد عالمية الهداية القرآنية ـ أيضا ـ قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾[6].

والمعنى: يا محمد إنا أنزلنا عليك القرآن بالحق لجميع الخلق لتنذرهم به، فمن اهتدى بهداه فإنما يعود نفع ذلك إلى نفسه، ومن رفض هداه وضل فإن ضلاله على نفسه ولست موكلا بهدايتهم، إنما أنت نذير، والله على كل شيء وكيل.

وقد أنزل الله القرآن على محمد النبي الأمي الذي بعثه الله في الأميين حتى لا يقول هؤلاء الأميون لم ينزل علينا كتاب كما أنزل من قبل على اليهود والنصارى فأنزل الله القرآن ليقطع حجتهم وليكون هدى ورحمة لمن اتبعه.

وفي هذا المعنى يقول الله ـ سبحانه ـ:

﴿ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾[7]

والمعنى: لقد أنزلنا إليكم هذا الكتاب لئلا تقولوا إن الكتب السابقة قد أنزلت على اليهود والنصارى وليست بلساننا فلم نفهم شيئا منها، فقطعنا عذركم وأبطلنا حجتكم، وحتى لا تقولوا لو أنزل علينا كتاب كما أنزل عليهم لكنا أهدى منهم، فها هو القرآن الكريم قد جاءكم على لسان محمد النبي العربي كتاب عظيم فيه بيان الحلال والحرام، وهدى لما في القلوب، ورحمة من الله لعباده الذين يتبعونه وينتفعون بما فيه، وليس هناك من هو أشد ظلما لنفسه ولغيره ممن كذب بآيات الله وأعرض عنها فلم ينتفع بها، وأضاف إلى ذلك الصد عن سبيل الله وصرف الناس عن آياته، وسنجزي هؤلاء سوء العذاب عقوبة لهم على أفعالهم.

ولما استمع نفر من الجن إلى القرآن اهتدوا بهداه واعترفوا بفضله وحكى القرآن ذلك الحدث في عدد من المواضع.

الموضع الأول: يتحدث فيه الذين اهتدوا بالقرآن من الجن قائلين كما سجل القرآن الكريم:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾[8]

وهم في هذه الآية يعلنون عن سعادتهم وفخرهم بنوال شرف الاستماع إلى القرآن والاهتداء بهديه ـ وهو شرف رفيع حقا ـ وقد وصفوا القرآن بأنه الهدى ـ وهذا ـ أيضا ـ حق.

---

(٦) الزمر: ٤١.

(٧) الأنعام: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٨) الجن: ١٣.

الموضع الثاني: يأمر الله فيه رسوله ـ ﷺ ـ بأن يخبر قومه بأن الجن قد استمعوا إلى القرآن وآمنوا به وصدقوه وانقادوا له وشهدوا له بأنه عجيب جداً، وأنه يهدى إلى الرشد والسداد وتوحيد الله ـ عز وجل ـ. يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾(٩)

الموضع الثالث: شبيه بما جاء في الموضع الثاني وهو قول ـ الله تعالى ـ:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(١٠).

لكن الله هنا يخبر رسوله ـ ﷺ ـ باستماع الجن له وإيمانهم بالقرآن وقيامهم بدعوة قومهم إلى الإسلام.

وهناك يأمر الله رسوله ـ ﷺ ـ بإعلام قومه بخبر هؤلاء الذين اهتدوا من الجن بعد استماعهم للقرآن الكريم.

ولما سأل بعض اليهود رسول الله ـ ﷺ ـ عدة أسئلة ووعدوه أن يؤمنوا به إن أجابهم عليها فلما أجابهم تهربوا بحجة واهية ونقضوا عهدهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ وسجل القرآن الكريم ذلك كما دونته كتب السنة وقصة ذلك كما يلي:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: حضرت عصابة من اليهود عند رسول الله ـ ﷺ ـ فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سلوا عما شئتم ولكن اجعلوا إلى ذمة وما أخذ يعقوب على بنيه لئن أنا حدثتكم عن شيء فعرفتموه لتتابعنني على الإسلام» فقالوا: ذلك لك، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «سلوا عما شئتم» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال نسألك عنهن، فخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة، وأخبرنا كيف ماء المرأة وماء الرجل، وكيف يكون الذكر والأنثى، وأخبرنا بهذا النبي الأمي في التوراة ومن وليه من الملائكة؟. فقال النبي ﷺ: «عليكم عهد الله لئن أنا أنبأتكم لتتابعنني؟» فأعطوه ما شاء الله من عهد وميثاق، فقال: «نشدتكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب ـ مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من مرضه ليحرمن أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحوم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟» فقالوا: اللهم نعم، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «اللهم اشهد عليهم وأنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل

---

(٩) الجن: ١ ـ ٢.

(١٠) الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢.

تعلمون أن ماء الرجل غليظ أبيض وأن ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله ـ عز وجل ـ، وإذا علا ماء الرجل ماء المرأة كان الولد ذكرا بإذن الله، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان الولد أنثى بإذن الله ـ عز وجل ـ » قالوا: اللهم نعم. قال: « اللهم اشهد وأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه؟ »

قالوا: اللهم نعم، قال: « اللهم اشهد »، قالوا: أنت الآن فحدثنا من وليك من الملائكة؟ فعندها نجامعك أو نفارقك[11] قال: « فإن وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه قالوا: فعندها نفارقك، ولو كان وليك سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك، قال: « فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا فأنزل الله ـ عز وجل ـ:

﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾[12]

فعندها باءوا بغضب على غضب »[13].

والمعنى: قل لهم يا محمد من كان عدوا لجبريل فقد عادى من أرسله وهو الله ـ عز وجل ـ لأن جبريل لا ينزل من تلقاء نفسه وإنما ينزل بإذن الله وأمره كما قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[14]

وكما قال ـ سبحانه ـ:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[15]

ومن عادى رسولا من رسل الله سواء أكان هذا الرسول من الملائكة أم من الناس غضب الله عليه، وقد نزل جبريل على قلبك بهذا الكتاب الذي يصدق ما سبقه من الكتب المنزلة من عند الله وهو هدى لقلوب المؤمنين، وبشرى لهم بالجنة.

وهذا خاص بالمؤمنين وحدهم كما قال الله ـ سبحانه ـ:

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾[16].

أي: قل لهم يا محمد إن هذا القرآن هدى لقلب من تدبره وآمن به، وشفاء لما في الصدور من الريب والشكوك، أما الذين لم يتدبروه ولم يؤمنوا به ففي آذانهم صمم لا يسمعون ولا يفهمون، وهم عمى لا يهتدون إلى ما فيه من البيان، وهم كمن ينادى من مكان بعيد فلا يفهم ما يقال له والمقصود البعد عن قلوبهم.

---

(11) أي هذه هي الفاصلة فإما أن نتبعك وإما أن نرفض دعوتك.
(12) البقرة: ٩٧ ـ ٩٨.
(13) الحديث رواه الطبري والإمام أحمد، انظر ابن كثير.
(14) مريم: ٦٤.
(15) الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥.
(16) فصلت: ٤٤.

وهذا نظير قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾(١٧)

وهو أيضا نظير قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾(١٨)

فمن اتخذ القرآن دليلا وقائدا اهتدى بهداه واستضاء بنوره ونال كل خير وحصل على الأمن والسلام ومضى فى حياته على أقوم المناهج وأعدلها.

وهذا ما جاء فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾(١٩)

وما جاء فى قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٢٠)

وأيضا فإن من هداية القرآن للمؤمنين دون سواهم أن المسائل التى اختلف فيها بنو إسرائيل جاء القرآن ليفصل فيها ويقول كلمة الحق التى يقبلها المهتدون ويرفضها الضالون وفى هذا المعنى جاء قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾(٢١)

يخبر الله ـ تعالى ـ عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان بين الحق والباطل إنه يقص على بنى إسرائيل الذين نزلت عليهم التوراة والإنجيل بيان كثير مما يختلفون فيه من مثل اختلافهم حول عيسى ـ عليه السلام ـ فجاء القرآن ليكشف عن وجه الحق فيه، ويؤكد أنه عبدالله ورسوله، وبذلك يؤدى القرآن مهمته باعتباره كتاب هدى ورحمة يهدى قلوب المؤمنين به ويرحمهم بشريعته السمحة، وسيحكم الله يوم القيامة بين هؤلاء المختلفين، وأما أنت يا محمد فامض على طريق دعوة الحق التى بعثت بها متوكلا على الله غير عابىء بمخالفيك ممن كتبت عليهم الشقوة، فأنت على الحق المبين.

---

(١٧) الإسراء: ٨٢.

(١٨) التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥.

(١٩) الإسراء: ٩.

(٢٠) المائدة: ١٥ ـ ١٦.

(٢١) النمل: ٧٦ ـ ٧٩.

وقد جاء في وصف القرآن أيضا قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾[22]

وليس هناك تعارض بين هذه الآية ومثيلاتها وبين الآيات التي تصف القرآن الكريم بأنه هدى للناس ذلك لأنه بمبادئه الحكيمة وتعاليمه السمحة صالح لهداية الناس جميعا إذا أصغوا إليه وتدبروا آياته وأعملوا عقولهم في فهم مقاصده وأغراضه، وفتحوا قلوبهم لقبول هدايته، وأما الذين أعرضوا عنه وعموا وصموا عن رؤية نوره والاستماع إلى هديه، فلا يملك القرآن لهم شيئا بعد أن اختاروا طريق الضلالة ورفضوا الهداية وذلك يعني أن العيب فيهم وليس في القرآن الكريم.

ومن تمام هداية القرآن الكريم أنه تضمن بيانا وتوضيحا لكل شيء، وأرشد الناس لكل ما يصلحهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم، وحذرهم من كل ما يفسدهم ويشقيهم في الدنيا والآخرة ففيه علاج كل الأدواء وشفاء كل الأمراض، وحل كل المشكلات، وفي هذا يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾[23].

والمعنى: أن القرآن الكريم قد اشتمل على كل علم نافع من أخبار ما قد سبق وما سيأتي، وكل حلال وكل حرام، وكل ما يحتاج إليه الناس في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم، وهو بهذا هدى للقلوب ورحمة وبشرى للمسلمين الذين التزموا بهديه بأنهم المفلحون الفائزون.

عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «إنها ستكون فتن قيل: فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخبر من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشبع منه العلماء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تخلق عن الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته عن أن قالوا: « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ » من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم»[24].

---

(22) البقرة: ١ ، ٢.

(23) النحل: ٨٩.

(24) رواه الترمذي.

موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين

١

للمستشار / السيد علي بن السيد عبد الرحمن آل هاشم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ورضي الله ـ تبارك وتعالى ـ عن جميع الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد..

فالإسلام دين عالمي، ذو نزعة إنسانية، يهدف إلى سعادة البشر جميعاً، ويبرهن كل شيء فيه على صدق هذه الحقيقة، كما تبرهن نظرته لمخالفيه على أصالة الاتجاه إلى تحقيق أخوة إنسانية عامة، ينعم الناس بها على اختلاف عقائدهم، وتباين مذاهبهم، فهو لا يُكْرِه أحداً على عقيدته، ولا يَحْمله على اتباع مذهبه، وإنما يعرض فكرته في سماحة ويسر:

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[1].

ويقول عز من قائل:

﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2].

(*) الكاتب: مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة بديوان الرئاسة.

(١) سورة الكهف، من الآية (٢٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية (٢٠).

إن الإسلام دين الرحمة والسلام، يقول الله – تعالى –:

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٣).

ويقول تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٤).

وساحة الإسلام ساحة رحبة واسعة، يأوى إليها المشرك مستجيراً خائفاً فيؤمّنه، ولا يستغل نقطة الضعف فيه.

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾(٥).

إن الإسلام لا يدع سبيلاً لإقامة المودة بين البشر إلا سلكه، ولا يترك باباً من أبواب الخير إلا سار فيه، يمد يد السلم لمن سالمه، ويبذل النصح لمن خاصمه، إنه دين السلام والرحمة، أليست تحية المؤمن عند كل لقاء وفراق: «السلام عليكم ورحمة الله»؟.. أليست هذه التحية هي ختام صلاته دائماً؟.. يبثها يميناً وشمالاً، ويستقبل بها الدنيا، بل إن القرآن الكريم نزل في ليلة وُصِفَتْ بأنها سلام:

﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾(٦).

ورسالة النبى – ﷺ – كلُّها رحمة:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٧)

«إنما أنا رحمة مهداة».

إن رحمة الإسلام عامة شاملة، لا تخص بنى آدم فحسب، بل تشمل الحيوان، وكل ذى كبد. **«في كل كبد رطبة أجر»**، ويقرر أن الأخوة العامة، والود والتعارف، أهم ركائز المجتمع المسلم، بل إن التعايش السلمى، الذى تنشُدُه الإنسانية، قائم فى الإسلام على أساس العدل بين العباد، والتعاون بينهم، كما أنه مقرر فى شرائعه مودة الناس جميعاً، ومصاهرة أهل الكتاب، وإحلال طعامهم، وحسن معاملتهم، وأنه مد ظلاله على كثير من الأوطان المتنافرة، والديار المختلفة، شملها بنعمة الإخاء، والتعاون، والطمأنينة، والعدل، وعاشت تحت ظله فئات كثيرة تخالفه فى العقيدة، فما وجدت منه إلا المودة والبر، حتى لقد تقلد كثير من غير المسلمين منصب الوزارة فى ديار الإسلام، وبقيت مقدسات اليهود والنصارى فى دولته، مصونة، بحمايته قائمة برعايته، إن الدين الذى أباح للزوجة الكتابية، وهى فى كنف مسلم يرعاها، أن تزاول شعائر دينها، وأن

---

(٣) سورة الممتحنة، الآية (٨).

(٤) سورة البقرة، الآية (١٩٠).

(٥) سورة التوبة، من الآية (٦).

(٦) سورة القدر، الآية (٥).

(٧) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

تذهب إلى كنيستها، لن يَضِنَّ على أصحاب دين آخر، أن يعيشوا وأن يزاولوا أمورهم وشعائرهم فى حرية كاملة، وعدالة مُطْلَقَة.

بعد هذه المقدمة لابد من تقسيم هذا الموضوع إلى عدة نقاط، ومجموعة من العناصر، تُبَيِّن حكم الإسلام وشريعته الخالدة.

أولاً : موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى :

ويشتمل على الأمور التالية:

١- مبدأ حرية العقيدة.

٢- المساواة فى الحقوق والواجبات.

٣- الالتزام بأحكام الشرائع السابقة فى الأحوال الشخصية.

ثانياً : موقف المجتمعات الغربية من المسلمين :

أ) التواجد الإسلامى فى أوروبا، خصوصيته، وتفاعُله مع المجتمع.

ب) الجاليات الإسلامية فى الغرب، مشكلاتها، دورها فى تعزيز التفاعُل الحضارى وواجباتها.

موقف الإسلام من غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى

قامت دولة الإسلام بدورها العالمى، على عهد النبوة، وأيام الخلافة الراشدة، وتدافع التيار إلى مداه أيام خلافة الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، وقد كان حال الناس مع هذا الخطاب، وتلك الدعوة صنفين: صنف آمن وخضع لأحكامه، وهؤلاء هم المسلمون، وصنف لم يؤمن به وأنكر الدعوة والرسالة، وهؤلاء هم غير المسلمين. ثم انقسم أمرهم مع المسلمين عبر التاريخ الإسلامى إلى قسمين:

القسم الأول: المحاربون: وهم الذين حاربوا المسلمين، وناصبوهم العداء.

القسم الثانى: المعاهدون: وهم الذين عاهدوا المسلمين، على ترك القتال فترة مؤقتة، من غير أن يخضعوا لحكم الإسلام، ودون أن تصير بلادهم جزءاً من دار الإسلام، وهؤلاء هم الموادعون، أو أهل الذمة، إذا دهم العدو بلاد المسلمين، أو كان النفير عاماً كان من الحق الواضح أن يعطى المسلمون الجزية، وأن يلزم بها أهل الذمة، ماداموا غير ملزمين بالقتال مع المسلمين.

قال الماوردى: «ويلتزم لهم ببذلها حقان: أحدهما الكف، والثانى: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين»[(٨)].

مبدأ حرية العقيدة

مبدأ حرية العقيدة، وممارسة العبادات والشعائر الدينية:

---

(٨) الأحكام السلطانية للماوردى (١٤٣).

لقد كفل الإسلام لغير المسلمين، في المجتمع الإسلامي، الاستمتاع بحرية اعتقادهم، وحقهم في ممارسة عباداتهم، وإظهار شعائرهم الدينية، في أمصارهم، وأحيائهم الخاصة ولو كان يساكنهم فيها نفر من المسلمين، ومنع من إكراههم على غير ما يعتقدون، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[٩].. ومما يؤكد ذلك ما جاء في عهده ـ ﷺ ـ لليهود في المدينة المنورة: «للمسلمين دينهم ولليهود دينهم»[١٠].

وفي كتابه ـ ﷺ ـ إلى أهل اليمن: «أنه من كان على يهوديته، أو نصرانيته، فإنه لا يفتن عنها، وعليه الجزية»[١١].. وفي عهده لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها، جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله ـ ﷺ ـ على أموالهم، وأنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم، من قليل، أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهنته»[١٢].. وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون ـ رضي الله عنهم ـ وعهودهم ناطقة بذلك.

وكتب عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى نصارى بني تغلب عهداً، ومما جاء فيه: «الا يُكرهوا على دين غير دينهم»[١٣].

وفي عهده ـ رضي اله عنه ـ لأهل القدس، جاء ما يلي:

«هذا ما أعطى عبد الله: عمر أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم، وصلبانهم، سقيمها وبريئها، وسائر ملتها، الا تُسْكَنْ كنائسهم، ولا تُهدم، ولا يُنقض منها ولا من حيِّزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضار أحد منهم»[١٤].

كما كتب خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى أهل دمشق، تأميناً على أنفسهم، وأموالهم، وكنائسهم.

وكتب حبيبُ بن مسلمة لأهل تفليس، من أرض الهرمز أماناً لهم، ولأولادهم، ولأهلهم، وأموالهم وصوامعهم، وبيعهم، ودينهم، وصلواتهم، وكان ذلك في زمن الخليفة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ[١٥].

وهذه الشواهد التاريخية، مجمعة في

---

(٩) سورة البقرة، من الآية (٢٥٦).

(١٠) الأموال لأبي عبيد.

(١١) المصدر السابق.

(١٢) الخراج لأبي يوسف.

(١٣) الأموال لأبي عبيد.

(١٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٦٠٩/٢)، والوثائق السياسية لمحمد حميد الله.

(١٥) الأموال لأبي عبيد.

حجة واضحة معروفة، على أن لغير المسلمين أن يتمتعوا بعقائدهم، وعباداتهم، وأماكن عباداتهم، وأن يظهروا شعائرهم فى أمصارهم، وأحيائها الخاصة، وليس لأحد أن يتعرض لهم بالمنع، أو إكراههم على غير ما يحبون، ما كان ذلك فى نطاق الاعتقاد والعبادة، وإظهار الشعائر، دون أن يؤذوا المسلمين، أو يتعرضوا لعقائدهم بالسوء.

قال سلطان العلماء الكاسانى: «ولا يمنعون من إظهار شيء مما ذكرنا من بيع الخمور، والخنزير والصليب، وضرب الناقوس فى قرية، أو موضع ليس من أمصار المسلمين»[16].

وقال الأستاذ/ عبد الكريم زيدان: أن لولىّ الأمر أن يسمح في الوقت الحاضر، بإظهار شعائر غير المسلمين فى أمصارهم، وأمصار المسلمين، إذا أمن الفتنة، ولم يترتب عليه إضرار بالمسلمين، لأن ذلك يتفق ومبدأ تركهم، وما يدينون، دون التضييق عليهم[17].. مستدلاً بما جاء فى عهد خالد ابن الوليد -رضى الله عنه- لأهل عانات، وقد جاء فيه: «ولهم أن يضربوا نواقيسهم، فى أى ساعة شاءوا، من ليل أو نهار، إلا فى أوقات الصلوات، وعلى أن يخرجوا الصلبان فى أيام أعيادهم، وقد أعطى خالدٌ هذا العهد - أيضاً - لأهل قرقيسيا»[18].

وكذلك ما فعله عمرو بن العاص فى إطلاق الحرية الدينية للأقباط فى مصر[19].

والذى يظهر من قراءة نصوص القرآن، والسنة، والاطلاع على الآثار الثابتة عن النبى - ﷺ - وصحابته وذوى السلطان -رضى الله تعالى عنهم- فى سائر عهود الإسلام الزاهرة، أن مسألة الحرية الدينية، وما يستتبع ذلك من العبادات، وإظهار الشعائر لم يرد فيه حد، بحيث لا يجوز خلافه، وأنها من أمور (السياسة الشرعية) التى تُناط بنظر ولىّ الأمر، يقر منها ما لا يجلب مفسدة على المسلمين، أو يهدر مصلحة مشروعة لهم، ولأن تصرفات ولىّ الأمر على الرعية منوطة بالمصلحة. قال العلامة أبو الضياء خليل بن إسحاق المالكى فى «مختصره»: (وللإمام المُهادنة لمصلحة... ووجب الوفاء)[20].

---

(١٦)بدائع الصنائع للكاسانى.

(١٧) أحكام الذميين والمستأمنين.

(١٨) الخراج لأبى يوسف.

(١٩) تاريخ الإسلام السياسى لحسن إبراهيم.

(٢٠) شرح العلامة محمد بن عبد الله الخرشى على مختصر خليل (١٣/ ١٥٠).

من بركات فاتحة الكتاب

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

من بركاتها وعظيم شأنها

فاتحة الكتاب: افتتحت بها الصحابة كتابة المصحف الإمام، ويبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة.

هي سورة عظيمة الخير والبركة، معانيها جليلة، وتوجيهاتها عظيمة ولعظم بركتها فإنها السورة التي تثنى وتكرر في الصلاة، ومن قرأها بإخلاص وتدبر، وانتفع بمعانيها كانت له خيراً من الدنيا وما فيها.

إنها: أم القرآن، والسبع المثاني، وأم الكتاب، وسورة الحمد.

وهي الشافية بفضل الله وإحسانه، وهي الكافية ففي الصلاة – مثلاً – تكفي عن غيرها، ولا يكفي غيرها عنها.

جاء عنها في الحديث الشريف: «ما أنزل الله في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها»(١).

أحد النورين

وجاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: «بينا رسول الله – ﷺ – عنده جبريل إذ سمع نقيضا – صوتاً – فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء وقال: هذا باب قد فتح من السماء، ما فتح قط، قال: فنزل منه ملك، فأتى النبي – ﷺ – فقال: أبشر بنورين، قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفا منهما إلا أوتيته»(٢).

ومن بركتها أنها رقية

وجاء عند الحافظ أبي بكر البزار عن أنس قال: قال رسول الله – ﷺ –: «إذا وضعت جنبك على الفراش، وقرأت فاتحة الكتاب و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فقد أمنت من كل شيء إلا الموت».

وقد جاء عند البخاري في فضائل القرآن

---

(١) رواه أبي بن كعب في الموطأ وغيره.

(٢) مسلم والنسائي.

جواز الرقية بأم القرآن لعظيم خيرها وبركتها، فهي متضمنة خلوص التوحيد، والتفويض إلى الله - عز وجل - والاستعانة به في كل الأمور، وصدق النية في العبادة، وألا يوجه منها شئ لغيره - تعالى -:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

أى: لا نعبد إلا إياك يا رب، ولا نستعين في عبادتنا وفي كل أمورنا إلا بك، فأنت مالك الملك، ومدبر الأمر، ولا تنفع الوسائل إلا بمعونتك وتقديرك، ولا يقع في الكون إلا ما تريده، فالشفاء منك، والغنى منك وحدك لا شريك لك، والسلامة والقناعة من فضلك.

قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك، والثاني تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله - عز وجل -، وهذه الآية تدل على كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين أى: لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك.

فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ ينفي شرك المحبة والإلهية، أى لا ينبغي أن يشرك مع الله أحد في المحبة والإلهية.

﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ينفي شرك الخلق والربوبية، فهو - سبحانه - وحده الخالق الرزاق المنعم، المعطي المانع النافع الضار، المحيي المميت.

إن أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، الذين يطلبون دوماً التوفيق منه سبحانه للثبات على صراطه المستقيم وما فيه مرضاته عبادة الله - عز وجل - هي: غاية مرادهم، وطلبهم منه - سبحانه - العون عليها والتوفيق للقيام بها هو: نهاية مقصودهم.

وإن في إخلاص التوحيد، وصدق التوكل على الله، وقوة اليقين بقضاء الله وقدره طمأنينة للقلوب، وسلامة للنفوس من الجزع والقلق والهلع، كما تسلم للمؤمن روحه من المخاوف، والاضطراب النفسي. لذا نجد المؤمن الصادق يحمد الله على كل حال:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ويتعلق بقوة الرجاء في رحمة الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ويعد نفسه ليوم الجزاء يوم الحساب، إذ لا مالك غير الله - عز وجل - والكل عبيده يجازي المحسن بإحسانه، والمسئ بإساءته

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾:

وبيده وحده السعادة والشقاوة، والهداية والضلال، لذا فإن أهل اليقين يسألونه - سبحانه - الثبات على الإسلام والدوام على الدين الحق حتى يلقوا ربهم:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ لأنه صراط آدم وإدريس ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - ومن يليهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

إنه صراط النور والرحمة والسكينة، والروح والريحان:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

مع التبرؤ من طرق أهل الشقاوة والتعاسة الذين اختاروا الانحياز إلى الشيطان وحزبه وحرفوا فى دين الله، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها راغبين فى متاعها ساعين فيما فيه هلاكهم

﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

أى: غير صراط المغضوب عليهم، وغير صراط الضالين الذين فقدوا العلم، فهم هائمون فى الضلالة لا يهتدون إلى الحق.

أما أهل الصراط المستقيم فهم أهل التوحيد النقى الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك، أهل الاتباع والاقتداء لا يحيدون عن سنة نبيهم - ﷺ -، فهم أهل الاستقامة والطاعة لله ورسوله، يمتثلون الأوامر ويتركون النواهى.

حديث الرقية

وجاء حديث الرقية بالفاتحة فى البخارى عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - إذ أخبر أنه كان مع جماعة من الصحابة فى سفر فنزلوا فى مكان، فجاءتهم فتاة فقالت: أن سيد الحى سليم، أى لدغته عقرب ونحوها، فهل منكم راق؟

قال: فقام منا رجل ما كنا نعلم من قبل أنه يرقى، فرقى الرجل اللديغ، قال: فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة وسقانا لبنا.

ثم سألوا صاحبهم: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: لا، ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا: لا تحدثوا شيئا حتى نأتى، أو نسأل رسول الله - ﷺ - فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبى - ﷺ - فقال: «وما كان يدريه أنها رقية، اقسموا واضربوا لى بسهم».

أى: إنه - ﷺ - رضى عن عمل الراقى، وزادهم تأكيدا لصحة عملهم أن طلب منهم هدية من هذا الأجر الذى حصلوا عليه، لأن أطيب كسب الرجل ما كان من عمل يده، والنبى - ﷺ - لا يأكل إلا طيباً حلالاً، وحتى الصدقة لا تحل له، تشريفا له وتكريما - ﷺ -.

وفى هذا دليل على ما فى هذه السورة الكريمة من البركات والنفحات خصوصاً إذا كان القارئ الراقى مخلصاً، والمريض واثقاً حسن التوكل على رب العالمين.

ومن أحكامها وفضلها: أن الصلاة لا تصح إلا بها، على الراجح من أقوال الفقهاء، وأنها مناجاة من العبد لربه، ومن أدلة القائلين بوجوبها فى الصلاة للإمام والمؤتم به ما جاء فى صحيح مسلم - وغيره - عن أبى هريرة - رضى الله عنه - أن النبى - ﷺ - قال: «من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهى خداج - أى ناقصة غير تامة قالها ثلاثاً - غير تمام».

فقيل لأبى هريرة [٣]: إنا نكون - أحياناً - وراء الإمام، قال: اقرأ بها فى نفسك، فإنى سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، فإذا قال العبد:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال الله:

(٣) القائل هو أبو السائب مولى هشام بن زهرة، كما فى تفسير النسائى الجزء الأول.

حمدنى عبدى، وإذا قال:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ قال الله: أثنى على عبدى، فإذا قال:

﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ قال: مجدنى عبدى، وقال مرة: فوض إلى عبدى، فإذا قال:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ قال: هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل، فإذا قال:

﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾

قال: هذا لعبدى ولعبدى ما سأل.

وقد أطلق لفظ الصلاة فى هذا الحديث على فاتحة الكتاب فى «قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين» لأنها من آكد أعمال الصلاة.

وقد جاء فى حديث ابن خزيمة وابن حبان عن أبى هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: **«لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن»**.

وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت أن رسول الله - ﷺ - قال: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»**. أى: إنه يتعين قراءة الفاتحة فى الصلاة، ولا تجزئ الصلاة بدونها.

المعانى

اشتملت سورة الفاتحة وهى سبع آيات على: حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا.

كما اشتملت على ذكر المعاد وهو يوم الدين، وقد أرشد الله فيها عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة لله، وتوحيده بالألوهية - تبارك وتعالى - وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، كما أرشدهم فيها إلى سؤاله - سبحانه - الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يفضى بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسى يوم القيامة، المؤدى بهم إلى جنات النعيم فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

واشتملت السورة الكريمة على الترغيب فى الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل وأهله لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم لعنادهم وجحودهم بعد أن عرفوا الحق وجانبوه، والضالون عن العلم النافع، والهدى والخير اختاروا الضلالة فأبعدهم الله عن ساحات رحمته.

كلمة «آمين»

عن وائل بن حجر قال: سمعت النبى - ﷺ - قرأ:

﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

فقال: آمين، مد بها صوته وعند أبى داود: رفع بها صوته. قال الترمذى: حديث حسن.

ومعنى: آمين: اللهم استجب، وهى ليست من السورة، ويستحب للقارئ الفصل بسكتة بين آخر السورة وقول: آمين.

وفى الحديث: «إذا أمن الإمام فأمنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»[٤].

---

(٤) [فى الصحيحين عن أبى هريرة، وعند النسائى فى تفسيره].

تعقيب على رد كاتب مقال

قضية الأحرف السبعة

للدكتور / صبحى عبد المنعم سعيد

فى عدد شهر شوال ١٤٢٠هـ - يناير ٢٠٠٠م. نشرت، مجلة الأزهر الشريف ، مقالا عنوانه: (قضية الأحرف السبعة) لفضيلة الشيخ صديق بكر عيطة استهله بقوله: ، من القضايا القرآنية الكبيرة .... قضية، الأحرف السبعة، أو ما يعرف بقضية، القراءات السبع.... ، فأخذنى العجب من هذه العبارة التى تخلط بين مصطلحين متغايرين من مصطلحات علوم القرآن، واستبدت بى الغيرة على المكانة العالية لمجلة، الأزهر، التى كانت، ومازالت، مجالا فسيحا لأقلام علماء الأزهر الشريف وغيرهم فكان ما كان .. ثم انتهى بى الأمر إلى أن كتبت تعليقا على المقال المذكور نشرته هذه المجلة السامية فى عدد شهر ذى القعدة ١٤٢٠هـ - فبراير ٢٠٠٠م. كان عنوانه: ، نظرات فى مقال: ، قضية الأحرف السبعة ، وقد عنيت فى هذه النظرات بالتذكير بما اهتم به أئمة السلف والخلف من التفريق بين مصطلحى: ، الأحرف السبعة ، و، القراءات السبع ،.

ومن التشنيع القاسى على من يقع فى شبهة الخلط بينهما؛ كذلك حرصت فى تعقيبى هذا على أن أكتفى بنقل بعض ما قاله أصحاب علوم القرآن سلفا وخلفا إلا أنى عنيت أيضا بعرض مثال واحد للطريقة التى عالج بها المقال المنقود قراءة النصوص واستخلاص النتيجة منها حيث نقل فضيلة الشيخ عيطة عبارة من كتاب « الفرقان » ـ وهو الكتاب الذى بعيد نقده[1] ثم استخلص من هذه العبارة أن صاحب كتاب « الفرقان » ينكر « القراءات السبع » . وقد بدا لى أن هذه التهمة غير سائغة، إذ أن العبارة التى ذكرت مقدمة لها لا تحتوى شيئا سوى أن صاحب

(١) فى حاشية الصفحة ١٦٦٨ من عدد ذى القعدة ١٤٢٠ هـ طلب فضيلة الشيخ عيطة من القارئ أن يقرأ «التقرير الذى قدمته لجنة من كبار علماء الأزهر لصاحب الفضيلة ـ شيخ الأزهر عن كتاب «الفرقان» وقد نشرته «مجلة الأزهر» بالمجلد العشرين فى مقالات متتالية ولما رجعت إلى ما أشار إليه فضيلته تبين أنه فى النصف الأخير من العام الهجرى ١٣٦٧هـ تقريبا . أصدر حضرة صاحب الفضيلة المرحوم =

كتاب «الفرقان» يحكي تردد الإمام الزركشي في التسليم بتواتر القراءات السبع» عن النبي ـ عليه السلام ـ إلى الأئمة السبعة وأن الزركشي يرى بناء على ذلك أن «القراءات السبع» متواترة من أصحابها إلينا فقط ، وفي ختام تعليقي سألت فضيلة الشيخ عيطة : ﴿ هل عدم التسليم بتواتر خبر ما يعني إنكار هذا الخبر مطلقا ﴾ ؟.

ثم إن فضيلة الشيخ عيطة كتب ردا على تعليقي نشرته «مجلة الأزهر» في عدد ذي الحجة ١٤٢٠ هـ = مارس ٢٠٠٠م ص ١٧٧٨ وما بعدها بعنوان: «رد على مقال «نظرات في قضية الأحرف السبعة» وقد جعل هذا الرد قسمين: القسم الأول ـ وهو ينتظم ثلاثة أرباع الرد بناء على الدفاع عن اعتقاده بأن «الأحرف السبعة» إنما هي «القراءات السبع» وإن كان قد أشار إلى ما أخبر به قبلا في ص١٤٦٨ من أن «هذه النقطة كانت وما تزال محل خلاف بين العلماء» هكذا يقول فضيلته :«محل خلاف بين العلماء» مع أن مصادر علوم القرآن تنفي صفة العلم بل تنسب نقيضها لمن يخلط بين هذين المصطلحين؛ أما القسم الآخر من هذا الرد فقد أشار فيه إلى «التواتر» الذي يراه أحد شروط ثلاثة يجب أن تكتمل في القراءة الصحيحة هو بذلك يقدم ما يسوغ في نظره إسناد تهمة إنكار «القراءات السبع» لصاحب كتاب «الفرقان» كما يريد أيضا أن يبين ما تراءى له من أن سؤالي الذي ختمت به تعقيبي لم يكن في موضعه الصحيح.

هذا وسأناقش فيما يلي أهم ماجاء في رد فضيلة الشيخ عيطة على مقالي سائلا المولى ـ سبحانه ـ أن يسدد القلم، ويهدي إلى الصواب :

الإصرار على الخلط بين المصطلحين

في صدر تعليقي وفي معرض تذكيري بأن «الأحرف السبعة» مصطلح غاير مصطلح «القراءات السبع» نقلت عن كتاب: «النشر في القراءات العشر» لأبي الخير محمد بن الجزري المتوفى ٨٣٣هـ ، (المكتبة التجارية الكبرى) ص٤٦، ٤٧ ما حكاه ابن الجزري عن الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم القراب في كتابه «الشافي» من قوله : «وينبغي أن لا يتوهم متوهم في قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :«أنزل القرآن على سبعة أحرف» أنه منصرف إلى قراءة سبعة من القراء الذي ولدوا بعد التابعين لأنه:

(١) يؤدي أن يكون الخبر متعرياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة فيؤخذ عنهم القراءة.

(٢) ويؤدي أيضا إلى أن لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأ إلا بما يعلم أن هؤلاء السبعة من

---

* الشيخ محمد مأمون الشناوي ـ شيخ الجامع الأزهر ـ في ذلك الوقت قرارا بتأليف لجنة من حضرات أصحاب الفضيلة الشيخ محمد محمد المدني المفتش بالأزهر، والشيخ محمد علي النجار المدرس بكلية اللغة، والشيخ عبد الفتاح القاضي المدرس بمعهد القراءات لبحث كتاب «الفرقان لابن الخطيب» الذي ألفه محمد محمد عبد اللطيف المدني، وإبداء الرأي فيه، وقد أخذت مجلة الأزهر تنشر أجزاء هذا التقرير في أواخر بعض أعدادها بداية من عدد المحرم ١٣٦٨هـ = ١٩٤٨م «انظر «تقرير عن كتاب الفرقان» مجلة الأزهر عدد المحرم ١٣٦٨هـ ص٩٠، ٩٦ والأعداد التالية بعد ذلك من غير تتابع أحيانا» ثم إنه بعد أكثر من خمسين عاما من نشر ذلك التقرير أخذ فضيلة الشيخ عيطة يعيد نقد الكتاب نفسه على صفحات مجلة الأزهر ذاتها معتمدا فيما يبدو لي على ما انتهى إليه والمسمو ذلك التقرير من آراء وأحكام.

القراء إذا ولدوا وتعلموا اختاروا القراءة به وهذا تجاهل من قائله ».

ولقد قصدت عامدا إلى اقتباس هذا القول من كتاب « ابن الجزرى » الذى يعرف المسلمون خصوصا المشتغلين بعلوم القرآن أنه كان القدوة وإليه كانت الرحلة في القرن التاسع الهجرى آملا من وراء ذلك أن يستأنس أخى الشيخ عبطة بمكانة هذا الإمام فيتذكر أن « الأحرف السبعة » هى غير « القراءات السبع » ولكنه رد على قائلا : « إن هذا الدليل العقلى لا ينهض لتأييد رأيه « يعنى شخصى » ولا يستطيع أن يقوم حتى على قدم واحدة ».

وكان لى أن أعجب من هذه العبارة لأن قول ابن القراب الذى استشهد به ابن الجزرى يحتوى دليلين عقليين لا دليلا واحدا ومن الواضح أن أخى الشيخ عبطة انشغل بالأول عن الآخر وحجته في رفض هذا الدليل أن « الخبر عن المعصوم - صلى الله عليه وسلم - (يعنى حديث « الأحرف السبعة ») كان هو المتكأ الأول الذى اعتمد عليه المسلمون جميعا إلى أن جاء في آخر عصر التابعين هؤلاء السبعة .. ولا يعنى هذا إطلاقا أن يظل الخبر مشعرياً عن الفائدة إلى أن يولد هؤلاء الأئمة السبعة ».

ويحق لى بعد إيجاز حجة أخى الشيخ عبطة أن أسأله : إذا كان أمر قراءة القرآن قد استقر ثلاثمائة سنة قبل أن يختار ابن مجاهد المتوفى ٣٢٤هـ تلك « القراءات السبع » فهل كانت الأمة في تلك الفترة تعانى حاجة ملحة إلى هذا الاختيار حتى تستطيع به أن تفسر حديث « الأحرف السبعة » ؟ أم أن هذا الاختيار لا يتجاوز أن يكون نشاطا علميا لم تدع إليه ضرورة بل جانبه التوفيق فى نظر بعضهم إذ جعله صاحبه مقصورا على سبع قراءات فأوقع العامة في شبهة ما كان أغنانا عنها؟ [٢] ثم بأى شئ كان يفسر الشيخ عبطة حديث « الأحرف السبعة » لو أن ابن مجاهد اختارا ثمانى قراءات لا سبعا؟

ولقد نهض الحسين بن خالويه المتوفى ٣٧٠هـ فأملى كتاب « البديع » في اختصار قراءات السبع، وإضافة يعقوب بن إسحاق إليهم [٣] وكأنه أراد بذلك أن يجبر نقصا عابه علماء القرن الرابع على شيخه ابن مجاهد .

وإذا كانت هذه الشبهة قد غطت على عقول العامة منذ أن أملى ابن مجاهد في نهاية القرن الثالث الهجرى « كتاب السبعة » [٤] أى سبعة الأئمة أصحاب « القراءات السبع » فإن علماء الأمة نهضوا منذ ذلك التاريخ ليردوا إلى الصواب من يخلط بين حديث « الأحرف السبعة » و « القراءات السبع » وإذا كان ابن خالويه قد صوب

---

(٢) جاء في كتاب « الإتقان في علوم القرآن » لجلال الدين . عبد الرحمن السيوطى تحقيق محمد أبو الفضل الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م جـ١ ص٢٧٤ « قال أبو شامة : ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التى أريدت في الحديث وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل وقال أبو العباس بن عمار: لقد نقل مسبّع هذه السبعة « يعنى ابن مجاهد » مالا ينبغى له وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قل نظره أن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر « أى حديث « الأحرف السبعة » . وليته إذ اقتصر « أى اقتصر القراءات المقبولة وهى كثيرة » نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة .. » .

(٣) المخطوط الأصل لهذا الكتاب موجود برقم ٣٠٥١ في مكتبة تشستر بيتى بمدينة دبلن . أيرلندا وعندى منه مصورة خاصة .

(٤) انظر « كتاب السبعة في القراءات » لابن مجاهد تحقيق الدكتور شوقى ضيف ط٢ دار المعارف ١٩٨٠م

عمل شيخه تصويبا عمليا بإملائه كتاب «البديع» ليحول دون الوقوع في هذا الخلط فإن مكي بن أبي طالب الأندلسي ٣٥٥ ـ ٤٣٧هـ قال في كتابه: «الإبانة عن معاني القراءات»، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٧٩م، ص ٢٥: «فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء كنافع وعاصم وأبي عمرو ـ أحد الحروف السبعة التي نص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ عليها فذلك منه غلط عظيم.. ويجب منه «أي ويلزم من هذا الظن»:

١ ـ أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكا، إذ قد استولوا (يعني نافعا وباقي السبعة) على السبعة الأحرف عنده (أي عن صاحب هذا الظن) فما خرج عن قراءتهم فليس من «الأحرف» السبعة (*)

٢ـ ويجب من هذا القول أن تُترك القراءة بما رُوي عن أئمة «أي شيوخ» هؤلاء السبعة من التابعين والصحابة مما يوافق خط المصحف مما لم يقرأ به هؤلاء السبعة «أصحاب القراءات السبع»

٣ـ ويجب منه ألا تروى قراءة عن ثامن فما فوق ؛لأن هؤلاء السبعة قد أحاطت قراءتهم بـ «الأحرف السبعة» ا.هـ.

وإذا اقتضت الحال أن أشرح هذه الأدلة الثلاثة التي حكيتها عن مكي بن أبي طالب قلت: يرى مكي أن من ظن أن «القراءات السبع» هي «الأحرف السبعة» وأن كل قراءة من هذه القراءات هي أحد «الأحرف السبعة» المنصوص عليها في حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه». فذلك منه غلط عظيم لأنه ينبني على هذا الظن عدة أمور:

١ـ أن تكون القراءات المقبولة التي لم يقرأ بها أصحاب «القراءات السبع» واجبة الترك، لا يصح أن يقرأ بها مسلم، لأن أصحاب «القراءات السبع» قد استولوا على جميع «الأحرف السبعة» فما زاد على هذه «القراءات السبع» فليس من «الأحرف السبعة» أي أنه لا يجوز بناء على هذا الظن الغلط أن نقرأ بقراءة أبي جعفر ـ ولا بقراءة يعقوب ـ ولا بقراءة خلف، ومن باب أولى لا يجوز أن نقرأ بقراءة من هم فوق هؤلاء في العدد من أصحاب القراءات المقبولة من غير «القراءات السبع».

٢ـ وينبني على هذا الظن أيضا أن نترك كل قراءة رويت عن الصحابة والتابعين شيوخ عاصم ونافع وبقية السبعة إذا لم تكن هذه القراءة قد دخلت ضمن «القراءات السبع».

٣ـ كذلك ينبني على هذا الظن أنه لا يجوز لمقرئ أن يروي لتلاميذه قراءة ثامن أو تاسع أو عاشر زيادة على الأئمة السبعة أصحاب «القراءات السبع».

هذا وأرجو أن يكون في أدلة مكي بن أبي طالب التي شرحتها آنفا مقنع لمن أراد أن يستبين.

(*) يقول مكي بن أبي طالب في ص٢٥ من كتاب «الإبانة عن معاني القراءات» وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين «يعني إماما قارئا» ممن هو أعلى رتبة وأجل قدرا من هؤلاء السبعة «أصحاب القراءات السبع».

معنى الأحرف السبعة

كرر أخي الشيخ عيطة سؤاله عن المعنى الذي ارتضيه لحديث «الأحرف السبعة» ، وقد كنت أشرت إشارة موجزة إلى اختلاف العلماء في المعنى المراد بـ «الأحرف السبعة» ، والسبب في هذا الإيجاز أنى أرى أن تمحيص الخلاف في معنى حديث «الأحرف السبعة» ، إنما مجاله قاعة الدرس للمشتغلين بطلب علوم القرآن من طلاب الدراسات العليا في أقسام الدراسات الإسلامية والعربية ، وكان الشيخ عيطة سبقني فأوجز في رده عرض المذهب الذى اختاره المتأخرون وهو المنسوب إلى الرازى ناقلا إياه عن الشيخ عبد الفتاح القاضى بإيجاز شديد وإجابة لسؤال أخى سأنقل له ما حكاه فضيلة الشيخ عبد العظيم الزرقاني ـ وهو يعرض المذهب نفسه في «مناهل العرفان في علوم القرآن» جـ ١، ط الحلبي ،ص١٥٥ حيث يقول رحمه الله : «والذى نختاره ـ بنور الله وتوفيقه ـ من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازى في كتاب «اللوائح» إذ يقول : الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف .

الأول: اختلاف الأسماء من: إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر.

الثالث: اختلاف وجوه الإعراب .

الرابع: الاختلاف بالنقص والزيادة .

الخامس: الاختلاف بالتقديم والتأخير

السادس: الاختلاف بالإبدال

السابع : اختلاف اللغات «يريد اللهجات» كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك .ا.هـ[٦]

والعجيب حقا أن الشيخ عيطة أشار في رده إلى هذه الأحرف أو الأوجه إشارة موجزة في ص ١٧٨٠ ثم عقب قائلا : «وهى بعينها ما يعنيه القراء بالقراءات السبع» ونحن نقول له لا : يا فضيلة الشيخ، ثم لا !! إنما يعنى القراء بهذا الأوجه :

١ـ كل قراءة مقبولة يقرأ بها في الصلاة سواء كانت من «القراءات السبع »أو «القراءات العشر» أو ما فوق ذلك

٢ـ كذلك يعنون بعض القراءات التى تخالف رسم المصحف فلا يقرأ بها في الصلاة وهذا هو المفهوم من بعض هذه الأحرف خصوصا «الحرف الرابع» : الاختلاف بالنقص والزيادة و«الحرف الخامس» : الاختلاف بالتقديم والتأخير فأين هذا كله من «القراءات السبع»؟.

ومن العجيب أيضا أن ينسب إليَّ الشيخ عيطة في أثناء رده في ص١٧٨٠ أنى أوردت أقوالا في معنى «الأحرف السبعة» ، «منها ما يؤكد أنها القراءات السبع » وإذا عاد الشيخ عيطة إلى ص ١٦١٠ من مقالي، خصوصا نهاية العمود الثاني منها فإنه يجدنى أحكى قول الزركشى : « والثانى ـ وهو أضعفها ـ أن المراد سبع قراءات . . » ثم بينت في ص ١٦١١ المراد من ذلك بما نقله السيوطى عن ابن حبان من قوله « . . . سبع قراءات لسبعة من الصحابة : أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وابن مسعود، وابن عباس، وأبى بن كعب - رضى الله عنهم - » فأين هذه القراءات المنسوبة إلى الصحابة من «القراءات السبع» التى اختارها ابن مجاهد على رأس الثلثمائة الهجرية؟.

---

(٦) اهتم الشيخ الزرقاني بالتمثيل لتلك الأحرف فلينظر هذه الأمثلة من يشاء في المرجع نفسه .

ومن العجيب كذلك أن يخاطبنى أخى الشيخ عيطة قائلا : «هل من العامة الذين لم يأخذوا من علوم القرآن بحظ ولا نصيب الشيخ عبد الفتاح القاضى ....و.... الشيخ محمد أبو زهرة ....و....... الإمام أبو الفضل الرازى » وأقول لفضيلته : إنى أعرف قدر هؤلاء العلماء ولم أذكر اسم واحد منهم فى تعقيبى على مقالك، ولكنى حكيت فى ذلك التعقيب بعض ما حرص عليه السلف والخلف من التشنيع على من يخلط بين مصطلحى «الأحرف السبعة» ، و«القراءات السبع» وقد ذكرت أنت فى ردك على أقوال هؤلاء العلماء وتصورت أنت ساهيا أن فى هذه الأقوال ما يؤيدك فى الخلط بين هذين المصطلحين فما حيلتى أنا يا أخى الكريم ؟ ولقد بينت لك آنفا أن ما فهمته أنت من أقوال الإمام أبى الفضل الرازى لم يكن هو الوجه الصحيح، وياليت أخى الشيخ عيطة لم يضع هذه الأسماء الكريمة فى هذا السياق الذى وضعها فيه .

أما أشد هذه العجائب إثارة للنفس فهو ذهاب أخى الشيخ عيطة فى ص ١٧٨١ إلى ابن منظور صاحب معجم «لسان العرب» يستعينه على شرح مصطلح «الأحرف السبعة» ، ساهيا عن أن أقصى فائدة يستفيدها الباحث من المعجم اللغوى هى الحصول على المعنى الحرفى للفظ المفرد والإشارة إلى بعض المعانى التى يستعمل لها هذا اللفظ المفرد على حين أن المصطلح العلمى هو تركيب لغوى «لا يوازى معناه العام معانى مفرداته فى اللغة العربية» «د. محمد عنانى «عن ترجمات المستشرقين وعلم الترجمة» جريدة الأهرام ملحق الجمعة ١٤/٤/٢٠٠٠ ص١١».

أما ما تصور أخى الشيخ عيطة أنه استفاده من هذا المعجم فيتمثل فى قوله فى العمود الأول من ص١٧٨١ : «رابعا : إن ما جاء مؤيدا لما ذهبنا إليه (يعنى أن «الأحرف السبعة» ، هى «القراءات السبع») ـ ما ورد فى لسان العرب فى مادة «حرف» وذلك عندما قال هذا المرجع الكبير الذى لا معقب لأحد من الناس على ما يقول : «وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفا تقول : هذا فى حرف ابن مسعود أى فى قراءة ابن مسعود .. والحرف : القراءة التى تقرأ على أوجه وما جاء فى الحديث من قوله ـ عليه السلام : «نزل القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ...» .

وإذا كان الأمر كما تصوره الشيخ عيطة فهل يمكن لمشتغل بعلوم القرآن إذا أراد معرفة معنى حديث «الأحرف السبعة» ، أن يكتفى بما أخذه الشيخ عيطة من معجم «لسان العرب» أم أن هذا الطالب ملزم بالرجوع إلى المصادر العلمية لمعرفة ما يراد بـ «الأحرف السبعة» ، التى عالج موضوعها الزرقانى فى «مناهل العرفان» فى أكثر من خمسين صفحة ؟. ومن المعلوم أنه منذ بداية الطلب فى الأزهر والطالب يعرف أن لكل مصطلح معنى لغويا يؤخذ من المعاجم، ومعنى اصطلاحيا أى معنى اصطلح «أى اتفق» على حدوده أصحاب العلم الذى يتعلق به هذا المصطلح، وإنما يبحث عن هذا المعنى الأخير فى مصادر ذلك العلم دون غيرها .

وأما ما ختم به الشيخ عيطة هذه الفقرة من رده فى نهاية العمود الأول من ص١٧٨١فهو قوله «وعلى من أراد المزيد فليرجع إليه» «يعنى : معجم «لسان العرب» ، ولنكبح جماح قلمنا عند هذا الحد فى هذه القضية !!

وشكر الله له أن فعل ذلك !

«يتبع»

الاستقامة خير من ألف كرامة

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

ورد الأمر للنبى ﷺ بالاستقامة فى القرآن الكريم مرتين، فى قوله - تعالى -:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ﴾(1) **وفى قوله - تعالى -:**

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾(2).

وورد الأمر بها للمؤمنين فى آيات أخرى متفرقة.. وجاءت مادة الاستقامة متناثرة فى مواضع عدة من القرآن الكريم.

ما المقصود من الاستقامة؟

جاء فى لسان العرب: الاستقامة التقويم، وفى لسان أهل مكة: استقمت المتاع أى قومته. وجاء فى الحديث، قالوا: يا رسول الله لو قومت لنا؟ فقال: «الله هو المقوم».

والقائم بالدين: هو المستمسك به، الثابت عليه. ومما يروى عن حكيم بن حزام - رضى الله عنه - أنه قال: بايعت النبى - ﷺ - ألا أخر إلا قائماً، أى: لا أموت إلا ثابتاً على الإسلام، وهذا هو مدلول قوله - تعالى -:

﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾(3) أى: ثابتة على الدين.

وفسر القرطبى آية ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾ و﴿ واستقم كما أمرت ﴾ بمعنى الثبات على الدين. قال: الخطاب للنبى - ﷺ - ولغيره، وقيل: الخطاب له والمراد: أمته، قيل: استقم، أى: اطلب الإقامة على الدين من الله واسأله ذلك، فتكون السين سين السؤال كما تقول: استغفر الله، أى: طلب الغفران.

وقد تؤدى الاستقامة معنى الاعتدال، فيقال: استقام له الأمر أى: اعتدل له وإلى هذه نتيجة المفسرون فى قوله - تعالى -:

﴿ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾(4).

(1) هود (112).
(2) الشورى (15).
(3) آل عمران (113).
(4) فصلت (6).

والمعنى: استقيموا في التوجه إليه دون الآلهة، من قام الشئ واستقام، أي اعتدل واستوى..

ومن ذلك قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾(٥).

فالاستقامة هنا: العمل بالطاعة، والتزام السنة.

وتشير الآية – أيضاً – إلى عدم الاشراك بالله، في رأي بعض المفسرين.

ويعزز تفسير الاستقامة بالطاعة قول كعب بن زهير بن أبي سلمى:

فهم صرفوكم حين جرتم عن الهوى

بأسيافهم حتى استقمتم على القيم

فالقيم: هي الاستقامة، أي الطاعة.

وينصرف معنى الاستقامة في قوله – ﷺ –: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» إلى الطاعة كما تنصرف إلى عدم الإشراك. وهذا الحديث رواه مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**».

الاستقامة في القرآن والسنة الشريفة

قال الفيروز: أبادي في كتابه القيم: «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز»: وردت الاستقامة في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة على أربعة أوجه:

الأول: بمعنى: تبليغ الرسالة، ومنه قوله – تعالى –: ﴿ **فاستقم كما أمرت** ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ **ولذلك فادع واستقم كما أمرت** ﴾.

والثاني: بمعنى: الدعاء، والدعوة قال – تعالى–:

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٦).

والثالث: بمعنى: الإقبال على الطاعة– جاء في الحديث «**استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**» رواه أحمد وابن ماجة والحاكم عن ثوبان، ورواه الطبراني عن ابن عمرو وعن سلمة بن الأكوع.

والرابع: بمعنى الثبات على التوحيد والشهادة في قوله – تعالى –:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾(٧).

والاستقامة بمعنى: الاستواء والاعتدال، وتكون في الطريق الذي يكون على خط مستقيم، وبه شبه طريق الحق نحو قوله – تعالى–:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾(٨).

واستقامة الإنسان: لزومه المنهج المستقيم.

وقد وردت مادة الاستقامة في القرآن الكريم، في مواضع أخرى، غير ما ذكرنا، منها قوله – تعالى –:

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٩).

والاستقامة: هنا بمعنى الوفاء بالعهد.

---

(٥) فصلت (٣٠). (٦) يونس (٨٩). (٧) فصلت (٣٠).

(٨) الفاتحة (٦). (٩) التوبة (٧).

أذواق الصحابة فى تفسير الاستقامة

روى الترمذى، عن أنس بن مالك، أن النبى - ﷺ - قرأ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

وقال: «قد قال الناس ثم كفر أكثرهم ممن مات عليها فهو ممن استقام».

واختلف الصحابة حول معنى الاستقامة فى الآية..

وأشار القرطبى فى تفسيره إلى هذه الأذواق التى ذهبوا إليها، فمن أذواقهم أن الاستقامة عدم الإشراك، وذكر ما رواه الأسود بن هلال عن أبى بكر رضى الله عنه- أنه قال لأصحابه: ما تقولون فى هاتين الآيتين:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(١٠).

فقالوا: استقاموا فلم يذنبوا - ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة.

فقال أبوبكر: لقد حملتموها على غير المحمل: قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى غيره ولم يلبثوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون.

أما عمر - رضى الله عنه - فقد فسرها بالاستقامة على الطريقة، وعدم الروغان روغان الثعلب. وفسرها عثمان - رضى الله عنه - بالإخلاص فى العمل.

وفسرها على - رضى الله عنه - بأداء الفرائض.

ومن الآيات التى نزلت فى الاستقامة، قوله - تعالى -:

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا ﴾(١٢).

والاستقامة هنا: الإيمان والتزام طريق الحق والهدى، أى لو أصبحوا مؤمنين طائعين لأنزل الله عليهم المطر، وفجر لهم الخير من فوقهم ومن تحت أرجلهم مصداقا لقوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾(١٣).

ومن آيات الاستقامة قوله - تعالى -:

﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴾(١٤).

ويستقيم هنا، أى يتبع الحق، ويقيم عليه.

تذوق العارفين لمعنى الاستقامة

روى الإمام القشيرى فى رسالته الحديث الشريف المسند إلى ثوبان - رضى الله عنه - قال رسول الله - ﷺ -: «**استقيموا ولن تحصوا.....**».

وجعل هذا الحديث محورا تدور حوله معانى الاستقامة، فالاستقامة هى: ملازمة الطاعة، والخضوع لله، والتزام أوامره، وأساس ذلك: المحافظة على الصلاة، ولايتم ذلك إلا بالمحافظة على الوضوء الذى هو مفتاح الصلاة.

---

(١٠) فصلت (٣٠). (١١) الأنعام (٨٢). (١٢) الجن (١٦).
(١٣) الأعراف (٩٦). (١٤) التكوير (٢٨).

ويعرف الاستقامة بقوله: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه وخاب جهده.

والاستقامة لا تكون إلا مع القلب الخاشع الموقن، المراقب ربه، في حركاته وسكناته، فمن خشع قلبه خشعت جوارحه، ومصداق ذلك قول الشاعر الحكيم:

متى يستقيم الظل والعود أعوج؟

وتفسير العارفين للاستقامة مستمد من تفسير أصحاب رسول الله - ﷺ - فالاستقامة تعني: عدم الإشراك بالله - تعالى - في الشهود، والمستقيم لا ينظر إلى غير الله - تعالى - وهذا مأخوذ من قول أبي بكر - رضي الله عنه - السابق الإشارة إليه. والشرك منه: ما هو جلي، ومنه ما هو خفي، والشرك الخفي هو الرياء، والاستقامة تنافي النفاق، وإلى ذلك نبه عمر - رضي الله عنه - في تفسيره السابق بأن الذين استقاموا هم الذين لم يروغوا روغان الثعالب.

فقول الصديق - رضي الله عنه -: محمول على مراعاة الأصول في التوحيد، وقول عمر - رضي الله عنه - محمول على ترك طلب التأويل والقيام بشرط العهود.

هؤلاء العارفون لا يقفون عند حدود المعنى الظاهر من اللفظ، ولكنهم يتعمقون في الفهم، ويتحققون بالمعنى ويبالغون في الورع، حتى إنهم يعدون الاشتغال بغير الله - تعالى - ناقص لميزان الاستقامة.

الاستقامة خير من ألف كرامة

بل ويعتبرون أن الكرامة الحقيقية التي كرم الله بها عبده هي أن يوفقه إلى الاستقامة لأن فيها خيري الدنيا والآخرة، ومن عباراتهم في ذلك قولهم:

الاستقامة خير من ألف كرامة.

ومن كلام أبي علي الجوزجاني في ذلك: «كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك - عز وجل - يطالبك بالاستقامة».

وابن عطاء الله السكندري يقول في حكمه: «ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة». يريد بذلك أن الذي يحرص على طلب خوارق العادات لا يسير على المنهج الصحيح المستقيم، وقد يستدرج ببعض الخوارق التي تقطع عليه الطريق. ومما يُحكى في ذلك ما يرويه سري السقطي: لو أن واحداً دخل بستانا فيه أشجار كثيرة على كل شجرة طير يقول بلسان فصيح: السلام عليك يا ولي الله. فلو لم يخف أنه مكر لكان ممكوراً به.

فانظر إلى دقة هؤلاء العارفين في فهمهم، حيث إن الكرامة - وهي الأمر الخارق للعادة، والتي تتطلع إليها عيون البعض فتخطف أبصارهم - يعتبر العارفون أن الوقوف عندها أمر ينافي الاستقامة - ذلك أن الاستقامة التزام بالأمر وعدم التفات إلى أي مظهر مهما كان، وتنبه إلى أوقات النفس ووساوسها، ومقاومة لهذه الآفات، والنفس لا يكاد يسلم منها أحد حتى ولو بلغ أعلى درجات أهل اليقين، وقد فسر بعضهم قوله - تعالى -:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾(١٥) بأنها وردت على لسان يوسف - عليه

---

(١٥) يوسف (٥٣).

السلام - وقد قال هؤلاء العارفون: إن الاستقامة لا يطيق تحملها إلا الأكابر، لأنها تعنى الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدى الله - تعالى - على حقيقة الصدق.

ولعل بعضهم نظر إلى اشتقاق اللفظ من القيام والقيام عندهم يعنى القيامة، ولذلك قال أبو بكر الشبلى - رحمه الله - تعالى -: الاستقامة أن تشهد الوقت قيامة - ومعنى قوله هذا: أن تتوقع قيام الساعة فى كل وقت، وهذا يلزمك الخشوع والخضوع والمراقبة، ويحول بينك وبين الانشغال على ملاحظة موقفك بين يدى مولاك والمراقبة، وتحول بينك وبين الانشغال عن ملاحظة موقفك بين يدى مولاك وسؤاله إياك عما قدمت يداك.

آداب تتطلبها الاستقامة

ويترتب على ذلك أن الاستقامة تطالب العبد بآداب تتعلق بقوله وفعله وحاله فالاستقامة فى الأقوال تعنى التزام الصدق والبعد عن الغيبة والنميمة وغيرها من آفات اللسان.

والاستقامة فى الأعمال تعنى عدم الركون إلى الفترة، أو التكاسل فى الطاعات.

والاستقامة فى الأصول تعنى: مداومة المراقبة، وملازمة المحاسبة، والأنفة من الحجاب عن الله - تعالى -.

ولعل ذلك مأخوذ من ذلك الأثر، الذى ذكره الغزالى حجة، الإسلام - رضى الله عنه - فى مكاشفة القلوب قال: روى أن عيسى - عليه السلام - قال: من كان منطقه فى غير ذكر الله فقد لغا، ومن كان نظره فى غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته فى غير تفكر فقد لها».

هذه آداب بل شرائط لو تحققت لأوقفت العبد فى مقام الإحسان، الذى ورد فى شأن الأثر المشهور: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك...».

ثمار الاستقامة

أما ثمار الاستقامة فيكفى فى بيانها ما يفهم من قوله - تعالى -:

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾(16)

لم يقل الحق سقيناهم، بل قال أسقيناهم، يقال أسقيته إذ جعلت له سقيا، ففى ذلك إشارة إلى دوام الرى - دعك من الرى الظاهرى، بل هو الرى الباطنى، الذى يشعر فيه العبد بالرضا والسكينة والاطمئنان، سواء غنى أو افتقر، وجد أولم يجد.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(17).

---

(16) الجن (16).

(17) النحل (128).

الزَّوَاج السِّري.. لا العُرفي

للأستاذ/ حامد على زرزورق (*)

الزواج السرى البغيض، الذى فشا بين طلاب وطالبات المرحلة الجامعية، وامتد خطره إلى المرحلة الثانوية، ما هو إلا زنا فاحش، وسلوك شيطانى آثم، وعمل قبيح شائن، وتصرف حيوانى بعيد عن الدين والمروءة والعرف، وتلك التسمية التى ابتدعوها، وهى، أن هذا الزواج عرفى، هى تسمية بعيدة كل البعد عن العرف، إذ أن العرف لا يعتبر الزواج صحيحا معترفا به إلا إذا كان مبنيا على الدين، وكان مستوفيا عناصره الضرورية، التى لابد منها، ومن عناصره التى بها يكون الزواج صحيحا مباركا: المهر، والولى، والشاهدان العدلان، والاشهار، والتوثيق، وأين المهر والولى؟ وأين الشاهدان العدلان؟ وأين الإشهار والتوثيق؟ إن كل هذه العناصر الضرورية لا وجود لها فى هذا الزواج السرى، ومادام الأمر كذلك فمثل هذا الزواج ما هو إلا زنا، وهذا بدوره يؤدى إلى ارتفاع مظلة الإيمان عن الزانى والزانية، وبالتالى إلى غضب الله وشديد عقابه، ومما يؤكد بطلان زواج الفتاة بدون حضور وليها قول رسول الله - ﷺ - ، أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها، فنكاحها باطل، باطل، باطل، [1] ثم إن الفتى والفتاة قبل كتابة الورقة المزيفة التى يقال فيها: بأن فلان صار زوجا لفلانة، يعيشان معا، ويختليان بصحبة الشيطان، وبعيدا عن الأعين، وهذه الخلوة شيطانية، وفى ظلها ترتكب المعصية، وقد قرر الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ما يؤكد ذلك حيث قال: ، ما اختلى اثنان إلا كان الشيطان ثالثهما ،.

إن هذه الخلوة غير مشروعة، وهى محرمة دينا وعرفا، والطالبة الجامعية، التى نالت قسطا من العلم والثقافة، جنت على نفسها لهذا السلوك المنحرف، وعرضت نفسها لسوء العاقبة فى الدنيا والآخرة، وركبت متن الشطط بهذا التصرف الأرعن، وأجرمت فى حق نفسها، وحق أهلها ومجتمعها، وإنى لأعجب للفتاة الجامعية، التى تقع فى هذا الشرك الشيطانى، وتنقاد لمن لعب بعقلها بكلام معسول مغلف بالحب الطائش الكاذب، والأمانى الإبليسية الماكرة.. إنها تنتمى

(*) الكاتب: من علماء الأزهر الشريف.

(1) رواه الترمذى.

إلى دين، فلماذا لم تصن عرضها وشرفها؟ ولماذا لا تحافظ على حياتها و عفافها؟ ولماذا لا تحترم أسرتها؟ وكيف تتجاهل ولى أمرها؟ ولماذا تكون دمية فى يد شاب عابث مستهتر، لا يحترم دينا ولا خلقا؟ إنها بهذا التصرف الماجن، مكنت هذا الشاب من قيادتها، إلى وحل الخطيئة، وارتكاب جريمة من أسوأ الجرائم وأشنعها، وانقادت لهذا الذئب البشرى، الذى غرر بها، وعاش معها فى جو الرذيلة العفنة، وفى ظل شهوة جامحة، ولذة محرمة، ومتعة زائلة، زينها لهما الشيطان الذى هو بصحبتهما، وفى خلوتها غير المشروعة، ألم يعلما أن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان؟ وأنه يعمل بشتى الوسائل، ومختلف الأساليب، على إضلال بنى آدم، وألم يسمعا قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ السَّعِيرِ ۝٦ ﴾[2].

إن هذا الزواج ليس عرفيا، كما قال أولئك الضالون، وإنما هو زواج شيطانى سرى خفى حيوانى سلبى انحرافى، وهو مرفوض عقلا ودينا وعرفا، ومادام الدين يرفض مثل هذا الاتصال الجنسى، ويلفظه العرف ولا يقره، فإن الواجب يحتم على جهات الاختصاص أن تحرمه، وتسن قانونا لعقوبة كل من يجرؤ على السير فى طريق الانحراف المرفوض، وبذلك تجنب المجتمع ما يهدد حياته، وتطهره من هذا الوباء الذى استشرى، ونقضى على جرائم الفساد، التى انتشرت فى وطننا العزيز.

إن الولى ضرورى وجوده ليباشر عقد زواج الفتاة، لأنها لا تدرك مصلحتها إدراكا كاملا، ولأن الولى حريص كل الحرص على تأمين حياة الفتاة فى ظل الزوجية، ومن هنا كانت الضرورة ملحة فى مباشرة عقد الزواج، وأما الشاهدان اللذان يشهدان على العقد فلابد من توافر شرط العدالة فيهما، وهذا الشرط مفقود بالنسبة لشاهدى الزواج السرى، لأنهما من الطلاب الذين انحرفوا فى مسيرة الحياة، وهما على شاكلة من شهد لهما، ووقعا فى فخ الشيطان، واستخفا بالدين والقيم، وبعدا عن طريق الصواب، وارتكبا جرم هذا الاتصال الجنسى، الذى بنى على أرض الشهوة الشيطانية، فهما لا يصلحان للشهادة، لأنهما لا تتوافر فيهما العدالة، والرسول -صلوات الله وسلامه عليه- قرر فساد الزواج الخالى من الولى والشاهدين العدلين، حيث قال: «لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل»[3] وهذا الحديث واضح لا إبهام فيه، ولا يحتاج إلى تأويل، أو تضعيف، فصحة النكاح تتوقف على ما اشترطه الرسول- عليه الصلاة والسلام - من وجود ولى يلى شئون الزواج، وشاهدى عدل مشهود لهما بحسن السيرة وعدم الانحراف، وإذا فالشرط لم يوجد، وبفقده يكون الفساد وعدم الصحة.

إن هذه الآفة الشاذة، التى هى من صنع الشيطان الرجيم، والمتمثلة فى هذا الاتصال الجنسى المحرم، هى وافدة إلينا من أعدائنا: أعداء الإسلام، والهدف منها لا يخفى على كل من لديه عقل، وهو هدم البناء الإسلامى، وتقويض صروح الشرف والمروءة والكرامة والطهارة، وصبغ الشباب بالصبغة الأوروبية، والحياة فى ظل المجون والعربدة، وكل هذا ينعكس سلبا على الوطن العزيز.

---

(٢) فاطر (٦).

(٣) رواه البخارى.

إنها إذاً ظاهرة لها أبعاد خطيرة، وأضرار كثيرة، ولهذا يجب التصدى لها بكل قوة وحزم، ومقاومتها بإيجابية وجدية، حتى يمكن القضاء عليها واجتثاثها من أرضنا، ولتكن هناك توعية مكثفة من قبل وسائل الإعلام على اختلاف ألوانها، وقوافل دينية واجتماعية تبين للطلاب والطالبات الخطأ والصواب، وتبصرهم بالطريق السوى قبل أن يستفحل الخطر، ولتجنيد الأقلام للكتابة المتواصلة فى هذا الشأن، حتى يرحل هذا الوباء بعيدا عن أرضنا الطاهرة، وإنى لأعجب من انحدار الشباب إلى هذا المستوى، من الشذوذ الأخلاقى، والوقوع فى بؤرة الشهوة، التى يقودها الشيطان، هل سلبت عقولهم فصاروا بلا عقول؟ وهل تحولوا إلى حيوانات كل همها إشباع الرغبة الجنسية بأى صورة من الصور؟ إن هذا لشىء عجاب. وإنه لأمر يدعو إلى الغرابة.

إن الزواج السرى الإجرامى، ابتدعته فئة أضلها الشيطان، ولعب بعقولها، ونفذ إلى أعماق قلوبها، وأخذ يملى عليها ما يريد من انحراف واعوجاج، وزين لها الأفكار السوداء المغلفة بالسموم المهلكة، إلى أن وقعت فى شراكه، وعاشت حبيسة هذه الشراك، وصارت طوع إرادته، ورهن إشارته، ونفذت له ما طلب دون روية، وجسدت وساوسه لها عمليا بلا تبصر. وهكذا ينفث الشيطان سمومه، ويقود ضحاياه إلى الهاوية، ويسير بها إلى أنفاق مظلمة، وطرق مسدودة، وهذه الفئة التى اختارت لنفسها هذا المصير البالغ السوء، صارت قدوة سيئة لغيرها ممن هم فى مرحلة ما قبل الجامعة، ونقلت عدوى هذا الوباء إلى غيرهم ممن هم أقل سنا، وهم بهذا السلوك المزرى، أساءوا كل الإساءة إلى الدين، وإلى آبائهم وأقربائهم ووطنهم، وأغضبوا ربهم الذى أغدق نعمه عليهم، وهم بما يحملون من وباء كحامل المتفجرات ونافخ الكير، وينطبق عليهم ما قاله الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

إن هذا الزواج السرى زنا، والذين ينظرون إلى من يرتكبون هذا المنكر نظرة استنكار وتعجب وازدراء، ولو كان لديهم عقل واع، وبصيرة مشرقة ما وقعوا فى هذه الوهدة السحيقة، وهل هذا الزواج الذى بهذه الصورة يدوم؟ إن الواقع يقرر بأن عمره قصير، وهذا العمر القصير محفوف بالمخاطر، إذ أن الشاب الذى من هذا النوع بعد أن يشبع رغبته من نهمه الجنسى المحرم، يلفظ الفتاة لفظ النواة، ويتخلص منها ومن جنينها بالقتل، والتى لا تمتد إليها يد القتل تهيم هائمة على وجهها، وتمشى متخبطة فى حياتها، وتعيش فى جو الرذيلة، وهى التى جنت على نفسها.

إن الفتاة هى الضحية، وهى التى اختارت لنفسها هذا المستقبل الأسود، حيث إنها استسلمت لهذا الذئب البشرى، ولم تفكر فى مصيرها، وأين حقوقها؟ إنها ذهبت أدراج الرياح، وهى فى خبر كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم إن هناك شيئا آخر تجب مراعاته وهو التكافؤ، فأين التكافؤ؟ إن الرسول- صلوات الله وسلامه عليه - قرر أن الزواج الشرعى يكون مبنيا على العلن، قائما على الإشهار، ولهذا قال: «أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه فى المساجد، واضربوا عليه بالدفوف»[4].

والله الهادى

(٤) رواه أحمد والترمذى.

ماذا تعرف عن توسعات الحرم النبوى الشريف؟!

للأستاذ/عبد السلام إبراهيم ناصف

هاجر رسول الله - ﷺ - من مكة إلى المدينة فى واحدة من أعظم أحداث التاريخ الإسلامى، إذ ترتب على هذا الحدث أن صارت للمسلمين - وللمرة الأولى - دولة مقرها يثرب أو المدينة المنورة.

وكان ضروريا أن يشرع رسول الله - ﷺ - فى بناء المسجد.

قام نبينا - صلوات الله وسلامه عليه- من قباء قاصداً المدينة المنورة على ناقته، وكانت كل قبيلة تعرض عليه النزول عندها، فكان يقول لهم: «دعوها فإنها مأمورة»، يقصد بها ناقته المباركة، فلما أتت الناقة موضع مسجده- صلوات الله وسلامه عليه- بركت وهو عليها، وفى رواية بركت فى موضع بيت عائشة الذى قبض فيه -ﷺ-، ثم قامت من غير أن تزجر وسارت غير بعيد، ثم بركت تجاه دار أبى أيوب الأنصارى، فنزل فيه- صلوات الله وسلامه عليه- وأقام فيه مايقرب من سنة وفى اليوم الثانى لنزوله بدار أبى أيوب الأنصارى عزم على أن يبنى مسجده الشريف عند الموضع الذى بركت فيه ناقته أولاً، وكان مربداً يجفف فيه التمر لغلامين يتيمين من الأنصار، هما سهل وسهيل كانا فى حجر أسعد بن زرارة فساومهما النبى -ﷺ- فيه فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى رسول الله -ﷺ- حتى ابتاعه منهما وكان جداراً ليس له سقف وكان فيه شجر غرقد ونخل وقبور للمشركين فأمر رسول الله -ﷺ- بالقبور فنبشت وبالنخل والشجر فقطعت وصفت فى قبلة المسجد وكان رسول الله -ﷺ- يبنى فيه مع الصحابة ويقول وهو يعمل معهم: «اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار وللمهاجرة».

وكان السبب في عدم قبول الرسول -ﷺ- العرضة للمسجد النبوي الشريف من سهل وسهيل أنهما كانا دون البلوغ وأن عطاءهما لايقبل شرعاً؛ لأنهما كانا تحت الوصاية الشرعية لعدم كمال رجولتهما وكانت قبلة المسجد الشريف النبوي إلى بيت المقدس في الجهة الشمالية منه وصلى، -ﷺ- إلى هذه القبلة سبعة عشر شهراً، ولما فرغ -صلوات الله وسلامه عليه- من بناء مسجده الشريف النبوي بنى بعائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- في البيت الذي بناه لها، كما بنى بعده بيتاً لسودة أم المؤمنين، ثم بنى في أوقات مختلفة بيوتاً لباقي الزوجات.

١- زيادة رسول الله -ﷺ- :

ثم زاد -ﷺ- في مسجده الشريف ثلاثة عواميد من جهة الغرب في السنة السابعة من الهجرة الشريفة بعد عودته من غزوة خيبر.

وبلغت مساحة المسجد بالأمتار المربعة ٢٤٧٥ متراً.

٢- زيادة عمر بن الخطاب:

ثم زاد فيه سيدنا عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- في العام السابع عشر عامودين من جهة الغرب، أما من جهة الشمال فأكثر من عامودين، وعمل فيه حصوة غير مسقفة وأنشأ البئر المشهورة بين الناس ببئر زمزم في وسط الحصوة. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ألفاً ومائة متر.

٣- زيادة عثمان بن عفان:

ثم زاد فيه سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في العام التاسع والعشرين عاموداً واحداً من جهة الغرب، وأكثر من عامود من جهة القبلة، وأنشأ فيه محرابه المشهور باسمه الآن وكانت زيادته فيه من جهة القبلة تنتهي عند انتهاء حدود الروضة ومن جهة الشمال زاد فيه شيئاً قليلاً في الحصوة وكانت عمارته له بالحجارة والجص والعمد المحشوة بالحديد وتسقيفه بالساج. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة أربعمائة وتسعة وستين متراً.

٤- زيادة الوليد بن عبدالملك:

ثم زاد فيه الوليد بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي من جهة الغرب على يد عامله بالمدينة المنورة عمر بن عبدالعزيز خامس الخلفاء الراشدين في العام الثامن والثمانين وأدخل فيه حجرات أمهات المؤمنين بعد التعويض عنها لهن بما أرضاهن وأقام الدائر المخمس على الحجرة الشريفة من جهة الشمال وهذه الزيادة هي آخر الزيادات الحاضرة من جهة الغرب ونقش فيه الجدران بالفسيفساء والمرمر وسقفه بالساج وذهبه.

وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ٢٣٦٩ متراً.

٥- زيادة المهدي بن المنصور:

ثم زاد الخليفة المهدي بن الخليفة المنصور فيه بقية الحصوة كلها ومايحاذيها من المسقف، ومن جهة الغرب حتى غاية مصلى

النساء في العهد العثماني وقد بدأت فيه هذه الزيادة سنة ١١٦١هـ، وتمت سنة ١١٦٥هجرية. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ٢٤٥٠متراً.

٦- زيادة السلطان قايتباي.

ثم زاد فيه السلطان قايتباى الأشرف المحمودى شيئاً بسيطاً داخل الحجرة الشريفة لإقامة الدرابزين الأخضر الموجود عليه الآن وذلك لوضع القبة الزرقاء عليه وزيادته الآن هي الممر العام في داخل الحجرات وكان ذلك في عام ٨٨٨هجرية. وبلغت هذه الزيادة بالأمتار المربعة ١٢٠متراً.

ثم عمل السلطان محمود خان العثماني قبة أخرى على الحجرة الشريفة ودهنها باللون الأخضر ولذلك أصبحت تسمى بالقبة الخضراء وعمل لها قاعدة عظيمة في وسط المسجد الشريف النبوى أقامها عليها وهي فوق القبة الزرقاء وكان ذلك في عام ١٢٣٣هجرية.

٧- زيادة السلطان عبدالمجيد خان العثماني:

ثم زاد السلطان عبدالمجيد خان العثماني القسم المسقف من الجهة الشمالية من حدود المنارة المجيدية إلى حدود المنارة السليمانية وأنشأ فيها الكتاتيب أي مدارس القرآن الكريم كما أنشأ مخزناً للزيت الذى كان يضاء به الحرم الشريف النبوى في قناديل تعد بالمئات متفرقة في أنحاء الحرم الشريف النبوى وبه تنتهى سائر الزيادات في الحرم الشريف النبوى من الجهة الشمالية في العهد العثماني.

أما من جهة الشرق فقد زاد فيه السلطان عبدالمجيد خان العثماني الرواق العظيم الواسع المحتوى على الشبابيك الثلاثة وأنشأ فيه دكة مرتفعة تسمى دكة شيخ الحرم الشريف النبوى، كما أنشأ باباً يسمى باب جبريل أو باب الجبر أو باب الجنائز. وبلغت زيادة السلطان عبدالمجيد بالأمتار المربعة ١٢٩٣متراً وعمارة السلطان عبدالمجيد خان العثماني هذه بدأت عام ١٢٦٥ هجرية وانتهت في عام ١٢٧٧ هجرية ثم إلى هذه السنوات الثلاث عشرة أضيفت ثلاث سنوات أخرى للكتابة والزخرفة والنقوش، فتمت عمارة الحرم الشريف النبوى في العهد العثماني سنة ١٢٨٠هجرية أما الترميمات والتجديدات والتعميرات بدون زيادة أو نقص، فكانت تجديد المعتصم والظاهر بيبرس البندقدارى، وتجديد الملك الناصر محمد بن قلاوون، وتجديد الأشرف برسباى، وتجديد الظاهر جقمق وتجديد السلطان سليمان.

الزيادة السعودية

وفي سنة ثمان وستين وثلثمائة والألف للهجرة، نادى أئمة المساجد في مصر بجمع التبرعات لإعمار المسجد النبوى وتناقلتها الصحف، وجمعت مبالغ كبيرة لهذا الغرض النبيل، غير أن جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز- رحمه الله- حين علم بأمر هذه

التبرعات أمر يردها لأصحابها وقد ألزم نفسه بشرف توسعته على نفقته الخاصة، فاستقدم أمهر العمال والمهندسين، والمعماريين، لتنفيذ ما خطط له، فبلغت مساحته نحو ستة عشر ألفاً وثلثمائة وست وعشرين متراً مربعاً، وارتفاع جدرانه بنحو أربعة عشر متراً، وأضاف لمئذنتيه مئذنتين أخريين، ووسع في أبوابه التسع بمضاعفتها، وبلغ ما أنفق على هذه التوسعة أكثر من خمسين مليون ريال، فظهر للعيان مسجداً يليق بمقام أشرف الخلق وخاتم النبيين- ﷺ -.

التوسعة الأخيرة

من عجب أنك لو زرت البيت الحرام، والحرم النبوي الشريفين كل عام لوجدت زيادة في العمارة، عمارة، وبهاء وتشريفاً، لقبول دعاء الزائرين، والمعتمرين، والحجاج المأثور: «اللهم زد هذا البيت تشريفاً، وتعظيماً، ومهابة، وأمناً».

فبعد مرور أربعة عشر قرناً على هجرة المصطفى -صلوات الله وسلامه عليه- خرج على العالم من يسعده أن يُسمى خادم الحرمين الشريفين وهو ملك المملكة العربية السعودية، فقام بتوسعة كلا الحرمين، وكان للمسجد النبوي الحظ الأوفى من هذه الرعاية، فجاوزت مساحته أكثر من ثمان وتسعين ألف متر مربع، بما يعادل خمسة أمثال مساحته ليسع أكثر من مائة وخمسة وستين ألف مصل، إضافة إلى سطح المسجد الذي أعد ليسع أكثر من تسعين ألف مصل، وبدا يتسع قلب المسجد وسطحه لأكثر من ربع مليون مصل- بالإضافة إلى الساحات المحيطة به، التي أعدت بكل عناية لتستقبل أعداداً غير محددة من المصلين، وأعدت سلالم كهربية وغير كهربية لمساعدة المصلين، للصعود والهبوط، في كل جهة من جهات المسجد، ووسعت أبوابه بنفس النسبة، فارتفع عددها من ثمانية عشر، إلى واحد وثمانين باباً، بسعة أكثر من مائتين وستة وعشرين متراً. ولقد اشتمل المسجد على مساحات مزودة بأسقف كهربية متحركة، يسهل فتحها وغلقها وفق التغيرات الجوية، يبلغ عددها ثلاثاً وثلاثين مظلة.

المآذن

تضاعفت المآذن مرة ونصف المرة فقد زيدت من أربع إلى عشر مآذن بارتفاع يجاوز المائة متر، بعد أن كانت الواحدة لاتجاوز السبعين.

الطابق الأرضي

جهز تحت المسجد النبوي الشريف، الطابق الأرضي، ليكون مخزناً استراتيجياً للمياه، سواء الواردة من زمزم، أو المعدة للوضوء، والاستحمام، والنظافة إلى جانب أماكن وقوف السيارات الخاصة بالمصلين، الذي يتسع لأكثر من خمس آلاف سيارة في ثلاثة طوابق تحت الأرض، يستخدم أصحابها سلالم كهربية لتسهيل صعودهم، إلى ساحات المسجد، إضافة إلى احتوائها على ثمان

دورات مياه كل منها مكون من أربعة طوابق تحت الأرض خلافاً لأجهزة التكييف والتنظيف.

نفق الخدمات

يوصل «البدروم» - تحت المسجد - بالمدينة المنورة بطول سبعة كيلو مترات يسمح بمرور السيارات والناقلات حتى قلب «البدروم»، إضافة إلى كونه ممراً صناعياً لنقل مخزون المياه، للوضوء والشرب من خلال أربعة أنابيب، سعة أكثر من متر في قطرها تضخ فيها بواسطة ماكينات عملاقة خارج النفق خارج دائرة الحرم لإبعاد ضجيجها عن آذان المصلين والزائرين.

دورات المياه

أبعدت دورات المياه - برغم نظافتها، وبرغم بهائها - عن المسجد الطاهر، في أطراف الساحات المكشوفة حوله، تستقبل الراغبين في الوضوء، والراغبات على أن يهبط المتوضئ إليها عبر سلالم كهربية إلى الأدوار الأربعة تحت الأرض في البدروم وهي غاية في الجمال والنظام والنظافة، من حيث العمارة والساكة، والإمداد والصرف، مليئة بالمياه والصابون السائل، خدمة للزائرين.

الأساسات

اعتمدت الأساسات على الدق والحفر والصب على قواعد خرسانية مسلحة صلبة تتحمل عظمة المبنى، ثم غرسها بمهارة تحت القواعد، لعمق أربعين متراً أو يزيد حسب دراسة أحوال التربة ومدى تحملها.

الأعمدة

انتظمت الأعمدة في المسجد الشريف فوق تلك الأساسات في منظومة رائعة إما فردية أو زوجية أو رباعية، حسب ما أعدت لحمله، ويبلغ عددها أربعة آلاف وستمائة وعشرين عاموداً.

وقد تم إنشاء مصنع حديث لإمداد مشروع التوسعة بالأحجار الملونة، ينتج أكثر من نصف مليون حجر باللون المطلوب، وعمل نماذج للبواكي وزخرفتها باللون المطلوب، لتنقل إلى المسجد مباشرة ويسهل تركيبها في مكانها المعد مسبقاً دون أية إضافة، ويقع المصنع على بعد من المسجد وهو مجهز بكل وسائل الإقامة والإعاشة والإمكانات اللازمة للتشغيل وإمداد العمل الكبير بما يتطلبه من احتياجات حتى لا يتعطل العمل.

ولقد خرج العمل بصورة لا نملك أمامها إلا أن نقول: إن هناك ملائكة تساعد العاملين في البناء والزخرفة والتشكيل والتنظيم والتنظيف ليخرج هذا المسجد بهذه الصورة الفريدة الرائعة الجمال.

صلى الله عليك ياحبيبي يارسول الله واللهم أدم علينا الصلاة.

في مسجده الشريف الذي تعدل الصلاة فيه بألف صلاة عما في سواه.

ميادين الجدال

٩

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

أولاً :

المسائل المتعلقة بأصول الدين وأهمها :

١ ـ الذات الإلهية والصفات (التوحيد).

٢ ـ الأفعال بين الجبر والاختيار (العدل).

٣ ـ تخلف الوعيد.

٤ ـ المنزلة بين المنزلتين.

٥ ـ الصلاح والأصلح.

٦ ـ رؤية المولى ـ سبحانه وتعالى ـ.

٧ ـ القول بخلق القرآن.

٨ ـ حقيقة الإيمان وعلاقة العمل به.

٩ ـ زيادة الإيمان ونقصانه.

١٠ ـ التحسين والتقبيح العقليان.

ثانياً :

المسائل المتعلقة بأصول الشريعة وأهمها :

١ ـ الاختلاف في المصادر الثانوية للشريعة الإسلامية.

٢ ـ القياس فمذهب الجمهور إلى القول بحجته بينما قال النظام والظاهرية وبعض الشيعة بعدم الحجية.

٣ ـ المصالح المرسلة فمعظم الأئمة يرون حجيتها بينما ينكر بعض الفقهاء هذه الحجية (الظاهرية، الآمدى، ابن الحاجب).

٤ ـ شرع من قبلنا وخاصة الأحكام التى ذكرت ولم يتعرض لها بالإنكار أو الإقرار.

٥ ـ قول الصحابى خاصة الصادر عن الرأى والاجتهاد[1].

ثالثاً :

المسائل الأصولية (من كتاب تخريج الفروع على الأصول للزنجانى) :

١ ـ الأصل فى الأحكام الشرعية التعبد عند الشافعى والتعليل عند أبى حنيفة[2].

٢ ـ الزيادة على النص ليست نسخاً عند الشافعية وعند الحنفية نسخ[3].

---

(١) انظر هذه المباحث فى أصول الفقه د. زكى شعبان.

(٢)، (٣).. انظر تخريج الأصول على الفروع للزنجانى ص ٣٨، ٥٠، ٦٢، ٦٨، ٧٥، ٧٩، ٩٨، ٢٥٤، ٣٦٩، ٣٣٠، ٣٦٢، ٣٧٩، ٨٧.

٣ ـ خبر الواحد فيما تعم به البلوى مقبول عند الشافعي وغير مقبول عند الأحناف[٤].

٤ ـ إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز جاز أن يكون كلاهما مراداً عند الشافعي وقال أبو حنيفة: لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز في حالة واحدة[٥].

٥ ـ مطلق الأمر يقتضي التكرار عند الشافعي ولا يقتضي التكرار عند أبي حنيفة[٦].

٦ ـ المصيب واحد في المجتهدات الفروعية والحق فيها متعين عند الشافعي، وذهب الحنفية إلى أن مجتهد مصيب[٧].

٧ ـ الكفار مخاطبون بفروع الإسلام عند الشافعية وغير مخاطبين عند الأحناف[٨].

٨ ـ الأمر المطلق المجرد عن القرائن يقتضي الفور عند الشافعي وذهب الكثير من العلماء إلى أنه للتراخي[٩].

٩ ـ الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده وكذا العكس عند الشافعي وذهب الحنفية إلى خلاف ذلك[١٠].

(١٠) حكم الشيء يدور مع أصله وجوداً وعدما عند أصحاب أبي حنيفة[١١].

١١ ـ تخصيص عموم الكتاب بالقياس جائز عند الشافعي وأنكر الحنفية ذلك[١٢].

١٢ ـ خبر الواحد إذا خالف قياس الأصول يقدم على القياس عند الشافعي وذهبت الحنفية إلى تقديم القياس عليه[١٣].

١٣ ـ الاستثناء إذا تعقب جملا نسق بعضها على بعض رجع إلى جميع الجمل عند الشافعي وقال أبو حنيفة: يختص بالجملة الأخيرة[١٤].

١٤ ـ إذا أمر المكلف بفعل أجزاء من ذلك ما يقع عليه اسم الفعل المأمور به عند الشافعي وقيل: لا بد من فعل كل ما يتناوله اسمه[١٥].

١٥ ـ حرف الواو الناسقة للترتيب عند الشافعية ولمطلق الاشتراك عند الأحناف[١٦].

١٦ ـ كل حكم شرعه أمكن تعليله فالقياس فيه جائز عند الشافعي وذهب الأحناف إلى أن القياس لا يجرى في الكفارات[١٧].

رابعاً :

المسائل الأصولية (تخريج الفروع على الأصول للزنجاني بتصرف):

١ ـ الأصل في الأحكام الشرعية التعبد عند الشافعي، والتعليل عند أبي حنيفة[١٨] ذهب الشافعي إلى أن الطهارة والنجاسة وسائر المعاني الشرعية كالرق والملك وسائر الأحكام الشرعية ككون المحل طاهراً أو نجساً، وكون الشخص حراً أو مملوكاً ليست من صفات الأعيان المنسوب إليها بل، أثبتها الله تحكماً وتعبداً غير معللة... وما يتعلق بها من مصالح العباد فذلك حاصل ضمنا وتبعاً، لا أصلاً ومقصوداً.

وسر هذه القاعدة أن الله –تعالى– مالك الملك وخالق الخلق يتصرف في عباده كيف يشاء.. وذهب أبو حنيفة إلى أن الأحكام الشرعية صفات للمحال والأعيان المنسوبة إليها أثبتها الله –تعالى– وشرعها معللة بمصالح العباد.

---

(٤)، (٥٥) (٦)، (٧)، (٨)، (٩)، (١٠)، (١١)، (١٢)، (١٣)، (١٤) أنظر تخريج الأصول على الفروع للزنجاني، المواضع السابقة.
(١٥)، (١٦)، (١٧)، (١٨) تخريج الفروع على الأصول للزنجاني بتصرف. ص٥٣، ١٢٢، ٣٨.

كما أن الحسن، والقبح، والوجوب، والحظر، والندب، والكراهة، والإباحة من صفات الأفعال التي تضاف إليها.

فالشافعي حين رأى أن التعبد في الأحكام هو الأصل غلب احتمال التعبد وبنى مسائله في الفروع عليه.

وأبو حنيفة حين رأى أن التعليل هو الأصل بنى مسائله في الفروع عليه.

الأمثلة :

(أ) عند الشافعي يتعين لفظة التكبير في افتتاح الصلاة ولا يقوم ما في معناها مقامها، ويتعين لفظة التسليم في اختتامها ولا يقوم ما في معناها مقامها، وعند أبي حنيفة يقوم.

(ب) إن غير الفاتحة لا يقوم مقامها في الصلاة عند الشافعي، لاحتمال التعبد بالإعجاز اللفظي والمعنوي، وعند أبي حنيفة يقوم مقامها تعويلا على المعنى.

(جـ) يمتنع الإبدال في الزكوات ولا يجزيء إخراج القيمة عند الشافعي لظهور احتمال التعبد بالتشريك بين الفقراء والأغنياء في جنس المال، وعند الأحناف يجزيء(١٩).

٢ ـ الزيادة على النص ليست نسخاً عند الشافعية وعند الحنفية نسخ(٢٠).

الأمثلة :

(أ) إن النية واجبة في الوضوء عند الشافعية لأن اشتراطها لا يوجب نسخاً. وعند الحنفية تجب لأن الله -تعالى- ذكر غسل الأعضاء الأربعة في الوضوء ولم يذكر النية فمن أوجبها فقد زاد على النص.

(ب) إن التغريب يشرع مع الجلد عند الشافعية وعند الحنفية لا يشرع، لأن الله ذكر الجلد ولم يذكر التغريب، فمن أوجبه فقد زاد على النص والزيادة على النص نسخ(٢١).

٣ ـ خبر الواحد فيما تعم به البلوى مقبول عند الشافعي وغير مقبول عند الأحناف(٢٢) واحتج الشافعي بقوله -تعالى- :

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾(٢٣).

ورجوع الصحابة إلى قول عائشة في التقاء الختانين مع أن ذلك مما تعم به البلوى، واحتج أبو حنيفة بأن ما تعم به البلوى يكثر وقوعه فكثر السؤال عنه، وما يكثر السؤال عنه يكثر الجواب عنه فيقع التحدث به كثيراً وينقل نقلاً مستفيضاً ذائعاً، فإذا لم ينقل مثله دل ذلك على فساد أصله.

الأمثلة :

(أ) إن أحاديث الجهر بالتسمية مقبولة عند الشافعي، وعند الأحناف لا تقبل لعموم البلوى بها.

(ب) إن المتفرد برؤية الهلال إذا كانت مصحية تقبل شهادته عند الشافعية.

وعند الأحناف لا تقبل لعموم البلوى وتوافر الدواعي على روايته والجد في طلبه(٢٤).

٤ ـ إذا دار اللفظ بين الحقيقة والمجاز جاز أن

---

(١٩) (٢٠)، (٢١)، (٢٢) تخريج الفروع على الأصول للزنجاني ص ٣٨ ـ ٤٠ بتصرف، ٥٠، ٥١، ٦٣.

(٢٣) التوبة آية ١٢٢. (٢٤) تخريج الفروع ص ٦٦.

يكون كلاهما مراداً عند الشافعي وقال أبو حنيفة لا يجوز إرادة الحقيقة والمجاز في حالة واحدة(٢٥).

الأمثلة :

إن لمس المرأة يوجب انتقاض الطهارة عند الشافعي وعند أبي حنيفة لا يوجب، لأن اللمس مجاز عن الجماع والجماع مراد باتفاق، فمهما صار حدثاً فلا ينبغي الحقيقة معه مرادة.

٥ ـ مطلق الأمر يقتضي التكرار عند الشافعي ولا يقتضي التكرار عند أبي حنيفة(٢٦).

الأمثلة :

إن السارق يؤتى بأطرافه الأربعة عند الشافعية عملاً بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾(٢٧).

فإنه أمر مقتضاه التكرار بتكرار السرقة.

وعند أبي حنيفة لا يقتضي التكرار فلا يقطع في المرة الثانية(٢٨).

٦ ـ المصيب واحد في المجتهدات الفروعية والحق فيها متعين عند الشافعي وذهب الحنفية إلى أن كل مجتهد مصيب(٢٩).

الأمثلة :

إن من اشتبهت عليه القبلة واجتهد وصلى إلى جهة غلب على ظنه أنها جهة القبلة، ثم بان له يقين الخطأ عند الشافعي لفوات الحق المتعين وعند الأحناف لا يلزم القضاء لتصويبه فيما مضى وإن بان أنه خطأ(٣٠).

٧ ـ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة عند الشافعية وغير مخاطبين عند الأحناف(٣١).

الأمثلة :

(أ) إن المرتد إذا أسلم لزمه قضاء الصلوات الغائبة في أيام الردة وكذا أيام الصيام الفائتة عند الشافعي خلافاً لأبي حنيفة.

(ب) إن الكفار إذا استولوا على أموال المسلمين وأحرزوها بدارهم لا يملكونها عند الشافعية لأنها معصومة، وعند الأحناف يملكونها، لأن تحريم التناول من فروع الإسلام وهم غير مخاطبين بها(٣٢).

٨ ـ الأمر المطلق المجرد من القرائن يقتضي الفور عند الشافعي وذهب الكثير من العلماء إلى أنه للتراخي(٣٣).

(أ) إن الزكاة تجب على الفور عند الشافعية، وغيرهم على التراخي.

(ب) إن المال إذا حال عليه الحول ووجبت الزكاة وتمكن من أدائها ثم تلف لم تسقط الزكاة عند الشافعية لأنه عصى بالمنع، وغيرهم تسقط، إذ لا عصيان مع جواز التأخير.

٩ ـ إن الأمر بالشيء ليس نهياً عن ضده، والنهي عن الشيء ليس أمراً بضده عند الشافعية، وذهب الأحناف إلى أن الأمر بالشيء يقتضي النهي عن أضداده ويتفرع عن ذلك.

(أ) إن التخلي لنافل العبادات أولى من الاشتغال بالنكاح عند الشافعية، وعند الأحناف الاشتغال بالنكاح أولى.

(ب) إن إرسال الطلقات الثلاث مباح عند الشافعية لأن موجبها قطع نكاح مباح. وعند الأحناف ممنوع وبدعة، لأنه تضمن قطع مصلحة

---

(٢٥)، (٢٦)، (٢٨)، (٢٩)، (٣٠)، (٣١) تخريج الفروع على الأصول للزنجاني ص ٦٨، ٧٥، ٧٨، ٧٩ ـ ٨١، ٩٨، ١٠١.

(٢٧) المائدة آية ٣٨.

(٣٢) (٣٣)، (٣٤) تخريج الفروع ص ١٠١، ١٠٨، ٢٥٢ ـ ٢٥٣ بتصرف.

وجبت إقامتها بالكلية[٣٤].

١٠ ـ ذهب الأحناف إلى أن حكم الشيء يدور مع أثره وجوداً وعدماً بينما منع الشافعي ذلك.

(أ) إن نكاح الأخت في عدة الأخت البائنة جائز عند الشافعي وعند الأحناف لا يجوز، لأن العدة من خصائص النكاح.

(ب) إن المختلفة لا يلحقها صريح الطلاق لزوال حقيقة النكاح وعندهم يلحقها ما دامت في العدة.

(جـ) إن المبتوتة في مرض الموت لا ترث عند الشافعية وعند الأحناف ترث ما دامت العدة قائمة.

١١ ـ تخصيص عموم الكتاب بالقياس جائز عند الشافعي. وعلل ذلك بأن القياس دليل شرعي معمول به فوجب أن يجوز التخصيص به قياساً على خبر الواحد والكتاب، وذهبت الحنفية إلى إنكار ذلك، واحتجوا فيه بأن التخصيص نازل منزلة النسخ من حيث إن كل واحد منهما إسقاط لموجب اللفظ، غير أن النسخ إسقاط لموجب اللفظ العام في بعض الأزمان، والتخصيص إسقاط لموجب اللفظ في بعض الأعيان.

الأمثلة:

إن مباح الدم إذا التجأ إلى الحرم لا يعصمه الالتجاء عند الشافعي، وعند الأحناف يعصمه لعموم قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[٣٥].

فالشافعي خصص عموم هذا اللفظ بالقياس لقيام موجب الاستيفاء وبعد احتمال المانع إذا لا مناسبة بين اللياذ إلى الحرم وإسقاط حقوق الآدميين.

وأبو حنيفة لم يجوز تخصيص هذا العموم بالقياس وإن كان جلياً[٣٦].

١٢ ـ خبر الواحد إذا خالف قياس الأصول يقدم على القياس عند الشافعي، واحتج في ذلك بأن الخبر أقوى من القياس فوجب أن يقوم عليه، وذهبت الحنفية إلى تقديم القياس عليه.

واحتجوا في ذلك بأن قالوا: أقوى من الخبر فوجب أن يقدم عليه وذلك لأن القائس المجتهد على يقين من اجتهاد نفسه. وليس على يقين من الخبر لأنا لا نقطع بصحة خبر الواحد ولهذا لا يوجب العلم... ويستحيل أن يقدم ما ثبت ظنا على ما علم يقينا.

الأمثلة:

إن الجنين يتذكى بذكاة أمه عند الشافعي لحديثه: «قلنا يا رسول الله إنا ننحر الإبل ونذبح الشاة ونجد في بطنها ميتاً (فنلقيه أم نأكله؟ فقال ـ ﷺ ـ كلوه فإن ذكاة الجنين ذكاة أمه»[٣٧].

وعند الأحناف لا يتذكى بذكاة أمه تقديماً لقياس الأصول على الخبر حيث إن الأصل في الشرع أن كل ما كان مستخبثاً كان حراماً وكل ما يحتقن فيه الدم المستخبث يكون حراماً والجنين في بطن الأم كذلك[٣٨].

الاستثناء إذا تعقب جملا نسق بعضها على بعض رجع إلى جميع الجمل عند الشافعي وقال أبو حنيفة: يختص بالجملة الأخيرة[٣٩].

ومن أمثلة ذلك:

أن المحدود في القذف إذا تاب قبلت شهادته ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(٣٥) آل عمران آية ٩٧.

(٣٦) تخريج الفروع ص ٣٣٠، ٣٣٣ بتصرف.

(٣٧) الحديث أخرجه أبو داود ٢٨٢٨ والترمذي ١٤٧٦ وأحمد في المسند ٣٩١٣ والبيهقي في الكبرى ٩/٣٣٥ وابن حبان ١٠٧٧.

(٣٨) تخريج الفروع ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥، ٢٧٩.

(٣٩) تخريج الفروع ص ٢٧٩.

﴿الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾[٤٠].

يرجع إلى جميع الجمل فيرتفع رد الشهادة كما ارتفع الفسق، فإن قيل لو عاد إلى جميع الجمل لسقط الحد بالتوبة فإنه منها، قلنا سقط على أحد قولي الشافعي، وعلى التسليم إنما لم يسقط الحد بالتوبة، لأن المغلب فيه حق الآدمي فلا يسقط إلا باستيفائه لا لخلل في اقتضاء الصيغة.

وقال أبو حنيفة -رضي الله عنه-: لا تقبل شهادته أبداً لاختصاص الاستثناء بالجملة الأخيرة[٤١].

١٤ - إذا أمر المكلف بفعل أجزاه من فعل ذلك ما يقع عليه اسم الفعل المأمور به عند الشافعي، وقيل: لا بد من فعل كل ما يتناوله اسمه، احتج الشافعي، بأن الأقل مستيقن والزيادة مشكوك فيها فلا يجب من غير دليل.

وذهب الأحناف إلى أنه لا يجزيه فعل ما يقع عليه الاسم، بل لا بد من فعل كل ما يتناوله اسمه.

واحتجوا بأن الاسم يطلق على الكل حقيقة؛ وعلى البعض مجازاً، والكلام يحمل على الحقيقة عند الإطلاق إلى أن يقوم دليل المجاز.

الأمثلة: إن مسح الرأس لا يتقدر عند الشافعي بل يكتفي بما يطلق عليه الاسم وهو الأقل.

وقال أبو حنيفة. يتقدر بمقدار الناصية[٤٢].

١٥ - حرف الواو الناسقة للترتيب عند الشافعية ولمطلق الاشتراك عند الأحناف[٤٣].

الأمثلة:

١ - إن الترتيب مستحق في أفعال الوضوء عند الشافعي تمسكاً لقوله -تعالى-:

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾[٤٤]

وعند الأحناف لا يستحق.

٢ - إن البداية بالسعي بالصفا دون المروة واجب عند الشافعي فلو ترك الترتيب لا يجزيه وعند الأحناف يجزيه[٤٥].

١٦ - كل حكم شرعي أمكن تعليله فالقياس فيه جائز عند الشافعي، وذهب الأحناف إلى أن القياس لا يجري في الكفارات[٤٦]. وقد علل الشافعية ذلك بأن مستند القول بالقياس إجماع الصحابة، ولم يفرقوا بين حكم وحكم فيما يمكن تعليله.

وعلل الأحناف رأيهم بأن قالوا: إنما منعنا من إجراء القياس في الكفارات؛ لأنا رأينا الشرع قد أوجب الكفارة على المظاهر وعلل وقال: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾[٤٧] ثم أن المرتد قال أعظم مما قال المظاهر، وأفحش ولم يوجب عليه الكفارة..

الأمثلة:

(أ) إذا جامع في يومين من رمضان واحد يلزمه كفارتين عند الشافعية لتماثل السببين، وعند الأحناف لا يلزم سوى كفارة لتعذر الإلحاق على ما سبق.

٢ - إن المنفرد برؤية الهلال إذا رد الحاكم شهادته يلزمه الكفارة إذا جامع في ذلك اليوم عند الشافعية، كما إذا قبل القاضي شهادته يلزمه وعند الأحناف لا يلزمه.

٣ - إن القتل العمد يوجب الكفارة عند الشافعية قياساً على الخطأ وعند الأحناف لا تجب[٤٨].

«يتبع»

---

(٤٠) النور آية ٤، ٥.

(٤١)، (٤٢)، (٤٣) تخريج الفروع ص ٥٨ - ٥٩، ٥٣.

(٤٥)، (٤٦) تخريج الفروع ص ١٣٢، ٥٦ بتصرف.

(٤٨) تخريج الفروع ص (١٣٤ - ١٣٥) بتصرف.

(٤٦) تخريج الفروع ص ٣٨٣ - ٣٨٦.

(٤٤) المائدة آية ٦.

(٤٧) المجادلة آية ٢.

العشرة المبشرون بالجنة

٤ الفاروق

عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

روى أحمد: حدثنا محمد، حدثنا النضر بن حماد العقدى، قال: حدثنا سيف بن عمر الأسدى، حدثنا عبيد الله بن عمر عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا رأيتم الذين يسبون أصحابى فالعنوهم»

وفى السنة الثالثة للهجرة تزوج رسول الله ـ ﷺ ـ السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب، وأصدقها رسول الله ـ ﷺ ـ أربع مائة درهم(١).

وكانت السيدة حفصة ـ رضى الله عنها ـ زوجة للصحابى الجليل خنيس بن حذافة، فلما مات زوجها فى غزوة أحد شهيداً، عاشت فى بيت أبيها تجتر أحزانها، ولحظ عمر ـ رضى الله عنه ـ ما تعانيه ابنته من حزن وألم، أورد البخارى فى صحيحه: «حدثنا عبدالله بن محمد، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، حدثنا الزهرى، قال: أخبرنى سالم: أن ابن عمر أخبره أن عمر حين تأيمت حفصة بنت عمر من ابن حذافة السهمى ـ وكان من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ من أهل بدر توفى بالمدينة، فقال عمر: لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة، فقال: سأنظر فى أمرى، فلبثت ليالى، ثم لقينى، فقال: بدا لى أن لا أتزوج يومى هذا! قال عمر: فلقيت أبا بكر، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة(٢).. وقال عمر: خطب النبى ـ ﷺ ـ إلى حفصة فأنكحته(٣)».

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية (٢/).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح، باب من قال لانكاح إلا بولى (٧/ ٢٠، ٢١) كتاب الشعب ط ٣٧٨ هـ

(٣) أخرجه البخارى فى كتاب النكاح، باب تزويج الأب ابنته من الإمام

خابت حفصة وخسرت

وحدث أن نساء النبي ـ ﷺ ـ سألنه شيئا من عرض الدنيا، وطلبن منه زيادة في النفقة، وآذينه بغيرة بعضهن، فهجرهن رسول الله ـ ﷺ ـ وآلى ألا يقربهن شهرا،[4] فكان لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ موقفه المشهود معهن بعامة ومع ابنته حفصة بصفة خاصة يقول البخاري في صحيحه: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبدالله بن أبي ثور عن عبدالله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ـ ﷺ ـ اللتين قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[*]

حتى حج وحججت معه، وعدل وعدلت معه بإداوة فتبرز، ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ، فقلت له يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ـ ﷺ ـ اللتان قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[*]

قال: واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة ثم استقبل عمر الحديث يسوقه قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد وهم من عوالي المدينة وكنا نتناوب النزول على النبي ـ ﷺ ـ فينزل يوما، وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته بما حدث من خبر ذلك اليوم من الوحي أو غيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار فصخبت على امرأتي فراجعتني فأنكرت أن تراجعني قالت: ولم تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي ـ ﷺ ـ ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني ذلك وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت على ثيابي، فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أي حفصة أتغاضب إحداكن النبي ـ ﷺ ـ اليوم حتى الليل؟ قالت: نعم، فقلت: قد خبت وخسرت أفتأمنين أن يغضب الله لغضب رسوله ـ ﷺ ـ فتهلكي، لا تستكثري النبي ـ ﷺ ـ ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي ـ ﷺ ـ يريد عائشة، قال عمر: وكنا قد تحدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته، فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضربا شديدا وقال: أثم هو، ففزعت فخرجت إليه، فقال: قد حدث اليوم أمر عظيم، قلت: ما هو أجاء غسان؟ قال: لا، بل أعظم من ذلك وأهول طلق النبي ـ ﷺ ـ نساءه فقلت: خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون فجمعت على ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي ـ ﷺ ـ فدخل النبي ـ ﷺ ـ مشربة له فاعتزل فيها، ودخلت على حفصة فإذا هي تبكي، فقلت: ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبي ـ ﷺ ـ قالت: لا أدري ها هو ذا معتزل في المشربة فخرجت فجئت إلى المنبر فإذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد فجئت المشربة التي فيها النبي ـ ﷺ ـ فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل

---

(4) البغوي، معالم التنزيل (٦/ ٥٣٨، ٥٣٩) ط المنار ١٣٤٧.

(*) التحريم (٤).

الغلام فكلم النبي - ﷺ - ثم رجع فقال: كلمت النبي - ﷺ - وذكرتك له فصمت: فانصرفت حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد. فجئت فقلت للغلام: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع فقال: قد ذكرتك له فصمت، فرجعت فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم رجع إليّ فقال: قد ذكرتك له فصمت، فلما وليت منصرفا، قال: إذا الغلام يدعوني، فقال: قد أذن لك النبي - ﷺ - فدخلت على رسول الله - ﷺ - فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة أدم حشوها ليف، فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم: يا رسول الله أطلقت نساءك؟ فرفع إلي بصره فقال: لا، فقلت: الله أكبر. ثم قلت وأنا قائم: استأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش تغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم، فتبسم النبي - ﷺ - ثم قلت: يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها: لا يغرنك أن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي - ﷺ - يريد عائشة، فتبسم النبي - ﷺ - تبسمة أخرى، فجلست حين رأيته تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئا يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: يا رسول الله ادع الله فليوسع على أمتك فإن فارسا والروم قد وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله. فجلس النبي - ﷺ - وكان متكئا فقال أو في هذا أنت يا ابن الخطاب، إن أولئك قوم عجلوا طيباتهم في الحياة الدنيا، فقلت: يا رسول الله استغفر لي، فاعتزل النبي - ﷺ - نساءه من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة تسعا وعشرين ليلة، وكان قال: ما أنا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة، فبدأ بها فقالت له عائشة: يا رسول الله إنك كنت قد أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا، وإنما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدها عدا، فقال: الشهر تسع وعشرون فكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة، قالت عائشة: ثم أنزل الله - تعالى - آية التخيير[٥] فبدأ بي أول امرأة من نسائه فاخترته ثم خير نساءه كلهن فقلن مثل ما قالت عائشة[٦].

شهدت له السنة

ومع موافقة القرآن الكريم لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - شهدت السنة النبوية الشريفة والأخبار والآثار له بسداد الرأي والعلم.

أخرج الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن عبدالله البصري أبومسلم الكجي، حدثنا يحيى بن كثير الناجي، حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»[٧].

---

(٥) قوله تعالى في سورة الأحزاب ﴿يأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما﴾ الآيات (٢٨، ٢٩).

(٦) رواه البخاري، في صحيحه، كتاب النكاح، باب: موعظة الرجل ابنته لحال زوجها (٧/ ٣٦، ٣٨).

(٧) إسناده حسن لغيره، فضائل الصحابة برقم (٤٩٨).

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا جعفر، حدثنا قتيبة بن سعد، حدثنا الليث بن سعد عن محمد ابن عجلان عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - ﷺ - «قد يكون في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب»[8].

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا جعفر، حدثنا أبوسعيد عبدالرحمن إبراهيم الدمشقي، حدثنا محمد بن أبي فديك عن عبدالرحمن بن أبي الزناد عن ابن أبي عتيق عن أبيه عن عائشة أن النبي - ﷺ - قال: «ما من نبي إلا وفي أمته من بعده معلم أو معلم، فإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر بن الخطاب، إن الحق على لسان عمر وقلبه»[9].

وأخرج الشيخان، عن أبي هريرة وابن عمر - رضي الله عنهم - قالا: قال رسول الله - ﷺ -: «بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها إلى ما شاء الله ثم أخذها أبوبكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب، فاستقى، فاستحالت في يده غربا، فلم أر عبقريا يفري فريه، حتى روى الناس وضربوا بعطن»[10].

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن عبدالله، حدثنا الحكم بن مروان، حدثنا فرات بن السائب عن ميمون بن مهران عن ابن عمر، أن النبي - ﷺ - أراد أن يبعث رجلا في حاجة، وأبوبكر عن يمينه، وعمر عن يساره، فقال علي: ألا تبعث هذين؟ فقال: كيف أبعثهما وهما من الدين كمنزله السمع والبصر من الرأس[11].

وأخرج أحمد: حدثنا محمد بن يونس القرشي، حدثنا محمد بن جهضم، حدثنا سعيد بن مسلمة، عن إسماعيل بن أمية، عن نافع عن ابن عمر، قال: دخل النبي - ﷺ - المسجد وأبوبكر عن يمينه وعمر عن يساره فقال: «هكذا نبعث يوم القيامة»[12].

صدق عمر

وأخرج أحمد: حدثنا عبدالله، قال: حدثنا أبي، حدثنا عبدالرزاق قال: حدثنا معمر عن قتادة، عن أنس أو عن النضر بن أنس عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن الله عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف، فقال أبوبكر: زدنا يا رسول الله. قال: وهكذا، وجمع كفه قال: زدنا يا رسول الله. قال: وهكذا، فقال عمر حسبك يا أبا بكر، فقال أبوبكر: دعني يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا؟ فقال عمر: إن الله - عز وجل - إن شاء أدخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي - ﷺ -: صدق عمر»[13].

أشدها في دين الله عمر

وأخرج أحمد: حدثنا عبدالله، حدثنا أبي وكيع عن سفيان عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أرحم أمتي أبوبكر وأشدها في دين الله عمر»[14].

(يتبع)

(8) إسناده صحيح، فضائل الصحابة برقم (516)، وأخرجه البخاري (6/512)، ومسلم (4/1864)، والترمذي (5/ 622).

(9) إسناده صحيح، فضائل الصحابة، برقم (518).

(10) صحيح البخاري مع فتح الباري (7/ 41).

(11) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة برقم (575).

(12) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة بقم (602).

(13) رجال الإسناد ثقات، لكنه معلول بتدليس قتادة، فضائل الصحابة برقم (714)، وفي المسند (3/165).

(14) إسناده صحيح، فضائل الصحابة برقم (716).

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم الشيخ: عبد الفتاح حسين الزيات

■ السؤال من السيد / أسامة نصر محمد

تبرعت سيدة بقطعة أرض مساحتها ٢ قيراط لبناء مسجد عليها بموجب عقب تبرع، لكنه لم يتم البناء نظرا لعدم الاحتياج لهذا المسجد لوجود مسجد آخر .. والسؤال الآن: هل يجوز لهذه السيدة استرداد هذه الأرض؟ علما بأن أهل البلدة أشاروا عليها أن تبيع هذه الأرض وتنفق الأموال فى مشروع صرف صحى أو كفالة اليتيم؟

●● الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فنفيد بأنه مادامت هذه السيدة قد تبرعت بقطعة الأرض لبناء مسجد عليها لأهل القرية ولم ينفذ أهل القرية البناء لعدم حاجتهم إلى المسجد مكتفين بما لديهم من مساجد فيجوز لهذه السيدة أن تبيع هذه الأرض، لإنفاق ثمنها فى مشروع الصرف الصحى كما ورد بالسؤال أو كفالة اليتيم مادامت قد عقدت النية على التصدق والتبرع بهذه الأرض قال الله – تعالى –:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾(١).

والصدقة لا تنقص المال كما يتوهم بعض الناس ولكنها تنمية وتزكية لقوله – ﷺ – **(ما نقص مال من صدقة)** صدق رسول الله.

---

(١) سورة سبأ ٣٩.

■ السؤال من السيد / مصطفى رشاد عزمي:

توفي زوج وترك زوجة بدون أولاد ــ مؤخر صداق ــ تجهيزات بعد الزواج ما رأى الدين في طلب أهل الزوج بإخلاء شقة السكن المذكورة بعد الوفاة؟

زعموا أنه بوفاة الزوج لا يوجد مؤخر صداق.

طلبهم بالمنقولات التي جددت خلاف قائمة المنقولات برجاء الإفادة.

●● الجواب:

بعد الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فنفيد بأن للزوجة أولا أن تأخذ مؤخر صداقها من تركة زوجها المتوفى قبل توزيع التركة، لأنها تستحقه بأقرب الأجلين: الطلاق أو الوفاة، ولها أن تأخذ قائمة المنقولات المسجلة أما ما زاد عليها من تجهيزات كما هو مذكور بالسؤال فيضم ثمنه أو قيمته إلى باقي المقدم ويقسم قسمة شرعية حسب الأنصبة. والله ــ تعالى ــ أعلى وأعلم.

■ السؤال من السيد / بهي الدين أحمد

رضع شاب وهو طفل صغير (رضيع) من جدته لأبيه لمدة طويلة، ويريد الزواج من بنت عمه فما الحكم؟

●● الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فنفيد بأنه برضاع الشاب من جدته في سن الرضاع لمدة طويلة صار ابنا لها من الرضاعة وأصبح أخا لكل أولادها من الرضاع، ولا يجوز له الزواج من بنات أعمامه، لا بنات أولاد أعمامه، الذكور وإنه نزلن ولا من بنات بناتهن ولا يجوز له، كذلك الزواج من بنات عماته ولا من بنات أبناء عماته، لأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. والله ــ تعالى ــ أعلم.

■ السؤال من السيد / محمد عباس السيد

١ ــ قلت لزوجتي أنت طالق وراجعتها في نفس اليوم.

٢ ــ قلت لزوجتي: إن أخذت العفش وخرجت تكوني طالقا أقصد التهديد فما الحكم؟

●● الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد:

فنفيد عن السؤال الأول: يقع به طلقة رجعية، وقد راجعها في أثناء العدة فحسبت عليه طلقة.

وعن الثانى: فهو يمين معلق على النية وحيث إن نيته التهديد فقط فيكفر عن اليمين بإطعام عشرة مساكين حسب قدرته ولا يقع به طلاق وتبقى معه على طلقتين، هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال، والله ـ تعالى ـ أعلم.

■ **السؤال من السيد/ متولى فراج الشرقاوى**

توفيت مطلقة والدى بعد انقضاء عدتها بثلاث سنوات دون أن تطالب هى بمتعتها علما بأن الطلاق كان غيابيا وانقضت عدتها وماتت ولم تنجب أولادا فهل يحق لورثتها وهم أشقاؤها المطالبة بمتعتها؟

●● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فنفيد لما نزلت الآية الكريمة:

﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾[2]

قال بعض الأزواج: إن أحسنت فعلت، وإن لم تحسن لم أفعل ظنا منهم أنهم مخيرون. فأنزل الله ـ تبارك وتعالى ـ قوله:

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ ﴾[3]

وعلى ذلك فقد كانت المتعة حقها، ولكنها تنازلت عنها بأى شكل من أشكال التنازل بدليل أنها عاشت بعد طلاقها ثلاث سنوات وبذلك لا يحق للورثة المطالبة بها.

والله تعالى أعلى وأعلم.

■ **السؤال من السيد/ علاء محمود محمد ـ البحيرة**

توفى رجل عن: زوجة ـ بنتين ـ ابن بنت ـ ابن عم شقيق ـ أخ لأم ـ فما نصيب كل؟

●● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فنفيد: بأن تركة المتوفى بها وصية واجبة لابن البنت بمقدار ما كانت تستحقه البنت لو كانت على قيد الحياة وقت وفاة المورث فى حدود الثلث؛ طبقا لقانون الوصية الواجبة المعمول به من أول أغسطس ١٩٤٦ بشرط ألا يكون الجد قد أعطى ابن البنت من ماله حال حياته ما يعادل الوصية بدون عوض؛ فتنقسم التركة تسعة أجزاء: جزءان منها وصية واجبة لابن البنت لا يشاركه أحد، والباقى سبعة أجزاء هو الميراث، للزوجة الثمن فرضا، لوجود الفرع الوارث، وللبنتين الثلثان فرضا لعدم وجود من يعصبهما بالتساوى بينهما، والباقى لابن العم تعصيبا، ولا شىء للأخ لأم لحجبه بالفرع الوارث والله ـ تعالى ـ أعلى وأعلم.

---

(٢) سورة البقرة (٢٣٦).

(٣) سورة البقرة (٢٤١).

من أعلام الصحابة
أبو أيوب الأنصاري

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

١

حدث ولا حرج، عن هذا الصحابي الجليل، وعن سيرته العطرة، وبطولته النادرة، وكفاحه الخالد من أجل الإسلام ودعوته الكبرى

أبو أيوب الأنصاري

وياله من مثل يُروى على مرّ الأجيال في التضحية والإيمان والجهاد في سبيل الله والإسلام.

وماذا نعرف عن أبي أيوب الأنصاري؟

لقد كان أحد شهود بيعة العقبة الكبرى[1] -الثانية- عام ٥٢ لميلاد رسول الله -ﷺ- ٦٢١م، التي شهدها ثلاثة وسبعون رجلا، ومعهم امرأتان هما: نسيبة بنت كعب (أم عمارة) من بني النجار، وأسماء بنت عمرو من بني سلمة، وكانوا قد قدموا من المدينة لشعيرة الحج وقد أسلموا جميعاً حين بلغهم أمر الإسلام، على يديْ مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف داعية الإسلام في المدينة، بعثه رسول الله وأمره أن يقرىء مسلمي المدينة القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين، وأغلب مسلمي المدينة كانوا ممن أسلموا في بيعة العقبة الأولى -عام ٥١ للميلاد النبوي الشريف وبعدها، ومصعب أول من صلى الجمعة بالمسلمين في المدينة، هو وأسعد بن زرارة، من بني النجار، أخوال رسول الله -ﷺ-.

وبعد أن أشرق نور الإسلام، في آفاق المدينة، هاجر رسول الله -ﷺ- إليها، في العام الثالث والخمسين لميلاده الشريف، وأمر الهجرة معروف مشهور.

وفي صباح يوم الجمعة التاسع عشر من شهر ربيع الأول عام واحد للهجرة وصل رسول الله -ﷺ- إلى المدينة، بعد أن أقام في قباء عشرة أيام مباركات.

ويروي بعض الصحابة فيقول: كنا نخرج إذا صلينا الصبح ننتظر رسول الله، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا بيوتنا، وقدم رسول الله حين دخلنا البيوت، وكان أول من رآه رجل من اليهود، فصرخ بأعلى صوته: هذا جدُّكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول

---

(١) راجع الواقدي: «الطبقات الكبرى» ص٤٩ (١٩٣٢).

الله، وهو في ظل نخلة، وأهل المدينة يقولون لرسول الله: ادخل المدينة راشدا مهديا فدخلها، وأهل المدينة ينظرون إليه وينشدون:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
ما دعا لله داع

فقال له أشراف بني سالم بن عوف: يا رسول الله، أقمْ عندنا في العدد، والعدة، والمنعة، .. ورسول الله على ناقته، فقال -ﷺ-: «خلوا سبيلها، فإنها مأمورة»، يريد ناقته التي أمسكوا بزمامها.

فلما كان في دار بني بياضة تلقاه رجال منهم، وقالوا له مثل ما قال الأولون، فردَّ عليهم رسول الله بمثل ما ردَّ على الأولين[2].

وعند دار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة في رجال من بني ساعدة، فقالوا مثل ما قال غيرهم وردَّ عليهم رسول الله بمثل ما ردَّ على من سبقوهم.

فلما وصل دار أخواله بني عدي من بني النجار وكانت أم عبدالمطلب منهم، وهي سلمى بنت عمرو اعترضه رجال منهم، فقالوا: يا رسول الله هلمَّ إلى أخوالك، إلى العدد والعُدة والمنعة، فقال -ﷺ-: خلو سبيلها فإنها مأمورة.

فلما وصل إلى دار مالك بن النجار بركت عند باب مسجده -ﷺ- وهو يومئذ سوق لأهل المدينة، ثم قامت فسارت غير بعيد، ثم التفت إلى خلفها فرجعت حيث بركت أولاً، فبركت فيه حيث باب أبي أيوب الأنصاري.

واحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رحل رسول الله -ﷺ- فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله[3].

وحدث أبو أيوب الأنصاري قال:

«لما نزل عليَّ رسول الله في بيتي، نزل في السُّفل، وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي، فاظهر أنت فتكون في العلو، وننزل نحن فنكون في السُّفل، فقال -ﷺ-: يا أبا أيوب إن أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكن في أسفل البيت، وصارت أم أيوب أختا لعائشة أم المؤمنين في الله وأقام رسول الله في بيت أبي أيوب حتى بنى مسجده، ومساكن أهله فانتقل إليها[4].

٢ شهد أبو أيوب غزوة بدر، وأحد، والخندق، والمشاهد كلها.. وشهد فتح مصر (٢١ / ١ النجوم الزهرة- القاهرة ١٩٣٠)

وعاش عصر أبي بكر، وعمر، وعثمان، وكان مع الإمام علي في حربه ضد الخوارج..

وحين خرج الإمام علي إلى العراق استخلف أبا أيوب على المدينة، ثم لحق به[5].

---

(٢) سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢/٢٩١.

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (بيروت) ٧/٢٧.

(٤) «تاريخ الطبري» (ليدن ١٨٨١م) ص١٢٢٤ ج١٣ القسم الرابع.

(٥) «الإصابة» ١/٤٠٣ - القاهرة ١٩٣٩.

وخرج مجاهدا عام ٢٨ هـ إلى جزيرة قبرص، كما خرج غازياً للروم في عهد معاوية[٦].

ولم يكف عن الجهاد في سبيل الله، طيلة حياته، يعمل من أجل عزة الإسلام، ونصرته، وكفاح أعدائه، ورفع راية الإسلام عالية منصورة.

٣ وفي عام ٥٠ هـ كان أبو أيوب يجاهد في سبيل الله مع جيش معاوية بقيادة يزيد بن معاوية، الذي وصل إلى أسوار القسطنطينية، وضرب الحصار عليها، وكان أبو أيوب يضرب المثل عاليا في الإقدام، والبطولة، والتضحية.

وفي موضع قريب من سور هذه المدينة خر أبو أيوب صريعا، شهيداً في سبيل الله والإسلام، ودفن حيث استشهد، وأمر يزيد بأن يبقى مكان دفنه سراً، لا يعلمه أحد، حتى لا ينبش الروم قبره ويخرجوا جثته، ويمثلوا بها.

وعاد الجيش الإسلامي إلى الشام، لمنعة أسوار القسطنطينية، ولشدة البرد حولها.

وتمر الأيام، وموضع قبر أبي أيوب مجهول لا يعرفه أحد، وتسقط القسطنطينية على يدي السلطان محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م.

وفي ليلة من الليالي بعد الفتح، كان محمد الفاتح جالساً، ومعه ولي صالح اسمه: شيخ آق شمس الدين، واستمر الحديث حتى أذن الفجر، وبعد الصلاة قال السلطان للشيخ، الذي كان يعتقد في ولايته: أيها الشيخ، لقد قرأت في الكتب: أن قبر أبي أيوب مضيف رسول الله ﷺ - في استانبول، وطلب إليه أن يدله على موضعه، فقال الشيخ: يا مولاي، إني آنسُ نورا يهبط على بقعة من الأرض، وأحسب أن هذه البقعة، هي موضع قبر أبي أيوب.. وبعد قليل من الأيام، قال الشيخ للسلطان: لقد التقيت بروح أبي أيوب الشريفة، فزفّت إليَّ التهنئة بفتح استانبول، وأظهرت السرور بإخراجها من الظلمات إلى النور، فقام السلطان، والشيخ إلى موضع حدّده الشيخ، وقال آق شمس الدين: لو حفروا هنا لظهرت لوحة من رخام كُتب عليها إن هذا هو قبر مضيف رسول الله أبي أيوب. وحُفر المكان، وظهرت رخامة، وتحتها جثمان الصحابي العظيم المجاهد في سبيل الله أبي أيوب.

وكبر الشيخ، والسلطان، والعمال، وأمر السلطان، فأقيم ضريح على الجثمان، وبنى في البقعة نفسها مسجد[٧]، وشمس الدين هذا هو الذي بشّر الفاتح بالفتح العظيم، كما بشره بقرب ظهور جثمان أبي أيوب الشهيد.

لقد كان السلطان يقف على ركبتيه، والشيخ ينقب على موضع القبر حتى ظهر لوح الرخام المكتوب عليه: «هنا مرقد أبي أيوب»، فيكبر السلطان والشيخ، وقامت قبة على القبر، ومسجد بعد قليل.

وصار مسجد أبي أيوب الأنصاري، هو المسجد الذي يبايع فيه سلاطين آل عثمان بالملك، ويتقلد السلطان سيفا رمزا إلى أن السلطة أفضت إليه[٨].

---

(٦) «العقد الفريد» - القاهرة ١٩٢٨، ١٢٨/٢.

(٧) «أبو أيوب الأنصاري» للدكتور حسين مجيب المصري ص٧١، ط القاهرة ١٩٩٩ - عن طاشكبري زاده: الشقائق النعمانية على هامش «وفيات الأعيان» لابن خلكان ١/٢٤٦ (القاهرة ١٢٩٩).

(٨) راجع ص٨٩ وما بعدها من كتاب «أبو أيوب الأنصاري» للدكتور حسين مجيب المصري.

ولما تولى السلطان أحمد الثالث الحكم عام ١١١٥ هـ - ١٧٠٣م قيل له: إن قدم الرسول - ﷺ - على حجر فى ضريح قايتباى بمصر، فكتب السلطان إلى واليه على مصر يأمره بإرسال ذلك الحجر إليه، وبعد عدة شهور وصل الحجر إليه، فوضعه السلطان فى ضريح أبى أيوب، وانطلق السلطان إلى الضريح فمسح وجهه بذلك الحجر، تبركا، ووضعه على رأسه تعظيما.

لقد كان أبو أيوب الأنصارى الصحابى مضيف رسول الله مثلاً سائراً فى أفواه المسلمين فى حب الجهاد فى سبيل الله، ومن أجل نصرة الإسلام.

ووفاة أبى أيوب تكاد ترجح كتب الطبقات، وكتب التاريخ، أنها كانت عام ٥٠ هـ وقيل: انه استشهد عام ٥١ هـ، وذكر ابن عبدالحكم فى كتابه «فتوح مصر والمغرب» الروايتين[٩].

ويروى الذهبى: أن وفاته عام ٥٢ هـ ويقول: إنه دفن بأصل حصن القسطنطينية [٢٨٨ - ٢٩٦ جـ٢ سير أعلام النبلاء للإمام الذهبى]

٤

إنى أكتب عن هذا الصحابى الخالد، أبى أيوب الأنصارى، وبين يدى كتاب قيم للأستاذ الجليل الدكتور حسين مجيب المصرى بعنوان: «أبو أيوب الأنصارى عند العرب والترك» ومنه أفدت، وعنه رويت، وإليه رجعت.

الكتاب فى نحو المائة صفحة، يضم مقدمة وستة فصول:

الفصل الأول: عن عصر أبى أيوب وبيئته.

والثانى: عن أبى أيوب مضيفا لرسول الله.

والثالث: عنه محدثًا.

والرابع: عنه مجاهدا فى سبيل الله والإسلام.

والخامس: عن قبر أبى أيوب.

والفصل السادس والأخير: عن مسجده.

فى آخر الكتاب ذكر مراجعه العربية والتركية والفارسية والأوروبية. وذلك كله فى إطار علمى مشرّف للمؤلف وللبحث نفسه.

والكتاب فى صميم الدراسات الإسلامية المقارنة، فهو دراسة عميقة لهذا الصحابى الجليل، الذى تتجلى فى شخصيته وشائج الصلة الثقافية بين العرب والترك. والمؤلف يُعدُّ شيخ هذا المجال الكبير الواسع، مجال الدراسات الإسلامية المقارنة.

وقد نالت مؤلفات الدكتور حسين مجيب المصرى فى هذا المجال شهرة واسعة.

٥

لقد مات مضيف رسول الله - ﷺ - على أبواب القسطنطينية، وصار قبره ومسجده من أجلّ أماكن العبادة عند الترك، كما كان مسجده هو المسجد الرسمى لسلاطين آل عثمان، الذى يتوجون فيه حينما يتولون أمور الدولة.

لقد حفت بالمسجد وبقبر أبى أيوب رحمات السماء، وبركات الأرض.

وعقبى للمجاهدين فى سبيل الله،

﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾[١٠].

---

(٩) أبو أيوب الأنصارى - د. حسين مجيب المصرى ص٦٩.

(١٠) سورة النساء (٦٩).

كلمة وفاء عن عالمين جليلين
لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

النفس الإنسانية السوية، تحزن عند فراق من تحبه، وهذا ما نراه فى سيرة سيدنا رسول الله - ﷺ -. لقد حزن - ﷺ - لموت عمه أبي طالب، وحزن لموت زوجه أم المؤمنين خديجة - رضى الله عنها - وقال عن العام الذى توفيا فيه: بأنه عام الحزن.

وحزن - ﷺ - عند استشهاد عمه حمزة بن عبدالمطلب - رضى الله عنه - فى غزوة أحد.

وحزن - ﷺ - لوفاة ابنه إبراهيم وقال حديثه المشهور: « إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولكن لا نقول إلا ما يرضى الرب، وإنا بعدك يا إبراهيم لمحزونون ».



ولقد فقد العالم الإسلامى بصفة عامة، والأزهر الشريف بصفة خاصة، منذ أيام قليلة، عالمين جليلين، خدما دينهما وأمتهما خدمات جمة إلى أن فارقا هذه الحياة، إلى حياة أخرى، فيها - بإذن خالقهما - ما يسعدهما، ويظفران فيها بما يجعلهما ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه، أما أحدهما فهو العالم المحقق: المستشار عبدالحليم الجندى، صاحب المؤلفات المتعددة التى كان لها أثرها الطيب والنافع للإسلام وللمسلمين، والتى دافع فيها عن دينه وعن أمته وعن السلف الصالح دفاع الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لقد كان من بين مؤلفاته :

١ - أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح.

٢ - مالك بن أنس إمام دار الهجرة.

٣ - محمد بن إدريس الشافعى خادم السنة.

٤ - الإمام جعفر الصادق.

٥ ـ الإمام محمد بن عبدالوهاب.

٦ ـ الإمام محمد عبده.

٧ ـ الأخلاق في الاقتصاد الإسلامي.

الى غير ذلك من البحوث الدقيقة، والمقالات التي زخرت بها الصحف والمجلات طوال أكثر من نصف قرن.

وكان ـ رحمه الله وطيب ثراه ـ في المجامع الدينية والعلمية والقانونية صاحب الرأى الدقيق المبنى على الفهم السليم لشريعة الله ـ تعالي ـ لقد كان عضوا في مجمع البحوث بالأزهر الشريف لسنوات طويلة، ابلى فيها بلاء حسنا خلال مشاركته في قضايا دينية وعلمية، واظهر خلال إبدائه لرأيه مايشهد بفهمه السليم لأمور دينه ولأمور دنياه.

والذى يقرأ شيئا من مؤلفاته المتنوعة، يرى فيها الجهد الضخم، والفهم الدقيق، والعلم الواسع، والرأى الثاقب، والعمق في التحليل والتعليل والترجيح، والموازنة والوصول إلى النتيجة التي يريد الوصول إليها.



وأما العالم الجليل الثاني الذى فقدناه خلال هذا الأسبوع، فهو الزميل الكريم، والاخ الصدوق، فضيلة الشيخ سيد سعود، وكيل الأزهر الأسبق، وعضو مجمع البحوث الإسلامية، والذى قضى حياته منذ مطلع شبابه في خدمة دينه، وفي خدمة الأزهر الذى تربى في رحابه، وفي خدمة امته التي كان غيورا في الدفاع عنها.

لقد عرفت فضيلة أخي الشيخ سيد سعود ـ رحمه الله ـ منذ فترة طويلة، وعرفته عن قرب وزمالة خلال وكالته للأزهر الشريف، فرأيت في فضيلته الوفاء النادر، والأدب العالي، والصدق في الرأى والمشورة، والحرص على إعطاء كل ذى حق حقه دون محاباة او ظلم، والفهم السليم لتاريخ الأزهر الشريف، ولتاريخ ابنائه الذين عاشوا في رحابه الى أن فارقوا هذه الحياة.

رأيت في فضيلته الناصح الحكيم، والصديق الصدوق، والزميل الذى لايعرف إلا الوضوح والتواضع والإخاء النقى من كل ما لايليق.

وإني لاتضرع إلى الله ـ عز وجل ـ أن يتغمد هذين العالمين الجليلين برحمته، وأن يلحقنا بهما مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[١].

(١) البقرة ١٥٦.

طرائف.. ومواقف

إعداد/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

عمر الفاروق

وصف صعصعة بن صوحان عمر الفاروق ـ رضي الله عنه ـ فقال: كان عالما برعيته، عادلا في قضيته، عاريا عن الكبر، مصون الباب متحريا للصواب، رفيقا بالضعيف، غير محاب للقريب، ولا جاف للغريب.

إن الأماني والأحلام تضليل

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لابنه: إياك والاتكال على المنى، فإنها بضائع النوكى، أي الحمقى.

● وقال الشاعر:

أعلل بالمنى قلبي لعلي
أروح بالأماني الهم عني
وأعلم أن وصلك لا يرجى
ولكن لا أقل من التمني

● وقال آخر:

ولا تكن عبد المنى، فالمنى
رءوس أموال المفاليس

● وقال رجل لابن سيرين: إني رأيت في منامي أني أسبح في غير ماء، وأطير بغير جناح: فما تفسير هذا الحلم؟ فقال له: أنت رجل كثير الأماني والأحلام.

كان يقال

كان يقال: امش ميلا وعد مريضا، وامش ميلين وأصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزر أخاً في الله.

الجزء الثاني

أراد عميد إحدى الجامعات أن يهدي إلى صديق له نسخة من كتابه الجديد، فكلف ناشر الكتاب إرسال تلك النسخة فأرسل الناشر

نسختين لا نسخة واحدة، وبعد حين قابل العميد صديقه، وسأله هل جاءك كتابي الجديد؟

فأجاب: نعم وقد انتهيت من قراءة الجزء الأول، وكدت أفرغ من قراءة الجزء الثاني.

بخل

نزل أعرابي برجل فقال له بعض قومه: لقد نزلت بواد غير ممطور، ورجل بقدومك غير مسرور فأقم بندم أو ارتحل بعدم.

إنطاق الدراهم

روى ابن عبدالكريم بن وهب، قال: سمعنا الشافعي يقول:

وأنطقت الدراهم بعد صمت

أناسا طالما كانوا سكوتا

فما عطفوا على أحد بفضل

ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا

تاجر

يروى أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سمع سائلا يسأل بعد المغرب، فقال لواحد من قومه: عشِّ الرجل، فعشاه.

ثم سمعه ثانيا يسأل، فقال لصاحبه: ألم أقل لك عش الرجل؟ فقال قد عشيته.

فنظر عمر فإذا تحت يد السائل مخلاة مملوءة خبزا، فقال: لست سائلا لكنك تاجر، ثم أخذ المخلاة ونثرها بين يدي إبل الصدقة، وضربه بالدرة، وقال: لا تعد.

وسيلة التحصيل

قال المنصور لشريك القاضي: أنى لك هذا العلم؟ قال: لم أرغب عن قليل أستفيده، ولم أبخل بكثير أفيده.

دعاء

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه.

وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسي ثم لم أوف به

وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك.

وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك

من أعلام مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
اللواء محمود شيت خطاب
أمير السيف والقلم

للأستاذ الدكتور / محمد رجب بيومي

نحاول فى سبيل إيضاح منهج اللواء الركن فى التأليف التاريخى، أن نعرض إحدى الشخصيات التى قام بدراستها، لنرى كيف سار فى تصنيفه الجامع، ولن أختار أحد المشاهير من أمثال خالد، وأبى عبيدة، والمثنى بن حارثة، وسعد وعمرو والقعقاع التميمى وقتيبة بن مسلم ممن ألفت عنهم الكتب المستقلة، بل اخترت شخصية لم تؤلف عنها الكتب الخاصة، ولم تكن الحروب الميدانية هى كل جهادها، بل أسهمت فى شئون أخرى وفاها المؤرخ حقها دون تحيف.

هذه الشخصية هى شخصية العالم الفقيه والمجاهد القائد أسد بن الفرات، وهذا البطل الشجاع لم تفرد الصحف لتدوين مواقفه البطولية فى حيز خاص، ولكن كتب التشريع الإسلامى كانت أكثر احتفالاً به من كتب التاريخ الحربى، ومع ذلك فقد أجملت نشاطه الحربى إجمالاً لا يفى بمقامه الكريم، فالكثير منها أفاض فى نشأته العلمية، ورحلاته إلى المدينة وبغداد ومصر، ورجوعه إلى القيروان، ومن أخذوا عنه من التلاميذ، ومن زاملوه من الأساتذة ثم ختمت ذلك كله بمثل قولها، «وقد توفى شهيداً تحت أسوار صقلية حين كان قائداً للجيش الفاتح».

أما كيف كان قائداً للجيش الفاتح وكيف ظفر بالشهادة؟.. فهذا مسكوتٌ عنه!.. فماذا فعل اللواء الرُكْن فى ترجمة حياته؟.

لقد جرى على طريقته فى التراجم كبيرها وصغيرها، فتحدث بإفاضة عن النشأة العلمية، والارتحال البعيد إلى أماكن العلم فى المشرق، ثم بيّنْ جهوده الفكرية حين صار علماً فى الفقه المالكى ومؤلفاً فى مسائله، وتحدث عن

توليته القضاء والفتوى حتى إذا انتهى من ذلك تحدث عن التمهيد لغزوة صقلية حديثاً شافياً مستوعباً! . وهذا كله قد اندرج في حديث السيرة الذاتية، ثم أتى بعنوان تال هو: (الفاتح) وهو لُبُّ الموضوع الذى كان من أجله أسد بن الفرات علماً من أعلام الفاتحين، وقد كان من عادة اللواء في كثير من التراجم أن يخص القائد (الإنسان) بحديث ثالث تحت هذا العنوان، وهو ما فعله في هذه الترجمة منتهياً منه إلى الحديث عن (القائد) وخاتماً بحثه بكلام جيد عن (أسد في التاريخ)، هذا النهج الذى اختاره المؤلف يُعفى القارئ من استطراد كثير، كما يحدد عناصر البحث في ذهنه، فلا تشرد في مهب التحليلات، وليس المؤلف بالذى يكيل المدح الجزافى للبطل، فهو ذو ميزان دقيق يرصد مناحى القوة، كما يشير إلى مكامن الضعف، والضعف من السمات الإنسانية التى ليست موضع العيب، لأن الكمال لم يوهب لأحد، ولأسد في جهاده الحربى مآخذُ عرفها الباحث وأشار إليها، ومن ذا الذى تُرضى جميع سجاياه!.

تحدث المؤلف عن نشأة أسد صغيراً حين حمله والده الجندى الباسل إلى القيروان، إذا كان أحد المشتركين في جيش محمد ابن الأشعث الخزاعى، فأقام بها خمس سنوات، ثم ارتحل إلى تونس فحفظ القرآن، وسمع الموطأ من عالمها على بن زياد، ورغّبه ذلك في مجلس الإمام مالك بالمدينة فارتحل إليه، وواظب على درسه مستمعاً وسائلاً، وكان مالك لا يُسْأل من طلبة العلم بالمدينة حتى قال فيه القائل:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة
والسائلون نواكس الأذقان

ولكن أسداً تجرأ على أسئلته، فكان الإمام يرعى غُربته ويسمح له بما يضن به على سواه ويقتصر في الإجابة على الأسئلة الواقعية، دون الأسئلة المفترضة، ثم ترك المدينة إلى العراق فحظى بمودة الإمام محمد بن الحسن، ورأى من بره ما رأى من مالك، وذكر اللواء الركن أمثلة مشهودة تنطق بهذا البر، وتدل على نبل الإمام ابن الحسن بما لا مزيد بعده، وترك العراق إلى مصر فصحب ابن القاسم وأشهب من أصحاب مالك وألّف الأسديّة من أجوبة ابن القاسم ثم رجع إلى القيروان عالماً فخماً يقرأ عليه العلماء، وتولى القضاء فكان يحكّم بالكتاب والسُّنة، وعظمت منزلته بين الناس، حتى حان غزو صقلية فكان قائد الجيش.

هذا ملخص دقيق لصفحات مليئة بالأخبار والمواقف، وحواشى هذه الصفحات (هوامشها) تدلُّ على علم غزير، فهى ذات تعريفات بالرجال والبلدان والكتب، وتدل على قراءة مستوعبة جبارة، لا يقدرها حق قدرها إلا من عرف الأصول وكيف تستقى منها الجداول الصافية، ولا تقتصر هذه المصادر على الكتب القديمة، بل تضم إليها ما كتبه المحدثون مع مراجعات فاحصة، في توهين الروايات أو تقويتها بالدليل، وهى مما تذكرني بحواشى الأمير شكيب أرسلان على كتاب «حاضر العالم الإسلامى» إذ بلغت هذه الحواشى أضعاف الأصل، ولكن الأمير كان يستطرد في بعض الأحيان دون موجب قوى، بل لأدنى مناسبة كما يقول الأزهريون، أما اللواء الركن فكل

حواشيه في صميم الصميم، وهو معتز بعلمه الدقيق، لأنه يراجع الأثبات من مؤرخي الأندلس مراجعة النظير للنظير، ولا يجبُن عن تصحيح ما يراه من الخطأ، ومن ذلك أن المؤرخ الكبير محمد عبد الله عنان، وهو من هو، أصالة بحثٍ، وعمق استقصاء، وشمول اطلاع على كتب الشرق والغرب، وقد قال الأستاذ عنان في ترجمته لأسد بن الفرات في كتابه (تراجم إسلامية) إنه نُدبَ لقيادة البحر قبل توجّهه إلى الفتح، وأنه قام بغزوات بحرية سابقة، مستنداً في ذلك إلى المؤرخ الشهير ابن خلدون، ولكن هذا القول لم يصادف موضع الإصابة عند اللواء الركن، فذكر معقباً عليه: «إن أسد بن الفرات لم يندب لقيادة الجيش قبل هذه الغزوة، إذ لا يوجد نصٌّ يؤيد ما ذهب إليه الأستاذ عنان، كما إن (قوهرة) لا يمكن فتحها مع بقاء صقلية في أيدي العدو، لأن حاميتها من المسلمين يبقون مهددين دوماً بالغزو من القواعد القريبة، وعلى رأسها صقلية، وهو تعليقٌ لا يفطن إليه غير قائد حربي تتجلى لعينيه خريطة الميدان وهو يؤرخ للأحداث، واستطرد في تأكيد ذلك بما نكتفي بالإشارة إليه دون استقراء.

أما ما أخذه اللواء الركن على أسد بن الفرات في قيادته الحرب فهو ما غفل عنه مؤرخوه من قبله، وذلك حين أكد أن أسداً قد قسم جنوده قبل معركته الحاسمة حول أسوار (سرقوسة) وكان عليه أن يحشد كل القوى في هذه المنطقة الحيوية، لإحراز النصر على قوات الروم وقد زحفت من بيزنطة لنجدة المدينة، ولكنه وزع هذه القوات في جبهة تمتد إلى مائتي متر، فصارت بذلك قوات دفاعية فقط، مع الأصل أن تكون قوات هجومية، والدفاع لا يؤدي إلى الفتح، بل غاية أمره أن يحتفظ بما تحت اليد، دون تقدم ما.

وانتهى الباحث بعد هذه المؤاخذات إلى قرار نهائي قال فيه: «كان أسد مؤمناً حقاً، يتحلّى بمعنويات عالية، وشجاعة فائقة، ولكنه يحتاج جانب هذه المزايا إلى الخبرة العملية في أمور القتال، ومزية التدريب على فنون الحرب، وهذه الخبرة لا تتأتى بالدراسة النظرية فحسب، بل بالممارسة العملية، وقد تعمل الدراسة النظرية على تهذيب الخبرة العملية وتقوية أصولها، والإسراع في نضج ثمارها، إلا أن الدراسة النظرية وحدها، لا تكفي مطلقاً في هذا المجال».

وتعقيبي على هذا الكلام هو أن أسداً - أيضاً - لم تكن له دراسة نظرية في شئون الحرب حتى يقال إنه اكتفى بها عن الخبرة العملية، ولكنه في صميمه مؤمن يرحّب بالجهاد، طامعاً في إحدى الحسنيين، إما النصر أو الشهادة، ومثله الأعلى في ذلك صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين اندفعوا إلى قتال المشركين ثم الفرس والروم، فلم تكُنْ للأكثرية منهم خبرة ما، ولكن الاستشهاد في نصرة الإسلام كان مسيطراً على نفوسهم، ومهارة خالد وأبي عبيدة، والمثنى وغيرهم من القادة كانت مهارة فطرية أمدتها التجربة المتوالية في ميادين القتال.

وكنت أود أن أستشهد بمثال آخر لأحد قادة الفتح الإسلامي ممن سجلهم اللواء الركن في موسوعته الحافلة، ولكن المجال يضيق عن بعض ما أريد، فضلاً عن كله.

لقد أصدر المؤرخ الشهير رفيق العظم كتابه : « أشهر مشاهير رجال الإسلام في الحرب والسياسة » ، فقصره على أشهر المشاهير ، ولم يلم بحديث المشهورين ، إذ كانوا فوق الإحصاء ، ولكن اللواء الركن قد خصّ غير المشهورين باحتفائه ، وهو بذلك يدرك مكانة الجندي المتواضع في تحقيق النصر ، ويرى أنه بذل قصارى ما أمكنه فَفَضْلُه عند الله لا يقل عن فضل القائد . ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وقد شهدنا في الحروب الأخيرة مع إسرائيل جنوداً بذلوا أرواحهم ، وجنوداً رُزقوا الحياة بعد المعركة ، ولم يتحدثوا عن أنفسهم في شيء ، وعلى العكس من ذلك شهدنا بعض من كانوا في الصفوف الأخيرة ، يكتبون المذكرات ، ويتهافتون على الصحف لتنشر ما يزعمونه من بطولاتهم الموهومة! وعزاؤنا أن عين الله ترقب كل جهد ، ولن يضيع عند الله أجرُ من أحسن العمل ، ساكتاً أو ناطقاً ، بل ربما كان الساكت أكثر أجراً لأنه ادخر ثوابه عند الله! .

وكما اهتم اللواء الركن بطبقات القادة حين لم يجد من يتفرغ لتسجيلها من المؤرخين ، كذلك وجه اهتمامه الأكبر للمصطلحات العسكرية ، وتوحيدها في البلاد العربية ، ويتطلب ذلك من الجهد أكثر مما تتطلب كتابة التاريخ ، ولكنه قوى عزيمته في هذا الصدد ، إذ يحتاج الأمر إلى مراجعات دقيقة في القواميس عربية وأوروبية ، وقد أشار اللواء إلى بواعث هذه الجهد الموسوعي في نفسه فقال : « إن الفكرة التي كانت تسود الجيش العراقي منذ سنوات بعيدة هي أن اللغة العربية عاجزة عن تحمل أعباء المصطلحات الحديثة ، وإذن فلابد من اتخاذ المصطلحات الأوروبية » هذه الفكرة دفعته إلى قراءة القواميس العربية فوجد ما يناقضها وبخاصة حين رجع إلى كتاب « المخصص » لابن سيده وقد خصّه ببحث خاص سأرجع إليه ، وكذلك انتشرت هذه الفكرة في غير العراق منذ بدأ التسليح المعاصر ، وعادت البعثات التي وفدت إلى الغرب ليكون أعضاؤها أساتذة بالكليات العسكرية في مصر والشام وبلاد المغرب ، ثم عمل الاستعمار الغربي على تأكيد ذلك . . وكلما تكون جيش عربي كانت مصطلحات أوروبا سبيله الوحيد في إعداد خطته ، ثم كان أن استقلت كل دولة عربية بمصطلحات خاصة ، تناقض مصطلحات شقيقاتها ، وصارت المعاجم الخاصة بكل دولة لا تلتقي في مصطلحاتها مع معاجم الدولة الأخرى ، وكل ذلك يوهن الترابط بين جنود الأمة العربية ، فأصبح من الضروري إيجاد معجم عسكري موحد ، وهذا ما كرّس له اللواء جهده سنوات عدة بلغت العشرين ، وإذا كان الرجل عضواً بارزاً في مجمعي اللغة العربية بالعراق والقاهرة ، فقد أعد مذكرة (تحولت إلى بحث لغوي مقارن) توضح أهمية إيجاد هذا المعجم الموحد ، وقد قال في مقدمة هذه المذكرة : « إن اختلاف المصطلحات العسكرية بين الدول العربية كان أمرا طبيعيا ، لأن الجيوش العربية الحديثة ولدت بعد نيل الدول العربية استقلالها ، فكانت نواة هذه الجيوش هم الضباط الذين دربوا تدريباً أجنبياً بلغات مختلفة : تركية وفرنسية وانجليزية وروسية وإيطالية ، وحرص كل مبعوث إلى هذه الدول من الضباط أن ينقل ما تعلمه هناك من المصطلحات ، وألفت

عدة معاجم عسكرية بحسب اتجاهات الدولة التي ألفتْ معجمها العسكري، فالمعجم العسكري العراقي (انجليزي - عربي) والمعجم العسكري السوري (فرنسي - عربي) والمعجم المصري القديم (انجليزي - عربي) والحديث (روسي - عربي) وهكذا اختلفت المصطلحات العسكرية بين الدول العربية اختلافاً يبعث على الإصلاح السريع، كما أن من مساوىء هذه المجامع جميعاً، أنها لم تُراعِ التطور السريع للأسلحة الجديدة، فوقفت عند الحرب العالمية، ولم تُجاوزها إلى ما جدَّ من أدوات حاسمة ذات فعل مؤثر في ميدان القتال، وإذن فلدينا معجمات عسكرية مطبوعة، ولكنها مختلفة الاصطلاحات، ولابد من دراسة هذه المعجمات جميعها، لتقوم بعمل مجمع موحد، وهذا ما سعى إليه اللواء الركن وترتّبَ على ذلك، أن أصدر مؤتمر مجمعي اللغة العربية بمصر والعراق المنعقد في نوفمبر سنة ١٩٦٥، قراراً بتشكيل لجنة من المختصين تحت إشراف الجامعة العربية، والقيادة العربية الموحدة، لتوحيد المصطلحات العسكرية بمعاونة بعض اللغويين، وكتب الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة رسالة إلى الأمين العام لجامعة الدول العربية يبلغه بقرار المؤتمر، وكان من أثر ذلك أن عُقدتْ اجتماعات شتى أدت إلى اختلافات كثيرة، حيث حرص كل ممثل لدولة ما أن تكون الاصطلاحات الذائعة في بلده هي التي يجب أن تختار، وتأجلت اجتماعات كثيرة، وقامت وساطات لإزالة الخلاف، يقول اللواء الركن[1]:

«وهكذا أخفقت كل تلك المحاولات التي بُذلتْ لتوحيد المصطلحات العسكرية والتي بدأت من سنة ١٩٤٨م. في ظل الجامعة العربية ثم تواصلت في سنة ١٩٦٥ في ظل القيادة العربية الموحدة، كما أخفقت معظم المعاجم العسكرية بالعربية التي أصدرتها الجيوش العربية في أداء رسالتها في إقرار المصطلحات العسكرية التي لا تشوبها شائبة العجمة داخل جيوشها».

ورأى اللواء الركن أن من أسباب هذا الإخفاق - فوق التعصب الذي أشرت إليه - اقتصار وضع هذه المصطلحات على العسكريين وحدهم، مع عدم الاستعانة بكبار اللغويين من علماء المجامع، وعدم تمثيل ذوي المقدرة الكافية لهذا العمل، إذ أن ممن اختيروا لذلك، أصحاب مناصب عالية في الجيش دون دراية علمية ترشحهم لوضع المصطلحات، لذلك سعى اللواء الركن إلى عمل جديد حين اقترح على السيد أمين الجامعة العربية أن يؤلف لجنة جديدة لوضع المصطلح الموحد تضُم أعضاءً من:

(١) مجمع اللغة العربية، ومن(٢) كل جيش عربي، ومن(٣) القيادة العربية الموحدة، وقد ألفت لجنة لذلك، وكان أهم ما راعته بتأكيد اللواء الركن، هو الالتزام باللغة العربية الفصحى، ونبذ المصطلحات العسكرية الدخيلة، مع اختيار الألفاظ السهلة والبعد عن الألفاظ الغريبة ذات النفور على السمع، وتفضيل المصطلح الشائع بين الكافة دون المصطلح المهجور، وقد تم توفيق اللجنة في

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية (البحوث والمحاضرات) الدورة ٣٥ سنة ١٩٦٨م.

عملها قدر المستطاع حيث أنجزت المعجم العسكري الموحد، وقد ضم بين دفتيه (٨٠٠٠٠) مصطلح عسكري.

وفي أثناء الخلاف بين العسكريين في شأن المصطلحات الجديدة، مال اللواء الركن إلى أن الأمر لم يتم على وجهه الصحيح ما دام كل فرد يريد انتشار المصطلح الخاص بدولته وحدها، فصمم على أن يقوم منفرداً بعمل المعجم العسكري مهما تكبد من جهد، وبدأ بقراءة «لسان العرب» بأجزائه العشرين، ومعه القلم، ليكتب في جزازات صغيرة ما تحويه كل مادة من المعنى العسكري، وهنا ـ وبعد خمس سنوات ـ تجمعت لديه عشرات الصناديق الملأى بهذه الجزازات، ثم بدأ الخلاف ينقشع فكان الاعتماد الأكبر للجنة على كثير من هذه الجزازات، يقدمها اللواء الركن سعيدا مغتبطا، ولم يقف اطلاعه على اللسان العربي وحده، بل أضاف إليه كتباً أخرى مثل موسوعة «المخصص لابن سيدة» ومجمع الأمثال للميداني، وقد كتب بحثين عن هذين الكتابين كتابة تدل على تفانيه في استقصاء الألفاظ العسكرية، وكان من ثمرة ذلك بحثه الذي نشره بمجلة مجمع اللغة العربية تحت عنوان: «المصطلحات العسكرية في كتاب المخصص، واستعمالها في الجيش العراقي الحديث» وقد بدأه بحديث عن المؤلف أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيدة، ثم قال: إن مئات المصطلحات العسكرية بالمخصص لم تستعمل في الجيوش العربية عراقية وغير عراقية، ومن أهداف هذا البحث أن يدفع إلى الاستعانة بمصادر اللغة جميعها، لاستخراج المصطلحات العربية في كل فن الفنون، لا في الألفاظ العسكرية وحدها، واقترح أن يختار اللفظ السهل الرشيق إذا وجد جواره مما يؤدي معناه لفظ غريب لا يسهل وقعه على الأذن ثم قسم البحث إلى عدة عناصر لا يفي باستيفائها بحث في مجلة، لذلك اختار على سبيل التمثيل مادة السيف فذكر المدلول اللغوي لها، وثنى بذكر أسمائها، وثلث بأسماء ما تتضمن من مثل المقبض، والشعيرة، والنصل، والعجوز، والطلب، وشرح مدلول كل لفظ بما ورد عنه في المخصص، وانتقل إلى ذكر النعوت الخاصة بالسيوف من قبل قطعها ومضائها، مثل الصمصامة، والجراز، والصارم، والهدام، والباتر، والقرضاب، ثم إلى ذكر النعوت الخاصة بالسيوف من ناحية نبوها مثل النابي والكليل والكهام، والكل والبارد، ثم ذكر النعوت من ناحية لمعانها مثل: الرقراق، والإبريق، والهرهاز والخافق والبارق، وإلى ذكر نعوت أخرى من ناحية التثليم، والصقل، والحجم، والصناعة، والممتهن منها والشريف، وغير ذلك، وشمل ما كتبه عن السيف وحده ست صفحات من القطع الكبير، ولا أرى أكثر من ذلك اهتماما بالأدوات الحربية، كما جاءت في معاجم التراث مع أن السيف قد مضى موسمه الحربي ولن يعود[٢].

وإذا كانت قراءة هذا البحث في موضوعه اللغوي الدقيق تحتاج إلى صبر ومعاناة، فإن ما كتبه عن (الأمثال[٣] العسكرية في مجمع

---

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية (يناير سنة ١٩٦٩ م. ١٣٨٨ هـ.

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية (قسم البحوث والمحاضرات) - الدورة ٣٤ سنة ١٩٦٨ م.

الأمثال للميداني، لا يحتاج إلى هذا الصبر، إذ الأمثال وليدةُ قصص واضح ينطق بالعبرة البالغة ودُون معاناة في تصيدٍ مرمى بعيد، قد جعل اللواء الركن منْ هدفه في تسطير هذا البحث، إبراز ما في الأمثال العربية القديمة، من اهتمام بالناحية العسكرية، لأنها بعض نواحي المجتمع العربي، إنْ لم تكن هي الناحية الفاصلة في حياة هذا المجتمع، كما جعل من اهتمامه أن يختار من الأمثال، ما يدلّ على صفات القادة، وما يدل على الإعداد والحذر والترقُّبُ، والكتمان والصمود، وما ينفر من الجبن والنكوص مما لا يشرف الجندى الحق، ومن هذه الأمثال إن «الجبان حتفه من فوقه.. وأن «الحديد بالحديد يفلح».. و«إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً».. «أول الغزو أخرق» «أول الحزم المشورة» «إن حان القضاء ضاق الفضاء» «بعض القتل إحياء للجميع»، «الحرب خُدعة»، «الحذر قبل إرسال السهم»، «الحرب سجال»، «سبق السيف العذل»، «عند الصباح يحمد القوم السرى».. إلى كثير مما لا يحصى، والطريف أن الباحث يستنتج من المثل ما لم يقل به أحد من قبله، فهو مثلاً عند ذكره «عند جُهَيْنَةَ الخبر اليقين» يقول: يمكن أن يضرب مثلا للقائد الواثق بنفسه علما وتجربة، وعند ذكره «كأن على رءوسهم الطير» يقول: يمكن أن يضرب في وصف الجيش الذي يتحلى بالضبط، وعند ذكره «لو ذات سوار لطمتني» يقول: يمكن أن يُضْرَب مثلاً لمن يُهْزمُ أمام من لا يستحق النصر، وعند ذكره «ليس بعد الإسار إلا القتل» يقول: يمكن أن يُضْرَب مثلاً في الحث على القتال إلى آخر طلقة، فهو أجدى من الاستسلام، وعند ذكر: «من استرعى الذئب ظلم» يقول: يمكن أن يُضْرَب مثلاً لمن يولي قائداً ضعيفاً لا يتحلى بالمعلومات العسكرية، ولا بالتجربة الحربية، فيكون وجوده من مصلحة العدو، وعند ذكر «يومٌ لنا ويومٌ علينا».. يقول: يمكن أن يُضْرَب مثلاً لمكافحة اليأس والقنوط، وبعث الأمل في إحراز النصر.

ثم ختم البحث بقوله: ولعل للأمثال فائدة لا تقدر بثمن في أوقات الشدة حين تبلغ المعركة ذروتها، إذا رددها القادة أو الجنود لرفع المعنويات، حين يشتد الخطب فيهتف القائل «المنية ولا الدنية» فإنه يرتفع بالمعنويات من حال إلى حال.

هذا بعض ما يصور كفاح اللواء الركن علمياً وعملياً، علمياً بالتأليف الصائب وعملياً بالجهاد في حومة النضال بطلاً وأستاذاً للطلاب، وحسبه أن بقي يحمل رتبة اللواء الركن في الجيش العراقي أكثر من عشرين عاماً، وأنه شغل المناصب الوزارية سبع مرات، هذا إلى جانب عضويته بالمجامع العلمية، عضوية ذات تأثير، لأن صوته بها كان من أعلى الأصوات، وأدلَّها على الإخلاص، وصرخته التي أشرنا إليها في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عقب النكسة الأليمة التي كانت ذات صدق وإيمان، وإذا كان قد انتقل إلى جوار ربه سنة ١٩٩٦م. فقد أخذ مكانه الصادق بين كبار المجاهدين، وكرام المؤلفين، وستظل آثاره العلمية ذات بريق ساطع، لأنها سدت فراغاً وأرهفت عاطفة وضربت أروع الأمثال.

إسهامات العلماء المسلمين في التقدم العلمي والتكنولوجيا عبر العصور

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

(ب) العلوم البيئية:

إذا كانت العلوم البيئية تعنى حاليا بدراسة الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات الحية وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها، والإنسان بطبيعة الحال واحد من مكونات البيئة دائم التأثير فيها والتأثر بها فى إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة، بما فيها من يمثل بنى جنسه، فإن علماء المسلمين قد سبقوا إلى التأليف فى العلوم البيئية، بعد أن سبق الاسلام الى وضع تشريعات محكمة لرعاية البيئة وحمايتها من آفات التلوث والفساد، ورسم المنهج الإسلامى حدود هذه التشريعات على أساس الالتزام بمبدأين أساسيين يحددان مسئولية الإنسان حيال البيئة التى يعيش فيها، هما: درء المفاسد وجلب المصالح.

ومن أمثلة المؤلفات الإسلامية فى العلوم البيئية نذكر للكندى: «رسالة فى الأبخرة المصلحة للجو من الأوباء» ورسالة فى الأدوية المشفية من الروائح المؤذية. ووضع ابن المبرد كتابا أسماه «فنون المنون فى الوباء والطاعون» وتكلم ابن سينا بالتفصيل فى كتابه «القانون» عن تلوث المياه بشكل عام وكيفية معالجة هذا التلوث لتصبح المياه صالحة للاستعمال، كما أنه وضع شروطا تتعلق بطبيعة الماء والهواء المؤثرين فى المكان عند اختيار موقع للسكن، أما الرازى فقد نشد سلامة البيئة عندما استشاره عضد الدولة فى اختيار موقع لمستشفى ببغداد، فاختار الناحية التى لم يفسد فيها اللحم بسرعة، وكانت المستشفيات بعامة تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال، فعندما أراد السلطان صلاح الدين أن ينشىء مستشفى فى القاهرة اختار له أحد قصوره البعيدة عن الضوضاء.

وقد ألف الرازى «رسالة فى تأثير فصل الربيع وتغيير الهواء تبعا لذلك»، بينما تحدث

ابومروان الاندلسي في كتابه «التيسير في المداواة والتدبير» عن فساد الهواء الذى يهب من المستشفيات والبرك ذات الماء الراكد، وجاء في كتاب «بستان الأطباء وروضة الألباء» لابن المطران الدمشقي ما يؤكد ضرورة مراعاة تأثير البيئة عند تشخيص المرض، فقال: «ينبغي للطبيب إذا قدم على مداواة قوم في بلد أن ينظر في وضع المدينة، ومزاج الهواء المحيط بها، والمياه الجارية فيها، والتدبير الخاص الذى يستعمله قوم دون قوم، فإن هذه هي الأصول، ثم بعدها النظر في سائر الشرائط».

وكتب ابن القيم الجوزية في كتاب «الطب النبوى» فصلا عن الأوبئة التي تنتشر بسبب التلوث الهوائي والاحتراز منها.

ولم يقف الأمر عند هذه الأمثلة لعلماء تناولوا المشكلات البيئية في أجزاء أو فصول من مؤلفاتهم حيث نجد بين علماء المسلمين من رأى ضرورة معالجة الموضوع في كتاب مستقل ليؤكد أهميته في حياة الناس على مر العصور.. فقد صنف محمد بن أحمد التميمي في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) كتابا كاملا عن التلوث البيئي وأسبابه وآثاره وطرق مكافحته والوقاية منه، وفصل الحديث فيه عن ثلاثية الهواء والماء والتربة، وتبادل التلوث بين عناصر هذه الثلاثية، وجعل عنوانه «مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الأوباء». كذلك صنف على بن رضوان المصرى كتابا رائدا في مجال الطب البيئي بعنوان «دفع مضار الأبدان بأرض مصر».

(ج) العلوم التكنولوجية:

مصطلح «التقنية» لفظة محدثة في اللغة العربية، جاءت بصيغة المصدر الصناعي لإفادة المعنى الذى يستفاد من المقابل الأجنبي «تكنولوجيا»، وهما يلتقيان في الدلالة على «العلم التطبيقي» ووسائله الفنية المستخدمة لتفسير كل ماهو ضرورى لمعيشة الناس ورفاهيتهم وتطوير ظروف حياتهم.

وربما يعتقد البعض خطأ أن «التقنية» هي المخترعات الحديثة الراقية التي غيرت معالم البشرية في العصر الحديث، وخاصة في القرن العشرين. لكن واقع الأمر يقتضي بأن شيوع اللفظ ذاته هو الحديث، أما الظاهرة نفسها، ظاهرة استحداث المخترعات المناسبة وتطويرها، فهي قديمة منذ أن بدأ الإنسان يستعين بأدوات تساعده في عمله اليومي، وهي أدوات تستحق اسم «التقنية». فتهذيب قطعة من الحجر أو المعدن، وربطها بقطعة خشبية من جذع شجرة، واستخدامها فأسا لقطع الأشجار أو لتقليب الأرض، هو نوع من التقنية، واختراع العجلة لتيسير عملية نقل البضائع أو انتقال الأشخاص كان في حينه ثورة تقنية لا تقل أهمية عن اختراع الطائرات في القرن العشرين، كل مافي الأمر هو أن التقنية ظهرت في حياة الانسان ليستعين بها في تكملة ما ينقصه من القوى والقدرات ،أو لتعزيز ما لديه من إمكانات، ولما كان هذا التعزيز يتغير في طبيعته ومداه تبعا لظروف كل عصر، فإن «مستوى التقنية» هو الذى يتغير تبعا لحالة المجتمع في مرحلة معينة من

مراحل تطوره، وتبعا لتطور «مستوى المعرفة العلمية» التي قامت التقنية على أساسها.

ويمكن ملاحظة هذه المراحل التي تتعاقب فيها الأجيال المختلفة من الاكتشافات والاختراعات، والتي يطلق عليها اسم «موجات التقنية» في العديد من التقنيات السائدة حاليا، مثل: الراديو والتليفزيون والسيارة والطائرة والصاروخ والمجهر (الميكروسكوب) والمقراب (التليسكوب) والحاسب الآلي (الكومبيوتر) وغير ذلك، فمن المتعارف عليه - حاليا - أن كل انجاز تقني يمر في دورة حياته - منذ ولادته واختبار صلاحيته على أيدي الباحثين والمخترعين - بعمليات تطوير متلاحقة يصبح بعدها صالحا للاستخدام على نطاق واسع، حيث يأخذ في الانتشار تدريجيا إلى أن يشكل ظاهرة عامة يتفاعل معها أفراد المجتمع بصورة مباشرة، ثم يأخذ هذا الإنجاز التقني بعد ذلك في التراجع والانحسار حتى يتقادم ويندثر، بعد أن تكون هناك تقنية جديدة أرقى وأفضل قد حلت محله.

وإذا كانت أجيال التقنيات الحديثة والمعاصرة قد أحدثت أثرا قويا في بنية المجتمع البشري بأسره، فإن أجيال التقنيات القديمة قد أحدثت هي الأخرى في حينها ثورة هائلة وتغييرا جوهريا في مظاهر الحياة البشرية المختلفة.

من ناحية أخرى اذا كانت الثقافة الغربية تروج لمقولة أن التقنية لا يمكن إلا أن تكون إبداعاً غربيا، فإن «فقه مصطلح التقنية» يقتضي التأصيل لها بإظهار إسهامات علماء الحضارة الإسلامية في تطوير واستحداث تقنيات عديدة، شملت الآلات والتجهيزات الميكانيكية التي تعتمد على حركة الهواء أو حركة السوائل واتزانها، والصمامات الآلية ذات التشغيل المتباطيء، والأنظمة التي تعمل عن بعد بطريقة التحكم الآلي، والأجهزة والأدوات العلمية، والجسور والقناطر المائية، والهندسات والزخارف المعمارية، وغيرها.

ويكفي أن نشير هنا إلى بعض التقنيات الهندسية الميكانيكية التي تمثل الجانب التقني المتقدم في علوم الحضارة الاسلامية، وكانت تعرف باسم: «الحيل النافعة» حيث كان المهندسون والتقنيون يقومون بتطبيق معارفهم النظرية للإفادة منها تقنيا في كل ما يخدم الدين ويحقق مظاهر المدنية والإعمار، وقد جعلوا الغاية من هذا العلم (الحصول على الفعل الكبير من الجهد اليسير). ويقصد به استعمال الحيلة مكان القوى، والعقل مكان العضلات، والآلة بدل البدن. ذلك أن الشعوب السابقة كانت تعتمد على العبيد وتلجأ الى نظام السخرة في إنجاز الاعمال التي تحتاج إلى مجهود جسماني كبير فلما جاء الإسلام ونهى عن السخرة وإرهاق الخدم والعبيد وتحميلهم فوق ما يطيقه الإنسان العادي، إلى جانب تحريمه المشقة على الحيوان، اتجه المسلمون إلى تطوير الآلات لتقوم بالأعمال الشاقة، وبعد ان كانت غاية السابقين من «علم الحيل» لا تتعدى استعماله في التأثير الديني والروحي

على أتباع مذاهبهم: مثل استعمال التماثيل المتحركة أو الناطقة بواسطة الكهان، واستعمال الأرغن الموسيقى وغيره من الآلات المصوتة فى المعابد جاء الإسلام وجعل الصلة بين العبد وربه بغير حاجة الى وسائل وسيطة أو خداع حسى أو بصرى، وأصبح لعلم «الحيل النافعة» هدف جديد هو التيسير على الإنسان باستعمال آلات محركة.

ولقد ظهر هذا التوجه عند المسلمين الأوائل على أيدى نفر من العلماء والإعلام، لعل أشهرهم أبناء موسى بن شاكر الذين عاشوا فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) فكتابهم القيم المعروف باسم «حيل بنى موسى» يحتوى على مائة تركيب ميكانيكى مع شروح تفصيلية ورسوم توضيحية لطرائف التركيب والتشغيل، وهو ما يدخل اليوم فى نطاق علم «الهندسة الميكانيكية». وقد قام «دونالد هيل» بترجمة هذا الكتاب كاملا الى الإنجليزية فى عام ١٩٧٩م. ومن أمثلة تركيبات بنى موسى آلة رصد فلكى ضخمة، تعمل فى مرصدهم وتدار بقوة دفع مائية، وهى تبين النجوم فى السماء وتعكسها على مرآة كبيرة، وإذا ظهر نجم أو اختفى سجل فى الحال، واستحدثوا كذلك آلات لخدمة الزراعة والفلاحة، وآلات تثبت فى الحقول لكيلا تضيع كميات الماء هدراً ويمكن بواسطتها السيطرة على عملية رى المزروعات.

ومن المؤلفات التراثية الرائدة فى هذا المجال كتاب «الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل» لبديع الزمان أبى العز بن اسماعيل الرزاز الجزرى الذى عاش فى القرنين السادس والسابع الهجريين (الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين) وكذلك «الطرق السنية فى الآلات الروحانية» لتقى الدين بن معروف الراصد الدمشقى الذى عاش فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) وكتاب «الأسرار فى نتائج الأفكار» لأحمد (أو محمد) بن خلف المرادى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى). ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب الأخير للمرادى لم يكتشف إلا منذ نحو عشرين عاما فقط فى مكتبة «لورنسيين» بفلورنسا، ويحوى أجزاء هامة عن الطواحين والمكابس المائية، ويشرح (٣١) نوعا من الآلات الميكانيكية وساعة شمسية متطورة جدا. ومن أمثلة التقنيات المتقدمة التى صورها كتاب المرادى «منصة آلية» فى جامع قرطبة الكبير تنفتح من تلقاء نفسها وتتيح تناول نسخة من القرآن الكريم وقراءتها دون أن تمسها الأيدى، وهذه المنصة موضوعة على رف متحرك بواسطة سيور وآليات خافية عن الأنظار، وفى موضع آخر يقدم المرادى شرحا وافيا لتقنية أخرى متقدمة فى قصر جبل طارق، يتم فيها تحريك جدران مقصورة الخليفة آليا عن طريق تجهيز قاعة محركات إلى جانبها.

وان شئنا مثالاً آخر من تقنيات هندسية جيولوجية، فإن استخراج المياه الجوفية يعد من التقنيات التى تتجاذبها تخصصات

علمية عدة لتوفير معلومات كافية عن تكوين القشرة الأرضية وطبيعة الصخور المكونة لها، وفيزياء الترب وأنواعها، والتأثيرات المناخية على معدلات هطول الأمطار ودورة المياه الهيدرولوجية، بالإضافة الى تصميم وتنفيذ الإنشاءات الهندسية واختيار أنسب المواد والأجهزة المستخدمة فيها.

وقد تفوق العرب فى معرفة استنباط الماء من باطن الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده فيعرف بعده وقربه بشم التراب، أو برائحة النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص، وسمى هذا عندهم «بعلم الريافة» وهو من فروع الفراسة من جهة التعرف على مكامن فى بطن الأرض، ومن فروع الهندسة من جهة الحفر وإخراجه إلى وجه الأرض، ويقال لمن يقوم بالحفر واستخراج الماء «القناء».

وتطورت هذه المعرفة الفطرية عند العرب، إبان عصر النهضة العلمية الإسلامية، وأصبحت تقنية مدونة بأساسيها النظرى والتطبيقى، وما يتطلبه ذلك من اختراع موازين وأجهزة لقياس ارتفاعات الأرض وتحديد مناسيب المياه، وعرض لها كثير من العلماء المسلمين فى مؤلفاتهم، لكن «كتاب إنباط المياه الخفية» الذى صنفه أبوبكر محمد بن الحسن الحاسب الكرجي بين سنتى ٤٠٦ و ٤٢٠هـ، يعكس الحالة المتقدمة التى وصلت إليها هذه التقنية على أيدى المسلمين فى مجال استخراج المياه الجوفية والإفادة منها، تضمن كتاب الكرجي تسعة وعشرين بابا بحثت مختلف المسائل المتعلقة بالمياه الجوفية وهندستها، وعرضت بالتفصيل الدقيق للإجراءات الهندسية والإنشائية قبل تنفيذ النظام المائى المعروف آنذاك باسم «القناة».

ومن أهم ما يذكر للكرجي فى هذا الكتاب أنه أفاد من معرفته الرياضية فى اختراع موازين وأجهزة مساحية دقيقة، فحول هذه الأعمال المساحية من مجرد حرفة يقوم بها المساح إلى عمل تقنى هندسى له أصوله النظرية وتطبيقاته العملية، وقد كانت هذه المنهجية واضحة تماما فى فكر الكرجى، فهو يذكر فى مقدمة كتابه أنه بدأ بتصفح كتابات القدماء فى الموضوع فوجدها «قاصرة عن الكفاية، واقفة دون الغاية» وهو يدرك قيمة الموضوع وفائدته الحيوية، فيعبر عن ذلك بقوله: وبعد، فلست أعرف صناعة أعظم فائدة وأكثر منفعة من إنباط المياه الخفية، التى بها عمارة الأرض وحياة أهلها، والفائدة العظيمة فيها، كما أنه يحرص على تأكيد سلامة الأساس العلمى النظرى الذى يقوم عليه التطبيق فيقول: «ومن تصور ما ذكرته وحققته، فقد عرف قطعة كبيرة من صناعة إنباط المياه، لأن تصور طبع الأرض والماء فيها، وكيفية وضعها وخلقتها، وصفة حال الماء فى خللها، يدل على معرفة قوية فى هذه الصناعة».

وهكذا فإن مشكلة المياه الجوفية التى تعانى منها مناطق مختلفة من العالم اليوم، نجد لها أصولا فى التراث الإسلامى، لكن التقنيين الأوائل استطاعوا أن يواجهوا المشكلة بحلول مبتكرة، فهل يستطيع

الأحفاد أن ينجحوا في التغلب على ندرة المياه في هذا العصر الذي يشهد صراعا محموما من أجل السيطرة على الموارد المائية التي يتوقع لها أن تكون من أهم أسباب الحروب على الأرض في المستقبل القريب؟

وتجدر الإشارة، من ناحية أخرى، إلى أن العلماء المسلمين أدركوا طبيعة العلاقة بين العلم والتكنولوجيا من خلال ممارستهم للمنهج التجريبي الاستقرائي، فعرفوا أن التكنولوجيا لا يمكن أن تزدهر أبدا بمعزل عن العلم والبحث العلمي، وأن تطوير التكنولوجيا ينعكس بدوره على تقدم العلوم الأساسية بشقيها النظرى والتطبيقى، وكان طبيعيا أن يتوخوا الدقة دائما فى نتائج أبحاثهم، وأن يجدوا فى استحداث طرائق وأساليب جديدة، أكثر دقة وإحكاما من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية والإفادة منها تقنيا، وعلى ضوء هذه المنهجية التجريبية المتميزة فى البحث العلمي استطاعوا أن يطوروا أنواعا مختلفة من تقنيات الموازين والمقاييس والأجهزة العلمية المستخدمة لأغراض الأرصاد الجوية والفلكية والبحوث الكيميائية والطبية وغيرها.

خاتمـــــة

تدلنا هذه الدراسة على أن إسهامات المسلمين فى مسيرة التقدم العلمي والتكنولوجي عبر العصور هي أساس العلم الحديث، وأن قيام النهضة الأوربية الحديثة يدين بصورة رئيسية لانتقال العلم الإسلامي نتيجة اتصالات الأوربيين بمراكز الحضارة الإسلامية التي تمحت في تكوين المجتمع الإسلامي المتوازن واقعا وفكرا، والقادر على احتضان الفكرة الصائبة واستثمارها حضاريا، سواء كانت هذه الفكرة علمية أو تقنية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو غير ذلك مما يتعلق بمجالات النشاط الإنساني، وهنا تبرز أهمية المنهج الاسلامي الرباني على غيره من الأنساق الوضعية التي تتبنى أفكارا ليست من بين القوى الجوهرية التي تنتجت عنها، فإذا بهذه الأفكار تتقادم، ثم تختفى، لقد حدد الإسلام بوضوح الهدف الأسمى من العلاقة العضوية بين الذات والموضوع، أو بين عالم الأفكار وعالم الأشياء، في السعي نحو معرفة الحق والحقيقة فى أعماق النفس وفى آفاق الوجود، ويأتى مع استيعاب هذه الحقيقة، تحقيق أمانة الاستخلاف فى الأرض كما أرادها الله ـ سبحانه وتعالى ـ لخير الإنسان فى كل زمان ومكان.

ولعل فيما قدمناه من عرض موجز لبعض الإسهامات العلمية والتقنية لعلماء المسلمين عبر العصور ما يوضح أهمية التراث فى تاريخ العلم والحضارة، ويدفعنا إلى البحث عن المفقود منه وهو كثير جدا ليحظى من جموع الباحثين ـ كل فى تخصصه ـ بدراسات تحليلية مفصلة تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها فى المجتمع الذى كان شاهدا على ميلادها، ونتعرف على طبيعة الظروف التي سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر، وتصبح بعد ذلك فروعا فى شجرة المعرفة، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية.

حكمة الخالق فى خلق بيئة متوازنة

مخاطر الاحتباس الحرارى

١

للأستاذ الدكتور / عبد الراضى حسن المراغى (*)

يلاحظ الإنسان فى العصر الحديث كثيراً من التغيرات المناخية سواء كانت هذه التغيرات فى درجات الحرارة، أو فى سقوط الأمطار ومستوى الرطوبة النسبية، وقبل أن نناقش هذه التغيرات سنتحدث عن التوازن فى عناصر النظام البيئى[1]. وكل عنصر من عناصر ومكونات هذه الأنظمة البيئية خلقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأحكم الله صنع هذه الأنظمة بدقة بالغة من حيث الكم والتركيز والخصائص والوظيفة قال ـ تعالى ـ فى محكم كتابه:

﴿ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[2].

وفى العصر الحديث تحدث العلماء عن قانون شلفارد للتحمل البيئى الذى ينص على:

تؤثر العوامل البيئية الغير حية على الكائنات الحية فتحدد تأثيراتها القصوى والدنيا من نمو وتوزيع هذه الكائنات، فعلى سبيل المثال يعتبر غاز ثانى أكسيد الكربون من العوامل الضرورية لنمو النباتات الخضراء والزيادة القليلة فى تركيز هذا الغاز فى الهواء الجوى تحت ظروف معينة تزيد من معدلات نمو هذه النباتات ولكن الزيادة العالية فى تركيزه تصبح سامة، وعلى هذا الأساس فكل عنصر خلقه الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى النظام البيئى بقدر معلوم، وكفل لهذه العناصر تأدية دور محدد ومرسوم لها، من قبل العزيز القدير، وتشارك مكونات النظام البيئى بعضها البعض فى نظام بديع ودقة بالغة كما ذكره المولى ـ عز وجل ـ فى كتابه الكريم.

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾[3].

(*) الكاتب أستاذ بكلية العلوم – جامعة الأزهر.

(١) د.عبدالراضى حسن المراغى [١٩٩٨] خطة قومية لمواجهة التغيرات المناخية، جريدة الأهرام – العدد ٤٠٨٩٨ فى ١٩٨٨/١١/٧م.

(٢) سورة النمل الآية ٨٨.

(٣) سورة الرعد الآية ٨.

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٤).

﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾(٥).

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾(٦).

ومعنى كلمة «بقدر» التى جاءت فى الآيات الكريمة أنها تعنى إيجاد كل شئ على قدر مخصوص، وتقدير معين فى ذاته وخصائصه، أما القدر فهو تحديد كل محدود بحده الذى يوجد به.

وهذا التقدير البالغ الدقة هو من صنع لدن حكيم خبير هو الذى أعطى كل عنصر ومكون من مكونات النظام البيئى صفته الكمية والنوعية والوظيفية وعلاقته بالعناصر الأخرى فى النظام البيئى.

كما أعطى لكل كائن حى مكانته البيئية ودوره فى الوجود، كما يؤهل النظام البيئى العام للتوازن ويعطيه المقدرة على إعالة الحياة وهى المهمة الرئيسية والأساسية التى من أجلها خلق الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذه الأنظمة البيئية قال ـ تعالى ـ فى سورة آل عمران:.

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا ﴾(٧).

ظاهرة الاحتباس الحرارى

والدليل القاطع على حكمة الخالق فى خلق البيئة متوازنة، أن كل مكونات البيئة وعناصرها صالحة وذات فائدة للنظام البيئى طالما بقيت هذه العناصر محتفظة بخصائصها الكمية والنوعية كما خلقها الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ دون أن يغيرها ويتدخل الإنسان فى استنزافها بشكل جوهرى، فإذا اختل التوازن عما خلقه الله ظهرت المشاكل البيئية وكثرت المخاطر التى تهدد هذا النظام البيئى البديع، وقد دعت منظمات البيئة المختلفة على كل المستويات العالمية والإقليمية والمحلية إلى ضرورة اتخاذ مبادرات جديدة لمواجهة ظاهرة ارتفاع درجات الحرارة والتى تهدد بحدوث المزيد من العواصف العاتية والفيضانات المدمرة فى العالم.

ومن أهم الأمثلة التى توضح أهمية حماية عناصر ومكونات البيئة دون أن يقوم الإنسان بتغيير جوهرى فيها هى قضية الاحتباس الحرارى والتغيرات المناخية التى سوف نناقشها بالتفصيل(٨) فيما يلى:

تشبه ظاهرة الاحتباس الحرارى ظاهرة زراعة وتنمية النباتات فى البيوت أو الصوبات الزجاجية التى يحبس زجاجها الطاقة الشمسية ويرفع درجة الحرارة بداخلها وكلما كان زجاجها سميكا حجزت كمية أكبر من الطاقة الشمسية.

وتعمل طبقة غاز ثانى أكسيد الكربون فى

---

(٤) سورة القمر الآية ٤٩.

(٥) سورة الفرقان الآية ٢.

(٦) سورة الحجر الآية ١٩.

(٧) سورة آل عمران الآية ١٩١.

(٨) د.عبدالراضى حسن الراقى [١٩٩٥] الاحتباس الحرارى والتغيرات المناخية - جريدة الوطن القطرية - العدد ١٠١ فى ١٣/٥/١٩٩٥م.

الغلاف الجوى مثل: الصوبة الزجاجية وتحافظ هذه الطبقة على الطاقة الشمسية والدفء، ويزداد انبعاث هذا الغاز زيادة كبيرة بزيادة النشاط البشرى، وتؤدى هذه الزيادة إلى رفع درجة حرارة الأرض ويترتب على ذلك ما يسمى بظاهرة الاحتباس الحرارى التي تؤدى إلى تغير المناخ والذى سوف يتسبب فى كثير من الأخطار البيئية.

وقد بدأ الاهتمام العالمى بهذه الظاهرة بعقد «مؤتمر الأمم المتحدة» ببرلين فى سنة ١٩٨٨م بالتعاون بين «منظمة الإرصاد الجوية»، وبرنامج «الأمم المتحدة للبيئة» لمناقشة قضية تغير المناخ على الكرة الأرضية، ويعتقد العلماء أن مناخ الكرة الأرضية فى حالة تغير مستمر (ولكنه بطئ وغير ملحوظ) وسوف يصل هذا التغير فى الأعوام المائة القادمة ـ إن شاء الله سبحانه وتعالى ـ إلى ثلاث درجات مئوية لدرجة حرارة سطح الكرة الأرضية.

وتجدر الإشارة إلى أنه عندما تركت الكرة الأرضية العصر الجليدى انقرض الكثير من الأنواع الحيوانية والنباتية مثل الديناصورات وذلك عندما ارتفعت درجة حرارة سطح الكرة الأرضية خمس درجات خلال العصور الجيولوجية السابقة، أما التغير العصرى والحالى لدرجة حرارة سطح الكرة الأرضية، والجميع يتساءل عما سوف يحدث للأنظمة البيئية البحرية واليابسة نتيجة لذلك.

وفى عام ١٩٩٠م بدأت عمليات التفاوض على المستوى العالمى تحت إشراف «الجمعية العامة للأمم المتحدة» لتحديد المخاطر الناجمة عن تغير المناخ والتحكم فى انبعاث الغازات التى تؤدى إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض وهى ما تسمى بغازات الاحتباس الحرارى، وأهم هذه الغازات غاز ثانى أكسيد الكربون الناتج عن احتراق الوقود بكل أنواعه وأشكاله وقلة المصبات التى تمتص هذه الغازات والتى على رأسها الغابات والزراعات من مزارع وحقول والتى يقع أغلبها فى الدول النامية.

وعلى هذا الأساس فخضرة النبات فى البيئة من أهم عوامل الاتزان البيئى ولا شك أن الاستزراع والتشجير ووقف التصحر ودرء الرعى الجائر توضح أهمية النباتات كمصب رئيسى لغاز ثانى أكسيد الكربون قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾(٩)

ويشكل غاز ثانى أكسيد الكربون ٠,٠٣ من كمية الهواء الجوى وقد زادت هذه النسبة فى الغلاف الجوى منذ الخمسينات من هذا القرن كما قدرها العالم مونالوا والذى ذكر أن نسبة غاز ثانى أكسيد الكربون تزيد فى الهواء الجوى عموما، وتقل فى فصل الربيع وتزداد فى فصل الشتاء.

إن زيادة انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون والغازات الأخرى المسببة للاحتباس الحرارى

---

(٩) سورة الحجر الآية ٨٥.

سيترتب عليه زيادة في درجة حرارة سطح الأرض وينجم عنها آثار ضارة بالأنظمة البيئية المختلفة البحرية واليابسة.

وقد وقعت مائة وخمس وخمسين دولة عضوا في «الأمم المتحدة» على الاتفاقية الإطارية أثناء مؤتمر الأرض الذي عقد في ريو دي جانيرو في يونيه عام ١٩٩٢م. ومن أهم أهداف هذه الاتفاقية العمل على تثبيت مستويات انبعاث غازات الاحتباس الحراري عن مستويات لا تؤدي إلى التغيرات المناخية على سطح الكرة الأرضية على أن يتحقق ذلك في إطار زمني يسمح للأنظمة البيئية بالتأقلم مع هذه التغيرات ويتضمن عدم تهديد المصادر الغذائية ويسمح باستثمار هذه المصادر.

أما الإجراءات اللازمة للحد من التغيرات المناخية عن ظاهرة الاحتباس الحراري فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

(أ) عمل حصر ميداني لانبعاثات غازات الاحتباس الحراري، وإنشاء هيئة إقليمية تكون وظيفتها رصد وتسجيل مستوى هذه الغازات في مواقع مختلفة وملاحظة معدلات ارتفاع هذه الغازات (مثل تحديد مواقع محطات رصد الهواء بمدينة القاهرة الكبرى).

(ب) دراسة أثر الاحتباس الحراري على ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض وانحصار المياه الجوفية وسرعة تبخر المياه وأثر ذلك على الزراعة وعلى زيادة التصحر، ويقترح أن تسجل الهيئات والإدارات المختصة مدى انحصار المياه الجوفية وهل هناك زيادة في سرعة تبخر المياه الجوفية؟

(ح) دراسة آثار ارتفاع سطح المياه في المحيطات والبحار وبالتالي على حواف الدول الواقعة على السواحل نتيجة لارتفاع درجة الحرارة وذوبان الجليد القطبي فإن مساحات كبيرة مهددة بالغمر (وعلى سبيل المثال ففي مصر وبالأخص في منطقة الإسكندرية قدرت الخسائر الناجمة عن ارتفاع سطح البحر المتوسط بمقدار ٢,٥ مليار دولار بأسعار ١٩٩٢م، ومن الملاحظ أيضا تآكل شواطئ مصيف رأس البر حيث غمرت المياه الشاطئ ووصلت حتى شوارع المدينة).

كما يجب الاهتمام بإنشاء مقياس لتسجيل معدلات ارتفاع منسوب سطح المياه في أماكن مختلفة من الدول المطلة على البحار والمحيطات، ومشكلة تغير المناخ وإثارة مشكلة بيئية عامة تؤثر على الزراعة والمناطق الساحلية وآثارها تختلف من إقليم لإقليم والذي يعنينا هو ما هي آثار التغير المناخي محليا وعالميا؟

ومن المعروف أن معدلات انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون تتزايد من سنة إلى أخرى، ويبلغ حجم هذا الانبعاث على مستوى العالم في أحدث تقدير له حوالي ٦٠٠٠ مليون طن في السنة، وعلى سبيل المثال ينبعث في الولايات المتحدة الأمريكية ١٣٠٠ مليون طن، وفي الصين ٦٠٠ مليون طن، وفي مصر ٩٠ مليون طن في السنة، وعلى هذا الأساس

فالدول العربية ومن بينها الدول العربية البترولية ليست هى المسئولة عن انبعاث هذا الغاز بالمقارنة بالدول الغربية والأوروبية، وعلى هذا الأساس يجب عدم فرض ضريبة الكربون إلا على دول أمريكا وأوروبا فهى التى تساهم بأكبر قدر من انبعاث هذا الغاز.

إن زيادة انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون لا ترجع فقط إلى تزايد استهلاك مصادر الوقود الأحفورى (الفحم - البترول - الغاز الطبيعى)، وإنما جاءت أيضا نتيجة التدهور الذى أصاب الكساء النباتى وهو المستهلك الرئيسى لغاز ثانى أكسيد الكربون.

وعلى هذا الأساس لا يمكن أن نتصور تركيب الهواء الجوى على غير النسب التى قدرها الله - سبحانه وتعالى -، إذ أن أى خلل فى مكوناته تؤدى إلى مخاطر كثيرة كما اتضح أعلاه قال تعالى - جل شأنه -:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴾(١٠).

إن زيادة استخدام الغاز الطبيعى فى وسائل النقل والمواصلات سوف يقلل من انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون بحوالى ٣٠ إلى ٤٠٪، ويجب استخدام الغاز الطبيعى فى كل أوجه الحياة كطاقة نظيفة.

ومن أهم الموضوعات التى ناقشها مؤتمر «الأمم المتحدة للبيئة» فى برلين سنة ١٩٨٨م هى المطالبة بتخفيض الزيادة من انبعاث غاز ثانى أكسيد الكربون إلى حوالى ٣٠٪ من الكمية المنبعثة حاليا فى غضون الخمس سنوات التى تلى عام ٢٠٠٠م فى بداية القرن الواحد والعشرين ويتم ذلك بالاعتماد على استخدام الغاز الطبيعى كما ذكر والبحث من مصادر بديلة للطاقة، ويتم أيضا بزيادة الرقعة المزروعة والتشجيع على إقامة المزارع ومشروعات التشجير وهذه الزيادة سوف تمتص الزيادة من غاز ثانى أكسيد الكربون قال - تعالى -:

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١١)

كما توجد غازات أخرى مثل الكلوروفلورو كربونات، وغاز الميثان وهى الغازات التى تسبب انحسار طبقة الأوزون. ولبخار الماء أيضا أهمية فى ظاهرة الاحتباس الحرارى حيث إنه يسبب أيضا ارتفاع درجة حرارة سطح الكرة الأرضية قال - تعالى -:

﴿ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١٢).

---

(١٠) سورة الأنبياء الآية ١٦.

(١١) سورة الرعد الآية ٤.

(١٢) سورة البقرة الآية ٢١٢.

على طريق الفيمتو ثانية

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

دوران الأرض، وحركة الأجرام السماوية من الأمور التى شغلت فكر الإنسان، منذ عهد بعيد، يبتغى تفهمها، والإلمام بقوانينها، وكشف الغموض الذى يلفها شيئاً فشيئاً، وهو فى سبيل تحقيق ذلك، قد يستخدم أشياء لا تخطر للبعض على بال، وقد يصل إلى نتائج مذهلة، كتلك التى حققها دكتور أحمد زويل، عالم مصر الفذ، حينما أثبت سرعة جزيئات المادة، بما أطلق عليه، نظام (الفيمتوثانية)، وهو جزء لا يكاد يدرك من الثانية، مما أحدث ثورة فى دنيا العلوم، لا تقل أهميتها عن إنجاز مشروع الكتيب الوراثى للجنس البشرى وغيره، من المشاريع العلمية العظيمة النافعة لبنى البشر.

وعلى هذا الطريق ما قام به منجم صينى منذ آلاف السنين، حينما قام بالكتابة حفراً على الحجر، أو الصدفة المغطية لظهر إحدى السلاحف، سطراً، يقول فيه: إن ثلاثة ألسنة من اللهب التهمت الشمس، وتمكنت أنا من مشاهدة النجوم الكبيرة. واحتفظت الأيام والأعوام بهذا التوثيق الغريب فى بابه، الذى تحير العلماء فى تفسيره، حتى العقد الأخير من الألفية العشرين، إلى أن عثر أحد علماء الفلك، بمعمل الدفع المائى بأمريكا، على تصوير وتلخيص لذلك النقل، على ظهر تلك السلحفاة، وذلك بإحدى المكتبات، وقد حدث هذا عن طريق الصدفة، البحتة، وأدرك ذلك الفلكى ويدعى (بانج) على الفور: أن سطر المنجم الصينى القديم، لم يكن إلا وصفاً دقيقاً لكسوف كلى للشمس، فقد كانت تلك الشرارات الثلاث، أشعة منطلقة من الهالة، وهى الغلاف الخارجى الرفيع، الذى يحيط بالغلاف الجوى للشمس، والذى يصبح مرئياً تماماً عندما يغطى القمر قرص الشمس الذهبى اللامع مما يؤدى إلى ظهور النجوم، فى أثناء النهار بادية للعيان. فيما يعرف علمياً بكسوف الشمس، كما أدرك بانج أن الرقم الموثق بحجر السلحفاة، سيمكنه من إجراء عملية حسابية متناهية فى الدقة، يستطيع من خلالها معرفة السرعة، التى تدور بها الأرض فى وقت الكسوف، وبالتالى يحدد بالضبط إلى أى مدى تبطئ الأرض من سرعتها، استعداداً للتوقف عن الدوران، يوم تبدل الأرض غير الأرض.

وكون الأرض تبطئ من سرعتها أمراً ليس بجديد على العلماء، فكوكب الأرض يلف ويدور حول

نفسه، مسبباً آيتى الليل والنهار، ويدور حول الشمس محدثاً ظاهرة الفصول الأربعة، كما أن جاذبية القمر - وهى العملية التى تنشأ عنها الظواهر البحرية المعروفة بالمد والجزر - هذه الجاذبية تؤدى إلى نتوء بارز على سطح الأرض دائماً، ما يتقدم القمر قليلاً، ولا يكون تحته مباشرة فى أثناء الكسوف، ثم يعود القمر ليغطى الأرض، مما يؤدى بها إلى أن تبطئ من سرعتها رويداً رويداً، ويكون ذلك الإبطاء بسيطاً وضعيفاً، وهنا يتدخل العلماء ليحددوا مقداره، وذلك بتتبع وتقصى الأرقام الموثقة قديماً، وأهمها ذلك الموجود بالنقش المشار إليه، فى الكسوف الشمسى الموغل فى القدم، وبالاستعانة بالحاسوب استطاع علماء الفلك أن يحسبوا سرعة دوران كل من الأرض والقمر فى ثوان معدودات، خصوصاً عندما تكون الأجرام الثلاثة: الأرض، والقمر، والشمس، متعامدة على خط واحد فى أثناء الكسوف الكلى.

وإذا تمكن العلماء من الحصول على رقم موثق لمكان شوهد فيه كسوف بعينه لاستطاعوا إدراج ذلك الموقع، فى العملية الحسابية. الضخمة، التى تكون منحنى لظل القمر لا يزيد اتساعه على ١٦٧ ميلاً، وبعد تحديد سرعة الأرض فى الفضاء الكونى الرهيب زماناً ومكاناً، فى أثناء الكسوف، يستطيع الباحثون حساب المعدل الذى تدور به الأرض عبر القرون، من الشرق إلى الغرب، ليصلوا إلى النقطة الثانية، التى بدأت الأرض تنتهجها، منذ ذلك الكسوف الشمسى القديم، الموثق على ظهر تلك السلحفاة الموعودة، وكان على باغ حتى يكسب صفة المصداقية علمياً أن يحدد ويكتشف حقيقة المكتوب على تلك الحفرية.

والسبب أنه ليس بذلك النقش تاريخ حدوث ذلك الكسوف، فقد قام بحل ذلك اللغز بالتعاون مع أستاذ صينى يدرس علم لغات شرق آسيا، فى مؤسسة بحثية كبرى يرمز إليها بالأحرف UCLA والتى عثر فى مكتبتها على تلخيص وتصوير تلك الحفرية، فقد تمكن من مقارنة المكتوب على صدفة السلحفاة، بآثار من المملكة الصينية المعروفة فى التاريخ باسم «شانغ» وقرر أن ذلك الكسوف، وهذا النقش وقع أثناء حكم الملك (وو-دينج)، وقد شملت هذه الفترة كسوفاً واحداً لا غير طبقاً لمعطيات الحاسوب، وهو الكسوف الذى حدث فى اليوم الخامس من الشهر السادس من عام ١٣٠٢ ق.م، وعندما تم حساب سرعة دوران الأرض فى ذلك التاريخ، وهى السرعة التى تدور بها الآن، وجد العلماء أن المنجم الصينى صاحب النقش السلحفائى، لم يدخل فى حسابه ظل القمر، ومن ثم أغفل حساب آلاف الأميال، وأسقط سهواً بل جهلاً من حساب دوران الأرض، ما يقدر بالثلث، وبمعنى علمى أدق، فإن الأرض منذ الكسوف، والذى حدث قبل ٣٢٩١ قبل الميلاد قد أتمت ثلث الدوران، وهو يزيد عما كان ستتمه لو ظلت تدور بمعدل دورانها الحالى المعروف، ولذا فإن (باغ) يقول: «إن المنجم الصينى القديم عندما كتب ما كتب على ظهر السلحفاة، لم يكن يخطر بباله أن كوكب الأرض كان يدور أسرع قليلاً، مما يدور الآن، وأن الأيام كانت أقصر قليلاً، وقبل أن ننساق وراء الخيال الجانح، والوهم المضل، يقدم لنا العالم الكبير فى استنتاج علمى فريد من نوعه زبدة ذلك البحث، وجوهره المتمثل، فى مقدار الزمن، الذى أبطأته الأرض فى كل تلك الفترة الطويلة، وهو رقم يذكرنا على الفور (بالفيمتو ثانية) فالأرض لم يزد بطؤها على (٠٤٧ ,٠ من الثانية) وهو رقم موح بقدرة الخالق الذى قال فى قرآنه العظيم

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(١).

(١) سورة القمر (٤٩).

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

كيف عالج الإسلام الجريمة ؟

للأستاذ / محمد حافظ

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فلكل مجتمع أدواؤه ومشكلاته، والجريمة داء من أدواء المجتمع، ومشكلة المشكلات، وحتى لا يستبد المستخفون بالحياة فيسود الطغيان والبطش، وضع الإسلام لعلاج الجريمة علاجا راعى فيه المنهج الأقوم بوضع عقوبات زاجرة للحالات المرضية التى تنتاب بعض أفراد المجتمع على أن تطبق هذه العقوبات محوطة بكافة الضمانات بحيث لا تتجاوز مجالها، ولا تتعدى نطاقها، والتى تعتبر قمة فى العدالة، فالشبهة تؤول لصالح المتهم، ولا تثبت تهمة إلا ببينة عادلة، والقاضى لا بد أن يكون مثالاً للحيدة المطلقة والمعرفة المستوعبة، كل ذلك له دلالته التى تتركز فى أن الهدف الذى يتوخاه الإسلام من العقوبة ليس إلا التقويم لبقاء المجتمع معافى من بوائق فعل الجرائم، وخطر العدوى.

وسياسة الإسلام فى العقوبة مرتبطة أوثق ارتباط بسياسته فى التقويم والتنظيم، لذا وضع الفقهاء - مستندين إلى نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة - الشروط والضوابط لتطبيق العقوبات تطبيقا أمينا، يسمو كل السمو على ما يبدو من فلسفات الجريمة والعقوبة فى الغرب والشرق ويتفوق عليها بأنه لا يسترخى الاسترخاء الذى لا يقيم عوجا، ولا يبرىء داء.

والإسلام عالج الجريمة علاجا راعى فيه النزوات النفسية والغرائز البشرية فأخذها بالتعليم والتهذيب، ثم بالترغيب والترهيب، ثم بالتى لا يقع حسم الداء إلا بها، وهى حدود الله، وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء، وللمزيد قال الكاتب - رحمه الله -:

لم يحارب الإسلام الجريمة كما يحاربها قانون الأرض، ونظام الناس، بل عالجها مراعيا طباع البشر، وما ركب فينا من ميول وغرائز، كما أدخل فى حسابه ضرورات الحياة، ودوافع الجريمة، ونظر إلى الجرائم على أنها أمراض ذات جراثيم فتاكة يجب أن يصح المجتمع منها ويسلم، فبدأ العلاج باستئصال الوقاية، واعتزال المصابين حتى لا تسرى العدوى فلا يجدى علاج ولا ينجح دواء، ولعل مرض الأخلاق أنكى فى العدوى وأسرع فى الانتقال من مرض الأجسام.

بدأ الإسلام العلاج بالتربية والتهذيب، وبيان ما أحل من الأمور وأبيح، وما حرم منها وحظر، وأعقب ذلك ببيان ما يترتب على كل من حسن الجزاء أو سوء المنقلب، وأنه لا بد لمرحلة التهذيب من مجانبة الأشرار، وانتقاء من يصحب من الأخيار، فالمرء على دين خليله، وبذا يصون الإسلام البيئة من أدران الشر، وجرائم الأشرار، منعا للأسباب، وقضاء على الدواعي، حتى تموت الجريمة قبل أن تولد.

ثم ينتقل الإسلام بعد هذا ليبين عن الدوافع إلى الجريمة والمغريات بها، فيقيم الحواجز، ويسد الذرائع، ويمنع الحمى، حتى لا يحوم حوله أحد، فمن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فجريمة الاعتداء على العرض مثلا يدفع إليها، ويغرى بها الحرمان من إرضاء تلك الغريزة، وقد حارب الإسلام هذا بتشريع الزواج والترغيب فيه، ويجعله نصف الإيمان، ويعد عليه سعة الرزق وبسط العيش، فيقول: التمسوا الرزق بالزواج، فالزواج وما ملكت الأيمان محل المتعة، ومجال إرضاء الغريزة الجنسية، ومن ابتغى بعد ذلك فأولئك هم العادون.

وبذا يفصح عما يحل وما يحرم من هذا القبيل، كما قد يدفع إلى هذا الاعتداء، إبراز الجمال، وإظهار المفاتن، والتفريط في الأعراض، ويقضي الإسلام على هذا كله بغض البصر تارة من الرجل وتارة من المرأة، كما حرم الاختلاط، وأكبر الخلوة بالأجنبية، وأوجب الحجاب، وحظر لين القول المطمع، وتعرض المرأة مزينة أو متبرجة، حتى لا تكون فتنة ثم لا تكون جريمة، نقرأ هذا في قول الله – تبارك وتعالى –:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ – إلى – ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(1)

كما ترى ذلك في مسلك الرسول – عليه الصلاة والسلام – مع أهله، فقد روى أنه دخل على النبي – عليه الصلاة والسلام – عبدالله بن أم مكتوم وهو (أعمى) ومع النبي بعض زوجاته، فقال لهن النبي: احتجبن. فقلن: إنه أعمى يا رسول الله، فغضب النبي. وقال: أفعمياوان أنتما؟

ولقد صان الإسلام الأعراض حتى عن التناول بالسب والشتم، وجعل لذلك حداً مفروضاً يعرف في الفقه بحد القذف، ونص القرآن على أنه ثمانون جلدة، نقرأ هذا في قوله – تعالى –:

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(2)

فقد أنزل بالمفترى بذلك عقوبة مادية جسدية بجلده ثمانين جلدة، وعقوبة أخرى أدبية برد شهادته، وإسقاطه من عداد الرجال الكاملين العدالة، وهذه عقوبة الدنيا. أما جزاء الآخرة فيوضحه قول الله – تبارك وتعالى –:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(3).

ثم إن وقعت جريمة الاعتداء على العرض بعد كل هذا – ولو عن رضا وطواعية من كليهما – فإن الله يغار على محارمه، وقد أمرنا بالغيرة على تلك المحارم. فالعروض ليست ملكا لأصحابها (كما يظنون) فليست لهم فيها حرية التصرف على ما يريدون، وكما يحبون، ومع من يشتهون. فقد أحل الله منه الطيب الطاهر، وحظر الخبيث الذي

(1) سورة النور (29، 30). (2) سورة النور (4) (3) سورة النور (23)

تختلط به الأنساب، وتفسد الأخلاق. وتتدهور الأمم وتنحل، أقول: إن وقعت الجريمة بعد كل هذه التحذيرات عن غير اكتراث بوعد، ولا خوف مع وعيد، فثمة حدود تقمع هؤلاء وأمثالهم عن غيهم، وتجدع أنوفهم عن رجسهم، من الرجم إلى الموت، أو الجلد وتغريب عام على ما تفصله كتب الفقه ومذاهب الفقهاء حسب ملابسات الجريمة، وحالة الآثمين، من إحصان وعدم إحصان، تطهيراً وتزكية للبيئة.

***

وكما عالج الإسلام جريمة العرض وحاربها، حارب جريمة الاعتداء على المال، فلا تلصص، ولا اختلاس، ولا سرقة، ولا غش. لكنه يهذبنا ابتداء بألا نطمع فيما ليس لنا فيه، ونزهد فيما لا نملك، ويحرم الشح والحرص والتكالب على جمع المال، فإن لذلك شهوة قد تعمي عن التفرقة بين الطيب والخبيث. ثم يوجب التعاون بين الحاكم والمحكوم للقضاء على الفقر؛ لأنه كثيراً ما يدفع إلى مختلف الجرائم، وأكثر جرائم الفقر ارتكاباً جريمة السرقة على مختلف سبلها.. فمن ابتغى بعد هذا ثراء عريضاً، وسعة في المال، فلديه من الطرق المشروعة الشريفة للكسب الطيب ما يشبع رغبته، وينيله أمنيته، فالتجارة، والإجارة، والزراعة، كلها سبل مشروعة.

وليصون الإسلام المال من التلف والضياع شرع له قوانين تصونه حتى من أصحابه ومالكيه، فيحرم الربا، ويمنع القمار، ويحظر الرشوة، ويبغض في الإسراف، ويعدها كلها كبائر تورث فقر الدنيا، وخزي الآخرة، ويذم السرقة، ويصف آكلها بأنه إنما يطعم ناراً، فإنها مصيره.

فمن أبى بعد هذا التحذير إلا الاعتداء على أموال الناس، وأكلها بغير حق، الزم الدين الحكام أن يقيموا حدود الله وينفذوا شرعته، فينزل الحاكم بالسارق عقوبته التي حدها الله بقوله:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

فإذا مرد سارق على جريمته، وجمع إليه أنداده وأشباهه، وقاموا على الطريق يحيكون ثاره، ويعتدون على الأموال والأنفس، فإن أولئك بعد أن قطع الله جرمهم وسماهم محاربين لله ولرسوله فوض الإمام في أن ينزل بهم من العقوبات التي وضحها ما يراه على قدر خطرهم. نقرأ هذا في قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

وبالوسيلة عينها رأينا الدين يعالج ويحارب جريمة الاعتداء على النفس، فإنه بعد أن يتلطف للناس في الطلب بتحبيب احترام النفس، وتبغيض الاعتداء عليها، فسمى الحياة «بناء الله» ودعا قاتل النفس «هادما لبناء الله»، وبعد أن أبان أن من قتل نفسا أو كان سببا في قتلها بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا، ومن كان سببا في إنقاذ حياة من ضياعها ونفس من تلفها فكأنما أحيا الناس جميعا.

---

(1) سورة المائدة (٣٨)

(2) سورة المائدة (٣٣)

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(٦).

ثم أوضح بعد هذا -مخوفا- مدى العذاب الذى يلقاه من اعتدى بالقتل فيقول:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(٧)

ويعمد بعد إذ ينتهى من هذه الأساليب الوعظية الخطابية ذات الوعد والوعيد والترغيب والترهيب- يعمد إلى الإنابة عما يجب من الحدود، وما يلزم الحاكم من إقامته صيانة للحياة، وتثبيتا للأمن، وردعا للمستهتر.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٨)

يبين الإسلام عن القصاص فيما يتعلق بالنفس كلا أو جزءا بصراحة لا تقبل التأويل، ذلك حيث يقول الله -تبارك وتعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(٩).

***

وهكذا نرى الإسلام قد عالج الجرائم علاجا راعى فيه النزوات النفسية، والغرائز البشرية، فأخذها بالتعليم والتهذيب، ثم بالترغيب والترهيب، ثم بالتى لا يقع حسم الداء إلا بها وهى الحدود، فكان معنا على ما قال القائل:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم تغن أغنت كتائبه

ولن نغفل -كما لم يغفل الإسلام- النظرة الأدبية إلى النفس، فإنها إن لم تحى عزيزة كريمة أبية مكفولا لها جميع حقوقها، فليست حياتها حينئذ بالحياة التى يرضاها ويرضى عنها الإسلام، فالاضطهاد، والضيم والإذلال، والتضييق على العقول فى آرائها، وحبس الأرزاق والاستبداد بها، كلها جرائم ورذائل، يأباها الإسلام ويحذر منها، وينزل العقوبة بمن ارتكبها لظلمه، وبمن نزلت به لرضاه بالظلم، وإنا لنقرأ هذا فى كتاب الله، ذلك حيث يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(١٠).

ولا تزال حكمة عمر بن الخطاب التى صرح بها فى وجه عمرو بن العاص فى قصة المصرى مع ولده: «يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا» لا تزال تلك الصرخة ترن فى أذن الدهر..

وبعد -فكم بين حكم الله وحكم الناس! وليس يردع الناس أحكام الناس وقوانين الأرض، وإنما يردعهم قانون الله ونظام السماء. [المجلد السادس والعشرون]

---

(٦) سورة المائدة (٣٢) (٧) سورة النساء (٩٣) (٨) سورة البقرة (١٧٩)

(٩) سورة المائدة (٤٥) (١٠) سورة النساء (٩٧).

صفحات مطوية من تاريخ الصحافة المصرية

« النزال الأدبى »

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

عندما تعددت الصحف فى المجتمع الإنجليزى، وراجت حركة الفكر فى أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، فقد تطور فى هذه البيئة الصالحة تحرير المقال - بشكل خاص - وفنون التحرير الصحفى عامة، وذلك على أيدى رواد الصحافة الحديثة، من أمثال «ديفو»، و«أديسون»، و«سويفت»، و«جونسون»[1].

ولعل ما نريد أن نصل إليه من هذا القياس هو أن مصر شهدت رواجا فى تحرير المقال الصحفى بشكل عام، وفى تحرير المقال الأدبى بشكل خاص، ولا سيما بعد أن أخذت مصر أنفاسها، ونعمت ببعض الاستقرار المادى، والاجتماعى، عقب ثورة (١٩١٩).

ولعل من أهم ملامح هذه الحقبة: التجديد فى الأساليب، وهضم الثقافة الأوربية، والعمل على نقل الحضارة الأوربية، قصد الانتفاع بها والاستزادة منها، ففى هذه البيئة التنويرية بلغ «فن المقال» – سياسيا، كان أم أدبيا – حدا كبيرا من النضج، على أيدى أقطاب الفكر والأدب فى العصر الحديث..

ذلك أن الكتاب المقاليين الذين اشتغلوا فى الكتابة للصحف اليومية ممن صاحبوا ثورة

(*) الكاتب مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة

(١) الدكتور إبراهيم امام: تطور الصحافة الإنجليزية- الأنجلو المصرية- (١٩٥٦) ص (١٠١- ١٤٣)-

(١٩١٩)- هم أصحاب الأثر الواضح، في نشر الأدب بين قراء الصحف السياسية وفي نشر السياسة بين القراء المتأدبين، والذين كانوا لا يحفلون بها، ولا يقرأون من المقالات والكتب، إلا ما كان أدبا بامتحضا، أو بحثا في موضوعات الشعر، والنقد، والبلاغة، فمنذ اشتغل أفراد هذه المدرسة بالصحافة والسياسة، تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلوا معهم إلى مباحث الأدب والنقد وما إليها، كما تعود قراؤهم الأدبيون أن ينتقلوا معهم إلى السياسة، ومناقشاتها حينما خاضوا فيها، وناضلوا عنها[٢].

وفي ضوء هذه الرؤية يظهر اتساع نطاق الأدب- إلى جانب اتساع نطاق السياسة، إبان تلك النهضة الفكرية، ونحن نعتقد أنه مما أسهم في حيوية الفكر الأدبي وازدهاره وانشغال الناس في ظل هذه البيئة الصالحة تلك المحاورات، والمساجلات المتمثلة، في «المعارك الأدبية» التي دارت رحاها بين الأدباء والمفكرين الذين برعوا في ممارسة هذا الفن من «النزال الأدبي» في النصف الأول من القرن العشرين.

النـــزال الأدبـــي

ويتضح هذا النوع المقالي منذ أن يبدأ الأديب في منازلة خصمه على صفحات الجريدة أو المجلة فيبادله خصمه نزالا بنزال، وفنا بفن، وقد يتدخل معه آخرون لمناصرته؛ فيتسع نطاق المعركة وتتشعب أصولها، ويمتد عمرها، وقد يؤثر الخصم السلامة ويلتزم بالصمت فيكف الأول أو يتمادى في منازلته فتصبح حملة صحفية من جانب واحد.

وهكذا دارت رحى المعارك بين فريقي المحافظين والمجددين، فالمحافظون وقفوا في وجه الثقافات الأجنبية، وتشددوا في الدفاع عن العربية، وقد حمل لواءهم: مصطفى صادق الرافعي، محمد فريد وجدي، وأحمد زكي باشا (شيخ العروبة) ورشيد رضا وغيرهم، والمجددون انتصروا للمدنية الغربية، وقد انقسموا على أنفسهم فكان منهم المتطرف الذي انبهر بثقافة الغرب، وغض من أدب العرب مثل «سلامة موسى» وكان منهم المعتدل مثل: «العقاد، وطه حسين، والمازني، وزكي مبارك»، وقد مضت مساجلاتهم هادئة تارة وعنيفة أخرى، كما كانت دوافعهم شخصية تارة وخالصة لوجه الفكر تارة أخرى.

ولا نعتقد أن مجالا من مجالات الأدب أو مفهوما من مفهومات الثقافة لم يدخل في حلبة صراعهم الفكري بين العرض والنقد أو التأييد والمعارضة؛ لذا تبنت نزالياتهم أنواعا عديدة من قضايا الفكر العربي المعاصر، مثل: القومية العربية والآداب العربية ومناهج الثقافة والأسلوب والمضمون والآراء

---

(٢) عباس العقاد: مجلة الهلال ديسمبر (١٩٢٦)، والدكتور عبد العزيز شرف: طه حسين وزوال المجتمع التقليدي- هيئة الكتاب- القاهرة (١٩٧٧) ص(٢٧٣).

والمذاهب، ونقد الكتب، فضلاً عن التيارات المعاصرة وما إلى ذلك من قضايا مختلفة.

وسوف نتناول بالدراسة والتحليل أهم ما نشر من تلك المعارك الأدبية في الصحف أو الكتب، في حالة ما إذا كانت طرفاً فيها- لتمثل هذه الحقبة من تاريخ صحافتنا المصرية.

ويأتي اختيارنا لأربع نزاليات أدبية فقط- نظراً لمحدودية المساحة، لعلها تكون نماذج صادقة لأهم القضايا والأفكار التي شغلت بال الحياة الأدبية في تلك الفترات المتعاقبة، والتي كونت في النهاية- من وجهة نظرنا- صورة واضحة المعالم لأهم أوجه النهضة الفكرية الأدبية المصرية فيما بين ثورتي (١٩١٩)- (١٩٥٢)، وهذه هي النزاليات الأربعة، التي نبين فيما يلي أهم ملامحها:

(١) تجديد الأدب العربي.

(٢) تمجيد النزعة اليونانية.

(٣) نقد طه حسين.

(٤) نظرية الفن للفن.

النزالية الأدبية الأولى:-

موضوعها: تجديد الأدب العربي.

كتابها: سلامة موسى، زكي مبارك.

صحفها: اللطائف المصورة، البلاغ.

تاريخها: (١٩٤٠).

وتلك نزالية أدبية أثارها: «سلامة موسى» بآرائه المتطرفة في العرب وأدبهم ولغتهم بسبب مقال نشره عام (١٩٤٠) ودعا فيه إلى لفظ الأدب العربي القديم، لعجزه عن توجيه الحياة الاجتماعية المعاصرة، وتغالى في ذلك حين نظر إليه على أنه شرٌ مرشد للشباب، لأنه أدب لهو واستمتاع، وليس أدب عمل وكفاح.

وقد واجهه زكي مبارك مواجهة واعية دفع فيها ما نسبه للأدب العربي من اتهامات، وكشف فيها عن ذخائره ومواطن قوته وحيويته، غير أن «سلامة موسى» لم يعترف بتصحيحه، ومضى يكابر في دعوته حتى مسَّ جماعة من الأدباء، وهم: (زكي مبارك، والعقاد، والزيات، وأحمد أمين) واتهمهم بالعجز عن تحويل القراء للكفاح والجهاد، وخدمة الأمة لأنهم شغفوا بالأدب العربي القديم، وتلك ملامحها:

١- سلامة موسى: أدب الكفاح وأدب التأمل (٣).

«الأدب الحاضر في مصر: هو أدب اللهو، والاستمتاع والتأمل، وليس أدب الكفاح والعمل، وهو أدب القاعدين لا المجاهدين، وهو أدب يجهل التيارات الفكرية العصرية، يناى عن منطق التطور، ومنطق العصر، هو شرٌ مرشد للشباب، الذي يتحسس طريقه إلى المستقبل، لأنه أدب الماضي وليس أدب

---

(٣) اللطائف المصورة ٢٢ يوليه (١٩٤٠) العدد (١٣٢٨).

المستقبل، والشباب يحتاج إلى أن يتفهم هذا المجتمع، الذى يعيش فيه، ويلابس نزعاته، ويناقش فكرياته، ولكن الأدب فى مصر الآن يقدم نزعات الدولة العباسية المتصوفة فى القرن الثالث أو الرابع للهجرة، ولذلك ينخفض إدراك شبابنا للحياة ويعيشون فى ضلال، كثيرا ما ينتهى بهم إلى الجزع واليأس لأنهم يعيشون فى مجتمع عصرى بعقلية غير عصرية...

٢- سلامة موسى: أدب الكفاح وأدب التأمل[٤].

... وقد عمت الثقافة العربية التى تتسم بجميع سمات القرون الوسطى ركوداً، ذهنياً، والبرهان على ذلك أنى أعجز فى ذلك عن تحريك (زكى مبارك وهيكل والعقاد والزيات) إلى التفكير فى الجناية التى توقعها بالفلاح، حين تتركه يعيش فى منزل بلا مرحاض، وأنها أعجز لأن الثقافة التى تعلموها، وأشربوا أساليبها ليست هى الثقافة التى تبعث على الرقى الاجتماعى، إذ هى ثقافة اللذة والاستمتاع وليست ثقافة الجهاد والعمل.

والنتيجة العامة لهذه الثقافة أن الشباب المصرى قد اتخذ موقفاً سلبياً ولا يريد أن يبتكر ويعمل ويؤدى الخير لأن (زكى مبارك، والعقاد، وأحمد أمين، والزيات) حدثوه عن الصوفية والشعر، والقرن الرابع للهجرة، فهو راكض يرضى بأدب التفرج، والاستمتاع، ولا ينهض للعمل والكفاح لأن ثقافته لم تلهمه هذا العمل أو الكفاح، ثم هو ينظر إلى الدنيا بعين الأدب العربى فلا يستطيع أن يفهم المثليات العصرية..

٣- زكى مبارك: درس ينفع[٥].

.. لا يهمنى أن أدفع الاتهام الموجه إلى العقاد، والزيات وطه حسين، فلى ولهم أقلام تدفع ما يوجه إلينا من العدوان بأيسر مجهود عند القتال.

إنما يهمنى أن أدفع الشر عن الأدب العربى، فهو ليس أدباً ميتاً، كما يتوهم الناسُ إنما هو أدب يتوثب من فيض القوة والحيوية، وبفضل الأدب العربى بَقِيتْ الذاتية الشرقية إلى اليوم، ولولاه لكان الأستاذ سلامة فى أيامه هذه كاتباً يرطن فى لغة الأرض أو لغة اليونان.

ومن محاسن الأستاذ سلامة موسى أنه وطنى ومن هذه الناحية أغزوه بلا رفق، فمصر التى يحبها لم تَسُدْ فى الشرق إلا بقوتين هما: (اللغة العربية والشريعة الإسلامية) فهل من القليل أن تأخذ بلاد العرب ثقافتها العربية عن مصر... قد يكون (سلامة موسى) فى دينه أصدق منى فى دينى ولكن من المؤكد أنى أصدق منه فى الوطنية، فأنا أحرص على اللغة

---

(٤) اللطائف المصورة: (١٩٤٠) العدد (١٢٢٥).

(٥) الرسالة: ٩ أغسطس (١٩٤٠)، الحديث ذو شجون: تقديم كريمة زكى مبارك هيئة الكتاب (١٩٨٠) ص(٧٩).

العربية والإسلام خدمة لوطني. . . ولنفرض جدلاً أن (طه حسين والعقاد والزيات وزكي مبارك) لا يشتغلون بغير دراسة الأدب العربي القديم فما العيب في ذلك

ثم مضى زكي مبارك يستدل بفرنسا وإنجلترا وإيطاليا وما فيهم من مئات الباحثين المتوافرين على درس ذخائر الأدب القديم، عند اليونان والرومان بينما لا يوجد في مصر عشرة لدرس ماضي اللغة العربية، ثم سأله مستنكراً عن درس «التوراة والإنجيل» أهو من العبث السخيف، لعدم تمثيلها العصر الحديث؟ وهل من الصواب حرق جميع ما حفظ الزمن من تراث المصريين القدماء؟ ثم قال:

«الدنيا كلها تجتمع، ونحن نتفرق مع أننا أحوج من سائر العالمين إلى الائتلاف، والعرب والمسلمون في جميع بقاع الأرض يرون مصر مشرق الأنوار العربية والإسلامية، وأخونا (سلامة موسى) يريد أن ينزع عن رأس مصر هذا التاج المرموق، ولو كان «سلامة موسى» من أرباب المنافع المادية لعذرناه، وقلنا: إنه رجل ينتفع من مؤازرة خصوم العربية والإسلام، ولكنه رجل عفيف القلب والجيب، فكيف يستبيح أن يسيء إلى سمعة مصر العربية والإسلامية بلا جزاء؟

تقييم النزالية

يمكن النظر إلى «مبارك» على أنه كان واسع البصر، وافر الذكاء، في تناوله للصلة بين مصر ولغتها وأدبها وإسلامها، وربط ذلك كله بسيادتها للشرق، وكما يظهر فإن «سلامة» قد بالغ في اتهام هؤلاء الأدباء، حين جعلهم عاجزين عن تحويل قرائهم إلى الكفاح والجهاد، ولنهضة الأمة؛ لأنهم توفروا على درس الأدب القديم؛ إذ أن كلاً من هؤلاء الأدباء إلى جانب دراسته للأدب العربي- قد ساير التطورات السياسية في مصر، ونال من العقل الأوربي الحديث وعالج بعض معضلات العصر الحديث، وهذا يعطي دلالة قوية على أن «سلامة موسى» يذهب من وراء ذلك إلى هدم ثقافة العرب بحجة أنها من الآداب الميتة، فهي عنده «ليست الثقافة التي تبعث على الرقي الاجتماعي».

ولعل من فنون المناقضات في منهج «سلامة موسى» أنه كان يدعو إلى الإقلال من العناية بالأدب العربي، لأنه أدب الماضي، وليس أدب المستقبل، ولأنه يدع الشباب يعيشون في مجتمع عصري، بعقلية غير عصرية، في نفس الوقت الذي كان يبذل فيه جهوداً عنيفة في شرح الأساطير الفرعونية لإحياء ذكرى الفراعنة ودرس ثقافتهم على أساس أن ذلك واجب وطني، مع أن الأدب الفرعوني أدب ميت موغل في القدم.

وليس من شك أن تلك المفارقات كانت تعكس لنا- بوضوح- مذهب «سلامة موسى» في الأدب العربي، وأقل ما يوصف به أنه بعيد كل البعد عن الإعجاب بالعرب وماضيهم ولغتهم.

الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي شاعراً

بقلم الأستاذة / وفيقة عواد سلامة

يشغل الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي مكانة بارزة، بين أساطين علمائنا الأعلام المعاصرين، الذين يتميزون، بعمق وشمول الثقافة، في شتى المناحي الدينية والأدبية، لاطلاعه الدائب على أمهات الكتب في العربية، وما ترجم إليها، من تصانيف فذة، في النقد والتراجم والسير، وكذلك لعطائه الجم الغزير، الذي يتجاوز الخمسمائة مؤلف، في شتى فنون الأدب والمعرفة، بأصالة واقتدار، ويأتي في مقدمتها، تفسيره لكتاب الله الكريم، عز وجل، في ثلاثة عشر جزءاً.. وهذا يبرز لنا المنزلة العالية الرفيعة، التي احتلها، في عقول وقلوب العديد من أساتذة الجامعات، وطلاب الدراسات العليا، التي يشرف على كثير من دراساتهم، التي يعدُّونها للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، بألمعية وحسن توجيه، واقتدار نَدَرَ أن يدانيه فيه سواه، هذا بالإضافة إلى شاعريته الفذة المحلقة، التي أثمرت العديد من الدواوين الشعرية، حتى ليصعب علينا أن نتحدث عن تصانيفه المتنوعة، أيها نأخذ وأيها ندع لفرصة أخرى.. إلا أن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

ترجمة حياته

هو: محمد بن عبدالمنعم بن خفاجي بن سليمان بن حسين بن مصطفى بن أحمد الخفاجي - ولد بقرية تلبانة مركز المنصورة بمحافظة الدقهلية في ١٠ من رمضان ١٣٣٣ هـ الموافق ٢٢ من يوليو ١٩١٥م وحصل على الشهادة العالية [الليسانس] من كلية اللغة العربيَّة، بجامعة الأزهر، عام ١٩٤٠م، - ثم عمل بالتدريس بمدرسة (الليسيه) الفرنسية بالقاهرة، في الفترة من عام ١٩٤٠م حتى عام ١٩٤٤م وفي تلك الأثناء، حصل على الشهادة التمهيدية لشهادة الأستاذية، عام ١٩٤٤م، أي في أثناء اشتغاله بالتدريس، إلى أن حصل على شهادة العالمية، من درجة الأستاذ: (الدكتوراه) في الأدب والنقد، بعد عامين، أي في عام ١٩٤٦م برسالته القيمة، عن الشاعر العباسي، الخليفة عبدالله بن المعتز، وبعد ذلك انتقل للعمل في كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨م، ثم تدرج في العمل بهذه الكلية حتى صار رئيساً لقسم الأدب والنقد، بها عام ١٩٧٣م، ثم شغل

مركز العمادة لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر (فرع أسيوط) في سنة ١٩٧٤م، ثم عُيِّن عضوا في المجلس الأعلى للأزهر، وعضوا في مجلس جامعة الأزهر في الفترة من ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨م وفي تلك الأثناء اختير عضوا بلجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة ١٩٧٣م، وعضوا في شعبة الآداب في المجالس القومية المتخصصة منذ عام ١٩٧٦م حتى اليوم وفي عام ١٩٨٣م انتخب رئيسا لرابطة الأدب الحديث، خلفا لرئيسها السابق الأستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي، وتُوِّج كفاحه الثقافي الكبير، بحصوله على وسام العلوم والفنون والآداب من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٣م.

وفي سنة ١٩٩٠م حصل الباحث الأستاذ محمد أحمد ابراهيم العربي، على رسالة الماجستير (التخصص)، كان عنوانها [الخفاجي شاعرا] وفي هذا ما يحفزني في هذا المقال، على التحدث عن أحد أبعاد الخفاجي، كشاعر مرموق بين شعرائنا المعاصرين، من خلال صفحات دواوينه العديدة التي تحمل عناوين :ـ

١ ـ وحي العاطفة.
٢ ـ أحلام الشباب.
٣ ـ أحلام السراب.
٤ ـ الديوان الإسلامي.
٥ ـ نغم من الخلد.
٦ ـ على الضفاف.
٧ ـ أشواق الحياة.
٨ ـ أغنيات من عبقر.
٩ ـ نشيد الذكرى.
١٠ ـ نشيد الصحراء.
١١ ـ ملحمة السيرة النبوية الخالدة.
١٢ ـ أحلام المساء.
١٣ ـ أصداء الذكريات.
١٤ ـ أحلام الأمس.
١٥ ـ أحلام الذكرى.

وهذا العطاء الشعري الغزير يبرز بوضوح وجلاء، أن الخفاجي الشاعر، لا يقل شأنا عن الخفاجي ـ الناثر الطاهر السريرة ـ المفعم الوجدان بحب سيد الأنام ـ ﷺ ـ

شـــاعريته

تمتاز شاعريته بالطلاوة والتدفق في ريث وعمق، إلى وجدان القارىء المتذوق، دونما تعقيد لفظي، أو غموض في المعنى مع حلاوة الجرس ودقة الحس وسلاسة التعبير الذي ينم عن لطف روحه، وانقياد مشاعره وأحاسيسه، وأن لديه ـ حقا ـ ما يقوله، بل مالا يملك إلا أن يقوله، حتى حُقَّ للشاعر البغدادي الكبير (هلال ناجي) أن يقول عنه :

أشـــرق النور فـــغـنى
وحـــدا الألحـــان مني
أنا أفـنى من جــــلال
هز وجــــداني وفـني
مــــا على قلبي مــــلام
في هوى النــور اللَّدُني

ويروقنا في ديوانه الذي يحمل عنوان [أشواق الحياة]، تمكنه المذهل من فن الشعر برغم أنه المجال الثاني في ترتيب موهبته الفذة بعد المجال الأول الفني الرصين الذي يستقصي فيه أوابد المعاني وشوارد الأفكار.

ومهما يكن من أمر، لنستمع إليه وهو يحدثنا عن [إنسان القرآن] بقوله :

(اقرأ).. وتهتز السماء بقولها
وحي من الله العزيز الأكرم
ياليلة الوحي العظيم عن الرسا
لة والرسول، عن الكتاب تكلمي

وكيف لا وهذا الإنسان، كما يقول عنه في قصيدة أخرى:

عاش في الناس ثريا بالتقى ومشى
فيهم ذكر عطر
مسلم فوق العلا جبهته
خاشع في عزة المنتصر
بين يمناه كتاب نيّر
بالآيات الكتاب النيرْ
كان كالواحة في البيد يُرى
كان كالظل.. بواد مقفر

ويحق لشاعرنا أن يتوقف ويتعجب، لمرور الأيام في عمره المديد الخصب المثمرة كأطياف الأحلام فيقول:

ويْ لأمس ولأيامي ويْ
ولليلي ونهاري العبقري
المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت ـ بدداً ـ من راحتيّ ؟

إلا أن حديث الذكريات الرائعة الحبيبة إلى نفسه، سرعان ما تستغرقه فلا يملك إلا أن يقول في لجواه لموئل العلم الأعظم: الأزهر الشريف، فيقول مناجيا له بتوق وحنين:

في كل ركن من جوانبك العُلا
شمس تضيء وكوكب بك نيِّرُ
حرم الكنانة قد حميت زمارها
ودفعت عنها ما يذل ويقهر

إلى أن يقول:

والدين لم ينشره إلا فتية
نشأوا بروضك مُونقاً وتبختروا

وغالبا ما يمزج الحكم والدروس المستفادة، من خبرته المستفيضة، بالحياة والناس، بكل نوع من أنواع شعره، في أسلوب سلس رقيق، كقوله بقصيدته (الشهداء):

بطولتهم.. لكل فتى نشيدٌ
وذكر فدائهم أبداً جديد
ومجد جهادهم في الدهر باقٍ
يضن به على الدهر الخلود

ثم يصفهم بأنهم:

أباةُ، والأبي يعيش حرا
كأن مضاءه القدر العتيد
يثور على الحديد فلا حديد
ويزأر في القيود.. فلا قيود
وينهض للعظائم في جلال
ويفعل ما يريد كما يُريد

وكم يذكرني بشهدائنا في مدينتي الباسلة (السويس) الذين ثووا في بقعة واحدة، خاصة بهم هم وحدهم فحسب، متميزين في رقدتهم عن سائر الموتى، لتظل ذكراهم عالقة بالأذهان ـ كل ذلك أتمثله أمامي واضحا جليًا في قول أستاذنا الدكتور الخفاجي بعد ذلك:

قبورهمو تفوح شذى وعطرا
ويحيي ذكرهم بر وجود
وفي البيداء تخشع من جلال
ويخشع من جلالتها الوجود
كسى الشهداء تلك البيد مجدا
تشيد بذكره أرض وبيد

إلى أن يقول في هذه الخريدة المتفردة:

لمصر، مجدها، للشعب: ساروا
وفى فمهم أمانيها نشيد

ويقول:ـ

وللشهداء عند الله فضل
ويعذب في ثنائهمو القصيد
على الأبرار إخوتنا سلام
وحسبهمو الشهادة والخلود

ثم يحدثنا حديثا عذبا شهيا، عن ذكريات (يوم الميلاد)، فيشدنا إليه ويجعلنا معه، مشغوفين مأسورين بعصارة تجارب عمره المديد، حين يصوغها لنا شعراً قويا، نابضا بالحياة، فيقول:

بين أرض الريف الجميلة نشئت
وشمت الحياة صحواً وغيماً
وحملتُ الأعباء طفلا صغيرا
وحسمتُ الأمور بالعزم حسما
وبنيتُ المستقبل الضخم صرحا
ودعمت البناء وحدى دعما

إلى أن يقول:

أنا روح تسير للعالم الأعلى وللمنهل المقدس نظْماً
سرتُ بين الأشجان أحمل قيثا
راً من الشعر يشحذ الصدر عزما
أملأ النفس همة ورجاء
واصطبارا على الخطوب وحلما

وهذه القصيدة تعدّ، في اعتقادى، أشبه ما تكون بسيرة ذاتية لأستاذنا الدكتور خفاجى، جاحظ العصر الحديث، بل هى وثيقة نفسية نادرة، تستقرئُ منها مراحل إبداعه، وأداء رسالته العلمية الشامخة.. ويدلنا على ذلك قوله في ختام القصيدة.

لا أبالى في المجد حمدا وذما
وعتابا ولست أسمع لوما

أنا قلب مُصوَّرٌ من سلام
لم أرش في الخفاء للناس سهما
أنا أشدو بالخير لحنا جميلا
لم أدنس ما مضى بالشر لؤما
أنا بين الرجال أنف عزيز
لست أرضى لغير ربى حكما
يا لذكرى (ثانى وعشرين يوليو)
أنت كالروح لى وأقرب رحما

وحينما يتلفت حوله، ويجد مَنْ دونه علما ومعرفة، قد ارتقى لسُدّةٍ لا يستحقها، لأنه غير مؤهل لها (وإذا وُسِّد الأمر لغير أهله)، انتهى إلى سوء العاقبة والمآل، الأمر الذى حدا به أن يقول، تحت عنوان (الحياة والشاعر).

رقد الليل ونام السامر
ورنا نحو النجوم الشاعرُ
ساهد في معبد الفن يصوغ أناشيد الأمانى ساهر
عابر في زورق الآمال يسبح بين شاطئيها حائر
عاثر الحظ يروم النجم كيف ولم يدرك مداه الناظر
هدف ترميه أيدى الدهر ما
شأنه، ما أمسه ما الحاضر؟

إلى أن ينتهى إلى قوله متهدّجاً آسيا:

صادح والخير أنشودته
والحياة الشر فيها.. الظافرُ!
جدٌ والحرمان في أعقابه
وجدال العيش منه ساخر

ثم يطلق هذه الزفرة الملتاعة، في البيت الأخير من القصيدة:

آه من دهرى ومن أشجانه
ضل في فهم الحياة الخاطر

وفى ختام مقالنا نقول: حيا الله أديبنا الكبير العلامة، ذخر الأزهر، الأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى وبارك فيه وعليه وبالله التوفيق.

خميلة الشعر

للأستاذ:

محمد عبدالوهاب

فى سعيه الدءوب نحو المثالية والكمال، قام الإنسان- عبر تاريخه الطويل- بتجارب ومحاولات لا تنتهى، لتحسين ظروف حياته وتعديل مساراته باتجاه الهدف الذى ينشده، ولأنه متكلم، فهو يتخذ من الكلمات- التى هى وسيلته فى التعبير- أداة عظمى لتحقيق ما يصبو إليه من آمال لا حدود لها.

فالكلام عند البشر، يكتسب أهميته وخطورته، على مر الأزمان والأجيال، لكونه وسيلة التفاهم الأكثر نضجاً وفاعلية، ولأن الإنسان يختزن فى عقله المعارف والتجارب المختلفة، التى اكتسبها من خلال تعامله مع غيره، ومع الكون الرحب الذى يحيا فيه، فقد جبل على الشغف بنقل هذه المعارف والتجارب إلى بنى جنسه، يعطيهم ويأخذ منهم.

ولم يقتصر عنصر الكلام عند البشر، على نقل المعلومات فقط ولكنه اتخذ أنماطاً متعددة أكثر تعقيداً وكثافة، فهو وسيلة لنقل الصور الخيالية، التى يخترعها الإنسان من خلال قدرته على التصور، لذلك فقد استطاع أن يضيف إلى الأخبار الجافة، عناصر التشويق والإثارة، رغبة منه فى الاستحواذ على اهتمام مستمعيه، فنشأت القصص الخيالية والأساطير، التى تحولت على مر العصور إلى ملاحم شعرية فذة تتناقلها الأجيال، وتتغنى بمواقف البطولة الرائعة فيها، فوصلت إلينا فرائدها، كالإلياذة، والأوديسة، والإنيادة، من الغرب، والشاهنامة وألف ليلة وليلة من الشرق.

أما بالنسبة للعرب، فلأن الشعر كان قبل الإسلام، هو ديوانهم الأوحد، فلما أنزل الله القرآن، ملك ألبابهم، بروعة بيانه، وسمو معانيه ونظامه، فأخذوا يتدارسونه، وينهلون من منابعه القدسية الصافية، راجين مثوبة ربهم ورحمته، فى الدنيا والآخرة، عاملين بتعاليمه السامية، حتى رفعهم الله فوق العالمين، فكانوا بحق كما وصفهم ربهم -سبحانه وتعالى-:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١)

هذا وخميلة الشعر فى هذا العدد من مجلة الأزهر الغراء تقدم قصائد شعرية يفوح منها أريج الإيمان، نستهلها بقصيدة الشاعر الأزهرى الكبير فضيلة الشيخ محمد عبدالرحمن صان الدين وهى بعنوان: نحن (على سفر) وبعدها نقدم قصيدة: (شهداء مؤتة) للشاعر الأستاذ أحمد عبدالهادى ثم نختتم جولتنا المباركة بقصيدة بعنوان: (يأيها الصرح الكبير تحية) للشاعر أ. د. عبدالمنعم عبدالله حسين.

اللهم هيىء لنا الخير واهدنا سبل الرشاد

والله ولى التوفيق

---

(١) سورة آل عمران (١١٠)

نحن على سفر.. إلى الآخرة

للشاعر: محمد صان الدين

العقل يبصر إن صفا ما قد تواري عن عيون ثاقبات واستتر

لكن سر الغيب عنه مُحجَّب ... خافٍ كما رب الخلائق قد أمر

لو فكر الإنسان في العقبي لذاب فؤاده بين الجوانح وانفطر

دنيا بما يجري عليها من رفاء أو شقاء لابن آدم مختبر

البَرُّ فيها بالمكاره يبتلي ... لينال رضوان المهيمن إن صبر

ويكون مأواه الخلود بجنة ... فيها نعيم ليس ينفد مدخر

أما الذي يمشي على حرف إذا ... ما مسه ضر تجهم أو جأر(١)

ويجيء في يوم الجزاء مكبلا ... بقيود أوزار فيقذف في سقر

حتى وإن صلى وصام وقلبه ... فيه الولوع بكل زاه قد وقر(٢)

لا يقبل الرحمن إلا طيبا ... من طيب في قلبه نور القمر

يا ويل إنسان يلاقي ربه ... بكبائر في عيشه لا تغتفر

والفتنة الكبرى التي تعمي اكتناز المال في جوف الخزائن والبِدَر(٣)

وكأنما الأموال تصحب كانزا ... عند الرحيل، وقد تواري في الحفر

إن الذي يقضي ضليلا نحبه ... يصلى جحيما قد تلهب واستعر

فاقض الحياة محصنا من رجسها ... فلطالما أغوت مفاتنها الفكر

لا تحسب الدنيا مقرا دائما ... بل أنت فيها يا غرور على سفر

فلرب شيخ طاعن في سنه ... يحيا طويلا في سقام أو ضجر

وفتى يفيض نضارة وتوثبا ... ولى عن الدنيا حثيثا واندثر(٤)

ما قد جرى أو ما سيجري في الوجود وفي الحياة مسطر بيد القدر

سر الوقائع في الحياة مغيب ... عن علم جن أو ملاك أو بشر

---

(١) جأر: صاح.

(٢) وقرت: استقر وسكن.

(٣) البدر: أكياس المال.

(٤) حثيثا: سريعاً، اندثر = تلاشى.

يا رب عبـــدك لا تكِلْه لفعله ... إن بُر في ســر وجهــر أو فجــر

أنت الذي ألزمت نفسـك رحمـــة ... تهمي على عبـد يخافك كالمطر (*)

يأيها الإنسان لا تيأس فإن اليأس مبعث كل خـزلان وشـر

وانظر إلى غيـــر الزمـــان بفطنة ... مستجليا منها المواعظ والعبـر

لتعيش في دنياك عن خدع المفاتن والمعاصي الموبقات على حذر

فتغض عنهـا طرف عينك زاهدا ... فيهـا فمـا عن رحلة الأخرى مفـر

لا تهجـر الدنيـا ولا المسعى بها ... والدين فيـه لمن تنكب مـزدجـر

واسجـد لربك شـاكـراً نعمـاءه ... فـالله يجـزل في العطاء لمن شكر

شهداء مؤتة وبطل الانسحاب العظيم

شعر / أحمد محمد عبدالهادي

في أرض مــؤتة (قف بنا يا ساري) ... نصغي معـاً لصدى عباد البـاري

لثلاثة الشـهـداء، ثم لرابع ... قـد كـان مثل الصارم البتـار

أو صاحمو خيـر البرية وانقاً ... من بذلهم: أن يذهبـوا للثـار

قتل السـفيـر اليـازدي بمهمـه ... في الرامــتين على يد الكفـار

قتلوه دون جـريرة أو هفــوة ... لكنمـا هي شيمـة الغـدار

فلذاك أرسلهم لتعـرف عـزة الـ ... إسلام واضحـة وضوح نهـار

وكـذاك أرسلهم لترفع راية الـ ... ـتوحيـد في الوديان والأمصـار

***

نادى الثلاثة دون أي تحيــز ... لمهاجـر يبدو مع الأنصـاري

قــال: اللواء بكف زيد قبلكم ... فـإذا مضى فلجعفـر الطيـار

(*) تهمي: تنزل بغزارة.

ثم اللواء أراه لابن رواحة إن قابلا المولى بتلك الدار
لبى ثلاثتهم نداء نبيهم ومضوا بعزم لافح كالنار
يبغون للإسلام رفع لوائه فهمو جنود الواحد القهار

***

في مؤتة الإقدام كان رجالنا مثلا لكل مجاهد مغوار
لاقوا من الأعداء أعداداً بدوا كالنمل فوق الترب والأحجار
لا ليس كثرتهم فحسب مخيفة بل سلحوا بوسائل لدمار
وإذا رأيتهمو حسبت جموعهم كالجان قد غطى السما بغبار
من أرض أرمينيا وقبرص والنقى بهم الموالى فى قرى وقفار
وتحفزوا لما رأوا أصحابنا فى قلة جاءوا لأخذ الثار

***

وهناك أوجس خيفة من هالهم حشد العدا واستشعروا بصغار
ويقول بعضهمو: أرسل صارخاً يستصرخ الهادى لأخذ الثار
لكن عبد الله قال لهم: ألا فلتثبتوا ومن النكوص حذار
إنا نقاتلهم لتعلى راية الـ ـتوحيد لا لثرى ولا لنضار
والله إن يشأ انتصرنا رغم ما نبدو ضعافا دوهموا بحصار
أو كان الاستشهاد فهو أعزُّ ما نبغى للقيا الصحب والأبرار

***

فتقبل القواد هذا الرأى إذ كانوا أباةً من رجال نزار
وأمامهم ذاك المكرم ذكره في محكم القرآن قول البارى:
أعنى به زيداً ورافع راية للحق فى ذاك اللقاء الضارى
وتقاتل الجيشان دون تكافؤ وإذا الدم المهراق كالأنهار
ويقول للأصحاب: هيا فاصمدوا ولتلتقوا بالخصم فى إصرار
واستشهد المقدام زيد وهو فى عزم الشجاع وصولة الكرار

فتلقف المغوار جعفر راية الـ … إسلام وهو يجول كالإعصار
وتدافع الأشرار حول جواده … ورموه بعد الطعن بالبتار
وتقطعت أوصاله ومحافه … مستشهداً في جنة الأطهار
ومرفرفا مثل الطيور بساحها … فغدا الهزار لجعفر الطيار

***

وتلقف ابن رواحة من بعده … ذاك اللواء ومعليا للصارى
لكن جيش الكفر أطبق حوله … في خسة وضراوة الأشرار
ومناهم استئصال خير كتيبة … لله قامت دونما إجبار
كي تنشر الحق المبين تطوعاً … في الله، سعياً في رضا الغفار

***

ورسول رب الناس يحكي ما يرى … لم ينتزع من فحزن الأخبار
واهتز بعض المسلمين وروعوا … في الملتقى المحموم ذى الأضرار
إذ شاهدوا ابن رواحة مستشهدا … والراية العظمى بلا خطار
ورأى ابن أرقم راية الإسلام تهـ … ـوى فجأة فأقالها من عار
ودعاهمو: اصطلحوا على رجل له … وزن عظيم الشأن والمقدار
وإذا الجميع يقول: دونك خالدٌ … فهو الهمام على مدى الأعصار

***

ورأى التناوش للعدو وسيلة … لخلاصهم من قبضة الكفار
حتى إذا جاء المساء تسللوا … بحصافة تشدو بها أشعارى
لكنما القوال والأطفال قد … قالوا: أتوا ككتائب الفرار
والصادق المصدوق قال: تأدبوا … فسيخرجون غداً مع الكرار
صلى عليك الله يا خير الورى … ربيت خير الصحب بالإيثار
ودعوتهم باسم الجهاد فجاهدوا … وبنوا بفضل الله خير منار

في منح (جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام) للأزهر الشريف

يأيها الصرح الكبير تحية

للدكتور/ عبدالمنعم عبدالله حسن

في مصر نيلٌ، بل هما نيلان — فالأزهر المعمور نيل ثان

نهر تدفق بالعلوم ولم يزل — يهمي بفيض عطائه الهتّان

ويصب في كل الجداول نبعه — في كل ناحية وكل مكان

نهر يباركه الإله، يصونه — يحمي خطاه على مدى الأزمان

***

نهر على شطيه يأتلق الهدى — فترى الضياء بواحة القرآن

وترى الشموخ ترى الجلال ترى السنا — والمجد إذ تعليه مئذنتان

وكأن مئذنتيه رمزا شرعة — رفع الهدى ببنائها ركنان

هذا هو القرآن خير دعامة — والسنة العصماء، يقترنان

نشرا على الأفق الرحيب ضياهما — الله أكبر، أشرق النوران

ما ضل بعد «محمد» متمسك — بهما على التقوى على الإيمان

والأزهر المعمور حصن هداهما — فهما به في عزة وأمان

لهما مضى يدعو، وتلك رسالة — دوماً يؤديها بكل تفان

***

ملأ الزمان دعاته، وشيوخه — جند الحمى في ساحة الرحمن

قد بينوا للناس منهج ربهم — في حكمة، وبلاغة، وبيان

والأزهر المعمور ينشر علمه — عبر الحياة لرفعة الإنسان

في الفقه في التفسير في سنن الهدى — والضاد تُحفظ في أجل لسان

وبكل علم نافع، فعطاؤه — متعدد الأشكال والألوان

***

يأيها الصرح الكبير تحية — إذ كرموك، ويشهد الحرمان

منحوك جائزة المبجل «فيصل» — في خدمة الإسلام بالأوطان

ومضى «الإمام» مكرماً في محفل — قد حف بالتكريم والعرفان

يا مصر يا أم المفاخر بوركت — تلك الجهود بظلك الفينان

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

أطفال حول الرسول

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

إعداد
إبراهيم حسن الجمل
محمد صديق المنشاوى

الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع

● عزيزى الطفل المسلم بعد أن انتهينا فى الأعداد السابقة من عرض : التفاسير والقواميس القرآنية الخاصة بالطفل، نقدم فى هذا العدد نوعية أخرى من كتب الطفل، وهى خاصة

بالأطفال الذين عاصروا الرسول ـ ﷺ ـ وكانت لهم مكانة مرموقة بين المسلمين، خاصة، وأن الطفولة قبل الإسلام ـ لقيت من العرب في الجاهلية قسوة وعنفاً وبخاصة الإناث، إلى أن جاء الرسول ـ ﷺ ـ ليلقنهم أسلوباً جديداً في التربية والمعاملة الحسنة.

● ولقد كان حول الرسول أطفال هم أبناء المدرسة الإسلامية العظيمة التي أقامها، وكان لهم أسوة حسنة، وقد علَّم آباءهم كيف يعلمونهم ويربونهم، لذلك شبوا رجالا حقيقيين، وأبطالاً خالدين. وهكذا تربى هؤلاء الأطفال في أحضان آبائهم ورسولهم الكريم يتعلمون منه الحق والأمانة والشجاعة والحب، ويسيرون على نهج رسول الله وصحابته الكرام البررة.

● لقد تحدث المؤلف عن الأطفال في هذا العصر، وكيف كان ارتباطهم برسول الله

بدأ الكتاب بعبدالله بن عباس، الذي تحدث عن مولده حتى وفاته حيث إنه ولد في بداية الدعوة الإسلامية، ثم أشار إلى هجرته وتربيته في بيت النبوة ورؤية جبريل ـ عليه السلام ـ عندما أخبر ابن عباس أنه رأى جبريل ـ عليه السلام ـ مرتين، ثم نبوغه العلمي مبكرا وجهاده. ولقد كان ابن عباس عالما بالقرآن وعلومه، والفقه وضروبه، والتاريخ وأيامه، والشعر والشعراء، واللغة وأيام العرب.

● أيضا تحدث عن ابن الحواريين: عبدالله ابن الزبير منذ بدء حياته وهجرته جنيناً.

● ثم أشار إلى ابن الزبير وفصاحته صغيراً، وزهده وعبادته، وجهاده، ورجاحة عقله، ورأيه، ثم خلافته للمسلمين وتجديده للكعبة، ثم مقتل ابن الزبير.

وقد ضم الكتاب الفقيه الأوّاب: عبدالله بن عمر، حيث عرض الباحث نسبه ونشأته وحبه للنبي وللجهاد، ثم ترشيحه للخلافة ورفضه للقضاء، والولاية، وعطفه على الأيتام، وعلمه وفقهه واستشهاده.

● وضم الكتاب قارئ الكتابين عبدالله ابن عمرو وقصته مع الصحيفة الصادقة وإجادته السريانية، واشتراكه في محاربة المرتدين، ثم دخول مصر ونصائح النبي ـ ﷺ ـ له.

● أيضا أشار الكتاب إلى الحسن بن علي وهو سبط النبي وريحانته، وتوليه الخلافة، وجوده وكرمه، ووقاره وهيبته، وحلمُه بالأعداء، وعلمه وفقهه.

● ثم عرض الباحث قصة الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة، من حيث مولده ونشأته وعلمه وبلاغته، وأقواله وحكمه وجهاده واستشهاده.

وأيضا من هؤلاء الأطفال: أنس بن مالك خادم النبي ـ ﷺ ـ وأسامة بن زيد القائد الصغير، وأكرم العرب، وأفصح الناس سعيد بن العاص، وكفالة النبي ـ ﷺ ـ عبدالله بن جعفر.

● وهكذا عزيزي المسلم أخذتنا هذه الرحلة الطويلة مع هذا المؤلف، الذي ضم الكثير عن حياة هؤلاء وكيف كانت مملوءة بالحب والإخلاص، والتفاني، والجهاد في سبيل الله، وإعلاء كلمة لا إله إلا الله.

مذاقــات في عالم التصوف

تأليف الدكتور/ حسن عباس زكى

تحقيق وتقديم/ خديجة النبراوى

الناشر/ النهار للطبع والنشر والتوزيع

● أعزائى القراء عندما أمسكت هذا الكتاب توجست خيفة، وتملكتنى الحيرة، وسبحت فى تيار لا أعلم مدى خطورته ألا وهو تيار التصوف، الذى أكتب عنه للمرة الأولى، فى مجلتنا هذه، متناولاً هذه التجليات النورانية، لعالم ورع من علماء التصوف، الذين يتابعون حركة الفكر العالمى وتطور أساليب الفهم والإفهام، والإقناع والاقتناع، والبحث المقارن الموزون، وهو العالم المحقق الدكتور حسن عباس زكى الذى أحب التصوف من سويداء فؤاده؛ لأنه وجد فيه مبتغاه وهواه، وبذلك بذل كل جهده فى سبيل دحض كل ادعاءات تشوه وجهه المشرق الوضاء، أو تدنس هذا العلم الروحانى، الذى يمتاز بالتقوى والإيمان الصادق.

● المؤلف يبحر فى عالم التصوف : وهو ذلك العالم الحقيقى الذى يتقرب به الإنسان من حضرة الله ورسوله حيث استضاء قلبه بالأنوار الإلهية، وانشرح صدره بالحقيقة المحمدية.

● والتصوف ليس له حدود، أو تحدد له أسس راسخة، ومعالم واضحة، لأنه علم ذو طبيعة خاصة.

● والمؤلف يعرض لنا بعضا من حصيلة خبراته ومذاقاته، فى عالم التصوف، لتكون زاداً لكل من يسلك هذا الطريق، ونوراً يشحذ عزيمتهم، ويدفع همتهم، وهدى يهتدى به الحائرون.

● ويعرض التصوف بالاسترشاد بمنهج الله فى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة بما يتناسب مع العقول وتشتاق إليه القلوب، حيث يجمع بين علوم الحقيقة وعلوم الشريعة.

● تناول بعد ذلك أضواء على التصوف قائلا: «ليس كل من ادعى التصوف، يعتبر متصوفا؛ بل هم رجال لهم دلائل وعلامات يعرفها أولو البصائر.. إنهم صفوة عباد الله، الذين ألبس قلوبهم ملابس العرفان، وخصهم من بين عباده بخصائص الإحسان».

● قدم ـ أيضا ـ فى كتابه هذا: (التصوف أشرف العلوم) و(الصوفى والحياة) و(البداية والمسافة والنهاية).

● وشرح الدكتور حسن التقوى قائلا : «التقوى نوعان: تقوى فرض، كالنهى عن المعاصى، وتقوى زجر وأدب، وهو مانهى عنه تأديبا، وهو فضول الحلال كالمباحات المأخوذة بالشهوات».

ثم تحدث عما يجب مراعاته لتقوى الأعضاء الخمسة: العين، والأذن، واللسان، والبطن، والقلب.

● طرح ـ أيضا ـ بعض المجالس مع المريدين، وأدعية الصالحين، وشرح تعريف العارفين لبعض المفاهيم.

● وعرَّف الهوى، بأنه صدأ يعلو العقل، فلا تنطق فيه صور الحقائق.

● وبين قواعد التصوف قائلا: «إنها العمل امتثالا لأمر الله ـ تعالى ـ والصوفي لايسكن إلى هذه الدنيا والمؤمن فرحه في باطنه، وحزنه في ظاهره، سترا للحال.

● ثم تحدث المؤلف عن الرضا بالقضاء والقدر وأهمية الأنفاس، وحياة القلوب والوهم والغشيمة والظلم والبلايا قائلا: «فيها أشد الناس بلاء ـ الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل فلاتحزن لأجله، إذ هو لايتسلط في القلب، إلا على أهل الصدق والمحبة، إذ به تحصل لهم الزيارة إلى ربهم».

● ثم تحدث عن أنواع الرزق، والطريق الى العبودية الحقة.

● وطرح ـ أيضا ـ قطوف من أزاهير الرياض، ومعالم على طريق الوصول. وأنواع النفوس: نفس أمارة، ونفس لوامة، وملهمة، ومطمئنة، وراضية، ومرضية، وكاملة.

● وأخيراً قدم المؤلف الصوفي د. حسن إجابات عن أسئلة السالكين، عن مفهوم العقيدة. والتوازن بين المادة والروح، أيضا عن السعادة، وعن الآفات، وكيف يمكن التعرف على آداب العبودية. وماهي الخواطر، وطرح منها أربعة أقسام، وكيفية وصول السالك إلى حقيقة التوحيد.

● وطرح أيضا بعضا من تراث الصوفية.

● لقد عشنا مع هذا الأستاذ والعالم الصوفي، الدكتور حسن عباس زكي الحصاد الذي جمعه في جولاته، في عالم الملك والملكوت، في محاولة منه إلى دعوة الناس إلى مايحييهم بعد إماتتهم المادية الطاغية وذلك بعرض مذاقات الصوفية المستنيرة لإحياء القلوب وإخراجها من ظلمات المادة والأهواء والشهوات، إلى أنوار الحق المبين، واتباع نهج النبي الأمين.

سيوف الرسول ﷺ وعدة حروبه

تأليف/ الفريق محمد حسن التهامي

الناشر/ هجر للطباعة والنشر والتوزيع

كتاب: «سيوف الرسول ـ ﷺ ـ وعدة حربه» من تأليف الفريق محمد حسن التهامي، ويقع في ٤٨٤ صفحة من القطع الكبير، وقامت بطبعه شركة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان بالمهندسين ـ جيزة على ورق فاخر وتضمن الكتاب: الإهداء إلى هذه الأجيال التي عاشت صابرة السنين العجاف من عصر أمتنا هذه، ثم صاحت ضمائر الرجال من أولي العزم والبصائر: «وا إسلاماه» وبدت في الأفق بوادر صحوة الإيمان وعزم على الجهاد..

ثم تحدث عن السيف عند العرب وأفاض الحديث عنه، ثم سيوف النبي ـ ﷺ ـ وأنواع هذه السيوف النبوية المباركة التي منها: المأثور ـ العضب ـ ذوالفقار.

الأمانات المقدسة النبوية الشريفة، التي منها سيفين لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبردة لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وشعرات لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وكان السلاطين قد جمعوها واحتفظ

بعضهم بها فوق رأسه في مكان نومه ـ ثم أثر قدم لسيدنا رسول الله ـ وكذا مفتاح الكعبة وقفل ومحفظة كانت على الحجر الأسود من الذهب الخالص وتزن حوالي خمسة عشر كيلو جراما، وخاتم مصنوع من حجر العقيق، وقد توجد شعرات الرسول ـ ﷺ ـ بأماكن كثيرة كما أشارت المصادر الموثوق بها، ويستعرض المؤلف نماذج من شعرات الرسول ـ ﷺ ـ في إسلامبول. كما يحتوي البحث على: كتاب سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ إلى المقوقس عظيم القبط في مصر ـ وغزوات الرسول ـ ﷺ وهذه الغزوات إنما هي معارك لتثبيت دولة التوحيد حتى قال اسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يابني إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها، ويقول الإمام علي زين العابدين: «كنا نعلم مغازي رسول الله كما نعلم السورة من القرآن». ثم تحدث المؤلف عن الغزوات بالتفصيل وترتيبها وتاريخها وكيفية تنظيمها وختمها بغزوة تبوك تحت رقم ٢٩ في شهر رجب من السنة التاسعة (سبتمبر ـ أكتوبر سنة ٦٣٠م).

ثم تحدث عن سيوف سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ بالتفصيل والشرح مصحوبا بصور وشكل كل سيف ـ ثم خصص حديثا عن السيف البتار لرسول الله، وأنه كان سيفا لسيدنا داود ـ عليه السلام ـ وغيره من الأنبياء وقد غنمه سيدنا رسول ـ ﷺ ـ في غزوة بني قينقاع وقد صحب هذا الشرح صورة للسيف ـ وكذا السيف قلعي ـ والسيف حتف وقد غنمه الرسول في غزوة بني قينقاع ثم صار للإمام علي وهو أثقل السيوف وزنا وأشدها وطأة في الجهاد ـ والسيف الرسوب ـ والسيف المخذم.

ثم سيوف الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ ومنهم سيف أبي بكر الصديق الذي كان يدافع به عن رسول الله ـ ﷺ ـ في بدر وهو في العريش وصورة له ـ وسيف عمر الفاروق وصورة له ـ وسيف عثمان بن عفان وصورة له ـ وسيوف خالد بن الوليد ـ وسيف شرحبيل بن حسنة ـ وعمار بن ياسر والزبير بن العوام ـ وعدة الحرب: أقواس الرسول ـ ﷺ ـ والعصا ـ الدبابة ـ المنجنيق ـ راية الرسول وأسماؤها ـ الألوية ـ وخيله ـ وفروسيته ـ ﷺ ـ والخيل والفرسان ـ والجيش الإسلامي: نظرة في أصول تكوينه وكل مايتعلق بالجيش ـ وختم الكتاب بآيات من كتاب ربنا ـ سبحانه ـ لكي يتدبرها المجاهد في سبيل الله ـ ثم خصوصيات الرسول ـ ﷺ ـ وبعض خطبه حول الجهاد ـ والملاحق المشتملة على بعض خطبه ـ ﷺ ـ وأسماء أصحاب بدر ـ ونسبه ـ ﷺ ـ وكذا لوحات عن سلاح النبي ـ ﷺ ـ ووقائعه.

وأخيرا فالمؤلف جدير بالاطلاع حيث بذل فيه مؤلفه جهدا كبيرا فجاء مفيدا في موضوعه، شاملا له، ولاعجب فمؤلفه رجل مارس العسكرية فكان ثمرة خبرة وحب لسيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وصحابته البررة ـ وأثبت المؤلف وجود هذه الآثار بين ظهرانينا اليوم بتأصيل تاريخي وبحث موضوعي وبين مكان وجودها وتاريخ كل سيف منها ودور كل من أمسك بها من خيرة البشر الذين كانوا سيوف الله في الأرض، ولعل في هذا باعثا لنا على النهج على منوالهم حتى نسعد في الدارين والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

قطــــوف من الشمائل المحمدية

جمع وترتيب/ محمد بن جميل زينو
الناشر/ مكتبة أولاد الشيخ بالعمرانيــــة

أيهــا القــارىء المسلم : إن الكلام عن رسول الله ـ ﷺ ـ يسعد البشرية، ويضيىء طريقها، والكتابة عنه أعظم شرف للصحيفة التي يكتب عليها، والقلم الذى يكتب به، واليوم نقدم قطوفا جميلة من شمائله، وأخلاقه النبوية ليقتدى بها كل مسلم فى أخلاقه وآدابه وتواضعه وحلمه وشجاعته وكرمه وتوحيده ـ ﷺ ـ لربه.

البداية فى هذا الكتاب مع مولده ـ ﷺ ـ ونسبه، ووصفه، وفضائل الرسول وصفة نومه، وطيب رائحته، وقراءته، وصلاته وصومه وعبادته، وصفة كلامه، وزهده وعيشته.

وطرح الكتاب رؤية الرسول، ووفاته، وطرح ـ أيضا ـ بعضا من أخلاقه، ودعائه وعفوه، وحلمه وصبره، ورفقه، ورحمته، ورحمته بالحيوان، عن سهيل بن الحنظلية قال «مر رسول الله ـ ﷺ ـ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة»[1].

أيضا تحدث الكتاب عن كرمه، وعدله، وحيائه.

واشتمل ـ أيضا ـ على آداب الرسول ـ ﷺ ـ مزاحه، ولباسه، الذى ضم القميص والعمامة، والجلباب.

واختار جامع الكتاب بعض الأمور التى تهم المسلم، كلباس المسلم، والمسلمة، وزينتهما، ونظافتهما، ومصافحتهما، وآداب العطاس والتثاؤب.

---

(١) أخرجه أبو داود وحسن إسناده الأرناؤوط.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

خلق الإسلام

إن أشد الأخلاق رسوخاً لدى الناس، هى تلك الأخلاق الموروثة عن الآباء.

وما أعظم أن تكون تلك الأخلاق مستقاة عن الدين الإسلامى الحنيف، حتى لا نشك للحظة أننا نتخلق بأخلاق عظيمة، فلا يبعدنا عنها بريق فكر هابط، أو نبرات زائفة.

ولا شك أننا نعيش فى صراع -بعد كل هذه الاختراعات الحديثة- صراع لا ينتصر فيه إلا الواثقون بإيمانهم وقيمهم، وليس الواجب علينا نحن -المسلمين- أن نثق فقط بقضيتنا، لكى لا نذوب فى بحار هذه الغربة. بل الواجب علينا أن نثبت للعالم بأسره أهمية ما عندنا من قيم وأخلاق، وأنها الأجدر بالاتباع، ولن يكون ذلك إلا بممارسة حقيقية منا جميعاً فيما بيننا من ناحية وفيما بيننا وبين جيراننا من الناحية الأخرى.

● وعن خلق الإسلام وردت هذه الرسالة، من القارىء علاء الدين حسن -من سوريا- الحسكة- يقول فيها:

ـ قال الله -تعالى- فى كتابه الكريم:

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت / ٤٠]

وقال رسول الله - ﷺ -:

«الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان» [رواه الستة]

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى: لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» [رواه الترمذي]

وسُئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن قول الله - تعالى -:

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ .
[غافر/٣]

فقال: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله، شديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله.

وشهادة لا إله إلا الله مرتبطة بـ: محمد رسول الله. وما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا وفُتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيها شاء.

وقد أمر نوح -عليه السلام- ابنه أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فإن السماء والأرض لو جُعلتا في كفة، ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى، لرجحت كفة: لا إله إلا الله.

● أما عن -إماطة الأذى- فقد قال -ﷺ-: «رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شوكة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين». [رواه البخاري]

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «إياكم والجلوس بالطرقات».

قالوا: يا رسول الله! ما لنا من مجالسنا بدٌّ، نتحدث فيها. فقال - عليه الصلاة والسلام -: «إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه».

قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟. قال: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» [متفق عليه]

وهذه القيم الخلقية هي من خصائص المسلم، قال - تعالى -:

﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾

[النور/ ٣٠ - ٣١]

وذكر ابن القيم -رحمه الله- فوائد غض البصر فقال: إنه امتثال لأمر الله، ويمنح إشراقاً للعين، ويسد أبواب جهنم، ويغلق أمام الشيطان مدخله إلى القلب.

● والحياء شعبة من الإيمان، وهو خُلقُ الإسلام، ولا دين لمن لا حياء له، والحياء لا يأتي إلا بخير، وأول الحياء: الحياء من الله -عز وجل- وهو أن لا يرى الله -تعالى- عبده حيث نهاه، وقد قال- عليه الصلاة والسلام -: «استحيوا من الله حق الحياء». قالوا: إنَّا نستحي والحمد لله. فقال: «ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء». [رواه الحاكم والترمذي]

وكان عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياءً، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها.

ومن مواطن الحياء أن لا يتحرك لسان المؤمن إلا باللفظ الطيب الكريم، وأن يبتعد عن مواقع الشبهات، وأن يعرف لأصحاب الحقوق منازلهم..

والحياء في النعمة شكر، وفي المصيبة صبر، وفي الحديث صدق، وفي المال سخاء، وفي المعصية توبة..

أما الذى حُرم خُلقُ الحياء، فقد صَحّ فيه قول النبي الكريم: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت». [رواه البخارى]

فغش البائع من عدم الحياء، والنفاق والنميمة من عدم الحياء، وإفساد روابط المحبة من عدم الحياء، وإلحاق الأذى بالآخرين من عدم الحياء.

ولله در القائل:

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ

قيل لرسول الله – ﷺ –: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، لكنها تؤذى جيرانها. فقال –عليه الصلاة والسلام–: «لا خير فيها، هي في النار».

والحياء مطلوب دائماً إلا عندما يسأل الإنسان عن أمور دينه. تقول عائشة –رضي الله عنها–: «نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين».

● ولو اتصفنا بهذا الخُلقُ الرفيع لحققنا الثقة والاطمئنان، ولانعدمت الجرائم الأخلاقية والمفاسد الجاهلية، فلنمتثل هذا الخُلقُ الكريم حتى نفوز مع الفائزين.

كلمة الإخلاص

ومن القارىء/ السيد مرسى البرعي– سيدى غازى– كفر الدوار – وردت هذه الكلمة التي يقول فيها:

«لا إله إلا الله»: كلمة يعلن بها العبد الولاء لخالقه ويدخل بها في حظيرة الإيمان، إنها كلمة التوحيد التي من أجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، وجعلها الفيصل بين الإيمان والكفر، وبين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وهي الأصل والأساس الذى لا يقبل الله عملاً من أحد إلا إذا بنى عليها، وهي القطب الذى لا تدور رحى الشريعة إلا به، ولذلك أوضح لنا الرسول –عليه الصلاة والسلام– فضلها وثوابها فقال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[1] وبيّن لنا أيضاً –عليه الصلاة والسلام– أنها مفتاح الجنة، فقد قال: «من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة» قيل وما إخلاصها؟ قال «تحجزه عن محارم الله»[2] وبيّن لنا الرسول – أيضا – أن من

(١) رواه البخارى عن عبادة بن الصامت.

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير عن زيد بن الأرقم.

قالها استحق شفاعته -ﷺ- وعن أبى هريرة -رضى الله عنه- قال من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة. قال رسول الله: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو نفسه»[٣]. وكذلك أمرنا النبى -ﷺ- أن نجدد بها الإيمان فقال: «جددوا إيمانكم» قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله»[٤].

أعظم سورة فى القرآن الكريم

ومما أرسله القارىء: السيد سليمان السيد سليمان - الأسكندرية - محرم بك - عن فاتحة الكتاب قوله:

فاتحة الكتاب العظيم هى أعظم سورة فى القرآن، وهى السبع المثانى، وهى التى لم ينزل الله مثلها، لا فى التوراة، ولا فى الإنجيل، وهى مقسومة بين الله وبين عبده، وهى فرض فى كل ركعة سواء كانت فرضاً أم نفلاً، وفيها من الصفات ما ليس فى غيرها، ولا يلحق عمل بثوابها، وهى أم القرآن العظيم.

وقد نسبت الأبيات الآتية إلى الإمام أبى حامد الغزالى -رحمة الله عليه- وهذه الأبيات هى:

إذا ما كنت ملتمساً لرزق ** ونيل القصد من عبد وحر

وتظفر بالذى ترجو سريعاً ** وتأمن من مخالفة وغدر

ففاتحة الكتاب فإن فيها ** لما أملت سراً أى سر

فلازم ذكرها عقبى مساءٍ ** وفى صبح وفى ظهر وعصر

كذلك بعد مغرب كل ليل ** إلى التسعين تتبعها بعشر

تنل ما شئت من عز وجاه ** وعظم مهابة وعلو قدر

وستر لا تغيره الليالى ** بحادثة من النقصان تجرى

وتوفيق وأفراح دواماً ** وتأمن من مخاوف كل شر

ومن فقر وعسر وانقطاع ** ومن بطش لذى نهى وأمر

---

(٣) رواه البخارى عن أبى هريرة.

(٤) رواه أحمد والطبرانى عن أبى هريرة.

من أقوال العرب

القارىء / محمد أحمد بدير سرحان - المحلة الكبرى - يبدأ رحلة الغوص في بحار اللغة العربية ليقدم كل ما هو جميل. فيقول:

● الجديدان: «الليل والنهار»، الداران: «الدنيا والآخرة»، الدائبان: «الشمس والقمر»، الثقلان: «الإنس والجن»، النقدان: «الذهب والفضة»، الأسودان: «التمر والماء»، الأبيضان: «اللبن والماء»، الأحمران: «اللحم والخمر»، الأصفران: «الذهب والزعفران»، الرافدان: «دجلة والفرات»، الحسنان: «الحسن والحسين»، الأمران: «الفقر والهرم»، العراقان: «الكوفة والبصرة»، الخافقان: «المشرق والمغرب»، الكريمان: «الحج والجهاد»، الأصغران: «القلب واللسان»، الحرمان: «مكة والمدينة»، القبلتان: «المسجد الحرام والمسجد الأقصى»، الهجرتان: «هجرة الحبشة وهجرة المدينة»، الذبيحان: «إسماعيل بن إبراهيم وعبدالله بن عبدالمطلب»، الحسنيان: «الشهادة والنصر»، الشفاءان: «القرآن وعسل النحل»، الطيبان: «أبوبكر وعمر»، الأعميان: «السيل والحريق»، الأصرمان: «الليل والنهار»، الملكان: «هاروت وماروت»، الأزهران: «الشمس والقمر».

● والسؤال: هل يواصل القارىء غوصه ليقدم المزيد؟

مكمـــن الخطــر

من القارىء / حسن عزت عبدالعزيز عيسى - كفر الشيخ - مدينة برج البرلس - وردت هذه الرسالة تحمل التحذير من «اللسان» يقول:

حذرنا المولى - عز وجل - من خطورة اللسان. وجعل عليه ملكان كريمان يراقبانه ويكتبان كل ما ينتج عنه.. قال - تعالى - في سورة (ق):

﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾

إنه اللسان أخطر عضو في جسم الإنسان. كيف لا والنبي - ﷺ - يقول في الحديث المتفق عليه: «من يضمن لي ما بين لحييه. وما بين رجليه أضمن له الجنة». هو اللسان واللحيان: العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان وما بين رجليه أي الفرج».

فقدم النبي - ﷺ - اللسان على الفرج لأنه أخطر عضو في جسم الإنسان، لأن في حفظك للسان حفظ لسائر الأعضاء.

واعلم أخي المسلم أن للسان آفتين عظيمتين.

الآفة الأولى: السكوت عن الحق.

بني إسرائيل فضلهم الله على العالمين ثم لعنهم بسبب أنهم ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾. (٧٩) المائدة.

الآفة الثانية: الكلام بالباطل. قالوا:

﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾.

[آية (١٨) المائدة]

فالساكت عن الحق: شيطان أخرس عاص لله - عز وجل -.

والمتكلم بالباطل: شيطان ناطق عاص لله - عز وجل -.

فاعمل يا أخي على حفظ لسانك عن قول الباطل وأطلقه في قول الحق.

توقير العلماء توقير للإسلام

أما القارىء/ حاتم إبراهيم محمد سلامة -سنجرج- منوف- فيرسل هذه الكلمات التي تحض على احترام العلماء وتوقرهم، فيقول:

العلماء هم خيرة أهل الأرض بعد الأنبياء، وكيف لا وهم خلفاؤهم!

من ورثوا وظيفتهم وقضيتهم، فساروا على المنهاج الصائب، والطريق الراشد، .. يرسون قواعد الفضيلة، ويجتثون منابت الرذيلة، كي تصفوا البسيطة من الأدران والشوائب.

إن توقير العلماء في تاريخ أمتنا، فضيلة تفضلت بها أمة الإسلام على أترابها من الأمم. ولمَ العجب؟ ودينها يحثها على ذلك، ويأمرها بهذا، موضحاً مكانة العلماء، قال - تعالى -:

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١)

.. نعم لقد قرر الله هذه الحقيقة في كتابه، لأن أهل العلم هم أعرف الناس به -سبحانه- وأخشاهم له -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٢). ومن هنا كان تقدير الأمة للعلم، وحفظها لمكانة العلماء.

● يحكى أن الخليفة المعتضد كان يمشي يوماً مع العالم «ثابت بن قره».. ويد الخليفة متكئة على يد ثابت بن قره. وفجأة.. نزع الخليفة يده.. فـفزع ثابت لمهابة المعتضد. فقال له المعتضد آسفا -بل معتذراً-: يا أبا الحسن.. سهوت.. ووضعت يدي على يدك فاستندت عليها، وليس هكذا تعاملون؛ فإن العلماء يَعلون ولا يُعلون!!

فتأمل كيف كان التقدير، بل كيف كان الحكام بصولجانهم وسلطانهم يقدرونهم. لقد كان كثير من خلفاء المسلمين، من لا يبرم أمراً دون مشورة العلماء تيمنا برأيهم.. وقد رُوي أن صلاح الدين الأيوبي كان لا يقطع أمراً إلا باستشارة أبي الحسن الشاذلي، بل كان يصطحبه معه في كافة حروبه ورحلاته.

وهذا كله لأن السلف كانوا يرجون توفيق الله في كل عمل لهم، فكانوا يستعينون بأهله، وأقرب الناس إليه - تعالى -، وأعلمهم بشرعه وهديه، ومن هنا كان الحظ حليفهم، والتوفيق نصيبهم.

وهذه نظرة توقير للإسلام ورموزه.

والعلماء دعاة الفضيلة والإصلاح، فمن أهانهم فقد أهان ما يدعون إليه، وما يدعون إليه هو اللبنات التي عليها قيام الأمم. قال الشاعر:

على الأخلاق خطوا الملك وابتنوا
فليس وراءها للعز ركن

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) فاطر ٢٨.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه في ١٨ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢١ / ٦ / ٢٠٠٠م معالي الأستاذ ناصر الشيباني وزير الأوقاف والإرشاد بالجمهورية اليمنية يرافقه السيد / أحمد محمد لقمان سفير اليمن بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه معربا عن أن الأزهر الشريف دائما يمد يد العون والمساعدة للمسلمين في شتى بقاع العالم، والجمهورية اليمنية بصفة خاصة، وأوضح فضيلته أن الدراسة في الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال والبُعد عن المغالاة، ويدرس جميع المذاهب الإسلامية، وأشار فضيلته إلى أن اليمن له تاريخ مشرف وله حضارة عريقة انتفع بها الناس، وأن الأزهر الشريف تربطه باليمن صلة قوية وقديمة وعلاقات ثقافية ونحن ننتفع من كتب العلماء كالزبيدي والشوكاني وغيرهما وكثير من الدارسين يستعينون بكتب هؤلاء العلماء في رسائلهم للدراسات العليا والدكتوراه.

ودعا الله -عز وجل- أن يوفق اليمن رئيسا وحكومة وشعبا إلى ما يحبه ويرضاه، وأن ينعم على اليمن ومصر والدول الإسلامية والعربية بالخير واليمن والبركات.

وقال فضيلة وزير الأوقاف: إن الأزهر الشريف قلعة شامخة تتصدى للتيارات الوافدة وله دور فعال ومؤثر، كما أن مصر بلد الأزهر الشريف عندها إمكانيات تؤهلها لقيادة الأمة العربية والإسلامية. وأضاف: إنه يجد كل استجابة وبدون حدود من الأزهر الشريف والأوقاف المصرية ونشكركم جميعا على حسن التعاون مع اليمن، فنحن أمة واحدة والعلم رحم بين أهله.

وطلب السيد الوزير زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء اليمن وفتح المجال للدراسات العليا بجامعة الأزهر الشريف وكذلك تدريب

العلماء اليمنيين في الدورات التدريبية التي يقيمها الأزهر الشريف لعلماء دول العالم كل ثلاثة شهور.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي وزير الأوقاف الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف في ٢٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٨ / ٦ / ٢٠٠٠م الشيخ الشاذلي صالح رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بدولة تشاد والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق له في مصر وأزهرها الشريف، موضحا العلاقات الطيبة التي تربط بين مصر ودولة تشاد وهي علاقات ثقافية وعلمية وتعليمية.

وعبر رئيس الوفد عن سعادته البالغة لزيارة مصر وأزهرها الشريف حيث إن الأزهر له مكانة كبيرة لدى العالم الإسلامي، فهو يستقبل الطلاب ويعلمهم في الأزهرالشريف وجامعته العريقة. كما أنه يوفد العلماء إلى دول العالم ومنها دولة تشاد لتعليم المسلمين أمور دينهم ولتصحيح المفاهيم الإسلامية. وقد أجاب فضيلة الإمام الأكبر عن أسئلتهم واستفساراتهم حول السكان وتنظيم الأسرة، حيث أشار فضيلته إلى أن تنظيم الأسرة في الإسلام لا مانع منه شرعا إذا تراضى الزوجان على ذلك، ودعت إليه الضرورة، والضرورة يقدرها الزوجان فيما بينهما، ونحن لا نقول بالمنع، ولا نقول بالإجهاض وإنما بتطويل فترة الحمل، كما يؤخذ رأى الطبيب المسلم، والأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى، مع إيماننا بالله -عز وجل- وقضائه وقدره، والله -عز وجل- جعل لنا عقولاً لنفكر بها ونتدبر، ونحن الآن في عصر ليست المسألة فيه بالكم ولكن بالكيف.

أهدى فضيلته لكل فرد في الوفد المصحف المفسر للأزهر الشريف وكتيب عن تنظيم الأسرة من تأليف فضيلته. شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن الاستقبال والحفاوة. حضر اللقاء رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف في ٢٩ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢ / ٧ / ٢٠٠٠م سعادة السفير/ فرانسوا ديفير سفير فرنسا بالقاهرة والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه معربا عن أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً من أجل التعاون البناء الذي من أجله يتم التعايش الصادق والحوار المثمر حتى يعيش الناس في أمن وأمان واستقرار. شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسن الاستقبال والحفاوة، وأوضح أن للأزهر الشريف مكانة خاصة عند شعب فرنسا وخاصة أن جنوب فرنسا به خمسة ملايين مسلم، وأضاف أن عمله الجديد كسفير لبلاده

فى القاهرة له طابع مميز يعد عمله فى كل من الجزائر وتركيا، وقدم التحية للجنة الحوار التى أقامها الأزهر الشريف لتقريب وجهات النظر بين الديانات وتعميق القيم والمبادىء والأخلاق التى أمرت بها الرسالات السماوية.

وأشار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف إلى أن الحوار بين الأمم والشعوب يحقق التواصل والتعارف وتبادل المنافع التى أحلها الله -عز وجل- وقد نادى القرآن الكريم بذلك حيث يقول الله -عز وجل-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[1].

وسيعقد لقاء مع ممثلى الأديان بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة بهدف نصرة المظلوم ومساندة الضعيف ونشر الفضائل ومحاربة الرذائل.

● كما استقبل فضيلته السيد / داتو بادوكا حسن سفير بروناى بالقاهرة حيث رحب فضيلته بالضيف موضحاً أن الأزهر الشريف يستقبل أبناء وبنات دولة بروناى الشقيقة لتلقى العلم فى الأزهر الشريف، وأن التعاون قائم بين البلدين فى مجالات كثيرة ومتعددة، والأزهر الشريف دائماً فى خدمة الإسلام والمسلمين فى شتى بقاع الأرض.

أعرب الضيف عن سعادته لوجوده بمصر الأزهر الشريف وأوضح أن لمصر وأزهرها الشريف مكانة عظيمة ومتميزة ومتألقة فى قلوب أبناء دولة بروناى، وأشار إلى أنه سيتم إنشاء مركز إسلامى ضخم فى دولة بروناى ويطلب مساعدة الأزهر الشريف فى إمداده بالكتب والمراجع والوثائق والمخطوطات الإسلامية من مكتبة الأزهر الشريف العريقة التى هى أكبر وأعظم مكتبة بل هى أعرق مكتبة فى العالم، كما أشار إلى أن زيارته تعتبر تمهيداً لزيارة سماحة مفتى دولة بروناى للأزهر الشريف خلال شهر يوليو الحالى.

وقدم السيد السفير لفضيلة شيخ الأزهر الشريف كتابا يحتوى على معلومات عن دولة بروناى، كما قدم شكره وشكر بلاده على ما يقدمه الأزهر من جهد فى خدمة مسلمى دولة بروناى.

شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف، وقدم له كتاب (الأزهر فى ألف عام) باللغتين العربية والإنجليزية، وأكد على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى مساعدة المسلمين وخاصة أبناء دولة بروناى وأنه على استعداد للقاء سماحة مفتى بروناى.

حضر اللقاءان الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والشيخ عمر السطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام، والشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

* * *

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف فى ٨ من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق

---

(١) سورة الحجرات (١٣).

١٠ / ٧ / ٢٠٠٠م معالي الدكتور موسى بن محمد وزير التعليم الماليزى والوفد المرافق لسيادته.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه في الأزهر الشريف والقى الضوء على نظام التعليم في الأزهر الشريف بمراحله المختلفة في الحضانة والابتدائي والإعدادى والثانوي والجامعة وشرح المزايا التى يتمتع بها الدارسون في الأزهر الشريف حيث يقوم التعليم على الوسطية والاعتدال والفهم السليم لأمور الدين الإسلامى الحنيف، كما شرح المزايا التى يتمتع بها الطلاب والطالبات الوافدات من دول العالم المختلفة والرعاية الكاملة لهم حيث يقيمون في مدينتى البعوث الإسلامية التى تستقبل طلاب أربع وتسعين دولة من دول العالم، وتقدم لهم رعاية صحية وتعليمية وثقافية وترفيهية في ظل تحديث وتجديد مدينتى البعوث للطلبة والطالبات.

شكر الضيف فضيلة الإمام الاكبر على رعاية الأزهر لطلاب ماليزيا في المعاهد والكليات وطلب زيادة عدد المنح الدراسية وخاصة الجامعية وبالذات الكليات العملية، كما طلب معادلة الشهادات بالأزهر الشريف. وقد وعد فضيلة شيخ الأزهر الشريف بدراسة هذه الطلبات تمهيدا لتلبيتها في القريب العاجل.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر السابق وفضيلة رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الاكبر شيخ الأزهر الشريف في ١٣ من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ١٥ / ٧ / ٢٠٠٠م الأستاذ الدكتور / عثمان داتو إسحاق وزير التربية والتعليم بولاية قدح بماليزيا والأستاذ الدكتور / عقيل مهدلى نائب رئيس الجامعة الإسلامية دار الأمان بماليزيا.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين في الأزهر الشريف قائلاً: إن الأزهر الشريف في خدمة أبناء المسلمين في كل مكان من أرض الله، لأن رسالة الأزهر هي نشر العلم سواء عن طريق قبول أبناء المسلمين للتعليم في الأزهر أو عن طريق إرسال العلماء والأساتذة إلى بلاد الله الواسعة وهو ما يقوم به الأزهر فعلا منذ إنشائه وسيظل -إن شاء الله تعالى- إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها لأنه يوضح صحيح الدين والسير على الوسطية والاعتدال ويحافظ على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعلوم الشريعة واللغة.

شكر الضيفان حسن الحفاوة والاستقبال وأبلغا شيخ الأزهر الشريف أنهما يحملان تحيات جلالة سلطان ماليزيا وتقديره للدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف، كما أوضحا أنهما حضرا لدعم العلاقات الثقافية والعلمية بين الأزهر وجامعته والجامعة الإسلامية بماليزيا والمضي من أجل تفعيل الاتفاقية المبرمة بين الجامعتين وخاصة أنه يوجد ٢٠ أستاذا من جامعة الأزهر يدرسون المواد المختلفة لأبناء ماليزيا بالجامعة الإسلامية، كما يدرس طلبة من

ماليزيا في الأزهر الشريف في معاهده وجامعته العريقة.

وأبدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر استعداده لتلبية طلباتهم، كما طلبا من فضيلة شيخ الأزهر زيارة دولة ماليزيا الشقيقة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر السابق، وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

• • •

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف في ٢٠ من شهر ربيع الآخر ١٤٢١ الموافق ٢٢ / ٧ / ٢٠٠٠م جلالة السلطان / إبراهيم موبو نجويا رئيس المجلس الإسلامي لدولة الكاميرون وسعادة السفير / موشيلي اسماعيلا سفير الكاميرون بالقاهرة. رحب فضيلته بجلالة السلطان والسيد السفير والوفد المرافق معربا عن أن الأزهر الشريف يفتح أبوابه لأبناء المسلمين جميعا ويقوم بتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم التربية الدينية السليمة التي تؤهلهم لأن يكونوا علماء عاملين لخدمة دين الله في أوطانهم.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على الاستقبال الحافل وعلى ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف لأبناء دولة الكاميرون من تعليم وتثقيف ورعاية، وأيضا على علماء الأزهر الشريف الذين يذهبون لأبناء دولة الكاميرون لبيان صحيح الإسلام معربا عن أن علماء الأزهر وخريجي كلياته يمتازون بالوسطية والاعتدال والبُعد عن المغالاة والتعصب.

● كما استقبل فضيلته البروفيسور / فابيو روفيرسي رئيس جامعة بولوفيا بإيطاليا والبروفيسور توبا تورادة أستاذ اللغة العربية بجامعة بولوفيا بإيطاليا.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين وقال: إن الأزهر الشريف يرحب بالحوار البناء ويستمع للرأى الآخر من أجل تبادل المعرفة والفهم السليم لأمور الحياة، حتى تعم المعرفة وتتبادل المنافع والخبرات والعلوم في شتى المجالات، موضحاً أن الحضارات إنما تقوم على الثقافات المتبادلة بين الشعوب، مشيدا بحضارة إيطاليا التي شهد لها العالم منذ قدم التاريخ.

شكر الضيفان فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وقالا: إننا جئنا لنسعد بلقاء شيخ الأزهر شيخ الإسلام والمسلمين ولنقف على مبادىء الإسلام الأساسية والصحيحة، ولنعرف وجهة نظر الإسلام الصادقة من مصادرها الصحيحة، ونحن بصدد تبادل الزيارات الثقافية بين جامعة الأزهر الشريف العريقة وجامعة بولوفيا بإيطاليا، حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ فوزى الزفزاف وكيل الأزهر السابق وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

• • •

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٤ من شهر ربيع الآخر

١٤٢١هـ الموافق ٦ / ٧ / ٢٠٠٠م وفد لجنة الاتصال الإسلامي - الكاثوليكي (الفاتيكان) برياسة الكاردينال فرنسيس أرينزى فى إطار الاجتماع السادس للجنة الحوار الإسلامى العالمية المنعقدة فى القاهرة فى الفترة من ٤ إلى ٥ / ٧ / ٢٠٠٠ تحت عنوان: «الدين وحقوق المواطنين وواجباته» فى بداية اللقاء رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالضيف والوفد المرافق فى الأزهر الشريف، حيث أوضح فضيلته أن لجنة الحوار تعبير عن تعاونها على نشر الفضائل التى تدعو إليها الأديان السماوية كلها من أجل إخلاص العبادة لله الواحد القهار ونشر مكارم الأخلاق، ومن أجل الوقوف إلى جانب الحق والعدل، وإعطاء كل ذى حق حقه، ومساعدة المحتاجين والضعفاء.

وإن الأزهر الشريف يؤمن بأن الخالق -عز وجل- قد أوجدنا فى هذه الحياة لكى نتعاون ونتعارف ونتآلف لقول الله -تعالى-:

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾(٢)

وقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(٣)

وكلها من المقاصد الأساسية التى أوجدنا الله -تعالى- من أجلها لعمارة الأرض ونشر السلام والمحبة والرخاء بين جميع أفراد المجتمع الإنسانى كله.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسن الاستقبال والحفاوة، وأبلغ فضيلة الإمام تحيات بابا الفاتيكان، وأوضح أنه من العوامل الأساسية لحضوره للقاهرة هو ما أكده فضيلته من التعارف والتآلف ونشر الفضائل، وأن زيارته للأزهر الشريف شىء مهم وأساسى، ولا ينسى استقبال فضيلة الإمام الأكبر لبابا الفاتيكان فى شهر فبراير الماضى بالقاهرة، وفى الأزهر حيث استقبل استقبالا طيبا بغرض نشر السلام والأمان، وأثبت أن الأخوة ضرورية ومطلوبة. وأضاف أن الإنسان عندما يحب إنسانا فإنه يحب أن يلتقى به دائما. وفى نهاية اللقاء طلب فضيلة الإمام الأكبر إبلاغ تحياته لبابا الفاتيكان.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف، والدكتور كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة، والدكتور حامد الرفاعى رئيس لجنة الحوار العالمية بالمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة، والسيد السفير فتحى مرعى، وفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف والدكتور على السمان نائب رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف.

● ● ●

(٢) سورة المائدة (٢).

(٣) سورة الحجرات (١٣).

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس المجلس الأعلى للآباء والمعلمين

● برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عقد المجلس الأعلى للآباء والمعلمين على مستوى الجمهورية جلسته فى ٢٤ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٧ / ٦ / ٢٠٠٠م حيث وافق المجلس على مشروع الخطة المفتوحة للأنشطة والخدمات الطلابية للعام ٢٠٠٠، ٢٠٠١م والمتضمنة مسابقة حفظ وتجويد القرآن الكريم، والحفل الختامى له والمسابقات الاجتماعية والرياضية وإقامة المعارض الثقافية والفنية والأنشطة النوعية، والمعسكرات والرحلات، كذا التدريب على الحاسب الآلى وصيانة الأجهزة، ومراكزها.

كما قرر المجلس مشاركة أحد السادة الأعضاء فى تنفيذ الأنشطة التى تضمنتها الخطة مشاركة فعلية كل من منطقته سواء أكان النشاط خارجيا أم داخليا، والموافقة على إعفاء الطلاب والطالبات اليتامى غير القادرين على سداد المصروفات من سداد المصروفات المقررة مع تمتعهم بميزات التأمين الصحى، وصندوق الخدمات التعاونية بعد إجراء البحث الاجتماعى اللازم لذلك، كذا قرر المجلس إعادة النظر فى زيادة المصروفات التى يدفعها الطلاب تدريجيا كل سنة، لمواكبة فاعلية الخدمات التعليمية والأنشطة الطلابية المختلفة، كما وافق المجلس على اشتراك مجلس الآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية النموذجية بمدينة نصر مع مجالس إدارة هذه المعاهد عند النظر فى تقرير زيادة المصروفات الدراسية بهذه المعاهد وأوجه الصرف، كما وافق المجلس على سرعة بناء الأراضى الخلاء المخصصة للمعاهد الأزهرية بالمحافظات، وتشجيع إنشاء وتشغيل المعاهد الأزهرية الخاصة بمصروفات، على أن تكون تحت إشراف الأزهر الشريف فى المناهج والمدرسين والعملية التعليمية تقليلاً للأعباء التى تقوم بها الدولة فى العملية التعليمية، كما قرر المجلس إيقاف صرف مستحقات المقاول الذى يقوم ببناء بيت شباب العريش حتى تنتهى إجراءات الشئون القانونية فى هذا الشأن.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل قطاع المعاهد الأزهرية، والأستاذ جلال عبد ربه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

* * *

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع مجمع البحوث الإسلامية

● ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف جلسة مجمع البحوث الإسلامية فى ختام الدورة ٢٦ لسنة ٢٠٠٠ التى بدأت أعمالها اعتبارا من أول سبتمبر سنة ١٩٩٩م وحتى آخر شهر يونيه سنة ٢٠٠٠م وذلك فى ٢٦ من شهر ربيع الأول ١٤٢١هـ الموافق ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٠م. قدم المجلس تقريره بقول

المذكرة المشتركة من لجنتي التعاون بين المجمع وجامعة الأزهر والتربية والتعليم في شأن النهوض بمستوى التعليم بالأزهر، وتم تحويل المذكرة إلى المجلس الأعلى للأزهر باعتباره الجهة المسئولة لاتخاذ اللازم بشأنها، كما استعرض المجلس الخطاب المقدم من وزارة الإعلام فيما يخص الاحتفال بمرور أربعة عشر قرنا على دخول الإسلام مصر، وشكلت لجنة من مجمع البحوث الإسلامية لدراسة هذا الموضوع. كما شكلت لجنة لإعداد الرد بشأن اقتراح مركز حمدان سعيد خضر للمعلومات والبحث العلمي بالسعودية لإنشاء جمعية عالمية للعلماء المسلمين، تدارس المجلس موضوع مسلسل «مشرق النور» وشكلت لجنة لإقراره من حيث المادة العلمية واختيار الشخصيات مع تحديد المسئولية لأى مخالفة للعمل الدرامي من جهة المنتج وتمت الموافقة على تداول المسلسل.

أعد المجلس أسماء المرشحين لجائزة الدولة التقديرية وجائزة مبارك وجائزة التفوق العلمي في مجالات الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية لعام ٢٠٠٠ وأرسلت أسماؤهم للمجلس الأعلى للثقافة وهم: السيد الأستاذ الدكتور محمد شوقي الفنجرى لجائزة الدولة التقديرية للعلوم الاجتماعية، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد رأفت عثمان لجائزة التفوق العلمي في العلوم الاجتماعية، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد خاطر محمد الشيخ لجائزة مبارك في العلوم الاجتماعية، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومي لجائزة الدولة التقديرية في الآداب، كما شكلت لجنة للرد على الموضوعات التي تنشر بالصحف والتي تعارض رأى مجمع البحوث الإسلامية حول موضوع قانون الأحوال الشخصية، ويتم نشر الرد في جريدة «صوت الأزهر» و«مجلة الأزهر الشريف»، كما رشح المجلس مجموعة من السادة العلماء أعضاء مجمع البحوث الإسلامية للاشتراك بأبحاث عن جوانب من حياة فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت وذلك في المؤتمر الذى سيعقد في إيران باسم (آية الله بروجردى والشيخ شلتوت). كما رشح المجلس لجائزة الملك فيصل العالمية لعام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م لخدمة الإسلام والأدب العربي جامعة الإمام محمد بن سعود لجائزة خدمة الإسلام، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد البيومي لجائزة الأدب العربي، كما وافق المجلس على ترجمة الأحاديث النبوية الشريفة من العربية إلى الروسية، شرط أن تكون الترجمة للأحاديث الصحيحة والحسنة، كما وافق المجلس على طبع ونشر سبعة عشر جزءاً من المجلد السادس من كتاب (جمع الجوامع) للإمام السيوطي بعد تحقيق رواق السنة وجارى إصدار باقي الأجزاء، كما وافق المجلس على مذكرة لجنة إحياء التراث الإسلامي وتشكيل لجنة فرعية للمعاونة في تحقيق كتب التراث والمخطوطات وبعد التحقيق يحال الكتاب أو المخطوط إلى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية للطبع، ويعرض على المجلس الترشيح لجائزة السلطان حسن البلقية العالمية للمنح الدراسية الإسلامية للامتياز الأكاديمي في المجالات المنظمة للإسلام والعالم الإسلامي، يتم عرض خطاب مدير عام المنظمة الإسلامية للتربية

والعلوم والثقافة بالجماهيرية الليبية بشأن عقد ندوة دولية حول قضايا ترجمة معاني القرآن الكريم، يعرض على لجنة البحوث الفقهية قرارات اللجنة وتوصياتها بخصوص تدريس الثقافة الإسلامية في الجامعات وتعريب المواد الطبية والهندسية وترجمة المصطلحات الطبية والهندسية، حضر الجلسة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف والسادة أعضاء مجمع البحوث الإسلامية.

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يلتقى برؤساء المناطق الأزهرية

● برياسة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتمع رؤساء المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية، على مدى ثلاثة أيام اعتباراً من يوم التاسع من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ١١/٧/٢٠٠٠م وتم مناقشة ما أسفرت عنه نتيجة امتحانات الشهادات الأزهرية في العام الدراسي ٩٩/٢٠٠٠ والدروس المستفادة من الإيجابيات التي كانت من أهم عوامل ارتفاع نسبة النجاح في الشهادات الثانوية الأزهرية والتأكيد على استثمارها في امتحانات الدور الثاني والأعوام القادمة من حيث تأمين مراكز تجميع أوراق الأسئلة وتوزيعها على اللجان ودقة أعمال الملاحظة وإرسال أوراق الإجابة ودقة تقدير الدرجات وأعمال الكنترول والمتابعة المكثفة لكل أعمال الامتحانات، كما تم مناقشة اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لامتحانات الدور الثاني سواء النقل أو الشهادات، والاطمئنان على حصول المناطق على الكتب الدراسية وخاصة الكتب الثقافية التي يتم استلامها من مديريات التربية والتعليم والحصول على الطبعات الحديثة والتأكيد على تسليم الكتب للطلاب اعتبارا من ١٥ أغسطس لمن يريد أن يتسلمها قبل بدء الدراسة للاستذكار والاستنارة ولتكون الكتب في أيدي الطلاب جميعاً في أول يوم في بدء الدراسة للعام ٢٠٠٠/٢٠٠١، كما تم مناقشة التدابير المتعلقة بحركة الترقيات الأدبية التي صدرت هذا العام ومراعاة القيود الواردة بالحركة، ومناقشة تشغيل المعاهد الجديدة بعد انتهاء المواعيد في ٦/٣٠ على أن يتم عرض أوراقها ويكون الإذن بتشغيلها إذا استدعت الضرورة ذلك مع توفر العمالة اللازمة للتشغيل، مناقشة أحوال بعض المعاهد المنشأة بالجهود الذاتية، وما يجب اتخاذه من إجراءات لتصحيح أوضاعها، الاطمئنان على مستجدات عمليتي الإحلال والترميم والأخذ بالأولويات وذلك بالبدء بالمعاهد المنخفضة التكاليف وموقف الشركات المتعثرة في التنفيذ، الاطمئنان على مدى التزام المناطق الأزهرية بفتح المعاهد للطلاب خلال العطلة الدراسية لممارسة الأنشطة الرياضية وارتياد المكتبات وإمداد المكتبات بالكتب التي تحتاجها حسب المراحل التعليمية، والتأكيد على الخصوصية التي يجب أن تتوفر لمعاهد الفتيات من حيث اختيار القيادات وعناصر التدريس والأجهزة المعاونة مع تأنيث العنصر القيادي في إدارتها، وما يجب اتباعه عند

النظر فى نقل بعض العاملين خارج مناطقهم، والأسس التى تحكم ذلك مع تحديد الأماكن التى يحظر النقل إليها لاكتفائها بعمالتها إلا فيما يتعلق بجمع شمل الأسرة وفقا لما يقره قطاع المعاهد الأزهرية.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ / على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأستاذ جلال عبد ربه الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل قطاع المعاهد، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

فضيلة وكيل الأزهر الشريف يفتتح «مركز تعليم وتدريب الحاسب الآلى بمدينة البعوث الإسلامية»

● أناب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف فى السابع من شهر ربيع الآخر الموافق ٩ / ٧ / ٢٠٠٠م فى افتتاح مركز «تعليم وتدريب الحاسب الآلى بمدينة البعوث الإسلامية» لخدمة الطلاب أبناء العالم الإسلامى الوافدين لتلقى العلوم بالأزهر الشريف وعددهم أكثر من ألفى طالب وطالبة من أربع وتسعين دولة من دول العالم المختلفة، وقد أقيم هذا المركز بالتعاون مع الندوة العالمية لشباب العالم الإسلامى، كما أقامت الندوة دورات فى الإعلام الإسلامى ومعسكرات ومخيمات وطورت مدن الإسكان لطلبة البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية، مواكبة للعصر الحديث، وقد تكلف المركز لخدمة الطلبة والعاملين فى المدينة حوالي مائة ألف جنيه. حضر الافتتاح فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، وفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية، للعلاقات العامة والإعلام بالأزهر الشريف.

فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيلا للأزهر الشريف

صدر قرار رئيس جمهورية مصر العربية رقم ٢٩٩ لسنة ٢٠٠٠

قرر:

«المادة الأولى» تعيين فضيلة الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيلا للأزهر اعتبارا من ١ / ٧ / ٢٠٠٠ وحتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة.

«المادة الثانية» ينشر هذا القرار فى الجريدة الرسمية.

صدر برياسة الجمهورية فى ٢ من ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق ٤ من يوليه سنة ٢٠٠٠م

(حسنى مبارك)

مد خدمة فضيلة الشيخ على محمد فتح الله

قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٦٦٦ لسنة ٢٠٠٠.

«المادة الأولى» تمد خدمة فضيلة الشيخ على محمد على فتح الله وكيل قطاع المعاهد

الأزهرية لشئون الخدمات بالأزهر الشريف لمدة ستة أشهر اعتبارا من ١٥ / ٧ / ٢٠٠٠

«**المادة الثانية**» على الجهات المختصة تنفيذ هذا القرار.

صدر برياسة مجلس الوزراء في ١٣ من ربيع الآخر ١٤٢١هـ الموافق

١٥ من يوليه سنة ٢٠٠٠م

رئيس مجلس الوزراء

د. عاطف عبيد

الاجتماع السادس للجنة الاتصال الإسلامي الكاثوليكي «الفاتيكان»

عقدت اللجنة الإسلامية العالمية للحوار المنبثقة عن «المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة» والذي يرأسه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، اجتماعها السادس للجنة الاتصال الإسلامي الكاثوليكي (الفاتيكان) تحت موضوع «الدين وحقوق المواطن وواجباته» صباح يوم ٢ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ٤ / ٧ / ٢٠٠٠م والهدف من الاجتماع مناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك بهدف توطيد التعاون والتنسيق من أجل خدمة البشرية وإسعادها وتجنيب الشعوب مضار الصراعات الطاحنة التي تخلف وراءها العديد من المآسي والمشكلات.

وتم مناقشة: قضية الدين، وحقوق المواطنين، وواجباتهم، ودور الفضائل والقيم التي تدعو لها الأديان السماوية في إنقاذ البشرية.

وقد بدأ فضيلة الشيخ فوزي الزفزاف رئيس لجنة الحوار بالأزهر الشريف بدعاء أن يوفق المولى -عز وجل- المجتمعين ويلهمهم الوصول للحق والصواب.

وأكد الأستاذ كامل الشريف الأمين العام «للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة» على أن هذه الاجتماعات علمية أكاديمية وأننا كمسلمين نعمل بوحي من شريعتنا واجتماع هذه اللجنة في مصر بلد الأزهر الشريف تأكيد على التسامح والوعي لكل من يعمل في الحوار، وإيجاد تيار يؤمن بالحوار ويتعاون فيه، كما أكد على السلام الاجتماعي وعلى أن الناس جميعاً متساوون أمام القانون.

وتحدث نيافة الكاردينال فرنسيس أرنيزي رئيس المجلس البابوي لحوار الأديان / نائب بابا الفاتيكان وقال: إننا نجتمع من أجل خير البشرية ومن أجل السلام والأمن ودعا الله أن يسدد خطا المجتمعين إلى الطريق القويم.

وتحدث الدكتور حامد الرفاعي رئيس اللجنة الإسلامية العالمية للحوار الأمين العام المساعد لمؤتمر العالم الإسلامي عن حقوق المواطن في الشريعة الاسلامية، وهي: حق الكرامة الإنسانية، والعدل، والمساواة، وحق الاعتقاد، وحق التعليم، وحق احترام الخصوصيات الشخصية، ورعاية مصالح الناس وعن الواجبات تجاه الله -عز وجل- وتجاه المجتمع.

وعرض الأستاذ توفيق الشريف المدير العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والاغاثة على اللجنة المسائل التي تتم مناقشتها على أن تكون في إطار ما تتفق عليها الأديان السماوية والبعد تماما عما يمس العقيدة أو يكون محل خلاف أو اختلاف وهو مالاقي قبولاً لدى المجتمعين.

من أنباء العالم الإسلامى

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد

بشار الأسد رئيساً لسوريا بنسبة ٩٧٪

دمشق - وكالات الأنباء :

اختار السوريون الفريق بشار الأسد رئيسا لسوريا بنسبة ٩٧,٢٩ بالمائة خلفا لوالده الراحل الرئيس حافظ الأسد . وذلك فى الاستفتاء الذى أعلن نتيجته السيد محمد حربة وزير الداخلية السورى فى مؤتمر صحفى .

وأعلن مجلس الشعب السورى فى الجلسة الاستثنائية التى عقدها رسميا تسمية الفريق الدكتور بشار حافظ الأسد رئيسا للجمهورية العربية السورية لمدة سبع سنوات ميلادية تبدأ من يوم أدائه اليمين الدستورية أمام المجلس .

المطالبة بوقف الحرب فى الشيشان

موسكو - وكالات الأنباء

أفادت الأنباء الواردة من موسكو أن القوات الروسية فى الشيشان عثرت على ١٣ ألف قطعة سلاح، كانت مخبأة فى أماكن متفرقة .

وأشارت الأنباء إلى وقوع ٦ انفجارات فى الشيشان، إلا أنها لم تسفر عن وقوع

ضحايا. كما قام المقاتلون الشيشانيون بتفجير خط سكة حديد لعشرات الأمتار، في الوقت الذي لا تزال فيه القوات الفيدرالية الروسية في حالة تأهب، وتفرض حظر التجول على المدن الشيشانية.

وأكد المتحدث باسم الكرملين أن أحداث الشيشان تميزت خلال اليومين الأخيرين بالهدوء، على الرغم من فرار السكان المدنيين من مدن مثل: «جوديرميس» و«خذ كالا» و«أوروس مارتان» و«جيروزني». وتشير الأنباء إلى مغادرة السكان مدنهم تلبية لنداءات المقاومة الشيشانية التي تطالبهم بالمغادرة، لأنها ستشن هجمات على هذه المدن يوم ١٥ يوليو الجاري.

وقد غادرت عشرون سيارة أتوبيس مدينة «جوديرمس» تنقل السكان المدنيين وأطفالهم، متجهة إلى القرى، كما هو الحال بالنسبة للمدن الأخرى. ومن جانبه، قال ضابط روسي في جوديرمس إنه تم اتخاذ الاستعدادات اللازمة لصد أي هجوم للمقاتلين الشيشان، في حين أكد المقاتلون أن القوات الروسية هي التي دفعت ٥٠٠ شخص على الأقل من السكان المدنيين لمغادرة مساكنهم في محاولة لتخويفهم من هجمات المقاومة.

ومن ناحية أخرى، بعث سبعة أعضاء في مجلس الاتحاد الفيدرالي الروسي رسالتين للرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والشيشاني أصلان مسخادوف لمطالبتهما بوقف الحرب، وبدء مفاوضات لتسوية القضية سلميا، والتخلي عن نزعة الانتقام.

نشر قوات حفظ السلام بين أثيوبيا واريتريا

أسمرة - أ.ف.ب.:

أعلن رئيس بعثة الاستطلاع التابعة للأمم المتحدة الجنرال تيموثي فورد أن ضباط الاتصال الدوليين سيصلون قبل نهاية الأسبوع إلى إريتريا وأثيوبيا للتمهيد لنشر قوات حفظ السلام الدولية على طول الحدود بين البلدين.

وأكد فورد ضرورة الإسراع بنشر قوات الأمم المتحدة وفقا لاتفاق السلام بين أثيوبيا وإريتريا الموقع في الجزائر في يونيو الماضي ويقضي بوقف إطلاق النار وإقامة منطقة عازلة على طول الحدود وبعمق ٢٥ كيلومترا داخل أراضي إريتريا.

الأمم المتحدة تطالب بوقف القتال في افغانستان

نيويورك - وكالات الأنباء:

أعرب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان عن استيائه لتجدد القتال بين الأطراف الأفغانية المتحاربة، وحث جميع الأطراف المتحاربة على إلقاء السلاح واستئناف المفاوضات لتحقيق تسوية سلمية للحرب

الأهلية التي تعصف بأفغانستان.

وأكد عنان في بيان عن أسفه لتجاهل الأطراف المتحاربة نداءاته المتكررة التي دعاهم فيها إلى الدخول في مفاوضات، بالإضافة إلى تحذير مجلس الأمن الدولي من فرض المزيد من العقوبات. وأوضح أنه لا حل عسكريا للصراع في أفغانستان.

وكان القتال بين الجانبين قد استؤنف بعد هدنة استمرت أسبوعا.

ترشيح السودان لعضوية مجلس الأمن

القاهرة - جامعة الدول العربية

أعرب الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، عن تقديره لقرار القمة الأفريقية بترشيح السودان عضوا في مجلس الأمن.

وأكد أن هذا الموقف يجسد ثقة الدول الأفريقية في السودان، وفي قدرته على خدمة قضايا القارة والدفاع عن مصالحها الحيوية على الساحة الدولية.

وأوضح الأمين العام أن هذا الترشيح قد تم لما حققته الدبلوماسية السودانية من نجاحات في مجال تطوير علاقاتها الدولية والإقليمية، وخاصة مع دول الجوار، بالإضافة إلى ما تقوم به الحكومة السودانية من أجل تحقيق المصالحة الوطنية.

واعتبر الدكتور عصمت عبدالمجيد أن هذا القرار سينعكس إيجابيا على العلاقات العربية الأفريقية، ويسهم في تطوير جميع مجالات التعاون بين المجموعتين العربية والأفريقية.

إنشاء قناة فضائية موجهة للعالم الإسلامى

القاهرة:

أكد السيد صفوت الشريف وزير الاعلام أن مشروع «إسلام فيزيون» ينطلق من مستجدات ثورة الاتصال أمام التطور التكنولوجي والمتلاحق حيث تتعرض أمتنا الإسلامية لاختبار شاق ولا خيار لنا غير التقدم ومواكبة العصر إذا كنا لا نريد أن نكون أسرى مفاهيم تقليدية لم تعد صالحة لزماننا، ونحن نهيىء أنفسنا للدخول في القرن الحادي والعشرين وقد تحددت معالم جديدة وتبلورت في ضرورة إنشاء قناة فضائية موجهة للعالم الإسلامي كخطوة أولى على طريق مجمع إسلامي للأنباء والبرامج.

طالب الوزير بدراسة اتساع رقعة العالم الإسلامي وما يلزمه من القنوات القمرية التي تغطي هذه المساحة الشاسعة.

تقدمت مصر بورقة للجنة التي تشارك فيها السعودية والكويت وسلطنة عمان وماليزيا والسنغال تقضي بأن يكون اسم القناة «قناة العالم الإسلامي الدولية» ومقرها القاهرة للاستفادة من مدينة الانتاج الإعلامي بالقاهرة ومن القمر الصناعي المصري.

recueilli,tous les membres prosternés…C'est là la proximité et la vraie prosternation.

Combien je souhaite revenir à cette prosternation…ou bien qu'elle me revienne…qu' "Allah" me fasse la grâce de me rapprocher et qu'Il me permette de pouvoir pratiquer la dévotion,la vraie. Je me dis parfois …peut être que je ne me déchausse plus comme il faut ou d'une façon digne du rang sublime…peut être que la vie m'a reprit dans son tourbillon , que le voile m'est tombé sur les yeux , que la part humaine est revenue et qu'elle pèse avec son poids et sa densité sur l'âme fragile.

Mais je ne cesse d'espérer, et je prie "Allah" d'accepter l'intercession de l'espoir en faveur de l'action.Louange à Lui,Sa miséricorde recouvre toute chose.

Je sentis que je n'avais plus besoin de n'importe qui ni de quoique se soit parce que j'étais sous l'égide du Roi des rois.

J'étais comme le nouveau-né qui était retourné aux bras de sa mère.

Ce n'était qu'un instant,qui dura une éternité…Oui,il s'est éternisé en moi et dans mon esprit, et a recouvert de son ombre ce qui me restait de vie,mais il ne s'est jamais répété…Combien de fois,après cela,je me suis prosterné sans atteindre cette abnégation et cet affranchissement,et combien j'ai essayé sans résultat….ces instants ne proviennent pas de l'effort du serviteur mais de la grâce d' "Allah"…C'est Lui qui se rapproche de nous et qui nous témoigne de l'amour…Nous ne Le connaissons que par Lui…Nous n'arrivons à l'instant d'adoration parfaite qu'avec Son aide…Nous ne pouvons pénétrer chez Lui qu'avec Sa permission…Il est Le Noble, L'Inabordable chez qui on ne peut pénétrer à l'aide de quelques histoires ou quelques paroles…

Je me suis rendu compte, à ce moment là ,que c'était là le véritable bonheur et que c'était là le Paradis terrestre qui ne peut être égalé par n'importe quel autre gain matériel ou spirituel.

"Allah" dit à Son Prophète(b.s.):["Prosterne toi et approche"….]("Al'Alaq":19)…"Allah",le Majestueux dit vrai…mais tout être prosterné n'est pas proche d' "Allah"…à moins qu'il ne se déchausse,qu'il jette le monde derrière lui, et son moi avec, et qu'il pénètre avec un cœur soumis,débarrassé de toute pensée et de toute passion,l'esprit

tue, que j'eus perçu la sagesse de la souffrance et que je l' eus acceptée Je m'étais aperçu que tout ce qui provient d' "Allah" est bien,que tout ce qu'Il décide est juste,que tout ce qu'Il ordonne est une miséricorde et que tout ce qu'Il inflige émane de l'amour.

A l'instant où je me prosternais,je sentis que j'étais retourné à ma vraie patrie celle d'où j'étais venu:j'avais pris conscience de mon identité et de mon origine et j'avais su qui j'étais....qu'il n'y avait pas de "moi"...mais uniquement Lui...et rien d'autre que Lui...

L'orgueil a disparu,l'entêtement s'est évaporé,la rebellion s'est calmée et les voiles des ténèbres se sont estompées.C'était comme si j'étouffais sous l'eau et que, soudain, jesoulevais la tête de sous la masse d'eau, pour apercevoir la lumière et voir le monde,pour prendre un souffle profond et respirer librement dans un envol...et quelle liberté et quel envol!...Ô "Allah" quel envol!...C'est comme si j'avais été avant cela exilé,banni, déporté,emprisonné, enchaîné,incarcéré,lié avec des menottes et que soudain ma prison s'était ouverte...C'est comme si je tournais comme une bête avec un voile sur les yeux et que le voile s'était déchiré.

Oui, à cet instant seulement je me sentis libéré.

Oui, c'était la liberté...la véritable liberté ...lorsque j'eus atteint la parfaite soumission à "Allah"et que j'eus coupé les chaînes qui me liaient au monde et à ses dieux factices: les biens, la gloire,la renommée, le plaisir,la puissance et la force.

---

[1] Quartier de la ville du Caire en Egypte.

Le vrai bonheur

(Traduit par **Zenab Hassan**)

Je me suis demandé quel à été le moment de plus grand bonheur que j'ai vécu…?Une série de scènes a défilé devant mes yeux:le moment où j'ai vu ma première nouvelle publiée,celuioù j'ai été gradué de l'université du Caire,le moment où j'ai reçu le Prix national de littérature…la griserie du premier amour et du premier voyage et la sortie vers le grand monde me déplaçant dans les grandes forêts vierges africaines,le vol vers l'Allemagne,l'Italie l'Autriche,la Suisse,l'Angleterre,la France,les Etats-Unis…le moment où j'ai reçu ma première paye de mille Livres…le moment où j'ai plaçé la première pierre du Centre islamique de Dokki.[1]J'ai vu toutes ces scènes en moi-même et je me suis dit:"…Ce n'est pas cela…"

….C'est un tout autre moment,un soir il y a vingt ans,où le bonheur s'est mélangé aux larmes,à la gratitude,à l'émerveillement à la sensation de bien-être,lorsque je me suis prosterné devant "Allah"et que j'avais senti que toutes les parties de mon corps se prosternaient: mon cœur…mes os …mes entrailles…mon cerveau…ma consience…et mon âme se prosternaient . Lorsque l'angoisse s'était arrêtée , que la contestation s'était

accompagner dans cette expédition, de soigner les malades afin que le Seigneur lui accordât le martyr.

Le Prophète-b.s-lui dit:***"Reste chez toi, car Allah t'y accordera le martyre."***

Cette femme fut appelée "la martyr" de son vivant et avait appris le Coran.

Le Prophète-b.s-autorisa Om Warakah bent Nawfal à charger un muezzin d'appeler à la prière chez elle, de présider à la prière des femmes et des enfants.

Cette femme avait à son service deux esclaves un homme et une femme auxquels elle leur avait promis un affranchissement après sa mort."Le Tadbir"[2].

Après la mort du Prophète-b.s-, d'Abou Bakr aussi, Omar Ibn Al-Khattab fut élu. Un jour il se leva en disant "je n'ai pas entendu hier la récitation du Coran de ma tante"Om Warakah". Il se dirigea vers sa maison, ne trouvant personne, il rentra, la chercha et la trouva enveloppée d'un de ses tapis dans un coin de la maison. La bonne femme était morte asphyxiée.Ces deux esclaves, pour hâter leur libération, complotèrent contre leur maîtresse, l'asphyxièrent puis prirent la fuite.

Omar les rattrapa et les crucifia pour les punir d'avoir commis le crime. Ce mode de châtiment préscrit par le Coran est appelé"Had El Harabah"[3]. (à suivre)

Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Voici ce que devra être le châtiment de ceux qui entrent en lutte ouverte contre Allah et Son Prophète et provoquent le désordre sur terre:Ils pourront être atrocement mis à mort, ou crucifiés, ou avoir une main et un pied coupés par côté opposé, ou être banni.]**

Surate 5"An-Ma'Ida"(La Table sevie)V.33.

Le miracle donc résidait dans la prédiction du Prophète-b.s-qui avait dit à la femme:***"Reste chez toi, car Allah t'y accodera le martyr".*** (à suivre)

---

[2] Signification de "Tadbir": C'est subordonner l'affranchissement de l'esclave à la mort du maître. Ce dernier promet à son esclave d'être libre après sa mort. Quand il meurt, l'esclave est libéré.
L'avantage de la libération posthume est de venir en aide au maître de l'esclave. Il désire accomplir cet acte pieux, mais ne peut pas se passer des services de son esclave, ni de sa compagnie. Ce mode d'affranchissement le lui procure.

[3] Signification du"Had El Harabah"ou(Le Banditisme)Il s'agit de ceux qui, à main armée, provoquent le désordre sur terre. Ils attaquent les gens, barrent les chemins tuent et dévalisent les passants formant une bande redoutable.Si l'un des brigands est pris avant de se rendre en signe pénitence, il subit le "Had", soit sa mise à mort, soit la crucifixion, soit l'amputation des mains et des pieds, soit l'exil.

Du vivant du Prophète-b.s-ce supplice fut infligé aux hommes de la tribu de"Oréna"qui s'étaient emparés de chameaux de la "Zakat", avaient tué le pâtre et s'étaient enfuis.

En quoi consiste le miracle?

- La prompte guérison de la plaie de Ali grâce à la salive du Prophète-b.s-.

- La réalisation de la prédiction du Prophète-b.s- qu'avait dit :*"Par Allah! demain je confierai le drapeau à un homme intrépide, auquel la fuite est inconnue, qui aime Allah et Son Envoyé et qui est aimé d'eux. C'est lui qui, par la force, s'emparera d'El Quamous"*.

b-La bataille de Ohod

Katada Ibn No`mane fut blessé à la guerre de Ohod. Son oeil sortit de l'orbite et pendit sur sa joue.On l'amena au Prophète-b.s-,qui avec sa main bénie.
...-remit l'oeil à sa place. Katada guérit sur le champ et ne garda aucune trace de sa blessure.

Personne ne peut nier un tel miracle. Il est impossible aux médecins ou à tout autre homme de remettre un oeil jailli de son orbite à sa place et de voir le blessé guéri aussitôt.

c-La bataille de Badr:

Durant la bataille de Badr, l'épée de "Ukacha Ibn Muhsan-A.s.l".-se brisa. Le Prophète-b.s-lui donna une branche d'arbre et lui dit:***"Utilise-la pour combattre."***

La branche se transforma en un long sabre puissant de couleur blanche . On raconte que Ukacha Ibn Muhsan utilisa ce sabre dans toutes les guerres, le garda jusqu'à sa mort et il mourut en martyr dans un combat contre les renégats.

5-Prédiction du martyr de "Om warakah bent Nawfal":

Abou Daoud rapporta que d'aprés Om Warakah bent Nawfal-A.s.c.-que celle-ci demanda au Prophète-b.s-lors de l'expédition de Badr la permission de les

---

[1] Singnification du mot "butin":

Le butin est ce qu'on prend à l'ennemi pendant la guerre. On le divise en cinq parties:

Le1/5 est dévolu au souverain qui en dispose pour le bien public.

Le 4/5 restants seront répartis entre les soldats se trouvant présents sur les lieux, qu'ils aient pris part ou non au combat.

Le cavalier reçoit trois parts du butin et le fantassin une seule. Allah-Gloire à Lui-a dit:[**Sachez que sur le butin, quelqu'il soit, le 1/5revient à Allah, au Prophète, à ses proches, aux orphelins, aux pauvres et aux voyageurs, pour peu que vous croyiez en Allah et en ce qu'Il a révélé à Son serviteur dans la journée de la Distinction.**]

Sourate 8"Al-Anfal"(Le Butin)V.41.

(suite)

Les miracles du Prophète Mohammed (salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha'raoui

4-Lors de l'expédition de Khaybar,

Le Prophète-b.s-a dit:***"Par Allah! demain je confierai le drapeau à un homme intrépide, auquel la fuite est inconnue, qui aime Allah et Son Envoyé et qui est aimé d'eux. C'est lui qui, par la force, s'emparera d'El Quamous."***

Le lendemain, tous les compagnons, groupés près du Prophète-b.s-étaient anxieux d'apprendre auquel d'entre eux il allait confier un pareil honneur. On rapporte que Omar souhaita qu'il fut cet homme. Mais, les regards du Prophète-b.s-disaient qu'il cherchait un absent. Puis il questionna.*"Où est Ali?"*.Ali était retenu du combat car il était atteint d'une douloureuse conjonctivite. Il arriva, conduit par la main d'un ami en ayant les yeux recouverts d'un bandeau.

"Approche, lui dit le Prophète-b.s-prends et garde ce drapeau, jusqu'à ce que le Tout-Puissant t'ouvre ces remparts."

-*"Mes yeux me font cruellement souffrir, Ô Prophète, répondit-il et je ne distingue même pas la place où je pose mes pieds."*

C'est alors, que le Prophète-b.s-appuya la tête de Ali sur ses genoux, écarta les paupières tuméfiés, frotta les yeux rougis avec un peu de sa salive, et aussitôt l'inflammation disparut, ainsi que toute trace de douleur. Ali guérit sur-le-champ et n'eut plus mal aux yeux.

Le Prophète-b.s-revêtit ensuite Ali de sa propre cuirasse de fer, et l'arma de son propre glaive connu, sous le nom de "Zoul-Fekar".(l'épée tranchante).

Ali se dirigea vers la forteresse, planta au pied du rempart l'étendard blanc sur lequel se détachait, en lettres noires, la profession de foi de l'Islam, attaqua les juifs qui jadis trahirent et nuirent aux musulmans.

Après un combat, les soldats juifs s'enfuirent, poursuivis par ceux de Ali, lequel arracha de ses gonds la lourde porte des remparts et s'en servit comme d'un bouclier. La résistance fut de courte durée et El Quamous, l'imprenable, tomba au pouvoir des guerriers de l'Islam.Khaybar était le plus riche pays de tout le Hidjaz; aussi le butin[1] fut-il considérable.

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

History repeats itself and similar stories occur every now and then. Even in our modern life, we can see people who act like Karoun. However, if humans consider the mistakes of others and try to learn something out of them, life will be better. The rich should help the poor. They have to spare a portion of their wealth for the needy to make them happy and get rewarded in the Hereafter. In the meantime, they are free to enjoy whatever they have got without ostentation or deviation. Surely then they will live in peace.
The story of Karoun is there in the Qur'an as an example for everybody to learn from. He is depicted in his ornaments and riches showing off in front of those who gathered to watch him in his procession. As he used to hide all the time behind the walls of his palace enjoying himself and his treasures, on his coming out everybody looked at him in astonishment. As in any society, people differed in their opinions about him. The team of losers, who were deceived by appearances and did not care about the truth behind matters, admired him. They did not think deeply nor care about the essence of life and the eternal truth that life is only a fading gleam. They envied him and longed for similar wealth. However, the second team, which included believers with bright minds, went on warning and advising him. But all the treasures, gold, guards and servants did not protect this man. The people turned towards the palace and all of a sudden did not find it. The palace was gone. Although the building had been strong and surrounded with huge walls, it could not resist its fate. The earth swalloed it up and Karoun with all his wealth and vanity was destroyed.
Big houses, plenty of money and luxury or authority are no good without faith and obedience to Allah. Whatever power a human being enjoys, he can neither do good nor harm to himself. He can never cause distress or bring forth happiness without the will of Allah Glory be to Him.
After this horrifying end of Karoun, those who had once been enchanted by the glory of his wealth, returned to their senses. They had a big shock and could not believe their eyes. Their feelings consequently changed.

﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ
لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

"And those who had yearned for his place the day before began to say" Ah! (Know) that Allah amplifies and straites the means of subsisence for whom He pleases of His servants; had now Allah been gracious to us, He would have abased us, Ah! (Know) that the ungrateful are never successful."

(Alqassas, 82)

All the glitter of this life is to come to an end sooner or later. Only believers who work hard to please Allah and abstain from doing any wrong, or repent when they make mistakes will be greatly rewarded and live happily in the Hereafter.

Reference:

An article entitled "The Tyranny of Money & Examples from the Holy Qur'an. By : Abdul Rahman San Eddin. (Al-Azhar Magazine - Rabi Al-Akhar 1419 H, August, 1998).

A DOUBLE-EDGED WEAPON

By : Hanan Abdou El Tahtawy

When a Muslim spends money generously to help the needy, this pleases Allah who consequently rewards him with happiness in this life and the Hereafter. But if with wealth, one becomes proud, selfish, and ungrateful to the Creator, then distress and punishment will surely follow. Accordingly, money is considered a double-edged weapon.

The story of Karoun in the Holy Qur'an is a vivid example of the terrible influence that money and wealth could have on humans with incurable weaknesses. Throughout history the power of money seems unmatched and wealthy nations had always been able to dominate over poorer ones. But does money alone with all the charms it possesses provide security, peace of mind and soul? Evidence from past and present says no, especially when people gather their fortune by illegal means.

Karoun lived at the time of Moses. He was an evil man who collected great fortune by means of his cunning, and oppression to his people. His treasures grew bigger and bigger but he was never thankful to his Lord. He lived as a proud tyrant who never cared for others. Many of his people who desired the life of the Hereafter more than this worldly life advised him not to exult and to do good. Nevertheless, Karoun did not listen to them. He did not even acknowledge that all what he got is a blessing from Allah. Karoun said pompuously :

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

"He said : I have been given this only on account of the knowledge I have. Did he not know that Allah had destroyed before him generations who were mightier in strength than he and greater in assembling? And the guilty are not questioned about their sins."

(Alqassas, 78)

As Karoun walked in his finery, those people who desired this worldly life admired him and wished they had similar wealth and might. But kind more knowledgeable persons told him that Allah's reward is greater for those who believe, do good and are patient. However, he did not care and so deserved punishment from Allah. He met the terrifying end that had never crossed anybody's mind.

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

"We made the earth to swallow him up and his abode. He had no host to help him against Allah, nor was he of those who can defend themsevles."

(Alqassas, 81)

They ask thee concerning
The spirit (of inspiration)
Say : "the spirit cometh
By command of my lord :
Of knowledge it is only
A little that is communicated
To you O man

(Sura : Isra') (Verse : 85)

This means that spirit is still one of Allah's secrets. We can not solve this secret until the Day of Judgement. The spirit, which is an unsolved secret is considered an evidence that serves the cause faith. This unsolved secret, which makes us pay attention to the ability of Allah, leads us to the way of faith and belief in the existence of Allah the Founder of being and the Creator of the universe.

Although the spirit lies in the body, man knows nothing about it. He does not know how spirit entered or existed. He does not know its place in the human body. Does spirit lie in the brain, which transmits signals to the body in order to move? Does it lie in the heart, which beats when man has been foetus in the mother womb? This heart beats in voluntarily until life ends. Does it lie in the arms, which hit? Does it lie in the legs, which walk? Does it lie in the eyes, which see? Does it lie in the ears, which hear? Does it lie in the tongue, which speak? Where is the spirit?

And an (angel) to
Bear witness

(Sura : Qaf) (Verse : 21)

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾

(الآية ٤٨ من سورة البقرة)

Then guard yourself against a day
When one soul shall not avail
another

(Sura : Al- Baqara) (Verse : 48)

We observe that the commandment of Allah, whether torture or bliss, is for the soul because it is the mixture of spirit and body, i.e. meeting the spirit and material.

What is the spirit ?

If we want to know what is the spirit, we should declare that it is the divine secret, which grants life to material. In other words, the spirit is Allah's will for us to live or die. Death is considered the beginning of a new stage which has its laws and no one knows but Allah.

We have showed that man changes instantly from one state to another. When he puts his head on a pillow to sleep and lays his body on bed, he will change to another state and when he gets up, he changes instantly to another state. In other words, he will move from the law of sleeping to the law of waking, which are different.

The Messenger of Allah (Muhammad) peace and blessings be upon him) showed us that life in this world is short if compared to the journey of the greatest life. The Messenger of Allah (Muhammad) (MBPUH) has described this world like a traveller who spent some time in the shade of a tree before his departure. Thus showing us how short it is. The Messenger of Allah (Muhammad) (MBUH) says :

(ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها)

"I am not eager for life in this world, I live in this world like the rider who sat in the shade of a tree before his departure."

Man knows nothing about spirit. The Jews asked the Messenger of Allah about spirit and how it grants life to the body. They thought that the Messenger of Allah (Muhammad) (MPBUH) will allege an answer depending on himself and thus they can contest his statement and would not believe in his message. Then Allah revealed this ???

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ من سورة الإسراء)

We should realise that there is spirit, body and soul. Soul is the meeting of spirit and material, i.e. mixture of spirit and body. The command of Allah is not applied to spirit only or the spirtless body but it is applied to the mixture of spirit and body, as said by Allah.

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾

(الآيات ٧، ٨، ٩، ١٠ من سورة الشمس)

7- By the soul,
And the proportion and order
Given to it;
8- And its enlightment
As to its wrong
And its right;
9- Truly he succeeds
That purifies it,
10- And he fails,
That corrupts it

We observe that the soul, which is the point at which spirit and material meet, carried out the commandment of Allah. Torture and bliss in Hereafter are for the soul too. Allah restore creation and restore the bodies which meet the spirit to be ready for judgement. We notice that the verses of Qur'an, which refer to the hereafter, don't refer to spirit only nor the body only but they refer to the soul. Allay says :

﴿ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

(من اية ١٦١ سورة ال عمران)

Then shall every soul
Receive its due,
Whatever it earned,
And non-shall be
Dealt with unjustly.

(Suran : Al-Imran) (Verse : 161)

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾

(الآية ٢١ من سورة ق)

And there will come forth
Every soul with each
will be an (angel) to drive

Man and the earth elements

By Mohamed Hussein Ibrahim

Before talking about the end of the world, we should display the beginning in a summary form to understand how Allah has provided man with the evidences. These evidences make man believe in Allah Who has put the human beings on equal footing. The unlearned and learned understand the evidences.

Allah created Adam from the earth elements. The recent scientific analysis has proved that the body of man contains 18 elements. These elements are the same as the earth elements. Consequently, we observe that science had discovered what the gracious Qur'an showed fourteen centuries ago.

Allah created Adam himself. He ensouled Adam from His soul and granted life to his body, then created Eve from his rib. Man consists of spirit and body. Allah permitted man to discover the laws of the physical body throughout the ages according to his knowledge but He made the spirit unsolved mystery. All researchers tried to discover what is spirit but in vain because the spirit cannot be analyzed scientifically. You can't analyse the spirit in the laboratory not carry out experiments on the spirit to know its laws.

Man Tried to know information about the spirit and he is still trying. Swiss scientist carried out an experiment putting a dying man on a bed with an accurate pair of scales attached. He had found out that man loses a tiny amount of his weight at the moment of his death, i.e. during the coming out of the spirit from the body. After these experiments, Swiss scientist said that the spirit has a tiny weight less than one part of hundred of gram. He claimed that the spirit has a tiny weight and tried to prove that the spirit is a material mass with a tiny wieght but was not able to prove it.

There are scientists who disclaim the existence of the spirit and claimed that it is mainly time or nature. Some scientists resorted to philosophy and said it is spirit that grants life to the body. Allah says in His perfect Book :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(الآية ٨٥ من سورة الإسراء)

They ask thee concerning
The spirit (of inspiration)
Say : "The spirit cometh
By command of my lord :
Of knowledge it is only
A little that is communicated
To you o man

(Sura : Isra') (Verse : 85)

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al ula 1421 H.

ENGLISH SECTION
Aug. 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد روح

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سيد العابدين وإمام المتقين، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم. «وبعد»

فقد قال الله - تعالى -:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾(١).

اعلم أن الله - تعالى - أضاف هذه الأمة إلى خمسة: أولها: إلى نفسه، فقال:

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾(٢)، ولآدم بالبنوة، فقال: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾(٣)، ولنوح بالشريعة، فقال - تعالى -:

---

١ - سورة الزمر (٥٣). ٢ - سورة الزمر (١٦)

٣ - سورة الأعراف الآيات (٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٥)

←

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[4] ولإبراهيم بالملة، فقال:
﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[5]، ولمحمد ـ ﷺ ـ بالأمة، فقال ـ تعالى ـ:
﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[6] فإذا كان يوم القيامة، قال آدم: أولادي، وقال نوح: أهل شريعتي، وقال إبراهيم: أهل ملتي، وقال محمد: أمتي، وقال الرب ـ عزوجل ـ عبادي، فإذا كان هذا حال هذه الأمة افتراهم يلحقهم ضيم يوم القيامة؟. حاشا كرم الله.

وسمي العبد عبداً؛ لأنه مسلك القضاء، ومحل العيوب، وليس الفخرله ـ سبحانه ـ أن تكون عبده، لأن عبيده كثيرة، بل الفخر لك أنه مولاك، فأنت عبده يا هذا على الحقيقة ماكنت مطيعا له، كما ذكر عن بعض الصالحين: أنه قدم عليه ناس يزورونه، فتوسم العجب فيهم حين رآهم، فلما أقبلوا عليه قال: أهلا بعبيد عبيدي، فأنكروا قوله، وعنه انصرفوا، فذكروا لأحد العلماء ما قال لهم: فقال: صدق، أنتم عبيد الهوى، والهوى عبده.

قيل: فما الحكمة في أن الله أضاف العبيد إلى نفسه؟ قيل: لثلاثة أشياء: أولها: ليكونوا في حمايته، فلا يقدر الشيطان أن يخلص إليهم ـ الثاني: لئلا يدعى فيهم إبليس باتباعه. الثالث: ليكون جميع ما يصلحك عليه.

قيل: فما الحكمة في أن الله ـ تعالى ـ أضاف نفسه إلينا؟ فقال:
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[7] قيل ـ أيضا ـ لثلاثة أشياء، أحدها: لتعلم أنه لا يفارقك ـ **الثاني**: ليعلمك أن كل ما خلقه من أجلك ولك خلقه، كما قيل: لما خلق الله الأرض قال الآدمي: ماذا لي؟ قال: النبات لك، وخلق الأشجار فقال الآدمي ماذا لي؟ قال: الثمار لك، وخلق السوى، فقال الآدمي: ماذا لي؟ قال: اللبن لك، وخلق البحار، فقال الآدمي: ماذا لي؟ قال: الحيتان لك، وخلق الجبال، فقال الآدمي: ماذا لي؟ فقال: معادن الذهب والفضة لك، وخلق الهواء فقال الآدمي: ماذا لي؟ قال: الطير والغمام لك، وخلق السماء فقال الآدمي: ماذا لي؟ قال: الشمس والقمر والنجوم لك، يعني: لأجل ما في الشمس والقمر من المنافع، وما في النجوم السيارات الدالة على الأوقات، ثم خلق اللوح المحفوظ فقال الآدمي: ماذا لي؟ قال: العلم والحقيقة لك، ثم خلق المعارف فقال الآدمي: ماذا لي؟ قال الله ـ عزوجل ـ أنا لك، فطوبى لمن كان له الملك العلام دائما على الدوام حتى يلقاه على الرضا في دار السلام.

الثالث: ليكون لك الفخر على سائر المخلوقات.

قيل: وإنما قال ـ تعالى ـ: ﴿ **أسرفوا** ﴾ بضمير الغيبة، لئلا يعلم أحد منهم، ولو قال: أسرفتم بضمير الخطاب لوقع الخجل. وقيل: لما قال: ﴿ **أسرفوا على أنفسهم** ﴾ تميز

---

4 ـ سورة الشورى: (١٣).
5 ـ سورة الحج: (٧٨).
6 ـ سورة آل عمران: (١١٠).
7 ـ البقرة: (١٦٣).

العصاة، وقالوا: إذا كان إسرافنا على أنفسنا فقد هلكنا، فقال ـ تعالى ـ: (لا تقنطوا من رحمة الله) وقال تعالى:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾(٨) وقيل: إن سبب نزول هذه الآية: أن وحشيا ـ قاتل حمزة عم النبى ـ ﷺ ـ لما ألقى الله ـ تعالى ـ فى قلبه الإسلام، أرسل إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال: يا محمد لقد أردت الدخول فى الإسلام لولا آية نزلت عليك، وهى قوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴾(٩) فأنزل الله تعالى:

﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ ﴾(١٠) الآية فأرسل بها النبى ـ ﷺ ـ إليه، فقال: هذه بشرط التوبة، ولعلى لا أتوب، فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾(١١) فأرسل النبى ـ ﷺ ـ بها إليه، فقال: هذا بشرط المشيئة، ولعله لا يشاء يغفرلى، فأنزل الله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ فأرسل بها النبى ـ ﷺ ـ إليه، فجاء وأسلم. وعن عبادة ابن الصامت ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل»(١٢) وفى رواية لمسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، حرم الله عليه النار» وقال أبوذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال رسول الله ـ ﷺ ـ «يقول الله ـ عزوجل ـ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة، ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بى شيئا أتيته بمثلها مغفرة، معناه: من تقرب إلىَّ بطاعتى تقربت إليه برحمتى، وإن زاد زدت، ومن أتانى يمشى، أى: أسرع فى طاعتى أتيته هرولة، أى: صببت عليه الرحمة وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود.

وقراب الأرض ـ بضم القاف وكسرها ـ معناها: الذى يقارب ملء الأرض، والله أعلم.

قال أنس: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله ـ تعالى ـ يدخر له حسناته فى الآخرة، ويعقبه رزقا فى الدنيا على

٨ـ الإسراء (٧). ٩ ـ الفرقان: الآيتان (٦٨، ٦٩). ١٠ ـ مريم (٦٠).
١١ ـ النساء (٤٨). ١٢ ـ متفق عليه.

طاعته، وفي رواية «إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها»(١٣).

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفرلهم»(١٤) وعنه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ «إذا أذنب عبد ذنبا فقال: أي رب اغفرلي ذنبي، قال الله ـ عزوجل ـ: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، يقول الله ـ تعالى ـ: يا عبدي قد غفرت لك هذا إن أذنب فيما بينه وبين ربه، لا يظلم غيره من المخلوقين، فإن ظلم العبد نفسه إذا تاب العبد منه، تاب الله عليه، وإذا ظلم غيره ماله توبة إن لم يرض خصمه، فإذا لم يرضه فجهنم من ورائه كما قال المولى العليم:

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١٥).

ومن المعلوم من مذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يقطعون للعاصي بالنار، ويقولون: الكل في مشيئة الله ـ تعالى ـ من شاء عذبه، ومن شاء رحمه، إلا من ورد فيه النص عن النبي ـ ﷺ ـ وثبت أنه من أهل الجنة، من السادة الصحابة، ومن التابعين: أويس القرني ـ رضي الله تعالى عنهم ـ حتى إن الإمام سعيد بن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لو كنت شاهدا لأحد أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر، فإذا كان هذا عبدالله ـ رضي الله تعالى عنه ـ مع جلالة قدره، لم يقطع له ابن المسيب بالجنة، فكيف يقطع لغيره إلا من أتى فيه النص بالجنة.

قالت أسماء بنت عميس: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقرأ:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ولا يبالي»(١٦).

وقال عبدالله بن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: «تلا رسول الله ـ ﷺ ـ قول إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾(١٧) الآية، وقول عيسى بن مريم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾(١٨) الآية فرفع يديه وقال: اللهم أمتي أمتي وبكى، فقال الله ـ تعالى ـ يا جبريل انزل إليه وسله: ما يبكيك وهو أعلم، فنزل جبريل وأخبره بما قال الله له، قال: يا جبريل اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك فيهم»(١٩).

---

١٣ ـ رواه مسلم. ١٤ ـ رواه مسلم. ١٥ ـ الشورى: (٤٢).

١٧ ـ إبراهيم: (٣٦). ١٨ ـ المائدة (١١٨). ١٩ ـ ذكره مسلم.

قيل: لما نزل آدم إلى الأرض، قال: يارب أنزلتني إلى الأرض، وسلطت على إبليس، فاجعل لي عليه سلطانا، قال: لا يولد لك ولد إلا وكلت به ملكين يحفظانه، قال: يارب زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها وأزيد، والسيئة بواحدة وأعفو، قال: يارب زدني، قال: باب التوبة مفتوح، ما دام في الجسد روح.

وأخيرا إنما وردت هذه الأخبار في فضل الغفار ورحمته، التي تسع الأخيار والأشرار من أمة سيدنا محمد المختار، لكيلا يقنط العبد من رحمة ربه الحليم الغفار، بحيث إذا وقع منه ذنب فيقول: قد هلكت ويتم مصرا على عصيانه اعتقادا منه أنه لا توبة له، فهذا ظن سوء بربه، وهو اعتقاد الكفار، وربما يهمل التوبة لرغبته في المعصية، فتجرئه على المعاصي، وإصراره عليها، ومداومته لها، وربما ينعكس عند موته كما تقدم ويصير من الكفار، فواجب على كل مسلم مؤمن بالله واليوم الآخر، أنه لا يذنب وإن قدر عليه ووقع في الذنب يبادر إلى التوبة بالندم والإقلاع وعدم العود إلى الذنب والأوزار فإن «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله المغفرة» هكذا قال المصطفى المختار ـ ﷺ ـ فلا يطمع العاصي، ويتجرأ على المعاصي، ويتهاون فيما فرض الله عليه من الطاعات المفروضات المفضلة، ويعتقد كما يعتقد الفجرة الجهلة من أنه إن كان قد كتب من أهل الجنة أو النار فلا تنفعه الحسنات ولا تضره السيئات، فهذا ضل سعيه، وأحبط الله عمله، ولو علم فيه ـ سبحانه ـ خيرا وفقه وعلمه وألهمه طاعته، ويكفي المرء الموفق قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾[20].

وقول النبي ـ ﷺ ـ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» فعبد اتقى الله، وأخلص عمله حاشا كرمه أن يضيعه، وانظر إلى قول رئيس الحكماء: «من عمل الخير فبنفسه بدأ، ومن عمل الشر فعلى نفسه اعتدى».

وتصديق ذلك قول المولى ـ سبحانه ـ:

﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ﴾[21] تا الله لأهل الخير من سوء الخاتمة خائفون، فما حال غيرهم وهم عاصون ظالمون؟

نسأل الله أن يوفقنا إلى كل خير، وأن يجنبنا الزلل وأن يرزقنا طاعته آناء الليل وأطراف النهار، وصلى الله وسلم ـ على سيدنا محمد وآله وصحبه،

(عبد المعز عبد الحميد الجزار)

---

٢٠ ـ سورة الليل الآيات (٥ ـ ١٠).   ٢١ ـ فصلت (٤٦).

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

الأستاذ الدكتور محمد سيّد طنطاوى

قال الله - تعالى -: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾

[الآيات من ١٩٠ : ١٩٥]

بعد أن أمر ـ سبحانه ـ المؤمنين بطاعته وتقواه، وحضهم على الجهاد فى سبيله..؛ إذ هو من أجل مظاهرها وبصرهم بحكمته وآدابه فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ١٩٠

قال ابن كثير: قال أبوجعفر الرازى عن الربيع ابن أنس عن أبى العالية فى قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾

قال: هذه أول آية نزلت فى القتال بالمدينة فلما نزلت كان رسول الله ـ ﷺ ـ يقاتل من قاتله ويكف عمن كف عنه حتى نزلت سورة براءة[1].

ويرى بعض العلماء أن هذه الآيات قد وردت فى الأذن بالقتال للمحرمين فى الأشهر الحرم إذا فوجئوا بالقتال بغياً وعدواناً، فهى متصلة بما قبلها أتم الاتصال، لأن الآية السابقة بينت أن الأهلة مواقيت للناس فى عباداتهم ومعاملاتهم عامة وفى الحج خاصة وهو فى أشهر هلالية مخصوصة كان القتال فيها محرماً فى الجاهلية، فقد أخرج الواحدى عن ابن عباس أن هذه الآيات نزلت فى صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله ـ ﷺ ـ صده المشركون عن البيت الحرام ـ ثم صالحوه فرضى على أن يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام يطوف ويفعل ما يشاء فلما كان العام القابل تجهز هو وأصحابه لعمرة القضاء وخافوا ألا تفى لهم قريش، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام بالقوة ويقاتلوهم وكره أصحابه قتالهم فى الحرم والشهر الحرام فأنزل الله ـ تعالى الآيات[2].

والقتال والمقاتلة: محاولة الرجل قتل من يحاول قتله، والتقاتل محاولة كل واحد من المتعادين قتل الآخر.

قال أبوحيان: وقوله: ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ السبيل هو الطريق. واستعير لدين الله وشرائعه لأن المتبع لذلك يصل به إلى بغيته الدينية والدنيوية، فشبه بالطريق الموصل الإنسان إلى ما يقصده، وهذا من استعارة الأجرام للمعانى ويتعلق ﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ بقوله: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ﴾ وهو ظرف مجازى، لأنه لما وقع القتال بسبب نصرة الدين صار كأنه وقع فيه، وهو على حذف مضاف والتقدير فى نصرة دين الله[3].

والمراد بالقتال فى سبيل الله: الجهاد من أجل إعلاء كلمته حتى يكون أهل دينه الحق أعزاء لايسومهم أعداؤه ضيماً، وأحراراً فى الدعوة إليه وإقامة شرائعه العادلة فى ظل سلطان مهيب.

أى: قاتلوا أيها المؤمنون لإعلاء كلمة الله وإعزاز دينه أعداءكم الذين أعدوا أنفسهم لقتالكم ومناجزتكم وتحققتم منهم سوء النية، وفساد الطوية.

فالآية الكريمة تهييج للمؤمنين وإغراء لهم على قتال أعدائهم بدون تردد أو تهيب، وإرشاد لهم إلى أن يجعلوا جهادهم من أجل نصرة الحق، لا من أجل المطامع أو الشهوات.

فقد روى الشيخان، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه، عن أبى موسى ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابياً أتى النبى ـ ﷺ ـ فقال: يارسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه ـ أى: ليتحدث الناس

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٦

(٢) تفسير البحر المحيط جـ٢ ص٦٥ لأبى حيان

(٣) تفسير المنار جـ ٢ ص٢٠٨

بشجاعته وليظهر بينهم – أى ذلك فى سبيل الله؟ فقال رسول الله – ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله».

والأحاديث فى الدعوة إلى أن يكون الجهاد فى سبيل الله من أجل إعلاء كلمته كثيرة متعددة

وقوله: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ نهى عن الاعتداء بشتى صوره ويدخل فيه دخولا أوليا الاعتداء فى القتال.. والاعتداء: مجاوزة الحد فيما أمر الله به أو نهى عنه.

أى: قاتلوا فى سبيل الله من يناصبكم القتال من المخالفين، ولا تتجاوزوا فى قتالهم إلى من ليس شأنهم قتالكم، كنسائهم، وصبيانهم ورهبانهم، وشيوخهم الطاعنين فى السن إلى حد الهرم، ويلحق بهؤلاء المريض والمقعد والأعمى والمجنون، وقد وردت فى النهى عن قتل هؤلاء الأحاديث النبوية ووصايا الخلفاء الراشدين لقواد جيوشهم، فهؤلاء يتجنب قتالهم إلا من قامت الشواهد على أن له أثراً من رأى أو عمل فى الحرب، يؤازر به المحاربين لينتصروا على المجاهدين.

قال ابن كثير: ولهذا جاء فى صحيح مسلم عن بريدة أن رسول الله – ﷺ – كان يقول: «اغزوا فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولاتغلوا ولا تغدروا ولاتمثلوا ولاتقتلوا الوليد ولا أصحاب الصوامع»، وفى الصحيحين عن ابن عمر قال: «وجدت امرأة فى بعض المغازى مقتولة فأنكر رسول الله – ﷺ – قتل النساء والصبيان»[1].

وقوله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ كالتعليل لما قبله فى النهى عن مجاوزة ما حده الله – تعالى – فى قتال المخالفين.

ومحبة الله لعباده: صفة من صفاته – تعالى – من أثرها الرعاية والإنعام وإذا نفى الله – تعالى – محبته لطائفة من الناس فهو كناية عن بغضه لهم، واستحقاقهم لعقوبته.

وقوله:

﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ الضمير المنصوب فيه يعود على قوله:

﴿ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾ فى الآية السابقة.

و﴿ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾: أدركتموهم وظفرتم بهم. يقال: ثقف الشيء إذا ظفر به ووجده على جهة الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف إذا كان سريع الأخذ لأقرانه. قال الشاعر:

فإما تثقفونى فاقتلونى
فمن أثقف فليس إلى خلود

ويقال – أيضاً – رجل ثقف: إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور.

والمعنى: عليكم أيها المسلمون أن تقتلوا هؤلاء الذين أذنا لكم بقتالهم حيث وجدتموهم وظفرتم بهم، فإنهم قد بادءوكم بالعدوان، وتمنوا لكم كل شر وسوء.

وقوله:

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ معطوف على ما قبله.

وحيث ظرف مكان، والمكان الذى أخرجوهم منه هو مكة، فإن المشركين من قريش قد أنزلوا بالمسلمين الأولين من صنوف الأذى ما جعلهم

(1) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٦.

يتركون مكة ويهاجرون إلى بلاد الحبشة أولا . ثم إلى المدينة المنورة ثانيا .

أى : اقتلوا هؤلاء الذين قاتلوكم فى أى مكان لقيتموهم فيه، وأخرجوهم من المكان الذى أخرجوكم منه وهو مكة .

وفى هذا تهديد للمشركين، وإغراء للمسلمين بهم، ووعد بفتح مكة وقد أنجز الله - تعالى - وعده ففتح المسلمون مكة فى السنة الثامنة من الهجرة .

وقوله - تعالى - :

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ دفع لما قد يقع من بعض المسلمين من استعظام قتل المشركين فى مكة .

والفتنة فى الأصل: مصدر فتن الصائغ الذهب والفضة إذا أذابهما بالنار ليستخرج الزائف منهما ثم استعملت فى الابتلاء والامتحان والصرف عن الشىء، وأكثر استعمالها فى التضليل والصد عن الدين ، ثم على الكفر.

ويبدو أن المراد منها هنا ما كان يفعله المشركون مع المسلمين من التعذيب والصد عن الدين، والإخراج من الوطن، وغير ذلك من صنوف الأذى.

والمعنى: لا تقصروا فى قتل المشركين الذين يقاتلونكم، والذين أخرجوكم من دياركم، فإن فتنتهم لكم بالايذاء والتعذيب والصد عن الدين، أشد ضررا من قتلكم لهم فى أى مكان وجدوا به.

وبعضهم فسر الفتنة هنا بالشرك، أو بالرجوع إلى الكفر، أو بعذاب الآخرة، وقد بين ذلك صاحب الكشاف بقوله. وقوله:

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ أى : المحنة والبلاء الذى ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء: ما أشد من الموت: قال: الذى يتمنى فيه الموت، جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التى يتمنى عندها الموت ، ومنه قول القائل:

القتل بحد السيف أهون موقعا
على النفس من قتل بحد فراق

وقيل: ﴿ وَالْفِتْنَةُ ﴾ عذاب الآخرة قال - تعالى - ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ وقيل: الشرك أعظم من القتل فى الحرم، وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل فى الحرم ويعيبون به المسلمين. فقيل: والشرك الذى هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز أن يراد: وفتنتهم إياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم إياهم فى الحرام، أو من قتلهم إياكم إن قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم[*].

وإلى هنا تكون الآية الكريمة قد أذنت للمؤمنين فى قتل الذين يناجزونهم القتال دفعا لشرهم أينما وجدوا.

ثم ساقت الآية جملة أخرى نهت فيها المؤمنين عن قتال المشركين عند المسجد الحرام مراعاة لحرمته، ما دام المشركون لم يفاتحوهم بالقتال عنده، أما إذا فاتحوهم بالقتال فيه، فقد أصبح من حق المؤمنين أن يدافعوا عن أنفسهم، وأن يقاتلوا أعداءهم. وهذه الجملة هى قوله - تعالى - :

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾

(*) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٣٦ .

أى: لاتقاتلوا أيها المؤمنون أعداءكم عند المسجد الحرام احتراماً له حتى يبدأ المشركون قتالكم عنده فإن بدءوكم بالقتال فيه فلا حرج عليكم فى قتلهم عنده، لأن المنتهك لحرمة المسجد الحرام إنما هو البادىء بالقتال فيه وهم المشركون، ولستم أنتم أيها المؤمنون لأن موقفكم إنما هو موقف المدافع عن نفسه.

فأنت ترى أن الآية الكريمة قد حفظت للمسجد الحرام حرمته وهيبته ومكانته السامية لأن حرمته لذاته، وحرمة سائر الحرم من أجله، إلا أنها أذنت للمسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم إذا ما هاجمهم المشركون عنده أو فيه.

قال ابن كثير ما ملخصه: وقد دلت الآية على الأمر بقتال المشركين فى الحرم إذا بدأوا بالقتال فيه دفعا لصولتهم، كما بايع النبى - ﷺ - أصحابه يوم الحديبية تحت الشجرة على القتال، لما تألبت عليه بطون قريش ومن والاهم من أحياء ثقيف والأحابيش عامئذ، ثم كف الله القتال بينهم فقال:

﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ الفتح ٢٤.

وقال - ﷺ - لخالد بن الوليد ومن معه يوم الفتح: إن عرض لكم أحد من قريش فاحصدوهم حصداً حتى توافونى على الصفا، فما عرض لهم أحد إلا أناموه وأصيب من المشركين نحو اثنى عشر رجلا(٧).

ولم يقل - سبحانه - فإن قاتلوكم فقاتلوهم، وإنما قال:

﴿ فإن قاتلوكم فاقتلوهم ﴾ تبشيراً للمؤمنين بالغلبة عليهم، وإشعاراً بأن هؤلاء المشركين من الخذلان والضعف بحالة أمر الله المؤمنين معها بقتلهم لابقتالهم فهم لضعفهم لايحتاجون من المؤمنين إلا إلى القتل.

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ تذييل لما قبله، واسم الإشارة ذلك يعود إلى قتل المقاتلين أينما وجدوا.

والجزاء: ما يقع فى مقابلة الإحسان أو الإساءة، فيطلق على ما يثاب به المحسن، وعلى ما يعاقب به المسىء. والمراد به فى الآية العقاب.

أى: مثل هذا الجزاء العادل من القتل والردع يجازى الله الكافرين الذين قاتلوا المؤمنين وأخرجوهم من ديارهم.

ثم فتح القرآن للكافرين الذين قاتلوا المسلمين التوبة فقال:

﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

الانتهاء: أصله مطاوع نهى. يقال: نهاه فانتهى ثم توسع فيه فأطلق على الكف عن الشىء، لأن النهى هو طلب ترك الشىء.

أى: فإن انتهوا عن الكفر وعن مقاتلتكم فكفوا عنهم ولاتتعرضوا لهم فإن الله غفور رحيم، وكل من تاب من كفر أو معصية فشأن الله معه أن يغفر له ويرحمه.

ونظير هذه الآية قوله - تعالى -:

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ الأنفال ٣٨.

وإنما قلنا فإن انتهوا عن الكفر وعن القتال لأن سياق الحديث عن الكافرين المقاتلين للمؤمنين،

(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٢٧. (٧) تفسير القاسمى جـ٢ ص٤٧٦. (٨) تفسير الآلوسى جـ٢ ص٧٦.

فيكون حمل الانتهاء على الأمرين معا أولى من حمله على القتال فحسب.

وقوله - تعالى - :

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾

معطوف على جملة

﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ ﴾

والضمير «هم» يعود على الذين يقاتلون المسلمين وهم من سبق الحديث عنهم.

والمراد من ﴿ الفتنة ﴾ الشرك وما يتبعه من أذى المشركين للمسلمين واضطهادهم وتعذيبهم. قال الألوسى: ويؤيده أن مشركى العرب ليس في حقهم إلا الإسلام أو السيف. لقوله - سبحانه -:

﴿ تقاتلونهم أو يسلمون ﴾.

وفى الصحيحين عن ابن عمر: «أن رسول الله - ﷺ - قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»

والدين في اللغة: العادة والطاعة ثم استعمل فيما يتعبد به الله - تعالى - سواء أكان ما تعبد به صحيحاً أم باطلاً.

والمراد هنا: الدين الصحيح الذى شرعه الله لعباده على لسان نبيهم محمد - ﷺ - ليتوصلوا به إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل.

والمعنى: قاتلوا أولئك المشركين حتى تزيلوا الشرك، وحتى تكسروا شوكتهم ولايستطيعوا أن يفتنوا طائفة من أهل الدين الحق، وحتى يكون الدين الظاهر في الأرض هو الدين الذى شرعه الله - تعالى - على لسان نبيه - محمد ﷺ -.

وقد تحقق ذلك بالقتال الذى دار بين المسلمين والمشركين في أكثر من عشرين غزوة قادها النبى - ﷺ - بنفسه، وفي أكثر من أربعين سرية بعث فيها أصحابه، وكانت ثمار هذه المعارك أن انتصر الحق وزهق الباطل، وقبل أن يلتحق النبى - ﷺ - بالرفيق الأعلى كان الدين الظاهر في جزيرة العرب هو دين الإسلام الذى جاء به الرسول - ﷺ -.

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله:

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

والعدوان في أصل اللغة: الاعتداء والظلم الذى هو من الأفعال المحرمة والمراد به في الآية القتل حيث يرتكب جزاء للظالمين.

والفاء في قوله: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ ﴾ للتعقيب وقوله:

﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ قائم مقام جواب الشرط، لأنه علة الجواب المحذوف.

والمعنى: فإن امتنعوا عن قتالكم ولم يقدموا عليه، وأذعنوا لتعاليم الإسلام، فكفوا عن قتالهم، لأنهم قد انتفى عنهم وصف الظلم، وما دام قد انتفى عنهم هذا الوصف فلا يصح أن تقاتلوهم، إذ القتال إنما يكون للظالمين تأديبا لهم ليرجعوا عن ظلمهم.

ففى الجملة الكريمة إيجاز بالحذف، واستغناء عن المحذوف بالتعليل الدال عليه.

قال الإمام الرازى: أما قوله - تعالى - :

﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ففيه وجهان:

الأول: فإن انتهوا فلا عدوان أى: فلا قتل إلا

على الذين لاينتهون عن الكفر، فإنهم بإصرارهم على كفرهم ظالمون لأنفسهم قال - تعالى - :

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

فإن قيل: لم سمى ذلك القتل عدوانا مع أنه في نفسه صواب؟ قلنا: لأن ذلك القتل جزاء العدوان فصح إطلاق اسم العدوان عليه، كقوله - تعالى - : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ﴾.

الثاني: إن تعرضتم لهم بعد انتهائهم عن الشرك والقتال كنتم أنتم ظالمين، فتسلط عليكم من يعتدى عليكم [9].

وقوله - تعالى - :

﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ بيان للحكمة في إباحة القتال في الأشهر الحرم، وإيذان بأن مراعاة حرمة الشهر الحرام إنما هي واجبة في حق من يصون حرمته، أما من هتكها فقد صار بسبب انتهاكه لحرمة الشهر الحرام محلا للقصاص والمعاقبة في الشهر وفي غيره.

وسمى الشهر الحرام لأنه يحرم فيه ما يحل في غيره من القتال ونحوه، والتعريف فيه - على الراجح - للجنس فهو يشمل الأشهر الحرام جميعها وهي أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب.

قال - تعالى - :

﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [10].

قال القرطبي: نزلت في عمرة القضاء، وذلك أن رسول الله - ﷺ - خرج معتمراً حتى بلغ الحديبية في ذي القعدة سنة ست، فصده المشركون كفار قريش عن البيت فانصرف ووعده - سبحانه - أنه سيدخله فدخله في ذي القعدة سنة سبع وقضى نسكه ونزلت هذه الآية [11] والمعنى: هذا الشهر الحرام الذي تؤدون فيه عمرة القضاء، بذلك الشهر الحرام الذي صدكم المشركون فيه عن دخول المسجد الحرام، فإذا بدءوا بانتهاك حرمته بقتالكم فيه، فلا تبالوا أن تقاتلوهم فيه دفاعاً عن أنفسكم، إذ هم البادئون بهتك حرمته.

وقوله: ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ متضمن لإقامة الحجة على الحكم السابق والحرمات: جميع حرمة، وهي ما يحفظ ويرعى ولاينتهك.

والقصاص: المساواة، أي، وكل حرمة يجرى فيها القصاص. فمن هتك أية حرمة اقتص منه بأن تهتك له حرمة.

والمراد: أن المشركين إذا اقدموا على مقاتلتكم - أيها المؤمنون - في الحرم أو في الشهر الحرام، فقاتلوهم أنتم أيضاً على سبيل القصاص والمجازاة بالمثل، حتى لايتخذوا الأشهر الحرم ذريعة للغدر والإضرار بكم.

ثم أكد - سبحانه - هذا المعنى بقوله :

﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾

---

(٩) تفسير الفخر الرازي جـ ٥ ص١٤٦.

(١٠) سورة التوبة الآية ٣٦.

(١١) تفسير القرطبي جـ٢ ص٣٥٥.

أى: فمن اعتدى عليكم وظلمكم فجازوه باعتدائه وقابلوه بمثل ما اعتدى عليكم بدون حيف أو تجاوز للحد الذى أباحه الله لكم.

وسمى جزاء الاعتداء اعتداء على سبيل المشاكلة.

قال الآلوسى: واستدل الشافعى بالآية على أن القاتل يقتل بمثل ما قتل به من محدد أو خنق أو حرق أو تجويع أو تغريق، حتى لو ألقاه فى ماء عذب لم يلق فى ماء ملح، واستدل بها أيضاً على أن من غصب شيئاً وأتلفه لزمه رد مثله، ثم إن المثل قد يكون من طريق الصورة - كما فى ذوات الأمثال - وقد يكون من طريق المعنى كالقيم فيما لا مثل له [١٢].

ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بالأمر بالتقوى والخشية منه فقال:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

أى: اتقوا الله وراقبوه فى الانتصار لأنفسكم، وترك الاعتداء فيما لم يرخص لكم فيه، واعلموا أن الله مع الذين يمتثلون أمره ويجتنبون نهيه بالنصر والرعاية والتأييد. ثم أمر الله - تعالى - المؤمنين ببذل المال من أجل إعلاء كلمته، ونصرة دينه، فقال:

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

قال الإمام الرازى: الإنفاق هو صرف المال إلى وجوه المصالح فلذلك لا يقال فى المضيع: أنه منفق، فإذا قيد الإنفاق بذكر سبيل الله، فالمراد به طريق الدين، لأن السبيل هو الطريق، وسبيل الله هو دينه، فكل ما أمر الله به فى دينه من الإنفاق فهو داخل فى الآية سواء كان إنفاقاً فى حج أو فى صلة رحم أو غير ذلك، إلا أن الأقرب فى هذه الآية - وقد تقدم ذكر الجهاد - أنه يراد به الإنفاق فى الجهاد، وقوله:

﴿ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كالتنبيه على العلة فى وجوب هذا الإنفاق، وذلك لأن المال مال الله فيجب إنفاقه فى سبيله، ولأن المؤمن إذا سمع ذكر الله اهتز ونشط فيسهل عليه إنفاق المال [١٣].

و ﴿ تُلْقُوا ﴾ من الإلقاء وهو طرح الشىء من اليد.

قال الجمل: والباء فى قوله: ﴿ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ تحتمل وجهين:

أحدهما: أنها زائدة فى المفعول به لأن ألقى يتعدى بنفسه، قال - تعالى -:

﴿ فألقى عصاه ﴾.

والثانى: أن يضمن ألقى معنى فعل يتعدى بالباء فيتعدى تعديته فيكون المفعول به فى الحقيقة هو المجرور بالباء تقديره، ولا تفضوا بأيديكم إلى التهلكة كقوله: أفضيت بجنبى إلى الأرض أى: طرحته على الأرض [١٤].

والمراد بالأيدى: الأنفس، من باب ذكر الجزء وإرادة الكل، لأن أكثر ظهور أفعال النفس تكون عن طريق اليد.

والتهلكة: الهلاك والموت، أو كل شىء تصير عاقبته إليه. مصدر هلك يهلك هلكاً وهلاكاً وتهلكة.

والجملة الكريمة معطوفة على جملة

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾

الخ، لأنهم لما أمروا بقتال عدوهم، وكان أوفر منهم عدة وعدداً، كلفهم بالاستعداد له عن طريق إنفاق الكثير من أموالهم فى سبيل إعلاء كلمة الله

(١٢) تفسير الآلوسى جـ١ ص٧٧.

(١٣) تفسير الفخر الرازى جـ٥ ص١٤٨ بتصرف وتلخيص.

(١٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٥٥.

لأن هذا الإنفاق من أقوى الوسائل التي توصل إلى النصر.

والمعنى: عليكم، أيها المؤمنون – أن تقاتلوا في سبيل الله من قاتلكم، وأن تنفقوا –من أجل إعلاء كلمة الله– أموالكم، ولا تلقوا أنفسكم فيما فيه هلاككم في دين أو دنيا، بسبب ترككم الجهاد وبخلكم عن الإنفاق فيه مع القدرة على ذلك.

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه الترمذى وغيره عن أبي عمران قال: كنا بمدينة الروم –القسطنطينية– فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم. فخرج إليهم من المسلمين مثلهم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقى بيديه إلى التهلكة !! فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يأيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار . لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً – دون رسول الله –ﷺ– إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله – تعالى – على نبيه يرد علينا ما قلناه

﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

فكانت التهلكة الإقامة على الأموال، وإصلاحها، وتركنا الغزو.

قال الراوى: فمازال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

فالآية الكريمة تأمر المؤمنين بأن يبذلوا أموالهم في الجهاد في سبيل الله بصفة خاصة، وفي كل موطن من مواطن الخير بصفة عامة، لأن عدم البذل في سبيل الخير يؤدي إلى ضعف الأمة واضمحلالها.

ثم ختم – سبحانه – الآية بالترغيب في الإحسان فقال:

﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾

أي: أحسنوا كل أعمالكم وأتقنوها، لأنه – سبحانه – يحب المحسنين في كل شئونهم، ويثيبهم على ذلك بما يسعدهم في دينهم ودنياهم.

هذا، وتأمل معي – أيها القارىء الكريم – في هذه الآيات تراها قد رسمت أحكم منهاج وأعدله في شأن الحرب والسلم.

إنها تأمر المؤمنين أن يجاهدوا أعداءهم الذين بدأوهم بالقتال، وأن يقتلوهم حيث وجدوهم.. ويخرجوهم من حيث أخرجوهم، كما تأمرهم أن يبذلوا أموالهم في سبيل الله بدون إمساك أو بخل، وهذا من أقوى أنواع الحض على الجهاد من أجل إعلاء كلمة الله.

ولكنها في الوقت نفسه تنهاهم عن الاعتداء، وتنهاهم عن القتال في الأشهر الحرم وفي الأماكن المقدسة إلا إذا قاتلهم المشركون فيها، كما تنهاهم عن قتالهم إذا ما انتهوا عن عدوانهم وكفرهم، لأن شريعة القرآن تستجيب لداعي السلم متى كف المعتدون عن العدوان، واحترموا كلمة الإسلام.

وبذلك نرى أن القتال في الإسلام ليس من أجل الغنائم، أو الاستغلال أو الاستعباد، أو التباهي.. كلا ليس لأجل شيء من هذا، وإنما هو من أجل الدفاع عن الحق وأهله، حتى تكون كلمته هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى، وبهذا تسعد الإنسانية، وتنال ما تصبو إليه من عزة وفلاح.

يتبع

قبس من أنوار النبوة

من مقومات المجتمع المسلم

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

روى معاذ بن جبل -رضى الله عنه- أن رسول الله - ﷺ - قال: «أتدرى ما حق الله على عباده؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدرى ما حق العباد على الله إن فعلوا ذلك؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم بالنار.

«رواه البخارى ومسلم»

إن الإسلام الذى ارتضاه الله دينا لعباده – يضع قواعده للمجتمع المسلم، ويفرض آدابه الرفيعة ليعيش هذا المجتمع فى حياة تسودها الرحمة، ويظللها الأمن ويغمرها السلام، يعلن ذلك فور إرساء أساس الإيمان بالله، وحق عبادته عبادة خالصة يحققون بها ما وعدهم به – سبحانه – حيث يقول:

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(1).

وإن الإيمان بالله لابد وأن يقترن بالعمل والعقيدة الصحيحة التى تسكن القلب وتوجه الجوارح فليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وإن قوما غرتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل» الحسن البصرى.

إن الإيمان بالله والعمل بما فيه طاعته كما جاء فى قوله – تعالى –:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن

(1) سورة النور ٥٥.

كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ ﴾(٢).

الإيمان بالله وأداء طاعته هي حقه على عباده بعد أن خلقهم فأحسن خلقهم ورزقهم فضاعف رزقهم وهداهم للإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أوجب الله ذلك بقوله:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٣).

وعبادة الله تعبير جامع لإفراده -سبحانه وتعالى- بالطاعة وأن يراه حيث أمره ولا يجده حيث نهاه، يراه على صراط سوى من ربه، بارا بوالديه محسنا إلى ذوى قرباه، عطوفا على اليتامى الذين غيب الله آباءهم تحت التراب معوانا للفقراء والمساكين، رفيقا بالجيران من أهله ومن غير أهله، خيرا بشريكة حياته متداركا للذين نفد زادهم ومالهم وهم في الطريق إلى ديارهم.

العبادة في الإسلام: أن يؤدى الإنسان واجبه نحو ربه، ونحو نفسه وأسرته ونحو المجتمع الذى يعيش فيه، فالصلاة عبادة، والسعي على الرزق بالوسائل المشروعة عبادة، والصلح بين الناس عبادة، وإماطة الأذى عن الطريق عبادة، وأداء الواجبات الزوجية والأسرية عبادة، والجهاد في سبيل الله عبادة، وذروة سنام الإسلام، ولقد ذكر رسول الله - ﷺ -، في أحاديثه الشريفة مجموعة من الأعمال العادية التي يمارسها الناس في حياتهم ثم خلع عليها ثوب العبادة حتى صدقت النية، وكان القصد بها وجه الله وذلك كالأكل والشراب والنوم متى كان ذلك معينا على النهوض بالواجبات، إن العاقل الرشيد يطيل تأمل الأوامر الإلهية ليصل نفسه بربه على أساس منها، ويؤدى بها شكر أنعم الله، فإن الإيمان نعمة عظمى وشكرها لزوم طاعته، وإن الكفر بالله واتباع غير سبيل المؤمنين ذلة وهوان وهبوط بكرامة الإنسان عن درجة الحيوان.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٤).

وإذا ائتمر الناس بأوامر ربهم وانتهوا عن كل ما نهاهم عنه، وعبدوه حق العبادة ووقفوا عند حدوده واهتدوا بهداية دينهم وتمسكوا بسنة نبيهم وحققوا إخلاص نواياهم، سعدوا بما أعده الله لمن أطاعه واتقاه.

وحقهم عليه إن هم أطاعوه نالوا مغفرة ورحمة ورضوانا تفضلا منه -عز وجل- وتكرما.

فهل نقف عند حدود الله ونتمسك بكتاب ربنا ونعمل بسنة نبينا حتى يرضى عنا خالقنا، ونفوز بجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

---

(٢) سورة النساء ٣٦ - ٣٩.

(٣) سورة الذاريات ٥٦ -٥٨.

(٤) سورة الأنفال ٢٢ - ٢٣.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ «أهل»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلفظ «الأهل مفرد»، لكنه اسم جمع ويجمع على أهلين وأهالى وأهلات. وأهل الرجل فى الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به. فأطلق على من يجمعه بهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهما من صناعة أو بيت وبلد وإذا قيل: أهل البيت انصرف إلى أهل بيت النبى - ﷺ - أى: أسرته.

وقد حكمت الشريعة الإسلامية برفع النسب بين المسلم والكافر؛ لذلك قال الله - تعالى- لسيدنا نوح عن ابنه الكافر

﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ ﴾ [سورة هود: ٤٦](١).

وقد جاء لفظ أهل فى القرآن الكريم مقطوعا عن الإضافة إلى الضمائر أربعا وخمسين مرة ومضافا إلى الضمائر بجميع أنواعها (المتكلم والمخاطب والغائب فى الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث) ثلاثا وسبعين مرة.

ونلاحظ أنه لم يأت مضافا إلى الأعلام قط بل أضيف إلى القرية، والقرى، والمدينة، والبيت، ومدين، ويثرب، والنار، والذكر، والتقوى، والمغفرة، لكن الغالبية العظمى من هذا اللفظ مضافة إلى الكتاب «يا أهل الكتاب» والمراد به التوراة والإنجيل وأضيف اللفظ مرة واحدة إلى الإنجيل

﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ ﴾ [المائدة: ٤٧]

(١) بصائر ذوى التمييز للفيروز آبادى جـ٢ ص٨٢.

وقد جاء هذا اللفظ كما يقول صاحب البصائر على عشرة معان فى القرآن الكريم. الأول: بمعنى سكان القرى كقوله -تعالى-:

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ ﴾ [الأعراف: ٩٧].

الثانى: بمعنى قراء التوراة والإنجيل مثل قوله -تعالى-: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ والثالث بمعنى أصحاب الأموال وأرباب الأملاك

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾

[النساء: ٥٨]

أى: أربابها. والرابع: بمعنى العيال والأولاد كقوله -تعالى-:

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾

[القصص: ٢٩]

والمراد زوجه وأولاده، والخامس بمعنى القوم وذوى القرابة مثل:

﴿ فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾

[النساء: ٢٥]

والسادس بمعنى المختار والخليق والجدير مثل

﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦]

أى كانوا الجديرين بالتقوى والمستحقين للوصف بها.

والمعنى السابع: الأمة وأهل الملة

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ﴾

[مريم: ٥٥]

والمعنى الثامن المستوجب المستحق للشىء كقول -تعالى-:

﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

[المدثر: ٥٦]

والتاسع بمعنى العشيرة والأولاد والذريات والأزواج مثل:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾

[طه: ١٣٢]

وقوله:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾

[الأحزاب: ٣٣]

والمعنى العاشر والأخير هو أولاد الخليل وأولاده -عليه السلام- كقوله -تعالى-:

﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾

[هود: ٧٣][٢].

والآن حان الوقت -كما جرت العادة فى هذه المقالات- لاستعراض الآيات الكريمة التى جاء فيها هذا اللفظ -والبداية من سورة البقرة وقد ذكرت الآية فيها خمس مرات. الأولى: قوله -تعالى-:

---

(٢) المرجع السابق ص٨١.

﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

[البقرة: ١٠٥]

والمعنى والله أعلم: أن الكافرين من أهل الكتاب وهم اليهود وبعض النصارى حاسدون لكم لأن الله شرفكم برسالة محمد -ﷺ- وهي أجل ما أنعم الله به عليكم فهم لا يحبون أن ينزل عليكم أي خير من ربكم بالوحي أو غيره لكن حسد الحاسدين لا يحول بين نعم الله وبين من سبق في علم الله أنه يستحقها فهو -سبحانه- يختص برحمته وفضله من يشاء متى شاء وهو -جل وعلا- عظيم الفضل على الأنبياء وعلى من اتبعهم بصدق وإخلاص وعليه فإن الحسد لا يغير من قدر الله شيئا.

والآية الثانية في البقرة هي قوله -تعالى-:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[البقرة: ١٠٩]

وهي قريبة المعنى من السابقة فأهل الكتاب خاصة اليهود يتمنون أن تعودوا - بعد أن هداكم الله إلى الإيمان كفارا حسدا لكم ولنبيكم على نعمة الإسلام الجليلة مع أنهم على يقين أن محمدا -ﷺ- على الحق ومع ذلك أمر الله المسلمين أن يعاملوهم بالعفو حتى يأتيهم نصر الله الذي لا ريب فيه فالله على كل شيء -من نصركم وهزيمة عدوكم- قدير والآية الثالثة هي قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[البقرة: ١٢٦]

ذلك أن إبراهيم لما فرغ هو وابنه إسماعيل -عليهما السلام- من بناء البيت دعا ربه أن يجعل الوادي الذي بني فيه البيت بلدا آمنا من كل سوء تراد به وأن يرزق أهل هذا البلد المؤمنين من كل أنواع الثمار، لكن الله لواسع فضله استجاب دعاءه لمن آمن ومن كفر على السواء غير أن الكافرين يمتعون بهذه الخيرات في الدنيا فقط - وما أقصرها - ثم يساقون إلى عذاب جهنم سوقا لا خيار لهم فيه.

والرابعة في قوله -تعالى-:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] والكلمة في قوله -تعالى-:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

والإشارة في ذلك عائدة على ما يجب على الحاج القارن من الهدي فإن لم يجد الهدي فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى بلده لأن هذا الحكم خاص بغير أهل مكة لأن أهل مكة لا تمتع ولا قران لهم، ثم ختم الله الآية بأمر بتقواه في كل أمر ونهي فمن خالف عن أمره ونهيه فله شديد العقاب،

ثم جاءت الكلمة في قوله -تعالى-:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾

[البقرة: ٢١٧]

وذلك أن الكفار بعد سرية عبد الله بن جحش -رضي الله عنه- قالوا: إن محمدا يستحل القتال في الشهر الحرام والبلد الحرام، وسألوا عن ذلك في خبث فكان الجواب أن القتال في الشهر الحرام أمر كبير مستنكر لكن الأشد إثما ونكرا الصد عن دين الله بمنع الناس من الدخول فيه وفتنتهم في دينهم، وكذلك صد المسلمين عن دخول المسجد الحرام وإخراج أهله منه، وهم: النبي - ﷺ - والمهاجرون، كل ذلك أشد نكرا وأكبر إثما عند الله.

أما سورة آل عمران فقد ذكرت فيها اللفظة ثلاث عشرة مرة كلها مضافة إلى الكتاب إلا واحدة مضافة إلى ضمير المصطفى - ﷺ -.

والمرة الأولى والثانية في قوله -تعالى-:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[آل عمران: ٦٤، ٦٥]

والآية الأولى تدعوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلى خطة رشد وإنصاف اتفقت عليها كل الرسل وهي

﴿ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ﴾ وهذه دعوة إلى توحيد الألوهية

﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ وهذه دعوة إلى توحيد الربوبية فإن لم يستجيبوا لهذه الدعوة المنصفة وأعرضوا وأبوا إلا أن يعبدوا غير الله فقولوا لهم أنا منقادون لله مخلصون له لا نعبد أحدا سواه ولا ندين لغيره فلا نحل إلا ما أحل ولا نحرم إلا ما حرم.

ثم جاءت الكلمة أربع مرات في أربع آيات متتالية من آل عمران من الآية التاسعة والستين إلى الآية الثانية والسبعين هي قوله:

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

والآية الأولى تظهر ما انطوت عليه نفوس اليهود من حقد وكراهية للمسلمين فهم لا يفتأون يلقون الشبهات؛ ليشككوا المسلمين في دينهم ويردوهم إلى الكفر بعد الإيمان ولن يستطيعوا بهذا الدهاء والخبث أن يضلوا المسلمين وإنما يضلون أنفسهم دون أن يشعروا بانصرافهم عن التفكير في الدين الحق، والآية الثانية تبكتهم وتوبخهم على كفرهم بآيات الله التي أنزلت على محمد - ﷺ - مع قيام البراهين التي يشهدون بصحتها على صدقه -صلى الله عليه وسلم، أما الآية الثالثة فتسأل اليهود سؤال توبيخ

وإنكار عن خلطهم الحق الذى جاء به محمد - ﷺ - بالباطل الذى افتراه أحبارهم وزعموه من عند الله وما هو من عند الله وكتموا من أجله ما هو ثابت فى كتبهم من صدق محمد - ﷺ -.

والآية الرابعة والأخيرة من هذه الآيات الأربع تذكر ما قالته طائفة من اليهود لبعضهم تعالوا نؤمن بدين محمد فى الصباح ونكفر به فى المساء لعل المسلمين إذا رأونا نفعل ذلك تشككوا فى دينهم وانصرفوا عنه ويرجعوا إلى الكفر.

روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: قال (عبد الله بن الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عوف (من اليهود) بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا؛ فأنزل الله فيهم:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

وذكر اللفظ مرة أخرى فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

[آل عمران: ٧٥]

والآية تصف طائفة من اليهود كانوا فى قمة الأمانة والاعتدال لو ائتمنوا على قنطار من الذهب أدوه لصاحبه ومن هؤلاء عبد الله بن سلام - رضى الله عنه - استودعه قرشى ألفا ومائتى أوقية من ذهب فأداها إليه وما عدا هؤلاء (وهم قليلون جدا) يخونون الأمانة ويستحلون أكل أموال الناس بالباطل فلو ائتمنت أحدهم على دينار واحد لأنكر وجحد ولا يؤديه إليك إلا إذا ألحفت عليه فى الطلب ومن هؤلاء وهم كثيرون جدا كعب بن الأشرف استودعه قرشى دينارا فجحده ويبررون خيانتهم بالكذب على الله فيزعمون أن التوراة أحلت لهم أكل أموال الأميين أى: العرب، ولم تحرم إلا أموال اليهود.

روى ابن جرير أن جماعة من المسلمين باعوا لليهود بعض سلع لهم فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم الثمن فقالوا ليس علينا أمانة ولا قضاء لكم علينا لأنكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم فرد الله عليهم بقوله:

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

وذكرت كلمة أهل فى قوله - تعالى -:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ٩٨، ٩٩]

والآيتان تأمران رسول الله - ﷺ - أن يسأل اليهود سؤال إنكار وتوبيخ عن سبب كفرهم بآيات الله، مع أن الله - تعالى - مطلع على أعمالهم ويسألهم كذلك عن سبب صدهم المؤمنين بالله عن الدين الحق وهو الإسلام بالحيلة والدهاء والخبث والمكر قاصدين أن تعود سبيل

الله معوجة بالشبهات والأباطيل وليس الله بغافل عن زيغهم وضلالهم.

وجاءت الكلمة مرة أخرى فى قوله -تعالى-:

﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴾

[آل عمران: ١١٠]

فبعد أن بين - سبحانه - أن المسلمين خير أمة بسبب إيمانهم القوى الذى يدعوهم إلى الألفة والأخوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بين أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى لو آمنوا مثل هذا الإيمان الصحيح لكان خيرا لهم مما يدعونه من إيمان لا يأمر بفضيلة ولا ينهى عن رذيلة ثم أنصف القوم فقال منهم المؤمنون إيمانا قويا كعبد الله بن سلام ورهطه من اليهود والنجاشى ورهطه من النصارى غير أن الأكثرين منهم خارجون عن دين الله مارقين إلى الكفر.

وفى الآية الثالثة عشرة بعد المائة من نفس السورة (آل عمران) يقول ربنا:

﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ اللَّهِ ءَانَآءَ الَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾

والآية تأكيد للآيات السابقة فتنفى أن يكون أهل الكتاب متساويين فى الإيمان والاستقامة أو الكفر والضلال فمنهم مؤمنون صادقون قائمون على أمر الله بالحق والعدل والصلاح يقضون الليل فى تلاوة القرآن والصلاة

وذكرت الكلمة فى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

[آل عمران: ١٢١]

وهى مضافة إلى ضمير النبى - ﷺ - فسلمت من الحديث عن أهل الكتاب ومعناها والله أعلم: واذكر لهم أيها الرسول الكريم وقت خروجك من بيتك فى الغداة قبل طلوع الشمس صبيحة يوم أحد كى تهيىء للمسلمين الأماكن التى يباشرون فيها قتال عدوهم وتحدد مواقع الرماة وأماكن الفرسان والرجالة والله سميع لأقوالهم لك عليم بنياتهم التى صدرت عنها هذه الأقوال.

والآية الأخيرة التى ذكرت فيها الكلمة من سورة آل عمران هى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[آل عمران: ١٩٩]

وتكرر الآية الثناء على هذه الطائفة القليلة من أهل الكتاب الذين عرفوا الحق واتبعوه فأسلموا وحسن إسلامهم فظفروا بثواب الإيمان بالأنبياء السابقين والإيمان بما أنزل على محمد - ﷺ - إيمانا صادقا أثمر الطاعة والاستقامة والخشوع لرب العالمين ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا لأن الدنيا فى نظرهم لا تساوى شيئا بجوار نعيم الآخرة هؤلاء لهم أجرهم وثواب طاعتهم عند ربهم والله سريع الحساب يحاسب الناس جميعا فى وقت واحد كما كان يرزقهم فى وقت واحد لا يشغله شىء عن شىء

روى النسائى من حديث أنس - رضى الله عنه - قال: لما جاء نعى النجاشى قال رسول الله - ﷺ -: صلوا عليه، قالوا: يا رسول الله تصلى على عبد حبشى فأنزل الله هذه الآية «وإن من أهل الكتاب...... الخ»

هذا والله أعلم.

«يتبع»

صفات الله أعلام هداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

إن معرفة الله - سبحانه وتعالى - مركوزة فى كل طبع، واسمه الجليل معروف فى كل لغة، واختلاف الأجناس والألسنة لم يصرف الأفئدة والأفكار عن هذه الحقيقة الواحدة.

ولكن هذه المعرفة - عند كثير من الناس - قد اختلطت بالأوهام، وامتزجت بالأهواء، وتلبست بالأساطير، ولم تسلم للناس معرفة صحيحة بالله - سبحانه - إلا عن طريق الوحى، الذى بعث الله به الأنبياء والمرسلين، وعن طريق الإيمان والتصديق بهذا الوحى

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾[1] والوسائل المؤدية إلى معرفة الله - تعالى - والإيمان بوجوده، ووحدانيته كثيرة، ولكن أهم هذه الوسائل وأصحها، وأكثرها جلاء ووضوحا، ما كان على منهج رسل الله، الذين يبلغون عن الله بإذنه، ويعرفون الخلق بخالقهم، وهى وسائل وطرق يأمن السائر فيها من الضلال، ويطمئن إلى نوال مطلوبه وهو الهداية.

ومن هذه الوجهة تؤكد على ثلاث وسائل نهتدى بها إلى الله، ونستدل بها على وجوده وقدرته ووحدانيته .. وكلها جاء بها القرآن الكريم الذى وصفه الله تعالى بأنه ﴿ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[2].

الأولى: ـ الاستدلال عن طريق النظر فى أنفسنا، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى كثير من الآيات، منها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[3] ومنها قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾[4].

الثانية: ـ الاستدلال عن طريق النظر فى الآيات الكونية المبثوثة فى الآفاق وهى أعلام هادية إلى الله، والقرآن الكريم لفت أنظارنا إلى

(١) النور: (٤٠)
(٢) الإسراء: (٩)
(٣) الذاريات: (٢١)
(٤) الانفطار: (٦-٨)

هذه الوسيلة في كثير من الآيات الكريمة، منها قول الله - تعالى -

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٥).

ومنها قول الله - تعالى -:

﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾(٦).

الثالثة: - الاستدلال عن طريق النظر في المعجزات، التي أيد الله بها رسله، وقد كانت دليلا دامغا على صدقهم فيما يبلغون عن الله - عزوجل - وما وصفوه به - سبحانه - من صفات الجلال والكمال، التي يعرف بها قدره - سبحانه - فضلا عن إثبات وجوده - عزوجل.

«وكل ما تعارضت فيه أنظار العقلاء، وقدحت فيه شكوك الأذكياء فلاشك أن لأهل الإسلام فيه القدح المعلى في إثبات الصانع الحكيم - سبحانه وتعالى - وعلى كل حال فالنبوات وآياتها البينة ومعجزاتها الباهرة، وخوارقها الدامغة أمر كبير وبرهان منير، ما طرق العالم له معارض البتة، خصوصا مع قدمه وتواتره، فإن آدم أول البشر وأبوهم، نبي مرسل إلى أولاده، ثم لم تزل رسل الله - عزوجل - تتوالى مبشرين ومنذرين، وعاضدين لفطرة الله، التي فطر الخلق عليها، فلا أشفع ولا أنفع من النظر في كتبهم ومعجزاتهم وأحوالهم. ثم اعتضد ذلك بأمرين.

أحدهما: - استمرار نصر الأنبياء في عاقبة أمرهم وإهلاك أعدائهم بالآيات الرائعة

وثانيهما: - سلامتهم ونجاتهم - مع أتباعهم على الدوام - من نزول العذاب عليهم كما نزل على أعدائهم - ولا مرة واحدة. وذلك تبين في القرآن وفي جميع كتب الله - تعالى - وفي جميع تواريخ العالم

ومن غريبها الذي لايكاد أحد ينظر فيه حفظهم - مع ضعفهم - من الأعداء الأقوياء، مثل حفظ موسى وهارون من فرعون مع ظهور قدرته، ولذلك قالا: كما ذكره الله في كتابه -

﴿ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾(٧)

فقال الله - تعالى - لهما -:

﴿ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾(٨).

فهذا يدل على الله أوضح الدلالة حيث جمعت قدرته الباهرة خرق العادات في نصرتهم بالأسباب الباطنة والظاهرة، وكذلك عقوبات أعداء الله الخارقة كمسخ أهل السبت قردة، ومثل هذا يعلم الله - ضرورة - لأن مثل ذلك لايصح بالطبع وهو متواتر مع اليهود، مع ثبوته في كتاب الله وقد خاطبهم القرآن به، فلو لم يكن هذا حقا معلوما عند خصوم رسول الله لبادروا إلى التكذيب والتشنيع(٩).

---

(٥) البقرة: (١٦٤) (٦) الجاثية: (٣-٤) (٧) طه: (٤٥)

(٨) طه: (٤٦) (٩) من كتاب إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٥٤) وما بعدها بتصرف.

إن وجود الله - تعالى - وثبوت قدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له - بالضرورة - كل ما نشاهده وتدركه بالحواس الظاهرة والباطنة، كل ما نشاهده من حجر ومدر، ونبات وحيوان وشجر. وسماء وأرض وكوكب، وبر وبحر، ونار وهواء، بل أول شاهد عليه أنفسنا نحن وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا فالله - تعالى - هو أظهر الأمور، وبه ظهرت الأشياء كلها، ولولاه ما كانت. وقد علمنا الله أن من أسمائه الظاهر. فلو كان له عدم أو غيبة أو تغيير لانهدمت السموات والأرض

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾(١٠).

وهذه إحدى الحجج التي وهبها الله لإبراهيم - عليه السلام - فاحتج بها على قومه، وسجلها القرآن الكريم في قول الله - تعالى -:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١١).

والمهتدون حقا هم الموحدون الذين يؤمنون أن الله واحد لاشريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وأن جميع الأمور إليه، وكل شيء في قبضته

﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(١٢).

فهو صاحب السلطان المطلق، وهو الكامل الذي لامنتهى لكماله، وهو الصمد الغني الذي يقصده كل الخلق ويحتاجون إليه.

ولذلك فإن أولئك الذين اعترفوا بوجود الله ولكنهم أشركوا معه غيره قد ضلوا السبيل وحبطت أعمالهم لأنه - سبحانه - أغنى الشركاء عن الشرك، كما جاء في الحديث القدسي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: « قال الله - عزوجل - من عمل لي عملا أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك »(١٣).

وكما قال الله - تعالى -:

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١٤).

وأهل مكة كانوا يعترفون بوجود الله، ويعترفون بأنه الخالق وأنه الرازق، وأنه هو العزيز العليم، وأنه رب السموات السبع ورب العرش العظيم، وأنه مالك الأرض ومن فيها، وأن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولايجار عليه. وغير ذلك مما صرحت به الآيات القرآنية منسوبا إليهم ومعترفا به منهم، ومع ذلك فقد ضلوا عندما عبدوا مع الله آلهة أخرى زعموا أنها شفعاء لهم عند الله، أو أنها تقربهم إلى الله زلفى.

---

(١٠) فاطر: (٤١).

(١١) الأنعام: (٧٦-٧٨).

(١٢) الزمر: (٦٣).

(١٣) رواه الترمذي وابن جرير.

(١٤) البقرة: (١٦٣).

ولما كان هذا الاعتقاد منافيا لصفة الوحدانية التي وصف الله بها ذاته كانوا كفاراً ضالين ولم يكونوا من المهتدين. يقول الله – تعالى – :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(١٥).

والدين الخالص هو شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا فإن من اتخذوا من دون الله أولياء زاعمين أن عبادتهم لها تقربهم إلى الله سيقفون بين يدي الله يوم الحساب ليجازوا على كفرهم بالله، ولا يكتب الله الهداية لمن قصد الكذب والافتراء على الله – تعالى – وهذا مسلك سلكه المشركون في قديم الزمن وحديثه، وقد جاء كل رسل الله بتكذيب هذه المزاعم والنهي عنها والتحذير منها والدعوة إلى عبادة الله وحده لاشريك له، يقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١٦).

ولما زعم أهل مكة أن لله ولداً وجعلوا هذا الولد أنثى، أنكر الله عليهم زعمهم، ورد عليهم بأن الأصنام ما هي إلا أسماء سموها بلا سند ولا حجة، وأنهم ما اتبعوا في ذلك سوى الظن والهوى، وذلك على الرغم مما جاء به الرسل من الهدى والحق. وقد سخر القرآن الكريم من مقالتهم وأبطلها في قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۞ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۞ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۞ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۞ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴾(١٧).

وقد ضل اليهود والنصارى في نظرتهم إلى أنبيائهم حيث رفعوهم إلى مصاف الآلهة مع أن هؤلاء الأنبياء ليسوا إلا عبيداً موهوبين بعثهم الله إلى خلقه ليدعوهم إلى عبادته وحده.. وبذلك ضل هؤلاء الطريق حين كذبوا على أنفسهم ونسبوا إلى الله مالا يليق.

ومن الحماقة أن يظن أحد أن أي بشر مهما كان قدره يستطيع أن يخلق كوكبا، لا، بل إنه لايستطيع أن يخلق ذبابة فما دونها.. وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۞ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(١٨).

وبهذا الذي فعله اليهود والنصارى صاروا في عداد الكافرين. يقول الله ـ تعالى ـ :

---

(١٥) الزمر: ٣.

(١٦) النحل: ٣٦.

(١٧) النجم: ١٩-٢٣.

(١٨) الحج: ٧٣-٧٤.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١٩).

ويقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٧٥) قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)﴾(١٩).

إن الله – تبارك وتعالى – بفضله وكرمه – بين لنا طريق الهداية، ودلنا على سبيل معرفته والاستقامة على امره.. وذلك منذ بداية سكنى الإنسان على هذه الأرض. يقول الله – تعالى –:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢١).

فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها.

وقد جاء رسل الله ليعرفونا بالله ويهدونا إلى سبيله. وقد بينوا لنا أن صفات الله من اهم طرق المعرفة والهداية، وبالنظر في هذه الصفات العلى والأسماء الحسنى نعرف الله ونهتدى إلى ما يحبه ويرضاه.

وأسماء الله الحسنى تفتح آفاقا واسعة من المعرفة بالله إذا فهمها الإنسان وأدرك معناها وانفعلت بها نفسه وتأثرت بها مشاعره، واتخذها نبراساً يستضىء بهديها. ومطلوب من أهل الهداية والراغبين فيها أن يجعلوا هذه الصفات هاديا ومرشداً لهم. ولعل هذا المعنى هو الذى يشير إليه الحديث الشريف «لله تسعة وتسعون اسما مائة إلا واحداً لايحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر»(٢٢).

أى من حفظها ووعاها واستحضر معناها واستشعر في نفسه آثارها وتخلق بما تشير إليه من اخلاق سامية وفضائل عالية دخل الجنة.

وبهذا تكون صفات الله إعلاما هادية لخلقه، على ضوء معرفتها يهتدون ويعملون ويسعدون في الدنيا والآخرة.

وبناء على هذا فإن علينا أن تسير على هدى معانى هذه الصفات الجليلة، ونتخذها

(١٩) التوبة: (٣٠-٣١).

(٢٠) المائدة: (٧٢-٧٥).

(٢١) البقرة: (٣٨).

(٢٢) متفق عليه عن أبي هريرة.

مثلا ونبراساً حتى نصل إلى أقصى ما يمكن من درجات السمو النفسي والارتقاء الروحي والسلوك السوى الراقي.

وهذه نظرة سريعة في بعض هذه الصفات العلى والأسماء الحسنى لنشملى بعض ما ترشد إليه.

من أسماء الله - سبحانه - الرحمن الرحيم، أى: الذى ينعم على مخلوقاته دون أن يكون له إليهم حاجة. ونفهم من هذا أن الله يحب من عباده أن يكونوا رحماء.

وفى هذا يقول رسول الله - ﷺ - «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»[٢٣].

ويقول ﷺ: «من لايرحم الناس لايرحمه الله»[٢٤].

ومن أسماء الله - سبحانه - الحكيم أى صاحب الحكمة البالغة لكمال علمه وإتقانه.. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات هذه الصفة أن يطمئن إلى أن كل ما يجريه الله عليه من الأقدار فيه خير له وإن لم يكن ذلك ظاهراً له. وعليه أن يطيع ويفوض الأمر إلى الله ويرضى. وإلى هذا يشير قول الله تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢٥].

ويقول الإمام أبوحامد الغزالى فى كتابه «المقصد الأسنى..» عند شرحه لصفتى الرحمن الرحيم وسؤال وجوابه. لعلك تقول ما معنى كونه رحيما وأرحم الراحمين والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها وتارك عباده ممتحنين.؟

فجوابك أن الطفل المريض قد ترق له أمه فتمنعه من الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً والجاهل يظن أن الرحيم هو الأم دون الأب، والعاقل يعلم أن إيلام الأب بالحجامة من كمال رحمته، وأن الأم عدو له فى صورة صديق. فإن ألم الحجامة القليل إذا كان سببا للذة الكثيرة لم يكن شراً بل كان خيراً، والرحيم يريد الخير بالمرحوم لا محالة، وليس فى الوجود شر إلا وفى ضمنه خير، ولو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذى فى ضمنه وحصل ببطلانه شر أعظم من الشر الذى يتضمن ذلك الخير[٢٦] ومن أسماء الله - سبحانه - الملك. ومعناه المتصرف فى ملكه كيف يشاء لايسئل عما يفعل ولا معقب لحكمه ولا راد لقضائه. ومعرفة دلالات هذه الصفة تدعو المؤمن إلى الرضا بقضاء الله وقدره والصبر على مايصيبه، والإحساس بالعبودية للمالك العظيم - جل فى علاه -.

ومن أسماء الله - سبحانه - المتكبر، أى: المتفرد بصفات العظمة، فلا ينازعه أحد فى سلطانه، ولا يدانيه أحد فى كبريائه.

ومن شأن إدراك المؤمن لدلالات هذه الصفة أن تجعله يتخلق بخلق التواضع الذى يرفع من شأنه ويعلى من قدره.

ومن أسماء الله - سبحانه - الغفار، أى كثير المغفرة. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات هذه

---

(٢٣) رواه أحمد وأبوداود والترمذى والحاكم عن عبدالله بن عمرو

(٢٤) متفق عليه عن جرير بن عبدالله.

(٢٥) البقرة: (٢١٦).

(٢٦) نقلا عن كتاب إيثار الحق على الخلق (٢٠٥)

الصلة أن يغفر لمن أخطأوا في حقه، وأن يحسن إلى من أساءوا إليه . وهذا المعنى هو الذي يشير إليه قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢٧).

وحين سمعها أبوبكر الصديق – رضي الله عنه – وهي تقصده – قال : بلى يارب نحب أن تغفر لنا وعاد للصدقة على قريبه الذي سبق أن أساء إليه، وكان قد حلف ألا يتصدق عليه بعد تلك الإساءة الشنيعة، حيث كان ممن شارك في حديث الإفك عن السيدة عائشة الصديقة بنت الصديق ـ رضي الله عنها ـ.

ومن أسماء الله ـ سبحانه – الرزاق ، أي خالق الأرزاق وخالق أسبابها . ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات هذه الصفة أن يسعى في طلب الرزق متوكلا على الله، واثقا أن الأمور بيد الله فلا يغتر بجهده ولا بما جمعه بواسطة هذا الجهد فما هي إلا أرزاق مقسومة.. وعلى المؤمن أن يتحرى الحلال ويتعفف عن الحرام ومن أسماء الله – سبحانه– المعز والمذل، أي: الذي يعز أولياءه المستمسكين بدينه، ويذل أعداءه الكارهين لدينه.. ومن شأن المؤمن حين يدرك دلالات ذلك أن يعتز بصلته بالله وأن يثق في وعده، ويطمئن إلى تأييده ونصره، فلا يرضى بالذلة والاستكانة . وفي هذا يأتي قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢٨).

كما يأتي قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۞ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۞ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞ ﴾(٢٩)

وكذلك يأتي قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾(٣٠).

وهذا سر من أسرار ثبات القلة المؤمنة في مواجهاتها مع الكثرة الطاغية الباغية حتى أتاها نصر الله وحقق الله وعده، والله لايخلف الميعاد.

ولو تتبعنا كل أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وبحثنا عما في كل منها من معارف وهدايات وما ترشد إليه من أخلاق وكمالات، لطال بنا الكلام مما لايتسع له المقام وعلى من أراد المزيد أن يرجع إلى ماكتبه في هذا أئمة الإسلام الأعلام(٣١) الذين نسأل الله ـ سبحانه ـ أن ينفعنا بعلمهم وأن يجزيهم عنا خير الجزاء.

---

(٢٧) النور: (٢٢). (٢٨) المنافقون: (٨) (٢٩) المجادلة: (٢٠-٢٢)

(٣٠) فاطر: (١٠). (٣١) من أحسن ما كتب في هذا «المقصد الأسنى» للغزالي.

جدال المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ الدكتور / محمد ابراهيم الفيومى

١ ـ المجادلة فى حقيقة الروح

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فنزلت

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١).

قالوا: أوتينا علما كثيراً ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيراً كثيراً: فانزل الله ـ عز وجل ـ:

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ ﴾(٢)، (٣).

وقد أعاد اليهود هذا السؤال على النبى فى المدينة بعد الهجرة فأعيد الجواب.

٢ ـ المجادلة فى مصدر القرآن الكريم

وقد ورد فى القرآن أن مشركى قريش ادعوا أن الرسول ـ ﷺ ـ يستقى القرآن من مصدر نصرانى أو يهودى

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾(٤).

٣ ـ المجادلة فى إنزال القرآن منجما

نزول القرآن منجما وجدال المشركين فى ذلك ورد القرآن عليهم:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾(٥).

٤ ـ المجادلة فى البعث

حيث جاء العاصى بن وائل بعظم بال إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وسأله إذا ما كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يبعث هذا فقال له الرسول ـ ﷺ ـ نعم ويبعثك ويدخلك النار» فنزل قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾(٦)، (٧).

---

(١) الإسراء آيه ٨٥.

(٢) الكهف آيه ١٠٩.

(٣) رواه أحمد فى المسند ج١/٢٥٥.

(٤) النحل آيه ١٠٣.

(٥) الفرقان آيه ٣٢.

(٦) يس آيه ٧٨.

(٧) انظر أسباب النزول للنيسابورى ٢٠٦ ـ مكتبة المتنبى وتفسير القرطبى ١٥/٥٨، والبحر المحيط لأبى حيان ج٧/٢٤٨.

الاختلاف في فهم السنة

ثبوت الحديث لدى البعض وعدم ثبوته عند آخرين، أو يصل إلى قوم ولا يصل للآخرين، فيختلط أمر كل لدى الآخر.

ومن أشهر الأمثلة على الاختلاف في الحكم نتيجة لعدم العلم بالحديث، وارتفاعه بعد العلم بثبوته.

مارواه ابن عباس - رضي الله عنهما - أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ - موضع قرب الشام - لقيه أمراء الأجناد: أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس: فقال لي عمر: ادع لي المهاجرين الأولين فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ،فقال بعضهم: خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه.

وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله - ﷺ - ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال: ارتفعوا عني ثم قال: ادع لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادع لي من كان ههنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنادى عمر - رضي الله عنه - في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه -: أفرارا من قدر الله؟ فقال: عمر - رضي الله عنه -، لو غيرك قالها يا أبا عبيدة - وكان عمر يكره خلافه - نعم، نفر من قدر الله، إلى قدر الله أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان: إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟!

قال فجاء عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وكان متغيبا في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض فلا تخرجوا فرارا منه».

فحمد الله - تعالى - عمر - رضي الله عنه - وانصرف. متفق عليه[8].

الاختلاف في الجمع والترجيح

الاختلاف في الجمع والترجيح بين النصوص فقد تتعارض ظواهر بعض النصوص الشرعية فيختلف العلماء في الجمع بين

(8) الحديث رواه البخاري ج ١٧٩/١٠ ومسلم ١٧٤٠/٤.

ظواهرها والتوفيق بين معانيها أو في ترجيح بعضها على بعض مما ينتج عنه اختلاف في الأحكام الشرعية.

علما بأن هذا التعارض يأتي فيها من ناحية الظاهر فقط ومن ناحية خفاء وجه التوفيق، ومن ناحية توهم ما ليس بدليل دليلا - فإذا كان أحد الدليلين خبر آحاد وفي سنده رجل لم يشتهر بالعدالة ويعارض حديثا آخر صحيح النسبة للنبي - ﷺ - فإن أحد الدليلين المتعارضين وهمي لا حقيقي فيسقط لأنه لم تثبت نسبته إلى النبي، وقد يكون سبب التعارض من ناحية توهم أن نصين من النصوص يدلان على حكمين متعارضين بينما النصان في الواقع لا تعارض في حكمهما، بل لكل واحد منهما جهة غير الجهة الأخرى، فالتعارض في عقل المجتهد لا في النص ولا في مدلوله[9].

فإذا كان الحديثان في درجة واحدة والسند في قوة واحدة ولكن أحدهما رواه صحابي فقيه رجحت روايته على غيره عند أبي حنيفة، وعند مالك - رضي الله عنه - يرجح الحديث الذي يكون عليه عمل أهل المدينة على غيره، وعند غيرهما يكون الترجيح بقوة الرواة[10].

مناظرة بين الرسول - ﷺ - وابن الزبعرى

يروى أن رسول الله - ﷺ - دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم، وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما، فجلس إليهم فعرض له النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله حتى أفحمه، ثم تلا عليهم:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[11]

الآية فأقبل عبدالله بن الزبعرى، فأخبر الوليد بن المغيرة بما جرى، فقال معترضا: أليس اليهود عبدوا عزيرا، والنصارى عبدوا المسيح، وبنوا مليح عبدوا الملائكة؟ فقال - عليه السلام -: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك» وأنزل الله - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ﴾[12] الآية فخرج من الحديث الآية جواب ابن الزبعرى على أتم وجه وأكمله كأنه قيل أولا، إن الآية باقية على مجموعها لأن الذين عبدوا عزيرا والمسيح والملائكة لم يعبدوهم في الحقيقة، وإنما عبدوا الشياطين التي دعتهم إلى ذلك، ولئن سلم أنهم عبدوهم في الحقيقة لكنهم مخصوصون بما سبقت لهم منا الخصلة الحسنى وهي السعادة أو البشرى بالثواب أو بتوفيق الطاعة، وكل ميسر لما خلق له، ومن المفسرين من أجاب على اعتراض ابن الزبعرى

---

(9) أصول الفقه الشيخ أبي زهرة ٢٨٨ - ٢٨٩.

(10) المصدر السابق ص٢٩٦.

(11) الأنبياء آية ٩٨.

(12) الأنبياء آية ١٠١.

بوجوه أخرى: منها أن قوله: «إنكم» خطاب لمشركي قريش وأنهم لم يعبدوا سوى الأصنام، ولقائل أن يقول: حمل الآية على العموم أتم فائدة، ومنها أن قوله وما تعبدون لا يتناول العقلاء فيسقط الاعتراض، ولقائل أن يقول: «ما» أعم لا مباين فيشمل ذوى العقول ولهذا جاء

﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾[13] ما سخر لنا، ومنها أنه ـ تعالى ـ يصور لهم في النار ملكا على صورة من عبدوه، وضعف بأن القوم لم يعبدوا تلك الصورة، وبأن الملك لا يتعذب بالنار كخزنة جهنم، واعلم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فقوله: (إن الذين) لا يبعد أن يكون عاما لكل المؤمنين، ويؤيده ما روى أن عليا قرأ هذه الآية ثم قال: أنا منهم وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبدالرحمن بن عوف، وزعم مثبتو العفو أن الحسنى في الآية: هي الوعد بالعفو[14].

٥ـ الحجاج بين النبى ـ ﷺ ـ والنصارى

وأهم هذه المواقف التي تدل على أنه كان ينعقد بين النبي ـ ﷺ ـ وبعض النصارى مناظرات ما كان بين النبي ـ ﷺ ـ ووفد من نصارى نجران اليمن، ويستفاد من الروايات أن هذا الوفد كان مؤلفاً من ستين شخصاً منهم أربعة عشر من أشرافهم، وثلاثة من كبار رجال دينهم، فاجتمعوا بالنبي في مسجده، وعليهم الحبرات وجرت بينهم مناظرة كان أهم مواضيعها ولادة عيسى ـ عليه السلام ـ وصلته بالله ورسالته، وقد جادلوه مستشهدين بما قرره من أن عيسى ـ عليه السلام ـ كلمة الله وروحه، ورد عليهم منددا بتأويلاتهم التي لا تتسق مع جوهر الأمر، ومبدأ التوحيد المطلق الذي قرره القرآن ودعا إليه، ولكنهم لم يقتنعوا وظلوا يدعون أنهم على الحق، فطلبهم بأمر الله القرآني إلى المباهلة أي أن يدعو ويدعوهم بأن تكون لعنة الله على الكاذبين، فلم يجيبوا الطلب ووادعوه وانصرفوا[15] وذلك كله في الجزء الأول من سورة آل عمران[16].

من جدال الصحابة

١ ـ مجادلتهم في اختيار الخليفة في سقيفة بني ساعدة.

٢ ـ مجادلتهم في جمع القرآن.

٣ ـ مجادلتهم في حروب المرتدين.

٤ ـ مجادلتهم في تقسيم فئ العراق عندما أراد عمر تقسيمه.

---

(١٣) الشمس آية ٥.

(١٤) تفسير النيسابوري لقوله ـ تعالى ـ ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾.

(١٥) سيرة النبي، عزة دروزة ج٢/٢٣٧.

(١٦) انظر المناظرة في الآيات القرآنية من سورة آل عمران في قوله ـ تعالى ـ

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾.. الآية ٦ وفي قوله:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾.. الخ الآيات ٥٩، ٦٠.

محمد رسول الله ﷺ في نظر المنصفين

للشيخ / الحضري عبد المنعم علي

في ذكرى مولد الرسول محمد - ﷺ - نتذكر أن الله قد أكرم به الإنسانية حيث جعله نوراً يهتدي به.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(1).

أدبه الله وعلمه، كيف يتعامل مع خلائق الإنسانية المتغايرة، بل والمتنافرة فأنزل عليه قوله - تعالى -:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾(2).

سموا برسول الله - ﷺ - عن عثرات الناس، وقصور مصارفهم وادراكهم لعظيم قدره، وعلو منزلته، حيث كان من سمة العظماء أن ينأوا عن الصغارة والصغائر وأن تبرز خصائص النفوس الزالية عند جهل الجاهلين.

هذا النبي الذي حباه ربه بنعمه، فقضله على جميع خلقه، وكرمه وأكرمه بميزات، لم يعطها غيره من الأنبياء والرسل - عليه وعليهم الصلاة والسلام - وبما لاطفه به، وواساه، وامتدحه، وأثنى عليه، وبما كمل به محاسنه خَلْقا وخُلُقا وبما أصفاه عليه من أسمائه.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(3).

---

(1) سورة المائدة (15 - 16). (2) الأعراف (199). (3) التوبة (128).

وقد جعله أمانا لأمته لقوله تعالى ـ :ـ

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١).

إن اول ما يقع بصر الإنسان على رسول الله، يشعر انه أمام جمال مدهش لا مثيل له، ومظهر يوحي بشفقة لا حد لها، وهذا ما ينعقد عليه إجماع من شاهدوه - عليه الصلاة والسلام -.

وما عرف التاريخ إنسانا كمل في كل الجوانب إلى درجات الكمال، غير محمد - ﷺ - مع ملاحظة ان كمالاته هنا جانب من جوانب كمالاته المتعددة، التي لايحيط بها غير خالقها، وبشهادة العدو، والصديق، والمؤمن، والكافر. وما بلغ أحد في تاريخ البشرية ما بلغه سيدنا محمد - ﷺ - في تلك الجوانب كلها، ولقد كتب عن نبينا محمد - ﷺ - بإنصاف الكثير من الفلاسفة، والمستشرقين، ومن هؤلاء :ـ

١ـ بوزورث سميث حيث يقول : إن محمداً بلا نزاع أعظم المصلحين على الإطلاق

ـ٢ـ هنري القرنسي يقول في معرض الاستدلال على صدق رسالة محمد - ﷺ - : لسنا نحتاج في إثبات صدقه إلى أكثر مما يأتي :ـ

(أ) كان محمد أمياً لا يقرأ، ولا يكتب، وهذا الوصف لم يعارض فيه أحد

(ب) أنه لم يسترشد في دينه بمرشد يتقدمه.

(ج) وأنه كان ينفر من عبادة الأوثان، وتعدد الآلهة، وكان يعرف بوجدانه : الواحد الأحد، لما اعتكف وحده بغار حراء.

(د) ومع كونه أميا، ومعه قرآن يعجز فكر البشر عن الإتيان بمثله لفظا ومعنى.

(هـ) وأنه لما قرأ جعفر بن أبي طالب ما جاء في القرآن عن زكريا ويحيى على النجاشي فاضت عيناه بالدموع، وفي اليوم التالي طلب منه أن يقرأ ما جاء فيه عن المسيح ففعل، فاستغرب الملك لما علم أن المسيح عبد الله ورسوله، فآمن بمحمد وما جاء به.

(و) وأن محمداً، أتى بالقرآن دليلا على صدق رسالته، وهذا الكتاب سر من الأسرار، لا يدركه إلا من صدق بأنه من عند الله.

(ز) أنه كان لايميل إلى الزخارف والاستكبار والبخل، فقد كان يحلب شاته بنفسه، ويجلس على التراب، ويرقع نعله بيده - ﷺ - وكان قنوعاً.

ولقد خرج من الدنيا، ولم يشبع من خبز البر، ولم تكن له حاشية، ولا وزير، ولا خشم، لم يرغب طول حياته في المال، وكان كل ما يأتيه يتصدق به، وبلغ من السلطان غايته إلى غير ذلك من الحقائق، التي ذكرها هذا المنصف بلا تشويه.

برنارد شو

يقول برنارد شو :

«إن الإسلام دين يستحق الاحترام والإجلال؛ لأنه أقوى دين على هضم جميع المدنيات، وهو خالد خلود الأبد، وإني أرى كثيراً من بني قومي من العلماء قد دخلوا هذا الدين على بينة من أمرهم، ومستقبلاً سيجد هذا الدين مجاله الفسيح في كل أنحاء أوربا.

(١) الأنفال (٣٣)

وقد درست سيرة محمد فوجدته بعيداً عن مخاصمة المسيح، ويمكن بحق أن تعتبر محمداً منقذاً للإنسانية، وأعتقد أن رجلا مثله لو حكم العالم بآثاره وخلقه لجلب للعالم السلام والسعادة. وقد برهن الإسلام من ساعته الأولى أنه دين الأجناس جميعاً، وإذ ضم سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيبا الرومي، كما اعتنقه مجموعات من النصارى واليهود وعبدة الأوثان، وانصهر الجميع في بوتقة واحدة دون فروق على الإطلاق، ولم يحس أى منهم أنه غريب عن هذا الدين، وبعد فترة اتصل هذا الدين بأجناس متعددة بينها الأسود والأصفر والأبيض، وكانوا جميعاً فى رحابه متساوين سعداء».

السير توماس أرنولد

ألف ذلك العلامة كتابا أسماه «الدعوة إلى الإسلام» فيه يسوق الأدلة والبراهين على أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، كما زعم أعداؤه، ومن هذه البراهين :-

(١) إسلام بعض الصليبيين قبل موقعة حطين، أى : قبل انكسار شوكتهم فى هذه المعركة، بل كانوا فى أوج قوتهم مما يدل على أنهم أسلموا عن طريق الاقتناع، الذى هو الطريق إلى الإسلام دائما.

٢ـ إسلام المغول فى وقت كانوا فيه المتغلبين على العرب، بل وعلى غير العرب.

(٣) انتشار الأسلام فى الملايو، وإندونيسيا، والفلبين دون أن تطأ هذه البلاد قدم جندى عربى واحد، ولكن عن طريق التجار وغيرهم، وذلك عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، فأى سيف كان يجبر هؤلاء الصليبيين العتاة وهؤلاء المغول الجبابرة على الإسلام؟

ولكن كل ما نقوله : أن الذى جعلهم يسلمون هو : سماحة الإسلام وعظمته، هذا بجانب أن الله - سبحانه وتعالى - ينهى عن استعمال الشدة فى نشر الدين تطبيقاً لقوله ـ تعالى ـ

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[٥].

كما يقول سبحانه ـ وتعالى ـ

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[٦].

أما استخدام السيف فلا مجال له فى نشر الدين، اللهم إلا فى حالة الدفاع عنه، فهذا أمر واجب يقره العقل قبل الدين.

الإسلام والحضارة

يوضح الأستاذ جورج سارلمون أن الإسلام شجع الفكر الحضارى، فى العلوم التجريبية فى حين وقفت المسيحية ضد هذا الفكر، فابن النفيس قد اكتشف الدورة الدموية الصغرى، قبل أن يعرف (ميخائيل سرفيت) الأسبانى ذلك بمائتى وخمسين عاماً، ولقد عرف المسلمون فضل ابن النفيس لكن سرفيت أحرق علناً فى جنيف عام ١٥٥٣م.

أما التشريح فقد كان فى أوربا ممنوعا البتة،

(٥) البقرة (٢٥٦).

(٦) النحل (١٢٥).

ولكن صناعة التشريح بلغت أعظم مدى في المشافي الإسلامية، وما يقال عن التشريح يقال عن أمراض العين، فإن المسلمين كانوا حتى القرن الثالث عشر رواد العالم في أمراض العيون.

وعن مدى الفائدة التي عادت على الغرب من ترجمة الفكر الإسلامي يقول **روجيه غارودي**

إن نهضة الغرب لم تبدأ في إيطاليا مع إحياء الثقافة اليونانية والرومانية، بل بدأت في أسبانيا مع إشعاع العلوم والثقافة الإسلامية والعربية، والنهضة الغربية لم تأخذ من العلوم العربية والإسلامية سوى المنهج التجريبي، والقوانين العلمية وتركت الإيمان الذي يوجهها نحو الإله، ويسخرها لخدمة البشر.

رأى المسيو رينيه في الإسلام

يقول الفنان الكبير «المسيو رينيه» الرسام الفرنسي، بعد أن أسلم وسمى نفسه باسم: (ناصر الدين): إن العقيدة الإسلامية لا تقف عثرة في سبيل الفكر، وإن الإسلام صالح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس، فهو صالح كذلك لكل أنواع العقيدة، وجميع درجات المدنيات، وهو كما يبهج الرجل العملي في لندن مثلاً - فإنه يأخذ بلب الفيلسوف الروماني، كما يتقبله الشرقي صاحب الخيال الشعري في السماء والماء، وضوء القمر وهدوء السحر، والصحراء، والزرع والشجر، كما يأخذ بمجامع المفكر الغربي، الذي عكف على الإبداع في الفن، ورسم الصور الرائعة في الشعر والنثر، فكم من فيلسوف، وقسيس، ومصور، وشاعر، وطبيب، وصيدلي، ومحام، وسياسي في الشرق والغرب قرءوا عن الإسلام فبهرهم، واستحوذ عليهم تناسقه مع الفطرة، وجذبتهم إليه عقائده وعباداته فآمنوا به؛ راغبين راسخين، لا رهبة، بل اقتناعاً عميقاً، وحباً، فهو الرحيق السائغ، والمنطق السليم، والمنهج السليم.

جوستاف لوبون

يقول هذا المفكر: إن للإسلام وحده الفخار بأنه أول دين قال بالتوحيد المحض الخالص، وبأنه أول دين نشر أتباعه ذلك التوحيد في أنحاء العالم، فالإله الواحد المطلق، الذي دعا إليه الإسلام منزه عن شريك له، وتشتق سهولة الإسلام من التوحيد الخالص، وفي التوحيد سر قوة الإسلام، وهو من أكثر الديانات ملاءمة لمناخ العالم واكتشافاته، ومن أعظمها تهذيبا للنفوس، ودعوة إلى العدل وإلى التسامح.

وفي الحقيقة أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، فالإسلام هو الذي أعطى الفاتحين هذه الرحمة، وهذا التسامح.

الكاتب الإنجليزي الأشهر (توماس كارليل)

يقول هذا الكاتب الكبير في كتابه «الأبطال»:-

لقد أصبح من أكبر العار على أي متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغى إلى أناس حاقدين كاذبين على محمد، وآن لنا أن نحارب مزاعمهم السخيفة المخجلة، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدة اثنى عشر قرناً. لنحو مائتي مليون من الناس بعد المليار نسمة. خلقهم الله كخلقنا، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاشت بها الملايين وماتت عليها أكذوبة وخدعة؟! أما أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً ولو أن الكذب والغش يروجان عند

الخلق فى الناس المخانين، ولو كانت الحياة مجرد سخف وعبث وأضلولة، لكان الأولى بها ألا تخلق - ثم قال - : والله إن الرجل الكاذب لا يقدر أن يبنى بيتاً من الطوب، فهو إذا لم يكن عليما بخصائص الجير والتراب وما شاكلهما فما الذى يبنيه ببيت وإنما هو تل من الأنقاض، لا يستطيع أن يبقى على دعائمه إثنى عشر قرناً من الزمان، يسكنه الآن مائتا مليون مسلم.

ول ديورانت صاحب قصة الحضارة

كتب مجلداً كاملاً عن الحضارة الإسلامية، وقد نظر إلى أمر النبى فى المجتمعات، التى آمنت به، وفى تواضعه، الذى لم تعرف له البشرية مثيلا فيقول :-

(إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر فى الناس، لقلنا إن محمدا كان أعظم عظماء التاريخ، فقد رفع المستوى الروحى للوفاء، والإخلاص من بعد أن ألقت به فى ظلمات الهمجية حرارة وجدب الصحراء، وقد نجح محمد برسالته فى ذلك نجاحا عظيما لم يدانيه أحد على مدى التاريخ، لقد كبح محمد جماح التعصب، وقضى على الخرافات، واستطاع فى جيل واحد أن ينتصر فى مائة معركة، وفى قرن واحد أن ينشىء دولة عظمى، وأن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم، لم يتظاهر محمد قط بأبهة السلطان، بل كان يرفض أن يوجه إليه شىء من التعظيم والتبجيل، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب من عبد أن يقوم له بعمل يجد لديه من القوة والوقت ما يمكنه من عمله، لم يكن ينفق على أسرته من المال إلا القليل، رغم ما كان يرد إليه من الفىء الكثير، أما ماينفقه على نفسه فكان أقل القليل، وكان يخص الصدقات بالجزء الأكثر من هذا المال.

الكاتب الهندى. ميهاتا صاحب كتاب «الحضارة الهندية والإسلام»

يقول : (إن الإسلام قد حمل إلى الهند مشعلاً من نور انجلت به الظلمات، التى كانت تغشى الحياة الإنسانية فى عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدنى، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوح الإسلام فى عالم الاقتصاد والأفكار أوسع وأعظم، منها فى حقل السياسة، شأنه شأن الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام فى هذا القطر الهندى مرتبطاً بالحكومات فبقيت حقيقة الاسم فى حجاب، وبقيت عبادته مختفية عن الأنظار.

ميشيل هارت وكتاب المائة الأوائل وأعظمهم محمد

يقول : (إن اختيارى لمحمد ليكون الأول بين ذوى النفوذ المؤثرين فى العالم قد يدهش بعض القراء، ويصير مثار تساؤلات من البقية. ولكن هو الوحيد فى التاريخ، الذى كان امتيازه متكافئاً على المستوى الدينى والدنيوى... وبأصول متواضعة أسس محمد ديانة من ديانات العالم العظيمة، وأصبح زعيماً سياسياً، ورغم مرور أكثر من ١٣ قرنا لا يزال نفوذه الدينى والسياسى عميقاً ومستمراً.

ثم يقول مبرزاً سبباً آخر من أسباب اختياره نبى الإسلام ليكون الأول، «إن معظم

الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم في بيئة متمدينة تبرز ظهور العظماء فيها، ولكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من الصحراء الجرداء المجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة، قهرت بعد ذلك إمبراطوريات فارس وبيزنطة وروما المتقدمة بما لا يقاس في تاريخ الغزو في كل زمان ومكان يكون الغزو عسكرياً و لكن في حالة الرسالة المحمدية فإن معظم البلاد التي فتحها خلفاؤه استعربت تماماً وتغيرت لغة وديناً، وقومية، من العراق وسورية إلى آخر الشاطىء الإفريقي غرباً، إلى السودان جنوباً، وأصبحت أمة واحدة تتكلم بلسان واحد إلى الآن، فهناك اليوم بعد ألف وأربعمائة سنة خمسمائة مليون مسلم، ولكن هناك بينهم حوالي مائة وخمسين مليون عربي، وهو معيار قياسي أمد الرسالة ـ إلى جانب استمرارها الزمني، ـ بثبات ليس له مثل في تاريخ الفتح الإسلامي في العالم، كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل وبقي بحروفه كاملاً دون تحريف كل هذا الزمن سوى القرآن، الذي نقله محمد، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة ـ مثلاً ـ أو الإنجيل.

هكذا نجد أن فتوحات العرب التي بدأت في القرن السابع الميلادي قد بقيت تلعب دوراً هاماً في تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا، ومن أجل هذا النفوذ الديني والدنيوي فإنني وجدت أن محمداً هو صاحب الحق الوحيد في أن اعتبره صاحب أعظم أثر على الإطلاق في التاريخ الإنساني.

وبعــد :

فهل آن للبشرية أن تعرف طريقها الحق في المجتمع الأمثل، وتؤمن بأن هذا المجتمع لا يوجد إلا في إطار الإسلام، والإنسان حين ينظر إلى المجتمع المعاصر ويجد الصراعات المختلفة، التي تدور في سائر أرجاء الأرض من قتل ونهب ونهش أعراض. فلابد أن يعلم أن المنهج الإسلامي هو المنهج القادر وحده، على العطاء؛ لأنه قائم في أساسه على الإيمان، ذلك الإيمان الذي يولد الحب والرحمة، والعدل، والحرية في كل الأمم والشعوب، ولا يفرق بين طوائف الشعوب، ولا يفرق بين طوائف البشر.

ولقد لفت نظر (برنارد شو) أسلوب حل المشكلات الذي يتميز به رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يملك نفسه إلا أن قال وهو غير المسلم :ـ لو أن محمداً رسول الإسلام وجد وسط هذا العالم المليء بالمشكلات والصراعات، لاستطاع أن يحل مشكلات العالم وهو جالس يحتسي فنجاناً من القهوة.

قال تعالى :ـ

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(٧).

---

(٧) الصف (٩).

دراسة مقارنة

أسرى الحرب

والحفاظ على حياتهم بين اليهودية والإسلام

للمستشار / محمد عزت الطهطاوي

لما ألف «ديفيد بن جوريون» الزعيم اليهودي الذي شارك في قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين العربية كتابه : (إسرائيل في سنوات التحدي) ذكر فيه (أن إسرائيل لا تحسب حسابا لدولة عربية إلا لمصر؛ لأنها الدولة العربية الوحيدة التي لها جيش منظم)[1].

وبسبب خوف اليهود من مصر وجيشها، رتبوا سياستهم على الاعتماد على حلفاء أقوياء، أشداء ينصرونهم، ويؤازرونهم، ويقفون إلى جانبهم، ولو بالباطل لذلك فدولتهم تسوس أمورها، استنادا على علاقات وثيقة بينها وبين دول الغرب، في أوروبا، وأمريكا، تصل عند بعضها إلى حد التحالف معها، فالرأي العام هناك يناصرها، والصحف تكتب لصالحها، والإذاعات تهتف لها، حتى ليبدو للمحللين السياسيين أن العالم كله يعطف على قضيتها، بدعوى أن مصر هي العدو التاريخي لها، وهي العقبة الكنود في طريق قيام دولة إسرائيل الكبرى.

تحالف اليهود مع الأقوياء

هذه القضية ليست بنت اليوم، أو الأمس، ولكنها تعود لآلاف السنين :

١ ـ فلما ظهرت دولة الإسلام، وحررت الكثير من أقاليم الدولة الرومية، أنقذ الفاتحون المسلمون آلافا من اليهود، كانوا منتشرين في تلك الأقاليم يقاسون ألوانا شتى من العذاب من حكام دولة الرومان.

٢ ـ كما عاملهم المسلمون معاملة حسنة، عند فتحهم لبلاد الأندلس، فلما خرجوا منها كانوا معهم، واستقروا في أقطار المسلمين في المغرب العربي، وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين،

(١) نقلا عن كتاب اليهود واليهودية للأستاذ الدكتور عبدالجليل شلبي.

وعندما ضعفت قوة المسلمين راح اليهود يتجسسون عليهم لمصلحة الاستعمار الغربى ويغرونه بغزو بلاد المسلمين.

٣ ـ وحينما سطع نجم هولاكو التترى فى المشرق، كاتبه يهود بغداد، وحالفوه وقدموا له المال والمشورة قبل أن يصل إلى بغداد، فلما دخلها وقتل الخليفة العباسى، ومليونا من المسلمين ـ كما يذكر ابن كثير فى تاريخه ـ سلم اليهود، فلم يقتل منهم أحد، كما سلمت أموالهم من النهب والسلب من جيوش التتار.

٤ ـ وفي العصر الحديث ابتدأ رهانهم على فرنسا فحالفوها، وراحوا يتعلمون اللغة الفرنسية، ويعملون فى خدمة النفوذ الفرنسى، وعندما شرعت حكومة الإدارة هناك بعد قيام الثورة الفرنسية فى إعداد الحملة العسكرية على مصر، بقيادة نابليون بونابرت، كان الحصول على الدعم اليهودى لمشروعات الفرنسيين فى الشرق ضمن الخطط الفرنسية، التى تستهدف إقامة كومنولث (أى اتحاد، أو تجمع يهودى) فى فلسطين، وما لبث أن ظهر ذلك المخطط فى النداء، الذى أصدره نابليون خلال حصاره لعكا سنة ١٧٩٩م إلى اليهود الذين اعتبرهم ورثة فلسطين الشرعيين[٢].

٥ ـ وعندما برزت انجلترا قوة جديدة تحولوا إليها، وربطوا مصيرهم بها، وراحوا يغرون حكومتها باستعمار فلسطين وغيرها من بلاد الشرق، واتخذوا من لندن العاصمة البريطانية مقرا لحركتهم ونشاطهم.

٦ ـ فلما توحدت ألمانيا في أواخر القرن التاسع عشر الميلادى، وبرزت قوة سياسية مدوا نشاطهم إليها، وقام بعضهم بترجمة كتاب اليهود المقدس للألمانية، وراحوا يتعلمون اللغة الألمانية، ويعقدون مؤتمراتهم هناك، ويكتبون بالألمانية كافة قراراتهم.

وبقى الحال كذلك حتى بعد ظهور هتلر زعيم النازية هناك، وكراهيته لهم فقد ظلوا على صلة به يحاولون استثمار كرهه للمساعدة فى تهجير اليهود إلى أرض فلسطين للاستيلاء عليها.

٧ ـ وبعد الحرب العالمية الثانية أدركوا أن مركز القوة قد تحول إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فتوجهوا إلى هناك، رامين بكل ثقلهم المالى والإعلامى والتنظيمى فى تلك البلاد بما يؤثر فى سياستها لصالحهم.

٨ ـ وغدا إذا ما شعروا بأن روسيا أو الصين مرشحة للصعود فسيسارع اليهود للتحالف معها؛ طلبا للمغنم وليس إيمانا بالصداقة، فالأغيار عندهم أشرار، ولا خير فيهم لكنهم يتحسسون القوة؛ ليحالفوا صاحبها. وربما قبل أن يشعر هو بذلك، حتى إذا وقف الحليف على رجليه طالبوه بالثمن بعد أن يكونوا مدوه بالمال، والتجسس لصالحه[٣].

حب اليهود للأقوياء سرى فيهم إلى حب القوة لدولتهم فى زماننا المعاصر

لذلك فهم قد جعلوا دولتهم عسكرية بالدرجة الأولى، كما صنعوا من شعبهم جيش احتياط يدعى للخدمة فى آية ساعة من ليل أو نهار ـ وهو أمر لم تأت به الصدفة، ولكنه صنعه التخطيط، والخوف ممن حولهم من العرب، خصوصا من المصريين.

---

(٢) عن مقال للدكتور على بركات استاذ التاريخ الحديث ـ نشر بجريدة الأهرام فى ٧من جمادى الأولى سنة ١٤١٩هـ ـ ٢٩من أغسطس سنة ١٩٩٨م.

(٣) كتاب الأمة ـ (اليهود والتحالف مع الأقوياء) ـ تأليف الدكتور نعمان عبدالرزاق السامرائى ـ بتصرف.

وقد قام أحد رجالهم ويدعى (جورج تامارين) باستفتاء لطلبة إسرائيليين فى الثانوية عما فعله « يشوع بن نون » من قتل جماعى لأسرى الفلسطينيين فى زمانه الغابر صغاراً وكباراً، وهل يمكن أن يفعل ذلك الجيش الإسرائيلى أم لا؟ وقد جاءت إجابات هؤلاء الطلبة تحبذ هذا الاتجاه، لذلك فلا غرابة أن يكون هدف حكام دولة إسرائيل حاليا جعل دولتهم قلعة عسكرية حصينة بالنسبة إلى جيرانها العرب، وخصوصا المصريين منهم(٤).

مثال مما فعله «يشوع بن نون» بمن وقع فى يده من أسارى الفلسطينيين فى مدينة أريحا فى الزمن القديم:

أورد السفر الذى يدعى باسمه قوله (فبكر يشوع فى الغد، وحمل الكهنة تابوت الرب..... ...... الخ).

(وصعد الشعب الى المدينة كل رجل مع وجهه واخذوا المدينة، وحرموا كل ما فى المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ وحتى البقر والغنم والحمير بحد السيف)(٥).

هذا نص ثابت من تاريخهم القديم، فهل يطمئن امرؤ عاقل على أن سفك دماء أهل المدن الآمنة وحى من السماء؟

إن الأمر الثابت عند هؤلاء اليهود أنهم يصوغون أطماعهم الجشعة، وخططهم الخبيثة، ومؤامراتهم الخسيسة، فى صورة الوحى الإلهى، ويضموه إلى صحفهم حتى لا يجرؤ أحد على تكذيبهم، فإذا جاءت ذرياتهم وخلائفهم من بعدهم ساروا على دربهم ونسجوا على منوالهم.

تبجح بعض قادة اليهود وإعلانهم علنا إعدام الأسرى المصريين

فخر عدد من مجرمى الحرب الإسرائيليين على صفحات صحفهم وقائع وعمليات إعدام الأسرى المصريين بعد استسلامهم رميا بالرصاص، خلال عدوانهم على مصر سنة ١٩٥٦م وكذلك فى حرب يونيه سنة ١٩٦٧م بواقع التفاخر بما ارتكبوه من جرائم حرب ثابتة ضد هؤلاء الأسرى المساكين، ويروى بعض شهود العيان الذين أفلتوا من الموت شهادات مكتوبة ومسجلة :

١ ـ كيف أن مجرمى الحرب الإسرائيليين كانوا يأمرون بتجميع الأسرى المصريين.

٢ ـ ثم يصدرون إليهم الأوامر بحفر الخنادق تحت أقدامهم.

٣ ـ وبعدها كان الرصاص ينهال عليهم بأمر جنرالات الجيش الإسرائيلى.

٤ ـ وكانت جثث القتلى من الأسرى تكوم، ثم تدفن فى نفس الخنادق التى حفرها أولئك الأسرى بأيديهم.

٥ ـ وكانت الجرافات الإسرائيلية تلقى أحيانا جثث القتلى، ومنهم بعض المصابين أحياء ـ لم يموتوا بعد ـ فى مقابر جماعية ثم تهال عليهم الرمال(٦).

ويكشف تقرير لمنظمة حقوق الإنسان المصرية عن حقائق مثيرة حول قضية إعدام الأسرى المصريين بالجملة بعد استسلامهم فقد ورد به :

إن بداية الاهتمام بهذه القضية عندما أخذت

---

(٤) المرجع السابق.

(٥) الإصحاح السادس من سفر يشوع عدد ١٢، ٢٠، ٢١ من الكتاب المقدس العهد القديم وحرموا كل ما فى المدينة تعنى أنهم قتلوها جميعا بحد السيف.

(٦) كتاب المؤامرات الصهيونية على مصر بالوثائق تأليف الأستاذ جميل عارف.

الصحف الإسرائيلية في شهر أغسطس سنة ١٩٩٥م في نشر شهادات لجنود وضباط إسرائيليين اعترفوا فيها صراحة بأنهم شاركوا في المذابح التي ذهب ضحيتها الأسرى المصريين أثناء حربي سنة ١٩٥٦م، ١٩٦٧م قدرهم بعض العارفين بخمسة آلاف :

١ ـ ففي يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٩٥م كتبت جريدة معاريف الإسرائيلية تحقيقا عن هذه القضية جاء فيه أنه : (ثبت من خلال شهود عيان، واعترافات من قاموا بارتكاب هذه المذابح أن هؤلاء المجرمين قتلوا عمال المحاجر، التي كانت في سيناء مع الأسرى المصريين، وشارك في هذه المجزرة كثير من قوادهم العظام أمثال قائد كتيبة المظلات العميد « أريه بيرو » واللواء التاسع الذي كان يقوده « أريل شارون ».

٢ ـ وجاء في تقرير منظمة حقوق الإنسان المصرية السابق الإشارة إليه أن المؤرخ الإسرائيلي « ميلشتاين » ذكر أن جرائم القتل التي وقعت على الأسرى المصريين لم تكن جرائم فردية بل كانت مذابح قتل جماعية، ففي شرم الشيخ قام بها جنود الكتيبة ٨٩٠ مظلات الإسرائيلية.

٣ ـ ومنذ عدة سنوات أصدر مؤرخ إسرائيلي اسمه الدكتور « أريه يتسحاقي » وهو محاضر زائر بقسم دراسات أرض إسرائيل في جامعة بارايلان الإسرائيلية كتابا بالاشتراك مع عميد احتياط في الجيش الإسرائيلي اسمه « مايك الدار » ويكشف ذلك الكتاب واسمه (الوحدة ٤٢٤) في الصفحتين ١١٦، ١١٧ أسماء بعض مجرمي الحرب من جنرالات إسرائيل ويذكر منهم :

أ ـ الجنرال (بنيامين أليعازر) الذي اشتهر في إسرائيل باسم الجنرال « فؤاد » فهو الذي كان قائدا لكتيبة المظلات ٨٩٠، ويعمل مساعدا له العميد « أريه بيرو ».

ب ـ وفي حديث صحفي لمؤلف الكتاب المشار إليه نشرته جريدة معاريف الإسرائيلية ذكر أن « موشيه ديان » وزير الدفاع في إسرائيل وقتئذ، و« إسحاق رابين » رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق كانا على علم بتفاصيل عمليات إعدام المصريين الأسرى وقد قاما بعمل تهدئة الضجة التي أثيرت حول هذه القضية حماية لبعض زملائهما من جنرالات إسرائيل.

ج ـ ثم نشرت جريدة يديعوت أحرونوت حديثا لأحد الصحفيين الإسرائيليين واسمه « جابي بارون » ذكر أنه كان شاهد عيان لما حدث للأسرى المصريين لأنه كان مجندا في قوات إسرائيل حينئذ وقد رأى بعينيه عمليات إعدامهم ودفنهم[٧].

تبرير مسئول إسرائيلي عن جريمة قتل الأسرى المصريين

في برنامج (سرى جدا) عرضه تليفزيون الجزيرة قال جنرال إسرائيلي يعمل نائبا لوزير دفاع الدولة العبرية[٨] (لو أن المصريين احتلوا إسرائيل لفعلوا بالإسرائيليين ما فعله جنود إسرائيل بالمصريين الأسرى في حربي ١٩٥٦م، ١٩٦٧م. وأن المصريين في حرب عام ١٩٧٣م عندما أمسكوا بالأسرى الإسرائيليين عذبوهم، وعاملوهم أسوأ معاملة وقتلوا بعضا منهم)[٩].

---

(٧) المرجع السابق.

(٨) الدولة العبرية أو الدولة الإسرائيلية تعنى الدولة اليهودية فكلها بمعنى واحد.

(٩) نقلا عن جريدة الأخبار القاهرية بتاريخ الجمعة ١٣ من ربيع الأول سنة ١٤٢١ هـ ـ ١٦ يونيه سنة ٢٠٠٠م مقال حكايات غربية في قضية مقتل الأسرى المصريين بقلم الأستاذ وجيه أبوذكرى.

تقاليد العسكرية المصرية تكذب مزاعم المسئول الإسرائيلي

فقد ذكر الدكتور إبراهيم البحراوى الأستاذ بقسم الدراسات العبرية بجامعة عين شمس أن هناك عديدا من الشواهد تضع العسكرية المصرية فى مصاف الفروسية النبيلة ذات الأخلاق الرفيعة والتقاليد الراسخة فى مواجهة العدو وهو يحمل سلاحه وفى رعاية أبسط حقوقه كإنسان إذا ما ألقى السلاح ودخل فى حمى العسكرية المصرية أسيراً أعزل :

١ - ففى معركة ١٩٦٧م شاهد الطيارين الإسرائيليين الذين سقطوا فوق المطارات المصرية بعد أن قصفوها يجلسون على مقاعد مريحة أثناء استجوابهم ويجرى على هيئة حوار عادى بين ندين لا ضغط فيه ولا أذى بالفعل أو القول، ويقدم الطعام للأسرى من مطعم (جروبى) المشهور فى القاهرة ليصل الأسرى فى وقت قصير إلى فراشهم المريح بالمكان المخصص لهم بالسجن الحربى إلى أن تتم مبادلتهم بأسرى مصريين فى إسرائيل.

٢ - وفى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣م كان الأستاذ بقسم الدراسات العبرية المشار إليه ضمن فريق عمل برأسه المرحوم الدكتور مصطفى زيور - أستاذ علم النفس - ويضم أيضا الدكتور سيد ياسين حيث كان ينسق بين مهام مركز الدراسات الاستراتيجية بجريدة الأهرام، ومركز البحوث الاجتماعية فى عمل فريق البحث ويضم الدكتور رشاد الشامى، والدكتور قدرى حفنى وقد شاهدوا جميعا مئات الأسرى الإسرائيليين وهم يمرحون فى مجموعات لعب بساحة السجن الحربى المصرى وتبدو عليهم علامات الصحة فى وجوههم، فلا تجويع ولا تعذيب عليهم من جانب المصريين، وعندما تبادلوا الحديث معهم كانت تظهر عليهم مشاعر الطمأنينة والسكينة نتيجة ما يتمتعون به من حسن المعاملة وأكثر من ذلك فإن العسكرية المصرية العريقة رفيعة الأخلاق أعدت لهم ضمن برامجها رحلة خارج سجن الأسرى يطوفون خلالها بالأهرامات ومواقع الآثار وشواطىء النيل المبهجة[١٠] (انتهى كلامه).

العسكرية المصرية فى تعاملها مع أسرى الأعداء تأثرت فى تقاليدها بأحكام الإسلام السمحة التى يدين بها الشعب المصرى

ذلك أن الإسلام حفل بالدعوة إلى التسامح منذ بزغ فجره، وتجلت سماحة رسوله - ﷺ - حتى فى الموقف المهتاج الذى تطمئن فيه النفوس إلى الانتقام، وذلك فى وقت كانت فيه الأمم تعامل أسراها معاملة العدو البغيض فتقتلهم أو تبيعهم أو تسترقهم لتسخرهم فى أشق الأعمال[١١].

---

(١٠) بتصرف عن مقال «معاملة الأسرى.. شهادة حق للعسكرية المصرية بقلم الدكتور إبراهيم البحراوى - قسم الدراسات العبرية جامعة عين شمس - نشر بجريدة الأهرام بتاريخ ٤ نوفمبر سنة ١٩٩٥م.

(١١) كتاب سماحة الإسلام تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفى الأستاذ السابق بكلية دار العلوم ص ٦٥، ٦٦.

أمثلة من مواقف المسلمين فى أسرى الحروب زمن رسول الله ـ ﷺ ـ :

١ ـ ففى غزوة بدر الكبرى التى انتصر المسلمون فيها على كفار مكة سنة ٢ هجرية وقع فى أسر المسلمين سبعون منهم وزعهم رسول الله ـ ﷺ ـ على أصحابه وأمرهم أن يحسنوا إليهم، فكانوا يفضلونهم على أنفسهم، فى طعامهم تطبيقا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾[١٢].

ولما استشار ـ ﷺ ـ أصحابه فى شأنهم أشار عليه البعض بقتلهم وأشار عليه آخرون بفدائهم فمال إلى الفداء، وجعل فداء الذين يكتبون أن يعلم كل منهم عشرة من صبيان المدينة المسلمين الكتابة ومَنَّ على بعض الأسرى فأطلقهم بغير فداء[١٣].

٢ ـ وفى غزوة المسلمين لبنى المصطلق أصابوا منهم سبيا كثيرا فشا قسمه بينهم بعد انتصارهم عليهم وقد أطلقهم المسلمون دون فداء بعد أن تزوج الرسول ـ ﷺ ـ السيدة جويرية بنت الحارث سيد تلك القبيلة[١٤].

سبى كثير يعنى أسرى كثر

٣ ـ ولما تم للمسلمين فتح مكة سنة ٨ هجرية قام رسول الله ـ ﷺ ـ على باب الكعبة وكان مما قاله : «يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل فيكم؟ قالوا : خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١٥].

وهكذا مَنَّ عليهم فعفا عنهم دون فداء.

ذلك أنه من المبادىء المقررة فى الإسلام أنه بعد انتهاء الحرب يكون الأسرى بين أحد أمرين اثنين :

١ ـ إما أن يمن عليهم، وذلك بإخلاء سبيلهم، وإطلاق سراحهم دون مقابل، كما حدث لبنى المصطلق، وكذلك لأهل مكة بعد الفتح.

٢ ـ وإما أخذ الفداء منهم كما حدث فى الأسرى بعد انتصار المسلمين فى غزوة بدر.

وكان ذلك تطبيقا لقول الله ـ تعالى ـ :

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[١٦].

لا يقدح فى ذلك ما يثبت من قتل لبعض الأسرى بعينهم فقد صح أن رسول الله ـ ﷺ ـ أمر بقتل النضر بن الحارث، وعقبة بن أبى معيط يوم بدر، وكذلك أبا عزة الجمحى يوم أحد، حينما خفر عهده لرسول الله، وأمر بقتل ستة من المشركين يوم فتح مكة، ولو تعلقوا بأستار الكعبة[١٧].

إنهم مجرمو حرب بالاصطلاح الحديث، لا أسرى حرب، وقد ندد القرآن الكريم بخياناتهم لقومهم بعد كفرهم بنعمة الله عليهم[١٨] قال ـ تعالى ـ :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾[١٩].

---

(١٢) سورة الإنسان آية رقم ٨.

(١٣) السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثانى ص ٦٦٠.

(١٤) المرجع السابق الجزء الثالث ص ٢٩٤، ٢٩٥.

(١٥) المرجع السابق الجزء الرابع ص ٤١٢.

(١٦) سورة محمد ـ جزء من الآية رقم ٤.

(١٧) كتاب الإسلام والعلاقات الدولية ص ٢٢٨ تأليف الدكتور محمد الصادق عفيفى.

(١٨) كتاب فقه السيرة ـ تأليف الشيخ محمد الغزالى ـ ٢٤٤.

(١٩) سورة إبراهيم ـ الآية رقم ٢٨، والآية رقم ٢٩.

موقف الإسلام من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية وموقف المجتمعات الغربية من المسلمين

٢

للمستشار / السيد علي بن السيد عبد الرحمن آل هاشم

حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي

١- الحقوق العامة.

٢- الحقوق الخاصة.

أولاً : الحقوق العامة:

وهي الحقوق التي تثبت لغير المسلمين جميعهم، فلا يختص بها فرد دون فرد، ولا فئة دون أخرى، ولا أهل دين دون غيرهم، وهذه الحقوق هي:

أ- حقهم في الحماية من العدوان الخارجي والداخلي، نقل القرافي عن ابن حزم قوله: «إن من كان في ذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلاد يقصدونه، وجب علينا أن نخرج، لقتالهم بالكراع، والسلاح، ونموت دون ذلك، صونا لمن هم في ذمة الله - تعالى - وذمة رسوله - ﷺ - وحكى إجماع الأمة في ذلك»[1] كما أكد ذلك ابن قدامة في «المغني».

ومن التطبيقات العملية التي تؤكد ذلك: أن ابن تيمية - رحمه الله تعالى - حين تغلب التتار على الشام، وأسروا جماعة من المسلمين، وأهل الذمة، ذهب إلى حاكمهم، وكلمه في إطلاق سراح الأسرى، فأطلق أسرى المسلمين، ومنع أسرى أهل الذمة، فأبى ابن تيمية الرجوع إلا بافتكاك أسرى أهل الذمة[2].

ب- حقهم في التنقل في دار الإسلام، والسكن في أي جزء منها.

يقول ابن حزم: واتفقوا - أي الفقهاء من المسلمين - أن لهم - أي: المعاهدون في أرض الإسلام الدخول حيث أحبوا من البلاد

١- الفروق للقرافي (٣/١٤).

٢- فتاوى ابن تيمية (٢٨/٦١٧).

حاشا (الحرم بمكة) فإنهم اختلفوا أيدخلونه أم لا، واتفقوا على أن لهم سكنى أى بلد يشاءون من بلاد الشام، حاشا (جزيرة العرب) مستدلين بقوله – تعالى – :

﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾[٣].

ج– حقهم فى حرية الاعتقاد، وممارسة شعائرهم الدينية . سبق التحدث عنها .

د– حقهم فى التعليم، والاجتماع، وإبداء الرأى: إعمالا لقاعدة (الأصل فى الأشياء الإباحة) فليس فى الشريعة الإسلامية ما يمنع غير المسلمين من تعليم أبنائهم، وفق دياناتهم، وحرية إبداء الرأى، والاجتماع غير أن ذلك مشروط بعدم إساءة استعمال هذا الحق، درءا للفتنة، وحذرا من وقع التشاحن والخصام، كان يبشروا بدينهم بين أبناء المسلمين، أو يحملوهم رغبا أو رهبا على معتقداتهم، لأن ذلك ردة، وهى جريمة فى نظر الإسلام .

هـ– حقهم فى الانتفاع بمرافق الدولة، وكفالة بيت المال، كوسائل المواصلات، ومشروعات الرى، والإنارة، ومياه الشرب، وغيرها من المرافق . قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : « المسلمون شركاء فى ثلاث : الماء، والكلأ، والنار »[٤].

و– حريتهم فى العمل: يتمتع أهل الذمة فى دار الإسلام بحرية العمل، ومزاولة الأنشطة التجارية، والاقتصادية المختلفة، شريطة ألا يخالفوا أحكام الشريعة الإسلامية[٥] والأحكام المرعية فى دولة الإسلام .

وقرر – أيضا – ثبوت آثار أنكحتهم من: النسب، والمهر، والعدة، كما قرر ابن القيم (أن عقود ومعاملات غير المسلمين، تعتبر صحيحة، وأن مخالفتهم للإسلام لا يؤثر فى صحة هذه العقود والمعاملات) .

واتفق أكثر أهل العلم: (على أن أهل الدين الواحد، يتوارثون، ولو اختلفت أوطانهم، ودولهم)[٦].

وقد ميزت أحكام الشريعة الإسلامية الغراء (أهل الكتاب) عن غيرهم، من أهل الملل الأخرى – بحل ذبحائهم، وطهارة مأكولاتهم، وحل نسائهم، بالعقد الشرعى الصحيح .

وقد نقل العلامة : ابن قدامة المقدسى، والعلامة ابن القيم عن ابن المنذر – إجماع أهل العلم على ذلك، قال – تبارك وتعالى – :

﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[٧].

٣– سورة التوبة ٢٨ . (المحلى لابن حزم الأندلسى) وقد نزلت فى مشركى مكة .

٤– الحديث : ابن ماجه جـ٢ ص ٨٢٦ .

٥– أحكام الذميين والمستأمنين لعبدالكريم زيدان .

٦– أحكام أهل الذمة لابن القيم .

٧– سورة المائدة : ٥ .

ثانيا : الحقوق الخاصة :

المقصود بالحقوق الخاصة: تلك التى تنشأ من علاقات الأفراد، فيما بينهم، سواء أكانت علاقات عائلية، أم مالية. فالعائلية كحق الزواج، والطلاق ونحوهما، وأما الحقوق المالية، فهى كحق التملك، ومباشرة سائر التصرفات المشروعة على أعيانهم، وأملاكهم، ومزارعهم، ومصانعهم، ونحو ذلك. ففى مجال الحقوق العائلية قرر الإمام ابن القيم - رحمه الله - «أن أنكحة غير المسلمين صحيحة، لا يحكم عليها ببطلان»، ثم قال: «لم ينص أحد من أئمة الإسلام على بطلان أنكحة غير المسلمين، ولا يمكن لأحد أن يقول ذلك»[8].

مواقف المجتمعات الغربية من المسلمين

ويتضمن بإيجاز

التواجد الإسلامى فى بلاد غير المسلمين وتفاعله

الجاليات والأقليات

أمثلة على ذلك

المشكلات

تعزيز التفاعل الحضارى للدور الإسلامى فى تلك المجتمعات

إن دراسات كثيرة قدمت فى هذا الصدد، ومفادها: أن هناك تباينا كبيرا بين مجتمع غربى وآخر، إلا أن القاسم المشترك بين الجميع يؤكد أن التواجد (الإسلامى) فى أوروبا يواجه مشاكل عديدة - اقتصادية، وسياسية، واجتماعية، ذ تتركز معاملة الأكثرية هناك للأقلية المسلمة على النواحى الاقتصادية (لأن هذه الأقلية الإسلامية) تتكون غالبا من المهاجرين، ومعتنقى الإسلام الجدد، وبدافع خوف فطرى من جانب الأكثرية، تحاصر هذه الأقلية فى غالب الأحيان، وتصبح ضحية لمعاملات اقتصادية، غير منصفة، مما يجعلها فى موقف ضعيف بالنسبة للأكثرية.

إلا أنه من الممكن لهذا (التواجد المسلم) إذا التزم بما فرضه الإسلام عليه، من التزام الصدق فى التعامل، والحرص على إظهار التسامح والإخلاص المعروف بهما المؤمن، صادق العزم والعزيمة، أن ينجح، ويتمكن من مواجهة أى وضع غير ملائم، وذلك بأن ينظم هذا التواجد الإسلامى نفسه، والعمل على وجود حلول، بمزيد من الترابط، والمساهمات المالية، من بين أفراد الأقلية، تزيد عن مساهمات أهل الخير والبر، من خارج محيط البلد التى يقطنونها.

إن التواجد الإسلامى بحاجة ماسة إلى فهم دقيق، وإن دراسة متأنية متأملة لانتشار الإسلام فى جنوب شرقى القارة الآسيوية، يعطينا نموذجا فريدا لانتشار الإسلام، عن طريق المبادلات الاقتصادية، والتعاون التجارى.

فقد ذهبت أعداد من المسلمين، من عرب جنوب الجزيرة العربية، وبوجه خاص من اليمن، من أجل طلب الرزق، وفتح أبواب من

٨- أحكام أهل الذمة لابن القيم

الخير، فكان لتواجدهم أثر بالغ في نشر تعاليم الدين، فدخل كثير في دين الله، وليس أدل على هذا الأثر من أنهم جميعهم يتمذهبون بمذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - وهو مذهب الأكثرية في اليمن، وفي جنوبه وشرقيه بالذات.

فبلاد كأندونيسيا يزيد تعدادها على مائتي مليون نسمة، دخلوا الإسلام بواسطة هذا التعامل الاقتصادي، ومع ما لمسه أهل البلاد الأصليين، من سماحة في التعامل، وصدق في التبادل، وهذا ينطبق على جزر الاتحاد الماليزي، وسنغافورة، وجزيرة سرنديب «سيريلانكا» حاليا، وجنوب شبه القارة الهندية، وأذكر ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وإن المشكلة الاجتماعية التي تواجه التواجد الإسلامي في أوروبا، هي أخطر المشاكل، وأبعدها أثرا، لأنها تؤثر في أجيال وأجيال، ولأن أثرها في غالب الأحيان بطئ، يؤدي الى تآكل الخاصية الإسلامية، وربما ينتهي بضياعها نهائيا، بعد جيل أو جيلين.

إلا أنه، وبفضل من الله، فإن بعض الغيورين على هذا التواجد المسلم سواء من الحكومات الإسلامية، أو الدعاة المخلصين، أو الهيئات العلمية والدينية كالأزهر الشريف، ورابطة العالم الإسلامي، والمؤسسات الخيرية المعترف بها، كمؤسسة الشيخ زايد للأعمال الخيرية، والإنسانية، يعملون على مواجهة هذا المصير الخطير، وذلك بنشر الثقافة الإسلامية، باللغة العربية، محافظة على العقيدة والهوية الإسلامية، والعمل على تمركز المسلمين في أحياء متقاربة، لأداء شعائر الدين، سيما وأن أكثر المجتمعات الغربية (لا ترفض الإسلام من حيث هو إسلام ومسلمين) وهذا حق من الإنصاف تسجيله، إلا أن ظروفا قد تطرأ، ووجهات نظر ربما عدها البعض من الدين، وليست بدين فهي عادات بيئية، مرتبطة بالمهاجرين على اختلاف مشاربهم، وعاداتهم، ويصرون على التمسك بها، وهي قد تخالف أعراف وعادات البلاد الغربية، وما شابهها، ولذلك فينبغي على الباحث المنصف، التدقيق فيما يثار من خلاف، يؤدي إلى فرض قوانين في تلك البلاد، تحد من حرية التواجد الإسلامي، نتيجة لسوء فهم للإسلام، وسواء من أهل تلك البلاد، أو المهاجرين إليها، على حد سواء، إلا أن أسوأ الحالين هو أن يجهل المسلم أمور دينه، وحدود الحرية، والتسامح المتاح له في أن يتحرك، ويتصرف بموجبه.

أما المشاكل السياسية: فأرى أن هذه المشكلة هي أهون المشاكل، لأن المسلم من شأنه التسامح، وبذل المعروف، والخير للناس كافة، مع لين الجانب، والرفق والانضباط في السلوك، وكل ذلك يؤدي لطمأنينة العقلاء من الناس في بلادهم، الأمر المفضي إلى إقامة علاقات طيبة، تحد من التوتر، الذي قد يحصل، أو الذي قد يثور بين آونة وأخرى، بين الأفراد والجماعات، بل وبين الدول.

فالمسلم نموذج حي للتعايش الجاد، والمثمر، والنزيه، فمن مقاصد الشريعة الغراء، ومن موجباتها: قيام العلاقات على كل الأصعدة

هو :إفشاء السلام، والتحية، وتبادل الود بين الناس. مصداقا لقوله ـ تبارك وتعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(٩).

والمعنى: خلقناكم أيها الناس من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل، لتعارفوا أى: ليعرف بعضكم بعضا، ولتتواصلوا فيما بينكم، وتتعاونوا على البر و التقوى، فالأب واحد، والأم واحدة، والجميع من تراب، ولا تفاضل بين الناس، إلا بالعمل الصالح، والأسلوب النزيه.

وعلو القدر لا يكون إلا بشرف العمل، وصادق القول ومتى ما قدم المرء النصفة من نفسه، فقد ضمن أن يكون لبنة صالحة فى كيان الإنسانية.

إن التجمع الإسلامى فى أى مكان من المعمورة، ينبغى أن يكون مصدر إشعاع حضارى لما تحمله نفس المسلم الصادق الإيمان، من علاج النفوس، وتهذيب الأخلاق، وتقويم الطباع، وذلك با لحكمة، والموعظة الحسنة، من كتاب الله، وسنة رسوله المصطفى - ﷺ -.

إن معنى الحضارة عند المسلم :هو شعوره بالسعادة، وإسعاد الآخرين أيا كانوا. حتى تقوى النفوس، بحيث تصبح النفس البشرية شخصية متينة، محروسة ضد انحلال الأخلاق، وميوعة السلوك، ومساوئ العادات.

إن بعض الحضارات واضح جدا أنها اليوم تشرف على الاحتضار والانهيار.

ومن هنا يتبين لنا: أن حضارة الإسلام حضارة ذات مناعة خاصة، تحدث عنها علماء الأخلاق، والآداب، والتاريخ، والفنون. وليس هناك مجال يتسع لإيراد أقوالهم، لكثرة الذاكرين لذلك عن دراسة وتمحيص.

ومن هنا يأتى دور الإسلام، وهو الحامل لمشاعل النور، مخلصا للبشرية من ضنك الحياة المعنوية، لدى كثير من الشعوب.

ومن هنا أيضا نؤكد على الفائدة الكبيرة التى قد تجنى من وراء الاجتماعات والندوات العلمية، والمجالس والمراكز الإسلامية، والتى يبذل فيها القائمون عليها قصارى جهدهم لخدمة دينهم، وإصلاح المجتمع الذى يعيشون فيه مع صادق الوفاء وكثير من المحبة والإخلاص.

ومتى ما كان العمل خالصا لوجه الله ـ عز وجل - ومبرءاً من كل شر أو عداء لأى إنسان فقد تكفل المولى - تبارك وتعالى - بنجاحه وإفلاح القائم به وعليه.

٩- سورة الحجرات الآية ١٣.

تعقيب على رد كاتب مقال :

قضية الأحرف السبعة

للدكتور / صبحي عبد المنعم

القراءات والتواتر

لاحظت في ختام نقدي لمقال الشيخ عبطة أنه أسند تهمة ترجيح إنكار «القراءات السبع» إلى مؤلف كتاب «الفرقان» دون مسوّغ، فعقبت على هذه التهمة في ص١٦١٢ قائلاً: «والحق أن مؤلف كتاب «الفرقان» بريء من تهمة إنكار «القراءات السبع» التي أسندها إليه الشيخ عبطة، إذ أن هذا المؤلف لم يزد على أنه حكى تردد الزركشي في التسليم بتواتر «القراءات السبع» عن النبي - ﷺ - إلى الأئمة السبعة، وفي رأيه أن هذا التردد «دليل على أن «القراءات السبع» متواترة من أصحابها إلينا فقط» وهو عين ما صرح به الزركشي، ونقله الشيخ عبطة ضمن القبس الذي أخذه من كتاب «الفرقان».

وشتان ما بين عدم التسليم بتواتر هذه القراءات عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلى الأئمة السبعة وبين إنكارها»، ثم أنهيت كلامي بسؤالي الشيخ عبطة: «هل عدم التسليم بتواتر خبر ما يعني إنكار هذا الخبر مطلقاً؟! ثم ألا يعلم الشيخ عبطة أن أقل القليل من سنة الرسول - عليه السلام - هو ما جاءنا متواتراً، وأن الكثير الغزير الوفير هو ما جاءنا غير متواتر، أي خبر آحاد ...».

أما الشيخ عبطة فقد رد على كلامي هذا بقوله: «والواضح أن الرجل (يعني شخصي) يطلق الحكم على التواتر وخبر الآحاد في كل المجالات على قدم المساواة دون تمييز بين ما يتعلق بالقرآن الكريم وما يتعلق بغيره من السنة المطهرة» ثم استطرد الشيخ عبطة قائلاً: «فالقرآن يشترط في قبول قراءته أن تكتمل فيه ثلاثة أركان: الأول: أن يوافق العربية ولو بوجه، الثاني: أن يقوم على التواتر الذي يصل سنده إلى رسول الله - ﷺ - الثالث: موافقته للرسم العثماني ولو احتمالاً، فالتواتر شرط في قبول القراءة الصحيحة ...» اهـ.

والحق أن هذه الفقرة الأخيرة من قول الشيخ عيطة تثير أكثر من سؤال ينبغي أن يوجه إلى فضيلته: أولاً: من العالم الذي نطق بألفاظ هذه الفقرة؟ أو ما المصدر العلمي الذي أخذت منه؟ وكيف ساغ لأخي الشيخ أن يسوق مثل هذه الفقرة في أثناء جدل علمي دون أن ينسبها إلى صاحبها، ودون أن يعيّن مصدرها؟ ثم عن أي شيء يتحدث الشيخ في هذه الفقرة؟ أهو يتحدث عن القراءات ـ وهي موضوع الخلاف ـ؟ أم عن القرآن ـ وهو فوق هذا الخلاف ـ؟ أم أن الشيخ لا يفرق بين القرآن والقراءات وهما حقيقتان مختلفتان؟! فنحن إذا نظرنا إلى صدر هذه الفقرة وجدنا الشيخ عيطة يقول: «فالقرآن يشترط في قبول قراءته أن تكتمل فيه ثلاثة أركان». فالنصف الأول من هذه العبارة يتحدث عن شروط قبول قراءة القرآن، أما النصف الآخر: «... أن تكتمل فيه ثلاثة أركان» فتذكير الضمير في لفظ «فيه» وإفراد هذا الضمير ـ يجعلان القارئ، يفهم أن الحديث إنما هو عن شروط قبول القرآن ذاته لا شروط قبول إحدى قراءاته! يؤيد هذا إفراد الضمير وتذكيره في العبارات الآتية: «الأول: أن يوافق العربية ولو بوجه، الثاني: أن يقوم على التواتر... الثالث: موافقته للرسم العثماني...» وإذا كان الأمر كذلك فالمفهوم من هذه الشروط أنها شروطقبول القرآن ذاته لاقبول إحدى قراءاته! لكن الشيخ يفاجئنا في نهاية هذه الفقرة بقوله: «فالتواتر شرط في قبول القراءة الصحيحة»! وهذا يفيدنا أن الشيخ كان يتحدث في تلك الفقرة كلها عن القراءات على رغم سوء تركيبها اللغوي الذي يوقع قارئها في لبس شديد! وإذا لم يكن الأمر كذلك فمن حقنا أن نزيد الشيخ عيطة سؤالاً: إذا كنت تشترط لقبول القرآن «موافقته للرسم العثماني» فكيف ساغ للمسلمين أن يتلو القرآن، ويتعبدوا به قبل أن يستخلف عثمان ـ رضي الله عنه ـ وتكتب مصاحفه؟!

ومهما يكن من الأمر فمن الواجب أن نشرح القول الذي ارتضاه علماء الأمة في شأن تواتر القراءات، ومن قبل ذلك علينا أن نوضح الفرق بين حقيقة القرآن وحقيقة القراءات، فنقول والله المستعان:

القرآن هو: الوحي المنزل على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي أخذته الأمة من لفظ رسولها ـ ﷺ ـ بأحرفه السبعة جميعاً أخذاً متواتراً من قبل أن يستخلف عثمان ـ رضي الله عنه ـ وترسم مصاحفه، بل من قبل أن يأمر أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بجمع سور هذا القرآن بين دفتين، بل إن القرآن هو محصلة العرضة الأخير التي قبض بعدها الرسول ـ ﷺ ـ أما القراءات فهي اختلاف أداء ألفاظ هذا الوحي. يقول بدر الدين الزركشي المتوفى ٧٩٤ هـ في كتابه (البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل، جـ ١، ص٣١٨): «... واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ـ ﷺ ـ للبيان والإعجاز، والقراءات هي ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيتها، من تخفيف، وتثقيل، وغيرها».

وأما القراءة الصحيحة المقبولة التي يقرأ بها في الصلاة فهي كل قراءة:

(١) نقلها إمامها عن الرواة الثقات الذين نقلوها عن رواة ثقات مثلهم إلى النبى - ﷺ -.

(٢) كذلك يشترط فى هذه القراءة أن تكون موافقة للغة العربية التى نزل بها القرآن.

(٣) وكذلك يشترط فى هذه القراءة أن تكون صور ألفاظها موافقة لصور الألفاظ فى مصحف عثمان - رضى الله عنه -، وذلك ما يعبر عنه بموافقة الرسم العثمانى، وهذا الرسم هو ما أجمعت الأمة على قبوله منذ خلافة سيدنا عثمان، ويعنى ذلك أن القراءة التى صح سندها إلى الرسول - عليه الصلاة والسلام - ووافقت العربية، ووافقت رسم مصحف عثمان - رضى الله عنه - ولو احتمالاً هى قراءة أجمعت الأمة على قبولها من جهة موافقتها لرسم مصحف عثمان - رضى الله عنه -، وهى بهذا الإجماع تكون مستغنية عن روايتها بالتواتر.

يقول مكى بن أبى طالب المتوفى ٤٣٧هـ فى كتابه «الإبانة عن معانى القراءات ص٣٩» معبراً عن فكر علماء الأمة فى القرون الأربعة الأولى من الهجرة: «... قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال: وهى أن ينقل عن الثقات إلى النبى - ﷺ - ويكون وجهه فى العربية التى نزل بها القرآن شائعا، ويكون موافقا لخط المصحف، فإذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قرىء به، وقطع على مغيبه وصحته وصدقه، لأنه أخذ عن إجماع من جهة موافقته لخط المصحف، وكفر من جحده»، وهكذا نرى أن الفكر الذى كان يشيع فى القرون الأربعة الأولى الهجرية لا يشترط التواتر فى سند القراءة المقبولة لأنها مستغنية عن التواتر بما توافر لها من الإجماع من ناحية موافقتها خط مصحف عثمان - رضى الله عنه -، ومعنى ذلك أن القراءات «السبع» وهى قراءات مقبولة - مستغنية عن التواتر فى سندها بموافقتها خط مصحف عثمان - رضى الله عنه -.

ابن مجاهد يحكى سند السبعة

وإذا كان التواتر هو أن يروى الخبر جمع من الناس بلغت كثرته حداً يستحيل معه - عادة - أن يتفق أفراده على كذب عن جمع مثله إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فإنا لا نجد مثل هذا الجمع فى أى حلقة من سند أصحاب «القراءات السبع» إلى النبى - عليه الصلاة والسلام -، بل إن ابن مجاهد المتوفى ٣٢٤ هـ فى ص٥٤ - ٥٥ من كتاب السبعة» - وهو أصل «القراءات السبع» - يروى بسنده إلى هارون بن المسيِّب قوله: «أخبرنا نافع أنه قرأ على الأعرج، وأن الأعرج قال: قرأت على أبى هريرة - رضى الله عنه -، وقال أبو هريرة: قرأت على أبىّ بن كعب، وقال أبىّ: عرض علىّ رسول الله - ﷺ - القرآن، وقال: أمرنى جبريل أن أعرض عليك القرآن».

فإذا كان هذا هو سند قراءة نافع إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فأين التواتر الموجود فى هذا السند؟!

كذلك يحكى ابن مجاهد فى ص٦٤ من «كتاب السبعة» سند ابن كثير قارئ أهل مكة إلى النبى - عليه السلام - فيقول: «قرأ (ابن كثير) على مجاهد بن جبر، وقرأ مجاهد على ابن عباس - رضى الله عنهما -، وقرأ ابن عباس على أُبىّ بن كعب - رضى الله

تعالى عنه ـ. وقد عرفنا أن أبيّ بن كعب عرض عليه النبي ـ ﷺ ـ القرآن.

فإذا كان هذا هو سند قراءة ابن كثير إلى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ فأين التواتر الموجد في هذا السند أيضا؟!

الزركشي والتواتر

وإذا كانت أسانيد القراء السبعة إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خلت من التواتر كما رأينا في سند نافع وابن كثير (١) ـ حق للإمام الزركشي ـ وهو من علماء القرن الثامن الهجري أن يقول في («البرهان في علوم القرآن»، جـ١، ص٣١٨): «... القراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل مشهورة... والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي ـ ﷺ ـ ففيه نظر فإن إسناد الأئمة السبعة بهذه القرءات موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد لم تكمل شروط التواتر... وهذا شيء موجود في كتبهم، وقد أشار الشيخ شهاب الدين أبو شامة في كتابه «المرشد الوجيز» إلى شيء من ذلك».

سبب الخلاف

ولسائل من الناس أن يسأل: ما قصة هذا الخلاف الذي حكاه الزركشي في «البرهان» حول رواية «القراءات السبع» مع أن القضية واضحة المعالم في «كتاب السبعة» لابن مجاهد المتوفى ٣٢٤هـ وهو أصل «القراءات السبع» ـ حيث لا تواتر في سند القراء السبعة إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ؟ والجواب على ذلك ـ فيما يبدو لي ـ أن المسلمين في عصر الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ كانوا يعيشون أقسى عصور الانحطاط السياسي بعد سقوط الخلاف العباسية، والدولة الفاطمية في مصر، واضمحلال شأن المسلمين في الأندلس، ومن شأن هذا كله أن يترك أثره السيىء على الحركة العلمية حتى أصبح من المألوف أن يجترىء غير العلماء على القول في علوم القرآن! نتبين ذلك مما نقله ابن الجزري في كتابه («النشر في القراءات العشر»، مطبعة مصطفى محمد، جـ١، ص١٣) عن الإمام الكبير أبي شامة في كتابه «المرشد الوجيز» حيث قال أبوشامة: «وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن «القراءات السبع» كلها متواترة...».

ومعنى ذلك أن الآفة ـ في نظر أبي شامة وابن الجزري الذي حكى قوله ـ هي في المقرئين المتأخرين من غير العلماء، وفي المقلدين الذين يعتقدون ما يقوله غيرهم دون أن يتبينوا.

ضياع كتاب السبعة

ومما زاد الطين بلة كما يقال ـ أن «كتاب السبعة» لابن مجاهد ـ وهو أصل «القراءات السبع» ـ كان قد ضاع في تلك العصور المظلمة، واختفى من مكتبات العلماء، وقد كان هذه الضياع ـ في نظري سبباً في شيوع القول بتواتر «القراءات السبع» إذ أن ابن

---

(١) انظر أسانيد باقي القراء السبعة إلى النبي ـ عليه السلام ـ في («كتاب السبعة» لابن مجاهد، ص ٦٦ ـ ٨٦).

مجاهد حكى أسانيد هؤلاء القراء السبعة إلى النبى - عليه الصلاة والسلام - فى صدر هذا الكتاب، ولو أن هذا الكتاب بقى موجوداً بين أيدى العلماء فى تلك الأعصر ما اجترأ من ادعوا تواتر «القراءات السبع» على أن يقولوا ما قالوا، يدلنا على هذا الضياع قول الزركشى المتوفى ٧٩٤هـ فى («البرهان فى علوم القرآن»، جـ١، ص٣١٨): «وأحسن الموضوع للقراءات السبع كتاب «التيسير» لأبى عمرو الدانى... وكتاب «الإقناع» لأبى جعفر بن الباذش...» ولو أن «كتاب السبعة» كان متاحاً للزركشى فى ذلك الوقت مثلما هو الآن لاكتفى بذكره وحده.

شهادة ابن الجزرى والسيوطى

وإذا كان قد شاع بين المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن «القراءات السبع» متواترة فلا مفر من الاستماع إلى قول عالم يعرف العلماء قدره، ورسوخ قدمه فى علوم القرآن، وإذا كنا نعرف للإمام السيوطى مكانته السامية فى هذه العلوم بسبب تأليفه كتاب «الإتقان فى علوم القرآن» فإن السيوطى نفسه يقول فى «الإتقان، جـ١، تحقيق أبو الفضل، ١٩٧٤م»: «اعلم أن القاضى جلال الدين البلقينى قال: «القراءة تنقسم إلى متواتر، وآحاد، وشاذ، فالمتواتر قراءات السبعة المشهورة، والآحاد قراءات الثلاثة التى هى تمام العشر...» لكن السيوطى يعلق على ماذكره البلقينى بقوله: «وهذا الكلام فيه نظر يعرف مما سنذكره، وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه، شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى، قال فى أول كتابه «النشر»: كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين...»

ومعنى هذا الكلام أن ابن الجزرى المتوفى ٨٣٣ هـ، والسيوطى المتوفى ٩١١هـ متفقان على أن التواتر شرط غير لازم لقبول القراءة إذا تحققَ فيها الشروط الثلاثة المذكورة، وقد وافق هذان العالمان فى هذه القضية من سبقهم من العلماء مثل: الزركشى المتوفى ٧٩٤هـ، ومن قبله مكى بن طالب المتوفى ٤٣٧هـ، ومن قبلهم جميعاً ابن مجاهد صاحب «كتاب السبعة» المتوفى ٣٢٤ هـ!!

ألا يحق لى بعد ذكر هذا الجمع من أكابر علماء الأمة أن أتمثل بقول القائل:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم

إذا جمعتنا ياجرير المجامع؟!

هذا والله - سبحانه - من وراء القصد، وهو حسبى، ونعم الوكيل.

الصلاة ومكانتها العظيمة في الإسلام

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾(1) **.. وقال ـ جل شأنه ـ:**

﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾(2) **..**

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت: يارسول الله أى العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة فى وقتها، قلت: ثم أى؟ قال: الجهاد فى سبيل الله. قلت: ثم أى؟ قال: بر الوالدين»(3)

خلق الإنسان لعبادة ربه، وتنفيذ أمره، واجتناب نهيه، إلا أن هناك شواغل الحياة تتجاذبه، وهواجس النفس تتنازعه، وشهوات تتواثب فتلهيه، وكثيرا ما تقوى عليه: فترديه!!

ففرض الله الصلاة على الإنسان، ليستعين بربه: على أداء ما كلف به من الأوامر، وعلي وقع ما يؤذيه، وجلب ما ينفعه وينجيه، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(4).

وقد أمر الله ـ تعالى ـ بإقامة الصلاة دون مجرد الاتيان بها وإقامة الشئ هو الإتيان به، مُقَوَّما كاملا، يصدر عن علته، وتصدر عنه آثاره.. وآثار الصلاة ونتائجها هي ما أنبأنا الله ـ تعالى ـ به في قوله ـ جل شأنه ـ:

(*) الكاتب: مدير عام الدعوة والإعلام الدينى الأسبق بالأزهر الشريف.

(1) البقرة: ٢٣٨.

(2) النساء: ١٠٣.

(3) رواه البخارى ومسلم

(4) البقرة: ١٥٣..

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(٥).

وقد اتفق علماء النفس وعلماء الدين: على أن الصلاة من أفضل الوسائل وأنجحها لعلاج كثير من الأمراض النفسية: كالهم، والجزع، والقلق، واليأس، والفزع، ومنع الخير والهلع، وغيرها، قال الله ـ تبارك وتعالى ـ ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) ﴾(٦).

.. وكان رسول الله ـ ﷺ ـ: إذا حزبه أمر واشتد عليه: فزع إلى الصلاة. وقال: «يابلال أرحنا بالصلاة»..

وفي أبحاث العلماء يقول «وليم جيمس» الأمريكي: أستاذ الفلسفة وعلم النفس جامعة «هارفارد»: «إن أفضل علاج للقلق هو الإيمان بالله».. ويقول: «إن أمواج المحيط المتقلبة لا تعكر قط: هدوء القاع، ولا تقلق أمنه، وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله، فالرجل المتدين حقا عصي على القلق».. ويقول: «ديل كارنيجي»: «لماذا لا نتجه إلى الله إذا استشعرنا القلق؟».. ويؤيد هذه النظرية: عالم النفس الإنجليزي «بريل» فيقول: «لن تجد شخصا متدينا، يصيبه أى مرض نفسي، فالصلاة أشبه ما تكون بالراديوم: أى أنها منبع نشاط ذاتي، ذى قوة شافية».. ويقرر الدكتور «ألكسيس كارلايل»، «إن الصلاة تكون علاجا ناجعا لبعض الأمراض العضوية. فيقول: «إن الصلاة أعظم قوة (أى طاقة) مولدة للنشاط عرفت ليومنا هذا، لقد رأيت بوصفي طبيبا: كثيرا من المرضى، فشلت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يديه عجزا وتسليما: تدخلت الصلاة: فأبرأتهم من عللهم»..

وها هو ذا رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لأبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ: «قم فصل، فإن الصلاة شفاء»(٧).. وقال: ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى ربكم، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء من الجسد»(٨)..

إن الصلاة: تعتبر من أكبر الوسائل لترويض النفس على كبح جماح شهواتها، وتطهيرها من أدران المعاصي إذا أداها الإنسان على وجهها المطلوب، مراعيا شروطها وأركانها وسننها. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم، يغتسل منه كل يوم خمس مرات: هل يبقى من درنه شئ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شئ، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس: يمحو الله بهن الخطايا» وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾(٩).

---

(٥) العنكبوت: ٤٥.
(٦) المعارج: ١٩ ـ ٢٣.
(٧) أخرجه أحمد بإسناد صحيح.
(٨) رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح.
(٩) هود: ١١٤.

بصورة الصلاة من الحركات والألفاظ، مع السهو عن معنى العبادة وسِرّها فيه المؤدى إلى غايتها النبيلة بقوله:

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾(١٠).

ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى هى توجه القلب إلى الله المذكر بخشيته، المشعر بعظم سلطانه، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء، ومنع الخير فقال:

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾(١١).

.. وعن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أنه قال وهو يخطب على المنبر: «إن الرجل ليشيب عارضاه فى الإسلام، وما أكمل لله صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله - عز وجل - فيها»..

فالصلاة الخاشعة: هى طريق الفوز والنجاة: والفلاح، قال الله - تعالى -:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(١٢)

الهداية، وتجنبهم سلوك طريق الغواية، وتفجر لهم: ينابيع الحكمة من قلوبهم على ألسنتهم، وتجعل لهم نورا يمشون به فى الناس.

والخشوع يقوم على أساس تخليص الصلاة من الشواغل والرغبات التى تحول دون الإخلاص، وتكون حجابا بين العبد وربه، فإذا جاهد المصلى نفسه، وقطع العلائق عما سوى الله: توازدت على قلبه أنوار التجليات الإلهية، وتلك الأنوار: هى مفاتيح المكاشفة فمن جاهد حتى سعد بهذا المقام، فإنه لا ينسى لذة هذا الوصال، فإذا ما أدرك هذه اللذة، وشعر بأن قرة عينه فى الصلاة: كان ذلك من دواعى استحضار القلب، وإقباله على من يناجيه..

كيف لا والصلاة دعامة الدين، وركنه الركين، وهى معراج الواصلين، ومناجاة رب العالمين، والصلة الدائمة بين العبد وربه، فمن أقامها فقد رفع لواء الإسلام، ومن تركها: فقد خرج عن حظيرة المسلمين، وطاول بالعصيان رب العالمين.

عن جابر - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة»(١٣).

إن الصلاة هى الفيصل بين الإسلام والكفر، والهدى والضلال، فلا ثقة فيمن لا يصلى، لأنه قطع ما بينه وبين الله، فكيف يصلح ما بينه وبين الناس؟ إن الصلاة: هى الدافع الذى يدفع الإنسان نحو الخير، وتجعل منه مواطنا صالحا، وعضوا نافعا: يخدم دينه ومجتمعه ووطنه..

أما الصلاة من الناحية البدنية فهى رياضة متوالية فى غير مغالاة وارتخاء، ولا شدة ولا عنف، وهى أمان من الترهل والسمنة، خصوصا إذا حوفظ عليها: فى سن مبكر من الشباب، وهى بتوقيتها فى أزمنة معينة درس فى النظام والترتيب، وحفظ المواعيد، وهى فى موقفها درس فى المساواة المطلقة، وهى بوضوئها: ترفع العدوى وتبعد جراثيم الغبار أولا بأول.

فالصلاة: عبادة بدنية ونفسية وروحية واجتماعية، شأنها فى ذلك: شأن العبادات الإسلامية.

---

(١٠) الماعون: ٤، ٥.

(١١) الماعون: ٦، ٧.

(١٢) المؤمنون: ١، ٢.

(١٣) رواه مسلم (٨٨/١) برقم ٨٢ وأحمد (٣٧٠/٣).

نعمة الأمن فى الدنيا والآخرة

للأستاذ الدكتور / محمد السيد على البلاسى

نعمة وأية نعمة.. منة وأية منة.. عرفها الملوك: فتنازلوا عن عروشهم من أجلها! وفهمها الأحرار: فدفعوا أنفسهم ثمنا لها.. وأدرك الأغنياء كنهها: فبذلوا من أجلها الغالى والنفيس..! وعلم أعداء الإسلام مكانتها: فأخذوا يحاربون المسلمين بإلقاء الشبهات بينهم: حتى ينتشر القلق والخلاف فى بلادهم..!

تلكم هى نعمة الأمن، التى أشاد بها النبى المصطفى، ﷺ، حين قال: "من أصبح منكم آمنا فى سربه، معافى فى جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا" [رواه الترمذى].

المدلول اللغوى للأمن

الأمن نقيض الخوف، يقال: أمن فلان يأمن أمنا وأمانا وأمنة فهو آمن، والأمنة: الأمن أيضا.

وقد يعني هذا اللفظ - أمنة - شعور الإنسان بالراحة النفسية والطمأنينة بعد الشعور بالقلق والخوف، يقول الله - تعالى -:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾

[آل عمران: من الآية ١٥٤]، ويقول - تعالى -:

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾

[الأنفال: من الآية ١١]

وهذه حقيقة قرآنية ساطعة؛ فالنوم بعد القلق والاضطراب النفسي يكسب النفس طمأنينة وهدوءا..

وقوله - عز وجل -:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾

[البقرة: من الآية ١٢٥]

قال أبو إسحاق: أراد ذا أمن، فهو آمن وأمن وأمين. ورجل أمن وأمين بمعنى واحد، وفي التنزيل العزيز:

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: الآية ٣]، أى الآمن الذى يستتب الأمن في ربوعه ويكون من يداخله آمنا، ويعني به مكة المكرمة..

والإيمان مشتق - كذلك - من الأمن؛ فإن كان الأمن يفيد الاطمئنان الظاهرى فإن "الإيمان" هو الاطمئنان القلبي والتصديق

الفعلى، والمؤمن هو المطمئن إلى ما آمن به وصدق، والإيمان فى بدايته تصديق، ثم اطمئنان وسكينة.

وقد ورد لفظ "الإيمان" بمعنى التصديق كثيرا فى القرآن الكريم، قال -تعالى-:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾

[البقرة: من الآية ٢٨٤]، أى صدق الرسول -ﷺ- واطمأن وكذلك المؤمنون.

وقال -عز وجل-:

﴿وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ﴾

[آل عمران: من الآية ١١٠]، أى لو صدقوا.

وقال -سبحانه-:

﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾

[التوبة: من الآية ١٨]، أى من صدق بالله واعتقد بوجوده ووحدانيته.

فمادة الأمن -إذن- تدور حول سكون القلب وراحة النفس والشعور بالغبطة والرضا والاستقرار.(١)

الأمن قوام الحياة

لقد حوى القرآن الكريم المئات من الآيات التى وردت فيها إحدى مشتقات مادة (أمن)؛ لتثبت أن قوام الحياة كلها هو الأمن، الذى هو سبب ازدهار الحياة وجمالها وبشاشتها، وحضارتها وتقدمها؛ من غير الأمن تفقد الحياة نفسها أعظم أسباب وجودها؛ فلا العقيدة الدينية بمستطيعة أن تتنفس فى جو مفقود به الأمن، وكذلك الحرية بشتى صنوفها والآداب والعلوم والفنون.

ولهذا كان الأمن قاعدة كل قواعد المجتمع الإنسانى؛ فإذا فقد الأمن فقد المجتمع إنسانيته، فمجتمعات الإرهاب والعبودية والبطش لا تجد فيها بشاشة الحياة، البشاشة الصادقة؛ لأن النفوس الخائفة التى لا يفارقها الخوف تتحول إلى مجتمع حيوانى..!

ولا أمن ولا أمان إلا فى الإسلام؛ فرسالة الإسلام ورسوله الكريم باعثا الأمن المتجدد فى نفوس البشر الذين وسعتهم رحمة الله الذى أودعها فى دينه القيم وفى رسوله الذى جعله هدى ورحمة للعالمين حتى يكون الأمن فى داخل النفس وفى خارجها.

ومجتمع القرآن خير مجتمعات بنى الإنسان طرا، وإن هذه "الخيرية" ثابتة ببراهين واقعة. ولقد نجد مجتمعات تبدو فى بعض مزاياها متقدمة على مجتمع القرآن فى كثير من علوم الحياة والحضارة والثراء. ومع ذلك نجد تلك المجتمعات المتقدمة فى الحضارة المادية مفقود الأمن؛ فلا يأمن فيها كبير ولا صغير، ولا قوى ولا ضعيف، بل كل من فيها مهدد على الدوام لا يدرى متى تحل به الكارثة تصيب نفسه أو ماله أو ولده أو عرضه أو أى شىء يخصه؟!!

وما كانت الحدود التى حدها الإسلام من عقوبات؛ إلا لتدعيم الأمن والأمان، وسير الحياة مطمئنة

(١) لسان العرب: لابن منظور، مادة (أمن)، راجع: مجلة "المنهل" العدد٤٢٦، شعبان ورمضان ١٤٠٥هـ، ص٣٦٦، ٣٦٨.

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

[البقرة: من الآية ١٧٩]

إن القصاص من مقترفى الجريمة الشاذين عن أوامر الإسلام، فيه تطهير المجتمع، وردع لمن تحدثه نفسه بالسير على طريقتهم، وأمن المجتمع وطمأنينته، وفى ظل الأمن يباشر كل عمله فى الحضر والسفر، فتسير عجلة الحياة، وينتفع الناس، ويعم الرخاء(٢)..

الأمـــن فى الدنيــا

إن الأمن والأمان والاستخلاف فى الأرض، وعد الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها المؤمنين الصادقين فى إيمانهم، والعاملين لما أمر الله به من عبادات وجهاد وأخلاق.

لقد وعدهم الله بأن يمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم، ويظهره على الدين كله، إنه الدين الذى ارتضاه الله لهم، حنيفية سمحاء، عقيدة مخلصة صافية، وسلوكا حميدا، وعلما ثابتا، وعبادة للخالق وحده، فمن تحلى به ظفر بالأمن فى الدنيا والآخرة (٣)، قال ـتعالىـ :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾

[النور: الآية ٥٥]

يقول المفسرون: لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه المدينة رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لا يبيتون إلا فى السلاح، ولا يصحبون إلا فى لامتهم ـ أى سلاحهم ـ فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله ـعز وجلـ؟! فنزلت الآية، وهذا وعد ظهر صدقه بفتح مشارق الأرض ومغاربها لهذه الأمة.

وفى الحديث بشارة كذلك فقد قال ـ ﷺ ـ: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها» [رواه مسلم] (٤).

صور من الأمن قصها القرآن الكريم

أ- دعوة خليل الرحمن: ولقد كان إبراهيم -عليه السلام- حينما دعا ربه بالأمن لبيته الحرام، كان فى دعائه هذا ملهما:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾

[إبراهيم: من الآية ٣٥]، أى اجعل مكة بلد أمن يأمن أهله وساكنوه(٥)، واستجاب الله له دعاءه.

ب- دعوة يوسف: ولمكانة الأمن كانت دعوة يوسف ـ عليه السلام ـ، لأعز الناس إليه: أبويه وإخوته، أن يكونوا آمنين، فعندما قدم يعقوب ـ عليه السلام ـ من بلاد كنعان، ومعه إخوة يوسف، قاصدين مصر، ودخل على ولده يوسف بعد زمن طويل، وحزن مرير، وشكاة إلى الله، وبعد أن كف بصره،

---

(٢) الدين القيم: د. الحسينى هاشم، ١٢٢/٢، ١٢٣ط مجمع البحوث الإسلامية، سنة ١٤٠٦.

(٣) المرجع السابق: ١٣١/٢.

(٤) صفوة التفاسير: الشيخ محمد على الصابونى، ٢٤٧/١٠، ٢٤٨، ط. دار الرشيد بسوريا.

(٥) الدين القيم: ١٣٠/٢.

وبعد أن أبصر عندما جاءه البشير بقميص يوسف ـ عليه السلام ـ ، بعد ذلك كله، دخلوا على يوسف في لقاء يهز العواطف، ويملأ القلب فرحا وسرورا، لقد كان استقبال الولد البار لأبيه، ودعوته له ولإخوته، أن يدخلوا مصر إن شاء الله آمنين،

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ .

[يوسف: الآية ٩٩]، أي اسكنوا مصر آمنين مما كنتم فيه من الجهد والقحط، وحقق الله دعوة نبيه، فعاشوا في أمن وحياة طيبة، آمنين مطمئنين [٦] .

جـ- **الأمن في غزوة بدر**: وفي غزوة بدر حينما لجأ المسلمون إلى الله، واستغاثوا به، مدهم بألف من الملائكة، وطمأن قلوبهم، وملأها أمنا، وغشاهم النعاس أمنة منه، وطهرهم بماء السماء، وربط على قلوبهم، وثبتهم في القتال، وأوحى إلى الملائكة بأنه معهم فثبتوا الذين آمنوا، وألقى الرعب والخوف في قلوب الكفار [٧]. وهكذا عندما يلجأ المسلمون إلى الله، يكون الأمن والنصر، يقول الله ـ تعالى ـ في ذلك:

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾

[الأنفال: الآيات ٨-١٣]

د- **غزوة أحد.. والأمن**: وفي غزوة أحد، بعدما أصاب المسلمين من الغم ما أصابهم؛ لمخالفتهم أمر الرسول ـ ﷺ ـ ، تتدارك رحمة الله الفريق المؤمن بنعمة الأمن، ويكون ذلك الأمن بالنعاس يغشى طائفة منهم أخلصوا لله ولرسوله، ولم يغش هذا الأمن طائفة المنافقين التي أهمتهم أنفسهم، فلم يهتموا بالقتال ولا برسول الإسلام [٩]:

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾

[آل عمران: الآية ١٥٤]

---

(٦) الدين القيم: ٢/١٣٣، ١٣٤.
(٧) المرجع السابق: ٢/١٣٣، ١٣٤.
(٨) الدين القيم: ٢/١٣٣. وراجع: الكشاف للزمخشري: ١/٤٧١، ٤٧٢. ط. الحلبي سنة ١٣٩٢هـ
(٩) صفوة التفاسير: ١/١٧٧، ١٧٨.

وروى البخارى عن أنس أن أبا طلحة قال: "غشينا النعاس ونحن فى مصافنا يوم أحد، قال فجعل سيفى يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه".

أمـــن الآخـــرة

والأمن كما هو نعمة من أجل النعم في الدنيا، فهو من نعم الله في الآخرة، جعله جزاء لعباده المتقين. قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: آية ٥١ وما يليها]، أى الذين اتقوا الله فى الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم اليوم فى موضع إقامة يأمنون فيه من الآفات والمنغصات والمكاره، وهو الجنة؛ ولهذا قال بعده ﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾، أى فى حدائق وبساتين ناضرة، وعيون جارية ﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ أى يلبسون ثياب الحرير، الرقيق منه وهو السندس، والسميك منه وهو الاستبرق، ﴿ متقابلين ﴾ أى متقابلين فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض،

﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾، أى كذلك أكرمناهم بأنواع الإكرام، وزوجناهم أيضا بالحور الحسان فى الجنان، وإنما وصف ـ تعالى ـ نعيمهم بذلك؛ لأن الجنات والأنهار من أقوى أسباب نزهة الخاطر، وانفراجه عن الغم، ثم ذكر الحور الحسان لأن اكتمال سعادة الإنسان كما قيل: ثلاثة تنفي عن القلب الحزن: الماء، والخضرة، والوجه الحسن[9]. ثم زاد ـ سبحانه ـ في بيان النعيم فقال:

﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾

مهما طلبوا من الثمار أحضر لهم، وهم آمنون مطمئنون، غير خائفين، بل متمتعون بالأمن والعطايا، على ثقة من أن هذه المعطيات مستمرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، في حياة دائمة خالدة

﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ﴾

أى لا يذوقون فى الجنة الموت لكنهم قد ذاقوا الموتة الأولى فى الدنيا فلم يعد ثمة موت، بل خلود أبد الآبدين

﴿ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾، أى خلصهم ونجاهم من عذاب جهنم الشديد الأليم[10]

﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾

فاللهم نسألك الأمن فى الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

---

(١٠) الدين القيم ٢/١٢٨، ١٢٩. وقارن بـ صفوة التفاسير: ١٥/١٧٨.

الذِكرَى الخَالدَة
أربعة عشر قرناً على الفتح الإسلامي لمصر

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

١

ها هو ذا النور يعم أرجاء مصر من شمالها إلى جنوبها، وها هى ذى مصر تستقبل الإسلام والجيش الإسلامي، وفتح الإسلام لمصر بالفرحة الغامرة، وبالبشر الذى ليس بعده بشر، وبترانيم السرور، وابتهالات الأمل بالغد المشرق الذى يستعيد فيه شعب مصر حريته وكرامته وعزته وسيادته.

لقد كان الفتح الإسلامي لمصر أمنية لكل مصري عاش الألم والاضطهاد والعذاب فى عهد الرومان الأسود، الذى ظلل سماء مصر بالأحزان والآلام والرعب والخوف ستة قرون أو يزيد.

فكان الفتح الإسلامي لمصر معجزة المعجزات فى تاريخ العالم جميعه.

مصر التى كان يحميها جيش روماني كثيف يزيد عدده على ربع مليون، وأسطول روماني رهيب جاثم على شواطئ مصر فى الإسكندرية وماحولها.

ويتم الفتح الإسلامي لمصر بجيش لم يزد عدده، مع الإمدادات التى كانت تأتى إليه من المدينة، على خمسة عشر ألف جندى بقيادة عمرو بن العاص قائد الفتح.

إى وربى إنها لمعجزة، صنعها الإسلام ليحرر الشعوب المستعبدة من حكم الظالمين وليملأ سماء مصر الحزينة فرحاً وبشراً وحرية وعدلاً وأمناً وسلاما.

لقد حرر العرب المسلمون الشام من حكم الرومان بمعركة أجنادين التى انتصر فيها الجيش الإسلامي (عام ١٣هـ ـ ٦٣٤م) نصراً مؤزرا مع قلة عدده على الجيش الروماني الذى يبلغ أكثر من مائة ألف، وبلغ نبأ هذا النصر العظيم مسامع خليفة رسول الله أبى بكر الصديق وهو على فراش الموت فحمد الله وشكره، وتوفى الخليفة فى ٢٢من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ ـ أغسطس ٦٣٤م، فخلفه الفاروق عمر بن الخطاب.

وبعد أقل من ثلاثة أعوام كان النصر الإسلامي الأكبر فى معركة اليرموك الخالدة بقيادة خالد بن الوليد (١٥هـ ـ ٦٣٦م)، وفيما بين عامى ٦٣٦ و٦٣٨م أتم المسلمون فتح الشام ـ سوريا والأردن

وفلسطين- ودخل المسلمون بيت المقدس سنة ١٧هـ-٦٣٨م، وتسلم الخليفة عمر بيده مفاتيح بيت المقدس، وتحررت أرض الشام جميعها من احتلال روماني طويل شرس دام أكثر من ستة قرون.

ووقف المسلمون بعد ذلك وجهاً لوجه أمام الجيش والأسطول الروماني في مصر وعلى شواطئها، الذي لاتفوته فرصة، ولا تمر عليه لحظة إلا وهو يحلم بأن يعود إلى استعادة أرض الشام وإلى حكمها من جديد، وإلى البطش بالمسلمين بطشاً لا هوادة فيه.

لقد كان الرومان وحاكمهم في مصر المقوقس أو سيروس، وهو أسقف كنسي، يحاولون- ما استطاعوا- تحويل الكنيسة القبطية في مصر إلى العقيدة الجديدة، وكان النزاع حاداً بين أتباع المسيح - عليه السلام - فالنساطرة غلبوا الجانب البشري في السيد المسيح - عليه السلام - على الجانب الإلهي، واليعاقبة غلبوا الجانب الإلهي على الجانب البشري، والملكانية وهم أتباع المذهب الرسمي للحكومة يقولون بالطبيعتين، وعجزت الحكومة عن أن تفرض مذهبها على أتباع المذهبين الآخرين، فلجأت إلى اضطهادهما معاً، ولاننسى أن الرومان قد أسالوا دماء الأقباط في الإسكندرية قروناً طويلة وأن الامبراطور «دقلديانوس» ساق جموعهم إلى روما مكبلين بالسلاسل، حيث التهمت الأسود الضارية في استاد روما الرياضي منهم ١٤٠ألف شهيد، كما تم اعتقال بقيتهم في مصر، وهدمت كنائسهم، وبلغ الاضطهاد الديني ذروته إلى حد لايتصوره عقل، وسمي عام ٢٨٤م- أى قبل الإسلام بأكثر من أربعة قرون- بعام الشهداء، كما سمي العصر كله بعصر الشهداء، وجعل هذا العام- عام ٢٨٤ - مبدأ التاريخ القبطي الذى مر عليه حتى اليوم ١٧١٦عاماً، ولم ينج من هذا الاضطهاد الوحشي من الأقباط إلا الذين فروا بدينهم إلى الكهوف والمغارات في جنوب مصر.

لقد كان المذهب المسيحي الملكي الروماني في مصر يؤمن بأن للمسيح طبيعتين: طبيعة إلهية وطبيعة بشرية، ولأنه مذهب الامبراطور فقد تم التنكيل الشديد بأتباع المذهب المسيحي الإسكندري الذى كان يؤمن به الشعب القبطي الإسكندري وبأن المسيح له طبيعة واحدة، وعزل الرومان أقباط مصر من وظائفهم، وجردوهم من أموالهم وأملاكهم واسترقوا نساءهم وبناتهم، وصدر القانون الروماني عام ٦٠٤م بإلزام جميع الأقباط باعتناق المذهب الملكي، وظل الاضطهاد المروع للأقباط على أشده، واختبأ الأب بنيامين رأس الكنيسة القبطية في صحارى مصر، حتى جاء النور، وجاءت البشرى على يدى الجيش الإسلامي الفاتح، جيش التحرير والعدل والأمان والحرية لكل مصرى يعبد الله على أرض مصر الخضراء، ويتضرع إلى الله أن يعيد السلام والأمان إلى ربوع مصر الخالدة.

٢

أربعة آلاف جندى بقيادة الصحابي البطل عمرو بن العاص يفتحون مصر، ويضمونها إلى منظومة شعوب الدولة الإسلامية المنتصرة في العراق وفارس والشام، وكانت الإمدادات الصغيرة الأخرى ضئيلة وصلت إلى عمرو وجيشه الفاتح أثناء المعارك الكبرى على أرض مصر، ولم يبلغ جيش الفتح وإمداداته في يوم من الأيام أكثر من خمسة عشر ألف جندى، وبهذا العدد القليل قضى عمرو على الإمبراطورية الرومانية وجيشها الكبير المتمركز أو الذى تمركز أخيراً وبعد فتح الشام في مصر والشرق العربي.

خمسة عشر ألف جندى، وأيم الله فتح بهم عمرو دولة، وأسس ملكاً وشيد سلطاناً، ونشر دين الله بين شعب معذب، وأعاد الأمان والسلام لأقباط مصر المعذبين المذعورين، كما أعاد رئيسهم المختبئ فى الصحراء إلى مكانه فى رياسة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وعامل الجميع معاملة عدل وإنصاف.

وصل عمرو العريش بجيشه الأربعة الآلاف جندى فى العاشر من ذى الحجة، العام الثامن عشر للهجرة- الثالث عشر من ديسمبر عام ٦٣٩م.

واجتاح الفرما، واستولى عليها فى أوائل عام ١٩هـ- يناير ٦٤٠م، ثم دخل بلبيس فى شهر شعبان ١٩هـ-يوليو ٦٤٠م، وانتصر على الجيش الرومانى المرابط فيها، واستقبل الناس طلائع الفتح بالبشر والفرحة الغامرة، ثم استولى أخيراً على «أم دنين» وهى قرية صغيرة على النيل فى موضع حديقة الأزبكية اليوم، وطوق حصن بابليون فى شوال من عام ١٩هـ-سبتمبر ٦٤٠م، وكان بداخله خيرة الجيش الرومانى المدافع عن الاحتلال الرومانى لمصر، وحاصر عمرو الحصن من شتى جوانبه، وظل الحصار المضروب عليه وقتاً طويلاً، وفى أثناء الحصار كان جيش عمرو يقضى على المقاومة العسكرية فى الدلتا وشمالى الصعيد وكان فى الجيش الذى حاصر الحصن: الزبير بن العوام، وعبادة بن الصامت، ومسلمة بن مخلد، والمقداد بن الأسود، وأعلام عديدون من الصحابة وأبطال الصحراء، رجالات الإسلام الخالدين.

وأخذت المفاوضات تدور بين رسل عمرو ورسل المقوقس خلال الحصار، من أجل الوصول إلى صيغة اتفاق للصلح وإنهاء الحرب، وأخيراً اتفق عمرو والمقوقس على صيغة معاهدة تنهى الحرب، وأرسل المقوقس نص هذه الصيغة إلى الإمبراطور هرقل فى بيزنطة، فغضب غضباً شديداً، ورفض كل محاولات السلام والصلح، وحينئذ أخذ الزبير يتسور الحصن، ومعه بعض الصحابة، وتقدم ففتح باب الحصن الداخلى وهو يكبر، وزملاؤه معه يكبرون، والجيش الإسلامى خارج الحصن يردد: الله أكبر، وتدفق المسلمون إلى الحصن، واحتلوه وسار عمرو يوم الجمعة الثانى من المحرم من عام ٢٠هـ- ديسمبر ٦٤٠م بين صفوف الجيش الإسلامى الباسل، يتقدمهم إلى دار الملك، فدخلها، وسجد لله شكراً، حيث صلى بالجيش صلاة الشكر على هذا النصر العظيم، وكان المقوقس قد هرب هو وكبار قواده ورجال دولته من الحصن قبل دخول الجيش الإسلامى إليه بقليل.

وبعدئذ سار عمرو بجيش قليل إلى الاسكندرية عن طريق مواز لفرع رشيد، والإسكندرية هى العاصمة الرسمية للرومان، ويحميها أسطول رومانى رهيب، بالإضافة إلى جيش عرمرم، ووصل عمرو إلى الإسكندرية فى جمادى الأول من عام ٢١هـ-ربيع ٦٤١م وفرض عليها الحصار، وإن بقيت الشواطئ فى حماية الأسطول الرومانى، وظل الحصار مفروضاً عليها وقتاً طويلاً، وفى خريف عام ٢١هـ- ٦٤١م سلم الرومان والإمبراطور بالأمر الواقع، ووقع المقوقس مع عمرو معاهدة تسليم الإسكندرية، التى نص فيها على مايلى:

١- جلاء الجيش الرومانى عن الإسكندرية خلال عام واحد من تاريخ عقد المعاهدة.

٢- الحرية الدينية والشخصية وسلامة الممتلكات لكل أبناء المدينة ومن فيها من أفراد الجيش الرومانى.

٣- فرض الجزية على جميع البالغين دينارين كل عام ماعدا الأطفال والنساء والشيوخ.

وانتهى فتح مصر، وزالت السيادة الرومانية عليها وهى السيادة التى ظلت ستة قرون كاملة (٣١-٦٤١م) ودخلت مصر فى الإسلام، واستعاد شعب مصر وأقباطها حرياتهم الدينية والشخصية، ونعموا بالأمن والأمان فى ظل الإسلام رسالة الله إلى الإنسانية كافة.

٣ وكما قال ابن هانئ الأندلسى شاعر المعز الفاطمى حين فتح جيش جوهر مصر عام ٣٥٨هـ للخليفة الفاطمى المعز لدين الله:

يقول بنو العباس: هل فتحت مصر
فقل لبنى العباس قد قضى الأمر

نقول هنا وفى هذا المقام:

يقول بنو الرومان: هل فتحت مصر
فقل لبنى الرومان: قد قضى الأمر

وإنها لمنظومة رائعة من الأبطال ومن البطولة التى لم يعرف التاريخ لها مثيلا.

منظومة بدايات الفتح الإسلامى لمصر فى عام ١٨هـ ديسمبر ٦٣٩م، إلى تسليم الإسكندرية فى خريف عام ٢١هـ ٦٤١م، إلى بناء الفسطاط عام ٦٤٢م، وبناء مسجد الفسطاط فى العام نفسه.

ولقد أتى عمرو من البطولات العسكرية مالم يأته قائد آخر، كان يتقدم الصفوف، ويقتحم الميدان، ويدخل قلب المعركة بجوار الصف الأول فيها، ويطوف بجنده، يتفقد أحوالهم، ويواسى جرحاهم، ويصلى على شهدائهم، وكانت له مواقف نبيلة خلال الفتح.. أسرت بنت المقوقس - أرمانوسة فى بلبيس، وكان موكبها يدخل المدينة وجيش عمرو يقتحمها، وكانت فى أبهى زينتها تسير لتزف إلى الإمبراطور هرقل رئيس الدولة الرومانية الشرقية ذات الحول والطول والسيادة العالمية. فبعث عمرو بها وبمن معها إلى أبيها مكرمة معززة مع جميع ماكان معها من مال ومتاع فى حراسة قيس بن سعد ليحميها، وسار بها حتى وصلت إلى أبيها المقوقس حاكم مصر فى ظلال الحكم الرومانى.

لم تكن لبطولات عمرو، ولا لإنسانيته ولا لأريحيته مثيل، حتى لقد أحبه الشعب المصرى حباً عميقاً لعدله، وإحسانه وفيض عطائه، وحبه أنه أعاد رئيس الكنيسة القبطية المشرد بنيامين إلى مكانه ومنصبه، ورد إليه الحرية والأمان والسلام.

لقد نظم عمرو جميع شئون مصر المالية والإدارية والزراعية.

وحبا فى الإسلام وعدله وجلال مبادئه وسمو أحكامه، دخل المسلمون فى دين الله أفواجا، وصدق الله العظيم:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

لقد أعطى عمرو للمسيحيين الأقباط فى مصر عهد أمان شبيهاً بعهد الأمان الذى أعطاه عمر بن الخطاب للمسيحيين فى القدس، ولاعجب فليس كالإسلام ديناً رفع من شأن عيسى - عليه السلام - وأمه العذراء، وقال الله - عز وجل - فيه فى كتابه العزيز:

﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

---

(١) الحشر (٢١).

(٢) المائدة (٤٦).

العشرة المبشرون بالجنة

٥ الفـــاروق

عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

عمـر.. مفتي رسول الله ﷺ

أخرج الإمام أحمد: حدثنا الحسن، حدثنا أحمد بن محمد أبوبكر المكي، حدثنا محمد بن إسماعيل الأنصاري، حدثنا شعيب بن إسحاق عن خليد بن دعلج، وأبي الجودي عن سعيد بن مهاجر عن المقدام بن معدي كرب قال: جاءوا برجل من الأنصار إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقد أصاب حداً، فقال النبي ـ ﷺ ـ لأصحابه: «ما ترون فيه؟» فقال عمر بن الخطاب: «أرى أن توجع قرنيه»، فقال الأنصار: يا رسول الله: إنك إن تطع عمر في أمتك تشتد عليهم، وانصرف النبي ـ ﷺ ـ فأتي جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: «يا محمد إن ربك ـ عز وجل ـ أعز الإسلام بعمر ابن الخطاب فالقول ما قال عمر، فخرج رسول الله ـ ﷺ ـ فأخبر رسول الله ـ ﷺ ـ الناس وقال: «عمر مني وأنا من عمر وأحل حيث يحل عمر» ودعا بالأنصاري فأقام عليه الحد[1].

وروى مسلم ـ عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال: كيف تصوم؟ فغضب رسول الله ـ ﷺ ـ فلما رأى عمر ـ رضي الله عنه ـ غضبه قال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا، نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فجعل عمر ـ رضي الله عنه ـ يردد هذا الكلام حتى سكن غضبه، فقال عمر: يا رسول الله كيف بمن يصوم الدهر كله؟ قال: لا صام ولا أفطر، أو قال: لم يصم ولم يفطر، قال: كيف من يصوم يومين ويفطر يوما؟ قال: ويطيق ذلك أحد؟ قال: كيف من يصوم يوما ويفطر يوما؟ قال: ذاك صوم داود ـ عليه السلام ـ قال:

(١) إسناده ضعيف جدا.

كيف من يصوم يوما ويفطر يومين؟ قال: وددت أني طوقت ذلك، ثم قال ـ ﷺ ـ: ثلاث من كل شهر، ورمضان إلى رمضان فهذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله[٢].

فمداخلة عمر بن الخطاب هنا لشرح سؤال الرجل يدل على حسن الفهم حيث أدرك أن صياغة السؤال: «كيف تصوم؟» صيغة إنكار، واستغراب فصحح عمر السؤال بما لا يفهم منه هذا الإنكار وبالتالي كانت إجابة رسول الله ـ ﷺ ـ التي أوضحت الحكم فيما سأل فيه الرجل.

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا محمد بن يونس، حدثنا أبوالنعمان محمد بن الفضل السدوسي في صحته سنة ثمان ومائتين، واستملى هذا الحديث بندار، حدثنا ثابت أبوزيد، حدثنا هلال بن خباب أن رجلا أعمى حدثهم وكان كثيرا المأثر، وكان جليسا لأبي سليمان عن أبي سليمان عن أبي ذر، أن النبي ـ ﷺ ـ توجه نحو أحد فاتبعه أبوذر فالتفت النبي ـ ﷺ ـ فقال أبوذر: لبيك وسعديك وأنا فداءك، فذكر حديثا طويلا، وقال في آخره: «أتاني جبريل ـ عليه السلام ـ أن بشر أمتك أنه من قال لا إله إلا الله مخلصا فذكر خيرا كثيرا» فلما جاء المدينة قال: «ادعو إلى أبا الدرداء، فجاء فأمره أن يبشر الناس، فرده عمر بن الخطاب، قال: يا نبي الله إذا يتكل الناس على قول لا إله إلا الله، ويتركوا العمل، فقال النبي ـ ﷺ ـ أرشدك الله أو نحوا من هذا»[٣].

وأخرج الإمام أحمد: حدثنا الحسن، حدثنا عثمان بن عمرو، حدثنا عبدالحكم عن هشام، حدثنا عبدالملك بن عمير عن قبيصة بن جابر قال: ما رأيت أحدا أعلم بالله ولا أقرأ لكتاب الله ولا أفقه في دين الله من عمر بن الخطاب[٤].

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين»[٥].

قال الشاطبي بعد أن ذكر الحديث: إن المفتي قائم في الأمة مقام النبي ـ ﷺ ـ[٦] يعني كأنه فهم أن عمر بلغ المنزلة القصوى التي تؤهله لأن يفتي الأمة.

عمر وكتاب الله ـ عز وجل ـ

وروى الإمام أحمد: حدثنا أحمد حدثنا الحسن ابن الطيب البلخي، حدثنا جعفر بن حميد القرشي، حدثنا يونس بن أبي يعفور عن أبيه عن مسلم أبي سعيد عن ابن مسعود أنه مر على رجلين في المسجد قد اختلفا في آية من القرآن، فقال أحدهما: أقرأنيها عمر، وقال الآخر: أقرأنيها أبي، فقال ابن مسعود اقرأها كما أقراكها عمر، ثم هملت عيناه حتى بل الحصى وهو قائم، قال: إن

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب الصوم.

(٣) إسناده ضعيف جداً، فضائل الصحابة برقم (٥٦٢).

(٤) إسناده ضعيف جداً، فضائل الصحابة برقم (٦٩٢).

(٥) السيوطي، تاريخ الخلفاء (١٢٩).

(٦) الموافقات ٢/٢٥٩.

عمر كان حائطا كنيفا يدخله المسلمون ولا يخرجون منه، فانثلم الحائط فهم يخرجون منه ولا يدخلون، ولو أن كلبا أحب عمر لأحببته ولا أحببت أحدا حبي لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح»[٧].

وروى الإمام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا الرمادي حدثنا سفيان عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت قال: قبض رسول الله ـ ﷺ ـ ولم يكن القرآن جمع، إنما كان في العسب والكرانيف وجرائد النخل والسعف فلما قتل سالم يوم اليمامة ـ قال سفيان وهو أحد الأربعة الذين قال رسول الله ـ ﷺ ـ خذوا القرآن منهم ـ جاء عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فقال: إن القتل قد استحر بأهل القرآن وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة وأخاف أن لا يلقى المسلمون زحفا آخر إلا استحر القتل فيهم فاجمع القرآن في شيء فإني أخاف أن يذهب. قال: فكيف تأمرني أن أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ قال: فلم يزل به حتى شرح الله صدر أبي بكر للذي شرح صدر عمر قال: فأرسل إلى زيد بن ثابت فادعه حتى يكون معنا فإنه كان شابا حدثا ثقفا يكتب لرسول الله ـ ﷺ ـ الوحي فادعه حتى يكون معنا زيد بن ثابت فأرسلا إليّ فدعواني فجئت إليهما فقالا: إنا نريد أن نجمع القرآن في شيء تكون معنا فإنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ ﷺ ـ وكنت حدثا ثقفا فقلت لهما: وكيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي ـ ﷺ ـ؟ فقال أبوبكر قلت ذاك لهذا، قال فلم يزالا بي حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدورهما، قال: فتتبعناه، فكتبناه قال سفيان: ولم أسمعه من الزهري إنما حدثونا عنه قال: وأهل المدينة يسمون زيد بن ثابت كاتب الوحي[٨].

قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطلق على لسان عمر[٩].

وقال ابن عمر –رضي الله عنه–: ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله – ﷺ – من حين قبض أخير ولا أجود من عمر[١٠].

ذهب بتسعة أعشار العلم

وقال ابن مسعود –رضي الله عنه–: لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان، ووضع علم أحياء الأرض في كفة، لرجح علم عمر بعلمهم، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم[١١].

وقال –أيضا– إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله[١٢].

وقال حذيفة –رضي الله عنه–: والله ما أعرف رجلا لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر[١٣].

---

(٧) إسناده ضعيف جدا، فضائل الصحابة برقم (١٨٦).

(٨) إسناده منقطع بين الثوري والزهري، فضائل الصحابة برقم (٥٩١). وأخرجه البخاري ١٢٦/٧ والترمذي (٢٨٣/٥)، ومسلم (١٩١٣/٤).

(٩) الرياض النضرة في مناقب العشرة «٣٨/٢».

(١٠) السيوطي، تاريخ الخلفاء «صـ١٢٣».

(١١) الرياض النضرة (٦٧/٢).

(١٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء «صـ١٢٤».

(١٣) المصدر السابق «صـ١٢٢».

وقال -أيضا-: كان علم الناس كان مدسوسا في حجر عمر[١٤].

وقالت عائشة - رضي الله عنها-: كان والله أحوذيا[١٥] نسيج[١٦].

هذا رجل لا يحب الباطل

وروى أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا محمد ابن أبي بكر المقدمي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا حسين بن واقد، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه: أن امرأة سوداء نذرت إن الله رد رسوله من غزوة غزاها أن تضرب عنده بالدف، فرجع وقد أفاء الله عليه، وأخبرته فقال: «اضربي، فدخل أبوبكر وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر، فلما سمعته ألقت الدف وجلست منقمعة[١٧]، فقال النبي -ﷺ-: «أنا هاهنا وأبوبكر وعثمان، إني لا أحسب أن الشيطان يفرق منك يا عمر»[١٨].

وروى أحمد: حدثنا عبدالله قال: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن الأسود بن سريع، قال: أتيت رسول الله -ﷺ- فقلت: يا رسول الله إني قد حمدت ربي - عز وجل- بمحامد ومدح وإياك، قال: «هات ما حمدت به ربك -عز وجل- قال: فجعلت أنشده، قال فجاء رجل أدلم[١٩]، فاستأذن، فقال رسول الله -ﷺ-: «آس آس» قال: فتكلم ساعة، ثم خرج، قال: فجعلت أنشده، قال: ثم جاء فاستأذن، فقال النبي -ﷺ-: «آس» ففعل ذلك مرتين أو ثلاثا، قال: قلت: يا رسول الله، من هذا الرجل الذي استنصتني له؟ قال: «هذا عمر بن الخطاب، هذا رجل لا يحب الباطل»[٢٠]

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- كان يعطي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- العطاء، فيقول له عمر: أعطه يا رسول الله أفقر إليه مني، فقال له رسول الله -ﷺ-: «خذه فتموله أو تصدق به، وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، ومالا تتبعه نفسك»[٢١].

وعن ابن عمر رضي الله عنه «أن عمر رضي الله عنه أصاب أرضا بخيبر، فأتى النبي -ﷺ- يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله إني أصبت أرضاً بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر فيه؟ قال: «إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها» قال: فتصدق بها عمر أنه لا تباع ولا توهب ولا تورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله وابن السبيل، والضيف، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف وليطعم غير متمول».

(١٤) نفس المصدر السابق.

(١٥) الأحوذي: الجاد المنكمش السريع في أموره الحسن السياق للأمور، النهاية لابن الأثير ١/٤٥٧.

(١٦) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص١٢٣.

(١٧) جلست مستخفية.

(١٨) إسناده صحيح، فضائل الصحابة برقم ٦٩١.

(١٩) أسود طويل.

(٢٠) إسناده حسن لغيره، فضائل الصحابة برقم ٣٣١.

(٢١) رواه مسلم في الزكاة باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف ٢/٧٢٣، رقم ١٠٤٥، ورواه مالك في الموطأ، كتاب الصدقة، باب ما جاء في التعفف ٢/٩٩٨.

قال ابن عون «فحدثت به ابن سيرين، فقال: غير متأثل مالاً»(٢٢).

وفي رواية: «أن عمر تصدق بمال له على عهد رسول الله -ﷺ-، وكان يقال له: ثمغ -وكان نخلاً- فقال عمر: يا رسول الله إني استفدت مالاً -وهو عندي نفيس- فأردت أن أتصدق به، فقال النبي -ﷺ-: «تصدق بأصله، لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ولكن ينفق ثمره»، فتصدق به عمر، فصدقته تلك في سبيل الله -عز وجل-، وفي الرقاب والمساكين والضيف وابن السبيل، ولذي القربى، ولا جناح على من وليه أن يأكل بالمعروف، ويؤكل غير متمول به»(٢٣).

يقول أبوالعالية - رحمه الله -: أكثر ما كنت أسمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: «اللهم عافنا، واعف عنا»(٢٤).

رسول الله -ﷺ- يبشر عمر بالجنة

وعن أبي هريرة، قال: كنا قعوداً حول رسول الله -ﷺ- ومعنا أبوبكر وعمر في نفر، فقام رسول الله -ﷺ- من بين أظهرنا، فأبطأ علينا، وخشينا أن يقتطع دوننا، وفزعنا فقمنا، فكنت أول من فزع، فخرجت أبتغي رسول الله -ﷺ- حتى أتيت حائطا للأنصار، لبني النجار فدرت به، هل أجد له بابا؟ فلم أجد، فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئر خارجة -والربيع الجدول- فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، فدخلت على رسول الله -ﷺ-.

فقال: أبوهريرة؟ فقلت: نعم يا رسول الله.

قال: ما شأنك؟ قلت: كنت بين أظهرنا، فقمت، فأبطأت علينا، فخشينا أن تقتطع دوننا، ففزعنا، فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب، وهؤلاء الناس ورائي.

فقال: يا أبا هريرة -وأعطاني نعليه- قال: اذهب بنعليَّ هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط، يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة.

فكان أول من لقيت عمر. فقال: ما هاتان النعلان يا أباهريرة؟ فقلت: هاتين نعلا رسول الله -ﷺ- بعثني بهما، من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي، فخررت لاستي.

فقال: ارجع يا أبا هريرة. فرجعت إلى رسول الله -ﷺ- فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله -ﷺ-: مالك يا أبا هريرة؟ قلت: لقيت عمر، فأخبرته

---

(٢٢) رواه البخاري في الشروط واللفظ له، باب: الشروط في الوقف ٢/٩٨٢ رقم الحديث «٢٥٨٦»، ورواه مسلم في الوصية، باب: الوقف ٣/١٢٥٥ رقم الحديث «١٦٣٢»، والحديث متفق عليه ورواه البغوي في شرح السنة في كتاب العطايا والهدايا باب: الوقف ٨/٢٨٧ رقم الحديث «٢١٩٥»، غير متأثل. ورواها أبوداود في الوصايا باب: ما جاء في الرجل يوقف الوقف- رقم الحديث «٢٨٧٨».

(٢٣) رواه البخاري في الوصايا، باب: وما للوصي أن يعمل في مال اليتيم ٣/١٠١٧ رقم الحديث «٢٦١٣»، مع خلاف قليل في بعض الكلمات.

(٢٤) خبر صحيح أخرجه أحمد في الزهد.

بالذي بعثتني به فضرب بين ثديي ضربة خررت لاستي، فقال: ارجع فقال له رسول الله -ﷺ-: يا عمر ما حملك على ما فعلت؟

قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه بشره بالجنة؟ قال: نعم

قال: فلا تفعل فإني أخشى أن يتكل الناس عليها فخلهم يعملون قال رسول الله -ﷺ- فخلهم[٢٥].

مكانة عمر بن الخطاب الفقهية

يقول الشيرازي: ومن نظر في فتاوى عمر على التفصيل وتأمل معاني قوله على التحصيل وجد في كلامه من دقيق الفقه ما لا يجد في كلام أحد[٢٦].

ويقول الدكتور معروف الدواليبي: إن الإمام مالك من تلامذة كبار الصحابة في المدينة، فقد كان الزهري، ونافع من أساتذة مالك، وقد أخذا عن سعيد بن المسيب، وهذا أخذ عن عمر، وكان يعد وارث عمر في عمله في المدينة.. ولا غرابة أن تكون المدينة مقر مدرسة الحديث، وأن يكون المذهب المالكي مثالا صحيحا لهذه المدرسة، كما هو مثال صحيح لما تركه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من أثر في الاجتهاد وتوجيهه نحو الأخذ بالرأي المبني على تحقيق المصالح ودفع المفاسد وهذه غاية الشريعة السمحاء[٢٧].

ولا شك أن منهج عمر -رضي الله عنه- في الاجتهاد منهج قويم، فقد كان يأخذ الأحكام أولا من كتاب الله -عز وجل- ثم من سنة النبي -ﷺ- ثم يجتهد بعد ذلك، فأحيانا يأخذ بقول من سبقوه، أبوبكر الصديق -رضي الله عنه-، وأحيانا يجمع الصحابة ويستشيرهم فيأخذ بما أشاروا به عليه، وأحيانا يرجع إلى الرأي المبني على قواعد التشريع، الذي يحصل به جلب مصلحة أو درء مفسدة[٢٨].

يقول الدكتور رويعي الرحيلي: «الوصول إلى فقه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- هو في الحقيقة وصول إلى فقه الفقهاء الأربعة: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، لأنهم كلهم يأخذون ما أثر عنه ويحتجون به، وذلك لمكانته الفقهية التي امتاز بها عند رسول الله -ﷺ- وعند صحابته- رضوان الله عليهم- فقد كان من أكابر مجتهدي الصحابة، والكل في حاجة ماسة إلى فقهه»[٢٩].

جاء في موطأ الإمام مالك -رضي الله عنه-: عن يحيى بن سعيد أن عمر -رضي الله عنه- خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضا، فقال عمرو، يا

---

(٢٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة

(٢٦) طبقات الفقهاء «صـ٣٩، ٤٠».

(٢٧) أصول الفقه «صـ٢٢٧، ٢٢٨».

(٢٨) أصول الفقه «صـ٨٧». الموافقات «٢٨٧/٤».

(٢٩) فقه عمر بن الخطاب موازنا بفقه أشهر المجتهدين «١٠/١٣، ١٤».

صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع؟ فقال عمر -رضي الله عنه- لا تخبرنا، فإنا نرد على السباع وترد علينا[٣٠].

وهذا امتثال من عمر - رضي الله عنه- لتوجيه رسول الله - ﷺ - له: عن نافع عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما.. قال: خرج رسول الله - ﷺ - في بعض أسفاره فسار ليلاً فمر على رجل جالس عند مقراة[٣١] له فقال له عمر: يا صاحب المقراة ولغت السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له النبي -ﷺ-: يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف، لها ما حملت في بطونها ولنا ما بقي شراب طهور».

وهو لا يقل شهرة عن ابن عباس في الفقه والفهم لأسرار الشريعة ومصالحها، بل هو كما يقول ابن المنذر: «أعلى من ابن عباس وأولى بالاتباع»[٣٢] فلو جمع فقهه لكان أكثر مما جمع عن ابن عباس، وكتب الفقه والآثار، وشروح الحديث، وكتب التفسير، وغير ذلك شاهدة بغزارة فقهه وسعة فهمه واطلاعه، بل إن كثيرا من فروع الفقه الإسلامي يوجد لها شاهد من فقهه -رضي الله عنه-[٣٣].

حجية قول عمر بن الخطاب

أما الأدلة التي تدل على حجية قول عمر فهي كثيرة ويكفي في ذلك الاستشهاد بقوله -ﷺ- «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه».

قال ابن القيم: ومن المحال أن يكون الخطأ في مسألة أفتى بها من جعل الله الحق على لسانه وقلبه حظه ولا ينكره عليه أحد من الصحابة، ويكون الصواب فيها حظ من بعده، هذا من أبين المحال.

وقال عليه الصلاة والسلام: قد كان فيمن خلا من الأمم أناس محدثون فإن يكن في أمتي أحد فهو عمر.

قال ابن القيم: ومن المحال أن يختلف هذا ومن بعده في مسألة ويكون الصواب فيها مع المتأخر دونه، فإن ذلك يستلزم أن يكون ذلك الغير هو المحدث بالنسبة إلى هذا الحكم دون عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -.

وقال عليه الصلاة والسلام: «لو لم أبعث فيكم لبعث عمر»، وفي لفظ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر»، وقد عرف له الصحابة هذه المنزلة، فعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان يقول: ما كنا نبعد أن

---

(٣٠) السيوطي، تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك ٤٦/١٠، دار إحياء الكتب العربية بمصر، موطأ الإمام مالك مع المنتقى للباجي ٦٢/١٠، طبعة بالأوفست عن مطبعة السعادة ١٣٣٢هـ. ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٢٥٢/١) تحقيق وتعليق محمد حامد الفقي، دار المعرفة للطباعة والنشر.

(٣١) المقراة هي: الحوض يجتمع فيه الماء.

(٣٢) الأوسط لابن المنذر ٢٤٨/٠.

(٣٣) د/ رويعي الرحيلي، فقه عمر بن الخطاب موازنا بفقه أشهر المجتهدين ١٨/١٠.

السكينة تنطق على لسان عمر.

قال ابن القيم: من المحال أن يكون من بعده من المتأخرين أسعد بالصواب منه في أحكام الله -تعالى-(٣٤).

وقال ابن مسعود: ما رأيت عمر إلا وكأن بين عينيه ملكاً يسدده.

والقارئ لفقه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يجد أن هناك ثروة فقهية هائلة منسوبة إليه - رضي الله عنه - لا يمكن أن يستغني عنها أحد من رجالات العلم، وذلك لأن فقهه رضي الله عنه فقه متطور يساير جميع العصور والأزمان فيه حل لكثير من مشاكل العصر الحديث، وذلك لما حبا الله به عمر بن الخطاب من سداد في الرأي وفهم لأسرار الشريعة ومصالحها.

وكثير من الفقهاء المجتهدين من بعده، كثيرا ما كانوا يستندون إلى اجتهاداته، وبخاصة في الأمور التي هي ميدان لاجتهاداتهم، فكانوا يرتسمون خطاه وبخاصة في العمل بروح الشريعة ومصالحها، كمتابعته في قتل الجماعة بالواحد، ومتابعته في أخذ دية القتل الخطأ ونحوه من أهل الديوان وغير ذلك.

والفقهاء - رحمهم الله- كثيرا ما يختلفون في مسألة من مسائل الفقه، كل واحد منهم يرى أن الواجب فيها كذا، وحينما ننظر في احتجاجهم نجد أن كلا منهم يحتج بما أثر عن عمر -رضي الله عنه- فينسب إليه ما يؤيد ما ذهب إليه.

فمثلا اختلفوا هل يشترط- في قتل الجماعة بالواحد- أن يكون فعل كل واحد منهم صالحاً للقتل أو لا يشترط؟ فنجد أن من ذهب منهم إلى اشتراط ذلك يرى أن ذلك هو فقه عمر -رضي الله عنه- ومن لم يشترط ذلك يذهب إلى أن ذلك هو فقه عمر.

ثم اختلفوا: ما هو الأصل في الديات، الإبل وحدها، أو هي والبقر والغنم والذهب والفضة والحلل؟ فنجد أن من رأى منهم أن الأصل في الديات هي الإبل وحدها، يرى أن ذلك هو فقه عمر، ومن يرى أن تلك الأجناس كلها أصول يرى أن ذلك هو فقه عمر -رضي الله عنه-.

ثم اختلفوا: هل الدية من الفضة إذا كانت أصلا: إثنا عشر ألف درهم أو عشرة آلاف درهم؟ فمن ذهب إلى أنها إثنا عشر ألف درهم يرى أن ذلك هو فقه عمر، ومن رأى أنها عشرة آلاف درهم يرى أن ذلك هو فقه عمر(٣٥).

«يتبع»

---

(٣٤) أعلام الموقعين ٤/٢٨٣، نقلا عن د/ رويعي بن راجح الرحيلي، فقه عمر بن الخطاب ١/٤٦، ٥٧.

(٣٥) فقه عمر بن الخطاب ٢/٤٣٥، ٤٣٧.

طرائف.. ومواقف

إعداد/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصيحة

لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ:

من عرض نفسه للتهمة فلايلومن من أساء به الظن، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده، ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يقلبك، ولاتظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، وما كافأت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وعليك بإخوان الصدق فكثر في اكتسابهم، فإنهم زين في الرخاء، وعدة عند عظيم البلاء، ولاتهاون بالحلف بالله فيهينك الله.

ميْت وميّت

قيل: الفرق بين «ميْت» بالتخفيف «وميّت» بالتشديد أن الأول لمن مات حقيقة، والثاني لمن سيموت قال الشاعر:

أيا سائلي تفسير ميْت وميّت
فدونك قد فسرت ما عنه تسأل

فمن كان ذا روح فذلك ميّت
وما الميت إلا من إلى القبر يحمل

إني مسافر

قيل لبعض الزهاد: مالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض؟ قال: إني أعلم أني مسافر، وأنها دار قلعة وأن العصا من آلة السفر، فأخذه بعض الشعراء، فقال:

حملت العصا لا الضعف أوجب حملها
علي ولا أني تحنيت من كبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها
لأعلمها أن المقيم على سفر

أضحكني.. وأبكاني

قال أبوالدرداء ـ رضي الله عنه ـ أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث:

أضحكني: مؤمل الدنيا والموت يطلبه،

وغافل ولايغفل عنه، وضاحك ملء فيه ولايدرى أساخط ربه أم راض.

وأبكانى: هول المطلع، وانقطاع العمل، وموقفى بين يدى الله لا أدرى أيأمر بى إلى الجنة أم إلى النار.

ما ترك الأعرابى منكم أحدا

وقف أعرابى على حلقة حسن البصرى فقال: رحم الله من تصدق من فضل، أو واسى من كفاف، أو آثر من قوت! فقال: الحسن البصرى، ما ترك الأعرابى منكم أحدا حتى عمه بالسؤال.

قيل فى الدنيا

ثناء الفتى يبقى ويفنى ثراؤه
فلا تكتسب بالمال شيئا سوى الذكر
فقد أبلت الأيام كعبا وحاتما
وذكرهما غض جديد إلى الحشر

حقا

قيل لأعرابية: ما الجرح الذى لايندمل؟ قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده! قيل لها: فما الذل؟ قالت: وقوف الشريف بباب الدنيىء ثم لايؤذن له! قيل لها: فما الشرف؟ قال: اتخاذ المن فى رقاب الرجال.

رد مفحم

قال رجل من اليهود لسيدنا على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ما دفنتم نبيكم حتى قالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال له الإمام: أنتم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم:

﴿ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[1].

دعاء

اللهم أنت العليم فلايجهل، وأنت الحليم فلا يعجل، وأنت الكريم فلايبخل، وأنت العزيز فلايذل اغفرلى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به منى، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شىء قدير وبالإجابة جدير، لاإله إلا أنت.

---

(١) سورة الأعراف ١٣٨

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم: الشيخ / عبدالفتاح حسين الزيات

■■ السؤال من / م. م. أ:

هل يجوز سفر المرأة إلى الخارج للعلم أو للدعوة إلى الإسلام بدون محرم سواء تمكن المحرم من السفر معها وسافرت بدونهم أو لا يتمكن المحرم من السفر معها. فما الحكم؟

● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد:-

فنفيد بأن الإسلام حريص كل الحرص على المحافظة على المرأة وصيانتها من الشبهات والإبقاء على كرامتها وسمعتها وذلك لأن المرأة مخلوق ضعيف تحتاج دائما إلى من يرافقها في سفرها وإقامتها حتى تأمن على نفسها وحياتها من الذئاب البشرية والمرأة سواء خرجت للالتحاق بإحدى الجامعات لاستكمال تعليمها أو أي عمل آخر يجب شرعا أن يرافقها محرم من محارمها فإن كان محارمها مشغولين ولم يستطع أحد أن يرافقها فينبغي أن تسافر مع رفقة مأمونة من زميلاتها موثوق فيهن يخشين الله ويتقينه في كل وقت هذا إذا كان من أجل التعليم.

أما خروجها من أجل الدعوة إلى الإسلام وليس معها ذو محرم فالإسلام لا يبيح لها هذا؛ لأن هذا العمل له رجاله القائمون عليه.

والله أعلم

■■ السؤال من محمد عبد الستار علي حسن: يقول فيه:

مات والدي وترك منزلا كتبه باسمي واسم أخي فقط دون الإناث وهذا المنزل مكون من طابقين، وقد قمت بدفع ألفين من الجنيهات لشقيقتي مقابل قيامها بترميم هذا المنزل، وقد

أقمت طابقين جديدين فوق هذا المنزل وقد قمنا بتوثيق العقد:

فما رأى الدين فى هذا التصرف؟

● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد: فنفيد بأن المنزل المسؤل عنه تركة يقدر بالثمن الحالى ويستخرج من هذا المبلغ ما دفعه السائل لشقيقته مقابل الترميم، ثم يقسم الباقى على جميع الاخوة الذكور والإناث للذكر مثل حظ الانثيين ما لم يكن لهم ام، اما الطابقان اللذان بناهما السائل فهما له دون منازع لانه بناهما من ماله الخاص، برضاء أخيه والله -سبحانه وتعالى- يقول:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[1] هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال والله أعلم.

■■ **السؤال من السيد/ أحمد حسن حامد:**

توفى رجل عن: زوجة، وأولاد ابن، وأولاد بنت، ثم توفيت الزوجة عن أولاد ابن وأولاد بنت، فكيف توزع التركة؟

● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد:

فنفيد بأن فى تركة هذا الرجل وصية واجبة لأولاد ابنته طبقا لاحكام قانون الوصية الواجبة المعمول به من أول اغسطس سنة ١٩٤٦ بشرط الا تزيد عن الثلث والا يكون الجد قد اعطاهم نصيب مورثهم بدون عوض، فتقسم التركة ثلاثة أجزاء: لأولاد البنت جزء يقسم بينهم للذكر مثل حظ الأنثيين، والباقى يوزع للزوجة الثمن فرضا لوجود الفرع الوارث، والباقى لأولاد الإبن تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين، وكذلك تركة الزوجة التى توفيت بعد زوجها فإن فيها -أيضا- وصية واجبة لأولاد البنت فى حدود الثلث، والباقى وهوالثلثان يكون لأولاد الإبن تعصيبا، هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال، والله اعلم.

■■ **السؤال من ف. عبد الجليل العشرى**

ارتبطت عاطفيا بشاب وتواعدنا على الزواج، ولكن أهلى يرفضون هذا الشاب لأسباب لست مقتنعة بها.

فهل يجوز لى أن أتزوج هذا الشاب بدون ولى خصوصا وأننى بلغت الرابعة والعشرين

● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد:

فنفيد بأن المذاهب الثلاثة: المالكى والشافعى والحنبلى: اتفقوا على ان الزواج لا ينعقد بعبارة النساء، وقالوا: إنه لابد ان يتولى العقد عن المرأة وليها وهو على الترتيب: الأب والجد والأخ الشقيق او الأخ لأب... الخ.

غير ان المذهب الحنفى انفرد بالقول بصحة عقد الزواج إذا باشرته المرأة بنفسها لنفسها للضرورة، وإن كان الأولى أن يباشر العقد عنها رجل من أوليائها وعلى ذلك فإنه يجوز اخذا من مذهب أبى حنيفة فقط ان تتولى المرأة عقد زواجها بنفسها، ويقع صحيحا متى توافرت باقى الشروط وانتفت الموانع

---

(١) سورة البقرة (١٨٨).

الشرعية، هذا إذا كان الحال كما جاء في السؤال والله أعلم.

■■ **السؤال من أ. ع. ف. الخضراوى من حوش عيسى يقول فيه:**

وضعت زوجتى طفلا، وفى مدة النفاس لم أستطع أن أسيطر على رغبتى الجنسية فجامعتها وهى نفساء، فهل على إثم فى ذلك وكيف أكفر عنه؟

● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه أجمعين

وبعد:

فنفيد بأنه من المقرر شرعا حرمة جماع الرجل امرأته النفساء فى الفرج لأن دم النفاس دم أذى قد يضر بالزوج، ولذلك يجب اعتزال النساء فى مدة النفاس، فإذا حدث وجامع الرجل امرأته وهى نفساء فإنه يكون آثما، وجمهور الفقهاء على أنه يستغفر الله ويتوب إليه ولا شىء عليه.

وعلى ذلك فإنه على السائل أن يتوب إلى الله ويستغفره ويندم ويعزم على عدم العود إلى هذا الفعل المحرم، فإن الله غفور رحيم يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات،

هذا إن كان الحال كما جاء فى السؤال

والله أعلم.

■■ **السؤال من السيد / فتحى السيد عبد الرحيم الزعبلاوى**

قام مأذون بعقد قران لزوجين وأمام الناس والشهود ولكن تأخر فى تسجيل الوثيقة عشرين يوما بسبب فقد مستند الزوجة ودخل الزوج بزوجته فهل المدة من وقت العقد إلى يوم التسجيل تعتبر نكاحا صحيحا أم لا؟

● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فنفيد بأنه مادام قد تم عقد القران بشروطه وأركانه الصحيحة وأمام الجمع من الناس وأعلن ذلك للجميع فالزواج صحيح وإن تأخر التسجيل لبعض الأيام بسبب فقد مستند أو بفقد دفتر التسجيل مثلا.

■■ **السؤال من السيد / سعد عامر زكى يقول فيه:**

شاب عقد قرانه على فتاة ولم يدخل بها، وقبل الزفاف بعدة أيام توفيا إثر حادث أليم ولم يعلم أيهما مات أولا: فما حكم الشرع فى:

مؤخر الصداق، قائمة المنقولات التى وقع عليها الشاب.

● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه

وبعد:

فنفيد بأنه إذا مات الزوجان فى حادث ولم يعلم أيهما مات أولا، فلا توارث بينهما فى هذه الحالة ويصبح مال كل منهما تركة تقسم على ورثته حسب الأنصبة المقررة شرعا، أما مؤخر الصداق فيستحقه ورثة المرأة بأقرب الأجلين: الطلاق أو الوفاة، وفى هذه الحالة يستحق ورثة المرأة مؤخر صداقها بوفاة زوجها، وتستحق المرأة المهر بالعقد الصحيح والخلوة الصحيحة ووفاة الزوج وهذا يشمل قائمة المنقولات التى وردت فى السؤال.

هذا إذا كان الحال كما جاء فى السؤال، والله أعلم.

صفحة من حياة المفسر الكبير

محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام بتونس وأستاذ الأساتيذ

(١)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

حين انتقل إلى - رحمة الله - شيخ الإسلام بتونس وكبير علمائها الإمام العلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، كتبت ترجمة متواضعة ذات تحليل علمي للمشهور من آثاره، وبعثت بها إلى مجلة (رابطة العالم الإسلامى) التى كان يشرف على تحريرها الأستاذ محمد سعيد العامودى، ولم أحتفظ بأصل لما كتبت، لأن الأستاذ العامودى لم يكن ليؤخر شيئا مما أبعث به بل كان يستحثنى على الكتابة إذا أبطأت، ولأمر ما ضاع المقال بالبريد، ولم ير النور فى صحيفة ما، وكنت كلما حاولت استعادة كتابته أجد عزوفا محضا إذ أعلم من نفسى أنى لا أجيد فى المرة الثانية أجادتى عند الاندفاع العاطفى الأول، ولكن مكانة الأستاذ تدعو إلى الحديث عنه، وكأن القدر كان لى مساعدا فوقع فى يدى كتاب حافل[1] يضم محاضرات جيدة، ألقيت فى ندوة علمية قامت عليها «وزارة الشئون الدينية» بتونس بقيادة الوزير العالم الأديب الدكتور على الشابى، وهو من العلم والأدب والفضل بالمحل الأرفع.

وقد قرأت الكتاب الحافل فرأيت أنه جمع أفضل ما يقال عن الإمام، وقد كتبه نفر من المتخصصين الفضلاء، حيث اقتصر كل كاتب على ناحية من نواحى الإمام، فتم بذلك جهد تاريخى علمى يذكر لوزارة «الشئون الدينية» بتونس، وقد رأيت أن أقدم خلاصة موجزة لأفضل ما قرأت من فصول هذا الكتاب، فذلك يعطى تصورا حيا للناحية العلمية والإصلاحية التى ركز عليها الإمام جهده الحافل فى عمره المديد السعيد، ولعلى بذلك أعوض بعض ما فقد بالبريد من حديثى عن الرجل الجليل.

(١) العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وإسهامه فى تجديد الفكر الدينى، «سلسلة آفاق إسلامية» رقم ٩ عن «وزارة الشئون الدينية» بتونس.

مقدمـــــة

والإمام محمد الطاهر فقيهٌ أديب مؤرخ، امتدتْ حياته السعيدة بين عامَيْ (١٢٩٦ - ١٣٩٤هـ) الموافقين لعامَيْ (١٨٧٩ - ١٩٧٣م)، وقد تلقى العلم بجامع الزيتونة على كبار أعلامه، وتخرج نابغا مشهودا بفضله سنة ١٨٩٦، وتناوبته وظائف التدريس والقضاء حتى صار شيخاً لجامع الزيتونة وفروعه سنة ١٩٤٤م،ومؤلفاته ومقالاته ومحاضراته وفتاويه جاوزت الحصر لأنه لم يترك يوما واحداً من عمره السعيد دون اطلاع، حتى في أوقات المرض، وفي مناسبات الحزن المفاجئ؛ إذ كان يشغل باله بالبحث ليلاً يسترسل في ذكر ما نزل، وقد تعددت اتجاهاته العلمية بحيث شملتْ كل فروع الثقافة الإسلامية شريعة ولساناً، مما سأشير إلى مثلٍ منها، وكانت صداقته بزميله الإمام محمد الخضر حسين مضرب المثل إخلاصاً ووفاء، فقد كانا يتراسلان على بُعد المزار في أدق مسائل العلم، وكانت مجلة «الهداية» التي يُشرف عليها الإمام الخضر إحدى المنابر التي خصّها الطاهر بنتاجه الحافل، فعرف المصريون عن الرجل فضلا كبيرا، رفع ذكره، وجذب النفوس إلى آثاره الجياد، وقد زار مواطن كثيرة في الشرق والغرب، فكان موضع الاحتفاء.

الدراســة الأدبيــة

وإذا كانت الدراسات الدينيّة هي الميدان الأشهر للشيخ، حيثُ تبوأ مشيخة الإسلام، وزعامة الفقه المالكي في بلده، بل في عصره الشامل لبلاد الإسلام جميعا، فإنّ الدراسة الأدبية كانت ذات احتفال تام من الأستاذ الكبير فقد ترك في ميدانها آثاراً جمّة مثل شروحه لديوان بشار بن برد، وديوان النابغة الذبياني والحماسة لأبي تمام، وقضيّة عمود الشعر للمرزوقي، وقصيدة الأعشى الأكبر التي قالها في مدح المحلق، وتحقيقه لكتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان، وتحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي، وذلك بعض ما كان له في مضمار الدراسات الأدبية لا كلّه، إذ المراد الاستشهاد لا الاستقصاء، ولو أن الرجل قد تركَ هذه الآثار الأدبية فقط دون أن يتجه إلى طوفانه الزّاخر في دراسات التشريع والتفسير لكان علمًا من أعلام اللّغة كالمرصفي والشنقيطي والمهدي في عصره، لذلكَ بدأ الدكتور علي الشابي، كلمته بالحديث عن هذه الناحية، فقال بعد ذكر مقطوعات من شعره[٢] «إن حبَّ البيان ورقة الذوق هما مدخلُ ابن عاشور إلى التألق في المجالينْ الأدبي والديني، وقد قضى على القطيعة التي زوّجها بعضهم بين الآداب والعلوم الدينيّة على اعتبار أن الأدب لا غناءَ فيه، وأنه مضيعة الوقت حتى قال قائلهم مؤنبًا ولده حين اتجه إلى قراءة الشعر:

إنّ الزمـــان الذي تفنيـــه في الأدب
يراه أهل النّهى من جـــملة اللّعب

ثم قال الدكتور الشابي يعيد حديث الشيخ عن بشار بن برد وقد دافع الشيخ عن

(٢) الكتاب التذكاري ص ٢٣.

بشار دفاعا كبيرا، فرد كلّ الأخبار التى تؤكد زندقته وإلحاده بالرغم من تواترها وانتشار لغنه، ولم يحذف أىّ كلمة من ديوانه مهما يكن فحشها، واعتبر خلاعته ومُجونه وغزله المادىّ غير ماسّة بعقيدته وصدق إيمانه لأن الفن فى نظر الشيخ لا يعدُو أن يكون مجلىً لرقّة الإحساس والكلف بالجمال وروعة التصوير، ومن ثم فإنه لا يكون بأية حال سبيلا إلى مصادرة الضمائر، والكشف عن السرائر التى لا يعلمها إلا الله.

وهذا كلام جيد فى مجموعه، لأنى لست مع الشيخ حين حبذ نشر المجون الكثير الممتد فى كُتب الأدب دون تهذيب أو حذف، وأكد ذلك فى مقدمته الطويلة التىّ صدّر بها ديوان بشار بن برد، وهو اتجاهٌ دعا إليه كثير من الأئمة السابقين مثل ابن قتيبة واللاحقين مثل محمد محيى الدين عبدالحميد، وأذكر أنى ألقيت محاضرةً فى النادى الأدبى بجدة فنّدت فيها هذا الاتجاه، وقلت تعقيباً على رأى الطاهر فى ذلك بعد أنْ ذكرته بنصه حين قال: «ولا ينبغى أن يصوّر الشاعر أو الكاتب على حَسب ما يشتهيه الناقل أو القارئ، بل ينبغى أنْ يظهر كما هو بأخلاقه وألفاظه وأخلاق أهل عصره وعاداتهم، ولسنا بالذين نُصلح من أمر الشاعر ما أفسده طبعه، ولا نَشْعَب ما تشقق به نبعه» ذكر ذلك كلّه الشيخ الإمام فعقبتُ عليه بنقد طويل قلت فيه.

إنّ كلام الشيخ قد ردّده سواه من قبل، وقد زادَ عليهم بقوله: إن الحذف ينقص من تصوير عصر الشاعر اجتماعيا وأخلاقيا، وهو زَعْم تردّد من قبل، ولكنه زعم واهٍ لا سند له لأنّ الشعراء ليسُوا وحدهم مرآة عصرهم، فبجوارهم نجد الفقهاء والزهاد والمحدثين والمفسرين وأئمة الكلام وجلّهم أصحاب دين وعفاف، وإذا وُجد أمثال بشار وحماد وأبى نواس والحسيْن بن الضحاك فى العصر العباسى فقد وُجد به أئمة المذاهب الأربعة وهمْ مَن هم ووُجد به أمثال سفيان الثورى ويحيى بن معين، وعبدالله بن المبارك والأوزاعى وابن عبيد، ولهُم جمهرة غالية من الأشياع، فأىُ الفريقين إذن من يمثل عصره أدق التمثيل؟ ثم عرَض الدكتور الشابى لموقف الإمام من قضية المرأة عرضا أمينا رجَع فيه إلى نصوص ظاهرة من كتبه فى الفقه والتفسير منتهياً إلى أنّ ذلك كله قد أفضىَ بالطاهر الى المنافحة الذاتية عن الاعتدال والتسامح وحقّ الاختلاف فى الرأى، ونسبيّة الفكر وخطأ الإنسان وصوابه اللذيْن يتردد بينهما، وقد كان الرجل فريد عصره فى هذا المضمار.

الإمـــــام المفسّـــــر

تحدث ثلاثة فضلاء عن جهد الإمام فى التفسير، فاختص اثنان منهما بالناحية العلمية فى موسوعة التحرير والتنوير واختص الثالث بالناحية الأدبية، وقد قال الأستاذ محمود شمام عن الناحية الأولى: إن المفسر الكبير كان إمام العلماء فى عصره، وقد عالج

مسائل الاجتهاد وإعمال الرأي وعدم التقيد بالمأثور في كل قضية، كانت موضعا للاجتهاد إذ لم يأت بها نص، ويمكن إدراجها في دائرة البحث المقيد بحدود المنطق الصحيح، والنقل الثابت، ثم نقل عن الشيخ قوله بصدد الحديث عن التفسير بغير المأثور[٣].

وأراني كما حسبت أثبت ذلك وأبيحه، وهل اتسعت التفاسير لمستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أوتوا العلم من فهم في كتاب الله، وهل يتحقق قول علمائنا: «إن القرآن لا تنقضي عجائبه إلا بازدياد المعاني باتساع آفاق التفسير، ولولا ذلك لكان تفسير القرآن مختصرا في ورقات قليلة، وقد قالت عائشة - رضي الله عنها -: ما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يفسّر من كتاب الله إلا آيات معدودات علّمه جبريل إياهن.

ثم أتى المحاضر بأمثلة جيدة من استقلال الرأي في تفسير التحرير والتنوير، وأظهرها ماتحدث به الشيخ عن معنى قول الله

﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٤]

حيث نص على أنه ليس من تغيير خلق الله التصرف في المخلوقات بما أذن الله فيه، ولا ما يدخل في معنى الحسن، فإن الختان من تغيير خلق الله، ولكنه جاء لفوائد صحية، كذلك حلق الشعر لفائدة تدفع بعض الأضرار، وكذلك تقليم الأظافر، وثقب الآذان للنساء لوضع الأقراط والحلي، وقد انتهى من ذلك إلى إباحة لبس الباروكة للمرأة إذا أرادت أن تتزين لزوجها في احتشام لأن الزينة لا تعتبر تغييرا لخلق الله.

وقد ختم المحاضر حديثه بدفع اتهام ساقه المرجفون عن الشيخ حين ذكروا أنه افتى بإباحة التجنيس حين دعت فرنسا التونسيين إلى التجنيس بالجنسية الفرنسية، وأيدّ ذلك نفرٌ من الأصوليين، وذُكر الشيخ من بينهم ظلما وزورا، ليكون اسمه الأشهر دافعا إلى هذا التجنيس المشئوم، ولكن الوثائق الصحيحة التي رجع إليها المحاضر تبعا لمن قبله من الباحثين، أثبتتْ أن الطاهر قد عارض التجنيس بكل قوة، وأفتى فتوى صريحة، بأن المتجنس بجنسية غير أهله مرتد عن دينه، وعليه أن يتوبَ من جديد، وينطق بالشهادتين! وأنا أنصّ على ذلك لآخذ منه العبرة، فقد ألصقت فتاوى آثمة بأئمة من الفضلاء في تونس وغير تونس زورا وبهتانا، لتطمس نورهم في العيون، وتزحزح مكانتهم في القلوب، وهو عملٌ إجرامي من حقه الاحتقار والتسفيه، ومن فضل الله أن الباطل لا يستمر باطلا بل يشع نور الحق فيمحوه.

وجاءت السيدة الفاضلة الأستاذة وسيلة بلعيد بن حميدة، وهي متخصصة في علوم التفسير، لتوضح جانبا من اهتمام الطاهر بعلوم القرآن فيما اتجه إليه من التفسير، وقد قالت بدءا: إن الإمام قد جمع بين أصول

---

(٣) الكتاب السابق ص٦٢.

(٤) سورة النساء ١١٩.

التفسير التي اعتمدها أقطاب العلم وبين مستجدات عصره، وهذا حق، ولكنها لم تبيّن كيف تم ذلك، ولو ببعض الأمثلة اليسيرة، إنما كان اهتمامها بمقدمة التفسير الطويلة التي ابتدأ بها الشيخ تفسيره، وهي تصلح أن تكون كتابا منفرداً بذاته، لأنها ذات فصول عشرة تحيط بكل ما يتصل بالتفسير القرآني، وتوضّح ما يسمّى عند الدارسين بعلوم القرآن، ومنها علم الرّسم القرآني، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم القراءات وعلم الإعجاز، وقد وضّحت الدارسة اعتماد الطاهر في ذلك على كتابي: البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، مع إضافات فتح الله عليه بها، وقد قالت في مجال الفصل بين صنيع الشيخ وسابقيه في التمسك بكل ما يقال عن أسباب النزول(٥):

«وكان موقف ابن عاشور من العلماء الذين أفردوا علم أسباب النزول بالتأليف، ومن المفسرين الذين ألحوا على طلب سبب النزول لكل آية موقفاً متشدّداً، لأنّه اعتبر ذلك أمراً مبوهما بأن لكل آية سبب نزول، فقال: وبئس هذا الوهم، فإنّ القرآن جاءً هاديا إلى ما به إصلاح الأمة في كل أصناف الإصلاح، فلا يتوقف نزوله على حدوث الحوادث الداعية إلى تشريع الأحكام».

وليس معنى هذا أنّ الشيخ يرفض ما يقال عن أسباب النزول، ولكنّه يرفض أن يكون لكل آية سبب من أسباب النزول، وهذا ما دعا بعض المفسرين إلى تمحل أسباب تُردّ من أيسر الوجوه لوضوح بطلانها.

ودعت الباحثة إلى تأليف لجنة من المتخصصين في العلوم الإسلامية والطبيعة وغيرها لتوضيح ما جاء به الشيخ من أفانين الاجتهاد، وأنا أعلم أن العلوم الإسلامية والعلوم العربية قد وجدت من الشيخ مجالاً رائعا في التفسير المبتكر أحيانا، ولكنْ ماذا عن العلوم الطبيعية التي أشارت إليها الكاتبة، وجهد الشيخ فيها جهد الناقل؟

ثم تحدث الأستاذ الدكتور محمد المهدى العروسى عن البعدْ البلاغي في تفسير الشيخ ابن عاشور، والحق أني أدركت صعوبة موقفه حين قرأت هذا العنوان لأنّ البلاغة تتخلل تفسير كل آية من كتاب الله تقريبا، وللشيخ فيها جولات صائبة، لأنه مع تعمقه الرصين في كتب الحواشي والتقارير البلاغية قد درس كُتبَ ما قبل الحواشي دراسة مستوعبة تعرف البلاغة العربية والبلاغة الأعجمية معا، إذا جاز هذا التعبير، وقد أدرك العروسى بعد الشقه عليه فاختار تفسير سورة البقرة وحدها ليأخذ منه ما يريد أن يتحدث به عن المنحى البلاغى عند الإمام، وبدأ الحديث عن اتجاه الطاهر إلى التفسير بالرأى وقد تحدث عن ذلك سابقوه، ثم قال: إن الأستاذ في

(٥) الكتاب السابق ص ١٣٦.

مجال اللغة العربية يوجّه تفسيره للألفاظ واشتقاقها ومدلولاتها ومعانيها واستعمالات العرب لها، وأخذ يضرب المثل لذلك بآيات عدة من سورة البقرة تدلّ على اتجاه المفسّر، وقد أتى فيها الإمام أحيانا بالجديد الذى لم يسبق إليه، ومن ذلك تفسيره لكلمة شيطان حيث جاوز المألوف المتعارف، وهو أن الاشتقاق من كلمة شاط بمعنى احترق، أو شطن بمعنى بعد، إلى قوله: إنه اسم جامد شابه فى حروفه مادة مشتقة، ودخلَ فى العربية من لغة سابقة، إذ كانَ هذا الاسم متعلقا بالعقائد والأديان، وقد عُرف عند عرب العراق قبل انتقالهم الى الحجاز واليمن[1] أما أبواب: الفصل، والوصل، والإيجاز، والإطناب، فقد وَجدتْ تطبيقها الشافي فى تفسير التحرير والتنوير، وإذا كانت قواعد علم المعانى من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير، ترتكز على قواعد علم النحو فقد جال الشيخ جولات نحويّة كان فى بعضها ذا استقلال مطلق عن كل ما قيل من قبل. والأمثلة كثيرة، والتفسير بين أيدينا.

ولم يغفل الدكتور العروسى حديث الإمام عن وجوه الإعجاز القرآنى، فقد فصّل هذه الوجوه بما لا تزيد عليه، موضحا كيف اتجه الإعجاز للعرب فى الأسلوب البيانى ولغير العرب فى الأفكار العلمية والأحداث التاريخية سابقا ولاحقا، ومما أطرف به الإمام قراءة ما رآه فى الكتاب المبين من ترديد كلمات العهد والميثاق والسمع فى حديثه عن بنى إسرائيل، لأنّ هذه الكلمات بعينها وُجدت فى التوراة وهم بها أدرى وأعلم، وقد سميت بعض أجزائها بسفر العهد. وجاء ذكر الميثاق والسماع فيها بما لا يستطيعون جحوده وتتبع هذه الطرائف يوحى بترف عقلى طريف.

وقد كانت للإمام مؤلفات خاصة بدروس البلاغة، قرّرت النظارة العلمية للجامع الأعظم وفروعه تدريسها بها، واعتمدت فى برامج التدريس فور تاليفها، كما كان له تاليف فى دروس الإنشاء والخطابة، وكتب الإنشاء التى كانت ذائعة إلى عهد قريب فى مصر تطبيقية تتحدث عن الموضوعات فحسب، أما كتاب الشيخ فنظرىّ قاعدىّ وهو خطوةٌ فى مجال الحديث عن الأسلوب الأدبى، وأمثلته الكثيرة من كتاب الله، وسنة رسوله، وروائع الأدب العربى شعرا ونثرا، وهكذا كان الإمام علما من أعلام البلاغة والتفسير معا!

«يتبع»

---

(١) السابق ص ٢٥٣.

نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي

١

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا (*)

ما أحوجنا إلى وضع تصور لنسق فكري ينتظم مختلف مناهج البحث العلمي، نستوحى خصائصه العامة مباشرة من خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ونستمد عناصره الرئيسية من واقع مشكلات البحث العلمي وتاريخه، ونشكل وحداته البنائية على أساس الثوابت والمتغيرات المعروفة في الأطر الفكرية والعلمية للعلوم الكونية، ونتيح من خلاله مجالاً أرحب لإعداد الباحث العلمي الجيد، واستفادة أكبر من السبل التي يسلكها الباحثون أنفسهم.

مقدمــــــة

إن الطريقة المتبعة في تكوين علم المناهج Methodlogy منذ نشأته إبان العصور الحديثة تتم عادة بالتنسيق بين خبرة العلماء وبراعة الفلاسفة، لكن الصورة المثالية لتحقيق التنسيق على أكمل وجه بين الفريقين ظلت دائماً بعيدة المنال، فقد ظهر كثير من الخلط بين المفاهيم والرؤى التي جعلت معالم علم المناهج غير واضحة تماماً في أذهان المثقفين، ناهيك عن مواطن الغموض والقصور التي يزخر بها هذا العلم، حتى بالنسبة لمن يمارسونه بحثاً وتدريساً وتأليفاً.

وليس صحيحاً ما يوهمنا به علماء المناهج من أن قضية المنهج العلمي لم تعد تحتاج إلى نظر جديد، وأنه ما علينا، إذا أردنا أن نجني ثمار البحث العلمي كما يجنيها غيرنا، إلا أن نعرف ذلك المنهج الذي ألفوا ترديده منسوباً إلى «فرنسيس بيكون» وجون ستيوارت ميل ورينيه ديكارت»، حتى أوشكنا على تصوره لائحة أو قائمة بالتعليمات والإرشادات التي لا ينبغي الانحراف عن تطبيقها، وكأنها طائفة من الوصفات المجربة الناجحة، يتعين على أي باحث الالتزام بها في المجالات التي يريد دراستها ويسعى إلى إدراك شيء عن حقيقتها، لقد أصبحت الحاجة ملحة لصياغة نموذج إسلامي يمكن القياس عليه

(*) الكاتب عميد كلية العلوم - جامعة القاهرة

والرجوع إليه في كل علم من العلوم، أو يمكن أن تعلمه لطلاب المدارس والجامعات العربية والإسلامية في مقابل ما يدرسونه من نماذج وضعية منقوصة تدعى القدرة على تفسير حركة العلم والمعرفة، وتزعم أنها لا تقطع الطريق على الابتكار لنظريات جديدة، رغم أنها في حقيقتها تفرض رؤية معينة للأشياء، وتحدد منطقا هلاميا للكشف العلمي ونطاقا محددا للخبرة الإنسانية.

إسلامية المنهج العلمى

إن الأخذ بالمنهج الإسلامي في مجالات البحث العلمي يجب - في اعتقادنا - أن يقبل على أنه حقيقة منطقية وضرورة حضارية أما القول بأن إسلامية المنهج العلمي حقيقة منطقية فيكفي شاهدا على صحته أن علوم الكون والحياة إسلامية بطبيعتها، لأن موضوعات البحث فيها هي كل ما خلق الله في كتابه المنظور، كما أن قراءة التراث الإسلامي تدلنا على أن المسلك الذى اتبعه علماء الأصول وعلماء الحديث في الوصول إلى الصحيح من الوقائع والأخبار والأقوال قد انسحب على أسلوب التفكير والتجريب في البحث العلمي فترى على سبيل المثال أن الحسن ابن الهيثم قد استخدم الاستقراء وقياس الشبه في شرحه لتفسير عملية الإبصار وإدراك المرئيات حيث يقول: «لا يتم الإدراك إلا بتشبيه صورة المبصر بصورة قد أدركها المبصر من قبل، ثم إدراك التشابه بين الصورتين، ولا يدرك التشابه بين الصورتين إلا بقياس». كما نجد أن الهيثم يستعمل لفظ الاعتبار (وهو قرآني) ليدل على الاستقراء التجريبي أو الاستنباط العقلي، وهذا هو أبوبكر الرازى يصف منهجه في تعامله مع المجهول مستخدما الأصول الثلاثة: الإجماع والاستقراء والقياس، فيقول: «إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل عجيبة لا تبلغ عقولنا معرفة سببها الكامل، لم نر أن نطرح كل شئ لا تدركه ولا تبلغه عقولنا، لأن في ذلك سقوط جل المنافع عنا، بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهد لنا الناس به، ولا نحل شيئا من ذلك محل الثقة إلا بعد الامتحان والتجربة له.. ما اجتمع عليه الأطباء وشهد عليه القياس وعضدته التجربة فليكن أمامك».

وأما قولنا بأن إسلامية المنهج العلمى ضرورة حضارية فذلك لأن إسلامية المنهج، أو أسلمته، من شأنها أن تخلع عليه من خصائص الإسلام ما يجعله عالميا وصالحا للتطبيق في كل زمان، فالتصور الإسلامي يوحي بأن الحركة الدائبة والتحول المستمر هو الناموس الثابت المطرد لهذا الوجود الحادث الفاني، وهو بصفة خاصة قانون الحياة وقاعدتها.. ومن ثم يوجه النظر إلى هذه الحركة الدائبة، وهذا التحول المستمر في الكون والحياة، وما يطرأ عليهما دائما من تقلبات وأطوار، ولكنه ينسب كل شئ إلى مشيئة الله وقدره، فيخرج بذلك من كل المتناقضات التي تعانيها الفلسفات الوضعية والتي لم تجد لها حلا شاملا، ونعتقد أن إدراك المسلمين الأوائل لهذه الحقيقة بكل أبعادها الإيمانية كان السبب الأول لتقدمهم ورقيهم، بعد أن وجدوا في مبادئ الإسلام كل مقومات الازدهار العلمي والحضاري، وهدتهم تعاليم الدين الحنيف إلى أصول المنهج العلمي السليم.

وعندما انتقلت العلوم الإسلامية إلى أوروبا، فطن علماؤها إلى سر تقدم المسلمين، وسعوا إلى اتباع منهجهم بعد أن وجدوه سمة العلوم فى الحضارة الإسلامية، وقال «روجير بيكون» فى ذلك: «إنه باتباع المنهج التجريبى الذى كان له الفضل فى تقدم (العرب)، فإنه يصبح بالإمكان اختراع آلات جديدة تيسر التفوق عليهم. ففى الإمكان إيجاد آلات تمخر عباب البحر دون مجداف يحركها، وصنع عربات تتحرك بدون دواب الجر، وإيجاد آلات طائرة يستطيع المرء أن يجلس فيها ويدير شيئا تخفق به أجنحة صناعية فى الهواء مثل أجنحة الطير».

لكن النهضة الأوروبية لم تأخذ من العلوم الإسلامية سوى الجانب المادى من منهجها التجريبى وتقنياتها، وتركت جانباً الإيمان الذى يوجهها نحو الله - تعالى -، ويسخرها لخدمة البشر، ولذا فإن العلم فى الحضارة المادية الحديثة والمعاصرة، بتخليه عن الإيمان والسمو الروحى، قد اعتبر قيمة حقيقية مطلقة فى حد ذاته، وبالغ الناس فى تقديسه وتمجيده على أساس أنه هو القوة القادرة على تحقيق الجنة الموعودة للإنسان على الأرض، فأنصار هذه «النزعة العلمية المتطرفة» يردون كل شئ إلى العلم، ولا يسلمون إلا بالمنهج العلمى والحقيقة العلمية. كذلك أصبح التطور الكمى للعلم والتقنية غاية فى حد ذاته، ونشأت «النزعة التقنية المتطرفة» التى يرمى أنصارها من التقنيين والخبراء الفنيين إلى فرض سيطرتهم باعتبارهم الأحق فى هذا العصر بإدارة المجتمع واتخاذ القرارات الكبرى بشأنه وأمام هذا التطرف العلمى، وفى مقابله، ظهرت حركات عقلية جديدة تدعو إلى «اللا علمية» وتجارب الانغماس الأعمى فى ماديات الحضارة الصناعية، وترفع صيحات التحذير من أن اطراد التقدم العلمى والتقنى بدون النظر إلى صلته بمعنى الحياة الإنسانية سوف ينتهى بالإنسان إلى القضاء على حضارته. بل إن بعض هذه الحركات المناهضة لتقديس العلم والتقنية أخذت تدعو إلى الهروب من الحضارة المعاصرة بكل مافيها من مظاهر مادية خادعة، ورفعت شعارات العودة إلى الفطرة.

من هنا كانت إسلامية المنهج العلمى، أو أسلمته، ضرورة حضارية ملحة لضمان مواصلة التقدم العلمى والتقنى مع الحفاظ على إنسانية الإنسان، ذلك لأن الإيمان الخالص والسمو الروحى يأتيان فى مقدمة الخصائص التى يتميز بها المنهج العلمى الإسلامى، وإليهما تعزى كل القوى الدافعة لملكات الباحث العلمى على طريق الإبداع والابتكار، فالإيمان الخالص هو الذى يجعل العقل أقدر على كشف الحقيقة العلمية، وأكثر تهيؤا لاستقبالها وقبولها، وهل الكشف العلمى إلا حل لمشكلة يظفر به الباحث بعد عناء تحليل منهجى شاق ودقيق، أو يناله فى فكرة طارئة، أو فى رؤية تتراءى له، أو يخطر له فى حلم أو إلهام.

وإذا كان ماحدث فى الغرب من انزواء لعلوم الدين فى أركان الكنيسة يتعلق بالصراع بين الكنيسة والعلماء، فإنه من الخطأ أن يسود الاعتقاد بأن الانفصال بين العلم والدين شرط من شروط قيام الحضارة، أو أن العلم بفروعه المختلفة لا يمكن إلا أن يكون «علمانيا». لقد أدى هذا الاعتقاد الخاطئ فى بلاد المسلمين إلى حالة من

الركود العلمي شلت في ظلها كل مقومات الإبداع والابتكار في مختلف مجالات النشاط الإنساني،ولم يعد أمامنا الآن سوى الأخذ بالمنهج العلمي الإسلامي الذي سبق لأسلافنا أن صنعوا به حضارة تزهو على كل الحضارات، فهو الأقدر على إزكاء روح الصحوة الإسلامية الحضارية، وعندئذ سيكون له أجل الأثر في تصحيح وجهة العلوم لدى عقلاء الغرب ومفكريه إذا مادرسوا الإسلام في حقائقه، واستفادوا من منهجه في إصلاح شئون حضارتهم.

الثوابت والمتغيرات في المنهج العلمي الإسلامي

سبق أن ذكرنا أن تصورنا ا لعام لبنية المنهج العلمي الإسلامي سوف تستلهمه مباشرة من خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، وذلك انطلاقا من الإيمان التام بأن الثوابت والمتغيرات الإسلامية يجب أن تكون هي الإطار الذي يحكم كل مناهج النظر في قضايا الوجود والفكر، والمعيار الذي يحدد ضوابط التطبيق الإنساني لتلك المناهج بما يحقق إرادة الله -سبحانه وتعالى- في إعمار الحياة على الأرض. فالإسلام يتميز عن كل ماعداه من الشرائع السماوية، أو الفلسفات والمذاهب الوضعية، بخاصية التوازن بين الثبات والتطور، والجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعا كلا منهما في موضعه الصحيح.. الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى من أهداف وغايات وأصول وكليات، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور من وسائل وأساليب وفروع وجزئيات، ذلك لأن الله - سبحانه وتعالى - قد شرع المنهج الإسلامي للكينونة البشرية كلها، في جميع أزمانها وأطوارها، ليكون أصلا ثابتا تتطور هي في حدوده، وترتقي وتنمو وتتقدم دون أن تحتك بجدران هذا الإطار، وما ينطبق على المنهج الإلهي الذي أخبر الله به عباده ينسحب كذلك على الصنعة الإلهية في الكون كله، فحركة الحياة والفكر تستمر وتتسارع داخل إطار ثابت وحول محور ثابت، ومادة الكون في مجموعها ثابتة، وإن اتخذت أشكالا مختلفة دائمة التغير والتطور، وجوهر الإنسان واحد، وإن تقدمت معارفه وتضاعفت إمكاناته، فهو يمر بأطوار شتى يرتقي فيها وينحط حسب اقترابه أو ابتعاده من جوهر إنسانيته.

إن الثوابت الإسلامية هي التي تضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا ينفلت زمامها كما وقع لأوروبا عندما أفلتت من عروة العقيدة، كما أن الثوابت الإسلامية هي التي تصون الحياة البشرية، وتضمن مزية تناسقها مع النظام الكوني العام، وتحكم قوانين التطور فلا تتركها على إطلاقها.

وعندما نعرض الآن لبناء منهج علمي في ضوء هذا التصور الإسلامي، فإنه يتعين علينا قبل كل شئ أن نحدد الثوابت والمتغيرات الفكرية والعملية المختلفة في إطار النسق الإسلامي لبنية المنهج العلمي العام بأصوله وكلياته.

يتبــــــع

دور علماء الدين الإسلامى فى تحقيق الأمن

١

للدكتور/ أبو الوفا محمد أبو الوفا إبراهيم

إن الأمن يعتبر من أهم مطالب الحياة لضروريته ولتحقيق مصالح الأفراد والجماعات، حيث له معنى شامل فى حياة الإنسان، فهو يشمل فضلا عن ضمان أمنه على حياته - الأمن على عقيدته التى يؤمن بها، وموارد حياته وهويته الفكرية والثقافية. ولذلك يعد تكامل عناصر الأمن فى المجتمع، البداية الحقيقية للمستقبل الأفضل[١]. كما أن توافر عناصر الأمن الدينى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى، وبقاءها فى المجتمع، ضمان له لاستعادة أمنه الخارجى ولو فقده بصفة مؤقتة.[١]

ويتحقق الأمن فى المجتمع الإسلامى، بحفظ المقاصد الضرورية للشريعة الإسلامية، التى لم تخل من رعايتها ملة من الملل، ولا شريعة من الشرائع، وهى: حفظ الدين، والنفس والعقل والنسل والمال. فحفظ الدين يكون بشرع قتل الكافر المضل وعقوبة الداعى إلى البدع، وأما حفظ النفوس فبشرع القصاص، وأما حفظ العقول، فبشرع الحد على شرب المسكر، وأما حفظ الأموال التى بها معاش الخلق فبشرع الزواجر للغصاب والسراق.[٢]

ولما كانت المقاصد لايتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضى إليها، كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصى فى حرمتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها، وارتباطها بها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود، وكلاهما مقصود، لكنه مقصود قصد الغايات، وهى مقصودة قصد الوسائل، تطبيقا لذلك، فإن الله - تعالى - إذا حرم شيئا وله طرق ووسائل تفضى إليه، فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقا لتحريمه وتثبيتا له، ومنعا من أن يضرب حماه، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه، لكان ذلك نقض للتحريم، وإغراء للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء، بل إن سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك.[٣]

---

(١) راجع: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى: الأمن فى الإسلام، وتطبيق المملكة العربية السعودية السياسة الجنائية الإسلامية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد بالسعودية، ص٩.

(٢) راجع: الإحكام فى أصول الأحكام، للآمدى، مكتبة محمد على صبيح، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨م جـ٣ ص٧٣ وما بعدها.

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية، دار الفكر جـ٣ ص١٤٧ وما بعدها.

لذلك روى عن أبي معمر عن همام، أنه قال سمعت أبا هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم -قال: « لايشر أحدكم على أخيه بالسيف، فإنه لايدرى لعل الشيطان ينزع في يده، فيقع في حفرة من النار ».(٤)

ففي هذا الحديث، نهي من النبي -صلى الله عليه وسلم -أن يتعاطى المسلم السيف مسلولاً، لأنه ذريعة إلى الإصابة بالمكروه، لأن الشيطان قد يغريه على ضرب أخيه المسلم بالسلاح، فيحقق الشيطان ضربته له.(٥)

ومتى التزم المسلمون بتعاليم الإسلام، عقيدة وشريعة وقيما وأصولا اجتماعية، تحقق الأمن على الوجه الأكمل لكل أفراد المجتمع، من مسلمين وغير مسلمين.

ويظهر اهتمام الإسلام بالأمن حتى في وقت القتال، فلا يحل إرهاب أو قتال من لا يحارب، كالنساء والصبيان وكبار السن، الذين لايعاونون في القتال ضد المسلمين.

ولما كان من واجب أولياء الأمور في المجتمع الإسلامي، بحكم ولايتهم، أن يحققوا لكل من يقيم تحت سلطانهم، الأمن على نفسه وعرضه وماله، سواء أكان من المواطنين أم من المقيمين، فإن وسيلتهم في القيام بهذا الواجب ما يكون من سلطان وما يجب لهم من طاعة، بتطبيق حد الحرابة عند محاولة الإخلال بالأمن، بإحداث نقيضه وهو الروع والخوف، بارتكاب جرائم القتل والنهب، لا لعداوة بالمجني عليه، وإنما بقصد إرهاب الناس، ونزع الشعور بالأمن من نفوسهم، لأنه من الناحية الشرعية محاربة لله ورسوله، تستوجب إقامة الحد.

أهمية موضوع البحث

السياسة الجنائية في الإسلام، هي في الأصل سياسة وقاية من الجريمة، وحماية للمجتمع، وصيانة للأنفس والأموال والأعراض، وهي سياسة تشهر في وجه الجريمة عقوبة جسيمة تهدد الفرد، قبل أن يهم بارتكاب جريمة، وتوقع بعد ارتكابها، حتى قال الفقهاء بأن العلم بشرعية الحدود مانع قبل الفعل زاجر بعده.(٦)

ولاشك في أن مواجهة جرائم العنف والتطرف تكون فعالة، عندما يعلم أفراد المجتمع باتفاق هذه المواجهة مع أحكام الشريعة الإسلامية، لأن قيام أفراد المجتمع بواجبهم في تنظيم العدالة الجنائية، أو مساهمتهم في الوقاية من الجريمة ومكافحتها، يكون مرتبطا بأن تكون نظرة المجتمع للجريمة نظرة استنكار، وللمجرم نظرة احتقار، وبذلك تكون وسيلة كفاح ضد الجريمة، ولاتتأتى هذه النظرة، إلا إذا نظر الأفراد إلى الجريمة على أنها اعتداء عليهم، وإلى العقاب المحتمل توقيعه على مرتكبها على أنه أمر يحقق مصلحة مشروعة لهم، مما يحملهم على مساعدة السلطات العامة في الجهود التي تبذلها للقبض على المجرم وإثبات جريمته.

---

(٤) صحيح البخاري، المكتبة السلفية جـ١٣ ص٢٧ حديث رقم ٧٠٧٢.

(٥) فتح الباري مطبوع مع صحيح البخاري جـ١٣ ص٢٧، أعلام الموقعين جـ٣ ص١٦٥.

(٦) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر: لعبدالرحمن بن محمدبن سليمان زاده، مطبعة سنة ١٣١٩ هـ جـ١، ص٥٩٨.

والأمر على خلاف ذلك، إذا كانت نظرة المجتمع عدم مبالاة بالجريمة، أو كانت نظرة استحسان لها.

ومن هنا أبدت المحافل الدولية اهتماما كبيرا بموضوع مساهمة الجمهور في الوقاية من الجريمة ومكافحتها، تلك المساهمة التي تتمثل في القيام بأدوار معينة بالاشتراك مع الشرطة وأجهزة تنفيذ العقوبات.

وقد ظهر هذا الاهتمام في مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين الذي انعقد في استكهولم سنة ١٩٦٥ حيث تناول البحث في الموضوع الثاني: «دور الجمهور والأسرة والمدرسة وفرص العمل في الوقاية من الإجرام».

أما في المؤتمر الرابع للأمم المتحدة الذي انعقد في كيتوا سنة ١٩٧٠ فقد خصص القسم الثاني منه لبحث هذا الموضوع الهام تحت عنوان «مساهمة الجمهور في منع الجريمة والجناح والسيطرة عليها».

وفي المؤتمر العربي لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين الذي عقد بالكويت سنة ١٩٧٠، فقد تلاقت وجهات النظر في هذا المؤتمر حول بعض الاتجاهات الرئيسية، ومن ذلك ما رآه المؤتمر من أن في أحكام الشريعة الإسلامية وفي التقاليد العربية الأصيلة وفي بعض التشريعات المطبقة في الوطن العربي خير معين على قيام الجمهور بدور فعال في مساندة القانون لمنع الجريمة وضبطها.

كذلك رأى المؤتمر ضرورة الاهتمام بتربية النشء وتوجيهه دينيا وتوضيح مفهوم الجريمة وخطرها الاجتماعي وتوعية الجماهير بمساندة القانون وأجهزته، والاهتمام برفع مستوى رجال الشرطة حتى يقبل الجمهور على التعاون معهم.

وكان آخر هذه المؤتمرات، المؤتمر الدولي التاسع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين، الذي عقد بالقاهرة في الفترة من ٢٩ ابريل - إلى ٨ مايو ١٩٩٥م.

حيث طالب بوضع برامج للوقاية والتدخل المبكر والعلاج لمرتكبي أعمال العنف وضحاياه وأن تعمل من أجل القضاء على جميع أشكال العنف.

وتناول قرار المؤتمر الدعوة إلى تحسين أجهزة الشرطة وغيرها من طرق القانون والأدعاء والمحاكم والمؤسسات الإصلاحية ودور المحامين في ذلك.

خطة البحث

يشتمل البحث على ثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: اعتبار الحرابة من الحدود لحماية أمن المجتمع واستقراره.

المبحث الثاني: ارتباط جرائم الإرهاب بظاهرة التطرف.

المبحث الثالث: مسئولية علماء الدين الإسلامي في تحقيق التهذيب الديني للوقاية من التطرف.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

اعتبار الحرابة من الحدود لحماية أمن المجتمع واستقراره

الإرهاب جوهره العنف:

الإرهاب في الشريعة الإسلامية جوهره العنف، باستخدام وسائل من شأنها إلحاق ضرر بالنفس

وما دونهما أو بالمال أو بالعرض عند بعض الفقهاء.[7] استهدافا للإخلال بأمن المجتمع واستقراره، والسعي في الأرض بالفساد.

يستفاد ذلك من تعريفات الحرابة عند الفقهاء:

فهي عند الحنفية[8] «الخروج على المارة لأخذ المال على سبيل المغالبة على وجه يمنع المارة عن المرور وينقطع الطريق، سواء كان القطع من جماعة أو من واحد، بعد أن يكون له قوة القطع، وسواء كان القطع بسلاح أو غيره».

وعند المالكية[9] «الخروج لإخافة سبيل لأخذ مال محترم بمكابرة قتال وخوفه أو ذهاب عقل وقتل خفية، أو لمجرد قطع الطريق ولا لامرة[10] ولا ثائرة ولا عداوة».

وعند الشافعية[11] «البروز لأخذ مال أو لقتل أو إرهاب مكابرة، اعتمادا على الشوكة مع البعد عن الغوث».

وعند الحنابلة[12] «المحاربون هم الذين يعرضون للناس بالسلاح في الصحراء فيغصبونهم المال مجاهرة».

وعند الظاهرية[13] «المحارب المكابر المخيف لأهل الطريق المفسد في سبيل الأرض، سواء بسلاح أو بلا سلاح أصلا، سواء ليلا أو نهارا، أو في مصر أو في فلاة، أو في قصر الخليفة أو الجامع».

وعند الإمامية[14] «كل مجرد سلاحا في بر أو بحر ليلا أو نهارا لإخافة السابلة؛ وإن لم يكن من أهلها على الأشبه».

وأساس ذلك، قول الله -سبحانه وتعالى-:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[15]

ووجه الدلالة، أن الآية نزلت - طبقا للرأي الراجح لدى جمهور الفقهاء - فيمن خرج من المسلمين، يقطع السبيل، ويسعى في الأرض بالفساد، وفي قوله - تعالى -:

﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾

---

(7) وهم بعض المالكية والشافعية والظاهرية.

(8) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت جـ7 ص91.

(9) شرح الخرشي وبهامشه حاشية العدوي، دار الفكر جـ8 ص103 - 104، وفي نفس المعنى: مواهب الجليل: للحطاب، دار الفكر جـ8 ص314.

(10) أي لا لأجل أن يجعلوه أميرا عليهم، فعندئذ لايكون محاربا، بل يكون باغيا، الخرشي والعدوي، المصدر السابق، نفس الموضع.

(11) مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج: لمحمد الشربيني الخطيب، دار إحياء التراث العربي جـ4 ص180.

(12) المغني لابن قدامة، ومعه الشرح الكبير للمقدسي: دار الكتب العلمية، بيروت جـ10 ص303.

(13) المحلى: لابن حزم، دار الجيل، بيروت جـ11 مسألة 2252 ص308.

(14) المختصر النافع في فقه الإمامية، للحلي، دار الكتاب العربي بمصر ص236.

(15) سورة المائدة آية 33.

استعارة ومجاز إذ الله - سبحانه وتعالى - لا يحارب ولا يغالب، لما هو عليه من صفات الكمال، ولما وجب له من التنزيه عن الأضداد والأنداد، والمعنى: يحاربون أولياء الله، فعبر بنفسه العزيزة عن أوليائه إكبارا لإيذائهم.(١٦)

أو سمى قاطع الطريق محاربا لله، لأن المسافر معتمد على الله - سبحانه وتعالى - فالذى يزيل أمنه محارب لمن اعتمد عليه فى تحصيل الأمن، وأما محاربته لرسوله، فباعتبار عصيان أمره، أو لأنه الحافظ لطريق المسلمين والخلفاء والملوك من بعده، أو على حذف مضاف أى يحاربون عباد الله.(١٧)

يبين مما تقدم، أن حدود جريمة الحرابة، الخروج على الجماعة والتجمع فى شكل أفراد أو عصابات، تسيطر بالرعب وترهب أهل دار الإسلام، وتعتدى على أرواحهم وحرماتهم وأموالهم، وبعيدا عن خلاف الفقهاء فى تعريف الحرابة، وتحديد بعض عناصرها، فإنهم اتفقوا على أن جوهر الحرابة هو الإرهاب مع عدم إمكان الغوث، سواء أكان الإهارب مقصودا فى ذاته، أم كان مصاحبا للاعتداء على النفس أو المال، وسواء أكان المحارب فردا أم جماعة.

وأما وسيلة الإرهاب، فهو العنف، غير أنه ينبغى أن يفهم باعتباره يتحقق باستخدام وسائل مادية، تؤثر فى جسم المجنى عليه مباشرة وتلحق به الأذى، كما يتحقق بالقول وبالتهديد وبالترك والمنع، متى انتهى إلى الأذى بالمجنى عليه.(١٨)

اعتبار الحرابة من الحدود لحماية أمن المجتمع واستقراره:

ينتظم المجال الجنائى الإسلامى أنواعا أربعة من الجرائم: جرائم الحدود التى توجب عقوبة مقدرة تجب حقا لله - تعالى - وجرائم القصاص، التى توجب أن ينزل بالجانى عقوبة مماثلة لما أنزل بالمجنى عليه، وجرائم الدية، التى توجب مالا مقدرا للمجنى عليه على الجانى بجناية على النفس وما دونها، وجرائم التعزير، وهى الجرائم الموجبة تأديبا على ذنب لا حد فيه ولا كفارة.

وقد اختلف الفقهاء فى الحرابة الواقعة بقطع الأطراف أو قتل النفس، هل تعد من الحدود أولا؟

خلافا للمعتمد فى المذهب الشافعى(١٩) والظاهرى(٢٠) من أن المغلب فى قتل المحارب وكذلك قطعه أو جرحه معنى القصاص، لأن الأصل فيما اجتمع فيه حق الله - تعالى -

---

(١٦) الجامع لأحكام القرآن: للقرطبى، دار الفكر جـ٦ ص١٤٨-١٥٠.

(١٧) شرح العناية على الهداية: للبابرتى، مطبوع مع شرح فتح القدير: للكمال بن الهمام، دار الكتب العلمية بيروت جـ٥ ص٤٠٧.

(١٨) راجع للباحث: العنف داخل الأسرة بين الوقاية والتجريم والعقاب فى الفقه الإسلامى والقانون الجنائى.

(١٩) الأشباه والنظائر للسيوطى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٩ ص٣٤١، حاشية قليوبى، دار إحياء الكتب العربية جـ٤ ص٢٠٠ وهو أحد قولين للغزالى، الوجيز فى فقه مذهب الإمام الشافعى، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩ جـ٢ ص١٨٠.

(٢٠) المحلى جـ١١ مسألة ٢٢٦٠ ص٣٢٨ وإن رجح جانب الحد فيما دون النفس.

وحق الآدمي هو تغليب حق الآدمي، لبنائه على الضيق، ولأنه يثبت له القصاص في غير الحرابة، فلا يحبط حقه بقتله فيها.

كما أنه خلافاً لما ذهب إليه بعض الحنفية[21] وبعض الشافعية[22] والإمامية[23] من أن المحارب إذا أخذ المال وقتل يقتل حداً، وإذا قتل ولم يأخذ مالاً يقتل قصاصاً، بناء على أن الحرابة يقصد بإخافة السبيل بها أخذ المال.

خلافاً لهؤلاء جميعاً، ذهب جمهور الحنفية[24] والمالكية[25] وجمهور الشافعية[26] والحنابلة[27] إلى أن القتل وكذلك القطع يكون حقاً لله - تعالى - لأن ما أوجب عقوبة في غير المحاربة تغلظت العقوبة فيه بالمحاربة، كما أن تسمية الواجب بالمحاربة جزاء يشعر بأنه حق الله - تعالى - لأنه اسم لما يجب حقاً لله - تعالى بمقابلة الفعل، أما القصاص فيجب بطريق المساواة، وفيه معنى مقابلة المحل.[28]

ورأى الجمهور هو الراجح، لأن الحرابة تهز أمن المجتمع كله، لذا يجب أن يكون عقوبتها منوطة بولي أمر المسلمين، وليس في هذا انتقاص لحق المجني عليه بقدر ما هو تغليب لحماية أمن المجتمع، لذا فلا صلح ولا عفو، بل يجب على الإمام إقامة الحد الذي يشفي أيضاً غيظ أهل المجني عليه قبل التمكن من القبض عليه، باعتباره عذراً معفياً من العقاب[29] فيقتل الجاني قصاصاً إن كان قتل عمداً، ويقطع إن كان قطع، وتجب الدية فيما لا قصاص فيه ويضمن المال ما لم يعف عنه، فالتوبة لا تؤثر في إسقاط هذه الحقوق، بل يؤاخذ الجاني بها.[30] لأن إبقاء حق العبد لا ينافي سقوط الحد.[31]

«يتبع»

---

(21) شرح فتح القدير: للكمال بن الهمام جـ5 ص427، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار: لابن عابدين، دار إحياء التراث العربي جـ3 ص213.

(22) أسنى المطالب شرح روض الطالب: لأبي يحيى زكريا الأنصاري، الطبعة الميمنية بمصر 1313 هـ جـ4 ص155.

(23) المختصر النافع ص236.

(24) مجمع الأنهر جـ1 ص693، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للزيلعي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت جـ3 ص237.

(25) المدونة الكبرى: للإمام مالك، دار صادر، بيروت جـ16 ص301، المنتقى: للباجي، دار الكتاب العربي، بيروت جـ7 ص174.

(26) المجموع شرح المهذب: للنووي، دار الفكر، بيروت جـ20 ص111، الأشباه والنظائر للسيوطي ص524.

(27) المغني جـ10 ص307، 310، الشرح الكبير جـ10 ص308.

(28) تبيين الحقائق جـ3 ص237.

(29) راجع الدكتور سامح السيد جاد: الأعذار القانونية المعفية من العقاب في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي 1984 ص165.

(30) شرح فتح القدير جـ5 ص428، المدونة الكبرى جـ16 ص300 - 301، مواهب الجليل جـ6 ص317، المجموع جـ20 ص111، المغني جـ10 ص314-315، الشرح الكبير جـ10 ص312، خلافاً لقول عند المالكية والشافعية والإمامية، من أن التوبة تسقط حقوق الله - تعالى - وحقوق العباد من دم ومال، إلا ما كان من الأموال قائم العين بيد الجاني، بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد، مطبعة عيسى البابلي الحلبي 1981 جـ2 ص458، المجموع جـ20 ص111، المختصر النافع ص226.

(31) رد المحتار جـ3 ص140.

مؤتمر دولى يناقش

مستقبل الصحافة العربية فى ظل الإنترنت

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية عقد مؤخرا الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية مؤتمره السابع فى القاهرة، وقد تفضل الرئيس حسنى مبارك وافتتح المؤتمر بخطاب ألقاه نيابة عنه الدكتور / مصطفى كمال حلمى رئيس مجلس الشورى ورئيس المجلس الأعلى للصحافة.

وقد أثار الرئيس مبارك فى خطابه انتباه الحضور إلى ظاهرة العولمة والتحديات التى تثيرها، وكذا دور الصحافة فى تعزيز السلام والقضاء على أسلحة الدمار الشامل فى العالم، كما نوه فى حديثه عن دور الإعلام فى التصدى للإرهاب والقضاء على آثاره السلبية على المجتمع الدولى، كما أهاب الرئيس مبارك بالصحافة أن تدرك أهمية التفاعل بين الثقافات والمحافظة على البيئة لخير البشرية.

وتضمنت الأوراق التى ناقشها المؤتمر أربعة موضوعات رئيسية هى :

١ - تحديات القرن الحادى والعشرين.

٢ - حرية الصحافة والمجالس الصحفية فى مصر.

٣ - حقوق ومسئوليات الصحافة العربية.

٤ - المجالس الصحفية وما يماثلها فى البلدان المختارة الأعضاء فى الأمم المتحدة.

وقد ناقش المؤتمر خلال هذه الموضوعات مواثيق الشرف فى عالم تتبادل فيه الأخبار والمعلومات بحرية عبر الحدود القومية، والفرص التى تتيحها التكنولوجيا الجديدة لصحافة البلدان النامية، وسبل دعم وتعزيز المجالس الصحفية لحماية حرية الصحافة.

وقد شهد المؤتمر إجراء المداولات بشأن هذه القضايا العديدة التى تواجه الصحافة الحديثة فى القرن الحادى والعشرين، فاعقب كلمة رئيس مجلس الصحافة كلمة القاضى « ب. ب. ساونت » من الهند وهو رئيس الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية، ثم كلمة وزير الإعلام السيد صفوت الشريف.

(*) الكاتب مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة.

وتحدث بعد ذلك الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي ورئيس اللجنة الوطنية المصرية لليونسكو، وقد طرح مجموعة من الخواطر عن التحديات المتصلة بإعلام القرن الحادى والعشرين، وركز على بعض الحقائق فى هذا الشأن، أهمها:

١ – التطور المذهل فى تكنولوجيا الإعلام، قال: إن هناك فرصة واسعة أمام تطور وسائل الإعلام التقليدية مثل البث الفضائى الرقمى وأجهزة الكمبيوتر وشبكات المعلومات والصحافة الالكترونية والوسائط المتعددة، وأشار إلى ضرورة تطوير شبكات الإعلام حتى لا يختل الوزن الإعلامى الدولى بشدة أكثر مما هو مختل حاليا.

٢ – وعن الاحتكارات الإعلامية الكبرى، قال: إن هناك شركات ضخمة تسيطر على الإعلام الدولى وصلت إلى وضع أكثر ضراوة فى ظل الاندماجات بالرأى العام وتؤثر على القيم، مما يتطلب نقاشا واعياً من الخبراء.

٣ – وعن أزمة المحلية فى ظل العولمة، قال: إن الحفاظ على المحلية تحد كبير، فكل ما هو محلى يتعرض لطوفان الإعلام الدولى مما أوجد صعوبة فى التعامل معها وأثار مخاوف فى الدول النامية، وتساءل عن كيفية مواجهة هذه التحديات، فأوضح أن هناك مدخلا عالميا يتمثل فى ضرورة اتفاق الأطراف على نوع من التنسيق والتعاون والدعم ورأى أن هناك مدخلا إقليميا مهما يتصل بالإعلام العربى الذى يعد طرفا ضعيفا فى علاقات القوى الإعلامية الدولية.

وطرح الدكتور مفيد شهاب عدة نقاط تتصل بكيفية مواجهة تحديات القرن الحادى والعشرين فأشار إلى ضرورة إصلاح المناخ العربى العام مما يسمح بانطلاق الإعلامى العربى فى مناخ من الحرية ضمن قواعد قانونية وتقاليد تحمى المجتمع، وضرورة تطوير الهياكل الإعلامية بحيث يتم معالجة مختلف المعوقات التى تعرقل عمل الإعلام كى يكتسب مصداقية وقوة، وضرورة تطوير البنية التعليمية للتعامل مع التحديات بحيث يتم التركيز على رفع مستوى المتلقين ثقافيا وتعليميا، لأن التعليم الجيد يعد عاملا مهما فى مقاومة ثقافة الاستهلاك والتسطيح الفكرى.

كلمة نقيب الصحفيين

كما تحدث الأستاذ إبراهيم نافع نقيب الصحفيين عن الصحافة فقال: إن صناعة الصحافة لاتزال تمثل جوهر التغيرات التى تشهدها صناعة الإعلام وهى تشكل واحدة من أسس الحضارة الإنسانية المعاصرة.

وأوضح أنها غدت نمطا من أنماط التفكير بفضل الإعلام الإلكترونى.

وقال: إن الصحافة قادرة على إحلال السلام غير أن قدرتها على الاستجابة لتحديات ثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال

وتكمن أولى هذه التحديات فى قضية، حرية التعبير، فحرية الصحافة ستكون القرن المقبل خيارا عملياً أكثر من كونها مرتكزة على أسسٍ أخلاقية. إلا أن حرية الصحافة ليست خيارا سهلاً، فالتفاعل مع الواقع يتطلب لغة جديدة وأشار إلى أن تحدى الحرية يتمثل فى الجانب الأكبر من الصحافى الممارس ذاته، فهناك ممارسون يفتقرون إلى مهارة التعبير الحر، والتكنولوجيا وحدها لا تصنع صحافة حرة مسئولة وأكد على أن تعبير «الصحافة الحرة والمسئولة» هو تعبير أمريكى ظهر فى منتصف

الاربعينات، وأن المسئولية ليست قيدا قانونيا وإنما هى لصالح المجتمع.

وتحدث نقيب الصحفيين عن حرية الصحافة التى شهدتها مصر فى العقدين الأخيرين، مؤكدا ان القرن المقبل يختزن الكثير، إذ ان الاصلاحات الاقتصادية والسياسية التى تشهدها مصر سوف تؤثر على حرية الصحافة وسوف تؤكد حق الصحفى فى الوصول إلى المعلومات وقال: ان قضية الحرية ليست هى التحدى الوحيد فلا يمكن لصناعة الصحافة أن تنهض بمسئولياتها دون اقتصاديات قوية.

وتحدث عن التحديات الاقتصادية فقال: أولا إن تكنولوجيا الاتصال يسرت الوصول الى المعلومات فى شتى بقاع الأرض ولكنها تقتطع ولاتزال أعدادا كبيرة من جمهور الصحف بحيث انخفض معدل قراء الصحف.

وقال: ثانى تاثير للتكنولوجيا الجديدة امتد إلى تجزئة السوق بين الوسائل الإعلامية من حيث العائدات الإعلامية.

وتحدث عن زحف الاحتكارات الدولية على وسائل الإعلام مما يهدد صناعة الصحافة فى أسواقها الوطنية على المدى البعيد.

واخيرا أوضح الأستاذ إبراهيم نافع أن الصحافة وحدها لن تستطيع مواجهة تحديات القرن المقبل فهى بحاجة الى دعم المؤسسات الاخرى كثيرا محلية وإقليمية ودولية، لان الحياة لم تعد ممكنة بدون صناعة الصحافة وبخاصة ونحن نعايش عالما تبدو فيه الحقائق قليلة والتوقعات صعبة.

كلمة الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية:

وأشار البروفيسير فلنت رئيس المكتب التنفيذى للاتحاد العالمى للمجالس الصحفية الى ثلاث نقاط أجمل فيها النتائج المتوقعة لهذا الدمج الإعلامى بين وسائل الإعلام:

١ – ستفرغ هذه الوسائل من المضمون.

٢ – لن تتحسن هذه الوسائل ولن تصبح أكثر مسئولية.

٣ – ستخضع هذه الوسائل لسلطة عدد قليل من الناس وعلى الرغم من تنوع وسائل الإعلام تظل رسالة الإعلام الرئيسية هى توصيل المعلومات والترفيه وإن كان توصيل المعلومات يحتل مكانة أكبر من خلال نشرات الأخبار.

إن الصحافة الحرة والإعلام الحر وسيلتان أساسيتان لترسيخ الديمقراطية، فأين موقع ثورة التكنولوجيا من ذلك؟ ربما المثال الحى على ذلك دور الإذاعة المستقلة فى الامبراطورية السوفيتية، وقد سلح السوفييت مواطنيهم بمذياع ذى موجات قصيرة حيث تراءى «للينين» ميزة التحكم ليس فحسب فى الصحافة وإنما على الأخص التحكم فى الموجات القصيرة ولكنه لم يدرك أن السوفيت يستمعون من خلال المذياع الى اذاعات أجنبية بخلاف الإذاعة السوفيتية.

– وتحدث الاستاذ صلاح منتصر وكيل المجلس الاعلى للصحافة عن الصحافة والانترنت فى القرن الحادى والعشرين فقال: إن الإنترنت ظهرت فى الوجود فى بداية الستينات كإحدى نتائج الحرب الباردة وكهدف عسكرى جدا بالولايات المتحدة إلى إقامة شبكة اتصالات لتحقيق أهداف عسكرية وسرعان ما انتقل إلى الحياة المدنية شأنه شأن كثير من الاختراعات والافكار، وقد تطورت الإنترنت إلى حد لم يكن متصورا بحيث

يمكن القول إن القرن الحادى والعشرين سيكون بلاشك عصر الانترنت.

ثم تحدث عن الصحافة والتحديات التى واجهتها مع ظهور الراديو والتليفزيون ثم الأقمار الصناعية فى القرن العشرين فأوضح ان الصحافة فاقت كل هذه الاختراعات مؤكدا أن التليفزيون والاقمار الصناعية لم تهددها حيث تتيح للقارىء الاحتفاظ بالصحيفة على عكس البرامج التليفزيونية، بل إن توزيع الصحف زاد، خاصة بعد التطوير الذى حدث فى الصناعة والطباعة.

وعن عهد الانترنت طرح أحد الصحفيين هذا السؤال:

هل تستمر قفزة الصحافة مع الإنترنت؟

قال: إنه لأول مرة يشعر بخطر حقيقى لأن الانترنت يتميز هو الآخر بميزة اختيار الزمان والمكان التى كانت تنفرد بها الصحافة، لكن الأخطر من ذلك قدرة الإنترنت على نشر الإعلانات الصغيرة المبوبة التى كانت حكراً على الصحافة وحدها

وتوقع فى مواجهة هذا الخطر أن تتغير صورة الصحيفة فى القرن الحادى والعشرين فتصبح صحيفة الكترونية بدلا من الصحيفة الورقية، وقال: إن هذا الحل يجعل الصحافة تستفيد فى القرن الحادى والعشرين من الإنترنت لتواصل المسيرة.

وتحدث بعد ذلك القاضى «رحمنلى خان» رئيس المجلس الصحفى فى بنجلاديش وقال: إنه سوف يتم التركيز فى هذا المؤتمر على دور الإعلام فى القرن الجديد فى ظل الأوضاع العالمية فيما يحقق حرية التعبير والعدالة الاجتماعية.

وأشار الى طموحات الصحافة وتجربتها فى القرن العشرين الذى شهد كوارث وحربين عالميتين وقال: إن «مارتن لوثر» سجن بسبب حرية الصحافة، وانتقل الى الحديث عن الإعلام فى القرن الحادى والعشرين فقال: إن هناك موضوعات أصبحت تهم الجميع منها النهوض بحرية الصحافة والتعاون على إيجاد صحافة حرة ومسئولة. وأشار إلى ميثاق الامم المتحدة والإعلان العالمى لحقوق الإنسان الذين تحدثا عن حرية الرأى والتعبير. وأبرز ضرورة دعم هذه الحرية مع تزايد مختلف الأنشطة الإنسانية فى القرن الجديد.

تحدث الأستاذ نبيل عثمان رئيس الهيئة العامة للاستعلامات وعضو المجلس الاعلى للصحافة فقال: إنه سيشير أساسا بعض نقاط رئيسية من بينها تكنولوجيا المعلومات الجديدة والعولمة، فنحن نهاب هذه الظاهرة الجديدة، حيث إن الإنسان يقاوم التغيير بطبيعته ولكننا نواجه ظاهرة ستسفر عن نظام عالمى جديد. ومع ثورة المعلومات ظهرت مفاهيم وآليات جديدة فى عالم الاقتصاد

إن التغير الفعلى يحدث على صعيد المعلومات فنحن نغير أساليب التغيير وقد كانت الأقمار الصناعية منذ عقدين رمز العولمة، والآن أصبح الإنترنت يمثل هذه المكانة، وكان الكاتب الشهير «أورول» يشير دائما إلى «الأخ الأكبر» على إنه الدولة، والاخ الكبير الآن هو وسائل الإعلام والمعلومات.

وفى نهاية مؤتمر الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية صدرت التوصيات بحماية حرية الصحافة العربية والإسلامية، وتشجيع مسئولياتها الاخلاقية والمعنوية لدورها المهم الذى يمكن أن تقوم به فى تعزيز السلام والقضاء على أسلحة الدمار والتصدى للفساد والحفاظ على التماسك القومى.

الإسلام وحماية البيئة الحيوانية

للأستاذ / أيمن حمودة

الحيوانات (الأنعام) من نعم الله على عباده التى لا تعد ولا تحصى وأسمها مشتق من النعمة ويؤكد الله ـ سبحانه وتعالى ـ على تسخير الأنعام للإنسان باعتباره خليفة الله فى الأرض وذلك فى قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ **(يس ٧١).**

وللحيوان فى حياة الإنسان أهمية عظمى فقد ذكر الله فى كتابه الكريم المنافع والفوائد المتعددة التى يجنيها الإنسان من تسخير الله ـ سبحانه وتعالى ـ للحيوانات له منها:

الحيوانات مجال رحب للتفكير فى عظمة الخالق وقدرته قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾

(الغاشية ١٧).

● الحيوانات مصدر أساسى لغذاء الإنسان قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (النحل ٥).

● الحيوانات وسيلة من وسائل النقل والمواصلات بالركوب عليها واتخاذها زينة قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(النحل ٦-٧-٨)

● الحيوانات يتخذ الإنسان من أصوافها وأشعارها وأوبارها وجلودها الأثاث فى المنزل قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾

(النحل ٥٨)

● الحيوان كان ومازال معلماً للإنسان فقد تعلم الإنسان من الطيور السعى على الرزق، وتعلم الصبر على العمل من النحل والإبل وبناء

المنازل وهندستها كما تفعل الطيور وادخار القوت والنظام كما يفعل النمل.

بعض التشريعات الإسلامية فى مجال الرفق بالحيوان وحمايته

لما كانت الحيوانات مخلوقات أوجدها الله لتقدم للإنسان ذلك الخير الكثير والنفع الوفير وتقوم بعبادة ربها وتقف عاجزة عن الدفاع عن نفسها فقد جاءت الشريعة الإسلامية السمحة قبل أربعة عشر قرناً من الزمان تأمر بالرفق بالحيوان وتوجب حمايته باعتباره أحد مكونات البيئة التى يحيا فيها الإنسان، وهذه لمحة من عظمة التشريعات الإسلامية فى مجال الرفق بالحيوان وحمايته.

١- تحريم حبس الحيوان: فقد حرم الإسلام حبس الحيوان وتعذيبه سواء كان من الحيوانات الأليفة كالكلاب والقطط أو من البهائم والأنعام، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال: «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض أى هوامها وحشراتها» "أخرجه البخارى".

وعن جابر- رضى الله عنه - قال: «نهى رسول الله أن تصبر البهائم» أى تحبس للقتل، ومما سبق يستدل أن حبس الحيوانات الأليفة والبهائم والأنعام ومنع الطعام والشراب عنها وتجويعها من الأمور المنهى عنها فى الإسلام.

٢- تحريم إرهاق الحيوان وتحميله فوق طاقته: فقد دخل رسول الله - ﷺ - بستانا لرجل من الأنصار فإذا به جمل فلما رأى النبى الكريم حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله- ﷺ فمسح دموعه ثم قال - عليه الصلاة والسلام -: «من صاحب هذا الجمل؟» فقال صاحبه: أنا يا رسول الله فقال له النبى - ﷺ -: «أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا لى أنك تجيعه وتدئبه أى تحمله فوق ما يطيق» "رواه أبو داود".

النهى عن وسم الحيوانات: فقد نهى الإسلام عن وسم الحيوانات أى كيها بالنار لتعرف من بين الحيوانات الأخرى فقد مر رسول الله - ﷺ- على حمار قد وسم فى وجهه - فقال عليه الصلاة والسلام-: «لعن الله الذى وسمه» "رواه الطبرانى".

٤- تحريم حرق الحيوان حيا: فقد ورد عن الرسول الكريم أنه رأى قرية نمل قد أحرقتها مجموعة من الصحابة فقال لهم الرسول- ﷺ-: «من أحرق هذه»: فقالوا: نحن يا رسول الله فقال- ﷺ- «إنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار» "أخرجه أبو داود".

٥- النهى عن فجيعة الحيوانات: فقد نهى الإسلام عن فجع الحيوانات والطيور فى أولادها وأفراخها وذلك من خلال التقاط صغار الحيوانات والطيور من أمهاتها، فقد روى عن ابن مسعود - رضى الله عنه - أنه قال: كنا مع رسول الله فى سفر فخرج لحاجته فرأينا حُمرة أى طائر يشبه العصفور معها فرخان لها فأخذنا فرخيها فجاءت الحُمرة تفرش أى ترفرف بجناحيها، فلما جاء النبى- ﷺ- قال: «من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها» "أخرجه أبو داود".

٦- تحريم اتخاذ الحيوان هدفا للرمى وتعليم الإصابة: ومن مظاهر حفاظ الإسلام على الحيوان نهيه عن اتخاذ الحيوان غرضا للمسابقة أو الرمى والرهان فقد «لعن رسول

الله - ﷺ - من اتخذ شيئا فيه الروح غرضاً» رواه البخاري". كما حرم الإسلام قتل الحيوانات أو الطيور بدون منفعة أو مصلحة عامة، ونهى عن التلهي بها في الصيد فقد قال - ﷺ -: «من قتل عصفوراً عبثاً (من غير منفعة) عج إلى النار يوم القيامة ليقول يا رب إن فلانا قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة» "أخرجه النسائي".

٧- رحمة الإسلام بالطير والحيوان: من تعاليم الإسلام أن نتقرب إلى الله بالإحسان إلى الحيوان وقد بالغ الإسلام في الاحتفاء بالذين يتراحمون بالحيوان[١] وجعل من أسباب المغفرة وتكفير الذنوب الإحسان والرحمة بالحيوان، فقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن إمرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها فغفر لها» "صحيح الإمام مسلم".

كما روى عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئراً فشرب ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال: لقد بلغ هذا (الكلب) مثل الذي بلغ بي من العطش فملأ خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له فقال الصحابة: يا رسول الله: وإن لنا في البهائم أجراً فقال النبي - ﷺ - في كل ذات كبد رطب أجر» "أخرجه الشيخان".

أي أن ذلك عام في جميع الحيوانات، وفي ضوء تعاليم الإسلام يقرر الفقهاء من أحكام الرحمة بالحيوان وحمايته ما لا يخطر ببال، إذ يقررون أن النفقة على الحيوان واجبة على مالكه فإن امتنع أجبر على بيعه أو إطلاقه ليأكل من خشاش الأرض أو يذبح إن كان مما يؤكل، وأضاف الفقهاء أنه إذا لجأت هرة عمياء إلى بيت شخص وجبت عليه نفقتها كما منعوا تحميل الحيوان أكثر مما يطيق، وقد يقول قائل: إن هذه المبادىء أو التشريعات الإسلامية في مجال حماية الحيوان والرفق به تبدوا ضرباً من الخيال وأكثر مثالية، بعيدة كل البعد عن الواقع إلى أن الواقع التطبيقي لهذه المبادىء سواء من قبل الدولة الإسلامية أو المؤسسات الاجتماعية أو المسلمين ينفي عنها صفة عدم الواقعية؛ فقد تمثلت عناية الدولة الإسلامية بهذه المبادىء بأن حكامها كانوا يصدرون الأوامر إلى الولاة والمسئولين يوصونهم بالرفق بالحيوان وحمايته ومنع الأذى عنه والإضرار به، ويمنع تحميل الدواب فوق ما تطيق أو تعذيبها وضربها أثناء السير وكان لدى الوالي الصلاحية في تأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك.

ولقد كان المسلمون الأول يترجمون مبادىء الشريعة الإسلامية في مجال الرفق بالحيوان وحمايته إلى وقائع ملموسة، فهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول لرجل رآه يسحب شاة من رجلها بشدة ليذبحها: (ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً) وهذا أبو الدرداء الصحابي الجليل يقول لبعيره عند الموت: «لا تخاصمني إلى ربك فإني لم أكن أحملك فوق طاقتك، وكان عدى بن حاتم

يفت الخبز للنمل ويقول: إنهن جارات لنا ولها علينا حق) وقد نهى عمر بن عبد العزيز في إحدى رسائله إلى الولاة الناس عن إركاض الفرس في غير حق، وكتب إلى صاحب السكك وهى وظيفة تشبه شرطى المرور حالياً الا يسمح لأحد بإلجام دابته بلجام ثقيل أو بضربها بمقرعة من حديد، وكان لهذا الشرطي الحق في تأديب ومعاقبة من يراه يفعل ذلك[2].

٨- الإسلام أول من قرر مبدأ المحميات الطبيعية: الحفاظ على مفردات البيئة من الحيوانات البرية من الأمور الهامة التى أولاها الإسلام عناية فائقة، فقد دعى الإسلام إلى جعل مكة والمدينة المنورة حرمان آمنان، أى محميات طبيعية، فقد حرم الله - سبحانه وتعالى - الصيد على الحجاج في الأراضى المقدسة ما داموا محرمين بحج أو عمرة قال - تعالى - :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾

(المائدة ٩٥)

ووضع الإسلام عقوبات رادعة على من يقوم بقتل الصيد متعمداً وهو محرم بهدف الحفاظ على هذه الحيوانات البرية حتى لا تتعرض للانقراض قال- تعالى- :

﴿ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾

(المائدة ٩٥)

ففى الآية الكريمة نرى تعدد صور عقوبة الغرامة فى الإسلام لمن يعتدى على الحياة البرية بمكة ويقتل الصيد متعمداً وهو محرم. وهكذا نرى أن تعليمات الإسلام تهدف للمحافظة على الحيوانات البرية حتى لا تتعرض للانقراض والفناء، وكان الإسلام أراد بهذا أن يجعل من مكة البلد الحرام وما حولها محمية طبيعية تكون نموذجا وقدوة لمحميات كثيرة على وجه الأرض تحفظ الحياة البرية ولا تهددها بالانقراض أو الفناء[3] وهكذا نرى أن الإسلام أقام أول محمية طبيعية على الأرض وكانت بأرض مكة وما حولها ثم تبعها بمحمية ثانية بالمدينة المنورة وما حولها، وثالثة بوادى الطائف؛ فى حين أن العالم المعاصر لم يعرف نظام المحميات الطبيعية إلا فى القرن التاسع عشر الميلادى، ففى عام ١٨٦٤ أعلنت حكومة واشنطن» وادى يوسميتى » محمية طبيعية[4].

---

(١) محمد حامد سليمان- رحمة الإسلام بالطير والحيوان- مجلة الأزهر عدد شعبان ١٤١٧هـ ١٩٩٦ ص ١١٠٤.

(٢) محمد قاسم- حضارتنا الإسلامية فى مواجهة الانهزام النفسى- مجلة الوعى الإسلامى عدد المحرم ١٤٢٠ هـ إبريل- مايو ١٩٩٩ ص ٣٦.

(٣) د. على السكرى- البيئة من منظور إسلامى- منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٩٥ ص ١٧- ١٨.

(٤) عبد العظيم أحمد، الإسلام والبيئة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٩٩- ص٥٩.

روائع من الماضي بمجلة الأزهر

الإسلام أصل حضارة العالم

لفضيلة الشيخ محمود محمد المدني

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد :-

فمن خلال النظر في آيات القرآن الكريم، وما جاء به نبينا - صلوات الله وسلامه عليه - نستطيع أن نعرف حقيقة هذا الدين وندرك في صدق ويقين أنه ما جاء إلا لإصلاح الناس في معاشهم ومعادهم، وإقامة مجتمع صالح لا انحراف في تفكيره ولا عوج في سلوكه، مجتمع لا يشيع الطغيان في أغنيائه وأمرائه، ولا تسيطر الذلة والمهانة على فقرائه، فالقوي فيه قوي له، والضعيف فيه قوي به.

ولهذا فقد وضع منذ أشرقت نور هدايته ما يعتبر المنار الوهاج إلى ما يسمو بالفرد والجماعات من مبادئ ومثل وضعت أسس الحضارة الحقة الكاملة من تعاليم إلهية، وآداب سماوية، وأخلاق قدسية توفر للإنسان الاطمئنان الحق، وتعمق الإيمان في نفسه، وتربطه بربه رباطا قويا، حضارة مبناها النظام الروحي والإخاء الإنساني.

قال الكاتب - رحمه الله - :

يقولون إن المدنية الحديثة أساسها الحرية والإخاء والمساواة، وإن هذه الأشياء لم تعرف أول ما عرفت إلا في عهد الثورة الفرنسية التي قامت في آخر القرن الثامن عشر، وإن أعظم أسس تلك الثورة كتاب « العقد الاجتماعي » الذي نشره « جان جاك روسو » والذي أوله (ولد الإنسان حرا).

ولم يدر هؤلاء المغالون الجهلة أن رسول الله - ﷺ - قد قال من قبل ذلك بما يزيد على اثنى عشر قرنا.

وقد ذكر ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - بأقوال تكاد تكون أقوال « جان جاك روسو » حكاية لها، حيث نصح أحد عماله بقوله: (كيف تستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا)

وبعد، فلا أظن شمس الحرية أضاءت كما أشعلها الإسلام، إذ أضاءت العالم من مشرقه إلى مغربه كلما انتشرت تعاليمه ـ أما أوربا صاحبة المدنية الحالية التى أثبتت الأيام أنها مدنية الحجارة والحديد والتشاحن على المادة والعرض وإزهاق النفوس لملء البطون وإشباع نهم الفجور والفسق والفتنة فى السلم، هذه المدنية لم تعرف اسم الحرية إلا بعد أن احتكت بمدنية الإسلام، وبعد أن أضاء قبس من نوره من العراق والأندلس ومصر والقسطنطينية.

حتى فى بلاد العرب لم تكن الحرية ذات معنى حقيقى قبل النبى ـ ﷺ ـ ولا أظن خافيا على أحد ما الذى كان يفعله المتطعون من قريش والمتزمتون فيها حين كانوا يؤذون رسول الله وأصحابه بأشد أنواع الأذى، ويذيقونهم أمر أصناف التنكيل مع أنهم لم يزاحموهم على عرض ولم ينافسوهم على جاه ولم يطالبوا بسلطة ولا بحكم، وإنما كانوا يدعون لدينهم بالقول اللين والكلم الطيب وحده إلى نبذ عبادة الأصنام، والتفكر فى المخلوقات ليعلموا أنها من صنع الله الواحد القهار.

ومع ذلك فقد أخذتهم حمية الجاهلية وطوحت برؤوسهم إلى العنت والسخف حتى اضطروا الرسول ـ صلوات الله عليه ـ للمهاجرة هو وأصحابه، واضطروهم إلى أن يشقوا بأسيافهم الطريق إلى الحرية، حتى أفاضت بنورها وحتى انكفأت أطباق الظلم، وإذا بالمسلمين يحملون شعلتها المقدسة وفى أولها هذه الحرية، يدعون إلى الله ويدعون إلى المساواة، إلى أن تكسرت أمام أسيافهم وتحت أقدام خيولهم ما عبدته ممالك فارس والروم والمغرب وأوربا من نظام الطبقات، ومن استعباد الناس بعضهم لبعض، مما كانوا يسمونه نظام الإقطاع، وحق السيد أو الشريف على عبيده، وحق الكهنة ورجال الكنائس على عموم الناس.

لم يعرف العالم إلغاء هذه النظم العجيبة قبل الإسلام، ولو قام إنسان فى أوربا فى القرون الوسطى، ودعا إلى المساواة بين الفلاح وصاحب الحقل، أو دعا رجال الكنائس أو المعابد إلى التنازل عما كانوا يدعون من حقوق لما كان له من جزاء أقل من التعذيب والتقتيل والتخريب.

ولقد ضلت المدنية الأوربية طريقها وحادت عن أصلها الأول فى الإسلام وجسموها نظريات فاسدة واتخذوا لها طرقاً لا تمت إلى الحق بسبب، فكانت النتيجة أن انقلبت الأعراض الزائفة، والصور الباطلة، نقمة عليهم وإذا هم يطغى بعضهم على بعض يتكالبون على ما يشبع النهم أو يطفئ ظمأ الشهوة، وما هم ببالغين من ذلك إلا دق الأعناق، ولا براجعين إلا عن طريق روح الإسلام ـ عند ذلك يتذوقون المساواة الحقة والإخاء الصحيح.

جاء الوحى من عند الله العزيز العليم إلى محمد ـ ﷺ ـ معلم البشرية الأول، وكان أول بدئه قوله ـ تعالى ـ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١).

---

(١) سورة العلق ١ ـ ٥.

أول الدعوة وأول الرسالة طالب المولى حبيبه بالعلم، يا لهما من حضارة تبهر العقول وتستهوى الألباب وتشرح الصدور، يطالب جل شأنه بالعلم، فدين الإسلام إذا أساسه العلم ووحيه الحق وروحه الحضارة في أجلى صورها وأبهى معانيها؟ العلم بأوسع صوره وأدق معانيه، وإلا فيما تفسر انتقال العرب بعد إسلامهم من عداد الأمم الجاهلة المشردة إلى مصاف الأمم الراقية السائدة؟ استغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة للعلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم، وقد اعترفت لها الكافة بالزعامة في ذلك قرونا طويلة كانوا فيها يؤمون عواصمها يأخذون عنها العلم والحكمة وأسرار الصناعات والفنون، ولا يزال المؤرخون من جميع الملل والنحل يرددون هذه الحقيقة ـ أليس هذا لأن الإسلام يفرض الرقي فرضاً ولا يسمح به سماحاً.

تحدث القرآن عن ذلك بمنتهى القوة حيث يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] ويقول: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[3] ويقول: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4].

ويقول المصطفى صفوة خلقه ﴿ **خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت** ﴾[5] أى ولو خرجت من فم آثم أو كافر، فإن الحكمة تلتقط حيث كانت ولا يؤثر على قدسها شئ.

كل هذه الآيات وتلك الأحاديث فرضت على المسلمين العلم ودفعت بهم إلى مباحثه دفعا، والعلم يؤدى إلى الترقى لا محالة بل هو طريقه الوحيد في كل أدوار البشر، وأى علم هو؟ العلم على إطلاقه بكل ما يحتمله لفظه ومعناه وبكل ما يؤدى إليه في الحياة، فإن الدين الذى يفرض على ذويه النظر في السموات والأرض والذى يقول: إنه يضرب الأمثال للناس وما يعقلها إلا العالمون، والذى يرفع من شأن أهل العلم بحيث يستشهد بهم في حقه، والذى يقول رسوله الأمين «فقيه أفضل عند الله من ألف عابد»[6] ويقول: (فكر ساعة خير من عبادة ستين سنه)[7] الدين الذي يفعل هذا يدفع بأهله قهراً إلى طلب العلم، وطلبه يدفع بهم إلى أطوار من الترقي لا تطوف بخيالهم قبل الدخول فيها.

وإلا فمن ذا الذى كان يتوهم أن العربى الذى يتخيل أن القمر له غلاف اسمه الساجور، يدخل فيه كل شهر مرة ثم يخرج منه يسيراً يسيراً ليعلل بذلك أطواره المختلفة من هلال إلى بدر، يصبح بعد مائة وخمسين سنة يعرف من أحوال هذا الكوكب ما يعرفه أكبر الفلكيين إذ ذاك.

---

(٢) سورة الإسراء ٨٥. (٣) سورة طه ١١٤. (٤) سورة الزمر ٩.
(٥) رواه ابن عمر. (٦) الخطيب البغداد ٢٨/١. (٧) كنز العمال.

ومن ذلك الذى كان يتصور أن ذلك العربى الجاهل يصبح بعد تلك المدة القصيرة وبيده ذلك القبس من العلم يعشو إلى نوره العالم من جميع أرجاء الأرض يأخذون عنه ما جعله الله أمينا عليه دون خلقه - من ذا الذى يستطيع أن يتخيل هذا لولا أن الإسلام قد أوجب على متبعيه الانفراد لقاموس الترقي إيجابا، لا أنه قد أباحه لهم تخييرا.

لم يكتف الإسلام بالدعوة إلى العلم فحسب، ولكنه تغلغل فى نظام الاجتماع ووضع من القواعد ما يعتبر المنار الوهاج لهداية الناس إلى ما يسمو بهم فرادى وجماعات، وإلى ما يقر حالهم من حيث معاشهم ومعادهم، فكان النظام الاقتصادى أبدع من النظم الاقتصادية التى عرفت من قبله والتى ولدت من بعده، هذا النظام هو نظام توزيع الثروات توزيعاً عادلا مشبعاً بروح المودة والرحمة والاحترام بين الطبقات، وذلك النظام هو نظام الزكاة وحسبنا لو طبق هذا النظام على وجهه الشرعى الصحيح أن تهرب الأشباح المخيفة التى تطغى على العالم الآن باسم الشيوعية والنازية والفاشية والرأسمالية، وما إلى ذلك مما يسير فيه العالم متخبطا بين ظما الجشع وواجب الرحمة.

ثم كان تنظيمه للأسرة وعلاقة الرجل مع زوجه وأولاده وأقاربه فى حياته وبعد مماته نظام عجيب منشؤه التواصل والتراحم والتعاطف، وإن برم به الغربيون وغيرهم ممن فى قلوبهم مرض، وعابوا عليه بعض الشئ. فهم ولابد راجعون إليه بطبيعتهم مندفعون إليه بغرائزهم، هذا من ناحية وهناك ناحية أخرى اجتماعية لها دقتها ومكانتها وقد وقف منها الدين الإسلامى موقفاً عظيما يدل على منتهى السمو والعظمة ألا وهو الطلاق وإباحته مع بغضه وتقييده بتلك القيود البالغة منتهى الدقة حيث يقول - جل شأنه -:

﴿ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾(٨).

ثم بعد ذلك يقول:

﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾(٩).

أين حضارة الغرب هنا؟ بل أين مدنيته؟ ها نحن نراهم يرجعون إلى ديننا فى هذه المسائل كلها، وما ذلك إلا لصلاحيتها واستقامتها وتمشيها مع روح العصر وها هم يقتربون منا كل يوم.

ولو نظرنا قليلا فى تقاليد المجتمع وما يسميه الغربيون بنظام (الإتيكيت) والآداب الاجتماعية، ونظرنا إلى نظام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لنرى أيهما أقوى دعامة وأرقى مدنية وحضارة.

يقول الله تعالى فى آداب دخول البيت والاستئذان لرجال ربوا على البداوة وعاشوا فى أحضان الطبيعة:

---

(٨) سورة النساء، ٣٤.

(٩) سورة البقرة ٢٢٩.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ﴾(١٠).

ويقول فى آداب الجلوس

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ﴾(١١).

وغير ذلك من الآيات:

بل نظم العلاقة بين الأفراد والعائلة بالنسبة لبعضهم البعض داخل بيوتهم حتى يلزمهم حسن الأدب محافظة على الكرامة فقال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾(١٢).

تعليم إلهى وأدب سماوى وأخلاق قدسية تدل على الحضارة الحقة الكاملة، حضارة لم تغير معالمها تلك الحضارة الزائفة التى وجدت فى هذا القرن والتى كان منتهاها هذا الدمار الذى نشاهده وتلك الحرب الضروس التى نراها اليوم والتى اطاحت بدول واذهبت ممالك ومثلت عروشا كانت تفخر بأنها بلغت الذروة فى الحضارة حتى إن رئيس إحدى هاتيك الدول قد اعترف والقلب منه دام، بأن الخلاعة والمجون كانا السبب المباشر فى انهيار دولته العظيمة، والتى كانت تباهى الامم كلها بحضارتها وتفخر عليهم بها.

إن حضارة الإسلام مبناها النظام الروحى والإخاء الإنسانى الحق، لذلك بقيت تعاليمه صحيحة لم تغير معالمها الايام، ولم تقوض صروحها السنون، بل إنها تزداد على مر الأيام قوة وتمكناً.

وها نحن ننتظر أن يثوب العالم إلى رشده ويرجع إلى عقله فينشد الأمن والسلام فى دين الإسلام، ويفتش عن الحضارة فى هذا الدين ليعتنقها الجميع وعند ذاك تنقطع الثورات وتهدأ الحروب ويتركز العالم على سياسة واحدة حقة، وهى سياسة الله العلى القدير. والله الموفق لأقوم طريق.

---

(١٠) سورة النور ٢٧، ٢٨.

(١١) سورة المجادلة ١١.

(١٢) سورة النور ٥٨.

خميلة الشعر

للأستاذ/ محمد عبد الوهاب

تشرق خميلة الشعر اليوم بإشعاعات شعرية خلابة؛ لتملأ الوجدان بفيوضاتها الإيمانية الموحية، وتعمر القلوب بالسكينة، والعقول بالفكر المستنير البناء، ولا غرو، فالشعر الحلال الذي يغذى بناءها ويقيم أودها، ما هو إلا إطار يحوى الكلمة الشريفة والمغزى النبيل، فهو يدعو إلى الحق ويهدى إلى القيم الإسلامية السامية، ونرجو من الله سبحانه - أن يهدى خطانا إلى سبيل الرشاد، وأن يعيننا على أداء رسالتنا إنه نعم المولى ونعم النصير.

هذا وتنعى أسرة المجلة إلى قرائها الأعزاء الشاعر الكبير الأستاذ رشاد محمد يوسف الذي كان يتولى الإشراف على باب «الشعر والشعراء» بالمجلة قبل ميلاد «خميلة الشعر»، نسأل الله للشاعر الكبير واسع رحمته ومغفرته، وتقدم الخميلة فى مستهل ما تقدمه فى هذا العدد قصيدة بعنوان: «فى رحاب الله» للشاعر الكبير الأستاذ أحمد مصطفى حافظ وكذلك قصيدة: «وفاء اليراع» للشاعر الأستاذ/ عبد العاطى موسى عبد العاطى ثم قصيدة: «تحية إلى لبنان» شعر الأستاذ الدكتور مبروك عطية أبوزيد ونختتم باقة اليوم بـ: «قصيدة لها قصة».

اللهم هيىء لنا الخير

الشاعر رشاد محمد يوسف في رحاب الله

للشاعر / أحمد مصطفى حافظ

يا صاحبي.. [1] حل القضاء المبرم ... هيهات من شرك المنية نسلم

والموت يقفو خطونا، مترصدا ... حتى إذا بدت النهاية يهجم

والخطب في زين الصحاب مضاعف ... في كل حين، بالتذكر يعظم

مهما تمادى في الزمان غيابه ... فالبعد يضرم في الحشا.. ما يضرم

والذكريات بكل شبر بيننا ... في سيرة غراء.. كم تتجسم

•••

إيه وآه يا صديقي شد ما ... ألقاه والشعر المرجى ملجم

قد كان توأمك الذي صاحبته ... طول الحياة.. فكيف يحيا التوأم؟

بتمازج عايشته، وتجاوب ... وأراه بعدك بالأسى.. يتهجم

وبود ينهض في حماك مرددا ... ما قد عهدنا من بيان يفحم

•••

يا صاحبي، والدمع يغشي مقلتي ... فيعوق مرثيتي.. وكم أتلعثم:

اليوم هذا.. ثم ذلك.. بعده ... في «الآلة الحدباء»: عمر - يختم

.. مادام قد جاء الحياة.. وليدها ... لاشك يوما ما.. سيذوي البرعم

تمضي بنا الأيام في تيارها ... من نبعها، لمصبها.. لا ترحم

قد فاز من زكى وصلى خاشعا ... قبل الرحيل لجاه رب يكرم

حسن المنايا أن يكن أمانيا ... في أرذل العمر.. البقايا.. علقم!

وجوار العرش في دار الكرا ... مة خير عاقبة.. ونعم المغنم

---

(١) رحل -رحمه الله- منذ أيام قلائل، عن العالم الفاني، إلى العالم الباقي، وكان يحتل منزلة بارزة بين شعراء الإسلام المعاصرين، وكان له حضوره القوي، في شتى المحافل والندوات الأدبية، كما كانت له صولات وجولات، على صفحات مجلات: الأزهر، ومنبر الإسلام والمجاهد، والهلال، والمجلة العربية، والقافلة وغيرها.

إلى روح الشاعر رشاد محمد يوسف
وفاء اليراع

مهندس / عبد العاطي موسى عبد العاطي

قد جئت دارك هل ترد وتسمع … وتجيب لحظا من فراقك يدمع

وتضم قلبا من عذابات النوى … يهفو إليك ويستغيث.. يقطع

أحسست يوم «الحق» روحي أنها … بين الجوانح تستطار وتنزع

من كنت نبعا للبيان ونوره … والكل ينهل من عطائك... يرتع

و«خميلة للشعر» تهدى حبها … لحن الوفاء وخافقا يتوجع

وسمعت آخر ما تقول وإنني … كم كنت آمل في الكثير وأطمع

لو كان داعي الموت يطلب فدية … كنت الفداء وليت ذلك ينفع

وإذا أتى أمر الإله فما ترى … من ذا يجادل في القضاء ويشفع

حملوك في صمت كأن سكونهم … يدعو لك الرحمن أو يتشفع

ومضى كلام الله يسبق خطونا … وجميل صنعك للمهيمن يسرع

والرمس هلل فرحة بقدوم من … كم بات يسجد للإله ويركع

ورجعت تحملني خطى محزونة … ويهدني ألم وقلب موجع

والشعر يبكي والقريض بحوره … حيرى... وأركان البيان تصدع

روض «الدواوين» التي أبدعتها … بالحب منك وبالجمال ترصع

فرشاد «يوسف» يوسفي شعره … من كان يسمو باليراع ويبدع

ثم في ضريحك عند ربك هانئا … رب رحيم بالعباد ومرع

أنراك مرات بأحضان الكرى … فالقلب مني -لو علمت- يضعضع

حتى إذا جاء النشور وعدت يا … علما تحيطك جنة وتمتع

جمع الإله قلوبنا وشتاتنا … فهو القدير وليت ذلك يسرع

تحية إلى لبنان

بمناسبة انسحاب إسرائيل من جنوبه

شعر أ.د/ مبروك عطية أبو زيد

رفض الجنوبُ بأن يموت فكانا	وعدوه من بأسه قد هانا
لبنانُ يا أرض الجمال تحية	يا درةً قد أنجبت مرجانا
لبنان يا أرض الجهاد ألا اسعدي	بالنصر غنى في الورى ألحانا
حتى يعود ربيعنا لرياضنا	ونشم فيه عبيرنا ريحانا
فلطالما غاب الربيع بأرضنا	وتنفست أرجاؤنا بركانا
من ربع قرنٍ يا جنوب نوازل	زادتك رغم صعابها إيمانا
ماهنت يوماً في جهاد صابر	حتى أزال جهادك الطغيانا
واليوم ترفل في الجمال وتزدهي	وتعود حراً نابضاً فتانا
فلتزرع الزيتون يثمر غصنه	ولتبق دوماً صانعاً أغصانا
فوق الرمال فإن أرضك طهرت	والطهر أرض تنبت الإحسانا
وانثر على سمع الزمان قصائداً	حتى تكون حياته أوزانا
اليوم يا لبنان عيد فاطربي	أكرم بعيدٍ ساحقٍ أحزانا
ما كل عيد مثل عيدك ضمنا	أو كل فجر أيقظ الوسنانا
هذي جموع الناس في شتى الدنا	قد جمعت وتوحدت عنوانا
عنوانها لبنان رمز كرامة	هي خير أرض تصنع الإنسانا
حراً نبيلاً في مكارم أمة	بجهادها قد كرمت أوطانا
والحر يفنى كي يعيش ترابه	من أجله قد خلف الغلمانا
ولئن سألت عن الكرامة نفسها	من أنت ! كان جوابها لبنانا

قَصِيدَة لهَا قِصَّة

عندما حج هشام بن عبد الملك فى عهد أبيه، وطاف بالكعبة المشرفة، حاول جاهدا أن يستلم الحجر الأسود فلم يستطع لكثرة تزاحم الناس، فنصب له كرسى ليجلس عليه ويشاهد مشهد الطواف، وكان معه جماعة من أعيان الشام، فبينما هو كذلك إذ أقبل الإمام زين العابدين علىّ بن الإمام الحسين سبط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فطاف الإمام بالبيت، ولما انتهى إلى الحجر الأسود، تنحى له الناس حتى استلم الحجر، فسأل واحد من أعيان الشام هشاما قائلا: من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة؟ فأجابه هشام: لا أعرفه (حسدا من عند نفسه، ومخافة أن يرغب أهل الشام فى الإمام)، وكان الفرزدق الشاعر حاضرا فقال من فوره: أنا أعرفه، ثم اندفع منشدا هذه القصيدة الرائعة الحسن، والتى بسببها غضب هشام غضبا شديدا فأمر بحبس الفرزدق بين مكة والمدينة...

هذا الذى تعـــرف البطحـــاء وطأته ... والبـيت يعـرفـه، والحلّ، والحـرم

هذا ابن خـــيـر عـــبـــاد الله كلهم ... هذا التــقىّ النقى، الطاهر العلم

هذا ابن «فـــاطـمـــة» إن كنت جاهله ... بجـدّه أنبـيـاء الله قـد خـتـمـوا

وليس قـــولك : من هذا؟ بضـــائره ... العـرب تعـرف من أنكرت، والعـجم

***

كلتـا يديه غـيـاث عمّ نفـعـهـمـا ... يستـوكـفـان، ولا يعـروهمـا عـدم(١)

سـهل الخليـقـة، لا تخـشى بوادره ... يزينه اثنان: حـسن الخلق، والشـيم

حـمّال أثقال أقـوام، إذا افـتـدحـوا ... حلو الشـمـائل، تحلو عنده نعم (٢)

مـا قـال: لا قط، إلا فى تشـهـده ... لولا التـشـهّـد كـانت لاءه نعم

عم البـريّة بالإحـسـان، فـانقـشـعت ... عنهـا الغيـاهب. والإمـلاق والعـدم

(١) استوكف: اى استقطر الماء واستدعى جريانه

(٢) افتدحوا: اى ثقلوا بالمصائب

إذا رأته قـريش قـال قـائلها : إلى مكـارم هذا ينتـهي الكرم

يغضي حياء، ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

بكفه خيزران، ريحه عبق من كف أروع، في عرنينه شمم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم، إذا ما جاء يستلم

***

الله شرّفه قدما، وعظمه جرى بذاك في لوحه القلم

أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا، أو له نعم؟

من يشكر الله، يشكر أوّليّة ذا فالدين من بيت هذا، ناله الأمم

من جده دان فضل الأنبياء له وفضل أمته، دانت له الأمم

مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارسه، والخيم والشيم

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم

من معشر حبهم دين، وبغضهم كفر، وقربهم منجى ومعتصم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل بدء، ومختوم به الكلم

إن عد أهل التقى، كانوا أئمتهم أو قيل «من خير أهل الأرض؟» قيل هم

***

لا يستطيع جواد بعد جودهم ولا يدانيهم قوم، وإن كرموا!

هم الغيوث، إذا ما أزمة أمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطا من أكفهم سيان ذلك: إن أثروا وإن عدموا!

يستدفع الشر والبلوى بحبهم ويسترب به الإحسان والنعم[٣]

(٣) تسترب: أي يستزاد.

جولة داخل المخ البشري

للأستاذ/ مجدي عبد الحميد بشير

عندما قال الشاعر:

وتحسب أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

تُرى هل كان يرفع شعار العلم؟ أو يمسك بشراع الخيال في إبحاره، الذي لا يهدأ داخل أعماق الإنسان ودهاليزه، التي لا تنتهي؟ ودون أن نجهد أنفسنا في الإجابة على ذلك السؤال المحيِّر يلوح لنا من بعيد، تلميح الشاعر الذي فاق كل تصريح إلى ما أودع الباري -سبحانه- في هذا الإنسان من أسرار وألغاز.

فأنت أيها الإنسان الغافل عن النعم، التي خصك الله بها، الغافل عن الآلاء، التي حباك الله إياها، أعطيت (مخا) هو في تركيبه أشد تعقيداً من أقوى حواسيب الدنيا، وأعلاها تقدماً، وأرقاها ابتكارا، وبتلك المنحة الإلهية، والمنة الربانية، التي تحار في فهمها العقول، فتقف منبهرة مشدوهة تموز الحياة بين يديك، وتمارس كل نشاطاتها في صحوك ومنامك، في ليلك ونهارك، في فقرك وغناك، في مرضك وصحتك. إن بإمكانك مثلاً أن تمتع عينيك بمرأى، منظر جميل لزهرة بديعة الألوان، منسقة الأوراق، كما أن عبير الوردة الفواح، وشذاها العطر الذكي، سرعان ما يأسرك ويسبيك فتشمه، وتضمخ به روحك العطشى للجمال، الظمأى للفتنة والحياة. وما وسيلتك إلى هذا العالم الساحر الجذاب إلا المخ، ولا تنحصر مهمة ذلك المخ -طبعاً- في إثراء حاستي البصر والشم بالقوة والنشاط، بل تمتد إلى شتى الحواس الظاهرة منها، وغير الظاهرة، فبالمخ ومن خلال ما رُكبَ فيه من ذاكرة، أو حافظة تستطيع أن تستعيد الذكريات الحلوة، والأيام السعيدة التي نعمت بها. كما تستطيع كذلك أن تحفظ كتاب الله، وترتل آياته بصوت جميل معبر أخاذ، فتنتشي روحك، وتهيم في بحار من العذوبة والصفاء وتحلق في أجواء من الضياء والبهاء. وبنفس ذلك المخ، الذي جعل لما تذوق وتشم معنى، ولكل ما تتذكر مغزى، تستطيع -أيضا- أن تحس بالألم، عندما يُصاب إصبعك -لا قدَّر الله- بشيء ما مثلاً. وقبل أن تغضب أو تثور، وتتهم ذلك العقل بما هو مهمته، أقول لك: إنه هو

الذى يمتعك بسماع صوت قارئك المفضل، أو صدح طيرك الأثير، أو شدو بلبلك الرنام، أما عن كون المخ رافدا للعقل، ومصدراً للأفكار، ودرعا للمعتقدات، فحدث ولا حرج. ولا تعجب أو تدهش أن تعلم أن كل تلك الأمور وغيرها، تحدث نتيجة التعاون والتضافر بين كمية من الخلايا العصبية، يبلغ حجمها حوالى: كيلو، زود البارى بها جمجمة كل إنسان، فبالمخ حوالى مائة بليون[1] من الخلايا العصبية، ومائة بليون -طبعاً- رقم ضخم، بل مرعب، وحتى تحيط بضخامته، وتلم بحجمه الجبار تخيل نفسك، وأنت تقوم بإحصاء وعد كل تلك الخلايا، إن كان ممكنا أتقدم على هذا الفعل الجنونى، وذلك بمعدل لا يزيد عن عد خلية واحدة فى كل ثانية، إن تلك العملية ستستغرق منك - وأرجو أن يطيل الله فى أعمارنا حتى نحقق ذلك الإنجاز -ثلاثمائة عام، أى: ثلاثة قرون.

إن المخ منحة الله الغالية، لكل إنسان، يتحكم فى كل ما لديك من نشاطات ويهيمن على كل ما تقوم به من حركات، إنه يستقبل المعلومات من حواسك، فيدرك كل ما بجسمك، وما هو خارجه من أحوال، إنه يقوم بتحليل تلك المعلومات بسرعة فائقة، ويرسل رسائل للمنطقة التى يجرى فيها ذلك النشاط، فماذا يحدث مثلا عندما تضع يدك دون أن تدرى أو لا شعوريا فى ماء ساخن؟ إنك سرعان ما تسحب يدك مستغيثا صارخا: كم يؤلمنى هذا!، ولنفصل الأمر أكثر، تقول: إن اليد تبعث برسالة إلى المخ نصها: (ساخن جدا) وعلى الفور يرسل المخ رسالة إلى اليد تقول إنزع يدك من الماء وأخرجها حالاً، فتنصاع اليد للأمر وينجيك الله بفضله وكرمه، لنوضح الصورة أكثر دعنا نجرى هذه التجربة البسيطة: خذ قطعة من البطيخ، وأخرى من المانجو، وثالثة من البرتقال، تناولها جميعاً وأنت مغمض العينين وقد سددت أنفك، ثم تذوقها، فهل باستطاعتك التمييز بين طعوم الفواكه الثلاث؟! قد تستطيع ذلك، لأنك تدرك ما طعم كل منها على حدة، والسبب أن المخ تلقى رسائل من الفم، وبالتحديد من اللسان، حيث قامت حاسة التذوق لديك بوظيفتها على خير وجه، رغم أن عينيك لم ترها، وأنفك لم يشمها.

وكما أوضحنا أن للمخ المقدرة على الحفظ، والاسترجاع والتخزين لكل الأحداث، التى وقعت فى الماضى، مما يجعل عملية التعليم سهلة ميسورة.

وأخيرا: فإن المخ يتحكم فى العمليات التى تقوم بها الرئتان، كما يتحكم فى نبضات القلب، ودرجة حرارة الجسم، وكل ما يجرى بالمعدة والأمعاء من عمليات دقيقة ومؤثرة.

---

(١) البليون هو واحد وعن يمينه تسعة أصفار.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

لكى لا ننسى فلسطين

تأليف
خليل إبراهيم حسونه
الناشر
جمعية الدعوة الاسلامية بليبيا

● عزيزى القارىء: فى هذه الأيام، تمر فلسطين، بأحداث وقرارات هامة فى حياتها وكان إعلان الدولة الفلسطينية فى ١٣ من سبتمبر، ووقوف مصر الشجاع والقوى بجانبها فى مواجهة الصهيونية العدوانية التى تريد أن تحتل الأخضر واليابس، وتسرق حقاً من حقوق العرب والمسلمين، خاصة مشكلة القدس الكبرى، التى تريد أن تكون من حقها وحدها، وهذا هو الطمع الصهيونى والغل اليهودى رغم

أن الوجود العربي في أرض فلسطين يرجع إلى عصور قديمة إذ اتخذ العرب فلسطين موطنا لهم منذ القدم. وكانت جموعهم وتمركزهم بربوعها قد عرفت منذ الكنعانيين وحتى ظهور الإسلام ويثبت لنا التاريخ أن العنصر العربي، ظل عبر مختلف الحقب في تاريخ فلسطين يمثل الغالبية العظمى، في حين أنه على امتداد التاريخ المعروف الذي يقترب من خمسين قرنا قبل الإسلام لم يعرف لليهود دولة بالمعنى الحقيقي للكلمة، ولم تتعد سيطرتهم الحقيقية مدة أربعين سنة.

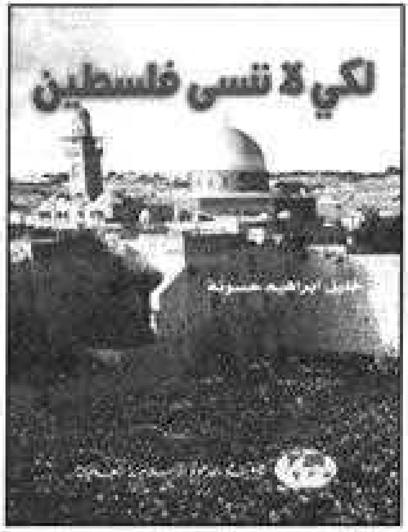
● رغم ذلك يزعم اليهود في كتبهم أن الإله منحها لهم، ويستدعون الخلافات والدعاية يحشون بها عقول العالم وبالذات الغرب.

● ورغم موقف الدول والمتغيرات الدولية التي تخدم الصهيونية وتقف بجانبها إلا أن كل شبر وشارع وحارة تنادي بعروبتها حتى الهواء الذي يتنفسونه عربي.

● لذا تقدم هذا الكتاب الجديد لكل أطفال الأمة العربية والإسلامية لكي يعلموا أن فلسطين عربية، وكل حبة رمل تنادي بعروبتها

● بدأ المؤلف كتابه هذا بمدخل للأصل الفلسطيني، منذ الكنعانيين الذين انشقوا عن العموريين على رأي بعض المؤرخين.

● موضحا الشعوب الكنعانية، ثم العموريين، والآراميين، واليبوسيين الذين اشتق اسمهم من اسم الجد (ايبوس) الذي أعطى اسمه للمدينة التي أصبحت فيما بعد، أشهر مدن العالم، ثم الفينيقيين والعماليق وآخرهم الفلسطينيون وهم آخر الموجات الكنعانية، التي قدمت إلى فلسطين.



● أما القسم الثاني فتحدث فيه المؤلف، عن القدس فاتحة التكوين وهي المدينة القديمة التي أسسها اليبوسيون، الكنعانيون قبل خمسة آلاف عام وهي في اللغة بمعنى المنزه، وهي ترتفع عن سطح البحر الميت ١١٥٠ مترا والقدس مهبط الوحي ومنزل الأنبياء ومحل الأولياء

● ووضح في هذا القسم معنى القدس، وطبيعتها وجمالها، وفتوحاتها وتاريخها ومناخها وتضاريسها، وأسوارها وأبوابها وعمارتها واقتصادها ومقدساتها ومساجدها وجوامعها ومقدساتها المسيحية

● ثم تحدث عن العدوان الإسرائيلي على القدس، والاستيطان والعمل على تهويد الأرض

● أيضا تحدث المؤلف عن المدن من رفح إلى الناصرة، ومن طبريا إلى بئر سبع هذه المدن التي حملت على أرضها الكنعانيين الذين شادوا أقدم الحضارات التاريخية، إنهم الجبابرة الذين علموا العالم القديم مبادىء الحياة، فيها امتزج التراب بعرق الآباء ولحم الأجداد.

● وتحدث عن المعالم الأثرية لمدينة غزة وعلمائها، ثم مدينة يافا وحيفا.

● أيضا أشار المؤلف إلى سواري النار والجبل، وهما عناوين للشموخ الفلسطيني وهي مدن الوطن الشمسي والذاكرة المرعبة.

● وتحدث عن رام الله ومقاومتها للبريطانيين والصهاينة حتى وقتنا الحاضر ثم بيت لحم ومدينة الخليل.

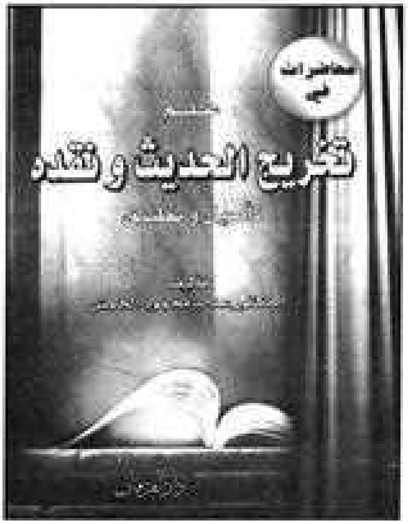
● عزيزي القارىء هذه قصة فلسطين بقراها ومدنها وعلاقتها بالتاريخ والجغرافيا وهي تؤكد بدون مراء أنها أرض العرب الذين تعزز وعيهم بالإسلام، أما عن علاقتها بإسرائيل فهي علاقة طارئة، لأن تاريخ اليهود في الشرق الأوسط مثل جبل الجليد أكثره مغمور تحت الماء، والأكثر هو الخرافة والأقل هو التاريخ.

● وهكذا عشنا مع هذا الكتاب، الذي يعاصر لهيب واندلاع نيران القضية الفلسطينية فور إعلانها كدولة مستقلة لها سيادة وكيان عربي واحد.

علم تخريج الحديث ونقده تأصيل وتطبيق

تأليف الدكتور/ عداب محمود الحمش

الناشر/ دار الفرقان للنشر والتوزيع بالأردن



● عزيزي القارىء: إن علم تخريج الحديث ونقده، من أصعب العلوم وأعمقها تبحراً وإن الدراسات الحديثة المعاصرة قد كثرت كثرة بالغة، وقد جعل الحافظ أبو عمرو بن الصلاح أنواع علوم الحديث خمسة وستين نوعاً.

● والعلوم الأساسية التي يجب أن تكون محور أعمال المشتغلين في الحديث الشريف هي العلوم الخمسة الآتية: مصطلحات الحديث الشريف، وعلوم الرواة بجميع فروعها، ومنها الجرح والتعديل، وعلم علل الحديث، وعلم تخريج الحديث، وعلم نقد الحديث.

● وهذا المؤلف قد كتب رسائل كثيرة في كل علم من علوم الحديث النبوي ولا يزال كتاب معرفة علوم الحديث لابن الصلاح، أو تدريب الراوي للسيوطي يتصدران قائمة المقررات الدراسية في الجامعات والدراسات العليا.

● قسّم المؤلف: كتابه إلى محاضرات، منها محاضرة في الجهود السابقة في علم تخريج الحديث الشريف وفيه التعريف بكتاب أصول التخريج ودراسة الأسانيد، ثم مصادر الترجمة والتخريج والنقد، وأنواع الترجمة الحديثية، والترجمة العلمية النقدية لرواة الحديث، ثم وضع مجموعة تراجم من رواة الحديث.

● وشرح - أيضاً - خطوات تخريج الحديث وفوائد التخريج الاستقرائي.

● ومن آداب التخريج وقد ذكر المؤلف جملة من الآداب التي ينبغي للباحث الالتزام بها حتى يكون عمله أقرب ما يمكن من الكمال، واقتصر على ذكر الآداب ذات الصلة ببحث التخريج والنقد.

● أولاً: على الباحث أن يستحضر عند قيامه بالتخريج أن النتيجة التي سوف يتوصل إليها ليست من جنس النتائج البشرية الاجتهادية العادية وإنما هي دين وسوف يحاسبه الله - تعالى - على ذلك.

● ثانيا الاحتياط في دين الله يوجب التحرز في قبول الحديث أو في رده.

● ثالثا أن يفهم الحديث الذي يريد درسه فهماً دقيقاً لسنده ومتنه وأول ذلك القراءة الحديثية العلمّية بالاضافة الى آداب أخرى ذكرها المؤلف.

● ثم تحدث المؤلف عن الحديث الذي اتفق أهل السنة على تخريجه وهو حديث الأعمال بالنيات

● ثم حديث اتفق على تخريجه أصحاب الأصول

● وطرح خطوات تخريج الحديث ونقده وعد منها: جمع طرق الحديث، وتحديد مدار الحديث، والتراجم العلمية للرواية، ثم الحكم على سند الحديث بمجموع متابعاته، والتوازن التشريعي

● أما في المحاضرة الثامنة، فأشار إلى حديث اتفق عليه أصحاب الصحاح الأربعة، وحديث عمر بن الخطاب في الأجناس الربوية، وحديث اتفق على تخريجه أصحاب السنن، وكثير من الأحاديث حتى وصل بنا إلى المحاضرة الثامنة عشرة وهو حديث شراكة الناس.

● والخير الخاتمة التي صرح فيها المؤلف أن هذا الكتاب ضمن مجموعة من الكتب التعليمية التطبيقية منها: مناهج المصنفين في الحديث النبوي -، ومناهج المصنفين في الجرح والتعديل، ومناهج المصنفين في علل الحديث ونقده، ودراسات تطبيقية في الحديث الشريف

● عزيزي القارىء إن دراسة الحديث في الجامعات يحتاج إلى إعادة نظر في عدد الساعات المقررة وحجم المادة المدروسة وطبيعة المادة الدراسية وهكذا مازال علم الحديث بحراً كبيراً من بحور العلم بما فيه من كل صغيرة وكبيرة تهم كل مسلم ومسلمه.

أيامى

للدكتور/ محمد إبراهيم الفيومى

الناشر/ دار البيان للنشر



أيها القارىء الكريم فى باب دوحة الكتب لا نتعرض لسيرة ما، أو حياة عالم من العلماء، لأن ذلك يدخل فى مجال آخر، وفى مجلتنا هذه باب يتحدث عن أعلام الأزهر الشريف.

● ولكننا اليوم نعيش مع هذا العالم الجليل لنرتبط به اجتماعياً وثقافياً وخلقياً ألا وهى الحياة الحقيقية التى يجب على كل عالم أن يحياها بحب وفلاح.

● وكما قال صاحب هذه السيرة لأننا لا نفتقر إلى المبادىء التى توصلنا إلى اليقين فحسب بل - أيضا - نملك مبادىء أخرى تتمشى مع الباطل وتدعو إليه، وذلك يزيد من إحساس الإنسان بالغربة فى المجتمع الذى يعيش فيه وبخاصة إذا ما كان يحس بأنه صاحب رسالة يعمل على أدائها ويرجو من الله قبول عمله.

● نعيش لنسرد معه حكايات الحياة بدءا من القرية المصرية وما تحتويه من أصالة وعراقة وطبيعة خلابة وحياة لفلاح بسيط يعمل فى الأرض من غرس وحصيد باحثا حياة الطبيعة التى يعيش فيها.

وهكذا يعيش هذا العالم متحدثا عن حياته وصداقاته، حتى مع الطيور والأشجار.

● وهو أزهرى أبا عن جد منذ جده الأكبر الشيخ إبراهيم الفيومى وهذه الأسرة التى ارتبطت بالأزهر وانتشرت فى مصر والشام، أما التى فى الشام فترجع إلى أحد القواد الذى خرج مع إبراهيم باشا فى حملته على الشام فى فتح عكا.

● وقد ارتبطت أسرته بالتصوف نسبة إلى الشيخ حسنين الحصافى شيخ الطريقة الحصافية.

● وأخذ المؤلف، يتناول سيرته الذاتية، منذ النشأة كالميلاد ومراحل التعليم المختلفة بداية من كتّاب القرية وحتى أعلى المراتب العلمية.

● ثم تحدث عن مراحل التعليم من الزقازيق حتى الأزهر الشريف وكانت كل رحلة تختلف عن الأخرى من حيث التكوين والطبيعة والحياة

● ثم تحدث عن الحركات الفدائية الشابة ودور الأزهر فى الحياة الوطنية والدفاع عن الوطن.

● وأشار إلى دلالة اللغة الرمزية كنحبه لعلم النفس وعلم نفس المعاقين وعلم الأصوات ورمزيات اللغة وفلسفة الفن وعلم الجمال.

● وطرح أيضا علاقته بالشعر.

● ثم تحدث عن حياته القلقة كرحلته فى التصوف ومع الأدب والفلسفة والرمزية ومع الشيخ عبدالحليم محمود ـ رحمه الله ـ.

● ورحلته أيضا إلى باريس والسربون.

● وعرض علاقته بـ (أرنل دينز) والأدب المستشرق.

● ثم تحدث عن المشاعر القومية كالحركة الوطنية والثورة ونظام الحكم الشورى وشعار الديمقراطية.

● وأخيراً قدم الكتاب سيرة تفصيلية لحياة هذه العالم مقترنة بالوقائع والمجتمع الذى كان يعيش فيه

● فهو محمد إبراهيم الفيومى الذى ولد فى أوليلة بمحافظة الدقهلية فى ٢٧ / ١ / ١٩٣٨ ووصل فى حياته العلمية إلى التدريس بجامعة الأزهر وشغل مناصب عليا كان آخرها انتدابه أمينا عاما للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية وشارك فى عضوية الكثير من اللجان والمؤتمرات الإسلامية.

● وله نتاج علمى غزير كدراسات فى الفكر الإسلامى والفلسفى فى أكثر من عشرين مؤلفا.

● وفى الشخصيات أكثر من خمسة عشر مؤلفا

● وفى البحوث والدراسات أكثر من خمسة عشر بحثاً وموضوعاً وحصل على الكثير من الشهادات والميداليات من الجمعية الثقافية للعلوم والفنون والآداب.

● كتب كثيراً فى الصحف والمجلات العربية والإسلامية وله الكثير من الإبداعات المملوءة بالعطاء الثقافى الإسلامى.

● هذا الكتاب قد طرح الكثير لحياة هذا العالم الكبير الدكتور الفيومى.

الخصخصة آفاقها وأبعادها

تأليف الدكتور / محمد رياض الابرش

والدكتور / نبيل مرزوق

الناشر / دار الفكر بسورية



● عزيزى القارىء هذه هى المرة الأولى التى تطرح من خلالها موضوعا اقتصاديا هاما مطروحا بشكل موسع على الساحة العالمية والمحلية؛ لأنه يحاول أن ينمى ويدعم الاقتصاد، وهذا موضوع جديد فى أسلوبه الذى يتيح لكل باحث فرصة كافية كى يناقش الآخر بهدوء وموضوعية وكسر الحواجز بين التيارات الفكرية.

● ولقد عانت تجارب التنمية العربية جميعها من عدة عوامل، جعلت اقتصاديات الدول العربية عاجزة أمام التحولات غير المواتية من الاقتصاد العالمي، وأصبح مطلوبا إعادة تقويم المسيرة السابقة والقيام بإصلاحات شاملة للخروج من الأزمة والانطلاق في تنمية اقتصادية اجتماعية شاملة.

● هل الخصخصة هي الحل لكي تحقق الازدهار الاقتصادي والاجتماعي

● وما هي الخصخصة اصلا؟ وما المكاسب التي يمكن ان تحققها؟ وما العواقب التي يمكن ان يتركها تطبيقها.

● كيف ينظر المفكرون الاقتصاديون والاجتماعيون للخصخصة؟

هذه بعض التساؤلات وهناك الكثير غيرها يطرحها هذا الموضوع الكبير.

● في هذا الكتاب: يحاول المؤلفان- وهما من الخبراء الاقتصاديين في هذا الموضوع- ان يبرزا بأسلوب علمي وموضوعي- قبل نظيره- الزوايا المتعددة للخصخصة

● طرح المؤلف موقف الاقتصاديين العرب وأيضا مأساة الفكر الاقتصادي العربي ثم إمكانات القطاع الخاص

● والاقتصاديون مختلفون على كل شيء بما في ذلك التعاريف الأساسية للمتغيرات الاقتصادية وهذا ينطبق على التخصيص -ايضا- فالتخصيص يعني لبعضهم مجرد إعادة ملكية القطاع العام إلى الافراد حينما يغني عن طريق البيع

● وطرح المؤلف سؤالا: لماذا العودة إلى القطاع الخاص وذكرمنها عدة أسباب سياسية، وإدارية واقتصادية، وضرورة الاستثمار، والتنمية، وضغوط المنظمات الدولية.

● ثم تحدث عن الخصخصة في البلاد العربية.

● واشار الدكتور نبيل مرزوق إلى الخصخصة وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، وتحدث عن الاستراتيجية والتخطيط، ثم الفساد البيروقراطي، وغياب المشاركة الديمقراطية.

● ثم وضح النظرية الاقتصادية السائدة.

● ثم تناول الكتاب التعقيبات على ضرورة الاستمرار في الاعتماد على الملكية العامة.

● ثم تعقيب على مقالة د. محمد رياض الابرش، حول مفهوم الاشتراكية وتجربه الدول الاشتراكية والقطاع الخاص وإمكاناته في ظروف الدول النامية، وحول مفهوم تمويل الاغنياء للفقراء، ثم التحولات في النظام الرأسمالي والعودة للقطاع الخاص ومفهوم التنمية وشروطها في الظروف الحالية من التطور الرأسمالي.

● وهكذا عزيزي القارىء: طرح هذان المؤلفان رؤيتهما من واقع خبرتهما في الاقتصاد من حيث الحياة العلمية والمنهجية وايضا من الناحية العالمية والحلية ووجهات النظر والتطور الاقتصادي المقترح لمفهوم الخصخصة وتطبيقها.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعي خفاجة

اللغــــة العربيــــة

لقد اختار الله -سبحانه وتعالى- اللغة العربية واختصها بشرف حمل الرسالة الخاتمة، رسالة الإسلام الخالدة الباقية إلى قيام الساعة بحفظ الله تعالى لها.

فمع أول آية نزلت من القرآن الكريم كان الاهتمام بأمر تعلم القراءة والكتابة.

وهي قوله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

العلق/ ١:٥

وتعلم اللغة العربية هو الطريق لفهم الدين الصحيح إذ كيف يصح إسلامنا، ونحن لا نفهم قرآننا؟

وإن الطريق لفهم القرآن وصحيح الدين هو فهم اللغة العربية بشكل عميق ودقيق.

وقد أدرك أعداء الدين هذا المعنى، فحاربوا اللغة العربية بشتى الطرق؛ لإبعاد أهلها عن المصدر الأول للتشريع الإسلامي وهو القرآن، ولكن أنى لهم ذلك وقد تعهد الله بحفظ قرآنه حيث يقول الله -تعالى-:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

الحجر/ ٩

ومما يسعدنا أن نتلقى رسائل من القراء تهتم بأمر اللغة العربية من هذه الرسائل رسالة القارئ/ محمد عبدالسلام عبدالحميد -الناصرية- أبشواي- الفيوم يقول فيها:

يسعدني أن أشارك في إثراء هذا الباب «بين المجلة والقارئ».

ففي عدد المجلة لشهر جمادى الأولى ١٤٢١هـ- أغسطس ٢٠٠٠ جاء تحت عنوان «من أقوال العرب» للقارئ محمد أحمد بدير سرحان بعض الثنائيات من لغتنا الجميلة. وأود أن أشير إلى بعض ما لم يرد في هذه القطعة الجميلة للقارئ العزيز.

* العشاءان: المغرب والعشاء

- الرافدان: دجلة والفرات
- المروتان: الصفا والمروة
- الأنفسان: الماس والياقوت
- الضعيفان: المرأة واليتيم
- القريتان: مكة والطائف
- العمران: أبوبكر وعمر
- الحيرتان: الحيرة والكوفة
- الدمان: الكبد والطحال
- الميتتان: السمك والجراد
- البردان: برد العافية، وبرد الغنى
- المعوذتان: سورتا الفلق والناس
- الزهراوان: البقرة وآل عمران
- المقشقشتان: الكافرون، الإخلاص.

التشريع الإسلامى فى مواجهة الفكر الغربى

ورد من القارىء/ عمر بن إدريس الرماش - ش. محمد الخامس- المغرب- هذه الكلمة التى ورد بها قوله:

أصبح الفكر الغربى اليوم يغزو بلاد العرب والمسلمين عن طريق فرض سيطرته من أجل احتواء التشريع الإسلامى وتدميره وإثارة الشبهات حول حقائقه.

إن الفكر الغربى يتمثل فى العلوم الاجتماعية والإنسانية ويدور حول النفس والاجتماع والأخلاق والتربية ويقوم على الفلسفة المادية والعلمانية والمصادر الوثنية للفكر اليونانى والتراث الغربى الذى يعتمد على الأساطير والخرافات.

الفكر الغربى ومحاولة احتواء الإسلام

لقد عمل الفكر الغربى خلال القرنين الماضيين على محاولة احتواء الإسلام وفكره و عقيدته ومحاصرته على مراحل تاريخية متعددة:

● **المرحلة الأولى**: تتمثل فى محاولة تكوين أجيال من المتغربين ليكونوا خلفاء للاستعمار عند انسحابه العسكرى من البلاد العربية والإسلامية التى احتلها، وبخاصة الاستعمار الفرنسى والبريطانى الذى سلم قيادة الحكم للجيل المتغرب الذى كوّنه ليخلفه، وبخاصة فى المجالات الثقافية والصحافية والقانونية.

● **المرحلة الثانية**: وتتمثل فى الجيل الذى صنع فى الغرب عن طريق بعض أفراد البعثات الدراسية فى مجالات مختلفة، ويمكن تمثيل هذه المرحلة بعبارة طه حسين الشهيرة: «إن علينا أن نأخذ الحضارة الأوروبية خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحمد منها وما يُعاب»، وقد خدع هذا الجيل المتغرب العرب والمسلمين حين ادعى أنه ناصح لهم بأن يأخذوا طريق الغرب وفكره لأنه يمكنهم من التخلص من نفوذ الغرب، وانكشف زيف هذا الفكر بعد سقوط فلسطين والقدس بيد اليهود.

● **المرحلة الثالثة**: وهى دعوة الجيل الذى نادى بالجمع بين الإسلام والفكر الغربى، أى المزاوجة بين الروحية الإسلامية والمادية الغربية، كما تحدث البعض عن تراث إسلامى ومعاصرة غربية، ودعا البعض إلى تنقية التراث ودعا آخرون إلى أن تأخذ من التراث ما يتفق مع العصر، وتحدث الآخرون عن القرآن والسنة بوصفهما من

التراث وطالب بأن نحاكمهما كما حاكم الغرب تراثه الديني والوثني، وكانت هذه الدعوات بمثابة عمليات تضليل وتمويه لخداع الشباب وإبعاده عن عقيدته وقرآنه وسنة نبيه.

● المرحلة الرابعة: وهي مرحلة فكر الاستغراب أو دعوة التغريب وتتمثل في التخلص من التراث الإسلامي والفكر الغربي، وهذه محاولة ماكرة لوضع التراث الإسلامي في صف الفكر الغربي المادي الوثني الذي تبين فساده واضطرابه واستسلامه للأهواء والإباحيات والزيف، بينما التراث الإسلامي لا زال حيا ويستمد وجوده وأصالته من القرآن والسنة والحق والعقل والفطرة.

حقيقة الفكر الغربي

إن الفكر الغربي محدود وناقص ويشوه الفكر الإنساني ويزيفه لأنه لا يشمل كل المقومات الإنسانية الفطرية، كالعقل والعاطفة والوجدان والمادة الروح، كما أن الفكر الغربي هو بمثابة ردود أفعال لواقع مضطرب وليس بحقائق علمية أساسية صالحة لكل زمان ومكان وإنما في الغالب وجهات نظر وتجارب بشرية تخطىء وتصيب وأسوأ ما فيه أنه يمثل جانباً واحداً من النفس الإنسانية، فهو لا يعترف بالروح ولا الوحي ولا الغيب.

لقد أكدت الدراسات والأبحاث أن الفكر الغربي المعاصر نشأ في ظروف خاصة ولم يكن فكرا عالميا بل هو فكر مرتبط بالبيئة والعصر الذي نشأ فيه وليس فكرا إنسانيا صالحا لكل الأمم والشعوب، إن الفكر الغربي مستمد من مصادر الوثنية والأساطير اليونانية والرومانية والفكر اليهودي والمسيحي.

إن دعوة الاستغراب أو التغريب دعوة باطلة وزائفة لأنها تتضمن أخطاء ونواقص كثيرة، كما أنها دعوة موقوتة لا تصلح لعصور غير عصرها أو بيئات غير بيئتها.

التشريع الإسلامي هو الحقيقة

إن التشريع الإسلامي أوسع نطاقا من الفكر الغربي، لأنه تشريع شامل يضم المادة والروح والدنيا والآخرة، كما أنه يستمد أصالته وحيويته وصموده من القرآن الكريم والسنة النبوية وهما المصدران الخالدان على مدى العصور والأزمان والأمكنة، ثم إن الفكر الإسلامي المستمد من شرع الله، قدم اجتهادات في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والتربوية والفقهية... فلا غرابة إذن أن يبرز الفكر الإسلامي تفوقه الكبير على الفكر الغربي المادي والعلماني والخرافي.

الجــــار

ومن القارىء / نجاح عبد القادر سرور كفر بولين - كوم حمادة - البحيرة- وردت هذه الرسالة التي تكلم فيها عن حقوق الجار- يقول فيها:

الجار قريبٌ.. وإنْ بَعُدَ الأقربون.. هو أول مَنْ ينجدك.. وطليعة مَنْ يغيثك.. إذا نزل بك فرحٌ.. كان أول المهنئين.. وإذا كان بك ترحٌ.. كان أول المواسين..

إذا تأوهت سمع آهتك.. وإذا اشتكيْتَ سمع شكايتك.. صلته دائمة.. حتى وإن قطعك.. وحبّه واجبٌ.. حتى وإن مقتك..

يقول الله تعالى:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء ٣٦].

وفي صحيح مسلم يقول رسول الله -ﷺ-: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه».

فاحرص على هداية جارك بالحسنى، فقد روى البخاري عن أنس أن النبي -ﷺ- عاد[1] يهوديا، وعرض عليه الإسلام، فأسلم.. فخرج وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه بي من النار».

واحرص على الكرم معهم.. فقد روى أحمد عن أبي ذر أنه كان -رغم حياته الخشنة- يكثر من المرق إذا طبخ كي يعطي جيرانه، وكان يقول: إن خليلي -ﷺ- أوصاني «إذا طبخت مرقاً فأكثرْ ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف».

واحرص على التصدق عليهم وأداء حقوقهم.. فقد روى البزار أن رسول الله -ﷺ- قال: «الجيران ثلاثة، جار له حق واحد، وهو أدنى الجيران حقاً.. وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق، وهو أفضل الجيران حقا.. فأما الجار الذي له حق واحد فجارٌ مشرك لا رحم له، له حق الجوار، وأما الجار الذي له حقان فجارٌ مسلم، له حق الإسلام وحق الجوار. وأما الذي له ثلاثة حقوق فجارٌ مسلمٌ ذو رحم، له حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم».

.. واحرص على أن تقدم له الخيرَ دائما، فقد روى أحمد قول رسول الله -ﷺ-: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».. وروى أحمد -أيضاً- أن رجلاً قال: يا رسول الله إن فلانة تُذكر من كثرة صلاتها وصدقتها وصيامها، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها قال: «هي في النار». قال: يا رسول الله فإن فلانة، تُذكر من قلة صيامها وصلاتها وأنها تتصدق بالأثوار من الأقط[2] ولا تؤذي جيرانها. قال: «هي في الجنة».. فكن مؤمناً بالبُعد عن أذى الجار.. لأنه من ابتعد عن إيذاء جاره مشهود له بالإيمان.. يقول -صلى الله عليه وسلم- في الحديث المتفق عليه.. مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره -وفي رواية- فليحسن إلى جاره» وروى البخاري قوله -ﷺ- «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» قيل يا رسول الله: لقد خاب وخسر. مَنْ هذا؟.. قال: «من لا يأمن جاره بوائقه» قالوا وما بوائقه؟ قال: «شرّه». وفي رواية: غشمه وظلمه. فاستوصوا بالجيران خيرا واعلموا أن أربعين جاراً جار.. والله من وراء القصد. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) عاد: زار.

(٢) الأثوار من الأقط: القطع من الجبن.

من فوائد الصدقة

وعن فوائد الصدقة وردت رسالة القارىء/ محمد عباس محمد غرابى يقول فيها:

لكل عبادة في الإسلام نافلة سنها الإسلام لمن يريد أن يتقرب إلى الله بالنوافل لينال رضاه، فالتوحيد وقول لا إله إلا الله نافلتها الذكر بأنواعه، والصلوات المفروضة، نافلتها الصلاة قبلها وبعدها، وكذا فإن للصوم نافلته وللحج نافلته وهى العمرة وللزكاة نافلتها وهى الصدقة وقد حث القرآن والسنة النبوية عليها في كثير من المواطن قال تعالى:

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم ﴾ [المنافقون/ آية ١٠]

وقال:

﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

[آل عمران/ آية ٩٢]

وقد أعد الله ثواباً عظيماً للمنفقين قال تعالى:

﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ولا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.

[البقرة/ آية ٢٦٢]

﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ
وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾

[البقرة/ آية ٢٧٢]

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً» [رواه مسلم]

وقد قال رب العزة -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾

[سبأ/ آية ٣٩]

وللصدقة فوائد عظيمة كما أخبر الصادق المصدوق - ﷺ - في أكثر من حديث فهى مفتاح الرزق، وشفاء للمرض، ووقاية من البلاء.. فقد جاء في الحديث أن رسول الله - ﷺ - قال: «إن الصدقة تسد سبعين باباً من السوء» [رواه الطبراني].

وقال: «إن صدقة المسلم تزيد في العمر، وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفخر».

[رواه الطبراني]

وقال: «إن الصدقة لتطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء». [رواه الترمذي]

المعاجم العربية

القارىء/ محمد أحمد بدير سرحان
دارس بأكاديمية الخط العربي - المحلة الكبرى -

وصلتنا رسالتك التي تضم معلومات عن الخط العربي، ونأمل أن تصلنا هذه المعلومات بتفصيل يسير مع أنموذج لكل خط حتى يكون القارىء على بينة، مما تقدم، على ألا تزيد مساحة الأنموذج عن ٧سم × ١سم أو ٢سم أو ٣سم على أكثر تقدير.

نقدم للقراء كلمتك عن المعاجم العربية.

أسماء المعاجم العربية وأصحابها:

١- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدى (١٠٠ - ١٧٥هـ).

٢- الجمهرة: ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ).

٣- التهذيب: الأزهرى (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ).

٤- الصحاح: الجوهرى (٣٣٢ - ٣٩٨ هـ).

٥- أساس البلاغة: الزمخشرى (٤٦٧ - ٥٣٨ هـ).

٦- لسان العرب: ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١ هـ).

٧- المصباح المنير: الفيومى (توفى عام ٧٧٢ هـ).

٨- القاموس المحيط: الفيروز أبادى (٧٢٩ - ٨١٦ هـ).

٩- مختار الصحاح: الرازى (فرغ من تلخيصه عام ٦٦٠ هـ).

١٠- المنجد: الأب لويس معلوف اليسوعى (١٨٦٧ - ١٩٤٦م).

١١- المعجم الكبير: أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٦م

١٢- المعجم الوسيط: أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦٠م.

تصحيح

فى عدد شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ وفى صفحة (٥٢٩) وقع خطأ مطبعى فى الآيتين القرآنيتين:

﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾

رجاء التصحيح، والآيتان من سورة الشورى ١٥، ١٦.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمبنى مشيخة الأزهر الشريف بالدراسة سماحة الشيخ حاج/ عبدالعزيز بن جنيد مفتى دولة بروناى دار السلام والوفد المرافق له، وذلك فى ٢٨ من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ٣ / ٧ / ٢٠٠٠م.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه شارحا الدور الأساسى للتعليم الأزهرى، والذى يتمثل أولاً فى حفظ القرآن الكريم فى مراحل التعليم المختلفة، والدراسة تقوم فى الأزهر على الاعتدال وعلى إبراز محاسن الإسلام، وعلى التعمق فى معرفة أساليب اللغة العربية، والعلوم الشرعية.. الدراسة فيها تعتمد على فقه المذاهب المختلفة التى تؤخذ من كتاب الله -عز وجل- ومن سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، والدراسة اللغوية تعتمد على كتب التراث، وأيضا يدرس فى الأزهر العلوم التى تتناسب مع تطور العصر.

وأوضح فضيلته أننا لا نستطيع أن نعيش بمعزل عن العالم، والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى إيفاد البعثات العلمية والعلماء لجميع الدول الإسلامية لتعليم أبناء المسلمين أمور الدين وتوضيح المفاهيم الإسلامية، وإبراز سماحة الإسلام، وأيضاً يستقبل الأزهر الشريف أبناء المسلمين من شتى بقاع الأرض لتعليمهم فى الأزهر الشريف على منح دراسية.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء والحفاوة التى قوبل بها والوفد المرافق، وعلى حسن العرض للمعلومات التى شرحها فضيلته، وأبلغ تحيات جلالة سلطان بروناى وحكومته وشعبه لفضيلة الإمام الأكبر، ولشعب مصر العظيم وحكومته الرشيدة برياسة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك مشيداً بدور مصر وأزهرها العتيق وعلمائه الأجلاء للمجهودات العظيمة والمساعدات التى تقدم، فى مجال الدراسات الإسلامية، وبعثات الأزهر التى تصفها بالنعم التى

يرسلها الأزهر، وأشاد بأبناء بروناى الذين يحتلون المناصب العليا فى بلاده حيث تخرجوا من الأزهر الشريف، وأن ثمرة التعليم فى الأزهر الشريف وجامعته العريقة كانت سبباً فى تكوين شخصية أبناء بروناى، وقد بلغ عدد خريجى الأزهر نحو ثلاثة آلاف خريج من دولة بروناى، وقال فضيلة المفتى: إنه حظى بشرف التخرج فى الأزهر الشريف، وأوضح أن دار الإفتاء فى بروناى تم تأسيسها وتنظيم العمل بها بأمر من جلالة سلطان بروناى شخصيا، وتهدف إلى إصدار الفتاوى والإرشاد من أجل إقامة أحكام الله -تعالى- وحدوده، وأن تكون مركزا متكاملا لمصادر ومراجع العلوم الإسلامية، وأيضا لجمعها ونشرها وتوزيعها على المسلمين ببروناى، ويتم ذلك من خلال المجمع الكبير المقام بدار الإفتاء، والمبنى الخاص بالمكتبة المتكاملة التى تحتوى على الكتب الإسلامية، وتقدر بأكثر من مليون نسخة، وذلك من أجل تربية العلماء، وتأهيلهم للمستقبل لضمان استمرار المؤسسة الإفتائية، وتقديم التسهيلات لمواصلة الدراسة فى الماجستير والدكتوراه، وحتى يؤدى العاملون عملهم فى الداخل والخارج ولضمان سير هذا العمل فنحن فى حاجة إلى دعم ومساندة الأزهر الشريف وتعاونه فى إرسال الخبرات لتدريب الموظفين حتى يتسنى لنا الاشتراك فى المعرض الإسلامى الدولى الذى سيقام فى أغسطس ٢٠٠١م

ورحب فضيلة الإمام الأكبر بتقديم كل عون ومساعدة ممكنة لدولة بروناى وتلبية كل طلباتهم وقدم فضيلته للضيف ومرافقيه كتبا إسلامية قيّمة والتفسير الوسيط للقرآن الكريم، وكتب الفقه الميسر وكتب الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والإنجليزية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام، وبعد انتهاء الزيارة قام الوفد بزيارة مكتبة الأزهر الشريف للاطلاع على ما فيها من كتب قيّمة واستقبلهم فضيلة الشيخ أحمد خليفة رئيس الإدارة المركزية لمكتبة الأزهر الشريف.

●●●

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير/ عزت سعد الدين سفير جمهورية مصر العربية الجديد لجمهورية أندونيسيا وذلك فى ١٥ من شهر جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٥/٨/٢٠٠٠م بمناسبة توليه منصبه الجديد، رحب فضيلة الإمام الأكبر بالسيد السفير شارحاً له الدور الأساسى الذى يقوم به الأزهر الشريف لدى دول العالم الإسلامى ولخدمة أبناء المسلمين فى شتى أنحاء العالم موضحاً بأنه يوجد فى مدينتى البعوث الإسلامية فى القاهرة والإسكندرية أبناء أربعة وتسعين دولة يدرسون فى الأزهر الشريف فى معاهده وجامعته العريقة، وأيضاً العلماء الذين يذهبون إلى دول العالم المختلفة لتعليم أبناء المسلمين فى بلادهم فى أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا فى المراكز الإسلامية، كما يوجد لدولة أندونيسيا عدد كبير من الطلاب فى الأزهر الشريف، كما توجد بعثة من العلماء فى أندونيسيا.

وقد أمد فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير بالمعلومات والتوجيهات التي تساعده في أداء مهمته، وأوضح فضيلته أن الأزهر الشريف على أتم استعداد لتقديم العون والمساعدة ولا يدخر وسعاً في خدمة المسلمين في كل مكان من أرض الله الواسعة.

شكر السيد السفير فضيلة الإمام الأكبر على حُسن اللقاء والحفاوة، وأشار إلى أنه سعد كثيرا واستفاد من هذا اللقاء الطيب وأنه سيكون على اتصال دائم بالأزهر الشريف وقياداته وعلمائه، كما استقبله فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف في مكتبه، وأوضح أنه والأزهر الشريف على استعداد لتلبية كل ما يطلبه السيد السفير وأمر بتسليمه مكاتبات بأعداد العلماء المبعوثين إلى أندونيسيا وأعداد الطلاب الذين يدرسون بالأزهر وإمداده بالمطبوعات التي تطبع في الأزهر الشريف، وأشار إلى أن أعدادا ضخمة من الطلاب يدرسون في الأزهر في مراحل التعليم المختلفة، ومنهم الحاصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة الأزهر، ومنهم السيد سفير أندونيسيا في مصر ورئيس أندونيسيا نفسه حاصل على الدراسة والدكتوراه من جامعة الأزهر الشريف.

حضر اللقاء رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يشهد حفل تكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادة الثانوية الأزهرية

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تكريم الطلاب والطالبات أوائل الشهادة الثانوية الأزهرية بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف وذلك في ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ١٣ / ٨ / ٢٠٠٠م لعدد ٣٣ طالبا وطالبة.

فقد تم تكريم ١١ طالبا وطالبة من القسم الأدبي مصريين، وعدد خمسة من القسم الأدبي من غير المصريين، وعدد ١١ طالبا وطالبة من القسم العلمي شعبة علوم، وعدد ستة من شعبة الرياضيات.

بدأ الحفل بتلاوة القرآن الكريم ثم تحدث فضيلة شيخ الأزهر الشريف فهنأ الطلبة والطالبات بنجاحهم وتفوقهم ونبوغهم وأوضح أن الدولة والأزهر الشريف يسعدا كثيرا بتفوق الطلبة والطالبات بل وتحثهم على مداومة التفوق ومن أجل ذلك فإن الدولة توفر العمل لخمسة عشر طالبا وطالبة من أوائل كل كلية إلى جانب أن الأمم تتباهى بأبنائها المتفوقين، وأوصى الطلبة والطالبات بالمحافظة على حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، وعلى التعمق في العلوم الشرعية واللغوية وفي العلوم الأخرى التي تواكب العصر والمستقبل للمتفوقين وسنة الله -عز وجل- أنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، ودعا لهم بدوام السداد والاستقامة والتوفيق والمداومة على ما كلفنا الله -تعالى- به من أداء للواجبات بإخلاص وخشوع وأداء فروض الله كاملة غير منقوصة.

وقام فضيلته بتوزيع المصحف المفسر طبعة الأزهر الشريف وشهادات التقدير والجوائز المالية على الفائزين وهي مقدمة من المجلس الأعلى للآباء والمعلمين والإدارة العامة للامتحانات ومن شئون القرآن الكريم، وبلغت قيمتها ثمانية وعشرون ألف جنيه.

شهد الحفل: فضيلة وكيل الأزهر الشريف، ورئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وقيادات المعاهد الأزهرية، ورعاية الشباب بالأزهر الشريف، وأولياء أمور الطلبة، والطالبات، والصحافة، والإعلام.

أسماء الطلبة المكرمين كالآتى:

أسماء الطلبة العشرة الأوائل

من القسم الأدبى مبصر مقيد الدور الأول

الترتيب	الاسم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئوية	المعهد	المنطقة
الأول	شيماء سيد عبدالرحمن محمد	٢٨٨٥١	٥٥٩	٪٩٤,٧	بنى عدى	أسيوط
الأول مكرر	محمد عبد الوهاب إبراهيم الراسخ	٢٦٣٠	٥٥٩	٪٩٤,٧	محلة منوف	الغربية
الثالث	مصطفى محمد عبد الرحمن الفقى	٣٠٩٤	٥٥٦	٪٩٤,٢	الإمام الشافعى النموذجى	الغربية
الثالث مكرر	نعماء عبدالمنعم ابو العطا عطية	٢٤٢٢٤	٥٥٦	٪٩٤,٢	ف. المنصورة	الدقهلية
الخامس	غادة عبد السلام الإمام الذكراوى	٢٤١٨٨	٥٥٤	٪٩٣,٩	ف. المنصورة	الدقهلية
السادس	فاطمة أحمد عبدالحليم وهبة	٢٠٥٧٦	٥٥٢	٪٩٣,٦	ف. مدينة نصر	القاهرة
السابع	عاطف محمد على محمد الفاضلى	٣٤٤٢	٥٥١	٪٩٣,٤	سنهور المدينة	كفر الشيخ
الثامن	صفاء أبو زيد ضيف الله الخولى	٢٣٢٠٦	٥٤٩	٪٩٣,١	ف. طوخ مزيد	الغربية
التاسع	تهانى إبراهيم سعيد حسين	٢٧٤٤٠	٥٤٦	٪٩٢,٥	ف. نصر الله	البحيرة
التاسع مكرر	رضا جلال السيد البرعى	٤٨٤٣	٥٤٦	٪٩٢,٥	أويش الحجر	الدقهلية
التاسع مكرر	محمد حمدى محمد محمد	٦٣٥٤	٥٤٦	٪٩٢,٥	شنبارة الميمونة	الشرقية

الإحصاء

على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة

محمد صبرى عبدالعليم البديوى

أسماء الطلاب الخمسة الأوائل

من القسم الأدبي مكفوفين

الدور الأول

الترتيب	الاسم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئوية	المعهد	المنطقة
الأول	وليد السيد شعبان زعير	٤٠١٠١	٥٥٢	٩٣,٦٪	المحمودية	البحيرة
الثاني	أسماء صابر أحمد محمد	٤٣٠٣٦	٥٢٠	٨٨,١٪	ف. منفلوط	أسيوط
الثالث	إبراهيم شحاته أحمد محمد منصور	٤٠٠٩٢	٥١٢	٨٦,٧٪	مباشر	الشرقية
الرابع	محمود محمد محمود محمد حسان	٤٠١٠٦	٥٠٦	٨٥,٨٪	أبو العيون بمياس	الاسكندرية
الخامس	رباب محمد عبدالحكيم محمد الحشاش	٤٣٠١١	٤٩٤	٨٣,٧٪	ف. كفر حمام	الغربية

الإحصاء
على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة
محمد صبرى عبدالعليم البديوى

أسماء الطلبة العشرة الأوائل

أسماء الطلبة العشرة الأوائل

من القسم العلمى شعبة علوم الدور الأول

الترتيب	الاسم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئوية	المعهد	المنطقة
الأول	هند محمد صفوت أحمد محمد	٦٣٤٨٥	٦٤٣	٩٨,٩٪	ف. بلبيس	الشرقية
الثانى	محمد عطية عبدالفتاح عمر	٥٤٤٩٣	٦٤٢	٩٨,٨٪	بهنباى	الشرقية
الثالث	محمد فتحى عبد السلام محمد	٥٤١١٤	٦٣٩	٩٨,٣٪	الزقازيق	الشرقية
الرابع	محمد فتحى السعيد الأبيارى	٥٢٢١٧	٦٣٨	٩٨,٢٪	محمد رجب بسجين	الغربية
الخامس	أسامة سميح حسانين عبد الرحمن	٥٥٢٨٥	٦٣٦	٩٧,٨٪	دمنهور	البحيرة
الخامس مكرر	أمنية احمد محمد جودة النجار	٦٤٢٤٧	٦٣٦	٩٧,٨٪	ف. سيدى بشر	الإسكندرية
الخامس مكرر	حسام مصطفى محمد عبدالحافظ	٥٢٦٦٧	٦٣٦	٩٧,٨٪	سيدى سالم	كفر الشيخ
الخامس مكرر	سكينة أحمد عبدالسلام محمد يوسف	٦٢٩١٠	٦٣٦	٩٧,٨٪	دكرنس	الدقهلية
التاسع	أحمد على على عاصم	٥٢٥٨٨	٦٣٥	٩٧,٧٪	بيلا	كفر الشيخ
التاسع مكرر	أسماء رشاد على السيد ابو العلا	٦٢٠٠١	٦٣٥	٩٧,٧٪	ف. الشيخ سالم الفقى	الغربية
التاسع مكرر	إيمان السيد محمد السيد عطية	٦٣٥٢٢	٦٣٥	٩٧,٧٪	ف. ههيا	الشرقية

الإحصاء
على خاطر على

رئيس لجنة النظام والمراقبة
محمد صبرى عبدالعليم البديوى

أسماء الطلاب الخمسة الأوائل

من القسم العلمي شعبة رياضيات

الدور الأول

الترتيب	الاسم	رقم الجلوس	المجموع	النسبة المئوية	المعهد	المنطقة
الأول	نور الدين صابر عبده مرعي	٨١٠٢٨	٦٦١	٩٧,٢٪	الاسماعيلية	الإسماعيلية
الثاني	عبدالله ممدوح محمد زكي الدمرداش	٨٠٢٧٧	٦٥٤	٩٦,٢٪	د. طلعت النموذجي	القاهرة
الثالث	شريف محمد الشحات فتوح دومو	٨٠٧٢٢	٦٥٢	٩٥,٩٪	السنطة	الغربية
الرابع	أحمد رجائي سيد أحمد القطاني	٨٠٦٦٩	٦٤٨	٩٥,٣٪	المحلة الكبرى	الغربية
الخامس	صلاح الدين كمال السيد عبدالحميد	٨٠٤١٥	٦٤٧	٩٥,١٪	المعادى	القاهرة
الخامس مكرر	أحمد إبراهيم أبو المكارم سلام	٨٠٦١٤	٦٤٧	٩٥,١٪	طنطا الأحمدى	الغربية

الإحصاء

علي خاطر علي

رئيس لجنة النظام والمراقبة

محمد صبري عبدالعليم البديوي

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يقوم بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم

قام فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- بتوزيع الجوائز على حفظة القرآن الكريم من طلاب وطالبات المعاهد الأزهرية ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وطلاب جامعة الأزهر الشريف ومعهد البعوث الإسلامية على مستوى الجمهورية، وذلك بقاعة الاحتفالات الكبرى بقطاع المعاهد الأزهرية وذلك فى يوم ١٧ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ١٩/٧/٢٠٠٠م.

وقد ألقى فضيلته كلمة هنأ فيها الطلبة والطالبات على تفوقهم فى حفظ القرآن الكريم الذى هو دستور الإسلام الخالد، والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأهل القرآن هم أهل الله وخاصته من تمسك به هُدىَ إلى الطريق المستقيم، وحث الطلبة والطالبات على مداومة الحفظ والتمكن منه والتمسك بمبادئه السامية، والأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى تقدير حفظة القرآن الكريم، والجوائز التى رصدت فى العام الماضى كانت خمسة ملايين من الجنيهات، وفى هذا العام سيتم توزيع ستة ملايين ونصف، وفى العام القادم إن شاء الله ستكون - فى ازدياد ونمو، كما حيا فضيلته القائمين على الحفل على ما بذلوه من جهد لحفظة القرآن الكريم وتكريمهم نظير ما قدموه خدمة للقرآن الكريم، ودعا الحضور إلى التمسك بمبادىء القرآن الكريم وتشريعاته السمحة، لأن القرآن الكريم حياة للنفوس والأمم، وصيانة من الانحراف والزيغ وعصمة للشباب من الزلل والتطرف والانحلال، كما دعا للجميع أن يكونوا فى الدنيا من أهل القرآن وفى الآخرة من أهل الرضوان.

ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز على الفائزين فى حفظ القرآن الكريم وبلغت قيمة الجوائز ٦,٣٤٨,٢٥٠ جنيه وزعت كالتالى:

عدد ٤٠١٤ طالبا وطالبة، وعدد ٤٦٣ محفظا ممن قاموا بتحفيظ القرآن الكريم لمن يحفظون بالكتاتيب المنتشرة فى أنحاء الجمهورية، وبلغت جوائز المحفظين ٦٦٦١٠٠ جنيه يحصل المحفظ على ألف جنيه عن كل طالب حافظ للقرآن الكريم وبالنسبة للطلبة قسمت إلى المستويات التالية:

المستوى الأول: يضم الحاصلين على ٩٥٪ وحتى ١٠٠٪ فى حفظ القرآن الكريم وعددهم ١٣٠٢ طالب وطالبة من حفظ ٣٠ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٩٥٠ جنيها وعددهم ٧٩٢ فائزا.

ومن حفظ ٢٥ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٥٠٠ جنيه وعددهم ١٦٠ فائزا.

ومن حفظ ١٨ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٢٥٠ جنيها وعددهم ٣٤٩ فائزا.

ومن حفظ ١٥ جزءاً حصل الفائز على مبلغ ١٠٠٠ جنيه وعددهم طالب واحد.

وبلغ إجمالى هذا المستوى ٢٢٢١٦٥٠ جنيها.

المستوى الثانى: يضم الحاصلين على ٩٠٪ وحتى ٩٤٪ وعددهم ٧١٢ طالبا وطالبة.

من حفظ ٣٠ جزءا حصل الفائز على ١٥٠٠ جنيه وعددهم ١٢٩٥ فائزا.

من حفظ ٢٥ جزءا حصل الفائز على ١٢٥٠ جنيها وعددهم ٤٠٥ فائزا.

من حفظ ١٨ جزءا حصل الفائز على ١٠٠٠ جنيه وعددهم متسابق واحد.

من حفظ ١٥ جزءا حصل الفائز على ٧٥٠ جنيها وعددهم متسابق واحد.

بلغ إجمالي هذا المستوى ٣٤٦٠٥٠٠ جنيه.

حضر الحفل فضيلة الدكتور حمدى زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر، وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتي الجمهورية، والمهندس / إسماعيل عثمان رئيس مجلس إدارة المقاولون العرب، وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد، وبعض سفراء الدول العربية والإسلامية، والسادة نواب رئيس جامعة الأزهر، وعمداء الكليات، وأساتذة الجامعة، وعلماء الأزهر، والمسئولون عن العملية التعليمية، ورعاية الشباب، ورجال الصحافة والإعلام وأولياء أمور الطلبة والطالبات.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يشهد حفل تخريج الدورة ٤٩ لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي

● شهد فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- حفل تخريج الدورة ٤٩ لتدريب الأئمة والدعاة الوافدين من العالم الإسلامي وذلك في ٢٣ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ- الموافق ٢٥ / ٧ / ٢٠٠٠م وعددهم ٢٧ إماما وداعية من دول: تنجيريا، وكينيا وغانا، وتوجو، بنين، السنغال، وبوركينا فاسو، بعد أن قضوا ثلاثة أشهر بمدينة البعوث الإسلامية تلقوا خلالها المحاضرات في العلوم والمعارف الإسلامية على أيدى علماء وأساتذة الأزهر الشريف وجامعته العريقة.

كما افتتح فضيلته الدورة رقم ٥٠ لأئمة ودعاة العالم الإسلامية لعدد ٣٠ إماما وداعية من دول: ساحل العاج، تشاد، الفلبين، تيجيريا، جيبوتي، النيجر.

وقد ألقى فضيلته كلمة حث العلماء فيها على التوسط والاعتدال في فتاواهم في أمور الدين مع الالتزام بكتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأن يكونوا رسلاً للأزهر الشريف في بلادهم ينقلوا ما تعلموه لأهليهم وذويهم وأبناء بلادهم وإخوانهم المسلمين، وأن يكونوا قدوة حسنة لهم يعينوهم على فهم الدين بسهولة ويسر، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة مصداقاً لقول الله -تعالى-:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾(١). وأن تكون فتاواهم بعيدة عن التعصب أو الانحياز لمذهب بعينه، وأشار فضيلته إلى أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا في إيفاد البعثات لتعليم المسلمين في شتى بقاع الأرض لنشر تعاليم الدين الإسلامي.

ثم قام فضيلته بتسليم شهادات التقدير وأهدى كل عالم مكتبة إسلامية بها الكتب القيمة التي تفيد، ولتكون مراجعا يستعين بها عند الحاجة.

---

(١) سورة النحل (١٢٥).

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يقوم بتكريم الخريجين من علماء الوعظ المرشحين من المناطق الأزهرية

● قام فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر- بتكريم الخريجين للدفعة الثانية من علماء الوعظ والمرشحين من المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية لعدد خمسة عشر إماما تلقوا المحاضرات فى مجال الدعوة وأعمال الفتى، ومعرفة قضايا العصر وحل مشاكله، ودراسة قضايا الاقتصاد الإسلامى على أيدى المتخصصين من علماء الأزهر وجامعته العريقة، وسلم فضيلته شهادات التقدير لهم من «الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية»، وشهادات التقدير من «مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى».

شهد الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، والشيخ سيد وفا أبو عجور -الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية-، والشيخ فرحات المنجى -المشرف على مدينة البعوث الإسلامية-، والشيخ عبدالخالق نصير- الأمين العام للجنة العليا-، وأصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف، ورئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام، وبعض سفراء الدول الإسلامية.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر

● برياسة فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- عقد المجلس الأعلى للأزهر الشريف جلسته وذلك فى ٩ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ الموافق ٩/٨/٢٠٠٠م لمناقشة جدول الأعمال المدرج وقد وافق المجلس على بدء الدراسة بشعبة الفيزياء الحيوية بكلية العلوم بنين وبنات بالقاهرة فى العام الجامعى ٢٠٠٠/٢٠٠١م وإضافة شعبة الوثائق والمكتبات والمعلومات إلى شعب كلية الدراسات الإنسانية للبنات بتفهنا الأشراف.

كما وافق المجلس على فصل وحدة الأشعة العلاجية عن قسم الأشعة ليصبح قسما منفصلا بكلية طب بنين الأزهر بالقاهرة، وكذلك الموافقة على تعديل خطة الدراسة للسنتين التمهيديتين لدرجة الماجستير لقسمى الأديان والمذاهب، والثقافة الإسلامية بكلية الدعوة الإسلامية، والموافقة على إدخال بعض التعديلات بالخطط الدراسية الخاصة بكليات اللغة العربية واللغات والترجمة والتجارة والطب بنين وبنات والشريعة والقانون.

كما تمت الموافقة على المعادلات للدرجات العلمية فى وظائف هيئة التدريس بكلية الهندسة وكلية الصيدلة.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة الدكتور رئيس جامعة الأزهر الشريف والسادة نواب رئيس جامعة الأزهر، وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر، وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية والسادة الأعضاء.

●●●

فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يقوم بزيارة لمحافظة الغربية

● قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وبعض قيادات الأزهر الشريف بزيارة لمحافظة الغربية بدعوة كريمة من السيد الأستاذ الدكتور / فتحى السيد محافظ الغربية وذلك فى ٢٧ من ربيع الآخر سنة ١٤٢١هـ الموافق ٢٩ / ٧ / ٢٠٠٠م لافتتاح المنشآت التعليمية الأزهرية.

حيث افتتح فضيلته معهد رمضان الابتدائى الأزهرى بشارع صدقى بمدينة طنطا، وقد أقيم المعهد على مساحة ٤٠٠٠ (أربعة آلاف متر مربع) ويضم ٢٤ فصلاً دراسياً بتكلفة بلغت مليون ونصف المليون جنيه، كما افتتح معهد محمد رجب الإعدادى الثانوى بنين بقرية برما وقد بنى على مساحة ١٢ قيراطا بتكلفة بلغت ٧٥٠ ألف جنيه ويضم ٢٣ فصلا دراسيا تبرعاً من رجل البر الحاج محمد رجب، وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر على إطلاق اسمه عليه، وكذلك كل من يبنى معهدا أزهريا يطلق اسمه عليه. تكريما وتقديرا.

كما تم افتتاح المعهد الثانى للحاج محمد رجب وأقيم على مساحة مماثلة وتكلف نفس المبلغ السابق وهو للبنات ويضم ١٨ فصلاً بقرية بقلولة وكذلك تم افتتاح المعهد الثالث للحاج محمد رجب وهو للبنين بنفس القرية وبنفس التكلفة بقرية بقلولة أيضا.

كما تفقد فضيلته معهد السنطة الإعدادى الثانوى بعد التطوير بتكلفة ٥٠٠ ألف جنيه على مساحة ٢ فدان ويضم ١٧ فصلا، كما تم افتتاح معهد دهتوره الابتدائى والاعدادى فتيات مركز زفتى بتكلفة حوالى ٧٥٠ ألف جنيه على مساحة ٦٥٠ م مربعا ويضم ٢٣ فصلا دراسيا.

وقد أوضح فضيلته أن محافظة الغربية تأتى فى مقدمة المحافظات التى تهتم بتحفيظ القرآن الكريم، مشيراً إلى أنه يوجد بالمحافظة ٥١٣ معهدا أكثر من ٩٥٪ منها مقام بالجهود الذاتية وأكد فضيلته أنه يعمل على أن تكون المعاهد الأزهرية لائقة بالتعليم الأزهرى ورسالته السامية. وقال: إن الأزهر مهتم بإحلال وتجديد المعاهد الأزهرية، وقد رصدت الدولة ٢٦ مليون جنيه لترميم هذه المعاهد، وبلغت تكاليف الترميمات فى مدينة طنطا وحدها ٢ مليون جنيه، وقد أجاب فضيلته على أسئلة الصحفيين ورجال الإعلام، وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يقف إلى جانب القضية الفلسطينية ويساندها ورأيه فى هذه القضية هو رأى مصر رئيسا وحكومة وشعبا حيث يبذل السيد الرئيس محمد حسنى مبارك جهدا كبيرا من أجل مساندة القضية الفلسطينية وإعادة الحق إلى الشعب الفلسطينى وتأكيد الشرعية الدولية، وأضاف أن القدس عربية إسلامية منذ مئات السنين وأشار إلى أن مصر بأزهرها الشريف أول من يؤيد إعلان الدولة الفلسطينية، وأجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم، وفى كلمته رحب الدكتور فتحى سعد محافظ الغربية بفضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر- وقال: إنها زيارة لها مدلولها الكبيرة خاصة أن الجانب الدينى يمثل جزءاً هاماً داخل قلوب أهالى الغربية ولمكانة فضيلة الإمام الأكبر الذى يُعد رمزاً للإسلام والمسلمين.

حضر الافتتاح الدكتور عبدالأحد جمال الدين رئيس لجنة الشئون العربية بمجلس الشعب والقيادات الشعبية والتنفيذية بالمحافظة، ورجال الصحافة والإعلام وفضيلة الشيخ محمد عامر رئيس منطقة طنطا، وقد رافق فضيلة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد والشيخ عبدالعزيز ندا وكيل قطاع المعاهد، والشيخ عمر البسطويسى رئيس الإدارة المركزية للعلاقات العامة والإعلام.

●●●

إهمال الجانب الخلقى سبب معاناة الإنسان المعاصر

● أكد فضيلة الإمام الأكبر -شيخ الأزهر الشريف- فى خطبة الجمعة بالجامع الأزهر وذلك فى ٤ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ - الموافق ٤ / ٨ / ٢٠٠٠م أن معاناة الإنسان المعاصر ترجع إلى إهمال الحضارة الحديثة للجانب الخلقى فى الحياة، فأصبحت الحضارة عرجاء لا تستطيع الاستمرار بوضعها الحالى لأنها أهملت الدين بقيمه الروحية.

وأشار إلى أن الإسلام فى منهجه لتعمير الأرض جعل القيم الروحية موازية تماما مع القيم المادية حتى تستطيع الأخلاق والآداب القويمة إصلاح ما قد تحدثه القيم المادية حتى تحفظ على الإنسان توازنه، وضرب أمثلة من القرآن الكريم كآداب الاستئذان فى الدخول إلى البيوت، وآداب الدخول على الأهل وآداب الحوار، وأدب معاملة الآباء والأمهات حتى ولو كانوا غير مؤمنين.

●●●

فضيلة وكيل الأزهر يلقى محاضرة بمعسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية

● ألقى فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف محاضرة فى معسكر أبى بكر الصديق بالإسكندرية لشباب العالم الإسلامى، وذلك فى ١٠ من جمادى الأولى سنة ١٤٢١هـ - الموافق ١٠ / ٨ / ٢٠٠٠م، حيا فيها مناسبة مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام مصر، وقال: إن مصر أمينة على هذه الرسالة التى تحملها لإبلاغها إلى المسلمين فى شتى بقاع الأرض، وأضاف أن الأزهر الشريف فى مصر هو الحصن التعليمى للإسلام لجميع الشعوب الإسلامية، وأنه يوفد كل عام أكثر من ستة آلاف داعية إلى مختلف دول العالم لنشر الإسلام وتعليمه للناس وذلك بالإضافة إلى نحو عشرين ألف طالب وطالبة من الدول الإسلامية يدرسون به بانتظام منهم أعداد ضخمة على منح دراسية قدمتها مصر لهم.

وحول سؤال عن التغير الذى حدث بالمناهج الدراسية بالأزهر الشريف، قال فضيلته: إن المناهج الدراسية فى الإعدادى والثانوى لم يحدث بها تغيير نتيجة إنقاص سنوات الدراسة من أربع إلى ثلاث سنوات، وإنما حدثت تعديلات فى مناهج الفقه والتوحيد والمنطق مع بقاء الاعتدال فى دراسة المذاهب الإسلامية بدون تعصب لمذهب أو رأى وهذه هى وسطية الإسلام.

●●●

قرارات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ٩٣٢ لسنة ٢٠٠٠

يسند إلى فضيلة الشيخ / عبدالكريم محمد عبدالرحمن عبدالهادى رئيس الادارة المركزية للشئون الفنية بمكتب شيخ الأزهر بالدرجة العالية القيام بعمل وظيفة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر بصفة مؤقتة لحين شغلها بصفة أصلية ممن تتوافر فيه شروط شغلها وفق أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ٩١ ولائحته التنفيذية

صدر فى ٧ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ الموافق ٧ أغسطس سنة ٢٠٠٠م

● صدر قرار السيد رئيس مجلس الوزراء رقم ١٠٨١ لسنة ٢٠٠٠ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بجدد التعيين في الوظائف الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة اعتبارا من ١٣ /٨/ ٢٠٠٠ لكل من السادة:

١ - الشيخ / حسن عبدالعظيم مصيلحى شحاتة مدير عام الشئون الإدارية.

٢ - الشيخ/ محمد زين العابدين محمد العزازى مدير عام مكتب وكيل الأزهر.

صدر في مجلس الوزراء فى ١٣ من ربيع الأخر ١٤٢١هـ الموافق ١٥ يوليو سنة ٢٠٠٠م.

●●●

إعتماد حركة بعثات الأزهر إلى دول العالم الإسلامى

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حركة بعثات الأزهر إلى دول العالم الإسلامى، وقد شملت الحركة إعارة ٤٣٦ مدرسا فى مختلف العلوم الشرعية والعربية والعلمية بالإضافة إلى ١٣ واعظا إلى دولة جيبوتى والنيجر، والكاميرون، وليبيريا، ومدغشقر.

وقد شملت البعثات الأزهرية ٢٤٣ مدرساً إلى المملكة العربية السعودية على نفقة المملكة فى تخصصات: مواد القراءات، والعلوم، والرياضيات، واللغة الأجنبية، كما تم إعارة ١٩٣ مدرسا إلى مختلف دول العالم على نفقة الأزهر الشريف من بينهم ١٤٠ مدرساً إلى دول قارة افريقيا، وعدد ٦ مدرسين فى العلوم الشرعية والعربية إلى دول الكومنولث، وما يقرب من أربعين مدرساً فى العلوم الدينية والعربية إلى باكستان والسويد والنمسا والفلبين وماليزيا وبنجلاديش والبرازيل وفلسطين وأندونيسيا والصين.

من أنباء العالم الإسلامي

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد

الصحف العربية تواصل انتقادها للسياسة الأمريكية

الرياض – عمان – أ. ش. أ:

واصلت الصحف العربية انتقاداتها للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط واتهمتها بقصر النظر وأكدت أن الانتخابات الرئاسية الأمريكية تتعمد اتخاذ المنطقة وسيلة للوصول لمقعد الرئاسة.

وأكدت صحيفة الرياض السعودية أمس أن الحرب الإعلامية التي تشنها الولايات المتحدة بجميع أجهزتها على العرب هي اختصار لواقع غير مرئي من قبل الكثيرين من المراقبين وهو أن مستقبل إسرائيل بتجهيزاتها النووية والتقنية لا يمنحها الأمن والاستقرار.

كما أكدت صحيفة «الجزيرة» السعودية أن سلاح المقاومة الفلسطينية يجب أن يظل جاهزا مادامت هناك أرض عربية محتلة ومادام هناك معتقلون عرب في السجون الإسرائيلية ومادام أن صناع القرار السياسي والعسكري في إسرائيل مازالوا يطلقون التهديدات العسكرية للفلسطينيين خاصة وللعرب عامة.

وقالت الصحيفة أنه مادامت إسرائيل لاتزال تصر على التمسك بماليس من حقها بما في ذلك القدس الشرقية المحتلة واعتبارها مع القدس الغربية عاصمة موحدة لها، فإن سلاح المقاومة يجب أن يظل جاهزا، وأضافت الصحيفة أن من حق المقاومة الفلسطينية أن تلجأ إلى كل وسيلة، بما فيها السلاح لتحرير الأراضي المحتلة واستعادة كامل الحقوق بما فيها إعلان الدولة الفلسطينية.

الانتخابات الأمريكية تزايد على القدس

القاهرة – الأهرام:

خلال الأعوام القليلة الماضية ظل موضوع القدس محل تجاذب في السياسة الأمريكية الداخلية بين كونجرس جمهوري، وإدارة ديمقراطية.

ففي حين قرر الكونجرس الجمهوري نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس مع

حلول عام ١٩٩٩، فإن الرئيس كلينتون (الديمقراطى) ارتكن إلى صلاحياته فى تأجيل تنفيذ قرار الكونجرس. بل إن كلينتون الذى كان قد صرح بعد فشل كامب ديفيد الثانية باحتمال قيامه بنقل السفارة فى نهاية العام الحالى، تراجع عن تصريحاته مفضلا التأجيل.

غير أن الحزب الجمهورى فى مؤتمره القومى أوائل الشهر الجارى لاختيار جورج بوش الابن مرشحا رسميا له للرئاسة، طرح ضمن برنامجه موضوع القدس، ليؤكد التزامه بأن القدس هى عاصمة إسرائيل.

وعندما افتتح الحزب الديمقراطى فى مؤتمره القومى أمس الأول، لاختيار آل جور مرشحا للرياسة، أصبحت مسألة القدس موضوع مزايدة حزبية انتخابية. فقد تضمن البرنامج الانتخابى للحزب أن القدس هى عاصمة إسرائيل ويجب أن تبقى مدينة غير مقسمة.

والمشكلة أن مسألة القدس أخطر من أن تتحول إلى ورقة للمزايدة فى الانتخابات الأمريكية، فهى مسألة تخص كل أتباع الديانات السماوية الثلاث: الإسلامية والمسيحية واليهودية.

كما أن مسألة القدس ترتبط بقرارات الشرعية الدولية، ومنها قرارا مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨، وحسب الشرعية الدولية فإن القدس الشرقية هى أرض عربية محتلة. وقد ظلت الإدارة الأمريكية منذ عام ١٩٦٧ تؤكد قرارات الشرعية الدولية. كما أن دور أمريكا كوسيط فى عملية السلام فى الشرق الأوسط منذ مؤتمر مدريد ١٩٩١ واتفاق أوسلو عام ١٩٩٢، كان دورا يستند إلى الشرعية الدولية.

وعندما تهدد أمريكا بنقل سفارتها إلى القدس، وعندما تجعل من مسألة القدس قضية مزايدة انتخابية، فإنها بذلك تقوض أساس دورها كوسيط محايد فى عملية السلام فى الشرق الأوسط. وقد يفوز بوش الابن أو يفوز آل جور بالرياسة فى المزايدة الانتخابية، لكن المؤكد أن أمريكا -كوسيط- ستخسر مصداقيتها فى عملية السلام، بل وقد تخسر الشرق الأوسط الذى يمكن أن يجتاحه العنف والتطرف إذا تبنت أمريكا الطرح الإسرائيلى لقضية القدس.

زيادة عدد قوات حفظ السلام بين أثيوبيا وإيتريا

نيويورك - وكالات الأنباء:

وافق أعضاء مجلس الأمن الدولى على اقتراح للأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان يقضى بزيادة عدد أفراد القوات الدولية لحفظ السلام المكلفة بمراقبة تنفيذ اتفاق وقف إطلاق النار بين أثيوبيا وإريتريا فى يونيو الماضى من ١٠ إلى ٤٢٠٠ جندى وذكرت نانسى سود إبراج السفيرة الأمريكية لدى مجلس الأمن أن وجود قوات دولية لحفظ السلام خطوة أولى نحو دفع إريتريا وأثيوبيا إلى توقيع اتفاق سلام لإنهاء الحرب التى استمرت عامين، وأسفرت عن خسائر مادية وبشرية جسيمة، مشيرة إلى

أن الدول الأعضاء في مجلس الأمن تتفق على أن وجود قوات حفظ السلام لن يستمر طويلاً وأنه مرهون بالتوصل لاتفاق سلام. وأضاف: إن الدول الأعضاء بمجلس الأمن تأمل أن تولى الحكومتان اهتمامهما الكامل إلى الاحتياجات الصحية والتعليمية وتوفير الغذاء والسكن لأكثر من مليون مشرد.

وساطة سعودية لإنهاء الخلاف القطرى المغربى

الرياض - وكالات الأنباء:

بحث الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولى عهد ونائب رئيس مجلس الوزراء السعودى فى الطائف مع الشيخ جاسم بن حمد آل ثانى ولى عهد قطر، والأمير رشيد شقيق ملك المغرب فى محاولة من جانب الرياض لإنهاء الخلاف الدبلوماسى الذى نشب أخيرا بين البلدين على خلفية تأييد قطر لألمانيا بتنظيم مباريات كأس العالم لكرة القدم.

الأزهر يقدم الصورة الصحيحة للإسلام على الإنترنت

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى - شيخ الأزهر - أن الرئيس حسنى مبارك يبذل أقصى الجهود لإحلال السلام فى منطقة الشرق الأوسط وحل القضية الفلسطينية.

وأوضح شيخ الأزهر - خلال لقائه بطلاب الجامعات بمعهد إعداد القادة بوزارة التعليم العالى - أنه تم انشاء موقع على شبكة الإنترنت للرد على ماينشر من إساءات للإسلام على شبكة الإنترنت، ويتم الرد على الأكاذيب التى تسيء للإسلام وتقديم الصورة الصحيحة له، وفى رده على موقف الإسلام من التدخين قال شيخ الأزهر إن أقل ما يقال عن التدخين أن العقلاء يتنزهون عنه وهو مكروه وهو ليس مثل شرب الخمر والزنا.

وأكد أن القرآن يشفع لصاحبه والصيام أيضا - وأن الشفاعة الكبرى لسيدنا - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للعصاة من أمته ثابته ولا محل للشك فيها.

مفتى القدس يشيد بالثبات الفلسطينى أمام إسرائيل

القاهرة:

أشاد الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس بموقف الرئيس حسنى مبارك ومساندته للفلسطينيين مطالبا الحكام العرب والمسلمين بالوقوف مع الشعب الفلسطينى مثلما يقف معهم الرئيس مبارك. كما أشاد بتمسك الوفد الفلسطينى فى مفاوضات «كامب ديفيد» بالثوابت التى أقرها المجلس المركزى، وبصموده فى أثناء مناقشة القضايا المهمة.

وأكد مفتى القدس - فى حديث لبرنامج «صباح الخير يامصر» - أن هذا الثبات الفلسطينى قد أحبط جميع الحلول الاتفاقية التى طرحت من قبل الولايات المتحدة وإسرائيل.

وأشار إلى الارتباط الديني والعقائدي للقدس بالنسبة للعرب والمسلمين وتحدى أن يكون هناك حجر واحد في البلدة القديمة له علاقة باليهود.

وأضاف أن إسرائيل لو التزمت بالقرارات الدولية فلابد أن يكون هناك اتفاق، لكنه أشار إلى أن إسرائيل تحاول أن تتهرب من الالتزامات وألا تلتزم بما وقعت عليه.

وأكد مفتي القدس أن المشكلة هي أن الإسرائيليين يعتبرون أنفسهم مالكين لمدينة القدس ولفلسطين، وأن أي تنازل منهم يعتبرونه منحة للفلسطينيين، وأبدى عدم قبول الفلسطينيين لهذا التعامل، وأنهم لا يمكن أن يقبلوا منحا وهبات من الإسرائيليين.

أخبار قصيرة عن العالم الإسلامي

الحفاظ على البيئة

عواصم العالم ـ وكالات الأنباء:

في محاولة للفت انتباه سكان الأرض إلى ضرورة بذل المزيد من الجهود للحفاظ على البيئة، حذر العلماء من تناقص المياه في الأنهار بشكل خطير، مما سيكون له تأثير بالغ على الزراعة، وانخفاض كميات الأسماك، بالإضافة إلى تعرض النباتات النادرة المستخدمة في تصنيع الدواء للانقراض.

وأكد العلماء المشاركون في مؤتمر دولي للمياه باستوكهولم ضرورة الحفاظ على المياه، حتى لا تواجه الأجيال المقبلة مشكلات استنزاف خزانات المياه الجوفية ونضوب الأنهار. كما حذرت المنظمة الدولية للحفاظ على البيئة من أن أعداد الأسماك تناقصت في أنحاء العالم بنسبة ٤٠٪، لتصل إلى أدنى مستوى لها في التاريخ، بسبب عمليات الصيد غير المنظم، واصطياد الأسماك الصغيرة قبل بلوغ سن التكاثر.

تعيين الخريجين الأوائل من الأزهر

القاهرة - الأزهر:

تقرر تعيين الخريجين الأوائل من كليات جامعة الأزهر دفعة (٩٨، ٩٩)، وتم تدبير درجات لهم بمعرفة الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة، وصرح الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجامعة بأنه يجري - حاليا - إنهاء إجراءات تعيين ٢٢٠ خريجا من الأوائل في كليات الجامعة على مستوى الجمهورية، بعد أن أصدر الدكتور محمد زكي أبو عامر وزير التنمية الإدارية قرارات تعيينهم، ويتم تعيين أوائل جامعة الأزهر في وزارتي الصحة والأوقاف وإدارات الجامعة.

وأضاف رئيس الجامعة: أن اختيار أوائل الكليات للتعيين في مؤسسات الدولة يأتي وفق ترتيب درجات الطلاب والطالبات الحاصلين عليها في درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) دون اعتبار لأي عامل آخر.

Alors, par nostalgie et amour pour le Prophète-b.s-le tronc se mit à pleurer. Sa voix ressemblait à celle d'une chamelle enceinte et fut entendue par tous ceux qui se trouvaient dans la mosquée.

Le Prophète-b.s-descendit de sa chaire, caressa de sa main bénie le tronc qui ne doit pas normalement avoir des émotions. Mais, quand il est question d'un signe de prophétie, les choses inanimées bougent, pleurent et répondent pour constituer des preuves évidentes de l'authenticité du message.

8-L'arbre atteste de la véracité du message du Prophète-b.s-.

Un bédouin passant près du Prophète-b.s-celui-ci lui dit:

-Où vas-tu bédouin?

-Chez ma famille, dit le bédouin.

-Veux-tu du bien, dit le Prophète?

-Quoi donc, fit le bédouin?

--Tu témoignes qu'il n'y a de Dieu qu'Allah, Un et Unique et que Mohammed est Son serviteur et Son Prophète.

-Qui atteste de cela?, demanda le bédouin.

-"Cet arbre", dit le Prophète en désignant un arbre au bord d'une vallée!

Et voilà que l'arbre s'avance, traînant sur le sol ses racines et s'arrête devant le Prophète-b.s-. Trois fois le Prophète-b.s-lui demanda de témoigner et l'arbre le fit. Puis, le Prophète-b.s-ordonna à l'arbre de retourner à sa place, ce qu'il fit.

(à suivre...)

"C'est vrai",avoua-t-elle.

-Et pourquoi as-tu agi de la sorte?", lui demanda le Prophète-b.s-.

"Mon père, mon oncle, mon mari et une partie de ma tribu ont subi un triste sort à Khaybar, par ton fait. Et j'ai pensé: Si Mohammed n'est qu'un roi puissant, je le supprimerai et je satisferai leur vengeance ainsi que la mienne. Si, au contraire, il est vraiment un Prophète, aucun danger ne l'ateindra car Allah l'avertira de mon dessein."

Cette habile réponse avait calmé le Prophète-b.s-, et il allait peut-être pardonner à la coupable son abominable forfait; mais Bichr étant mort à cet instant, il la livra aux parents de ce dernier qui réclamèrent vengeance. L'empoisonneuse fut crucifiée, elle subit le châtiment de "Hadd El Harabah"(expliqué auparavant)(1), et les restes de la funeste brebis furent jetés dans les flammes.

Les contemporains du Prophète-b.s-dirent que, bien que le Prophète-b.s-,eut rejeté la bouchée empoisonnée, le poison s'était infiltré jusque dans ses entrailles et jamais il ne se remit complètement de ses effets.

Lors de sa dernière maladie, trois ans plus tard, la soeur de Bichr se rendit auprès du Prophète-b.s-pour prendre de ses nouvelles. Il lui dit:***"La veine de mon coeur a été déchirée par la nourriture que j'ai mangée en même temps que ton frère à Khaybar."***

Un miracle supplémentaire vient s'ajouter aux autres miracles pour prouver l'authenticité de la mission du Prophète Mohammed-b.s-..

7-Le tronc de l'arbre ressent la nostalgie des invocations du Prophète-b.s-

Le Prophète-b.s-prononçait ses sermons en s'appuyant sur un tronc de palmier. Une femme des Ançars, avait un fils menuisier,elle demanda au Prophète-b.s-la permission de lui construire une chaire qu'il escaladerait durant ses sermons; ce qui lui permettrait d'être vu de tous les assistants.

Le Prophète-b.s-apprécia l'idée. Le vendredi, lorsque vint l'heure du sermon, le Prophète-b.s-monta sur la nouvelle chaire et renonça à utiliser le tronc du palmier.

(suite)

Les miracles du Prophète Mohammed (salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha`raoui

6--La Brebis empoisonnée:

Une juive appelée"Zeinab bent El-Harith"et épouse de Sallam Ibn Michkam, offrit une brebis rôtie, embrochée sur un épieu, comme présent au Prophète-b.s-. Lorsque, après le coucher du soleil, le Prophète-b.s-fit la prière du Maghreb, et rentra au campement, il trouva cette juive assise auprès de sa tente l'attendant. Il remercia la femme, accepta le présent et lorsqu'elle se retira, il invita ses compagnons à partager avec lui ce rôti, cuit sur un feu de bois aromatique du désert.

Un des convives appelé"Bichr Ibn Al-Bara`"prit une bouchée de viande, la mâcha et l'avala. Le Prophète-b.s-détacha une épaule, il la mordit et se mit à en mâcher le morceau. Les autres convives avaient déjà tendu les mains pour agir de même, lorsque brusquement le Prophète-b.s-rejeta la bouchée qu'il mâchait et arrêta ses compagnons en s'écriant:"***Retirez vos mains! Cette épaule vient de m'apprendre qu'elle était empoisonnée!"***

"Par celui qui est le Généreux! s'exclama Bichr, j'avais trouvé à ma bouchée une saveur étrange et compris ce qui en était; mais; te voyant mâcher la tienne, je ne pouvais la rejeter, par respect pour toi. Et si le poison devait détruire ton existence, quel goût me serait-il resté de la mienne?."

A peine Bichr avait-il prononcé ces mots, que sa figure, fut envahie par une teinte noirâtre, se convulsa, qu'il fut pris par d'intolérables souffrances et roula sur le sol.

Aussitôt, le Prophète-b.s-envoya quérir la Juive et lui dit:"***Tu as empoisonné cette brebis?".***

-"***Qui te l'as appris***"demanda-t-elle.

-***"Ceci" et il lui montra le morceau d'épaule qu'il tenait à la main.***

demande, cela ne diminuerait en rien Mes possessions, si ce n'est autant que le volume qu'occuperait une aiguille quand on l'introduit dans la mer.

Ô Mes serviteurs, ce sont seulement vos actions que Je recense pour vous, puis Je vous rétribuerai pour elles (en fonction de cela).

Donc que celui qui reçoit un bien, qu'il loue Allah, quant à celui qui reçoit autre chose, qu'il ne s'en prenne qu'à lui-même.

Le Hadith Prophétique suivant apprend au musulman la manière d'agir avec ses semblables :

Selon Abu Huraïra - A.s.l. - le Prophète -b.s.- a dit : "Quiconque dissipe l'une des peines des croyants en ce monde, Allah dissipera pour lui une des peines du Jour du Jugement Dernier.

Quiconque vient en aide à celui qui est dans la gêne, Allah l'aidera en cette vie et dans celle de l'au-delà.

Quiconque dissimule les fautes d'un musulman, Allah dissimulera ses fautes en ce monde et dans celui de l'au-delà.

Allah vient en aide à Son serviteur tant que ce dernier vient en aide à son prochain. Celui qui suit une voie pour s'instruire sur sa religion, Allah lui rend aisée, en vertu de cela, la voie du Paradis.

Des gens ne se rassemblent jamais dans l'une des maisons d'Allah pour réciter le Coran et l'étudier sans que la sérénité ne descende sur eux, que la miséricorde ne les recouvre, que les Anges ne planent autour d'eux et qu'Allah ne les mentionne comme faisant partie ceux qui seront auprès de Lui.

Quant à celui que ses actions n'ont pas aidé à être meilleur, ce n'est pas son ascendance qui lui permettra de l'être".

Hadiths traduits par
Dr. Rokeya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

La relation de l'homme avec Allah et la relation de l'homme avec ses semblables

par Dr. Rokeya GABR

Voici d'abord un Hadith divin "Qudussy" expliquant l'extrême générosité d'Allah vis-à-vis de Ses serviteurs "Selon Abu Dharr Al Ghifâry - qu'Allah soit satisfait de lui - le Prophète - à lui bénédiction et salut - a rapporté ces paroles de son Seigneur :

"Ô Mes serviteurs, je me suis prohibé toute injustice, aussi Je vous prohibe l'injustice : ne soyez donc pas injustes les uns envers les autres.

Ô Mes serviteurs, vous manquez tous de nourriture sauf celui que Je nourris; demandez - Moi donc de vous nourrir et Je vous nourrirai.

Ô Mes serviteurs, vous êtes tous dénudés, sauf celui que vêtis; demandez-Moi donc de vous vêtir et Je vous vêtirai.

Ô Mes serviteurs, vous commettez jour et nuit des péchés et Moi Je pardonne tous les péchés; implorez donc Mon pardon et Je vous pardonnerai.

Ô Mes serviteurs , il ne vous est pas donné de Me nuire de sorte que vous parveniez à Me nuire, ni de M'être utiles de sorte que vous parveniez à M'être utiles.

Ô, Mes serviteurs, si du premier au dernier des hommes et des djinns vous aviez le cœur aussi pur que celui de l'homme le plus pur (pieux) d'entre vous, cela n'ajouterait rien à Mon royaume.

Ô, Mes serviteurs, si du premier au dernier des hommes et des djinns vous aviez le cœur aussi pervers que celui de l'homme le plus pervers d'entre vous, cela ne diminiuerait en rien Mon royaume.

Ô Mes serviteurs, si du premier au dernier des hommes et des djinns se levaient au même moment (pour prier) et Me sollicitaient et que J'accordais à chacun sa

REVUE
AL AZHAR
Sction Francaise

give his regards to him and tell him that he should keep firm the threshold of his gate.

When Isma'il returned home he asked his wife if anyone had visited her. She told him that a good-looking old man came to visit and then she praised him. She then told Isma'il that the man had asked about Isma'il and that she had informed him, and that he had asked about our livelihood and she told him that they were in a good condition. Isma'il asked her if the man had given her any advice and she told him that the man had asked her to give his regards to you and ordered that you should keep firm the threshold of your gate. Upon hearing this Isma'il told her that the man had been his father and that his father had ordered him to keep his wife with him.

Ibrahim visited Isma'il again after a period of time and found him near Zamzam sharping his arrows. When Isma'il saw Ibrahim, he rose to welcome him and they greeted other as a father does with his son or a son does with his father. Then Ibrahim told his son that Allah سبحانه وتعالى had given him an order. Isma'il told his father that he should do what his Lord had ordered him to do. Ibrahim asked Isma'il if he would help him and Isma'il replied that he would. Then Ibrahim told Isma'il that Allah سبحانه وتعالى had ordered him to build a house and pointed to a hil lock higher than the land surrounding it.

They raised the foundations of the Ka'ba. Isma'il brought the stones while Ibrahim built, and when the walls became high, Isma'il would bring the stones to the top of the walls and Ibrahim would continue to build. While Isma'il was handing him the stones both of them were saying : "O our Lord! Accept (this service) from us, verily, You are the All-Hearer, the All-Knower." (Surah 2 : 127) They continued building and going round the Ka'ba saying : O our Lord! Accept (this service) from us, verily, You are the All-Hearer, the All-Knower." (Sahih Al-Bukhari)

The lessons

Prophet Isma'il was equal to his father in his trust, belief and complete submission to Allah. He submitted to the Will of Allah سبحانه وتعالى instantly regarding his father sacrificing him to Allah. سبحانه وتعالى This is one of the most hardest tasks of mankind. To submit totally without fear, or reservation to the Will of their Lord. Isma'il did not think twice about what he should do either in the request for his sacrifice or in the request for him to build the House of Allah تعالى , (the Ka'ba).

As Allahdoes not need this type of human sacrifice this is a lesson for us in another type of human sacrifice. The sacrifice of one's self for the cause of Allahسبحانه وتعالى and for the pleasure of Allah سبحانه وتعالى , in all ways. Whether it be dedicating one's life to bringing Allah's سبحانه وتعالى message to mankind, dedicating one's child to the service of Allah , helping the poor and needy, or fighting in Allah's تعالى cause.

torrents came, they flowed to its right and left.
She lived in that way till some people from the tribe of Jurhum or a family from Jurhum passed through the desert. They saw a bird that had the habit of flying around water and not leaving it. They said : "This bird must be flying around water, though we know that there is no water in this valley." They sent one or two messengers who discovered the source of water and returned to inform them of the water. Then they all came towards the water.
Isma'il's mother was sitting near the water. They asked her to allow them to stay and live with her and her child. Hajar told them that they could stay but that they would have no right to posses the water. They agreed to that. Isma'il's mother was pleased with the whole situation, as she enjoyed the company of people. They settled there, and later on they sent for their families, who came and settled with them and became permanent residents there. (Sahih Al-Bukhari)
Isma'il grewup and learned Arabic from them and his virtues caused them to love and admire him as he grewup and when he reached the age of puberty they made him marry a woman from amongst them.
After Isma'il's mother had died, and after he was married, Ibrahim came to see his family that he had left in Makkah. He did not find Isma'il there so he asked Isma'il's wife about him. She told Ibrahim that Isma'il had gone in search of their livelihood. Ibrahim asked her about their way of living and their condition. She complained to him saying that They were living in misery, hardship, and destitution. Ibrahim asked her to convey his salutation to Isma'il and to tell him to change the threshold of the gate of his house.
When Isma'il returned home he asked his wife if anyone had visited her. She told him that indeed an old man, whose description she gave to Isma'il, had come and he had asked about their state of living. She then told Isma'il that she told him that we were living in a hardship and poverty. Upon hearing that, Isma'il asked her if the man had given her any advise. His wife then told him that Ibrahim told her to convey his salutation to you and to tell you to change the threshold of your gate. Isma'il then said that the man had been his father and that he had ordered him to divorce her. Isma'il divorced her and married another woman from among the Jurhum.
Ibrahim stayed away from them for a period as long as Allah wished and called on them again but did not find Isma'il. So he came to Isma'il's wife and asked her about Isma'il. She told him that he had gone in search of their livelihood. Ibrahim asked her how they were getting on and about their sustenance and living. She told Ibrahim that they were prosperous, well-off, and that they had everything in abundance. Then she thanked Allah سبحانه وتعالى . Ibrahim asked her what kind of food they ate and she told him that they ate meat. He asked her what they drank and she said that they drank water. Then Ibrahim invoked Allah سبحانه وتعالى saying : "O Allah! Bless their meat and water.: Then Ibrahim told Isma'il's wife that when her husband returned to

The Prophets of Allah

by Sheikh Muhammad Mustafa Gemee'ah

Prophet Isma'il عليه السلام

Prophet Isma'il was still a nursing baby when his father Prophet Ibrahim brought him and his mother Hajar to the desert of Saudi Arabia and left them there. Ibrahim left his wife and son under a tree in a place near the Ka'aba in Makkah with a little water and some dates. At that time Makkah was a desolate place with no people, food or water. As Ibrahim was leaving, his wife Hajar repeatedly asked him where he was going and why he was leaving them in this abandoned place. Ibrahim did not reply, so she asked him if his Lord had commanded him to do this. Ibrahim replied that indeed his Lord had commanded him to bring them to this place and leave them there. Hajar then said : "Then He will not neglect us" and returned to the place where Ibrahim had left them while Ibrahim proceeded onwards.

Hajar continued nursing Isma'il and drinking from the water Ibrahim had left them. When the water in the water-skin had all been used up, she became thirsty and Isma'il also became thirsty. She looked at him tossing in agony and then she left him, for she could not endure looking at him, to look for someone who could help them. She found As-Safa mountain was the nearest mountain to her so she climbed to the top and stood on it. She looked at the valley to see if she could find somebody there who could help them, but she could not see anybody. Then she descended from As-Safa and when she reached the valley she tucked up her robe and ran in the valley like a person in distress and trouble. There she stood and started looking, expecting to see somebody, but she could not see anybody. She repeatedly ran between Safa and Marwa seven times trying to find anyone who might be able to offer them some assistance.

The Prophet Muhammad has said, in reference to Hajan's running between the two mountains, that this is the source of the tradition of the Sa'y (one of the rituals of the Hajj pilgrimage) the going of people between them (i.e. As-Safa and Al-Marwa).

When she reached Al-Marwa the seventh time she heard a voice and listened attentively. She heard the voice again and said : "O, whoever you may be! You have made me hear your voice; have you got something to help me?" Then she saw an angel at the place of Zamzam, digging the earth with his heel (or his wing) till water flowed from that place. She began to make something like a basin around it, using her hand, and started filling her water-skin with water with her hands, and the water was flowing out after she had scooped some of it. Then she drank and nursed Isma'il. The angel said to her : "Don't be afraid of being neglected, for this is the House of Allah which will be built by this boy and his father, and Allah never neglects His people." The House (Ka'ba) at that time was on a high place resembling a hillock, and when

were of all colors, from blue-eyed blondes to black-skinned Africans. But we were all participating in the same ritual displaying a spirit of unity and brotherhood that my experience in American had led me to believe never could exist between the white and non-white..."(1)

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

It is true thou wilt not be able to guide every one whom thou lovest; but Allah gudies those whom He will and He knows best those who receive guidance. (28:56)

On February 21, 1965, while addressing an OAAU rally in New York City, Malcolm was assassinated by men allegedly connected with the black Muslims. The complete autobiography of this great Muslim leader, The Autobiography of Malcolm X (1965) was written by Alex Haley based on interviews with Malcolm X.

He affected the whole Muslim generations and the shaping of Islam in North America, though his effect was not due to his vast knowledge nor exceptional Islamic practices, yet his understanding of the true essence of Islam and his dedication to Da'wah placed him in such immanent position. Al Hajj Malik El Shabazz, as he declared himself after his return from the sacred Hajj trip reoriented the understanding of many African Amnerican Muslims who embraced Islam and projected their racially focused visions on their Islamic prospective. On 4 September 1964, the Muslim World League commissioned him as an official Muslim "preacher" to the United States. Because of his tireless efforts for the cause of Islam, Alhamdullilah, hundreds of thousands were introduced to Islam for the first time in North America through his autobiography, recorded speeches or personal contact. Determining an individual's impact on his environment is a subjective exercise at best. However, the brief Muslim life of Malcolm affords him the status of being one of the foremost Muslims produced in the West. Courage, Vision and Sincerity. These terms have become almost synonymous with Malik Shabazz. Muslim leadership for the 21st century especially in the West must copy his model of sincerity and dedication.

You Must Know This Man
The African American Muslim Leader
Malcolm X

By : Hadeer Refat Abo El Nagah

Many of the Muslims around the world may have heard the Name Malcolm X, but very Few know about the personality and the leadership of this American Muslim hero who was assassinated in the mid sixties. The African American Muslim Leader Malcolm X (1925 - 1965), is some how responsible for the revival of the faith of Islam in the second half of this century. He was born in Omaha, Nebraska, as Malcolm Little. Malcolm's father, a Baptist minister, was an outspoken follower of Marcus Garvey, the black nationalist leader of the 1920s. The family moved to Lansing, Michigan, and when Malcolm was six years old, his father was murdered after receiving threats from the Ku Klux Klan. Malcolm's mother suffered a nervous breakdown and the eight children were taken by the welfare department. Malcolm was sent first to a foster home and then to a reform school. After the eight grade, Malcolm moved to Boston, Massachusetts, where he worked at various jobs and eventually became involved in criminal activity. In 1946 he was sentenced to prison for burglary. While in prison, Malcolm became interested in the teachings of Elijah Muhammad, the leader of the black Muslims, also called the Nation of Islam.

﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

Wherewith Allah guideth all who seek His good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness, by His Will, unto the light, guideth them to a Path that is Straight. (5: 16)

Malcolm spent his time in jail educating himself and learning more about the black Muslims, who advocated racial separation. When Malcolm was released in 1952, he joined a black Muslim temple in Detroit, and took the name Malcolm X. In 1958 he married Betty Shabazz, and they had six daughters.

In 1964 Malcolm made a hajj (pilgrimage) to the Islamic holy city of Mecca, Saudi Arabia. Based on this trip, and other travels to Egypt, Africa and Europe, he renounced his previous teaching that all whites are evil, began advocating racial solidarity, and adopted the Arabic name El-Hajj El-Shabazz. He wrote after his return : "There were tens of thousands of pilgrims, from all over the world. They

AL-AZHAR MAGAZINE
Jumada Al- Akhera 1421 H.

ENGLISH SECTION
Sep. 2000

﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

• • •

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

عبد الحفيظ محمد عبد الحليم الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة.

ت : ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات : قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بعض فضائل بيت المقدس

الحمد لله الذي اختص حبيبه الأسنى، بمقام قوسين أو أدنى، وقرن اسمه الشريف بأعظم أسمائه الحسنى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى عليه وعلى آله الشرفاء، وأصحابه الخلفاء والحلفاء، وعلى إخوانه من الأنبياء، ومن اتبعه من الأولياء، صلاة تنشر نفحاتها على أرواحهم الطاهرة، وتسبغ نعمها عليهم باطنة وظاهرة، وسلم تسليما تحمله الملائكة، وتبلغه إلى روضاتهم الطيبة المباركة.

أما بعد

فقد قال الله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾(١).

١ - سورة الإسراء: الآية (١).

←

وهذه الآية هي المعظمة لقدره بإسراء سيدنا رسول الله - ﷺ - إليه قبل عروجه إلى السماء، وسمي بالمسجد الأقصى، لأنه أبعد المساجد، التي تزار، ويبتغى بها الأجر من المسجد الحرام، ولأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث، وقد يطلق عليه بيت المقدس، أي: المكان الذي يطهر فيه من الذنوب، والمقدس: المطهر[٢] وأن إخبار الله تعالى بالبركة حوله فيه تأويلان: أحدهما أن جعل حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار، والثاني: بكثرة الثمار ومجارى الأنهار»[٣].

وعن عطاء الخراساني قال: بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء، ووالله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبي»[٤].

وروى ابن أبي شيبة، والواسطي عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: «إن بيت المقدس لمقدّس في السموات السبع بمقداره من الأرض»[٥].

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «الجنة تحن إلى بيت المقدس، وصخرة بيت المقدس من جنة الفردوس»[٦].

وأنه من المعلوم أن من خصائص بيت المقدس أن الصلاة تضاعف فيه حيث روى الإمام أحمد وابن ماجه، والبزار، وابن عساكر، عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «الصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة»[٧].

ومن خصائصه كذلك شد المطي إليه، لما روى الشيخان: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، المسجد الأقصى».

ثم إنه يستحب ختم القرآن فيه لما روى سعيد بن منصور في «سننه» عن أبي بكر مجلز قال: «كانوا يستحبون لمن أتى المساجد الثلاثة أن يختم بها القرآن قبل أن يخرج».

ثم استحباب المجاورة به، روى الحاكم عن ثور بن يزيد، عن مكحول قال: كان عبادة بن الصامت وشداد بن أوس - رضي الله عنهما - يسكنان بيت المقدس، وقد سكنه عدة من الصحابة - رضي الله عنهم.

وكذا استحباب الصيام فيه، روى: «صوم في بيت المقدس براءة من النار»[٩]. واستحباب الإحرام بالحج والعمرة من بيت المقدس، روى أبو داود، عن أم سلمة - رضي

---

٢ - إعلام الساجد (٢٧٧).
٣ - المرجع السابق (٢٨٦).
٤ - معجم ياقوت (١١٢/١) والأنس الجليل (٢٠٦/١).
٥ - سبل الهدى والرشاد (١٤٨/٣).
٦ - المرجع السابق (١٤٩/٢) وإعلام الساجد (٢٨٦).
٧ - إعلام الساجد (٢٨٧).
٨ - المرجع السابق (٢٨٨).
٩ - الأنس الجليل (٢٠٨/١) وإعلام الساجد (٢٨٩).

الله عنها – أن رسول الله – ﷺ – قال: «من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»(١٠)، كما يستحب لمن لم يقدر على زيارته أن يهدى له زيتا، عن ميمونة – رضى الله عنها – قالت: قلت يا رسول الله: أفتنا في بيت المقدس، قال: «أرض المحشر والمنشر، إيتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت: يا رسول الله أرأيت إن لم أستطع أن أصل إليه؟ قال: فتهدى إليه زيتا ليسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه»(١١).

حكى عن بعض السلف: أن السيئات تضاعف فيه، فعن نافع قال: قال لي ابن عمر: «اخرج بنا من هذا المسجد، فإن السيئات تضاعف فيه، كما تضاعف الحسنات»(١٢).

وأن الصخرة في المسجد الأقصى، كالحجر الأسود في المسجد الحرام، روى أبو بكر الواسطي، وابن عساكر، عن يزيد بن جابر في قوله تعالى:

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾(١٣) قال: يقف إسرافيل على صخرة بيت المقدس فينفخ في الصور، فيقول: «يأيتها العظام النخرة، والجلود المتمزقة، والأشعار المتقطعة، إن الله يأمرك أن تجتمعي لفصل الخطاب»(١٤).

كما أنه يكره استقبال بيت المقدس واستدباره بالبول والغائط(١٥).

وليحذر من اليمين الفاجرة فيه، وكذا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة، فإن عقوبتها معجلة»(١٦).

وأنه لا يجوز الاجتهاد يمنة ولا يسرة بمحراب بيت المقدس، وألحقه بمسجد المدينة، وعلى استحباب صلاة العيد في مسجد بيت المقدس، وأنه فعلها فيه أولى من المصلى(١٧).

ثم أن الدجال لايدخل بيت المقدس فعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ – وذكر الدجال ، فقال: «وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم، وبيت المقدس، وأنه يحصر المؤمنين في بيت المقدس ، قال: فيهزمه الله وجنوده حتى إن جذْم الحائط وأصل الشجرة ينادى، يا مؤمن: هذا كافر يستتر بى تعال اقتله إلى آخره(١٨).

---

١٠ – السنن الكبرى للبيهقي (٥/٣٠). ١١- أخرجه أبو داود نقلا عن تيسير الوصول لابن الديبع (٣/١٢٧).

١٢ – سبل الهدى والرشاد (٣/١٥٤) وإعلام الساجد (٢٩٠).

١٣ – سورة ق : الآية (٤١). ١٤ – سبل الهدى (٣/١٥٥) وإعلام الساجد (٢٩١).

١٥ – المرجع السابق (٢٩٢). ١٦ – الأنس الجليل (٢٩٥).

١٧- سبل الهدى (٣/١٥٥) وإعلام الساجد (٢٩٧).

١٨- إعلام الساجد (٢٩٠) وسبل الهدى والرشاد (٣/١٥٤-١٥٥)

كما روى: أنه من دفن في بيت المقدس وقى فتنة القبر وسؤال الملكين، ومن دفن في زيتونة الملة [19] فكأنما دفن في السماء الأولى [20].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء».

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – ﷺ –: «أول من يدخل الجنة الأنبياء، ثم مؤذنو البيت، ثم مؤذنو بيت المقدس، ثم مؤذنو مسجدي ثم سائر المؤذنين» [21].

روى أبو يعلى عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – ﷺ – قال: «لاتزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وماحوله، وعلى أبواب بيت المقدس وماحوله، لايضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة» [22].

وإنه يستحب لزائره أن يزور الأماكن المشهورة بآثار الأنبياء، لاسيما مواضع صلاة نبينا محمد – ﷺ.

ثم إن من خصائص بيت المقدس أن تحشر الكعبة إليه، روى الواسطي في فضائل بيت المقدس عن خالد بن معدان قال: «لاتقوم الساعة حتى تزف الكعبة إلى الصخرة زف العروس، فيتعلق بها جميع من حج واعتمر، فإذا رأتها الصخرة قالت: مرحبا بالزائرة والمزور إليها» [23].

اللهم أصلح لنا ضمائرنا، ونزه عن التعلق بغيرك خواطرنا، وأصلح ذات بيننا، وقو شوكتنا حتى نستشعر مكانة بيت المقدس، وأن نعمل يدا واحدة على استرداد حقوقنا، وأن يغفر الله لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين آمين.

عبد المعز عبد الحميد الجزار

19– وزيتونة الملة: مقبرة شرقية من مقابر بيت المقدس.

20– سبل الهدى (3/155) ومجمع الزوائد (3/216).

21– الأنس الجليل (1/108) وإعلام الساجد (294).

22 مسند أبي يعلى (11/6417) والمطالب العالية لابن حجر (4/164) برقم (241).

23– سبل الهدى (3/167)

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى -: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

[البقرة من ١٩٦]

تعتبر هذه الآية الكريمة من أجمع الآيات التى وردت في القرآن الكريم مبينة ما يتعلق بأحكام الحج وآدابه، وسنحاول - بعون الله - أن نبين ما اشتملت عليه من آداب سامية، وتوجيهات

حكيمة، بأسلوب هو إلى الإيجاز أقرب منه إلى الإسهاب والإطناب، قاصدين عدم التعرض لتفريعات الفقهاء واختلافاتهم إلا بالقدر الذى يقتضيه المقام.

والحج فى اللغة: القصد يقال: حج فلان الشىء: إذا قصده مرة بعد أخرى.

وفى الشرع: القصد لزيارة بيت الله الحرام فى وقت مخصوص بأفعال مخصوصة، وبكيفية مخصوصة، بينتها الشريعة الإسلامية.

والعمرة فى اللغة: الزيارة، مأخوذة من العمارة التى هى ضد الخراب ثم أطلقت على الزيارة التى يقصد بها عمارة المكان.

وفى الشرع: زيارة بيت الله الحرام للتقرب إليه، وقد بين النبى - ﷺ - أركانها وشروطها وكيفيتها.

وقد كانت شعيرة الحج والعمرة معروفتين عند العرب قبل الإسلام، ولكن بأفعال وبكيفية فيها الكثير من الأباطيل والأوهام، فجاءت شريعة الإسلام فوضعت لهما أفضل الأحكام، وأسمى الآداب، وأمر النبى - ﷺ - المسلمين أن يسيروا فى أدائهما على الطريقة التى سار عليها فقال:

«خذوا عنى مناسككم».

قال ابن كثير: «وقد ثبت أن رسول الله - ﷺ - اعتمر أربع عمر كلها فى ذى القعدة: عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة سبع، وعمرة الجعرانة فى ذى القعدة سنة ثمان، وعمرته التى مع حجته أحرم بهما معا فى ذى القعدة سنة عشر، وما اعتمر فى غير ذلك بعد هجرته»[1].

وقد اختلف العلماء فى المقصود من الإتمام فى قوله - تعالى -:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾.

فبعضهم يرى أن المراد بإتمامهما: إقامتهما وإيجادهما وإنشاؤهما فيكون المعنى: أقيموا الحج والعمرة لله: أي أدوهما وائتوا بهما، فالأمر فى «أتموا» منصب على الإنشاء والأداء، فهو كقوله - تعالى -:

﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾.

وأصحاب هذا الرأى يرون أن العمرة واجبة كالحج، لأن الله - تعالى - أمر بهما معا، ولأن الرسول - ﷺ - قال: «تابعوا بين الحج والعمرة..».

وإلى هذا الرأى اتجه سعيد بن جبير، وعطاء، وسفيان الثورى، والشافعية.

ويرى كثير من الصحابة والتابعين والفقهاء كالأحناف والمالكية - أن المراد بإتمامهما: الإتيان بهما تامين بمناسكهما المشروعة لوجه الله - تعالى - وأن على المسلم إذا شرع فيهما أو فى أحدهما أن يتمه ويأتى به كاملا، كما فعل النبى - ﷺ - وأصحابه فى عمرة القضاء.

فيكون المعنى: ائتوا بالحج والعمرة كاملى الأركان والشروط والآداب خالصين لوجه الله - تعالى -.

فالأمر على هذا الرأى منصب على الإتمام لا على أصل الأداء.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٣٠.

وأصحابه يرون أن العمرة ليست واجبة كالحج لعدم قيام الدليل على وجوبها، وليس فى الآية ما يفيد الوجوب، بل فيها ما يفيد وجوب الإتمام إن شرع فيهما أو فى أحدهما. وفرضية الحج إنما ثبتت بقوله - تعالى -:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾(٢).

وأيضاً، فإن أركان العمرة وأفعالها تدخل فى ثنايا أفعال الحج، وأركانه، ولذلك ورد فى الحديث الصحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » إلى غير ذلك من الأدلة التى ساقها كل فريق لتدعيم رأيه.

ومجمل القول أن فرضية الحج مجمع عليها بين العلماء، وأما فرضية العمرة ففيها خلاف، انتصر كثير من العلماء فيه للرأى القائل بأنها ليست فرضا كالحج، بل هى سنة.

وقد كانت فرضية الحج فى السنة التاسعة من الهجرة على أرجح الروايات. ويرى بعض العلماء أن الحج قد فرض قبل ذلك، إلا أن تنفيذه لم يتم إلا فى السنة التاسعة عندما أرسل النبى - ﷺ - أبا بكر أميرا على الحج، وكان ذلك تمهيداً لحجه - ﷺ - سنة عشر.

وقد أمر - سبحانه - بإتمام الحج والعمرة لله دون غيره؛ لأن العرب كانت تقصد الحج للاجتماع والتظاهر، والتفاخر، وقضاء الحوائج، وحضور الأسواق، دون أن يكون لله - تعالى - فيه حظ يقصد، ولا قربة تعتقد، فأمر - سبحانه - المسلمين أن ينزهوا عباداتهم - وخصوصا الحج - عن الأقوال السيئة، والأفعال القبيحة، وأن يقصدوا بأداء ما كلفهم الله به الإخلاص والطاعة له - سبحانه -.

وبعد أن أمر الله - تعالى - عباده بأن يتموا الحج والعمرة له، أردف ذلك ببيان ما يجب عليهم عمله فيما لو حال حائل بينهم وبين إتمامهما فقال:

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾

والإحصار والحصر فى اللغة: بمعنى الحبس والمنع والتضييق سواء أكان بسبب عدو أو مرض أو جور سلطان أو ما يشبه ذلك.

قال - تعالى - فى شأن قتال المشركين:

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ ﴾(٣).

(أى: ضيقوا عليهم المنافذ. ويقال للذى لا يبوح بسره: حصر، لأنه حبس نفسه عن البوح بسره.

ويرى بعض علماء اللغة أن الإحصار يكون الحبس والمنع فيه من ذات الشخص كالمرض وذهاب النفقة، وأما الحصر فيكون الحبس والمنع فيه لا من ذات الشخص، بل بسبب أمر خارجى كالعدو ونحوه.

و﴿ ٱلْهَدْيِ ﴾: بتخفيف الياء وتشديدها - مصدر بمعنى المفعول، أى: المهدى والمراد به ما يهدى إلى بيت الله الحرام من الإبل والبقرة والشاة ليذبح تقربا إلى الله - تعالى -.

و﴿ ٱسْتَيْسَرَ ﴾: هنا بمعنى يسر وتيسر أى:

---

(٢) سورة آل عمران ٩٧.

(٣) سورة التوبة الآية (٥).

ما أمكن تحصيله من الهدى بدون مشقة أو تعب.

والمعنى: أتموا - أيها المؤمنون - الحج والعمرة لله متى قدرتم على ذلك، فإن «أحصرتم» أي، منعتم بعد الإحرام من الوصول إلى البيت الحرام بسبب عدو أو مرض أو نحوهما، فعليكم إذا أردتم التحلل من الإحرام أن تذبحوا ما تيسر من الهدى.

وبعض العلماء كالشافعية والمالكية - يرون أن المراد بالإحصار في الآية ما كان بسبب عدو، كما حدث للمسلمين في صلح الحديبية، أما إذا كان الإحصار بسبب مرض، فإن الحاج أو المعتمر يبقى على إحرامه حتى يبرأ من مرضه ثم يذهب إلى البيت فيطوف به سبعا، ويسعى بين الصفا والمروة، وبهذا يتحلل من عمرته أو حجه، ولا يتحلل بالذبح، إذ التحلل بالذبح عندهم لا يكون إلا في حالة الإحصار بسبب العدو، أما الأحناف فيرون أن الإحصار سواء أكان بسبب عدو أو مرض أو ما يشبههما، فإنه يسيغ التحلل بالذبح، إذ الآية عندهم تعم كل منع، وعلى من أحصر أن يقضى الحج أو العمرة فيما بعد.

وفي هذه الجملة الكريمة تقرير للمبادىء التي جاءت بها شريعة الإسلام تلك المبادىء التي تتوخى في كل شئونها التيسير لا التعسير، والرفق لا التشديد قال - تعالى -:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[4].

وقال - تعالى -:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[5].

ثم قال - تعالى -:

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾

حلق الرأس أو تقصيرها علامة على الانتهاء من الإحرام، كما أن التسليم علامة الانتهاء من الصلاة، أو علامة قطعها عند الاضطرار إلى ذلك، والحلق بالنسبة للرجال أفضل من التقصير، فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يارسول الله وللمقصرين. قال: اللهم اغفر للمحلقين. قالوا: يارسول الله وللمقصرين. قال: وللمقصرين»[6]. أما بالنسبة للنساء فيكفي التقصير.

والمحل: اسم لزمان الحلول أو مكانه، يقال: بلغ الدين محله إذا حل وقت أدائه، كما يقال: بلغ الشخص محله إذا وصل إلى المكان الذي ينزل به.

قال الآلوسي: وكون المراد بالمحل هنا المكان هو الظاهر في الآية.

والمعنى: أتموا الحج والعمرة لله، فإن منعتم من إتمامهما وأنتم محرمون فعليكم إذا أردتم التحلل أن تذبحوا ما تيسر لكم من الهدى، ولا تتحللوا من إحرامكم بالحلق حتى تعلموا أن الهدى المبعوث قد بلغ مكانه الذي يجب أن يراق فيه دمه، وهو الحرم.

وهذا رأي الأحناف، فقد قرروا أن المراد بالمحل البيت الحرام، فهو اسم مكان، لأن الله - تعالى - قد قال في آية أخرى:

---

(٤) سورة البقرة الآية (١٨٥).

(٥) سورة الحج الآية (٧٨).

(٦) الترغيب والترهيب للمنذري جـ ٢ ص٢٠٨.

﴿ ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾(٧) وعليه فلا يجوز للمحصر أن يحلق ويتحلل إلا بعد أن يصل الهدى الذى يرسله إلى البيت الحرام ويذبح.

أما جمهور الفقهاء فيرون أن محل الهدى للمحصر هو المكان الذى حدث فيه الإحصار، ودليلهم أن الرسول - ﷺ - قد نحر هو وأصحابه هديهم بالحديبية وهى ليست من الحرم، وذلك عندما منعه المشركون من دخول مكة.

وقد أجاب الأحناف على ذلك بأن محصر رسول الله - ﷺ - كما يقول الآلوسى - (٨) كان فى طرف الحديبية بأسفل مكة، والحديبية متصلة بالحرم.

وعلى رأى جمهور الفقهاء يكون المعنى: ولا تتحللوا من إحرامكم بالحلق حتى تذبحوا الهدى فى الموضع الذى أحصرتم فيه، فإذا تم الذبح فاحلقوا وتحللوا، والخطاب على كلا المعنيين يكون للمحصرين، لأنه أقرب مذكور.

ويرى المحققون من العلماء، أن رأى جمهور الفقهاء أكثر اتفاقاً مع السنة النبوية، وفيه تسهيل على المحصرين، والمناسب لهم هو التيسير لا التعسير، ولاشك أن ذبحهم لهديهم فى مكان إحصارهم أيسر لهم، وحملوا قوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ﴾

على أنه خطاب عام لجميع المكلفين لا فرق بين محصر وغير محصر، وأن المقصود من الجملة الكريمة هو البيان العام لمكان التحلل وزمانه، أما مكان الذبح عند الإحصار فقد بينه النبى - ﷺ - بذبحه لهديه فى الحديبية وهى ليست من الحرم عند المحققين.

قال الإمام الرازى: ومنشأ الخلاف البحث فى تفسير هذه الآية، فقد قال الشافعى وغيره: المحل فى هذه الآية اسم للزمان الذى يحصل فيه التحلل وقال أبوحنيفة: انه اسم للمكان(٩).

وبعد أن بين - سبحانه - أن الحلق لا يجوز للمحرم مادام مستمرا على إحرامه، أردف ذلك ببيان بعض الحالات التى يجوز فيها للمحرم أن يحلق رأسه مع استمراره على إحرامه فقال - تعالى -:

﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

أى: فمن كان منكم - أيها المحرمون - مريضا بمرض يضطر معه إلى الحلق، أو كان به أذى من رأسه كجراحة وحشرات مؤذية، فعليه إن حلق فدية من صيام أو صدقة أونسك. وقوله: «ففدية» مرفوع على انه خبر لمبتدأ محذوف. أى: فعليه فدية، وأيضاً ففيه إضمار آخر والتقدير: فحلق فعليه فدية.

والفدية: هى العوض عن الشيء الجليل النفيس، ولا ريب أن محرمات الحج والعمرة أمور لها جلالها وعظمها.

وعبر - سبحانه - هنا بالفدية دون الكفارة، لأن الذى به مرض أو أذى من رأسه لم يرتكب ذنبا أو إثما حتى يكفر عنه.

---

(٧) سورة الحج الآية (٣٣).

(٨) تفسير الآلوسى جـ ٢ ص٨١.

(٩) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص١٦٣.

قال القرطبى: والنسك: جمع نسيكة، وهى الذبيحة ينسكها العبد لله - تعالى - وتكون من الإبل والبقر والغنم - ويجمع - أيضاً - على نسائك. والنسك: العبادة فى الأصل؛ ومنه قوله - تعالى -: ﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ﴾ أى: متعبداتنا، وقيل: أصل النسك فى اللغة الغسل؛ ومنه نسك ثوبه إذا غسله، فكأن العابد غسل نفسه من أدران الذنوب بالعبادة، وقيل: النسك سبائك الفضة التى خلصت من الخبث، كل سبيكة منها نسيكة، فكأن العابد خلص نفسه من دنس الآثام»(١٠).

وقوله - تعالى -:

﴿ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ بيان لجنس الفدية.

وقد بين النبى - ﷺ - مقدار هذه الفدية، فقد روى الشيخان عن كعب بن عجرة الأنصارى قال: حملت إلى النبى - ﷺ - والقمل يتناثر على وجهى فقال: ما كنت أرى أن الجهد قد بلغ بك هذا.. أما تجد شاة؟ قلت: لا!! قال: صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام واحلق رأسك، فنزلت فىّ خاصة وهى لكم عامة.

فقد بين النبى - ﷺ - مقدار الفدية فى هذا الحديث، وعامة العلماء يرون أن المحرم لعذر كهذا يخير فى هذا المقام، إن شاء صام وإن شاء تصدق وإن شاء ذبح شاة وتصدق بها على المساكين.

قال ابن كثير: ولما كان لفظ القرآن فى بيان الرخصة جاء بالأسهل فالأسهل، ولما أمر النبى - ﷺ - كعب بن عجرة بذلك أرشده أولا إلى الأفضل فقال: أما تجد شاة؟ فكل حسن فى مقامه»(١١).

وبعد أن بين - سبحانه كيفية التحلل عند الإحصار، وكيفية التحلل الجزئى من بعض المحرمات عن المرض، عقب ذلك ببيان كيفية التحلل فى حالة الأمن فقال:

﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾

وقوله: ﴿ فَإِذَا أَمِنتُمْ ﴾ الأمن ضد الخوف. أى: فإذا زال خوفكم وثبت أمنكم، والجملة معطوفة على قوله ﴿ أُحْصِرْتُمْ ﴾ وجىء بإذا لأن فعل الشرط وهو ﴿ أَمِنتُمْ ﴾ مرغوب فيه.

وقوله: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ ﴾ جواب إذا، والتمتع فى اللغة - كما قال الإمام الرازى - التلذذ. يقال: تمتع بالشىء إذا تلذذ به، والمتاع كل شىء يتمتع به، وأصله من قولهم: حبل ماتع، أى: طويل. وكل من طالت صحبته مع الشىء فهو متمتع به(١٢).

والمراد بالتمتع فى الآية المعنى الشرعى بأن يجمع المسلم بين العمرة والحج فى عام واحد فى أشهر الحج، بأن يحرم بالعمرة أولا ثم بالحج.

وسمى هذا النوع من الإحرام تمتعا، لأن المحرم

---

(١٠) تفسير القرطبى جـ ٢ ص٣٨٦.

(١١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢٣٢.

(١٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص١٦٧ طبعة عبدالرحمن محمد.

به يجمع بين متعة الروح ومتعة الجسد. لأنه يحرم بالعمرة أولا ويقوم بمناسكها وتلك متعة روحية وبعد الانتهاء من أدائها يتحلل فيجوز له أن يقرب النساء ويمس الطيب حتى يحرم بالحج وتلك متعة بدنية.

وهناك نوعان آخران من الإحرام.

أحدهما: الإفراد ومعناه: أن يحرم بالحج فقط ولا يجمع معه العمرة، وإنما يأتي بها في وقت آخر.

وثانيهما: القران ومعناه: أن يجمع بين العمرة والحج في إحرام واحد، بأن يبقى على إحرامه ويأتي بمناسك الحج والعمرة بالإحرام نفسه.

والمعنى: فإذا ثبت أمنكم - أيها المسلمون - عند أدائكم للحج والعمرة، فمن تمتع منكم بالعمرة إلى الحج، بأن أحرم بها في أشهر الحج، ثم بعد الانتهاء من أعمالها تحلل بأن حلق رأسه، وباشر أهله إن كانوا معه، والنظر متحللا وصار من حقه أن يفعل كل ما يفعله من ليس محرما إلى وقت الإحرام بالحج، فعليه في هذه الحالة أن يذبح ما تيسر له من الهدى من غنم أو بقر أو إبل ليكون هذا الذبح شكراً لله حيث وفقه - سبحانه - للجمع بين النسكين مع التمتع بينهما بأفعال المتحلل، فمن لم يجد ما يذبحه فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في وقت الحج وأن يصوم سبعة أيام بعد فراغه منه.

وقوله:

﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ﴾

معطوف على ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ ﴾

لأن ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ ﴾ مع جوابه وهو

﴿ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ ﴾ مقدر فيه معنى فمن تمتع واجدا الهدى، فعطف عليه فمن لم يجد أى الهدى.

وقد جعل - سبحانه - الصيام بدلا عن الهدى زيادة في الرخصة والرحمة وزيادة في الرفق والتيسير فقد جعله على مرحلتين:

أحداهما: وهي الأقل - تكون في وقت الحج، ويفضل كثير من الفقهاء أن يصوم سادس ذي الحجة وسابعه وثامنه.

وثانيهما: - وهي الأكثر - تكون في وقت الرجوع إلى أهله حيث يطمئن ويستقر وتذهب مشقة السفر فيصوم سبعة أيام.

وبعض الفقهاء يرى جواز الصيام عند الأخذ في الرجوع بعد الفراغ من أعمال الحج، ويرجح الوجه الأول ما رواه الشيخان من حديث ابن عمرو وفيه: «فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله»(١٣).

والإشارة في قوله - تعالى -:

﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ إلى الثلاثة والسبعة، ومميز العدد محذوف أى: أيام والجملة مؤكدة لما أفاده قوله:

﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾

---

(١٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص٢٣٤.

وفائدة هذا التأكيد دفع توهم أن الواو بمعنى أو، أو أن السبعة كناية عن مطلق كثرة العدد، وبذلك يتقرر الحكم نصا، ويتبين أن الذى يحل محل النسك إنما هو العشرة الكاملة وليس بعضها.

ووصف العشرة بأنها كاملة، للتنويه بأن هذا الصوم طريق الكمال لأعمال الحج، وأن الحاج إذا نسى بعضها لا يكون حجه تاما حتى يصوم ما أمره الله ـ تعالى ـ به.

وقوله:

﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

الإشارة فيه تعود إلى التمتع المفهوم من قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ ﴾ الخ.

أى: ذلك التمتع الذى يتمتع فيه المحرم بين النسكين، إنما هو للشخص الذى ليس أهله من المقيمين فى مكة وما حولها، لأن المقيمين فى مكة وما حولها يفردون ولا يجمعون، إذ العمرة فى إمكانهم أن يؤدوها طول أيام السنة.

وقد شرع ـ سبحانه ـ التمتع ليكون تيسيرا ورفقا للمقيمين بعيداً عن مكة هذا رأى الأحناف.

ويرى الشافعية: أن أهل مكة وما حولها يقرنون ويتمتعون كغيرهم من أهل الآفاق، وأن اسم الإشارة فى الجملة الكريمة يعود إلى النسك وما يقوم مقامه من الصوم لأنه أقرب مذكور.

وعلى رأيهم يكون المعنى: ذلك الذبح لما تيسر من الهدى والصيام لمن لم يتيسر له الهدى إنما هو على سكان الآفاق، لا على سكان مكة وما حولها؛ لأن سكان مكة وما حولها قد أحرموا لتمتعهم من الميقات فلا يجب عليهم شىء.

والمراد بحاضرى المسجد الحرام: أهل مكة وأهل الحل الذين منازلهم داخل المواقيت عند الحنفية، وقال المالكية: هم أهل مكة خاصة، وقال الشافعية: هم أهل مكة ومن كان بينه وبين مكة مسافة لا تقصر فيها الصلاة، ولكل أدلته المفصلة فى كتب الفقه.

ثم ختم ـ سبحانه ـ الآية بالأمر بتقواه وبالتحذير من عقابه فقال:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.

أى: واتقوا الله فى كل ما يأمركم به وينهاكم عنه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن لم يخشه ولم يلتزم حدوده.

وفى هذا الأمر بالتقوى فى ختام هذه الآية التى تحدثت عن الحج إشعار بأن هذه الفريضة ليست العبرة فيها بما تعمله الجوارح وإنما العبرة بما تتركه فى القلوب من توبة صادقة، وصيانة للنفس عن اقتراف المحارم.

وفى قوله: ﴿ وَاعْلَمُوا ﴾ اهتمام بالخبر، وتحقيق لمضمونه، وترهيب من العقاب مع الترغيب بالثواب، فقد جرت عادة الناس أنهم يصلحون بالثواب والعقاب.

هذا، وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على بعض الأحكام التى تتعلق بالحج والعمرة، والمتدبر فى هذه الأحكام يراها قد امتازت بأحكم ضروب التوجيه، وأيسر أنواع التكليف.

[يتبع]

قبس من أنوار النبوة

الإنسان بين السعادة والشقاء

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - قال:

حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق:

« إنَّ أحدكم يُجمعُ خلقهُ في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملكُ فينفخُ فيه الروح، ويؤمرُ بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقيّ أو سعيدٌ؛ فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينهُ وبينها إلا ذراعٌ؛ فيسبق عليه الكتابُ فيعملُ بعمل أهل النار فيدخلها، وإنَّ أحدكم ليعملُ بعملُ أهل النار حتى ما يكون بينهُ وبينها إلا ذراعٌ؛ فيسبق عليه الكتاب، فيعملُ بعمل أهل الجنة فيدخلها ».

رواه البخاري ومسلم.

سبحانك ربي إنك على كل شيء قدير، وإنك الخلاق العظيم القائل في محكم التنزيل:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾(١).

حيث أخبر - سبحانه - عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم - عليه السلام - خلقه الله من طين لازب وهو: الصلصال من الحمأ المسنون.

قال تعالى:

﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾(٢).

(١) سورة المؤمنون الآيات ١٢ : ١٤.

(٢) سورة السجدة الآيات: ٧ - ٩.

روى الإمام أحمد عن أبي موسى عن النبي - ﷺ - قال: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض: جاء منهم الأحمر والأبيض والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب وبين ذلك»[3].

«ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين» حيث خلق - سبحانه - الإنسان من ذكر وأنثى، وهيأ كلا منهما لأداء وظيفته في الحياة وشرع الزواج سبيلا إلى تكوين الأسرة، وجعل الحمل وسيلة الإنسان الوحيدة للتناسل. وجعل - سبحانه - من وظيفة الرجل إنتاج الكثير من الخلايا الصغيرة التي لا ترى بالعين المجردة - وجعلها كاملة النضج صالحة للإخصاب.. وجعل وظيفة الأنثى: الحمل والوضع والرضاع وزودها بما يساعدها على أداء وظيفتها، كما هيأ أجهزة الأنثى للعمل على أداء وظيفتها في نظام بديع، وتناسق تام.

لم يستطع علم وظائف الأعضاء أن يتجاوز الحدود الملموسة والمشاهدة إلى حقائق الأمور كما أبدعها الله - تعالى - وأودعها أسراره، ولم يستطع العلم أن يصل بنا إلى كيفية التطور من الماء المهين: الذي قال عنه الخلاق العظيم

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾[4].

لم يستطع العلم أن يصل إلى كيفية التطور من الماء المهين إلى العلقة ثم إلى المضغة ثم إلى العظام ثم إلى تكوين الجنين متكاملا حاملا الصفات الوراثية من ملامح وخصائص، ثم ماهية الروح وكيف تنفخ في الجنين ثم الخروج إلى الدنيا إنسانا متكاملا.. وكل ما استطاع العلم الوصول إليه: وصف المشاهد التي تحدث، أما الأسرار الخفية فعلمها عند الله وحده، وكلما حاول العلم وصف هذه العملية الرائعة من صنع الله فإنه يقف عاجزا أمام أسرارها فيكتفي بإطلاق عبارة - التطور - عليها لتزيدنا حيرة إلى حيرة ولا نملك شيئا إلا أن نقرر مبهورين:

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[5][6].

ثم يحدثنا الدكتور البلتاجي - نقلا عن كتاب (الأنثى) للدكتور أحمد محمد كمال. فيقول: تولد الأنثى وفي مبيضها حوالي سبعين ألف (بويضة) غير ناضجة أودع الله كلا منها في كيس صغير يسمى الحويصلة.. ولا يبلغ منها إلى درجة النضج الكامل سوى واحدة فقط في كل دورة شهرية، وعندما يتم اللقاء تبدأ ملايين «الخلايا الذكرية» في الحركة.. ولا يعبر منها قناة الرحم سوى عدد قليل... ثم يكون هنالك الإخصاب قد تم.. فتبارك الله أحسن الخالقين حيث يمد الله العلقة باحتياجاتها من غذاء وأكسوجين من دم الأم ثم تأخذ العلقة في النمو والتطور إلى أن تشعر الأم بحركة الجنين في أحشائها في الأسبوع السادس عشر لبدء الحمل.

ويأذن الله للحمل بالاكتمال.. وتشعر الأم بآلام الوضع التي تستمر عادة يوما أو يومين.. ثم تبدأ رحلة الإنسان - رحلة الحياة طفلا -

قال تعالى:

---

(3) تفسير ابن كثير جـ3 ص 24.

(4) سورة المرسلات: الآيتان 20، 21.

(5) المؤمنون من الآية 14.

(6) عن كتاب «من وصايا القرآن» للأستاذ الدكتور محمد الأنور البلتاجي ص 181.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾(٧).

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: إن الله - عز وجل - قد وكل بالرحم ملكا فيقول: أي رب.. نطفة أي رب.. علقة؟ أي رب مضغة؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقا قال الملك: أي رب.. ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه»(٨).

جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو، عن النبي - ﷺ - قال: «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»(٩).

جاء في الصحيحين عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾(١٠).

وفي الحديث أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما وأن ذلك مقدر بحسب الأعمال، وأن كلا ميسر لما خلق له من الأعمال التي هي سبب السعادة والشقاوة»(١١).

وأخرج الإمام أحمد - رحمه الله - عن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: لا عليكم أن لا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له، فإن العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهر بعمل صالحا لو مات عليه دخل الجنة، ثم يتحول فيعمل عملا سيئا، وإن العبد ليعمل البرهة من عمره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا»

وعن عبد الله بن عمر عن النبي - ﷺ -: «الأعمال بخواتيمها»

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي - ﷺ - «التقى هو والمشركون وفي أصحابه رجل لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منا أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله - ﷺ -: هو من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا أصاحبه فاتبعه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه على الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال: أشهد أنك رسول الله، وقص عليه القصة فقال رسول الله - ﷺ -: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة» زاد البخاري في رواية: «إنما الأعمال بالخواتيم».

اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك. واجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك.

---

(٧) سورة الحج من الآية ٥. (٨) البخاري ومسلم. (٩) جامع العلوم والحكم لابن رجب.
(١٠) سورة الليل الآيات ٥ : ١٠. (١١) جامع العلوم والحكم لابن رجب.

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

لفظ «أهل»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

ذكرنا في مقال سابق ما جاء من هذه اللفظة في سورتي البقرة وآل عمران، وفي هذا المقال والذي يليه - إن شاء الله - نذكر بعون الله - تعالى - ما جاء منه في بقية سور القرآن الكريم.

وقد ذكر اللفظ في سورة النساء ثماني مرات، أولاها في الآية الخامسة والعشرين، وهي قوله - تعالى -:

﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ ﴾(*).

لقد ذكر الله - تعالى - قبل هذه الآية المحرمات من النساء، وأحل ما سواهن بشرط إعطائهن المهر ثم ذكر في هذه الآية أن من لم يجد سعة من المال أو سواء ليتزوج الحرائر فله أن يتزوج أمة مؤمنة لأن المسلمين جميعا إخوة في الإيمان، وقد تكون الأمة أقوى من الحرة إيمانا لكن زواج الأمة مشروط بأمرين: إذن مولاها، وإعطائها المهر، ثم بين - تعالى - حكما آخر في هذه الآية وهو أن الأمة إذا زنت بعد زواجها فعليها نصف حد الحرة، وهو خمسون جلدة، وختمت الآية الكريمة ببيان أن إباحة زواج الأمة لا يلجأ إليه إلا عند الخوف من الوقوع في المعصية، والصبر على عدم الزواج منها في كل الأحوال لمن لم يستطع أن يتزوج الحرة أفضل.

وذكرت اللفظة مرة ثانية في هذه السورة، في قوله - تعالى -:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾(1).

(*) النساء (٢٥).

١ - النساء (٣٥).

لقد ذكر الله ـ تعالى ـ في الآية السابقة قوامة الرجال على النساء والطرق التي على الرجال أن يتبعوها في علاج النواشز منهن فإن عدن إلى رحاب الطاعة فلا يحل البغي والعدوان عليهن وفي هذه الآية ذكر ـ سبحانه ـ أن الخلاف، إذا اشتد بين الزوجين وخيف أن يتحول إلى فرقة وقطيعة فعلى الزوجين وذوى القربى أن يختاروا حكمين من أهل الزوج والزوجة لرأب الصدع وإزالة أسباب الخلاف وإحلال الوئام محل الخصام بما لهما من حكمة وخبرة ونية صادقة في الإصلاح فإن صدقت نية الحكمين في الإصلاح وفق الله بين الزوجين لأن الله كان ومايزال عليما بالنوايا خبيراً بأحوال عباده.

ثم جاء ذكر اللفظة في قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[2].

وفيها يأمر الله المسلمين باثنين من أجل أعمال البر وهما أداء الأمانات إلى أصحابها، والعدل بين الناس في الأحكام والأقوال والأفعال والأخلاق ثم بين ـ سبحانه ـ حسنهما فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ ﴾[3] أي: نعم الشيء الذي يعظكم به أداء الأمانة والعدل فعليكم أن تستجيبوا لأمر الله فهو أعلم منكم بالمسموعات والمبصرات.

وفي الآية الخامسة والسبعين جاء قوله -تعالى-:

﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[4].

فبعد أن أمر الله المسلمين بالقتال في سبيله ووعدهم عليه الأجر العظيم سواء انتصروا أو استشهدوا أنكر على بعض الناس القعود عن القتال في سبيله وفي سبيل المستضعفين من المسلمين في مكة الذين فتنهم أهلها الظالمون في دينهم ومنعوهم من الهجرة إلى المدينة، رغم أنهم يمقتونها ويدعون الله أن يخرجهم من مكة إلى المدينة وأن يجعل لهم من لدنه ولياً وسلطاناً نصيراً.

وفي الآية الثانية والتسعين ذكرت اللفظة مرتين في قوله -تعالى-:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ ﴾[5] الآية. وفيها حديث عما يلزم القاتل على سبيل الخطأ فإذا كان القتيل مؤمنا وقومه مؤمنين فعلى القاتل الدية إلا أن يتصدق أهل القتيل بها على القاتل وعاقلته وعليه إلى جانب ذلك كفارة وهي تحرير رقبة مؤمنة أما إذا كان أهل القتيل مشركين محاربين فعليه تحرير رقبة مؤمنة فقط، وإن كان أهله مشركين معاهدين فعليه الدية والكفارة فإن لم يجد القاتل في الحالتين الكفارة فليصم بدل تحرير الرقبة المؤمنة شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما بالنوايا حكيما في أمره وتشريعه وجاء في السورة نفسها قوله -تعالى-:

---

٢ ـ النساء (٥٨).

٣ ـ النساء (٥٨).

٤ ـ النساء الآية (٧٥).

٥ ـ النساء (٩٢).

﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾(٦).

لقد عشش الوهم في عقول اليهود وقلوبهم فزعموا أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم مهما فعلوا من المعاصي لن يدخلوا النار إلا أياما معدودات وأنهم لكرامتهم على الله وبكرامة أنبيائهم يدخلون الجنة لا بأعمالهم فحذر الله المسلمين أن يكونوا مثلهم وأبان لهم أن الناس جميعا ـ مسلمين وغير مسلمين ـ مجزيون بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، أخرج ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم عن السدي قال: (التقى المسلمون واليهود والنصارى فقال اليهود للمسلمين، نحن خير منكم، ديننا قبل دينكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم ونحن على دين إبراهيم، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى مثل ذلك فقال المسلمون: كتابنا بعد كتابكم ونبينا بعد نبيكم وقد أمرتم أن تتبعونا وتتركوا أمركم فنحن خير منكم نحن على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا فأنزل الله «ليس بأمانيكم..»، الخ. الآية، فأفلج الله حجة المسلمين ـ أي نصرها على من ناوأهم من أهل الأديان الأخرى.

وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وبلغت منهم ما شاء الله -تعالى- فشكوا ذلك إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «سددوا وقاربوا فإن في كل ما أصاب المسلم كفارة حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها»(٧).

وفي الآية الثامنة والخمسين بعد المائة قوله تعالى:

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾(٨).

ذكر لفظ «أهل» مضافاً إلى الكتاب والمراد اليهود والنصارى المختلفون في شأن عيسى -عليه السلام- فاليهود لعنهم الله يقولون إنه كذاب وابن زنى والنصارى يقولون: إنه ابن الله، وقد أخبرت هذه الآية أن كل واحد من الفريقين سينكشف له وهو في غمرات الموت وسكراته الحق في أمر عيسى وغيره من الأنبياء، فيعلم كل واحد من اليهود والنصارى أنه رسول من البشر صادق كل الصدق فيؤمن حيث لا ينفعه الإيمان فقد بلغت الروح الحلقوم، وعليه فالآية تدعوهم إلى الإيمان النافع بعيسى -عليه السلام- وغيره من الأنبياء قبل الموت وحال الصحة، ويوم القيامة يشهد عيسى ـ عليه السلام ـ عليهم بكفرهم كما قال -تعالى-:

﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ﴾(٩).

وآخر آية في النساء ذكر فيها لفظ «أهل» قوله -تعالى-:

---

٦ ـ النساء (١٢٣).

٧ - تفسير المراغي الجزء الخامس ص ١٦٤ وما بعدها.

٨ ـ النساء (١٥٩).

٩ ـ المائدة (١١٧).

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(١٠).

والآية تنهى النصارى عن الغلو فى شأن عيسى -عليه السلام- فإذا كان اليهود قد غالوا فى تحقيره فضلوا، فالنصارى قد غالوا فى تقديسه فجعلوه إلهاً أو ابن إله فضلوا كذلك فأمرتهم الآية الكريمة بألا يتجاوزوا الحق فى أمر عيسى فهو بشر رسول لكنه وُلد بكلمة كن ألقاها الله إلى مريم، وحملت به الحصان البتول عن طريق نفخة من روح الله جبريل -عليه السلام- فتنزه الله أن يتعدد أو يكون له ولد فآمنوا أيها النصارى بالله إلهاً واحداً، وبعيسى نبياً رسولاً ففى هذا كل الخير لكم.

ونتنقل إلى سورة المائدة وفيها ذكرت اللفظة سبع مرات، ست منها مضافة إلى الكتاب «يا أهل الكتاب» وواحدة مضافة إلى الإنجيل خاصة.

والآية الأولى من هذه الآيات السبع قوله -تعالى-:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾(١١).

والمعنى: يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إنا أرسلنا إليكم محمداً - ﷺ - ليبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من أحكام التوراة والإنجيل كحد الرجم وصفات النبى الخاتم، ليكون ذلك معجزة للرسول والقرآن الذى جاء به ويترك مع هذا كثيراً مما كنتم تخفون فلا يفضحكم به إذا لا حاجة إلى إظهاره، قد جاءكم من الله نور هو محمد -صلوات الله عليه- لأنه للبصائر كالنور للبصر، ومعه كتاب مبين لكل الناس كل ما يحتاجون إليه فى دنياهم وأخراهم.

والآية الثانية هى قوله -تعالى-:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(١٢).

والمعنى: يا أهل الكتاب قد جاءكم محمد - ﷺ - بعد انقطاع الوحى والرسل فترة طويلة حتى لا تقولوا ما جاءنا من بشير يبشرنا بحسن العاقبة إن نحن آمنا ولا نذير ينذرنا سوء العاقبة إن كفرنا فها قد جاءكم البشير النذير يبين لكم ما تحتجون به والله على كل شىء قدير.

وفى الآية السابعة والأربعين جاءت الكلمة فى قوله -تعالى-:

﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(١٣).

بين الله فى الآيات السابقة أنه أمر أهل التوراة بالعمل بما فيها ووصمهم بالكفر إن هم خالفوا ذلك

---

١٠ - النساء (١٧١).

١١ - المائدة (١٥).

١٢ - المائدة (١٩).

١٣ - المائدة (٤٧).

ثم ذكر -سبحانه- أن عيسى بن مريم -عليه السلام- أتى بعد أهل التوراة وأنزل الله عليه الإنجيل مشتملاً على المواعظ الهادية ومصدقاً للتوراة السابقة عليه ثم أمر أهل الإنجيل -أى النصارى- أن يعملوا بما أنزل الله فيه، فإن لم يفعلوا فهم المارقون عن دين الله الخارجون عليه.

وتكرر اللفظ فى نفس السورة فى قوله -تعالى-:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾(١٤).

وفيها ينكر الله على أهل الكتاب من اليهود والنصارى نقمتهم على المسلمين لأنهم آمنوا بالله ورسوله والقرآن الذى أنزل عليه كما آمنوا بالتوراة والإنجيل وكل وحى أنزل قبل القرآن الكريم، وما ذاك إلا لأن أكثرهم فاسقون متمردون على دين الله الذى يزعمون أنهم آمنوا به.

وفى الآية الخامسة والستين من نفس السورة ورد اللفظ فى قوله -تعالى-:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾(*).

ومعناها: لو أن اليهود والنصارى آمنوا بمحمد -ﷺ- وتركوا الذنوب والآثام التى كانوا يقترفونها لغفرنا لهم ذنوبهم السابقة ولأدخلناهم فى الآخرة جنات يتنعمون فيها.

وفى قوله -تعالى-:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(١٥).

ومعنى الآية -والله أعلم- يأمر الله -سبحانه- رسوله الكريم أن يقول لليهود والنصارى مبلغاً عن ربه أنهم ليسوا على شيء له قيمة من الدين ولا شيء يعتد به فى دنيا الأديان -ما لم يعملوا بالتوراة والإنجيل والقرآن فلن ينفعهم الانتساب إلى عيسى أو موسى ما لم يقيموا شرعهما ويعملوا بما فى كتابيهما، وكذلك لن ينفع المسلمين الانتساب إلى محمد -ﷺ- ما لم يعملوا بالقرآن وأوامر الإسلام فالله -سبحانه- لا يحابى أحداً لمجرد انتسابه إلى نبى أو دين فقد قال الرسول -ﷺ- لأخص خواصه: (اعملوا ما شئتم فلن أغنى عنكم شيئاً)، ثم بين -سبحانه- لرسوله صفة من أهم صفات اليهود وأكدها بالقسم وهى أن كثيرا منهم لن يزيدهم القرآن والإسلام -الذى أتم الله به الدين- إلا غلواً فى العناد والتكذيب لأنهم متعصبون غير منصفين وانظر إلى إنصاف الإسلام لبعض اليهود وهم قلة كعبدالله بن سلام ومن أذعن للحق من اليهود ولم ينكر ما جاء فى التوراة من صفات محمد -ﷺ-.

وختمت الآية الكريمة بنهى الرسول -وقد كان حريصا كل الحرص على إيمانهم- عن الحزن على كفرهم وهدايتهم: (فلا تأس على القوم الكافرين).

---

١٤ - المائدة (٥٩).

(*) المائدة (٦٥).

١٥ - المائدة (٦٨).

والآية الأخيرة في سورة المائدة كالأخيرة في سورة النساء قال -تعالى-:

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾(١٦).

وفيها نهي لأهل الكتاب عن التطرف في الدين والغلو فيه خاصة في شأن عيسى -عليه السلام- فقد غالى فيه اليهود والنصارى غلواً هو منه براء، إذ زعم اليهود أنه كذاب وجاء من سفاح، وزعم النصارى أنه ابن الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فضل الفريقان وأضلوا من بعدهم وهم الذين كانوا في عهد الرسول -ﷺ- وتمادوا في غيهم وضلالهم كثيرا حتى ضلوا عن سواء السبيل أي وسطه المعتدل الذي لا غلو فيه وهو دين الإسلام وفي سورة الأنعام ذكرت الكلمة مرة واحدة في قوله - تعالى -:

﴿ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴾(١٧).

وقد اقتضت حكمة الله وعدالته ألا عذاب ولا هلاك إلا بعد الإنذار والاعذار:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ فقد أرسل -سبحانه- الرسل إلى الإنس والجن ليبلغوهم دين الله وشرعه، فإذا آمنوا نجوا، وإذا كفروا أهلكهم بما شاء من عذابه ولا يظلم ربك أحداً.

وفي سورة الأعراف ذكرت الكلمة سبع مرات أولاها: في الآية الثالثة والثمانين:

﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾(١٨).

والحديث فيها وفيما قبلها وما بعدها عن لوط -عليه السلام- وقومه أهل السوء والفساد، ذلك أنه نهاهم عن الفاحشة المقيتة التي كانوا يأتونها علانية فلم يستجيبوا فأنذرهم عذاب الله فتمادوا حتى جعل الله قراهم عاليها سافلها فهلكوا ولم ينج من هذا العذاب إلا لوط وأهله لكن امرأته كانت من الهالكين لأنها لم تؤمن به بل خانته بالكفر وموالاة قومها المفسدين.

وفي الآية الرابعة والتسعين جاء قوله -تعالى-:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾(١٩).

لقد مضت سنة الله أنه إذا أرسل نبيا إلى قوم فكذبوه أخذهم بالشدة والبأس، فأنزل بهم الجدب وبعض الأوبئة والنكبات لعل الشدة تنبههم إلى خالقهم فيتوجهون إليه بالضراعة والدعاء حتى يكشف عنهم ما حل بهم، إذ بعض الناس تقومهم المصائب وبعضهم يصلحهم النعم ولله في خلقه شئون.

ثم ذكرت الكلمة أربع مرات متتالية في سياق واحد وهي قوله -تعالى-:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٢٠).

﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾(٢١).

---

١٦ - المائدة (٧٧). (*) الإسراء (١٥). ١٧ - الأنعام (١٣١). ١٨- الأعراف (٨٣).

١٩ - الأعراف (٩٤). ٢٠ - الأعراف (٩٦). ٢١ - الأعراف (٩٧).

﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾[22].

﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾[23].

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[24].

فى الآية الأولى من هذه الآيات حديث عن أهل مكة وما جاورها وما شابهها من القرى فلو آمنوا لانهالت عليهم بركات السماء من هداية ومعونة وتوفيق ومطر، وتوالت عليهم بركات الأرض من خصب وزروع وثمار ومعادن وغيرها لأن الإيمان سبب فى السعادة والرخاء لكنهم كذبوا ولم يؤمنوا فأخذهم الله بالشدة والبأساء جزاء على كفرهم ومعاصيهم.

وفى الآية الثانية تحذير لهم وتعجيب من غفلتهم وحالهم فهل أخذوا أمانا ألا يأتيهم عذابنا وهم غافلون فى الليل وهم نائمون أو فى وقت الضحى وهم يلعبون إن هذا منهم جهل وخسران إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وفى الآية الأخيرة يذكرنا – سبحانه – أن هذه الحقائق السابقة التى مضت بها سنة الله غفلت عنها الأجيال اللاحقة الذين ورثوا الأرض بعد هلاك أهلها الغابرين فلم يتبين لهم أنهم سيحل بهم ما حل بسابقيهم لأن سنة الله فى الخلق ماضية لا تتغير فلو نشاء أهلكناهم بكفرهم ومعاصيهم أو نطبع على قلوبهم فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها كفر ولا يستفيدون من المواعظ والحكم والإرشادات.

والآية الأخيرة فى سورة الأعراف هى قوله –تعالى–:

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[25].

والمعنى: قال فرعون للسحرة الذين أتوا لمعارضة سحر موسى – كما يزعم – فانبهروا بمعجزته –عليه السلام– فهم أدرى الناس بالسحر فقالوا:

﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴾[26]

عندئذ قال لهم فرعون: إن إيمانكم جاء نتيجة لاتفاق سابق وتواطؤ بينكم وبين موسى فهو كبيركم الذى علمكم السحر فليس من المعقول أن تظهروا للناس فشله وسحره، إنه كيد كدتموه سويا لأهل المدينة لتخرجوهم منها ثم توعدهم بالصلب وتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف لكن هذا التهديد لم يؤثر فيهم فقد خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم فهانت فى أعينهم الدنيا بمن فيها وقالوا له:

﴿ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ۝٧٢ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[27].

هذا والله أعلم.

«يتبع»

---

22 ـ الأعراف (98). 23 ـ الأعراف (99). 24- الأعراف (100).
25 ـ الأعراف (123). 26- الأعراف (121، 122). 27- سورة طه الآيتان (72، 73).

الآيات الكونية أعلام هداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

إن من البداهة بمكان أن من وسائل المعرفة والهداية التدبر فى بديع صنع الله والتفكر فيما خلق الله، والنظر فى الآيات الكونية المبثوثة من حولنا فى الآفاق. وقد صدق من قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله
أم كيف يجحده الجاحد
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

نعم فى كل شىء لله آية تدل على وحدانيته وقدرته وعظمته، وبديع صنعه وعظيم لطفه ورحمته. وآيات الله لا يحصيها عد، لأنه كلما تقدمت المعارف الإنسانية اكتشف العلماء آيات جديدة. وهذا ما يشير إليه قول الله - تعالى -:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾(1).

والآيات الكونية أعلام هادية لمن وعى وتدبر، ولكن بعض الخلق الذين لا يلتفتون إليها ولا تسترعى انتباههم - بسبب غفلتهم - لا يهتدون إليها، والعيب فيهم، وليس فى الآيات التى أبدعها الله وجعلها دالة عليه وهادية إليه وفى هؤلاء الغافلين الضالين يقول الله - تعالى -:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾(2).

ويقول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(3).

وإذا كان هناك من جانب البعض جحود وعناد واستكبار عن قبول الحق، فإن كثرة الآيات من حولهم لن تؤثر فيهم ولن يهتدوا لها، بل إنهم حين يواجهون بالآيات تحديا لهم يتهربون من قبولها والانصياع لها بشتى الحيل والأساليب يقول الله - عز وجل -:

﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾(4).

(1) سورة فصلت الآية (53).
(2) سورة يوسف الآية 105.
(3) سورة يونس الآية 101.
(4) سورة القمر الآية 1: 3.

وربما أقسم بعض الضالين المكذبين بأنهم سيؤمنون ويهتدون إذا جاءتهم آية من الآيات. لكن الله العليم الخبير يكذبهم ويرد مزاعمهم فيقول - سبحانه - :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾(٥).

وبجهلهم اشتروا الضلالة بالهدى. وما كان الله ليهدي أمثالهم على مقتضى علمه - سبحانه - وحكمته.

وحين كذب أهل مكة رسول الله واقترحوا عليه أن يأتي بالآيات كما أوتي الأولون وأن يأتي إليهم بالملائكة ليتحدثوا إليهم حتى يصدقوا محمداً - ﷺ - حين طلبوا ذلك بين الله لرسوله - ﷺ - أنهم لن يؤمنوا مهما يروا من الآيات وهم إنما يسيرون على درب أسلافهم المعاندين المجرمين يقول الله - تعالى - :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾(٦).

هذه هي السموات والأرض خلقها الله بقدرته وجعل من الماء كل شيء حي، وها هي الأرض ذللها الله وثبتها بالجبال الرواسي وهيأها لتكون صالحة للحياة فوقها، والانتفاع بما فيها، والكافرون يعيشون فوقها، ويجوبون سبلها وفجاجها لعلهم يهتدون، وها هي السماء فوقهم مرفوعة بغير عمد، ومحفوظة بقدرة الله - عز وجل - آية عظيمة من آيات الله، والكفرة يعيشون تحتها ولا يلتفتون إليها ولا يعترفون بفضل خالقها وخالقهم، ولا يهتدون بهداه. ولو تأملوا واعتبروا لاهتدوا.

ولكن أنى لهم ذلك وقد عميت بصائرهم؟ يقول الله - تعالى - :

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (٣٠) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾(٧).

إن الإلحاد والضلال ينبعان من بؤرة السفه، لأنه حين يسفه المرء نفسه ويركب رأسه ويغمض عينيه عن كل ما حوله فلا يعي ولا يتدبر ثم يصدر الأحكام جزافاً لا تخضع لمنطق ولا يربطها فكر سليم حينئذ يصبح المرء ملحداً.

أما حين يتأمل فيما حوله وينظر في بديع صنع الله ويعمل فكره قاصداً الوصول إلى الحقيقة وباحثاً عن الهداية؛ فإنه سيحصل عليها بفضل الله وتوفيقه.

والقرآن الكريم لم يطلب من الناس أكثر من فتح بصائرهم على آفاق السماء وفجاج الأرض

---

(٥) سورة الأنعام الآية ١٠٩: ١١١.

(٦) سورة الحجر الآية ١٠: ١٥.

(٧) سورة الأنبياء الآية ٣٠: ٣٢.

وخواص الأشياء، وذلك هو الطريق إلى الهداية، يقول الله – تعالى –:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾(٨).

فأيما عبد من عباد الله نظر فيما حوله من المخلوقات والكائنات البديعة الصنع العظيمة الإتقان وأناب إلى الله طالباً هدايته هداه الله. يقول الله – تعالى –:

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾(٩).

نعم هذا هو الحق. فإن النظر والتأمل والإنابة طريق إلى الهداية، أما غير المنيبين إلى الله فإن النوازل تنزل بهم، والقوارع تقرعهم، والمصائب تصيبهم ولا يتعظون ولا يعتبرون وربما قالوا إنها ظواهر طبيعية، تهرباً من الاعتراف بأنها نذر وآيات كونية من تدبير الله – سبحانه – القادر على كل شيء ولو شاء لأهلكهم بذنوبهم.

لقد حثنا القرآن الكريم على النظر والتدبر فيما خلق الله من حولنا وفي أنفسنا، وعد ذلك مسلكاً من مسالك العقلاء، وذلك يعني أن من لا يتأملون في ذلك لا عقل لهم. وما قيمة عقل لا ينفع صاحبه؟ يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١٠).

وقد روى أن رسول الله – ﷺ – بكى بكاء شديداً حين نزلت هذه الآيات فلما سئل عن ذلك قال: «ويل لم قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها»(١١).

والقرآن الكريم – بالإضافة إلى ما سبق – حافل بالآيات الكريمة التي تلفت أنظار الناس إلى آيات الله في الكون كي يهتدون بها إلى الله ويدركوا عظمته وجميل لطفه وحكمته وبديع صنعه وقدرته، ونحن نذكر فيما يلي بعض هذه الآيات. يقول الله – تعالى –:

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(١٢).

ويقول – عز وجل –:

---

(٨) سورة ق الآية ٦: ٨. (٩) سورة سبأ الآية ٩. (١٠) سورة آل عمران الآية ١٩٠–١٩١.

(١١) رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه. (١٢) الأنعام: ٩٦ – ٩٩.

﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١٣).

هذه الآيات الكونية الكثيرة إنما ينتفع بها الذين يعلمون ويتفكرون ويفقهون ويعقلون ويهتدون بها إلى الله ويؤمنون به.

أما الذين لا يعلمون ولا يتفكرون ولا يفقهون ولا يعقلون فإنهم لا ينتفعون ولا يهتدون وفي طغيانهم يعمهون.

ومن جميل ما جاء في القرآن الكريم عن الهداية بواسطة الآيات الكونية وإدراك ما فيها وما ترشد إليه ما جاء على لسان الهدهد في قصة سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأ. حيث يقول الله – تعالى – حاكيا مقالة الهدهد لسيدنا سليمان – عليه السلام –:

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾(١٤).

فهذا الهدهد ـ وهو من العالم البهيمي ـ وحد الله واحتج على صحة توحيده بآية من الآيات الكونية. هي أنه – سبحانه – ينزل المطر من السماء فيخرج به النبات من الأرض. فاحتج بحدوث هذين الأمرين العجيبين المعلوم حدوثهما المشاهد والمتكرر بحسب حاجة الخلق إليهما.

كما اهتدى الهدهد إلى فساد الشرك وعلم أنه من تزيين الشيطان لبعض الخلق ليصدهم عن سبيل الهداية ويكونوا من الضالين.

فكيف لا يهتدي بعض الخلق إلى ما اهتدى إليه الهدهد؟

ولم لا يدركون ما أدركه بعض الأعراب حين سئل: بم عرفت الله؟ فقال: البعرة تدل على البعير وأثر الخطى يدل على المسير. فسماء ذات أبراج وبحار ذات أمواج وأرض ذات فجاج كيف لا تدل على العلي الكبير؟.

ونختم بالتذكير بهذه الآية العظيمة من آيات الله العجيبة. وهي آية شغلت العلماء والباحثين من المسلمين ومن غير المسلمين وتوصلوا إلى نتائج باهرة، تلك هي مملكة النحل ومنتجاته. وفيها يقول الله – تعالى –

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١٥).

فسبحان ربنا الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى.

---

(١٣) الرعد: ٢ – ٤.

(١٤) النمل: ٢٢ – ٢٦.

(١٥) النحل: ٦٨ – ٦٩.

الذكرى الخالدة

فى ذكرى معجزة الإسراء والمعراج

١

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

كان رسول الله - ﷺ - ليلة السابع والعشرين من رجب من العام الخمسين لميلاده فى رحلة لم تشهدها الدنيا من قبل، رحلة من مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، ثم من الأرض إلى السماء الدنيا، إلى السموات العلا، إلى الملأ الأعلى إلى سدرة المنتهى، وعاد رسول الله من ذلك المرتقى العظيم إلى الأرض، إلى مكة، إلى بيت الله الحرام، مطيته فى ذلك البراق ولا تسل عن البراق، وكيف يحدثك مخلوق عن سر من أسرار الله، عن معجزة صنعتها السماء، عن رحلة مدبرها خالق الكون العظيم، ونزل محمد عن البراق، وودعه جبريل، وهو يقول لرسول الله، يا محمد إذا أصبحت فحدث قومك بما رأيت من العجائب فى هذه الليلة وبشرهم برحمة الله، ورد عليه الرسول الأكرم، «يا أخى يا جبريل إنى أخاف أن يكذبونى»، ويرد عليه جبريل -عليه السلام- «إن كذبوك صدقك أبو بكر فلا تبال بمن كذبوك».

ورقد رسول الله فى فراشه الذى كان قبل الرحلة المباركة نائما عليه ثم استيقظ وهب قائما لصلاة الفجر، ثم جلس بعد الصلاة يستغفر الله ثم التفت إلى ابنة عمه أم هانىء بنت أبى طالب، فقال لها: «يا أم هانىء إن جبريل أتانى الليلة ولقد صليت معكم العشاء الآخرة ثم جئت إلى بيت المقدس فصليت فيه صلاة الغداة - الصباح أى صلاة الفجر- معكم الآن كما ترين..» وفى رواية أخرى عن أم هانىء: «بات رسول الله ليلة أسرى به فى بيتى ففقدته من الليل فامتنع عنى النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قريش فقال رسول الله -ﷺ-: «إن جبريل أتانى فأخرجنى فإذا على الباب دابة فحملنى عليها ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى بيت المقدس، فأرانى إبراهيم وأرانى موسى وأرانى عيسى بن مريم.. وأنا أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بما رأيت، تقول أم هانىء: «فأخذت بثوبه فقلت إنى أذكرك الله إنك إن تأت إلى قومك يكذبوك وينكروا مقالتك

فـأخـاف أن يسطوا بك، قـالت أم هانىء: فضرب ثوبه عن يدى ثم خرج إليهم فأتاهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرنى وفيهم: جبير ابن مطعم وعمرو بن هشام والوليد بن المغيرة، فقال جبير بن المطعم: يا محمد إن لو كنت لك شأن كما كنت ما تكلمت بما تكلمت به الآن وأنت بين ظهرانينا فقال رجل من القوم: يا محمد هل مررت بإبل لنا فى مكان «كذا وكذا» قال: «نعم والله لقد وجدتهم قد أضلوا بعيرا لهم فهم فى طلبه» قال: هل مررت بإبل لبنى فلان؟ قال: «نعم وجدتهم فى مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم آنية من ماء فشربت ما فيها» وقام عمرو بن هشام فقال: أنت تقول إنك قد رأيت إبراهيم وموسى وعيسى فصليت بهم وكلمتهم قال -صلوات الله عليه-: نعم فقال عمرو كالمستهزىء صفهم لى فوصفهم له رسول الله وفى الحديث: «لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه، وذهل القوم لما سمعوا من وصف المسجد من فم رسول الله فضج القوم وأعظموا ذلك وقام المطعم بن عدى بن نوفل فقال: كل أمرك قبل اليوم كان أمما -أى قريبا أو يسيرا- غير قولك اليوم أشهد أنك كاذب نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم أنك جئته فى ليلة واللات والعزى لا أصدقك، وما كان هذا الذى تقول فقال أبوبكر: يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته وكذبته أنا أشهد أنه صادق فقال مطعم والد جبير بن مطعم: يا محمد صف لنا بيت المقدس قال: «دخلته ليلا وخرجت منه ليلا» فأتاه جبريل -عليه السلام- بصورة له فوصفه -ﷺ- لهم وصف عيان فقالوا يا مطعم دعنا نسأله عما هو أغنى لنا من بيت المقدس أخبرنا عن عيرنا إلخ فقال الوليد بن المغيرة: ساحر فرموه بالسحر، وقالت عائشة أم المؤمنين: لما أسرى بالنبى -ﷺ- إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا، وسعى رجال من المشركين إلى أبى بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال: لئن قال ذلك لقد صدق قالوا: تصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال نعم، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة فسمى لذلك: «الصديق».

وجلس رسول الله حزينا حول البيت الحرام فمر به أبوجهل فجاء حتى جلس إليه فقال له -كالمستهزىء-: هل كان من شىء؟ فقال رسول الله: «نعم» قال: وما هو؟ قال: إنى أسرى بى الليلة قال: إلى أين، قال: إلى بيت المقدس قال: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: نعم فلم ير أبوجهل أن يكذبه مخافة أن يجحد رسول الله الحديث، فقال أرأيت إن دعوت قومك أن تحدثهم بما حدثتنى به؟ قال رسول الله: «نعم» فقال أبوجهل: يا معشر

بنى كعب بن لؤى فانفضت إليه المجالس، وجاءوا حتى جلسوا، فقال أبوجهل: حدث قومك بما حدثتنى فقال: رسول الله: «إنى أسرى بى الليلة» فقالوا: إلى أين؟ قال -ﷺ-: إلى بيت المقدس»، قالوا: ثم أصبحت بين ظهرانينا؟ قال: «نعم» فهاجوا مابين مصدق وواضع يده على رأسه متعجبا للكذب قالوا: وتستطيع أن تنعت لنا المسجد وفيهم من قد سافر ورأى المسجد فمازال رسول الله يصفه لهم والمسجد أمامه فى صورة مبهرة فقالوا: أما النعت فوالله لقد أصاب فيه.

٢ ذلك حال قريش وأعلامها وزعماؤها وقد سمعوا حديث الإسراء من فم رسول الله فما بالهم لو سمعوا منه حديث المعراج؟

هذه الرحلة الخالدة التالدة الماجدة الواعدة هى رحلة الإسراء والمعراج وعن الإسراء يقول الله -عز وجل- فى كتابه الحكيم:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾[١].

وعن المعراج يقول الله -عز وجل- فى سورة النجم:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[٢].

ويقول فى سورة التكوير:

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾[٣].

يروى شداد بن أوس الحديث عن رسول الله فيقول: قلت: يا رسول الله كيف أسرى بك؟ قال: «صليت لأصحابى صلاة العشاء بمكة معتما فأتانى جبريل بداية فقال: اركب ثم حملنى عليها فانطلقت تهوى بنا حتى بلغنا أرضا ذات نخل فأنزلنى فقال: صل فصليت ثم ركبت فقال: أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت بيثرب، بطيبة، فانطلقنا تهوى بنا ثم بلغنا أرضا قال: انزل ثم قال: صل فصليت ثم ركبنا فقال: أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال صليت بمدين ثم انطلقت تهوى بنا ثم بلغنا أرضا فنزلت فصليت ثم ركبنا فقال: أتدرى أين صليت؟ قلت: الله أعلم قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى، ثم انطلق بى حتى دخلنا المدينة أى -بيت المقدس- من بابها اليمانى وصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى فأتيت بإناءين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل فأخذت اللبن فشربت ثم انطلق بى حتى أتينا الوادى الذى فيه المدينة

---

(١) سورة الإسراء ١٠.

(٢) سورة النجم ١٠-١٨.

(٣) سورة التكوير ١٩-٢٤.

ثم انصرف بي ثم أتيت أصحابي الصبح بمكة فأتاني أبوبكر فقال: يارسول الله: أين كنت الليلة؟ فقلت: أعلمت أني أتيت بيت المقدس الليلة؟».

وعن سعيد الخدري: «دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تعرج عليه أرواح الأنبياء فلم ير الخلائق أحسن من المعراج، فصعدت أنا وجبريل فاستفتح جبريل باب السماء قيل: من هذا؟ قال جبريل: قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم فإذا أنا بآدم، ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله -عز وجل- قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل: من هذا؟ قال هذا أخوك يوسف فسلمت عليه فرد علي، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فإذا أنا بيحيى وعيسى فسلمت عليهما وسلما علي، ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه فسلم علي ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون فسلمت عليه وسلم عليّ ثم صعدنا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى فسلمت عليه فسلم عليّ، وفي السابعة إذا أنا بإبراهيم فسلمت عليه فسلم عليّ ودخلت البيت المعمور، ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، ثم إني رفعت إلى الجنة ثم عرضت على النار، ثم إني رفعت إلى سدرة المنتهى فتغشاني ما تغشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى وفرضت علي خمسون صلاة وجعلها ربي خمسا ثم أصبح بمكة».

ويروي أنس بن مالك مثل ذلك

وعن أبي هريرة -رضي الله-: جاء جبريل إلى النبي - ﷺ - ومعه ميكائيل ثم أتاه بفرس فحمله عليه - ﷺ - ثم سار حتى أتى بيت المقدس، ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا: يا جبريل: من هذا؟ قال: محمد قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء، ثم لقي أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ثم أن محمد -ﷺ- أثنى على ربه -عز وجل- فقال: كلكم أثنى على ربه وإلى مثن على ربي، الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه بيان لكل شيء، وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي وسطا، وجعل أمتي هم الأولين وهم الآخرين، وشرح لي صدري، ووضع عني وزري، ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فقال إبراهيم -عليه السلام-: بهذا فضلكم محمد، ثم صعد إلى السماء فاستفتح ففتح له فإذا آدم -عليه السلام- ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية، فإذا عيسى ويحيى بن زكريا ابنا الخالة، ثم صعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فإذا يوسف، ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح فإذا به إدريس -عليه

السلام- ثم صعد به إلى الخامسة فاستفتح فإذا هارون ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فإذا موسى، ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فإذا إبراهيم -عليه السلام- ثم انتهى إلى سدرة المنتهى فكلمه الله بعد ذلك، فقال له: سل فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا كبيرا وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يحيى الموتى بإذنك فقال له الرب الأعظم: وقد اتخذتك خليلا وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك سبعا من المثاني لم يعطها نبي قبلك».

وفرض الله -عز وجل- عليه الصلاة

وهكذا كانت هذه الرحلة المباركة الإلهية رحلة الإسراء والمعراج شرفا ومجدا وتكريما لرسولنا العظيم ولأمته -ﷺ-.

وتروى أم هانيء حديث الإسراء فتقول رواية عن رسول الله -ﷺ-: «إنى نمت الليلة في المسجد الحرام فأتاني جبريل -عليه السلام- فذهب بي إلى باب المسجد فإذا بدابة أبيض فركبته فكان يضع حافره مد بصره وجبريل -عليه السلام- لا يفوتنى حتى انتهينا إلى بيت المقدس فنشر لى رهط من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- فصليت بهم وكلمتهم وأتيت بإناءين: أحمر وأبيض فشربت الأبيض فقال لى جبريل: شربت اللبن وتركت الخمر».

ويروى ابن مسعود الحديث عن الاسراء والمعراج فيقول: لما أسرى برسول الله فانتهى إلى سدرة المنتهى.

وتوضح الأمر رواية أخرى له يقول فيها: «أتانى جبريل بدابة فحملنى عليه ثم انطلق يهوى بنا حتى مررنا برجل فرفع صوته يقول: أكرمته وفضلته فدفعنا إليه فسلمت عليه فرد السلام فقال: من هذا معك يا جبريل قال: أحمد قال: مرحبا بالنبي الأمي العربي الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته فقلت: من هذا يا جبريل قال: هذا موسى بن عمران ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة تحتها شيخ فقال لى جبريل: أعمد إلى أبيك إبراهيم فدفعت إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا ابنك أحمد قال: مرحبا بالنبي الأمي الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى فنزلت ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد ثم أقمت الصلاة فأممتهم».

وعن عبدالرحمن بن قرط قال: «إن رسول الله -ﷺ- ليلة أسرى به إلى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم: جبريل عن

يمينه وميكائيل عن يساره قطارا به حتى بلغ السموات السبع».

قد يحار العقل فى أمر هذه المعجزة الخارقة وقد يقف أمامها لا يدرى ما يقول.. وأقول لكل من يفكر فى أمر هذه المعجزة: لا تفكر فى شىء فإن معنى المعجزة أنها أمر لا دخل للعقل ولا للفكر فيه، وأنها فوق كل نواميس البشر، وأنها عمل وتدبير إلهى لا يستطيع أحد إدراك كنهه لا تسأل: كيف شق الله لموسى البحر، ولا كيف نجا إبراهيم من النار، ولا كيف هدى نوحا إلى صنع السفينة، لا تفكر فى شىء من ذلك كله فليس المجال مجال إرادة بشرية، ولكنها الإرادة الإلهية الأزلية.

ولأقرب لك الأمر بعض التقريب فأنقل إليك كلمة للدكتور عبدالهادى مصباح «الأخبار عدد ٥/١١/١٩٩٩ يقول فيها: ما العجب فى أمر الإسراء والمعراج أليس اختراع الدكتور زويل وهو من البشر الذين فتح الله عليهم بجزء يسير من علمه قد وصل إلى تقسيم الثانية الواحدة إلى ٣٢ مليون سنة من خلال وحدة الفمتو ثانية؟ واستطاع أن يرصد ما يمكن أن يحدث خلال الثانية الواحدة وكأنه دهر من خلال أشعة الليزر فهل نستبعد على رب العزة -جل وعلا- أن يفعل كل ذلك لرسوله الكريم بينما حساب الزمن متوقف أو ليس فى إدراكنا على الإطلاق؟ إن الذين يريدون أن يدركوا ما حدث من خلال قدراتهم وعقولهم إنما يحملون أنفسهم فوق طاقتها فهل يستطيع أحد أن يفهم كيف أحيا عيسى الموتى، أو كيف كلم الله موسى، أو كيف تجلى الله -عز وجل- للجبل فجعله دكا، أو كيف أوقف الخالق الأعظم قانون الحرق بالنار وجعلها بردا وسلاما على إبراهيم؟

إن معراج الرسول قد تم دون أن يرتدى بدلة رواد الفضاء ولم يعبأ بالجاذبية الأرضية وانعدام الوزن الذى يحدث لرواد الفضاء وهم داخل ثيابهم المجهزة وسفن الفضاء المحكمة حين يخرجون عن نطاق الجاذبية الأرضية كل هذا لمجرد أن يصلوا إلى كوكب آخر فى مجموعتنا الشمسية مثل كوكب المريخ.

لا عجب إذا من رحلة المعراج فالقدرة الإلهية فوق القوانين وفوق النواميس وفوق كل عرف وكل قاعدة.

والله -عز وجل- هو القادر المهيمن:

﴿ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

(١) سورة الحشر «٢٤».

من نور الإسراء قبس للضياء

للأستاذ الدكتور / مبروك عطية أبوزيد

مخطئ من ظن أن الدنيا إذا ضاقت فما لها من سعة، وأن النفس إذا انقبضت فما لها من متنفس، وأن الليل إذا أطبق فما له من فجر، وأن اليأس إذا خيم فما له إلى انقشاع من سبيل، ذلك أن الوهم لا يدفعه إلا اليقين، والوهم لا يسيطر إلا على نفس ضعيفة، وكيان يتهاوى كما يتهاوى البناء الهش.

فما بكى سيدنا رسول الله - ﷺ - حيث دعا إلى الله أهل الطائف فكذبوا - إلا حنيناً وإشفاقاً عليهم؛ لأنه منقذهم بدعوته الصادقة من عذاب النار

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[1].

وفي كتب السيرة والسنة فيض من الأحداث العظيمة التي سجلها التاريخ لسيدنا رسول الله - ﷺ - منذ بدأت الدعوة إلى الله إلى ليلة الإسراء والمعراج المباركة، فقد بعث الله - عز وعلا - في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم فما كان منهم غير الصدود والتكذيب، وما كان منه - ﷺ - غير الصبر والتأسي بتاريخ الأنبياء والمرسلين الذين سبقوه، أطلعه الله عليه فرآه بعين يقينه، فاستحالت بصيرته - ﷺ - بصراً لا يخطئ التمييز بين الأشياء، مثلما كان بصره - ﷺ - بصيرة تعرف طريقها إلى رب الأرض والسماء فما لان عزمه، ولا فتر حماسه، ولا قل جهاده في سبيل دعوته ورسالته.

وقد قيض الله له من رحمته أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - زوجة وفية مؤمنة، مصدقة بارة، مجاهدة صادقة، وقد أعدها الله - تعالى - لسيدنا رسول الله - ﷺ - إعداداً، فجاءته على قدر، وكل شيء خلقه الله على قدر، فقد استوت عمراً وعاطفة وثروة لتكون لسيدنا المصطفى عقلاً وحكمة،

(١) الكهف: (٦).

ومدداً ورحمة، وعوناً ودفعاً كما قيض له عمه أبا طالب تخشى بأسه قريش، وتعرف له مكانته، وقد عرضت قريش على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ من خلال عمه أبي طالب الملك والسلطان، والمال وعرض الدنيا ليترك أمره الذي جاء به، وما كان ليتركه وهو الحق، أو يتخلى عنه وهو المكلف به من العليّ الملك الكبير، وقد عرض عليه أبو طالب ما نقل إليه، فلما علم منه أنهم لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله ما تركه لم يخذله عمه، ولم يسفه رأيه، ولم يتخل عنه وإن لم يؤمن برسالته.

وسيراً على ما سار عليه الدهر من تغير الظروف والأحوال: إذْ إنَّ دوام الحال من المحال تموت السيدة خديجة، وتخلو منها الدار، فيكون السؤال من مقتضيات العقل: أما لوداعها من حزن ووحشة؟! ويكون الجواب من بديهيات الأمور لمن وقف بقلبه وفكره على معالم الشخصية العظيمة التي هي الرحمة المهداة، وأي قلب يعرف معنى الحب إن لم يعرفه قلب سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ!

ويموت عم سيدنا المصطفى ـ ﷺ ـ أبو طالب فيزداد الخطب، ويعظم المصاب، وتبقى الدعوة، ويظل الجهاد الكبير زاحفاً نحو القبائل، صاعداً نحو الجبال، مناشداً فكر الرجال أن اشهدوا بأن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله.

وهنا لابد من وقفة طويلة، نتأمل فيها الدرس والعبرة، ونقتبس من نورها قبساً لضياء حياتنا، حيث إنا قد عرفنا حال المجاهد الكبير القدوة، وقد مات من يؤنسه ويمده ويصدقه، ومات من ينصره ويسانده، وعرفنا أنه ـ ﷺ ـ بعد أن أوذي بالطائف توجه إلى الله ـ عز وعلا ـ قائلاً: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربي، إلى مَنْ تكلني، إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدوٍ ملكته أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك»[٢].

وهذا الدرس يطيب لي أنْ أسميه: «لست وحدك» نعم، إنَّ المسلم ليس وحده في هذه الحياة الدنيا، وإنما هو في معية الله ـ عز وعلا ـ الذي خلقه فسوّاه، ورزقه وهداه، يدبر الأمر، وهو على كل شيء قدير، وقد أثبت سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ تلك الحقيقة، بهذا التوجه السليم، وتلك الكلمات المضيئة التي انبعثت من لسان طاهر وقلب ذاكر، فأسرى الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وعرج به إلى السماوات العلا، حيث سدرة المنتهى، والنور الإلهي الذي غمره يقيناً وحباً واحتباء؛ ليعود مصلياً متصلاً جعلت قرة

---

(٢) سيرة ابن هشام مع الروض الأنف ٢/١٧٢، ١٧٣.

عينه في الصلاة التي فرضت عليه ليلتها من فوق سبع سماوات؛ ليظل راكعاً ساجداً، ذاكراً سائلاً من إذا سئل رضي وأجاب - سبحانه - وكذلك تظل أمته:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾(٣).

ومن ثم عرفت الأمة أنّ سيدنا رسول الله - ﷺ - كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، فإذا قال قائل: لماذا؟ فالجواب في الآية الكريمة: «ليبتغى فضلاً من الله ورضواناً».

وأم المشكلات في حياة المرء أن يظن أنه وحده في الحياة، هو الذي يعمل، وهو الذي يكسب، وهو الذي يفكر، وهو الذي يصنع النجاح، وهو وهو فإذا انقلب الأمر فهو الذي يعاني، وهو الذي لا يجد مخرجاً، وهو الذي خسر، وحق له ذلك واستحق السواد الذي رسمه وهمه وغروره، وبعده عن هدى سيدنا رسول الله - ﷺ - ذلك أنّ المسلم الذي آمن بهذا الدين الحنيف يعلم أنّ الله وليه وأنه خالق الأسباب ومسخرها بقدرته وإرادته، وأنه لا يقع في ملكه ما لا يريده، وأنه ما من دابة إلاّ هو - سبحانه - آخذ بناصيتها، وعليه - سبحانه - وحده رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، وأنه ولي التوفيق، فإنّ أصابه خيرٌ فمن الله، والفضل فضله يؤتيه من يشاء، وإنْ أصابه سوء فزع إلى ربه ومولاه؛ فهو - سبحانه - الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويقينه بذلك سبيل إلى راحة نفسه، واستقرار أمره، وبلوغ أمله، وتحقيق أمنه، وما من بديل أمامه؛ بدليل أننا نرى مَنْ يتهاوى لأقل سبب، فيرتفع ضغط دمه، وتأتيه الأمراض من كل مكان، وقد فطن الأطباء إلى أن وراء ذلك كله نفسيّة مضطربة، وتعكيراً للشعور أدى إلى تلوث الحركة الدموية واضطراب الوظائف العضوية، وصدق الله العظيم:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾(٤).

ولا تكون الراحة النفسية بالتنزه في الحدائق والتنقل في البلاد، فتلك مُسكّنَاتٌ موقوتة، يعود الألم بعدها أشد وأعنف، وإنما تكون باليقين بأنّ الله - عز وعلا - إنْ يشأ فرّج الكرب، وأعان، وحقق لعبده مراده ما دعاه مخلصاً واستكان فهو - سبحانه - الذي يقول للشيء كن فيكون.

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيِّئ لنا من أمرنا رشدا.

وصلى الله وسلّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ما ذكر الله الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون إلى يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.

---

(٣) الفتح: (٢٩).

(٤) محمد: (٢).

نموذج من جدال الخوارج

للأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم الفيومي

روى ابن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » قال ابن عباس للخوارج: ماذا نقمتم عليه - أي، على أمير المؤمنين؟ قالوا: ثلاثا. قلت: ما هن. قالوا: حكم الرجال في أمر الله، وقال: إن الحكم إلا لله، قال. فقلت: هذه واحدة. وماذا أيضا قالوا: فإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم فلئن كانوا مؤمنين ما حل قتالهم. ولئن كانوا كافرين لقد حل قتالهم وسبيهم. قال: قلت: وماذا أيضا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت أرأيتكم إن أتيتكم من كتاب الله. وسنة رسوله ما ينقض قولكم هذا أترجعون. قالوا: ومالنا لا نرجع؟

قال: قلت: أما حكم الرجال في أمر الله فإن الله قال في كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾(1).

وقال في المرأة وزوجها:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾(2).

فصير الله ذلك إلى حكم الرجال فناشدتكم الله أتعلمون حكم الرجال في دماء المسلمين وإصلاح ذات بينهم أفضل؛ أو في حكم أرنب ثمنه ربع درهم، وفي بضع امرأة. قالوا: بل هذا أفضل. قال: أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

فأما قولكم قاتل فلم يسب ولم يغنم أفتسبون أمكم عائشة؟ فإن قلتم نسبيها فنستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم، وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم فأنتم تترددون بين ضلالتين، أخرجت من هذه؟ قالوا: بلى.

(1) المائدة آية 95.

(2) النساء آية 35.

قال: وأما قولكم محا نفسه من أمرة المؤمنين فأنا آتيكم بما ترضون به، إن نبي الله يوم الحديبية حين صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو، وقال رسول الله اكتب يا علي: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال أبو سفيان وسهيل بن عمرو: ما نعلم أنك رسول الله ولو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، قال رسول - ﷺ - اللهم إنك تعلم أني رسولك امح يا علي، واكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرو.

قال: فرجع ألفان وبقي بقيتهم فخرجوا فقتلوا.(٣)

مناظرة عمر بن عبد العزيز مع الخوارج

أرسل عمر بن عبد العزيز إلى شوذب - واسمه بسطام من بني يشكر - كتابا فيه: (إنه بلغني أنك خرجت غضبا لله ولنبيه ولست أولى بذلك مني فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا فأرسل إليه من يناظره وكان من بين ما تناظرا فيه (أخبرنا عن يزيد لم تقره خليفة بعدك ؟ قال: صيره غيري قالا: أفرأيت لو وليت مالا لغيرك ثم وكلته إلى غير مأمون عليه أتراك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك ؟ قال: فقال: أنظراني ثلاثا.(٤)

نماذج من الحوار بين فقهاء التابعين

قال ابن سعد: «سأل رجل سعيد بن المسيب في رجل نذر في معصية، فقال سعيد: يوفي به، فسأل عكرمة، فقال: لا يوفي به قال: فذهب الرجل إلى سعيد فأخبره بقول عكرمة، فقال سعيد: لا ينتهي ابن عباس حتى يلقى في عنقه حبل ويطاف به، قال: فجاء الرجل إلى عكرمة فأخبره الخبر، فقال عكرمة: أنت رجل سوء. قال: لم ؟ فقال: فكما بلغتني فبلغه، قل له: هذا النذر لله أم للشيطان ؟

فو الله إن زعم أنه لله ليكذبن، ولئن زعم أنه للشيطان ليكفرن».

فابن المسيب نظر إلى النص وهو قوله - تعالى -: ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾(٥) حيث لم يفصل، وكذلك الأحاديث مطلقة، ولكن عكرمة يخطؤه في هذا وينظر إلى المعنى المقصود من الأمر بالوفاء بالنذر، وأنه معلل بكونه قربة وعبادة يتقرب بها إلى الله - سبحانه وتعالى - فإذا خرج عن هذه الدائرة امتنع الوفاء به، مبينا علة الحكم بأن هذا النذر إن كان لله فلا يصح، حيث يمتنع التقرب إليه بالمعاصي، وإن كان للشيطان كفر من أمره بالوفاء به.(٦)

من جدل المتكلمين
أبو الهذيل العلاف ويهودي

بلغ أبو الهذيل العلاف في براعته في الجدل أن رجلا يهوديا قدم البصرة، وقطع جماعة من متكلميها، فقال لعمه: يا عم امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه، فقال له عمه: يا بني كيف تكلمه وقد عرفت خبره وأنه قطع مشايخ المتكلمين فقال: لابد

---

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/١٢٧.

(٤) تاريخ الطبري ٣/٦٢ دار الكتب العلمية.

(٥) الحج آية ٢٩.

(٦) تعليل الأحكام د/ محمد شلبي ص٩١.

من أن تمضى بى إليه. فمضى به، قال: فوجدته يقرر الناس على نبوة موسى ـ عليه السلام ـ فإذا اعترفوا له بها، قال: نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن تجمع على ما تدعونه فتقدمت إليه فقلت: أسألك أم تسألنى؟ فقال: بل أسألك، فقلت: ذاك إليك، فقال لى أتعترف بأن موسى نبى صادق، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك؟ فقلت له: إن كان موسى الذى تسألنى عليه هو الذى بشر بنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، شهد بنبوته وصدقه فهو نبى صادق، وإن كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف بنبوته، فرد عليه مالم يكن فى حسبانه، ثم قال لى: أتقول إن التوراة حق؟ قلت: هذه مسألة تجرى مجرى الأولى، إن كانت هذه التوراة التى تسألنى عنها هى التى تتضمن البشارة بنبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ فتلك حق وإن لم تكن كذلك فليست بحق ولا أقربها فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول»(٦).

نماذج من مناظرات المتكلمين

بين واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد جلس واصل فى الحلقة وسئل أن يكلم عمرو فقال واصل لعمرو: لم قلت: إن من أتى كبيرة من أهل الصلاة استحق اسم النفاق؟

فقال عمرو لقول الله ـ تعالى ـ:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٧).

ثم قال فى موضع آخر:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٨).

فكان كل فاسق منافقا إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين فى الفاسق.

فقال واصل أليس قد وجدت الله ـ تعالى ـ يقول:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(٩).

وأجمع أهل العلم على أن صاحب الكبيرة يستحق اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فألا كفرت صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول ـ تعالى ـ:

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١٠).

فعرف بألف ولام التعريف اللذين فى قوله: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون» فسميته منافقا لقوله ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١١).

فأمسك عمرو ثم قال له واصل: يا أبا عثمان أيما أولى أن يستعمل فى أسماء المحدثين فى أمتنا؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة أو ما اختلف فيه؟ فقال عمرو: بل ما اتفقوا عليه أولى، فقال له

---

(٦) أمالى المرتضى ـ الشريف المرتضى ج ١ /١٤٩ ط الحلبى.

(٧) النور آية ٤.

(٨) التوبة آية ٦٧.

(٩) المائدة آية ٤٥.

(١٠) البقرة آية ٢٥٤.

(١١) المائدة آية ٤٧.

واصل: ألست تجد أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقا، ويختلفون ما عدا ذلك من أسمائه، لأن الخوارج تسميه مشركا فاسقا، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقا.

والحسن يسميه منافقا فاسقا والمرجئة تسميه مؤمنا فاسقا فاجتمعوا على تسميته بالفسق، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه، فالواجب أن يسمى بالاسم الذى اتفق عليه، وهو الفسق لاتفاق المختلفين عليه، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التى اختلف فيها فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال إنه مؤمن ولا منافق ولا مشرك ولا كافر فهذا أشبه بأهل الدين.

فقال له عمرو بن عبيد: «ما بينى وبين الحق عداوة والقول قولك»(١١).

مناظرة بين والد وولده

حكى أبو القاسم البلخى أن عبيد الله قال لابنه محمد: كل خصالك محمودة يا بنى إلا قولك بالقدر؛ قال: يا أبه أفشىء أقدر على تركه أو لا أقدر على تركه؟ فورد الكلام على رجل عاقل. فقال: لا عاتبتك عليه أبدا.

قال أبو القاسم: يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولى وإن كنت لا أقدر فلم تعاتبنى على شىء لا أقدر عليه(١٢).

مناظرة بين عمرو بن عبيد ورجل فى القدر

قال الجاحظ: نازع رجل عمرو بن عبيد فى القدر، فقال له عمرو: إن الله -تعالى- قال فى كتابه ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين فى القضاء والقدر. قال -تعالى-:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١٣).

ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم أو قدرته فيهم أو أردته منهم أو شئته لهم وليس بعد هذا الأمر إلا الإقرار بالعدل أو السكوت عن الجور الذى لا يجوز على الله ـ تعالى ـ»(١٤).

أبو الهذيل ومجوسى

قال أبو الهذيل: قلت لمجوسى: ما تقول فى النار؟ قال: بنت الله، قلت: فالبقر؟ قال: ملائكة الله قص أجنحتها وحطها إلى الأرض يحرث عليها فقلت: فالماء؟ قال: نور الله، قلت: فما الجوع والعطش؟ قال: فقر الشيطان وفاقته، قلت: فمن يحمل الأرض؟ قال: بهمن الملك قلت: فما فى الدنيا شر من المجوس أخذوا ملائكة الله فذبحوها، ثم غسلوها بنور الله ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها إلى فقر الشيطان وفاقته ثم سلحوها على رأس بهمن الملك أعز ملائكة الله فانقطع المجوسى وخجل مما لزمه(١٥).

«١١، ١٢» أمالى المرتضى ١ / ١٦٥، ١٦٦، ١٦٩.
«١٤» الأمالى ١ / ١٧٧.
«١٣» الحجر آية ٩٢ ـ ٩٣.
«١٥» الأمالى ١ / ١٨١.

لا تزيفوا التاريخ وإياكم وإنكار كلام الله عز وجل

موسى بن عمران من بني إسرائيل واخناتون ملك فرعوني مصري وشتان ما بينهما

لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون

قرأت في صحيفة الأهرام الصادرة في ٢٢/٩/١٩٩٩ في ذيل الصحيفة (١١) أن كاتباً مصرياً يخلط خلطاً شديداً بين موسى النبي - ﷺ - وأخناتون الملك المصري ذي النظرة التأملية في آيات الله الكونية التي تشهد للعقول السليمة بأن الله موجود، وأنه واحد، وله كمال القدرة وكمال الحكمة والإرادة، ولكن أخناتون لم يكن عبداً ملهماً، ولم يصل إلى درجة الملهمين العظام الذين أدركتهم عناية الله - عز وجل - مثل: « لقمان » عليه السلام، العبد النوبي الصالح، و« ملكي صادق » العبد العربي الفلسطيني الراهب، عليه السلام، لذا فإن تفكير أخناتون على الرغم من الذكاء الفطري تعثر في تفسير الوحدانية فرمز للإله بالشمس وهي مخلوق أصم مسخر بمشيئة الخالق وأمره، فاختلطت فكرة الوحدانية بالشرك؛ ولأنه لم يكن على دين رسول سابق من رسل الله

أما موسى بن عمران - عليه السلام - فعقيدته هي التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك قبل أن يبعثه الله رسولاً، وبعد البعثة لأن الله - عز وجل - يصطفي رسله وأنبياءه من بين عباده، ويؤدبهم ويطهر قلوبهم ويلهمهم السداد والتوفيق والفكر الصائب والقول الفصل، فلا يلحقهم نقص في عقيدتهم أبداً وإن كانوا يشتاقون دوما للوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين، وقد جاءت الإشارة إلى هذه النعمة العظيمة في قصة موسى من سورة القصص:

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

وكان ذلك قبل النبوة وقبل خروجه وحده من مصر إلى مدين، فقد ألهمه الله العلم النافع والخلق الكريم والحكمة وإن أعلى درجات الحكمة، اليقين بأنه لا إله إلا الله، ويستحيل فى حق المختارين للنبوة والرسالة أن يسقطوا فى أى عثرة أو بؤرة شرك، وقد يتأتى ذلك على لسان النبى على سبيل الاستدلال لقمع الشرك وردع فكر المشركين كما فعل أبو الأنبياء إبراهيم الخليل فى نظره إلى الكواكب وأفولها وظهور القمر واختفائه والشمس وأفولها وقدّم الدليل لقومه على مغايرة الخالق للمخلوقين، وأن المخلوق يلحقه النقص وله بداية ونهاية، أما الإله الخالق العظيم فهو متفرد بنعوت الجلال وصفات الكمال، وهو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية، ولو وصل تفكير اخناتون إلى هذا المستوى العالى لما رمز للإله بمخلوق.

موسى من الصفوة الصافية

أضف إلى هذا أن موسى بن عمران هو أحد الصفوة الصافية من سلالة إبراهيم وولده إسحاق وولده يعقوب وهم رسل كرام دعوا إلى توحيد الله وإفراده بالإلهية والربوبية، كما أنه وريث دين رسول الله يوسف بن يعقوب- عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام- وقد توارثوا التوحيد كابراً عن كابر، ولم يشذّ من بنى يعقوب عن التوحيد إلا القليل وسرعان ما كانوا يعودون وقتها إلى رحابه، فالتوحيد الذى كان عليه موسى هو التوحيد النقى قبل البعثة وبعدها، هذا غير ما كانت عليه عقيدة اخناتون؛ لأن اخناتون لم يشهد عصر رسول من رسل الله، ولم يكن من بنى إسرائيل، أى أبناء يعقوب وفيهم الأنبياء والرسل وأعظم مهامهم الدعوة إلى كلمة «لا إله إلا الله» والعمل بمقتضاها فى نور الشريعة التى يأتى بها الرسول من الرسل.

موسى تزوج من مدين ولم يتزوج أمه

إن من أعظم الافتراء أن يقال: إن موسى تزوج أمه وإنما خرج موسى من مصر وهو فى الثلاثين من عمره بعد مقتل القبطى وهداه ربه للوصول إلى مدين حيث كانت أسرة «شعيب النبى العربى» أو «أسرة يثرون الإسرائيلى الصالح» على الخلاف بين المحققين والظاهر أن الثانى هو الراجح لسرعة تفاهم موسى – عليه السلام – معه ومع إبنتيه من قبله فى اليوم نفسه عند البئر بلغتهم لأنه -فى الغالب- لم يكن على علم بلغة العرب وهى لغة شعيب وأسرته.

وفى مدين تزوج إبنة «يثرون الإسرائيلى» أو «شعيب» على الخلاف ثم عاد بعد عشر سنوات بأسرته الكريمة إلى مصر المصونة بفضل الله، وفى سيناء أراه الله -عز وجل- من الآيات الباهرات ما أراه، ليزداد إيماناً ويقيناً أن الله حافظه وعاصمه من فرعون وجنده.

فكيف يقول عاقل: إن موسى النبى - عليه السلام- تزوّج بأمه وكيف يسوغ لبشر أن يكون ملك مصر فى تلك الحقبة متربصاً بموسى من أجل مقتل القبطى وخروج موسى إلى جهة يجهلها فرعون دون إذن منه كيف يسوغ أن يقال: إن موسى هو أخناتون الملك الفرعونى المصرى وعلى إفتراض أن ذلك كان فى عهده فكيف يكون هو هو، وهما متناقضان نقيضان أحدهما متربص والآخر حذر؟ وكان موسى يلقب بين المصريين بأنه ابن فرعون لأنه عاش فى قصره منذ فطامه فى بيت أمه حتى بلغ الثلاثين من العمر المبارك، وكان موسى معزّزاً مكرّماً فى بيت فرعون محترماً محبوباً

---

(١) سورة القصص (١٤).

لدى المصريين، وهو الوحيد الذى لم يستعبده أحد من قوم فرعون فى الأشغال التى تشق على الشباب والرجال والتى كان يقوم بها بنو إسرائيل فى مصر كالبناء والحفر وحمل المتاع ونحو ذلك.

فهل ينكر باحث لديه أدنى مسكة من عقل وقدر يسير من العلم بتاريخ الأنبياء ومن قصة موسى فى مصر بصفة خاصة، وهى من أعاجيب القصص القرآنى لكثرة ما تضمنته من الحوادث والعبر والآيات الناطقات بوحدانية الله وكمال قدرته وحكمته، هل ينكر أن موسى من نسل يعقوب ومن المجتمع الإسرائيلى الذى عاش وتناسل فى مصر منذ عهد رسول الله يوسف بن يعقوب -عليهما السلام- حتى بلغ عدد هذا المجتمع فى عهد موسى نحو ستمائة ألف إسرائيلى على الرغم من تعرضه فى حياة فرعون موسى إلى قتل ذكور الأطفال للحدّ من التناسل ولاستحياء الإناث وإبقائهن للعمل فى الخدمة، خوف فرعون من ذكر إسرائيلى حديث الولادة يشبّ ويكون سبباً فى هلاك فرعون وقد كان؟ وسبحان من له الأمر كله! وإن مقتل فرعون بالغرق أمر لا يمكن نكرانه لأن الوحى نزل به من عند الله باللفظ والمعنى ولا يحتمل أدنى تأويل، وقد نجا موسى وقومه بفضل الله، فكيف يقال: إن موسى مصرى أو إنه أخناتون؟

ومما جاء به الوحى وصار علماً راسخاً فى نفوس الموحّدين كأنه عين اليقين لا يمكن نكرانه وإلا اختلّ الإيمان فى القلوب وصار المنكر من الهالكين يحشر فى زمرة فرعون وهامان وقارون.. ما يلى:

١- إن أم موسى أرضعته بعد الولادة ثم وضعته بإلهام من الله فى التابوت حتى استقر فى قصر فرعون!

٢- إن امرأة فرعون رأت فى الرضيع المبارك قرة عينها فسعت لدى فرعون فى الإبقاء على حياته.

٣- إنه أعيد إلى أمه بفضل الله لترضعه ويسكن قلبها فى هذه الفترة.

٤- ومن الثابت أن موسى -عليه السلام- ضرب مصرياً بقبضة يده فقتلته الضربة دون قصد من موسى وذلك لكفه عن إسرائيلى من قومه وشيعته بنى إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم الخليل -عليهم السلام-.

٥- وجاء الحكيم المصرى على عجل ليطلب إلى موسى الخروج من «منف» إلى حيث يشاء الله قبل أن تصل إليه يد المصريين الغاضبين لقتل القبطى.

٦- ورحلة موسى -عليه السلام- إلى مدين وقصة البنتين والسقيا وقصة اتفاقه مع «شعيب» أو «يثرون» على الخلاف للعمل لديه فى الرعى مقابل مهر البنت التى اختارها موسى زوجاً له، هذه الرحلة وهذه القصة كيف تتأتى لأخناتون المرفّه، الجالس وسط جنده وحاشيته فى استرخاء ونعيم.

٧- ثم إن قصة الوحى حين وصل موسى إلى سيناء، وقصة النار فى الشجرة المباركة والعصا: هذه البركات كلها حدثت لرسول كريم مختار للدعوة والهداية، وهو موسى بن عمران -عليه السلام- وقد طلب من ربه راجياً أن يعينه بأخيه هارون لفصاحة لسانه وأجاب الله دعاءه.

٨- ثم قصته مع فرعون مصر قبل الرسالة وبعدها، والحوار الطويل مع فرعون، وقصة التحدّى والتأييد بمعجزة اليد والعصا وقهر السحر وإبطاله، وإيمان السحرة وإذعانهم لكلمة الحق والهدى، وغطرسة فرعون وخروجه خلف بنى إسرائيل ليلقى مصيره غرقاً فى البحر.. كل هذا من الحقائق الثابتة كالشمس فى وضح النهار، لا يقوى قلب أن ينكر شيئاً منها أو يشك، ولا يقبل عقل سليم أن يحرف أو يزيف.

فكيف يتجرأ إنسان على الخلط والتزييف والإنكار لما ثبت فى كلام الله -عز وجل-؟ إنه ليس تجرؤاً بل بجاحة وسفاهة وجهل وعمى.

وقد قالوا: «إن الهوى يُعمى ويُصم»

كتمان السر أمانة وإفشاؤه خيانة

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح

عن ثابت - رضى الله عنه -: «أن النبى - ﷺ - مرّ على أنس وهو يلعب مع الغلمان، فسلم عليهم، ثم بعثه فى حاجة، فلما أبطأ على أمه سألته عن السبب؟ فقال: بعثنى - رسول الله ﷺ -: (أى فى حاجة) فقالت: وما حاجته؟ فقال إنها سر، فقالت: لا تخبر بسر رسول الله أحدا، قال أنس: والله لو حدثت به أحدا، لحدثتك (أي به) يا ثابت»[1]..

سرُّ الإنسان من أهم ما يجب الحفاظ عليه، واختصاص المرء به نفسه دون سواه.. وهناك كثير من الأعمال والمشروعات لا تتمُّ إلا إذا كتم الإنسان سرها فى نفسه، وطواها عن غيره، غير مضار به، لكى يتسنى له المضى فيما عزم عليه من أشياء، لم تتهيأ أسبابها، ولم تبرز بعد إلى حيز الوجود، فلا يوجد هناك مشوه يعكس عليه نتيجة عمله، ولا عائق يقف فى سبيله، وبذلك يكلل سعيه بالنجاح، ويظفر بالبغية التى ينشدها، والحاجة التى يطلبها، وهو مخبوء تحت شعار الكتمان، فى حصن من كيد الكائدين، ووقاية من شر الحاسدين. قال الله - تعالى - حاكيا عن يعقوب - عليه السلام - ينصح ابنه يوسف:

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[2].

وقال بعض الأدباء: «من كتم سره، أحكم أمره، وكانت الخيرة فى يده، ونال الظفر بحاجته، وأحرز سلامته من كل شره».. وقال أحد الحكماء لابنه: «يابنى كن جوادا بالمال فى موضع الحق، ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق فإن أفضل جود المرء الإنفاق فى وجه البر، والبخل بمكتوم السر».. ورضى الله عن عمر بن عبد العزيز حيث يقول: «القلوب أوعية، والشفاه أقفال، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل إنسان مفتاح سره».. وقال رسول الله - ﷺ -: «استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود»[3].

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) يوسف: ٥.

(٣) رواه الطبراني في الكبير، والبيهقي في الشعب.

وكما يجب على المرء كتمان سره في بعض الأحيان: يجب عليه كتمان سر غيره في كل الأحايين، فكتمان السر على الإطلاق: يعقبه السلامة والطمأنينة، كما أن إفشاءه خيانة: تستقبحها المروءة، ويمقتها العقل السليم، ولا يقرها الشارع الحكيم!!.

وقد نفى النبي – ﷺ –: الإيمان عن الخائن: الذي لا يؤتمن على أسرار الناس وأموالهم وأعراضهم، ويغدر بهم في عهودهم ومواثيقهم.. عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: « ما خطبنا رسول الله –ﷺ– إلا قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[(٤)].. وإن من أمعن النظر في الدول العظمى التي ضربت في الحضارة والرقي بسهم وافر، وكان لها من بسط النفوذ وقوة السلطان على الدول المستضعفة ما يدهش العقول، ويحير الألباب: لوجد أن هذا كله بفضل تكتلهم، وشدة احتفاظهم على مكنون أسرارهم، فيبتكرون ما يبتكرون، ويخترعون ما يخترعون ويعدون ما استطاعوا من قوة دون أن ينافسهم منافس، أو يحاكيهم مقلد، وبذلك تكون لهم الغلبة والسيادة على كثير من دول العالم..

ولا ريب: في أنه يترتب على إفشاء السر آثار سيئة، وأضرار عظيمة وعواقب وخيمة تتفاوت باعتبار مُتَعَلَّقِها؛ فإن منها ما هو متعلق بالفرد، ومنها ما هو متعلق بالأسرة، ومنها ما هو متعلق بالأمة: كتربية شعب، أو تنفيذ نظام، أو إصلاح جيش، أو إحكام خطة حربية، أو نحو ذلك.

ومما لا نزاع فيه أن ضرره فيما هو متعلق بالأمة أشد، حيث تكون الطامة الكبرى، والخطب الجسيم، فإفشاؤه في مثل هذا: خيانة عظمى، وجريمة كبرى: في نظر الإسلام، يستحق صاحبها نفي الإيمان عنه بل وأن يبتر من الهيئة الاجتماعية، كما يُبْتَرُ العضو الفاسد؛ حرصا على البقاء للجسم كله، وله في الآخرة إذا لم يتب توبة صادقة: عذاب الهون!! قال الله –تعالى–:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[(٥)].

روى أنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وكان حليفا لبني قريظة من اليهود، فلما خرج إليهم النبي – ﷺ – وحاصرهم حصارا شديدا، استمر إحدى وعشرين ليلة؛ طلبوا من النبي – ﷺ – أن يرسل إليهم أبا لبابة، وكان مناصحا لهم؛ لأن أمواله وعياله فيهم، لاستشارته فيما عرض عليهم النبي – ﷺ – فبعثه إليهم، فقاموا إليه يبكون، قالوا: كيف ترى لنا؟ هل ننزل على حكم سعد بن معاذ؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه (أي أن حكم سعد الذبح) ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله، فمضى ولم يرجع إلى النبي – ﷺ – حتى أتى مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية (أحد أعمدة المسجد) وأقسم ألا تفكَّه يد لغير الصلاة، سوى يد رسول – الله ﷺ – ولا يدخل أرض بني قريظة أبدا ثم تركه النبي – ﷺ – حتى تاب الله عليه: فحلّه بيده!!..

---

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده.

(٥) الأنفال: (٢٧،٢٨).

ولما اعتزم النبي – ﷺ – فتح مكة أمر عائشة – رضي الله عنها –: أن تجهزه، فدخل عليها أبوها أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وهي تُعِدُّ الجهاز، فقال: أيْ بنية: أمركن رسول الله – ﷺ – بتجهيزه؟ قالت: نعم، قال: فأين ترينه يريد؟ فقالت: والله ما أدري–

ثم أعلم النبي – ﷺ – أصحابه: أنه سائر إلى مكة، وأمرهم بالجد والتجهيز، وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها»..

ولعل الحرص على إخفاء خطة الغزو أن تُدفَعَ قريش إلى التسليم، دون أن تسفك الدماء عبثا؛ لكن «حاطب بن أبي بلتعة» كتب إلى قريش بذلك قائلا: «إن النبي – ﷺ – قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده، لنصره الله عليكم؛ فإنه مُنجِزٌ له ما وعده»!!

وأرسل الكتاب مع مولاة لبعض بني عبد المطلب تسمى «سارة»؛ فأخفته في قرون رأسها!! ولكن الله –عز وجل–: كشف حقيقة هذا الأمر لنبيه – ﷺ – فأرسل إلى تلك المرأة من لحقها في الطريق، وجاء بهذه الرقعة.

عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – أنه قال: «بعثني رسول الله – ﷺ –: أنا والزبير والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة «خاخ» فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب!! فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول الله»!!..

فدعا رسول الله – ﷺ – حاطباً، فقال: يا حاطب ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كنت امرأ مُلْصَقًا في قريش، كنت حليفا لها، ولم أكن من صميمها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا، يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام.. فقال رسول الله – ﷺ –: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق!! فقال: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدرا، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

ونزل قول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾(٦).

وعلى ضوء هذا الحادث: نرى رسول الله – ﷺ –: يُلقي على العالمين درسا نافعا في تقدير

---

(٦) الممتحنة: (١).

الأعمال، ووزن الخير والشر بميزان سليم، والتماس المعذرة للمخطيء إذا وضحت له الحقيقة، فاعترف المذنب بذنبه، واستغفر ربه، وندم على زلته، فقد وضع رسول الله - ﷺ - في الميزان حاطب بن أبي بلتعة بماضيه وحاضره، فغفر له زلته الطارئة أمام بلائه السابق في خدمة الإسلام، وجهاده في سبيل الله.

وأما كتمان الأسرار: فهو أكبر دليل على الإخلاص والأمانة والوفاء، وقديما قيل: «كتمان الأسرار، يدل على جواهر الرجال»..

ولما تأيمتْ حفصة بنت عمر عرضها أبوها على عثمان ليتزوجها، فاعتذر، فعرضها على أبي بكر، فلم يرد عليه بإيجاب أو نفي، فغضب منه أكثر من غضبه على عثمان.

فلما خطبها النبي - ﷺ - وقابل أبو بكر عمر قال له: لعلك وجدت عليّ، حين عرضت حفصة عليّ، فلم أرجع إليك شيئا؟ قال: نعم، قال: إنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئا، حينما عرضت عليّ، إلا أني كنت علمت: أن النبي - ﷺ - يذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله - ﷺ -»[7].

وإذاً فمن الكياسة والحزم: أن ينزه الإنسان نفسه عن إفشاء الأسرار بأية وسيلة من الوسائل، وبذلك توهب له حياة طيبة، ويعيش مرتاح الضمير، هادىء البال، طليق الحرية، ذا عزة وكرامة. عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: «سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرتَ أسيره» وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه-: «إذا أفشيتُ سري إلى صديقي فأذاعه: كان اللّوم عليَّ لا عليه، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأني كنت أولى بصيانته منه»..

إذا ما ضاق صدرك عن حديث
وأفشته الرجال فمن تلوم
وإن عاتبت من أفشى حديثي
وسري عنده فأنا الملوم

ورضي الله عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر، فإنها لما أفشت سر رسول الله - ﷺ - لعائشة بنت أبي بكر، وكان النبي قد أمرها بكتمانه: غضب النبي - ﷺ - وطلقها» وفي هذا يقول الله -تعالى-:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾[8].

ولولا أنها كانت صوّامةً قوامة، لما أُمر النبي - ﷺ - بأن يراجعها.

وإن مما تنفر منه الطباع، ويمجه الذوق السليم: أن يفشي أحد الزوجين سر صاحبه فيما يتعلق بشئونهما الخاصة؛ لما قد يترتب على ذلك من المفسدة، عن أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إن من أشد الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتُفْضي إليه، ثم ينشر سرها» وفي رواية: «ثم ينشر أحدهما سر صاحبه»[9].

---

(7) رواه البخاري.
(8) التحريم: (3)
(9) رواه مسلم

ويقبح جدا: أن يرتكب المرء منكرا، فيستر الله عليه، ثم يحمله الجهل والنزق والطيش إلى أن يتحدث عما ارتكب من غير حياء ولا أدب مفتخرا بذلك بين معارفه وخلانه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: كل أمتي معافى إلا المجاهرون، وإن من المجانة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه»[10].

وقد جاء الأمر بالستر في حديث عبد الله بن عمر مرفوعا: «اجتنبوا هذه القاذورات: التي نهى الله عنها، فمن ألمّ بشيء منها، فليستتر بستر الله»[11].

قال ابن بطال: «في الجهر بالمعصية: استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي التستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحد عليه، إن كان فيه حدٌّ، ومن التعذير إن لم يوجب حدا، وإذا تمحض حق الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره الله في الدنيا، لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر: يفوته جميع ذلك»... عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يدنوا أحدكم من ربه (يعني يوم القيامة) حتى يضع كنفه عليه (أي حرزه وستره) فيقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عملت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم»[12].

أمين السر

نعم: هناك من الأسرار: ما لا يستطيع الإنسان: أن يستغني فيها عن مطالعة: صديق حميم، أو استشارة ناصح أمين، رغبة في أن يروّح عن نفسه، ورجاء أن يرشده المدلى إليه بمكنون السر إلى الخطة المثلى: التي يستحسن أن يسلكها، وحبا: في أن يواسيه في أمره. كما قال الشاعر:

وأبثت عمرا بعض ما في جوانحي
وجرعته من مر ما أتجرع
ولابد من شكوى إلى ذي حفيظة
إذا جعلت أسرار نفسي تطلع

إذاً فليصطف العقل لسره أمينا، إن صعب عليه كتمانه، وليتحر في اختيار المستشار الذي يأتمنه على ذلك؛ ليكون بمأمن من جانبه. وسبحان من يعلم السر وأخفى

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾[13].

فليطو الإنسان نفسه على سره: حريصا حذرا، وليطو الصديق نفسه على سر صديقه كريما رجلا، وليطو الزوج نفسه على سر زوجته عفيفا نبيلا، وليطو كل شخص نفسه على سر من ائتمنه: وفيا أمينا.

---

(10) رواه البخاري.
(11) رواه الحاكم.
(12) رواه البخاري.
(13) الجن: (26،27).

أوهام وأساطير تصنع سياسة دول

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

فى كتاب صدر حديثا ونفدت طبعتان منه فى زمن قياسى لا يتعدى ثلاثة أشهر نقرأ بعض التقارير المذهلة التى تشير إلى أن سياسة بعض الدول ترسمها أوهام وأساطير تسيطر على ساستها بل على شعوبها، وتصبح هذه الأساطير والأوهام عقيدة راسخة لا يمكن الجدال حولها أو النقاش فيها.

هذا الكتاب اسمه «حمّى سنة ٢٠٠٠» ومؤلفه هو الأستاذ عبد العزيز بن مصطفى كامل، أصدرته مؤسسة دار السليم للنشر سنة ١٤٢٠هـ.

وهذه الحمّى التى يشير إليها هى ذلك الهوَس الذى يسيطر على الإسرائيليين ومن يناصرونهم بسبب استعدادهم لهدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة لإقامة الهيكل مكانهما، لأن المسيح قادم فى سنة ٢٠٠٠، ولا بد من إعداد الهيكل لاستقباله.

ونعرض لما تضمنه هذا الكتاب لنعرف من خلاله ماذا يحاك للمسلمين عامة والعرب خاصة وما يُراد بهم من شر، فى الوقت الذى يزعم هؤلاء بأن المسلمين إرهابيون؛ وأن الإسلام هو الذى يصدر الإرهاب فى العالم.

إن هذا الكتاب يتحدث عن نظرات جديدة فى مسيرة الصراع الدينى للمسلمين، ويشير إلى سياسة إسرائيل التوسعية، وسعيها إلى السيطرة على أرض العرب حولها لتبنى إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وعزمها على هدم المسجد الأقصى وقبة الصخرة لتبنى على أنقاضهما الهيكل السليمانى، وذلك وفقاً لأساطير رسمتها خيالاتهم واعتنقوها وأصبحت عندهم عقائد لايمكن التفريط فيها أو التخلى عنها.

ولنضرب مثلاً على ذلك أن هذه الأساطير المختلفة أمر لا شك فيه عندهم قصة «البقرة الحمراء» المزعومة.

قصة البقرة الحمراء

جاء فى الكتاب: يربط الصهاينة مصير المنطقة بمصير بقرة.. ولكن كيف كانَ ذلك؟

فى عام ١٩٢٠م عندما بدأت المباحثات بين الاتحاد الصهيونى والإنجليز من أجل التوصل إلى صيغة لتسليم فلسطين لليهود بعد انتهاء الانتداب، كان من بين الموضوعات المطروحة للبحث: ملكية جبل الهيكل.

وسأل الباحث الإنجليزي اليهود قائلاً: هل هذا المطلب عاجل أم آجل؟ وما مدى اجتماع الشعب اليهودي حول هذا المطلب؟

فأجاب الحاخام «راف كدك» قائلاً: يؤمن الشعب اليهودي كله إيماناً لا يتزعزع أن هذا المكان مقدس، وكل جبل الهيكل هو مكان العبادة الأبدي للشعب اليهودي، ورغم أنه في حكم غيرنا الآن إلا أنه في النهاية سيقع تحت أيدينا، ويوم تقع أرض الهيكل في أيدينا ستأتي إشارة من الرب تتمثل في ظهور البقرة الحمراء، وبعدها نبدأ فوراً في البناء حيث تنبأ بذلك أنبياء بني إسرائيل.

وقد استند هذا الحاخام إلى معنى ما ورد في نص توراتي: «وكلم الرب موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلاً: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يحل عليها نير، فتعطوها العازار الكاهن فتخرج خارج المحلة وتذبح قدامه، ويأخذ العازار الكاهن دمها بإصبعه، وينضح من دمها في وجه خيمة الاجتماع سبع مرات ويحرق البقرة أمام عينيه، يحرق جلدها ولحمها مع فرثها، ويأخذ الكاهن خشب أرز وزوفا وقرمزا ويطرحهن وسط حريق البقرة، ثم يغسل الكاهن ثيابه...» والعلة من هذا يشير إليها ما تبقى من النص: «تكون البقرة لبني إسرائيل وللغريب النازل في وسطهم فريضة دهرية».

يقول الكتاب: ولكن لماذا حوّل اليهود هذه الفريضة إلى نبوءة وإشارة من الرب؟ ذلك لأنهم يربطون بين تنفيذها وبين إعادة بناء الهيكل، فظهور البقرة الحمراء سيكون علامة عندهم على أن الزمن الذي ظهرت فيه هو نفسه زمان الهيكل الثالث بعد إعادة بنائه، وهذا هو الذي يفسر لنا استمرار غياب الكلام عن مثل هذه الطقوس خلال أزمنة اليهود الحالية التي لم يكن لهم فيها تمكين.

ويعتقد اليهود المتدينون أنه قبل ألفي عام مضت في حقبة المملكتين اليهوديتين الأولى والثانية تم مزج رماد بقرة حمراء صغيرة ذبحت في عامها الثالث، وخلط دمها بالماء واستخدم في تطهير الشعب اليهودي ليصبح مهيأً للدخول إلى الهيكل المقدس، ويعتقدون أنه لم تولد طوال التاريخ اليهودي بقرة بتلك الأوصاف منذ دمر الهيكل الثاني عام ٧٠ للميلاد، وعلى حسب التاريخ الديني لليهود فإنه قد جرد التضحية ببقرة حمراء واحدة في زمن الهيكل الأول وثماني بقرات حمراوات في زمن الهيكل الثاني.. وهم يستعدون الآن لمرحلة الهيكل الثالث وزمان البقرة العاشرة.

هل ظهرت البقرة الحمراء؟

يستعد اليهود الآن لإعادة بناء الهيكل بعد الانتهاء من هدم مسجدي الأقصى والصخرة، ولأن الهيكل لن يعمره إلا أناس مطهرون من النجس، والنجس لا يزول إلا برماد البقرة الحمراء فلا بد من ظهورها أو إظهارها، ولو اقتضى الأمر استحداث بيئات وظروف تستخرج تلك البقرة استخراجاً من بين ملايين البقر.

وقد تعهد بإنجاز هذه المهمة كاهن أمريكي يدعى «كلايد لوت» ينتمي إلى جماعة حركة الهيكل الثالث الإنجيلية الأصولية، ونذر نفسه للمساعدة في أي مشروع يتعلق بإعادة تأهيل الهيكل للعبادة، لأن هذا في نظره يعني عودة المسيح الذي يحمل اليهود على الإيمان به، والمسيح في نظرهم لن يعود إلا بعد بناء الهيكل.

وقد جرت اتصالات بين هذا الكاهن وبين الحاخام الإسرائيلى «حاييم ريتشمان» الذى يعمل فى معهد الهيكل المقدس، وقد اقترح ريتشمان إنشاء مزرعة لإنتاج وتربية الأبقار من سلالة «ريد نفوس» الضاربة إلى الحمرة، واقتنع الكاهن وأنشأ هذه المزرعة فى ولاية ميسيسبى الأمريكية، ثم أنشأ بعد ذلك فرعاً لها فى حيفا، تحسبا ليوم تولد فيه هذه البقرة المنتظرة.

وأخيرا بعد ما يقرب من ألفى عام ادعى اليهود أنهم وجدوا ضالتهم، وأن هذه البقرة ظهرت إلى عالم الوجود فى مزرعة «كفار حسيديم».

وقد هرع الحاخامات إلى المزرعة لمعاينة هذه البقرة، وباركوها، وفرضت حراسة مشددة حولها.

وأصبح ظهور هذه البقرة بداية مرحلة جديدة من الهوس عند اليهود والذين يؤازرونهم، وأخذوا يحسبون الأيام والساعات المتبقية على ذبح هذه البقرة المرموقة وإحراقها، فقد نشرت صحيفة «الأوبزرفر» البريطانية بتاريخ ٩/٧/١٩٩٧م خبراً يقول: «سيكون الذبح الطقسى للبقرة الحمراء بعد ثلاث سنوات من ميلادها، بداية العد التنازلى للعودة الكبيرة لليهود إلى موقع عبادتهم السابق، وتبشيرا بمجىء للمسيح المخلص، بيد أن محاولة تحقيق هذه العودة ستؤدى إلى بداية لا تنسى للألف الثالثة».

استعداد كبير

لقد أخذ اليهود يستعدون استعدادا كبيرا لهذا الحدث الذى يربط بين سياستهم وأسطورتهم، إنهم يتهيأون الآن لذبح البقرة التى أطلقوا عليها اسم «ميلودى» وإحراقها ليتطهروا برمادها ثم يبنون الهيكل بعد ذلك وهم طاهرون -على حد زعمهم- ولن يكون بناء الهيكل إلا بعد هدم المسجد الأقصى ومسجد الصخرة حيث يقوم الهيكل على أنقاضهما. وهذا هو الذى يفسر سر تمسكهم بالقدس الشرقية وضمها إلى القدس الغربية لتكونا قدسا واحدة لا مكان لمسلم فيها.

لقد بلغ من هوسهم بالبقرة الحمراء حداً جعلهم يعدون أولاداً منذ الصغر فى حَجْر أسموه «العزل الطاهر» لينشئوا فى ظل هذه العقيدة بعيدا عن الاختلاط بغيرهم.

لقد نجح الشيطان فى استثمار ضعف الإنسان حيال الغيب المجهول، وأشعل بين اليهود حالة من النشوة محفوفة بهالة من الرهبة وممزوجة بالرغبة فى اقتحام المزيد من أستار الغيب المجهول، وأوعز إلى كبار الجماعات الدينية المتطرفة أن الفرصة سانحة لضخ الدماء فى عروق التعصب لمزيد من التأهب لمغامرات المستقبل القريب.

إن البقرة الحمراء بإظهارها يشير إلى دنو العصر الأخير وبناء الهيكل السليمانى فوق أنقاض مسجدى الأقصى والصخرة، وبناء الهيكل يحتاج إلى أناس متطهرين -كما يزعمون- وإلى أحجار من نوع خاص.

إنها أحجار مقدسة -فى زعمهم- لقد أخذوا يلتقطون أحجارا من صحراء النقب ليتم صقلها فى القدس، وقد أحصوا عدد الأحجار التى رأوها لازمة لبناء الهيكل فوجدوها ستة ملايين حجر، وقد تم التصميم الهندسى للهيكل فى أمريكا على يد مستشارين هندسيين من يهود أمريكا، وتم إعداد فريق متكامل من عمال البناء سيظلون رهن الإشارة للعمل عندما يحين الوقت.

لقد نشرت الصحف الإسرائيلية أن عائلة ليفى

اليهودية الثرية التي تملك كسارات حديثة جداً في جنوب الأرض المحتلة أعدت بالفعل كميات ضخمة من الحجارة التي لم تلمسها يد إنسان أو إزميل عامل حسب وصف التوراة -في حد زعمهم- لكي تنقل حين تحين الفرصة إلى القدس لبناء الهيكل.

وهناك جماعة أخرى متخصصة في شراء أحجار معينة يتم تقطيعها وصقلها في صحراء النقب بأموال يحصلون عليها من التبرعات -وما أكثرها- يقول أحدهم: «عندما ألمس هذه الحجارة وأحملها أشعر بأن شيئاً من الجنة يتحرك فيها».

إن هذا الهوس الحجري العنصري، والأجواء الأسطورية التي تعيشها الجماعات الدينية اليهودية تجعلها تقدم على أمور تبدو للوهلة الأولى أنها أفعال مجانين، ولكنها للأسف جنون موجه تحميه القوانين وتؤازره السلطة، حتى وصل الأمر ببعض هذه الجماعات أن قلعوا حجارة بعض الأرصفة في القدس حين شموا منها -كما يزعمون- رائحة توراتية، وفي شهر يونيو -حزيران- سنة ١٩٩٧م قررت البلدية الإسرائيلية لمدينة القدس بالتعاون مع وزارة السياحة البدء في مشروع اقتلاع حجارة الأرصفة بأحد الشوارع الكبرى في القدس، وقد تم تحصيل ما يقرب من ٣٥٠ ألف دولار لنزع تلك الحجارة (التوراتية) العتيقة.

إعداد الكهنة وما يتعلق بهم

إن كل شيء يقوم على قدم وساق في الاستعداد لبناء الهيكل على أنقاض مسجدي القدس والصخرة، وما يتعلق بذلك من مراسم وتقاليد وطقوس، فقد أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية في أغسطس سنة ١٩٩٧م أن الاستعدادات تجري لتجديد وإحياء التقاليد والطقوس التي ستمارس في الهيكل بما فيها من مذابح للحيوانات التي ستقدم ضمن الشعائر اليهودية، وذكرت أن الحاخامات ينشطون الآن في تخريج أجيال تقوم على رعاية تلك الطقوس في معهد الهيكل بالقدس، وتوجد الآن في القدس أكاديمية تلمودية تؤهل طلبتها لمهمة خاصة هي إعداد الكهنة الذين سيقومون بالخدمة في الهيكل الكبير عند إعادة بنائه، وللاستعداد لهذه الأيام المجيدة -في نظرهم- يعكف الحاخامات على دراسة نصوص التوراة لاستخراج أدق التفاصيل لكيفية أداء الطقوس الإلهية كما كانت تؤدى في مملكة إسرائيل منذ ثلاثة آلاف سنة، وعلى بُعد خطوات من حائط المبكى أقيم متحف صغير لعرض أدوات العبادة هذه على الجماهير المتلهفة، ويأمل الحاخام «مناحيم ماكوفر» الأمين العام على هذه المجموعة أن يقوم بنفسه يوماً بإخراج هذه الأدوات ونقلها إلى الهيكل بعد إعادة بنائه، ويقول: «على اليهود أن يقوموا ببناء الهيكل فهي إحدى الوصايا الإلهية، ولا يجب أن ننتظر معجزة إلهية».

الشمعدان السباعي

وقد أعد الإسرائيليون شمعداناً ذهبياً ضخماً صنع في أمريكا ثم نقل إلى إسرائيل وهذا الشمعدان يرمز لأيام الخليقة السبعة في التوراة التي يزعم الإسرائيليون أنهم سيتوجون اليوم السابع منها، ويزعمون أن قداسة قدس الأقداس داخل الهيكل لا تكتمل إلا بإيقاده داخله.

هم يعملون ونحن غافلون

والآن فلننظر إلى ذلك الهوس الأسطوري الذي يحاول الإسرائيليون تجسيمه وجعله واقعاً ملموساً، إنه صراع ديني يُدار من طرف واحد، ولعل القارئ يدرك بهذا إلى أي حد ارتفعت

درجة حرارة الحُمّى بمرض الهوس الألفي الذى تتحدث عنه الصحف الرسمية اليهودية، وتتناثر التصريحات حوله من المسئولين اليهود داخل إسرائيل وخارجها.

والسؤال هنا: أين مثقفونا وسياسيونا الواقعيون جداً من هذا الواقع الجديد والتفاعلات المتصاعدة داخل الدولة العبرية؟ هل يعلمون بذلك وهم يصخون الأسماع بالحديث عن السلام الحتمي والتطبيع المصيري؟ أغلب الظن أنهم يطَّلعون -كما يقول الكتاب- على هذا وأكثر.

ولكن لماذا هذا الصمت المريب على تلك الصراعات التي يُراد أن يُدار بها الصراع في المرحلة القادمة في ظل غيبوبة مفروضة على الأمة الإسلامية.

لماذا يسكت عن الأيدلوجيات المسيَّسة المولعة بالعودة إلى الوراء آلافاً من السنين في حين يستمر الضجيج المقذع للتخويف من الإسلام والعودة إليه؟

ولمصلحة من يطلب من الإسلام وحده أن يكف يده حين تمتد كل الأيادى والسواعد الدينية الأخرى للعمل النشط ويصمت عنها؟

يقول مؤلف الكتاب مجيبا: الذى يظهر لى أن هذا الصمت عن الانتعاش الدينى لدى اليهود وأعوانهم هو الخوف من إثارة الغيرة الإيمانية ومشاعر الحنين إلى الدين عند المسلمين، والإعلام لم يفهم بعد أن هذه الغيرة الإيمانية وتلك المشاعر هى روح الأمة التى لو فارقتها لفارقتها الحياة.

البقرة والتطهير من النجاسة

تقول الأسطورة اليهودية: إن البقرة الحمراء يجب سحبها خارج القدس، وبعد ذبحها يجب حرقها بكاملها بعد إضافة خشب الأرز وأعشاب أخرى، ويشرف على هذه الطقوس حاخام أو كاهن، ويستخدم الرماد فى التطهير وطرد الأرواح الشريرة التى يمكن أن تنتقل إلى اليهود من الموتى لو مسوا جثمانهم.

والظاهر أن نجاسة اليهود هى أكثر ما يؤرقهم ومن العجيب -على الرغم من ذلك- أنهم ما زالوا يؤمنون بأنهم شعب الله المختار، والتلمود الذى وضعوه بأيديهم وآمنوا به واعتقدوا بأنه مقدس تدور نصوص كثيرة منه حول كيفية التطهر من النجاسات، وجاءت البقرة فى ظنهم لتكون فاتحة لعهد من الطهارة يستقبلون به عصراً من الأمجاد.

والله يعلم أن جميع البقر الأحمر والأصفر والأبيض والأسود لو صُيِّر رماداً، ثم خُلط بأمواه البحر الأبيض والأحمر والأسود ثم أغرقوا فيه جميعاً لما تطهر واحد منهم من نجاسة الكفر إلا إذا دخلوا فى دين التوحيد، وآمنوا برسالة النبى الخاتم محمد -ﷺ- استجابة لقوله - تعالى -:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة ١٥، ١٦.

دور علماء الدين الإسلامي في تحقيق الأمن

للدكتور أبو الوفا محمد أبو الوفا إبراهيم

المبحث الثاني:

ارتباط جرائم الإرهاب بظاهرة التطرف:

ترتبط جرائم الإرهاب بصفة عامة، بظاهرة التطرف، مع أن ثمة فارقا بينهما، فالجريمة خروج على القواعد الشرعية باتخاذ سلوك مناقض لما تقضي به تلك القواعد.

بينما التطرف حركة في اتجاه القواعد الشرعية، ولكنها تجاوز الحدود التي وضعت لها تلك القاعدة وارتضاها المجتمع.

والتطرف الديني، ظاهرة عامة تصيب جميع الأديان، فهو مجاوزة الاعتدال في السلوك الديني فكرا وتطبيقا، بالخروج عن المسلك السوي القويم في فهم الدين، وفي العمل به، ويرجع ظهور ذلك أساسا لابتعاد الواقع عن المثال والتفاوت الاجتماعي والاقتصادي.

وعلى ذلك، فالإرهاب ظاهرة سياسية أو اجتماعية قبل أن تكون دينية، وإن اتخذت الدين وسيلة إلى تحويل الفكر إلى سلوك.(١)

والتطرف الديني يرتبط باستخدام العنف كوسيلة؛ لتحقيق الأفكار التي يؤمن بها المتطرفون، بعد أن فشلوا في استخدام الفكر والحجة، ويتحول العنف إلى إرهاب؛ وبهما تتحول الفكرة التي يؤمن بها المتطرف إلى فعل عدواني ضد الأفراد والمجتمع.

والدين عبارة عن مجموعة من العقائد والأحكام التي تنظم العلاقة بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ وبين عباده، وما يتفرع عن ذلك من قواعد سلوك اجتماعي بشأن تنظيم علاقات أفراد المجتمع بعضهم والبعض الآخر.

ومن المعلوم أن الأثر العام للدين هو الإقلال من النسبة العامة للجرائم، بما يتضمنه من أوامر ونواه تعترض الدوافع الإجرامية لدى الشخص، مما يسد كل المنافذ التي قد تؤدي إلى خلل، مع الحث على العفو والصفح، منعا للشجار والاختلاف.

(١) راجع الدكتور محمد أحمد بيومي: ظاهرة التطرف، الأسباب والعلاج، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢ ص ٢٩٠، وما بعدها

كمـا أن الإسـلام دين وسط، أى: الاعتـدال والتوسط، بملاءمة الطبيعة المزدوجة للإنسان، برعاية حق الجسم وحق النفس، ولذلك وصف الإسلام بأنه دين الفطرة، وفى هذا يقول الله -تعالى-:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

كما وصفت الأمة التى شرع لها هذا الدين، بأنها أمة وسط أى معتدلة، أى ذات مقاييس معتدلة ومناهج معتدلة.(٣)

وفى هذا يقول الله -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٤).

ومعنى كون الأمة شهداء على الناس، أن مقاييسها هى المقاييس الصحيحة، وسننها هى السنن القويمة.

يتضح من ذلك أن التطرف أمر بعيد عن الدين وعن الفطرة التى فطر الله الناس عليها، ولهذا نجد ابن تيمية، يعتبر الغلو فى الدين وتجويز الخروج عن شريعة الله -تعالى- من قبيل الغش والتدليس فى الدين، ويوجب منع من ظهر منه شىء من هذه المنكرات، وعقوبته عليها إذا لم يتب حتى قدر عليه، بحسب ما جاءت به الشريعة من قتل أو جلد أو غير ذلك.(٥)

المتطرفون الإرهابيون محاربون وليسوا بغاة:

تزعم الجماعات المتطرفة أنهم ليسوا بمحاربين بل بغاة، وبالتالى يجب عدم عقابهم، مستندين فى ذلك إلى مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتكفير المجتمع، وجواز الخروج على الحاكم.

وهذه المزاعم ليست صحيحة، طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية.(٦) فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، له ضوابطه الشرعية التى لم تلتزم بها هذه الجماعات، لما اشترطه العلماء من شروط بصدد تغيير المنكر باليد، أى: بالقوة، والتى من أهمها ألا يكون التغيير بالسلاح والقتال، إلا فى حالات الدفاع الشرعى عن النفس، أو العرض، أو المال، وألا يكون التغيير بالقوة مؤديا إلى منكر أشد من المنكر الموجود، وألا يكون مؤديا إلى حدوث فتنة، أى اضطراب، وألا يكون فى الأمور التى تدخل فى اختصاص الحاكم، لما روى عن عبد الله ابن عمر -رضى الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قال: «من حمل علينا السلاح فليس منا»(٧).

---

(٢) سورة الروم آية ٣٠.

(٣) الشيخ محمد محمد المدنى: وسطية الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، العدد ٢٢، ١٩٩٧ ص ١٥.

(٤) جزء من الآية ١٤٣، من سورة البقرة.

(٥) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الحسبة فى الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٢ هـ ١٩٩٢، ص ٤٣.

(٦) راجع الدكتور محمد رأفت عثمان: القضايا الثلاث، تغيير المنكر بالقوة، الخروج على الحاكم، تكفير الدولة، دار الفضيلة، دبى ١٩٨٩ ص ٢٢، وما بعدها.

(٧) صحيح البخارى جـ ١٣ ص ٢٦، حديث رقم ٧٠٧٠، وقد روى من طرق مختلفة.

فـفي هذا الحـديـث، دلالة على تحريم قـتـال المسلمين والتـشـديد فـيـه، لما في ذلك من تخويفهم، وإدخال الرعب عليهم، وكنى بالحمل عن المقاتلة، للملازمة الغالبة، وقوله ـ ﷺ ـ «ليس منا» أي: ليس متبعا لطريقتنا، لأن من حق المسلم على المسلم أن ينصره، ويقاتل دونه، لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو قتله، وهذا في حق من لا يستحل ذلك وإلا كفر[(٨)].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[(٩)].

وعن عبد الله بن عمر قال: قال النبي ـ ﷺ ـ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[(١٠)].

وعن ابن عمر أنه سمع النبي ـ ﷺ ـ يقول: «لا ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[(١١)].

وتأويل ذلك أن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي قد ارتكب جرما بما يجره إلى ما هو أشد منه، وقد لا يختم له بخاتمة الإسلام، أو لا تفعلون بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار، أو لا تفعلوا بهم مالا يحل وأنتم تجدونه حراما»[(١٢)].

وليس صحيحا التذرع بتكفير المجتمع، لسيادة شعائر الإسلام في دار الإسلام، حيث لم يجرؤ حاكم مسلم من منع الناس منها، ولا ينال من ذلك، حدوث بعض المخالفات لأحكام شريعة الإسلام التي لا تصل إلى حد الردة.

لما كان ذلك، وجبت طاعة أولي الأمر فيما لا يكون معصية، بقول الله ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[(١٣)].

كما أنه لا يجوز الخروج على الحاكم طبقا لرأي جمهور العلماء وإن كان ظالما، لما يترتب على الخروج عليه من فساد أعظم وأشد، فيتحمل الفساد الأدنى لدفع الفساد الأعظم، تطبيقا للقاعدة الشرعية، أن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، والقاعدة الشرعية التي مؤداها إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما[(١٤)].

ولذا يقول ابن تيمية: ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد الذي أزالته[(١٥)].

---

(٨) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، شرح صحيح البخاري جـ ١٣، ص ٢٧.

(٩) صحيح مسلم، الطبعة المصرية ومكتبتها جـ ١٦، ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(١٠) صحيح البخاري جـ ١٣، ص ٢٩، حديث رقم ٧٠٧٦.

(١١) صحيح البخاري جـ ١٤، ص ٢٩، حديث رقم ٧٠٧٧.

(١٢) فتح الباري جـ ١٣، ص ٣٠.

(١٣) سورة النساء، آية ٥٩.

(١٤) الأشباه والنظائر: لابن نجيم، دار الكتب العلمية، بيروت ص ٨٨ ـ ٨٩.

(١٥) منهاج السنة النبوية: لابن تيمية، الطبعة الأميرية، ببولاق ١٣٢١ هـ جـ ٢، ص ٨٧.

مما سبق يتضح أن البغي والحرابة، وإن كان كلاهما خروج على الأمن العام في الدولة الإسلامية، وإشاعة الفوضى، والنيل من السلطة الحاكمة، فإنه مع ذلك يكون التكييف الشرعي الصحيح للأعمال الإرهابية، أنها حرابة تقع تحت طائلة التجريم في جميع الأحوال، ويبعد وصفها بالخروج على الإمام، لقلة عدد الإرهابيين أو ضعفهم أو خسة مقاصدهم، باستهدافهم الاعتداء على أموال الآخرين ظلما وقهرا بالقوة، وسفك الدماء وقتل الأبرياء، وإرعاب الآمنين وإشاعة الخوف، بخلاف البغي، فليس بجريمة في كل الأحوال، بل هو محمود شرعا لذاته، وإنما يثبت الذم لما يترتب عليه من المفاسد، متى توافر في البغاة الشوكة والتأويل، وكان خروجهم لهدف محمود يتمثل في الدفاع عن حق أو المنع من الظلم، وقد يتدنى هذا الهدف إلى طلب السلطة[16].

المبحث الثالث:

مسئولية علماء الدين الإسلامي في تحقيق التهذيب الديني للوقاية من التطرف

قيام العلماء بدورهم في تحقيق التهذيب الديني إلى جانب الأسرة

مع أن الإرهاب لا علاقة له بالدين، وإن اتخذ الدين ستارا له، كما أوضحنا، ولكن نظرا لخطورته، ولكون التطرف خطأ يقع فيه بعض الأفراد عن جهل بحقيقة الدين وأحكامه الشرعية الصحيحة، فإنه يجب الاهتمام في محيط الأسرة بالتهذيب الديني، ولذلك عني الإسلام بتكوين العادات الصالحة عن طريق القدوة الحسنة، بأخذ النشيء بمزاولة الواجبات الدينية مزاولة عملية، فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا وفرقوا بينهم في المضاجع»[17].

يتضح من ذلك، أن منع تكوين الشخصية الإجرامية يقع على عاتق الأسرة، بالعناية بتربية أطفالها وتلقينهم المبادئ الأخلاقية السليمة والتعاليم الدينية وتنشئتهم تنشئة اجتماعية تبعدهم عن الانحراف وتقيهم خطر القدوة السيئة[18].

وجوب الاهتمام في مراحل التعليم المختلفة بالتهذيب الديني:

يجب الاهتمام في مراحل التعليم المختلفة بالتهذيب الديني، لما له من أهمية في الاختيار بين القيم الإيجابية والقيم السلبية، بينما الإهمال في ذلك

---

(١٦) راجع الدكتور خالد رشيد الجميلي: أحكام البغاة والمحاربين في الشريعة الإسلامية والقانون، رسالة دكتوراة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٧ ص ٣٧٨، الدكتور محمد سيد أحمد عامر: البغي وأحكامه في الفقة الإسلامي، ١٩٨٧ ص ١٧٠ ـ ١٨٠.

(١٧) مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت جـ ٢ ص ١٨٠، وقال في هذا الحديث سوار أبو حمزة وأخطأ فيه.

(١٨) راجع في الموضوع: الدكتور سمير الجنزوري: دور الجمهور في الوقاية من الجريمة ومكافحتها في ضوء الشريعة الإسلامية، المجلة العربية للدفاع الاجتماعي، العدد الرابع ١٩٧٢ ص ٢٤ وما بعدها، الدكتور سعد جبالي عبد الرحيم، تكييف دور الفرد والمجتمع في مكافحة الجريمة الجنائية، ورد الفعل الاجتماعي حيالها بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والقانون بالقاهرة، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٩ ص ٢٦٥ وما بعدها.

يفسح المجال لعوامل القلق والاضطراب والانحراف فى التفكير والسلوك، بمعنى أنه يجب أن يتم التهذيب الدينى، بمناهج للسلوك يؤخذ بها الطالب فى مدرسته بوسائل تربوية سليمة، حتى يألفها وتصبح محببة إلى نفسه، وجزءا من طبيعته، مما يؤدى إلى أن يتكون لديه الحس الخلقى، وبذلك يميز بين الشر والخير، وفقا لأحكام دينه، وقيم مجتمعه[19].

ومؤسسات التعليم إذ تقصر فى شئون التربية الدينية إنما تعمل على إضعاف أهم دعامة من مقومات الحياة الإنسانية، وتفسح المجال لعوامل القلق والاضطراب والانحراف فى التفكير والسلوك.

هذا فضلا عن أن التربية الدينية لا تكون مواد تدرس ولا حقائق تحفظ، وإنما هى مناهج للسلوك يؤخذ بها الطالب فى مدرسته وجامعته، بوسائل تربوية سليمة حتى يألفها، وتصبح محببة إليه، وجزءا من طبيعته.

كما يجب الاهتمام بتدريس روح الإسلام ورسالته العامة للبشر، وما أتى من إصلاح سياسى واجتماعى، وما ينتظر أن يقوم به من دور فى إنقاذ البشرية مما تتخبط فيه من ظلام[20].

يضاف إلى ذلك أن تجعل مادة الدين الإسلامى، بالمعنى الذى ذكرناه، مادة أساسية فى جميع البرامج التعليمية، من الابتدائى حتى الجامعة، حيث تبدأ هذه البرامج من البسيط إلى المركب، ومن التلقين والإيحاء إلى التشقيق وحل المشاكل، فى المراحل التعليمية التالية، حتى ينشأ الشاب على هدى وبصيرة من أمر دينه، وفى مناعة من التيارات الفكرية المضادة التى تصل إليه من كل مكان.

وفى النهاية، فحينما تكون مادة التربية الدينية ليست منهجا نظريا، وإنما تتعداه إلى أن تكون تطبيقا عمليا، يجب أن يدرب الطلاب تدريبا عمليا على أداء الشعائر الدينية، فبناء مسجد مثلا فى فناء المدرسة والجامعة، وأخذهم بإقامة الصلاة فيه فى مواقيتها وتوزيع الأعمال اللازمة له عليهم من أذان وإقامة وخطابة وتعهد مرافق وما إلى ذلك، وتمرسهم بهذه الأمور تمرسا عمليا تحت إشراف أساتذتهم، خير من الدروس والمواعظ التى تلقى عليهم فى أهمية الصلاة وثواب فاعلها وعقاب تاركها يوم القيامة.

وجوب قيام العلماء بدورهم فى تحقيق التهذيب الدينى طبقا لمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

يقع على عاتق العلماء بصفة عامة، وعلماء الدين بصفة خاصة، دور كبير فى وقاية الشباب من الجنوح وضعف شعوره الدينى.

وأساس ذلك، هو الدفاع الشرعى العام[21]، والذى يسمى اصطلاحا بالأمر بالمعروف والنهى عن

---

(19) راجع الدكتور على عبد الواحد وافى: مشكلات المجتمع المصرى والعالم العربى حياة المجتمعات، مكتبة نهضة مصر ص ٨٠ ـ ٨٢.

(20) الأستاذ عبد الله كنون: الدين والشباب، التوجيه الإسلامى للشباب، من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٩ هـ ١٩٧١ ص ١٧١٠، وما بعدها.

(21) تمييزا له عن الدفاع الشرعى الخاص، والذى يصطلح الفقهاء على تسميته بدفع الصائل، وعلى تسمية المعتدى صائلا، والمعتدى عليه مصولا عليه. راجع فى الموضوع للباحث: الدفاع الشرعى ودفع الصائل، تكييفه وطبيعته وشروط الاعتداء، والدفاع، دراسة مقارنة فى الفقة الإسلامى، ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م رقم ١٠، ص ٢٠ ـ ٣٠.

المنكر، حيث يعد وسيلة هامة من وسائل الإصلاح لتقويم الانحراف، إعمالاً لقوله -تعالى-:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[22].

كما كانت رسالة النبيين أجمعين، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يقع إلا على عاتق المسلم المكلف القادر العالم بأحكام الشرع، حتى يمكن لمن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر أن يميز بين المنكر وغير المنكر[23].

يقول القرطبي: «قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء، يعني: «عوام الناس»[24].

والمراد بالعامي: من لا يحسن الفهم الصحيح في علوم الشريعة، ولو كان عالماً في فرع من فروع المعرفة الأخرى، كما أن عالم الشريعة هو عامي في فروع العلوم الأخرى.

ويلاحظ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو واجب على الكفاية[25].

غير أنه قد ينقلب إلى واجب عيني، كما إذا وجد العالم في مكان لا يعلم معه غيره، كوجود عالم في بيئة تجهل أمور الدين، ومثل ذلك وجود العالم بين طلابه.

ولأن هذا ما يتفق مع مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام، بمعنى أن يكون كل فرد في كفالة جماعته، فيلتزم القوامون على الجماعة بأن يعطوا كل ذي حق حقه، وأن يعينوا كل فرد على سواء السبيل، ومن ناحية أخرى، يكون الفرد كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير ويذود عنه الشر، ويحس بأن عليه واجباً قبل المجتمع يتعين عليه أداؤه[26].

مما سبق، يتضح أنه يجب أن يقوم العلماء بدورهم في حماية الشباب من الانحراف الفكري والسلوكي، لأنهم قدوة لهؤلاء الشباب، يقول الله -تعالى-:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[27]

---

(22) سورة آل عمران، الآية «104».

(23) يضيف بعض الفقهاء، شرط العدالة إلى الشروط السابقة، بينما ينكر البعض الآخر هذا الشرط، إلا إذا كان يقوم بالوعظ على من يعرف فسقه فلا يتعظ. إحياء علوم الدين: للغزالي دار إحياء التراث العربي جـ2 ص «291».

(24) الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، جـ4 ص «49».

(25) من أنصار هذا الرأي: ابن تيمية. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، طبع ونشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية 1418 هـ ص «90 - 10»، وراجع لاختلاف الفقهاء في ذلك: الدكتور محمد رأفت عثمان، المرجع السابق ص «26 - 42».

(26) في هذا المعنى: الإمام محمد أبو زهرة، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار الفكر العربي ص7، الدكتور أحمد عبد العزيز الألفي: دراسة نقدية للنظم المعاصرة في الوقاية والجزاء، ومعاملة المجرمين في ضوء التكافل الاجتماعي في الإسلام، المجلة العربية للدفاع الاجتماعي، العددان التاسع عشر والعشرون «1985» ص91.

(27) سورة فاطر آية «28».

وخشية الله التي هي ثمرة العلم أساس من أهم أسس إسلام الوجه لله، ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام، إنه ضرورة وليس ترفا، فهو من أسس الإسلام نفسه.

ومن أجل ذلك، كانت من مقومات شخصية المسلم، العلم، يقول النبي - ﷺ - : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»(٢٨).

ويقول الرسول - ﷺ -: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»(٢٩).

وقد وقع كثير من الشباب في بؤر التطرف والعنف بسبب الجهل بأحكام الدين وروحه السمحة، وبسبب عدم وجود الأستاذ المتخصص في الدين القريب منهم، لتوضيح ما أشكل وشرح ما أبهم، فالحاجة ماسة الى وجود الأستاذ المتخصص في الدين، بجانب التلميذ الراغب في التعرف على أحكام دينه، حتى يرشده إلى صحيح الآراء وفاسدها.

واذا كان الأثر العام للدين على ظاهرة الإجرام هو الإقلال من النسبة العامة للجرائم، إلا أن التمسك بالدين والحرص على اتباع تعاليمه يؤدي في أحوال استثنائية إلى ارتكاب الجرائم، فكثيرا ما تختلط تعاليم الدين لدى البعض بتأويلات ومفاهيم خاطئة بعيدة كل البعد عن قيم الدين وعقائده، وقد يدفع ذلك البعض إلى ارتكاب الجريمة بدافع الولاء للدين وحماية قواعده كالاعتداء على الآخرين. ومن هنا تبدو أهمية دور عالم الدين في إيضاح الحقائق التي تؤدي إلى ابتعاد الأفراد عن ارتكاب الجرائم.

يقول الشيخ رشيد رضا: «ولا ينبغي للعامي أن يعتمد على فهمه في قراءة كتب الفقه والعقائد، بل عليه أن يتلقى ذلك عن العلماء، كما يطالع ما يسهل فهمه مع مراجعتهم فيما يشكل فهمه»(٣٠).

فالعلم لا يكتفى بتحصيله بقراءة كتاب أو كتابين، وإلا لما أتعب أئمة المذاهب أنفسهم في تحصيله من مشايخهم الكثيرين، حيث وجدناهم يكثرون من التلقي على شيوخهم ويرحلون في سبيل العلم إلى البلاد البعيدة عنهم.

إزاء ذلك، كان من الضروري العمل على توفير الطمأنينة الفكرية للشباب، حتى يرسخ عنده الاعتقاد بأن دين الله يسر، وأن التشريع الإسلامي صالح لكل زمان ومكان، ويجمع بين الأصالة ومسايرة التطور، ويهتم بدرء المفاسد وجلب المصالح، ويوجه إلى الاجتهاد المستمر في الأقضية الجديدة.

كما يجب أن تنشط الجهات العلمية المختصة في العمل على إحكام الروابط بين مبادىء التشريع الإسلامي وواقع المجتمعات

---

(٢٨) رواه ابن ماجة.

(٢٩) رواه الشيخان والترمذي.

(٣٠) فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا جـ ٦، ص ٢٢١٠.

الإسلامية، وتعقب الآراء والمذاهب الفكرية الوافدة بكشف زيفها وباطلها عن طريق علماء الدراسات الإسلامية.

ونشر التراث الفقهي الذي يوصي بالترغيب في الاستقامة والتنفير من الانحراف، وأن يكون القائمون على شئون التعليم قدوة صالحة للمتعلمين. يقول عمرو ابن عتبة لمعلم ولده: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح لديهم ما تركت».

كل هذا كفيل بوقاية الشباب من كثير من ألوان الانحراف التي يتعرض لها، وبمعالجة ما قد يصيبه من أمراضها»(٣١).

مما سبق يتضح عظم مسئولية علماء الدين، الذين يجب عليهم أن يخططوا لتكوين الشخصية الإسلامية، وتفنيد جميع المطاعن التي توجه لعقيدة الإسلام وشريعته ومثله العليا، وأن تبدأ هذه الخطة العلمية في توجيه الشباب توجيها إسلاميا صحيحا، بالتلقين ثم بالتثقيف وحل المشاكل، وفي المراحل التعليمية المختلفة، حتى ينشأ الشباب على هدى وبصيرة من أمر دينه، ويبتعد عن التيارات الفكرية المتطرفة.

وهكذا يؤدي تعليم الدين وغيره من العلوم الأخرى، إلى إنارة عقل الفرد وتوسيع مداركه وتبصيره بعواقب أفعاله، وتنمية قدراته ومواهبه والقضاء على الخرافات التي قد تكون في بعض الأحيان دافعا لارتكاب بعض الجرائم.

ولا يفوتني أن أذكر بأن قيام علماء الدين بواجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يمنع منه اختيار الإمام لجماعة معينة تتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي: «إن هذا الاشتراط فاسد، فإن الآيات والأخبار التي أوردناها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى، إذ يجب نهيه أينما رآه وكيفما رآه، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكم لا أصل له»(٣٢).

هذا فضلا عن أن إذن الإمام أو ولي الأمر لفئة من علماء الدين بإلقاء الدروس الدينية التعليمية، تتضمن بطريق اللزوم، الإذن لهم بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل المؤسسات التعليمية.

الخاتمـــة

أهم النتائج:

١ ـ أن اضطراب أحوال الشباب وتفشي القلق والاستهتار والميل إلى العنف والإخلال

---

(٣١) الأستاذ محمد خلف الله أحمد: الدين وحماية الشباب من الانحراف السلوكي والفكري: من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩١ هـ ١٩٧١، التوجيه الإسلامي للشباب، ص «١٩٤».

(٣٢) إحياء علوم الدين جـ ٢٠ ص ٢٩٦».

بالأمن، إنما هو نتيجة طبيعية لإهمال مادة التربية الدينية، التي يجب أن يكون جوهرها وحدانية الله -تعالى- وإحكام صلة الفرد بخالقه واتصاله بكتاب الله -تعالى- وسنة نبيه - ﷺ -، والوقوف على مبادىء التشريع الإسلامي.

٢ - أن جرائم العنف والتطرف منبعها البعد عن الفهم الصحيح لأحكام الإسلام، وروحه السمحة وتعاليمه التي تؤكد المودة والرحمة وصيانة الأنفس والأعراض والأموال.

٣ - أن قيام علماء الدين بواجبهم في تحقيق الحصانة الواقية من العنف والتطرف، يعد واجبا عينيا في محيط المؤسسات التعليمية، حتى يكون طلاب العلم هم أكثر الناس بعدا عن الجريمة والانحراف السلوكي والفكري.

أهم التوصيات:

١ - يجب أن تنشط الجهات العلمية المختصة في العمل على إحكام الروابط بين مبادىء التشريع الإسلامي وواقع المجتمعات الإسلامية، وتعقب الآراء والمذاهب الفكرية الوافدة بكشف زيفها وباطلها عن طريق علماء الدراسات الإسلامية.

٢ - تطوير أساليب التربية الإسلامية في جميع مراحل التعليم، بما يتمشى ومقتضيات الحياة الحديثة، وتشجيع الشباب على مداومة الاتصال بالتراث الإسلامي، وتوجيهه إلى المطالعات الدينية المناسبة.

٣ - من الضروري العمل على توفير الطمأنينة الفكرية للشباب، حتى يرسخ عنده الاعتقاد بأن دين الله يسر، وأن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، وأن التشريع الإسلامي يجمع بين الأصالة ومسايرة التطور، ويهتم بدرء المفاسد وجلب المصالح، ويدعوا الى الاجتهاد المستمر في الأقضية الجديدة.

٤ - وجوب جعل مادة التربية الإسلامية مادة أساسية في جميع البرامج التعليمية من الابتدائي إلى الجامعة، وأن تحتوى هذه المادة فضلا عن العبادات، روح الإسلام ورسالته العامة للبشر، وما أتى به من إصلاح سياسي واجتماعي، وما ينتظر أن يقوم به من دور في إنقاذ البشرية من التخبط.

٥ - وجوب إعداد لقاءات وندوات لأولئك الذين يدرسون في البلاد الأوربية، مع طائفة من المختصين في الدراسات الإسلامية، حتى يطرحوا شكوكهم ومشكلاتهم على بساط البحث الصريح، ففي ذلك وقاية لهؤلاء الشباب من الشكوك والاضطراب الذي يدفعهم غالبا إلى سلوك طريق الجريمة والإخلال بأمن المجتمع واستقراره، لما يشعرون به من عدم توافق بين ما تشبعو به من أفكار وافدة، وما يعتقده مجتمعهم من أحكام دينية وعادات اجتماعية.

الهدية .. بين الحظر والإباحة

لفضيلة الشيخ / معوض عوض ابراهيم

من كرامة الإنسان أن جعل الله حاجته إلى مولاه، فبيده وحده خزائن السموات والأرض، يعطى ويمنع، وهو على كل شيء قدير، أزمة القلوب يجمعها إذا شاء، وتتنافر إذا خالفت منهجه، وآثرت على سبيله أهواءها وشهواتها التى لا يضبطها دين، ولا عرف سليم..

وما أكرم الذين يترابطون بالإسلام ووسائله، لإدناء الأرواح من الأرواح، وجمع القلوب على القلوب، ورد الناس إلى ما أراد الله حين كانوا (أمة واحدة)، يتهادون النصائح (ويتناجون بالبر والتقوى) منذ قال صلوات الله عليه، «تهادوا تحابوا»، [1] وإن عرف الناس وتوارثوا قول بعضهم، «إذا دخلت الهدية من الباب خرجت الأمانة من الشباك أو (من الطاق)».

إن الذى لا ريب فيه أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان يقبل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وفى هذا إباحة للمسلم أن يقبل ما وهبه إليه الآخرون دون طلب، أو استشراف، ما ليس له بحق.

ومما عنون به الإمام البخارى ـ رضى الله عنه ـ لآيات الهبة قوله: «باب من لا يقبل الهدية لعلة».

وقال الإمام العينى فى كتابه: «عمدة القارى شرح صحيح البخارى» «كهدية المستقرض للمُقرض، وهبة الرجل لرجل، يقضى حاجته عند أخيه، أو لرجل يشفع له فى أمره وعرض ان الهدية فى عهد الرسول ـ ﷺ ـ كما قال عمر ابن عبدالعزيز ـ «كانت هدية، ولكنها اليوم رشوة» وروى العينى أن فرات بن مسلم قال: «اشتهى عمر بن عبدالعزيز التفاح، فلم يجد فى بيته شيئا يشترى به، فركبنا معه، فتلقانا غلمان الدير بأطباق تفاح، فتناول واحدة فشمها، ثم رد الأطباق، فقلت له فى ذلك، فقال: لا حاجة لى فيه، فقلت: ألم يكن رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ يقبلون الهدية؟ فقال: «إنها كانت لهؤلاء هدية، وهى للعمال بعدهم رشوة».

---

١ ـ عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ مرفوعا، أخرجه الطبرانى وغيره.

ورحم الله العيني، فهو ككل أو أثلنا غزير المعرفة، واسع الساحة في العلم، حريص على انتهاز الفرصة، لسبر أغوار الكلمة، والموضوع، والموقف، فها هو ذا يقول: «والرشوة ـ بضم الراء وفتحها وكسرها ـ هي ما يؤخذ بغير عوض، ويُذمُّ آخذه» وهي كما قال ابن الأثير في «النهاية»: «المُوصْلة إلى الحاجة بالمصانعة، وأصلها من الرشاء، وهو الحبل، الذي يُتوصَّلُ به إلى الماء، فالراشي: الذي يعطي من يعينه على الباطل، والمرتشي: الآخذ، والرائش: الساعي بينهما ليستزيد لأحدهما، ويستنقص لهذا»، أما ما يعطى توصلاً إلى أخذ حق، أو دفع ضرّ، فليس داخلا في الرشوة، وأحسبه من المصانعة.

وقد أورد ابن الأثير: «أن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أُخذ في أرض الحبشة في شيء، فأعطى دينارين في تخلية سبيله» وقال: «إن جماعة من أئمة التابعين، قالوا: لا بأس أن يصانع الرجل بماله عن نفسه إن خاف الظلم»..

وخوف الظلم إنما يكون في المجتمعات التي رقّ فيها الدين، وخفت الخشية من الله، وقام مقام العدل والرحمة وإنصاف الآخرين، فواشي الأنانية، والصوالح الخاصة، وإن رغم الناس، وكم قالوا: الحقُّ نطَّاح، مستدربين بالقاضي، الذي أهدى إليه أحد المتخاصمين عنزة أو ديكا، فلما أهدى إليه الآخر كبشا، رجّح ميزان الهوى، وقال القاضي لمن لامه: كيف أعطي الحق غير أهله؟!

(الحقُّ نطَّاح) ويا ويل هذا القاضي، يوم يبعث الله الخلائق، فلا يجد هذا القاضي وأمثاله إلا ما أخذوه رشوة، تعلو مناكبهم، وتصرخ دالةً عليهم، شاهدة بسوء ما فعلوا، في حياة ذهبت، وصاروا هم إلى اليوم الذي يقول الله فيه

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾[٢]، حيث لا مال ينفع، ولا سلطان يدفع، ولا هوى دنيوي يشفع، لأنفس كانت ناكبة عن هدي الله.

وقد صح أن الرسول ـ صلوات الله عليه ـ قال: **«لعن الله الراشي، والمرتشي، والرائش»**[٣]..

ولعلنا لم ننس خامس الخلفاء الراشدين: عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ وهو يشتهي التفاح الذي لا يجد في بيته ما يشترى به حاجته منه.

كم هو عجيبٌ ذلك الموقف، وأعجب منه أن يصنع من التفاح، بأيسر ما أُتيح له من عطاء غلمان الدير، والتورع عن التضلع مما اشتهى حين يُسّر له، وأعجب معي من الحوار الكريم، الذي جرى بينه وبين الذين خرجوا معه، وما ترك للناس في كلمته المبصرة، التي تلقي تراب المهانة في وجوه الذين ارتكسوا، في مهاوي الرشوة، في أقطار وديار، وخروا إلى الأذقان في ثرى الشراء الذليل، وسراب المتاع القليل، وعقبى الظلم الذي إن دام دمّر.. والعاقبة للتقوى.

٢ـ سورة الأعراف (٩).

٣ـ رواه أحمد عن ابن عمر، وسنده حسن.

العشرة المبشرون بالجنة

٢ الفاروق عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقى الدين

كان منهجنا ولا زال هو تناول سيرة العشرة المبشرين بالجنة فى حياة رسول الله - ﷺ - فقط لسببين، الأول أنهم بشروا بالجنة - فى رأينا - جزاء ما قدموه للإسلام فى الحقبة النبوية، الثانى أننا بالكاد، بل ومع تقصير شديد نستطيع عبر صفحات قليلة أن نتناول السيرة العطرة لهؤلاء العشرة - رضوان الله عليهم - فى حياة رسول الله - ﷺ - ومواقفهم التى استحقوا عليها التبشير بالجنة فإذا ما تناولنا تاريخهم كله فإنه تلزمنا مجلدات ومجلدات.

ولكن مع عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يختلف الأمر كل الاختلاف، فقد كان الفاروق - رضى الله عنه - محدثًا حافظًا، فقيهًا، أديبًا، زاهدًا، ورعًا، وقائدًا فاتحًا بما يعجز الباحثون عن الإحاطة به، ولذا نحسب أن من اللازم، مع الفاروق بوجه خاص أن نقدم لمحة عن خلافته.

يقول الإمام الحافظ إسماعيل بن كثير[١]

عمر بن الخطاب هو أول من دُعى أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ وجمع الناس على التراويح، وأول من عَسَّ بالمدينة، وحمل الدِّرة وأدَّب بها، وجَلَد فى الخمر ثمانين، وفتح الفتوح، ومصَّر الأمصار، وجنَّد الأجناد، ووضع الخراج، ودوَّن الدواوين، وعرض الأعطية، واستقضى القضاة، وكوَّر الكُوَر، مثل السواد والأهواز والجبال وفارس وغيرها.

(١) البداية والنهاية (٧/ ١٤٧ : ١٥٠).

وفتح الشام كله، والجزيرة والموصل، وميا فارقين، وآمد، وأرمينية، ومصر وإسكندرية. ومات وعساكره على بلاد الرى. فتح من الشام: اليرموك، وبصرى، ودمشق، والأردن، وبيسان، وطبرية، والجابية، وفلسطين، والرّملة، وعسقلان، وغزة والسواحل والقدس. وفتح طرابلس الغرب، وبرقة. ومن مدن الشام: بعلبك وحمص، وقنسرين، وحلب، وأنطاكية. وفتح الجزيرة، وحرّان، والرّها، والرقة، ونصيبين، ورأس عين، وشمشاط، وعين وردة، وديار بكر، وديار ربيعة، وبلاد الموصل، وأرمينية جميعها. وبالعراق: القادسية، والحيرة، ونهر سير وساباط، ومدائن كسرى، وركوة الفرات، ودجلة والأبلة والبصرة، والأهواز وفارس، ونهاوند، وهمذان، والرى، وقومس، وخراسان واصطخر، وأصبهان، والسوس، ومرو ونيسابور، وجرجان وأذربيجان وغير ذلك، وقطعت جيوشه النهر مراراً.

وكان متواضعاً فى الله، خشن العيش، خشن المطعم، شديداً فى ذات الله، يُرقّع الثوب بالأديم، ويحمل القربة على كتفيه، مع عظم هيبته، ويركب الحمار عرياً، والبعير مخطوماً بالليف، وكان قليل الضحك، لا يمازح أحداً. وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر.

أرادته الدنيا فلم يردها

وقيل لعمر إنك قضّاء. فقال: الحمد لله الذى ملأ قلبى لهم رحما وملأ قلوبهم لى رعباً. وقال عمر: لا يحل لى من مال الله إلا حُلتان: حلة للشتاء وحلة للصيف، وقوت أهلى كرجل من قريش ليس بأغناهم، ثم أنا رجل من المسلمين.

وكان عمر إذا استعمل عاملا كتب له عهداً وأشهد عليه رهطاً من المهاجرين، واشترط عليه أن لا يركب برْذونا، ولا يأكل نقياً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون ذوى الحاجات. فإن فعل شيئاً من ذلك حلّت عليه العقوبة.

وقيل: إنه كان إذا حدثه الرجل بالحديث فيكذب فيه الكلمة والكلمتين، فيقول عمر: احبس هذه احبس هذه، فيقول الرجل: والله كل ما حدثتك به حق، غير ما أمرتنى أن أحبسه.

وقال معاوية بن أبى سفيان: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم تُرده، وأما عمر فأرادته فلم يُردْها، وأما نحن فتمرّغنا فيها ظهراً لبطن. وعُوتب عمر فقيل له: لو أكلت طعاماً طيبا كان أقوى لك على الحق! فقال: إنى تركت صاحبىّ على جادّة، فإن أدركت جادتهما فلم أدركهما فى المنزل. وكان يلبس وهو خليفة جُبة صوف مرقوعةً بعضها بأدم، ويطوف بالأسواق على عاتقه الدّرة يؤدب بها الناس، وإذا مرّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمى به فى منازل الناس ينتفعون به.

وقال أنس: كان بين كتفى عمر أربع رقاع، وإزاره مرقوع بأدَم. وخطب على المنبر وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة، وأنفق فى حجته ستة عشر ديناراً، وقال لابنه: قد أسرفنا، وكان لا يستظل بشىء، غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويَستظل تحته، وليس له خيمة ولا فسطاط. ولما قدم الشام لفتح بيت المقدس كان على جمل أوْرَق[٢] تلوح صلعته للشمس، ليس عليه قلنسوة ولا عمامة، قد طبّق رجليه بين شعبى الرّحل بلا ركاب. ووطاؤه كبش من صوف، وهو فراشه إذا

(٢) الأورق: الذى فى لونه بياض إلى سواد، وهو من أطيب الإبل لحما، لا سيرا وعملا.

نزل. وحقيبته محشوة ليفا، وهي وسادته إذا نام، وعليه قميص من كرابيس[٣] قد رسم وتخرق جيبه، فلما نزل، قال: ادعوا لي رأس القرية، فدعوه. فقال: اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني قميصاً، فأتي بقميص كتان، فقال: ما هذا؟ فقيل: كتان، فقال: فما الكتان؟ فأخبروه. فنزع قميصه فغسلوه وخاطوه ثم لبسه، فقال له: أنت ملك العرب، وهذه بلاد لا يصلح فيها ركوب الإبل. فأتي ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل، فلما سار جعل البرذون يُهَمْلِج[٤] به، فقال لمن معه: احبسوا، ما كنت أظن الناس يركبون الشياطين، هاتوا جملي. ثم نزل وركب الجمل.

وعن أنس قال: كنت مع عمر فدخل حائطا لحاجته، فسمعته يقول وبيني وبينه جدار الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بَخٍ بَخٍ[٥] والله لتتقين الله بني الخطاب أو ليعذبنك. وقيل: إنه حمل قربة على عاتقه، فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ نفسي أعجبتني فأردت أن أذلها. وكان يصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيته فلا يزال يُصلِّي إلى الفجر. وما مات حتى سَرَد[٦] الصوم، وكان في عام الرَّمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده، ويقول: بئس الوالي أنا إن شبعت والناس جياع. وكان في وجهه خطان أسودان من البكاء، وكان يسمع الآية من القرآن فيغشى عليه، فيُحمل صريعاً إلى منزله، فيُعاد أياماً ليس به مرض إلا الخوف. وقال طليحة بن عبدالله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتاً، فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مُقعدة، فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: إنه يتعاهدني مدة كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فقلت لنفسي: ثكلتك أمك يا طليحة! أعثرات عمر تتبع؟

وقال أسلم مولى عمر: قدم المدينة رفقة من تجار، فنزلوا المصلَّى، فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: هل لك أن نحرسهم الليلة؟ قال: نعم! فباتا يحرسانهم ويصلّيان، فسمع عمر بكاء صبي فتوجَّه نحوه، فقال لأمه: اتق الله - تعالى - وأحسني إلى صبيك. ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه فعاد إلى أمه فقال لها مثل ذلك. ثم عاد إلى مكانه. فلما كان آخر الليل سمع بكاء الصبي، فأتى إلى أمه، فقال لها: ويحك، إنك أم سوء، مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة من البكاء؟ فقالت: يا عبد الله، إني أشغله عن الطعام فيأبى ذلك، قال: ولم؟ قالت: لأن عمر لا يفرض إلا للمفطوم. قال: وكم عُمر ابنك هذا؟ قالت: كذا وكذا شهراً، فقال ويْحك لا تعجليه عن الفطام. فلما صلّى الصبح وهو لا يستبين للناس قراءته من البكاء، قال: بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين؟ ثم أمر مناديه فنادى، لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام، فإنا نفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق.

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى ظاهر المدينة، فلاح لنا بيت شعر فقصدناه، فإذا فيه امرأة تمخض وتبكي، فسألها عمر عن حالها، فقالت: أنا امرأة غريبة وليس عندي شيء. فبكى عمر وعاد يُهرول إلى بيته، فقال لامرأته أم كلثوم

---

(٣) الكرباس: ثوب من القطن الأبيض، والنسبة إليه: كرابيسي.

(٤) أي: يسير بسرعة، والهملجة: حسن سير الدابة في سرعة.

(٥) كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة.

(٦) أي تابعه، والسرد: متابعة الصوم.

بنت علي بن أبي طالب: هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ وأخبرها الخبر، فقالت: نعم، فحمل على ظهره دقيقاً وشحماً، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة، وجاء فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها -وهو لا يعرفه- يتحدث، فوضعت المرأة غلاماً، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل قولها -استعظم ذلك وأخذ يعتذر إلى عمر. فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أوصلهم بنفقة وما يُصْلحهم وانصرف.

أنت تحمل وزري يوم القيامة؟

وقال أسلم: خرجت ليلة مع عمر إلى حرَّة واقم، حتى إذا كنا بصرار، إذا بنار، فقال: يا أسلم! ههنا رَكْب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم، فأتيناهم فإذا امرأة معها صبيان لها وقدر منصوبة على النار وصبيانها يتضاغون[٧]، فقال عمر: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، قالت: وعليك السلام. قال: أدنوا؟ قالت: أدن أو دَع. فدنا فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد. قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون؟ قالت: من الجوع. فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ماء أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر. فبكى عمر، ورجع يهرول إلى دار الدقيق، فأخرج عدلاً[٨] من دقيق وجراب شحم، وقال: يا أسلم! احمله على ظهري، فقلت: أنا أحمله عنك. فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ فحمله على ظهره، وانطلقنا إلى المرأة. فألقى عن ظهره وأخرج من الدقيق فرماه في القدر، وألقى عليه من الشحم، وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، ثم أنزلها عن النار، وقال: ايتيني بصحفة. فأتى بها فغرفها ثم تركها بين يدي الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا -والمرأة تدعو له وهي لا تعرفه- فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم أوصلهم بنفقة وانصرف، ثم أقبل عليّ فقال: يا أسلم الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم.

أتعبت الخلفاء من بعدك

وقيل: إن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - رأى عمر وهو يعدو إلى ظاهر المدينة، فقال له: إلى أين يا أمير المؤمنين؟ فقال: قد ندَّ بعير من إبل الصدقة فأنا أطلبه، فقال: قد أتعبت الخلفاء من بعدك. وقيل: إنه رأى جارية تتمايل من الجوع، فقال: من هذه؟ فقالت ابنة عبدالله: هذه ابنتي. قال: فما بالها؟ فقالت: إنك تحبس عنا ما في يدك فيصيبنا ما ترى. فقال: يا عبد الله، بيني وبينكم كتاب الله، والله ما أعطيكم إلا ما فرض الله لكم، أتريدون مني أن أعطيكم ما ليس لكم فأعود خائناً؟ روى ذلك عن الزهري.

وعندما أراد الفاروق أن يتزوج أم أبان بنت عتبة بن ربيعة رفضته وقالت: «إنه رجل أذهله أمر آخرته عن أمر دنياه كأنه ينظر إلى ربه بعينه».

يقول علقمة بن أبي وقاص- رحمه الله:

كان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة بسورة يوسف، وأنا في مؤخر الصفوف حتى إذا ذكر يوسف سمعت نشيجه[٩].

---

(٧) أي يصيحون ويتباكون.

(٨) العدل: الحمل.

(٩) خبر صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٩٧).

وكان الفاروق يقول: «لو كان لي ما طلعت عليه الشمس لا فتديت به من كرب الموت فكيف بي ولم أر النار»(١٠).

ويقول: «لولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله: «لولا أن أجاهد في سبيل الله أو أضع جبيني لله ساجداً، أو أكون في قوم يلتقطون طيب الكلام، كما يلتقط طيب الثمر»(١١).

وقال: «ما خلق الله – عز وجل ميتة – أموتها بعد القتال في سبيل الله –عز وجل– أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله –عز وجل–»(١٢).

وقال: «مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس»(١٣).

وكان الفاروق يحرص على طلب الشهادة في سبيل الله –تعالى– والوفاة في دار الهجرة –المدينة– تقول حفصة بنت عمر –رضي الله عنهما– أنها سمعت أباها يقول: «اللهم ارزقني قتلا في سبيلك، ووفاة في بلد نبيك، قالت: قلت: وأنى ذلك؟! قال: إن الله يأتي بأمره أنى شاء، في رواية: يأتي به الله إن شاء»(١٤).

وفي رواية زيد بن أسلم –رحمه الله تعالى– قال الفاروق –رضي الله عنه–: اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك ووفاة ببلد رسولك(١٥).

وروى أبو موسى الأشعري –رضي الله عنه– أن عوف بن مالك رأى أن الناس جمعوا في صعيد واحد، فإذا رجل قد علا الناس بثلاثة أذرع، قلت: من هذا؟ قال: عمر بن الخطاب. قلت: بم يعلو هم؟ قال: إن فيه ثلاث خصال، لا يخاف في الله لومة لائم، وإنه شهيد مستشهد، وخليفة مستخلف(١٦).

واستجاب المولى – عز وجل – لدعاء الفاروق ورزقه الشهادة في بلد رسول الله –ﷺ– حيث ضربه أبو لؤلؤة فيروز المجوسي الأصل، وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة لسنة ثلاث وعشرين للهجرة بخنجر ذات طرفين.

وحُمل عمر إلى منزله والدم يسيل من جرحه، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق ويقول: «نعم، ولاحظ في الإسلام لمن تركها» ثم صلى في الوقت، ثم سأل عمن قتله من هو؟ فقالوا له: أبو لؤلؤة، غلام المغيرة بن شعبة، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي إلا على يد رجل يدعي الإيمان ولم يسجد لله سجدة(١٧).

قالت أم أيمن لما قُتِلَ عمر: «اليوم وهى الإسلام»(١٨).

(١٠) خبر صحيح، أخرجه أبو داود في الزهد (٧٩).

(١١) خبر صحيح، أخرجه ابن سعد في طبقاته ٣/ ٢٩٠، وأبو نعيم في الحلية ١/ ٥١، وابن عساكر في تاريخه ٤٢/ ٣٤٥.

(١٢) خبر حسن، أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٠٦).

(١٣) خبر حسن، أخرجه ابن أبي الدنيا في إصلاح المال (٣٢١).

(١٤) خبر صحيح، أخرجه مالك في الموطأ (١٠٢١)، والبخاري في صحيحه (١٨٩٠) وابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٣١).

(١٥) خبر صحيح، أخرجه ابن سعد ((٣/ ٣٣١).

(١٦) خبر صحيح، أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٣١).

(١٧) البداية والنهاية (٧/ ١٥١).

(١٨) خبر صحيح، أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/ ٤٧٩، والبخاري في التاريخ الصغير ١/ ٦٤.

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد الشيخ/ عبدالفتاح حسين الزيات

● يسأل خالد محمد من الدقهلية: جلست تحت الشجرة وذرقت عصفورة عليَّ فقال صديقي إن هذا ليس بنجس وأنك ستكنس قريبا فما قولكم في هذا؟

■■ الإجابة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - ﷺ - وبعد:

فإن ذرق الطيور ونحوها قد تباينت فيه آراء الفقهاء فذهبت الحنفية إلى التفريق بين ما يذرق في الهواء كالعصافير ونحوها وما لا يذرق إلا على الأرض كالدجاج والبط، أما ما لا يذرق في الهواء فخرؤه نجس لوجود معنى النجاسة فيه وهو كونه مستقذر لأنه تغير إلى نتن وإلى رائحة فاسدة فأشبه العذرة، وفي الأوز عن أبي حنيفة روايتان: انه ليس نجسا والأخرى انه نجس.

اما ما يذرق في الهواء فهو نوعان: اولهما ما يؤكل لحمه كالحمام والعصافير فإن خرء ذلك طاهر لإجماع الامة لانهم اعتادوا اقتناء الحمام في المساجد الجامعة مع علمهم انها تذرق فيها، وقالوا: إن التحرز عن ذرق مثل هذه الطيور غير ممكن لأنها تذرق في الهواء فلا يمكن صيانة الثياب والأواني عنه فسقط اعتباره للضرورة وذلك كدم البق والبراغيث، اما ما لا يؤكل لحمه كالصقر والحداة فخرؤها طاهر عند ابي حنيفة وأبي يوسف وقال محمد بنجاسته.

اما الشافعية فجميع الزرق نجس من كل طير وكذا روث السمك والجراد وما ليس له نفس سائلة كالذبابة فإن روثها وبولها نجسان أخرج الدار قطني عن ابن مسعود ان رسول الله - ﷺ - ذهب لحاجته فأمر ابن مسعود ان يأتيه بثلاثة أحجار فجاءه بحجرين وروثة فألقى الروثة وقال: «إنها ركس ائتني بحجرة» وخرء الطير رجيعه فكان نجسا ولأنه يخرج من الدبر فكان نجسا كالغائط.

اما المالكية فقالوا: إن كانت الطيور مأكولة اللحم

وكانت تتغذى بغير النجاسة فذرقها طاهر. أما إن كانت تتغذى بالنجاسة فذرقها نجس والدجاج ان كان يأكل النجاسة فذرقه نجس واللحم طاهر اما ما كان من الطيور غير ماكول اللحم فذرقه نجس.

هذا والله أعلم

● يسأل ع.م.ز من القاهرة:

ما حكم بناء العمارات والمصانع وحافلات البحار من السفن والبواخر ونحو ذلك.. فهل في مثل هاتين الوسائل المعاصرة من زكاة؟

■■ الإجابة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد:

فإن الظاهر من أقوال الفقهاء القدامى انه لا زكاة في الأغراض المستعملة للحاجات الأصلية كدور السكنى وأدوات الحترف من قدوم ومنشار، وغير ذلك من الوسائل البسيطة المستعملة في الصناعة والتجارة لان هذه الأسباب والوسائل كانت غير ذي بال في زمانهم ،ولما كانت عليه من البساطة والبدائية ولم يتحقق فيها صفة المال النامي لكن هذه الأسباب والوسائل قد غشيها من التطور المذهل ما خلب العقول وما استثار كوامن الدهش والاستغراب.

فهذه العمارات الشواهق التي تتسع لاناس كثيرين يسكنونها استئجارا وهذه المصانع العظام بما حوته من آلات وماكينات حديثة تعطي من الانتاج الهائل ما كان يفوق كل حسبان، وهذه الحافلات وما تغله في كل نوبة وتحصيل الأموال وكذا الطائرات وما تدره من أرباح فتجب فيها الزكاة صونا لحقوق الفقراء وتطهيرا لنفوس أربابها من شوائب الشح والضن وارتقاء بها إلى حيث السمو والتحرز من إسار الانانية وحب المال قال تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(١).

وإن كيفية تزكية هذه الأصناف قال بعض العلماء المعاصرين: تزكي تزكية عروض التجارة حيث تحسب قيمة الوسائل من العمارات والمصانع ونحوها ثم يضاف اليها الغلة الناجزة من استعمالها وتخرج زكاتها ٢,٥٪ من الجميع في كل حول هجري.

اما القول الثاني فتقاس زكاة ذلك على الزروع والثمار وتحسب الغلة لكل صنف من هذه الأصناف عند تحصيل الغلال إذ تجمع في الشهر او في السنة ثم تزكي، ولا يزكي رأس المال وهو العمارات والمصانع والحافلات وغيرها.

اما مقدار الزكاة فهو كالحال في الزروع والثمار وهو العشر فيما ليس فيه كلفة او نصف العشر فيما فيه كلفه، والله -سبحانه وتعالى- أعلم.

● **يسأل محمد نصر: شخص تزوج بامرأة، وكلما أرادت أن تزور أبويها يمنعها زوجها ويدعي أن ذلك لا يجوز شرعا، فما حكم الشريعة في ذلك؟**

■■ الإجابة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - وبعد:

فقد صرح العلماء بانه لا يمنعها من الخروج إلى الوالدين في كل جمعة إن لم يقدرا على إتيانها، ولا يمنعهما من الدخول عليها في كل جمعة، كما في التنوير وشرحه وهو ما اختاره في فتح القدير حيث قال: وعن ابي يوسف في النوادر تقييد خروجها بالا يقدرا على إتيانها، فإن قدرا لا تذهب وهو حسن، وصرح بان الاخذ بقول أبي يوسف هو الحق إذا كان الأبوان بالصفة التي ذكرت والا ينبغي ان ياذن لها في زيارتهما في الحين بعد الحين على قدر متعارف، أما في كل جمعة فبعيد، فإن في كثرة الخروج فتح باب الفتنة خصوصا إذا كانت شابة والزوج من ذوي الهيئات.

---

(١) التوبة (١٠٣).

بخلاف خروج الأبوين فإنه أيسر وهذا ترجيح منه لخلاف ما ذكر في البحر انه الصحيح المفتى به من أنها تخرج للوالدين في كل جمعة بإذنه، وبدون إذنه، وللمحارم في كل سنة مرة بإذنه وبغير اذنه كذا في رد المختار، وصرح في البحر بأن الخروج للأهل زائدا على ذلك يكون لها بإذنه وعلى ذلك يجوز لهذه المرأة أن تخرج لأبويها في كل جمعة، أذن لها الزوج أو لم يأذن، ولها ان تخرج إلى المحارم كذلك كل سنة مرة بإذنه وبغير إذنه كما ان لها ان تخرج إلى الأهل كذلك كل سنة مرة بالإذن وبدونه، أما خروجها زائدا على ذلك للأهل فيسوغ لها بإذنه .. والله أعلم.

● **السؤال من / م.أ.ص.م المنصورة:**

توفيت سيدة عن زوج، أربع بنات شقيقات، أخت لأب، ابن أخ لأب، بنت أخ لأب، أختين لأم. فمن يرث ومن لا يرث وما نصيب كل وارث من التركة؟

■■ **الإجابة:**

نفيد بأن السائل إذا كان يقصد بأربع بنات شقيقات يعني أربع أخوات شقيقات فيكون تقسيم المسألة الشرعي كالآتي.

للزوج النصف فرضا لعدم وجود الفرع الوارث من الأولاد لقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾[2].

وللأختين لأم الثلث فرضاً لقوله -تعالى-:

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ﴾[3].

يوزع بينهما بالسوية.

وللأخوات الشقيقات الثلثان وفي المسألة عول.

ولا شئ لأخت الأب ولا ابن أخ لأب ولا بنت أخ لأب لأنهم جميعا محجوبون بالأخوات الشقيقات.

هذا وبالله التوفيق

● **السؤال من الحاج / حامد حامد ابراهيم أبو زيد - كفر الدوار - البحيرة:**

لي أخت متزوجة من ابن عمها لمدة ٣٠ عاما (ثلاثين عاما) ولم ينجبا وقد أثبتت التحاليل أن العيب في زوجها فرضيت بقضاء الله إلى ان لقيت ربها وتركت عقارات وأملاكا ولها أخوة ذكور وإناث، وأولاد أخ من أبيهم لامرأة ثانية، وزوجها له أخوة -أيضا- ذكور وإناث فمن يرث ومن لا يرث؟

■■ **الإجابة:**

نفيد بأن التركة تنحصر في الزوج والإخوة الأشقاء ذكور وإناث. وتقسم على النحو الآتي:

للزوج النصف فرضا وذلك لعدم وجود الفرع الوارث لقوله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ﴾[4].

والباقي وهو نصف التركة يقسم على الأخوة الأشقاء للذكر مثل حظ الأنثيين ولا شئ لأولاد الأخ لأب لحجبهم بالأخوة الأشقاء لقوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[5].

ولا شئ لأخوة الزوج الذكور والإناث.

والله أعلم

---

(٢)، (٣)، (٤) النساء (١٢).

(٥) النساء (١٧٦).

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

«ثقل الأمانة»

بعد أن بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة، خلا في مصلاه يبكي، فأقبل عليه المسلمون يقولون: يا ابن عبد العزيز، ما يبكيك؟ قال: إنني حملت أمانة هذه الأمة، فأنا أبكي لمن حملت الأمانة عنهم: أبكي للفقير الجائع، وابن السبيل الضائع، والمظلوم المقهور، وذي العيال الكثير، علمت أني مسئول عنهم وعن غيرهم من أمة محمد - ﷺ - فأشفقت على نفسي، وبكيت لثقل الأمانة.

الحسد

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -:

وداريت كل الناس لكنّ حاسدي
مداراته عزت وعز منالها

وكيف يداري المرء حاسد نعمة
إذا كان لا يرضيه إلا زوالها

نصائح

قال ابن المقفع - رحمه الله: ابذل لصديقك دمك ومالك، ولمعارفك رفدك وحضورك، وللعامة بشرك وتحياك، ولعدوك عدلك. وضن بدينك وعرضك عن كل أحد.

ثلاثة

قال ضرارة بن مرة، قال إبليس: إذا استمكنت من ابن آدم ثلاثا أصبت منه حاجتي:

إذا نسي ذنوبه، وإذا استكثر عمله، وإذا أعجب برأيه.

كيف ينجو مني ابن آدم؟ إذا غضب كنت عند أنفه، وإذا فرح كنت في قلبه.

اللفظ الحسن

دخل عبدالملك بن صالح - رحمه الله - دار الرشيد فلقيه إسماعيل بن صبيح الحاجب فقال: اعلم أنه ولد لأمير المؤمنين ابنان فعاش أحدهما، ومات الآخر، فيجب أن تخاطبه بحسب معرفتك، فلما صار بين يدي الرشيد، قال: سرك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك.

حقـــا

إذا كـان عـون الله للمـرء ناصـرا

تهـيـا له من كل صـعب مـراده

وإن لم يكن عـون من الله للفـتى

فـأول مـا يجني عليـه اجـتـهـاده.

لقد أطلت المقام

حل رجل ثقيل الظل ضيفا على الآخر، وأطال المكث عنده، فقال له يا صاحبي أطلت المقام، ولا شك أنك اشتقت إلى زوجتك وأولادك، فقال الضيف: نعم ولذلك سأحضرهم إلى هنا.

الرجل الصالح

سئل أحد الصالحين، متى يكون الرجل صالحا؟ قال: إذا كانت النصيحة في نيته، والخوف في قلبه، والصدق في لسانه، والعمل الصالح في جوارحه.

الملك

كان عمرو بن العاص يركب بغلة قد شمط وجهها هرما، فقيل له: أتركب هذه وأنت على أكرم مكانة بمصر؟

فقال: لا ملل عندي لدابتي ما حملتني، ولا لامرأتي ما أحسنت عشرتي، ولا لصديقي ما حفظ سري، إن الملل من كواذب الأخلاق.

دعاء

يا عدتي عند كربي، ويا صاحبي في وحدتي ويا غياثي عند شدتي، ومفزعي عند فاقتي، ورجائي إذا انقطعت حيلتي، يا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أجعل لي فرجا ومخرجا واقض حاجتي.

صفحة من حياة المفسر الكبير

محمد الطاهر بن عاشور
شيخ الإسلام بتونس وأستاذ الأساتيذ

٢

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى

إصلاح التعليم

للإمام الطاهر قدم صدق فى إصلاح التعليم الدينى بتونس، فقد نشأ فى عصر تجاوبت فيه دعوة الإصلاح بمصر على يد محمد عبده، وانتقل صداها إلى تونس فآمن بها نفر من الشباب والأساتذة، وقد زار محمد عبده تونس مرتين واجتمع بشيوخ الزيتونة وشبابها، ومنهم الطاهر، فكان طبيعياً أن يعرف الكثير من وجوه الإصلاح التى نادى بها الأستاذ الإمام، وقد ألف الشيخ الطاهر كتابه «أليس الصبح بقريب» مفصلا خطة الإصلاح التعليمى كما رآها، وقام الأستاذ عبدالعزيز بن يوسف بعرض النقاط الهامة فى البرنامج الإصلاحى بعد تمهيد يفصل خطوات الإصلاح التى سبقت عصر الطاهر، وهى التى أدت إلى يقظة فكرية تنكر الجمود وتدعو إلى الحركة، وقد أرجع الطاهر أسباب التأخر التعليمى إلى أمور منها: غياب الخطة التعليمية، ووضع مراقبة صحيحة لضبطها، ومنها الفوضى وإهمال الضبط فى تدريس الكتب، لأن التلميذ يتعلم باختياره حين يختار حلقة ما من حلقات الجامع، وكذلك المدرس يشرح ما يروق له من الكتب سواء أرضى مستويات الطلاب أو ارتفع عنها، كما أن النقد الصحيح ليس له اعتبار فى حلقات الدرس لأن الأستاذ يذكر التعريف ويخرج المحترزات ويرجع الضمائر، والطالب يستمع وكأنه غائب، وأدهى من ذلك اختلاف مدارك التلاميذ فقد يجلس تلميذ متقدم مع آخر متخلف لا يدرى شيئا عما يقال؛ وكلهم طلاب، على أن إهمال التدريب والأسئلة والخروج عن قواعد اللغة العربية نحوا وصرفا فى الحديث العلمى، وعدم انضباط سير الدراسة إذ يتأخر المدرس كما يشاء إذا وجد من الأعمال الشخصية ما يحول دون الدرس! كل ذلك مما يتطلب العلاج، فإذا أضيف إلى ذلك خلو المنهج الدراسى من مواد حية كالتاريخ والنقد وعلوم الأدب فإننا نجد صيحات

الطاهر ضرورية وهي تذكرنا بما كتبه الشيخ الأحمدي الظواهري في كتاب «العلم والعلماء» لأن الحالة بالزيتونة كانت شبيهة بالحالة بالأزهر، مع دعوة الأستاذ الإمام للإصلاح، وقد اتفق الإمام الظواهري مع الإمام ابن عاشور لسبب واحد، هو اقتناعهما بما كتبه الشيخ محمد عبده عن ضرورة الإصلاح وحتميته في الأزهر وما شابهه من معاهد العلم الديني، وكان ابن عاشور متقدما عن عصره حين اقترح مسائل التربية الحديثة فتحدث عن الغاية التكوينية في تربية التلميذ، وترقية العلم وعن الغاية الفوقية في إنتاج قادة للأمة من بين طلاب المعهد الديني العريق، وعن الغاية الاجتماعية التي تسعى إلى الارتقاء بالمستوى الخلقي والاجتماعي بين البشر، فتكون هناك أهداف ينشدها الجميع ويحرصون على تحقيقها ثم اتجه الشيخ إلى المطالبة بتدريس العلوم الحديثة كالرياضيات والفلسفيات وسائر ما يدرس في الكليات الناهضة بالأمم العريقة، ويتعذر تلخيص كل عناصر كتاب «أليس الصبح بقريب» في هذه العجالة ولكن مما يدعو إلى الارتياح أن كل ما نادى به الطاهر قد تحقق في الزيتونة على نحو مستمر، بحيث قربت الشقة بينها وبين المعاهد الأخرى في طريقة التناول والتوعية، وإن غلبت مادة على أخرى وفق اختصاص كل كلية بنوع من أنواع التعليم.

وقد قال الأستاذ عبدالعزيز بن يوسف في خاتمة بحثه[1].

«والشيخ ابن عاشور في كتابه قد لاحظ واقترح وهدم وبنى في جرأة تبلغ أحيانا حد الثورة إذ تكررت بصورة مكثفة في كلامه، كلمات الفساد والخلل والنقص، كما تنوعت فيه أساليب الثورة على المحافظة والمحافظين، والجمود والجامدين، مما يجعل حركته الإصلاحية تتجاوز الحركة السلفية إلى بناء تصور مستقبل عقلي بإنشاء تعليم عصري، يلائم بين مقومات الدين الصحيح، ومتطلبات العصر، وتستجيب لحاجة البلاد والنهوض بالأمة، ومن درس الكتاب يدرك الجرأة الكبيرة في آراء الشيخ، وخاصة إذا وضعناها في إطارها التاريخي، وقدرنا نفوذ المحافظين، والتفاهم حول السلطة الحاكمة وما يمكن أن تلحقه به من أذى».

محقق التراث

قام الإمام بتحقيق بعض الآثار، وطبع مما حقق كتبا، وترك أخرى دون طبع، فمن أعماله المطبوعة شرح ديواني بشار والنابغة الذبياني وقصيدة الأعشى في مدح المحلق، والواضح في مشكلات شعر المتنبي، وقلائد العقيان، ومن أعماله المخطوطة ما ذكره الأستاذ جمعة شيخة في كلمته، حين أشار إليها دون أن يخصها ببعض التعقيب، ولعله لم يعرف الطريق إلى قراءتها، وقد أشار إلى حرصه على إثبات ما ينتمي إلى العبث، وهو أمر فرغنا من الحكم عليه من قبل، أما منهج الرجل في التحقيق فقد قال عنه في مقدمة تحقيقه لكتاب قلائد العقيان[2].

«بدا لي أن أعمل لطبعه طبعة علمية محققة.

---

(1) الكتاب التذكاري ص٢١٦.

(2) مقدمة القلائد ص٢٠.

واعلق عليه ما أغفله شارحه أو أغْلَقَه فأول ما صرفت إليه العناية ضبط نسخة القلائد، وشكل معظم كلماتها، فإن التردد في حركات الكلمات عند المطالعة يزيل بهجة المطالع الحاصلة من فصاحة الكلام، بما يحصل من قلق النفس من جراء التردد في كيفية النطق لاسيما إذا كان المعنى يختلف باختلاف حركات الكلمات، كما يزيل بهجة القارىء في نفسه وبهجة سامعيه بما يتلى عليهم، فإذا استقام ضبط الكلمات فقد خطا الفهم خطوة تعقبها خطوات أخرى على تفاوت أهل الأفهام في العلم باللغة والنكت الأدبية. فذلك طوع الناظر، إذا تدبر خفاياه، أو راجع خباياه.

وإذا كان الشيخ قد رجع في تحقيقه إلى خمس نسخ مخطوطة وست نسخ مطبوعة، وألزم نفسه أن يذكر في الهامش ما يجب ذكره من الاختلاف المؤدى إلى بعد المعنى أو اقترابه، فقد قام بجهد جاهد مشكور، ويبقى أن أسأل نفسي: لماذا خص الإمام قصيدة الأعشى في مدح المحلق وحدها من بين قصائد ديوانه، وليست هي الفريدة المنتقاه بين ما قال؟ لعل غرابة مناسبتها هي التي دفعته إلى ذلك؟ كما أسأل نفسي: لماذا حرص على جمع شعر سحيم وشرحه وقد قام الأستاذ عبدالعزيز اليمنى من قبله في هذا المضمار بما لا زيادة بعده! من المؤكد أن الطاهر قد وجد ما يقوله بعد أن قرأ صنيع اليمني، ولا نستطيع أن نحكم على ما أضاف، لأن العمل لم ير النور!

هذا وقد خلت الطبعة الثانية لديوان بشار - وقد ظهرت في حياة الشيخ - من التعليقات التى أضافها الأستاذان محمد شوقى أمين ورفعت فتح الله وهى زيادات علمية جيدة وضعت بين قوسين، وأضاءت بعض المشكلات الأدبية الهامة، ومن فائدة العلم أن تبقى الزيادة كما ظهرت في الطبعة الأولى، ولعل لمن قام بالحزف وجهة نظر لا نعلمها، وهي مرجوحة فيما أرى.

نظرة فقهية

وفي كتاب الوزارة الذى ننقل عنه فصل جيد عن منحى الشيخ الفقهى، وإذا كان الدكتور العروسى قد اكتفى بسورة البقرة عند الاستشهاد كيلا يتسع المدى به، فإن الأستاذ محمد طاهر الرزقى قد اكتفى بسورة الحج، تعرض لثلاث مسائل فقهية وقف عندها الشيخ وقفات دقيقة تدل على غوصه العميق، وقد أعجبنى ما كتبه عن لحوم الأضحيات بمكة، التى تكثر كثرة دون أن تجد من يأكلها من الفقراء، وهى مسألة طال الجدل حولها، ورئى أخيرا أن تعبأ في ثلاجات ثم تبعث إلى الدول المحتاجة في شتى الأقطار الإسلامية، أما الشيخ ابن عاشور فقد قال[3]: إن ما يبقى حيا من الهدايا في موسم الحج يباع وينفق ثمنه في سد خلة المحاويج، وذلك أجدى من نحره أو ذبحه حيث لا يرغب فيه أحد، ومن رأيه أن اللحوم المتروكة تصير «تثلج» حتى ينتفع بها المحتاجون فيما بعد. ورد على من يقول إن تصبيرها مناف للتعبد بهديها فقال: إن التصبير أوفق بمقصد الشارع تجنبا لإضاعة ما فضل منها، ومعلوم أن مقاصدا لشريعة نفع المحتاج، وحفظ

---

(٣) كتاب الندوة ص٢٥٣ ومابعدها.

الأموال، كما أنه يرى من بعض أوجه الحلول أن يوزع نحر الهدايا على أيام النحر الثلاثة بحيث لا يتعجل بنحرها فى اليوم الأول طلبا لفضيلة البادرة لأن التقوى التى تصل إلى الله من تلك الهدايا هى تحقيق النفع بها ومراعاة حفظ المال هى الأصل.

سؤال

أسأل نفسى بعد هذا النشاط المتعدد الوجوه كيف استطاع الإمام مع أعماله الإدارية الكثيرة أن يقوم بهذا الجهد العلمى على هذا النحو الفسيح، لقد قال عارفوه: إنه مكث ثلاثين عاماً فى تأليف التحرير والتنوير بأجزائه الثلاثين، بمعنى أنه كان يخرج جزءا كل عام، وهو صنيع مرتب وفق خطة مرسومة، حيث لم ينقطع انقطاعا تاماً للتفسير فى حقبة قد تقصر أو تطول، ولكنه جعل يتنقل فى أفانين التأليف من كتاب إلى كتاب، فهو يفسر آية، ثم يشرح قصيدة، ثم يحقق فصلا من مخطوط، وفى هذا استرواح من التعب، لأن العمل المتحد يضفى من السآمة والملال ما يعوق صاحبه عن الاسترسال، فإذا انتقل من فن إلى فن، شعر بالنشاط المتجدد، وأمده ذلك بقوة قادرة، والرجل الكبير من أصحاب الإرادة القوية، وإلا فكيف استطاع أن يعطى كل هذا العطاء الجم، وهو عطاء عميق يحتاج إلى غوص بعيد، فليس قصة تروى، أو نادرة تحاك! وقد قال الإمام عن نفسه فى كلمة ألقاها يوم أخذ جائزة الدولة التقديرية: «إنى أحمد الله على أن أودع فىّ محبة العلم والتوق إلى تحصيله وتحريره، والأنس بدراسته ومطالعته، سجية فطرت عليها، حتى أصبحت لا أتعلق بشىء من المناصب والمراتب تعلقى بطلب العلم، ولا آنس برفقه ولا حديث أنسى بمسامرة الأساتيذ والإخوان فى دقائق العلم، ورقائق الأدب، فلا تكاليف الحياة الخاصة، ولا أعباء الأمانات العامة التى حملتها فاحتملتها فى القضاء وإدارة التعليم حالت بينى وبين أنسى فى دروس تضىء منها بروق البحث الذكى والفهم الصائب».

اختلاف نظر

أطالع آراء الطاهر العلمية فأجدنى معه فى أفكاره المرتكزة على النظر الصائب، والبحث المتعمق، ولكنى أطالع آراءه الأدبية فآخذ منها وأدع، لأنه كان شديد الجزم بأحكام هى فى الواقع ليست موضع اتفاق الجمهرة من مؤرخى الأدب، فقد قال بعض أن فضل بشارا على أبى تمام[4] إن بشاراً قد جمع فى شعره أفضل معانى الشعر العربى القديم ومعانى القرآن وكلام الفصحاء، والذين جاءوا: «عقب ظهور الإسلام، وأجود ألفاظ العربية الفصيحة، وتطرق إلى وصف الحضارة الجديدة فى أجلى مظاهرها فلم يفته المتقدمون، ولم يفضله المتأخرون» إلى نمط من هذا الإطراء الفسيح، ولا أدرى كيف يجمع شعر بشار معانى القرآن، وكثير مما تورط فيه

---

(4) ذكرى سماحة الإمام وهى المطبوعة التى أشرف على اختيار موادها الأستاذ الأديب الحبيب شيبوب برعاية وزارة الثقافة.

برأينا في هذه المعاني!! ثم من قال إن المتأخرين لم يفضلوه! وفيهم المتنبي وابن الرومي والبحتري وأبو العلاء! ثم لماذا يفضل أبا تمام، ولأبي تمام من العمق والتأمل والاستبطان مالا يبلغه بشار! لست أقول إن بشارا لم يكن شاعرا كبيرا، ولكني أقول إن الإمام قد جاوز به قدره حين تقدم به على أمثال أبي تمام، وقد قال الأستاذ أحمد حسن الزيات[٥] عنه: «إن شعره هو الحد الوسط بين الشعر القديم والحديث فهو في المولدين كامرئ القيس في الجاهليين، والبارودي في المحدثين» وهذا هو الإنصاف حقا، فقد فتح بشار بابا وجاء بعده من سار في خطواته حتى اتسع، وإذا لم يكن البارودي من طراز شوقي، فليس بشار من طراز أبي تمام والمتنبي!

صداقة عريقة

سعد الإمامان الكبيران محمد الخضر حسين ومحمد الطاهر عاشور بصداقة عريقة مخلصة لوجه الأدب والعلم تحدث كل منهما عنها مباهيا فخوراً، والحق أن خلالا من العنصر الطيب، والخلق الرفيع، والهيام بحقائق العلم والأدب قد جمعت بينهما على أتم صفاء، وأكمل وفاء، وقد امتدت ساحة البعد بينهما منذ ترك الخضر تونس إلى ألمانيا فالشام فمصر، ولكن الرسائل بينهما كانت متبادلة، وقد جمع الأستاذ علي الرضا التونسي بعض رسائل الخضر إلى صاحبه، فكشفت عن ملامح الود الزكي، كما أبانت هيام الإمامين بمسائل العلم والأدب، وفي كتاب الرحلات الذي جمعه الأستاذ علي الرضا من آثار الخضر بعد وفاته حديث الصديق عن الصديق، فقد ذكر الأستاذ الخضر أنباء رحلته من أوربا إلى تونس ثم قال[٦] تحت عنوان العودة إلى تونس:

ركبنا الباخرة قرطاج، وعندما أتينا على سمت بلد «المرسى» وانكشف من مبانيها وبساتينها ما عظم بتشوقي إلى طلعة صاحبي الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور، وتضاعف عندي تذكار عهده الوثيق، أنشأت مناجيا لفضيلته:

قلبي يحييك إذ هبت سفينتنا
تجاه مطلعك المحروس يا علم

تحية أبرق الشوق الشديد بها
في سلك ود بأقصى الروح ينتظم

ومن ذكرياتي الحبيبة أني حين ذهبت للمرة الثانية إلى تونس اشتقت أن أرى بلدة «المرسى» بلدة الإمام الطاهر، فصحبني إليها الأديب الكبير الأستاذ الحبيب شيبوب، وتوجهنا إلى زيارة قصر الطاهر بها، وهو منزل رحب تحوطه حديقة غناء ذات اخضرار وازدهار، ويدل على تمتع الأستاذ الإمام بذوق أي ذوق في تأمل الطبيعة والاستمتاع برونقها الخلاب، رحمه الله، وأجزل له عظيم المثاب.

---

(٥) مقدمة الجزء الأول من الديوان ص٨٢، ج١ الشركة التونسية.

(٦) تاريخ الأدب العربي للزيات ص٢٦٦ ط ٢٥.

(٧) الرحلات، للأستاذ محمد الخضر حسين.

«رؤية ورأى»

«القرآن منهج الحياة وسلم النجاة»

للأستاذ/ محمود الإمام السيد

كانت العرب فى أخريات جاهليتها أمما بدوية، وقبائل رحالة، ليس لها من وسائل العمران، وأسباب الرخاء، ما يحملها على تبحر فى علم، أو تبصر فى دين، أو تفنن فى تجارة، أو تأنق فى زراعة، أو تدبر فى سياسة.

وكانت اللغة العربية السائدة بينهم لا تعدوا أغراض المعيشة البدوية ووصف مرافقها، وإثارة المنازعات والمشاحنات، إلا أن روحا من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها، ونبهتها من سكرتها، لضرورة التعاون على الخير فى معاشها ولغتها، وجماعتها، فاستجابت طائعة، ولبت منفذة، فظهر ذلك بينا فى الأسواق التجارية، واللغوية، والاجتماعية، وفى الإذعان لحكومة الأشراف والنبلاء والفصحاء من قريش وتميم، وغيرهما، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد ويتفاهموا بلسان واحد، فكان ذلك إيذانا بظهور الإسلام فيهم.

وما ألفت نفوسهم هذا النمط الجديد، إلا وقد جاء النبى الكريم، لاماً لشعثهم، موحداً لكلمتهم، مهذباً لطباعهم، مبينا لهم طريق الحق وجادة الصواب، بشريعة عظيمة تتمثل فى كلام الله وكلام رسوله ـ ﷺ ـ فكان حصاد ذلك أن أمست لهم جامعة قومية يتوجها ملك كبير دعائمه: شيوع اللغة العربية، واندماج سائر اللهجات فيها، وانتشارها فى ممالك الفرس والروم وغيرهما بالفتوحات والمغازى، وهجرة قبائل البدو إليها واستيطانهم لها واختلاطهم بأهلها، وتقرب هؤلاء الأعاجم إليهم بتعلم لغتهم والدخول فى دينهم المستمد من القرآن العربى المبين، فتهذبت ألفاظ اللغة بمحاكاة القرآن الكريم وتوسع فى دلالتها وغاضت ألفاظ حظر الشارع استعمال مدلولاتها، واستحدثت بعض الألفاظ المعربة، وشاع التأنق فى صوغ الأساليب والتفنن فى إحكام

نظمها، ووصولها فى البلاغة إلى غايتها، لانبعاث روح القرآن الكريم فى قلوب المتكلمين بها مؤثرين الإيجاز على الإسهاب فى أكثر المواضع، ولاشك أن مرجع هذه التغييرات هو القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

● والقرآن الكريم هو كلام الله ـ سبحانه ـ المنزل على رسوله (محمد ـ ﷺ ـ الموجود بين دفتى المصحف الشريف) والذى

﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(١).

وقد واكب نزوله لقاء الأمينين عند غار حراء، فيالها من مفاجأة سارة، أفزعت أمين الأرض حين تمثل له أمين السماء هاتفا: « اقرأ اقرأ فأجابه ـ ﷺ ـ ما أنا بقارئ فضمه جبريل ـ عليه السلام ـ إليه وقال: اقرأ فكرر محمد ـ ﷺ ـ ما أنا بقارئ؟ (أى: لست أعرف القراءة) فضمه ثم أرسله وقال:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢).

واختفى أمين السماء، وعاد أمين الأرض إلى زوجته أم المؤمنين (خديجة) ـ رضى الله عنها ـ يرجف ويقول: زملونى زملونى.. فكان هذا بداية نزول القرآن.

والذى نحن بصدده أن القرآن الكريم أصل النهضة الإسلامية، ولو لم يكن القرآن لكان العالم اليوم هو عالم الأمس، ولكنه تغير فى كل شئ.

فى تقدمه العقلى، والفكرى، والعلمى، والاقتصادى، والسياسى، إلى غير ذلك.

كما لا ينكر منصف أن القرآن الكريم أساس التاريخ العلمى فى أوربا.

فما من موضع فى هذا البنيان القائم هناك إلا وفيه قطعة من الآداب الإسلامية أو العقول الإسلامية، أو الحضارة الإسلامية.

فالقرآن الكريم بحق إنما هو الباب الذى خرج منه العقل الإنسانى المسترسل بعد أن قطع الدهر فى طفولة وشباب، فكان بلا منازع محورا لنشأة العلوم فى إطار الأحداث الرابضة على أسوار الحياة تتقدمها فى حينها أحداث تلو أحداث مثل:

● اختلاف المسلمين فى قراءة القرآن على عهد عثمان ـ رضى الله عنه ـ فقد بدأت السنة الحضريين، ومن فى حكمهم تجنح إلى اللحن، وتزيغ عن الوجه فى الإعراب، وأخذ ذلك ينتشر بين المسلمين، فداخله الكثير من المولد والمصنوع.

● وهب أهل الفتن يتناولون معانى القرآن، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وخيف على السنة النبوية حيث هى الأصل الثانى بعد القرآن الكريم.

● ثم فشا الجهل بأمور الدين، وانأقلت عامة الناس عن حمل العلم، وطلبه، والعجب فى هذا الكتاب الكريم.

إنه نزل فى البادية على نبى أمى، وقوم أميين، لم يكن لهم إلا ألسنتهم وقلوبهم، وهذا منتهى

---

(١) فصلت: (٤٢).

(٢) العلق: (١ ـ ٥).

الإعجاز، وكان كل ما تدور عليه ألسنتهم لا يتجاوز ـ الوصف، والحكم، والأخبار، والأنساب، والمدح، والهجاء، والنقد فلما نزل القرآن بمعانيه الرائعة ـ لم يقفوا على ما أريد به من ذلك وحملوه على ظاهره، وما درى عربى واحد لم جعل الله فى كتابه هذه المعانى المختلفة التى يهيج بعضها النظر، ويشحذ بعضها الفكر؟ ويمكن بعضها اليقين ويبعث بعضها على الاستقصاء. وهى لم تكن تلتئم على ألسنتهم من قبل نزول هذا الكتاب القيم الكريم.

ثم كشف الزمان بعدهم عن هذا المعنى، وجاء به دليلا بينا منه على أن القرآن الكريم كتاب الدهر كله، واستبان لنا بعد ذلك ـ الحكمة فى أن القرآن الكريم نزل بتلك المعانى ليخرج للأمة من كل معنى علما برأسه، وتخرج الأمة من كل علم فروعا ثم من كل فرع فنونا، ثم من كل فن مدرسة ـ لقوله ـ سبحانه ـ:

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾(٣).

وقد كانت النهضة العلمية زمن بنى أمية قائمة بأكثر العلوم الإسلامية، ثم الفلسفية، ثم النظرية.

فعلم أن القرآن الكريم أصل جميع العلوم على اختلاف ألوانها، وقد أشار القرآن الكريم إلى نشأة هذه العلوم، وإلى تمحيصها وغايتها فى قوله سبحانه: ـ

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾(٤).

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾(٥).

أضف إلى ذلك ما أثرى به الإنسانية من الفضائل والآداب.

فآداب القرآن فى الحقيقة هى آداب الإنسانية أى مجموعة الفضائل والأخلاق أنى وجدت وحيث تكون.

تكون كذلك إذا لم يبدل الناس معنى الإنسانية فى أنفسهم، ولم يتمنوا فيها الأمانى الباطلة، ولم يقرنوها بالتشدد بين كل رغبة ورغبة، وكل رأى ورأى.

إن آداب القرآن هى آداب الفطرة التى لا تتغير فى هذا الخلق مع ما بين طوائفه من التباين، فهى أشبه بعنصر الجاذبية الذى يؤلف بين الأجرام المتفاوتة وإمساك جملتها على ما بينها من تباعد.

ولا تجزئ شرائع الأرض عن الآداب النفسية التى تجعل الفرد إنسانا من الناس قبل أن تجعله تلك الشرائع وتلك العادات فردا من أمة، فهى تحتم على الفرد أن يكون دائما مع الحق لا مع الحالة التى تسمى حقا فى لسان من تنفعه، وباطلا فى لسان من تضره، فلولا الآداب النفسية فى طبائع الإنسان لصارت كل أمة كأنها جيش من الحيوان فى قيامه بنفسه وانفراده بنوعه وتميزه بالعداوة لغيره متجاهلا الشريعة والآداب فى الإنسان.

فالشريعة فى الحقيقة هى عقل هذا المجتمع

---

(٣) الحجر: (٢١)   (٤) فصلت: (٥٣)   (٥) الأنعام (٣٨)

الذى يعقل به وينقاد لأوامره، والآداب فى الإنسان لا تكون إلا الشرائع.

ولجأ الكثير إلى العلماء بالمسائلة فيما يعن لهم من أمور الحياة، وتباينت آراء العلماء فيما يستنبطون من الأحكام، وما يتأولون من الكتاب والسنة.

واختلط أمر الناس، وأقبلت عليهم الفتن كقطع الليل المظلم مما حمل العلماء أن يتعرفوا على جهات القرآن، يعاون بعضهم بعضا..

ومن هنا أخذت العلوم تنبع من القرآن فاجتهد المفسرون وأعمل كل منهم فكره حسب قدرته وفهمه.

فاعتنى الأصوليون بما فى القرآن الكريم من الأدلة العقلية، واستنبطوا منه ماسمى بأصول الدين.

وتأملت طائفة منهم معانى خطابه منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص فاستنبطوا منه أحكام اللغة من حيث الحقيقة والمجاز.

كما تكلموا فى التخصيص والأخبار والنص والظاهر والمجمل والمفصل والأمر والنهى والنسخ والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه.

وتتبعت طائفة ما فيه من القصص وسموا ذلك بالتاريخ.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال فسموا الخطباء والوعاظ.

واهتم قوم بالمواريث والوصايا فأنشأوا علم الفرائض.

واتجهت طائفة إلى الحلال والحرام وسائر الأحكام فجعلوا له أصولا وفروعا وسموه بعلم الفروع أو الفقه.

ونظر قوم فى حركة الليل والنهار وحركة النجوم والكواكب واستخرجوا علم المواقيت.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ ووجازة العبارة وبديع النظم وجمال الموسيقى والإيجاز والإطناب فكان علم البلاغة.

والآن: والأسى يملأ القلوب لضعف أخلاق القرآن فى نفوس أهله منذ فرطوا فى حفظه، والحفاظ على لغته، وأصبحوا عنه غرباء لا يفهمون كلمه ولا يدركون حكمه، بل أصبحت العربية شر من العجمى عند معظمهم وبخاصة شباب اليوم رجال الغد، ومثقفوا هذا الجيل، لأنهم حيث أقاموا أو رحلوا لا يقرأون الكتاب إلا أحرفا ولا ينطقون إلا أصواتا، ويحار العقل من المسئول؟ أغيبة عريف القرية؟ أو عدم كفاءة المحفظين؟ أو إخفاق واضعى مناهج الدين؟ أو شر أريد بمن فى الأرض؟ لا ندرى؟؟؟

● لقد صان القرآن الكريم اللغة العربية، وحفظها ورفع قدرها، بعد أن صار هو من قدرها، وأضحى منهاج الحياة، وطوق النجاة، ففضله عظيم، وخيره عميم، من حفظه سلم، ومن رغب عن العمل بما جاء به ندم، ومن استجاب لدعوته غنم، نور اليقين كلام رب العالمين.. أفيقوا يا حماة الدين؟؟

أفيقوا فإن فى الآفاق نارا
وطيروا فغيركم للمجد طارا

الشريعة وحقوق المرأة

للأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

التسوية بين الحقوق والواجبات هي العدل الذي فرضه القرآن للمرأة وهو الذي وضع المرأة في موضعها الصحيح من الطبيعة ومن المجتمع ومن الحياة الفردية، ومن اللجاجة الفارغة أن يقال: إن الرجل والمرأة سواء في جميع الحقوق وجميع الواجبات..

تدور مسألة المرأة في جميع العصور على جوانب ثلاثة تنطوي فيها جميع المسائل الفرعية التي تعرض لها في حياتها الخاصة أو حياتها الاجتماعية.

وهذه الجوانب الثلاثة هي[1]:

أولاً: صفتها الطبيعية، وتشمل الكلام على قدرتها وكفايتها لخدمة نوعها وقومها.

ثانياً: حقوقها وواجباتها في الأسرة والمجتمع.

ثالثاً: المعاملات التي تفرضها لها الآداب والأخلاق ومعظمها في شئون العرف والسلوك.

«والحقوق والواجبات التي قررها كتاب الإسلام للمرأة قد أصلحت أخطاء العصور الغابرة في كل أمة من أمم الحضارات القديمة، وأكسبت المرأة منزلة لم تكسبها قط من حضارة سابقة ولم تأت بعد ظهور الإسلام حضارة تغني عنها»[2].

عناية القرآن والسنة بالمرأة

لقد عنى القرآن الكريم بشئون المرأة في كثير من سوره حتى عرفت إحدى السور بـ«سورة النساء الكبرى» وعرفت أخرى بـ«سورة النساء الصغرى» وهما: سورة النساء (الرابعة في ترتيب المصحف) وسورة الطلاق (الخامسة والستون في ترتيب المصحف).

وهذا يدل على أن للمرأة مكانة عظيمة في الإسلام وأنها مكانة لم تحظ بمثلها المرأة في أي شريعة أخرى؛ بل ولا في أي مجتمع إنساني على مر العصور حتى يومنا هذا.

(١) المرأة في القرآن، عباس العقاد، دار نهضة مصر، القاهرة ت المقدمة ص٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق، ص٦ «المقدمة».

وسنلقى الضوء على قضية المساواة بين الرجل والمرأة من المنظور الإسلامى، وفى «وثيقة حقوق الإنسان فى الإسلام» وكذلك نصوص «الإعلان العالمى لحقوق الإنسان» الصادر عام ١٩٤٨، والذى أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة.. وذلك على النحو التالى:

١- إن القرآن الكريم لم يفاضل بين الرجل والمرأة فى الجانب الإنسانى، وإنما يكون التفاضل فيما يكتسبه الإنسان - رجلاً أو امرأة - من الصفات والأخلاق التى تسمو به إلى أفضل المستويات.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣].

٢- وحين سأل رجل رسول الله - ﷺ - «من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك»[٤] ويعلق الإمام الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق على هذا الحديث بقوله:

(وتخصيص الأم بهذا القدر من العناية جاء تنظيما لما تقضى به فطرة الخلق والتكوين وجزاء عاطفة الشفقة الفائقة التى أودعها الله قلب المرأة لولدها وبها احتملت مشاق الحمل والولادة والإرضاع، وجهود التربية الأولى والسهر على حفظ المولود فى صحته وسلامته بما يؤهله إلى اجتياز مراحل الحياة»[٥].

٣- لقد أضاف الإسلام إلى ما سبق تأكيدا جديداً فى مجال المساواة والتكريم وذلك فى صورة الخلق، فهى رحم واحدة، ونفس واحدة، وماء واحد، يخرج من بين الصلب والترائب قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[٦].

وقال رسول الله - ﷺ - «النساء شقائق الرجال»[٧] أى: مخلوق بشرى قبل أن تكون أنثى».

المساواة بين الرجل والمرأة فى الإنسانية[٨]

وفى ذلك يقول الله - تعالى - :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٩].

---

(٣) الحجرات الآية/١٣.

(٤) رواه البخارى، أول كتاب الأدب.

(٥) جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر - رحمه الله - رسالته حول اتفاقية القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة من المنظور الإسلامى، يوليو ١٩٩٥، هدية مجلة الأزهر ص١٦ وما بعدها.

(٦) من الآية ١، سورة النساء.

(٧) رواه أبو داود والترمذى والدارمى وأحمد بن حنبل.

(٨) د. سعاد صالح، حقوق المرأة فى الإسلام القسم الأول ط/ ١٩٩٨، القاهرة، ص٣٢.

(٩) سورة النساء، الآية/١.

فالآية تنطوى على تقرير كون الرجل والمرأة زوجا يكمل أحدهما الآخر، وكونهما ـ بناء على ذلك ـ فى مرتبة واحدة من ناحية الحياة الإنسانية.

حقوق المرأة المدنية

لقد سوى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الحقوق المدنية بمختلف أنواعها، فأعطى المرأة الحقوق المدنية نفسها التى أعطاها للرجل، لا فرق فى ذلك بين وضعها من قبل الزواج ووضعها من بعده.

فمن قبل الزواج يكون للمرأة فى نظر الإسلام شخصيتها المدنية المستقلة عن شخصية أبيها أو من هى تحت رعايته.

(فإن كانت بالغة يحق لها أن تتعاقد وتتحمل الالتزامات وتملك العقار والمنقول وتتصرف فيما تملك، ولا يحق لوليها أن يتصرف أى تصرف قانونى فى شىء من أموالها إلا إذا أذنت له بذلك أو وكلته فى إجراء عقد بالنيابة عنها، وفى هذه الحالة يحق لها أن تلغى وكالته وتوكل غيره إذا شاءت)[10].

ويجيز الإسلام لها كذلك أن تختار الذى تريده اختياراً حراً، ويحظر « الإسلام » أن تزوج البالغة العاقلة بدون رضاها، وإذا كانت ثيبا فلابد من رضاها فى صورة صريحة وإن كانت بكراً اكتفى بما يدل على رضاها كسكوتها عن أخذ رأيها.

لأن البكر قد يغلب عليها الحياء فتخجل من إظهار رغبتها فى الزواج، وفى هذا يقول الرسول ـ ﷺ ـ « تستأمر النساء فى أبضاعهن، والثيب يعرب عنها لسانها، والبكر تستأمر فى نفسها فإن سكتت فقد رضيت » وفى رواية « وإذنها صُماتها »[11].

أهليـــة المـــرأة

على أن الزواج لا يفقد المرأة اسمها ولا أهليتها فى التعاقد، ولا حقها فى التملك، بل تظل المرأة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها. وبكامل حقوقها المدنية وبأهليتها فى تحمل الالتزامات وإجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن هبة ووصية.. وما إلى ذلك.

(فالمرأة المتزوجة فى الإسلام لها شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة وذمتها المالية وهى فى هذا كله مستقلة عن شخصية زوجها وثروته وذمته)[12].

ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها قل ذلك الشىء أو كثر قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[13].

هذه هى المساواة التى شرعها القرآن الكريم بين الرجل والمرأة أو بين الزوج والزوجة أو بين الذكر والأنثى ولا صلاح لمجتمع يفوته العدل فى هذه

---

(10) د. على عبدالواحد وافى: المرأة فى الإسلام ص ٧ - ٨.

(12) د. وافى المرأة فى الإسلام، ص١٣.

(11) رواه البخارى فى صحيحه.

(13) سورة النساء، الآية/ ٢٠.

المساواة، ولاسيما المجتمع الذى يدين بتكافؤ الفرص ويجعل المساواة فى الفرصة مناطاً للإنصاف)(١٤).

حـق المـرأة فى التعبيـر

ولم يقف الإسلام عند هذا الحد من المساواة بين المرأة والرجل فى الحقوق والواجبات، فللمرأة - فى الإسلام - حق التفكير لتصل إلى الرأى القويم.. ولقد شاركت النساء فى الأخذ عن رسول الله - ﷺ - حتى قلن له: يارسول الله لقد غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك كما جعلت لهم، فجعل لهن يوما وعظهن فيه(١٥).

وفى قصة «خولة بنت ثعلبة» مع زوجها «أوس بن الصامت» - رضى الله عنهما - أعلى درجات الفكر النسائى وحرية القول وحق التعبير، ومدى احترام الإسلام لرأى المرأة حتى إنه - سبحانه - جعل شكواها تشريعاً عاما فى حكم الظهار على نحو ما جاء فى سورة المجادلة.

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾(١٦).

(وليس أدل على مساواة المرأة فى المسئولية كالرجال سواء بسواء من أن للنساء حق البيعة كالرجال، وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق التى تعتبر من أخطر الأمور فى الإسلام)(١٧).

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(١٨).

وبعد: فتلك المساواة التى كفلها الإسلام للمرأة باعتبارها إنسانا كامل الإنسانية فى حين أن المرأة الغربية - وبالجملة الغير مسلمة - فى هذا العصر الذى ينادون فيه بحقوق الإنسان عامة وحقوق المرأة خاصة، لم تصل إلى هذه الحقوق التى قررها الإسلام.

المساواة فى الإعلان العالمى

أشار الإعلان العالمى لحقوق الإنسان ١٩٤٨ فى مادته «الثانية» إشارة خفيفة إلى عدم التفرقة بين الرجال والنساء وفى مادته «السادسة عشرة» بفقراتها الثلاث، نادى بالمساواة بين الجنسين فى حق الزواج وتأسيس الأسرة وأن للرجل والمرأة حقوقا متساوية عند الزواج وأثناء قيامه، وعند انحلاله، وكان ميثاق الأمم المتحدة لسنة ١٩٤٥ قد سبق الإعلان العالمى فأقر فى مادته الأولى «مبدأ المساواة بين الجنسين».

---

(١٤) عباس العقاد، المرأة فى القرآن، مرجع سابق، ص٦٧.

(١٥) رواه البخارى فى كتاب العلم: ٣٦/١ وأحمد: ٣/ ٣٤.

(١٦) سورة المجادلة، الآية/١.

(١٧) مكانة المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام، لواء أحمد عبدالوهاب، دراسات إسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة،١٩٩٨، ص١٢٢.

(١٨) سورة الممتحنة، الآية/١٢.

وفى نظرة فاحصة « مقارنة » نجد أن هذين الميثاقين حديثا عهد فى موضوعيهما، على حين أقرت الشريعة الإسلامية هذه المساواة عامة بين الجنسين بصورة فريدة قبل ذلك بأكثر من ألف وثلاثمائة وخمسين سنة فى الوقت الذى كانت فيه جميع شعوب العالم تضع المرأة تحت الحجر والوصاية، وتنظر إليها نظرة الازدراء والاحتقار فتعتبرها تارة نجسة يجب أن تعزل، وتارة سلعة تباع وتشترى وتورث، وتارة أداة سوء يجب أن توأد!!

بقى أن نختم هذا المقال بذكر نص المادتين الخامسة والسادسة من « وثيقة حقوق الإنسان فى الإسلام » التى أصدرتها منظمة المؤتمر الإسلامى فى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م واللتان جاء فيهما:

(م / ٥) « الأسرة هى الأساس فى بناء المجتمع والزواج أساس كيانها.

أ- للرجال والنساء الحق فى الزواج ولا تحول دون تمتعهم بهذا الحق قيود منشؤها العرق أو اللون أو الجنسية.

ب- على المجتمع والدولة إزالة العوائق أمام الزواج وتيسير سبله، وحماية الأسرة ورعايتها ».

(م / ٦) أ- « المرأة مساوية الرجل فى الكرامة الإنسانية ولها من الحقوق مثل ما عليها من الواجبات ولها شخصيتها المدنية وذمتها المالية المستقلة وحق الاحتفاظ باسمها ونسبها ».

ب- « على الرجل عبء الإنفاق على الأسرة ومسئولية رعايتها وفقا لما تعنيه كلمة القوامة للرجال فى الشريعة الإسلامية ».

ويقابل هاتين المادتين نص المادة / ١٦ فى الإعلان العالمى لحقوق الانسان والتى جاء فيها:

١- للرجل والمرأة متى بلغا سن الزواج حق التزوج وتأسيس أسرة دون أى قيد بسبب الجنس أو الدين ولهما حقوق متساوية عند الزواج وأثناء قيامه وعند انحلاله.

٢- لا يبرم عقد الزواج إلا برضا الطرفين الراغبين فى الزواج رضا كاملا.

٣- الأسرة هى الوحدة الطبيعية الأساسية للمجتمع، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة.

تعقيب:

وتعقيبنا على هذا النص هو أنه يختلف تماما عما ورد فى نص « وثيقة حقوق الإنسان فى الإسلام » فيما يتعلق بإجازته الزواج بعيدا عن قيد « الدين » فى حين أن نص المادة / ٥ فقرة (أ) من وثيقة حقوق الإنسان فى الإسلام لا تجيز صراحة أو ضمنا عدم وجود عنصر الدين - أى الإسلام فى شرعية زواج المسلمة من غير المسلم وهذا هو الفارق الجوهرى بين النصين فى كل من الإعلانين الإسلامى والعالمى لحقوق الإنسان.

عملا بالنص القرآنى فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١٩).

---

(١٩) سورة البقرة: الآية/٢٢١.

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسراء والمعراج

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ / فكري ياسين

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

جاء في صحيح مسلم أن النبي - ﷺ - قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض طويل، فوق الحمار، ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس، فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، فجاءني جبريل - عليه السلام - بإناء من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل - عليه السلام -: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء» الحديث.

هناك حوادث إسلامية هامة، كان تعدد الروايات فيها، وكثرة المنقول حولها، سبباً في اختلاف الأقوال عنها، واشتعاب الآراء بشأنها، ومن ذلك حادث الإسراء والمعراج، فلو أنه قد خلص من بعض ما ورد عنه من مزاعم وأخبار، لسلم من كثير مما أثير حوله من إشكالات وشبهات، ولاستطاع القارىء العادي أن يخرج عنه من قراءته بفكرة واضحة سريعة، ولاستراح الباحث المحقق من كثير من الجهد والعناء الذي يبذله في موازنة الروايات، ومقايسة الأقوال، ليخرج منها بالرأي الصائب، والقول السديد.

وإننا لذا كرون هنا - بعون الله تعالى - مباحثه وفصوله مضبوطة محررة، خالية من الاستطرادات والزيادات، مقتصرون على ما ثبت وصح من الآثار والروايات ملخصون أقوال العلماء، وأدلتهم في جمل وافية قصيرة وعبارات شاملة يسيرة.

الإسراء كالسرى: سير الليل خاصة، فيكون أسرى وسرى بمعنى واحد؛ وقيل: أسرى: سار ليلا، وسرى: سار نهارا. وقيل: أسرى: سار من أول الليل، وسرى: سار من آخره. والعرب تقول: سرى فلان ليلا: إذا سار بعضه، وسرى ليلة: إذا سار جميعها، ولا يقال: أسرى ليلا إلا إذا أوقع سيره في أثناء الليل؛ وإذا وقع في أوله يقال: أدلج»، وقيل: إن أسرى ليست من لفظة سرى يسرى، وإنما هي من السراة وهي الأرض الواسعة، فأسرى نحو أجبل وأتهم، وأسرى بعبده، أي ذهب به في سراة من الأرض.

والمعراج: من عرج يعرج إذا صعد والعروج: ذهاب في صعود، يقال: عرج عروجا وعر جانا: مشى مشى العارج، أى الذاهب فى صعود. والمعراج: السلم، والجمع معارج ومعاريج، كمفاتح ومفاتيح، والمعارج: المصاعد، وسميت بليلة المعراج لصعود النبى - ﷺ - فيها إلى فوق سبع سماوات، ولصعود الدعاء فيها - أيضاً - وإليه الإشارة بقوله - تعالى -:

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾(١).

واختلف السلف فى الإسراء والمعراج على أقوال كثيرة، أشهرها أربعة:

القول الأول: إنهما كانا فى المنام، ونقل ذلك عن الحسن، وروى عن عائشة ومعاوية، وذكر ابن إسحاق عنهما أنهما قالا: «إنها كانت رؤيا حق»، وعن عائشة أنها قالت: لم نفقد بدنه، وإنما أسرى بروحه تلك الليلة»، واستدل أصحاب هذا القول بجملة أدلة:

منها: قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾(٢)

فلو كانت الرؤيا فى اليقظة لقال: الرؤية، لأنه لا يسمى فى عرف اللغة رؤيا إلا ما كان فى النوم.

ومنها: حديث البخارى عن أنس بن مالك. فقد جاء فيه رواية عن شريك: «وهو نائم» وفى رواية أخرى عنه «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان»، وجاء فى آخره: «واستيقظ وهو فى المسجد الحرام».

القول الثانى: إن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بجسد النبى - ﷺ - وروحه بعد المبعث، وهو مذهب الجمهور من السلف، وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين؛ وقد قالوا: إن عائشة كانت إذ ذاك صغيرة، ولم تكن قد تزوجت بالنبى - ﷺ - بعد، وإن معاوية يومئذ كان كافرا، وإن الرؤيا قد تكون بمعنى الرؤية فى اليقظة - أيضاً - وأنشدوا للراعى يصف صائداً:

وكبر للرؤيا، وهش فؤاده
وبشر قلبا، كان جما بلابله

وإنه لا حجة فى حديث البخارى، إذ قد يكون النوم فى أول وصول الملك إليه، وليس فى الحديث ما يدل على أنه كان نائما فى القصة كلها، على أن رواية شريك هذه قد أنكرها عليه العلماء، ونبهوا على أنه قد قدم فيها وأخر، وزاد ونقص. قال الحافظ عبدالحق فى كتابه «الجمع بين الصحيحين» بعد ذكره رواية شريك: هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبى نمر عن أنس، وقد زاد فيه زيادة مجهولة، وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى حديث الإسراء عن أنس جماعة من الحفاظ المتقنين، والأئمة المشهورين، كابن شهاب، وثابت البنانى، وقتادة، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث.

واستدل الجمهور فوق هذا بعدة أدلة: منها أنها لو كانت رؤيا نوم، لما تعجبت منها قريش، ولا استحالتها، ولما افتتن بها الناس، حتى ارتد كثير ممن أسلم، ولما قال الكفار: يزعم محمد أنه

---

(١) سورة فاطر (١٠).

(٢) سورة الإسراء (٦٠).

أتى بيت المقدس، ورجع إلى مكة ليلته، والعير تطرد إليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة، وذلك لأن النائم قد يرى نفسه في السماء وفي المشرق، وفي المغرب، ولا يستبعد أحد منه ذلك.

ومنها: شربه الماء من الإناء الذي كان مغطى عند القوم في طريقه إلى بيت المقدس، وسؤالهم عند رجوعهم، وإخبارهم بأنهم وضعوه مملوءا ماء، ثم غطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه، ولم يجدوا فيه ماء.

ومنها: إرشاده للذين ند بعيرهم حين أنفرهم حس البراق، حتى دلهم عليه، وإخبارهم بذلك حين سئلوا عند عودتهم، فقد قالوا: صدق والله، لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكره، وند لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه، حتى أخذناه ولقد قال بعضنا: هذا صوت محمد.

ومنها: وعده لقريش بقدوم العير في يوم مخصوص، فلما كان ذلك اليوم، ولم يقدموا حتى قربت الشمس أن تغرب، فدعا الله، فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف، وهذا كله لا يكون إلا يقظة.

القول الثالث: إنه كان مرتين: إحداهما في النوم قبل المبعث تقدمه.. وتوطئة وتيسيرا لما تضعف عنه القوى البشرية، والثانية في اليقظة بروحه وبدنه بعد المبعث، وقد ارتضى هذا القول جماعة من المحققين، ووصفوه بأنه الحق، وبه يحصل الجمع بين الأحاديث والأخبار. ويشهد له ظاهر القرآن. قال الخثعمي: إن الله – سبحانه – يقول:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾[٣]. ثم قال:

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[٤] فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله: فيما يراه قلبه، وعينه نائمة، والفؤاد هو القلب، ثم قال:

﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[٥] ولم يقل: ما قد رأى، فدل على أن ثم رؤية أخرى بعد هذه ثم قال:

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[٦] أي في نزلة نزلها جبريل إليه مرة قرآه في صورته التي هو عليها عند سدرة المنتهى، ثم قال:

﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[٧]. ولم يقل: الفؤاد، كما قال في التي قبل هذه، فدل على أنها رؤية عين وبصر في النزلة الأخرى، ثم قال:

﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[٨] وإذا كانت رؤية عين، فهي من الآيات الكبرى، ومن أعظم البراهين والعبر، وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكبر، لأن ما يراه العبد في منامه دون ما يراه في يقظته لا محالة.

القول الرابع: إن الإسراء كان في اليقظة، والمعراج كان في المنام، واحتج أصحابه بأنه لما أخبر قريشا، كذبوه في الإسراء، وشنعوا عليه فيه، واستبعدوا وقوعه، ولم يتعرضوا للمعراج، وبأن الله – سبحانه وتعالى – قال:

---

(٣) سورة النجم (٨-١٠).
(٤) سورة النجم (١١).
(٥) سورة النجم (١٢).
(٦) سورة النجم (١٣).
(٧) سورة النجم (١٧).
(٨) سورة النجم (١٨).

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾(٩).

فلو وقع المعراج في اليقظة، لكان ذكره ابلغ، فلما لم يذكره مع كون شأنه أعجب، وأمره أغرب من الإسراء بكثير، دل على أنه كان مناما.

أما المكان الذى ابتدأ منه الإسراء، فقد وقع الاختلاف فيه تبعا للاختلاف في المراد من المسجد الحرام في قوله - تعالى -:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾(١٠).

فمن أراد المسجد المشهور بين الخاص والعام بعينه، قال: إن الإسراء كان منه، وكان النبى - ﷺ - إذ ذاك في الحجر، أخرج الشيخان والترمذى والنسائى من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال: قال رسول الله - ﷺ -: «بينا أنا في الحجر» وفي رواية: «في الحطيم» الحديث، ومن أراد به مكة كلها، قال: إن الإسراء كان من دور مكة وكان النبى - ﷺ - إذا ذاك في دار فاختة أم هانيء بنت أبى طالب، أخرج النسائى عن ابن عباس، وأبو يعلى في مسنده، والطبرانى في الكبير من حديثها أنه - ﷺ - كان نائما في بيتها بعد صلاة العشاء، فأسرى به، ورجع من ليلته، وقص القصة عليها.

وكذلك اختلف في سنة الإسراء وشهره وليلته، فقيل: إنه كان بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر؛ وقيل إنه كان سنة خمس أو ست من النبوة، وجزم بعضهم بأنه كان في السنة الثانية عشرة من المبعث، ونقل عن ابن حزم دعوى الإجماع على ذلك، وقيل: كان قبل الهجرة بسنة وخمسة أو ثلاثة أشهر، ووقع في حديث شريك السابق ذكره، أنه كان قبل أن يوحى إليه، وقد خطاه غير واحد، أما شهره، فقيل: كان في شهر ربيع الأول، وقيل: في شهر ربيع الآخر، وقيل: في شهر رمضان، وقيل: في شوال، وجزم في الروضة بأنه كان في شهر رجب، وأما ليلته، فقيل: إنها ليلة السابع والعشرين من الشهر، وكانت ليلة السبت، وقيل: ليلة الجمعة، وقيل: ليلة الإثنين، وقيل: ليلة سبع عشرة من ربيع الأول، وقيل: ليلة السابع والعشرين من ربيع الآخر.

البراق - بضم الباء الموحدة - اسم الدابة التى ركبها النبي - ﷺ - ليلة الإسراء وهى مشتقة من البرق، لسرعته، وقيل: سمى بذلك لشدة صفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض: وقيل: يحتمل أنه سمى بذلك لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء، إذا كان في خلال صوفها الأبيض طاقات سود.

ووصف في الحديث بأنه أبيض، وقد يكون من نوع الشاة البرقاء لأنها معدودة في البيض، وذكر الوصف بالنظر للفظ البراق، أو باعتبار كونه مركوبا، وقد جاء في وصفه وهيئته وعظمه وكيفية سيره كلام كثير، والله أعلم بحقيقة كل ذلك، وحسبنا ما وصفه به الحديث، وما ذكره عنه من أنه كان يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره.

وبيت المقدس: هو المسجد الأقصى الوارد ذكره في القرآن الكريم في أول آية من سورة

---

(٩) سورة الإسراء (١).

(١٠) سورة الإسراء (١).

الإسراء، ووصفه بالأقصى، لبعده بالنسبة إلى من بالحجاز، أو لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس فيها لغتان مشهورتان: إحداهما بفتح الميم، وإسكان القاف، وكسر الدال المخففة.

والثانية بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، أما من شدده، فمعناه البيت المطهر، وأما من خففه، فلا يخلو إما أن يكون مصدرا، أو مكانا، فإن كان مصدرا كان كقوله - تعالى -: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾[11] ونحوه من المصادر، وإن كان مكانا فمعناه بيت المكان الذى جعل فيه الطهارة، أو بيت مكان الطهارة، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام وإبعاده منها، وقال الزجاج: البيت المقدس: المطهر، وبيت المقدس: أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب، ويقال فيه أيضاً: إيلياء.

والحلقة: هى حلقة باب مسجد بيت المقدس، وفيها لغتان: أفصحهما وأشهرهما إسكان اللام. وحكى الجوهرى وغيره فتحها، وتذكير الضمير فى قوله: يربط به باعتبار معنى الحلقة، وهو الشيء؛ وفى ربط البراق الأخذ بالاحتياط فى الأمور، وتعاطى الأسباب، وهذا لا يقدح فى التوكل إذا كان الاعتماد على الله.

وقد تعددت الروايات بشأن الصورة التى وقعت بها صلاة الركعتين: ففى رواية: «فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصلى كل واحد منا ركعتين» وفى رواية: «ثم دخلت المسجد، فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم» وفى رواية: «فلم ألبث إلا يسيرا، حتى اجتمع ناس كثير، ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدى جبريل، فقدمنى، فصليت بهم» وفى رواية: فلما أتى النبى - ﷺ - المسجد الأقصى قام يصلى، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه».

وأما اختياره اللبن على الخمر، فالظاهر أن اللفظ الذى وقع فى الحديث جاء هنا مختصرا، فقد بين فى رواية أخرى أنه - ﷺ - قيل له: اختر أى الإنائين شئت، فألهم اختيار اللبن».

والفطرة: المراد بها الإسلام والاستقامة، والمعنى: اخترت علامة الإسلام والاستقامة، وقد جعل اللبن علامة، لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين، سليم العاقبة، أما الخمر، فإنها أم الخبائث، وجالبة لكثير من الشر فى الحال، وفى المآل.

قال الحديث بعد ذلك: «ثم عرج بنا إلى السماء والظاهر من هذه العبارة أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء، ولكن الذى جاء فى غير هذه الرواية من الأخبار أن العروج لم يكن على البراق، وإنما كان على المعراج، وهو السلم، أو المرقاة، أو المصعد، وقد وقع مصرحا به فى كثير من الأحاديث، وكل ما اختلفوا فيه وصفه ونوعه، ثم ساق الحديث بعد هذا بقية القصة، وذكر ما وقع لهما فى السموات السبع، وما كان من استقبال الأنبياء والملائكة، ومن رفعه إلى سدرة المنتهى، ومن فرض الصلوات، والحديث طويل، يحتاج شرحه إلى عدد كبير من الصفحات، فنقتصر على هذا القدر، وهو كاف فى تحقيق أصل الفكرة من الكلام على حديث الإسراء والمعراج.

---

(١١) سورة الأنعام (٦٠).

خميلة الشعر

للأستاذ/ محمد عبد الوهاب

أقبل علينا بأنواره شهر رجب المبارك حاملا فى طياته ذكرى أعظم رحلة نورانية أتاحها ربُّ العزّة للرسول الكريم - ﷺ - حين أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلا ثم إلى سدرة المنتهى، وعندها جنة المأوى، ورأى - ﷺ - من آيات ربه الكبرى، وهكذا طوى الله الأكوان بقدرته وسخرها لنبيه برحمته تسرية عن نفسه وتثبيتا لفؤاده.

وخميلة الشعر لا يفوتها أن تحيى هذه الذكرى العطرة بأبيات قصائد شعرائها المسلمين، فنبدأ المسيرة المباركة بقصيدة: (فى ذكرى الإسراء والمعراج) للشاعر الأستاذ/ محمد محمد عبد الرحمن، وبعدها نقدم قصيدة: (رسول الله فى المسجد الأقصى) لفضيلة الشيخ/ محمد عايش عبيد، ونتبعها بقصيدة: (فيوض وتجليات، لفضيلة الشيخ عبد الغفار عفيفى الدلاش الذى نشكر له حميد عودته إلى صفحات الخميلة بعد غياب.

بعد ذلك نقدم قصيدة: (روح أكتوبر) للشاعر المهندس عبد العاطى موسى عبد العاطى، الذى نحيى معه ذكرى نصر العاشر من رمضان المجيد، ونختتم جولتنا المباركة بتقديم قصيدة: (قلب كليم ورب كريم) للشاعر الأستاذ/ محمد إبراهيم العشماوى.

اللهم هيئ لنا الخير واهدنا سبل الرشاد

في ذكرى الإسراء والمعراج

شعر الأستاذ محمد محمد عبدالرحمن

بالروح والجسم والإحساس إسراء ... معراجه ، برسول الله ، عداء

بأعظم الخلق ، (جبريل) يصاحبه ... « محمد » ماله في الدهر أكفاء

أراد ربك تكريما له ، فغدا ... فوق السماك ، تدانت منه .. علياء

من (الحرام) سرى في غير مرتحل ... يجتاز أودية .. وتهش أجواء

وأشرق المسجد الأقصى بطلعته ... و(القدس) في طرب ، عمته سراء

وأم بالساحة الكبرى – وقد شرفت ... جمعا من الرسل من روضاتهم جاءوا

صلى بهم ، وصلاة الرسل باركها ... رب السماء ، بها صفو ، وأنداء

هم القناديل للعباد أجمعهم ... مدى الزمان ، وعند الله .. أحياء

•••

وبعد إسرائه ، صار العروج به ... لسدرة المنتهى ، وافته نعماء

أفضى إلى غاية ، (جبريل) فارقه ... من مثلها ، ما لغير الرسل .. إفضاء

وزج في النور .. في أقصى تألقه ... وعب حبا سما ، وازداد إرواء

رأى الحبيب من الآيات أروعها ... وما لغير رسول الله إعلاء

وخصه الله بالتشريف أجمعه ... إن (الصلاة) من الرحمن : إهداء

في ليلة القرب للمختار ، قد فرضت ... عطية .. بصباح أو بإمساء

والمسلمون بها صاروا سواسية ... لا فرق بين ذوي عسر وإثراء

إن الصلاة بخمس يستضاء بها ... في الأجر خمسون .. والإخبات إرضاء

ياسيد الرسل أرسيت البناء لنا ... يا سعد من صانه في الطهر إرساء

الدمع فاض من الأجفان منهمرا ... فيه العزاء ، وللنيران .. إطفاء

العمر مر كلمح الطرف في نزق ... سبعون عاما تقضت دون إبطاء

يارب تبت وللرحمن ملتجئي ... وفي التندم غفران .. وإبراء

رسول الله في المسجد الأقصى

للشيخ : محمد عايش عبيد(*)

١- الرحلة العَصْماء(١) كانت لطمةً للمشركين

٢- هي رحلةُ الهادي إلى مولاه ربِّ العالمين

٣- أعطاه فيها ربُّه خَيْر العطاء لآخذين

٤- أعطاه رؤية وجهه لم يُعْطِها(٢) للسابقين

٥- هي في الحقيقة رفعةٌ للمصطفى دنيا ودين

٦- هي نفحةٌ عُلوية ، هي نُصْرةٌ للصابرين

٧- أعطت لقلب محمدٍ صكَّ(٣) الأمان مدى السنين

٨- الركب جاء المسجد الأقصى وكانوا ساهرين

٩- الأنبياء جميعهم كانوا له مُستقبلين

١٠- صلّى إمامًا بالجميع فنِعْم كل الساجدين

١١- قد جاءه قدحَان من لبن وخمر الشاربين

١٢- فتناول اللبن الذي هو فطرةٌ للمؤمنين

١٣- جبريل قال له : هُديت وأنت خَتْم المرسلين

(*) مدرس بالمعهد الديني / العريش.

(١) الرحلة العصماء - الفريدة فلا مثيل لها

(٢) لم يعطها للسابقين - اي الأنبياء السابقين.

(٣) صك الأمان - الأمان من سوء العاقبة

فيوض وتجليات
في ذكرى الإسراء والمعراج

لفضيلة الشيخ / عبدالغفار عفيفي الدلأشي

ماذا هنالك يا قريض تراه؟ ... ما للبلاغة والبيان سواه ؟
هذا اليتيم الفذ في دنيا الورى ... قد خصه بفيوضه مولاه
وأتاه (جبريل) الأمين بوحيه ... والنور لُحْمته ومنه سَداه
ما بعد قول الله قول يحتذى ... إلا حديث (المصطفى) وهُداه
ما فرَّط الله العليم بذكره ... شيئا ، ولكنْ ذكره أحصاه
ومضى به خير البرية منذرا ... ومبشرا أمَّ الورى بسناه

***

ياشد ما وجد النبي المصطفى ... ممن تحجَّر قلبه ونُهاه !
لجوا بأسباب الضلال تعنتا ... يا شد ما عانى .. وما قاساه
مكروا أخسَّ المكر في إيذائه ... والله جل جلاله يرعاه

***

وأتاه (جبريل) الأمين بليلة ... لتقر فيها بالرضا عيناه
ركب البراق محمد يمضي به ... كالبرق يلمع في الدجى مسراه
شهد العجائب في الطريق شواهدا ... جبريل وضح رمزها وجلاه
وأتى إلى القدس الشريف مصليا ... بالمرسلين ، وكلهم حيَّاه

***

وأتى إلى المعراج يصعد عاليا ... عَبْرَ الغيوب إلى الذي سَوَّاه
في أقدس الأقداس حيَّا ربه ... كلا .. وما زاغت به رؤياه
والله - جلَّ جلاله - وتقدَّستْ ... أسماؤه وصفاته وعُلاه
فرَضَ (الصلاة) على النبي المصطفى ... لتكون معراجا .. لمن والاه

***

وأتى النبي مُحدِّثا عما رأى ... في رحلتِه ، وكل ذاك وعاه
والناس بين مُصدِّق ومكذِّب ... ما أتعس الأعمى وما أشقاه
حتى أتى الصديق يهتف عاليا ... صَدَق النبي وجلَّ مَنْ زكَّاه
هذي فيوض الله في قرآنه ... تأتيه دوما صبحه ومساه
والصادق المصدوق فينا دائما ... أخباره حق وما أسْماه

***

صلى عليك الله يا علم الهدى ... أنت الضياء ، بصبحه وضُحاه

روح أكتوبر

شعر / عبدالعاطى موسى عبدالعاطى

يَهْنِى الفؤادَ مجيئُهُ ورواحُهُ ... وتطوفُ .. تحتضنُ الفوارسَ روحُهُ

ويُحلِّقُ «الإيثارُ» فوقَ صفوفِنا ... و«الصدقُ» و«الإيمانُ» يُسْفِرُ نفحُهُ

ويُجمِّلُ الإخلاصُ وجهَ فعالِنا ... و«الصبرُ» يثمرُ في المواقفِ دوحُهُ

فالجسمُ حقاً في الوغى لا يستوى ... عند «اللقاءِ» سقيمُهُ وصحيحُهُ

إنَّا نصونُ أمانةً نسمو به ... «الروحُ» .. لو تصفو تباعدَ جُرحُهُ

إنَّ العدوَّ وإنْ تَبَسَّمَ ثغرُهُ ... هيهاتَ تخبو نارُهُ وفحيحُهُ

لابد للحلم الذى نهفنا به ... من بعدِ أنْ فضَّ الغياهبَ صُبحُهُ

من أعيُنٍ تحميه بل وسواعدٍ ... حيث «الرِّباطُ» قويُّهُ ومليحُهُ

ياجندَ مصرَ ويا كنانةَ خالقى ... في الأرضِ ذا قولُ الرسولِ ونصحُهُ

تهنئة

تقدم الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف خالص التهنئة للأستاذ الدكتور أحمد فؤاد باشا بمناسبة توليه عمادة «كلية العلوم» جامعة القاهرة.

ونتمنى له دوام التوفيق

قلب كليم .. ورب كريم

شعر : محمد إبراهيم العشماوى(**)

أضنى فؤادى جرحه النزّافُ ... وتناوشته من الردى أصنافُ
بيتٌ كبيت الشعر ليس بسالمٍ ... ما فيه إلا علةٌ وزحافُ
حربُ الأسنة قد تجفُّ دماؤها ... أما الهوى فحروبه استنزاف
ماذا دهاك وكنت قد واعدتنى ... فإذا المواعدُ كلها إخلاف

***

يا دولةً لك فى الزمان تصرّمت ... فكأنها الأحلامُ والأطياف !!
يا قلبُ يا ملكَ الجوارح كلها ... كيف استبدَّ بك الهوى المتلاف ؟!
عزّى بعزك - لاذللتَ - وإنما ... عزُّ الرعية للملوك يضاف
أوّاهُ يا مضناى مما تشتكى ... حُمّلتَ ما لا تحمِلُ الآلاف !!
كم أنّةٍ لك يا عليلُ ورنّةٍ ... بين الضلوع كأنها أسياف
كم عَبرةٍ حرّى وكم من زفرةٍ ... حيرى وكم مما ترى أصناف
كم آهةٍ فى الليل ذوّبت الحشا ... ودموع عينك ما لهن جفاف
يا آهة القلب الجريح ترفقى ... لم يبق فى القلب الجريح شغاف !!

***

رحماك يا ربى بقلبى إنه ... برحاب قدسك لائذٌ طوّاف
ثاوٍ ببابك لا تردّ سؤاله ... مُدّتْ يداه وكلّه استعطاف
أنت الرحيم به وأنت صلاحُه ... وفلاحُه وسلاحُه القذّاف
أنت المغيث وكلنا فى حاجةٍ ... أنت الكريم وإننا أضياف
فاصرف هواك إليه بل كن مسرفا ... فهناك يُحمد عنده الإسراف
الله فى قلبى وملء جوانحى ... وهنا يكون العدل والإنصاف ؟!!

(*) كليم : جريح.

(**) معيد بكلية أصول الدين بطنطا.

صفحات مطوية من تاريخ الصحافة المصرية

(النزال الأدبى)

٢

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد*

سبق أن تناولنا جانبا من الصفحات المطوية عن النزال الأدبى فى بطون صحافتنا المصرية، لاسيما قبل ثورة (١٩٥٢)، حيث كانت مصر قد نعمت ببعض الاستقرار - المادى والاجتماعى - الذى أتاح لها التجديد، فى الأساليب نتيجة الانفتاح على الثقافة الغربية، وهضم الثقافة الأوروبية.

وكان طبعيا، ألا تخلو الحياة الفكرية، من المحافظين والمجددين معا، فبينما كان المجددون ينتصرون للمدنية الغربية، ويعملون على نقل الحضارة الأوروبية بما لها وما عليها، قصد الانتفاع بها فى مجتمعاتنا العربية، كان المحافظون يقفون فى وجه الثقافات الأجنبية، ويتشددون فى الدفاع عن اللغة العربية، وآدابها.

ومن ثم مضت مساجلاتهم هادئة تارة، وعنيفة أخرى، كما كانت دوافعهم فى بعض النزاليات شخصية تارة، وخالصة لوجه الفكر تارة أخرى، وقد تبنت نزالياتهم أنواعاً عديدة، من قضايا الفكر العربى المعاصر، بل لا أعتقد أن مجالاً من مجالات الأدب، أو مفهوماً من مفاهيم الثقافة قد تم تجاهله فى حلبة صراعهم الفكرى، بين التأييد والمعارضة، والعرض والنقد، والأخذ والرد، والتعليق والتوضيح.

وهكذا دارت رحى المعارك والنزاليات الفكرية، على صفحات الصحف - متصلة أحيانا بالكتب - لتسهم فى حيوية الفكر، وازدهار الأدب، وتعكس لنا فى النهاية قوة تيار التغريب، الذى استطاع بمعونة دعاته، أن يغزو نهضتنا الأدبية، ويؤثر فى توجيهها، إلى درجة كادت تقطعها عن مسارها وحلقاتها المتتابعة، منذ فجر الإسلام، لولا اليقظة الفكرية لدى المنصفين من أدبائنا ومفكرينا،

(*) الكاتب : مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة.

التى حالت دون بلوغ هذا الأمل، وانبرت لتصحيح المفاهيم تصحيحاً يقره العقل العربى والفكر الإسلامى.

وهذا ما تكشف عنه النزالية الآتية :

موضوعها : تمجيد النزعة اليونانية

كتابها : طه حسين، زكى مبارك

صحفها : الهلال، البلاغ، بعض كتب طه حسين.

تاريخها : (١٩٤٣).

تعتبر نزعة تمجيد اليونان من أهم القضايا المتطرفة، التى ناصرها «طه حسين» وذلك لإضفائها فضلا - مشكوكاً فيه - لليونان على العرب، وقد صاحبته تلك النزعة منذ باكورة حياته الفكرية - عام (١٩١٩) بإعلانه فى إحدى محاضراته «أنه عزم على إحياء التراث اليونانى، لأنه يؤمن إيماناً جازماً بأن مرجع الفكر فى الشرق والغرب إلى مفكرى اليونان القدماء»[1].

وقد حمل «طه» لواء الدعوة إلى النزعة اليونانية فى مقالاته بالهلال عام (١٩٢٥) والتى جمعها بعد ذلك فى كتابه «قادة الفكر»[2] ثم عاد وتوسع فى آرائه بكتاب «مستقبل الثقافة فى مصر»[3] ثم بمجلة الهلال مرة أخرى.

ونظرا لأنها نزعة تنكر فضل الإسلام، والأثر العربى القديم، بل وتجعل ثقافة العرب تابعة لثقافة اليونان؛ متأثرة بها، فقد قوبلت بمعارضة شديدة فى فترات مختلفة، غير أنها قد بلغت أوجها عام (١٩٤٣) بقيام «زكى مبارك» بتحليل ما أورده «طه» بأسلوب علمى يتضمن دفاعا عن العقلية العربية وبياناً لفضل العرب، وحضارة الإسلام.

وتلك نماذج توضح ملامحها :

١- طه حسين : بين الشرق والغرب[4].

«... نعتقد ونظن أن غيرنا من مؤرخى الفلسفة الحديثة ويعتقد - أيضا - أنه لم يكن للشرق فى تكوين الفلسفة اليونانية، والعقل اليونانى تأثير يذكر، إنما كان تأثير الشرق فى اليونان تأثيرا عمليا ماديا ليس غير، مثل نظام النقد، ونظام المقاييس، وأخذوا عنهم شيئا من الموسيقى، وتعلموا منهم فنونا كالحساب والهندسة، وهى فنون عملية، لكنهم لم يأخذوا عنهم شيئا عقليا يذكر، وأن قيادة الفكر اليونانى كان قوامها الشعر والفلسفة، ويجب أن نلاحظ أن العقل الإنسانى ظهر بمظهرين مختلفين فى العصر القديم :

أحدهما يونانى خالص، وهو الذى انتصر ويسيطر على الحياة الإنسانية إلى اليوم.

---

(١) زكى مبارك ناقدا : تقديم كريمة زكى مبارك - دار الشعب (١٩٧٨) ص (٨٦).

(٢) مطبعة دار المعارف بمصر عام (١٩٦١).

(٣) مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر عام (١٩٣٨).

(٤) الدكتور طه حسين : قادة الفكر

والآخر شرقى الهرم مرات أمام المظهر اليونانى، وهو الآن يلقى السلاح ويسلم للمظهر اليونانى تسليما.......».

وطه حسين ينظر من خلال هذا النص إلى العقل العربى على أنه مهزوم ومنقاد بغيره دائما، يتأثر ولا يؤثر، أما حضارة الإسلام وما أحدثته فى الشرق والغرب فقد تنكر لها جملة وتفصيلا.

٢- طه حسين : نموذج من مستقبل الثقافة(٥).

«..... من إضاعة الوقت أن نفصل ما كان من العلاقات بين مصر وبين الحضارة اليونانية، فى عصور ازدهائها، وازدهارها منذ القرن السادس قبل المسيح إلى أيام الإسكندر.. فلما كان فتح الإسكندر للبلاد الشرقية، واستقرار خلفائه فى هذه البلاد اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان، واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص، وأصبحت مصر دولة يونانية، أو كاليونانية، وأصبحت الإسكندرية من عواصم اليونان الكبرى فى الأرض...

فالتأثير المصرى فى فنون العمارة والنحت والتصوير عند اليونان شئ لا يجحد، غير أنه يتجاوز الفن الرفيع إلى أشياء أخرى تمس الحياة العملية اليومية».

وهو هنا يؤكد - مبتعداً عن الحقيقة - انقياد مصر للحضارة اليونانية، ويجعل الثقافة المصرية تابعة لثقافة اليونان متأثرة بها، ويقرر أن تأثيرها فى حضارة اليونان ضعيف لا يكاد يذكر.

٣- طه حسين : العقل العربى الحديث(٦).

«وقد استطاع العقل اليونانى أن يستقر فى الشرق ويمازج نفوس أهله حتى يصبح جزءا منها، ومنذ ذلك الوقت أصبح هذا العقل مقياس الحضارة فى أى أمة شرقية أو غربية، والأمة متحضرة راقية إذا أخذت بتراث العقل اليونانى، وشاركت فيه وأضافت إليه، والأمة غير متحضرة اذا أعرضت فلم تأخذ به، ولم تجعله أصلا من أصول حياتها المقومة لها... مهما يكن من شئ فالعقل العربى الإسلامى إنما نما وأثمر وأنتج حين اتصل بالعقل اليونانى، بل حين أساغه وتمثله وجعله مقوما لنفسه ومشخصا لحياته....»

ويذهب «طه» فى هذا المقال إلى أن عقلية مصر والشرق عامة - عقلية يونانية وأنه لابد من احتضان تراث العقل اليونانى إن أردنا التحضر والرقى، ومغالاة منه فى ذلك زعم أن حضارة العقل العربى الإسلامى ترجع إلى اتصالها بالتراث اليونانى القديم، وليس إلى الإسلام ذاته، وبهذا بلغ ظلمه وانتقاصه من العرب والإسلام أقصى مداه.

٤- زكى مبارك : الأدب العربى والأدب اليونانى.

«يرى الدكتور طه : أن الأدب الذى يحتل المركز الأول فى الآداب القديمة هو الأدب

(٥) الدكتور طه حسين : «مستقبل الثقافة فى مصر» - صفحات (١٥، ١٧، ٢٢)

(٦) مجلة الهلال : أول ابريل (١٩٢٩) ص (٤٥)

اليوناني، ثم يجيء الأدب العربي، ونحن نرى أنه إذا كان الأدب اليوناني في المكان الأول فإن الأدب العربي في المكان الأول ـ أيضا، الأدب اليوناني له المكانة الأولى من الناحية القصصية والتمثيلية، والأدب العربي له المكان الأول من الناحية الدينية، فإن البلاغة الدينية باب مهم من أبواب البلاغات في الأدب القديم والحديث، وهي تتمثل في القرآن الكريم...

أما الأدب العربي فقد سكت عنه الأوروبيون عامدين؛ لأنه يمثل الحضارة الإسلامية وهي حضارة كانت تبغي أوروبا هدمها منذ أزمان، ولأنه من جهة ثانية مصبوغ في أكثر موضوعاته بصفة الجد الرصين، وأوروبا فتنت بما في الأدب اليوناني من نزق وطيش ومجون، بدليل أن أكبر شاعر شرقي راج في أوروبا «عمر بن الخيام» لأنه شاعر القلق واللذه والارتياب، يضاف إلى هذا أن يقظة أوروبا الحديثة اتفق وجودها في أزمان كانت فيها الأمة العربية متحدرة إلى مهاوى الضعف، فلم تستطع أن تقدم أدبها للعالم القديم تقديما يكشف روعته وجماله».

وكما يبدو فإن أهم ما ينطوى عليه هذا النص هو الدفاع عن استقلالية الأدب العربي القديم وكشف بعض ذخائره، فضلاً عن كشف حقيقة أخرى أكثر أهمية تتعلق بسر سكوت الأوروبيين عن الأدب العربي لتمثيله الحضارة الإسلامية».

٥- زكي مبارك : قادة الفكر لطه حسين[٧].

وفي هذا المقال نقل بعض النصوص من كتاب «قادة الفكر» وآخذه عليها مبينا أن العقل اليوناني لم يرتق ويتطور إلا بفضل الشرق وحضارته وفنونه، ثم استدل على نبوغ الشرق من الناحية الفلسفية بفن «التحنيط» الذي برع فيه المصريون القدماء قبل أن يولد «سقراط وأفلاطون».

٦- زكي مبارك : القيادة الفكرية بين الفلاسفة والأنبياء[٨].

وفي هذا المقال ناقش ما أورده «طه» تحت عنوان «الشرق والغرب» واستنكر ما ذهب إليه «طه» من جعل القيمة العقلية من حظ الغرب وليس الشرق، ومن أن الغرب وطن الفلاسفة والشرق وطن الأنبياء، ومن التهوين بنظام النقد والمقاييس والحساب والهندسة على أنها فنون عملية لا عقلية، وبعد تقويضه لدعائم هذه الآراء قال : «فما كان اليونان كما أراد لهم أن يكونوا، ولا كان «طه» نفسه يملك توجيه مؤرخي الفلسفة المحدثين كما حاول أن يقول».

ثم نص «مبارك» على أن الأنبياء والمرسلين هم الذين سيطروا بالفكر والروح والعقل على كثير من أقطار الشرق والغرب، وإليهم يرجع الفضل في إقامة دعائم الحضارة الإنسانية، وليس إلى سقراط وأفلاطون وأرسطا طاليس.

---

(٧) الرسالة : ١٥ نوفمبر (١٩٤٣) العدد (٥٤١).

(٨) الرسالة : ٢٢ نوفمبر (١٩٤٣) العدد (٥٤٢).

ثم عقد مقارنة بين آثار العرب وآثار اليونان؛ ليظهر قوة الأولى لحظ الإسلام فيها ومن ذلك قوله: «إن ذكريات العرب الأدبية والعلمية والتشريعية مقرونة بالإسلام وكل إحياء لذكرياتهم خليق بإثارة الزهو والكبرياء لدى الأمم الإسلامية».

وآثار العرب ترجع في صميمها إلى التشريع وهو من المعاني الجافة التي لا يقبل عليها غير أهل الجد من كبار الباحثين، ولا كذلك آثار اليونان فإن معظمها يرجع في جوهره إلى الأدب الصريح الذي يهيج الأهواء ويثير الشهوات حتى يمكن أن يقال: إن جميع اللذات والشهوات الحسية أخذها الأوروبيون من اليونان، ولذلك يمجد الغرب ذكريات اليونان ولا يمجد ذكريات العرب..

وقد ختم «مبارك» حملته قائلا.. ولن يوهن من قوة الشرق أن يقرأ أبناؤه كلاما منقولا عن أحد الأجانب، ولو كان الناقل طه حسين».

وفي ضوء تلك الرؤية نرى إصابة «مبارك» في استبعاد أثر العقل اليوناني وفلسفته في العقلية العربية وذلك لصبغتها بحضارة الإسلام التي ضربت بجذورها في أعماقها، ومن ثم كانت ناضجة إلى الحد الذي لم يكن من اليسير أن تقبل معه كل ما يعرض عليها كاملا، فإن الفكر العربي لم يمتزج إلا بما تمشى مع مقوماته الإسلامية.

ويؤكد تلك الحقيقة «أنور الجندي» بقوله: دخلت الفلسفة اليونانية على الفكر العربي بعد قرنين من ظهور الإسلام وقد وضحت معالمه واستقرت دعائمه[9].

والواقع أنه لا خلاف على مسايرة «طه حسين» لفكر الباحثين الأوروبيين في هذه المسألة - فبعد أن كانت هذه الآراء تروج بآراء المستشرقين والمبشرين أمثال ن هـ . أ . و . جب «و» آس . أم . ذو يمر «و» لوي ماسينيون، بالإضافة إلى «جويدي» وآرنست رينان وغيرهم[10] أصبح هناك من الكتاب العرب من يحمل لواءها، ويظهر مما سبق أن ردود «مبارك» قد أثمرت في خلق وعي عام شديد الغيرة على تراث الأمة العربية والإيمان باستقلاليتها.

وفي رأينا أن هذه المساجلة خالصة تماما لوجه الفكر وذلك لمقاومتها محاولة سامة لا تهدف في الحقيقة إلى تحرير الفكر العربي وتنقيته وتخصيبه بالنظريات الغربية بقدر رميها للغض منه ومسخ ملامح شخصيته.

[يتبع]

---

(٩) أضواء على الفكر العربي الإسلامي - المكتبة الثقافية (١٩٦٦) ص (٦٢).

(١٠) أشارت الكتب الآتية إلى احتلالهم مركز الصدارة في هذا الصدد:

- الدكتور عبدالمعطي بيومي وآخرين: «الإسلام والتيارات المعاصرة» ص(٢٤٨)

- المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي: التبشير والاستشراق - سلسلة البحوث الإسلامية (١٩٧٧) ص (١٢٢) ومابعدها.

نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

الثوابت الفكرية الإيمانية

ونعني بها مجموعة المسلمات والقضايا الأساسية التي يتعين على الباحث أن يسلم بصحتها منذ البداية، وأن ينطلق منها في كل عمليات التفكير العلمي قبل شروعه في ممارسة البحث والتنقيب عن سر ظاهرة ما من الظواهر التي يعمد إلى دراستها، ومثل هذه المسلمات تعتبر -في رأينا- مقدمة ضرورية في بنية النسق الإسلامي لمناهج البحث العلمي، وذلك لفائدتها العظمى في تهيئة الباحث الجيد، وتزويده بمبادئ بسيطة أو مركبة، تساعده على تكوين النظرة الكلية الشاملة، ولا تؤدي أبدا إلى تناقض مهما بلغت مسيرة العلم وإنجازات التقنية، ويمكن إجمال هذه الثوابت فيما يلي:

١ - التوحيد الإسلامي:

التوحيد هو أول الثوابت الإسلامية ومصدر باقي المسلمات الفكرية والإيمانية، طالبنا الحق -سبحانه وتعالى- به في أول ما نزل من آيات القرآن الكريم، ليكون بمثابة نقطة الانطلاق وحجر الزاوية في بناء أي نسق علمي سليم يوجه رؤية الإنسان الصائبة لحقائق الحياة والفكر والوجود، ويساعده على فهم وقراءة كلمات الله القرآنية في كتابه المسطور، وكلماته الكونية في كتابه المنظور.

قال - تعالى -:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾(١).

وقال -سبحانه-:

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٢).

وعقيدة التوحيد الإسلامي هي التي تحفظ كرامة الإنسان وتكريمه بإخضاعه للخالق الواحد -جل وعلا-، وتحرره من سلطان العقائد الوثنية أو المذاهب الوضعية، الله -سبحانه وتعالى- هو الحق المطلق، وهو مصدر كل الحقائق المعرفية الجزئية التي أمرنا بالبحث عنها واستقرائها في وحدة النظام بين الظواهر الطبيعية والإنسانية، باعتبارها مصدرا للثقة، وليست ظلالا أو أشباحا أو مصدرا للمعرفة الظنية كما نظرت إليها الثقافة اليونانية.

(*) الكاتب عميد كلية العلوم/جامعة القاهرة.

(١) سورة العلق (١).

(٢) سورة يس (٨٢).

وفي ظل عقيدة التوحيد الإسلامي تتحقق أسلمة العلوم ومناهجها وتقنياتها بمعناها الصحيح، ويصبح المفهوم الإسلامي للعلم أوسع وأشمل من المفهوم الشائع لدى فلاسفة العلم على اختلاف مذاهبهم. فهناك العلم الظاهر في عالم الشهادة، والعلم الغيبي الذي أخبرنا الله به في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه الأمين -عليه الصلاة والسلام- ويكون العلم الظاهر دنيويا بعلاقاته مع الأشياء، وتعبديا في نفس الوقت لصلته بالله الواحد، ومن كانت عقيدته الدينية هي «التوحيد» يجد في نفسه دافعا أقوى مما يجد سواه نحو أن يبحث دائما عن الوحدة التي تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع، فيبحث عن محور الوحدانية في الشخصية الإنسانية برغم اختلاف الجوانب الكثيرة في حياة الفرد الواحد، واختلاف العلوم الباحثة في تلك الجوانب، وكذلك يبحث عن محور الوحدانية في الكون بأجمعه مجتمعا في وجود واحد.

ومن لطائف العلم التي تشير هنا إليها ما نلاحظه من تشابه بين نواميس القوى الطبيعية الناتجة عن خصائص المادة الجوهرية، على نحو ما يبدو من قوانين الجذب الكهربي والجذب التثاقلي على سبيل المثال، وقد شرع العلماء حديثا في البحث عن الصيغة العلمية (الرياضية) التي توحد بين مختلف أنواع القوى الموجودة في الطبيعة، وأحرزت جهودهم نجاحا كبيرا على هذا الطريق.

ومن الصفات الجديدة للمعرفة العلمية المعاصرة أن الحواجز الظاهرية بين فروع العلم المختلفة أخذت تذوب تدريجيا لكي تحل العلوم المتداخلة والمتكاملة محل العلوم المتعددة والمنفصلة، ويتوقع فلاسفة العلم والمؤرخون له أن العلوم كلها يمكن أن تندرج في بناء نسقي واحد بحيث يكون ترتيبها في ذلك النسق المتكامل ترتيبا قائما على وضع ما هو خاص من قوانين ومبادئ، وفروض تحت ما هو أعم منه، ولقد توقع هيزنبرج هذه النتيجة للعلوم المعاصرة عندما ذكر في محاضرة ألقاها بجامعة لايبزج عام ١٩٤١ أن «الفروع المختلفة للعلم قد بدأت في الانصهار في وحدة كبيرة». وحول فكرة «العلم الموحد» هذه يقول رودلف كارناب: «ولا وجود لمصادر متعددة للمعرفة، بل هناك علم واحد فقط، فجميع المعارف تجد لها مكانا في هذا العلم، والمعرفة في حقيقتها ذات نوع واحد فقط، وما المظهر الخارجي للخلافات الأساسية بين العلوم إلا نتيجة مضللة لاستخدامنا لغات فرعية للتعبير عن هذه العلوم».

والباحث المؤمن هو الذي يفهم شهادة التوحيد في إطاره الشامل الذي يجمع بين وحدة النظام في بناء الذرة وبناء المجموعة الشمسية، وبين وحدة الطاقة بردها إلى أصل واحد، وإن تعددت صورها، وبين وحدة الحركة في طواف الالكترونات حول النواة، وطواف الكواكب حول الشمس، وطواف المسلمين حول الكعبة المشرفة.

إن تأكيد كل هذه المعاني في فكر الباحث العلمي ووجدانه يعتبر من أهم مقومات الشخصية العلمية التي يبدع العلماء على أساسها في اطمئنان وهدوء ونقاء، وهنا يتحقق الانسجام الكامل بين الفكر والعمل، بعيدا عن غيوم المذاهب الفلسفية الرديئة التي تشوه الوجه الناصع لكل حقيقة.

٢- النظام الكوني:

إن الإيمان بوحدانية الله -سبحانه وتعالى- يستلزم بالضرورة العقلية أن يرد الإنسان كل شيء في هذا الكون إلى الخالق الحكيم الذي أوجد هذا

العالم بإرادته المباشرة المطلقة، وخلقه على أعلى درجة من الترتيب والنظام والجمال، وأخضعه لقوانين معينة ثابتة لا يحيد عنها، وحفظ تناسقه وتوازنه في ترابط محكم بين عوالم الكائنات، وتنسيق معجز بين آحادها ومجموعاتها، وجعل بناءه آية في الروعة والكمال، ليس فيه اختلاف ولا تنافر، ولا نقص ولا عيب ولا خلل، قال -تعالى-:

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(٣).

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في مواضع مختلفة، ونبه العباد إلى الحكمة السامية وراء التناسق والإبداع في خلق هذا الكون، وذلك في مثل قوله -تعالى-:

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾(٤).

وقوله:

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾(٥).

وقد شاءت إرادته -تعالى- أن تبين لنا من خلال نظام الكون ووحدته استمرارية المواد كأشياء، وتكرر الحوادث والظاهرات كعلاقات سببية لنراقبها وندركها وننتفع بها في حياتنا الواقعية، بعد أن نقف على حقيقة سلوكها ونستدل بها على قدرة الله -تعالى-:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٦).

وفي إطار المفهوم الإيماني لمسلمة النظام الكوني واطراد الظاهرات الطبيعية كعلاقات سببية يتمتع الباحث المسلم بالاطمئنان والثقة اللازمين لمواصلة البحث العلمي، إيمانا منه في ضمان بلوغ تعميمات أو قوانين علمية من مجموعة محددة من الوقائع، وهذا لا يتوفر مثلاً لباحث آخر ينطلق في تفكيره من مبدأ «الحتمية المادية» الذي يفترض أن صدق أحداث الكون مستقل عن الزمان والمكان، وعندما ينتقل العلم إلى مرحلة جديدة تتميز باللاحتمية أو عدم اليقين، يتعين على هذا الباحث أن يتخلى عن إيمانه بمبدأ الحتمية المطلقة ويبحث عن جديد لنسق فكري جديد.. لكن التصور الإسلامي للنظام الكوني ينقذ العلماء من التخبط في التيه بلا دليل، كالإحالة على الطبيعة أو العقل أو المصادفة أو ما إلى ذلك، كما أن هذا التصور الإيماني يجعل الطريق مفتوحاً دائما أمام تجدد المنهج العلمي وتطوره بما يتناسب مع حالة العلم في المرحلة التي يبلغها من تطوره، وهنا أيضا تظل العلاقة بين إرادة الله -تعالى- واطراد القانون الطبيعي واضحة جلية، لما تفسحه من مكان لتفسير حدوث الخوارق والمعجزات التي يظهرها الله بين الحين والحين، تذكيراً للإنسان بأن الله -تعالى- هو مصدر الوجود، وأن كل ما في الكون مستمد من إرادته ومتوقف عليها، وإذا ما اختل نظام السنن الكونية الثابتة، فإن هذا في كتاب

---

(٣) سورة الملك (١: ٤).
(٤) سورة السجدة (٧).
(٥) سورة القمر (٤٩).
(٦) سورة فصلت (٥٣).

الإسلام يعني اقتراب قيام الساعة، ويؤذن بانتهاء الحياة على الأرض، مثال ذلك قوله – تعالى –:

﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾(٧).

٣- فريضة البحث العلمي:

كثيرة هي النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث على طلب العلم والبحث العلمي بأسلوب منهجي سليم، ويصعب في هذا الحيز استقصاء جميع الآيات التي حثت الإنسان على البحث في مخلوقات الله –تعالى–، لكن الباحث المسلم يجب أن يكون على دراية كاملة بكل التعاليم الإسلامية التي تجعل من مهمته فرضا كفائيا، وعندما يطلب المسلم علما على النهج الإسلامي يكون فهمه للحياة والكون طريقا للوصول إلى الله –سبحانه وتعالى–:

﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾(٨).

وتكون وجهته دائما لعمل الخير انطلاقا من القاعدة العامة في ضرورة الربط بين النظرية والتطبيق:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(٩).

ويكون تصوره لقيمة العلم النافع أعم وأشمل، فهي تتعدى حدود العمر والفضل والمصدر، وكل علم يحتاجه المسلمون فرض كفاية، فإن لم يوجد بينهم من يحسنه فالكل آثمون وليست الكفاية أن يوجد من يعرفه، بل في وجود المجموعة التي تغطي احتياجات الأمة، والتخصصات العلمية المختلفة ضرورة لكل مجتمع، والإخلال بأحدها يؤدي إلى الإخلال بالواجب الأعظم، وهو عبادة الله حق عبادته، وإعلاء كلمته في الأرض.

وقد أدت الأخطاء البشرية في تناول مناهج المعرفة إلى تدنيس الفطرة الحنيفة المؤمنة بالله، وظهرت العلمانية في العالم الغربي لتضع حدا فاصلا بين العلم والدين، وكان من نتائج هذا الفصل أن فقدت العلوم أساسها الأخلاقي، وظهرت المذاهب الوضعية لتكون بمثابة دين اجتماعي للمجتمعات التي تعتنقها، ولهذا فإن البحث العلمي السليم لا يمكن أن يحقق غايته الإيمانية إلا إذا استعاد علاقته الأولى بمبادىء الإسلام، وعندئذ سيكون التفكير العلمي لدى البشر قد استعاد طبيعته الحقة، بوصفه بحثا موضوعيا عن الحقيقة أينما وجدت.

من ناحية أخرى، عندما يمارس الباحث المؤمن عمله العلمي باعتباره فريضة إسلامية، فإنه يكون على دراية تامة بما تدعو إليه تعاليم الإسلام من محاربة التنجيم والتنبؤ العشوائي والتعصب للعرف والعرق، وبتحذيرها من الاطمئنان إلى كل ما هو شائع أو موروث من آراء ونظريات، وهنا لن يجد الباحث المسلم أي عناء في إدراك أن هذه التعاليم الإسلامية التي تحارب كل معوقات البحث العلمي تعتبر أوسع وأشمل مما يعرف بأوهام الكهف والسوق والمسرح لبيكون، والتي كثيرا ما يباهي بها ويروّج لها فلاسفة العلم وشرّاح المنهج العلمي.

(٧) سورة القيامة (٧: ٩).

(٨) سورة آل عمران (١٩١).

(٩) سورة الصف (٢: ٣).

حكمة الخالق فى خلق بيئة متوازنة

(٢) ظاهرة تآكل طبقة الأوزون

للأستاذ الدكتور/ عبد الراضى حسن المراغى (*)

خلق المولى - عزوجل - الكون وأحكم صنعه وخلق الكرة الأرضية وما تحتوى عليه من نظم بيئية مختلفة بدقة بالغة وخلق مكوناتها متوازنة كل بقدر معلوم وكفل لكل من هذه المكونات والعناصر دوراً محدداً.

وقد استعرضنا فى المقال السابق (١) الآيات القرآنية الكريمة التى تؤكد هذه المعانى.

وفى المقال الحالى نتحدث عن حكمة الخالق - عزوجل - فى خلق الأرض وإحاطتها بدروع حامية وواقية من الأخطار القادمة من الفضاء الخارجى، ومن هذه الدروع الحامية، الغلاف الجوى، الذى تتكون طبقته العليا من غاز الأوزون (على ارتفاع يتراوح من ١٥ إلى ٥٥ كيلو مترا من سطح الأرض، ويسمى هذا الجزء من الغلاف الجوى ستراتوسفير) قال - تعالى - فى محكم كتابه:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾(٢)

وطبقة الأوزون تتكون من غاز الأوزون الذى يتكون بدوره من جزيئات ثلاثية الذرات من الأوكسجين تساعد أشعة الشمس الفوق بنفسجية ذات الطاقة العالية فى تكوينه حيث إنها تكسر جزيئات الأوكسجين الثنائية الذرات إلى ذرتين حرتين تتحد كل منهما مع الجزيئات الثنائية الأخرى من الأوكسجين مكونة جزيئات ثلاثية هى فى الواقع جزيئات الأوزون، وترجع أهمية طبقة الأوزون إلى كونها تمتص الأشعة الشمسية فوق البنفسجية وتمنع وصولها إلى سطح الأرض، وعلى هذا الأساس فهى تقوم بحماية الغلاف الجوى من التأثيرات الضارة للأشعة الشمسية فوق البنفسجية

(*) الكاتب: أستاذ بكلية العلوم - جامعة الأزهر.

(١) د. عبدالراضى حسن المراغى، حكمة الخالق فى خلق بيئة متوازنة (١) مخاطر الاحتباس الحرارى - مجلة الأزهر - الجزء الخامس - السنة الثالثة والسبعون - جمادى الأولى ١٤٢٦هـ.

(٢) سورة فصلت الآية ١٠.

ذات الموجات القصيرة والقادمة من الفضاء الخارجي قال – تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[٣].

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾[٤].

وعندما زاد النشاط البشرى وانطلق إلى الهواء الكثير من المركبات الكيميائية التى صنعها الإنسان والتى تتفكك عند طبقة الستراتوسفير بواسطة الأشعة الشمسية فوق البنفسجية حيث تتحرر ذرات الكلورين والبرومين اللتان تتميزان بشدة نشاطهما، ومن أهم هذه المركبات غازات مثل: غاز مركبات الكلوروفلور وكربونات، وغاز الميثان وغاز ثانى أكسيد الكربون، وما ينبعث من العوادم الغازية للطائرات النفاثة ومن عمليات إطلاق الأقمار الصناعية وزيادة استخدام عبوات الايروسولات والهالونات التي تستخدم فى إطفاء الحرائق، وكل ذلك هو تغيير فى التوازن البيئى الذى خلقه الله–عز وجل– وأحكم صنعه وقد حذر المولى– جلت قدرته من هذا التبديل قائلاً :

﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[٥].

وكان عقاب هذا التغير متمثلا فى تغير فترة الربيع فى القطب الشمالى ونقص حجم الأوزون بنسبة ٣٠٪ ويصل هذا النقص إلى ٩٠٪ فى فترة وجود التيارات الهوائية والصقيع.

ويقول العلماء : إن درجة حرارة الأرض ارتفعت من درجتين إلى ثلاثة درجات منذ الثلاثينات وحتى الآن أى فى غضون ستين عاما، وهذا الارتفاع هو الذى يؤدى إلى تغيرات مناخية مدمرة منها ذوبان جزء من ثلوج القطبين الشمالى والجنوبى مما ادى إلى ان تبتلع البحار اجزاء من قارتى أمريكا وأوروبا بل وآسيا وأفريقيا أيضا، ويؤدى إلى خلل فى نظام الأمطار وزيادة فى الجفاف والتصحر فى مناطق كثيرة من العالم، وإذا استمرت درجات الحرارة فى الارتفاع وازدياد اتساع ثقب طبقة الأوزون فسوف يزيد نفاذ الأشعة فوق البنفسجية والتى تؤدى إلى تضاعف معدلات الإصابة بالأمراض السرطانية والتى زادت فعلا فى مناطق ثقب الأوزون، ووصلت حاليا إلى ٥٠ الف حالة سنويا.

وفى استراليا والتى تعتبر من أكثر المناطق إصابة بسرطان الجلد مما جعل الأطباء ينصحون الاستراليين بارتداء ملابس خاصة تقيهم من الأشعة فوق البنفسجية، والعيش فى مدن لها قباب زجاجية فى القرن المقبل ما لم يتوصل العلماء إلى علاج أو إجراءات لوقف الأضرار التى تلحق بطبقة الأوزون، وذكر العلماء انه لن يكون بمقدور الاستراليين الخروج من منازلهم بحلول عام ٢٠٦٠م دون توفير وقاية كاملة لأجسامهم، ويعكف العلماء والخبراء على التفكير فى طرق وقائية بشأن أخطار وأضرار طبقة الأوزون التى تحمى الأرض من الأشعة الضارة عن طريق بناء القباب فوق المدن لحجب هذه الأشعة الضارة.

---

(٣) سورة الحجر الآية ٨٥.

(٤) سورة الأنبياء الآية ١٦.

(٥) سورة البقرة ٢١١.

كما زادت حالات الإصابة بالعمى نتيجة الإصابة بالكتاركت بالإضافة إلى إصابة حوالى ١,٧ مليون شخص سنويا بأمراض أعتام عدسة العين الأخرى.

ولا تقتصر النتائج المترتبة على استنزاف طبقة الأوزون على الآثار الصحية على الإنسان بل تؤثر أيضا على الحيوانات والنباتات والتى تعتبر مصادر بيئية متجددة فى النظم البيئية المختلفة.

وتجدر الإشارة إلى ان علماء الأحياء وجدوا ان ٥٠٪ من النباتات التى درس تاثير الأشعة فوق البنفسجية عليها انها حساسة لازدياد هذه الأشعة حيث انخفض إنتاجها وصغر حجم أوراقها وفى بعض الحالات بتغيير التركيب الكيميائى للنبات مما يقلل من قيمته الغذائية ويؤدى إلى تناقص عالمى فى انتاج الغذاء، كما تؤثر الأشعة فوق البنفسجية على الكائنات البحرية وتضعفها مثل الهوائم النباتية والتى تعتبر عنصرا هاما فى السلسلة الغذائية.

وقد حذر خبراء المنظمة العالمية للأرصاد الجوية من خطر الزيادة الكبيرة المستمرة فى استنزاف طبقة الأوزون منذ التوقيع على اتفاقية فيينا وبرتوكول مونتريال الخاصتين بحماية هذه الطبقة فى سنة ١٩٨٧م.

وقال هؤلاء الخبراء: إن نتائج الأبحاث تؤكد انخفاض كمية الأوزون بشكل ملحوظ فى كافة المناطق باستثناء المنطقة الموازية لخط الاستواء، وأعلنت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) ان طبقة الأوزون فوق القطب الجنوبى وصل التآكل فيها إلى مستوى قياسى عندما سجلت الاقمار الصناعية فى أواخر شهر سبتمبر عام ١٩٩٣م مستوى لم تبلغه مطلقا فوق أى مكان من الكرة الأرضية.

وأفادت قياسات وكالة (ناسا) ان ثقب الاوزون اتسع ليغطى تقريبا المساحة نفسها التى غطاها فى ديسمبر ١٩٩٢م حوالى ٤ ملايين كيلومتر مربع (خُمس مساحة امريكا الشمالية) وتجدر الإشارة إلى ان وكالة (ناسا) تجرى قياساتها بواسطة منظار طيفى يحمله القمر الصناعى الروسى «ميتيور-٣». وعلى الرغم من هذه القياسات والمعلومات، ما زالت أخطار استنزاف طبقة الأوزون تحتاج إلى كثير من الدراسات والبحوث.

وانقسم العلماء حول ظاهرة استنزاف الأوزون إلى ثلاثة آراء رئيسية: يزعم الرأى الاول إلى ان ثقب الأوزون ما هو إلا أكذوبة روجت لها المصالح الاقتصادية للدول الصناعية الكبرى بهدف تغيير شكل الاقتصاد العالمى وتبديل الصناعات المعمرة القائمة فعلاً بنمط جديد من الصناعات، وعلى العالم ان يدور فى فلك تلك الدول خوفا مما يسببه تآكل طبقة الأوزون من مخاطر بيئية وصحية كبيرة وجسيمة تحتاج إلى استراتيجيات طويلة المدى لتفادى أخطارها مثل إعداد شبكة أنظمة مراقبة طبقة الأوزون العالمية، وتخطط المنظمات الدولية المهتمة بأخطار استنزاف طبقة الأوزون إلى إنشاء حوالى خمسة عشر محطة مراقبة فى منطقة القطب الشمالى، وشرق سيبيريا والحزام المدارى.

أما الرأى الثانى فيرى خطورة حقيقية لثقب

الأوزون بسبب الارتباط الوثيق بين تناقص طبقة الأوزون فوق القارة القطبية واستخدام الغازات والمركبات الكيميائية المذكورة.

أما الرأى الثالث فيقول: إنه ليس من المؤكد أن ثقب الأوزون يتسع بل إن القياسات التى سجلت عند القطب الشمالى ما هى إلا ظاهرة طبيعية وأن ثقب الأوزون هو ثقب غير دائم ترصده الأجهزة العلمية خلال فصل الشتاء ويلتئم تماما بعد زوال شهور الشتاء التى تستمر ستة شهور فى منطقة القطب الشمالى، وهذا ما يؤكد أن ثقب الأوزون فى هذه المنطقة ناتج عن احتجاب أشعة الشمس.

ويرى العلماء والمؤيدون لهذا الرأى أن ارتفاع درجة حرارة سطح الأرض ربما يرجع إلى أسباب وعوامل أخرى يجب أن يهتم العلماء بدراستها والدليل على ذلك أن أجزاء من الأرض تغيرت طبيعتها مثل: الجزء الشمالى من كندا ولم يكن من قبل مغمورا بالثلج كما هى حالته الآن، ودليل آخر هو تحول جزيرة «جرين لاند» إلى الحالة الجليدية، وتحرك الأسماك والكائنات البحرية الأخرى التى كانت تعيش فى القطب الشمالى إلى الجنوب، ولاحظت سفن الرصد والمراقبة بشمال المحيط الأطلنطى إلى أن متوسط درجة حرارة المياه قد انخفضت بمقدار نصف درجة مئوية، وإذا استمر هذا الانخفاض فسوف يزداد البرد ويكثر الجليد فى المناطق القطبية، بل قد يكون ذلك سببا للمنخفضات الجوية الباردة التى تمر من المناطق الباردة إلى المناطق الحارة، وقد تكون سببا لسقوط الأمطار التى تهطل بغزارة فى غير موسمها، كما يؤثر ذلك - أيضا - على المناطق الواقعة حول خط الاستواء.

وهذه الآراء الثلاثة تدل دلالة قاطعة على استمرار جدل العلماء حول تفسير ظاهرة الأوزون والتغيرات المناخية الناتجة عن الاحتباس الحراري، ولكن تجدر الإشارة إلى أن المواد المستنزفة لطبقة الأوزون والمنبعثة إلى الغلاف الجوى ستأخذ وقتا طويلا جدا لكي تصل إلى طبقة الأوزون فى منطقة الستراتوسفير، وعلى هذا الأساس فالإجراءات التى تتخذ فى الوقت الحاضر لإيقاف الاستنزاف لن تؤدي ثمارها إلا بعد مرور عشر سنوات على الأقل.

وأوصت دورة تدريبية عقدها برنامج «الأمم المتحدة للبيئة» فى الأردن بتكثيف إجراءات السلامة وحماية الأفراد فى المؤسسات التى تستخدم مركبات الهيدروكربونات فى صناعة الايروسولات، وتشجيع المشاريع التحويلية بتوفير بعض الامتيازات كالمنح والقروض والسندات وغيرها، وضرورة توفير الهيدروكربونات بكميات كافية، وتوفير الدعم التكنولوجي، والاستفادة من الخبرات المتقدمة فى إنتاج ومعالجة المركبات الهيدروكربونية، وتشجيع البحوث والدراسات المتعلقة بعملية تحويل الايروسولات، وتشجيع التعاون الاقليمى والعمل على تزويد الدول الفقيرة بالتوجيهات حول المواصفات التقنية المطلوبة لتنفيذ المشاريع المختلفة (٦)، (٧).

---

(٦) د. عبدالراضي حسن الراغي: الأوزون الماضي والحاضر والمستقبل - جريدة الراية القطرية العدد ٥١٢٥ - ٢٠ مايو ١٩٩٦.

(٧) زين الدين عبدالمقصود غنيمي: البيئة من منظور إسلامى - مجلس حماية البيئة دولة الكويت.

المنظومة الكونية: آية القدرة والوحدانية

للأستاذ الدكتور / عفيفي محمود عفيفي (*)

«يشيع التناظر في هندسة بناء المنظومة الكونية، سواء في عالم الجمادات من الذرة إلى المجرة، أو في عالم الأحياء من الميكروب إلى الإنسان... وهذا التناظر شاهد على وحدانية الخالق.... ومن الجانب الآخر فإن بين المخلوقات الحية أو غير الحية قدرا هائلا من التباين في الشكل والحجم والتركيب، وهذا التباين شاهد على قدرة هذا الخالق الواحد..

والحقيقة الكامنة وراء هذا التناظر من جهة أخرى هي أن كل مخلوق ميسر لما خلق له بفعل التوافق المدهش بين تكامل البناء وكفاءة الأداء سواء في كل جزء من أجزائه على حدة أو في كيانه ككل... وتتعانق قدرة الخالق ووحدانيته في مركز دائرة تضم بين أقطارها توافقا شموليا بين كل الموجودات في ملكوت الله..»

الهندسة المعمارية للمنظومة الكونية

● من أهم الحقائق الكلية التي آمن بها قدامى الفلاسفة والمفكرين أن الأرض التي نعيش عليها لا تمثل أكثر من فقاعة صغيرة في بحر الفضاء الكوني الذي تسبح فيه أعداد لا تحصى من الأجرام المختلفة حجما وشكلا وبعدا عن الأرض، وهي ليست متناثرة كما يبدو للعين المجردة، بل هي منتظمة في شبه قوافل عملاقة تضم كل منها عددا من «الأسراب النجمية» التي اصطلح الفلكيون على تسميتها «مجرات»[1].. وكل مجرة تتألف بدورها من عدد من المجموعات النجمية التي يتوسط كلا منها أكبر أجرامها (ومن ثم تنسب إليه)، وحول هذا النجم المركزي يدور عدد من الأجرام التي اصطلح الفلكيون على تسميتها

(*) الكاتب أستاذ متفرغ بكلية العلوم - جامعة المنصورة، وخبير بمجمع اللغة العربية - بالقاهرة.

(١) تمكن الفلكيون حتى الآن من رصد بضعة آلاف من المجرات التي يقدرون بُعد أقربها عن الأرض بمئات ملايين البلايين من الكيلومترات.. وذلك في السماء الدنيا وحدها!!

«الكواكب» وبعض الكواكب يدور حوله واحد أو أكثر من الأجرام الأصغر منه حجما، والتي اصطلح على تسميتها «أقمارا»، ومع تطور أجهزة الرصد الفلكي تمكن علماء العصر الحديث من رسم خريطة متكاملة للمجموعة الشمسية (وهي المجموعة النجمية التي تنتمي إليها أرضنا)، وحددوا على تلك الخريطة مدارات الأرض وثمانية كواكب أخرى حول الشمس، ومدارات ما يلف حول بعض هذه الكواكب من أقمار منها على سبيل المثال قمران حول كوكب المريخ، وقمر واحد حول أرضنا هو الذي تتحدد بظهور هلاله في سمائنا بدايات الشهور وهو الذي تمكن رواد الفضاء منذ ربع قرن من الهبوط على سطحه، وجلبوا معهم قطعا من صخوره (ثبت بالتحليل أن بها عناصر من مكونات القشرة الأرضية).

● وبالنسبة للمخلوقات الأرضية كان اختراع المجاهر (الميكروسكوبات) في أواخر القرن التاسع عشر سببا في اكتشاف عالم الكائنات الدقاق (الميكروبات)؛ وفي معرفة الخلية كوحدة بناء أساسية في أجسامنا وفي أجسام جميع الحيوانات والنباتات، ثم كان اختراع المجهر الإلكتروني في أوائل القرن العشرين سببا في معرفة الهيكل المعماري للجزيء العملاق للحمض النووي DNA (الذي ثبت أنه جسر العبور من عالم الجمادات إلى عالم الأحياء)...

● ولقد تزامن مع هذا الاكتشاف حدث علمي آخر لا يقل عنه أهمية، لأنه هو الذي أخذ بأيدينا إلى حيث اكتشفنا وحدة الأساس في بناء كل ما على الأرض من مواد؛ غازية كانت أم سائلة أم صلبة... عناصر بسيطة أم مركبات معقدة... ذلك الحدث هو إعلان النظرية الذرية التي صورت الوحدة الأساسية في بناء المادة على شكل منظومة من الجسيمات التي يستقر بعضها في المركز، (الذي اصطلح على تسميته «نواة الذرة») ويدور بعضها الآخر في مسارات محددة حول النواة... وقد تأكدت صحة ذلك بالصور التي التقطت لذرات بعض العناصر، فكانت مؤيدة تماما للتناظر بين أصغر ما وصل إليه علمنا من وحدات المنظومة الكونية وأكبر ما وصل إليه علمنا -أيضا- من وحدات المنظومة ذاتها... وفي هذا التناظر أقوى دليل على أن الصانع واحد... على أن وحدانيته -سبحانه- ليست هي كل ما يهدينا إليه تأمل المنظومة... فماذا بعد؟!

النزعة إلى التكامل

● الآن ننتقل من دلائل وحدانية الخالق إلى دلائل قدرته؛ وأول ما يشد انتباهنا هو ذلك التباين الهائل بين جميع مخلوقاته؛ سواء في عالم الأحياء أم الجمادات.. ولنتخذ المثال من كوكبنا الأرضي الذي أمكننا الله من دراسة بعض كائناته ومعرفة مكوناتها

التي لا تخرج عن كونها عناصر ترابية . . . ورغم ما ثبت لنا عن وحدة التكوين الأساسية (وهي الذرة) إلا أن الاختلاف بين ما اكتشفناه في قشرة الأرض وغلافها الجوى من عناصر تزيد على المئة عددا هو اختلاف جوهرى كبير، ومع ذلك فهو يتضاءل إذا ما قورن ببعض الاختلافات بين آلاف المركبات المؤلفة من تلك العناصر ذاتها، والتي خبأها الله في باطن الأرض أو بثها في الجبال والصحارى والبحار لنتخذ منها مواد كسائنا وبناء بيوتنا وصناعاتنا، أو لتختلط بما ينزله عليها من ماء فتسرى في عروق الزرع ومنه إلى لحوم الحيوانات، ومن هذه وتلك تدخل بطوننا لتسرى في دمائنا ثم تدخل في بناء لحمنا وجلدنا وعظامنا.

● إن السر في هذا التباين يكمن في حقيقتين: الأولى هي اختلاف ذرات العناصر في عدد الجسيمات في نواها، وفي عدد توزيع الجسيمات الدائرة حولها، والحقيقة الثانية هي اختلاف طريقة ترابط الذرات في جزيئات ثم ترابط الجزيئات في مركبات متنامية التعقيد . . . ولعل شرح الحقيقة الثانية أجدى في توضيح ما نستهدفه . . . فالخالق -سبحانه- قد أودع ذرات العناصر نزعة إلى الترابط بطرق تختلف تبعا لما إذا كانت ذرات عنصر واحد أو عناصر مختلفة، وتبعا لحجم الوحدات المترابطة (جزيئات صغيرة أم كبيرة أم عملاقة؟) ، وتبعا لنوعية ما يدخل في تكوين هذه الوحدات أو يطرأ على بنيتها عند كل مستوى من الترابط كما أن طريقة الترابط تتأثر بالظروف المحيطة بالوحدات المترابطة (كالحرارة والضوء والضغط الجوى) كما تتأثر بنوع الوسط الذى يتم فيه الترابط (هل هو أنبوبة اختبار أم خلية حية؟ ونباتية أم حيوانية؟) والاختلاف في خصائص المواد الناتجة عن الترابط تشمل: درجة الصلابة، واللون، والطعم، والرائحة، وتأثيرها على غيرها من الأجسام الحية أو غير الحية. . وفي النهاية مدى فائدتها للإنسان ومجالات استخدامه إياها وطريقة الانتفاع بها . . . وهلم جرا.

● ونبدأ بمثال بسيط هو ترابط ذرات العنصر الواحد مع بعضها البعض، وليكن هذا العنصر هو الكربون الذى توجد خاماته بكثرة في إفريقيا على أعماق مختلفة من القشرة الأرضية تختلف درجة الحرارة حولها والضغط الجوى الواقع عليها، وبالتالى تختلف طريقة ترابط ذرات الكربون مع بعضها البعض ومع ما يختلط بها من شوائب مختلفة نوعا وكما . . .

. . . والنتيجة هي تحول الكربون في بقعة معينة إلى جرافيت أو فحم . . . وفي بقعة أخرى إلى ماس . . والفرق بين الفحم والماس شديد الوضوح وبخاصة من حيث اللون ودرجة الصلابة والقدرة على كسر أشعة الضوء والقابلية للاحتراق . . . إلى آخر هذه الفروق التى جعلت من المستحيل على مكتشفى مناجم الفحم والماس أن يتصوروا

أنهما عنصر واحد... ولكن هذه هي الحقيقة التي تثبت بالتجربة في وقت لاحق.

● ثم نتدرج إلى مستوى من الترابط أعلى قليلا هو ترابط ذرات عنصرين مختلفين.. ونختار لذلك مثلا مألوفا هو الترابط بين ذرات الأيدروجين والأكسجين في عملية تكوين الماء... وهو نوع من الترابط يمكن إحداثه معمليا بإطلاق شرارة كهربائية في خليط من الغازين، ومرة أخرى نلاحظ أن الفرق في الخصائص بين العنصرين وبين كل منهما والمركب الناتج فرق هائل يكاد يصل هذه المرة إلى درجة التضاد: فالأيدروجين غاز قابل للاشتعال والانفجار، والأكسجين غاز مساعد على الاشتعال.. بينما الماء الناتج عن اتحادهما سائل غير قابل للاشتعال، بل إنه يستخدم في إخماد الحرائق التي تشب من حولنا، وإطفاء لهيب الظمأ إذا سرى في عروقنا فسبحان الله! هذان مثالان للتغيرات الناتجة عن ترابط الذرات في الأوساط غير الحية، وهي تغيرات كبيرة ولكنها تتضاءل إذا قورنت بتلك التي تحدث في الأوساط الحية أي داخل الخلايا حيث تسرى الروح التي ينفرد الله -سبحانه وتعالى- بعلم أسرارها.

مصانع ربانية لا تراها العين

● ومن هذه المجموعة الأخيرة نختار مثالين وثيقي الارتباط بحياتنا؛ الأول: ترابط يحدث بين الذرات المختلفة في خلايا النباتات، والثاني يحدث في خلايا أجسامنا وأجسام من نألفه من حيوانات سخرها الله لنفعنا...

● ففي كل ورقة من أوراق النبات يتم اتحاد غاز ثاني أوكسيد الكربون مع بخار الماء في وجود ضوء الشمس لتتكون منهما بقدرة الله وتقديره - مركبات تسمى الكربوهيدرات، وهي أنواع عديدة مختلفة باختلاف نوع النبات الذي يجري فيه هذا التفاعل العجيب، وتجرى في عروقه ليأخذ كل جزيء منه حاجته منها، ثم يختزن الباقي حيث يشاء الله من أعضاء النبات ليكون مصدر نفع للإنسان ولما حوله من الحيوانات العاشبة (آكلة النباتات).

وأبسط صورة تختزن فيها المواد الكربوهيدراتية في أعضاء النبات هي السكر، وهو الذي أجرى الله حلاوته في أعواد القصب وعقدها في حبات العنب والتمر وغيرها من الفواكه، بينما في خلايا نباتات أخرى تترابط جزيئات السكر بأعداد أكبر وبنسبة من الماء أقل، فيتحول إلى نشا عديم الحلاوة ضعيف الذوبان في الماء، ويسيرها القادر في عروق تلك النباتات لتختزن حيث قدر لها: في حبات الأرز، والأذرة، وفي درنات البطاطس، وجذور البطاطا.. والفرق بين النشا والسكر لا يتجاوز بعض الخصائص الطبيعية ولا يغير من صلاحيتهما كطعام سهل الهضم ومولد

للطاقة... ولكن إذا زاد عدد الجزيئات المترابطة في الوحدة الكربوهيدراتية مع نقص في نسبة الماء نتجت مادة مختلفة اسمها «السيليلوز» غير قابلة للذوبان لا في الماء ولا في العصارات الهضمية، ومن ثم فقدت صلاحيتها كغذاء آدمي. وتترابط جزيئات السيليلوز في سلاسل متواصلة مختلفة الغلظ والطول والليونة والمتانة.... هي الياف ساق التيل و الكتان، والياف حرير القطن المعروف.... وهي - جميعا - قابلة للغزل والنسيج ومنها يتخذ الإنسان مادة كسائه.

● إن بناء هذه المواد المختلفة في خلايا أوراق النبات معناه أن هذه الخلايا مصانع حية دقيقة يتم فيها ما يعجز الإنسان عن إتمامه في مؤسسات صناعية ضخمة.... وقد أتيح للعلماء أن يكتشفوا هذه الظاهرة على نطاق أوسع في خلايا جسم الإنسان وأجسام الحيوانات، حيث تنتشر هذه المصانع الربانية في أكثر من موضع كالغدد الهضمية واللبنية وغيرها.... ولعلنا نكون موفقين في توضيح تلك الحقيقة إذا ضربنا المثل بما يتم في جسم النعجة من ترابط جزيئات الأحماض الأمينية بطرق مختلفة لبناء المواد البروتينية المختلفة الخصائص والمنافع....

● ففي مرحلة معينة من تكوين جنين النعجة: (وبالتحديد بعد تكوين الهيكل العظمي) تتجمع الأحماض الأمينية في الخلايا العضلية حول كل عظمة، وتترابط جزيئاتها بأن تتراص في حزم متجاورة ومتتالية.. وهكذا تتكون البروتينات على شكل فتائل عضلية إلى أن تتم كسوة العظمة باللحم.... ومع نمو الخلايا العضلية تكبر الفتائل، ويستمرهذا بعد الولادة، إذ تستمد النعجة من غذائها العناصر اللازمة لإنتاج المزيد من البروتينات (أي المزيد من اللحم) بنفس الطريقة.

● وفي جلد النعجة يتم ترابط الأحماض الأمينية الوادرة مع الدم بطريقة أخرى هي أن تمتد جزيئاتها الواحد تلو الآخر في سلاسل متصلة، فتكون البروتينات الناتجة على شكل خيوط دقيقة تتألف منها الياف الصوف المعروف باختلافه التام عن اللحم في خصائصه وفي مجال الانتفاع به.. واللحم طعام طيب يبني جسم آكله.. بينما الصوف يستعصي على الهضم.. وهو مؤهل لأن يكون مادة كساء لا مادة غذاء...

● وعندما تكبر النعجة وتبلغ سن الأمومة تتكون لها ضروع بها غدد لبنية يحمل الدم إليها الأحماض الأمينية حيث يكون ترابطها بطريقة مختلفة تماما عما ذكرنا، فهنا تلتف جزيئاتها حول بعضها البعض فتكون البروتينات الناتجة على شكل حبيبات دقيقة... وهذا الشكل أنسب لميوعة الوسط الحاوي لها... فاللبن قد خلقه الله ليشرب... على خلاف اللحم الذي خلقه الله ليمضغ، والصوف الذي خلقه الله ليغزل...

معجـــزة التبايـــن

● من البديهيات أن الملاءمة الوظيفية لأعضاء جسم أى كائن حى تقتضى اختلافا فى التركيب يؤهل كل عضو لأداء عمله؛ وهذا الاختلاف ليس مقصورا على حجم العضو وشكله، بل إن الجانب الأكبر والأهم من هذا الاختلاف يكمن فى البنية الداخلية ممثلا فى أنواع الخلايا التى يتألف منها وترتيبها... وللتدليل على هذه الحقيقة نتخذ أحد الأعضاء الظاهرة المعروفة مثالا وهو العين.

فلقد كشف الفحص المجهرى الدقيق عن تباين هائل بين خلايا كل جزء من أجزاء العين: فمن الخلايا العنقودية فى الغدة الدمعية إلى الخلايا الكأسية فى بطانة الجفن (التى تحمى إفرازاتها كرة العين الدائمة الحركة من آثار الاحتكاك)، ومن الخلايا الحدبية الشفافة فى العدسة إلى الخلايا الخيطية والمغزلية فى بضع عشرة عضلة (منها ما يحرك كرة العين، ومنها ما يتحكم فى إغلاق الجفنين أو تحدب العدسة أو اتساع الحدقة)

... وأخيرا وليس آخرا يتجلى هذا التباين فى آلاف الخلايا البصرية التى تتألف منها بعض طبقات الشبكية.

● وما قيل عن العين يمكن أن يقال مثله عن الفم وما حوى، وعن الأنف والحنجرة والأذنين وغيرها من الأعضاء الظاهرة، ويصح قوله - أيضا - عن المعدة والكبد والكليتين والمنسلين وغيرها من الأعضاء الباطنة سواء فى الإنسان أو فى العديد من أنواع الحيوانات الثديية خاصة والفقاريات بشكل عام.. كما ينطبق هذا الكلام تماما على أعضاء النبات ما بين جذر وساق وأوراق وزهور...

● ومن الحقائق الثابتة أن كل فرد منا ومما ذكرنا من مخلوقات الله كان فى بدء خلقه نطفة أمشاجا (هى الخلية البيضية المخصبة) بلغ من دقة حجمها أنه لو تجمعت منها بضعة آلاف لما زاد حجمها على رأس دبوس.. ولو استحضرنا هذه الحقيقة لكان أول سؤال يخطر على البال هو: «ما هو مصدر آلاف الملايين من الخلايا التى يتألف من ترابطها فى أنسجة ثم فى أعضاء - جسم الفرد المكتمل النمو؟».. وما أسهل الإجابة على هذا السؤال وهى ببساطة أن النطفة الأمشاج (الوحيدة الخلية) تمر فى سلسلة متصلة الحلقات من الانقسام الثنائى الذى يؤدى إلى تضاعف عدد الخلايا التى يسيرها الخالق إلى حيث يشاء من جسم الجنين إلى أن تتشكل أعضاؤه.

... ولكن هذه الإجابة - على صحتها لا تفسر إلا ظاهرة النمو والتغيير فى الشكل؛ ولكنها لا تقدم أى تفسير لما بين الخلايا الناتجة عن هذه الانقسامات من تباين فى الحجم والشكل والتركيب المجهرى.. لأن عملية الانقسام ما هى إلا توزيع عادل - كما وكيفا - لمادة الخلية المنقسمة بين الخليتين

الناتجين.. وإذن فالمفروض هو التشابه التام بين جميع خلايا جسم الفرد، ولكن الواقع غير هذا... فلماذا؟!

خريطة المصير

● الواقع أن الفحص المتتابع لأجنة الضفادع قد أثبت أن جميع الخلايا الناتجة عن انقسام البويضة هي بالفعل متشابهة حتى يمر ما يقرب من سُبْع مدة المرحلة الجنينية تظل خلالها ثابتة في مكانها؛ ولكنها بعد ذلك تتحرك في مجموعات تحتل كل منها مكانا محددا من جسم الجنين[٢] وفي مواقعها الجديدة يصبح لكل مجموعة معدَّل إنقسام خاص ومسارات خاصة للخلايا الناتجة؛ ونتيجة لذلك يتميز جسم الجنين إلى مناطق مختلفة شكلا وحجما، بل إن خلايا كل منطقة تختلف أيضا من حيث مكونات السيتوبلازم.. وبهذا يدخل الجنين مرحلة التمايز التي يبدأ بحلولها تكوين بواكير الأعضاء.. وقد تمكن علماء الأجنة من رسم خريطة لجسم الجنين في هذه المرحلة: أسموها خريطة المصير، نظرا لأن خلايا كل منطقة قد تحددت هويتها وتحدد العضو الذي سيتكون منها.

● وفي أواسط القرن العشرين أجريت تجربة طريفة أكدت هذه الحقيقة: إذ قام الباحث «سبيمان» بنقل خلايا باكورة عين الضفدع، وخلايا باكورة ذيلها وزرع كلا منهما مكان الأخرى مع اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لاستمرار التكوين الجنيني بشكل طبيعي؛ وفي الموعد المحدد للفقس خرجت من البيضة يرقة لها ذيل في جانب رأسها وعين في مؤخرة جسمها!!.. وهذه التجارب وإن كان من العسير جدا إجراؤها على الثدييات (وبالتالي من المستحيل إجراؤها على الإنسان) إلا أنها أخذت بأيدينا إلى حيث الإجابة على ذلك السؤال الأزلي وهو: كيف تنشأ من الخلية الواحدة عشرات الأنواع المختلفة من الخلايا في مرحلة جنينية معينة... ثم تفقد خاصية التمايز هذه بعد اكتمال التكوين الجنيني لتحل محلها خاصية التجديد والتعويض بعد ما يكتمل نمو الفرد؟!

***

● إن توصلنا إلى تفسير هذه الظاهرة يُجَسِّد أمامنا قدرة الخالق البارىء الذي يصورنا في الأرحام كيف يشاء.. كما أن توصلنا إلى معرفة وحدة بناء الكون من الذرة إلى المجرة قد جسد وحدة الخالق، إضافة إلى قدرته التي تتجلى في هذا التنوع اللانهائي بين المخلوقات في عالم الجمادات وعالم الأحياء، كل ميسر لما خلق له.. فتبارك الله أحسن الخالقين؟

---

(٢) ثبت ذلك بترقيم النظائر المشعة ومتابعة مساراتها بالمجاهر المكبرة.

اللغة السرية للأفيال

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

بمساعدة الصندوق التابع للهيئة العالمية للحياة البرية قام العلماء فى إحدى الجامعات الأمريكية باكتشاف مؤداه أن الأفيال تحدث أصواتاً ذات ذبذبات شديدة الانخفاض لدرجة لا يستطيع معها الإنسان الاستماع إليها، وأكدوا أن الحيوانات ينادى بعضها بعضاً وأن الأفيال. على وجه الخصوص وهى أولى الحيوانات الثديية التى تم اكتشافها على سطح الأرض تتواصل فيما بينها بهذه الموجات تحت الصوتية. وقد تبين هذا عندما شاهد بعض العلماء الأفيال الأسيوية فى حدائق الحيوان بالعاصمة الأمريكية.

فلقد أحست -الأستاذة التى كان من نصيبها المبادرة بهذا الاكتشاف- بنبضات تسرى فى الهواء المحيط بها وهى تشبه الاهتزازات الناشئة عن الرعد أو تلك الصادرة عن أحد النغمات المعروفة على آلة الأورغون الموسيقية، وكان كل من هذه النبضات تتراوح مدته من عشرة إلى خمس عشرة ثانية فى المرة الواحدة، وقد تأكد العلماء أن هذه النبضات صادرة عن الفيلة، وذلك باستخدام أجهزة تسجيل خاصة وبطت بين تلك النبضات ذات الترددات المنخفضة وبين اهتزازات وارتعاشات رأوها تحدث على الجبهات العريضة للأفيال، وبينما لم تثبت هذه العملية أن تلك النداءات تحت الصوتية آتية من رؤوس الفيلة، إلا أنها أكدت أن ذلك الحيوان هو الذى يحدث هذه الأصوات منخفضة الذبذبات، والعلماء منذ وقت طويل على دراية أن الفيلة تستخدم أصواتاً مسموعة كما تستخدم حواس أخرى مثل: الشم واللمس وذلك فى تنظيم سلوكيات مجتمعاتها شديدة التعقيد وهو ما سيحل كثيراً من الأسرار والغموض الذى يحيط حياتها.

ولقد سادت الحيرة مراقبى الأفيال لسنوات عندما وجدوا أن لتلك الحيوانات القدرة على لقاء بعضها حتى ولو كانت تفصل بينها مسافات بعيدة، وحيث أن الأصوات ذات الترددات المنخفضة تسرى مسافات أطول من

الأصوات ذات الترددات العالية، فإن الأفيال يمكن أن تستخدم تلك الترددات تحت الصوتية لتظل على تواصل فيما بينها؛ وبعد ذلك الاكتشاف عملت الأستاذة الجامعية المشار إليها سابقاً مع أحد الباحثين ذي الباع الطويل في دراسة الأفيال بحدائق الحيوان «بكينيا»، فاكتشفوا أن الأفيال الأفريقية البرية تتبادل فيما بينها ذلك الاتصال المكثف الذي يتخذ شكل نداءات تحت صوتية بدأ العلماء في فك شفرتها والتعرف على معانيها، وللأفيال علاقات اجتماعية مبنية بناءً هرمياً عالياً، كما أنه شديد التشابك وتفصيل ذلك أن الأسرة في عالم الأفيال تتكون من ربة الأسرة وهي أنثى شديدة الهيمنة على الرغم من أنها طاعنة في السن يليها أخواتها من الإناث وبناتها وحفيداتهن، والإناث في مثل تلك القطعان تظل معاً طيلة حياتها تتقاسم الغذاء ورعاية الصغار.. والغريب أن الرضع من الأفيال هي التي تملى على المجموعة كل ما تقوم به من نشاطات حتى في حالة حركة القطيع، بمعنى آخر إذا أراد فيل رضيع أن ينام قليلاً (كما يقيل الإنسان) فإن العائلة بكاملها تتوقف وتنتظر حتى يستيقظ الرضيع.

أما البالغون من ذكور الأفيال فإنهم غالباً ما يكونون على بعد أميال من الإناث، لكن هناك علامات تؤكد أن حركات كل من الذكور والإناث متسقة، فعندما يحين وقت المعاشرة فإن للذكور القدرة الماكرة والمهارات الباهرة التي لا يباريهم فيها غيرهم، وذلك في تحديد موقع الإناث في سرعة خاطفة، حتى ولو كانت تلك الإناث على بعد عدة أميال.

.. وبعد.. فإن كلاً من الأفيال الأفريقية والآسيوية مهددة بالانقراض وتوجد الأنواع المعرضة لخطر الانقراض في مناطق منعزلة في كل من الهند، وتايلاند، وبورما، وماليزيا، وسيريلانكا، وعلى الرغم من أن الأفيال الأفريقية أكثر عدداً من الآسيوية إلا أن أعدادها في تناقص مطرد في كثير من أجزاء أفريقيا، وذلك بسبب عمليات صيد الفيلة للحصول على ما بها من العاج القيم، هذا وقد أدلت إحدى الباحثات بتصريح لمجلة فوكس (FOCUS) الناطقة باسم الهيئة العالمية للحياة البرية جاء فيه: إن هدفنا النهائي هو زيادة فرص الأفيال في البقاء، ونحن نرغب من جهة في الحصول على المعلومات التي تمكننا من معرفة المسافات التي تتواصل الأفيال عبرها حتى نتمكن من اتخاذ التوصيات المناسبة والتي تتلاءم وطبيعة وحجم المناطق التي ينبغي حمايتها إذا أريد للأفيال البقاء على قيد الحياة، ومن جهة أخرى فإن كل مجهودات الحفاظ على الأفيال تعتمد على احترام البشر لما خلق الله وأوجد في الطبيعة.

ووجود التواصل عن طريق الموجات تحت الصوتية في دنيا الأفيال يقدم لنا مثلاً عميقاً على ثراء وغنى حياة حيوانات أخرى، مما يؤكد قدرة البارى الذى خلق فسوى؛ وقدر فهدى.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

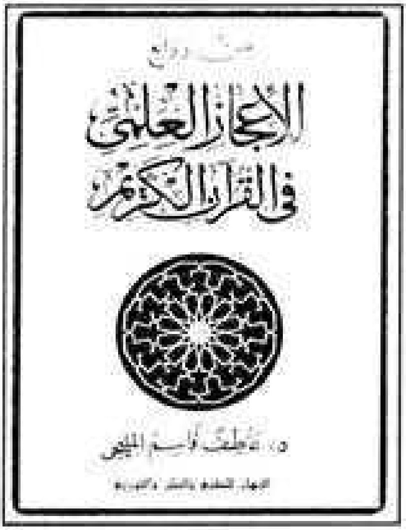
الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم

تأليف
د. عاطف قاسم المليجى

الناشر
النهار للطبع والنشر والتوزيع

● ارتاب الكثيرون فى الإعجاز العلمى للقرآن الكريم، ومازال المستشرقون فى انبهار وحيرة من أمرهم، إن كل ما توصلوا إليه من علم فى شتى مجالات الحياة يجدون أن القرآن يعبر عنه منذ أزمان بعيدة.

فالقرآن مازال ولايزال هو المعجزة لأنه كلام الله المنزل على البشرية؛ لتضيء لهم طريق الحياة فهو المنزل بلسان عربى للبشر جميعا ومنهم العربى والأعجمى.



وكما اشتمل على كمالات الإعجاز البياني والبلاغي، الذي أبهر وأعجز فصحاء العرب وهم أرباب البلاغة فأسرهم بيانه المعجز، وأسلموا لمنزلته مذعنين لمحكم آياته الباهرات، فكذلك كان لابد من إعجاز يشترك في إدراكه العربي والأعجمي بتقرير حقائق كونية معلومة وحقائق كونية لم تعلم بعد، تدل من يدركها أن تلك الآيات المبينة لحقائق الوجود من عند الله خالق الكون إذ تعرض القرآن في آيات كثيرة منه إلى مسائل هي من صميم العلم، وذكر جانبا من الحقائق العلمية وقضايا عامة ودخل في تفاصيل بعض الحقائق الأخرى فدل ذلك على تطابق آياته مع الحقائق الكونية.

● هذا الكتاب يهدف إلى تبيان المعجزة القرآنية بصورة منهجية مبسطة على ضوء الثوابت العلمية التي اكتشفت مؤخرا وجعلها في متناول الجميع وخصوصا الشباب، ليدرك عظمة الخالق، وطلاقة قدرته وكمال إبداعه وليقوم إيمانه بكتاب الله على معرفة به وفهم له وإحساس صادق بما تحمله كلماته وآياته.

● في باب التمهيد طرح المؤلف العلم معرفاً إياه في القرآن بأنه الحق اليقيني الثابت بالحجة القاطعة، وبذلك لا يقبل الإنسان شيئاً على أنه حق إلا إذا كان عليه الدليل والبرهان.

● والقرآن يوصي بتحكيم العقل ويبني العلم على المنطق القياسي ويؤكد ضرورة المشاهدة الصحيحة كإحدى وسائل البحث في العلوم الطبيعية ولا يقف العلم عند حد معين.

● أيضا قضية التماثل والانتظام والتشابه في الكون تدل على وحدانية الله.

● ثم تأكيد استخدام المنهج الاستقرائي في النظرة العلمية، والبحث عن كيفية تركيب الأشياء في هذا الكون وأيضا عدم التوقف في البحث عند محصولات الخيال لأنه لابد أن يأتي اليوم الذي يظهر فيه اليقين ثم نسبية المعرفة العلمية.

● أما الدراسات التي تناولت الإعجاز العلمي للقرآن منذ القرن الخامس الهجري بداية من محمد بن يحيى المعروف بابن سراقة سنة ٤١٠هـ، وأبي حامد الغزالي، والقاضي عياض، والألوسي سنة ١٢١٧هـ، والاسكندراني، والعطار الكواكبي، وجاويش، حتى وصل إلى الشيخ محمد الغزالي، وعبد الرزاق نوفل، والدكتور محمد الذهبي ود. أحمد الغمراوي ود. محمد أبو شهبة ود. عبد الله شحاتة وأحمد شوقي إبراهيم وكثير ممن كتبوا في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

● ومن روائع الإعجاز العلمى فى القرآن ذكر المؤلف لمحات باهرة فى القرآن عن نشأة الكون وتوسعه ونهايته فتحدث عنهما بوضوح جلى وأسلوب سهل بسيط معرفاً النشأة.

● ثم بين النظرية النسبية لأينشتين التى استخدمها العالم «فريدمان» سنة ١٩٢٢ ليثبت أن الكون ديناميكى ذو حجم متغير ثم أشار إلى نهاية الكون بأنه مهما اتسع وكثرت محتوياته وثقل وزنه فهو لن يكبر أو يستعصى على خالقه بل سيطويه فى سهولة ويسر ويشبه لنا الكون بالصحائف المستوية، أيضا يربط أذهاننا بعملية انكماش الكون وانهياره.

● وتناول أيضا الزوجية فى الخلق وهى حقيقة قرآنية ظهر إعجازها وشمولها بعد اكتشاف المادة المضادة.

● ومن عجائب علم الفلك، ذكر المؤلف الدخانية التى كانت عليها السماء عندما تم خلق الأرض.

● وتحدث أيضا عن ظلمة الفضاء الكونى وهذه المعجزة التى لم تعرف إلا فى منتصف القرن العشرين.

● وأشار أيضا إلى انحناء مسارات الفضاء وقد أشار إليها القرآن بكلمة واحدة هى الفعل «يعرج» قبل اكتشافها بثلاثة عشر قرناً، والجاذبية وأثرها فى بناء السماء والتى أشار إليها القرآن - أيضا - قبل اكتشافها بألف عام.

● وتعدد الشموس والأقمار فى السماء التى أشار إليها القرآن بأسلوب معجز - وأيضا - إعجاز القرآن فى التمييز بين الضياء والنور والكواكب والنجوم.

● تعرض المؤلف - أيضا - إلى حقيقة ومعجزة كروية الأرض ودورانها حول نفسها التى اجتمعت فى آية قرآنية واحدة ثم حقيقة إعجاز القرآن فى الرمز لغلاف الأرض الجوى بالسقف المحفوظ والسقف المرفوع.

● أشار - أيضا - إلى حقائق علمية عن الجبال والتى دلت عليها ثلاث كلمات فى آية قرآنية واحدة.

● وتحدث المؤلف - أيضا - عن التمثيل الخضرى فى الحياة، ثم وصف مراحل الخلق البشرى فى القرآن بما أثار دهشة علماء الأجنة فى الغرب.

● وبين دور الناصية فى توجه السلوك الإنسانى، الذى لم يكتشفه العلم إلا فى النصف الثانى من هذا القرن، وسر تقديم السمع على البصر عند ذكرهما معا فى الآيات رؤية جديدة لعلم الأجنة الحديث.

● طرح أيضا الحقائق العجيبة عن جلد الإنسان فى القرآن التى مازال العلم عاجزاً عن كشف أسرارها حتى الطيور والدابة كأمم أمثالنا حقيقة لم يعملها علماء السلوك الحيوانى إلا من نصف قرن فقط ثم الحقائق العلمية الكامنة فى أيتى النحل التى لم تعرفها البشرية إلا بعد قرون من التنزيل، ثم إنباء القرآن عن ارتياد الفضاء وهى معجزة قرآنية لم تتحقق إلا فى الثلث الأخير من القرن العشرين، حتى انتهى بنا المؤلف إلى إشارة القرآن إلى انكماش الزمن ونسبية الشعور به قبل النسبية الخاصة لأينشتاين بثلاثة عشر قرناً.

● بهذا ظهر الإعجاز العلمى للقرآن وسيظل ظاهرا حتى قيام الساعة إثباتاً لصدق رسالة سيدنا محمد - ﷺ - ودعوته لدين الإسلام بلغة العصر.

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾(١).

● منذ قرون طويلة والقرآن الكريم يتحدى العلم والعلماء، وتفاسيره في ازدياد دائم، ومازال المفسرون يلقون خواطرهم حول القرآن الكريم، بما فيه من بلاغة تحدى بها الله كل مخلوق تنكرله، فكان يصعب على بعض الموحدين بالله وجلاله فهم بعض مدلولات، وكلمات هذا القرآن العظيم.

● لذا تجد هناك العديد من التفاسير والخواطر التى مازالت وستزال هى البحر الذى لا ينقطع عنه الماء ولا ينقص منه شيئا.

● لكن فى هذا الكتاب يطرح المؤلف أسراراً جديدة، وأنواراً كثيرة، ويبين لنا لماذا كانت الحمد لله الأولى فى الدنيا وفى الآخرة.

● ثم يتناول سر الحروف المتقطعة، ثم بين لنا كل العجب والأعاجيب فى القرآن الكريم من الناحية اللغوية.

● ومن أسماء الفاتحة أم الكتاب، الحمد، السبع المثانى، الوافية، الكافية ـ الأساس الشفاء الصلاة الشكر الدعاء.

● ويطرح المؤلف ـ أيضا ـ مفهوماً جديداً لسورتى الفلق والناس.

● ويبين الكتاب أيضا سر: قل أعوذ برب الفلق، ولماذا اختار الله هذا الإسم بالذات؟

● ثم قام بالتفسير بداية من الحروف، ثم الكلمات ثم الجمل.

وما معنى الحمد لله وهو شكر على ماكان فى أى زمان ومكان، وشكر على ما هو كائن بيننا



وشكر على ما سيكون فى علمه المكنون أنه رب ستار ودود جماله فاق الحدود ونبيه محمد محمود الذى بحبه عرفنا الوجود.

● ثم عرض فى شكل قصصى حكاية الحمد، وجعلها تتحدث عن نفسها.

● ويبين فى سورة الفلق كيف تكون الحماية العامة من شر كل ما خلق الله ثم بعد ذلك تأتى الحماية الخاصة من بعض الشرور الخاصة المؤثرة على جسم الإنسان.

● وأشار إلى الرقية بالنسبة للذى يصاب بالعين.

● ثم تحدث عن انتشار الإسلام بالعفو، وما فعله العفو أفضل مما فعله السيف.

● ثم علق على الإسراء والمعراج، وكان هذا آخر ما تحدث عنه معد هذا الكتاب.. وقد جمع فيه أسراراً جديدة، وحكما وقصصا كثيرة فى سهولة ويسر ليفهمها القارئ المسلم.

---

(١) سورة الكهف: (١٠٩).

● في هذه الأيام تعددت المشاكل، وضاق الناس بعضهم ببعض، وتغلبت مصاعب الحياة النفسية والاقتصادية والاجتماعية على الإنسان حتى أصبح بؤرة من هم جارف ومرض مزمن، ومجتمع امتلأ بالسلوك المنحرف، وكثرة الجريمة والفساد في الأرض.

كل هذا لبعد الناس عن الدين وعدم تمسكهم بالإيمان الصحيح والحياة الأسرية القويمة واليوم نطرح كتيبا خاصا بهذا الموضوع وهو خلاصة أبحاث ودراسات قام بدراستها وتقنيتها هذا المؤلف مع تجارب حياتية واجتماعية عايشها بدراسته وأبحاثه حتى وصل إلى إعداد هذا الكتيب لعله ينفع شباب وفتيات المسلمين.

في المقدمة تناول المؤلف مشكلتين جعلتاه يقوم بهذا العمل ويهتز كيانه لإخراجه للانتفاع به.

● ثم أشار إلى كلمة مشكلة بأنها التباس واستشكال، والشواكل الطرق المتشعبة.

● وعرف الأزمة في اللغة بأنها الشدة والقحط والمأزق والضيق.

● والمشكلة هي عبارة عن وضع صعب يكتنفه شيء من التعقيد والغموض، وليس له حل واضح بسيط.

● وعلق على الحياة قائلا: الحياة في معناها الواسع، وعمقها الغائر الشاسع، وامتدادها الفسيح في شتى النواحي والاتجاهات، وعلى مستوى الأفراد والجماعات، وتداخل الأمم والمجتمعات، هي ذلك البحر اللجي المتلاطم، الممتد عبر العصور والأزمان، لا يحدها عمر فرد أو جماعة ولا يحيط بها كيان مجتمع أو أمة، ولا يتحكم في حركتها بضع أفراد أو جماعات مهما كانت قدراتها ومواهبهم وعلومهم



ومعارفهم، ولا يمكن حصرها في نطاق محدود، أو عمر معدود، أو واقع مشهود، فهي امتداد الإنسانية من أقصاها إلى أقصاها ومن أعلاها إلى أدناها.

● لذلك كانت حركات الأفراد تؤثر في بعضها البعض، وتعتمد على بعضها البعض، كل يؤدي دوره فيها، وفي خدمة الآخرين بها.

● والبشر غير متساويين في الاستعدادات والملكات كما أنهم غير متكافئين في القدرات، والإمكانات، علاوة على أنهم غير متطابقين في البيئات والأحوال والظروف، والعقائد والمجتمعات.

● كانت البداية مع أسباب المشاكل، وعلق على مجموعتين أساسيتين من الحاجات البشرية، التي يحتاجها الإنسان في حياته وهي الحاجات المادية وأشار إليها بأعنف عناصرها وأشرس دواعيها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ ﴾(١) وكيف لا؟ والحكمة

(١) سورة قريش: الآية رقم ٤.

تقول: إذا أردت أن تحدث الجائع فلا تحدثه إلا عن رغيف الخبز.

ثم أشار إلى الحاجات النفسية وأبرز عناصرها وأعظم دواعيها وأقوى رموزها وغاياتها وهى الأمن من الخوف فى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾(٢).

● لذا كانت عناية الإسلام بالنفس التى قسمها القرآن الكريم ثلاثة أنواع هى:

النفس المطمئنة ـ النفس اللوامة ـ النفس الأمارة، وهذا التقسيم الذى قسمه خالق البشر لتلك النفس البشرية.

● تحدث ـ أيضا ـ عن أنواع المشاكل وقد صنف العلماء المشاكل تصنيفات كثيرة حسب درجة بروز المشكلة أو ظهورها وهى مشكلات ظاهرة ومشكلات خفية، ومشكلات كامنة.

الظاهرة وقد شبهها أحد العلماء بالجزيرة البارزة عن سطح الماء، حيث يستطيع جميع الأحياء رؤيتها وإدراكها وتحديد معالمها وأبعادها.

الخفية وهى المحجوبة وهى التى ليس لها معالم واضحة وهى كجبل الجليد تحت الماء الذى لا يظهر منه إلا الجزء الطافى فوق سطح الماء.

● أما المشكلات الكامنة وهى ليست ظاهرة أمام المشاهد كالبركان.

● وهناك تقسيم حسب النواحى الحياتية، كالمشاكل الاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية، والسياسية، والصحية، والعلمية.

● أيضا تناول المؤلف فى إيجاز: العوامل التى تساعد على حل المشكلة كالإيمان بالله، والرضا ومواجهة المشكلة، كالتطلع إلى الأمام وعدم التباكى على ما فات ثم التكيف ودراسة أبعاد المشكلة وأوضح أن المشكلة تمر بثلاث مراحل رئيسية.

مرحلة التمهيد، ومرحلة التصاعد، ومرحلة الانتهاء، ثم معالجة المشكلة ومسبباتها كتجنب العنف والصبر والتأنى فى الحل.

● وقد تحدث للإنسان ضغوط داخلية نفسية وهى الضغوط النابعة من الداخل والمرتبطة بالجوانب الذاتية الأربعة للشخص صاحب المشكلة، وهى العقلية، والنفسية، والجسمية، والاجتماعية.

● والصنف الثانى كضغوط خارجية وهى الناتجة عن البيئة المحيطة بالشخص، وهى بيئته الداخلية، كالأسرة والبيئة الخارجية، وهى كل ما يقع خارج نطاق الأسرة والبيت ويحيط بالشخص صاحب المشكلة.

● أيضا البعد عن الغرور والكبرياء عند البحث، عن حل مناسب، ثم البعد عن سوء التقدير والإفراط فى الثقة بالنفس ،وأيضا التماس المشورة والنصح وعدم التعصب لرأى أو هوى عند اختيار الحل، وعدم التحايل على حلها وقتيا أو تأجيلها.

● ثم طرح عدة موضوعات كالصلاة وحل المشاكل، والأحلام وحل المشاكل، وهى من الأشياء الجميلة الممتعة التى تشغل بال الناس فى يقظتهم كما تملأ عليهم ساعات نومهم وهجوعهم.

● وأخيرا طرح المؤلف بابا مريحا وهو: متى يأتى الحل، حيث هذان البيتان من الشعر.

دع الأيام تفعل ما تشاء
وطب نفسا بما حكم القضاء
ولا تجزع لأحداث الليالى
فما لحوادث الدنيا بقاء

---

(٢) سورة قريش: الآية رقم ٤.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

يحمل بريد «المجلة والقارئ» العديد من الرسائل التي تتناول موضوعات هي من صميم أهداف المجلة، وتقدمها المجلة بأقلام المختصين، وتفسح لها ما يناسبها من المساحة، ولهذا فإن تناول القراء لمثل هذه الموضوعات التي يطرقها كتاب المجلة، لا يضيف جديدا ولكنا نود أن يقدم لنا كتاب هذا الباب أطرف ما تقع عليه عيونهم وثمرة قراءاتهم في شتى فروع العلم والمعرفة، حتى نقدم للقارئ في صفحات قلائل طاقة من الورود يهفو إلى وتنسم عبيرها كل من يراها.

وعلى الله قصد السبيل

تأملات حول كلمة الإخلاص وعقيدة التوحيد

القارئ / أحمد رشاد حسانين - موجه لغة عربية / بور سعيد:

أرسل تعقيبا على كلمة «الإخلاص» للقارئ السيد مرسي مرعي والتي نشرت في عدد جمادى الأولى ١٤٢١هـ.

يقول: «... أثناء رحلة النفع والفائدة والمتعة الفكرية التي طوفت فيها مع أبواب مجلتنا «الأزهر» في عددها الصادر في شهر جمادى الأولى أغسطس ٢٠٠٠م قرأت كلمة لأحد قراء المجلة بعنوان: «كلمة الإخلاص» ومع تداعيات الحقائق العظيمة والمعاني السامية، وروعة هذي هذه الكلمة وردت عى قلبي وخاطري هذه التأملات ...»

ثم يقول في تأملاته:

إن التوحيد – بقناعاته العقلية، وقوة منطقه وبخاصة في منظوره الإسلامي – يتعدى كونه أساسا لدين ومنهج حياة، وإنما يفرض نفسه كحقيقة كونية كبرى تنتظم كل الوجود، فالله – سبحانه – واحد إذن ولا يكون غير هذا، وإلا ساد الفساد والفوضى بتعدد الآلهة

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[1].

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[2].

ولعلنا نحس حسن التكوين في كل خلق الله – تعالى – في قوله سبحانه:

﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ﴾[3]

قال العلماء في تفسير معنى هذه الآية: (المراد الاختلاف وعدم التناسب، وفسره السُّدِّي بالعيب، وإليه يرجع قول من قال: (أي: من تفاوت يورث نقصا)[4].

ومن هنا تظهر القوانين في هذا الكون متسقة، فلا يقع بين أجزائه تصادم أو اختلال

لذلك فإن منظومة الكون تكاد تنطق وتهتف لخالقها الواحد الأحد بقول: لا إله إلا الله.

هذا من جانب.. وعلى مدار تاريخ الوجود الإنساني على الأرض كانت كلمة التوحيد دائما تتنزل من رب العزة على من اصطفى من رسله وأنبيائه نزول حتمية وضرورة – لتصحيح المسار الإنساني وتوجيهه الوجهة السليمة حين يظهر «الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس»

– هذا الفساد والاختلال الذي كان يتمثل في سيادة «الظلم والظلمات» وأهمها ظلم الإنسان لنفسه بالإلحاد أو الشرك أو الكفر، وظلم الإنسان لوجوده الطبيعي والإنساني على الأرض بغرور القوة وسطوة القمع ودوافع الجشع ثم سريان هذا الظلم إلى كل شيء.. ومن الطبيعي والمنطقي جداً أن يأتي التصحيح والتوجيه من قبل السماء.. ونقطة البداية لتصحيح المسار وسلامة التوجه – تكون بإيقاظ وإثارة «حقيقة التوحيد» الكامنة في أعماق الفطرة الإنسانية، بل في كل مظاهر الوجود

﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[5].

ويتتابع بعد ذلك الخير ويتوالى النور والصلاح يحدث ذلك عن طريق «منهج السماء» وهو الوحي – عبر الوسائط من البشر أنفسهم «الرسل والأنبياء» وإن حاجة الإنسان والوجود إلى الوحي لم تكن في يوم من الأيام بأقل أهمية من حاجته للهواء والماء والضوء والحرارة وهي ضرورات لاستمرار وجوده وحياته على الأرض والعجيب أن هذه الضرورات تأتيه من الله الخالق – سبحانه – وليس للإنسان دخل فيها وكذلك أمر الوحي والمعرفة المستنيرة الخالصة أتته – أيضا – من الله بكلمة التوحيد التي جاء بها كل الرسل والأنبياء قال – تعالى –:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[6].

صدق الله العظيم

---

(١) الأنبياء (٢٢). (٢) المؤمنون (٩١). (٣) تبارك (٣).

(٤) راجع التفسير الوسيط: مجمع البحوث الإسلامية ط الأولى المجلد ٣، ص ١٥٠٤.

(٥) الإسراء (٤٤). (٦) الأنبياء (٢٥).

تسبيح لله

ومن القارىء / إبراهيم البدرى - الأسكندرية:
وردت هذه الكلمة عن التسبيح يقول فيها:
يقول الله - تبارك وتعالى - :
﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾[1].

والتسبيح معناه. تنزيه الحق عما لا يليق به - سبحانه وتعالى - من صفات النقائص والقبائح.

إن جميع الكائنات تسبح لله الواحد القهار وما من شىء فى هذا الوجود إلا ناطق بعظمة الله وشاهد بوحدانيته جل وعلا.

السماوات تسبح لله فى زرقتها، والحقول فى خضرتها، والبساتين فى نضرتها، والأشجار فى حفيفها، والمياه فى خريرها، والطيور فى تغريدها، والشمس فى شروقها وغروبها، والسحب فى إمطارها، والكل شاهد بالوحدانية لله.

وفى كل شىء له آية
تدلُّ على أنه الواحد

فلو أمعن الإنسان النظر فى كل شىء من حوله لوجد أن لكل شىء لسان حال يسبح لله فى كل الأحوال ولكن لا تفقهون تسبيح هذه الأشياء لأنها ليست بلغاتكم، فأكثروا من التفكير فى خلق الله، ودققوا النظر فيه وأكثروا من الاطلاع على العلوم الكونية. تجدوا أن قدرة الله - تعالى - فيها، فللكون السنةٌ ناطقة عليها براهين صادقة تقر وتشهد أن لا إله إلا الله. فياله من مشهد كونى فريد حين يتصور القلب كل حصاة وكل حجر، وكل حبة، وكل ورقة، كل زهرة وكل ثمرة، كل نبتة وكل شجرة؛ كل حشرة وكل زاحفة، كل حيوان وكل إنسان، كل دابة على الأرض، كل سابحة فى الماء والهواء ومعها سكان السماء، كلها تسبح (لله) وتتوجه إليه فى علاه، وحين تشف الروح وتصفو تدرك من أسرار هذا الوجود مالا يدركه الغافلون.

الآفات الخمسة

ومن القارىء / محمد عباس غرابى:
وردت هذه الكلمة التى تحذر كل إنسان عاقل من الخوض فيما لا يعنيه، يقول فيها:

ينبغى للعاقل أن يختار العافية، فهى بالأغراض الدينية والدنيوية وافية، فقد روى عن بعض السلف أنه قال: إنى وجدت نفسى تحتمل مؤنة الصيام فى الحر الشديد بالبصرة، ولا تحتمل ترك كلمة لا تعنيها، وما ذلك إلا لميلها للهوى إلى ما يجلب الآفات. ومن أعظم ذلك الكلمة التى لا تعنيها فإنها مجمع خمس آفات:-

● **الأولى**:- قساوة القلب، فقد حُكى عن مالك بن دينار أنه قال: إذا رأيت قساوة فى قلبك،

---
(١) الإسراء/ ٤٤.

ووهنا فى بدنك، وحرمانا فى رزقك، فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعنيك.

● **الثانية**: - تبديد الوقت من غير ذكر الله، فقد قال شقيق البلخى: عمرك أمانة الله عندك أمنك عليها، فلا تخن أمانتك بمعاصيه، أما سمعت أن حسان بن أبى سنان مرّ على غرفة بُنيت فقال: منذ كم بُنيت هذه؟ ثم أقبل على نفسه، وقال يا نفس المغرورة تسألين عما لا يعنيك، وعاقبها بصوم سنة. قال الشاعر:

وإذا مـا هـمـمـتَ باللغـو فى البـا
طل فـاجـعـلْ مكانهُ تسـبـيـحـا
ولزومُ السكوتِ خـيـرٌ من النطـ
ـق وإن كُنتَ فى الكلامِ فـصـيـحـا

● **الثالثة**: - الوقوع فى الغيبة: التى هى الصاعقة المهلكة للطاعات، فقد قيل: إن مثل من يغتاب الناس مثل من نصب منجنيقا فهو يرمى به حسناته شرقا وغربا يمينا وشمالا.

● **الرابعة**: - إفساد الشأن: - فقد قال سفيان: لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك، وقال الآخر: لا تبسطن لسانك فيفسد عليك شأنك، وأنشدوا:-

جـراحـاتُ السنانِ لهـا التئـامُ
ولا يلتـامُ مـا جـرح اللسـانُ

● **الخامسة**: - إيذاء الكرام الكاتبين، بشغلهما بكتابة ما لا خير فيه ولا فائدة

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1].

فانتهز أخى المسلم فرصة العمر واعلم أن العمر وإن طال قصير

فتزود بصالح الأعمال، وإن خير الزاد التقوى.

لهؤلاء من الأوائل

القارىء الشيخ / خيرى محمد أبو الروس - كفر الشيخ:

يقدم أسماء بعض الرواد الذين كان لهم فضل السبق على غيرهم، فيقول:

- أول من أنار المساجد فى ليالى شهر رمضان هو سيدنا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ليتمكن الناس من إقامة صلاة التراويح فأحيا شعائر الدين الإسلامى الحنيف

ويروى أن الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه وكرم الله وجهه - عندما مرّ ذات ليلة من رمضان على المساجد فوجدها مضاءة ومزدانة من الداخل والخارج بالقناديل فقال: نوّر اللهُ على عمر بن الخطاب فى قبره كما نوّر علينا مساجدنا.

- وأول من وضع أسس علم النحو هو - أبو الأسود الدؤلى -

- وأول من وضع أسس علم التخدير هو - الشيخ الرئيس ابن سينا -

- وأول من وضع أسس علم الضوء هو - الحسن بن الهيثم -

- وأول من وضع علم الكيمياء هو - جابر بن حيان -

- وأول من وضع علم الجبر هو - الخوارزمى -

عزيزى القارىء: هل تفكر فى أن تكون أحد الذين أضاءوا للناس الطريق وقدموا للبشرية الخير؟ فتكون أول من......؟

---

(1) ق/ 18.

من إبداعات القراء:

وَصيَّةُ الأقصَى

ذكرتُ المسجدَ الأقصى — فأبكاني بما وصّى!
وقال: أما رأيتم لي — بأيّ كتابكم نصّا؟!
لماذا تُغْمضوا عني — وما قاومتمُ اللصّا؟!
تُرى يا قوم هل أصبحـ — ـتُ في وجدانكم رخْصا؟!
نسيتُم أنني مسْرى — لأحمدَ خيرِ من أوصى؟!
أنا مسْرى النبيّ أغو — صُ في بحر الدُّجى غوْصا!
وإنّي ما وجدت لكم — على مسْرى الهدى حرْصا
يهودٌ.. خرّبوا صحْني — وقصّوا أرضنا قصّا!
وأنتم ما وجدت لكم — ولا في مالكم نقْصا!
حَبانا ربنا فضلاً — عظيماً منه لا يُحْصى!
أطعْتم هذه الدنيا — وكان الحقُّ أن تُعْصى!
رضعتُم صدْرَ دنياكم — مصصْتُم لهْوَها مصّا!
زرعتُم يومها نوْما — حصدتُم ليلها رقْصا!
تُرى.. هل لستُ مسجدكم — وهل غيري لكم أقْصى؟!
أفيقوا.. إن هذا الخلْق — بالأحزان قد غُصّا!
وهيا طلّقوا الدنيا — ورُصّوا صفّكم رصّا!
أميطوا أهل صهيون — ولا تبقوا لهم شخصا!
وهبّوا.. أيها الأنصارُ — حتى تخرجوا اللّصّا!
فإني.. ثالث الحرمين — ياقومي.. أنا الأقصى

شعر: نجاح عبدالقادر سرور

البحيرة / كوم حمادة كفر بولين

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ١٤ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ١٢ / ٩ / ٢٠٠٠م وفداً من علماء الدعوة والأئمة من وزارة الأوقاف بجمهورية اليمن المشاركين فى الزيارة العلمية للمركز الديموجرافى بالقاهرة فى إطار التعرف على الأنشطة والخبرات للهيئات الدينية فى المجالات المتصلة بقضايا التنمية ومجالات العلاقات بقضايا السكان والتنمية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالوفد وعلى رأسه الشيخ حسن عبدالله الشيخ وكيل الوزارة المساعد لقطاع الإرشاد بوزارة الأوقاف اليمنية حيث أعرب أن لليمن حضارة عظيمة لا ينكرها أحد، وأن مستجدات العصر وتطوراته لا تتعارض مع رؤيا ديننا وحضارتنا، والعقلاء يتفقون على أن الصدق والعدل من الفضائل وأن الكذب والظلم من الرذائل، وأن جميع الرسل جاءوا برسالة واحدة فى جوهرها وتقوم على أمرين: إخلاص العبادة لله الواحد القهار والتحلى بمكارم الأخلاق، وإن وجد خلاف فهو فى الفروع وليس فى الأصول.

وفى سؤال عن: السكان، وتنظيم النسل وصحة الأم والطفل وتنظيم فترات الحمل قال فضيلته: إن الحفاظ على صحة الأم والطفل والأسرة عموما هى محل رعاية الإسلام، ولكل أسرة ولكل دولة ظروفها طبقاً لإمكانياتها ومواردها التى تعتمد عليها، والمسائل تفسر طبقاً للمقتضيات الملحة والفهم الصحيح للأمور، وأوضح فضيلته أن تنظيم الأسرة لا شىء فيه من الناحية الشرعية بمعنى أن يتخذ الزوجان ما يناسبهما من وسائل لتنظيم الأسرة باتفاقهما وباستشارة الطبيب والمسألة واضحة لأصحاب العقول، كما أن الإسلام يعبر عن الواقع ولا يوجد صدام بين نص شرعى وآخر.

شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على حسن اللقاء والحفاوة وعلى استماعهم لهذه المعلومات القيمة التى رغبوا فى سماعها من فضيلته ومن أجل ذلك طلبوا الزيارة، وقد أهداهم فضيلة الإمام الأكبر مؤلفاته عن موضوع تنظيم الأسرة.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل وزيرة الثقافة السويدية

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمبنى مشيخة الأزهر بحديقة الخالدين بالدراسة يوم ٢٩ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٠م السيدة/ اوليريكا ميسنج وزيرة الثقافة السويدية والسيد سفير السويد بالقاهرة والوفد المرافق لهما، رحب فضيلته بالسادة الضيوف معربا لهم بأن مصر وأزهرها الشريف تكن لدولة السويد كل تقدير ومحبة، لما عرف عنها من حبها للسلام وللأمان وللحرية ومشهود لها بالتقدم فى مجالات العلوم والتكنولوجيا والاقتصاد وكل ذلك لخدمة الإنسانية، كما أنها تفتح أبوابها للزائرين ليستفيدوا ويسعدوا وتعلم أن هناك مصريين يذهبون للسويد ويقيمون بها، ومصر تربطها علاقة قوية صادقة بدولة السويد، تقوم على تبادل المنافع العلمية والصناعية، والتجارية، كما أن دولة السويد تقدم جائزة نوبل فى العلوم المختلفة خدمة للثقافة وقد حصل عليها الكاتب المصرى نجيب محفوظ. كما حصل عليها الدكتور أحمد زويل، وشكر فضيلته دولة السويد على ذلك.

وأشار فضيلته إلى أننا الآن فى عصر أصبح العالم فيه كقرية صغيرة ونحن نسعد لتبادل المعلومات والمنافع، كما أوضح أن الأزهر الذى عمره الآن أكثر من ألف عام ينشر العلوم والثقافات المختلفة، كما ينشر الفضائل والسلام والأمان بين أفراد المجتمع الإنسانى كله، وذلك لما تمتاز به الدراسة فيه من اعتدال ومسامحة واحترام للعقائد التى تدعو إلى إخلاص العبادة لله - عز وجل - ونشر الفضائل بين الناس.

شكرت الوزيرة فضيلته على حُسن الاستقبال والحفاوة بها وبالوفد المرافق وعلى ما وصف به فضيلته دولة السويد من صفات رفيعة طيبة، معربة بأن دولة السويد يعيش بها جنسيات كثيرة مختلفة وأن كثر من ٣٨٥ ألفا من أصل إسلامى يعيشون فى حرية تامة إلى جانب ١٥٠ جنسية أخرى متعددة الثقافات.

وأشارت إلى أنها حضرت لزيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر للاستفادة وتقريب العلاقة بين هذه الجنسيات وأضافت أنها ستنقل كلمات فضيلة شيخ الأزهر للمسلمين فى السويد.

وقد وجه فضيلته كلمة للمسلمين فى السويد بأن ينشروا الخير ويتعاملوا بصدق وأمانة، والمصرى معروفا بطبيعته عندما يذهب لمكان يقصد الخير ويتعاون على كل ما يعود عليه وعلى من يعمل معهم وعلى الإنسانية بالخير، لأن شريعة الإسلام تأمره بذلك وتعتبر الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة، وعليهم أن يعملوا جميعا من أجل نشر الخير والفضائل والتعمير، لأن الله - عز وجل - أوجدنا فى هذه الحياة لكى نعمرها ولا ندمرها.

وكيل الأزهر يستقبل مدير عام جامعة حضرة نظام الدين أولياء

استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه في ٢٧ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ/٢٧/٨/٢٠٠٠ فضيلة الشيخ حافظ جاويد عالم، المدير العام لجامعة حضرة نظام الدين أولياء، وعضو المجمع الإسلامي بمباركفور والوفد المرافق له.

رحب فضيلته بالوفد معربا لهم بأن الأزهر الشريف يفتح قلبه وبابه لطلاب العلم للدراسة به شارحا لهم المراحل التعليمية التي يمر بها الطالب أو الطالبة حتى يتخرج في جامعة الأزهر الشريف وأشار إلى أن طلاب الهند يدرسون بالأزهر الشريف، وجامعته العريقة، وعددهم ثلاثون طالبا معظمهم على منح من الأزهر الشريف، وأكد فضيلته على أن الدراسة بالأزهر تقوم على الاعتدال والوسطية، والأزهر يدرس جميع المذاهب ولا يتحيز لمذهب بعينه، وقال: نحن نعتبر الأزهر الشريف كعبة العلم المسئول عن نشر الدعوة الإسلامية في كافة ربوع العالم، والأزهر لا يدخر وسعا في تقديم كافة الخدمات التي تطلب منه.

شكر الضيف والوفد المرافق له فضيلة وكيل الأزهر الشريف على حسن اللقاء والحفاوة وأبلغه تحيات وتقدير الشيخ راشد قدراني مؤسس جامعة نظام الدين أولياء، على ما يقدمه الأزهر الشريف من منح ومساعدات لأبناء الهند، وطلب زيادة المنح الدراسية للطلاب، وإمداد جامعة حضرة نظام الدين أولياء بالكتب والمناهج الدراسية لتكون مرجعا ومرشدا لأبناء المسلمين بالهند.

أهدى فضيلته المصحف المفسر طبع الأزهر الشريف للسادة الضيوف

ويستقبل وفد طلبة أندونيسيا

استقبل فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف بمكتبه في ٢٨ من جمادى الأولى ١٤٢١هـ - ٢٨/٨/٢٠٠٠م وفدا من الطلبة الأندونيسيين الدارسين بجامعة الأزهر الشريف برئاسة محمد شيرازي دمياطي.

رحب فضيلته بالوفد معربا لهم بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا من مساعدة أبناء المسلمين في أرجاء المعمورة وبخاصة دولة أندونيسيا، فوظيفة الأزهر هي تسهيل وتفسير وتوضيح ونشر العلوم الدينية والعربية وعلى رأسها القرآن الكريم، والأزهر يعتز بالرئيس عبدالرحمن وحيد رئيس دولة أندونيسيا لأنه من خريجي الأزهر الشريف بالإضافة إلى كثير من القيادات بأندونيسيا تخرجوا في الأزهر الشريف وحصلوا على الشهادات منه.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء والاستقبال، طالبين تمثيل طلاب أندونيسيا الذين يدرسون في الأزهر في اللقاءات والندوات التي يقيمها الأزهر، كذا إمدادهم ببعض الكتب الدينية، وكتب الدراسات العليا (الرسائل العلمية) وذلك لترجمتها إلى اللغة الأندونيسية لتكون في متناول أيدي المسلمين بأندونيسيا للاستفادة منها.

وقد لقيت الفكرة قبولا لدى فضيلة وكيل الأزهر موضحا أن اللقاءات دائما مفتوحة للطلاب وخاصة فى المواسم الثقافية التى يقيمها الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية وجامعة الأزهر الشريف، وبالنسبة لترجمة الكتب الدينية إلى الأندونيسية سيتم التنسيق مع القنوات الشرعية الممثلة لدولة أندونيسيا بالقاهرة.

وقال فضيلته: إن الأزهر الشريف يشكر حرصكم على التمسك بطلب ما يفيد أبناء شعب أندونيسيا فى تعلم أمور دينهم بلغتهم مشيدا بأنهم رسل الأزهر الشريف عند عودتهم لبلادهم.

وكيل الأزهر يستقبل سفير دولة تشاد

استقبل فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه سعادة السفير / أمين أبا صديق سفير تشاد بالقاهرة وسعادة السفير / حامد حامد على سفير مصر بدولة تشاد فى ١٥ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ١٣ / ٩ / ٢٠٠٠م رحب فضيلته بالضيفين الكريمين معرباً لهم عن أن الأزهر الشريف يفتح زراعية لتقوية الروابط بين البلدين والأزهر لا يدخر وسعاً فى تقديم المساعدات التى من شأنها أن تقوى العلاقات، لما للأزهر من دور تنويرى فى دولة تشاد الشقيقة وهناك بعثة أزهرية من علماء الأزهر الشريف يدرسون لأبناء دولة تشاد، كما أن فى مصر طلاب علم من دولة تشاد يدرسون بالأزهر الشريف وجامعته العريقة على منح من الأزهر. شكر الضيفان حسن الاستقبال وأشاد السيد سفير مصر بدولة تشاد بدور البعثة الأزهرية والدور الهام الفعال لإعادة الثقافة والهوية الإسلامية لشعب تشاد، والتى هى أساس العلاقات وجوهرها، وطلب السيد السفير زيادة عدد المنح الدراسية بالأزهر والتوسع فى الدراسات الخاصة لتعليم اللغة العربية.

وفى نهاية اللقاء قدم السيد السفير دعوة لفضيلة وكيل الأزهر الشريف لزيارة دولة تشاد، لتدعيم الروابط، شكر فضيلته الدعوة ووعد بتلبيتها، كما وعد بتلبية طلبات واحتياجات دولة تشاد الشقيقة.

الإمام الأكبر يلتقى برؤساء المناطق الأزهرية

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بالسادة أصحاب الفضيلة رؤساء ومديرى عموم المناطق الأزهرية على مستوى الجمهورية بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف بمناسبة الاستعداد لبدء العام الدراسى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م الجديد وما يجب أن تتخذه المناطق من ترتيبات واستعدادات وذلك فى ٨ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ٦ / ٩ / ٢٠٠٠م وتم التأكيد على الآتى:

● توفير الكتب الدراسية للمعاهد مع بداية أول يوم فى العام الدراسى.

● التأكد من إصلاح المقاعد واستكمالها وتهيئتها للاستخدام.

● الالتزام بالمصروفات الدراسية المقررة على الطلاب فى المراحل المختلفة حسب ما أخطرت به المناطق.

● التوازن في العمالة بكافة أنواعها وتوزيعها توزيعا عادلاً يضمن حصول كافة المعاهد على حاجاتها من التخصصات والكوادر المختلفة، دون إعطاء خصوصية لمعاهد المدن على معاهد القرى والنجوع.

● تنفيذ حركة الترقيات الأدبية فور وصولها للمناطق.

● سد العجز في بعض التخصصات عن طريق العمل بنظام الحصة وقصر ذلك على حالات الضرورة فقط.

● العناية الكاملة بتحفيظ القرآن الكريم واستخدام شرائط التلاوة التي وزعت على المناطق.

● دعم المكتبات الدراسية بما يتناسب مع كل مرحلة دراسية.

● التأكيد على مجموعات التقوية بضوابطها وقواعدها لتكون بديلا للدروس الخصوصية.

حضر اللقاء فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف. وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والمسئولون عن العملية التعليمية.

مجمع أبو بكر الصديق التعليمي

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف (يوم ١٦ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ١٤ / ٩ / ٢٠٠٠م) مجمع أبوبكر الصديق التعليمي تمهيدي وابتدائي واعدادي بقرية كفرالشيخ هلال مركز ميت غمر محافظة الدقهلية.

رافق فضيلة الإمام الأكبر في الزيارة فضيلة الشيخ وكيل الأزهر الشريف، وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة وكيل قطاع المعاهد وكان في استقبال فضيلته السيد / مصطفى الشناوي محافظ الدقهلية، وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية لمنطقة المنصورة الأزهرية والقيادات التنفيذية والشعبية والسياسية بالمحافظة.

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أن مصر رئيسا وحكومة وشعبا تؤيد حق الشعب الفلسطيني في أرضه وترابه وتدعمه دعما كاملا في استمرار حقوقه المشروعة، وأشار إلى أن لقاء السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية، بالسيد الرئيس ياسر عرفات تأتي في إطار التشاور والنصح لدعم قضايا العمل الفلسطيني لاسترداد حقه كاملا على أرضه، وقال: نحن مع إخواننا الفلسطينيين فيما يتخذونه من قرارات لمصلحة القضية الفلسطينية، وأن القدس في قلوب المسلمين جميعا فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى سيدنا رسول الله - ﷺ -.

كما أشار فضيلته إلى أن الأزهر الشريف يقدم العون والمساعدة لتعليم أبناء ٩٤ دولة إسلامية يتلقون التعليم في الأزهر الشريف من الإبتدائي حتى الجامعة ويقيمون في مدينة البعوث الإسلامية التي تحوي جميع المرافق.

ختام الدورات التدريبية لعلماء الوعظ

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمبنى مشيخة الأزهر الشريف في ٧ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ - ٥ / ٩ / ٢٠٠٠ حفل ختام الدورات التدريبية التي أقامها الأزهر الشريف لعلماء وعظ الأزهر الشريف من جميع محافظات الجمهورية

على مدى خمس دورات تدريبية تخصصية كل دورة استمرت الدراسة بها خمسة عشر يوما، تلقوا خلالها المحاضرات المختلفة والتدريبات العملية على أعمال الفتوى واللقاءات المفتوحة مع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة وكيل الأزهر الشريف وفضيلة رئيس جامعة الأزهر والسادة علماء الأزهر وأساتذة الجامعة في القضايا المعاصرة، ومحاضرات في مجال الدعوة والاقتصاد الإسلامي بغرض تنمية القدرات العلمية والتعليمية لعلماء الوعظ بالأزهر الشريف.

وألقى فضيلة شيخ الأزهر كلمة هنأهم فيها باجتيازهم هذه الدورات بنجاح وتفوق، ونصحهم بمواصلة البحث في العلم النافع ومداومة حفظ كتاب الله - عز وجل - وسنة رسوله - ﷺ - لأنهما عماد الدين وزاد الدنيا والآخرة، وحثهم على تقصي الحقائق عند تناولهم للموضوعات المتخصصة، وأن يبتعدوا عن الفتوى بغير دليل مؤكدا على أن تكون الفتوى مؤيدة بالأدلة من كتاب الله ومن سنة رسوله - ﷺ - وعليهم بالإخلاص في عملهم وأن يكونوا قدوة حسنة لأنهم رسل علم وإرشاد.

ووزع عليهم شهادات التخرج والتقدير المقدمة من الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف، حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، وأصحاب الفضيلة: الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، والأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني بالأزهر، والأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية.

المؤتمر الثاني عشر

للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة

رأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ورئيس المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة أعمال المؤتمر الإسلامي الثاني عشر للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة يومي: ٦، ٧ / ٩ / ٢٠٠٠م وشارك في هذا الاجتماع وفود أكثر من ٦٥ دولة ومنظمة أهلية ورسمية عربية وإسلامية وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

وأكد فضيلته في كلمته في افتتاح المؤتمر أن السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية، ومصر وأزهرها الشريف يبذلون كل جهد لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين في العالم أجمع، وحذر فضيلته من مظاهر الخلاف والفرقة لأنها تضعف الأمم القوية، وأكد على التعاون لأنه يقوّي الأمم الضعيفة، واستغرب فضيلته من الذين يطلبون من الله النصر دون جد وعمل وإخلاص، وقال: إن مساعدة ومساندة الضعيف حتى يسترد حقه وأمنه وماله وأرضه واجب إنساني جعله الإسلام على رأس تعاليمه ومبادئه السامية، كما أن الوقوف ضد الظالم وبطشه وعدوانه حتى ينكسر وينهزم هو أحد ركائز المدنية والتحضر وهو في الوقت نفسه أحد أركان العقائد السماوية، وأشار إلى أن العرب والمسلمين مطالبون اليوم بالاعتصام بحبل الله حتى تكون لهم قوة تحمي أموالهم وأعراضهم وعقيدتهم وأراضيهم وذلك في عالم لم يعد يعترف إلا بالقوة، وأن الجبروت والعدوان والبغي أمور حرّمها

الإسلام وكل الشرائع السماوية، وعلى العالم أن يقف لمنعها حتى يعيش العالم فى أمن وسلام.

وحذر من استمرار إسرائيل فى اغتصاب القدس الشريف ومصادرة الأراضى الفلسطينية وهدم بيوت العرب، وقال: إنه لا يجوز أن تنحنى إرادة مليار و٤٠٠ مليون عربى ومسلم أمام إرادة خمسة ملايين إسرائيلى.

وأكد على أن المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة يقوم بالتنسيق بين هيئاته العاملة لإعادة الاستقرار للأقليات الإسلامية والمستضعفين والفقراء فى فلسطين والشيشان والبوسنة والهرسك وكوسوفا والصومال، وكشمير، وأندونيسيا وأفغانستان، وآذربيجان.

وأكد المشير عبدالرحمن سوار الذهب نائب رئيس المجلس أن مصر هى وطن العروبة والإسلام وجهود رئيسها الرئيس مبارك موصولة لدعم كل ما هو عربى وإسلامى، مشيدا بسعيه الدائم لحل قضية القدس بما يضمن الحقوق العربية والإسلامية، فيها وعاب على بعض الأصوات الأوروبية اتخاذها الإسلام عدوا لها مؤكدا على أن الإسلام ليس عدوا لأحد.

وأكد الدكتور/ عز الدين العراقى -الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى- فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه السفير/ أحمد البسيط الممثل الشخصى لرئيس المنظمة، على ضرورة تضافر الجهود للأمة الإسلامية والعربية لتحرير القدس وعودتها إلى أصحابها الصامدين وإجبار إسرائيل على التوقف عن تهديد المدينة المقدسة واحترام حقوق العرب والمسلمين فيها وصيانة مقدساتها.

وقال الدكتور أحمد عمر هاشم -رئيس جامعة الأزهر الشريف، ورئيس اتحاد الجامعات الإسلامية: لا سلام بدون عودة القدس إلى أصحابها الحقيقيين ولا بد من وقفة جادة لتحرير القدس وضمان حماية مقدساتها وفى مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، ودعا المنظمات الإسلامية فى مختلف أنحاء العالم إلى تكثيف جهودها لدعم قضية القدس فى هذه المرحلة المهمة من تاريخ أمتنا، وحذر من الاستهانة بحقوق العرب والمسلمين فى الأراضى المحتلة، وقال: إن ذلك يفتح الطريق أمام الاستهانة بحقوق الإنسان فى العالم كله، كما يفتح الطريق إلى حرب عالمية ثالثة.

كما وجه الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية فى كلمته التى ألقاها نيابة عنه السفير الدكتور محمد زكريا إسماعيل -الأمين المساعد للجامعة- أكد فيها أن القدس وقضيتها الحالية تمثل اهتماما تاريخيا صعبا أمام القادة والشعوب العربية والإسلامية وإرادتهم العربية والإسلامية فهل يتخلون عن إرادتهم وينهزم مليار و٤٠٠ مليون مسلم أمام أقل من خمسة ملايين يهودى أو أكثر، وقال: إن القمة القادمة الإسلامية فى قطر فى نوفمبر القادم مطالبة بأن تتوج مواقف العرب والمسلمين من القدس بموقف حازم.

كما تحدث المستشار آدم شيخ حسن -المستشار السياسى لرئيس دولة جيبوتى- فأدان باسم كل الوفود المشاركة فى المؤتمر الدعايات اليهودية التى تروّج فى العالم كذبا حول وجود المسجد الأقصى فوق ركام هيكل سليمان وهذا أمر لم يعرف العالم كله دليلا واحدا عليه.

وواصل المجلس بعد حفل الافتتاح جلساته على مدى يومين صباحا ومساء لمناقشة أوضاع تنسيق الإغاثة الإسلامية والدعوة وتكافل المسلمين فى كل مناطق الأقليات والدول الفقيرة وإقامة المشروعات الإنمائية وذلك من خلال ٦ جلسات ثم صدرت فى ختام المؤتمر القرارات والتوصيات الآتية:

قرر المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة إنشاء صندوق إسلامى عالمى لتجديد مبانى المقدسات الدينية بفلسطين على أن يكون مقره القاهرة.

● إعادة تفعيل لجنة الأمانة العامة للإغاثة بأذربيجان ودراسة واقع اللاجئين بها وعمل خطة تنموية وثقافية للبؤساء منهم، وإعادة تذكير المسلمين بلاجئى أرمينيا الذين طردوا منذ عام ١٩٨٩.

● أكد المؤتمر على أن حماية القدس والدفاع عنها هى مسئولية العالم العربى والإسلامى بجميع حكوماته وشعوبه، وطالبت الدول والهيئات المشاركة فى المؤتمر دول العالم بأسره، بما فيها أمريكا وروسيا باتخاذ موقف عادل تجاه قضية القدس وعدم مساعدة إسرائيل على اغتصاب الأرض.

● كما طالب المؤتمر الدول الإسلامية بأن يكون لها موقف تاريخى حاسم فى هذه القضية المصيرية للأمة من خلال توحيد صفوف الأمتين العربية والإسلامية وحشد قواهما للوقوف بقوة وصلابة من أجل القدس وبقائها عربية إسلامية تحت السيادة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

● دعا المؤتمر الدول العربية والإسلامية إلى دعم الصومال ماليا حتى يعود إليه الأمن والاستقرار.

● كما وافق المؤتمر على التقارير الخاصة بالمشروعات الإنمائية والخدمية الصحية والتعليمية المعيشية التى تقرر إقامتها فى كل من الشيشان وكشمير وكوسوفا، ودعا المؤتمر الدول الأعضاء إلى مد يد العون والمساعدة للمسلمين فى تلك البلاد.

● كما ناقش المؤتمر ووافق على إنشاء وحدة للعلاقات الدولية بالمجلس وسرعة إتمام التنسيق مع البنك الإسلامى للتنمية فى مشروع الوقف الخيرى وتطويره وإنشاء صندوق للشباب وسبل تدعيمه ماليا، وصندوق لتدعيم خريجى الجامعات لحمايتهم من البطالة.

● كما وافق المؤتمر على مشروع إنشاء مجمع المعاهد الأزهرية فى جيبوتى، ومشروع المؤتمر الإسلامى العام لدعم بيت المقدس، ومشروع إنشاء الأكاديمية الإسلامية فى النمسا، ومشروع المركز الإسلامى الدائم بالعريش، ومخيّم التضامن الإسلامى السادس بالعريش، ومشروع جديد لإغاثة قبائل البدو، ومشروع دعم مكتبة حيدرة للمخطوطات النادرة بجمهورية مالى ورعاية المهتدين إلى الإسلام فى أوروبا وأمريكا، ومشروعات التعليم فى السودان وجنوبه، ومشروع إنشاء دار الأيتام فى عمان الأردن.

ثم أرسل المجلس برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس برقية للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية هذا نصها:

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية –حفظه الله–

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فبمناسبة انعقاد الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة فإننا نيابة عن المشاركين من البلاد الإسلامية والذين يمثلون سبعين منظمة إسلامية.

نتقدم إلى سيادتكم بوافر الشكر والتقدير على ما تقدمونه وتقدمه جمهورية مصر العربية، وخصوصا الأزهر الشريف من رعاية ودعم لهذا المجلس، الأمر الذى مكنه من القيام بأعمال الإغاثة الواسعة بين المسلمين على جانب الدعوة الراشدة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وجمع كلمة الأمة الإسلامية والعربية على الإخاء الصادق، وعلى التعاون على البر والتقوى.

ونكرر الدعاء والشكر لسيادتكم، سائلين الله –تعالى– لسيادتكم دوام الصحة والعافية والتوفيق والسداد ولمصر العزيزة دوام السلام والأمان والرخاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شيخ الأزهر الشريف

رئيس المجلس الإسلامى

العالمى للدعوة والإغاثة

(دكتور/ محمد سيد طنطاوى)

٧/ ٩/ ٢٠٠٠م

البعثـــات الأزهريـــة

صدر قرار شيخ الأزهر الشريف رقم ١٠٩٠ لسنة ٢٠٠٠م بالموافقة على سفر الشيخ/ السيد يوسف عبدالحميد الشبكى رئيسا لبعثة الأزهر الشريف فى دولة الفلبين للعام ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م

والموافقة على تجديد إيفاد السادة الآتية أسماؤهم بعد للجهات الموضحة قرين اسم كل واحد منهم للعام الدراسى ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م على أن يكون العام الأخير لكل منهم وهم:

م	الاســم	الوظيفة الحالية	صفة الإيفاد وجهته
١	الشيخ/ عمر الحاج محمد سلام	موجه بمنطقة طنطا	رئيسا لبعثة الأزهر فى نيجيريا
٢	الشيخ/ محمد قطب خضر شريف	موجه بمنطقة المنوفية	رئيسا لبعثة الأزهر فى جيبوتى
٣	الشيخ/ عبدالنافع محمد على العطاس	واعظ أول بالمنوفية	رئيسا لبعثة الأزهر فى سرى لانكا
٤	الشيخ/ أحمد فؤاد حامد محمد الكمار	موجه بمنطقة القاهرة	رئيسا لبعثة الأزهر فى الكاميرون

م	الاســم	الوظيفة الحالية	صفة الإيفاد وجهته
٥	الشيخ / محمد محمد محمد جعفر شحاته	موجه وعظ بالمنوفية	رئيسا لبعثة الأزهر فى كينيا
٦	الشيخ / محمد الشربينى حسن رفاعى	موجه بمنطقة الدقهلية	رئيسا لبعثة الأزهر فى اندونيسيا
٧	الشيخ / محيى الدين محمود سلامة	شيخ معهد دلهمو	رئيسا لبعثة الأزهر فى مالى
٨	الشيخ / السيد يوسف عبدالحميد الشكى	موجه بمنطقة البحيرة	رئيسا لبعثة الأزهر فى الفلبين

صدر فى ٦ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ
٤ من سبتمبر ٢٠٠٠م

صدر قرار شيخ الأزهر الشريف رقم ١٠٩١ لسنة ٢٠٠٠م بالموافقة على إيفاد السادة الآتية أسماؤهم بعد للجهات الموضحة قرين اسم كل واحد فيهم للعام الدراسى ٢٠٠٠ / ٢٠٠١م على نفقة الأزهر وهم :

م	الاســم	الوظيفة الحالية	صفة الإيفاد وجهته
١	الشيخ / حسام الدين على شعبان جاب الله	شيخ معهد فتيات فرسيس	رئيسا لبعثة الأزهر فى باكستان
٢	الشيخ / حسين محمد أبو عليو	مدير التعليم الابتدائى بأسيوط	رئيسا لبعثة الأزهر فى غينيا كوناكرى
٣	الشيخ / أحمد أحمد محمد مسلم	موجه بمنطقة الغربية	رئيسا لبعثة الأزهر فى النيجر
٤	الشيخ / فتح الله محمد اسماعيل أبو سعده	موجه بمنطقة البحيرة	رئيسا لبعثة الأزهر فى كوت ديفوار
٥	الشيخ / عبدالرحمن صابر أحمد أبو زيد	موجه بمنطقة القاهرة	رئيسا لبعثة الأزهر فى المالديف
٦	الشيخ / أحمد عبد الحاكم خليل جابر	موجه بمنطقة قنا	رئيسا لبعثة الأزهر فى الصومال
٧	الشيخ / عبد الرحمن هاشم عبدالغنى محمود	موجه بمنطقة بنى سويف	رئيسا لبعثة الأزهر فى إريتريا
٨	الشيخ / حسن شرف على محمد شرف	موجه بمنطقة المنوفية	رئيسا لبعثة الأزهر فى السنغال

الموافقة على تجديد مدة إيفاد السادة الآتية أسماؤهم بعد للجهات الموضحة قرين اسم كل واحد منهم للعام الدراسي ٢٠٠٠/ ٢٠٠١ وهم :

م	الاســـم	الوظيفة الحالية	صفة الإيفاد وجهته
١	السيد / سمير محمد بيومي	قطاع المعاهد الأزهرية	سكرتيرا لبعثة الأزهر في جيبوتي
٢	السيد / يحيى محمد سليمان عوض	الإدارة العامة للبعوث الإسلامية	سكرتيرا لبعثة الأزهر في كينيا
٣	السيد / محمد محمود السيد عبدالحق	مكتب وكيل الأزهر	سكرتيرا لبعثة الأزهر في الكاميرون
٤	السيد / عبدالرحمن أبوالعباس مصطفى	الإدارة العامة للبعوث الإسلامية	سكرتيرا لبعثة الأزهر في باكستان
٥	السيد / محمد عباس محمد مصطفى	مكتب الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر	سكرتيرا لبعثة الأزهر في أندونيسيا
٦	السيد / محمد أحمد أحمد عبدون	قطاع المعاهد الأزهرية	سكرتيرا لبعثة الأزهر في نيجيريا
٧	السيد / فوزى عبدالسميع محمد زيدان	مجمع البحوث الإسلامية	سكرتيرا لبعثة الأزهر في تشاد
٨	السيد / حمدى فؤاد حسين إبراهيم	مركز الخدمة والنشاط بالإسكندرية	سكرتيرا لبعثة الأزهر في كوت ديفوار
٩	السيد / محمد أحمد عبدالعظيم	مكتب شيخ الأزهر	سكرتيرا لبعثة الأزهر في مالي
١٠	السيد / سمير شوقي معوض سالم	مكتب وكيل الأزهر	سكرتيرا لبعثة الأزهر في غينيا كوناكرى

صدر في ٦ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ

٤ سبتمبر ٢٠٠٠م

معاهد جديدة تنضم للأزهر

صدر قرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٤٧ لسنة ٢٠٠٠م وبعد موافقة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بضم المعاهد الآتية للأزهر وهي:

أولاً : محافظة بني سويف:

- معهد أقفهص الابتدائي مركز الفشن.
- معهد صباح محمود عويس الإعدادي للفتيات مركز بني سويف.
- معهد أبو صير الملق الثانوي للبنين مركز الواسطى.
- معهد أهناسيا المدينة الثانوي للفتيات مركز أهناسيا.
- معهد الشيخ محمود عبداللطيف الشافعي الابتدائي مركز ببا بناحية بني ماضي.

ثانيا : محافظة القليوبية:

- معهد محمد محمود محرم الابتدائي بناحية الجعافرة مركز شبين القناطر.
- معهد كفر طحا الإعدادي للبنين مركز شبين القناطر.
- معهد المنشأة الكبرى الابتدائي مركز كفر شكر.
- معهد كفر حمزة الابتدائي مركز الخانكة.
- معهد فتيات الخصوص الإعدادي مركز الخانكة.
- معهد قرنفيل الابتدائي مركز القناطر الخيرية
- معهد كفر أبو زهرة الابتدائي مركز بنها.

ثالثا : محافظة أسوان:

- معهد فطيرة الابتدائي مركز كوم أمبو.
- معهد البشير الإعدادي للبنين ببلانه مركز نصر النوبة.
- معهد المعمارية الابتدائي مركز ادفو.
- معهد الرمادي قبلي الإعدادي للفتيات مركز إدفو.
- معهد الزديسيه الثانوي للفتيات مركز إدفو.
- معهد بنبان الإعدادي للفتيات مركز كوم امبو.
- معهد الشماخية الإعدادي للبنين مركز ادفو.
- معهد ادفو شرق العدوة الإعدادي للفتيات مركز إدفو.
- معهد البحيرة الإعدادي للفتيات مركز إدفو.
- معهد دراو الثانوي للبنين مركز دراو.
- معهد فتيات الكلح شرق الأعدادي مركز إدفو.
- معهد العنبمية الإعدادي للبنين مركز إدفو.

رابعا : محافظة البحيرة:

- معهد الحاج أحمد الزمراني الابتدائي بقرية الزمراني مركز دمنهور.
- معهد البسلقون الابتدائي مركز كفر الدوار.
- معهد صفط الحرية الابتدائي مركز إيتاي البارود.
- معهد الحجر المحروق الابتدائي مركز الدلنجات.
- معهد فتيات الرحمانية الإعدادي مركز الرحمانية.
- معهد القراز الابتدائي مركز كفر الدوار.
- معهد أبو صعيفة الابتدائي مركز الدلنجات.
- معهد القهوقية الابتدائي مركز الرحمانية.
- معهد الجنبيهي الابتدائي مركز حوش عيسى.
- معهد علي حبيب الابتدائي مركز أبو حمص.
- معهد فتيات الخديو الثانوي مركز كوم حمادة.
- معهد أفلاقة الإعدادي للبنين مركز دمنهور.

صدر برياسة مجلس الوزراء في ١١ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ

الموافق ٩ من سبتمبر ٢٠٠٠م

رئيس مجلس الوزراء

(دكتور / عاطف عبيد)

من أنباء العالم الإسلامى

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد

قمة الألفية تسفر عن حل لمشكلات إفريقية

نيويورك - وكالات - الأنباء :

اختتم زعماء ورؤساء وفود أكثر من ١٨٩ دولة أكبر تجمع من نوعه خلال قمة الألفية التى عقدت بالأمم المتحدة بتبنى خطة عمل طموحة للقرن الـ ٢١.

وتعهد زعماء العالم - فى بيان الألفية - ببذل أقصى الجهود لتحقيق السلام والأمن ونزع الأسلحة والقضاء على الفقر.

وقال البيان : إن الزعماء الموقعين على بيان قمة الألفية تعهدوا بإقامة سلام دائم وعادل فى جميع أنحاء العالم وفقا لميثاق الأمم المتحدة.

وقال البيان : إن التحدى الأساسى الذى تواجهه شعوب العالم اليوم هو ضمان أن تصبح العولمة قوة إيجابية تعود بالفائدة على كل الشعوب.

وقال زعماء العالم : إنهم مصرون على بذل الجهود بهدف خفض نسبة الفقراء فى العالم الذين يعيشون حاليا على أقل من دولار واحد يوميا وتبلغ هذه النسبة نحو ٢٢٪ من سكان العالم إلى النصف فى عام ٢٠١٥.

كذلك تعهد زعماء العالم - فى بيانهم - بالقضاء على أمراض الإيدز والملاريا والأمراض الأخرى الرئيسية بحلول عام ٢٠١٥ أيضا.

وأكد عدد من الزعماء الأفارقة أمام قمة الألفية أنهم نجحوا فى رسم صورة واضحة لمعاناة أكثر القارات فقرا فى العالم كما طرحوا مشكلات وتحديات القارة مثل الفقر وأعباء الديون والصراعات المسلحة على جدول الأعمال. والقى الزعماء، وعلى رأسهم ثابو مبيكى رئيس جنوب أفريقيا وأولوسيجون أوباسانجو رئيس نيجيريا، كلمات مؤثرة دعوا فيها إلى تخفيف أعباء الديون، وإلى تمويل حملة مكافحة مرض الإيدز، وإلى إصلاح المؤسسات الدولية ليمكنها التعامل بسرعة مع المشكلات التى تعانيها القارة ومنها مشكلة الحروب.

وتعرض أوباسانجو - الذى يرأس أكبر دولة إفريقية من حيث تعداد السكان لموضوع الديون بشكل مكثف وقدم إلى زعماء الدول الصناعية السبع الكبرى التماسا من ملايين الأفارقة فى أنحاء العالم بتخفيف أعباء الديون. وقال مبيكى إن إفريقيا تحتاج إلى اهتمام خاص وإلى

مشروع مماثل لمشروع مارشال الذى اعاد بناء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية.

ويقول المحللون: إن الديون تكلف قارة إفريقيا اكثر من ١٠ مليارات دولار سنويا فى الوقت الذى لا يزال فيه ملايين الافارقة يعيشون على اقل من دولار واحد فى اليوم. وبرغم انتشار وباء الإيدز فإن دولا عديدة تنفق على خدمة الديون أكثر مما تنفق على الرعاية الصحية.

وكان زعماء الدول الصناعيةالسبع الكبرى قد أعلنوا منذ عام وسط ضجة دعائية إلغاء ١٠٠ مليار دولار من الديون بحلول نهاية عام ٢٠٠٠ بالنسبة لعدد من أكثر الدول فقرا فى العالم ولكن ذلك لم يتحقق بعد.

وقال دبلوماسيون: إن التعامل مع مرض الإيدز الذى أصاب ٢٤٫٥مليون شخص فى إفريقيا سيحتاج - أيضا - إلى اهتمام خاص وطالب الزعماء الأفارقة شركات صناعة الأدوية بتخفيض الأسعار المرتفعة الأدوية.

توقعات عربية لزيادة إنتاج البترول فى اجتماع «أوبك»

فيينا - وكالات الأنباء:

اتجهت أنظار الدول العربيةوعلى رأسهاالولايات المتحدة إلى العاصمة النمساوية فيينا لمتابعة الاجتماعات الحاسمة لمنظمة الدول المصدرة للبترول «أوبك» على أمل إصدار قرار بزيادة انتاج الدول الأعضاء فى المنظمة بشكل يؤدى إلى تراجع الأسعار المرتفعة فى الأسواق العالمية. وأكد وزير البترول السعودى على النعيمى - فى تصريحات صحفية - أنه سيكون من السهل التوصل إلى اتفاق حول زيادة الإنتاج خلال الاجتماع الوزارى لمنظمة «أوبك»

وأشار إلى انه سوف يتوجه إلى الاجتماع «بعقل منفتح» وفى رأسه أرقام حول مستوى زيادة الإنتاج لكنه لا يريد التحدث إلى الصحافة حول هذه الأرقام، وأكد أن السعودية تسعى للحفاظ على الوحدة داخل «أوبك» ولا تريد إعطاء أى انطباع بأنها عكس سياسة ما على المنظمة، فى حين أشارت جميع التوقعات إلى أن الاجتماع الوزارى للمنظمة سوف يقرر زيادة الإنتاج فى حدود ٥٠٠ ألف إلى ٧٠٠ الف برميل يوميا.

وفى الوقت نفسه صرح «بيجان زانجنا» وزير البترول الإيرانى بأن أسواق البترول العالمية لا تواجه حاليا أى نقص فى المعروض بعد أن رفعت«أوبك» إنتاجها بحوالى ٢٫٥ مليون برميل يوميا خلال العام الحالى. وقد طالب وزراء مالية دول الاتحاد الأوروبى أمس دول الأوبك بضرورة زيادة إنتاجها من البترول عن أجل خفض الأسعار العالمية.

وقد انضم السكرتير العام للأمم المتحدة كوفى عنان إلى الأصوات القلقة إزاء ارتفاع أسعار البترول بشكل كبير فى الأسابيع القليلة الماضية، وحذر عنان من أن هذا الارتفاع يمكن أن يصيب الاقتصاد العالمى بالركود ويقوض الإصلاحات المالية التى تمت فى إقرارها الدول النامية.

الرئيس الصومالى الجديد ومحاولة لنزع فتيل الحرب الأهلية

جيبوتى ، مقديشو - أ ب :

منذ سقوط نظم سياد برى وشوارع العاصمة الصومالية تحولت إلى ساحات للمعارك . معارك صباحية ومعارك ليلية ومعارك لفترة الظهيرة . ويختطف الموت كل يوم عشرات من الشيوخ والنساء والأطفال . وتجرى هذه المذبحة اليومية دون أن يعرف المقتول من هو قاتله . ودون أن يتعرف القاتل على ضحيته ووسط حمام الدم استطاع المئات من الصوماليين العقلاء أن ينتخبوا برلمانا، وتمكن البرلمان من انتخاب شخصية صومالية رئيسا للبلاد فقد استقبل أكثر من مائة ألف صومالى الرئيس الصومالى الجديد عبد القاسم صلاد حسن، عند وصوله فجأة إلى مقديشو عاصمة الصومال ، قادما من جيبوتى بمرافقة حوالى ثلاثمائة من شيوخ القبائل والسلاطين وأعضاء البرلمان .

ووصل الرئيس الجديد إلى مقديشو، بعد أن كانت الطائرتان اللتان أقلتاه ومرافقيه قد هبطتا فى مطار « بالدوجلى » الذى يبعد حوالى مائة كيلو متر عن العاصمة، حيث يقع المطار فى منطقة تسيطر عليها الميليشيا التابعة لقبيلة « هبرجدر وعايرة » .

ويذكر أن بعض أمراء الحرب موجودون حاليا فى اليمن، فيما يبدو أنه محاولة من صنعاء لإقناعهم بالتخلى عن معارضتهم للرئيس المنتخب، بينما فسر بعض المراقبين وجودهم خارج مقديشو بأنه محاولة منهم للهروب من تهديداتهم بمنع الرئيس من الدخول إلى العاصمة، حيث يمكنهم أن يقولوا : إننا لو كنا فيها لنفذنا تهديدنا بمنعهم من الدخول .

وذكرت مصادر مطلعة أنه من المرجح أن يحضر الرئيس المنتخب اجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب بالقاهرة يوم الأحد المقبل، ليقدم نفسه ويعرض تصوره لحل مشكلة بلاده، قبل أن يتوجه إلى الأمم المتحدة لاستئناف شغل مقعد الصومال بالمنظمة الدولية الشاغر منذ سقوط نظام سياد برى قبل عشر سنوات .

الثوار الشيشان يهاجمون مواقع روسية جديدة

موسكو - وكالات الأنباء :

أعلن متحث باسم الرئيس الشيشانى أصلان مسخادوف أن المقاتلين الشيشان هاجموا ثلاثة مواقع روسية فى جنوب الشيشان مما أسفر عن مصرع عشرة جنود روس.. وأضاف المتحدث أن الثوار هاجموا أيضا قافلة عسكرية روسية من ١٦ دبابة على أحد الطرق قرب بلدة تسمى فيدينو بجنوب شرق الشيشان مما تسبب فى سقوط العديد من الجنود الروس ما بين قتيل وجريح جاء ذلك فى الوقت الذى أعلن فيه المتحدث الصحفى باسم الكرملين أن وحدات تقوم حاليا بإجراء عمليات تمشيط واسعة النطاق قرب العاصمة الشيشانية جروزنى بحثاً عن مجموعة من المقاتلين الشيشانيين الذين نصبوا كمينا لدورية من الجنود الروس فقتلوا اثنين منهم وأصابوا عددا آخر.. وزعم المتحدث انه تم العثور على جثث ثلاثة أفراد من المقاتلين الشيشانيين خلال عمليات البحث وأن الحملة لا تزال

مستمرة. من جانبها ذكرت وكالة الإعلام الروسية أن كميناً أسفر عن مصرع ٣ جنود روس وإصابة ٦ بجراح وأشارت إلى قيام القوات الروسية باستدعاء وحدات إضافية من المدفعية وطائرات هليوكوبتر لصد هجوم الثوار الذين كانوا قد انطلقوا من داخل الغابات المحيطة بجروزني.

من جهة أخرى أعلن الجنرال كوريشكين أحد كبار مسئولي وزارة الداخلية الروسية أنه تم إعادة فتح الطرق المغلقة في الشيشان أمام حركة المرور بعد إغلاقها لمدة ٣ أيام خشية وقوع هجوم واسع من جانب الثوار الشيشانيين.

وعلى صعيد آخر لقى شرطيان روسيان مصرعهما وأصيب خمسة آخرون بجروح في هجوم شنه المقاتلون الشيشان بالأسلحة الآلية على أحد مراكز المراقبة العسكرية التابعة لقوات الروسية بوسط العاصمة الشيشانية جروزني.

كما تمكنت السلطات الروسية من إبطال مفعول عبوة ناسفة قرب مستشفى مدينة جوديرميس شرق الشيشان.

وتأتي هذه التطورات بعد يوم واحد من إعادة فتح الطرق في الأراضي الشيشانية أمام السيارات المدنية بعد أن كان الروس قد حظروا السير فيها تخوفاً من وقوع عمليات مسلحة من جانب المقاتين الشيشان بمناسبة ذكرى استقلال جمهوريتهم. على صعيد آخر، وقع انفجار في موقف لسيارات الأوتوبيس بمدينة ستافروبول جنوب روسيا أدى إلى إصابة خمسة أشخاص بجروح، ولم توضح وزارة الطوارئ الروسية أسباب الحادث أو الجهة التي يرجح أن تكون قد نفذته.

البشير يناشد المجتمع الدولي المساندة في حـل أزمـة الجنـوب

أكد الرئيس السوداني عمر البشير في بيانه أمام القمة الأفريقية موقف حكومة السودان الداعي إلى إيجاد حل سياسي للنزاع المسلح في جنوب السودان يقوم على الوقف الفوري والشامل لإطلاق النار بهدف تسهيل توصيل المساعدات الإنسانية للمحتاجين وكإجراء ضروري لبناء الثقة وإنجاح جهود الحل السلمي والدخول مباشرة في المفاوضات وفق المبادرات المطروحة والوصول إلى حل سلمي يرتكز على سلام عادل يؤسس لتوزيع عادل للثروة والسلطة وأن تقوم الحقوق والواجبات على أساس المواطنة والالتزام بالمعايير الدولية لحقوق الانسان. وناشد الرئيس السوداني المجتمع الدولي دعم الجهود المبذولة لإيجاد حل لهذا النزاع بهدف تحقيق السلام والاستقرار والتنمية.

تسليم جائزة القذافي لخمسة أشخاص ومنظمات

طرابلس:

قامت اللجنة الشعبية الدولية لجائزة القذافي لحقوق الإنسان بتسليم جائزتها لعام ٢٠٠٠ لخمس من الشخصيات النضالية والفكرية التي تجسد جهود الشعوب من أجل التحرر من القهر والفقر.

وكان من الفائزين المناضلة اللبنانية سهى بشارة التي قاومت الاحتلال الإسرائيلي في جنوب لبنان وسجنت بسجن الخيام لمدة عشر سنوات حتى أفرج عنها في ١٩٩٨ لتواصل نضالها حتى اكتمل تحرير الجنوب.

Le Prophète-b.s-se leva et fit à ses hommes signe de le suivre. Arrivé à la maison, le Messager interpela Oum Soulaym: ***"Qu'as-tu à nous offrir"***. La femme-sur l'ordre du Prophète-b.s-découpa les quelques galettes de pain en petits morceaux, vida le reste du beurre qu'elle avait et enveloppa le tout avec une étoffe.

Le Prophète-b.s-prit le récipient, mélangea le tout avec sa main bénie et ordonna de fairerentrer dix hommes. Ces dix mangèrent à satiété et furent suivis par dix autres jusqu'à un total de soixante-dix ou quatre-vingts hommes.

Oum Sulaymy dit, que le Prophète-b.s-gardait toujours l'étoffe sur le récipient et invoquait Son Seigneur.***"Lorsque tous les hommes furent rassasiés, dit-elle, et qu'ils s'en allèrent, je relevai l'étoffe et j'ai vu que la nourriture n'avait pas diminué."***

Y-a-t-il un miracle plus grandiose?, en plus l'acte se répéta à plusieurs reprises devant plusieurs témoins.

14-Lors de l'expédition de Tabouk

Abou Hurayra-A.s.l-raconte ce qui suit:"Lors de l'expédition de Tabouk les provisions manquèrent. Cette expédition eut lieu en été et les musulmans passaient par des conditions très difficiles: sécheresse, disette, chaleur atroce et manque d'équipement. L'armée fut appelée: l'armée de la difficulté "Gaych Al-Usra".

On raconte que dix hommes, avaient pour monture un seul chameau qu'ils montaient à tour de rôle.

Nous voyons comment Allah-Gloire à Lui-éprouva Son Prophète-b.s-et ses compagnons. Ils menèrent une vie austère et jamais ils ne se plaignirent. Ils donnèrent à toute la communauté le modèle exemplaire de la soumission.

Durant cette expédition difficile, les musulmans demandèrent au Messager d'égorger les chameaux. L'autorisation leur fut accordée.

Quand Omar Ibn Al-Khattab-A.s.l-sut ce fait, il se rendit auprès du Prophète-b.s-et lui dit:***"Messager d'Allah, leurs chameaux les transportent et escaladent les montagnes. Comment peuvent-ils les égorger?Demande qu'on t'apporte les restes des vivres et implore la bénédiction du Tout-Puissant."***

Le Prophète-b.s-approuva cet avis et fit apporter les restes des vivres. Il implora la bénédiction du Seigneur, c'est alors que les provisions abondèrent dans les récipients.

En voyant ce miracle, le Prophète-b.s-dit:***"J'atteste qu'il n'y a point de Dieu qu'Allah, que je suis Son esclave et Son Messager. Celui qui rencontre le Seigneur sans douter de ce fait entrera au Paradis."***

(à suivre...)

11-L'écoulement de l'eau des doigts du Prophète-b.s-:

Anas Ibn Malik-serviteur du Messager d'Allah-b.s-, raconte:

"J'accompagnai le Prophète-b.s-dans l'une de ses expéditions, lorsque l'heure de la prière d'Al Asr arriva les gens ne trouvèrent pas d'eau. Le Prophète-b.s-avait devant lui un récipient d'eau. On vint lui dire, que les gens n'avaient pas d'eau à part celle de ce récipient.

C'est alors que le Prophète-b.s-déposa ses mains dans le récipient et je vis de mes propres yeux l'eau jaillir entre ses doigts. Tous les hommes se désaltèrent et achevèrent leurs ablutions."

-***"Combien étiez-vous"***?demanda Katada à Anas.

-***"Presque trois cents hommes"***, répondit Anas.

Aucun être humain n'a la capacité d'effectuer un acte aussi miraculeux. Le Seigneur n'a pas décrété que l'eau coulera des doigts des hommes. Le miracle fut certifié par trois cents hommes des plus considérables.

12-Le débordement de l'eau du puits de Houdaybiya:

En l'an 6 de l'Hégire, le Messager d'Allah-b.s-se trouvait avec ses compagnons à Hudaybiya. Les hommes épuisèrent l'eau du puits qui se trouvait en ce lieu jusqu'à la dernière goutte. Les hommes qui étaient au nombre de mille quatre-cent, eurent peur de mourir de soif. Ils se plaignirent auprès du Prophète-b.s-qui se dirigea tout de suite vers le puits, s'assit à son bord et implora le Seigneur. Il prit dans sa main une quantité d'eau qu'il utilisa pour se rincer la bouche puis la recracha dans le puits. Quelques minutes plus tard, le puits remplit leurs gourdes et le camp tout entier profita de l'eau.

Ce miracle avait pour but d' inciter les gens à croire le Message du Prophète-b.s-et à reconnaître son authenticité.

13-L'abondance de la nourriture:

Ce miracle se répéta à plusieurs reprises et en diverses occasions. Al-Bokhary rapporte que Anas Ibn Malek-A.s.l-a dit:***Abu Talha dit à Oum Soulaym:"La voix du Messager d'Allah est si faible que je suis sûr qu'il a faim. As-tu de la nourriture pour lui présenter?"***

Oum Sulaym prit quelques galettes, les enveloppa d'une étoffe et m'envoya auprès du Prophète-b.s-. Je le trouvais à la mosquée entouré de quelques hommes.

-***"C'est Abou Talha qui t'a envoyé?"***me demanda-t-il.

-***"Oui"*** répondis-je.

-***"Portes-tu de la nourriture?"***

-***"Oui***,répliquai-je.

(suite)

Les miracles du Prophète Mohammed (salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha'raoui

9-Les plaintes d'un chameau:

L'Imam Muslim nous rapporte que le Prophète-b.s-a entra un jour, avec ses compagnons, dans un jardin appartenant à un des Ansars.

Un chameau s'approcha de lui et versa des larmes. Le Prophète-b.s-les lui essuya et le calma."***A qui appartient ce chameau?***"demanda le Prophète-b.s. Un jeune Ançar s'avança:"***Il est à moi*** "**dit il.**.

"***Ne crains-tu donc pas le Seigneur***", dit le Prophète-b.s-, ***dans le traitement de cet animal qu'Allah t'a accordé? Il m'a dit que tu le fais souffrir de famine et que tu le tues de travail.***"

Comment le chameau a-t-il reconnu le Prophète-b.s-.? et comment le Prophète-b.s-a-t-il compris le langage du chameau?. En ce qui concerne le chameau, le comportement lui a sûrement été inculqué par le Divin qui l'a créé. Cette scène eut lieu à Médine, eut pour témoins des hommes parmi les plus honnêtes, intelligents et pieux.

10-Le remboursement de la dette de Gaber-

Al-Bokhary dans le "chapitre de la nourriture" et Muslim dans le "chapitre de la foi" ont tous deux rapportés ce Hadith:

Gaber-A.s.l-a dit:"***Mon Père est mort en laissant des dettes.et je n'ai pas d'argent pour l'acquittement. Tout ce que je possède ce sont les dattes que portent ces quelques palmiers et dont la récolte de plusieurs années ne suffira pas. Viens avec moi par crainte que les créanciers ne me maltraitent.***"

Le Prophète-b.s-m'accompagna et demanda à un des créanciers de m'accorder un délai, mais il refusa. C'est alors, que le Prophète-b.s-se dirigea vers mes palmiers, s'assit sous chaque palmier et invoqua Son Seigneur. Puis, il m'ordonna de récolter les dattes et de payer aux créanciers leur dû, ce que je fis.

J'en récoltai une grande quantité, je pus payer toutes les dettes de mon père et il me resta encore une grande quantité.

Je sortis, comblé de joie, pour annoncer la bonne nouvelle au Prophète-b.s-qui me dit:"***J'atteste que je suis le Messager d'Allah.***"

La seule présence du Prophète-b.s-apporta la bénédiction qui permit à Gaber de s'acquitter de toutes les dettes.

de concentration mentale ainsi que l'énergie dynamique de l'esprit. Une institution américaine connue sous le nom de " l'institution nationale pour le sommeil " a été fondée en vue de faire des études approfondies autour du sommeil en général et plus particulièrement de la sieste . Or comme nous le savons , les peuples d'Europe et d'Amérique n'acceptaient pas facilement l'idée de la sieste qui était d'usage chez nous les arabes ainsi que chez les grecs et les espagnols : celui qui fait la sieste était l'objet des railleries et des moqueries des autres à la simple mention de ce sujet . Ce qui est surprenant c'est que certaines entreprises américaines ont commencé à encourager leur personnel à faire la sieste en leur consacrant des tentes munies des sacs de couchage,ce choix des tentes avait pour objectif de permettre que la sieste soit faite dans un lieu aéré . Il est surprenant de voir ce retour à l'époque des tentes et des chameaux . La science moderne a prouvé que la sieste diminue de 30 % les risques de maladies cardiaques et artérielles . La durée nécessaire de la sieste ne doit dépasser en aucune façon une heure . Il a été prouvé que le corps - après une sieste d'une heure - récupère une énergie équivalent 5 fois à celle de son état initial . D'autre part la sieste est un repos pour le système nerveux et elle équilibre les taux de sécrétion de certaines hormones dont celles des glandes endocrines chez celui qui fait la sieste . C'est pourquoi si l'on prend en considération son utilité , la sieste n'est pas un temps perdu .

Mohammad était-il un savant ou un médecin pour en connaître les avantages ? C'est là une sagesse qu'Allah -le Trés Haut - lui a révélée et qui est confirmée par les nobles versets du Coran . " Et qui est plus véridique qu'Allah en Ses paroles et plus sage en Ses révélations " .

L' effet miraculeux de la sieste

Par : Dr. Rokaya GABR

Allah - Gloire à lui - dit : [Le culte pratiqué au cours de la nuit est ancré dans le çoeur et plus propiçe à la récitation] *Sourate Al - Muzammil (l'Enveloppé) verset N' 6* . Ce noble verset indique que la prière de la nuit est plus pesante pour l'homme que celle du jour . Il convient ici de mentionner le Hadith de notre Messager - à lui bénédiction et salut - dans lequel il dit : " Ayez recours à la sieste pour pouvoir accomplir la prière de la nuit ".

A l'occasion de l'arrivée du mois saint de Ramadan où les musulmans veillent à faire les prières nocturnes ainsi que les prières prescrites et les invocations d'Allah , nous voudrions mettre l'accent sur le miracle scientifique que révèlent le Hadith et le noble verset coranique.

Le Hadith du noble Messager a fait allusion aux avantages de la sieste (c.a.d. le sommeil de l'aprés- midi) qui procure le repos nécessaire au corps humain , ainsi elle aide le musulman à accomplir ses prières nocturnes . Les recherches scientifiques dans le domaine de la chimie ont prouvé que le taux d'une hormone connue sous le nom de " hormone de l'activité " subit une diminution momentanée pendant l'aprés - midi c'est pourquoi certains préfèrent se reposer à ce moment . En Amérique , un savant renommé a publié une nouvelle recherche détaillée portant un titre curieux : " Les arts de la sieste " . Dans cette recherche , il a mis l'accent sur la nécessité , pour l'être humain de profiter de la sieste car elle équilibre son humeur , stimule ses sentiments et augmente ses capacités mentales et créatrices . De plus , la sieste élève le degré

REVUE
AL AZHAR
Section Francaise

In order to refute these allegations, the Holy Qur'an challenged them to produce a whole book, ten (surah) chapters or even one solitary chapter comparable to the Qur'an. Until the present time (15 century have passed since the Holy Qur'an was revealed to Prophet Muhammad (M.P.B.U.H)) no one has ever succeeded in

meeting the challenge of the Almighty.

We can conclude that the Holy Qur'an is a miracle beyond the ability of human beings and therefore is divine. That Book contains the words of the Lord. In that Book many verses state that Allah is the Lord and Creator of the universe. The verses 23-24 of chapter two mentioned earlier are preceded by :

"O you people! Worship your Guardian, who created you and thoso who came before you that you may become righteous.. then set not up rivals to Allah when you know the truth." 2:21.22.

In these four verses, if no one at the time of the prophet and until the present day can imitate the Holy Qur'an, then you have to believe that it is a revelation form Allah who created the universe.

that it must be divine and consequently embraced Islam. Omar bin Alkhattab was one of those who admired the beautiful language of the Holy Qur'an and consequently embraced Islam. Altufail Al Dawsy, who was a noble Arab who came to visit Mekkah, was warned by the leaders of Quraish not to listen to Muhammad (M.P.B.U.H) reciting the Qur'an. In their opinion, it resembled magic that separates man from his father he over heard the prophet reciting some verses from the Holy Qur'an and was taken by its beauty. Needless to say, he embraced Islam.

Other people specially the leaders of Quraish were adamant and denied its divine origin. Even, some people accused Prophet Muhammad (M.P.B.U.H) that he forged it, while others claimed that other people helped him to compose it. Utbah bin Rabiah, one of the leaders of Quraish tried to persuade Muhammad (M.P.B.U.H) to cease spreading his new faith and promised to make him the leader of Mekkah. The prophet recited some verses from the Holy Qur'an and Utbah upon hearing them was taken by admiration, but for worldly reasons he remained to oppose Prophet Muhammad (M.P.B.U.H).

The Quraishy people accused Muhammad (M.P.B.U.H) of all sort of accusations. He was accused of being a magician, sorcerer, mad or a poet and that he fabricated the Holy Qur'an.

"Or do they say, "He fabricated it (the message)" Nay they have no faith! Let them then produce a saying like it, if (it be) they speak the truth." 52:33-34.

The Holy Qur'an challenged the Arabs who were known to be articulate to produce a similar book. Failing to do so, the challenge was made easier by producing ten chapters only.

"Or do they say, "He forged it." Say, : Bring then ten sura forged like it, and call (to your aid) whosoever you can, other than Allah if they (their false gods) do not respond (to your call), know then that this revelation is sent down with the knowledge of Allah, and that there is no god but He! Will you then submit (become Muslims)?" 11:13/14.

"Or do they say : "He forged it?" Say : "Bring then a chapter like it and call (to your aid) anyone beside Allah, if you speak the truth." 10:38.

"And if you are in doubt as to what We have revealed from time to time to Our servant then produce a sura like what we reveal-, and call your witnesses or helpers (if there are any) besides Allah if you are truthful. But if you cannot and surely you cannot, (will not be able) then fear the fire whose fuel is men and stones which is prepared for those who reject faith." 2:23-24.

THE HOLYQUR'AN SPEAKS TO THE MIND

DR. AHMED SHAWKY ARAFA

The Holy Qur'an contains hundreds of words that deal with thinking, reasoning and reflection. The mind will reflect upon the ideas of that Book and consequently will approve or disapprove them. It is evident that this Book speaks to the mind.

The Holy Qur'an raises many arguable ideas. Some of them are new while others are against the existing beliefs. This Book provides proofs to convince the reader. An example of these ideas is the Unity of Allah – the Lord – and that He is the Founder and Creator of the universe. It aims at proving that He is the true God, and that He has no son, wife, partner or associate. It also proves that the Holy Qur'an is the word of Allah. Again it proves that people will be resurrected after death on the day of judgment.

Allah sent prophets and messengers to various tribes to guide them to worship the true God. In order that people might believe them, Allah provided them with miracles. A miracle is defined as an event which does not follow the known laws of nature. The tribe of prophet Saleh wanted a proof for his prophethood. They asked him to make a camel to emerge from the mountain and also to deliver a baby camel. A pregnant camel emerged from the side of the mountain as requested and gave birth to baby camel. This event is beyond the power of human beings.

Prophet Moses showed Pharaoh the rod that changed into a huge serpent. It swallowed up the ropes and rods of the magicians that seemed to the watchers to be moving like snakes. The magicians realized that they were confronted with a miracle from the Lord of the world. Consequently, they believed in Moses and his Lord.

It is worthy to notice that only those who saw any of these miracles might be convinced and follow the prophet. Those who did not see the miracle as well as those of the following generations might not be convinced of the truth of the prophet.

Allah supported Prophet Muhammad (M.P.B.U.H) by an eternal miracle that will convince Quraish as well as those who will follow in the coming genration. His miracle is the Holy Qur'an. The Arabs who were known to be articulate were astonished when they heard some verses from that Book. They were amazed at its beautiful language. Some Arabs were convinced that these verses can not be composed by Muhammad (M.P.B.U.H) or any human being. They were convinced

all attempts to destroy or corrupt it. Being guarded by Allah, it will always remain pure. There does not exist a single copy with any variation from the recognized text. Any attempt of alteration has always resulted in failure. Allah stated:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

"Surely We have revealed the Reminder, and surely We are its Guardian"
(Al Hijr, 9)

Upon the command of the prophet (P & B U H), the companions used to write what was revealed of the Holy Qur'an. They used for this purpose palm branches stripped of leaves, parchment, shoulder bones, stone tablets etc. About 40 people were involved in this task. Among those was Zayd Bin Thabet who showed his work to the Prophet (P & B U H). Thus, the Qur'an was properly arranged during the Prophet's life but it was not compiled in one Book yet. In the meantime, most of the prophet's companions learn the Qur'an by heart.

When Abu Bakr Assiddeeq became Caliph after the prophet had died, a large number of the companions were killed during the war of the apostasy. Omar Bin Al Khatab went to the Caliph and discussed the idea of compiling the Qur'an in one volume. He was disturbed, as most of those who memorized it had died. Then, Abu Bakr called for Zayd and commissioned him the collect the Qur'an in one book, which became known as "Moshaf". After Zayed accomplished the tedious task and organized the Qur'an into one book, he submitted the precious collection to Abu Bakr who kept it in his possession until the end of his life. During Omar's caliphate, it was kept with the prophet's wife "Hafsa".

In Othman's days, readers began to recite the Qur'an in different ways as Islam reached many countries. Othman then had various copies made based on the original copy with Hafsa. Thus the Qur'an was preserved and the Caliph was very much pleased with his achievement. Today, every copy of the Qur'an has to conform with the standard copy of Othman. In fact Muslims over the ages excelled in producing the best manuscripts of the Holy Qur'an in the most woderful handwriting. With the introduction of printing, more and more editions of the Holy Qur'an were available all over the world.

***

Reference

An article entitled "The Holy Qur'an the Everlasting Book of Allah", by: Dr Mohammed Abdul Monaim Khafagi, Al Azhar Magazine, (May 2000 - Safar 1421).

The Qur'an

By: Hanan Abdou El Tahtawy

The Qur'an is the backbone of Islam. On this sacred book of Allah, depends the Islamic call, the state, society and civilization of the Muslim world. It is the last divine revelation, which was sent down to Prophet Muhammad (Peace & Blessings upon Him), the seal of all prophets. His task was to convey the message of worshipping the one god "Allah" without ascribing any partner to Him. The Holy Qur'an, which is a guidance and a source of mercy to mankind at large, is divided into 114 chapters (Surahs) of varying length. Ninety-three chapters were revealed in Macca while the remaining twenty-one were revealed in Medina.

The first revelation, which the Holy Prophet received, was Surat "Al Alaq". That happened in Macca where Surat "Al Najm" later became the first to be recited openly to the people. In Madina, Surat "Al Mutafifin", was the first one revealed after the Hijra (migration). The prophet had to flee to Medina for the safety of his own life and the lives of his followers upon the commandment of Allah.

The last verse sent down to the Prophet was:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

"This day have I perfected for you your religion and completed My favor to you and chosen for you Islam as religion"

(Al Ma'ida, 3)

Some chapters in the Qur'an focus on the call for Islam as guidance to humanity. They deal with monotheism and the fight against polytheism and idolatry worship. Thus, stress is laid on all that is related to faith. In other chapters, attention is given to legislation, acts of worship, relationships among people along with the laws that regulate matters within the Muslim community, government and family.

A number of chapters talk about resurrection, the Hereafter and the unseen. Others relate the stories of various prophets and their calls for faith. We see how the previous nations were severely punished when they disobeyed Allah and denied the messages of Previous prophets. In addition, several chapters focus on the story of creation and the development of human life. In fact, Maccan revelations grounded the Muslims in faith in Allah. On the other hand, Madinan revelations were meant to translate the faith into action and give details of the divine law. The Qur'an will forever be preserved against

AL-AZHAR MAGAZINE
Rajab 1421 H.

ENGLISH SECTION
Oct. 2000

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

شعبان شهر الرحمة والمغفرة

الحمد لله الذي فضل بعض الشهور على بعض والليالي بعضها على بعض والأزمنة على بعضها، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله وصلاة وسلاما عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعـــد:

فكان رسول الله - ﷺ - إذا دخل رجب قال: اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان. وكان يقول: «رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي» ولذا لم يصم سيدنا رسول الله - ﷺ - شهرا بعد رمضان إلا رجب وشعبان،

وقال بعض الصالحين: السنة شجرة: رجب أيام إيراقها، وشعبان أيام ثمارها، ورمضان أيام قطافها.

وقيل: «رجب لترك الجفاء، وشعبان للعمل والوفاء، ورمضان للصدق والصفاء» رجب شهر

التوبة، شعبان شهر المحبة، رمضان شهر القربة، رجب شهر الحرمة، شعبان شهر الخدمة، رمضان شهر النعمة، رجب شهر العبادة، شعبان شهر الزهادة، رمضان شهر الزيادة. رجب شهر يضاعف الله فيه الحسنات، شعبان شهر تكفر فيه السيئات، رمضان شهر تنتظر فيه الكرامات. رجب شهر السابقين، شعبان شهر المقتصدين، رمضان شهر العاصين.

وقال ذو النون المصرى - رحمه الله - رجب لترك الآفات، وشعبان لاستعمال الطاعات ورمضان لانتظار الكرامات، فمن لم يترك الآفات ولم يستعمل الطاعات، ولم ينتظر الكرامات فهو من أهل التّرّهات.

وقال أيضا - رحمه الله -: رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقى، ورمضان شهر الحصاد وكل يحصد ما زرع، ويجزى ما صنع، ومن ضيع الزراعة ندم يوم حصاده، وأخلف ظنه مع سوء معاده.

وقيل: خص رجب بالمغفرة من الله - تعالى - وشعبان بالشفاعة، ورمضان بتضعيف الحسنات، وليلة القدر بإنزال الرحمة، ويوم عرفة بإكمال الدين، كما قال تعالى:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(1).

ويوم الجمعة بإجابة أدعية الداعين، ويوم العيد بالعتق من النار وفكاك رقاب المؤمنين.

أحبابى أحباب رسول الله - ﷺ - هذا شهر شعبان شهر الطاعات والتنافس فى الخير، والبر والعبادة والزهادة، شهر تكفر فيه السيئات، كان رسول الله - ﷺ - يكثر فيه من الصيام، وقد خصه المولى بليلة مباركة، يطلع الله على عباده فيها فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين.

وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى فى كتابه «لواقح الأنوار القدسية فى بيان العهود المحمدية ١٨٤»: أخذ علينا العهد العام من رسول الله - ﷺ - أن نقوم ليلة النصف من شعبان، ونصوم نهارها، ونستعد لها بالجوع الشاق، وقلة الكلام والصمت، فإن من يشبع ليلتها، وأكثر اللغو من الكلام والغفلة عن الله - تعالى - لا يذوق؛ لما فيها من الخيرات طعما، ولو سهر فهو كالجماد الذى لا يحس بشىء وما حث الشارع العبد على الاستعداد لحضور المواكب الإلهية إلا ليشعر بما يمنحه فى تلك المواكب، ويتلقى ما يخصه من الإمداد بالأدب، ومن لا يشعر بذلك! فقد فاته خير كبير، فعُلم أنه يجب على كل مؤمن أن يتوب من جميع ما ورد فى الحديث أنه يمنع حصول المغفرة لصاحبه ليلة النصف من

١- المائدة (٣).

شعبان قبل دخول ليلة النصف. كالمشاحن بغير عذر شرعي، وكآخذ العشور من المكس وكالعقوق للوالدين ونحو ذلك، فيجب السعي في إزالة ما عندنا من الشحناء، وما عند غيرنا منها في حقنا، ولو بإرسال كلام طيب أو مدح بين الأقران ونحو ذلك كإهداء هدية، وبذل مال لننال الرحمة والمغفرة من الله – تعالى – في تلك الليلة، ولا نتهاون بالمبادرة في إزالة الشحناء إلى ليلة النصف، فربما يتعسر علينا إزالة ما عندنا، أو عند المشاحن لنا من الحقد الكمين فتفوتنا المغفرة تلك الليلة».

وروى أن عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – كتب إلى الحجاج بن أرطاة وهو على البصرة، وقيل: إلى عدى بن أرطاة: عليك بأربع ليال في السنة، فإن الله – تعالى – يفرغ فيهن الرحمة إفراغا، وهي أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان وليلة السابع والعشرين من رمضان، وليلة الفطر.

وعن خالد بن معدان – رحمه الله – أنه قال: خمس ليال في السنة، من واظب عليهن رجاء ثوابهن، وتصديقا بوعدهن، أدخله الله – تعالى – الجنة: أول ليلة من رجب يقوم ليلها، ويصوم نهارها، وليلتي العيدين يقوم ليلهما، ويفطر نهارهما، وليله النصف من شعبان يقوم ليلها، ويصوم نهارها، وليلة عاشوراء يقوم ليلها ويصوم نهارها.

عن معاذ بن جبل، عن النبي – ﷺ – قال: «يطَّلعُ اللهُ إلى خلقه في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن»[٢].

وروى البيهقي مرفوعا: «أتاني جبريل – عليه السلام – فقال: هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب، لا ينظر الله إلى مشرك ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسْبِل إزاره، ولا إلى عاق لوالديه ولا إلى مدمن خمر».

وفي رواية الإمام أحمد: «فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحن أو قاتل النفس».

وفي رواية للبيهقي مرفوعا: «يطّلع الله على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويؤخر أهل الحقد كما هم».

أخي المسلم: اترك الشحناء وصل رحمك وبر والديك، وتب إلى الله من جميع ذنوبك قبل دخول ليلة النصف من شعبان حتى تكون من أهل دخول حضرة الله عز وجل.

٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٨١) برقم (٥٦٦٥) حديث صحيح بشواهده والطبراني في الكبير (٢٠/ ٢١٥) والسنة لابن عاصم (٥١٢)

قال سيدى محمد بن عنان - رحمه الله -: «تجب المبادرة على قاطع الرحم إلى صلة الرحم، ولا يؤخر الصلة حتى تدخل ليلة النصف، فربما يتعسر صلتها تلك الليلة، وكذلك تجب المبادرة إلى بر الوالدين على كل من كان عاقا لوالديه، وكذلك يجب علينا إذا كان أحد من معارفنا عشارا أو مكاسا أن نأمره بالتوبة عن تلك الوظيفة والعزم على ألا يعود إليها؛ لينال المغفرة في تلك الليلة، فإن الله - تعالى - أخبر أنه لا يغفر لأهل هذه الذنوب، ولا يرفع لهم إلى السماء عملا، وذلك عنوان الغضب من الله - تعالى - عليهم. نسأل الله اللطف.

ومن المعلوم أن التوبة عن هذه الأمور وإن كانت واجبة على الدوام فهى فى ليلة النصف آكد، كما قالوا: يستحب للصائم أن يصون لسانه عن الغيبة والنميمة فى رمضان. ومعلوم أن ذلك واجب فى رمضان وغيره، ولكن لما توقف كمال العبادة على ذلك استحب من تلك الحيثية.

وروى ابن ماجه مرفوعا:« إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلتها، وصوموا يومها، فإن الله - تبارك وتعالى - ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا، فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له؟ ألا من مسترزق فأرزقه؟ ألا من مبتل فأعافيه؟ ألا كذا، ألا كذا حتى يطلع الفجر».

وكان الإمام على بن أبى طالب - رضى الله عنه - يفرغ نفسه للعبادة فى أربع ليال فى السنة، وهى: أول ليلة من رجب وليلة الفطر، وليلة الأضحى، وليلة النصف من شعبان، وكان من دعائه فيها: اللهم صل على محمد وآله مصابيح الحكمة، وموالى النعمة، ومعادن العصمة، واعصمنى بهم من كل سوء، ولا تأخذنى على غرة، ولا على غفلة، ولا تجعل عواقب أمرى حسرة وندامة، وارض عنى، فإن مغفرتك للظالمين، وأنا من الظالمين[٣].

اللهم اغفر لى ما لا يضرك، واعطنى مالا ينفعك، فإنك الواسعة رحمته، البديعة حكمته، فاعطنى السعة والدعة، والأمن والصحة، والشكر والمعافاة، والتقوى، وافرغ الصبر والصدق علىّ وعلى أوليائك، واعطنى اليسر، ولا تجعل معه العسر، واعمم بذلك أهلى وولدى، وإخوانى فيك، ومن ولدنى من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.

عبد المعز عبد الحميد الجزار

٣- العهود المحمدية لسيدى عبد الوهاب الشعرانى، والغنية لطالبى طريق الحق (١/ ١٨٠).

المؤتمر الإسلامى العالمى لمناصرة قضية القدس الشريف

بدأت جهود الأزهر الشريف فى دعم قضية فلسطين والقدس الشريف والمسجد الأقصى منذ عام ١٩٣٦ عندما خرج شيوخ الأزهر وعلماؤه يتنادون لنصرة فلسطين والوقوف فى وجه حملات التهويد.

وعقدت المؤتمرات الإسلامية فى رحاب الأزهر الشريف داعية إلى نصرة فلسطين وحماية القدس ونجدة الأقصى.

وأخيرا وليس بآخر عقد بقاعة المؤتمرات بمجمع البحوث الإسلامية، المؤتمر الإسلامى العالمى لمناصرة قضية القدس الشريف، برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر من أجل بحث التطورات الأخيرة فى القدس، ولإرجاع الحق لأهله واسترداد الوطن المغتصب والقدس الشريف وأصدر المؤتمر بيانه الختامى على النحو التالى:

البيان الختامى للمؤتمر

إن المؤتمر الإسلامى العالمى الذى عقده الأزهر الشريف على أرض الكنانة ليعلن الحكم الاسلامى فيما يتعلق بوضع القدس الشريف والمسجد الأقصى، وما يحدث من انتهاكات صارخة من اسرائيل ويوضح للأمة العربية والإسلامية أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ـ ﷺ ـ.

وهو جزء من عقيدتنا لا نفرط فيه بحال من الأحوال قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾(١).

وهو أحد المساجد التى تشد إليها الرحال كما جاء فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى ».

وإن الحفاظ على هذا المكان المقدس واجب على كل المسلمين، وإن الدفاع عنه فرض عين على كل مسلم، وما يجرى من إسرائيل من انتهاكات وعدوان وظلم وطغيان يتنافى مع جميع الشرائع السماوية والقوانين الدولية والأعراف الإنسانية.

فقد عمدت إسرائيل إلى تهويد الوطن المحتل من أهله وتفريغ المدينة المقدسة من أهلها الأصليين وجلبوا اليهود فى مستوطنات استعمارية لا حق لهم فيها ولا سند من

---

(١) الإسراء: ١.

التاريخ يبرر ما فعلوه إلا الظلم والعدوان، فقد أخرجوا السكان الأصليين بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

والعرب والمسلمون ومصر في مقدمتهم رئيسا وحكومة وشعبا نادوا بالسلام العالمي والتعايش السلمي، وأصدرت المنظمات الدولية قراراتها، ولكن اسرائيل لم تعبأ بتلك القرارات واستمرت حتى الآن في الانتهاكات. مما دفع السيد الرئيس محمد حسني مبارك أن ينادي لعقد مؤتمر قمة على أرض مصر في محاولة لحقن الدماء والدفاع عن القدس والأرض المقدسة، وإن الأزهر الشريف وجميع الأعضاء والهيئات الإسلامية المشاركة من الدول العربية والإسلامية يعلنون رأيهم كعلماء لهذه الأمة أن هذا العدوان من إسرائيل ظلم واضح واعتداء صارخ يستوجب على جميع المسلمين والعرب وعلى المجتمع الدولي أن يتضامن مع الشعب الفلسطيني الأعزل وأن يؤازر هذه القضية العادلة دفاعا عن الأرض المحتلة وعن أهلها المظلومين واللاجئين وعن القدس الشريف والمسجد الأقصى لأنه دفاع عن المقدسات الإسلامية كلها وليس دفاعا عن القدس الشريف وحده فكما وجب علينا أن نحافظ على الحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة وجب كذلك أن نحرص على القدس الشريف والمسجد الأقصى ليظل طرفا الإسراء وركناه في أمن وسلام.

وإن المؤتمر الإسلامي الذي يضم علماء الأمة الإسلامية وقادة الفكر يدين بشدة تلك الانتهاكات العدوانية الصارخة والإجراءات الظالمة لتهويد مدينة القدس وتفريغها من أهلها وارتكاب أبشع الجرائم العدوانية والمجازر البشرية والعدوان على الأنفس والأموال والأطفال وإهانة المشاعر.

إن علماء الأمة الإسلامية ينادون من قلب أرض الكنانة النابض من الأزهر الشريف أكبر مرجعية إسلامية في العالم ويهيبون بالمنظمات الدولية ومجلس الأمن والأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الاسلامي وجامعة الدول العربية وجميع منظمات حقوق الانسان لأداء رسالتها الواجبة حيال هذا العدوان الصارخ. ويستصرخون الضمير العالمي في كل مكان أنه قد تجسدت أمام الدنيا أكبر الآلام البشرية والمآسي التي تمثل اقتلاع شعب من وطنه وقتله وتشريده وإبادته وتشريد الأطفال والنساء والشيوخ.

وينادون الدول المناهضة للطغيان وكل مجاهد مخلص أن تعمل على إيقاف حمامات الدماء التي تراق ظلما وعدوانا في كل يوم والمجازر البشرية المتتابعة في فلسطين.

ويدعو المؤتمر الأمة العربية والإسلامية وجميع الشعوب المحبة للعدل والسلام أن تعتصم بحبل الله جميعا وأن تكون على قلب رجل واحد في مواجهة هذه التحديات.

وأن تقدم أغلى ما تملك من النفس والمال، ويطالب المؤتمر بتشكيل لجنة تحقيق دولية لما يجرى على ساحة القدس وفلسطين من انتهاكات لإحقاق الحق ورد الحقوق لأصحابها وعودة اللاجئين وردع الباطل حتى ينحسر.

ويؤيد المؤتمر الإسلامي العالمي دعوة السيد الرئيس محمد حسني مبارك لمؤتمر القمة ضارعا إلى الله أن يسفر عن إرجاع الحق لأهله واسترداد الوطن المغتصب والقدس الشريف وإحلال السلام العادل والتعايش السلمي أولا، فنحن دعاة سلام شامل عادل.

أما إذا لم ترضخ اسرائيل لنداء العقل ودعوة السلام العادل، فإن علماء الأمة يعلنون أن الجهاد حين تستنفد كل سبل السلام مع إسرائيل يصبح فرض عين على كل مسلم في كل بقعة من العالم وحينئذ يكون الموت استشهادا في سبيل الله. والله ولى التوفيق

الإمام الأكبر شيخ الأزهر ورئيس المؤتمر

أ.د/ محمد سيد طنطاوى

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰأُولِي الْأَلْبَٰبِ (١٩٧) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

[الآيات من ١٩٧ : ١٩٩]

بين - سبحانه - وقت الحج، وما يجب على المسلم عند أدائه لهذه الفريضة من آداب.

وقوله: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ﴾. أى: وقت الحج أشهر معلومات أو أشهر الحج

أشهر معلومات، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وجعلت النسبة إلى الحج نفسه لا إلى وقته، للإشعار بأن هذه الأشهر لكونها تؤدى فيها هذه الفريضة قد اكتسبت تقديساً وبركة منها، حتى لكأن هذه الأشهر هي الفريضة نفسها.

قال القرطبي ما ملخصه: وأشهر الحج هي: شوال، وذو القعدة، والعشرة الأولى من ذي الحجة وقيل: هي شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وفائدة الفرق تعلق الدم، فمن قال: إن ذا الحجة كله من أشهر الحج لم يوجب دماً على من أخر طواف الإفاضة إلى آخر ذي الحجة لأنه وقع في أشهر الحج، ومن قال بأن وقت الحج ينقضي بالعشرة الأولى من ذي الحجة يوجب الدم عليه لتأخيره عن وقته، ولفظ الأشهر قد يقع على شهرين وبعض الثالث، لأن بعض الشهر ينزل منزلة كله، كما يقال: رأيتك سنة كذا ولعله إنما رآه في ساعة منها»[1].

وعبر - سبحانه - عن هذه الأشهر بأنها معلومات، لأن العرب كانوا يعرفون أشهر الحج من كل عام منذ عهد إبراهيم - عليه السلام - وقد جاء الإسلام مقرراً لما عرفوه. أو المراد بكونها معلومات أنها مؤقتة بأوقات معينة لا يجوز تقديمها ولا تأخيرها عنها، وهو يتضمن بطلان النسيء الذي كان يفعله الجاهليون تبعاً لأهوائهم.

وقوله:

﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾

بيان لما يجب أن يتحلى به المسلم من فضائل عند أدائه لهذه الفريضة.

قال الإمام الرازي: ومعنى ﴿فَرَضَ﴾ في اللغة ألزم وأوجب. يقال: فرضت عليك كذا، أي أوجبته. وأصل معنى الفرض في اللغة الحز الذي فيه الوتر، ومنه فرض الصلاة وغيرها لأنها لازمة للعبد كلزوم الحز للقدح ففرض هنا بمعنى أوجب وألزم...»[2].

والرفث في الأصل: الفحش من القول. والمراد به هنا الجماع. أو الكلام المتضمن لما يستقبح ذكره من الجماع ودواعيه.

قال القرطبي: وأجمع العلماء على أن الجماع قبل الوقوف بعرفة مفسد للحج وعليه حج قابل والهدى.

والفسوق: الخروج عن طاعة الله بارتكاب المعاصي، ومن ذلك السباب وفعل محظورات الإحرام، وغير ذلك مما نهى الله عنه.

والجدال على وزن فعال من المجادلة وهي مشتقة من الجدل وهو الفتل ومنه: زمام مجدول وقيل: هي مشتقة من الجدالة التي هي الأرض فكأن كل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه، فيكون كمن ضرب به الجدالة.

---

(١) تفسير القرطبي جـ٢ ص٤٠٥.

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٥ ص١٧٨.

والمراد النهي عن المماراة والمنازعة التي تؤدي إلى البغضاء وتغير القلوب.

والمعنى: أوقات الحج أشهر معلومات فمن نوى وأوجب على نفسه فيهن الحج وأحرم به فعليه أن يجتنب الجماع للنساء ودواعيه، وأن يبتعد عن كل قول أو فعل يكون خارجاً عن آداب الإسلام ومؤدياً إلى التنازع بين الرفقاء والإخوان، فإن الجميع قد اجتمعوا على مائدة الرحمن، فعليهم أن يجتمعوا على طاعته، وأن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه».

قال الآلوسي: وقال - سبحانه -:

﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾

بالإظهار ولم يقل: فيه مع أن المقام يقتضي الإضمار، لإظهار كمال الاعتناء بشأنه، وللإشعار بعلة الحكم، فإن زيارة البيت المعظم والتقرب بها إلى الله - تعالى - من موجبات ترك الأمور المذكورة المدنسة لمن قصد السير والسلوك إلى ملك الملوك، وإيثار النفي للمبالغة في النهي، والدلالة على أنها حقيقة بأن لا تكون فإن ما كان منكراً مستقبحاً في نفسه منهياً عنه مطلقاً فهو للمحرم بأشرف العبادات وأشقها أنكر وأقبح»[٣].

والضمير في قوله: ﴿ فِيهِنَّ ﴾ للأشهر، لأنه جمع لغير العاقل فيجرى على التأنيث. وجملة ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ إلخ في محل جزم جواب من الشرطية والرابط بين جملة الشرط والجواب ما في معنى ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ من ضمير يعود على «من»، لأن التقدير فلا يرفث ويجوز أن تكون جملة ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ وما عطف عليها في محل رفع خبر لمن على أنها موصولة.

وقد أخذ الشافعية من هذه الآية أنه لا يجوز الإحرام بالحج في غير أشهر الحج لأن الإحرام به في غير أشهره يكون شروعاً في العبادة في غير وقتها فلا تصح.

ويرى الأحناف والحنابلة، أنه يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره ولكنه مع الكراهة: والإمام مالك لا يرى كراهة في ذلك.

ويبدو أن رأى الشافعية هنا أرجح، لأن قوله - تعالى -:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ يشهد لهم، فقد جعل - سبحانه - هذه الأشهر وعاء لهذه الفريضة وظرفاً لها.

وقوله: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ حض على فعل الخير عقيب النهي عن فعل الشر. أي: اتركوا الأقوال والأفعال القبيحة، وسارعوا

---

(٣) تفسير الآلوسي: جـ٢ ص٨٦.

إلى الأعمال الصالحة خصوصاً فى تلك الأزمنة والأمكنة المفضلة، والله - تعالى - لايخفى عليه شيء من أعمالكم وهو - سبحانه سيجازيكم على فعل الخير بما تستحقون من جزاء.

ثم قال - تعالى -:

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾.

قال الإمام الرازى: فى هذه الجملة الكريمة قولان:

أحدهما: أن المراد وتزودوا من التقوى - أى الأعمال الصالحة - والدليل عليه قوله بعد ذلك «فإن خير الزاد التقوى» وتحقيق الكلام فيه أن الإنسان له سفران: سفر فى الدنيا وسفر من الدنيا، فالسفر فى الدنيا لابد له من زاد وهو الطعام والشراب والمال.. الخ والسفر من الدنيا لابد له أيضا من زاد وهو معرفة الله ومحبته والإعراض عما سواه، وهذا الزاد خير من الزاد الأول لأن زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم.. قال الأعشى مقرراً هذا المعنى:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى

ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله

وأنك لم ترصد بما كان أرصدا

والقول الثانى: أن هذه الآية نزلت فى أناس من أهل اليمن كانوا يحجون بغير زاد ويقولون: إنا متوكلون، ثم كانوا يسألون الناس، وربما ظلموا الناس وغصبوهم فأمرهم الله - تعالى - أن يتزودوا بالمال والطعام الذى يغنيهم عن سؤال الناس [4].

والذى نراه أن الجملة الكريمة تسع القولين، فهى تدعو الناس إلى أن يتزودوا بالزاد المعنوى النفسى الذى يسعدهم ألا وهو تقوى الله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والإكثار من العمل الصالح وفى الوقت نفسه هى تأمرهم - أيضاً - بأن يتزودوا بالزاد المادى الحقيقى الذى يغنيهم عن سؤال الناس، ويصون لهم ماء وجوههم.

وبذلك تكون قد استعملنا اللفظ فى حقيقته ومجازه، وهو استعمال شائع مستساغ عند كثير من العلماء.

ثم ختم - سبحانه - الآية بتأكيد أمر التقوى ووجوب الإخلاص فقال:

﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ والألباب: جمع لب وهو العقل واللب من كل شيء: هو الخالص منه. وسمى به العقل، لأنه أشرف ما فى الإنسان.

أى: أخلصوا لى يا أصحاب العقول السليمة، والمدارك الواعية، لأنكم لما كنتم كذلك كان وجوبها عليكم أثبت، وإعراضكم عنها أقبح. ورحم الله القائل:

ولم أر فى عيوب الناس عيباً

كنقص القادرين على التمام

---

(4) تفسير الفخر الرازى جـ5 ص 81 بتلخيص

والجملة الكريمة ليست تكرارا لسابقتها، لأن الأولى حث على التقوى وهذه حث على الإخلاص فيها.

ثم بين - سبحانه - أن التزود بالزاد الروحى لا يتنافى مع التزود بالزاد المادى متى توافرت التقوى، فقال - تعالى -:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.

الجناح: أصله من جنح الشىء إذا مال: يقال جنحت السفينة إذا مالت إلى أحد جانبيها.

والمراد بالجناح هنا الإثم والذنب، لأنه لما كان الإثم يميل بالإنسان عن الحق إلى الباطل سمى جناحاً.

والابتغاء: الطلب بشدة، وجملة ﴿ أَن تَبْتَغُوا ﴾ فى موضع جر بتقدير فى.

والفضل: الزيادة وتكون فى الخير والشر إلا انه جرى العرف أن يعبر عن الزيادة الحسنة بالفضل وعن الزيادة القبيحة بالفضول.

والمراد به هنا: المال الحلال المكتسب عن طريق التجارة المشروعة أو غيرها من وجوه الرزق الحلال.

أى: لا إثم ولا حرج عليكم فى أن تطلبوا رزقا حلالا ومالا طيبا عن طريق التجارة أو غيرها من وسائل الكسب المشروعة فى موسم الحج.

وقد ذكر المفسرون أن الناس كانوا يتحاشون من التجارة فى الحج، حتى إنهم كانوا يتجنبون البيع والشراء فى العشر الأوائل من ذى الحجة، فنزلت هذه الآية لتخبرهم انه لاحرج عليهم فى ذلك.

روى البخارى عن ابن عباس قال: كان ذو المجاز(*) وعكاظ متجر الناس فى الجاهلية فلما جاء الإسلام كأنهم كرهوا ذلك حتى نزلت

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

وقال ابن كثير: وروى الإمام أحمد عن أبى أمامة التيمى قال: قلت لابن عمر: إنا نُكْرِى فهل لنا من حج؟ قال: أليس تطوفون بالبيت وترمون الجمار وتحلقون رءوسكم وتقضون المناسك قال: قلت بلى: فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبى - ﷺ - فسأله عن الذى سألتنى فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم» فدعاه النبى - ﷺ - فقال له: «أنتم حجاج»(٦).

فالآية الكريمة صريحة فى إباحة طلب الرزق لمن هو فى حاجة إلى ذلك فى موسم الحج بشرط ألا يشغله عن أداء فرائض الله.

ثم قال - تعالى -:

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾

(*) ذو المجاز: مكان خلف جبل عرفات. وعكاظ: مكان فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال ومجنة: مكان بمر الظهران. وهذه الأماكن تسمى بأسواق العرب.

(٦) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٤٠.

الفاء في قوله: فإذا لتفصيل بعض ما أجمل من قبل في قوله:

﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ ﴾ وأفضتم، اندفعتم بكثرة متزاحمين، وذلك تشبيه لهم بالماء إذا كثر ودفع بعضه بعضاً فانتشر وسال من حافتي الوادي والإناء، والإفاضة في الحديث والاندفاع فيه بإكثار وتصرف في وجوهه ومنه قوله - تعالى -:

﴿ إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾. فأصل هذه الكلمة الدفع للشيء بكثرة حتى يتفرق والتقدير: أفضتم فحذف المفعول للعلم به.

والمراد: خروجهم من عرفات بشيء من السرعة في تكاثر وازدحام متجهين إلى المزدلفة. وعرفات: اسم للجبل المعروف، قيل: سمي بذلك لأن الناس يتعارفون به فهم يجتمعون عليه في وقت واحد فيجري التعارف بينهم.

وقد اتفق العلماء على أن الوقوف هو ركن الحج الأكبر ففي الحديث الشريف «الحج عرفة» ويكون ذلك في اليوم التاسع من ذي الحجة.

قال القرطبي: أجمع أهل العلم على أن من وقف بعرفة قبل الزوال ثم أفاض منها قبل الزوال أنه لايعتد بوقوفه ذلك قبل الزوال. وأجمعوا على تمام حج من وقف بعرفة بعد الزوال وأفاض نهاراً قبل الليل إلا مالك بن أنس فإنه قال: لابد أن يأخذ من الليل شيئاً، وأما من وقف بعرفة بالليل فإنه لاخلاف بين الأمة في تمام حجه. والحجة للجمهور مطلق قوله:

﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾: فإنه لم يختص ليلا من نهار. وحديث عروة بن مضرس قال: أتيت النبي - ﷺ - هو في الموقف من جَمْع - أي من المزدلفة - فقلت: يارسول الله، جئتك من جبل طيء أكللت مطيتي وأتعبت نفسي، فهل لي من حج يا رسول الله؟ فقال رسول الله - ﷺ - «من صلى معنا الغداة بجمع وقد أتى عرفات قبل ذلك ليلا أو نهاراً فقد تم حجه»[7].

ومن في قوله:

﴿ مِّنْ عَرَفَٰتٍ ﴾ ابتدائية. أي، فإذا أفضتم خارجين من عرفات إلى المشعر الحرام.

والمشعر الحرام: هو المزدلفة وقيل: هو موضع بها، والمشعر: اسم مشتق من الشعور أي: العلم، أو من الشعار أي: العلامة.

ووصف المشعر بوصف الحرام لأنه من أرض الحرم، وهو منسك له حرمة وتقديس. والمزدلفة من الازدلاف وهو القرب وسميت بذلك لأن الحجاج يزدلفون إليها من عرفات ليبيتوا بها قاصدين الاقتراب من منى.

وتسمى المزدلفة - أيضاً - «جَمْع» لاجتماع الناس في هذا المكان أو جمعهم فيه بين صلاتي المغرب والعشاء جمع تأخير. وتسمى كذلك «قزح».

ويرى الحنفية والشافعية أن الوقوف بالمزدلفة واجب وليس بركن، ومن فاته لايبطل حجه ويجب عليه دم.

---

(٧) تفسير القرطبي جـ٢ ص: ٤١٥.

ويرى أكثر المالكية أن الوقوف بها سنة مؤكدة.

ويرى بعض التابعين وبعض الشافعية أن الوقوف بها ركن كالوقوف بعرفات والمعنى: فإذا سرتم - يامعشر الحجاج - من عرفات متدافعين متزاحمين متجهين إلى المزدلفة فاكثروا من ذكر الله - تعالى - بالتلبية والتهليل والدعاء بقلوب مخبتة، ونفوس صافية، لأن ذكر الله - تعالى - فى تلك المواطن المقدسة والأوقات الفاضلة من شأنه أن يرفع الدرجات ويوصل إلى أعلا المقامات.

ثم قال - تعالى - :

﴿ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ الكاف للتشبيه. ومعنى التشبيه فى مثل هذا التركيب المشابهة فى التساوى فى الحسن والكمال. كما تقول: اخدمه كما أكرمك تعنى: لاتتقاصر خدمتك عن إكرامه.

والمعنى: اذكروا الله - تعالى - ذكراً حسناً مماثلا لهدايته لكم، وأنتم تعلمون أن هذه الهداية شأنها عظيم فبسببها خرجتم من الظلمات إلى النور، فيجب عليكم أن تكثروا من ذكر الله ومن الثناء عليه.

قال الآلوسى: و«ما» تحتمل أن تكون مصدرية فمحل ﴿ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾ النصب على المصدرية، بحذف الموصوف. أى: «ذكراً مماثلا لهداكم». وتحتمل أن تكون كافة فلا محل لها من الإعراب. والمقصود من الكاف مجرد تشبيه مضمون الجملة بالجملة، لذا لاتطلب عاملا تفضى بمعناه إلى مدخولها. وقيل: إن الكاف للتعليل، وما مصدرية. أى، اذكروه وعظموه لأجل هدايته السابقة منه - تعالى - لكم [8].

و﴿ وَإِن ﴾ فى قوله:

﴿ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ هى المخففة من الثقيلة والضمير فى ﴿ مِّن قَبۡلِهِۦ ﴾ يعود إلى الهدى المأخوذ من ما المصدرية وما دخلت عليه.

والمراد بالضلال هنا: الجهل بالإيمان وبالتكاليف التى كلف الله بها عباده.

أى: اذكروا الله - تعالى - ذكراً مشابهاً لهدايته لكم، وإنكم لولا هذه الهداية لبقيتم على ضلالكم وجهلكم بالدين الحق، ولكن الله - تعالى - من عليكم بهذه الهداية فاكثروا من ذكره وشكره عليها.

وبعد أن تحدث - سبحانه - عن الإفاضة من عرفة إلى المزدلفة وأمر بالإكثار من ذكره، عقب ذلك ببيان الطريقة المثلى للإفاضة فقال:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

أى: أفيضوا من عرفة لا من المزدلفة وهناك قولان فى المخاطب بهذه الآية.

---

(٨) تفسير الآلوسى جـ٢ ص٨٨.

أحدهما: أن الخطاب فيها لقريش وحلفائها، وذلك لأنهم كانوا يترفعون على الناس، فلا يقفون معهم على عرفات، وإنما يقفون وحدهم بالمزدلفة، وكانوا يقولون: نحن قطين الله - أى سكان حرمه فينبغى لنا أن نعظم الحرم - وهو المزدلفة - ولا نعظم شيئاً من الحل - وهو عرفات.

روى البخارى عن عائشة - رضى الله عنها - قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه - ﷺ - أن يأتى عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾.

والمعنى: أفيضوا يا معشر قريش من المكان الذى يفيض منه الناس وهو عرفة، واتركوا ما تفعلونه من الإفاضة من المزدلفة، فالمقصود إبطال ما كانت تفعله قريش.

والثانى: أن الخطاب فى الآية لجميع الناس، أمرهم الله - تعالى - فيه أن يفيضوا من حيث أفاض الناس.

والمراد بالناس فى الآية إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فإن سنتهما كانت الإفاضة من عرفة لا من المزدلفة.

قال بعضهم: وإيقاع اسم الجمع على الواحد جائز إذا كان رئيساً يقتدى به كما فى قوله - تعالى -:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ ﴾ يعنى «نعيم بن مسعود».

والذى نراه أن القول الثانى أولى بالقبول، لأن المغزى الذى تهدف إليه الآية فى معناها الخاص والعام هو دعوة الناس جميعاً إلى التجمع فى مكان واحد؛ ليشعروا بالإخاء والمساواة عند أدائهم لفريضة الحج بدون تفرقة بين كبير وصغير، وغنى وفقير، وقرشى وغير قرشى، ويدخل فى النهى دخولاً أولياً تلك الحالة التى كانت عليها قريش. وقد قال العلماء: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

و«ثم» للتفاوت المعنوى بين الإفاضتين - أى الإفاضة من عرفات والإفاضة من مزدلفة لبيان البعد بينهما، إذ أن إحداهما صواب والأخرى خطأ.

أى: لا تفيضوا من المزدلفة لأنه خطأ جسيم، واجعلوا إفاضتكم من عرفات لأن هذا العمل هو الصواب الذى يحبه الله ويرضاه.

وقوله:

﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ معطوف على ﴿ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾.

أى: استغفروا الله من ذنوبكم ومما سلف منكم من أخطاء فإن المؤمن كلما قويت روحه، وصفت نفسه أحس بأنه مقصر أمام نعم خالقه التى لا تحصى. ومن أكثر من التوبة والاستغفار غفر الله له ما فرط منه، لأنه - سبحانه - كثير الغفران، واسع الرحمة.

«يتبع»

قبس من أنوار النبوة

الدعاء

لفضيلة الشيخ/ على حامد عبد الرحيم

عن أنس - رضى الله عنه - قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: قال الله - تعالى -: «يا ابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى. يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك. يا ابن آدم، إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

رواه الترمذى

الدعاء سلاح المؤمن، وعُدة المسلم، ودليل الإيمان، ودليل اليقين، حثنا عليه الإسلام، ودعانا إليه القرآن، فقال - عز من قائل -:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(1).

● الدعاء سبيل المغفرة، وطريق القبول، أمر الله به فقال فى محكم التنزيل:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(2).

«والدعاء من أعظم مقامات العبودية، وإنه من شعار الصالحين، ودأب الأنبياء والمرسلين، والقرآن ناطق بصحته عن الصديقين، والأحاديث مشحونة بالأدعية المأثورة»(3).

لقد توجه آدم - عليه السلام - إلى ربه، ودعاه هو وزوجه ليغفر لهما على ما فرط منهما

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾(4).

فتاب الله عليهما:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(5).

---

(1) الأعراف (55، 56).
(2) غافر (60)
(3) تفسير غرائب القرآن للإمام النيسابورى (186/1)
(4) الأعراف (23)
(5) البقرة (37)

«أي استقبل آدم دعوات من ربه ألهمه إياها فدعاه بها، وهذه الكلمات مفسرة في آية الأعراف – السابقة –.

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾(٦).

﴿ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾(٧) أي قبل ربه توبته

﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٨) أي: إن الله كثير القبول للتوبة، واسع الرحمة للعباد»(٩).

وتوجه نوح – عليه السلام – إلى ربه

﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾(١٠).

(تجرى بأعيننا) أي: بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا «جزاء لمن كان كفر» أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح – عليه السلام –.

طلب إبراهيم – عليه السلام – من الله أن ينجيه من قومه الظالمين، فدعا ربه أن يسكن أهله وولده بلدا آمنا، وأن يجنبهم عبادة الأصنام

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾(١١).

وقف أيوب – عليه السلام – بمحراب الدعاء، وبسط كفيه بالدعاء والرجاء أن يكشف الله عنه الضراء

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾(١٢).

ها هو يونس – عليه السلام – صاحب الحوت – النون – إذ نادى ربه وهو في ظلمات ثلاث: هي ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، توجه إلى الله تائبا ونادما أن يكشف عنه المحنة، فاستجاب الله لتضرعه ونجاه من الضيق والكرب(١٣) قال – تعالى –:

﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾(١٤).

أي: كما نجى الله يونس من المحنة كذلك ينجي المؤمنين إذا استغاثوا به، وفي الحديث «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له»(١٥).

ودعا زكريا – عليه السلام – ربه فقال: فيما قصه القرآن.

---

(٦) الأعراف (٢٣).　(٧) البقرة (٣٧).　(٨) البقرة (٣٧).

(٩) صفوة التفاسير للصابوني (١/٣٥).　(١٠) القمر (١٠ ، ١٤).　(١١) إبراهيم (٣٥).

(١٢) الأنبياء (٨٣ ، ٨٤).

(١٣) صفوة التفاسير للصابوني (٢ / ٨٥٨).　(١٤) الأنبياء (٨٧ ، ٨٨).　(١٥) رواه أبو داوود، المرجع السابق ص٨٥٨.

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾(١٦).

وإن الكثير من الأنبياء والمرسلين والصادقين من عباد الله الصالحين مما جاء في القرآن وفي هدى الرسول - عليه الصلاة والسلام - قد توجهوا إلى الله بالدعاء والرجاء وعلمنا - عليه صلاة الله وسلامه - أن هناك أوقاتا أرجى لقبول الدعاء، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - فيما رواه البخاري - قال رسول الله - ﷺ - : «إذا جاء الثلث الأخير من الليل فإن ربكم ينزل كل ليلة ويقول: ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مبتل فأعافيه، ألا من داع فأستجيب له ألا كذا، ألا كذا حتى يطلع الفجر».

ومعنى النزول والتنزل: تنزل رحمة الله، وأمره، أو ملائكته، وقيل معنى التنزل: الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف.

ومن أوقات أجابة الدعاء جوف الليل، وعقب صلاة الفرائض: فعن أبي أمامة قال: «يارسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل، ودبر الصلوات المكتوبات»(١٧).

ومن أوقات الدعاء الذي لا يرد: بين الأذان والإقامة فعن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة»(١٨)

وزاد الترمذي في رواية قال: «فماذا نقول يارسول الله؟ قال: سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة»(١٩).

ومن الأوقات الطيبة في السجود، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء»(٢٠).

وعند الشدائد والكرب. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه أن رسول الله - ﷺ - قال: «من سره أن يستجيب الله له دعاءه عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء»(٢١).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ قال: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»(٢٢).

قال القرطبي في تفسيره: وللدعاء أوقات وأحوال الغالب فيها الإجابة وذلك كالسحر ووقت الفطر، وما بين الأذان والإقامة، وما بين الظهر والعصر في يوم الأربعاء، وأوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض وعند نزول المطر، والصرف في سبيل الله، كل هذا جاءت به الآثار: قال جابر بن عبدالله - رضي الله عنه - : «دعا رسول الله في مسجد الفتح ثلاثا يوم الاثنين ويوم الثلاثاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الصلاتين فعرفت السرور في وجهه: قال جابر: ما نزل بي أمر غليظ إلا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الإجابة»(٢٣).

---

(١٦) الأنبياء (٩٠). (١٧) رواه الترمذي. (١٨) رواه أبو داود والترمذي. (١٩) رواه الترمذي.
(٢٠) رواه مسلم. (٢١) رواه أحمد. (٢٢) رواه أحمد والترمذي وغيرهما. (٢٣) (١ / ٦٨٨ / ٦٨٩).

أما كيفية الدعاء: فعن فضالة بن عبيد أن النبي - ﷺ - سمع رجلا يدعو في صلاته، فلم يصل على النبي - ﷺ -: فقال النبي - ﷺ - «عجل هذا»، ثم دعاه فقال له أو لغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي - ﷺ - ثم ليدع بعد بما شاء(٢٤).

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ -، قال: «الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد حتى تصلي على نبيك»(٢٥) وأما هيئة الداعي: روى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله - ﷺ - قال «القلوب أوعيه وبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله أيها الناس وأنتم موقنون بالإجابة فإنه لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل»(٢٦).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال فيما رواه مسلم -: لايزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» قيل: يارسول الله وما الاستعجال؟ قال يقول: قد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء» إن على الداعي إظهار شعار الذل والانكسار والإقرار بسمة العجز والافتقار وتصحيح نسبة العبودية. وأن يخلص لله، ويصلح نفسه بأكل الحلال، وأن يقلع عن المعصية، والندم على ما فات، والعزم على ألا يعود. ويؤدي حقوق العباد، والتوبة إلى الله من كل ذنب.

وعند ذلك يكون الخير العظيم كما قال - ﷺ - فيما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد أن النبي - ﷺ قال- : ما من مسلم يدعو الله - عز وجل - بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا إذا نكثر قال: الله أكثر.

قال ابن دقيق العيد: إن العبد إذا أذنب ثم ندم فقال: أي ربي؟ أذنبت ذنبا فاغفر لي، ولا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: فيقول الله - تعالى- : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني قد غفرت له. ثم يفعل ذلك ثانية وثالثة فيقول الله - عز وجل - في كل مرة مثل. ثم يقول: «اعمل ما شئت فقد غفرت لك» يعني لما أذنبت واستغفرت».

لو كانت ذنوبك تملأ ما بين السماء وهذا نهاية الكثرة، فإن كرم الله وحلمه أكثر وأعظم. ولو جاء العبد بما يقارب مثل الأرض، ولكنه مات على الإيمان لا يشرك بالله شيئا، لأتاه الله بقدر الأرض مغفرة.

وفي الحديث رجاء عظيم، وبشرى للتائبين، وحث لهم على المسارعة بالتوبة، والأفضل للمؤمن: أن يغلب الخوف على الرجاء وقت شبابه وصحته ويغلب الرجاء عند الكبر والمرض.

وفقنا الله لصالح القول والعمل، وهدانا سواء السبيل.

---

(٢٤) رواه أبو داود والترمذي والنسائي. (٢٥) رواه الترمذي. (٢٦) الأربعين النووية شرح ابن دقيق العيد والأذكار للنووي.

شعبان شهر التحول العظيم

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدى

اللهم لك الحمد كله، وبيدك الحكم كله، وإليك يرجع الأمر كله، اللهم صل وسلم وبارك على حبيبك وصفوتك من خلقك، وخاتم أنبيائك ورسلك سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

قل لله المشرق والمغرب، فالحكم والتصرف والأمر كله لله، والإيمان الكامل والتقوى الصادقة الخالصة فى امتثال أوامر الله - تعالى -.

فحيثما وجهنا توجهنا، فالطاعة والإذعان لأمره، وامتثال أمر رسوله - ﷺ - المبلغ عنه واجب، ولو وجهنا الله - تعالى - فى كل يوم مرات إلى جهات متعددة متغيرة فنحن عبيده؛ وهو - تعالى - له بعبيده ورسوله وأمته عناية عظيمة إذ هداهم إلى قبلة إبراهيم الخليل - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم -.

وفى شهر شعبان المعظم كان تحول القبلة ولعل الشهر المعظم اكتسب مكانته من هذا الحدث الجليل، لأنه تم فيه تحقيق ما تمناه الرسول - ﷺ - من الصلاة إلى البيت العتيق فقد نسبه إلى نفسه - ﷺ - فقال: «شعبان شهرى» وكان - ﷺ - يكثر الصيام فيه، قالت السيدة عائشة - رضى الله عنها - : «كان يصوم حتى نقول: إنه لا يفطر»(1) وكان النبى - ﷺ - والمسلمون يتجهون فى صلاتهم إلى بيت المقدس واستمر الحال على ذلك حتى بعد هجرة المصطفى - ﷺ - إلى المدينة.

حتى مضت سبعة عشر شهراً، لكن النبى - ﷺ - كان يحن ويشتاق إلى البيت الحرام، قبلة أبيه إبراهيم، ليكون قبلته، لكنه مأمور بأن يتجه إلى بيت المقدس، ولم يكن له أن يغير من تلقاء نفسه وجهة وجهه الله إليها، فكان - ﷺ - من شدة تعلقه بالبيت العتيق - وهو فى مكة - يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس يتجه إليهما جميعاً.

أما وقد هاجر إلى المدينة فلم يعد ذلك ممكناً، ولعل ذلك قد أجج شوقه الدفين، وضاعف أمله النبيل وحنوه إلى البيت الذى قال الله عنه:

﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾(2).

(1) سنن أبى داود ٢/٨١٣.

(2) الحج/ ٢٥.

فكأنه كان يستمطر رضا ربه بالتوجه للبيت العتيق، فينزل عليه الأمين جبريل بقوله -تعالى-:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[2].

وصدقت السيدة عائشة حيث قالت له -ﷺ-: «إني أرى ربك يسارع لك في هواك»[3].

وفي تحويل القبلة مسائل

الأولى: هل كان التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة بأمر من الله -تعالى- أم أنه اجتهاد من النبي -ﷺ-؟.

الثانية: في أي صلاة كان التحول إلى الكعبة المشرفة؟

الثالثة: لماذا سمي مسجد بني سلمة «مسجد القبلتين» مع أن الإذن بالتوجه إلى الكعبة نزل على رسول الله -ﷺ- وقرأه على منبره الشريف بالمسجد؟.

الرابعة: هل صلى أحد إلى الكعبة قبل نزول الأمر بالتوجه إليها؟.

الخامسة: هل صلى أناس إلى بيت المقدس بعد نزول الإذن بالتوجه إلى الكعبة المشرفة؟

السادسة: ما حكم من مات قبل نزول الإذن بالتوجه إلى الكعبة، ولم يصل إليها؟.

* * *

المسألة الأولى: هل كانت الصلاة إلى بيت المقدس باجتهاد من النبي -ﷺ- أم أنها كانت بأمر من الله -تعالى-؟.

اختلفت الآراء في ذلك، والذي نميل إليه أنها كانت بأمر من الله؛ لأن الذين قالوا إنها كانت باجتهاد منه -ﷺ- لم يذكروا دليلاً على ذلك، إنما هو اجتهاد منهم في سبب اختياره لبيت المقدس.

المسألة الثانية: في أي صلاة كان التحول إلى الكعبة المشرفة؟

الراجح أن آية:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ نزلت عليه -ﷺ- وأنه صعد منبره الشريف، وأن ذلك كان قبل صلاة الظهر وقبيل العصر، وفي ذلك يروي أبو سعيد المعلى[4] قال:

كنا نغدو إلى المسجد على عهد رسول -ﷺ- فنصلي فمررنا يوما ورسول الله -ﷺ- قاعد على المنبر، فقلت -أي لمن معي-:

لقد حدث أمر، فجلسنا، فقرأ رسول الله -ﷺ- الآية: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ ﴾ ....» حتى فرغ من الآية فقلت لصاحبي: تعالى نركع ركعتين قبل أن ينزل رسول الله -ﷺ- فنكون أول من صلى ثم -نزل النبي ﷺ- وصلى بالناس الظهر يومئذ، وهذا يوافق أن أول صلاة صلاها الناس في مسجد قباء إلى الكعبة، هي صلاة العصر، حيث إن الذين

---

(2) البقرة ١٤٤.

(3) البخاري، وابن كثير في تفسير سورة الأحزاب، البخاري (١٤٧/٦).

(4) تفسير القرطبي وابن كثير في تفسير سورة البقرة.

أبلغهم بالتحول عن بيت المقدس قال : صلينا خلف رسول الله، إذ هو أقرب من القول بأن أول صلاة صلوها بقباء هي : الصبح، وعلى هذا فتكون أول صلاة إلى الكعبة المشرفة بعد التحويل هي صلاة النبي - ﷺ - بالناس الظهر بمسجده.

المسألة الثالثة:

لماذا سمي مسجد بني سلمة مسجد القبلتين؟

في رأينا أنه هو المسجد الوحيد الذي تم التحول فيه من بيت المقدس إلى الكعبة في صلاة واحدة ولم يثبت أن التحول في مسجد النبي أو قباء كان في أثناء الصلاة فقد جمع مسجد بني سلمة الاتجاه إلى القبلتين في صلاة واحدة.

يروى عن نويلة بنت مسلمة قالت: صلينا الظهر أو العصر - شك من الراوي - في مسجد بني حارثة تعني: «بني سلمة» فاستقبلنا مسجد إيلياء تعني «المسجد الأقصى»، فصلينا ركعتين ثم جاء من يخبرنا أن رسول الله - ﷺ - قد انتقل إلى البيت الحرام، فتحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، فصلينا السجدتين، تعني الركعتين - الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام، فحدثني رجل من بني حارثة أن النبي - ﷺ - قال : «أولئك قوم يؤمنون بالغيب» وهذا من كمال المدح، لكمال إيمانهم لأن الله - تعالى - وصف عباده المتقين فقال:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(٥).

ثم بين من هم المتقون الذين نزل الكتاب هدى وهداية لهم فقال:

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾(٦).

المسألة الرابعة:

هل صلى أحد إلى الكعبة قبل نزول الأمر بالتوجه إليها؟.

يروى أن البراء بن معرور أول من صلى إلى الكعبة وكان - رضي الله عنه - ممن بايع البيعة الكبرى وقدم على رسول الله - ﷺ - في موسم الحج وكان قد أسلم - بالمدينة؛ لأن النبي - ﷺ - أوفد إليهم مصعب بن عمير يعلمهم القرآن ويصلي بالناس.

يروى عن عبدالله بن كعب الأنصاري أن أباه حدثه - وكان ممن شهد العقبة، وبايع رسول الله - قال : «خرجنا في حجاج قومنا وقد صلينا - أي بالمدينة - وتعلمنا من مصعب بن عمير وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا، وخرجنا من المدينة، قال البراء: يا هؤلاء إني رأيت رأياً والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا؟ قال: قلنا : وما ذاك؟ قال : رأيت ألا أدع هذه البنية مني بظهر - يعني الكعبة - وأن أصلي إليها قلنا: والله ما بلغنا أن نبينا - ﷺ - يصلي إلا إلى الشام؛ وما نريد أن نخالفه فقال : إني لمصل إليها؛ قال : فقلنا : لكنا لا نفعل، فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى إلى الكعبة حتى قدمنا مكة» الخ الحديث(٧).

---

(٥) البقرة ٢.

(٦) البقرة ٣.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام، الروض الأنف للسهيلي (٣٧٢/١).

فكان البراء بن معرور أول من صلى إلى البيت الحرام قبل الهجرة؛ ولم يأمره النبي ـ ﷺ ـ بإعادة الصلاة، ولم يأمره بالتوجه إلى بيت المقدس، ولكنه قال له: « كنت على قبلة لو صبرت عليها» فهو قد صلى باجتهاده والنبي ـ ﷺ ـ لم يأمره بإعادة الصلاة، لكنه قال له هذه العبارة، يعني والله أعلم كنت على قبلة عليها نبيك والمسلمون، ولو صبرت عليها لحولك الله للبيت الحرام.

المسألة الخامسة:

هل صلى أناس إلى بيت المقدس بعد نزول الإذن بالتوجه إلى الكعبة المشرفة؟.

نعم صلى أناس إلى بيت المقدس بعد نزول الإذن بالتوجه إلى الكعبة، وهم أهل قباء، صلوا الظهر حتى جاءهم الأمر بتحويل القبلة، وفي رواية جاءهم الأمر بعد صلاة الصبح، وبذلك قد صلوا الظهر والعصر والمغرب والعشاء إلى بيت المقدس ولم يأمرهم النبي ـ ﷺ ـ بإعادة ما صلوه إلى بيت المقدس، ولهذا قال الأصوليون: إن الحكم إذا نسخ ولم يبلغ النسخ المكلفين فليس عليهم الإعادة قبل بلوغهم النسخ.

المسألة السادسة:

ما حكم من مات قبل الإذن بالتوجه إلى الكعبة ولم يصل إليها؟.

اتضح مما سبق أن من مات قبل نزول الإذن بالتوجه إلى الكعبة ليس مخاطبا بالنسخ، ومع هذا قال الله ـ تعالى ـ:

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(٨).

قال المفسرون: إن هذه الآية نزلت لما قال السفهاء بالمدينة بشأن تحويل القبلة ما قالوا وتساءل المسلمون عن صلاة من مات منهم، ولم يصل إلى الكعبة.

هذه الآية تطمينا للمسلمين على من مات من إخوانهم،

لكني أرى ـ والله أعلم ـ أن هذا بعيد حيث إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يكن يضيع عمل إنسان يأمر أمره به ومات قبل نسخه ـ والنبي ـ ﷺ ـ لم يأمر الأحياء بإعادة صلاتهم، وهم أهل قباء مع أنهم صلوا بعد نزول النسخ، والأوفق عندي أن هذه الآية للمسلمين جميعاً الذين صلوا إلى بيت المقدس، ثم توجهوا إلى الكعبة، أي أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول لهم: إن ما فعلتموه قبلا كان إيمانا منكم بالله ورسوله وما فعلتموه ثانيا هو كذلك إيمان بالله ورسوله.

وما كان الله ليضيع إيمانكم والله أعلم.

---

(٨) البقرة: ١٤٣.

من ذكريات شعبان

من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

لقد أظلنا شهر شعبان، وأهل ببركاته، ونفحاته، تمهيدا وتوطئة لشهر رمضان المبارك، ولذا فإن الخير يتشعب فيه، من كل جانب، فلقد كان الرسول - ﷺ - يؤثره بمزيد من الصيام، عن بقية شهور العام، سوى رمضان ولما سأله سيدنا أسامة بن زيد بن حارثة، رضى الله عنهما، عن سر إكثاره من الصيام فيه، أجابه، بأنه شهر يغفل الناس فيه بين رجب، وهو شهر حرام، ورمضان وهو شهر القرآن، وهو إلى جانب ذلك، ترفع الأعمال فيه إلى الله، وقد روى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت: كان رسول الله - ﷺ - يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم، وكان أكثر صيامه فى شعبان.

وينبغى على المسلمين أن يستقبلوا شعبان بمزيد من الطاعة، والعبادة، والاستقامة، وتطهير النفوس، قال - عليه الصلاة والسلام - «إذا دخل شعبان فطهروا أنفسكم، وأحسنوا نيتكم فيه».

إن شعبان حافل بالذكريات الإسلامية العظيمة، فهو الشهر الذى انتصر الرسول - ﷺ - فيه فى غزوة بنى المصطلق، وقد فرض فيه كثير من عبادات الإسلام، خاصة الزكاة، ولكن أبرز حدث كان فيه هو تحويل القبلة، من بيت المقدس، إلى مكة، أو من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام.

لقد ظل الرسول - ﷺ - والمسلمون معه يستقبلون المسجد الأقصى فى الصلاة، تقديرا لهذا البيت الكريم، واعترافا بمكانته العظيمة، فى دنيا الأديان، واتجاه المسلم فى صلاته إلى القبلة شرط فى صحة الصلاة، لتوحيد الهدف، والمقصد، والغاية، وإن كان الأمر كما قال ربنا:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾(1).

(*) الأمين العام المساعد لمجمع البحوث الإسلامية.

(1) سورة البقرة الآية ١١٥.

وقد اتجه الرسول والمسلمون في صلاتهم إلى المسجد الأقصى، لأنه مسراه الذي بارك الله فيه، وحوله، ومبدأ المعراج الذي فرضت فيه الصلاة، وقبلة الأنبياء بعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ هذا بالإضافة إلى أن المسجد الحرام، كان ملوثا بالأصنام، التي لا تنفع، ولا تضر، وماكان أكثرها حول الكعبة المطهرة، وثمة سبب آخر دعا الرسول ـ ﷺ ـ إلى استقبال المسجد الأقصى، في صلاته، وهو تأليف قلوب اليهود، واستمالتهم نحو الدين الجديد، الذي كانوا يستفتحون به على الذين كفروا ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(٢).

ونحو الرسول الخاتم، الذي كانوا يعرفونه، كما يعرفون أبناءهم.

لقد رجا الرسول ـ ﷺ ـ أن يخفف اتجاهه إلى بيت المقدس، من غلواء اليهود، ويكسر من حدتهم، ويقلل من شراستهم، بالنسبة للإسلام والمسلمين، تمنى الرسول ـ صلوات ربي عليه ـ ذلك طمعا في هدايتهم، واستقامتهم، على الجادة، ولكن هيهات لمن طبعوا على اللؤم والغدر والخسة والضلال، أن يهتدوا، أو يستقيموا، فظلوا في كفرهم سادرين، وفي غوايتهم وكيدهم لدين الله ورسوله متساوقين، عندئذ يئس ـ ﷺ ـ منهم وإذا فلا معنى أن يبقى الرسول ـ ﷺ ـ مشاركا لهم في القبلة، وعليه فلا بد من قبلة ثانية فما هي يا ترى؟

لقد كان من المنطقي، بل والضروري أن يتجه الرسول ـ ﷺ ـ بعاطفته وقلبه، وأمانيه إلى البيت الحرام، قبلة الرسل من لدن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهي مع ذلك فخر العرب، ومناط عزهم، والأمل في إسلام العرب أكبر ألف مرة من إسلام اليهود، على أن المصطفى ـ ﷺ ـ كان دائم الحنين إلى هذه الكعبة، التي شهدت نمو الإيمان في قلبه الشريف، وترعرعه من فؤاده، صبيا وفتى وشابا، وشهدت كذلك جهاده في الدين، وصلابته في الدعوة إلى الله، فلا غرو أن كانت أحب المواطن لله، ورسوله، ولولا أن أهل مكة اضطروه إلى مغادرتها ما فارقها، ثم إن أوان تطهيرها من الرجس، الذي ضرب نطاقه حولها قد اقترب بالفتح المبين.

إزاء ذلك نزلت آيات الله، تصور مشاعر الرسول، تجاه هذه الكعبة المشرفة، وتأمره بالتوجه إليها، إلى الأبد، قال ـ تعالى ـ :

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(٣).

فتحول الرسول ـ ﷺ ـ إلى قبلة آبائه إبراهيم، وإسماعيل، ومن بعدهما من الرسل، وكان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحد، لكن اليهود الذين يتحينون أية فرصة يستغلونها ضد الإسلام والمسلمين، ويتصيدون أي: مطعن في الدين الحق وأهله، استغلوا هذا الحدث في الحرب النفسية، والدعاية المضادة ضد المسلمين.

فبدأوا ينفثون سموم التشكيك، ويروجون الشائعات المغرضة، ويرجفون في المدينة وغيرها، بما يضعف الثقة في الإسلام والمسلمين، متسائلين في خبث: ما الذي حول محمدا عن قبلته، التي كان عليها؟ إذا كانت

---

(٢) سورة البقرة الآية ٨٩.

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٤.

هى الأصح فلم تركها وإن لم تكن كذلك، فلم أقام عليها طوال هذه المدة؟ وما حكم الصلاة التى صلوها من قبل إلى هذه القبلة أصحيحة هى أم فاسدة؟ وماحكم من مات من المسلمين إبان التوجه إلى القبلة الأولى؟

ـ أمات على الإيمان أم لا؟ تساؤلات مريبة وغريبة، أثارها اليهود، ليفتحوا بها ثغرة من الشك والاستراية، فى نفوس المؤمنين، وغير المؤمنين، وانتهزوها فرصة لزعزعة المسلمين، عن عقيدتهم، فذهبوا إلى أهل من قضى قبل تحويل القبلة، يؤسفونهم على مصير هؤلاء الأحباب، لكن إيمان المسلمين، بالله ورسوله، كان أقوى من دهاء اليهود ومكرهم، فصمدوا أمام هذه الحرب النفسية الخبيثة، والدعاية المغرضة، اللئيمة،

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣).

فكانت هذه الآية هى الرد الحاسم، والجواب الشافى، الذى قطع ألسنة اليهود، والخبثاء، وطمأن قلوب المؤمنين على إخوانهم الذى قضوا نحبهم قبل تحويل القبلة.

لقد كان تحويل القبلة من الأحداث المهمة فى تاريخ الإسلام، واستحق أن يسجله الحق ـ تبارك وتعالى ـ فى الذكر الحكيم؛ لأنه يمثل مرحلة من مراحل الصمود الإسلامى، أمام سهام اليهود، الدعائية، كما أنه كان بمثابة اختبار، وتمحيص للمسلمين، خرجوا منه وهم أصلب عودا، وأقوى إيمانا، على عكس ماقدر أعداؤهم اللئام وأبان عن منطق اليهود الملتوى، وكشف عن مبلغ كراهيتهم للإسلام والمسلمين، وصدق الله العظيم:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٤).

إذا فلتنفض اليد منهم يامحمد ـ ﷺ ـ بالمرة فلا أمل فى إسلامهم أو سلامهم، ولتكن أنت والمؤمنون بك على حذر من ألاعيبهم، وأساليبهم، ومراوغاتهم.

ولتعلموا معاشر المسلمين أولا، وأخيرا، أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لا تحصره جهة، ولاتحده حدود:

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٥)

صدق الله العظيم وهو ولى التوفيق.

---

(٣) سورة البقرة الآية ١٤٢، ١٤٣.

(٤) سورة البقرة الآية ١٤٥.

(٥) سورة البقرة الآية ١١٥.

معركة تحويل القبلة في شهر شعبان

لفضيلة الأستاذ الدكتور / عبد الرحمن العدوي (*)

قال الله - تعالى -:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١).

عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - قالت: ما رأيت رسول الله - ﷺ - استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته فى شهر أكثر منه صياما فى شعبان»(٢).

وعن أسامة بن زيد - رضى الله عنهما - قال: قلت يارسول الله.. لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه، بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم»(٣)

لقد واجه الإسلام منذ أن صدع به رسول الله - ﷺ - كثيرا من المعارك التى أقامها المشركون فى مكة، والمنافقون، واليهود فى المدينة، وكانت معارك متنوعة فمنها: معارك المكر والدعاية والافتراء، ومنها: معارك الكيد والمؤامرات والنفاق، ومنها: معارك الحرب والقتال فى ميدان الحرب والقتال، وقد خاض الإسلام بقيادة رسول الله - ﷺ - والمسلمون معه كل هذه المعارك، وانتصروا فيها جميعا بتوجيه من الله، وتأييد لهم، وخذلان أعدائهم الذين طغوا وبغوا وتآمروا ومكروا ومكر الله، والله خير الماكرين.

ولقد كان لشهر شعبان الكريم، وشهر رمضان المعظم، القسط الأوفى من هذه المعارك بعد هجرة الرسول وصحبه إلى المدينة المنورة، فكان من أعظم معارك شهر شعبان: معركة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، فقد نشط اليهود المتربصون للمؤمنين بكل شر فى تشويه مواقف الإسلام، وأوامر الله، وصاروا يشككون فى صدق هذه الأوامر، ويزعمون تحيرها وترددها وعدم ثباتها، ويبنون على ذلك دعايات باطلة

(*) عضو مجمع البحوث الإسلامية

١- البقرة / ١٤٤

٢- رواه البخارى ومسلم.

٣- رواه أبو داود والنسائى وصححه ابن خزيمة.

ليردوا المسلمين عن دينهم إن استطاعوا، ولكن الله علّم رسوله والمؤمنين كيف يردون على هؤلاء السفهاء، ويبطلون مكرهم وأكاذيبهم في هذه المعركة الشرسة حتى كتب الله النصر والتأييد لأوليائه، الذي اتبعوا الرسول وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وأولئك هم المفلحون.

لقد اتخذت المعارك ضد الإسلام والمسلمين مظاهر وأشكالا شتى تتعدد وتتلون حسب ما يراه وما يظنه أصحاب هذه المعارك مفيدا في الصد عن هذا الدين وتشويه حقيقته، وحقيقة نبيه الذي يعرفون صدقه وأمانته وشرفه واستقامته.

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٤).

معارك المشركين في مكة

كانت معارك المشركين في مكة ضد الإسلام ودعوته قائمة على الكذب والقهر والتهوين من شأن الدعوة والداعية، والضغط بكل الوسائل لفتنة المسلمين عن دينهم وإخافة الآخرين من الدخول في هذا الدين.

أما كذب المشركين على رسول الله ودعوته فيتمثل فيما يذيعونه في الناس من قولهم: إنه ساحر وأن ما جاء به هو السحر الذي يفرق بين الابن وأبيه وبين المرء وزوجه، وكانوا يطلبون من مفكريهم قولا يصدون به عن الإسلام وكتابه المبين، وسجل الله مقالة هذا الذي كذب على نفسه وعلى قومه وقال بعد تفكير وجهد جهيد قولا كاذبا. يقول الحق:

﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾(٥).

فرمى الرسول بالسحر ورماه بالكذب وأن القرآن من قول البشر وليس من كلام الله كما يقول محمد - ﷺ - وهكذا يكذبونه وهم يعلمون أنه الصادق الأمين.

أما القهر فقد مارسوه مع الذين سبقوا إلى الإيمان وعذبوهم وألهبوا ظهورهم بالسياط، ووضعوا الحجارة في حر الظهيرة على صدر بلال وعذبوا سمية وياسر حتى استشهد أثناء التعذيب، وعذبوا عمار بن ياسر وما تركوا وسيلة من وسائل القهر إلا اتخذوها مع المسلمين ليصدوهم عن دينهم، ولكنهم كانوا كالجبال الراسيات لا يزلزل إيمانهم ،قهر ولا تعذيب وباءت أساليب المشركين معهم بالفشل الذريع.

أما التهوين من شأن الدعوة ورسولها فقد كان مشركو مكة يتلقون الحجيج من قبائل العرب ويحذرونهم من دعوة هذا الرجل الذي يصفونه بأنه ليس من سادتهم ولا كبرائهم ويتخذون من ذلك وسيلة لتقليل قيمته وقيمة ما يدعو إليه:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾(٦).

٤- الأنعام/ ٣٣.
٥- المدثر / ١٨ - ٢٥.
٦- الزخرف / ٣١.

﴿ وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾(٧).

وصاروا يطلبون من الرسول آيات مادية بأن يزيل جبال مكة ويفسح أرضها، ويجرى فيها أنهارا

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾(٨).

أما أسلوب الضغط والإخافة فيتمثل فيما اتفقوا عليه من مقاطعة بنى هاشم ومن إلجائهم إلى شعب أبى طالب لا يبيعون ولا يشترون منهم ولا يمدونهم بطعام ولا يسمحون لأحد بأن يساعدهم فى شىء، حتى أجهدتهم المقاطعة الظالمة التى استمرت ثلاث سنين أكلوا فيها أوراق الشجر وما لا يصلح طعاما وهم على إيمانهم مقيمون وعلى محنتهم صابرون.

هذا بعض من معارك مشركى مكة ضد دعوة الإسلام حتى أخرجوا المسلمين من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة فهل هدأت المعارك ضد الإسلام، ذلك الدين الذى يدعوا أتباعه إلى الإيمان بجميع رسل الله ومعاملة أهل الأديان السماوية بالبر والإحسان والتسامح ما لم يصدر منهم إيذاء أو اعتداء، هذا الدين الذى أسقط فوارق الجنس والنسب والعرق والقبيلة وجعل الناس سواسية فى الاعتبار البشرى وجعل نسبهم واحدا ينتهى إلى آدم وحواء وجعل تعدد الشعوب والقبائل للتعارف لا للقتال والتناحر.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٩).

هذا الدين بسماحته وسمو أخلاقه وكريم معاملاته لقى فى المدينة صنفين من الناس غير الذين آووا ونصروا - لم يهادنوا الإسلام وما فتئوا يكيدون له بوسائل غير وسائل أهل مكة. يكيدون له بإثارة الشبهات والأقاويل والدعايات ولبس الحق بالباطل وافتراء الكذب على الله ورسوله وكتمان الحق وهم يعلمون.

معارك المنافقين فى المدينة

واجه الإسلام فى المدينة معارك المنافقين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون.

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾(١٠).

وقد كشف الله فى القرآن الكريم كثيرا من أوصافهم وأفعالهم ومؤامراتهم حتى صار الرسول والمؤمنون يعرفونهم بأعيانهم، وانكشف سترهم وفضحوا على مرأى ومسمع كل مسلم، وأمر الله المسلمين بأن يأخذوا حذرهم من مكايد

٧- الفرقان / ٧، ٨.
٨- الإسراء / ٩٠ / ٩٣.
٩- الحجرات / ١٣.
١٠- البقرة / ١٤.

المنافقين، والا تؤثر فيهم افتراءاتهم وأساليبهم الخبيثة ومنها:

١- إظهار الإيمان مع جماعة المؤمنين حتى إذا انفردوا بإخوانهم من المنافقين أعلنوا كفرهم ونفاقهم، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(١١).

٢- الكيد للمسلمين واتخاذ الوسائل الماكرة ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١٢).

٣- امتلاء قلوبهم بالغيظ والحقد على المسلمين كلما رأوا وحدتهم وتآلف قلوبهم وقد نقلت منهم كلمات تدل على هذا الحقد وما تخفي صدورهم أكبر، قال الله -تعالى-:

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(١٣).

٤- يكرهون الخير للمسلمين ويفرحون لما يصيبهم من الشر او الهزيمة او قلة ما في ايديهم. قال -تعالى-:

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾(١٤).

٥- يحقرون أعمال المسلمين، ويتهكمون بهم ويقللون من قيمتهم ويسخرون منهم. قال الله -تعالى-:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١٥).

٦- يؤذون النبي والمؤمنين بكل ما يستطيعون من القول والفعل، فإذا انكشف أمرهم حلفوا كاذبين واعتذروا بأن قولهم كان على سبيل الفكاهة واللعب وليس مقصودا به الإساءة والإيذاء قال الله -تعالى-:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ۝ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٦).

١١- البقرة / ٨ : ٢٠. ١٢- آل عمران / ٧٢. ١٣- آل عمران/ ١١٩.
١٤- آل عمران / ١٢٠. ١٥- التوبة / ٧٩. ١٦- التوبة / ٦٥ : ٦٧.

وفي سورة التوبة آيات كثيرة تفضح المنافقين وتحذر منهم وفيها وعد الله بأن العاقبة للمتقين.

معارك اليهود في المدينة

ومعارك اليهود في المدينة وهم أصحاب دعاية ومجادلة وتحريف للكلم عن مواضعه، ونقض للعهود، وحقد لا يهدأ وكراهية للإسلام والمسلمين. وقد واجه القرآن الكريم هذه المعارك مواجهة صريحة أحبطت مكائدهم وكشفت عن حقيقة الإسلام ناصعة في هدايته للبشر وأنه الحق المبين.

وكان من أشد المعارك معهم في المدينة معركة تحويل القبلة التي اتخذها اليهود مادة لدعايتهم ضد الإسلام، وتشكيك المسلمين في صدق نبيهم وفي قرآنهم وفي عباداتهم وقد حشدوا لذلك وسائل الكيد والتضليل والأكاذيب والمجادلة بالباطل والنزاع المتشعب الأطراف، وسنذكر طرفا من ذلك وكيف واجه القرآن الكريم بالحق والبرهان والبيان الصادق ما كانوا يفترون

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾(١٧)

فكان من سفاهاتهم:

١- ادعاؤهم أنهم أهل الرسالات وأنهم ذرية إبراهيم التي اصطفاها الله وجعلها الشعب المختار وأصحاب مواريث الهداية والإيمان.

ورد القرآن الكريم على هذا الادعاء بأن ذرية إبراهيم هي التي تصون عهد الله إليه وتسير على ملته، وأن انتسابهم إلى يعقوب بن إسحق بن إبراهيم لا يعطيهم إرث الهداية والإيمان ما لم يحافظوا عليه، ويحفظوا وصية إبراهيم ويعقوب -عليهما السلام- لبنيهم من بعدهم

﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١٨).

٢- إن الله -تعالى- حين ابتلى إبراهيم بكلمات فأتمهن قال له:

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾(١٩).

فالله يخبر إبراهيم بحكمه العادل وهو أن الاصطفاء والاجتباء والإمامة لا تكون لمجرد الانتساب إليه، فإن من ذريته من لا يستحق ذلك وهم الذين ينحرفون عن هداية الله وعن العقيدة التي هي ملة إبراهيم.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾(٢٠).

١٧- الأنبياء / ١٨.

١٨- البقرة / ١٣٢، ١٣٣.

١٩- البقرة / ١٢٤.

٢٠- البقرة / ١٣٠.

وقد انحرف اليهود عن ملة إبراهيم ولم يعملوا بوصية أبيهم يعقوب الذى هو اسرائيل وهم بنوه وقد أوصاهم حين حضرته الوفاة بأهم ما يشغله عند الموت وهو أن يثبتوا على عبادة الإله الواحد الذى هو إله إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وان يموتوا على الإسلام الذى هو دين إبراهيم والذى دعا به ربه هو وولده إسماعيل عند رفع القواعد من البيت.

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٢١).

٣- لو انكم استجبتم لابيكم إبراهيم لآمنتم بمحمد الذى هو دعوة إبراهيم حين قال:

﴿ وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٢٢).

ولكنكم كفرتم بهذا الرسول ورسالته وقد جاءت صفته فى التوراة وشهد أعظم أحباركم بصدقه وآمن به، فقطعتم بهذا الكفر كل رباط بينكم وبين آبائكم إبراهيم وإسحق ويعقوب وصرتم ممن قال الله فيهم

﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾(٢٣).

٤- آلت مواريث الهداية والإيمان إلى الرسول الذى كان دعوة إبراهيم أن يبعثه الله فى ذريته فبعث الله محمدا -عليه الصلاة والسلام- من ذرية إبراهيم وولده إسماعيل، وكان الذين آمنوا به على ملة إبراهيم حتى قال الله فيهم:

﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾(٢٤).

وقال فيهم:

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(٢٥).

٥- ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٢٦).

٦- إن انتسابكم إلى إبراهيم ومجادلتكم فيه من أوهامكم الباطلة

﴿ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٢٧).

وإن إبراهيم سابق فى زمان وجوده ورسالته على موسى وعيسى فكيف تدعون انه يهودى او نصرانى وما انزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، فهل يعقل أن يتبع السابق من يأتى بعد وفاته وقد أعلن فى صراحة ووضوح أنه كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين أفلا تعقلون!!

٢١- البقرة / ١٢٨.
٢٢- البقرة / ١٢٩.
٢٣- البقرة/ ١٢٤.
٢٤- الحج / ٦٧.
٢٥- آل عمران / ٦٨.
٢٦- آل عمران / ٦٧.
٢٧- آل عمران ٦٥.

وجاءت معركة تحويل القبلة

وهى معركة بدأها اليهود بالدعايات الكاذبة والأباطيل والجدل الحاد وقد تصدى لهم القرآن الكريم فأبطل أكاذيبهم وفضح دعاياتهم، وكان من شأن هذه المعركة ما نسوق طرفا منه:

أخرج البخارى فى صحيحه عن البراء بن عازب - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - صلى إلى بيت المقدس ستة عشرة شهرا أو سبعة عشرة شهرا، وكان رسول الله - ﷺ - تعجبه أن تكون قبلته قبل البيت.

وانه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن كان معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبى - ﷺ - جهة مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذا كان يصلى قبل بيت المقدس، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك.

ومنها ما أخرجه عن ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: بينما الناس بقباء فى صلاة الصبح، إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله - ﷺ - قد أنزل عليه الليلة قرآن، وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

ولما حدث هذا التحويل من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة اشتدت سفاهات اليهود التى أخبر عنها القرآن الكريم فى قوله -تعالى-:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٨).

وهل كان اليهود مسالمين للنبى محمد ودعوته عندما كان يتجه إلى بيت المقدس قبلتهم، وكان ذلك كفيلا بأن يجعلهم يتعطفون نحو الإسلام وأن تهدأ نفوسهم الحاقدة نحوه وأن يروا فى الاتجاه إلى قبلتهم مبادرة طيبة من الإسلام ونبيه تدعوهم إلى الدخول فى هذا الدين الذى اعتمد بيت المقدس قبلة لأتباعه فى صلاتهم، كان المنطق يقتضى ذلك ويدعو إليه، ولكن هؤلاء قوم لا منطق عندهم ولا فائدة منهم، فاتخذوا الاتجاه إلى بيت المقدس ذريعة لإثارة الشبهات حول الإسلام وادعاء أنهم على الحق وقالوا: إن محمداً اتجه إلى قبلتنا وغدا يدخل فى ديننا، واعتبروا أن اتجاه المسلمين إلى بيت المقدس نوعا من اقتباس الهدى منهم وساروا بين المسلمين بدعوتهم ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾(٢٩).

وكان هذا الموقف منهم شديدا على نفوس المسلمين ورسولهم وهم الذين ينتسبون إلى البيت الحرام بمكة والمسجد الذى بناه جدهم إبراهيم وولده إسماعيل، وهم الذين استجاب الله فيهم دعاء هذا النبى الوفى الذى قال الله عنه ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴾(٣٠) وهم اتباع ملة هذا الإمام الذ يجعله الله للعالمين إماما وقال له: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾(٣١).

فمتى يمن الله على النبى والمؤمنين معه ويأمرهم أن يتجهوا إلى مهوى أفئدتهم وموئل عزتهم وفخارهم بين الناس ومصدر شرفهم

٢٨- البقرة / ١٤٢.

٢٩- البقرة / ١٣٥.

٣٠- النجم/ ٣٧.

٣١- البقرة / ١٢٤.

وأمينهم فهم سدنته والقائمون على أمره، وكان الرسول يقلب وجهه في السماء وفي النفس حنين إلى هذا البيت ليكون قبلته في الصلاة وقبلة المؤمنين معه، ولم يذكر ذلك بلسانه تأدبا مع الله الذي يعلم السر وأخفى.

وأكرم الله رسوله وأمره بالتحول إلى المسجد الحرام وقال له:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ﴾(٣٢).

واتجه المسلمون إلى الكعبة.

فهل هدأت مشاغبات اليهود وسفاهاتهم، كلا بل ازدادت عنفا وشراسة وإسفافا وقالوا كما أخبر عنهم القرآن قبل أن يقولوا: إن محمدا قد تحير في دينه فما باله كان على قبلة ثم تركها، وظاهرهم المنافقون في هذا القول؛ وأجاب الله عن رسوله وأنزل عليه من القرآن ما يرد كيدهم ويلجم لسانهم فقال له:

﴿ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٣٣).

وقالوا: لو كان محمد نبيا حقا ما ترك قبلة الأنبياء قبله وتحول إلى غيرها، وما فعل اليوم شيئا وخالفه غدا، وأجاب القرآن.

إن الآية تكشف الحكمة التي من أجلها جعل الله التوجه أول الأمر إلى بيت المقدس. فقد كان العرب في جاهليتهم يعظمون البيت الحرام ويعدونه عنوان مجدهم وشرفهم وفخارهم فأراد الله تخليص القلوب وتجريدها من التعلق بغير الله، فنزعهم نزعا من الاتجاه إلى البيت الحرام واختار لهم الاتجاه - فترة - إلى المسجد الأقصى ليظهر من يتبع الرسول اتباعا مجردا من كل رغبة وهوى، اتباع الطاعة المطلقة لما يأمر به، ممن ينقلب على عقبيه اعتزازا بما استقر في نفسه من حب مخالف لما يأمر الرسول به فتتغلب مشاعره وأحاسيس نفسه وينكص عن الاستجابة وينقلب على عقبيه؛ إنه الابتلاء والاختبار ليميز الله المطيع من العاصي والطيب من الخبيث، حتى إذا استسلم المسلمون الصادقون وظهرت طاعتهم لله ورسوله، وفي الوقت ذاته اتخذ اليهود ذلك الاتجاه ذريعة لإلقاء الشبهات والتشكيك في الإسلام.

صدر الأمر الألهي بالاتجاه إلى البيت الحرام القبلة التي يرضاها رسول الله والجماعة الإسلامية معه وأبطلت دعاوى اليهود وسفاهاتهم. فهل سكتوا؟!! كلا.

قالوا: إن كان التوجه فيما مضى إلى بيت المقدس باطلا فقد ضاعت صلاتكم طوال هذه الفترة، وإن كان حقا فالتوجه الجديد إلى المسجد الحرام باطل وصلاتكم إليه باطلة. وأجاب القرآن الكريم:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾(٣٤)، ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣٥).

٣٢- البقرة / ١٤٤.
٣٣- البقرة / ١٤٢.
٣٤- البقرة / ١٤٣.
٣٥- البقرة ١٤٣.

لقد استجاب المسلمون لله ورسوله فى الاتجاه الاول والاتجاه الأخير إيمانا وإذعانا والتزاما والله لا يضيع أجر المؤمنين.

قالوا: إن هذا النسخ والتغيير للاوامر - او للآيات - لا يصدر من الله، فهو دليل على ان محمدا لا يتلقى الوحى من الله. وأجاب القرآن الكريم

﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣٦).

ثم قال الله لرسوله فى عبارة حاسمة:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ﴾(٣٧).

وقال:

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾(٣٨).

لقد كان تحويل القبلة إلى المسجد الحرام إعلاما من الله بتميز الجماعة المسلمة واختصاصها فى القبلة والعبادة وارتباطها بأبيها إبراهيم الذى سماهم المسلمين والذى دعا ربه، أن يبعث فيهم هذا النبى الذى يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، ولم يكن بد من تميز المكان الذى يتجه إليه المسلم فى صلاته حتى تكون أمة الإسلام ذات منهج مستقل متكامل ليس فيه شبهة اقتباس أو تبعية وليتم الله نعمته على المسلمين ويمنحهم هدايته التى يحملونها إلى الناس أجمعين:

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٣٩).

إن تميز المسلمين فى عقيدتهم وعبادتهم وسلوكهم وتصرفاتهم فى الحياة وعاداتهم وتقاليدهم الخاضعة لمنهج الإسلام ضرورة لقيام الامة المسلمة واستقلالها فى الحياة وتخلصها من شوائب ومثالب غيرها من الامم حتى تكون اهلا لحمل رسالة الإسلام ودعوة الناس إليه، ومثلا طيبا لتطبيق تعاليم هذا الدين وقدوة حسنة للراغبين فى معرفة الحق والباحثين عنه، ولا يضرهم كيد الكائدين من اعداء الإسلام فإن المعارك مستمرة.

وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

٣٦- البقرة/ ١٠٦.

٣٧- البقرة/ ١٢٠.

٣٨- البقرة/ ١٤٥.

٣٩- البقرة/ ١٥٠.

عن ليلة النصف من شعبان

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجي

١

ليلة مباركة، يجاب فيها الدعاء، كما جاء في حديث رسول الله -ﷺ- عن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «خمس ليال لا ترد فيها دعوة: أول ليلة من رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلة الجمعة، وليلة عيد الفطر، وليلة عيد الأضحى»[١].

وعن عائشة أم المؤمنين قالت: «كانت ليلة النصف من شعبان ليلتي، وكان رسول الله عندي، فلما كان في جوف الليل فقدته، فطلبته فإذا أنا به وهو يقول في سجوده: سجد لك خيالي وسوادي، وآمن بك فؤادي، فهذه يدي وما جنيت بها على نفسي، يا عظيما يرجى لكل عظيم، يا عظيما اغفر لي الذنب العظيم، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره.. ثم رفع رأسه، ثم عاد ساجداً، فقال: أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، أنت كما أثنيت على نفسك. ثم رفع برأسه فقال: اللهم ارزقني قلبا تقيا من الشرك نقيا، لا جافيا ولا شقيا.. ثم انصرف وقال: يا عائشة إن الله -عز وجل- يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم للمسترحمين»[٢] وروى البيهقي في حديث طويل عن عائشة قالت: قال رسول الله -ﷺ-: «أتاني جبريل فقال: هذه ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار، لا ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن «أي كثير الخصومة»، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر»[٣].

وتسمى هذه الليلة ليلة الرحمة، وكان رسول الله يتقرب إلى ربه في شهر شعبان بما لا يتقرب به في غيره من الشهور، حتى ورد أنه صامه إلا أقله.

روى عن أسامة بن زيد أنه قال: «قلت يا رسول الله لم أرك تصوم في شهر من الشهور ما تصوم من شعبان، قال: ذاك شهر يغفل عنه الناس بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[٤].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه النسائي.

إنها ليلة مباركة، يجاب فيها الدعاء، وتقبل فيها التوبة ممن يتوب، ويعفو الخالق العظيم فيها عن كثير من المذنبين، وورد أنه ترفع فيها الأعمال، وتقدر فيها الأرزاق والآجال وجاء في كتاب «قوت القلوب» لأبي طالب المكي أن أصحاب رسول الله كانوا يعنون بها، ويجتمعون فيها لصلاة النوافل جماعة. وفي رواية لابن ماجه عن علي -كرم الله وجهه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إذا كانت ليلة النصف من شعبان، فقوموا ليلها وصوموا نهارها، فإن الله -سبحانه وتعالى- ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر فأغفر له، ألا من مسترزق فأرزقه»(٥).

٢ إذن فلم خصت هذه الليلة المباركة بالتعظيم، مع ليال مباركات أخر غيرها؟

في رأي أن القرآن الكريم بدأ نزوله فيها وهو رأي ضعيف، قال البعض في تفسير قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾(٦).

والصحيح أنها ليلة القدر لقوله -تعالى-:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾(٧).

ولقوله تعالى -:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾(٨).

وقيل: إنها الليلة التي شق الله -عز وجل- فيها القمر فلقتين معجزة لرسول الله -ﷺ-، روى عن ابن عباس قال: انتهى أهل مكة إلى النبي ﷺ فقالوا: هل من آية نعرف بها أنك رسول الله؟ فهبط جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد، قل لأهل مكة أن يجتمعوا هذه الليلة يروا آية، فأخبرهم رسول الله -ﷺ- فخرجوا ليلة أربع عشرة، فانشق القمر نصفين، نصفا على الصفا ونصفا على المروة، فنظروا ثم قاموا بأبصارهم فمسحوها، فقالوا: ما هذا إلا سحر، فأنزل الله -تعالى-:

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾(٩).

وقالت قريش: سحر محمد القمر، وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله «ﷺ»، قال ابن كثير: وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق القطع عند الأئمة(١٠).

ومما أضفى على هذه الليلة المباركة جلالا أنها

---

(٥) رواه ابن ماجه.
(٦) الدخان/٢.
(٧) القدر/١.
(٨) البقرة/١٨٥.
(٩) القمر/١.
(١٠) كذا في الشمائل ص١٢٨.

قد حول الله في نهارها القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام بيت الله العتيق في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة، هنا قال السفهاء من الناس، من اليهود والمشركين والمنافقين:

﴿ مَا وَلَّـٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ﴾(١١)

وكان الجواب الحاسم من «الله»:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ﴾(١٢) وكان هذا الحدث الكبير فضلاً من الله، واستجابة لمشاعر رسوله الكريم الذي كان يقلب دائما وجهه في السماء يأمل الأمر الإلهي العظيم بأن تكون قبلته وقبلة المسلمين جميعا البيت الحرام بدلاً من المسجد الأقصى.

وكان رسول الله يصلي إلى المسجد الأقصى قبلة أبيه إبراهيم، وأمره الله بأن تكون قبلته إلى المسجد الحرام بيت آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، عليهم رحمة من الله ورضوان إلى يوم الدين.

٣

وهكذا بدأت الشخصية الإسلامية تظهر في الساحة بوضوح، معلنة استقلالها، ومؤذنة بأن لا تبعية في الدين والعبادة والصلاة إلا لله رب العالمين وحده، وإلا إلى المسجد الحرام قبلة لجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأمر الله الواحد الأحد المعبود؛ له ما في السموات والأرض وهو بكل شيء محيط.

لقد كان اليهود يرون في صلاة المسلمين إلى المسجد الأقصى اعترافا بأن لهم السيادة في الأرض، فرد الله عليهم هذا الغرور الكاذب والسيادة المزعومة، والخيلاء على الناس، لأن السيادة إنما هي لله وحده لا شريك له، ولا نديد، والله بكل شيء عليم.

ويعيش اليهود دائما على الأكاذيب وعلى تمجيد أنفسهم وعلى المزاعم الباطلة بأنهم أحباء الله، وكذبهم الله -عز وجل- فيما كانوا ومايزالون يزعمون بكفرهم ونقضهم الميثاق

﴿ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾(١٣).

وبتعاليهم وإفكهم وبهتانهم الآثم، وبما حرفوا من كتاب موسى -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

والله -عز وجل- أعلم حيث يجعل رسالته والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١١) البقرة/١٤٢

(١٢) البقرة/١٤٢.

(١٣) آل عمران/١٨١.

أرض فلسطين ليست إرثا للإسرائيليين

للمستشار/ محمد عزت الطهطاوى

كثيراً ما يردد رجال الحكم فى دولة إسرائيل، وتنقل ذلك وسائل الإعلام العالمية من صحافة، وإذاعة صوتية ومرئية، تصريحات لهم ممجوجة بأن (الأرض العربية التى تحتلها الجيوش الإسرائيلية هى إرث إلهى تتمسك به دولتهم لأنه من حقها).

وهم فى ذلك الزعم يتلمسون الاستناد إلى ما ورد بسفر الخروج من كتاب العهد القديم فى قوله المنسوب إلى الله: «ثم كلم الله موسى وقال أنا الرب وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنى الإله القادر على كل شىء.... وأيضاً أقمت معهم عهدى أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التى تغربوا فيها» [1].

رجعة إلى التاريخ

مما جاء فى تاريخ الأمم السابقة أن إسرائيل: وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام- كان يقيم فى أرض فلسطين هو وأولاده، نزلاء بين سكانها عرب القبائل الكنعانية، ثم توجه بأهله وبنيه إلى مصر عندما ألمت المجاعة بفلسطين بناء على دعوة من ولده يوسف - عليه السلام - (وقد كان يعمل أميناً على خزائن مصر) إثر تعرفه على إخوته الذين عملوا سابقاً على فقده وإبعاده عن أبيه فتغاضى عن إساءتهم له ورحب بهم وأسكنهم مصر فى جواره وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم فى قوله - جلا وعلا-

---

(١) سفر الخروج إصحاح ٦ عدد ٢ - ٤ من كتاب العهد القديم وهو كتاب اليهود المقدس عندهم

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾(٢).

كيف عاش بنو إسرائيل فى مصر؟

عاشوا فى أول أمرهم حياة آمنة رحبة، لكنهم بعد وفاة يوسف -عليه السلام- دأبوا على التعالى والغرور، والعيش فى عزلة عن المصريين.

وعملوا على استلاب أموالهم بحيل خبيثة، مما أثار المصريين، وأثار حكامهم عليهم، فأنزلوا بالإسرائيليين صنوفاً من العذاب كشف القرآن الكريم عن شيء منها فى قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾(٣).

عناية الله تنقذهم مما هم فيه من بلاء

وذلك بأن بعث الله من بنى إسرائيل نبييه موسى وأخاه هارون -عليهما السلام- وأرسلهما إلى فرعون حاكم مصر فى ذلك الزمان، وأيضاً إلى بنى إسرائيل فى آيات كثيرة وطلبا من فرعون.

أولاً: أن يترك الكفر والغرور وأن يعبد الله وحده لا شريك له.

ثانياً: وأن يقلع عن إيذاء بنى إسرائيل ويتركهم ليخرجوا مع موسى من مصر إلى فلسطين حيث يعبدون الله وحده. قال -تعالى- فيما يقصه القرآن عن ذلك:

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٤).

وقال -جلا وعلا-:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾(٥).

فرعون يرفض دعوة الإيمان والانصياع للحق

تمادى فرعون فى طغيانه ورفض دعوة الإيمان وأبى الانصياع للحق وزاد من اضطهاده لبنى إسرائيل وعندئذ سار موسى -عليه السلام- ببنى إسرائيل ليخرجوا من مصر إلا أن فرعون وجنوده اتبعوهم ليوقعوا بهم الأذى، وفعلاً لحقوا بهم وقت شروق الشمس لكن الله أوحى إلى موسى أن يضرب البحر بعصاه فانفلق فرقين كل فرق كالجبل الثابت الكبير عبر خلاله بنو إسرائيل، ولما دخل فرعون وجنوده خلفهم وساروا فى الطريق الذى ساروا فيه بين فرقى البحر نجى الله موسى وقومه، وأطبق البحر على فرعون وجنوده فقضى عليهم إذ أغرقهم جميعاً قال -تعالى-:

﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ۝ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾(٦).

وذلك على أمل أن يصبح بنو إسرائيل أمة صالحة قوية بإيمان أفرادها بالله يعملون الصالح من الأعمال خصوصاً وقد أصبحوا أحراراً فى شئونهم

---

(٢) سورة يوسف الآية (٩٩).

(٣) سورة القصص الآية (٤).

(٤) سورة الأعراف (١٠٤ - ١٠٥).

(٥) سورة الشعراء (٥٢).

(٦) سورة الشعراء (٦٥ - ٦٦).

وأحوالهم بعد هلاك فرعون وجنده أمام أعينهم وهذا ما يشير إليه قول الله – تعالى – :

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾(٧).

هل قدر الإسرائيليون نعمة نجاتهم وحريتهم بعد خروجهم من مصر وفاء بعهد الله معهم؟

لم يقدر الإسرائيليون نعمة الحرية ولم يشكروا الله على إنجائه لهم من عدوهم ولم يطيعوا نبيهم موسى –عليه السلام– الذى جاء لهدايتهم وإصلاحهم والدفاع عنهم بل آذوه إيذاء شديداً وارتكبوا كثيراً من المويقات نذكر بعضاً منها على سبيل المثال:

١– بعد خروجهم من مصر ومرورهم بأرض سيناء تذمروا وثاروا على موسى وهارون – عليهما السلام – وقالوا: (ليتنا متنا بيد الرب فى أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزاً للشبع فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكى تميتا كل هذا الجمهور بالجوع)(٨).

٢– عندما شاهدوا قوماً يعبدون أصناماً لهم طلبوا من موسى –عليه السلام– أن يجعل لهم أصناماً ليعبدوها مثلهم ويشير القرآن الكريم إلى ذلك فى قوله –تعالى–:

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(٩).

مع ملاحظة أن هذا التفضيل كان فى ذلك الزمان وقت بعثة موسى –عليه السلام–.

٣– عندما واعد الله –تعالى– موسى أن يعطيه كتاب التوراة ليكون هدى لبنى إسرائيل وموعظة لهم بعد أربعين يوماً يصومها فلما حل الموعد تركهم واستخلف عليهم أخاه هارون وتوجه هو إلى الجبل المقدس فانتهز بنو إسرائيل لين جانب هارون معهم واتخذوا عجلاً مسبوكاً له خوار صنعه لهم شقى منهم يدعى السامرى من حلى نسائهم وعبدوه من دون الله –تعالى–.

ولما حاول هارون منعهم من ذلك أعرضوا عنه وأجابوه صراحة أنهم لن يتركوا عبادته حتى يرجع إليهم موسى، فلما اشتد عليهم فى النهى عن عبادته تطاولوا عليه وكادوا يقتلونه ويشير القرآن إلى ذلك فيما جاء بسورة الأعراف فى قول الله –تعالى–:

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ

---

(٧) سورة البقرة (٤٩ – ٥٠).

(٨) سفر الخروج من كتاب اليهود المقدس الإصحاح ١٦ عدد ٢ – ٣.

(٩) سورة الأعراف (١٣٨، ١٣٩، ١٤٠).

في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١٤٩) ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾(١٠).

كما أشار إلى ذلك سفر الخروج من كتابهم المقدس عندهم في قوله: «فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر»(١١).

فنزل موسى – عليه السلام – من الجبل المقدس وغضب غضباً شديداً على قومه لعودتهم للوثنية وعبادة العجل وفي ذلك يقول الله –تعالى–:

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾(١٢)

السير تجاه فلسطين ورفضهم دعوة نبيهم موسى بدخولها

ثم سار موسى – عليه السلام – ببني إسرائيل بعد توبتهم من عبادة العجل تجاه فلسطين وكانت عامرة بسكانها العرب الكنعانيين الذين وقفوا يردونهم عن بلادهم لما شاع بين الناس من غدر هؤلاء الإسرائيليين، وتآمرهم ضد البلاد التي ينزلونها لذلك لم يكن بد من قيام الحرب بينهم، ولما كان الإسرائيليون وقتئذ يخافون الحرب إذ تمكنت الذلة والصغار منهم فصاحوا بموسى

﴿ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون ﴾(١٣).

وبذلت محاولات لإغرائهم بالهجوم والدخول ووعود بالنصر ولكنهم أصروا على موقفهم المشم بالجبن كما يحكيه القرآن في قول الله –تعالى–:

﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٢٠) يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين (٢١) قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون (٢٢) قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين (٢٣) قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون (٢٤) قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين (٢٥) قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾(١٤)

(١٠) سورة الأعراف (١٤٨ – ١٥٠).
(١١) سفر الخروج إصحاح ٣٢ عدد ٧ – ٨.
(١٢) سورة البقرة (٥٤).
(١٣) جزء من الآية (٢٢) من سورة المائدة.
(١٤) سورة المائدة (٢٠ – ٢٦)

ومات موسى وأخوه هارون -عليهما السلام- دون أن يتمكن بنو إسرائيل من دخول أرض فلسطين.

تحريم الأرض المقدسة عليهم هو تحريم أبدى

يقرر بعض الباحثين من علماء الإسلام أن ما حدد بأربعين سنة في الآية السابقة هو التيه، ومن أجل هذا يوقف في القراءة لهذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ويعني ذلك أن التحريم عليهم في الأرض المقدسة مطلق أبدى وهذا ما نراه ونطمئن إليه وبناء عليه فإنه لن يكون لبني إسرائيل ولا لذراريهم استقرار في أرض فلسطين، وإذا مكثوا فيها على فرض حدوثه - كما هو الحال في زماننا المعاصر- فلمدة محدودة لأن الله قضى عليهم بالتشريد في أنحاء الأرض وضرب عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم غضباً شديداً [15] قال -تعالى-:

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ [16].

وقال جلا وعلا:

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [17].

هل راعى بنو إسرائيل بعد وفاة موسى -عليه السلام- عهود الله ومواثيقه؟

إن نقض العهود صفة تدمغ بني إسرائيل في جميع عصورهم والمتتبع لتاريخهم قديماً وحديثاً يرى أن هذه الرذيلة تكاد تكون طبيعة فيهم فنبذ العهود يتكرر منهم المرة بعد الأخرى في كل زمان ومكان فهو سجيتهم وعادتهم سلفهم وخلفهم ومن أمثلة ذلك:-

أولاً: نقضهم عهودهم مع الله

قال الله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [18].

فقد أشركوا بالله، وعقوا الوالدين، وأساءوا إلى الأقارب واليتامى والمساكين وقالوا للناس أفحش الأقوال، وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل وإنصافاً لمن حافظ على العهد وهم قليل أوردت الآية قوله تعالى: ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ ﴾ لكن وجود قليل من المخلصين في الأمة لا يمنع نزول العقاب بها متى فشا المنكر في الأكثرين منها. [19]

---

(15) كتاب مقارنة الأديان اليهودية للدكتور أحمد شلبي.

(16) جزء من الآية (168) من سورة الأعراف.

(17) جزء من الآية (61) من سورة البقرة.

(18) سورة البقرة (83).

(19) كتاب بنو إسرائيل في القرآن والسنة تأليف الدكتور محمد سيد طنطاوي.

ثانياً: نقضهم عهودهم مع أنبيائهم على مر العصور.

فقد آذوهم وعصوهم حتى وصل بهم الأمر إلى حد قتل الكثيرين منهم فهم لانطماس بصيرتهم وعتوهم في الشر صاروا أعداء للحق لا يألفونه ولا يرتاحون إليه ولا إلى من يذكره بينهم.

ثالثاً: نقضهم العهد، مع كتاب التوراة الذي يدعو إلى الإيمان بكل حق نزل من عند الله.

فنتيجة جحودهم الحق بعد ما تبين وكراهيتهم الخير لغيرهم نقضوا ذلك العهد ذلك أن رذيلة الأنانية المفرطة التي تحيا في نطاق تعصبهم الذميم وعنصريتهم المقيتة جعلتهم يحرصون على احتجاز الخيرات لأنفسهم دون سائر الناس، وتحملهم على الشعور بأن كل بر يصيب غيرهم فكأنما اقتطع منهم فيتميزون من الغيظ وهذا ما حدث منهم لما ظهرت الرسالة الخاتمة من غيرهم ونزل القرآن على نبي من أمة العرب قال - جلا وعلا -:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾(٢٠).

رابعاً: نقضهم العهد الذي أخذ عليهم بالإيمان بمحمد - ﷺ -.

عن أبي العالية قال: (كانت اليهود تستنصر بمحمد - ﷺ - على مشركي العرب فلما بعثه الله ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسداً مع أنهم يعلمون أنه رسول الله حقاً) إذ زينت لهم أوهامهم أن النبوة مقصورة عليهم فليس لله - تعالى - في زعمهم أن ينتزعها منهم بوصفهم ذرية إسحاق ويجعلها في ذرية إسماعيل رغم أن اسماعيل هو أخ لإسحاق وأبوهما هو إبراهيم - عليه السلام -(٢١) قال - تعالى - ينعى عليهم ذلك المسلك المشين:

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢٢).

وبعد:

فإن عهود الله إلى عباده مشروطة بالإيمان بذاته القدسية، وطاعة أنبيائه، والجهاد في سبيل، نصرة الحق وما كان بنو اسرائيل عامة على مستوى هذه العهود السامية في عصورهم المختلفة، لذلك سرعان ما نقضوها فكيف يكون لهم عهد من الله بعد ذلك أو حق أو إرث في الأرض المقدسة (أرض فلسطين) بل على العكس من ذلك فإننا نجد الوحي الأعلى يتوعدهم بالعذاب الشديد في الدنيا قبل الآخرة، وذلك بالإجلاء والتشريد في الأرض وهذا يعني ولو بعد حين زوال دولتهم وانتهاء شوكتهم ومنعتهم قال - تعالى -:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٢٣).

---

(٢٠) سورة البقرة (٩١).

(٢١) كتاب بنو إسرائيل في القرآن والسنّة المرجع السابق.

(٢٢) سورة البقرة (١٠١).

(٢٣) سورة الأعراف (١٦٧).

انتهاك حرمة الأقصى

للأستاذ الدكتور/ محمد السيد على البلاسى

القدس.. جرحنا.. جرح الإسلام الدامى الذى ينكأ يوما بعد آخر داعيا إيانا مستصرخا ومستغيثا، واقدساه! هبوا أيها المسلمون لتحرير الأقصى الأسير من دنس اليهود، فإنه لا كرامة لكم بدون إعادة أرض الإسراء، والمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين..

ليذكر المسلمون المسجد الأقصى اليوم، وليعلموا أن القصور والتقصير - فى شأن حمايته واسترداده آمنا مصونا مكرما - نقض لعهد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - وصنيع صلاح الدين الأيوبى إذ أنه فى عهدة وذمة الأمة الإسلامية بكافة شعوبها، حكاما ومحكومين، سيسألون لم ضيعوه وتخلوا عن حمايته؟ فهو أرض الله وديعة لديهم، وهو عرضهم الذى عليهم حمايته؛ إنه كان غاية مسرى الرسول - ﷺ - وبدء معراجه، فهو تاج الأمة.

وليعلم المسلمون - جيدا - : أن هدف إسرائيل ليس النيل من المسجد الأقصى وحده، أو الشعب الفلسطينى فقط. إنما الهدف الإسرائيلى الخبيث يمتد لينال من دينكم الإسلامى، وقرآنكم المجيد، وتاريخكم وحضارتكم ووجودكم!

بهذا المفهوم يجب أن ننظر جميعا إلى القضية الفلسطينية.. ذلك أنها لو كانت قضية شعب فلسطين، أو قضية أرض، لما كانت هناك مشكلة؟!! المسألة - بلا شك - أكبر من ذلك بكثير فقد حصلت شعوب كثيرة على استقلالها.. لكن القضية الفلسطينية، والقدس عبر التاريخ، إنما هى قضية الأمة العربية والإسلامية على مدى التاريخ؛ لأن الذى يهدف النيل من فلسطين، إنما هدفه الأكبر النيل من الأمة الإسلامية..

وليتأكد الحكام: أن من يملك دولة، أو يحكمها سيكتب عنه التاريخ سطرا واحدا أو سطرين أو كتابا.. أما من يحرر المسجد الأقصى فسيبقى عبر التاريخ مذكورا محمودا مشكورا فى سجل الخالدين أبد الآبدين!

(*) الكاتب: عضو اتحاد كتاب مصر.

الأقصى.. يستغيث

التحديات الصهيونية التي تزداد حدتها كل يوم تؤكد أنها تعلن عداءها السافر لشعوب الأرض! فعلى لسان أحبار اليهود وقادتهم وكتبهم ولوائحهم المحرفة منذ ظهور تلك القبائل العبرية على أرضنا الطهور: المنطلقات والمعتقدات والركائز عرقية وعنصرية وأنانية متعصبة تدور حول نفسها، وتدعو إلى الهدم وإبادة الأمم والشعوب ولا تقبل الخير أو الوجود لغيرها! ولا ترى في هذا العالم إلا بني إسرائيل شعبا مختارا وعرقا نقيا مميزا فوق سائر البشر - وربما سخّروه في معتقداتهم السقيمة لخدمة أغراضهم العدوانية وأهدافهم التوسعيّة الجشعة على حساب شعوب الأرض.

فاتخذوا من أرض الإسلام وطنا لهم واعتبروا مقدسات المسلمين وقفا يهوديا يعيثون به ليل نهار واقتعلوا أقبح سيناريوهات الاعتداء والاغتصاب لتهويد الأرض الإسلامية.

ولم يسلم المسجد الأقصى من كل هذا؟!!

ذلك المسجد المبارك

قبلة المسلمين الأولى، وثالث الحرمين الشريفين.

روى الشيخان، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى".

وروى أحمد، عن ميمونة بنت سعد، قالت: قلت يا نبي الله أفتنا في بيت المقدس؟ قال: "أرض المحشر والمنشر، ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاتكم فيه كألف صلاة" قالت: أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه أو أن يأتيه؟ قال: فليهد إليه زيتا، يسرج فيه فإنه من أهدى إليه كان كمن صلى فيه".

وهو ثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله - عز وجل - بعد المسجد الحرام.

روى الشيخان، عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ - عن أول مسجد وضع في الأرض؟ قال: "المسجد الحرام" قلت ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى" قلت: كم بينهما؟ قال: "أربعون سنة".

اعتداءات مستمرة

منذ أن قام المجرم الأسترالي اليهودي، "مايكل روهان" بالاعتداء السافر على المسجد الأقصى وإشعال النار فيه في ٢١ أغسطس ١٩٦٩م ومسلسل الاعتداءات على المسجد الأقصى مستمر لا ينقطع؟!

يحدثنا المهندس رائف نجم - عضو لجنة تعمير وترميم المسجد الأقصى ووزير الأشغال السابق في حكومة الأردن - في لقاء عبر صفحات مجلة "منبر الإسلام": عدد المحرم ١٤٠٨هـ، يحدثنا عن الأضرار التي لحقت بالمسجد الأقصى من آثار هذا الحريق السافر والذي قام به الإرهابي اليهودي "مايكل روهان" بأمر من حكومة إسرائيل للمسجد الأقصى والآثار الإسلامية المجاورة؟

يجيب بقوله: التهمت النيران أكثر من ثلث مساحة المسجد حوالي ١٥٠٠ متر مربع من مساحة المسجد البالغة ٤٥٠٠ متر مربع.

وأهم المعالم الأثرية التى تأثرت بالحريق

١- منبر صلاح الدين الأيوبي: الذي احترق بالكامل، وهو يعتبر تحفة أثرية رائعة حيث إن هذا المنبر كان مصنوعا من خشب الأرز وخشب الأبنوس والعاج وخيوط الفضة، وتم تعشيق الأخشاب مع بعضها البعض دون غراء أو دق مسامير!!

٢- قبة الأقصى الخشبية المزخرفة بالزخارف الإسلامية المميزة.

٣- مسجد عمر في الداخل.

٤- محراب زكريا، وبعض الأقواس والأعمدة.

ولن ترى معى ماذا كان صدى هذه الجريمة النكراء؟ ادعت إسرائيل - وقتها - أن هذا المجرم هو وحده المسئول عن الحريق، وأنه طبقا للقانون الإسرائيلى يعتبر مجنونا؛ ولذلك أعادوه سالما إلى وطنه أستراليا؟!

وعلى الرغم من موجة الاحتجاجات والمظاهرات العارمة التى اجتاحت العالم الإسلامى لم يتم اتخاذ إجراء ضد هذا الاعتداء الغاشم؛ لذا زادت موجات العنف والامتهان للمسلمين ومقدساتهم وبات الاعتداء على المسجد الأقصى أمرا عاديا بالنسبة لليهود؟!! ولله در القائل:

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرح بميت إيلام!!

ففى ١٩ من ديسمبر ١٩٦٩م: اقتحمت مجموعة من اليهود الحرم وقامت بالصلاة فيه.

وفى ٣ مارس ١٩٧١م: قامت مجموعة يقودها "جرشون سالوموون" - عضو مجلس مدينة القدس بالصلاة فى الحرم، وتصدى لهم فى هذه المرة مجموعة من الحرس الفلسطينى وأجبرهم البوليس على إخلاء المكان.

وفى ٣٠ يناير ١٩٧٦م: أصدرت "روث أور" - قاضية محكمة الصلح فى القدس - قرارين استفزازين:

الأول: بالعفو عن ثمانية من أعضاء حركة إرهابية متهمين بالاعتداء على الحرم الشريف.

والثانى: بأحقية اليهود فى أداء طقوسهم الدينية فى المسجد الأقصى.

وقد أشعل هذا القرار الشرارة التى تولدت عنها ثورة جماهيرية جامحة فى جميع مدن الضفة الغربية، وأضرب التجار، وعطلت الدراسة، وقامت السلطات الإسرائيلية باعتقال مئات من الطلبة والسكان العرب، وسقط كثير من المتظاهرين برصاص العدو. وكأنه لم يكف الصهاينة تلك الاستفزازات؛ فقامت السلطات الإسرائيلية فى أواخر فبراير ١٩٧٦م بمصادرة مساحات شاسعة من أراضى العرب فى الخليل لبناء مستوطنات يهودية عليها.

وفى ١١ من أبريل ١٩٨٢م: قام اليهودى الأمريكى "هارى جودمان" - والذى كان وقتها مجندا فى الجيش الإسرائيلى - ودخل المسجد الأقصى وأطلق النار من بندقيته الآلية على المصلين، فقتل اثنين وجرح عددا آخر ثم خرج دون أن يمسه أذى؟!! وعندما تظاهر العرب احتجاجا على هذه الجريمة تصدى لهم

البوليس الإسرائيلي بالبنادق فسقط منهم ١١ قتيلا.

وفي ٢٥ من يونيو ١٩٨٢م: ألقى القبض على "بول ليرنر" - أحد أعضاء حركة كاخ - بتهمة محاولة تفجير الحرم.

وفي ١٠ من مارس ١٩٨٣م: حاولت مجموعة من أعضاء "جيوش أمونيم" تسلق حوائط الحرم الشريف والهجوم على المسجد الأقصى، وقد تصدى لهم حراس المسجد الفلسطينيون، وتم القبض على ٢٩ فردا منهم يتزعمهم الحاخام "يسرائيل إريل" وكان في حوزتهم كميات كبيرة من المتفجرات.

ومع هذا أصدرت المحكمة الإسرائيلية حكمها في ٢٩ من سبتمبر في نفس العام بالعفو عن هؤلاء الإرهابيين، وتم الإفراج عنهم فورا!!؟

وقد قامت محاولات مشابهة لتفجير الأقصى، وتم القبض على مرتكبيها،إلا أن الضغط الشعبي المؤيد لهم والمظاهرات التي قامت أثناء محاكمتهم تعاطفامعهم من كل طوائف الشعب الصهيوني، أجبرت المحكمة في مرات كثيرة على إصدار أحكام العفو وأحيانا أخرى كان العفو يأتي من رئيس الدولةالصهيونية رأسا!

يحدث كل هذا!؟ على الرغم من أن سلطة الانتداب البريطاني على فلسطين قد نصت في المادة ١٥ من صك الانتداب على التزامها بحماية الأماكن المقدسة والمباني أوالمواقع الدينية.

والغريب أن الحكومة الإسرائيلية قد أقرت بهذا الالتزام وأصدرت قانونا لتأكيده، هو القانون (٥٧٢٧) لسنة ٦٧، الذي جاء فيه أنه: "تحفظ الأماكن المقدسة من أي انتهاك لحرمتها ومن أي شيء قد يمس بحرية وصول أبناء الأديان.. أو بمشاعرهم تجاه هذه الأماكن".

ونص القانون على عقوبة: الحبس خمس سنوات لكل من يعتدي على هذه الأماكن.

محاولة هدم الأقصى

إن مايقوم به الصهاينة من اعتداءات على ثالث الحرمين، [ومهبط الإسراء ومصعد المعراج] ليكشفُ لنا عن خبث نية اليهود تجاه المسجد الأقصى؛ ولعل هذا يظهر لنا جليا من أفعالهم بل ومن تصريحاتهم الجريئة السافرة..

فينقل عن السفاح اليهودي المجرم "مايكل روهان" أنه صرح عقب اقتراف فعلته الشنيعة بقوله: "يجب ألا يكون هناك أي مسجد في هذه الأرض حتى يتمكن اليهود من إعادة بناء معبدهم".

كما يحكي عن اليهودي - مصاص الدماء - "مائير كاهاني" أنه تحدث في نيويورك في مارس ١٩٨٣م أمام ثلاثمائة من أعضاء رابطة الدفاع اليهودية قائلا: "إن مجرد وجود مسجد على هضبة المعبد هو تدنيس لها، ولهذا لابد من تدمير الأقصى وقبة الصخرة وأي موقع إسلامي في هذه المنطقة".

كما كشفت صحيفة هارتس النقاب عن

رسالة بعثها بيبي نتنياهو إلى يهودا عتصيون – أحد زعماء حركة "حي وباقٍ" – يشير فيها: (ينبغي العمل من أجل ترتيب وضمان حق الصلاة لليهود في جبل الهيكل – المسجد الأقصى – لاسيما وأننا نوفر حرية العبادة لكل الأديان في القدس).

وأضاف في رسالته: (إنه من الواضح ضرورة معالجة هذا الموضوع بالحساسية اللازمة مؤكدا أن حزب الليكود سيعمل على تثبيت هذا الأمر بالصورة الملائمة بعد عودته للسلطة)!

وأضاف مشددا: (إن حق الشعب اليهودي في مكانه المقدس – المسجد الأقصى – هو حق غير قابل للجدل!)

ويبدو واضحا أن حكومات إسرائيل تهدف جليا لهدم الأقصى الشريف وبناء الهيكل في أقرب وقت؛ حيث قال مناحيم بيغن: "آمل أن يعاد المعبد في أقرب وقت وخلال فترة حياة هذا الجيل".

كما صرح ديفيد بن غوريون: بأن شعبه الذي يقف على أعتاب المعبد الثالث لا يمكن أن يتحلى بالصبر على النحو الذي كان عليه أجداده!

حتى متى تبقى الأمور كما نرى، الأمر أصبح جد خطير؛ فلابد من وقفة جادة، وحسبنا صرخة إمام المسجد الأقصى ومفتي القدس – في بيان له على صفحات مجلة: "فلسطين الغد": عدد يونيو ١٩٨٤م، إذ يقول الشيخ عكرمة صبري في بيانه: إن هدم المسجد الأقصى بات مسألة وقت؛ فإسرائيل تعلن أن المسجد للمسلمين ثم تطلق يد الحركات الإرهابية للاعتداء عليه، وتواصل الحفريات حول الحرم مما يهدد بانهياره.

ثم أشار الشيخ عكرمة إلى صورة يوزعها الإسرائيليون للقدس بدون المسجد وبدون القبة بل حل مكانها في الصورة الهيكل اليهودي المزعوم، وقال: بأن اليهود يأخذون هذا الأمر بمنتهى الجدية، وهم في النهاية سيحصلون على ما يريدون؛ فهناك لجنة إسرائيلية عليا تقوم بدراسة تفاصيل إقامة الهيكل، وأنهم قد جهزوا بالفعل مواد البناء والأحجار التي سيستخدمونها في تشييد المعبد.. حتى الملابس التي سيرتديها أحبار المعبد جاهزة!!

أقول: فهل بعد هذا البيان من بيان، وهل بعد هذا التصريح من تصريح، الأمر أصبح واضحا، والأقوال تصدقها الأفعال: فمنذ احتلال القدس عام ١٩٦٧م وحكومة إسرائيل تعمل بواسطة وزارة الأديان، وسلطة الآثار والبلدية على مصادرة وتدمير الوقف الإسلامي داخل أسوار المدينة القديمة والعمل الدؤوب على تهويد المدينة وتدمير الأبنية الإسلامية، فقامت الحكومة بحملة آثار محمومة بحجة البحث عن الآثار العبرية في الجهة الجنوبية والغربية من المسجد الأقصى المبارك.

وأسفرت حفرياتهم عن كشف المعالم الأموية، وتم تقويض أركان معالم إسلامية هامة كالمدرسة الجوهرية؛ مما دعا منظمة اليونسكو عام ١٩٧٤م لتتبنى قرار إدانة إسرائيل بسبب

إجراءاتها لتغيير معالم المدينة وتم حرمان إسرائيل من معونات اليونسكو وطردها من المنظمة تماما.

هذا، وخلال سنوات السبعينات، شهدت القدس مرحلة محمومة من الحفريات ومحاولة تقويض الأقصى وقبة الصخرة.

وقد كشفت الهيئة الإسلامية العليا فى القدس النقاب عن حجم الحفريات التى تقوم بها إسرائيل، وذلك بحفر الأنفاق لعمق ٩ - ١٤ مترا تحت أساسات المسجد الأقصى، وإغلاق القنوات أمام تصريف مياه الأمطار التى ستنخر المسجد مما يهدد بانهياره - لا سمح الله -.

وقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة الممارسات الإسرائيلية حيث "عمليات الحفر وتغيير معالم الأراضى الطبيعية والأماكن التاريخية والثقافية والدينية، خاصة فى القدس وأيضا عمليات نهب الممتلكات الثقافية والأثرية".

كما أعلنت الجمعية العامة فى عبارات واضحة أن "أعمال الحفر والتغيير فى المنظر العام وفى المواقع التاريخية والدينية للقدس تشكل انتهاكا صارخا لمبادىء القانون الدولى والأحكام المتصلة بالموضوع من اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدينة وقت الحرب"، ودعت الجمعية العامة إسرائيل إلى أن تكف فورا عن جميع أعمال الحفر وتغيير المعالم فى المواقع التاريخية والثقافية والدينية للقدس، وخاصة تحت وحول الحرم الشريف "المسجد الأقصى وقبة الصخرة التى تتعرض مبانيه لخطر الانهيار".

واعتبرت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذه الانتهاكات المفزعة، حالات خرق خطيرة لأحكامها، تصل إلى حد جرائم الحرب وإهانة الإنسانية!

وليت شعرى أن ترتدع إسرائيل من كل هذا أو تعمل لذلك أدنى حساب، على الرغم من وعود السلطات الإسرائيلية بوقف الحفريات التى أخذت طابعا جديدا إلا أن هذه السلطات لم تلتزم أبدا بوعودها بوقف العمل.

فمنذ مطلع عام ١٩٩٤م وحكومة إسرائيل تعمل على مصادرة الأراضى الوقفية بشكل دؤوب، وصممت على تدمير مبان إسلامية بواسطة استعمال مواد كيماوية تذيب وتفتت الصخور! وقد أدت الانهيارات أسفل المدرسة العمرية الإسلامية الوقفية يوم ٣/ ٨/ ١٩٩٥م إلى اكتشاف عدة أنفاق تؤدى إلى جهات مختلفة تؤدى بعضها إلى أرضية المسجد الأقصى، كما تشكل بعض الأنفاق امتدادا للنفق الأصلى القادم من جهة حائط البراق الشريف وطوله ٥٠٠م، ويصل إلى باب الغوانمة وتؤدى إلى بوابة الأقصى الرئيسية؛ مما يشير بشكل قاطع إلى أن الحفريات التى تقوم بها وزارة الأديان وسلطة الآثار والبلدية، تأتى فى هذا الوقت بالذات؛ لتنفيذ قرار حكومى يقضى باستمرار الحفريات وفتح باب للنفق فى الحى الإسلامى استعدادا لما يسمى "بعيد القدس" عام ٢٠٠٠!

وكشف تقرير للهيئة الإسلامية العليا عن أن

إزالة الصخور الطبيعية تم بواسطة تفتيت كيماوى؛ مما يهدد بسقوط البنايات الإسلامية.

ويؤكد ذلك أن رئيس سلطة الآثار اعترف أن دائرته تستعمل المواد الكيماوية، ولكن من أجل فحص تاريخها. بيد أن تواتر المشاهد والرؤى والعاملين فى الأنفاق تحت مسطح المسجد الأقصى والمعالم الإسلامية تعتقد فى أن المسئولين الإسرائيليين يستعملون مواد كيماوية لتفتيت الصخور الطبيعية، وقد استعملوا الجرّافات - ليلا - لهدم أسوار الساحات السفلية للمسجد الأقصى المبارك، وقد اكتشف حراس الأقصى عاملا حفارا وهو يهدم الأسوار السفلية للمسجد الأقصى!!

صرخة إلى المسلمين

إن من واجبكم التنبه لما يدور فى رحاب القدس الشريف التى ظلت على مدار قرون رمزا عظيما ومكانا روحيا مقدسا لأمة المسلمين، ولابد من المسارعة فى الحفاظ على أقدس أقداس المسلمين قبل فوات الأوان؛ فإن عمليات تفكيك الأوقاف الإسلامية مستمرة منذ الاحتلال عام ١٩٦٧م، وتتخذ اليوم بعدا خطيرا؛ حيث أدخلت الكيمياء لتفتيت الصخور الطبيعية، وأغلقت المنافذ لصرف المياه فى أنفاق القدس القديمة حتى يبدو انهيار المسجد وباحاته المقدسة عملية طبيعية بفعل عوامل الطبيعة.

إن تجمعات دولية يهودية رسمية وجمعيات مختلفة من بقاع الأرض تسعى لبناء الهيكل الثالث على أنقاض الأقصى الشريف، وتستغل هذه الجموع حالة الوهن المذل الذى أصاب الأمة الإسلامية فى رهان مع الزمن لأن عامل الوقت لصالحهم ونجحوا خلال العقود الثلاثة المنصرمة فى تغيير مدينة القدس جغرافيا وديمغرافيا، ولم يتبق عليهم سوى هدم المسجد الأقصى بصورة ذكية لا تثير غضب العالم الإسلامى؛ فهل ننتبه إلى هذا المخطط؟!!

ولخطورة الموقف وحساسيته؛ فقد أهاب "المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة" - فى نداء له مؤخرا - بالمسلمين - حكاما وشعوبا - أن يستعدوا لمقاومة العدوان على مقدساتهم، وأن يعلنوا للعالم أجمع استحالة التوصل إلى سلام عاجل ودائم دون عودة القدس الشريف وجوهرته المسجد الأقصى المبارك إلى أهله العرب، وأن يتحركوا عمليا لإكساب هذا الموقف الجدية.. كما دعا المجلس الدول الكبرى والمنظمات الحريصة على السلام أن تدرك أن هذا الهدف النبيل سيظل بعيد المنال إذا استمرت إسرائيل فى عدوانها على حقوق الفلسطينيين فى وطنهم، وخصوصا فى القدس الشريف عاصمتهم التاريخية الخالدة.

وبعد؛

أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تحل بكم الكارثة - لا قدر الله -، وأسرعوا لوقف هذا الزحف المغولى الغاشم، وأنقذوا الأقصى الأسير من التدمير وإلا دمر!! ورقتها لا ينفع الندم!!

المسجد الأقصى لعبادة الله وحده

ووصفه بالأقصى

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

المسجد الأقصى هو ثانى مسجد أسس على تقوى الله ورضوانه، وقد أمر الله - عز وجل - رسوله آدم أبا البشر، بوضع قواعده فى المكان، الذى أرشدته إليه ملائكة الرحمن، وذلك بعد أن وضع قواعد البيت الحرام بمكة المكرمة بأربعين عاما بمشيئة الله وأمره.

إن المساجد تبنى لتوحيد الله وعبادته وحده، والخضوع والسجود له، وقد صار المسجد الأقصى منذ أقيم رمزا للتوحيد كالكعبة التى شرفها الله، فهما خالصان لله وحده.

حديث شريف :

جاء فى الصحيحين، ومسند الإمام أحمد: قال أبو ذر الغفارى – رضى الله عنه – «قلت: يارسول الله، أى مسجد وضع فى الأرض أول؟ قال المسجد الحرام، قلت: ثم أى: قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما، قال: أربعون سنة، قلت: ثم أى، قال: ثم حيث أدركت الصلاة فصل، فكلها مسجد» أى جعلت الأرض للمسلمين مسجدا كما جعل ترابها طهورا لمن فقد الماء أو عجز عن استعماله فإنه يتيمم.

تعليق :

«ليس سليمان عليه السلام أول من بنى هذا المسجد».

قال ابن حجر: «إن آدم هو الذى أسس كلا المسجدين» وقال ابن الجوزى: «وليس إبراهيم أول من بنى الكعبة، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده فى الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس، ثم بنى إبراهيم الكعبة بنص القرآن أى : رفع قواعدها، قال القرطبى: «إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم

وسليمان لما بنيا المسجدين ابتداء وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما»[1]

إن المسجد الأقصى هو مسرى رسول الله - ﷺ - وهو ثالث المساجد - أي: في زيادة ثواب الصلاة فيه - التي تُشد إليها الرحال، ويقصدها المسلمون للزيارة والصلاة فيها، وأولها المسجد الحرام بمكة المكرمة، والثاني في زيادة ثواب الصلاة فيه لا من الناحية الزمنية مسجد الرسول محمد - ﷺ - في المدينة المنورة.

ملكي صادق العربي اليبوسي المقدسي

أوحى الله إلى عيسى بن مريم - عليهما السلام - «أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق» لقد كان ملكي صادق رجلا ملهما عرف توحيد الله، وزهد في متاع الحياة الدنيا، وقد هدى إلى مكان المسجد الأقصى الذي بناه أبونا آدم - عليه السلام - وفي الكهف الكائن في جبل المريا بالقدس انقطع ملكي صادق للعبادة، وقدم القرابين لله - عز وجل - وحده، فهو أشهر من تعبد في هذا المكان الذي بارك الله حوله قبل ظهور إبراهيم الخليل وأولاده - عليهم الصلاة والسلام - في بيت المقدس «إيلياء».

ترحيبه بالخليل عليه السلام

إن ملكي صادق هو أول من اختط «مدينة القدس» بعد أن بنى سلفه من العرب اليبوسيين مدينة «حبرون - أي: مدينة الخليل» وكان اسم القدس في أول الأمر «يبوس» نسبة إلى القبيلة العربية التي أنجبت ملكي صادق، وسكنت فلسطين قبل مجيء الخليل - عليه السلام - فلسطين بآلاف السنين، وهم اليبوسيون.

ولما هاجر إبراهيم الخليل - عليه السلام - من أرض العراق إلى الشام نزل في «حبرون» ووجد كرم ضيافة من أهلها العرب، ثم سار إلى مدينة يبوس «أي القدس» فرحب به ملكي صادق إذ وجد ما يرجوه من أمارات الصلاح والتقوى والدعوة إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له - سبحانه - رحب به في كهفه الذي يتعبد فيه في البقعة المباركة.

ومضت السنون، وتجديد البناء في عهد داود وسليمان عليهما السلام

قال كعب الأحبار «إن سليمان بنى بيت المقدس على أساس قديم» وهذا صحيح، وكعب الأحبار من بني إسرائيل وقد أسلم، فالأساس قد وضع في عهد آدم ثم جدد العهد بالمكان ملكي صادق العربي اليبوسي المقدسي وهيأه للعبادة.

ومع مضي السنين لحق المكان اندثار، ولما ظهر رسول الله داود - عليه السلام - سعى إلى إعادة بناء المسجد فوق المغارة التي كان يتعبد فيها ملكي صادق العربي اليبوسي، وشمر عن ساعد الجد في شراء كل متطلبات البناء، واشترى بيدرا من رجل عربي يبوسي يقع فوق كهف ملكي صادق لتوسعة المكان. ثم أوصى داود ابنه سليمان - عليه السلام - بإقامة قواعد هذا البيت المقدسي من جديد، وقد تم ذلك في عهده وبوصية من أبيه - عليهما السلام -.

---

(١) هذه الأقوال منقولة من كتاب: الطريق إلى بيت المقدس للدكتور جمال مسعود.

المسجد الأقصى فى القرآن الكريم

١ - وفى الآية الأولى من سورة الإسراء جاء ذكر المسجد الأقصى، والإشارة إلى ما حظى به المكان من بركات الدين والدنيا بفضل الله ورحمته:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾(٢).

وفى الآية إشارة لتأكيد الصلة بين المسجدين اللذين أسسا لإقامة شعائر دين الله الذى رضيه لعباده وهو دين الإسلام، وهذا الدين هو ميراث النبوة، فهم لم يورثوا عقارا ولا مالا، ولا ذهبا ولا فضة وإنما ورثوا العلم والايمان بالله وإن صفوة الأنبياء وخاتمهم هو النبى محمد حفيد إبراهيم الخليل - عليهما السلام - وإن دينه هو الدين العام للناس جميعا، الخالد إلى يوم الدين، ولا يقبل الله من أحد عملا إذا لم يؤمن به، ويدخل فى دينه، فهو دعوة أبيه إبراهيم، وبشرى أخيه عيسى، وقد بشر جميع الرسل بظهوره فى آخر الزمان ودعوا إلى وجوب الإيمان به ونصره.

وفى الإسراء تأكيد لهذه المعانى وللرابطة الأبدية بين المسجدين.

كما جاء ذكر المسجد الأقصى فى الآية السابعة من سورة الإسراء فى سياق ذكر أحوال بنى إسرائيل وما جرى لهم ومنهم:

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾(٣).

٢ - وفى سورة آل عمران جاء الحديث عن المسجد الأقصى وسدانته، فى آيات معجزات مؤثرات ترق لها القلوب. وذلك فى الآيات من ٣٣ إلى ٤٣ ومنها قوله تعالى:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾(٤).

إنها مريم البتول الطاهرة النقية بنت عمران الولى الصالح من ذرية إبراهيم الخليل - عليهم السلام -.

ومن ذلك - أيضا - قوله تعالى:

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾(٥)

إنه زكريا كافل مريم ومعلمها ومرشدها بأمر ربه وزوج خالتها، إنها الساحة المباركة الطيبة يتضوع فيها عطر التوحيد، وفيها تعبد المئات من الأنبياء والصالحين والصالحات من الذرية الصالحة التى سارت على نهج إبراهيم المسلم الموحد الذى ورث ذريته الصالحة العلم والحكمة:

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٦).

---

(٢) الاسراء/١ (٣) الإسراء/٧. (٤) آل عمران/٣٧.
(٥) آل عمران/٣٩. (٦) آل عمران/٦٧.

وهو الذى أقام قواعد أول بيت وضع لعبادة الله وتوحيده فى الأرض بمكة المكرمة بأمر من ربه.

٣- وفى سورة البقرة جاءت الإشارة إلى المسجد الأقصى فى سياق الآيات التى تتحدث عن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام ومنها قوله تعالى:

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٧).

فقد كان المسجد الأقصى ببيت المقدس قبلة صلاته - ﷺ - وأصحابه أول الأمر، وبقى على ذلك نحو سبعة عشر شهرا، بعد الهجرة إلى المدينة وكانت نفسه تتوق إلى أن تكون الكعبة - زادها الله شرفا - قبلته فأجاب الله رجاءه:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾(٨).

الإسلام هو دين جميع الأنبياء

وإن جعل المسجد الأقصى قبلة للمسلمين فى صلاتهم فى أول الأمر تأكيد لما تمت الإشارة إليه من أن دين الله واحد وهو الإسلام الذى هو ملة إبراهيم والأنبياء جميعهم وخاتمهم النبى محمد - ﷺ - فمن اختار طريقا غير طريقه بعد ظهوره وبعثته - ﷺ - فهو ليس على ملة إبراهيم، قال الله لنبيه محمد - ﷺ -:

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(٩).

وفى سورة الأنعام جاء على لسان النبى - ﷺ - بأمر ربه:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾(١٠).

والله - عز وجل - يقول فى سور البقرة:

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾(١١).

فتلك وصية غالية وصية إبراهيم لبنيه ووصية يعقوب، وهو إسرائيل، لبنيه أن يعيشوا مسلمين ويموتوا مسلمين، وهذا هو الميراث الحق للأنبياء، والطريق الصحيح لمن أراد خيرى الدنيا والآخرة:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(١٢).

ونسأل الله أن ينفعنا بدعاء أبينا إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل - عليهما السلام - وأن يحشرنا فى زمرته، ويجعلنا ممن قبل فينا دعاؤه الذى قال فيه:

---

(٧) البقرة/ ١٤٢. (٨) البقرة/١٤٤. (٩) النحل/١٢٣.
(١٠) الأنعام/١٦١. (١١) البقرة/ ١٣٠ : ١٣٢. (١٢) آل عمران/٨٥.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١٣].

الأقصى والتعليل لهذا الوصف

١- فسر الزمخشرى المفسر المقصود بلفظ «الأقصى» بقوله: أى لأنه لم يكن وراءه مسجد.

٢- وقال الشيخ عبدالغنى النابلسى فى كتابه «رحلتى إلى القدس» والمتوفى فى عام ١١٤٣ من الهجرة: التعليل لهذا الوصف «ثم خرجنا - أى بعد زيارته جامع المغاربة بالقدس - وذهبنا إلى بستان قريب إلى الأقصى فيه باب يتوصل منه إلى تحت الجامع الأقصى فدخلنا إليه، وهو قبوة مرفوعة على عُمُد مُحكمة البناء يقال: إن الجامع الأقصى كان أولا هناك فى ذلك المحل الأسفل[١٤] وهو المناسب لتسميته بالمسجد الأقصى صفحة ٢٨ و٢٩».

فهو تعليل مبنى على طرفى المسافة بين القبوة والمسجد الظاهر.

٣- ويمكن التعليل لهذا اللفظ بالنظر إلى طرفى الرحلة المباركة: فالبداية من المسجد الحرام بمكة المكرمة والطرف الآخر هو الأقصى قال صاحب فى ظلال القرآن: «هذا الإسراء آية من آيات الله، وهو نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر، والمسجد الأقصى هو طرف الرحلة».

٤- والأقصى معناه الأبعد، وهذا البُعد فى المسافات يكون نسبيا بالنسبة للمتعارف لدى المخاطبين أو الحال الذى هم عليه، ومثل ذلك نجده فى قوله -تعالى- من سورة الأنفال:

﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ﴾[١٥]

وجاء هذا فى غزوة بدر الكبرى وبيان موقع الفريقين بعد وصولهما إلى منطقة وادى بدر وكان المسلمون على حافة الوادى من جهة المدينة المنورة التى قدموا منها، وكان المشركون على حافة هذا الوادى نفسه من الجهة الأخرى المقابلة لأنهم قدموا من مكة المكرمة.

فالطرف الذى أقام فيه المسلمون هو الأدنى، أى بالنسبة لهم ولمسيرتهم من المدينة المنورة، والطرف الأقصى هو الذى نزل فيه المشركون، وهو أقصى بالنسبة لمكان المسلمين فى الجهة المقابلة من بدر، وبهذا جاء التعبير بالعدوة الدنيا، والعدوة القصوى. والله أعلم -.

وتلك خلاصة أرجو أن تكون واضحة ونافعة ومفيدة والله الهادى إلى سواء السبيل.

كلمة ختامية

المسجد الحرام بمكة المكرمة:

إن أول من وضع أساسه بأمر ربه هو أبونا آدم - عليه السلام - وقد أرشدته الملائكة إليه، وحددت له مكانه، ثم جاء الطوفان أيام نوح -

---

(١٣) البقرة/ ١٢٨.

(١٤) لعل هذه القبوة هى موضع الكهف الذى كان يتعبد فيه ملكى صادق العربى اليبوسى، وهذا مجرد استنتاج، والمعرفة عند أهل الدراية بالمكان وأوضاعه والله أعلم.

(١٥) الأنفال/ ٤٢.

عليه السلام – وتغير أوضاع المكان، وتوالت عوامل التعرية حتى غُطي بكثافة من الرمال.

وقد أرشدت الملائكة إبراهيم الخليل – عليه السلام – إلى المكان نفسه، وجاءت ريح كشفت له البقعة المباركة المقصودة، فأقام قواعد البيت كما أمره ربه بمعاونة ولده إسماعيل – عليه السلام – وإن الآية الكريمة رقم (١٢٧) من سورة البقرة تبين لنا هذا المعنى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾(١٦).

وفي الآية (٣٧) من سورة إبراهيم ما يشير إلى أن إبراهيم – عليه السلام – حمل أهله زوجه هاجر وولدها الرضيع إسماعيل – عليه السلام – إلى هذا المكان لأنه يجاور بيت الله المعظم في مكة المكرمة، قال تعالى على لسان إبراهيم الخليل – عليه السلام –:

﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(١٧).

الآية. فقد هداه الله إلى البقعة المباركة التي فيها موضع البيت المعظم وأوحى إليه أنه سيقوم برفع قواعده بمعاونة ولده إسماعيل أي بعد أن يشب ويقدر على ذلك.

يقول الله – تعالى – في سورة الحج:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾(١٨).

أي: أرشدناه إلى مكانه ودللناه عليه ومكناه منه، وعند التأمل نجد الآية الكريمة تدل على أن البيت كان موجودا قبل ظهور أبينا إبراهيم الخليل – عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام –.

وفي الآية (٩٦) من آل عمران:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(١٩).

وإن وجود أول بيت في الأرض لعبادة الله وحده منذ وجود أول أسرة مباركة في الأرض لعمارتها هو الذي أولى بالقبول وتطمئن إليه القلوب لأن الأمد بعيد بآلاف السنين بين آدم وولده إبراهيم الخليل – عليهما السلام – وبينهما رسل كرام مثل نوح وإدريس وهود وصالح، وأنبياء مثل الذين بعثوا في اليمن للدعوة إلى التوحيد والطاعة قبل انهيار سد مأرب، وقد جاءت الأخبار بأن الكعبة طاف حولها الرسل والأنبياء من عهد آدم عليهم وعلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه – والله أعلم.

---

(١٦) البقرة/١٢٧.

(١٧) إبراهيم/٣٧.

(١٨) الحج/٢٦.

(١٩) آل عمران/٩٦.

رسل الله أعلام هداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

لقد اقتضت حكمة الله -تبارك وتعالى- ولطفه بعباده ألا يكلهم إلى عقولهم وحدها، وهي التي يمكن -إذا انتظم تفكيرها- أن تهديهم أحيانا، وقد تخضع للأهواء والشهوات فتضلهم في أحيان أخرى. ولأن العقول لا تستطيع الاستقلال بالبحث في أمور غيبية كثيرة، ولا سبيل إلى معرفتها إلا بالاعتماد على الوحي الإلهي.

لهذا فإن الله أرسل إلى الناس رسلا مبشرين ومنذرين، يبلغونهم رسالة الله -سبحانه- ويهدونهم إلى الصراط المستقيم، ويدعون الناس إلى عبادة الله وحده، ويحذرونهم من عبادة الطواغيت، وبذلك تنقطع حجج الناس وأعذارهم، ويصبحون مسئولين عن أعمالهم فيجازون عليها إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشر، على وفق القاعدة التي قررها القرآن الكريم في قول -الله تعالى-:

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[1]

ولكي تقوم الحجة على جميع الخلق فقد أرسل الله الرسل إلى جميع الأمم بلا استثناء وفي هذا يقول -الله عز وجل-:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

ويمكن تلخيص مهمة الرسل فيما يأتي:

١- الدعوة إلى التوحيد النقي الخالص المجرد من كل شائبة شرك، وفي هذا يقول الله -تعالى-:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3].

٢- تبليغ أوامر الله ونواهيه إلى جميع خلقه حتى ينفذوا الأوامر ويجتنبوا النواهي وفي ذلك الخير للبشر.

---

(١) فصلت: (٤٦)　(٢) النحل (٣٦).　(٣) الأنبياء: (٢٥)

٣- تعريف الناس بالمبدأ والمعاد والنشأة والمصير وما بين ذلك، لينتهي الناس إلى معالمهم ويستعدوا لمصيرهم بالعمل الصالح الذي ينفعهم عند لقاء الله يوم الحساب.

٤- قيادة الناس على طريق الهداية والرشاد، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وأن يجد الناس فيهم المثل الأعلى والأسوة الحسنة، حتى يتبعوهم عن ثقة فيهم، واقتناع بهم وحب لهم.

ومن هنا ندرك ضرورة أن يكون هؤلاء الرسل نماذج عليا للكمال البشري في أسمى صوره، وأرفع درجاته، وأن يكونوا قمما عالية، يقتدى بها في جميع الفضائل، والأخلاق الكريمة، لأنهم أئمة الهدى، وليس من المقبول عقلا أن تكون فيهم عيوب خلقية أو خُلقية، لأنهم لو كانوا معيبين لن يكونوا أهلا للقيام بمهمتهم التي اختارهم الله لها، والله أعلم حيث يجعل رسالته. والقول بأن الله -سبحانه- قد اختار الضالين لكي يقوموا بهداية الخلق مصادرة على المطلوب. ويؤدي كذلك إلى القول بأن الله -سبحانه- أساء الاختيار. تعالى الله عما يقول المغضوب عليهم والضالون علوا كبيرا.

ولهذا فنحن نقول: إن الله قد اختار الرسل من خيرة خلقه، وصنعهم على عينه فكانوا في قمة الصلاح والتقوى والاستقامة على أمر الله، وكانوا -بحق- أعلام هداية، وهذا بعض ما جاء من أوصافهم في القرآن الكريم.

يقول الله عن آدم -عليه السلام-:

﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾(٤).

وحول مناقشة جرت بين إبراهيم -عليه السلام- وبين قومه- وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له- يعترف إبراهيم بفضل الله عليه وهدايته له.

وفي هذا يقول الله -تعالى-:

﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ﴾(٥).

هنا يعترف إبراهيم -عليه السلام- بأن الهداية من الله، ويتكرر منه التعبير عن هذا المعنى في مناقشاته مع قومه حيث يقول الله -تعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾(٦).

ويقول الله -تعالى-:

﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾(٧).

ولأن الله -تبارك وتعالى- أنعم على إبراهيم -عليه السلام- وهداه إلى معرفته والعمل بما يرضيه، ولأنه ابتلاه فنجح فيما ابتلاه به فقد رفع الله شأنه وخلد ذكره، وجعله للناس إماما هاديا وقائداً معلما للخير كله. يقول الله -تعالى-:

---

(٤) طه: (١٢٢).
(٥) الأنعام: (٨٠).
(٦) الزخرف: (٢٦ - ٢٧).
(٧) الأنعام: (٧٧).

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٨).

ولما كان إبراهيم هاديا مهديا فقد كان من قوله لأبيه وهو يدعوه إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام -كما حكاه القرآن الكريم :

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾(٩).

ويقول الله عن موسى وهارون -عليهما السلام- :

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾(١٠).

ولما كان موسى -عليه السلام- هاديا مهديا فقد كان من قوله لفرعون وهو يدعوه إلى الله -كما حكاه القرآن الكريم :

﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾(١١).

ويذكر القرآن الكريم عدداً من الأنبياء والمرسلين في مجموعة متصلة من الآيات ويصفهم جميعا بأن الله قد هداهم واجتباهم، فصاروا أعلام هداية.

وعدد هؤلاء المذكورين في هذه الآيات سبعة عشر رسولا. يقول الله -تعالى- :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾(١٢).

وهذه الآيات الكريمة تتضمن العديد من المعاني والمبادىء الهامة نذكر منها ما يلي:

أولاً: كل أنبياء الله ورسله دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، وتبرأوا من الشرك والمشركين، فأي مشرك لا صلة له بأي رسول.

ثانيا: كل أنبياء الله ورسله هداة مهديون، هداهم الله واختارهم لهداية خلقه، وقد قاموا بما كلفهم الله به خير قيام، وجزاهم الله خير الجزاء،

---

(٨) النحل: (١٢٠ - ١٢١) (٩) مريم (٤٣) (١٠) الصافات: (١١٧ - ١١٨)
(١١) النازعات: (١٨ - ١٩) (١٢) الأنعام: (٨٣ - ٩٠).

وبهذا يبطل أي اتهام وجه إليهم من أهل الكتاب أو غيرهم.

ثالثاً: لما كانوا جميعا أعلام هداية فقد وضعهم الله في موضع القدوة لمحمد -ﷺ- علم الهدى- فقال له ربه:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾(١٣).

ومع أن محمداً -ﷺ- سار على دربهم واقتفى أثرهم لأنه منهم وخاتمهم وقد جاء ليتمم ما بدأوه فإن الله قد جمع لمحمد كل الفضائل التي كانت فيهم، وميزه بمزايا بها تقدم على الأنبياء وصار إماما لهم.

رابعاً: تفيد الآيات - أيضاً - أن الذين ساروا على الدرب واتبعوا الأنبياء بحق كانوا هم أيضا هداة مهديين. وهم موجودون في كل أمة بعامة. وفي أمة محمد -ﷺ- بخاصة، وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١٤).

كما يشير إليه - أيضاً - قول الله -تعالى-:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾(١٥).

كما يشير إليه قول الله -تعالى-:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(١٦).

وقد كان بعض هؤلاء -في الماضي- من بني إسرائيل كما يشير إليه قول الله تعالى:

﴿ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾(١٧).

وهذا رجل مؤمن من آل فرعون اتبع موسى -عليه السلام- فهداه الله وصار من الهداة المهديين، فقام يدعو إلى الله ويهدي الناس إلى طريقه دون أن يخشى أحداً إلا الله، ويقول فيما حكاه القرآن الكريم من أقواله:

﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(١٨).

---

(١٣) الأنعام (٩٠). (١٤) الأنعام (٨٧). (١٥) مريم (٥٨).
(١٦) السجدة (٢٤). (١٧) الأعراف (١٥٩). (١٨) غافر (٣٨ - ٤٤).

هنا نجد أنفسنا أمام داعية أخلص لله، فجعله الله هاديا مهديا، وأعطاه الله من العلم والفقه ما يدرك به الأمور جيداً، وبالحجج القوية الدامغة يؤيد دعوته، ويتسلح بالأدب الرفيع وهو يدعو إلى الله على بصيرة.

هذا وأما الهداة المهديون من أمة محمد -ﷺ- فهم كثرة هائلة منتشرون في بقاع الأرض منذ عرفوا طريق الهداية على يد محمد -ﷺ- وهم ماضون على هذا الطريق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم:

﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[19].

وهم -أيضا- الذين قال الله فيهم:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[20].

وأيضا هم الذين قال فيهم رب العزة:

﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[21].

وأيضا هم الذين قال فيهم رسول الله -ﷺ- فيما رواه عنه سيدنا معاوية بن أبي سفيان -رضي الله عنه-: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[22].

ويؤكد هذا ما روى عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إن الله -تعالى- يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[23].

وهذا الحديث لا يعني الحصر في هذا العدد. فقد يكون الهداة المهديون في كل إقليم أو في كل منطقة، وقد يوجد منهم واحد أو أكثر -كما هو واقع فعلاً- ومن المعلوم أن كلمة «مَنْ» للمفرد والجمع، فقد يكون العدد فرداً وقد يكون جماعة تهتدي بهدى الله وتهدي الناس إلى الله[24].

هدانا الله وإياكم إلى ما يحبه ويرضاه.

---

(١٩) البقرة: (٥).

(٢٠) النساء: (١٧٥).

(٢١) البقرة: (١٥٧).

(٢٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما بروايات متعددة.

(٢٣) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة.

(٢٤) انظر كتابنا: خلاصة المقال عن المهدي والمسيح الدجال.

وحدة الأمة الإسلامية

عنوان قوتها وعظمتها.. ومظهر عزتها وكرامتها

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

إن أقوى عامل على تقدم الأمة ونهوضها، وخير سبيل لعلو شأنها، ورفع منارها، وبلوغها ذروة المجد والشرف، هو اتحاد القلوب وتضافر الجهد، وتوحيد الصف، وجمع الكلمة..

فالاتحاد أساس كل خير وسعادة، وعماد الرقي والسيادة، فكم به عمرت بلاد، وسادت عباد، وما نال قوم نصيبهم من رغد العيش والهناء، ولا فاز شعب من الشعوب بحظه الوافر من الراحة، وسلم من العناء، إلا بالتآلف والتناصر، والتعاون والتضامن، وما حظيت أمة بما ترتجيه، إلا بجمع شملها، وتوحيد صفوفها، وسعيها الدائب إلى ما يجلب لها الخير، ويحقق لها الرخاء.

فبالاتحاد تقوى الشوكة، وتتم النعمة، وتؤمن الغوائل، ويكثر التواصل، وتعظم المحبة، وتنال المآرب، لهذا كله حث الإسلام على الاتحاد ورغب فيه، لما يترتب عليه من جليل المنافع، وعظيم الفوائد، قال الله - تعالى -:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(1).

ففي هذه الآية الكريمة يأمرنا الله - تعالى - بالاتحاد والتضامن تحت راية القرآن الكريم وأن نكون جميعا كتلة متماسكة وقلبا واحدا ويدا واحدة تسير على هديه، وتستضيء بضوئه، بحيث لا تصدر إلا عن حكمه النفيسة، وتعاليمه السامية وإرشاداته الحكيمة، وتوجيهاته الرشيدة، وأن نكون دعاة إصلاح وسلام، لا دعاة فرقة وخصام..

أليس جميع المؤمنين كالجسم الواحد، وكل فرد منهم كعضو من أعضاء ذلك الجسد، يألم الكل لألم البعض، ويألم البعض لألم الكل.. قال رسول الله -

---

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الديني بالأزهر.

(1) آل عمران: من الآية (103).

ﷺ ـ : «المؤمنون كرجل واحد، إذا اشتكى عينه، اشتكى كله.. وإذا اشتكى رأسه، اشتكى كله»[2].

وإذا كان الأمر كذلك فواجب على الفرد أن يسعى في مصلحة الكل، وما يعود عليهم بالخير، والسعادة وواجب على الكل أن يسعوا في مصلحة الفرد، لأنه عضو من أعضائهم، قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3].

ولا ريب أن معنى الأخوة لا يتحقق فيهم، ولا يؤتي ثمرته المرجوة إلا بتكاتف الجميع وتضامنهم، في تنفيذ كل عمل مفيد، وشعور كل فرد منهم بأنه عضو من جسم أمته، عليه واجب يؤديه، وله وظيفة يقوم بها لخير المجموع، بأمانة وإخلاص. عن أبي موسى الأشعري ـرضي الله عنه- أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا».. وعن النعمان ابن بشير ـرضي الله عنه- قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[4].

ولما كان الإسلام هو دين البشرية كلها نجده يأمر باتفاق أوسع، وهو أن يكون بين جميع الأجناس والأقوام والدول والشعوب، اعتصام بكتاب الله، والتفاف حول إشعاعه، وخضوع لتعاليمه وقوانينه، لا فرق بين عربي وأعجمي، لتتحقق بذلك الأخوة في الله، ويدوم الصفاء والوئام بينهم، فالمسلم أخو المسلم، مهما كان لونه ولغته، وشقيق المسلم، مهما كان وطنه وجنسيته، وقف أحد المنافقين على حلقة فيها سلمان الفارسي، وبلال الحبشي، وصهيب بن سنان الرومي، يدعون إلى الله ـ تعالى ـ فما كان منه إلا أن قال: بدافع الحقد والحسد هذه الأوس والخزرج تنصر هذا الرجل (يعني محمدا ـ ﷺ).. فما بال هؤلاء العبيد ينصرونه، أو بعبارة أخرى: ما بال الحبشي والفارسي والرومي يؤيدونه؟!.. فقام معاذ بن جبل ـرضي الله عنه ـ وأمسك بتلابيب هذا المنافق، وقاده إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وأخبره بمقاله، فقام الرسول مُغْضَباً، وصعد إلى المنبر، ونودي: الصلاة.. فلما اجتمعوا قال رسول الله ـ ﷺ ـ «أيها الناس: إن ربكم لواحد، وإن أباكم لواحد، وإن دينكم لواحد، وإن العربية ليست لكم أماً، ولا أباً، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية، فهو عربي، الناس سواسية كأسنان المشط»..

بهذه الروح الطيبة النقية، وفي ظلال تلك المبادىء الإنسانية، استطاع النبي ـ ﷺ ـ أن يبني دولة الإسلام الفتية، وأمته القوية، وأن يؤسس حضارة عالمية، وأن يُقلم أظفار الجاهلية.

لقد أنشأ النبي العربي ـ ﷺ ـ على الوحدة خير أمة أخرجت للناس، أنشأها وجعلها عربية، عربية في لغتها، عربية في ثقافتها، في تفكيرها، في علمها، في أدبها، في تاريخها، حتى باتت أمة العرب بفضل الوحدة، كعبة.. العالم يحج إليها للأخذ عنها، وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[5]

ويقول:

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[6].

والأمة التي يبلغ الإحساس من مشاعر أفرادها إلى هذا

---

(2) رواه مسلم. (3) الحجرات: (10) (4) رواه البخاري.

(5) الأنبياء: (92) (6) المؤمنون: (52).

الحد، أو يلتقي إحساسها على هذه الوحدة، تكون على همة عالية وشيم سامية، وإقدام يسوقها إلى ما قُدِّر لها في هذا الوجود، من حرية وسيادة وعزة وكرامة:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾(٧).

وقد أثر عن الإمام الشيخ محمد عبده أنه قال: «إذا أحسست من أمة ميلاً إلى الوحدة، فبشرها إلى ما أعده الله لها في مكنون غيبه من السيادة العليا». لقد دعت السماء على ألسنة الأنبياء والمرسلين إلى لم شمل الشعوب في إطار واحد لكي تحافظ على كيانها وأمنها وحريتها واستقلالها..

وإن عظمة (ذي القرنين) التي سجلها له التاريخ بأحرف من نور على صفحات الخلود لم تكن في انتصاراته العسكرية، وفتونه الحربية.. مثل ما كانت في رغبته الأكيدة في أن يجعل من الشرق والغرب أمة واحدة..

وذو القرنين هذا.. من أسرة فارسية ظهر في منتصف القرن السادس قبل الميلاد في وقت كانت بلاده منقسمة إلى دولتين: تقعان تحت سيطرة حكومتي بابل وآشور القويتين، فاستطاع بفضل ما أوتي من قوة وموهبة توحيد الدولتين الفارسيتين تحت حكمه، ثم استطاع أن يضم إليها البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً بفتوحاته التي أشار إليها القرآن الكريم في سورة الكهف:

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ۝ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾(٨).

وأسس أول امبراطورية فارسية وظل حاكماً فريداً في شجاعته وعدالته، حتى توفي سنة ٥٢٩ قبل الميلاد..

فالاتحاد قوة معنوية تفوق كل قوة مادية، ومن مقتضياته تعاون الجميع على المصلحة العامة، التي تعود على المجتمع بالنفع العميم والخير العظيم، قال الله - تعالى -

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٩).

فالإسلام يأمر باتحاد كل قوم تضمهم أرض وتظلهم سماء، وإن اختلفت أديانهم، وتباينت نحلهم، على الخير والمصلحة العامة، لا فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي، فحياة الوطن وارتقاؤه لا تكون إلا باتحاد كل المقيمين فيه، لأنهم في أرض الوطن سواء، وخيراته بينهم بلا استثناء.. نعم هناك اختلاف إن لم يكن مباحاً فهو أمر فطري، والنهي عنه من قبيل التكليف بما لا يستطاع، بل هو حتم لامفر منه، وذلك كالاختلاف في الفهم والرأي، وهل يمكن أن تتساوى عقول الناس وأفكارهم، وتكون بمثابة واحدة؟.. أظن أن هذا لا سبيل إليه، ولا مطمع فيه، بل هو ضرب من المحال..

ثم ألم يكن هناك كبير خلاف بين جهابذة العلماء وأعلام الفقهاء، وإن كان هدف الجميع واحداً.. قال تعالى:

﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾(١٠).

فهذا النوع من الخلاف لا يضر.. اللهم إلا إذا تنكب عن هذه الطريقة طوائف جاءت بعدهم تحاكيهم وتقلدهم فيما نقل من مذاهبهم، لا في سلوكهم وسيرتهم، وصارت كل طائفة تتعصب

---

(٧) المنافقون: (٨). (٨) الكهف: (٨٣ : ٩٨). (٩) المائدة: (٢). (١٠) البقرة: (١٤٨).

لمذهبها، وما فيه من آراء ومسائل، وتعادي كل مخالف له، وهناك تتحكم الأهواء، وتتسع رقعة الخلاف بين المسلمين، قال الله - تعالى - :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(١١).

قال رسول الله - ﷺ - : «يد الله مع الجماعة، والشيطان مع من يخالف الجماعة».. وفي خطبة عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- المشهورة التي خطبها في الجابية: «عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد».. وفيها: «من أراد بحبوحة الجنة، فليلزم الجماعة».

وهذا النوع من الخلاف المفضي إلى التنازع والشقاق، هو الذي ذلَّت به الأمم بعد عزها، وضعفت بعد قوتها.. فالتفرق يؤدي حتماً إلى النزاع، وتفكك الرابطة، واختلاف الكلمة، ونتيجته الخذلان والاضمحلال.. قال تعالى:

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾(١٢).

وقال رسول الله - ﷺ -: «لا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»!!..

وما ذاك إلا لأن التنازع والاختلاف، وسيلة في تمكين العدو من الوقيعة بالمتنازعين، والنصرة عليهم، ولِمَ لا يكون ذلك؟.. أليس اختلافهم مضعف من قوتهم ومثبط من هممهم، وموهن لعزائمهم؟.. حتى إذا ما هاجمهم عدوهم، قابلوه بقلوب خائرة، وعزائم فاترة وهمم كليلة، وقوة ضئيلة.. وبذلك يمكن أن ينال منهم ما لا يستطيع أن يناله مع اتحادهم، وتآزرهم، وتآلفهم وتعاونهم.

فالتنازع في كل شيء، مجلبة الفساد، وداعية الدمار، فكم شاهدنا من عائلات كبيرة كانت في رغد من العيش، ترتع في بحبوحة من الرفاهية، وبيوت كثيرة كانت بفضل اتحادها ماضية في طريق العز والغنى والمجد والسؤدد، حتى إذا دبَّت فيهم عقارب التنازع، وسرى في أفرادها سُمّ التفرق، وفتكت بها جراثيم الشقاق، وأخذ الشيطان فيهم مأخذه تفرقوا وتناحروا، وأحاط بهم الذل والهوان، وتغلب عليهم أضعف أعدائهم!!.. وأصبحت بيوتهم خاوية على عروشها، قال الله - تعالى - :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(١٣).

وقد عاش العرب زمناً طويلاً متفرقين متنازعين، فلا دولة ترعاهم ولا حاكم يسوسهم، ولا دين يجمعهم، ولا راية تظلهم.. فلما جاء الإسلام، جمع شملهم، ووحد كلمتهم، ووضعهم تحت راية واحدة، وأصبحوا بنعمة الله إخواناً، فدوَّخوا الممالك، وافتتحوا البلاد، وسادوا العباد، وصاروا أولي قوة وأولي بأس شديد، فَرَعَبَ منهم عدوهم، وخشي بأسهم، وتهيب سلطانهم..

ويعلم من أحاط بكل شيء علماً، أنهم ما نالوا ذلك بكثرة عددهم، ولا بوفرة عُدَدهم، ولكن نالوه بقوة إيمانهم، ورباطة جأشهم، وبفضل اتحادهم والتاريخ ناطق بأن كل أمة اتحدت كلمة أبنائها، علا شأنها وارتفع ذكرها، وقويت شوكتها، وهابها أعداؤها، واتسع سلطانها، ونمت تجارتها، وازدادت ثروتها، وعُدَّتْ في مصاف الدول العظمى.. فلا نزاع في أن الاتحاد والوفاق، من أهم وسائل رقي الأمم، وأن التفرق والشقاق من دواعي تأخرها وسقوطها، وقد تجني يد الغاصب لها من خلافها ما لا تجنيه من وراء جيوشها وأساطيلها.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١١) الأنعام: (١٥٩) (١٢) الأنفال: (٤٦) (١٣) يونس: (٤٤)

مَشْرُوعِيَّةُ التَّوَسُّل

للمستشار / السيد علي بن السيد عبد الرحمن آل هاشم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله - ﷺ - وعلى آله، وصحبه، ومن والاه..

وبعد، فجواباً على سؤال ورد إلينا ومضمونه:

أن من بين الناس من يقول: بأن التوسل بالنبي - ﷺ - وبآله وصحابته، والصالحين من عباد الله أمر محدث، وغير مشروع؟

فما هو رأيكم دام فضلكم؟

نقول وبالله التوفيق:

لايجوز شرعاً بحال من الأحوال المسارعة بالقطع في الأمور، التي تخالف أفهام بعض الناس، وإن اتصف هذا البعض بتدين، أو حفظ لبعض نصوص أهل الرأي.

وإنه لأمر في غاية الخطورة أن تخالف إجماع الأئمة الكبار المتبوعين على مدار أربعة عشر قرناً ونيف من الزمن، ونسارع بالظن، بأن المسلمين بهذا يقعون موقع الشرك، أو البدعة، لأنهم رفعوا أكفهم بالضراعة إلى الله، وتوسلوا برسول الله - ﷺ - أو آل بيته، أو صحابته، أو الصالحين من عباد الله.

إن اتهام المسلمين في عقيدتهم مؤذن بإحداث فتن، وفرقة وتناحر قد يصعب إصلاحه.

ونحن اليوم مع تقدم العلوم تقنياً، تقدماً ملحوظاً، وغير مسبوق، إلا أنه لايجوز أن نسوغ لأنفسنا القول: بأننا على قدم المساواة مع من سبقنا من سلفنا الصالح، في علوم الدين، ومعارفه الأصيلة، فأولئك الرعيل الأول قد وهبوا نفوسهم لله وعملوا لله، ودعوا بكل تجرد إلى الله، وترسموا خطى رسول الله - ﷺ - وآل بيته، وصحابته ثم الصالحين من عباد الله.

وهذا إمام كبير من علماء الأمة «ابن القيم الجوزية»، لو تصفحنا كتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» لوجدنا فيه من المعارف الشئ المبهر، وإذ أخص هذا الكتاب بالذكر، لما فيه من سعة الأبحاث، وشمولية المواضيع،

فى هدى الرسول- ﷺ - وإن الفتوى من شأنها أن تكون جواباً مختصراً، وجامعاً، ومفيداً، ومستنداً إلى أصول، ومراجع معتمدة.

وقد شدد العلماء الأعلام فى موضوع الفتوى خاصة إذا كانت تتعلق بالعقيدة، أو حقوق الغير.

ومن العجب أن يغامر امرؤ بدينه، فيصم المسلمين بالضلال والابتداع بسبب توسلهم بالنبى - ﷺ - أو آله، أو صحابته أو الصالحين من الأولياء المشهود لهم من عدول زمانهم.

وإن المصادر العلمية والمراجع الفقهية ليست بالقليلة فى عددها، ولا بالصغيرة فى أحجامها ولا بالمعدودة من تصانيف الرجال الكبار، الذين وقفوا أنفسهم لتحبيرها لتيسير المعارف وتبيان الوجهة الصحيحة لأفراد الأمة الإسلامية.

فهذا هو العلامة الشيخ أبوبكر الباقلانى يقول: (إن إدخال ألف كافر فى الإسلام بشبهة إسلام واحدة، أسلم لدين المرء من تكفير مسلم واحد بألف شبهة).

ومن هناك يتبين العاقل خطر التبديع أو التكفير، ويتبين أيضاً- تعظيم العلماء الأعلام لعقيدة أهل الإسلام، وورعهم عن الوقوع فى هذه المزلة الخطرة.

وقد يحتج البعض من المسارعين- هدانا الله وإياهم- إلى تبديع المخالفين، وتكفيرهم، محتجين بأن الجاهلية الأولى كانت تعبد الأوثان، لتقربهم إلى الله زلفى، لذلك فهم يرون من يتوسل بالنبى- ﷺ - أو يتبرك بآثاره- أو التوسل بالأولياء، وزيارتهم أحياءً وأمواتاً، فهم بهذه الحالة يعبدون الأولياء والأنبياء.. هذا هو تصورهم؟؟

فى حين أننا لانعلم فى المسلمين على اختلاف مذاهبهم، من اتخذ غير الله إلهاً يستحق العبادة غير الإسحاقية، وقد انقرضوا من العالم، ولله الحمد والمنة، وإن وجد من يعتقد ذلك فلا ينسب للإسلام.

أما منطوق ومفهوم الآية الكريمة من قوله - تبارك وتعالى -:

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾(١).

ويؤخذ من هذه الآية: أن القرآن الكريم إنما أنكر على المشركين عبادتهم للأصنام واتخاذهم آلهة من دون الله- تبارك وتعالى- وإشراكهم إياها فى دعوى الربوبية، اعتقاداً فاسداً منهم، بأن «عبادتهم إياها» تقربهم إلى الله زلفى، فكفرهم وإشراكهم جاء من حيث عبادتهم لها، ومن حيث اعتقادهم الفاسد أنها أرباب من دون الله، لا من حيث توسلهم بها وقولهم بأنها تقربهم إلى الله زلفى.

---

(١) سورة الزمر الآية (٣).

وهنا مهمة لابد من بيانها، وهى أن هذه الآية لا تشهد بأن أولئك المشركين ما كانوا جادين فيما يحكى ربنا عنهم، من قولهم مسوغين عبادة الأصنام، ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

فإن أولئك المشركين لو كانوا صادقين فى ذلك، لكان الله أجل عندهم من تلك الأصنام، ولوجب عليهم ألا يعبدوا غيره.

وإنه من فضل الله على هذه الأمة، أنه لايوجد مسلم، ولامسلمة فى أرض الله، يعبد نبياً، أو ولياً، أو صالحاً، وإنما هو الأدب مع حملة كتاب الله وسنة رسوله المصطفى- ﷺ -.

بل إن صحيح العقيدة يستلزم الإيمان بعصمة الأنبياء والمرسلين، أما غيرهم فلا عصمة لهم، بل هم محل اختبار وامتحان مهما بلغت درجاتهم من العلم، أو الولاية، أو التقى، أما الشرك بالله فلا يستقيم معه عمل ولايقبل.

ومما يجب معرفته هو أن التوسل إما أن يكون عبادة!!.. وإما أن يكون غير عبادة.

فإن كان عبادة، كان ممنوعاً فى حق النبى- ﷺ- وغيره، لأن عبادة غير الله كفر مهما كان ذلك المعبود، سواء أكان نبياً، أم غير نبى، وسواء أكان حياً أم ميتاً.

وأما إن كان التوسل غير عبادة، فإنه مطلوب ومشروع، ولا وجه لمن فرق بين التوسل بالنبى- ﷺ- فى حياته، والتوسل به بعد مماته.

فقد جاءت كتب التفسير مجمعة على أنه كان من قبلنا من الأمم، كما تحدث القرآن عنهم، فى قوله - تبارك وتعالى-:

﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[٢].

أى يستنصرون على المشركين، ويقولون: اللهم انصرنا بنبى آخر الزمان المبعوث فى التوراة:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾[٣].

يعنى: محمداً- ﷺ- فإذا كان التوسل به- ﷺ - ثابتاً قبل ظهوره، فكيف ننكره بعد ظهوره.

والحديث النبوى الشريف الذى أخرجه الحاكم وصححه، صريح فى هذا المعنى.

ومما هو ثابت عند أهل العلم أن الخليفة المنصور العباسى، سأل الإمام مالكاً- رضى الله عنه- وهو فى المسجد النبوى الشريف، فقال ياأبا عبدالله، أأستقبل القبلة وأدعو؟.. أم أستقبل رسول الله- ﷺ؟

فقال الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم- عليه الصلاة والسلام- إلى الله.. بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله- تعالى- قال جل ذكره:

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[٤].

---

(٢)، (٣) سورة البقرة: الآية: (٨٩).

(٤) سورة النساء: الآية (٦٤).

فإذا كان التوسل به- ﷺ- قبل ظهوره نافعاً، والكتاب والسنة قد شهدا بذلك، فهو بعد ظهوره- صلوات الله وسلامه عليه- أنفع وأجمد.

وإن صريح حديث عثمان بن حنيف- رضي الله عنه- وقد أخرجه الترمذي، والحاكم في المستدرك والنسائي في مسنده فيه دليل على جواز التوسل برسول الله- ﷺ- إلى الله- عز وجل- وأن المعطي والمانع هو الله- سبحانه وتعالى- ماشاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وإذن: فالتوسل على هذا الاعتقاد السليم مشروع، لاممنوع من زمن نبي الله آدم أبي البشر، ولذلك استسقى سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه وأرضاه- بسيدنا العباس بن عبدالمطلب، عم النبي- ﷺ- لقرابته من رسول الله، وذلك ليبين- رضي الله عنه- جواز التوسل بغير النبي- ﷺ- لأن التوسل به- صلوات الله وسلامه عليه- دلت عليه الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، ومعلوم ذلك الأمر لدى الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين-:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾(*).

وقد صح أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي- رضي الله عنه- أيام مقامه في بغداد، كان يتوسل بالإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، وهو من هو..!- رضي الله عنهما- يجئ إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه، كما هو مشروع عند زيارة القبور، ثم يتوسل إلى الله- تعالى- به في قضاء حاجته.

كما روى الثقات أن الإمام الشافعي، ومعلوم أنه يرى أن القنوت سنة في صلاة الفجر، ويرى في أصح الأقوال: سجود السهو على من تركه.

فلما أن صلى الفجر ذات يوم بجوار قبر الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان لم يقنت، فخوطب في ذلك فقال: احتراماً لصاحب هذا القبر، فإنه لايرى القنوت في الفجر.

فأين نحن اليوم من أدب أولئك النفر العظام..!! لقد بلغ من سموهم بالعلم وأهله، ما أوصلهم إلى هذا الأدب العالي، ونأى بهم عن اللجاج والخصام والتعالي.

كما ثبت توسل الإمام أحمد بن حنبل- رضي الله عنه- بإمامه وشيخه محمد بن إدريس الشافعي، حتى تعجب عبدالله بن الإمام أحمد من ذلك، فقال له الإمام أحمد: إن الشافعي كالشمس للناس، وكالعافية للبدن.

ولما بلغ الإمام الشافعي، وهو بمصر، أن أهلها يبالغون بالتوسل بالإمام مالك، لم ينكر الإمام الشافعي عليهم ذلك.

وقد جاء في كتاب: «الصواعق المحرقة» للعلامة شيخ الإسلام أبوالعباس شهاب الدين والدنيا، أحمد بن محمد بدرالدين بن حجر الهيتمي وهو من أئمة العلم والحديث

(*) سورة الأنعام الآية (٩٠).

والتاريخ، وله مصنفات كثيرة يعرفها أهل العلم والدراية.

قال في كتابه سالف الذكر: إن الإمام الشافعي- رضي الله عنه- توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

آل النبي ذريعتي
وهمو إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً
بيد اليمين صحيفتي

وكان- رضي الله عنه- يزور السيدة نفيسة - رضي الله عنها - ومقامها معروف بمصر بسفح جبل المقطم، ويتبرك بآثارها، وإذا مرض أرسل أحد أصحابه إليها- رضي الله تعالى عنها- يطلب له الدعاء، فتدعو له بالشفاء.

ولما مرض الشافعي «مرض الموت» أرسل أحد أصحابه كعادته إليها، يطلب منها الدعاء بالشفاء، فقالت «متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم» فرجع إلى الإمام الشافعي وأخبره بما دعت له فعلم أنه ميت.

فهؤلاء أئمة الأمة، والسلف الصالح.. العارفون بكتاب الله، والمتمسكون بسنة رسول الله - ﷺ - درجوا على ذلك.

وفي الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي والبيهقي من طرق عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي- ﷺ - فقال: ادع الله أن يعافيني، قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك» قال: فادعه، قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء.

«اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبيك محمد، نبي الرحمة، يامحمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه فيّ».

زاد البيهقي من طرق «فقام وقد أبصر».

وفي رواية: ففعل الرجل فبرأ ببركته - ﷺ -[1].

ولم يقتصر التوسل به- ﷺ- على الإنسان بل تخطاه إلى الحيوانات في حياته فقد روى ابن شاهين في دلائله عن عبدالله بن جعفر- رضي الله تعالى عنه- قال: أردفني رسول الله- ﷺ- ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثاً، لاأحدث به أحداً من الناس وقال: كان أحب ما استتر به رسول الله- ﷺ - لحاجته هدف أوحائش نخل، فدخل حائط رجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى - النبي ﷺ- حنّ وذرفت عيناه فأتاه النبي- ﷺ- فمسح سراته وذفر به فسكت وفي رواية فسكن ثم قال: «من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار وقال: هذا لي يارسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذا الجمل الذي ملكك الله إياه فإنه يشتكي إليّ أنك تجيعه وتدئبه».

---

(١) سنن الترمذي (٥/٥٦٩) كتاب الدعوات باب ١١٩ حديث (٣٥٧٨). وأخرجه ابن ماجه في الصلاة ودلائل النبوة للبيهقي (٦/١٦٦، ١٦٧) باب في تعليمه الضرير وشفاء السقام للسبكي ١٦٥، ١٦٦).

وروى مسلم إلى حائش نخل[٧].

وفي الحديث كان رسول الله - ﷺ - إذا خرج إلى الصلاة قال: «اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاى هذا إليك، فإني لم أخرج أشراً ولابطراً، ولا رياءً ولا سمعة، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، فإنه لايغفر الذنوب إلا أنت»[٨].

ولنختم حديثنا بما قاله الإمام السبكي - رحمه الله تعالى - اعلم أن الاستعانة والتشفع بالنبي - ﷺ - وبجاهه وبركته إلى ربه - تبارك وتعالى - من فعل الأنبياء - صلى الله وسلم عليهم - وسير السلف الصالحين واقع في كل حال قبل خلقه وبعد خلقه في حياته الدنيوية ومدة البرزخ وعرصات القيامة وذلك مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار، وإذا جاز السؤال بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح وهي مخلوقة فالسؤال بالنبي - ﷺ - أولى، وفي العادة أن من له عند شخص قدر يتوسل به إليه في غيبته فإنه يجب إكراماً للمتوسل به، وقد يكون ذكر المحبوب أو المعظم سبباً للإجابة، ولافرق في هذا بين التعبير بالتوسل أو الاستعانة أو للتشفع أو السجود ومعناه: التوجه بذي الحاجة، وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه، وكيف لايتشفع ويتوسل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه، بل يجوز التوسل بسائر الصالحين[٩].

فإذا كان سيد الخلق أجمعين رسول الله المصطفى - صلوات ربي وسلامه عليه - الذي أرسله الله رحمة للعالمين، يتوسل إلى الله بكل سائل من عباده المخلصين، فجدير بنا أن نسير على نهجه - صلوات الله وسلامه عليه ونقتدي به، إذ به تكون القدوة والأسوة، والقربى من الله - عز وجل -.

وفي هذا كفاية لمن وفقه الله - تعالى -.

وبه قد علم الجواب والله أعلم بالصواب.

وأسأله - عز وجل - أن يفتح قلوبنا للحق واتباعه، ويكفينا شر أنفسنا الأمارة بالسوء، فإنه لاحول ولا قوة إلا بالله.

والله يقول الحق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

---

(٧) دلائل النبوة للبيهقي (٦/٣٦، ٣٧) ومسند أحمد (٢/١٦٧) والدارمي (١/١٧٠) وأخرجه مسلم في ٣ كتاب الحيض (٢٠) باب ما يستتر به لقضاء الحاجة. الحديث ٧٩ ص (١/٢٦٨) وابن ماجه (٢٠٤ ص (١/١٢٢، ١٢٣).

(٨) أخرجه ابن ماجه - بإسناد صحيح - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - ورواه الحافظ أبو نعيم في «عمل اليوم والليلة، وذكره السيوطي في الجامع الكبير ورواه البيهقي في كتاب الدعوات.

(٩) شفاء السقام للسبكي (١٦٠، ١٥٤) وسبل الهدى والرشاد للصالحي الدمشقي (١٢/٧٦٢).

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسلام ومساهمته في بناء السلام العالمي

للأستاذ / عبد السلام القبانى

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

قال - تعالى -:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(١).

جاءت هذه الآية الكريمة بعد قوله - تعالى -:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٢).

ففى هاتين الآيتين الكريمتين وضع القرآن الكريم للمسلمين دستورهم الأساسى فى علاقتهم مع الأعداء، وحض على دفع الظلم والحرص على الحرية وبيان الوسيلة التى يدفع بها المسلمون عن أنفسهم الظلم ويذودون بها عن حريتهم بأن يعدو للأعداء ما يستطيعون من القوة، ثم إيضاح لا يدع مجالا للشك فى أن القصد الأول هو إيثار السلام، إذا جنح الأعداء إلى إيثار السلام. هذا هو دستور الإسلام الواضح لكل ذى عينين، وهو الدستور الذى سارعليه الرسول - ﷺ - فى كل مواقفه، والذى سار عليه المسلمون فى صدر الإسلام وفى العصور المتعاقبة إلى اليوم، حرص على الحرية وإباء الظلم ثم إيثار السلم ما دام الأعداء يؤثرون السلم، بصرف النظر عما قد يضمرونه فى نفوسهم من الحقد، ومن روح الاعتداء ما داموا لا يعمدون إلى القيام بأعمال الاعتداء.

---

(١) سورة الأنفال الآية (٦١).

(٢) سورة الأنفال الآية (٦٠).

ولقد جاءت كلمة السلام في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، وكل الآيات تشير إلى توثيق أواصر القربى بين الناس وتدعوهم إلى أن يعيشوا على هذه الأرض إخوة متعاونين لا متعادين، ومتراحمين لا متزاحمين .

ولمنزلة السلام عند الله - تعالى - جعل الليلة التي نزل فيها القرآن الكريم ليلة مباركة يكتنفها السلام من أولها إلى آخرها

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾[3] وهذا يؤكد حب الإسلام للسلام وحرصه عليه ورغبته في أن يبسط جناحيه على الكون كله.

والسلام الذي يحرص عليه الإسلام هو السلام العزيز النبيل الذي يهدف إلى حقن الدماء، وإشاعة الأمن والطمأنينة بين الناس

وللمزيد من الإيضاح، قال الكاتب - رحمه الله -:

لم ترسل الرسل وتتنزل عليهم الملائكة بالوحي والكتب من عند الله إلا لإصلاح حال البشر، وتزكية نفوسهم، وإقامة العدل والمساواة بينهم، ودفع طغيان بعضهم عن بعض، وتأسيس بناء المجتمع في الأرض على دعائم صالحة للحياة والعمران حتى تنصرف قوى البشر لمنفعة البشر

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4].

وكان من عجيب سر الأديان جميعا، وترادف الرسل إلى أهل الأرض، أن كان أول ما يهدفون إليه ويدعون له، إنما هو عقيدة التوحيد وإزالة كل معبود على وجه الأرض من دون الله، ولم يكن ذلك لأن عقيدة التوحيد هي حق في نفسها فحسب، وإنما كان إلى ذلك أنها حينما تتضمن إفراد الله بالعظمة، تتضمن المساواة بين أفراد من عداه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[5].

وفيه تمام المساواة بين أبناء البشر وأفراد المجتمع الواحد، وهذه هي الحرية والمساواة التي تصرخ بها الحضارة والمدنية الحديثة على أنها ثمرة الثورة الفرنسية، بينما هي أولى عقائد الأديان منذ نزلت الأديان، إذ هي صنو عقيدة التوحيد، ومقتضاها أن السيد الفرد هو الله - سبحانه - والجميع بعد سواء في الحقوق والواجبات، حتى كان النبي يقول لقومه:

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[6].

فأول مبادىء الإسلام وعقائده هو تأسيس المجتمع على المساواة والعدل بين الناس، لأنهم سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح.

---

(3) سورة القدر الآية (5).

(4) سورة الأعراف الآية (96).

(5) سورة الأعراف الآية (194).

(6) سورة هود الآية (88).

وهذا هو مبدأ إخراج الناس من الظلمات إلى النور الذى جاءت به الأنبياء فأخرجوا الناس من ظلمات جهلهم بالله ـ سبحانه ـ إلى نور المعرفة به، ومن ظلمات جهلهم بحقوقهم الشخصية أمام كبرائهم وملوكهم إلى نور العلم بأنهم وإياهم سواسية كأسنان المشط،

﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٧).

وبذلك يتم بناء صرح المجتمع على أسس من العدالة لا تنهار، وقطعت الرسل مرحلتها الأولى فى رسالتها فى ترويض العقل البشرى على فهم هذه الحقيقة فى عقيدة التوحيد ومبدأ المساواة.

وكان كثير من السادات فى أممهم يقبلون عقيدة التوحيد ولا يقبلون المساواة بينهم وبين الضعفاء من أممهم، فيأبى عليهم الأنبياء ذلك ولا يقبلون منهم إلا العقيدة كاملة

﴿ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴾(٨).

الآيات. وكذلك فعلوا مع الرسول ـ ﷺ ـ وطلبوا أن ينحى من مجلسه الضعفاء ليجلسوا معه ويستمعوا إليه، فأبى، ونزل قرآن كريم على النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فى إشاحة خفيفة عن أعمى جاءه وكان مشغولا بوفد من السادات

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾(٩)... الآيات.

هذا هو مبدأ الدين من عقيدة إفراد الله ـ سبحانه ـ بالألوهية والربوبية، وخرط جميع من سواه فى سلك العبودية له على السواء، فتتحد كلمة الأمة ويخف بينها الخلاف أو ينعدم.

وكلما كانت الأمة أو الأمم متحدة فى العقيدة الصحيحة السليمة كان ذلك أدعى إلى السلم فيما بينها، وأدفع للقوى أن تتجه إلى الإنتاج الاقتصادى النافع، متعاونة بروح واحدة هى روح الأخوة، وفى ذلك عماد الحياة وصلاح الأرض وسلامة الأمر وتواد النفوس، فلم يكن إجماع الرسل وتضافر الأديان فى كل زمن على عقيدة التوحيد إلا لمصلحة البشر أنفسهم، واجتثاث نزعة الطغيان منهم بعضهم على بعض بسبب تفاوت البشر فى القوى والقدر، فيظن القوى أنه خير من الضعيف، فجاءت الأديان كلها بعقيدة التوحيد والمساواة توحيداً لله بالربوبية والمساواة بين أفراد من عداه.

وهذه الحروب الطاحنة التى تنشب فى هذا العصر، بين كل وقت وآخر، بين بنى الجنس الواحد من أبناء البشر، مما لا يوجد له نظير فى أبناء جنس آخر من الكائنات الحية التى على وجه الأرض، والتى لم توهب نعمة العقل، هذه الحروب التى تستنفد قوى البشر وإنتاجهم فى تدمير بعضهم بعضا بسبب اختلافهم فى مبادىء وآراء، فراحوا يستخدمون العلم فى سفك الدماء والنكال، ويبتكرون أسرع المهلكات وأغزرها فى الفناء لأهل الأرض.

---

(٧) سورة آل عمران الآية (٦٤).
(٨) سورة الشعراء، الآية (١١١).
(٩) سورة عبس الآية (٢،١).

أى فساد فى الدنيا أشد من ذلك؟ قوم يتواطئون على إهلاك أنفسهم وغيرهم بأيديهم.

فهل هذا الجنون العالمى والانتحار الإنسانى والسير فى سبيل تدمير الحضارة والبشرية خير للإنسانية، أم الاستغاثة بالسماء لصلاح الأرض ودرء الحرب عنها والانتفاع بالبقية الباقية من الروح الدينية لجمع كلمة البشر على وحدانية الله سبحانه ـ والتعاون على محبته وشرعه، ليكون هؤلاء المتعاونون كتلة واحدة على هدف واحد، فلا يتحاربون ولا يستنفدون قواهم فيما يعود عليهم إلا بالخير والعافية وبقاء السلام:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١٠).

حرية العقيدة والحرية الشخصية

تعترض تلك الكلمة سبيل الباحثين هنا وتصطك بآذانهم حيثما يتفاهمون، وهى وإن كانت كلمة حق فى بعض وجوهها فقد أريد بها باطل استغله الشيطان وألقاه فى نفوس الكثير من العقلاء، وإبقاء على حبه دوام الخلاف واتساعه بين البشر، ذلك الخلاف الذى يبتدىء بحجة هذه الكلمة بين كل اثنين من أسرتين أو بلدين إلى ما اتسع له الآن من انقسام الدنيا إلى معسكرين – رأسماليين وشيوعيين – لا يلبث الشر أن تندلع منه شرارة بينهما، فتطيح بالدنيا بأسرها بسبب مبادىء وآراء ما أنزل الله بها من سلطان.

وهذا هو الذى نخشاه، إنما هو عقاب سماوى، وإنذار لأهل الأرض الذين أباحوا الكفر الصراح والفسوق والعصيان، وانتهاك حرمة الآداب وانحلال الأخلاق وفساد الذمم، كل ذلك بسبب استخدام هذه الكلمة «الحرية الشخصية» فى انطلاق الأهواء والميول ونشر الإباحية الفاجرة.

ولو أن عشر معشار ما ينفق على التسلح والسياسة الآن، كان ينفق على حرمة الآداب واحترام الدين ودعوة الإنسانية إلى الخير والصلاح وإيمان الأرض بالسماء، ما بلغ الخلاف ما بلغه الآن، ولما كشر الشر عن نابه لأهل الأرض يريد أن يفترسهم بين عشية وضحاها.

فأين رجال الدين، وأين انتفاع الحكومات بهم الآن؟

إن الدين هو موضع الغوث الذى تنتظره البشرية الآن لإغاثتها مما سيجرفها من حرب طاحنة واقفة على الأبواب ستدمر المدنية وتأتى على الأخضر واليابس.

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(١١).

أمر النبى – ﷺ – أن يوجه هذا النداء الكريم، وهذه الكلمة العادلة على ملأ الأشهاد والرأى العام، إلى المخالفين المعاندين، قبل أن يزداد الخلاف وتنشب الحرب.

(١٠) سورة الأعراف الآية (٩٦).

(١١) سورة آل عمران الآية (٦٤).

فهذا النداء الإسلامي والسياسة العليا النازلة من السماء لتوجه من الجبهة الإسلامية إلى جبهة المخالفين، تؤذن بأن تحتذى ويوجه مثلها مثلا إلى تلك الكتلة الشرقية التي تريد أن تجتاح الأديان والإسلام كما اجتاحته في مسلمي الشرق، فنقول:

﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾(١٢).

– ولا يتخذ الرأسماليون – المال والأرض احتكارا لهم من دون الناس، ولا يتخذ بعضنا الحكم قسرا على عباد الله بتحريم الملكية الفردية التي أباحها الله في كل الأديان، إلى آخر ما تعزو به مبادئهم الهدامة ونمهد لهم من مبادئ إسلامية كريمة تشبع نهمهم الإصلاحي من غير هدم ولا طغيان لمن يريد الإصلاح.

والإسلام في مبادئه وسماحته بين مبادئ الشرق والغرب كلبن سائغ حلو للشاربين يخرج من بين فرث ودم.

وقد راح كل من الطرفين يعبيء قوى الشر والحرب ضد الآخر، وها هو العالم ينتظر البوق، فهذه الروح الإسلامية في سياسة السلم وهذا النداء السماوي الذي وجهه القرآن ونزل به جبريل من السماء إلى خصوم الإسلام أشد ما كانت الخصومة، هي سياسة تحتذى ويقتبس منها النور.

فلماذا لا ينتفع المسلمون في مواقفهم بقرآنهم الكريم الداعي للسلم، ويتخذون منه نبراسا ويتفهمون مراميه وأهدافه ليستوحوا منها ما ينفعهم في ذلك وليرفعوا به الصوت عاليا في السياسة العالمية ويعلنوا همة الإسلام العالية في خدمة البشرية ولا سيما في درء الشيوعية وكفرها الصراح.

ليس إكرام القرآن الكريم بين أهله هو تلاوته فحسب والتغني به في المآتم والحفلات، وإنما إكرامه العمل به، والتضامن على تدبره وفهمه، وإشعار الأمم والشعوب والطبقات العالية المثقفة بأن القرآن فيه فصل القضاء فيما اختلف فيه الناس في كل زمان ومكان.

وهذه مهمة شاقة يجب أن ينهض بها الأزهر الشريف وعهد هذه الحكومة الناهضة وعهد هذا الظرف العالمي الحاضر الموجب لذلك، ومن اتخذ القرآن مهجورا هيهات أن يكون بين الناس منصورا، فيجب على أهل القرآن الآن المؤمنين به وبرسالته العالمية أن يواجهوا الناس بما فيه من مقاطع الحكم ومفاصل الخلاف، وأن يقنعوا العالم بذلك، ساستهم وشعوبهم، وطرق الإقناع واسعة، والسبيل نهج، والدين واضح والدولة للبيان.

﴿ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾(١٣).

---

(١٢) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(١٣) سورة النساء، الآية (٦٣).

العشرة المبشرون بالجنة

٣ أَمِينُ الأُمَّـــة

أبو عُبَيْدَة بن الجَرَّاح

إعداد الأستاذ/ أحمد السيد تقي الدين

روى الإمام أحمد: حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن سعيد الجريري، عن عبدالله بن شقيق، أن عمرو بن العاص قال: يا رسول الله، أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قال: من الرجال؟ قال: «أبوها». قال: ثم من؟ قال: «أبو عبيدة بن الجراح»[(١)].

وروى أيضاً: حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبي، حدثني حسن، حدثنا حماد بن سلمة، عن حميد، وزياد الأعلم عن الحسن، قال: قال النبي - ﷺ -: «ما من أحد من أصحابي إلا لو شئت آخذ عليه خلقه إلا أخذت ليس أبو عبيدة بن الجراح»[(٢)].

وروى أحمد: حدثنا عبدالله، حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن عون، قال: حدثنا أبو عميس، عن ابن أبي مليكة، قال: سمعت عائشة وسُئلت من كان رسول الله - ﷺ - مستخلفاً لو استخلف؟

---

(١) إسناده صحيح، رواه أحمد في المسند (٤/ ٢٠٣)، وابن ماجه (١/ ٣٨).

(٢) مرسل، رجاله ثقات، أخرجه الفسوي في تاريخه (١/ ٤٨٨) والحاكم في المستدرك (٣/ ٢٦٦)، وتهذيب ابن عساكر (٦/ ١٦٤)، وكنز العمال (١١/ ٧١٤)، والإمام أحمد في الفضائل برقم (١٢٨٣) - (٢/ ٧٤٩).

قالت: أبو بكر. قيل لها: من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. ثم قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة قال: ثم انتهت إلى ذا[3].

وروى الإمام أحمد: حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا إسماعيل بن سميع، عن مسلم البطين، عن أبي البختري، قال: قال عمر لأبي عبيدة بن الجراح: ابسط يدك حتى أبايعك، فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «أنت أمين هذه الأمة»، فقال أبو عبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدي رجل أمره رسول الله ـ ﷺ ـ أن يؤمنا حتى مات[4].

وروى ابن سعد في طبقاته قال: أخبرنا أحمد بن عبدالله بن يونس قال: حدثنا سفيان ابن عيينة عن ابن أبي نجيح قال: قال عمر بن الخطاب لجلسائه: تمنوا، فتمنوا، فقال عمر بن الخطاب: لكني أتمنى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح. قال سفيان: فقال له رجل: ما ألوت الإسلام، فقال: ذاك الذي أردت[5].

وروى ابن سعد ـ أيضاً ـ قال: أخبرنا يزيد بن هارون ومحمد بن عبدالله الأنصاري قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة قال: سمعت شهْر بن حوشب يقول: قال عمر بن الخطاب: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح فاستخلفته فسألني عنه ربي لقلت: سمعت نبيك يقول: هو أمين هذه الأمة[6].

وقال ابن سعد: أخبرنا كثير بن هشام، قال: حدثنا جعفر بن برقان، قال: حدثنا ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب: لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت، فإن سئلت عنه قلت: استخلفت أمين الله وأمين رسوله[7].

وروى ابن سعد ـ أيضاً ـ قال: أخبرنا أبو بكر بن عبدالله بن أبي أويس المدني قال: حدثني سليمان بن بلال قال: وأخبرنا موسى ابن إسماعيل قال: حدثنا عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، جميعاً عن سُهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال: نعْمَ الرجل أبو عبيدة بن الجراح[8].

نسبه

هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي الفهري المشهور بكنيته أبي عبيدة بن الجراح

---

(3) إسناده صحيح، رواه أحمد في الفضائل برقم (1286) ـ (742/1).

(4) إسناده ضعيف لانقطاعه أبو البختري لم يدرك عمر، الفضائل برقم (1284) (746/1).

(5) طبقات ابن سعد (3/ 300).

(6) المصدر السابق.

(7) المصدر السابق.

(8) نفس المصدر السابق.

وأمه هي: أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن وديعة، وأمها دعد بنت هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر.

وكان لأبي عبيدة من الولد: يزيد وعمير، وأمهما هند بنت جابر بن وهب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي[9].

إســــلامه

كان ابن الجراح من السابقين إلى الإسلام، ومن أوائل الملبين داعي الله يقول الحافظ ابن كثير: «أبو عبيدة بن الجراح الفهري، أمين هذه الأمة وأحد العشرة المبشرين المشهود لهم بالجنة وأحد الخمسة الذين أسلموا في يوم واحد وهم: عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو سلمة ابن عبد الأسد، وأبو عبيدة بن الجراح، أسلموا على يد الصديق»[10] قبل دخول رسول الله - ﷺ - دار الأرقم[11].

الهجـرة إلى الحبشـة

وعندما اشتد أذى قريش لرسول الله - ﷺ - وأصحابه كانت الهجرة إلى الحبشة والتي أذن فيها رسول الله - ﷺ - لنفر من أصحابه بالهجرة إليها فرارا من بطش قريش وكان أبو عبيدة بن الجراح في جملة من هاجر إلى الحبشة[12].

ثم بلغ أصحاب رسول الله - ﷺ - الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مكة، بلغهم أن ما كانوا يتحدثون به من إسلام أهل مكة كان باطلا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا، وكان فيهم أبو عبيدة بن الجراح[13].

الهجـرة إلى المدينـة

ولم يدم بقاء ابن الجراح بمكة طويلا فقد استيقظ في يوم على جلبة وأصوات مختلطة وعندما تعرف الأمر أدرك أن قريشا تملؤها الحسرة لانفلات رسول الله - ﷺ - من الحصار الذي أعدوه له وهجرته إلى يثرب.

فانطلق ابن الجراح يسابق الريح على جواده حتى يلحق بالعصبة المؤمنة الفارة بدينها حتى وصل إلى يثرب، ووقف بين يدي رسول

---

(9) البداية والنهاية (١٠٣/٧)، طبقات ابن سعد (٢٩٧/٣، ٢٩٨)، السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٩/١).

(10) البداية والنهاية (١٠٣/٧).

(11) طبقات ابن سعد (٢٩٧/٣، ٢٩٨).

(12) السيرة النبوية لابن هشام (٣٢٩/١).

(13) المصدر السابق (٣٦٤/١، ٣٦٩).

الله - ﷺ - الذى هش لمقدمه ونزل على كلثوم بن الهدم(١٤).

وآخى - ﷺ - بينه وبين سعد بن معاذ ابن النعمان أخو بنى عبد الأشهل(١٥).

ابعث معكم القوى الأمين

وقدم على رسول الله - ﷺ - وفد من نصارى نجران، ودار بينهم وبين رسول الله - ﷺ - حديث طويل، فلما عرض عليهم الإسلام قالوا فيما يرويه بن هشام: «يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا فى أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضاً.

قال محمدُ بن جعفر: فقال رسولُ الله - ﷺ -: ائتونى العشيّة أبعث معكم القوىّ الأمين. قال: فكان عمرُ بن الخطّاب يقول: ما أحببت الإمارة قطُّ حُبى إياها يومئذ، رجاءَ أن أكون صاحبها، فرُحتُ إلى الظُّهر مهجّراً، فلما صلى بنا رسول الله - ﷺ - الظهرَ سلَّم، ثم نظر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليَرانى، فلم يزلْ يلتمس ببصَره حتى رأى أبا عُبيدة ابن الجرّاح، فدعاه فقال: اخرُج معهم، فاقْض بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه.

قال عمر: فذهب بها أبو عُبيدة.(١٦).

---

(١٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٨).

(١٥) ابن هشام، السيرة النبوية (٦/٥٠٢).

(١٦) المصدر السابق (١/٥٨٤) والحديث رواه أحمد فى الفضائل برقم ١٢٧٦ وفيه:

حدثنا عبد الله قال: حدثنى أبى: حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبى إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد إلى النبى - ﷺ - فقالا: أرسل معنا رجلا أمينا أميناً أميناً. فقال النبى - ﷺ -: سأرسل معكم رجلا أمينا أمينا أمينا. قال: فجثا لها أصحاب النبى - ﷺ - على الركب. قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح.

رواه أحمد بإسناد صحيح، وأخرجه فى المسند (٥/٤٠١) والترمذى (٩/٢٦٧) والبخارى (٨/٩٣، ٩٤) وابن ماجة (١/٤٨)، الفسوى (١/٤٨٨)، والحاكم (٣/٢٦٧).

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم فضيلة الشيخ/ عبد الفتاح حسين الزيات

توفى عن: إخوة وأخوات لأب، إخوة وأخوات لأم فكيف توزع التركة فى هذه المسألة؟

السائل/ إسماعيل محمد أحمد:

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، وبعد:

فنفيدكم بأن التركة توزع كما يلى: للإخوة والأخوات لأم الثلث فرضا، يقسم بينهم بالسوية لقوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ﴾(1).

وباقى التركة للإخوة والأخوات لأب تعصيبا للذكر مثل حظ الأنثيين هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال والله أعلم.

السؤال من أ. ع. ع:

● كنت فى حالة نفسية سيئة للغاية وقلت لزوجتى: أنت طالق. ويعلم الله أننى لم أشعر بما قلته، وأقر الطبيب الذى كان يعالجنى أن حالتى النفسية لا تسمح باتخاذ أى قرار، فهل فى هذه الحالة يقع الطلاق أم لا يقع؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف رسل الله أجمعين وبعد.

---

(1) النساء (12)

فتفيد لجنة الفتوى بالأزهر بأن ما يقوله الرجل عند تغير حالته النفسية بأنه لا يدرى ما يقول، وبأنه يقول بأن الطبيب المعالج يقر بأن الرجل فى حالة تغيره النفسى فإنه لا يستطيع أن يصدر قرارا ولا ينعقد له طلاق، نقول بأن كل هذا لا يعتد به ولا يؤخذ بقوله، إلا إذا كان معه ما يثبت ذلك بالتقرير الطبى، أما ما يقوله شفهيا فلا يؤخذ به، وعليه فاليمين واقع والرسول يقول: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد» منها الطلاق هذا إذا كان السؤال كما ورد.

● **سؤال من السيد محمود عبدالعظيم - الإبراهيمية - شرقية**

توفيت زوجتى بعد معاناة شديدة مع المرض، فقام عمها بعمل اللازم من تجهيز وإقامة السرادق وإحضار قارئ القرآن الكريم، وقد تكلف ذلك مبلغا كبيرا من المال.

فهل أتحمل أنا هذه المصاريف باعتبارى زوج المتوفاة أم يتحملها من قام بها وهو عمها؟

●● **الجواب:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.. وبعد:

فإن جميع ديون الميت وغسله وتكفينه، تخرج مما تركه قبل القسمة أما مصاريف السرادقات والقارئ وما يتبع ذلك من بعض المظاهر التى لم يأمر بها الشرع فيتحملها الذى قام بها وتسبب فيها.

أما أنت فغير مكلف بدفع شئ من هذه المصاريف التى لم يكن لك دخل فيها فى حالة عدم موافقتك عليها.

وبهذا علم الجواب إذا كان الحال كما ورد فى السؤال.

والله أعلم

● **يسأل القائمون على أمر مسجد سيدى عباس / مشتول السوق / شرقية:**

منذ عشرين عاما، تم بناء مسجد فى قريتنا، وتم تحديد القبلة بطريقة تقريبية ثم رأينا الاستعانة بالبوصلة لمعرفة أين نحن من الاتجاه الصحيح، وقد وجد أن هناك فرقا حوالى ٣٥ : ٤٠ درجة تقريبا للاتجاه الصحيح، فماذا نفعل فى هذا الفرق كى نصلى فى الاتجاه الصحيح؟

هل نستمر على ما كنا عليه؟ أم نميل إلى ما أشارت إليه البوصلة؟

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فنفيد بأن المطلوب فى الصلاة جهة القبلة وهذا شرط من شروط صحة الصلاة، أى جهة الكعبة لا عين الكعبة، ومعنى هذا أن نتحرى ما أمكننا التحرى شطر الكعبة، فلو تحرى المسلم جهة القبلة، وبان له من أى مصدر اتجاه آخر تحول إليه متما صلاته، وصلاته قبل وبعد صحيحة، وذلك أخذا من مفهوم قوله تعالى:

﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾(٢).

---

(٢) البقرة (١٤٤)

وما عليك يا أخي السائل إلا أن تكتب بجوار المحراب في مسجدكم «اتجه إلى اليمين قليلاً».

وبالله التوفيق

● يسأل السيد / عبدالرحمن السيد أحمد

رجل مات عن أولاد ذكور وإناث ويراد إقامة وصي عليهم فما رأي الشرع فيما يعتبر به الشخص - ذكرا كان أو أنثى - بالغا رشده مالكا التصرف في ماله؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه أجمعين. وبعد:

فنفيد بأنه يعتبر الشخص عند الشافعية - ذكرا كان أو أنثى - رشيدا مالكا أن يتصرف كل التصرفات المالية إذا كانت سنه خمس عشرة سنة أو ظهرت عليه علامات من العلامات الطبيعية للبلوغ بعد أن تكون سنه تسع سنوات فأكثر، ويجب أن يكون في كل من الحالتين حسن التصرف في ماله، أما المالكية، فالذي جرى عليه العمل عندهم أن الولد - ذكراً كان أو أنثى - تكون تصرفاته المالية ماضية إذا كان بالغا حسن التصرف في ماله.

ويعتبر بالغا إذا ظهرت عليه علامة من علامات البلوغ الطبيعية أو كانت سنه ستة عشرة سنة.

والله - تعالى - أعلم

● يسأل السيد / ح.ح.م:

تزوجت منذ ثلاث سنوات ولكنني لم أنجب وأعالج عند الطبيب المختص لأجل الإنجاب ولكن أهل زوجتي صمموا على الطلاق لعدم قدرتي على الإنجاب على أن يتركوا لي مؤخر الصداق وحجرة النوم فقط.

فهل في ذلك ما يتفق مع حكم الشرع؟ أرجو الإفادة.

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإذا كان طلب الطلاق من قبل الزوجة كان ذلك في حكم الخلع وعليها إذن أن تعيد للزوج كل ما قدمه لها مما لا يفسد بمرور الزمن أو تم استعماله وفقد بسبب الاستعمال وذلك حسب القانون ١ / ٢٠٠٠ أحوال شخصية، وحسب ما أخذه المشرع من روح الشريعة الإسلامية، وما تم التراضي به بينكما في أخذ البعض وترك البعض فهو جائز لأن الحق - جل وعلا - جعل للعفو والتراضي مدخلا فقال عقب الآية:

﴿ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾(٣).

هذا وبالله التوفيق

● السؤال من السيد / سعيد حسن سليمان

توفي ابن عمنا عن أخت وأولاد عم وأولاد عمة.

نرجو بيان من يرث ومن لا يرث.

---

(٣) البقرة ٢٣٧.

●● الجواب :

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده.

وبعد :

فنفيد بانه للاخت النصف فرضا؛ لان الميت كلالة لم يترك أصلا ولا فرعا، والباقى لأولاد العم الذكور دون الإناث تعصيبا ولا شئ لأولاد العمة لانهم من ذوى الأرحام المؤخرين فى الميراث.

والله أعلم

● يسأل السيد / م. أ. ز:

تزوجت من بنت عمى وأنجبت منها طفلا وبعد ذلك علمت أن زوجتى وأنا سبق أن رضعنا من امرأة خالنا مدة طويلة، أى ما يزيد على الخمس رضعات ولكن هناك فرقا زمنيا بين رضاعى ورضاعها يبلغ ثلاث سنوات - فهل كان الزواج صحيحا وإن لم يكن فما الحكم؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه أجمعين. وبعد :

فنفيد بأن الرضاع المحرم فى مذهب الإمامين الشافعى وأحمد - رضى الله عنهما - هو ما بلغ خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان.

وحيث إنك وزوجتك قد رضعتما من امرأة خالك كما تقرر فى السؤال خمس مرات فأكثر فقد أصبحتما ولدين لامرأة خالك وأخوين من الرضاع وكان يحرم عليك أن تتزوج بها لأنها أختك من الرضاع والرضاع يحرم به ما يحرم من النسب.

وعليه فيجب التفريق بينكما فورا مع ملاحظة ان الطفل المولود نتيجة الزواج المذكور هو ابن لك شرعا له جميع الحقوق الشرعية المقررة للأولاد من النكاح الصحيح وللزوجة مهر مثلها المقرر لها بالدخول.

والله - تعالى - أعلم

● **يسأل السيد / محمود محمد محمود عن:**

طفل فى حضانة والدته - ما هو حق الأب فيما يتعلق بتعليم الطفل وتربيته؟ ومن هو ولى أمر الطفل فى فترة الحضانة؟

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاه أجمعين. وبعد

فنفيد بان حضانة الطفل حينما تكون لأمه لا تسقط ولاية الأب فى تعليمه وتربيته وما يتعلق بتنشئته، وعلى الأب نفقة التعليم والتربية، وهو صاحب الحق فى اختيار المعلم الذى يعلمه، والمدرسة التى يلحقه بها حسب ما يراه ويستطيعه، وكل ذلك منوط بوجوب النفقة عليه لوالده، وعلى ذلك فليس للأم أن تسلب حق الأب فى هذا ولا أن تكلف الأب ما يرهقه، فإذا قام الأب بواجبه وخالفته فى ذلك، ودفعت للولد نفقات أخرى، ولم يكن الأب قد وكلها فى ذلك، ولا أذن فيه، ولا رضى به، فلا يلزم الأب تعويضها عما تطوعت به.

مثل رائع للمثقفة المسلمة

الدكتورة بنت الشاطئ في نضالها الفكري السديد

(١)

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

كان وفاء بنت الشاطئ لزوجها الكبير الأستاذ أمين الخولي - رحمهما الله - باعثا لها أي باعث، على أن تضائل دون موجب من موهبتها القديرة، التي متعت بها منذ عهد الطلب في المدارس الأولية، حتى التحقت بكلية الآداب.

لقد ظهرت هذه الموهبة ظهورا تاما في نشأتها الأولى، بحيث تصدرت الصفحة الأولى من جريدة الأهرام بكلماتها الجادة الهادفة، قبل أن تلتحق بالجامعة، فما بالها إذن في كلمات التأبين تحاول أن تقول: إنها خلقت خلقا جديدا على يد أستاذها، أما تفصيل ذلك بحيث لا يترك مجالاً لتشكك، فهو ما أبسطه الآن.

نشأت عائشة عبد الرحمن بدمياط، في منتصف العقد الثاني من هذا القرن، وكانت تسكن منزلا فسيحا، يقع على شاطئ النيل، ولذاتها يمرحن كل أصيل على الشاطئ، ويتمتعن بجو الطبيعة الساحر سماء وأرضا، وهواء وماء، وقد تعلمت في المدرسة الأولية بدمياط، ولكن والدها الصوفي قد دفعها إلى حفظ القرآن، وقراءة كتب الحديث، وأوراد التصوف، وهي في سن الطفولة المتأخرة، وكان يصحبها إلى عمله بالمعهد الديني، لترى زملاءه يناقشون قضايا النحو، والفقه، فتنجذب إلى ما تسمع، وتود أن تشارك في الحديث، ويعرف الوالد رغبتها القوية، فيبذل جهده في تثقيفها الديني، ولكنه وقف حائلا دون التحاقها بمدارس المعلمات على رغبة شديدة في نفس الفتاة المتطلعة للمجد العلمي، وقام عراكٌ في الأسرة وانتصرت فيه رغبة الفتاة حتى نالت شهادة الكفاءة وعُينت مُدرِّسةً في المرحلة الأولى، ولكن آمالها قد دفعت بها إلى مستوى

أعلى، فنالت الثانوية من المنازل، وتهيأت لدخول كلية الآداب، وقبلها عملت بكلية البنات في وظيفة إدارية، لتجد باباً للرزق الشريف يكفل لها الهدوء المطمئن، إذ لم تكن لوالدها رغبة في أن تتركه إلى القاهرة، فلم يبق عليها إلا أن تعفيه من القيام على أمرها، وكأني بالرجل وقد علم أن كريمته قد التحقت بإحدى الوظائف وجدَ في قلبه الاطمئنان على مستقبلها، فتركها تخطو كما أرادت، وهو يعلم عنها همة وشرفاً واجتهاداً.

أقول: إن الفتاة الناهضة قبل أن تلتحق بكلية الآداب، قد عرفت سبيلها إلى الصحف، فأخذ اسمها يظهر في مقالات شتّى بتوقيع (ابنة الشاطىء) والشاطىء هو شاطىء البحر في دمياط، وقد ارتضت هذا التوقيع كي لا تُغضب والدها، إذ كان من رأيه أن تعكف الفتاة في بيتها على قراءة القرآن والحديث وسير الأنبياء والصالحين فحسب، أمّا أن تكون صاحبة قلم تُطالع الناس بآرائها، مُتعرضةً إلى النقد والمجادلة، فهذا ما لا يليق في رأي الشيخ، بل يجب أن تحذره كل فتاة، لأن لكل طالبة حداً لا تتحداه.

كانت الفتاة الناشئة قبل أن تسافر إلى القاهرة تراسل مجلة (النهضة النسائية) التي تصدرها السيدة المجاهدة لبيبة أحمد، فتجد الترحيب من المجلة وتنشر كلماتها تباعاً، دون أن يعلم أحدٌ عن عائشة أنها فتاة ناشئة لم تبلغ السابعة عشر بعد، وأن أسلوبها القوي الناصع -لا بد أن يكون أسلوب أستاذة متمرسة، عانت مضايق القلم قبل أن تملك زمامه، وقد دهشت السيدة لبيبة حين تقدّمت إليها الفتاة الصغيرة بمقال تحمله بيدها، دون أن ترسله بالبريد، وكأن صاحبة المجلة قد استكثرت على مثلها أن تسعى للنشر في مجلتها قبل أن تكتمل أسباب النبوغ فلم تتسلم المقال، وقالت: يا بنيّتي أمامك الكثير حتى تصيري كاتبة، فقد جاءني مثلك كثيراً، وقرأت ما كتبن، فلم أظفر بطائل، فقالت لها صاحبتنا في حياء: أنا عائشة عبدالرحمن التي أكتب في النهضة من قبل، ولم تُصدق السيدة لبيبة عينيها، ثم اندفعت لا شعوريا إلى احتضانها وتقبيلها، وقالت في فرحة: أنا أحتاجك، وأسأل عنك من زمن، وأنت من الآن صاحبة الأمر في المجلة. ستكونين المشرفة على تحريرها وتوزيعها، وربما كتبت الافتتاحية باسمي حين أغيب عن القاهرة، وحدّدت لها أجرا قدره أربعة جنيهات في الشهر، وأربعة جنيهات في الأزمة المالية التي أرهقت مصر في عهد وزارة إسماعيل صدقي، كانت شيئا كثيرا، فالقرش الواحد يكفي لوجبة فطور جيدة حينئذ، والقرشان لوجبة الغداء، فهشت الفتاة مسرورة، وقبلت العرض في سماح، ومنذ هذا اللقاء وابنة الشاطىء في إدارة المجلة كل شيء؟!

ولا بد من وقفة عند مقالات بنت الشاطىء في النهضة، لا لأنها تمثل البواكير الأولى فحسب، بل لأنها تنبيء عن اتجاه سلوكي أخذت به ابنة الشاطىء نفسها طيلة عمرها السعيد، وكان هذا الاتجاه من الأصالة بحيث لم يخضع لإغراء زائف شمل زميلاتها في الجامعة ممّن حَسِبْن الالتزام الديني رجعية أزهرية ترجع بالفتاة إلى الوراء، وأنا لم أجد في الكاتبات من الجامعيات مَنْ حملت مشعل التوجيه الديني في حرص ودأب، كما حملته عائشة

عبدالرحمن، بل لم أجد من جدَّ جدها في البحث العلمي الخالص، ولا أنكر أن الجامعة قد خرَّجت في عهدها الطويل كثيراً من الفضليات اللاتي بحثن في علوم التفسير والتوحيد والحديث، وبخاصة في جامعة الأزهر، ولكنهن جميعا كن دون المستوى الذي ارتفعت إليه هذه السيدة المثلى، وقد تعاون على ارتقائها الفكري غير النشأة الصوفية، والتراث الديني ما كان يعتادها من الإشراق الروحي النادر، فقد روت في كتاب (على الجسر) أنها عند تقدمها لامتحان الثانوية من الخارج نسيت مادة التاريخ من بين المواد فلم تتذكرها إلا ليلة الامتحان، فأسفت لذلك أسفاً بالغا، ونامت الليلة في قلق، فرأت في الحلم أنها في لجنة الامتحان وقد وُزِّعت عليها أسئلة التاريخ، فكان أول سؤال عن « مارتن لوثر » والإصلاح الديني، فقامت سريعة من النوم، وذهبت للكتاب المقرر، ودرست باب « مارتن لوثر » بجهد، ومعه أبواب أخرى، ثم أشرق الصباح، وحلَّ ميعاد توزيع الأسئلة فإذا السؤال الأول عن « مارتن لوثر » كما رأت، وقد ينكر هذا الحادث مَنْ ينكره، ولكنى أصدِّقه شخصيا لتجربة مرت بي، فقد كنت مع أخي سنة ١٩٤١م (محمود فهمي البيومي) ليلة امتحانه مادة التعبير، وكان يشكو الضعف فيها، وطلب مني بعض العون، فكتبت له موضوعا عن (المذياع) وقلت له: احفظه، فاكتفى به، وقام في الصباح فوجد السؤال عن المذياع! هذه حقيقة واقعة وأخي الآن محام نابه بين رجال القانون، ولمن شاء أن يسأله فسيجيب. وهذا يذكرنا بقول ابن الرومي:

وللنفس أحوال تظل كأنها
تشاهد فيها كل غيب سيشهد

وحين زارت الفتاة المؤمنة القاهرة لأول مرة هالها أن تجد مالا تعهده من السفور الكاشف، والتبذل المنحدر، فصرخت صرخة عالية في العدد (٧٢) الصادر بتاريخ مارس سنة ١٩٣١ من مجلة النهضة النسائية تقول فيها:

« لقد خيِّل إليَّ وأنا أسير في شوارع القاهرة أنى في مخادع النساء، بلْ في معرض عام لاستعراض الأجسام، أين الغيرة التي تحس بها المسلمات تتمشى في أجسامهن، أين النخوة التي تشعر بها المؤمنات؟ إن الحرية الزائفة والإباحية المنكرة هي كل ما يعرفن من شئون الحياة؟ لقد تركت الفتيات مخادعهن واستبدلنها بالأسواق حيث يمشين مشية يشمئز منها الرجل الحر، أصبحت الأسواق مخادع للسيدات، فالفتاة لا تستحيي أن تمشي نصف عارية، كأنها بين جدران مخدعها، ولا تخجل من السير معطَّرة كأنها بين محارمها! ... يجب أن يلتمس الرائي في الفتاة الشرقية وقار الإسلام وجمال الحياء! إني لأشعر بالهدوء يغمرني حين أذكر أن هناك رجلا ولو في المائة تسمو به شجاعته ونخوته فيهزأ بأمثال هؤلاء الخليعات! وينادي بإيقاف الفتاة عند حدها! إن نداء مثل ذلك ينزل على قلوبنا بردا وسلاما ويكون سلوى لأمثالنا في هذا الجو الموبوء! ».

هذا نمط مما كانت تكتبه بنت الشاطيء، وهي في الثامنة عشرة من عمرها! ولها مقالات « من الشعر المنثور تدل على رهافة الحس، ورقة الوجدان، ولا أدرى لماذا لم تُجمع في سفر خاص يكون تذكاراً لنشأة طاهرة ذات نقاء! ».

ومن طرائف هذه المقالات أن مجلة الهلال

طلبت من كبار أن يتحدث كل عن أمنيته، فكان ذلك مجالاً لتعقيب هادىء من عائشة فى مجلة النهضة قالت فيه : إنّ من تحدثوا عن أمانيهم سكتوا عن الحقيقة الكامنة فى نفوسهم وتقدموا للقراء بما يظهرهم فى غير واقعهم الملموس! « أما أنا فلو سُئلت عن أمنيتى فى الحياة لطلبت أن أتحكم في عواطف الشباب، فأخرج للناس بحب أفلاطونى [لماذا لم تقل إسلامى] يسمو بالإنسانية إلى أسمى غايات المجد والفخار، ويدفع بأصحابه إلى المجد والشرف، ويعلو بهم إلى فضيلة النبل والتعاون والرحمة والعفة، ويلقى على الناس درساً فى الشجاعة الأدبية، ذلك الحب الذي لم تفسده الأهواء، والذى ضلت العقول البشرية سبيلها إليه فاستبدلته بمجون فاسد، واستهتار مخجل، وإباحيّة مؤلمة، ذلك الذى لا تدنسه نظرة أثيمة، ولا شهوة منكرة».

لم تكتف ابنة الثامنة عشرة بمقالاتها فى النهضة، فاندفعت إلى جريدتى البلاغ وكوكب الشرق اليوميتين، فكانت منبرا لمباحثها الأدبية، ونظراتها الاجتماعية، ثم قفزت إلى الأهرام فاحتلت الصفحات الأولى، وكتبت عن الريف والفلاح والجهل والفقر والمرض ما جعلها ذات منهج مشتهر فى الإصلاح الاجتماعى، كل ذلك قبل أن تلتحق بالجامعة ولعل أعظم ما يشهد لها بالسبق الظافر عن أعيان الباحثين، أن الوزارة الماهرية سنة ١٩٣٦ قد أعلنت عن مسابقة خاصة بترقية الفلاح اجتماعيا فتقدم لها مائة وسبعة وستون متسابقا، وكان المحكمون من كبار رجال الفكر فى مصر فكان البحث الأول الجدير بالجائزة الأولى هو بحث ابنة الشاطىء، وقد سارت فيه سيرا علميا شهد ميلاد باحثة عالمة لا كاتبة شاعرة، حيث بدأته بمقدمة عن الإصلاح الاجتماعى فى مصر، مشيرة إلى جذور قديمة فى عهد الفراعنة، ثم ما جدّ في عصر محمد على ومن تلاه لتمهد بذلك كله عن أثر انحطاط الفلاح، ومظاهر هذا الانحطاط وأسهبت فى وضع برنامج واقعى للإصلاح المنشود، مع إيضاح التبعة الثقيلة الملقاة على كبار الملاك، مقارنة ذلك بما فعله موسولينى فى إيطاليا، ومستشهدة بما وقع فى فرنسا سنة ١٩١٦ ليكون نموذجاً لما يجب أن يكون في مصر، وقد أكدت فى ختام بحثها على أن رقى الفلاح هو رقى لمالك الأرض ذاته، وأنه حين ينهض بإسعافه إنما يعمل على إسعاف نفسه، وإن غفل عن ذلك! ثم ظهر بعد ذلك كتابها عن الريف المصرى فجرت الأقلام فى شتى الصحف بتقريظه والتنويه به! كل ذلك قبل أن تلتحق بالجامعة! أفليس لى أن أقول : إنها عرفت طريقها الأدبى والإصلاحى قبل أن تأخذ زادها من أساتذتها الجامعيين، ولا أنكر أن الجامعة قد مهّدت لها سبيل البحث العلمى الدقيق، ولكن الجامعة صادفت غرساً طيباً، وأرضا خصبة، وغصونا أينعت ثمراتها، فتعهدتها بالرى، لقد كانت ابنة الشاطىء تحتل مقعدها فى جريدة الأهرام جوار رئيس التحرير، وكانت محاضراتها العامة فى الأندية تنقل إلى الجريدة فلا تبخل بمساحة شاسعة لاحتوائها! فهى إذن قد جاوزت عهد التدريب، وصارت ممن يُشار إليهن بالبنان!

على أن كلية الآداب لعهدها الدراسى كانت تحفل بكوكبة لامعة من رجال الأدب والفكر، كان من أساتذتها المرموقين طه حسين ومنصور

فهمي وأحمد أمين ومصطفى عبدالرازق وأمين الخولي وعبدالوهاب عزام، فهي إذن قد استضاءت بأفكار هؤلاء جميعا وقد أشرف الدكتور طه حسين على رسالتي الماجستير والدكتوراه التي قامت بإعدادهما، ونالت بهما أعلى المراتب الجامعية عن جدارة واستحقاق! وكان عليها أن تشير في كتابها (على الجسر) إلى هؤلاء الكبار حقاً، ولكنها لم تتحدث إلا عن زوجها الكبير أمين الخولي وحده، وكل الصفحات تنبيء بأنه كان كل شيء في حياتها الجامعية، حتى قبل أن تراه إذ كانت تسلك نهجه من قبل دون أن تدرى! وهي بلا شك مشكورة على هذا الوفاء الجم، والإخلاص الدافق بالحب في الحياة وباللوعة بعد رحيل القرين العزيز، ولكن المؤرخ المحايد يقرر أنها تحدثت عن شيء وتركت عدة أشياء! فأين نصيب كبار الأساتذة من توجيهها العلمي وفيهم طه حسين!!

حين نالت بنت الشاطيء الدكتوراه وأصبحت عضواً في هيئة التدريس الجامعي، وكانت في العقد الرابع من عمرها تتمتع بشباب قوى، وصيت مدو، لم تشأ أن تحتجز في حجرات الجامعة، تقدم مؤلفاتها الأكاديمية للطلاب وللمتخصصين من ذوى الاتجاه الفكرى، فذلك ما يفعله الكثيرون، ولكنهم لم يبلغوا به ما يريد الطامحون من الذيوع، ولواقتصر طه حسين وأحمد أمين وعبدالوهاب عزام على البحوث الجامعية وحدها لكانوا كزملاء كثيرين تعرفهم الخاصة، وتجهلهم العامة، ولكنهم ملئوا الجرائد والمجلات بحوثا لفتت الأنظار، وجلبت الأنصار، وكذلك فعلت ابنة الشاطيء، فقد اتخذت من الأهرام، وهي ما هي! منبراً لإذاعة أفكارها العامة، ومن المجلات الأدبية الرصينة منبرا لإذاعة أفكارها الخاصة في النقد وغيرالنقد، من بحوث الاجتماع والسياسة بمدلولها العام، وأشهد لقد كانت الدكتورة الجامعية وفية لمبادئها التي نشأت عليها منذ عرفت معنى التفكير، واعتصمت بالقلم يفصح عن آرائها المتزنة، لقد كانت فترة التدريس هذه حافلة بآراء جامحة تتحدث عن المرأة في منتصف القرن، وكأنها لا تزال في القرن التاسع عشر، مع أنها نالت من الحقوق ما رفع ذكرها، ولكن نفرا من ذوات الصالونات المترفة تزعمن ما سميناه حقوق المرأة، وجذبن إليهن المتزلفين من كتاب الشهرة والطنين، فاندفعوا إلى المغالاة في طلب حقوق لا تمت إلى النهضة الصحيحة في شيء، وكان من المنتظر من الجامعية النابهة في رأيهم أن تتسلم الراية، وأن تكتب ما يرضي رغبات المتأنقات من ذوات الأهواء المترددة في محافل السمر، وصالونات التباهي والافتخار، ولكنها رأت في جموحهن ما لا ترتضيه، حيث تعلم دور المرأة الحقيقي في تربية الجيل الناشيء، والاقتصار على مهام التعليم والتربية والتمريض والاقتصاد المنزلي مما يرجع في صميمه إلى رسالة المرأة الحقيقية، فكتبت عدة مقالات صريحة في هذا الاتجاه، وأضرب المثل هنا بما ذكرته في مجلة تحت عنوان (النهضة النسوية- تاريخ وعرض ونقد) فقد استوفت الجانب التاريخي فأشارت إلى حالة المرأة قبل القرن العشرين وإلى ما اكتسبته من الحقوق منذ دعوة قاسم أمين ـ رحمه الله ـ وعرضت فيما عرضت دعوة المرأة وأنصارها إلى الاشتغال بالسياسة، وتولية مناصب السفارة

فى الخارج، والقضاء فى الداخل، وما ينحو هذا المنحى المتردد فى الصحف والندوات بكثرة أزعجت السامعين والقارئين فقالت فى صراحة[1] تصوّر واقعنا الراهن:

«من العبث أن يدّعى مدع أن هذه الحركة العنيفة قد سلمت من الأخطاء أو برئت من العيوب، فليس من طبيعة الأشياء أن تنجو مثل هذه الحركات الانقلابية مما لا بد منه فى فترات الانتقال، واكتفى أن أشير فى إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذى شوّه نهضتنا الباهرة، وأعنى به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعى، وترفعها عن التفرغ لما تسميه خدمة البيوت وتربية الأولاد، فما من امرأة ظفرت عندنا بحظ من التعليم إلا تأبّت على هذا العمل، وكرهت أن ترضى بما رضيت به أمّها أسيرة الجدران، رهينة الأقفاص، وبهذا ضلت الحركة هدفها الأكبر والأنبل والأسمى، ذلك لأن مصر لم تخرج فتياتها من دورهن لتسد بهن فراغا كانت تشكوه فى ميادين الأعمال، وإنما أرادت من إخراجهن وتعليمهن أن تجد فيهن الأمهات المستنيرات المثقفات، يُخلّفن لها الرجال والأبطال، وهذه هى اليوم ترى البيوت منهن مقفرة خلاء، أما الأبناء فتُركوا للخدم، وهم فى مصر من تعلم من سوء الخلق والانحطاط المستوى، لقد كان لنا أمهات يعكفن على تربيتنا فى تفان مؤثر، فاستبدلنا بهن لهذا الجيل من أبنائنا طبقة من الخادمات والمراضع والحاضنات، وويلٌ لأمة يصنع الخدم لها أبناءها، وإنما نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة لخطأ كبير فى فهم روح النهضة، ومغزى التطور وجدوى التعليم فتشابه الأمر علينا، ولم نعد نفرّق بين التعليم والاحتراف، ولا بين البيت والقفص، ولا بين الحرية والتحلل، وبلغ من سوء ما وصلنا إليه أن نادت مناديات بحذف نون النسوة من اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار».

هذا بعض ما كتبته بنت الشاطىء فى هذا المقال الصريح، ولو وجدتْ من يؤازرها من بنات جنسها فى هذا الاتجاه لما شهدنا الآن هذا الخراب المدمّر فى محيط الأسرة، بعد أن الزمت الأزمة الاقتصادية أكثر الشباب بالبحث عن الزوجة الموظفة قبل كل شىء لتكون شريكة الكسب، ولا عليهما فسد البيت أو صلح! والبطالة الرهيبة التى تعانيها الأمة الآن سببها اشتراك المرأة فى وظائف لم تخلق لها أصلا، ولو تركت هذه الوظيفة للرجل لفتح بيتا وأنشأ أسرة، واكتفى بالضروريات فى عيشه لأن الولع بالكماليات هو الذى أحدث هذا الخراب.

على أن أقوى ما تصدرت له بنت الشاطىء فى نتاجها الأدبى هو مثابرتها على نقد الكتب بالأهرام تارة، وبالمجلات تارة أخرى، ومجال الأهرام لم يسمح لها بالاسترسال فى تتبع سقطات المؤلفين كما تراها هى لا كما هى فى الواقع، وبخاصة زملاؤها فى هيئة التدريس حيث اتخذت من مجلة منبرا للنقد الصريح، والمتحامل أحياناً، فهى تبحث عن نقاط تكون مصدرا لاختلاف وجهة النظر، فتقتطع من الكلام ما

(1) مجلة الكتاب (يناير ١٩٥١).

يتم به النقد على وجه لا يصلح إلا حين يأتي الكلام بأكمله، وأذكر أنها تورطت في مهاجمة كتاب (دفاع عن البلاغة) للأستاذ أحمد حسن الزيات تورطا ما كان لها أن تنهج معه هذا النهج المتحامل، ولست أقول إن كتاب الزيات فوق مستوى النقد، ولكنه يحمل من الآراء الصائبة ما قرره كبار المفكرين من أمثال عبدالعزيز فهمي، وعباس محمود العقاد، وإبراهيم المازني، وسيد قطب، وهؤلاء لا يحتاجون إلى مجاملة مؤلف كبير أو صغير، فإذا جاءت بنت الشاطئ لتهوى به إلى الدرك دون أن تشير إلى مزية واحدة من مزاياه، بل تحدثت إلى أسلوب الزيات في مقالاته الافتتاحية الشهيرة، وليست من الكتاب المنقود في شيء فوصفتها بالافتعال والمعاناة، والتكلف في بذل الجهد في سبك العبارة (كذا) وكراهة حرية التعبير، والتفنن في الألفاظ الموروثة عن أصائل البداة، ولو كان أسلوب الزيات كذلك ما تهافت القراء عليه ولما تعددت طبعات مؤلفاته في العالم العربي تعددا لم تبلغه مؤلفات الباحثة، ولا من تشيد به وتعده المثل الأعلى! لقد كان الأولى بها أن تكون موضوعية لا ذاتية، وهذا المسلك النقدي صنعته مع الدكتورين: نجيب البهبيتي، ومحمد النويهي وغيرهما فلاقت مهاجمة غير متجنية من المنقودين، وأذكر أن الأستاذ الكبير أمين الخولي قد أشار إلى هذا الجموح في ندوة أدبية ألقت فيها الدكتورة بحثا نقديا من هذا الطراز فقال معقبا على نقد الدكتورة[٢]:

ـ «حق على الدارس أن يعرض الرأى بجميع نواحي القوة فيه، مجتنبا نفسه وسامعه الوقوف عند أي مآخذ عليه لكي يلقى الرأى بخير ما تمثله أصحابه القائلون به، وما كان مسيطرا على أنفسهم من عوامل تقريره، فإذا انتقل الدارس إلى هذا الرأى عرض الجانب الآخر مثل عرضه الجانب الأول، يتحرى فيه ظواهر التوهين للرأى وموضع المؤاخذة، حتى يقدمه على الحال التي فكر فيها المخالف المعترض.. وكذلك ينبغي أن يكون النقد الأدبي عرضا للرأى أو العمل المنقود بالظلال التي حفته في نفس صاحبه، وبالصورة التي أحب أن يعرضه فيها، ومن وجهة النظر التي اتجه إليها بارئا من كل غمز أو توهين أو لفت إلى ضعف، فإذا تم ذلك بدأ بعده النقد عارضا الجانب الآخر في مثل هذا الوضوح. والناقدة الفاضلة لم تلتزم ذلك في عرضها إذ قدمت الظلال الكريهة لآراء المؤلف في الشرق ومصر وشبابهما ثم فصلت مواضع النقد والمؤاخذة غير عارضة من عمل الكاتب ما قد يرد على هذه المسائل، .. هي لم تعرض المنقود كما يجب أن يعرض نفسه، بل عرضته كما تريد أن يراه سامعها فيؤيدها»!! ولعل في قول الأستاذ الكبير ما يضع النقد موضعه الصحيح.

«يتبع»

(٢) مجلة الكتاب (يناير ١٩٥٢)

صفحات مطوية من تاريخ الصحافة المصرية

(النزال الأدبي)

٣

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

وفي هذه المقالة نستكمل دراستنا حول النزال الأدبي في صحافتنا المصرية فيما بين ثورتي (١٩١٩، ١٩٥٢)، حيث كانت مصر قد نعمت ببعض الاستقرار المادي والاجتماعي. الذي أتاح لكتابها أن ينشطوا بنهضة فكرية. أدبية وسياسية. ملحوظة.

وقد مكنت تلك النهضة بعض أدبائنا ومفكرينا المجددين المعتدلين التوسل بفن « النزال » لتنقية الفكر الأدبي من المضامين الهدامة، كالغض من فضل العرب ولغتهم وآدابهم، والترويج للتيارات المعاصرة كالعلمانية وغيرها، ومؤازرة النزعة اليونانية على حساب الأثر العربي والإسلامي، والدعوة إلى تبذل الأدب العربي بحجة تجديده، وتخليص الفن من أية قيود دينية أو أخلاقية، والانتصار لإحدى الثقافتين: الإنجليزية أو الفرنسية، وبعض النزاليات كانت تتغلب فيها الخصومات الشخصية على العقلية.

وفيما يلي نستكمل الاستدلال على هذا الاتجاه بنزاليتين أخريين :

النزالية الأولى عن : نقد طه حسين .

كتابها : المازني وطه حسين وزكي مبارك .

تاريخها : (١٩٤٣) .

وتلك مساجلة أخرى تعد في مقدمة المساجلات الساخرة لما اتسمت به من التهكم اللاذع والتعريضات الشخصية، فلم تصدر من منطلق الخصومة العقلية إنما غلب عليها شهوة الاستعراض وحب الاستعلاء الذاتي .

وقد بدأت عندما أصدر « عزيز أباظة » ديوانه « أنات حائرة » وعلى صدره مقدمة للديوان بقلم « طه حسين » ثم بدا للمازني انتقاد الديوان فبدأ الهجوم اللاذع على صاحب التصدير وكأنه المقصود بالنقد وليس الديوان .

ويمكن تلخيص نقده في عدة نقاط أهمها :

(*) الكاتب : مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة .

ـ أن الدكتور طه خسره الادب ولم تكسبه الحكومة ومعنى ذلك أنه يتولى عملا لم يخلق له.

ـ أنه يضيع نفسه فى مناصب تشغله وتستنفد جهده ووقته، فإذا كتب جاء بكلام لا محصول من ورائه ولا يُعرف له رأس من ذنب.

ـ أن الأفضل له أن يستقيل ويريح نفسه من عناء العمل فى الحكومة ويتفرغ للادب.

ـ أنه لايمكن أن يزود نفسه بالتحصيل أو يتفرغ للتجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بأعمال الواحد منها كاف للإرهاق.

ـ ولم تمر تلك المؤاخذات بسلام بل غدها «طه» تحدياً لقدرته فى العمل الحكومى والأدبى معا فكتب مقالا وجهه إلى رئيس تحرير «البلاغ» يدفع به العدوان بما هو أقسى منه، واصطنع فيه أسلوب الرمز والإيحاء فى التنديد بالمازنى على سرقاته الأدبية، ثم صوره بصورتين : صورة الجامد وصورة العاجز عن تحمل أعبائه فى وزارة المعارف وجامعة فاروق، ثم تدخل «زكى مبارك» ليلطف من حدة الموقف ويفصل الخصومة بين الرجلين.

وتلك ملامحها :

١ ـ المازنى : أثاث حائرة للأستاذ عزيز أباظة[1].

«.... وتوكلت على الله وقرأت التصدير الذى كتبه الدكتور / طه حسين له فقلت لنفسى لاحول ولا قوة إلا بالله، هذا طه حسين يخسره الادب ولا تكسبه الحكومة، فما خلق لها بل للادب وأنه ليضيع نفسه فى هذه المناصب التى تشغله وتستنفد جهده ووقته فإذا كتب جاء بماذا؟

بمثل هذا الكلام الذى لا محصول وراءه ولا أعرف له رأسا من ذنب، فلماذا لا يستقيل ويريح نفسه من هذا العناء الباطل ويتفرغ للادب، فماذا يفيد من هذا العرض الزائل... كيف يستطيع بالله أن يواظب على التحصيل وتغذية عقله ونفسه وهو ما لاغنى لاديب عنه. وكيف يتسنى له التجويد حين يكتب وهو مشغول ليله ونهاره بهذا الذى لا آخر له من شئون الوظيفة واللجان وما إليها.

حملت على «طه» لأنى لم أفهم تصديره، لا لأنه غير مفهوم أو لا يفهم، بل لأنى كنت ذاهلا شارد اللب، وآية ذلك أنى لم أعرف من هذا التصدير أن الكتاب شعر لانثر وإن كان قد ذكر هذا فى غير موضع.

٢ ـ طه حسين : من الدكتور طه الى الأستاذ المازنى [2].

«.... أراد الأستاذ المازنى أن يثنى على ديوان شاعرنا الأستاذ عزيز أباظة فلم يستطع أن يصل الى غرضه دون أن يقدم بين يدى مقالة برثاء لى وإشفاق علىّ، لأن الأدب قد خسرنى وأن الحكومة لم تكسبنى، ولأنى كتبت فى تصدير هذا الديوان كلاما لا محصول من ورائه ولا يعرف له رأساً من ذنب..

وأريد أن أؤكد أنى آسف أشد الأسف لأن

(١) البلاغ : ٢٥ يولية (١٩٤٣) العدد ٦٦٦٧.

(٢) البلاغ : ٢٦ يولية (١٩٤٣) العدد ٦٦٦٨.

الأستاذ عزيز أباظه لم يطلب إليه هو كتابة هذا التصدير، إذن لكان له المحصول كل المحصول، ولكان له رأس كقمة الجبل، وذنب كالذى خوفت به المنجمون المعتصم حين هم بفتح عمورية.

وآسف أشد الأسف لأن الحكومة لم تكل إلى الأستاذ عملى فى وزارة المعارف وفى جامعة فاروق إذن لكسبته الحكومة والأدب جميعا.

(ثم استعاذ من حسده بقراءة سورة الفلق، ومقدمات قصائد لبيد وطرفه وعبيدة والأخطل والمتنبى) ثم قال : وحبب إلىّ أن استقيل وافرغ للأدب ولكنى أود أن استيقن قبل ذلك بأن الحكومة ستضع الأستاذ المازنى مكانى لنرى أيكتب كلاما كالذى أكتبه أم يكتب كلاما خيرا منه.

٣ـ زكي مبارك : الحديث ذو شجون [٣].

ومناوشة عنيفة ثارت بين الدكتور طه والأستاذ المازنى على صفحات جريدة البلاغ وهى مناوشة تمثل التجنى والتظالم على أعنف ما يكون بغى الرجال على الرجال، وسأقف من هذه المناوشة موقف القاضى العادل، فقد ساءنا أن يتقارض الرجلان الظلم والعدوان بلا ترفق ولا استبقاء بعد أن ظلا صديقين حيناً من الزمان.

(وأخذ يبين أصل الخصومة بين الرجلين ويفسر رموز الهجاء التى تضمنها مقال طه) ثم قال :

وما أردت تبليغ هذه التعاريض إلى الأستاذ المازنى وإنما أردت منفعة القراء والشر يتسم بالخير فى بعض الأحايين (ثم أخذ يوازن بين قدراته فى الأدب والسياسة مبينا أنه سياسى أحسن منه أديبا، ومن ذلك قوله).

أما قول المازنى بأن شواغل الدكتور طه تصرفه عن تزويد عقله بالمطالعات والمراجعات فهو قول صحيح، ولكنه لا يؤذى الدكتور طه فى شىء لأن الدكتور طه قد اختار بنفسه أن يكون من رجال الدولة لا من رجال الأدب وهو لن يزاحم أحداً من الباحثين ولن يقول : إنه أوحد الناس فى جميع الفنون فما يجوز له أن يتناسى أن الأستاذية فى الأدب توجب الانقطاع إلى الأدب وتفرض الخلوة إلى النفس ساعات من كل يوم وذلك لن يتيسر لمن تكون الأعمال الأولية عناءه بالنهار وهمه بالليل.

تقييم :

وكما يظهر من النصوص المتقدمة أن أفكار تلك المعركة لم تكن ذات أهداف، فقد وقعت تحت سيطرة الخصومات الشخصية وشهوة الاستعراض، وهى تمثل فى مجملها لونا نقديا ساخرا يخرجها من دائرة الخصومات العقلية، ومن ثم فإن ما انطوت عليه من تعريضات شخصية يجعلها غير خالصة تماما لوجه الفكر.

النزالية الثانية : الفن للفن أم للمجتمع؟

كتابها : الزيات، الحكيم، عبدالمنعم خلاف.

صحفها : الثقافة والرسالة.

تاريخها : (١٩٤٤).

وتلك قضية فكرية أخرى طرحت بقوة فى

(٣) الرسالة : ٩ أغسطس (١٩٤٣) العدد ٥٢٧.

محيط الفنون والآداب حمل لواءها « توفيق الحكيم » موازرا لنظرية « الفن للفن » وذلك ردا على « أحمد أمين » في مقالاته عن « مستقبل الأدب العربي » التي نشرها في مجلة « الثقافة » عام (١٩٤٤) وانتقد فيها « الأدب الاجتماعي » الذي يخرج من المجتمع وينهض بحياته، وذلك بنصه على أن « الأدب العربي المعاصر في معظمه أدب فردي يستوحي أساطير اليونان ويعنى بالأوهام مع أنه ليس بأرقى الآداب، بينما نحن في أشد الاحتياج إلى أدب اجتماعي ينهض بحياة الأمة العربية ويقودها ويجدُّ في إصلاح عيوبها[٤].

ثم عرض للأدب الأمريكي الذي يحمل لواءه اليوم رجال مارسوا الحياة العملية في شتى شئونها ولم يكتبوا في خيال وأحلام، وإنما يكتبون في مشاكل مجتمعهم، وقال: إن للأديب العربي أن يستوحي إمرؤ القيس أو شهرزاد ولكن يجب أن يكون ذلك من الأدب ـ لا كل نوع ـ ولا هو النوع الغالب ولا هو النوع الأرقى[٥].

فعارضه « توفيق الحكيم » ذاهبا إلى أن الفن ينبغي أن يكون للفن وليس للمجتمع وأن الأدب الحقيقي والراقي هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان أي مخلوقات الإنسانية التي ابدعتها احلامها الجميلة وخيالها الرائع[٦].

ويبدو أن موازرة « الحكيم » لتلك النظرية تتصل بزمن أبعد من هذا، فمنذ الثلاثينيات وهو يؤمن بمذاهب الفلسفة اليونانية في فصل الفنون والآداب عن الاخلاق ولعله التأثر بما أعلنه ارسطو من أن جمال الأدب لا يستند إلى الاخلاقية إنما هو معنى منعزل لا شأن له بأية قيمة خارجية[٧].

فقد تساءل عن سمات الفكرين (المصري والإغريقي) وأجاب موازنا بينهما في فن النحت قائلا : ما بال تماثيل الآدميين عند المصريين مستورة الأجسام وعند الإغريق عارية الأجساد، هذه الملاحظة تطوى تحتها الفرق كله، نعم كل شيء مستتر خفي عند المصريين عار جلي عند الإغريق، كل شيء في مصر خفي كالروح وعند الإغريق عار كالمادة، في مصر الروح وفي اليونان المادة.

وتلك نزعة متطرفة لإقرارها مفهوم التكشف والإباحة في العمل الفني، رأينا إيرادها لتوضيح فلسفة « الحكيم » في الأدب والفن في ذلك الوقت، وهي فلسفة تفسر على ضوئها معارضته لأحمد أمين ومؤازرته لنظرية « الفن للفن » إذ أن كلا الموقفين يرتبطان ببعضهما ارتباطا وثيقا.

(يتبع)

---

(٤) الثقافة : العدد ٢٧٥ ـ ١٤ من ابريل (١٩٤٤) بتصرف.

(٥) المرجع السابق، الدكتور : محمد سيد محمد : الزيات والرسالة ـ مرجع سبق ص ١٥٦

(٦) الرسالة : العدد ٥٦٢ ـ ١٠ ابريل (١٩٤٤)

(٧) الرسالة : أول يونيه (١٩٣٣) العدد العاشر مقال توفيق الحكيم إلى الدكتور طه حسين.

طرائف.. ومواقف

إعداد الشيخ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

في مجلس زياد

حدث حجر بن عبد الجبار عن عبد الملك بن عمير، قال: كان في مجلس زياد الذي يجلس فيه للناس بالكوفة، في أربع زواياه كتاب بقلم جليل: «الوالي شديد في غير عنف؛ لين في غير ضعف؛ الأعطية لإبانها، والأرزاق لأوقاتها؛ البعوث لا تجمر؛ المحسن يجزى بإحسانه، والمسيء يؤخذ على يديه» كلما رفع رأسه إلى زاوية قرأ ما فيها.

أقبلت هدية؟

بلغ عبد الملك بن مروان يوما أن بعض عماله قبل هدية فأمر بإشخاصه إليه، فلما حضر، قال له: أقبلت هدية منذ وليتك؟ قال: يا أمير المؤمنين: بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال، قال: أجب عما سألتك؟ قال: نعم قد قبلت، فقال الخليفة: لئن كنت قبلت هدية لا تنوي أن تعوض المهدي لها فإنك للئيم، وإن كنت قبلتها لتكافيء المهدي من مال المسلمين أو لتخدمه إنك لخائن، وإن كنت نويت تعويض المهدي من مالك فقد فعلت ما يجلب لك التهمة ويبسط فيك ألسن الناس فإنك لأحمق.

إن من أتى أمرا لم يخل فيه من لؤم أو خيانة أو حمق لحقيق ألا يصطنع [يستخدم] ثم عزله.

الزهد في العلم

ينبغي لمن زهد في العلم أن يكون فيه راغبا، ولمن رغب فيه أن يكون له طالبا، ولمن طلبه أن يكون منه مستكثرا، ولمن استكثر منه أن يكون به عاملا، ولا يطلب لتركه احتجاجا، ولا للتقصير فيه عذرا.

أركان، وأجنحة، وأسباب، وأوقات

قال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا؛ فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز،

وإن وافق أسبابه الجح، فأركانه: حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع.

وأجنحته: الصدق.

ومواقيته: الأسحار.

وأسبابه: الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - وقيل شرائطه أربعة: حفظ القلب عند الوحدة، وحفظ اللسان مع الخلق، وحفظ العين عن النظر عما لايحل، وحفظ البطن من الحرام.

حقا

ثلاث يعز الصبر عند حلولها
ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد تحبها
وفرقة إخوان وفقد حبيب

أظلم الناس لنفسه

قال الإمام الشافعي - رضي الله عنه -: أظلم الناس لنفسه إذا ارتفع جفا أقاربه، وأنكر معارفه، واستخف بمن فوقه، وتكبر على ذوى الفضل.

أخي

أقل ذا الود عثرته وقفه
على سنن الطريق المستقيمة
ولا تسرع بمعتبة إليه
فقد يهفو ونيته سليمة

جاهلي يحرم الخمر

لا جرم فقد حرمها الإسلام، ووجد فى الجاهلية من يحرمها ومنهم القائل:

رأيت الخمر صالحة وفيها
مناقب تفسد الرجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي
ولا أشفي بها أبدا سقيما

«صفوان بن أمية»

دعاء

اللهم إني قاصر الفهم، وأهل العزم، وقد دعوتك على قدر علمي ومنتهى فهمي، فإلى من أتوجه وأنت قبلتي؟ وإلى من أشكو وأنت وجهتي؟

اللهم إنا دعوناك ثقة بكرمك، وطمعا فى رحمتك، وسعيا وراء مرضاتك، فما غير وجهك قصدنا ولا إلى غيرك لجأنا؛ أنت الكافي الكفيل والمولى الجليل أنت وليي فى الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين.

خميلة الشعر

للأستاذ / محمد عبدالوهاب

اسم لأولى القبلتين ضياه   ولثالث الحرمين .. ما أغلاه

«القدس» جوهرة الإله بأرضه   وبقلبنا روح الهدى .. ورجاه

هو قطعة من كل قلب مسلم   يهفو إليه بصبحه .. ومساه

نور تجلى في الوجود مبارك   من حوله .. ممن لنا سواه

تتعاقب الأجيال في أوطاننا   والقدس نبض القلب في نجواه

تهديده بعد احتلال غاشم   هيهات يثني العزم عن مرقاه

ماذا أقول ؟ فليت شعري مدفع   يرمي ضمير الغافلين لظاه

إن نامت الدنيا فقلبي ساهر   يتأمل الفردوس .. في أخراه

تغلي دماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، لما يحدث على أرض فلسطين العربية المسلمة من انتهاكات صارخة لكل المعتقدات والقيم، والتي هي في حقيقتها حرب إبادة لأصحاب الأرض والوطن، والدليل على ذلك عدم التمييز بين كبير أو صغير، أو رجل او امرأة، حتى إنهم يقتلون الأطفال والرضع!!

يقول الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش من قصيدة له بعنوان «ولاء» ..

أطعمت للريح أبياتي وزخرفها   إن لم تكن كسيوف النار قافيتي

آمنت بالحرف: إما ميتا عدما   أو ناصبا لعدوى .. حبل مشنقتي

آمنت بالحرف نارا .. لا يفيد إذا   كنت الرماد أنا .. أو كان طاغيتي

فإن سقطت وكفي رافعٌ علمي   سيكتبُ الناسُ فوق القبر «لم يمت»

إننا من هذا المنبر الوضيء نوجه نداءنا إلى ضمير الإنسانية في العالم كله، أن يقف ضد الأعمال البربرية الوحشية المرتدية رداء العنصرية المقيت، هذا وخميلة الشعر تقدم هذا العدد، قصيدة بعنوان «عالجوها بما أبت .. فأساءوا» للشاعر الكبير أحمد مصطفى حافظ وبعدها تقدم قصيدة «القدس أولى القبلتين» للشاعر أحمد عبدالهادي وقصيدة «يا أمة العرب» للأستاذ عبدالقادر مطر ثم قصيدة «المسلمون والعار» للشاعرة عليه الجعار، وتقدم تحت عنوان «قصائد من التراث» القصائد:

١ ـ فلسطين للشاعر علي محمود طه.   ٢ ـ الفدائي،   ٣ ـ الشهيد ،

وهما للشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان ..

اللهم طهر بيتك من أحقاد القردة والخنازير.

عالجوها بما أبت .. فأساءوا

للشاعر - أحمد مصطفى حافظ :

باحة القدس منهل للظماء ... للشجيين .. في لظى البرحاء
حنفاءٌ بكل صقع تراهم ... في اختلاج ولهفة، لارتواء
بعد ختل وخسة، واغتصاب ... في ثنايا الضلوع، كالرمضاء
عالجوها بما أبت .. فأساءوا ... وانثنينا بغصة وعناء
هل سترضى بما يحاك؟ محال .. ! ... «قدسنا» تفتدى .. بأقصى مضاء

•••

كم جيوش من قبل ضلت وخابت ... في انتهاب للقدس .. من بسلاء
و«حطين» من «صلاح» تولوا ... بانهزام وحسرة وبلاء
كان ربي مسددا لخطانا ... ونصيرا «للقدس» من دخلاء

•••

إيه «شعبانُ» قد أثرت شجوني ... بادكار لقبلة غراء
إذ قضى الله كعبة الخير يهدى ... لسناها من قر بعد اصطفاء
تلك نعمى وقبلة القدس تبقى ... ذات قدر .. مبارك الأرجاء[1]

بالذكرى، في حادثات توالت ... بعد عسف يتيه في خيلاء
بحريق مدمر، منذ حين ... في الحنايا .. كالجمر في الأحشاء
وهي اليوم، في احتدام وبغي ... مستفز كالطعنة النجلاء

•••

في صدام وفي اقتحام وبطش ... واغتيال للصبية الأبرياء
كل هذا .. ماله لانتقام ... من إله .. يطيح بالسفهاء
لهم الويل من حماة أباةٍ ... يتصدون .. للقوى الرعناء

---

(١) وحسبنا في بيان هذه الحقيقة . قوله تعالى بالآية الأولى من سورة الإسراء «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله».

قصائد من التراث

١- فلسطين

للشاعر المهندس / على محمود طه

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق، الفدا

أنتركهم يسلبون العروبة ... مجد الأبوة والسؤددا؟

وليسوا بغير صليل السيوف ... يجيبون صوتا لنا أو صدى؟

فجرد حسامك من غمده ... فليس له بعد أن يغمدا!

صبرنا على غدرهم قادرين ... وكنا لهم قدرا مرصدا!

طلعنا عليهم طلوع المنون ... فطاروا هباء وصاروا سدى

•••

أخي أيها العربي الأبي ... أرى اليوم موعدنا لا الغدا

أخي أقبل الشرق في أمة ... ترد الضلال وتحيي الهدى

أخي قم إلى قبلة المشرقين ... لنحمي الكنيسة والمسجدا

•••

أخي إن جرى في ثراها دمي ... وأطبقت فوق حصاها اليدا

ففتش على مهجة حرة ... أبت أن يمر عليها العدا

وقبل شهيداً على أرضها ... دعا باسمها الله .. واستشهدا

فلسطين يفدى حماك الشباب ... فجل الفدائي والمفتدى

فلسطين تحميك منا الصدور ... فإما الحياة .. وإما .. الردى!

٢- الفدائي

شاعر فلسطين: إبراهيم طوقان

لا تسل عن سلامته ... روحه فوق راحته
بدلته همومه ... كفنا من وسادته
يرقب الساعة التي ... بعدها .. هول ساعته

•••

هو بالباب واقف ... والردى .. منه .. خائف!
فاهدئي يا عواصف ... خجلا من جراءته

•••

صامتٌ لو تكلما ... لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته ... خلق الحزم .. أبكما
لا تلوموه، قد رأى ... منهج الحق مظلما
وبلادا .. أحبها ... ركنها قد .. تهدما

٣- الشهيد

عبس الخطْبُ فابتسم ... وطغى الهول .. فاقتحم
رابط الجأش والنهى ... ثابت القلب والقدم
لم يبال الأذى ولم ... يثنه طارئ الألم
نفسه طوع همة ... وجمت .. دونها .. الهمم

•••

ربما غاله الردى ... وهو بالسجن مرتهن
لم يُشيَّع بدمعة ... من حبيب .. ولا سكن
ربما أدرج الترا ... ب سليبًا .. من الكفن

•••

لا تقل أين جسمُهُ ... واسمُهُ في فم الزمن
إنه كوكب الهدى ... لاح في غيهب المحن

القدس أولى القبلتين

شعر / أحمد عبد الهادى

في النصف من شعبان ذى الإكرام ... للشعر آياتٌ من الإلهام
أشدو بها في ذى المقام وإنه ... يزهو ويسمو فوق كل مقام
وأقول من وحى المقام قصيدة ... تزجى معانيها إلى الأفهام
قد كان رب الناس وجْهة سيِّدى ... للمسجد الأقصى بأرض الشام
حين الصلاة مع الدعاء لربه ... وخشوعه لله في استسلام
لما أساء المشركون بوضعهم ... في البيت أعدادا من الأصنام
لكن حبيب الله في صلواته ... يشتاق للبيت العتيق السامى
ويظل ينظر في السماء مؤملا ... من ربه شيئا بغير كلام
فيجيبه المولى: بأنا قد نرى ... حقا تقلب وجهكم بهيام
في كل منحى في السماء ودوما ... رفض لأمر الواحد العلام
أبشر وولِّ الوجه نحو بناية ... قد أمها الماضون في الأقوام

•••

في شهر شعبان الكريم تنزلت ... آيات وحى حُفَّ بالإعظام
آيات تحويل لقبلتنا التى ... هى كل مأمول وكل مُرام
فالقدس أولى القبلتين لأمتى ... بل ثالث الحرمين في الإسلام
مسرى الرسول المصطفى في ليلة ... قد توجت بالعزِّ والإكرام
حتَّام يبقى في شراك المعتدى ... حتَّام يبقى في أمسى وظلام
ويجوس بين دياره ويشينها ... أشلاء ناس بل شتيت طغام
فمتى يعود لأهله فيضمهم ... بالحب والإجلال والإنعام
وتزول عنه عصابة مزهوة ... جعلت بنيه في أسى وسقام
بل نكلت بالصامدين بغلظة ... وسقتهمو -بغيا- كؤوس حمام
الله يرأف بالأُلى قد غُيبوا ... والله للثكلى وللأيتام

•••

وبعودة القدس الشريف ستزدهى ... وتزول سُحْب الحزن والآلام
ويرى فلسطين الحبيبة أهلها ... ويكون يوم الفصل في الأيام
ويطارد النور الدجى فترقبوا ... يوم القصاص ففيه رِىُّ الظامى

يا أمة العرب

شعر / عبد القادر مطر

يا أمة العرب بيت الدين يغترب   القدس يا أمتي بالغدر يُغتصبُ

مهد السكينة والإيمان نفقده   منارة الحب والإجلال تستلب

القدس حصن ورمز فيه معجزة   معراج أحمد بالأنواء يضطرب

تطاول الشر أحقابا بساحتنا   كنيسة المهد بالآلام تنتحب

أرض الخليل ومهد الأنبياء بها   أ في ثراها يضيع الحق، ينسرب؟

الأرض يا أمتي تشكو لبارئها   أضاعها خُلفُكم والبيت يلتهب

الأرض مأسورة تبكي عروبتها   فوعد «بلفور» زيفٌ صاغه كذب

بفرية الزور كم صاحت حناجرهم   أذناب صهيون.. لا أصل ولا نسب

شذاذ أفق فلا وطن لنشأتهم   شعب الشتات من الآفاق يجتلب

نصر العبور بقيد الذل كبلهم   وكم يحرق الذل أرواحا ويستلب

شرارة النصر مازالت محلقة   حول القناة وللجولان تقترب

يوم القصاص بأيدينا مفاتحه   شعب العروبة للأمجاد ينتسب

للحق سيف بلا غمد يكبله   السيف في قبضة يجتاحها الغضب

يا سدة الشرف العربي معذرة   ما جال في خاطري لوم ولا عتب

لوم الزمان لمن يشرى عروبته   بملء أرض الدني ذهبا وينسكب.

⁂

الملموس والعار والاستنكار

للشاعرة / علية الجعار

القدس فى أيدى اليهود سليبة ... تشكو الهوان وذل الاستعمار

والقبلة الأولى تنادى ربها ... قد دنستها عصبة الأشرار

قد أحرقوا الحرم الشريف وخربوا ... مسرى النبى المصطفى المختار

والعابدون الساجدون بساحه ... صرعى بمقذوف السلاح النارى

والصبية الأبرار كالطير الذى ... يرمى اليهود بوابل الأحجار

لا شئ يفزعهم ويقلق أمنهم ... غير الحماس وصبية أبرار

كل الذى يجرى ولا نبدى سوى ... (شجب) خفيض الصوت واستنكار

يا أمة الاسلام هذا حالنا ... فى سائر الأمصار والأقطار

مستضعفون وليس نشكو قلة ... فينا فنحن نزيد عن مليار

إنا غثاء السيل وفاق فعلنا ... قول الرسول الصادق الإخبار

ماذا سنبدى يوم نلقى ربنا ... عند الحساب غدا من الأعذار

إبليس قال فلا تلومونى فمن ... نلقى على كتفيه بالأوزار

إنا على حرف عبدنا ربنا ... سبحانه كعبادة التجار

هُنَّا وضعنا لم يعد أعداؤنا ... يخشون من سيف لنا بتار

يا غضبة الله انزلى وتعجلى ... هبى على الأعداء كالإعصار

لن يُبعد العدوان عن إسلامنا ... غير القوى القادر القهار

***

نسق إسلامي لمناهج البحث العلمي

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

التصور الإسلامي لنسبية المعرفة العلمية

تتميز المعرفة العلمية، بأن تحصيلها يتم نتيجة نشاط إنساني مقصود، يهدف الباحث من ورائه إلى دراسة ظواهر معينة يعكف عليها ويتناولها بالملاحقة الدقيقة وبالتحليل، مستخدما في ذلك منهجا يتفق وطبيعة موضوع البحث، بغرض التوصل إلى قوانين عامة تفسر اطراد الظواهر المعنية تمهيدا للاستفادة منها. والمعرفة العلمية بهذا المعنى تمثل الشق المادي لمفهوم العلم الشامل في الاسلام. ومن هنا فإن الحقائق المعبرة عن السلوك الفعلي لظواهر الكون والحياة تظل مستورة في الشق غير المكتشف من العلم حتى يأذن الله بكشفها تدريجيا على أيدي من يشاء من عباده وأنها جلية حتما في يوم معلوم مهما تعرضت من خلال البحث عنها لمختلف ضروب التشعيب والتحيز المقصود وغير المقصود، وذلك مصداقا للوعد الالهي في قوله تعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١).

ولما كانت طبيعة المعرفة العلمية تتطلب إجراء البحث والدرسات المكثفة على أجزاء محدودة جدا من الكون وظواهره، وبمعزل عن بعضها البعض، دون إلمام بكافة الجوانب المتصلة بموضوع البحث والمؤثرة عليه، فان إدراك الحقيقة الكاملة المطلقة يظل دائما هدفا أسمى يسعى إليه العلماء من خلال عملية تصحيح مستمرة لمسيرة العلم، تتم بتكافل جهودهم وتنافسهم في السبق إلى كشوف علمية جديدة، وإلقاء الضوء على حقائق جزئية في الواقع الكوني الثابت.

وقد أثبتت حركة التاريخ العلمي أن الكون يزداد مع التطور المعرفي اتساعا وعمقا، وأن العلم الذي نحصله ما هو إلا تصورنا عن حقائق الكون، وليس هو الكون ذاته، ومن ثم فهو ليس مستقلا عن ذاتية الانسان، وليس نهائيا في اية مرحلة من مراحل تطوره. وما أبلغ تشبيهات العلماء لجوانب من طبيعة العلاقة المتبادلة بين الباحث وموضوع بحثه. فقد كتب «كلود برنار» يقول: «إن ابتعاد المعرفة عن الباحث في اللحظة التي يظن انه قد

(*) عميد كلية العلوم/جامعة القاهرة

١ ـ سورة فصلت (٥٣).

قبض على زمامها، هو في الوقت نفسه سر عذابه وسعادته». وكتب «ماكس بلانك» يقول: «ان الباحث يستمد الرضا والسعادة من النجاح الذى يصاحب الباحث عن الحقيقة، لا فى امتلاك ناصيتها». ويقول العالم الفيزيائى «البرت أينشتين»: «الفيزياء هي محاولة للقبض على ناصية الحقيقة كما هى فى الفكر دون نظر إلى كونها موضوع مراقبة».

على أننا ننطلق فى مفهومنا لنسبية المعرفة العلمية ومستويات موضوعيتها أو حقائقها الجزئية مما تشير إليه بعض معانى الآيات القرآنية الكريمة فى مثل قوله -تعالى-:

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

وقوله: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

ومما تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد أن الناس يبالغون كثيراً فى تصورهم لمعنى الحقيقة العلمية أو الموضوعية العلمية، إلى درجة أنهم يخطئون أحيانا فيما يظنون أنه قوانين فيزيائية معبرة عن السلوك الفعلى للمادة، وهى فى حقيقة الأمر قوانين لا سيطرة لنا عليها، لأنها أوامر الله المنظمة لحركة الكون. فالصيغ والنتائج التى يتوصل اليها العلماء وفق مناهج تقوم على خبرتهم الذاتية، ويعتقدون أنها قوانين فيزيائية موضوعية، لا تكون بالطبع تعبيرا كاملا عن حقيقة السنن الكونية، وربما لا تمت إليها فى بعض الأحيان بأية صلة، حتى بأمور ذاتية، فعلى سبيل المثال، اعتقد «ارسطو» أنه قد اكتشف أحد قوانين الطبيعة عندما قال بأن الأجسام الثقيلة تسقط الى الأرض أسرع من الأجسام الخفيفة، وكان ذلك بناء على منهج فلسفى يخصه ويستند الى القياس النظرى المجرد، مع أن مثل هذا القانون لا وجود له فى عالم الواقع على الإطلاق، ولا يمثل حقيقة ما من حقائق الوجود. وكل ما فى الأمر أنه استنتاج مضلل من موضوعية زائفة فى جوهرها، لأنها انخدعت بما يدركه الحس القاصر، واستندت الى تأملات العقل الخالص، وارتبطت فى الاستدلال عليها بمنهج سلبى اما القانون الطبيعى الذى ينطبق على هذا الموقف فقد سعى اليه علماء الحضارة الاسلامية بعد أن دعتهم تعاليم الاسلام الى المنهج العلمى السليم، ورفضوا قبول البراهين الفلسفية للآراء التى يمكن اختبارها تجريبيا، واهتدوا الى تحديد الكثير من المفاهيم العلمية المتعلقة بوصف حركة الأجسام وأنواعها حسب حالة العلم فى عصرهم.

وفى عصر النهضة الأوربية استطاع «جاليليو» أن يستخدم ما توفر لديه من أجهزة لقياس الزمن فى أن يثبت بالتجربة أن جميع الأجسام الساقطة ذاتيا تتسارع بعجلة ثابته قيمتها ٩،٨ متر لكل ثانية مربعة، وهى من الثوابت الفيزيائية التى لا تنطوى على علاقات عليَّة. الا ان هذا بدوره لم يكن قانونا عاما وكاملا، فقياسات «جاليلو» لم تكن بالغة بالدقة بحيث تكشف أن نفس الجسم يتسارع بدرجات مختلفة تحت تأثير الجاذبية فى أماكن مختلفة على الأرض. كما أن هناك أنواعا كثيرة للحركة يعتبر السقوط الحر للاجسام جزءا منها.

والاجسام التى نراها الآن فى سفن الفضاء

---

١ - الإسراء (٨٥).

٢ - يوسف (٧٦).

تتصرف بطريقة تختلف كثيرا عن أجسام جاليلو الساقطة، وبالطبع لم يكن جاليلو يملك الوسيلة لمعرفة ذلك، أو لنقل : إن المنهج العلمى الذى اتبعه كان عاجزا عن تحقيق المعرفة الكاملة، فجاءت الحقيقة العلمية على يديه جزئيه ومحدودة بحدود العجز والقصور فى العناصر والوسائل التى اعتمد عليها منهجه التجريبى، وهى فى جوهرها من «متغيرات» المنهج العلمى المتجددة والمتطورة مع تقدم العلم وتطور التقنية. وهكذا يجد الانسان دائما ان ما يصل إليه من علم فى أى عصر ليس هو القانون النهائى، ولكنه مرحله معرفية أرقى من سابقتها وأدنى من لاحقتها فى سلم الترقى المعرفى اللانهائى.

ولعل إدراك التصور الاسلامى لنسبية المعرفة العلمية وموضوعيتها وحقيقتها ضمن مسلمات المنهج العلمى الأسلامى الذى يساعد على تصحيح الأستخدام الأنسانى الخاطىء للعلم ونظرياته من الناحيتين الفلسفية والتقنية، خصوصا بعد أن بالغ أصحاب النزعة العلمية والتقنية المتطرفة فى تقديسه وتاليهه باكثر مما بالغ أنصار «الحتمية» وأصحاب الفلسفات العلمية الحديثة.

متغيرات معرفية منهجية

ونعنى بها مجموعة العناصر والخطوات البنائية فى نسق المنهج العلمى الأسلامى والتى تتميز بارتباطها الوثيق بثوابت المنهج ومسلماته من جهة وبامكانية تغيرها أو تطورها أو تحورها كما وكيفا وترتيبا، لتفى بمتطلبات اطراد التقدم العلمى والتقنى من جهة أخرى. ويمكن اجمال هذه المتغيرات فيما يلى :

١ ـ وسائل البحث العلمى :

لقد رفع الإسلام من شأن العلم باعتباره أساسا لفهم العلاقة السليمة بين الله والكون والإنسان. والقرآن الكريم لا يكاد يدع موطنا فى الكون دون أن يطوف بالانسان خلاله، ويستثير فيه النظرة المتأملة المستقصية، ويلفت أصحاب العقول الراجحة، وذوى القلوب المؤمنة، إلى المنهج الصحيح فى التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته باعتباره كتاب معرفة للإنسان المؤمن الموصول بالله وبما تبدعه يد الله. وقراءة الآيات المنبثة فى جنبات الكون وظواهره تتم بالاستخدام الأمثل لملكات الإدراك والعلم التى وهبها الله للإنسان لتلمس الحقائق الكونية بالاختبار والرصد والتجريب والقياس والاستدلال، مستعينا فى ذلك بحواسه، والعقل من الحواس، أو ما يعززها ويعمقها من أجهزة وأدوات، تبدأ منها وتعود اليها.

مع التقدم العلمى والتقنى لم تتغير وسائل البحث العلمى فى ذاتها، ولكن تطورت الأجهزة التى تعزز أداءها. فعندما اقتحم العلم عالم الذرة والنواة والخلية الحية، وعندما غزا أعماق الفضاء الخارجى لاكتشاف المزيد من الكواكب والنجوم والمجرات، وانتقل من عالم المقاييس البشرية العادية إلى عالم المتناهيات فى الصغر والكبر، لم تعد العين المجردة وبقية الحواس قادرة على مواصلة القراءة والبحث فى المخلوقات الدقيقة أو البعيدة، وكان اختراع المقاريب والمجاهر البصرية والالكترونية تعزيزا لحاسة

الإبصار، مثلما كانت سماعة الطبيب تعزيزا لحاسة السمع، وكانت الترمومترات الحرارية تعميقا لحاسة اللمس، وكان الحاسب الآلي مساعدا للعقل في إجراء العمليات الحسابية والتخطيطية المعقدة. ويستمر تطور الأجهزة العلمية مواكبا لتطور العلم ومرتبطا في نفس الوقت بأصولها الثابتة كما خلقها الله في الإنسان.

وتكمن عظمة المنهج العلمي الإسلامي في أنه تجريبي عقلي في آن واحد، ويعتبر الانسان بكامله، بحواسه وعقله وإرادته وبصيرته وحدسه، هو الوسيلة الأولى والأخيرة لتحصيل المعرفة العلمية، والأجهزة التي يستخدمها ويطورها لتعزيز قدراته وامكاناته هي في نفس الوقت من صنع ملكاته، وبهذا يبطل أي اقتصار مصطنع على احدى وسائل المعرفة، مثلما يفعل العقليون والحسيون (أو التجريبيون) وأصحاب النزعة الاجتماعية وغيرهم.

٢ـ خطوات البحث العلمي:

يجمع فلاسفة العلم وعلماء المناهج على أن الخطوات الرئيسية في المنهج العلمي هي الملاحظة والتجربة والفرض العلمي، لكنهم يختلفون حول أهمية كل منها من حيث الفاعلية والترتيب في النسق البنائي المنهجي العام.

والتأصيل الإسلامي لهذه الخطوات يؤكد سبق علماء الحضارة الإسلامية إلى اتباع المنهج التجريبي بما يتفق وحالة المعرفة العلمية في المرحلة التي وصلتها في عصرهم، فقد كشفت قراءتنا لعلوم التراث الإسلامي عن ممارسات علماء الحضارة الإسلامية لمستويات مختلفة من الملاحظة والتجربة والحدس العقلي، مع إدراكهم لطبيعة العلاقة بينها، والشروط العلمية اللازمة لممارستها، والضوابط المنهجية المؤدية الى استقراء النتائج العلمية على أساسها.

أما الفرض العلمي في تراث الحضارة الإسلامية فقد كان أوليا في أغلب الأحيان، ولم يصل إلى مرتبة التعميم أو التجريد في صيغة قانون شامل أو نظرية عامة، وذلك لأن طبيعة علوم التراث الإسلامي يغلب عليها الجانب الوصفي أكثر من التعبير الكمي الذي يميز العلم عادة في مرحلة متقدمة من تطوره، كما في علوم الفيزياء والكيمياء الحديثة والمعاصرة.

لكن الاستدلال التحليلي من ناحية أخرى، يؤكد ثراء الفكر العلمي الإسلامي بأهم مقومات الفرض العلمي، متمثلة في إضفاء مقولات العقل على نتائج الملاحظة والتجربة، واستخدام الخيال العلمي في المماثلة بين الظواهر المختلفة، والكشف عن الوحدة التي تربط بين وقائع متناثرة، وابتكار المفاهيم العلمية المطابقة للواقع والخبرة.

وقد ظلت الملاحظة والتجربة والفرض العلمي، وسوف تظل، أساسا لممارسة البحث العلمي في ذاتها، وقابلة لمواكبة التقدم العلمي والتقني بتطوير أداتها والطرق المستخدمة في إجرائها. وسوف يظل المنهج الاسلامي بشهادة المنصفين من مؤرخي العلم والحضارة هو الينبوع الأول لحضارة العلم الطبيعي.

رمضان .. والهلال .. والعلم الحديث :

الرؤية البصرية .. لا الحسابات الفلكية

للأستاذ الدكتور / عفيفى محمود عفيفى (*)

لأداء العبادات الإسلامية مواقيت، حددها الخالق - سبحانه - ليتحقق للمتعبد، من التزامه بها قدراً أكبر من التواصل بينه وبين معبوده، نتيجة لتجسيد ارتباط كيانه بكل جوارحه الظاهرة، وجوانحه الباطنة، بدورة الكون، الذى هو جزء منه؛ فالعبادة اليومية ، الصلاة ، موقوتة بحركة الضوء والظل، الناتجة عن دوران الأرض حول محورها أمام الشمس، والعبادة الحولية ، كالحج ، موقوتة بأشهر معلومات تتعاقب نتيجة لدوران القمر حول الأرض.. أما الصيام فينفرد بكونه عبادة حولية ويومية معا، والتزام الصائم بمواقيتها يحقق ارتباطه بالدورتين، دورة القمر حول الأرض التى عن طريقها تتحدد سنوياً بداية شهر صوم الفريضة ونهايته، ودورة الأرض التى عن طريقها تتحدد يومياً بداية الإمساك مع حلول الفجر والإفطار مع غروب الشمس.

شهر الصيام، قمرى لا شمسى

يقول رب العزة فى الآية ١٨٥ من سورة البقرة :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(١).

بهذه الآية الكريمة تحدد عدد الأيام المعدودات «المذكورة فى الآية ١٨٤ من السورة» وأوانها، كما تحددت ميزة الشهر الذى اختاره الله وعاء زمنياً لها .. ومنها يتضح أن الله - سبحانه وتعالى - قد فضل أمة الإسلام على ما سبقها من الأمم بأن اختار لها أفضل شهور السنة للتقرب إليه بهذه العبادة الفريدة .. عبادة الصيام .. ذلك أن

(*) الكاتب أستاذ بكلية العلوم- جامعة المنصورة، وخبير علمى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

(١) البقرة «١٨٥».

فيه ليلة نزول القرآن، التى أسماها الله ليلة القدر، ووصفها بأنها خير من ألف شهر.

وعدة الشهور عند الله- منذ خلق السماوات والأرض هي اثنا عشر شهراً كل سنة: سواء أكانت سنة قمرية، يتم فيه القمر اثنتى عشرة دورة حول الأرض، أو سنة شمسية، تتم فيها الأرض دورة حول الشمس تمر فى أثنائها باثنى عشر برجا، يعرفها الفلكيون بأسمائها[٢].. ولاخلاف فى أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وأن الشمس أكبر بكثير من القمر، الذى يستمد نوره من ضيائها، ومع ذلك فضل الله التقويم الشمسى فى توقيت نزول القرآن المهيمن على ماسبقه من الكتب السماوية وبالتالى فى توقيت الصيام لأمة الإسلام التى أراد- سبحانه- لها أن تكون خير أمة وأسباب هذا التفضيل فى علمه هو، وحاشا لله أن نحاول التدخل فى مشيئته العليا، ولكن دراسة تاريخ التقاويم، التى وضعها البشر من قديم الزمان تكشف لنا عن أحد جوانب الحكمة الإلهية فى هذا التفضيل. ذلك هو أن التقويم القمرى لم- ولن- يتمكن بشر من المساس به، بينما التقويم الشمسى قد تم تحريفه فى الفترة مابين المسيحية والإسلام..

دورة القمر أساس التقويم الإسلامى

الشهر القمرى هو المدة التى تستغرقها دورة القمر حول الأرض ويعود بعدها إلى نقطة البداية، ومتوسطها ٢٩ يوماً ونصف يوم تقريباً. ويجبر كسر اليوم فى التقويم بحيث يكون الشهر إما ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً.. وفى الليلة الأخيرة من كل شهر «والقمر على وشك إتمام دورته» يتحول القمر من هلال يسارى التحدب «أى على شكل قوس مغلق طبقاً للخط العربى» إلى محاق «مظلم تماماً».. وفى الليلة التالية ينقشع الظلام عن الحافة اليمنى من المحاق فيصبح هلالاً على شكل قوس مفتوح، وهو لايرى بالنهار لطغيان ضوء الشمس عليه، وإنما تمكن رؤيته فى الأفق الغربى بعد مغيب الشمس، إذا كانت السماء صافية، ولكنه سرعان مايغيب ليبدأ أول مراحل دورته الجديدة، ويكون هذا إيذاناً بحلول الشهر الجديد.. وفى الماضى كانت رؤية الأهلة بوضوح ممكنة حتى فى هذه الليلة الانتقالية «وبخاصة فى الصحارى» أما الآن- وبعد الزيادة الرهيبة فى الكثافة السكانية وانتشار الآلات التى تدار بالنفط فقد زادت نسبة الدخاب[٣] Smog وغيره من الشوائب العالقة بالهواء، فقد أصبحت رؤية الهلال تتطلب الاستعانة بالمناظير المكبرة والمقربة (التلسكوبات)، وقد أباح الشرع هذا التيسير باعتبار هذه المناظير من جنس النظارات الطبية لمن يعانون ضعف الإبصار... وشيئا فشيئا أصبح استطلاع الهلال بالأجهزة الفلكية هو القاعدة بعد أن كان الاستثناء.

---

(٢) الأبراج تجمعات نجمية هائلة تبعد عن الأرض بآلاف السنين الضوئية، وتبدو من خلال المناظير الفلكية فى أشكال حيوانات أو آلات اتخذها الفلكيون أساسا لتسميتها (ومنها مثلا الحوت والأسد والحمل والميزان، الدلو... الخ).

(٣) الدخاب كلمة منحوتة من كلمتين: (الدخان والضباب) تعبيرا عن امتزاجهما- مثلما أن كلمة (Smog) الانجليزية منحوتة من كلمتين هما: Smoke (=دخان) + FOG (= ضباب)

بين الرؤية البصرية والحساب الفلكي

● يقوم علماء الفلك برصد تحركات القمر في مراحل دورانه الشهرية حول الأرض بواسطة « تلسكوبات » متطورة ومزودة بـ « كاميرات » فائقة الحساسية، ومتصلة بآلات لطبع الصور فوريا على خرائط مقسمة إلى أيام وشهور.. ومن مقارنة أوضاع القمر وأشكاله في سنوات سابقة متتالية يمكن التنبؤ ببداية أي شهر قمري في السنة اللاحقة... وما زلنا كلما هل علينا شهر شعبان نسمع ونقرأ أن شهر رمضان سيبدأ فلكيا في يوم كذا من شهر كيت (الميلادي)... وتمر الأيام، وبعد غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان يتجمع الناس في انتظار بيان دار الإفتاء، الذي كثيرا ما يتأخر إلى ما بعد العشاء (مع أن الهلال الوليد لا يمكث في سماء البلد بعد الغروب إلا دقائق معدودة).. وأخيرا يذاع البيان ويكون إما متفقا مع تنبؤ الفلكيين، أو غير متفق معهم، وفي كلتا الحالتين فكلمة المفتي هي الفيصل؛ لأنها هي صوت الشرع..

● ولكن بيان دار الإفتاء كثيرا ما كان يحوي جملة تسترعي الانتباه، وهي أنه « رغم عدم ثبوت رؤية الهلال في سماء البلد، إلا أننا نعلن بدء الشهر الكريم نظرا لثبوت الرؤية في سماء أحد الأقطار الإسلامية المجاورة»، وتدل الاستخبارات على أن نصف المسلمين سيتمون شعبان ٣٠ يوما ونصفهم الآخر سيصومون غدا، ويتكرر مثل هذا في استطلاع هلال شوال لنقرأ في الصباح أن نصف الشعوب الإسلامية قد أفطرت، والنصف الآخر يتم صومه.

ولما شاعت هذه الظاهرة استغلها هواة الصيد في الماء العكر (وأكثرهم شعوبيون أو علمانيون) وراحوا ينادون بضرورة اعتماد الحساب الفلكي - بل والاعتماد عليه - استنادا إلى التطور التكنولوجي في أجهزة المراصد من ناحية، وحرصا على الوحدة العربية والإسلامية من ناحية أخرى.. ولكن دعاوى الشعوبيين والعلمانيين لم تنل مناها بحمد الله بعد أن تمكنت هيئاتنا الإسلامية - بزعامة الأزهر الشريف - من احتوائها، فرأينا علماء الفلك المرموقين - إلى جوار رجال الإفتاء على منصة واحدة، في ليالي استطلاع الرؤية حيث لا يعلو صوت فوق صوت الرسول الكريم « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته »

كلمة حق يراد بها الباطل

● وبرسوخ العقيدة هدأت مع الوقت ضجة الدعوة إلى الحساب حتى كان عام ١٩٩١ الذي أحرق فيه غزاة الكويت - وهم ينسحبون - بعض خزانات النفط، وهنا عادت الأصوات تعلوا رافعة شعار الحساب الفلكي بحجة أن سحابة الدخان الأسود التي جللت سماء الأقطار الخليجية وما جاورها من أقطار الشرق الأوسط ستظل لعدة سنين قادمة حائلا دون رؤية الهلال، وكانت هذه فعلا كلمة حق، ولكن المراد بها كان هو الباطل بعينه، لأن قائليها إنما كانوا يستهدفون صرف الأنظار عن الحديث الشريف: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ -: « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين» (رواه مسلم).

ولكن هؤلاء المزايدين - في غمار غفلتهم - نسوا أن هذا الحائل من الدخان الأسود سيكون أيضا مانعا دون وضوح الصور التي تلتقطها وتسجلها أجهزة الرصد الفلكي.. ولم يكن هذا هو كل ما خيب آمالهم لأن القدر كان يخبىء لهم مفاجأة أخرى.

حقائق علمية حديثة تدحض الحساب الفلكي

● إن صلاحية سجلات الأرصاد للتنبؤ بمواعيد الأهلة، أساسها انتظام حركة القمر، وثبات سرعة دورانه حول الأرض، بحيث يتم ظهوره في سماء بلد معين، ومغيبه عنه، في مواعيد ثابتة يمكن تسجيلها في جداول كتلك التي تحوي مواعيد قيام، ووصول الطائرات، أو قطارات السكة الحديدية (والقياس طبعا مع الفارق، فحركة الأجرام السماوية بيد خالقها، الذي يسيِّرها في أفلاكها)، وهو وحده القادر على إحداث أي تغيير في سرعة القمر أو غيره من الأجرام السماوية، وقتما يشاء، وبالقدر الذي يشاء وإن كان يسبب الأسباب لذلك، ومن هذه الأسباب اختلاف محصلة التجاذب بين التابع (وهو في حالتنا هذه: القمر) ومتبوعه (وهو في حالتنا: الأرض)... ولئن كان الفلكيون لا يملكون الدليل على أن مثل هذا التغيير لم يحدث في تاريخ الأرض، فمن باب أولى هم لا يملكون ما يضمن عدم حدوثه في المستقبل الذي هو غيب اختص الله نفسه بعلمه.

● والتجاذب بين الأرض والقمر حقيقة تشهد عليها ظاهرة المدّ التي فيها يزحف الماء على شواطىء المسطحات المائية في الليالي البيض (ليالي اكتمال البدر) بفعل تزايد الجاذبية بين الأرض والقمر في تلك الليالي نتيجة لوصول مساحة سطح المواجهة بينهما إلى أقصى مداه. والمد ظاهرة تحدث بانتظام ويمكن رصدها والتنبؤ بها؛ ولكن هناك ظاهرة أخرى ذات طابع جيوفيزيقي تتسبب في زيادة قوة التجاذب بين الأرض والقمر تلك هي تعرية بعض مكونات القشرة الأرضية اليابسة بعد حدوث الزلازل والبراكين.. ولقد لاحظنا في السنوات العشر الأخيرة زيادة حدوث الزلازل، وارتفاع شدتها في مناطق حدوثها المعتادة (الواقعة على مدار حزام الزلازل المعروف)، يضاف إلى ذلك حدوثها المتكرر في مناطق خارج هذا الحزام ومنها مصر... ومما لا شك فيه أن تعرية بعض المواد الصخرية من قشرة الأرض (وهي ذات خواص مغنطيسية) يجعل مجالها المغناطيسي يصل إلى مسافات من الغلاف الجوي أبعد من المدى الطبيعي وبديهي أن يؤثر هذا على سرعة دوران القمر فتبطىء في هذه الأماكن وبالتالي يتأثر ظهور القمر في سماء المناطق التالية لها (فالقمر ليس قطارا نسيِّره بإرادتنا فتزيد من سرعته لتعويض التأخير!!).. وهذا المتأخر ليس مسجلا على الخرائط المعدة مسبقا.

وأخيرا فالكلمة العليا هي «صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته».

● إن عجزنا عن التحكم في هذه الظواهر المؤثرة على سرعة دوران القمر، وعن التكهن بها يفقد الحساب الفلكي صلاحيته للتنبؤ بمواعيد ظهور الأهلة... ناهيك عن أن العلم اليقيني بها يحرم المرأ متعة الترقب الذي يقوم إحساسه بالارتباط بدورة الكون الذي هو جزء منه، (وهذا الارتباط يحيي في القلب ذكر الله خالق الكون وكل ما فيه).. وهكذا تظل الرؤية البصرية، هي المعيار الوحيد السليم، لتحديد مواعيد الأهلة، ولتهيئة الجوانح والجوارح لأداء العبادة المترتبة على ظهورها. وهذه هي القاعدة التي أمر بها نبيّ الإسلام الذي قال عنه رب العرش

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾(١).

---

(١) سورة النجم آية ٣، ٤.

أسس التنمية في الإسلام

للدكتور/ زيد بن محمد الرماني (*)

مقدمة:

التنمية الاقتصادية، هي اليوم موضوع الساعة، والشغل الشاغل للساسة والمخططين، ومع ذلك لم يكن الاهتمام بدراستها إلا حديثاً، في حين نجد الإسلام، ومنذ أربعة عشر قرناً قد أولى قضية التنمية عناية فائقة، واهتماما خاصا.

التنمية في ظل النظام الاقتصادي الإسلامي فرض وضرورة، حيث تستهدف تحقيق الإنسان من خلال عمله، درجات متزايدة من التعامل المنضبط مع الموارد المتاحة في الكون، التي سخرها الله -سبحانه وتعالى- لخدمته، وذلك لتحقيق تمام الكفاية، الذي يتناسب مع متوسط المعيشة السائد في المجتمع المسلم، ويعني ذلك: تحقيق مزيد من الدخل، ومن عناصر القدرة الاقتصادية، إلى جانب مشاركة الدولة في إشباع الحاجات الأساسية لغير القادرين، وتوفيرها للاستقرار والأمن الاقتصادي.

إن الإسلام ينظر إلى التنمية نظرة شمولية، تجمع بين تطوير كل من الأرض، الموارد الطبيعية والإنسان، الموارد البشرية.

لذلك اهتم الإسلام بالتنمية، واعتبرها عبادة لله -تعالى- وجعلها من واجبات الاستخلاف، قال -عز وجل-:

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(1).

بل لقد بلغ حرص الإسلام على التنمية وإعمار الدنيا، أن قال رسول الله -ﷺ-: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها، فله بذلك أجر»(2).

كما شغلت قضية التنمية فكر المسلمين الأوائل، واحتلت المقام الأول في اهتماماتهم، وذلك تحت لفظ «العمارة» وهو اصطلاح

---

* الكاتب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -عمادة البحث العلمي بالرياض- وحدة بحوث الاقتصاد الإسلامي.

1 - هود (61).

2 - أخرجه البخاري.

يشمل- في اقتصاديات اليوم- ما يطلق عليه التنمية الشاملة.

إن لفظ العمارة يحمل في مضمونه التنمية الشاملة، والنهوض بالمجتمع في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وهذا جوهر ما تسعى إليه التنمية في الاقتصاد المعاصر.

بين يدي المفهوم

يهتم الإسلام اهتماماً بالغاً بالتنمية الاقتصادية، بيْدَ أنه يعالجها باعتبارها جزءاً من كل: هو التنمية الإنسانية، فأول وظيفة من وظائف الإسلام هي توجيه التنمية الإنسانية في المسالك الصحيحة.

لهذا كان التركيز، حتى في القطاع الاقتصادي، على التنمية الإنسانية، بحيث تبقى التنمية الاقتصادية عنصراً مكملاً وجزءاً لا يتجزأ من التنمية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للجماعة الإنسانية.

وفي ضوء المبادىء الأساسية للإسلام يمكن أن نستخلص مفهوم الإسلام للتنمية، الذي تتضح ملامحه في النقاط الرئيسية التالية:

(١) - المفهوم الإسلامي للتنمية له خاصية الشمول، إذ يتضمن المظاهر الخلقية والروحية والمادية في آن معاً، وبهذا تصبح التنمية نشاطاً هادفاً ومتجهاً إلى الخُلق، ومنصباً على البلوغ بالرفاه البشرى حدَّه الأمثل، والرفاه الذى يبحث عنه الإسلام إنما يمتد إلى الحياة الآخرة، وليس ثمة تنازع بينهما، وهذا البُعْد مفقود في المفهوم المعاصر للتنمية.

(٢) - الإنسان هو مركز الجهد التنموى، وهو قلب عملية التنمية، وهدف التنمية أن يكون عقل الإنسان سليماً، وجسمه صحيحاً، وعِرْضه مصوناً، وماله محفوظاً، وقبل هذا وبَعْده، دينه وعقيدته صافية.

ولهذا طالب الإسلام بتنمية كل هذه الجوانب الضرورية للجماعة الإنسانية.

(٣) - التنمية نشاط متعدد الأبعاد، وهي في الإسلام أكثر من ذلك، إذ يسعى الإسلام إلى إقامة التوازن بين مختلف الاتجاهات والأبعاد، دون تركيز على جانب، أو إهمال جانب.

(٤) - يؤكد الإسلام تأكيداً خاصاً على مبدأين، من المبادىء الفعّالة في الحياة الاجتماعية هما:

الاستخدام الأمثل للموارد التي أنعم الله بها على الإنسان وبيئته الطبيعية، والاستخدام العادل، والتوزيع الحق للعلاقات الإنسانية.

وعليه يمكن القول إن التنمية الاقتصادية في ظل الإسلام تستلزم مشاركة الإنسان الفعالة، وتتجه إلى تحقيق الحد الأمثل من الرفاه الإنساني، وإلى بناء قوة الأمة.

مصطلح العمارة

لم يعرف الفكر الإسلامي تعبير التنمية الاقتصادية، بيْدَ أنه حوى من المصطلحات ما يحوي مضمون مصطلح التنمية، وكان أقرب تعبيراً عن التنمية والعملية التنموية ومن هذه

المصطلحات: التمكين والإحياء، والعمارة.

فالعمارة تأتي في اللغة بمعان عدة منها:

العمارة نقيض الخراب، أو هي البُنيان، أو هي عمارة الأرض، أي إحياؤها بالبناء أو الغرس أو الزرع.

جاء في معجم مقاييس اللغة: العين والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدُلُّ على بقاء وامتداد زمان، والآخر: على شيء يعلو، من صوت أو غيره.

ومن هذا الباب عمارة الأرض، يقال عمر الناس الأرض عمارة وهم يعْمُرُونها وهي عامرة معمورة، والاسم والمصدر: العمران، واستعمر الله -تعالى- الناس في الأرض ليعمروها.

إذا تبيّن هذا، فإن مصطلح العمارة يشمل عمارة الأرض «التنمية الاقتصادية»، وعمارة البلاد «التنمية الشاملة».

وفي القرآن الكريم جاء قوله -تعالى-:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾(٢).

مدللاً على أهمية العمارة، يقول القرطبي -رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله -تعالى- على الوجوب. وقال الجصاص: وفيه دلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية.

وفي قوله: ﴿ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ أمر بالعمارة، والعمارة متنوعة إلى واجب كعمارة القناطر اللازمة، والمسجد الجامع.. ومندوب كعمارة المساجد.. ومباح كعمارة المنازل.. وحرام كعمارة الحانات وما يبنى للمباهاة أو من مال حرام.

وفي السنة النبوية أحاديث كثيرة دالة على فضل العمارة وأهميتها، فقد روت عائشة -رضي الله عنها- عن النبي -عليه الصلاة والسلام- قوله: مَنْ أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق» قال ابن حجر في فتح الباري: «والمراد من أعمر أرضاً بالإحياء فهو أحق به من غيره».

وقال المناوي -رحمه الله- في حديث:

«إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة...» الحديث الذي أخرجه البخاري، والحاصل أن الحديث مبالغة في الحث على غرس الأشجار وحفر الأنهار، لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع، وإن لم يبق في الدنيا إلا صبابة، وهذا لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا.

وفي هذا المجال وردت نصوص عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في العمارة وما يدل عليها ومنها: قوله «مَنْ عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له». وقوله لبلال بن الحارث المزني: «إن رسول الله

---

٢ - هود (٦١)

لم يقطعك لتحتجزه عن الناس، إنما اقطعك لتعمل، فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورّد الباقي».

ومن هذه النصوص يتضح حرصه -رضي الله عنه- على دفع الناس وحثهم على الإنتاج والتنمية، فهو لا يترك رغبة الناس فى عمارة الأرض مجردة عن العمل، وإنما يطالبهم بأن تقترن هذه الرغبة بالعمل والتعمير وبذل الجهد خلال مدة زمنية معينة.

وقد قال -رضي الله عنه-: «والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال، وجئنا بغير عمل، فهم أولى منا بمحمد يوم القيامة»، وقال كذلك: «مَنْ كان له مال فليصلحه، ومَنْ كانت له أرض فليعمرها، فيوشك أن يأتى مَنْ لا يعطى إلا من أحب»، وقال أيضا لواليه على بعض أقاليم الدولة: «إن الله قد استخلفنا على عباده لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإذا أعطيناهم هذه النعم تقاضيناهم شكرها، إن الله خلق الأيدى لتعمل...».

ومن هذه النصوص يتضح نظرة الفاروق -رضي الله عنه- للتنمية من خلال العمل المنتج وأهميته فى النشاط الاقتصادى، ودعوته -رضي الله عنه- للتنمية وعمارة الأرض، لأن حاجة الإنسان إلى المادة اللازمة هى قوام نفسه.

وفى عبارة الفاروق الأخيرة تلخيص لمهمة القادة وبيان لأساس الحكم، من حيث تأمين الناس فى معاشهم وفى حياتهم، وتوفير حد الكفاية لأفراد المجتمع.

إن قارىء كتاب «نهج البلاغة» المنسوب للإمام على بن أبى طالب - رضي الله عنه - يقع نظره على جمل من القول يتمثل فيها فكره -رضي الله عنه- الاقتصادى، وموقفه من عدة قضايا تمثل جوهر التنمية الاقتصادية «العمارة».

فمن خلال كتابه -رضي الله عنه- لواليه على مصر «الأشتر النخعى»، نجده يحدد فيه مجموعة من الضوابط والقواعد الاقتصادية ومنها:

(١) عناية الدولة بشئون التجارة، ورعايتها للتجار.

(٢) منع التجار من الاحتكار، أو الإضرار بالناس.

(٣) تطبيق فكرة الثمن العادل، وضبط الموازين والمكاييل.

(٤) إرشاد الناس إلى السماحة فى البيع والشراء.

(٥) معاقبة التجار الذين يضيقون على الناس.

وبهذه الضوابط والقواعد الاقتصادية تقوم التجارة بدورها فى تحقيق العمارة، ودفع كل من القطاع الزراعى والصناعى إلى الأمام فى مجال التقدم والازدهار، ومن ثم تتحقق العمارة والتنمية وبناء مجتمع المتقين.

هـدف التنمية

إن عمارة البلاد أمر واجب على الدولة، ومهمة أساسية من مهامها، يقول -رضى الله عنه- فى مقدمة العهد الذى كتبه للأشتر النخعى: «هذا ما أمر به عبدالله على أمير المؤمنين، مالك بن الحارث الأشتر، فى عهده إليه حين ولاه مصر، جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها». وفى هذه المقدمة تلخيص لوظائف الوالى التى كلفه، بها أميره، فهى تحدد وظائف الدولة عنده -رضى الله عنه- وقد جمعها فى الأربعة المذكورة، والتى فيها عمارة البلاد.

ويتمثل هدف العمارة عند على -رضى الله عنه- فى إقامة مجتمع المتقين، ذلك المجتمع الذى يتمتع بأعلى مستوى من طيب الماديات، والتزام تقوى الله -تعالى- وقد حدد -رضى الله عنه- هذا الهدف فى كتابه لمحمد بن أبى بكر -رضى الله عنهما- والى مصر، حيث يقول: «يا عباد الله، إن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله شاركوا أهل الدنيا فى دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا آخرتهم، أباح لهم الله الدنيا ما كفاهم به وأغناهم... سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا وهم غداً جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون، لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من اللذة، فإلى هذا يا عباد الله يشتاق من كان له عقل، ويعمل له بتقوى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله...».

هذا الكتاب التاريخى ليس قصة يتحدث فيها الإمام على -رضى الله عنه- عن واقع المتقين على وجه الأرض، أو واقعهم فى التاريخ، وإنما كان يستهدف التعبير عن نظرية المتقين فى الحياة، والمثل الذى يجب أن يحققه مجتمع المتقين على هذه الأرض، ولذا أمر بتطبيق ما فى الكتاب، ورسم الوالى سياسته على ضوء ما جاء فيه من وصايا وتعليمات.

يرى الإمام على -رضى الله عنه- أن مضمون العمارة ومفهومها لا يقتصر على زيادة الإنتاج أو رفع مستوى الدخل القومى، وإنما يقوم على عدالة توزيع الدخل، فالتوزيع العادل لثمار التنمية جزء من مفهومها فى فكر الإمام على -رضى الله عنه- القائل: «ما جاع فقير إلا بما متع غنى».

مما سبق يتضح أن العمارة والتنمية التى يجب على الدولة القيام بها تهدف إلى تحقيق مستوى الحياة الكريمة لمجتمع المتقين، وهذا المستوى يتطلب لتحقيقه توفير العدالة الاجتماعية، كما أن التوزيع العادل جزء أساسى من مفهوم العمارة ومضمونها عند على -رضى الله عنه- أما وسائل تحقيق العمارة فى نظر الإمام على -رضى الله عنه- فهى أربع: تحقيق التوازن الاقتصادى، وإقرار الأمن والاستقرار، والقيام بالتوجيه لكافة أوجه النشاط الاقتصادى، وعدالة التوزيع.

يقول الإمام على -رضى الله عنه- لواليه: «وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك

إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً... ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم...».

ويمكن تلمس موقف أبي يوسف -رحمه الله- من التنمية «العمارة» من خلال استعراض ما جاء في كتابه «الخراج» الذى كتبه لهارون الرشيد.

إذ يستخدم أبويوسف -رحمه الله- في كتابه ذلك تعبير عمارة البلاد، وكذلك تعبير عمارة الأرض، فعندما يتحدث عن عمارة القطاع الزراعي يستخدم عبارة «عمارة الأرض»، وعندما يتحدث عن أسس العمارة وأصول بنائها، يستخدم عبارة «عمارة البلاد»، يقول أبويوسف -رحمه الله-: «إن العدل والإنصاف وتجنب الظلم، مع ما في ذلك من الأجر، يزيد به الخراج وتكثر به عمارة البلاد...».

ولذا، يحمل أبويوسف الدولة مسئولية كبرى تجاه انجاز التنمية «العمارة»، مع عدم إغفاله لدور الأفراد في تحقيق ذلك، حيث تجده يقول -رحمه الله- مخاطبا الخليفة: «ولا أرى أن يترك الإمام أرضا لا ملك لأحد فيها، ولا عمارة، حتى يقطعها فإن ذلك أعمر البلاد، وأكثر للخراج».

ويقول -رحمه الله- في معرض تحمل الدولة للنفقات العامة وقيامها بالإنفاق على المشروعات: «ولا تحمل النفقة على أهل البلد، فإنهم إن يعمروا خير من أن يخربوا، وإن يفروا- من الوفرة- خير من أن يذهب مالهم ويعجزوا»، وفي هذا دعوة لتحمل الدولة العبء الأكبر إزاء عملية التنمية «العمارة».

وأسس العمارة عند أبي يوسف -رحمه الله- ثلاثة هي: سيادة العدل والإنصاف، والمحافظة على الملكية الخاصة، وتدخل الدولة ومساهمتها إيجابيا في عملية التنمية. يقول أبويوسف -رحمه الله-: «إن العدل والإنصاف للمظلوم، مع ما في ذلك من الأجر الأخروى، مما يزيد به الخراج وتكثر به عمارة البلاد، والبركة مع العدل تكون، وهي تفقد مع الجور، والخراج المأخوذ من الجور تنقص به البلاد وتخرب...».

وقد اشترط أبويوسف -رحمه الله- في العامل الذى يتولى مهمة العمارة شروطا سبعة:

الدين، والصلاح، والأمانة، والعفة، والمشاورة لأهل الرأى، والخبرة، والعلم والفقه. متى توفرت هذه الشروط في رجل الخراج، فإن البلاد تنعم بالرفاه والعدل الاجتماعي وذلك بتحقق العمارة. يقول أبويوسف -رحمه الله-: «ورأيت أبقى الله أمير المؤمنين أن تتخذ قوماً من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج، ومن وليت منهم فليكن فقهياً، عالماً مشاورا لأهل الرأى، عفيفاً لا يطلع الناس منه على عورة، ولا

يخاف في الله لومة لائم...».

ويرى أبويوسف -رحمه الله- أن تحقيق العمارة يتطلب إجراءات معينة منها: إقامة شبكة طرق جيدة، وإدخال كل الموارد في نطاق الإنتاج، وإقامة المنشآت اللازمة للري والإمداد بالمياه.. بهذه الاجراءات الثلاثة، حصر أبويوسف -رحمه الله- الإجراءات المادية المباشرة لتحقيق العمارة.

ومن هنا ندرك أن أبا يوسف -رحمه الله- يستخدم التعبيرين: «عمارة الأرض»، و«عمارة البلاد»، كما هو الحال عند علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-.

ولقد كان لكتاب الاقتصاد الإسلامي آراء خاصة في العمارة وما تميزت به عن التنمية الاقتصادية، فهذا الدكتور شوقي دنيا يقول في كتابه «الإسلام والتنمية الاقتصادية»: «إن لفظ العمارة أو التعمير يحمل مضمون التنمية الاقتصادية وقد يزيد عنها، فهو نهوض في مختلف مجالات الحياة الإنسانية، وإن تناول بصفة أولية جوانب التنمية الاقتصادية بمعناها المتعارف عليه في علم الاقتصاد...».

وأما الدكتور يوسف إبراهيم يوسف ففي كتابه «استراتيجية وتكنيك التنمية الاقتصادية في الإسلام»: «إن هناك مصطلحا خاصا يستخدمه المفكرون المسلمون ويعالجون قضايا التنمية داخل إطاره، هذا المصطلح هو مصطلح العمارة...».

ويقول الدكتور علي عبدالرسول في كتابه «المبادئ الاقتصادية في الإسلام»: «إن العمارة يمتد أفقها إلى أبعد مما عرف سلفنا الصالح من الزراعة والغراس والأبنية إلى استثارة ما في الأرض من أنواع المعادن، والتوسع في المنافع العمرانية باستحداث المصنوعات المختلفة والمرافق الضرورية والوسائل الميسرة للمصالح العامة، وما يتبع ذلك كله من تبادل السلع والغلات ونقل التجارة أو جلبها من هنا وهناك...».

الخلاصة:

نخلص مما سبق إلى أن هناك مصطلحاً خاصاً يستخدمه المفكرون المسلمون، ويعالجون قضايا التنمية داخل إطاره، هو مصطلح العمارة، بإطلاقيها: عمارة الأرض، وعمارة البلاد.

وإن هذه العمارة في الاقتصاد الإسلامي ليست عملاً دنيوياً محضاً، بل هي عمل تعبدي فيه طاعة الله -عز وجل- فكل خطوة يخطوها الإنسان في طاعة الله ولو كانت في شئون الدنيا، فالسعي على الرزق هو عبادة.

وإن هدف العمارة هو إقامة مجتمع المتقين، المجتمع الذي يتمتع بأعلى مستويات المعيشة الطيبة، وأعلى مستويات الإنتاج، وأرشد مستويات الاستهلاك، وأعدل مستويات التوزيع، مع استشعار تقوى الله في كل مرحلة من مراحل النشاط الاقتصادي في هذا المجتمع.

الهوام حرب للإسلام

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

لا يختلف اثنان على أن الهوام حشرات مطردة النمو، كثيرة التناسل، سريعة الانتشار، ما وجدت في مكان إلا سامته العذاب ألوانا، وتتضح هذه الحقيقة الصارخة بجلاء فى الصورة المروعة لحشرة نمل النار.

فمنذ نصف قرن، قام باحث بوزارة الزراعة الأمريكية باكتشاف أعشاشها الضخمة، ولو كان ما رآه مجرد تصور ذهنى، لأحد قصص الخيال العلمى إذ توافرت له كل عوامل النجاح، وعناصره بما فيها النهاية غير المتوقعة، لامتلأت الأرض ارتجافا وارتياعا. فما أن جمع ذلك الباحث عينة من تلك الحشرات حتى صدر عنها أصوات صاخبة عالية الضجيج، دفعت به إلى الإسراع إلى سيارته يقودها، وقد عراه علم التصديق والرعب. وكان كشفه هذا مصدراً خصباً لعناوين، ملأت الجرائد تنبه إلى خطورة تلك الهوام، ومن تلك العناوين الكبيرة المخيفة:

- غزو النمل النارى.
- الزحف الأحمر.
- محترفو الدمار، وخدمة الخراب.
- نمل من جهنم.
- النمل النارى يخرج عن السيطرة.
- النمل النارى يجتاح الجنوب.
- **الولايات تخسر فى حربها ضد النمل القاتل.**

وكان ما اكتشفه ذلك الباحث نمل أحمر اللون، اتخذ مظهر الذر الصغير، غير الضار، ولا المؤذى، وهو نمل قادم من الجنوب إلى الشمال، وله طبعاً نظائر وأشباه فى الشمال، تتمثل فى النمل الأسود المكتشف فى أخريات عشرينات هذا القرن، بيد أن النمل الأحمر أكثر نشاطاً حيث يقوم ببناء أربعين عشا فى الهكتار الواحد فى مقابل أربعة أعشاش يبنيها نظيره، إضافة إلى كون النمل الأحمر أكثر عدوانية وأشد توحشا، ولقد انتشر فى ٢٦٠ مليون هكتار فى إحدى عشر ولاية، آخذا أوضاعا تمكنه من القيام باللسع واللدغ والقرص، وهو لا يكتفى من ذلك بمرة واحدة، فى كل هجمة وقد قدر من أصيبوا بحوالى ٥ ملايين فى العام، مما جعل غلة النار الحمراء سببا فى انتشار فوبيا الحشرات، أى: الذعر والهلع منها، كما ذاعت قصص الرعب.

أضراره :

ونمل النار يعلق بالأحبال السرية للعجول حديثة الولادة، وأجنة الحيوانات حيث يهاجم منها العيون والأفواه والأنوف، فيبيدها. كما تصيب الأطفال الصغار، وهم يلعبون، فلا ينجو أحد من لدغاته القاتلة، التي تؤدي إلى الحساسية الشديدة، ثم إلى الوفاة.

الشائعة :

وكان كل ما سبق نتيجة طبيعية لقصة قصيرة، أصابت قراءها بالكوابيس، تسمى «الفلاح يواجه النمل» التي طالعتها أجيال عديدة من تلاميذ المدارس الابتدائية، وطلاب المعاهد الثانوية، وملخص القصة أن مزارعاً برازيليا تسلح بعقله، وادرع بتفكيره في التصدي لمقاومة جيش جرار من النمل، يبلغ طوله ٢٠ ميلا مربعا، جيش عرمرم ليس فيه شئ سوى النمل وكل نملة منه شيطان فر من الجحيم وهو نمل سريع الحركة ما إن يهاجم حيواناً كامل النمو حتى يأتي عليه ويلتهمه لا يبقى منه إلا العظام، وباستخدام المبيدات الحشرية التي حمل رشاشاتها أربعمائة من العاملين ضارع ذلك الفلاح بحراً من نمل تراوح حجم الواحدة منه ما بين قلامة الظفر إلى عقلة الأصبع، ودامت المجابهة أياماً طوالاً، وكانت حرباً واجهت فيها مقلة الانسان المتحفزة مقلة الحشرة، التي امتازت بالبرود واللمعان، كما استعمل فيها الإنسان الجواريف واللمامات في مجابهة كل فك، فاق في حدته شفرة الموسى، وفي النهاية يكتب النصر للفلاح المسكين، بعد أن تكون الحشرة قد التهمت منه اللحم وازدردته في أكثر من موضع. وكان الأثر الذى أحدثته تلك القصة مروعاً وشنيعا، والسبب أن الفلاح في الحقيقة، وليس في القصة القصيرة هو الذى خسر، إذ ظلت الحكومة تشن حرباً بالمبيدات الجوية لمدة عشرين عاما حيث قامت الفرق المتخصصة برش المبيدات على عشرات الملايين من الهكتارات وكانت الصاعقة التي لم تكن في الحسبان هي إبادة الحياة البرية، التي صورت أروع تصوير في كتاب «الربيع الصامت» أكثر الكتب شهرة في الأوساط العلمية، إضافة إلى تلويث أطعمة الإنسان وأغذيته بالكيماويات الخطرة، ناهيك عن انتشار النمل الأحمر بصورة أشد فظاعة حيث أخذت تلك الهوام تندس وسط الحشائش الضارة.

وإضافة إلى قدرتها المروعة على التناسل، فإن أعداءها الطبيعيين قليلون نادرون، وأما حملة المبيدات التي تكلفت ١٧٢ مليون دولار فقد عرفت في تاريخ البيئة بأنها «حرب فيتنام ضد الهوام».

حياتها :

إن ذكور النمل تموت فور انتهاء عملية التزاوج، ثم يقوم نمل النار بقرص من يواجهه مما يجعل الفلاحين يفرون من الحقول، أما ما تنشئه تلك الحشرات من متاريس واستحكامات جففتها حرارة الشمس، يزيد ارتفاع كل منها على ١٨ بوصة فتتطلب

لإزالتها أجهزة ينتج عنها أمران أحلاهما مر فهي إما تبيد فيما تبيد جزءا حيويا من المحصول وإما تتلف آلة الإزالة نفسها، إضافة إلى أن النمل النارى يلتهم بعض المحاصيل فقد محى من الوجود مثلا نصف محصول الباذنجان، في احدى الولايات كما يمكن لذلك النمل أن يحل محل دودة أو خنفساء القطن كما أنه يأكل الحشرات المعروفة بثواقب سيقان قصب السكر، وكل الحشرات الحقلية، مما قد يوحي بفائدة تلك الهوام للزراعة وهو وهم كبير، ومهما بلغت قسوة ذلك النمل وضرره فإنه لا يدانى في خطره حشرة مثل حفار، أو صرصور الطين، ومن الخوخ الأخضر المعروفة بالأرقة وجمعها أرق وهي حشرات ضئيلة تسبب آفة الندوة العسلية.

أثره في الكهرباء:

ولا تقتصر أضرار النمل الأحمر، على مجال الزراعة، بل تتعداه إلى الإضرار بالمجالات الكهربية، فقد تسببت في كثير من حالات قطع التيار الكهربي عن مئات المنازل عندما غزت محولات الكهرباء مما دفع الناس إلى أن يحلموا بطرق عبقرية لقتل النمل النارى فتفتقت أذهانهم عن ابتكار يسمى القط الكهربي، إذ به مسام تهدف إلى صهر الحشرة، وإذابتها كهربيا أو تنفيرها، ومما أذهل المبتكر أن تلك الهوام استخدمت اختراعه كعش لها تقيم فيه في أمن واطمئنان. ولا ينجو من يعيش في القرى أو يقطن الضواحي من متاريسها التي عمت كل مكان، مما جعل الناس عاجزين عن تنظيف حدائقهم أو أن ينعموا فيها بقسط من الراحة والهدوء، كما منع ذلك الأمر الأطفال من اللعب على البساط الأخضر، والاستمتاع بالمناظر الخلابة في السحب البيضاء.

إن تلك الحشرات تدخل المساكن وتلدغ الناس في عقر دورهم، وعلى فرشهم، ومن أغرب الحالات أن طفلاً حرك زراً كهربيا فسقطت منه نملة نارية قرصت الطفل فأصيب بحالة من الحساسية الحادة وكانت النتيجة أن ترك أهله ذلك المكان، وكان الفصل شتاء والبرودة شديدة، لا تستطيع معها تلك الهوام الاستوائية أن تتوالد بتلك الغزارة، ولسعة تلك الحشرة لا تزيد على قرصة النحل لكن المبرح فيها أنها لا تكتفي بقرصة واحدة وعادة ما تكون أسراباً ضخمة، مما يؤدى إلى تكون مساحة كبيرة بالجسم عبارة عن فقاقيع صفراء تشبه النتوءات والحل مما يؤدى إلى أن ينخرط الإنسان في نوبة من الحك لأسبوع أو أكثر لكن - ولله الفضل والمنة - فإن الكثيرين يعرفون كيفية التصرف قبل أن تصبح الحالة ذات أعراض تهدد الحياة، ولانتشار النمل النارى في الريف وسلوكه المؤذى للزراع فإن الباحثين يفكرون في دأب كيف يواجهون ذلك الخطر الماحق، والسبب أن ذكوره لا تلقى الإناث إلا مرة واحدة، في عرس جوى فضائي فريد على ارتفاع ٨٠٠ قدم عن سطح الأرض ثم تعود الإناث إلى الأرض لتبتنى أعشاشاً جديدة تبعد بمسافة تصف ميل تقريبا عن مكان التزاوج وهي طريقة فعالة

فى إيجاد مستعمرات جديدة، كما تهوى الإناث الهبوط فى المناطق المضيئة وهو أسلوب ذكى لاكتشاف الماء فهى لا تكتفى إذا بحمامات السباحة بل تتخذ من السيارات والحرارات مرافئ لها كما لا تخلو منها محطات الأنفاق كما تختفى فى شحنات البضائع وفى فتحات أجهزة التسجيل خصوصاً.

وقد أقامت مستعمراتها فى المشاجر، وهى أماكن تزرع فيها الأشجار لأغراض علمية تشبه المشاتل، ومن المتوقع أن تمتد مستوطناتها إلى أماكن أخرى قد تصل إلى حدود أمريكا مع كندا، وهناك مشكلة أخرى تضاف إلى مشكلة المستوطنات المتناثرة وهى أن النمل الأحمر شرع فى الاختلاط والالتحام مع النمل الأسود وهذا الهجين الناشئ يمكنه التغلب على عقبات البرودة والمناخ الجاف.

وأما المحال التجارية الكبيرة، التى تعتنى عناية فائقة بالنظافة لحماية روادها وزبائنها من الهوام، يمكن لأشجارها أن تكون مأوى حصينة للنمل الأحمر، الذى زادت متاريسه المنشأة إلى ٤٠٠ متراس فى الهكتار الواحد بدلاً من ٤٠ متراساً من قبل، والنوع القديم، كان يحوى ملكة واحدة متوجة فى كل عش، إذ لا يعيش ذلك النمل في الجحور، وهذه الملكة تضع البيض، فإن نجحت فى إقامة مستوطنة بقيت حتى موسم النضج، فإن الملكة التى لا يزيد وزنها عن ٢٤ ملليجراما ستنتج ما يصل إلى ٨٠٠ جرام من الأحفاد سنوياً.. ومن المتوقع أن تحوى المكامن الجديدة ٣٠٠ ملكة تضع ملايين البيض وبلايين الأحفاد.

وبينما تكون المكامن ذات الملكة الواحدة محكمة الإغلاق لايطؤها أجنبى أو يدخلها دخيل وإلا كان القتل السريع جزاءه، فإن المستوطنات متعددة الملكات لها حرية الاختلاط بجيرانها مكونة مستوطنات مهولة فى الهكتار الواحد وعبر الطرق والأنفاق ستزداد المتاريس إلى ٨٠٠ بدلاً من ٤٠٠ وستضطر طواقم الإسعاف إلى مجابهة النمل، الذى يغزو جراح ضحايا الحوادث.

وعلى الإنسان استخدام الأنواع الحديثة من الطعوم والأدوية.

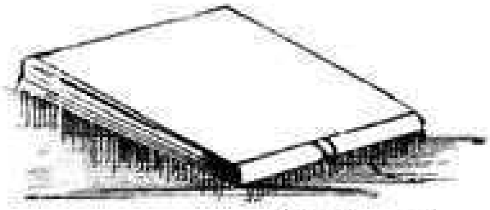
الأضرار التى تصيب الحيوانات والطيور

ولأن صغار الظباء تقف غريزياً بلا حراك عندما تحس خطراً فإنها تصبح صيداً سهلاً للنمل النارى الذي ينطلق على الفور إلى مناطق تجمع بخار الماء حول أعين وأفواه تلك الظباء كما أن جيوش النمل الجرار تهاجم أسراب الطيور وبيض السماطى ولا يحلو لها مهاجمة البيض إلا عندما يقوم المخلوق الواهى بنقب البيضة ليخرج إلى الحياة مما يؤدى إلى إبادة الكثير من الحيوانات والطيور فى مهدها.

وبعد: فإن ما تتخذه تلك الحشرة من أنماط وأشكال متعددة، يدفعنا إلى ترديد ذلك البيت

أخا الدنيا أرى دنياك أفعى
تبدل كل آونة إهابا

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

مقومات النصر

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائي والتطور المتلاحق في الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافي؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق في نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما في المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

المؤلف
صالح الحديدى

الناشر
مركز الإعلام العربى

• هذا الكتاب وهو ملحمة الملأ من بنى إسرائيل، نموذج عملى للقصص القرآنى والسنة الإلهية، التى تضبط حركة التاريخ الإنسانى ومسيرته.

• ففيها إطلالة على قصة الملأ من بنى إسرائيل، وهم الفئة المؤمنة التى ثبتت مع نبيها، وقاتلت مع ملكها «طالوت» أعداء الله بقيادة جالوت.

• ولعل فى هذه الملحمة بعض الدروس والتوجيهات، التى تفيد المسلمين إذا أحسنوا



توظيفها في حسم صراعهم العقدي المصيري مع اليهود، والصليبيين وأعوانهم، وفي النهوض من كبوتهم بعد أن فقدوا شروط الوعد بالنصر.

* تناول الكتاب مقدمة شرح فيها المؤلف العبر والعظات، التي تناولها القرآن الكريم في قصصه لتكون لنا منارة وهداية وأسوة عملية في حياتنا.

وتمهيد تناول تجربة في حياة الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى.. بعدما أخرجوا من ديارهم وأبنائهم، ونهبت مقدساتهم وذاقوا الويل بسبب انحرافهم عن هدى ربهم وتعاليم نبيهم.

* بعد ذلك وضح المؤلف في نبذة مختصرة تاريخ بني إسرائيل حتى بداية القصة.

* وتحدث فيها عن عصر ما قبل نبي الله موسى - عليه السلام - ثم دخول بني إسرائيل مصر وإقامتهم فيها وخروجهم منها.

* ثم رفضهم دخول الأرض المقدسة ودخولهم فيها بعد ذلك.

* بين المؤلف أيضا معالم ملحمة بني إسرائيل كإقرار القتال في سبيل الله، اختيار طالوت ملكا، والشرب من النهر.

* أشار المؤلف أيضا إلى خطوات الإعداد التي اتخذها الملأ من بني إسرائيل للانتصار ضد البغي والوهن والهزيمة.

كاتباعهم الخطوة الإيجابية الأولى للرجوع إلى الله واتباعهم لسنته عند مواجهتهم بهزيمتهم.

* وأيضا مجادلة نبيهم لهم، وتأييد الله لقرارهم وإعدادهم للطاعة والامتثال لأمر الله وإعدادهم لقوة التحمل للمشقة واستمرار إعدادهم حتى خلال المعركة، وأخيرا طرح المؤلف نماذج تطبيقية لموضوع الإعداد المذكور في القرآن الكريم.

أم القرآن والسبع المثاني

عزيزي القارىء : إن أم القرآن هي زاد دائم، في القلوب، وأنشودة يتردد صداها في الأسماع، وعذوبة تستلذها الأذواق، وتمتلىء بها الشفاه، لا يمل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها من ترديدها في جميع الأوقات، وكل الصلوات وفي سائر الركعات، فلها حلاوة وعليها طلاوة.

* في العدد السابق من مجلتنا الغراء عرضنا كتابا بعنوان: أم الكتاب (الفاتحة) والتي طرح فيها المؤلف أسراراً جديدة، وأسرارا للحروف المتقطعة، ومفهوماً جديداً لسورتي الفلق والناس، ثم تناول الحماية من

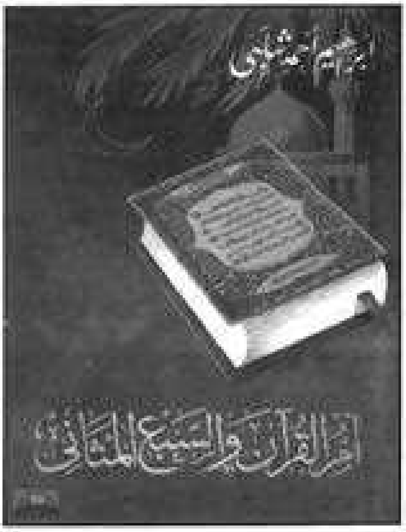
الشرور والرقية بالنسبة للذى يصاب بالعين، أما فى هذا الكتاب فهو يحمل بين دفتيه تفاسير، تشرح كل ركن من أركان العبادة، ومخ العبادة أى: حقيقتها الخالصة، ولبها الصحيح، ففى التفكير، والتذكر والاعتبار، ثم أهمية دراسة أم القرآن والجدوى منها، ورأى جمهور الأئمة وعلماء الدين فيها، من حيث إنها المجزئة وحدها فى الصلاة.

وأشار إلى فضلها، وأنها سميت بأم القرآن، لأنها جمعت معانى القرآن كله وحوت علومه إجمالا، واشتملت على المقاصد الأساسية فيه، وتضمنت أهدافه بإيجاز، وطرحت أم القرآن القصص والأخبار عن الأمم السابقة السعداء منهم والأشقياء فى قوله -تعالى-:

﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾(1).

ووضح المؤلف بعض الاختلافات الفقهية فى نسيان قراءة الفاتحة فى الصلاة، ثم جواب الإمام مالك عن نسيان عمر - رضى الله عنه - للقراءة والتعقيب على هذا النسيان، وقال فضيلة الشيخ محمود شلتوت مناصرا ومؤيدا شيخه المراغى: إن الحنفية صرحوا بأن الصلاة بالتفسير غير جائزة بالإجماع، ولو فى حالة العجز.

ثم تطرق المؤلف لموضوع الترجمة وبجواز



الترجمة مطلقا، وطرح رأى المذاهب فى هذا الموضوع بوضوح ورؤية فقهية صحيحة وقوية.

هذا الكتاب جمع فيه المؤلف كل ما يتعلق بأم الكتاب من الناحية الفقهية والاختلافات بين المذاهب، فيما يتعلق بشأنها فى الصلاة، وغير الصلاة، فهو مليء بالتفاسير والأحاديث والآراء، والأقوال التى تعبر عن هذه السورة القصيرة التى تجمع بين دفتيها معانى كثيرة، لكل مسلم ومسلمة، وهى الذكر المتلو على اللسان أكثر من مرة فى اليوم والليلة، وفضلها فى الدعاء، ومكانتها بين سور القرآن الكريم، وأخيرا طرح المؤلف المراجع التى استند إليها وقد وصلت إلى ثمان وستين مرجعاً.

(1) سورة الفاتحة (7).

ألفاظ اللهجة الكويتية فى كتاب لسان العرب لابن منظور

* يقدم هذا المؤلف معجما مرتبا على طريقة لسان العرب لابن منظور يشمل كثيرا من ألفاظ اللهجة الكويتية الموجودة بألفاظها ومعانيها في لسان العرب.

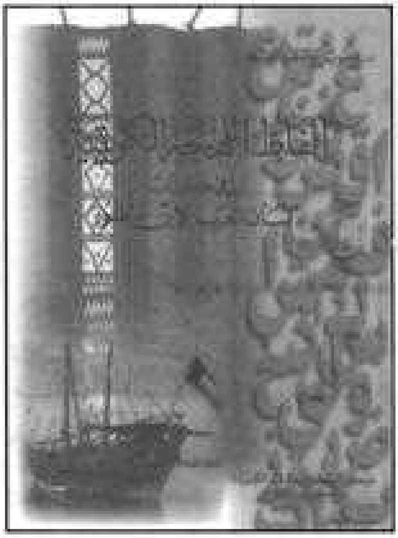
* هذه البحوث والدراسات قد تفيد القارىء والباحث في اكتساب وإضافة كلمات عربية فصيحة مهما كانت ألفاظها، ولهجاتها بين أبناء الوطن الواحد والمؤلف فى هذا الكتاب حريص على إبراز اللهجة الكويتية والارتباط بينها وبين لغة العرب الفصحى.

* هذا البحث يشمل جزأين: أولهما تحدث فيه المؤلف عن صاحب اللسان، وهو الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، بن منظور، وهو من أشهر المعاجم العربية، فهذا المؤلف يجد فيه القارىء - إلى جانب معاني الكلمات - العديد من الفوائد في اللغة والأدب والشعر والأخبار، وتفسير بعض الآيات، وعددا من الأحاديث النبوية.

* والمؤلف يرصد فى هذا المعجم بعض الكلمات التى استخدمت فى اللهجات الكويتية ومتواجدة فى لسان العرب.

ومن تشابه الأساليب قولهم: أتاني فلان وقد هدأت الرِّجل أى عند القيلولة أو فى الليل بعد أن يخلوا الطريق من السالكين.

وطرح أمثلة وكلمات كثيرة وشرح معانيها سواء فى اللهجة الكويتية أو فى لسان العرب وطرح - أيضا - بعض اللهجات الدخيلة على اللهجة العربية الخالصة، وهناك صفات صوتية ذكرها الدكتور



إبراهيم أنيس فى الصفات الصوتية التى تميز اللهجات.

* ثم ذكر الخلاف مع بعض الدول المجاورة فى اشتراك اللهجات بينهم وانتساب بعض اللهجات إليهم.

* وأخيرا طرح المؤلف خاتمة بين فيها ما يحتويه المؤلف ومما تضمنه لسان العرب وبعض اللهجات التى اندثرت والبعض الآخر ماليس مدونا في لسان العرب ثم تناول الألفاظ من بداية حرف الألف حتى حرف الياء، وذكر ما استند إليه من مراجع، وفهارس، كفهرس الألفاظ، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس الأماكن، وفهرس الكتب، وفهرس الموضوعات.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

الأمثال الشعبية ونداء الأقصى

أرسل إلينا القارئ / عوض على أحمد على من شبرا قبالة السنبلاوين دقهلية هذه الرسالة تحت عنوان: «حكم .. ولكن».

ورسالة القارئ رسالة جيدة حيث احتوت على أفكار من ذلك النوع الذى يثير النقاش ويحفظ الحوار دافقا والحديث موصولاً.

ولنبدأ مع القارئ فيما اتفقنا عليه، إذ يقول:

« .. لاشك أن «الأمثال الشعبية» تمثل ضمير الشعوب وخلاصة خبرتها وعصارة تجاربها، ويسوقها الكثيرون منّا كدليل مقنع ساطع لا يقبل الشك ولا يقترب منه الريب ليحض نفسه أو يُحَمّل لغيره الإقدام على فعل ما أو إتيان سلوك معين فى موقف محدد.

ولا اعتراض لنا على ذلك مادامت هذه الأمثال تستظل بمظلة الإسلام وتستمد من نهره الفياض بالحكمة ولا تخرج قيد أنملة عن أوامره ونواهيه وروحه ومبادئه، فهل تنطبق هذه المواصفات على جميع الأمثال أو بمعنى آخر هل التزمت كل الأمثال بحدود الإسلام وتشربت أفكاره وتعاليمه؟

فالأمثال الشعبية حكم غالية ولكن ينبغى تنقيتها مما شابها وعلق بها من أدران ومفاسد ونستبقى ما توافق منها مع تعاليم ديننا الحنيف ونبذ ما تعارض مع الشرع..».

ونختلف مع القارئ الكريم حينما يقول:

«فماذا يمكن أن يقال عن المثل القائل: «أنفق ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب» غير أنه دعوة صريحة إلى أن تكون من المسرفين المبذرين إخوان الشياطين.

ووجه اختلافنا معك أيها القارئ العزيز أنك صببت جام غضبك على نص مجرد من مناسبته، وهو أمر لا يجب أن ننساق وراءه، وعلينا أن

تتذكر ان لكل مقام مقال وإنه اذا صلح المقال لمقام، فربما لا يصلح في مقام غيره.

فإذا قلت هذا المثل لرجل بخيل يضن بماله على أولاده، فقد ناسب قولك مقتضى حاله.

بل هي دعوة لان يقوم ذلك الرجل بالواجب المنوط به من تربية لأولاده، ونبذ وساوس الشيطان التي تصور له مخاطر الإنفاق التي قد لا تاتي أصلاً.

وعليك – عزيزي القارئ – ان تتذكر قول الرسول الكريم: «اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا»[1].

وعلي هذا فإني أرى أن المثل غيرمعيب، ولكن يجب أن يستخدم عندما يقتضي المقام ذلك.

واختلف معك –أيضا– أيها القارئ الكريم عندما تقول:

ومن الأمثلة المهلكة الـ ...... الخاطئة

«الذي يحتاجه البيت يحرم علي الجامع».

وأقول:

إن المسجد – يا أخي العزيز – تتفاوت حاجته من احتياج عادي أو ضروري إلى الحاجة الماسة.

فحاجة المسجد إلى الفرش والإنارة والمياه... الخ تتراوح بين العادية والضرورية.. وان المسجد مسئولية جماعية تقع على اهل الحي كلهم بل والمسلمين جميعا، اما اولادك وبيتك فمسئولية شخصية فلك ان تقارن بين هذه المتطلبات ومتطلبات أبنائك من احتياجهم للتعليم او الغذاء أو التسلية والمرح وعليك أن تزن الامور وتُغَلِّب ما يكون اكثر حاجة «فالضرورة تقدر بقدرها».

واستقراءً لروح النص تقول – أيضا – : «وما يحتاجه المسجد يحرم على البيت».

وحاجة المسجد للبقاء تماثل حاجة الإنسان للحياة تتضاءل أمامها كل الحاجات.

وها هو الاقصى يصرخ ويئن، ويعلن انه محتاج، يحتاج مساعدة كل مسلم، يحتاج الا تسفك دماء الابرياء بين جنباته.

يطلب كل عون وكل مساعدة تحول دون تكرار ماحدث لمحمد الدرة، حتى لا يستشهد محمد درة آخر برصاص الغدر.

نعم.. إن الأقصى ينادي فهل من مجيب! هل لنا أن نتبرع ولو براتب يوم واحد من مرتباتنا؟

فليس بكثير أن نجمع للأقصى ١ / ٣٠ من دخلنا لندعم من يناضلون من أجل القدس وليس في أيديهم غير الحجارة، علينا أن نحول حوارنا إلى أفعال حتى نرى الثمرة ونستعيد عزة وكرامة ومكانة القدس وهنا فقط نكون قد فهمنا حكمة أجدادنا.

فحكمة الاجداد التي تقضي بأن ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع هي التي تقضي بأن ما يحتاجه الجامع يحرم على البيت.

وإلى رسائل القراء احتفاء بشهر شعبان:

---

(١) رواه البخاري.

شهر شعبان في الميزان

وعن شهر شعبان وردت هذه الرسالة من القارئ حاتم إبراهيم سلامة / سنجرج / منوف:

يقول فيها: «يتفاضل الناس بعضهم على بعض، كما يتفاضل الأنبياء قال تعالى:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾(١)

أي أن المفاضلة بينهم غير ممنوعة ولا محالة، فالعزائم تختلف، والمواقف تتغاير، وكل شئ في الدنيا فيه الفاضل والمفضول.

وكذلك تلك الأيام التي يعيشها الإنسان والتي تمثل حاضره ومستقبله، بل كل حياته، فترى الأيام تتفاضل، وتتبعها كذلك الشهور والسنون، فهذا يوم الجمعة يعلو على سائر الأيام، وهذا رمضان علا فضله على سائر الشهور، وعام الفيل ماذاقت البشرية في غيره نوراً ولا أملاً كما ذاقت فيه بميلاد الرسول فالتفاضل سنة إلهية، عليها مدار الحياة جميعاً، وإذا كان التفاضل بين الخلائق بالتقوى والصلاح اللذين هما ميزان التمايز، فإن هذا الميزان في الإسلام هو نفسه الذي يحكم التفاضل في كل مظاهر الكون، فالشهور أعظمها وأفضلها ما كان فيها رحمة من الله وغفران يناله العبد من ربه وخالقه، فيزيد ثوابه وترفع حسناته.. ومن هذه الشهور التي منّ الله بها على عباده شهر شعبان.. وكيف لا يكون واسمه دلالة على حاله؟ فما سمي كذلك إلا لتشعب الخير فيه، وتنزل الرحمات والبركات.. فهو محصور بين درتين، واسطة بين شهرين، فرجب قد مضى عنك، ورمضان آت بعده فشعبان قد جعله الله - سبحانه وتعالى - مقدمة لأعظم شهر وهو رمضان، جعله مقدمة تستحب فيها الأعمال والطاعات من صيام وغيره لكي يتأهب لرمضان فلا يشق عليه إذا جاء، فهو مقتبس من نور، وهو الجار الذي تعطر من أريج جاره، بل هو البشارة الأولى لشهر الغفران.

- لقد كان السلف يدركون قيمة شعبان، ومقامه قبل رمضان، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه- قال: «كان أصحاب النبي -ﷺ- اذا نظروا إلى هلال شعبان أكبوا على المصاحف يقرءونها، وأخرج المسلمون زكاة أموالهم، ليتقوى بها الضعيف والمسكين على صيام شهر رمضان، ودعا الولاةُ أهل السجن، فمن كان عليه حد أقاموه عليه وإلا خلوا سبيله، وانطلق التجار فقضوا ما عليهم، وقبضوا ما لهم، حتى إذا نظروا إلى هلال رمضان اغتسلوا واعتكفوا» الغنية ١ / ١٨٨.

وبعد هذا العرض المشرف لتاريخ السلف في شعبان، هل يوجد من يُعيد تلك السجايا والفضائل في هذا العصر الذي غفل فيه الكثير عن قيمة شعبان، وفضل شعبان.

---

(١) البقرة ٢٥٣.

لماذا لا نُعيد تلك المآثر وهذه الطاعات في هذا الموسم الذي تُوج بليلة من أعظم الليالي التي يفتح الله فيها بالخير على عباده، وهي ليلة النصف من شعبان فعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «يطلع الله إلي جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن» رواه الطبراني وابن حبان، والهيثمي في مجمع الزوائد، والدمياطي في المتجر الرابح.

اللهم يا ربنا بارك لنا في شعبان، وأنلنا منه شهادة تؤهلنا لرمضان.

شهر شعبان

وعن شهر شعبان وفضل ليلة النصف من شعبان كانت هذه الرسالة التي بعث بها القارئ/ حسام جابر محمد عبدالعزيز/ محرم بك الأسكندرية:

حيث يقول:

سبب التسمية: سمي شهر شعبان بهذا الأسم لأن العرب كانوا يخرجون فيه للقتال بعد انتهاء شهر رجب (أحد الأشهر الحرم) وكانوا يتشعبون «ينتشرون» هنا وهناك.

فضائل شهر شعبان:

١- فرض الله -تعالى- فيه على المسلمين الصيام في السنة الثانية بعد الهجرة.

٢- قال الإمام الشافعي -رضي الله عنه-: بلغنا أن الدعاء يستجاب في خمس ليال: ليلة الجمعة، والعيدين وأول رجب ونصف شعبان.

٣- به ليلة النصف من شعبان التي فيها تم تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلي الكعبة المشرفة، قال -تعالى-:

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾(١)

٤- وردت في فضله أحاديث شريفة مسندة في الصحيحين منها: قوله -ﷺ-: «شعبان شهري، ورجب شهر الله، ورمضان شهر أمتي» وقيل شعبان شهر التسبيح وقيل شعبان لستر العيوب وقيل شعبان للشفاعة.

- عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ما كان رسول الله -ﷺ- يصوم في شهر أكثر من صيامه في شهر شعبان.

... وغير ذلك كثيراً

من أسماء ليلة النصف من شعبان:

١- ليلة الإجابة ....

٢- ليلة عيد الملائكة، لما ورد أن للملائكة في السماء ليلتين هما: عيد ليلة النصف من شعبان وعيد ليلة القدر.

---

(١) سورة البقرة ١٤٤.

٣- ليلة الشفاعة والعتق، لما ورد عن عائشة -رضي الله عنها - «إن جبريل نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن الله -تبارك وتعالى- قد اعتق من النار نصف أمتك وفيها أعطى تمام الشفاعة.

٤- ليلة الغفران، أخرج الإمام أحمد في مسنده أن الله - عز وجل - يطلع ليلة النصف من شعبان إلى العباد فيغفر لأهل الأرض إلا رجلين مشرك ومشاحن».

واجبنا من أجل إحياء هذا الشهر:
إحياؤه بالصوم والاستغفار ودعاء الله والتقرب منه.

... أرجو أن أكون وفقت فيما أردت أن أبلغه..
... وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

وصايا الآباء للأبناء

ومن الأستاذ/ ابراهيم عبدالوهاب شرف - المحامي لدى النقض ومدير الإدارة القانونية - بجامعة المنصورة - وردت هذه الرسالة التي تحض الأبناء على أن ينهلوا من منبع رائق، ومعين صاف.

يقول: والأبناء هم زينة الحياة الدنيا كما جاء في قول المولى - جل وعلا - في سورة الكهف:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(١).

الآية ٤٦ وهم - أيضا - أكبادنا، كما جاء في قول الشاعر:

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض

وباعتبارهم كذلك، فقد جاءت وصايا كثيرة، تحض الأبناء على فعل الخيرات، واجتناب السيئات، وأيضا تحثهم على فعل المعروف، والبعد عن المنكر، ولعل أشهر وصية تناولها كتاب ربنا - جل وعلا - هي وصية لقمان لابنه في السورة التي تحمل اسمه «سورة لقمان».

يقول المولى:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۝ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝ ﴾(٢).

وفي تراثنا العربي من نصح الآباء للأبناء ما فيه الكفاية، والدلالة على عناية العرب

---

(١) الكهف ٤٦.
(٢) لقمان ١٧: ١٩.

بالتربية الحسنة . وهذه النصائح كما ذكرت آنفاً تعتبر بمثابة مواثيق تربوية سبق بها العرب الغرب، بمدارسهم المختلفة، في أصول التربية، ومن برامج تقوم بتدريسها كليات التربية المختلفة الآن.. وسأسوق إحدى هذه النصائح الغالية وهي الخاصة بمروان بن محمد، والذي أرسلها إلى ابنه عبدالله حين أرسله لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي، وقد كتبها عبدالحميد الكاتب وهي تعد من دُرَر الرسائل وقد بدأها عبدالحميد الكاتب على لسان مروان موصيا بقراءة كتاب الله وإدامة النظر فيه، وترداد الرأي في محكم آياته، وبتعهد النفس بمجاهدة الهوى، فإنه مغلاق الحسنات ومفتاح السيئات وخصم للعقل.. اعلم أن كل أهوائك لك عدو يحاول هلكتك، ويعترض غفلتك، لأنها خدع إبليس وحبائل مكره ومصايد مكيدته، فاحذرها مجانبا لها، وتوقها محترسا منها، واستعذ بالله من شرها..

واستماعك فأرعهُ حسن الفهم، وقوهُ بإشهاد الفكر، وعطائك فامهد له بيوتات الشرف وذوي الحسب، وتحرز فيه من السرف واستطالة البذخ، وامتنان الصنيعة، وحياءك فامنعه من الخجل وبلادة الحصْر (عدم المقدرة على الكلام) عن التهاون، واحضره قوة الشكيمة، وعقوبتك تقصِّدْ بها عن الأفراد، وتعمّد بها أهل الاستحقاق، وعفوك فلا تدخله تعطيل الحقوق. وخذ به واجب المفترض وأقم به أود الدين.

لتكن بطانتك وجلساؤك في خلوتك، ودخلاؤك في سُرك أهل الفقه والورع من خاصة بيتك، وعامة قوادك ممن حنكته السن بتصاريف الأمور، وقلبته الأمور في فنونها، وركب أطوارها، عارفا بحسن الأمور، ومواضع الرأي، عن المشورة ويصل مروان في وصيته لابنه إلى أهم نقطة استرعت انتباهي وهي الخاصة بعدم ممازحة السفيه.. إياك وممازحة السفيه، واعلم أن جماع الخير الحياء فعليك به واعلم أن السكوت عن الأمر الذي يعنيك خير من الكلام، فإذا اضطررت إليه فتحر الصدق والإيجاز تسلم إن شاء -الله تعالى-.

والوصية طويلة.. لكنها احتوت على مبادئ وتعاليم لو عمل بها أي انسان.. لقضى حياته في راحة الضمير وهدوء البال.. ويرقى إلى أعلى عليين.. ويصير إنسانا يشار إليه بالبنان - وهي في مجموعها جماع للأخلاق الفاضلة والخصال النبيلة.. وياليت أبناءنا يعملون بما جاء فيها تعتبرنها نبراسا لهم في حياتهم.. فيشبون على الفضائل ويبعدون عن الرذائل.. فيكون الخير والسعادة لهم ولأسرهم.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف بحديقة الخالدين بالدراسة الدكتور / داتو حلمى بن يحيى نائب كبير الوزراء بولاية بيناج بماليزيا والحاج حسن بن أحمد مفتى الولاية والوفد المرافق فى ٢٥ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ٢٣ / ٩ / ٢٠٠٠م

رحب فضيلته بالوفد فى الأزهر الشريف قلعة العلم وقبلة العلماء ومنارة التربية الروحية والخلقية لأبناء المسلمين قاطبة.

شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على العناية بأبناء ماليزيا فى مصر وأزهرها الشريف وما يلاقونه من حفاوة ومن تعليم ودراسة وإقامة وعلاج وغذاء حتى يعودوا إلى بلادهم وقد حصلوا على أرفع الشهادات من الأزهر الشريف.

وطلب الوفد زيادة عدد المنح الدراسية وخاصة فى الدراسات العليا، وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة طلبهم تمهيدا لتلبيته، والموافقة على المنح الدراسية تأتى استجابة لاحتياجات أبناء العالم الإسلامى للدراسة بالأزهر الشريف وجامعته العريقة، انطلاقا من دور مصر الريادى تجاه العالم كله والعالم الإسلامى بصفة خاصة وتأكيدا على سماحة الإسلام وما تتصف به الدراسة بالأزهر الشريف من وسطية واعتدال.

● التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بالوفد الصومالى برئاسة الشيخ / أحمد عبدى داعيسو أمين عام المجمع الإسلامى بالصومال يرافقهم الأستاذ الدكتور / جمال أبوالسرور عميد كلية طب الأزهر فى ٢٦ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ/ ٢٤/ ٩/ ٢٠٠٠

رحب فضيلته بالوفد فى رحاب مشيخة الأزهر الشريف معربا عن أن مصر وأزهرها الشريف فى خدمة دولة الصومال الشقيقة،

وأوضح أن صلة الأزهر بالصومال صلة قديمة وممتدة منذ عشرات السنين حيث للأزهر الشريف بعثات من العلماء في الصومال منذ أكثر من ثمانين عاما تعلم أبناء الصومال تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وأن للصومال طلبة يدرسون بالأزهر الشريف في كل مراحل التعليم المختلفة حتى الجامعة.

أعرب الوفد عن شكره وتقديره لدور الأزهر الشريف ومصر للوقوف إلى جانب دولة الصومال والتسهيلات والمنح الدراسية التي تخصص لأبناء الصومال للدراسة بالأزهر الشريف، وأن البعثات التي يرسلها الأزهر الشريف لتعليم أبناء الصومال لها دور إيجابي وفعال لدى شعب الصومال، وأن كثيراً من قيادات الصومال قد تخرجت في الأزهر الشريف وجامعته العريقة وفي نهاية اللقاء شكر الوفد الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة، والتعاون المثمر بين البلدين.

كما التقى الوفد بفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وذلك للتنسيق في مجال التعليم وتنظيم البعثات من الأزهر الشريف وكذلك استقبال الطلاب.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد طلاب وطالبات المعهد الابتدائي الأزهري بسور إليزابث بجنوب افريقية يرافقهم مدرسون وبعض أولياء أمور الطلبة وذلك في ٢٨ من جمادى الآخرة ١٤٢١ / ٢٦ / ٩ / ٢٠٠٠م

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالطلبة والطالبات والمدرسين والمدرسات وأولياء الأمور وحياهم على جهودهم المبذولة في دولتهم من أجل تربية هذا النشء تربية إسلامية طيبة، وهؤلاء الطلبة والطالبات يدرسون في معاهدهم كتب الأزهر الشريف ومناهجه التي تدرس لزملائهم في مصر والتي تمتاز بالوسطية والاعتدال، ويقوم بالتدريس لهم علماء من الأزهر، والأزهر الشريف لا يدخر وسعا في مساعدتهم والوقوف معهم، والأزهر على استعداد دائم لفتح معاهد جديدة في بلدان العالم الإسلامي ويقوم بإرسال الكتب المقررة والمدرسين الذين يقومون بالتدريس. ومما يذكر أن في جنوب افريقيا خمسة معاهد ابتدائية أزهرية يمدها الأزهر بالكتب والمدرسين وقد أهداهم فضيلته مصحف الأزهر الشريف المفسر.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد معهد الإذاعة والتليفزيون بجمهورية مصر العربية وذلك في ٥ من رجب ١٤٢١هـ/ ٣ / ١٠ / ٢٠٠٠م وذلك في إطار الدورة البرامجية العامة التي يعقدها معهد الإذاعة والتليفزيون للمذيعين والمحررين والمترجمين من أجل غرس القيم الأخلاقية الصحيحة.

وقد ألقى فضيلته محاضرة تحت عنوان القيم الأخلاقية للعمل في الإسلام، موضحا لهم بأن الإعلام يعد على رأس الأمور الهامة في خدمة المجتمعات والأمم والدول، ولأننا نرى بأعيننا أن العالم أصبح اليوم كقرية صغيرة، فما يجري في أقصى الشرق يعلم به ويعرفه من هو في أقصى الغرب، وأن حاجة الإنسان اليوم ماسة للإعلام في كل وقت من ليل أو نهار، والإذاعات المسموعة والمرئية ممتدة على مدار ٢٤ ساعة والإعلام مطلوب للكبير والصغير على السواء.

وأكد على أن الكلمة الصادقة لها أثرها في حياة الأمة وفي تربية أبنائها، وأن أساس الإعلام الصدق فإذا انحرف الإعلام عن الصدق في دولة ما عند ذلك خسارة كبيرة لتلك الدولة، لأن الدول التي تلتزم في إعلامها بالصدق يحترمها العالم إن لم يكن اليوم فغدا.

وأكد فضيلته بأن ما شاهدناه في وسائل الإعلام من أحداث في فلسطين تأثرنا به، حيث سقط الشهداء والأبرياء من الرجال والنساء والأطفال وهم يدافعون عن أرضهم ومقدساتهم وعن دينهم وحقوقهم وأوطانهم، مشيرا إلى أن الإنسان إما يعيش حرا كريما أو يموت شهيدا عزيزا، وأوضح إننا مع إخواننا في فلسطين لأنهم عن الحق يدافعون، وديننا يأمرنا أن ندافع عن حقوقنا ومقدساتنا ونحن مع أبناء فلسطين حتى يستردوا حقوقهم كاملة غير منقوصة، ومصر خاضت أربعة حروب من أجل فلسطين في أعوام ٤٨، ٥٦، ٦٧، ٧٣ ونحن نحتفل بالذكرى السابعة والعشرين لحرب العاشر من رمضان، والإعلام المصري له دوره البارز في ذلك من تذكرة وتعليم لأبنائنا الذين لم يشهدوا تلك الأحداث العظيمة وذلك النصر الكبير، ليتذكروا الشهداء الذين بذلوا حياتهم وأرواحهم لنعيش في عزة وكرامة مشيدا بدور السيد الرئيس محمد حسني مبارك ومواقفه الشجاعة والحكيمة تجاه القضية الفلسطينية ودعوته لجمع شمل الأمة العربية والإسلامية تجاه قضية القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وإليه مسرى رسول الله -ﷺ- ومنه كان معراجه إلى السموات العلا ثم إلى سدرة المنتهى. ثم أجاب عن أسئلتهم واستفساراتهم حول دور الأزهر الشريف في الداخل والخارج وحول وجود قناة فضائية دينية إسلامية متخصصة تحت إشراف الأزهر الشريف وأوضح فضيلته أن الأزهر والمؤسسات الدينية في مصر لها اشتراك على الانترنت للرد على ما يثار من شبهات حول الإسلام.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد موشيلي إسماعيل سفير جمهورية الكاميرون بالقاهرة في ١٦ من رجب ١٤٢١هـ/ ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٠م

رحب فضيلته بالضيف معربا له بأن الأزهر في خدمة أبناء المسلمين في شتى بقاع الدنيا، وأبناء الكاميرون الذين يدرسون بالأزهر الشريف على منح منه يلقون كل رعاية وعناية مثل إخوانهم في مصر جنبا إلى جنب، والأزهر لا يدخر وسعا في تقديم كل عون ومساعدة للمسلمين في جمهورية الكاميرون، شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر الشريف على حسن اللقاء وعلى رعاية طلاب الكاميرون وعلى الكتب التي أرسلها الأزهر لدولة الكاميرون، وعلى السادة العلماء الذين أوفدهم الأزهر إلى الكاميرون لتعليم أبناء المسلمين صحيح الإسلام ووسطيته وسهولته ويسره، كما نقل الضيف تحيات جلالة السلطان قوميان إبراهيم سيومبوا تحويا إلى فضيلة شيخ الأزهر وشكره العظيم على الحفاوة التي استقبله بها فضيلة شيخ الأزهر أثناء زيارته للأزهر الشريف في ٢٠ من يوليو سنة ٢٠٠٠ وتقديم التسهيلات والمساعدات للكاميرون وطلب السيد السفير تمكين بعض الطلاب الجدد الذين

حضروا للدراسة فى الأزهر فى مدينة البعوث الإسلامية. ووعد فضيلته بتلبية طلبه معربا عن أن الطلاب يسكنون فى قلوبنا وسيتم تسكينهم اليوم بإذن الله

● كما استقبل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف الضيف وذلك استكمالا لإنهاء إجراءات طلب السيد السفير والعمل على تذليل أية عقبات تعترض الطلاب.

افتتاح الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

افتتح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف الموسم الثقافى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية وقد ألقى فضيلته محاضرة بعنوان (أركان الدعوة إلى الله) وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمسجد النور بالعباسية يوم الأحد ٢ من رجب ١٤٢١ هـ/ ٣٠ / ٩ / ٢٠٠٠م.

وأكد فضيلته على أن الأديان فى أصولها وجوهرها واحدة حيث تدعو جميعها إلى التوحيد لله -عز وجل- وإلى مكارم الأخلاق، وأنه لا خلاف فى الأصول، وإنما الخلاف فى الفرعيات، والعقل هو الأداة الرئيسية فى المعرفة من أجل توصيل الرسالة الصحيحة، وقال: إن الدعاة هم حملة الأمانة للدفاع عن هذه المبادىء والحقوق الشرعية وذلك بالأسلوب الحكيم والحجة المقنعة والأدب العالى والعقول تقتنع بهذا الأسلوب تأسيا واقتداء بالرسول -ﷺ- فى تبليغ الدعوة السمحة عن رب العالمين، وقال إن الداعية الناجح هو الذى يداوم على مدارسة العلم ويتجدد مع الأحداث، ويخاطب الناس حسب أحوالهم ومفاهيمهم والتدرج فى الدعوة، وقال: إن الإسلام سيظل إلى أن تقوم الساعة يتخذ من الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن منهجا فى عرض مبادئه وقيمه على البشر جميعا، لتصبح مجتمعاتنا الإسلامية خير المجتمعات بالفعل وليس بالقول وقال: إن الشباب مطالب بأن يغضب لدين الله وذلك يحتاج منه إلى الفهم وليس له أن يتعصب لأمر شخصى مستخدما بذلك سلاح الباطل وكان رسول الله -ﷺ- لا يغضب لنفسه، ولكنه يغضب أشد الغضب إذا ما انتهكت حرمات الله، فشأن المؤمن الثائر بالخير والشر ولكن من أجل إعلاء كلمة الله وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وأكد فضيلته على أن السياسة الحكيمة هى من الأساليب الناجحة التى استخدمها رسول الله -ﷺ- فى دعوته ومنها ترك الأمور التى يثار بسببها فتنة فلا يأتى الداعية إلى المسألة الهينة ويقيم الدنيا من أجلها، وأن يعامل الداعية الناس على حسب تقواهم لا على حسب غناهم ولقد كان رسول الله -ﷺ- يقوم بكل هذه الأساليب الناجحة فى دعوته من أجل أن يقتدى به أتباعه خصوصا الدعاة وذلك امتثالا لقوله -تعالى-:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[1]

وقد وجه الدكتور وزير الأوقاف الشكر

---

(١) الأحزاب/ ٢١.

لفضيلة الإمام الأكبر لحرصه الشديد على افتتاحه الموسم الثقافي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية منذ بدايته وطالب فضيلته الدعاة بأن يهتموا بالتدليل في كل شيء يقولونه بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية المطهرة وأن يقوموا بالدعوة سلوكا وعملا وقولا من أجل إقناع الناس وتعليمهم.

● ● ●

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه الرئيس الأعلى لكنيسة الأرمن الأرثوذكس بأرمينيا كاثوليكوس كاريكين الثاني والسيد سفير أرمينيا بالقاهرة والوفد المرافق في ١ من رجب ١٤٢١هـ/١٦-١٠-٢٠٠٠م رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه وقال: إن الأديان السماوية تدعو إلى الإخاء والأمن والأمان والإخلاص في العبادة لله وحده، وتدعو إلى التحلي بمكارم الأخلاق، ونشر الفضائل في المجتمعات الإنسانية ونشر العدل بين الناس، والأزهر الشريف تقوم الدراسة فيه على هذه المعاني الكريمة من تسامح وإخاء واعتدال، فالله -سبحانه وتعالى- أوجدنا جميعا من أب واحد وأم واحدة، وتلك المعاني تقرها الأديان السماوية والعقول الإنسانية، ومصر بتاريخها الطويل تسير على هذا المبدأ من التسامح والاعتدال والتعاون بين أبنائها وبين ا لعالم أجمع، ونحن في مصر مسلمين ومسيحيين نعيش كأخوة متحابين وأن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى في الحقوق والواجبات لا فرق بين مسلم وغير مسلم كما أعرب فضيلته عن أن التزاور بينه وبين البابا شنودة قائم على التعاون من أجل نشر الفضائل والسلام والأمان.

شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن الاستقبال والحفاوة ومدى سروره والوفد بهذه الزيارة لوجودهم في مصر المضيافة، كما أعرب عن مشاعر البهجة لهذا اللقاء الذي يعبر عن الصداقة التي تجمع بين شعب أرمينيا ومصر مؤكدا على عمق العلاقة الأرمينية العربية التي ارتقت إلى مرحلة جديدة بفضل استقلال أرمينيا وتبادل العلاقات بين البلدين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والدبلوماسية.

كما نقل تحيات سفير مصر في أرمينيا لفضيلة شيخ الأزهر معربا عن حزنه لما يحدث في القدس حيث تسيل الدماء وحيث يفقد أبناء العرب حياتهم مشيدا بدور الوساطة الذي تقوم به مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسني مبارك من أجل إحلال السلام وعودته للمنطقة ودعا الله أن تتوج جهود الرئيس المصري بدعوته للسلام بالنجاح بعودة السلام على أسس من العدالة، وقال: إننا نصلي من أجل أن تدوم صداقة شعبينا الأرميني والعربي بفضل جهود مصر مؤكدا بأن أبناء مصر يعملون من أجل تقوية الروابط والصداقة العربية الأرمينية. شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على كلماته الطيبة التي تؤيد رسالة الأديان السماوية في نشر السلام والأمان والإخاء بين المجتمع الإنساني بصفة عامة وفي المنطقة التي نعيشها بصفة خاصة وتعاهد الله على أن نكون دعاة لغيرنا إلى السلام والإخاء والمحبة راجيا لدولة أرمينيا الصديقة كل خير ونحن على استعداد دائم للتعاون مع السيد سفير أرمينيا بالقاهرة.

● ● ●

- قام فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ فرحات المنجى المشرف على مدينة البعوث الإسلامية فى ٤ من رجب ١٤٢١هـ-٢ / ١٠ / ٢٠٠٠م بتكريم الدفعة رقم ٤١ للعام ٩٩ / ٢٠٠٠ من طلبة العالم الإسلامى الذين تخرجوا فى جامعة الأزهر الشريف وحصلوا على المؤهلات الدراسية العليا وقد أنهوا دراستهم بجامعة الأزهر وعددهم ٢٥٠ طالبا وطالبة يمثلون ٤٨ دولة من دول العالم.

وقد تحدث فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر قائلا: إن طلاب العالم الإسلامى يؤدون فريضة أمر الله بها وهى تعلم العلوم الشرعية والعربية ومبادىء الدين الحنيف، مشيرا إلى أن المسلمين لن يكونوا شرذمة غثاء ما دام فيهم علماء وطلاب علم يسيرون على نهج رسول الله -ﷺ- والأزهر هو بيت المسلمين جميعا والذى أنشىء للعالم كله يحتفى دائما بطلابه ليكونوا خير الرسل لخير دعوة، وقال: إن طلاب العلم ورثة الرسل فهم يحملون رسالة الإسلام المبنى على العدل والقوة وحماية المقدسات، وأبناء العالم الإسلامى فى الأزهر الشريف عليهم العبء الأكبر فى جمع الأمة الإسلامية لتنتزع حقها من الشرذمة القليلة وقد نصحهم بأن يكونوا قدوة طيبة فى تعاملهم وفى دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن ييسروا على الناس ويبتعدوا عن مواضع الخلاف وهم سفراء لمصر فى دولهم كما أوصاهم أن يكونوا على تواصل بالأزهر الشريف.

ثم تحدث فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف فأكد أن الأزهر الشريف منذ إنشائه وهو منارة للعلم وحصن للإسلام فقدره أن يكون قبلة العلوم الإسلامية فى الأرض، والأزهر إن كان مصرى الموقع فهو عالمى الرسالة وكل مسلم له حق فى الأزهر الشريف، وإن كل يوم يتخرج فيه أبناء العالم الإسلامى من الأزهر الشريف هو يوم خالد فى تاريخ البشرية، لأن هؤلاء الخريجين يحملون مشاعل العلم إلى كل أنحاء العالم مشيراً إلى أن هناك الكثير من قادة العالم الإسلامى من خريجى الأزهر الشريف ولهم بصمات واضحة فى بلادهم، وهذا بسبب تثقيفهم بالعلوم الأزهرية مؤكداً على أن خريجى الأزهر عليهم أن يكونوا دعاة خير وسلام ووحدة شاملة لأن توحد الأمة الإسلامية يمنع استهزاء الطغاة المتعالين بها، وأوضح أن رسول الله -ﷺ- حذرنا من أن يكون المسلمون غثاء متشرذمين حتى لا يأكلنا قطيع الطغاة الذين قاموا منذ أيام بتدنيس وانتهاك حرمة الحرم القدسى الشريف، كما أكد أنه لا سلام بدون عودة القدس وتحرير المسجد الأقصى الذى لن يفرط فيه المسلمون فى أى مكان مشيرا إلى أن أبناء الإسلام مكلفون بأن يكونوا دعاة للسلام القائم على العدل وعودة الحق لأهله وتحرير الأماكن المقدسة، فكما كلف الله علماءه باستقدام المسلمين من كل مكان وقام الأزهر بذلك، فعلى طلاب الأزهر أن ينشروا مبادىء الإسلام، ويحملوا الوفاء لمصر التى حملها القدر أن تدافع عن حقوق الأمة الإسلامية.

وتحدث الشيخ فرحات المنجي المشرف العام على مدينة البعوث الإسلامية فقال: إن مدينة البعوث تجدد من نفسها لاستقبال أبناء العالم الإسلامي حتى يتلقوا العلم دون مشقة، فلم تبخل مصر والأزهر الشريف في يوم من الأيام عن أي مطلب من مطالب أبناء العالم الإسلامي لأنهم سفراء للإسلام في بلادهم.

وفي ختام الحفل قام فضيلة وكيل الأزهر الشريف بتوزيع الشهادات التقديرية والجوائز التشجيعية على الطلاب والطالبات حضر الحفل الدكتور طه أبو كريشة نائب رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وسفراء الدول وعلماء الأزهر والجامعة والعلماء الذين يدرسون في الأزهر من العالم الإسلامي وطلبة البعوث الإسلامية، كما تم توزيع الزى الأزهرى على جميع الخريجين لأول مرة.

افتتاح معاهد أزهرية بمحافظة البحيرة

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ وكيل قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ رئيس الإدارة المركزية للإعلام والعلاقات بزيارة لمحافظة البحيرة يوم ٢٧ / ٩ / ٢٠٠٠ بدعوة كريمة من السيد المهندس / أحمد الليثي محافظ الإقليم وذلك لافتتاح بعض المعاهد بالمحافظة، وقد افتتح مجمع معاهد سليمان عبادة بكوم حفص مركز دمنهور وقد أقيم على مساحة ٢٤ قيراطا، كما تم افتتاح معهد شبرا دمنهور الأزهرى النموذجى والإعدادى بنين كما افتتح معهد تمراز الدينى بالسلقون والمعهد ابتدائى إعدادى ثانوى.

وكان ذلك مشاركة لأبناء شعب البحيرة في احتفالاتهم بعيد المحافظة القومى والذى يواكب ذكرى انتصار شعب رشيد على الحملة الإنجليزية عام ١٨٠٧م وقد تحدث السيد المحافظ فرحب بفضيلة الإمام الأكبر وضيوف الأزهر وقال: إننى أضع أمام فضيلتكم برنامج الافتتاحات التى قام بإنجازها أبناء الإقليم بأسلوب علمى فى كل موقع ويشاركون فى صنع التقدم فى كل جيل باعتبار أن جهد الحاضرين من أجل بناء المستقبل وهذه المعاهد الأزهرية هى منارات للعلم فى أنحاء المحافظة.

وتحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فقال: إننا جئنا إلى هنا لنشارككم احتفالاتكم ولنشكركم ونشد على أيديكم لتقوى عزيمتكم وحينما نرى هذه الصروح وتلك المبانى التى أسست على تقوى من الله ورضوان لتيسر تعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم وعلوم اللغة والشريعة وغيرها من العلوم خدمة لديننا ولأوطاننا، فإن هذا عمل يرضى عنه رسول الله -ﷺ- والمؤمنون، وندعو الله أن يجعل هذا في ميزان حسناتكم يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

جلسة طارئة للمجلس الإسلامى العالمى لدعم انتفاضة القدس

- عقدت هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة جلسة طارئة برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رئيس المجلس وحضور

ممثلين عن المنظمات الإسلامية العالمية الأعضاء في المجلس في ١٢ من رجب ١٤٢١/ ١٠-١٠-٢٠٠٠ وذلك للبحث في نتائج العدوان الإسرائيلي الغاشم على المدنيين وما اقترفه الجنود الإسرائيليون من جرائم وحشية ضد المواطنين الفلسطينيين، وقد افتتحت الجلسة بقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء الذين سقطوا دفاعا عن حقوقهم المشروعة وعن دينهم وعقيدتهم وعن المسجد الأقصى المبارك.

وقد تحدث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رئيس المجلس فقال: إننا نجتمع اليوم من أجل نصرة إخواننا في فلسطين الذين يواجهون العدو الصهيوني واعتداءاته الصارخة على المقدسات الإسلامية والمسيحية، وعلى القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك الذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وإليه مسرى -رسول الله ﷺ- ومنه معراجه -عليه الصلاة والسلام- إلى السموات العلا وإلى سدرة المنتهى، وقد أم النبي -ﷺ- الأنبياء - عليهم السلام - فيه فهو في قلب ودم كل مسلم ونفديه بأرواحنا، وأشار إلى أن قتل الأبرياء من الفلسطينيين يعد انتهاكا لحقوق الإنسان فأين الذين يدافعون عن حقوق الإنسان وحريته وكرامته؟ إننا على استعداد أن نضحي من أجل ديننا ومقدساتنا وأمتنا، وأكد على أن من قتل دفاعا عن دينه وعقيدته ووطنه فهو شهيد، وأشاد بموقف السيد الرئيس محمد حسني مبارك في وقوفه إلى جانب القضية الفلسطينية ودعمه الكامل ودعوته لعقد مؤتمر قمة في أقرب وقت.

ثم تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف فقال: إننا نلتقي اليوم من أجل قضية القدس الشريف وهي قضية هامة تحتشد لها قلوبنا قبل جموعنا لنعلن للعالم أجمع أن إسرائيل تدير ظهرها لكل المنظمات الدولية، وهي تمارس أبشع المجازر البشرية التي لا مثيل لها في شعب أعزل يعاني أشد المعاناة، وأكد على دعوة الهيئات والمنظمات والمؤسسات الدولية وكذلك الدول المحبة للسلام وللعدل أن توقف مثل هذه العربدة، وأن تدعم الفلسطينيين بالمال وبكل ما يحتاجون ماديا ومعنويا.

ثم تحدث معالي الأستاذ كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، فأشاد بدور مصر رئيسا وحكومة وشعبا لأنها تتحدث دائما عن القضايا الإسلامية وتدافع عنها وتضحي من أجلها.

ومصر وأزهرها الشريف القلعة التي تؤدي دورها تجاه العالم العربي والإسلامي وتقف صامدة أمام الأحداث.

وأشار إلى أنه لا سلام بدون القدس الشريف وبدون الأقصى المبارك، وقضية القدس قضية أجيال وأكد على أنه ما لم يقع العدل وتؤخذ الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني فلن يستقر لإسرائيل أمن أو أمان.

ثم تحدث معالي الدكتور عبد الله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي فقال: إن قضية القدس وفلسطين قضية مصيرية وعلى جميع المنظمات والهيئات أن تمدهم بما يحتاجون إليه، ونحن نؤيد اجتماع القمة العربية الذي دعا

إليه السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ونشكر السيد الرئيس على ذلك ونحث القمة فى اجتماعها على اتخاذ الوسائل الكفيلة بمعاونة ومناصرة الشعب الفلسطينى.

ثم تحدث بقية الأعضاء وأكدوا على أن مقاومة الاحتلال الإسرائيلى هو جهاد فى سبيل الله والموت فيه استشهاد لا شك فيه، وأن دماء الشهداء الزكية لن تذهب هدرا، وتضحيات هؤلاء الأبطال كتضحيات أسلافهم وهى ثمن تقدمه الشعوب العربية والإسلامية دفاعا عن عقيدتها ومقدساتها التزاما بأمر الله -عز وجل- لقول الله -تعالى-:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(٢).

وإن التدنيس المتعمد الذى قام به إرهابى إسرائيلى معروف للمسجد الأقصى تواطؤا مع حكومته بهدف استفزاز العرب والمسلمين ودفعهم دفعا نحو المقاومة يعد عملا إجراميا وبربريا يستوجب الرد عليه بكل الطرق المشروعة وأصبح من الواضح أن الأعمال الإجرامية التى تقوم بها إسرائيل ضد الفلسطينيين هى أعمال تستنكرها الشرائع السماوية والعقول الإنسانية والقوانين الوضعية والأعراف الدولية، لذا فالمجلس يدعو العالم أجمع أن يقف إلى جانب الحق والعدل ويناشد الدول العربية والإسلامية الوقوف صفا واحدا ضد إسرائيل ومن يساندها وفى نهاية الجلسة اتخذت هيئة رئاسة المجلس القرارات والتوصيات التالية:-

١- إن هيئة رئاسة المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة تؤيد دعوة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لعقد مؤتمر قمة عربى بهدف دراسة الموقف على ضوء التطورات وبلورة موقف عربى موحد يساند الحق العربى المشروع فى حماية المقدسات، ويؤيد حق الشعب الفلسطينى فى إقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف وحق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة إلى ديارهم، تنفيذاً للقرارات الدولية وامتثالاً لمبادىء حقوق الانسان، وتوحيد جهود الدول العربية وشعوبها وراء هذه الحقوق.

٢- ترى الهيئة ضرورة إعادة النظر فى العلاقات القائمة مع إسرائيل بعد أن ثبت أن أى تنازل أو اعتراف لا يقودها للسلام العادل، وإنما يدفعها لمزيد من التشدد ومواصلة الزحف نحو أهدافها المبيتة فى التوسع والاعتداء.

٣- تناشد الهيئة منظمة المؤتمر الإسلامى الدعوة لقمة إسلامية لذات الهدف ذلك لأن القدس والمسجد الأقصى لا يخصان العرب وحدهم، وإنما هما أمانة فى عنق كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله -ﷺ- ويشده لهذه الأماكن المقدسة رباط لا ينفصم من العقيدة الدينية.

٤- توجيه تحية التقدير والاعتزاز للشعب الفلسطينى الصامد، والإعظام والإجلال لأرواح شهدائه الأبرار الذين واجهوا القوة الإسرائيلية الغاشمة بصدور عامرة بالإيمان الحق والصبر والصدق عند اللقاء.

---

(٢) البقرة/ ١٩٠.

٥- تأييد حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته الحرة ذات السيادة الكاملة على أرضه ومقدساته وعاصمتها القدس الشريف وتحيي موقفه الموحد من أجل قضية القدس.

٦- التأكيد على أن قضية القدس هي قضية عربية وإسلامية تستلزم موقفاً عربياً وإسلامياً موحداً يؤكد هذه الحقيقة التاريخية، كما تستلزم مساندة الشعب الفلسطيني في صموده أمام الأوضاع المتفاقمة والمواجهات الدموية.

٧- التحذير من محاولات تأجيل قضية القدس لسنوات قادمة تتيح للسلطات الإسرائيلية مواصلة مؤامراتها لتهويد المدينة، واستمرار إجراءاتها لتغيير الأوضاع الجغرافية والديموغرافية في المدينة المقدسة وإزالة أو تصديع المقدسات فيها، والمطالبة بتفعيل القرارات الدولية المبطلة لهذه الإجراءات واللاغية لها.

٨- تأييد الحقوق الفلسطينية الحيوية الأخرى، وفي مقدمتها عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم تنفيذاً للقرارات الدولية ذات الصلة، التزاماً بالمبادئ الأساسية لحقوق الإنسان.

٩- الاتصال بمنظمات حقوق الإنسان للضغط على إسرائيل للمطالبة بمحاكمة باراك وشارون وغيرهما أمام محكمة العدل الدولية باعتبارهما مجرمي حرب قاما عمداً بقتل النساء والأطفال وارتكاب جرائم أخرى ضد الإنسانية.

١٠- توجه المنظمات الأعضاء وغيرها من المنظمات الإسلامية لتكثيف أعمال الإغاثة لضحايا الحوادث واللاجئين والمتضررين.

١١- إعداد مناهج دراسية عن قضية القدس والاتصال بوزارات التربية والمؤسسات التعليمية للاستفادة منها.

١٢- التوسع في عقد الندوات والمؤتمرات عن قضية القدس في العواصم الإسلامية والعالمية وإعداد معرض دولي متنقل عن القدس وآثارها يعقد في العواصم الإسلامية والعربية والعالمية.

١٣- وضع المشاريع المتعلقة بدعم الانتفاضة الفلسطينية موضع التنفيذ واستنفار المنظمات الإسلامية لعقد مؤتمرات وندوات في بلادها وإجراء الاتصالات مع الدول والمنظمات حول قضية القدس والتأكيد على العودة الصادقة إلى الله -عز وجل- والالتزام بمبادئ الإسلام.

أوقاف الأزهر

صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر رقم ١١٧٩ لسنة ٢٠٠٠:

تشكل لجنة برئاسة فضيلة الشيخ/ محمود عبد الغني عاشور وكيل الأزهر وعضوية كل من السادة:

أولاً: أعضاء اللجنة من الأزهر الشريف:

١- فضيلة الشيخ/ علي محمد علي فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية.

٢- فضيلة الشيخ/ عبد الكريم محمد عبد الرحمن عبد الهادي الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر.

٣- فضيلة الشيخ/ محمد محمود إبراهيم غالي الأمين المساعد للخدمات.

٤- السيد الأستاذ/ زناتي درويش رمضان مفتش مالي وإداري أول بالأزهر.

ثانياً: أعضاء اللجنة من هيئة الأوقاف المصرية:

١- السيد الأستاذ/ مصطفى عبد الفتاح رئيس هيئة الأوقاف المصرية.

٢- السيد الأستاذ/ شاكر عدس رئيس الإدارة المركزية لشئون الملكية العقارية بهيئة الأوقاف.

٣- السيد الأستاذ/ حسين محمد حسين عشوش مدير عام الأوقاف والمحاسبة بديوان الوزارة.

ثالثاً: أعضاء اللجنة من وزارة المالية:

١- السيد الأستاذ/ أحمد سيف الدين عبد الناصر المدير العام بالموازنة.

٢- السيد الأستاذ/ محمود رجب عثمان الباحث الأول بالموازنة.

٣- السيدة الأستاذة/ سوسن يوسف عبد المعطى الباحث الأول بالموازنة.

وللجنة أن تستعين بمن تراه لإنجاز أعمالها وتكون مهمة هذه اللجنة:

(١) حصر الممتلكات الموقوفة للأزهر الشريف والموضوعة حالياً تحت يد هيئة الأوقاف المصرية.

(٢) تقييم هذه الممتلكات تمهيداً لنقلها إلى الأزهر الشريف.

(٣) تحديد الآثار المالية المترتبة على نقل تلك الممتلكات وتحديد ريعها السنوى.

(٤) إعادة صياغة مشروع القانون المقدم من الأزهر الشريف فى شأن تخويله إدارة أموال الأوقاف الموقوف ريعها وتمويل مصارفها.

وعلى اللجنة عرض تقريرها فى هذا الشأن على شيخ الأزهر للنظر فى استكمال بقية الإجراءات.

صدر فى ٢٧ من جمادى الآخرة ١٤٢١هـ الموافق ٢٥ من سبتمبر ٢٠٠٠م.

تجديد تعيين

صدر قرار السيد رئيس الوزراء رقم ١٥٠ لسنة ٢٠٠٠:

يجدد التعيين فى الوظيفة الموضحة قرين اسمه بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب وذلك اعتباراً من ٢/ ١٠/ ٢٠٠٠م لكل من:

- الشيخ/ فرحات السعيد المنجى - رئيساً للإدارة المركزية المشرف على مدينة البعوث الإسلامية.
- الشيخ/ محمد حسنى محمد حجازى - رئيساً للإدارة المركزية لمنطقة البحيرة الأزهرية.
- الشيخ/ محمد عبد العظيم إبراهيم جمعة - رئيساً للإدارة المركزية لمنطقة الدقهلية الأزهرية.
- الشيخ/ عبد العال السيد البدرى حسين - رئيساً للإدارة المركزية لمنطقة سوهاج الأزهرية.
- الشيخ/ عبد الفتاح سيد جمعان - أميناً مساعداً للثقافة الإسلامية.
- الشيخ/ عبد الرحمن نور الدين محمد الأودن - أميناً مساعداً للبعوث الإسلامية.
- الشيخ/ السيد وفا حسن أبوعجور - أميناً مساعداً للدعوة والإعلام الدينى.
- الشيخ/ محمد محمود إبراهيم غالى - أميناً مساعداً لشئون الخدمات.

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ١٩ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢١هـ

الموافق ١٧ من سبتمبر ٢٠٠٠م.

من أنباء العالم الإسلامي

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد

من المحرر إلى القارىء :

منذ أوائل شهر رجب (١٤٢١هـ) الموافق لأواخر شهر سبتمبر (٢٠٠٠ م) والأراضي الفلسطينية قد تحولت إلى ساحات حرب واشتباكات دامية مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، استشهد خلالها وأصيب أكثر من ألف شهيد ومصاب، وذلك خلال الأسبوع الأول من الاشتباكات، فماذا عن عددهم اليوم.

وقد بدأت هذه الاشتباكات الدامية بزيارة الإسرائيلي المتشدد ـ بالتنسيق مع باراك ـ للحرم القدسي الشريف، ومن ثم اندلعت الاحتجاجات، واشتعلت مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية بالغضب، وخرج عشرات الآلاف من الفلسطينيين في مظاهرات الاحتجاج، وألقوا الحجارة والزجاجات الحارقة على قوات الاحتلال الإسرائيلي، وفي المقابل استخدمت إسرائيل ضدهم كل ألوان الذخيرة الحية.

أما القيادة الفلسطينية، فقد قالت في بيانات لها : إن إسرائيل تنفذ جريمة مدبرة ضد الفلسطينيين، ودعت العالم للوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، وأدان العالم العربي والإسلامي « المجزرة الإسرائيلية » والاعتداءات الوحشية على الفلسطينيين، وعلى المستوى الشعبي فإن الشعوب تتمنى فتح باب الجهاد ومقاطعة المنتجات الأمريكية والإسرائيلية.

إن الجميع يعلم أن قضية القدس في وجدان كل عربي وليست قضية فلسطينية فقط، ولا عربية فقط، كما أنها لم تصبح إسلامية فقط، بل أصبحت قضية إنسانية تحرك ضمير الرأي العام العالمي.

ولابد من الوصول إلى اتفاق قبل أن يكون العنف هو لغة التفاهم، وهذا هو ما تسعى إليه مصر بكل ثقلها العربي والدولي.

إن جهودا طويلة قد بذلت من أجل التعايش باتت مهددة بالذهاب إلى غير رجعة ليخيم بدلا منها مناخ التطرف والإرهاب من جديد، وكما يتنبأ المحللون أنه لن يكون بمقدور المصالح الإسرائيلية والأمريكية أن تكون بعيدة عن لهيب الحرائق التي يشعلها باراك وشارون.

عالم بريطاني :

استعمار الكواكب الأخرى للخروج من مآسي الأرض

لندن . د . ب . أ :

تنبأ عالم الفيزياء الفلكية البريطاني ستيفن هوكينج بنهاية مأساوية لكوكب

الأرض، وقال: إن الإنسان لن ينجو من هذه النهاية إلا باستعمار الفضاء.

واعرب هوكينج في تقديمه لأحدث كتبه «الكون في كلمات قليلة» في أدنبرة عن خشيته من أن البشر لن يكتب لهم البقاء خلال الألفية الجديدة بسبب ارتفاع درجة حرارة الأرض وغير ذلك من الكوارث.. وأشار إلى أن السبيل الوحيد إلى نجاة الإنسان هو استعمار الكواكب الأخرى.

تعليق المحرر:

يبدو أن «ستيفن» لم يسمع عن قضية استخلاف الله للإنسان في الأرض وليس في الفضاء، فقد قال -تعالى-:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(١).

مفتي مصر يطالب بقمر صناعي إسلامي

طالب فضيلة المفتي دول وحكومات العالم الإسلامي بتمويل وتنفيذ مشروع القمر الصناعي الإسلامي الذي يسهم في توحيد بدايات الشهور الهجرية والمناسبات الإسلامية، ووضع ضوابط للتحقق من الرؤية الشرعية للأهلة خاصة أن مطالع دول العالم الإسلامي واحدة.

مطالبة المجتمع الدولي بسرعة حل صراع افغانستان

وكالات الأنباء:

دعا بيان أصدره زعماء روسيا وخمس دول أخرى في آسيا الوسطى المجتمع الدولي إلى اتخاذ إجراء حاسم لحل الصراع في افغانستان قبل أن يمتد إلى دول أخرى في المنطقة.

فقد طالب زعماء أرمينيا وروسيا البيضاء وقازاقستان، وقرقيزستان، وطاجيكستان، وروسيا في بيان مشترك بعقد جلسة خاصة لمجلس الأمن الدولي لبحث سبل تسوية القضية الأفغانية قبل أن تستفحل وتنتقل إلى الدول المجاورة، وأكد القادة أنه بدون إحلال السلام في افغانستان التي تمزقها الحرب الأهلية فإنه لن يكون هناك سلام في المناطق المجاورة، ودعا البيان إلى عقد مؤتمر إسلامي من خلال الأمم المتحدة ومنظمة الأمن، والتعاون الأوروبي لتنسيق الجهود لإنهاء الصراع الأفغاني.

امدادات طبية لمواجهة موجة جفاف أثيوبية

أديس أبابا ـ أ. ش. أ:

بدأ صندوق الأمم المتحدة للطفولة «يونيسيف» نقل كميات كبيرة من الأدوية والإمدادات الصحية الضرورية إلى المنكوبين في أثيوبيا عبر جسر جوي من خمس طائرات نقل.

وذكر بيان صادر من مكتب منظمة «يونيسيف» في أديس أبابا أن قسم الإمدادات التابع للمنظمة في كوبنهاجن شحن ٢٥٠ كرتونة من الأدوية الأساسية، و٢٠٠ كرتونة من المعدات الصحية،

---

(١) البقرة ٢٩، ٣٠.

أسهمت في توفيرها لجنتنا: يونيسيف في الولايات المتحدة والمانيا، والحكومة اليابانية، وتضم أدوية مطلوبة لعلاج الأمراض المعدية بين الأطفال، بالإضافة إلى أمراض العيون وغيرها لإغاثة المواطنين المتضررين من موجة الجفاف التي تجتاح المنطقة.

أخبار قصيرة

* **القدس ـ أ. ف. ب:**

أعلنت عائلة إسرائيلية أنها طلبت اللجوء إلى السلطة الفلسطينية، هربا من اضطهاد السلطات الإسرائيلية لها.

وذكر عائل الأسرة ويدعى حاييم حبيبي ـ ٣٩ عاما ـ أنه يرفض الخضوع لإرهاب دولة إسرائيل، التي أرادت فصله عن أولاده، وطلب اللجوء إلى السلطة الفلسطينية.

* **الجزائر:** أجرى الرئيس الجزائري عبدالعزيز بوتفليقة حركة تغيير على مكاتب وكالة الأنباء الرسمية في الخارج حيث استدعى ٩ مراسلين في عدد من العواصم الأوروبية والأفريقية، وقام بتعيين ٨ مراسلين جدد بينهم «نبيهة تربان» التي تم تعيينها بمكتب الوكالة بالقاهرة في حين أبقى ٣ مراسلين في مواقعهم.

وجاء في بيان صادر عن رئاسة الجمهورية أن العاملين في الإعلام التابع للدولة مطالبون بالاحترام الصارم لأخلاقيات المهنة وخدمة الدولة بتفان.. فبالإضافة إلى ضرورة توفير معلومات وافية وموضوعية يتعين عليهم الدفاع عن المصالح العليا للدولة أينما كانوا، ويضيف البيان أن الرئيس بوتفليقة أعطى توجيهات من أجل إعادة انتشار وكالة الأنباء فيما يخص نشاطاتها بالخارج.

* **الرياض:** تم تنفيذ حكم القتل تعزيرا في نصار بوتو سيرى أبو بكر «هندى الجنسية» لقيامه بتهريب كمية من الهيروين المخدر إلى السعودية.

وقال بيان صادر عن وزارة الداخلية السعودية: إن التحقيق مع الجاني أسفر عن إدانته بما نسب إليه، وبإحالته إلى المحكمة صدر بحقه صك شرعي يتضمن ثبوت إدانته بتهريب المخدرات والحكم بقتله تعزيرا.

وأكدت وزارة الداخلية حرص الحكومة السعودية على محاربة المخدرات بأنواعها لما تسببه من أضرار جسيمة على الفرد والمجتمع وحذرت بإيقاع أشد عقوبات على مرتكبيها.

* **صنعاء:** استمرت المباحثات الرسمية بين دولة اليمن والبنك الدولي والتي يرأس الوفد اليمني فيها الدكتور يحيى محمد الشعيبي وزير التربية والتعليم وتتناول المباحثات منح دولة اليمن قرضا من البنك بمبلغ ١٥ مليون دولار يخصص لتطوير مشروع التعليم الأساسي.

منع الخمور

* **عمان:** ذكرت مصادر نيابية أردنية أن ضغوطا ستبذل في إطار مجلس النواب الأردني من أجل إقرار مشروع قانون لمنع بيع الخمور في المحلات التجارية العامة في الأردن.

وصرح محمود الخرابشة عضو مجلس النواب الأردني، بأن اللجنة القانونية المنبثقة عن مجلس النواب ناقشت عام ١٩٩٨ مشروع قانون يقضي بحظر بيع الخمور في الأردن غير أن خلافات وقعت خلال الاجتماعات أدت إلى تجميد بحث مسألة إقرار القانون.

وأوضح الخرابشة في تصريحاته للصحفيين أن العديد من أعضاء مجلس النواب البالغ عددهم ثمانين عضوا يرغبون الآن في إعادة بحث المشروع تمهيدا لإقراره.

Léloquence du Coran, la concordance de ses paroles, sa concision et la puissance de son verbe dépassent tout ce qui était connu.

Le style qui est employé dans le Coran, qui marque la fin de ses versets et auquel aboutissent ses paroles tranchantes, est un style dont en trouve pas de pareil ni avant le Coran, ni aprés lui.

Nul n'a pu imiter l'aspect de son éloquence. Son style est original par lui-même. Les esprits des arabes ainsi que leurs successeurs cherchérent en vain à le comprendre et ne purent trouver le moyen de faire son pareil en n'importe quel genre littéraire que ce soit de la prose, de la poésie, de la prose rythmée ou des vers rimés.

En voilà donc la réponse: il est inimitable. Les contemporains du Messager d'Allah(b.s) ont été incapables de produire même un verset semblable. Il les a défiés durant vingt trois années consécutives d'apporter son pareil et ils en furent incapables.

Plus de mille quatre cents ans ont passé, et jusqu'à présent les incrédules n'ont pas apporté une sourate similaire à celles du Coran. Donc, le Coran constitue le miracle éternel qui durera autant que durera la vie sur terre. Il ne cesse pas et ne cessera pas de défier le monde entier en tout temps et en tout lieu.

Il nous reste à demander:à qui le défi a-t-il été adressé en premier? Le défi a été adressé aux arabes, les contemporains du Prophète-b.s-, les rois de la rhétorique et de l'éloquence.

Les arabes avaient reçu le don de la parole plus qu'aucune autre nation. Ils rivalisaient entre eux dans la poésie et la prose.Ils avaient atteint la perfection de la rhétorique, avaient découvert tous les secrets de l'éloquence où ils étaient passés pour maîtres.

Les foires, et celles de Okaz en particulier, étaient de véritables tournois de poésie et le vainqueur voyait son poème acclamé par la foule en délire, calligraphié et suspendu dans le Temple de la Kâaba, le lieu sacré par excellence. Sept de ces poésies triomphantes appelées les "Moâllaquates"c.à.d.les "Suspendues" nous sont parvenues et prouvent jusqu'à nos jours la hauteur de leur génie.

Donc Allah-Gloire à Lui- a défié les rois de la rhétorique et de l'éloquence. Il y avait parmi eux les connaisseurs des règles des poèmes, des vers et des fables. Ils étaient férus de poésie et de discours. Ils savaient parfaitement ce qui était possible aux humains et ce qui ne l'était pas.

Ces arabes virent que le Coran est inimitable; ses versets ont été minutieusement composés, ses paroles ont été bien détaillées, son éloquence a ébahi les esprits et son discours les a sidérés. Ils virent que le Coran est une oeuvre descendue de la part d'Un infiniment Sage et digne de louange. Bref, ils ne purent finalement qu'avouer qu'il est une parole divine.

Même les incrédules, qui avaient une attitude hostile vis-à-vis du Coran, avouèrent qu'il ne ressemblait en rien à ce qu'ils connaissaient.

Voici, par exemple, l'aveu d'Al-Walid Ibn Al-Moughira après avoir entendu les paroles du Coran, il dit:"***Par Dieu! ce discours a une douceur et une beauté certaine. Sa base est fertile et son sommet est lourd de fruits. Ce n'est pas un simple humain qui prononçerait un tel discours.***"

(suite)

Les miracles du Prophète Mohammed (salut et bénédiction sur lui).

Par Hoda Hussein Cha'raoui

Le miracle du Coran:

Le Coran est le miracle fondamental sur lequel Allah-Gloire à Lui- a appuyé le Prophète-b.s-pour prouver le bien-fondé de sa mission et pour réduire son peuple à l'impuissance.

Allah-Gloire à Lui-a défié les arabes, maîtres de l'éloquence, de composer dix sourates semblables à celles du Coran, voire une seule sourate, et personne ne put le faire.

Allah-Gloire à Lui-par Sa sagesse infinie, soutient Ses messagers avec des miracles appartenant précisement au domaine où excelle le peuple à qui ils ont été envoyés, afin d'annuler tout argument qu'ils opposent à leur Messager.

Quand Allah-Gloire à Lui-envoya, par exemple, notre seigneur Moïse, la sorcellerie était un art chez le peuple de pharaon qui l'exerçait à la perfection. Ainsi, lorsque les magiciens, sur l'ordre de pharaon, ensorcelèrent les cordes et les bâtons qui prirent l'apparence de vipères en mouvement, le Prophète Moïse-paix sur lui-sur l'ordre d'Allah, jeta son bâton qui se transforma en un énorme serpent, avala toutes les cordes, les bâtons et redevint un bâton. C'est alors que les magiciens tombèrent prosternés et crurent à la mission de Moïse.

Quand Allah-Gloire à Lui-envoya Jésus, l'art de la médecine était très répandu parmi les fils d'Israël. Ils étaient parfaitement connaisseurs de l'art de la médecine, savaient les limites de la puissance de l'homme et ce qui lui était impossible.

Ainsi, lorsque le Prophète Jésus-paix sur lui-par l'ordre d'Allah-fit guérir le lépreux, l'aveugle de naissance et fit ressusciter les morts, les apôtres se soumirent ainsi que beaucoup d'autres avec eux.

Cependant, le miracle qu'a eu notre Prophète Mohammed(b.s)est un miracle intellectuel et moral qui durera jusqu'au Jour de la résurrection.

Au sujet du Coran le Prophète(b.s) a dit:***"Tous les prophètes avaient à leur actif des miracles qui, une fois accomplis obligeaient les gens à croire à leur message.Ce qui m'a été accordé est un livre révélé. Ainsi, j'espère avoir le Jour de la Résurrection, plus d'adeptes que les autres prophètes."*** ***Hadith rapporté par Moslim.***

En quoi consiste le miracle du Coran?

Allah-Gloire à Lui-a dit:**[Dis: Si les hommes et les génies s'unissaient pour produire une oeuvre identique au Coran, ils ne sauraient y parvenir, dussent-ils y mettre tous les efforts réunis.]** **Surate 17"Al-Isrâ a"(Le Voyage Nocturne)V.88.**

Il disait que durant cette nuit bénite Allah jette un regard sur toutes Ses créatures
Et Il pardonne à toutes Ses créatures à l'exception des polythéistes et des meurtriers.Comme une fois durant cette nuit Aicha –A s e – s'inquiètait de voir trop durer la prosternation du Prophète-b s-,ce dernier lui dit quand il eut achevé sa prière :
« C'est la nuit de la mi-Cha'ban.Allah-qu'Il soit exalté- regarde Ses créatures durant(la nuit de la mi- Cha'ban et Il pardonne aux repentants, accorde Sa miséricorde à ceux qui la demandent et néglige les envieux en les laissant ainsi »
Tous ces hadiths qui montrent le mérite de cette nuit doivent inciter les Musulmans à y multiplierleurs actes de dévotion et à jeûner durant ce jour afin d'être agrées par Allah et d'obtenir a miséricorde et Son pardon.

Rokeya GABR.

La nuit de la Mi-Cha'ban

Par Dr Rokeya GABR

Dans le Hadith rapporté par Al-Bukhary ,Muslim et Abu Dawud d'après aicha-A .s.e.-, ,elledit : « Le Messager d'Allah –b.s.-jeûnait tant qu'on disait qu'il ne rompait jamais le jeûne ,et mangeait si bien qu'on disait qu'il ne jeûnait guère.Mais je n'ai jamais vu le Messager d'Allah jeûner durtant un mois entier si ce n'est le mois de Ramadan ; et je ne l'ai jamais vu jeûner autant de jours que durant le mois de Cha'ban. »

Dans une autre version du Hadith rapportée par Abu Dawud ,elle a dit : « Le moisdurant lequel le Messagerd'Allah aimait le plus jeûner était le mois de Cha'ban auquel faisait suite le mois de Ramadan .

Le mois de Cha'ban occupe certes une place importante parmi les mois du calendrier musulman.

Comme on demandait au Prophète pourquoi il aimait tout particulièrement jeûner durant ce mois, il avait répondu : « C'est un mois que les gens négligent entre les mois de Radjab et de Ramadan ;or ,c'est un mois ou les actions exposées au Seigneur des monde ,et moi j'aime que mes actions soientexposées pendant que je jeûne »

Parmi les événements importants qui eurent lieu durant le mois de Cha'ban ,citons le détournement de l'orientation de la prière pour les musulmans(la Qibla).Après que le Messager d'Allah eut dirigé sa prière vers Jérusalem durant seizeou dix-sept mois,alors qu'il souhaitait se tourner vers la Ka'ba, Allah-gloire à Lui- lui révéla ce verset dont le sens est : »Nous avons vu comment tu te tournais vers le ciel avec l'espoir de recevoir une révélation relative au changement d'orientation de la prièredu Temple de Jérusalem vers la Ka'ba que tu aimes parce qu'elle était la Qibla d'Abraham,le père des prophètes,l'ancêtre des juifs et des arabes «

Puis dans le même verset Allah lui dit : « Voilà donc que Nous t'accordons ce que tu as demandé… »(Sourate Al Baqara, verset 144)

DE nombreux Hadiths nous ont étés rapportés au sujet du mérite de la nuit de la mi-Cha'ban durant laquelle le Messager d'Allah-b.s.-multipliait les actes dedévotion.

REVUE
AL AZHAR
Section Francaise

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

So take what the Messenger asigns to you, and deny yourselves that which he witholds from you. And fear Allah; for Allah is strict in Punishment. (59:7)

In his authentic Hadith book Al Bukhari authorized the following Hadith Narrated by Abu Huraira.: "Allah's Apostle said, "Whoever obeys me, obeys Allah, and whoever disobeys me, disobeys Allah, and whoever obeys the ruler I appoint, obeys me, and whoever disobeys him, disobeys me." (9.251)

We are ordered in the Qur'anic Ayah to follow what the Prophet transmitted to us and to avoid whatsoever he ordered us to avoid. Many of the Islamic legislation are not amply explained in the Holy Qur'an, yet all the details are given through the Sunnah such as the manner of performing the prayers, the detailed description of the performance of Hajj and many other examples. Studying the Sunnah is both a necessity and an obligation upon every Muslim in order to fully understand his faith. Following the Sunnah is also important to the Muslims because the Prophet sets the model for all the Muslims to ensue through his life and his personal behaviors and qualities.

Finally I supplicate to Allah to guide us all to follow the right bath and to be among those who Listen to the guidance and follow with obedience. I pray to Allah to help us understand the Sunnah and honor our Prophet (p.b.u.h.) by following him.

The Sunnah in Islam has an immanent bearing for it comes next to the Qur'an in the sequence of the sources of legislation. It is a necessity of believing as the testimony of believing in Islam (Shahadah) states that the Muslim has to believe in Allah and that Muhammad is His Messenger. I bare witness that there is no God but Allah and that Muhammad is His Messenger:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾

But no, by thy Lord, they can have no (real) Faith, Until they make thee judge in all disputes between them, and find in their souls no resistance against thy decisions, but accept them with the fullest conviction. (4:65)

Believing in Allah and His Messenger are insperable. Believing in Islam and his messenger determines the obedience of the Prophet (p.b.u.h.) which is not less important than obeying Allah:

﴿ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾

He who obeys the Messenger, obeys Allah; but if any turn away, We have not sent thee to watch over their (evil deeds). (4:80)

Therefore, the Sunnah -- which is both the oral and the practical tradition of the Prophet (p.b.u.h.) is needed to explain and to emphasize the Qur'an. In a Hadith authorized by Imam Bukhari (7:822) that is confirming the importance of the Sunnah as a source of legislation 'Alaqma narrated:

'Abdullah cursed those women who practiced tattooing and those who removed hair from their faces and those who created spaces between their teeth artificially to look beautiful, such ladies as changed what Allah has created. Um Ya'qub said, "What is that?" 'Abdullah said, "Why should I not curse those who were cursed by Allah's Apostle and are referred to in Allah's Book?" She said to him "By Allah, I have read the whole Qur'an but I have not found such a thing. 'Abdullah said, "By Allah, if you had read it (carefully) you would have found it. (Allah says:) 'And what the Apostle gives you take it and what he forbids you abstain (from it)'.- (59.7)

Following The Sunnah

By : Hadeer Refat Abo El Nagah

All Praise are due to Allah who send us the messengers to guide us to the right path and lead us to the righteous ways. One of the Muslims' great treasures of knowledge is the prophet's Sunnah. - His Hadith and actions-. It is sad to know that some Muslims believe that the Sunnah is less important than the Qur'an or that following it is a matter of personal choice. The Prophet (peace be upon him) is reported to have said that :

"None of you reclines on his bed, the order comes to him on an affair which I am commanded to do or not to do, he says : "I don't know, what is found in The Book of Allah, we follow", (Tirmithi). According to another report : "What is found in The Book of Allah as 'Haram' we pronounce it 'haram' (forbidden). Surely I am given the Qur'an and its example with it." Then according to another report : "What the Messenger of Allah has forbidden, Allah has prohibited it."

Allah has chosen His honorable Prophet Muhammad (p.b.u.h.) to deliver His final message and he was ordered to expound this message to the people and to obey whatever he was ordered to do. Meanwhile, Allah The Mighty, promised to keep and preserved the Qur'an to remain the doctrine of the people till the end of the world.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

We have, without doubt, sent down the Message; and We will assuredly guard it (from corruption). (15:9)

The scholars agree that the preserverance and protection of the revelation in the above mentioned Ayah (a verse of the Qur'an) includes both the Qur'an and the Sunnah. The Qur'an contains all the rules and the guidelines that have to guide and direct the Muslims till the day of Judgement.

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ
لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

It is not fitting for a Believer, man or woman, when a matter has been decided by Allah and His Messenger, to have any option about their decision : if anyone disobeys Allah and His Messenger, he is indeed on a clearly wrong Path. (33:36)

People of Koraish differed as to who would put the black stone in its right place. They were almost going to fight but decided to accept the judgement of the first man to come near them. Prophet Muhammad (P&BUH) arrived and they consulted him. He made representatives of each tribe hold a corner of a garment where the black stone had been placed in the Middle. They all raised the garment to the required sport, then the prophet held the stone and placed it in the right position.

When the prophet (P&BUH) reached home, his wife Khadija had given birth to his youngest daughter Fatima. She was born on Friday 20th of Jamadul Akhar H., about five years before the Qur'an was revealed to him. She was the most beloved of his daughters who later married his cousin Ali Ibn Abi Talib (may Allah be pleased with him) and gave birth of El-Hasan and El-Husein.

The Ka'aba is 12 meters long, 10 meters wide and 15 meters high. It is circled in a clockwise direction seven times by pilgrims beginning by the black stone. Pilgrimage is one of the pillars of Islam. It is obligatory on every Muslim so long as he/she can afford it and is physically capable of performing the rituals. Muslims can also perform "Umra" which is a lesser pilgrimage and is not obligatory. Some scholars stated that it is desirable but not compulsory.

The Prophet (P & B U H) said : "Islam is based on the following five principles : 1-To testify that La illah illahah wa anna Muhammad-arRasul Allah (none has the right to be worshiped but Allah and that Muhammad is the Messenger of Allah) 2-Iqamat-as-Salat (to perform the compulsory congregational Salat (prayers).

3-To pay Zakat. 4-To perform Haj. (i.e. pilgrimage to Mecca). 5- To observe Sawm (fast) according to Islamic teachings during the month of Ramadan. (Related by Al Bukhari-Volume 1-Book of Belief).

Reference

1. An article from Al Azhar Magazine from a section entitled "Readers and the Magazine," prepared by Mr. Adel Refai Khafaga (Safar 1421 H., May 2000)

2. A book entitled "The Forgiver of Sins", by : Dr. Abdullah Ebada.

The Ka'aba

By : Hanan Abdou El Tahtawy

The Ka'aaba is the central shrine of Islam and is the most important sanctuary (haram). Almost two million Muslims make the annual pilgrimage to the Ka'aba in Zulu Hija, the last lunar month of the Islamic calendar. Then all Muslims are equal before Allah and a feeling of brotherhood prevails among them.

The time of pilgrimage is a short but glorious time during which each individual finds peace with Allah, with himself and with all creatures. The Ka'aba is the worldly focus for our worship of the One who is Unseen. Pilgrimage to the Ka'aba is the symbolic experience in this life of our return to Allah on the Day of Judgment.

The Ka'aba (in Mecca, Saudi Arabia) is a cube-shaped one-room stone structure. All pilgrims who can gain access to the black stone (set on the outside of one corner of the structure), solemnly kiss it. The black stone is considered the only part remaining from the old structure built by Adam. The Ka'aba is the first place raised on earth for the worship of the Divine Being. Thus, Mecca was the first spiritual center that was appointed for men.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾

"Certainly the first house appointed for men is the one at Bakkah, blessed and a guidance for the nations."

(The Family of Imran, 95)

The Qur'an confirms that Ibrahim and his son Ismail worked together in rebuilding the Ka'aba which was first constructed by Adam. It was built in a place which was unproductive of fruit and devoid of the primal necessities of life. Ibrahim prayed that the residents of the city might be provided with fruit. Allah granted him this wish.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

"And when Ibrahim and Ismail raised the foundation of the House : Our Lord accept from us, Surely Thou, art the Hearing the Knowing."

(Al Baqqara, 127)

When time passed, the Ka'aba had to be rebuilt again as floods had affected the structure.

AL-AZHAR MAGAZINE
Sha'ban 1421 H.

ENGLISH SECTION
Nov. 2000

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي

● ● ●

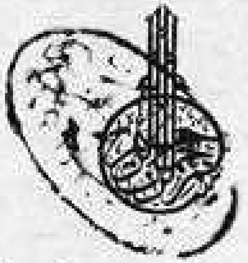
المشرف العام
رئيس التحرير
عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير
الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة

ت: ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة



فيوضات ربانية في رمضان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام الناصحين، ورضي الله - تعالى - عن صحبه الغر الميامين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. « وبعد »:

فعن سلمان - رضي الله عنه - قال: خطبنا رسول الله - ﷺ - في آخر يوم من شعبان وقال: « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فيه فريضة، كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن، من فطر فيه

صائما كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ، قالوا: يارسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم، قال: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على تمرة، اوشربة ماء، أو مذقة لبن، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، فمن خفف عن مملوكه فيه غفر الله له، وأعتقه من النار، استكثروا فيه من أربع خصال: خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لاغنى لكم عنهما، فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لاغنى بكم عنهما، فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار، ومن سقى فيه صائما سقاه الله ـ تعالى ـ من حوضي شربة لا يظما حتى يدخل»[1].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، نظر الله إلى خلقه، وإذا نظر إلى عبد لم يعذبه أبدا، ولله ـ عز وجل ـ في كل يوم ألف ألف عتيق من النار».

وعنه ـ أيضا ـ قال: إن رسول ـ ﷺ ـ قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين»[2].

وعن عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نوم الصائم عبادة، وصمته تسبيح، ودعاؤه مستجاب، وعمله مضاعف»[3].

وعن الأعمش، عن أبي خيثمة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كانوا يقولون: رمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج، والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر».

وعن أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: «مرحبا بشهر خير كله، صيام نهاره، وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: « كل حسنة

١- مشكاة المصابيح ١٩٦٥ والترغيب والترهيب (٢/٦٢ ط وزارة الأوقاف).

٢- صحيح البخاري (٣/٣٢) وصحيح مسلم / كتاب الصوم (١).

٣- إتحاف أهل الإسلام بخصوصيات الصيام لابن حجر الهيتمي (٣٣).

يعملها ابن آدم من أمتي تضاعف عشراً إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإن الله ـ تعالى ـ يقول: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة، وللصائم فرحتان: فرحة عند إفطاره، وفرحة عند لقاء ربه»[4].

قال رسول الله ـ ﷺ ـ قال ـ الله تعالى ـ: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي الله فرح بصومه»[5].

قال أبوحاتم: شعار المؤمنين في القيامة التحجيل بوضوئهم في الدنيا فرقا بينهم وبين سائر الأمم، وشعارهم في القيامة بصومهم، طيب خلوفهم أطيب من ريح المسك ليعرفوا بين ذلك الجمع بذلك العمل نسأل الله بركة ذلك الشهر.

وكم في رمضان من البركات والخيرات، فطوبى لمن عرف قدره واغتنم أوقاته وساعاته واستغرق لياليه وأيامه بفعل ما يقربه من ربه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ويتضح لنا من هذه النصوص وغيرها أن شهر رمضان إنما هو شهر رضوان ومحاباة وألفة ونور وضمان ونوال وكرامة للأولياء والأبرار والمتقين، وأن هذا الشهر في الشهور كالقلب في الصدور، وكالأنبياء في الأنام، وكالحرم في البلاد، فالحرم يمنع الدجال اللعين، وأن هذا الشهر تصفد فيه مردة الشياطين، وشهر رمضان شفيع للصائمين، والقلب مزين بنور المعرفة والإيمان، وشهر رمضان مزين بنور تلاوة القرآن، فمن لم يغفر له في رمضان ففي أى شهر يغفر له؟ فليتب العبد إلى الله ـ عز وجل ـ قبل أن تغلق أبواب التوبة، وليتب إليه ـ عز وجل ـ قبل أن يفوت وقت الإنابة وليبك قبل أن ينقضي وقت البكاء والرحمة.

وقيل: إن سيد الشهور رمضان، وسيدة الليالي ليلة القدر، والعظمة والحكمة. وهي ليلة مباركة والخلاصة: أن شهر رمضان إنما هوشهر الصفا وشهر الوفا، وشهر الذاكرين، وشهر الصابرين، وشهر الصادقين، فإذا لم يؤثر في إصلاح قلبك يا أخي

4- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٨/٢٠٥).

5- المرجع السابق برقم (٣٤٢٣) والبخاري (١٩٠٤) في الصوم ومسلم (١١٥١).

العزيز وإقلاعك عن معاصي ربك، ومجانبة أهل الشقاء والجرائم فما الذى يؤثر في قلبك؟ وأى خير يرجى فيك؟ وأى بقية بقيت فيك؟ وأى فلاح يترقب منك؟ فتنبه يا مسكين لما حل بك واستيقظ من رقدتك وغفلتك، وانظر إلى الذى دهاك، وشيع بقية شهرك بالتوبة والإنابة، وتمتع فيها بالاستغفار والطاعة، لعلك تكون ممن نالته الرحمة والرأفة، وتودعها بإسبال العبرات، وابك على نفسك المشئومة بالعويل والويل والنياحات، فكم من صائم لا يصوم غيره أبدا، وكم من قائم لايقوم بعده أبدا، والعامل يعطى أجره عند فراغه من عمله، وقد فرغنا من العمل، فليت شعرى أمقبول صيامنا وقيامنا، أم مضروب بهما وجوهنا؟ ياليت شعرى من المقبول منا فنهنيه؟ ومن المردود منا فنعزيه؟.

السلام عليك ياشهر الصيام، السلام عليك ياشهر القيام، السلام عليك ياشهر الإيمان، السلام عليك يا شهر القرآن، السلام عليك ياشهر الأنوار، السلام عليك ياشهر المغفرة والغفران، السلام عليك ياشهر الدرجات والنجاة من الدركات، السلام عليك يا شهر التائبين العابدين، السلام عليك يا شهر العارفين، السلام عليك ياشهر المجتهدين، السلام عليك ياشهر الأمان، كنت للعاصين حبسا، وللمتقين أنسا، السلام على القناديل والمصابيح الزاهرة، والعيون الساهرة والدموع الهاطلة، والمحاريب المنورة، والعبرات المنسكبة المتفطرة، والأنفاس الصاعدة من القلوب المحترقة.

اللهم اجعلنا ممن قبلت صيامهم وصلاتهم، وبدلت سيئاته بحسنات، وأدخلته برحمتك في جناتك، ورفعت درجاته يا أرحم الراحمين. اللهم آمين.

عبد المعز عبد الحميد الجزار

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى - :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾

[الآيات من ٢٠٠ : ٢٠٣]

ثم بين ـ سبحانه ـ ما يجب عليهم عمله بعد فراغهم من أعمال الحج فقال ـ تعالى ـ:

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

المناسك: جمع منسك مشتق من نسك نسكاً من باب نصر إذا تعبد، والمراد هنا العبادات التى تتعلق بالحج.

قال ابن كثير: عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «كان أهل الجاهلية يقفون فى الموسم ـ بين مسجد منى وبين الجبل بعد فراغهم من الحج يذكرون فضائل آبائهم، فيقول الرجل منهم: كان أبى يطعم الطعام ويحمل الديات.. ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله ـ تعالى ـ على نبيه ـ ﷺ ـ هذه الآية»[1].

والمعنى: فإذا فرغتم من عباداتكم، وأديتم أعمال حجكم، فتوفروا على ذكر الله وطاعته كما كنتم تتوفرون على ذكر مفاخر آبائكم، بل عليكم أن تجعلوا ذكركم الله ـ تعالى ـ أشد وأكثر من ذكركم لمآثر آبائكم، لأن ذكر مفاخر الآباء إن كان كذبا أدى إلى الخزى فى الدنيا والعقوبة فى الآخرة؛ وإن كان صدقا فإنه فى الغالب يؤدى إلى العجب وكثرة الغرور، أما ذكر الله بإخلاص وخشوع فثوابه عظيم، وأجره كبير؛ وفضلا عن ذلك فإن المرء إذا كان لا ينسى أباه لأنه سبب وجوده فأولى به ثم أولى ألا ينسى الذى خلق أباه وهو الله رب العالمين.

فالمقصود من الآية الكريمة الحث على ذكر الله ـ تعالى ـ والنهى عن التفاخر بالأحساب والأنساب.

و «أو» هنا فى معنى الإضراب والترقى إلى أعلى، لأنه ـ سبحانه ـ أمرهم أولا بأن يذكروه ذكراً يماثل ذكرهم لآبائهم ثم ترقى بهم إلى ما هو أعلى من ذلك وأسمى فطالبهم بأن يكون ذكرهم له ـ سبحانه ـ أكثر وأعظم من ذكرهم لآبائهم.

قال صاحب الكشاف: وقوله:

﴿ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ فى موضع جر عطف ما أضيف إليه الذكر فى قوله: ﴿ كَذِكْرِكُمْ ﴾ كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم منهم ذكراً، أو فى موضع نصب عطف على ﴿ ءَابَاءَكُمْ ﴾ بمعنى، أو أشد ذكراً من آبائكم[2].

وبعد أن أمر ـ سبحانه ـ الناس بذكره، بين أنهم بالنسبة لدعائه وسؤاله فريقان، أما الفريق الأول فقد عبر عنه بقوله:

﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِى الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴾

أى: من الناس نوع يقول فى دعائه يا ربنا آتنا ما نرغبه فى الدنيا فنحن لا نطلب غيرها، وهذا النوع ليس له فى الآخرة من ﴿ خَلَاقٍ ﴾ أى: نصيب وحظ من الخير.

---

(١) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٤٣ بتصرف يسير.

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٢٤٨.

وهذا النوع من الناس هو الذى استولى عليه حب الدنيا وشهواتها ومتعها فأصبح لا يفكر إلا فيها، ولا يهتم إلا بها، صارفا نظره عن الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب.

والفا فى قوله: ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ للتفصيل، لأن ما بعدها تقسيم للناس إلى فريقين.

وحذف مفعول ﴿ ءَاتِنَا ﴾ للدلالة على تعميم المطلوب فهم يطلبون كل ما يمكن أن تصل إليه أيديهم من متاع الدنيا بدون تمييز بين حلال أو حرام.

وأما الفريق الثانى فقد عبر ـ سبحانه ـ عنه بقوله:

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

أى: يقولون يا ربنا أعطنا حسنة فى الدنيا أى: حالا حسنة فى الدنيا تكون معها أبداننا سليمة، ونفوسنا آمنة، ومعيشتنا ميسرة بحيث لا نحتاج إلى أحد سواك، ولا نذل إلا لك، وامنحنا حالا حسنة فى الآخرة بأن تجعلنا يوم لقائك ممن رضيت عنهم، ورضوا عنك، وأبعدنا يوم القيامة من عذاب النار.

ولم يذكر ـ سبحانه ـ قسما ثالثاً من الناس وهو الذى يطلب الآخرة فقط، ولا يطلب الدنيا، لأن الإسلام دين لا يرضى لأتباعه أن ينسوا حظوظهم من الدنيا، ولا يقر الانقطاع عن زينتها التى أخرجها الله لهم، وإنما يريد لهم أن يكونوا من العاملين بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾

وبين ـ سبحانه ـ أن هذا النوع الثانى من الناس قد التمس من خالقه أن يقيه عذاب النار مع أن هذا الدعاء مندرج تحت حسنة الآخرة، وذلك لأن هذا النوع من الناس لقوة إيمانه، وصفاء وجدانه، وشدة خشيته من ربه يغلب الخوف على الرجاء، فهو يستصغر حسناته مهما كثرت بجانب نعم الله وفضله، ويلح فى الدعاء وفى الطلب أملا فى الاستجابة.

وقد أجمع العلماء على أن هذه الآية الكريمة من جوامع الدعاء، وورد فى فضل الدعاء بها أحاديث كثيرة منها ما رواه البخارى عن أنس بن مالك قال كان النبى ـ ﷺ ـ يقول: «اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وروى ابن أبى حاتم عن عبدالسلام بن شداد قال: كنت عند أنس بن مالك فقال له ثابت: إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم. فقال: «اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وتحدثوا حتى إذا أرادوا القيام قال: يا أبا حمزة إن إخوانك يريدون القيام فادع الله لهم فقال: أتريدون أن أشقق لكم الأمور!! إذا آتاكم الله فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله [٢].

---

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٤٤.

قال الإمام الرازى: اعلم أن الله ـ تعالى ـ بين أولا تفصيل مناسك الحج، ثم أمر بعدها بالذكر فقال:

﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ ﴾

ثم بين أن الأولى أن يترك ذكر غيره وأن يقتصر على ذكره ـ سبحانه ـ ثم بين بعد ذلك كيفية الدعاء فقال:

﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ﴾ وما أحسن هذا الترتيب فإنه لابد من تقديم العبادة لكسر النفس وإزالة ظلماتها ثم بعد العبادة لابد من الاشتغال بذكر الله ـ تعالى ـ لتنوير القلب وتجلى نور جلاله.

ثم بعد ذلك الذكر يشتغل الرجل بالدعاء، فإن الدعاء إنما يكمل إذا كان مسبوقا بالذكر كما حكى عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أنه قدم الذكر فقال:

﴿ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴾

ثم قال:

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

فقدم الذكر على الدعاء»[1].

ثم بين ـ سبحانه ـ جزاء هذا الفريق الثانى فقال:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾

فاسم الإشارة يعود إلى الفريق الثانى باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وكانت الإشارة للبعيد لبيان علو منزلتهم، وسمو درجاتهم ولم يعطف على ما قبله لأنه كالنتيجة له.

وقيل: إن الإشارة تعود إلى الفريقين، أى: لكل من الفريقين نصيب من عمله على قدر ما نواه، ويضعفه أن الله ـ تعالى ـ قد ذكر قبل ذلك عاقبة الفريق الأول بقوله:

﴿ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴾.

والمعنى: أولئك الذين جمعوا فى دعائهم بين طلب حسنتى الدنيا والآخرة لهم نصيب جزيل، وحظ عظيم من جنس ما كسبوا من الأعمال الصالحة، أو من أجل ما كسبوا من الفعال الطيبة.

فحرف الجر «من» يصح أن يكون للابتداء أو للتبعيض.

وفى هذه الجملة الكريمة وعد من الله لعباده أنهم متى تضرعوا إليه بقلب سليم، أجاب لهم دعاءهم، وأعطاهم سؤالهم.

قال القرطبى: وقوله:

﴿ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾

من سرع يسرع ـ مثل عظم يعظم ـ فهو سريع. و«الحساب» مصدر كالمحاسبة، وقد يسمى المحسوب حسابا. والحساب: العد.

---

(1) تفسير الفخر الرازى جـ ٥ ص٢٠٤.

ويقال: حسب يحسب حساباً وحسابه وحسباناً أي: عد.

والمعنى في الآية: أن الله ـ تعالى ـ سريع الحساب لا يحتاج إلى عد ولا إلى عقد ولا إلى إعمال فكر كما يفعله الحساب، ولهذا قال وقوله الحق:

﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾. فالله ـ تعالى ـ عالم بما للعباد وما عليهم فلا يحتاج إلى تذكر وتأمل.

وقيل: سريع المجازاة للعباد بأعمالهم. وقيل لعلي بن أبي طالب: كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال: كما يرزقهم في يوم، ومعنى الحساب: تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وتذكيره إياهم بما قد نسوه، وقيل: معنى الآية سريع بمجيء يوم الحساب، فالمقصود بالآية الإنذار بيوم: القيامة[٥].

وقوله:

﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾

معطوف على قوله ـ تعالى ـ:

﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾

وما بينهما اعتراض.

والمراد بالأيام المعدودات أيام التشريق الثلاثة التي بعد يوم النحر. والتشريق: تقديد اللحم.

قال القرطبي: «ولا خلاف بين العلماء أن الأيام المعدودات في هذه الآية هي أيام منى، وهي أيام التشريق، وأن هذه الثلاثة الأسماء واقعة عليها، وهي أيام رمي الجمار»[٦].

فالآية الكريمة تأمر الحجاج وغيرهم من المسلمين أن يكثروا من ذكر الله في هذه الأيام المباركة، لأن أهل الجاهلية كانوا يشغلونها بالتفاخر ومغازلة النساء، ويزعمون أن الحج قد انتهى بانتهاء يوم النحر وهو اليوم العاشر من ذي الحجة.

ولقد بين لنا النبي ـ ﷺ ـ أن هذه الأيام ينبغي أن تعمر بذكر الله وبشكره على نعمه.

روى الإمام مسلم عن نبيشة الهذلي قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله».

وروى البخاري عن ابن عمر: أنه كان يكبر بمنى تلك الأيام، وخلف الصلوات، وعلى فراشه وفي فسطاطه. وفي مجلسه، وفي ممشاه، في تلك الأيام جميعاً.

ومن الذكر في تلك الأيام التكبير مع كل حصاة من حصى الجمار كل يوم من أيام التشريق.

فقد أخرج البخاري عن ابن عمر أن النبي ـ ﷺ ـ «كبر مع كل حصاة».

ويرى جمهور الفقهاء أن هذه الأيام يحرم فيها الصيام، لأنها أيام أكل وشرب وذكر لله.

والمعنى. اذكروا الله، أي كبروه في أدبار الصلوات وعند ذبح القرابين، وعند رمي الجمار وغيرها في تلك الأيام المعدودات التي هي موسم من مواسم العبادة والطاعات، فإن الإكثار من ذكر

---

(٥) تفسير القرطبي جـ ٢ ص٤٣٥.

(٦) تفسير القرطبي جـ ٣ ص١.

الله يرفع الدرجات، ويمسح السيئات.

ثم قال ـ تعالى ـ:

﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾

تعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل، يقال: تعجل الأمر واستعجل.

ويأتيان متعديين فيقال: تعجل الذهاب واستعجله، ويرى الزمخشري أن المطاوعة أوفق لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن تَأَخَّرَ ﴾.

وإيضاح ذلك: أنه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الأولى والثانية من ليالي أيام التشريق، ليرمي كل يوم بعد الزوال إحدى وعشرين حصاة يرمي عند كل جمرة سبع حصيات، ثم من رمى في اليوم الثاني وأراد أن ينفر ويترك المبيت بمنى في الليلة الثالثة ورمي يومها بعد الزوال ـ كما يرى الشافعية ـ وبعده أو قبله ـ كما يرى الحنفية ـ فلا إثم عليه في عدم مبيته بمنى في الليلة الثالثة.

أي: فمن تعجل فسافر في اليومين الأولين فلا إثم عليه في التعجيل، ومن بقي إلى تمام اليوم الثالث فلا إثم عليه كذلك إذا اتقى كل منهما الله، ووقف عند حدوده.

فالتقييد بالتقوى للتنبيه إلى أن العبرة في الأفعال إنما هي بتقوى القلوب وطهارتها وسلامتها.

قال الآلوسي: قوله: ﴿ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف، واللام إما للتعليل أو للاختصاص.

أي: ذلك التخيير المذكور لأجل المتقي لئلا يتضرر بترك ما يقصده من التعجيل والتأخر أو ذلك المذكور من أحكام مطلقا مختصة بالمتقي لأنه هو الحاج على الحقيقة. والمراد من التقوى على التقديرين تجنب ما يؤثم من فعل أو ترك[٧]...».

ثم ختمت الآية بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون، واعلموا أنكم ستجمعون بعد تفرقكم وتساقون إلى خالقكم يوم القيامة ليجازيكم على أعمالكم.

وقد ختمت الآيات التي تحدثت عن فريضة الحج بهذا الختام المكون من عنصرين، **أحدهما**: تقوى الله.

والثاني: العلم اليقيني بالحشر، للإشعار بأنهما خلاصة التدين، وثمرة العبادات بكل أنواعها وكل طرقها، وإذا خلت أية عبادة من هذين العنصرين كانت صورة لا روح فيها.

وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد ساقت لنا بعض أحكام الحج وآدابه ومناسكه بأسلوب يهدي القلوب، ويسعد النفوس، ومن شأن من يعمل بهذه الآيات أن يكون ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

«يتبع»

(٧) تفسير الآلوسي جـ ٢ ص٩٤.

قبس من أنوار النبوة

.. لعلكم تتقون

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله - ﷺ - قال: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

رواه البخارى ومسلم

وفى رواية أحمد عن أبى هريرة - مرفوعا: «من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وزاد النسائى فى سننه الكبرى - فى قوله: «ومن قام ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».. وفى مسند أحمد ومعجم الطبرانى الكبير من حديث عبادة بن الصامت مرفوعا: «فمن قامهما إيمانا واحتسابا ثم وفقت له غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

البيــــان:

إن العبادات فى جملتها روافد للتطهر من كل خبيث ودنس، ومن كل إثم وخطيئة، وتعصم المسلم من الذنوب والآثام، يشير إلى ذلك قول الرسول - ﷺ - فيما رواه البخارى -: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً.. ما تقول ذلك يبقى من درنه شيئاً.. فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا».

ولا قيمة فى الإسلام لعبادة لا تزكى خلق صاحبها، ولا تطهر نفسه ولا تحول بينه وبين الانحراف.

ولقد ربط الإسلام بين كل عبادة وهدفها الأخلاقى ربطا وثيقا فقال -تعالى- فى شأن الصلاة:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾

سورة العنكبوت / ٤٥

وفى شأن الزكاة قال - سبحانه وتعالى-:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾

سورة التوبة / ١٠٣

فهدف الزكاة تنقية النفس من الشح والحرص والأثرة العمياء، ولتنمية عناصر الخير، وتربية الفضائل.

وعن الصوم يقول -عز من قائل- :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

سورة البقرة / ١٨٣

فالتقوى هدف الصوم، وهى هدف أخلاقى جليل، وهى جماع الأخلاق الرفيعة.

ولقد وردت كلمة التقوى ومشتقاتها فى كتاب الله مايزيد على مائتين وخمسين مرة فى أساليب ومناسبات متنوعة وهى منثورة فى مختلف السور المكية والمدنية، وجميع هذه الآيات الواردة فى التقوى بسبيل دعوة الناس إلى اتقاء غضب الله وعقابه باجتناب ما نهى عنه وحرمه وندد به من أخلاق وأعمال وعقائد منكرة، وبالتزام ما أمر به ودعا إليه من أخلاق وأعمال وعقائد صالحة وقويمة، وهى تستهدف إيقاظ الضمائر وجعلها رقيبة على أصحابها، وتنبيههم إلى العاقبة الدنيوية والأخروية فى حالتى الطاعة والمعصية، والإحسان والإساءة.

والتقوى: تعنى الانضباط على أوامر الله، ومراقبته فى السر والعلن وعندما تمتلئ النفس بهذه الخشية فإنها تتحرج من أى ذنب، وتستحى من أى معصية، وتعيش مع ربها فى أمره ونهيه.

والمتقون هم الذين يقون أنفسهم عذاب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة وذلك بالوقوف عند حدوده وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وهو لا يأمر إلا بما فيه خير للإنسانية، ولا ينهى إلا عما يضرها.

ولقد وصف القرآن المتقين بأنهم تحلوا بالصفات الإنسانية الحقة، قال الله -تعالى- :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

سورة البقرة / ١٧٧

والمتصفون بهذه الصفات السامية وصفهم الله بصفة التقوى.

وهناك صفات أخرى، فالعدل من التقوى، قال -تعالى- :

﴿ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

سورة المائدة / ٨

والعفو من التقوى

﴿ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

سورة البقرة / ٢٣٧

والاستقامة مع الأعداء من التقوى

﴿ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ﴾

التوبة / ٧

لقد ذكر القرآن التقوى فى معرض تفريج الكربات والتغلب على الأزمات

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾

سورة الطلاق / ٢ ، ٣

ويقول – سبحانه –:

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾

سورة الطلاق / ٤

وفى معرض النصر والتأييد

﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

سورة الأعراف / ١٢٨

ومن ثمرات التقوى: أنها تجعل الإنسان فى أمن من الخوف والحزن يوم القيامة والنصر والتأييد فى هذه الحياة

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾

يونس / ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤

والثواب العظيم والنعيم فى الآخرة من ثمرات التقوى.

﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾

آل عمران / ١٥

ونيل رحمة الله من ثمرات التقوى

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾

الأعراف / ١٥٦

والتقوى خير زاد

﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾

البقرة / ١٩٧.

﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾

سورة محمد / ١٥

ومن ثمرات التقوى البشارة بالكرامة والإكرامية

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾

الحجرات / ١٣.

والفلاح قال – تعالى – فى سورة البقرة

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ١٨٩.

نيل الجزاء بالجنة:

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

يوسف / ٩٠

نيل الوصال والقرب

﴿ وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾ الحج / ٣٧.

اللقاء والرؤية قال الله:

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

سورة القمر الآيتان/ ٥٤/ ٥٥

إن المقام لا يتسع لذكر ما يزيد على مائتين وخمسين موضعاً في حديث التقوى، ولنستمع إلى أحد علماء[1] الإسلام يحدثنا عن التقوى وبواعثها فيقول: «البواعث في التقوى عشرة: خوف العقاب الأخروي، والدنيوي ورجاء الثواب الدنيوي، والثواب الأخروي، وخوف الحساب، والحياء من نظر الله وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته، والعلم لقوله –تعالى–:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر/ ٢٨

وتعظيم جلال الله وهو مقام الهيبة كما يقول لنا: درجات التقوى خمس: أن يتقي العبد الكفر، وذلك مقام الإسلام.

وأن يتقي المعاصي والمحرمات، وهو مقام التوبة. وأن يتقي الشبهات: وهو مقام الورع. وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد. «وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة»[2].

ويسأل همام علياً – رضي الله عنه – فقال: صف لي المتقين كأني أنظر إليهم فقال: هم الذين منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم في البلاء كما نزلت في الرخاء، لولا الأمل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى ربهم، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياماً قصيرة؛ أعقبتهم راحة طويلة، تجارة رابحة يسرها لهم ربهم، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها.

أما الليل: فصافون أقدامهم للصلاة يرتلون القرآن ترتيلاً، فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها تشوقاً، وإذا مروا بآية فيها تخوف أصغوا إليها بمجامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم جاثون على ركبهم يطلبون من الله فكاك رقابهم.

.. فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في الدين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعملاً في حلم، وقصداً في غنى، وتجملاً في فاقة، وخشوعاً في عبادة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع، يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمشي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر.

.. تراه قريباً أمله، قليلاً ذلله خاشعاً قلبه قانعة نفسه، سهلاً أمره.

.. يعفو عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، في الزلازل وقور وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن يحب. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه.

هذه هي صفة التقوى التي يوصلنا إليها الصيام وهؤلاء هم المتقون رزقنا الله صفاتهم، ورزقنا صحبتهم إنك يا ربنا على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير.

١– تفسير التسهيل لابن جزي الغرناطي ص٣٦.

٢– ترويح الفؤاد للشيخ علي رفاعي ص١٣٦.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ «أهل»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

ففى مقالين سابقين تتبعنا هذه اللفظة فى كتاب الله حتى آخر سورة الأعراف، وفى هذا المقال وما يليه نتتبعها - إن شاء الله - فيما بقى من سور الكتاب العزيز، فنقول وبالله التوفيق: لقد ذكرت لفظة «أهل» فى سورة براءة مرتين: الأولى فى قوله - تعالى -:

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[1].

والمعنى: أن بعض الأعراب حول المدينة منافقون، ومن أهل المدينة نفسها قوم منافقون من الأوس والخزرج استمرأوا النفاق، ومرنوا عليه، حتى أتقنوه وهؤلاء غير منافقى المدينة، الذين فضحهم الله فى هذه السورة، وأعلم رسوله - ﷺ - بهم، ولهذا قال: «لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم فى الدنيا مرتين» الأولى: بالمصائب وعذاب الضمير، والثانية: عند الموت ثم يردون بعد الموت، وفى الآخرة إلى عذاب عظيم فى جهنم وبئس المصير.

والمرة الثانية فى قوله - تعالى -:

---

(١) التوبة (١٠١).

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(٢).

والمعنى: لا يجوز لأهل المدينة، وهم أصل الإسلام وصحابة الرسول العظيم أن يتخلفوا عن رسول الله في غزو أو غيره ولا أن يفضلوا أنفسهم على نفسه الشريفة -ﷺ- لأن كل ما يصيبهم في الغزو من أذى وإن كان قليلا وكل ما يوقعونه بعدوهم من أذى قل أو كثر يكتب لهم به عمل صالح يثابون عليه أجزل الثواب لأنهم بعملهم هذا محسنون والله لا يضيع أجر المحسنين.

وذكرت الكلمة مرة واحدة في سورة يونس في قوله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٣).

يُشبّه الحق -سبحانه وتعالى- الحياة الدنيا في سرعة زوالها بعد البهجة والجمال والنضرة مع شدة تعلق الناس بهـا بماء نزل من السماء فنبتت به الأرض من كل زوج بهيج اختلط بعضه ببعض من الحدائق و البساتين والحبوب والثمار فبدت الأرض في أبهى زينتها وأكمل حليها واشتد تعلق الناس بها ثم نزل بها أمر الله الذي قدره لهلاكها في الليل أو النهار على السواء فصارت كالأرض المحصودة التي قطع زرعها واستؤصل نباتها أو كالتي لم تنبت من قبل، وقد ضرب الله هذا المثل ليتدبره المتفكرون ليعلموا أن الناس لا ينبغي أن يتعلقوا بالدنيا أو يغتروا بها لأنها سريعة الزوال والفناء.

وقد ذكر اللفظ في سورة هود في قوله -تعالى-:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾(٤).

وقد جاءت الآية الكريمة في خلال ذكر قصة نوح -عليه السلام- وفي معرض الحديث عن هلاك قومه الكافرين فقد أمر الله -تعالى- نبيه نوحا أن يصنع الفلك استعداداً للطوفان القادم وكانت أمارة هذا الطوفان أن يفور الماء من التنور الذي يخبزون فيه والمشتعل ناراً، فقال الله لنوح -عليه السلام- إذا رأيت هذه الأمارة فقد نزل أمرنا بهلاك الكافرين فاحمل في السفينة من كل الحيوانات ذكراً وأنثى لتتناسل بعد هلاك كل من في الأرض واحمل فيها كذلك أهل بيتك الذين آمنوا بك، أما من كفر منهم فقد سبق القول بإغراقهم، واحمل كذلك من آمن بك من غير أهلك وهم ليسوا بالعدد الكثير.

---

(٢) التوبة (١٢٠)

(٣) يونس (٢٤)

(٤) سورة هود (٤٠)

وقد ذكر اللفظ مرتين أخريين في قوله – تعالى –:

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾(٥).

لقد وعد الله سيدنا نوحا بإنجاء أهله من الهلاك واستثنى منهم من سبق عليه القول لكفرهم فلما جرت السفينة ولم يركب فيها ابنه الكافر نادى نوح ربه ناسيا الاستثناء السابق قال: رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الذي وعدتنيه حق لا يتخلف فأجابه المولى سبحانه: يا نوح إن ابنك الكافر ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم لأنه كافر وذو عمل غير صالح فلا تسألني شيئا ليس لديك فيه يقين حتى لا تكون من الجاهلين فاعتذر نوح لربه وطلب منه المغفرة عن هذا السؤال الذي عد ذنبا في حقه لأنه من أولي العزم من الأنبياء.

وفي قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – بهذه السورة ذكرت الكلمة مرة أخرى في قوله – تعالى – :

﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾(٦).

لقد مرت الملائكة على إبراهيم وهم في طريقهم إلى لوط عليه السلام فبشروه بالغلام الحليم (إسحاق) فتعجبت امرأته من هذه البشرى فكيف تلد وهي عجوز عقيم وزوجها جاوز المائة عام فقالت لها الملائكة لا ينبغي أن تعجبي من أمر قدره الله الذي لا راد لقضائه وليست هذه أول مرة يخرق الله فيها النواميس لأهل هذا البيت المبارك إنه حميد مجيد.

وفي الآية الحادية والثمانين من السورة نفسها ذكرت هذه الكلمة في قوله – تعالى –:

﴿ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾(٧).

لقد ظن لوط – عليه السلام – الملائكة الذين جاءوا لإنزال العذاب بقومه الفاسقين ظنهم بشرا فضاق بهم ذرعا لعلمه أن قومه سيحاولون فعل الفاحشة بهم كعادتهم فطمأنته الملائكة قائلين: إنا ملائكة ولسنا بشرا فلن يستطيع قومك الوصول إلى دارك فاخرج من قرية الخبائث بأهلك حين يبقى من الليل ما يكفي لأن تجاوز حدود القرية الظالمة ولا يلتفت منكم أحد حتى لا يرى العذاب النازل بأهل الفساد إلا امرأتك الكافرة فسيصيبها العذاب الواقع بهم، اخرج قبل الصبح لأن موعد عذابهم الصبح حين يكونون مجتمعين ببيوتهم وهو موعد ليس ببعيد.

والمرة الأخيرة التي ذكرت فيها الكلمة في سورة هود هي قوله – تعالى – :

---

(٥) هود (٤٥، ٤٦).

(٦) هود (٧٣).

(٧) هود (٨١).

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾(٨).

والمعنى ليس من سنة الله ولا من قدره أن يهلك القرى بالشرك وحده فلو جمعوا إلى الشرك الفساد في الأرض بالظلم والجور أهلكها، أما إذا كانوا مع شركهم مصلحين فلن ينالهم الهلاك، فالأمم تبقى مع الكفر ولا تبقى مع الظلم والجور فقد روى أن رسول الله - ﷺ - سئل عن تفسير هذه الآية فقال: «وأهلها ينصف بعضهم بعضا» رواه الطبراني عن جرير بن عبدالله.

وننتقل إلى سورة يوسف -عليه السلام- فنجد أن الكلمة ذكرت فيها سبع مرات أولاها قوله -تعالى- :

﴿ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٩).

لقد راودت امرأة العزيز فتاها يوسف - عليه السلام - عن نفسه وهمت به لتعاقبه على عصيانه أمرها، وهَمَّ بها لدفعها عنه ولم يجد بُدًا من فراره منها إلى الباب لينجو بنفسه فأسرعت خلفه فأمسكت بقميصه فقطعته، وحين وصلا إلى الباب في لحظة واحدة وجدا زوجها عند الباب فبادرته بقولها: ما جزاء من أراد بأهلك السوء والفاحشة إلا السجن أو العذاب الموجع الذي يرده إلى الأدب والطاعة.. فدافع يوسف - عليه السلام- عن نفسه بقوله: هي راودتني عن نفسي. وحين تعارضت التُهم شهد ابن عمها الذي كان مع زوجها، إن كان قميص يوسف قطع من الأمام فذاك دليل على صدقها وإن كان قد قطع من الخلف فذاك دليل على براءة يوسف وصدقه، وذاك معنى قوله - تعالى - في الآية السادسة والعشرين وما بعدها من السورة نفسها.

﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾(١٠).

وقد ذكرت كلمة أهل في الآية الأولى منهما.

وفي نفس السياق ذكرت الكلمة في الآية الخامسة والستين من نفس السورة

﴿ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴾(١١).

ذلك أن أبناء يعقوب - عليه السلام - كانوا قد ذهبوا إلى مصر لطلب الميرة وكان يوسف القائم على هذا الأمر فعرفهم ولم يعرفوه فقال لهم بعد أن أكرم وفادتهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، فإن لم تأتوني به فلا تأتوا هذه البلاد مرة أخرى لطلب الميرة، وكان قد قال لفتيانه الذين يقومون بالكيل والتسليم والتسلم اجعلوا البضاعة التي أحضروها ثمنا للطعام في أمتعتهم سرا بحيث لا يشعرون فإذا ما رأوها بعد رجوعهم إلى أبيهم دفعهم ذلك إلى العودة بأخيهم بنيامين،

---

(٨) هود (١١٧).

(٩) يوسف (٢٥).

(١٠) يوسف (٢٦).

(١١) يوسف (٦٥).

وقد كان فقالوا لأبيهم عندما علموا أن ثمن الطعام لم يأخذه يوسف وفتيانه - هذه بضاعتنا ردت إلينا وذلك أكبر دليل على كرم يوسف فأرسل معنا أخانا بنيامين في المرة القادمة ففي ذلك منافع عدة تحضر الطعام لأهلنا ونزداد حمل بعير لوجود بنيامين معنا ولا تخف عليه فسنقوم بالمحافظة عليه وسيكون في ضيافة هذا الرجل الكريم.

وتأتي الكلمة مرة أخرى في الآية الثامنة والثمانين

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾(١٢).

لقد تم ليوسف - عليه السلام - ما أراد من حضور بنيامين إلى أرض مصر، عندئذ احتال لاستبقائه معه فتركه اخوته عنده إلا واحداً فلما عادوا إلى أبيهم حزن حزناً شديداً حتى ابيضت عيناه من الحزن والبكاء لكن شعورا خفيا كان يساوره أن يوسف لم يمت وأنه يوشك أن يلتقي به وبإخوته فاستحث أبناءه أن يبحثوا عن يوسف وأخيه وأن يحدوهم الأمل في روح الله فاستجابوا لطلبه فلما دخلوا على يوسف للمرة الثالثة قالوا له: يا أيها العزيز أصابنا الضر من المجاعة التي حلت ببلادنا، ولقد أتيناك هذه المرة ببضاعة رديئة فتقبلها منا كرماً منك ثمنا لما نحتاجه من الطعام فأعطنا بها كيلا تاماً وتصدق علينا بما تعطيه لنا فوق ما نستحق إن الله يجزي المتصدقين، وقد كان هذا الاستعطاف سبباً في أن يكشف لهم يوسف عن شخصه، فاعترفوا بذنبهم وطلبوا الصفح والمغفرة وأعطاهم قميصه ليلقوه على وجه أبيه فيعود إليه بصره وأمرهم أن يحضروا أباهم وأهلهم جميعاً إلى مصر وذلك قوله - تعالى - في الآية التالية التي ذكرت فيها كلمة الأهل - أيضاً -:

﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١٣).

والآية الأخيرة التي ذكرت فيها هذه الكلمة في هذه السورة هي قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(١٤).

والمعنى أن الله - تعالى - جرت سنته على إرسال الرسل إلى أهل القرى بشرا لا ملائكة فلمَ يعجب أهل مكة من إرسالك وأنت لست بدعا من الرسل أفلم يسيروا ويعتبروا ويؤمنوا لأن الدار الآخرة خير للمتقين لو كانوا يعقلون.

وفي سورة الحجر ذكرت الكلمة مرتين، الأولى في الآية الخامسة والستين

﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾(١٥).

---

(١٢) يوسف (٨٨)

(١٣) يوسف (٩٣)

(١٤) يوسف (١٠٩)

(١٥) الحجر (٦٥)

والخطاب فيها موجه على ألسنة الملائكة لسيدنا لوط -عليه السلام- ومعناها لا يختلف كثيرا عن نظيرتها السابقة وهو فسرْ بأهلك (ابنتيك) حين يمضي معظم الليل وكن من وراء أهلك لتراقب أحوالهم وتسرع بهم ولتعطي لنفسك فرصة للدفاع عنهم إن بدا مكروه ولا يلتفت منكم أحد حتى لا يدع فرصة للحنين للأهل والوطن وليكون ذلك أشد في العزم على الهجرة والرحيل وامضوا حيث يأمركم ربكم لا تلوون على شيء.

والآية الثانية في الحجر في نفس السياق وهي قوله -تعالى-:

﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾(١٦)

وذلك أن أهل مدينة سدوم لما علموا من زوجة لوط - عليه السلام - أن ضيفاً حسان الوجوه قد نزلوا به استبشروا وهُرعوا إليهم مصرين على فعل الفاحشة التي اعتادوها ضد طبائع الأشياء بهم غير عابئين بما للضيف من حرمة وحق، وما لنبيهم الكريم من ذمة وعهد، فأصاب لوطا من الغم ما لا يعلمه إلا الله فقال لهم اتقوا الله ولا تفضحوني في ضيفي، ولا تخزوني فيهم فردوا عليه في صفاقة: ألم ننهك من قبل عن استضافة الغرباء وإزاء هذا الإصرار الفاجر لم يجد -عليه السلام- بداً من أن يعرض عليهم بناته وبنات أمته للزواج «هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين» لكن قضاء الله لا بد أن يتم فظلوا في غوايتهم يتخبطون حتى قطع الله دابرهم.

وذكرت الكلمة مرة واحدة في النحل في قوله -تعالى-:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٧).

روى الضحاك عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن الله لما بعث محمداً - ﷺ - أنكر العرب ذلك وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فأنزل الله:

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾(١٨)

ومعنى آية النحل التي معنا: «وما أرسلنا قبلك يا محمد رسلاً إلي أقوامهم إلا بشراً من بني آدم لا ملائكة توحي إليهم لكي يسهل على أقوامهم التلقي منهم وإن كنتم يا معشر قريش في شك من ذلك فاسألوا أهل الأديان السابقة اليهود والنصارى ومن سواهم ينبئوكم أن رسلهم كانوا بشراً.

هذا.. والله أعلم وبه التوفيق.. وإلى اللقاء في مقال قادم - إن شاء الله -.

---

(١٦) الحجر ٦٧.
(١٧) النحل (٤٣).
(١٨) يونس (٢).

رمضان شهر الاجتهاد

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها -: «كان رسول الله - ﷺ - يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره»[1].

فإذا كان سيد الخلق - ﷺ - وهو من هو: منزلة، وعبادة، وتبتلا، وقياما، وذكرا في كل أيامه وأحواله. ورغم ذلك كان يجتهد في العبادة في رمضان أكثر من اجتهاده في غيره، فكيف بنا، ونحن كسالى في كل أيامنا ولياليناً؟!.. رمضان موسم عبادة وتقرب إلى الله - عز وجل - فهل أعددنا له عدته؟!.

نحن كسالى كل أيامنا، وأخشى أن نكون أكثر كسلا في رمضان، لأننا أخذنا رمضان مأخذاً آخر، وتحول على أيدينا إلى شهر عادات، أكثر منه شهر عبادة وطاعة، وأصبح موسماً للطعام والشراب والكسل والعبث.

رمضان شهر الخلق الحسن، الدمث، تحول عند أكثر المسلمين إلى موسم الضيق والحمق والنزق!.

رمضان شهر السكينة والطمأنينة والكلمة الطيبة العفيفة، فكيف يدلناه إلى الكلمات النابية البذيئة في النهار، والصخب واللهو بالليل.

مسلم اليوم إذا أصبح صائماً كان ضيق النفس، أكثر بذاءة وحمقاً، والسبب: أنه صائم!. عجباً!

يقول رسول الله - ﷺ -: «إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل، وإن جهل عليه أحد، فليقل: إني امرؤ صائم»[2].

بهذه التعليمات المحددة، الواجبة الاتباع يكون رمضان، وتكون أنت كما ينبغي، فلا تأت الرفث قولاً أو فعلاً أو تلميحاً ولا مشاهدة. كيف يكون مسلماً صائماً كما ينبغي، يسلي صيامه بفيلم عابث، أو مجلة خليعة، أو غيبة، أو نميمة؟!.

ولذلك يخرج هذا الإنسان من رمضان أسوأ مما بدأه، لأنه كما تضاعف الحسنات في

---

(1) مسلم (1175)

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الصيام (رقم 1691)

رمضان، أحسب أن السيئات تُضاعف، والسيئة مُعاقب عليها، ولكن السيئة لو ارتكبت في المسجد فعقوبتها أشد، وكما أن الحسنة تُضاعف في المسجد الحرام، فالسيئة كذلك في الأزمنة الفاضلة.

كيف نتعلم من رمضان كظم الغيظ وضبط النفس الهادئ الواثق، الراجي ثواب رب كريم؟!.

كيف يا أخي المسلم تواجه الإساءة والبذاءة؟!.

يبين لنا النبي الكريم -ﷺ- المنهج المستقيم الراشد في التربية النفسية بقول: «فإن سابك أحد أو شاتمك فقل: إني صائم، إني صائم»[3]. لا تجهل كجهله ولا تسب كسبه ولا تشتم كشتمه، ليس عن ضعف أو عجز أو عي، بل لأنك في حضرة الله، فأنت صائم شامخ بهذه الحضرة العلية. أليست هذه قمة التربية النفسية؟!.

تعلّم كيف تمارس العفو إيثاراً لمرضاة الله، وتعلّم كيف تمارس الرضا عن قناعة.

يقول النبي -ﷺ-: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[4]. فهل نعرف معنى هذا الهدي النبوي الكريم؟!.

إن من أهداف رسالة الإسلام إتمام مكارم الأخلاق، أي أعلى الأخلاق وأكملها.

فليست أخلاق مرتزقة أو سوقة أو همج..

وليست أخلاق الإسلام ابتسامات باهتة، وقلوب صدئة، ملوثة بالشّح والكبر.

إن أخلاق الإسلام ومكارم الأخلاق نابعة من قلوب صافية رحيمة.

رمضان أيها المسلمون سلوك رباني، اسأل نفسك وأنت تمارس رياضة الصوم: هل تقدمت خطوة إلى صفاء النفس، وطمأنينة القلب، وتخلصت من صفات النفس المرذولة؟..

إذا كنت تقدمت فأنت صائم. وإن كانت الأخرى، فيا خيبة المسعى.

نسأل الله السلامة، وكما يقول المصطفى -ﷺ-: «رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش»[5]. فما أبلغ هذا التعبير لبيان الحصاد السيء بعد نهار طويل وجهد شاق.

رمضان.. موسم الخير، فاعمل وتزود لآخرتك واجتهد، فالسعيد حقاً من وفقه الله -تعالى- للصوم كما يحب الله ورسوله.

فإذا صُمت كما ينبغي، فلك دعوة لا ترد، يقول رسول الله -ﷺ-: «ثلاثة لا تُرد دعوتهم..» وذكر منهم «.. والصائم حتى يفطر»[6].

---

(٣) رواه أبو هريرة في مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٢٨).

(٤) عن أبي هريرة في كتاب «السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٩٢).

(٥) فتح الباري، رقم ١٩٠٣.

(٦) سنن ابن ماجه (١/ ٥٥٧) رقم ١٧٥٢.

وذلك مغفرة الذنوب يقول الحبيب البشير - ﷺ -: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه»[7]. أى تصديقاً لله ولرسوله، ولوجه الله - تعالى - ومتجرداً من كل غرض، فبعض الناس يصوم خجلاً من أن يراه الناس مفطراً، «ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[8].

كل هذا الثواب والأجر والمغفرة ينتظر الصائم القائم فى رمضان، لكننا نفسد صومنا فى كثير من الأحيان.

فشهر الصوم تحول على أيدينا إلى عادات قبيحة، مع أنه شهر من المفروض أن نتخلص فيه من عاداتنا القبيحة.

تعلم كيف تراقب ربك، عوِّد نفسك، روضها على مراقبة الله، فنحن نمتنع عن الأكل فيه لله، ونأكل باسم الله.

كيف تراقب الله وتذكره فى الفعل وفى الترك؟!.

البركة فى السحور

يقول رسول الله - ﷺ -: «تسحروا فإن فى السحور بركة»[9]. هل يعرف الناس اليوم البركة؟.. وهل يدركونها ويحسونها، هل يطلبونها وينشدونها؟.

هذا توجيه من رسول الله - ﷺ - لنا إلى مواطن البركة التى هى طريقنا إلى الغنى الحقيقى حتى لا نلهث فى الدنيا بغير وعى، ونأكل بلا شبع ونشرب بلا رى.

تحولت العبادات على أيدينا إلى عادات مرذولة؟.

نأكل فى منتصف الليل، وبعضنا يسميه عشاء، وننام وننسى صلاة الفجر، ولا نمتثل أمره وتوجيهه بالأكل والشرب فى السحور، ونُحْرَم البركة التى وعدنا بها رسول الله - ﷺ - ولا يُحْرَم البركة إلا محروم.

.. وباستطاعتك أن تنال البركة بالأكل، وهو يوافق الطبيعة البشرية، بلا مشقة، ولكن فى وقت محدد، والنفس الخبيثة تحرمك من البركة، فتخالف الهدى النبوى، وتتمسك بعادة ليس إلا.

واستحضر فى قلبك وأنت تأكل فى هذا الوقت، إنك تفعل هذا امتثالاً لأمره - ﷺ - وسعادة الأمة فى اقتفاء أثره الشريف، فإنك لو أيقظت قلبك، وأكلت امتثالا لأمره - ﷺ - فإن الله ينير لك قلبك يكفى أنك تذكرت الحبيب - ﷺ - ونويت الاقتداء به، وكان رسول الله - ﷺ - يقول لأصحابه ويدعوهم للسحور قائلاً: «هلموا إلى الغذاء المبارك»[10].

---

(7) ابن ماجه، كتاب الصيام، رقم (1641)

(8) مسلم (1/176)

(9) النسائى (4/ 1040)

(10) النسائى

حاول أيها المسلم أن تغير عادتك ولا تحتقر من الأعمال شيئاً، بل احتل على طبعك، وعاداتك، فهل تعلم أن ما يحير أعداء الإسلام هو تمسك المسلمين بسنة المصطفى -ﷺ- ذلك التمسك الذي جعل المسلمين يدونون: كيف كان مشيه؟، وكيف كان نومه؟. وكثيراً ما كنا نقرأ في الأحاديث قول الراوي مثلاً: «وأشار بيده -ﷺ-».. أو «وهو يركب ناقته» أو «تبسم» أو «ضحك حتى بدت نواجذه -ﷺ-».

وهكذا.. وهكذا، مما أشرقت به كتب السنة، وأضاءت به القلوب، ولذلك فإن أعداء الإسلام يصوبون سهامهم -ولن يفلحوا بإذن الله- إلى السنة النبوية بالتشكيك تارة في الراوي، وتارة فيما روى، ويلبسون ثياب العقلانية مرة، والمنهج العلمي مرة أخرى.

ويزينون لك عادات في المأكل والمشرب تصرفك عن السمت والهدي النبوي. فمثلاً: أنا أتصور أماً مسلمة معاصرة، جلس طفلها يتناول طعامه في أحد الفنادق الكبرى، وأمسك السكين باليد اليسرى، و(الشوكة) باليد اليمنى، كأني بها قد خجلت من ولدها ومن نفسها، وتصببت عرقاً، وأسألها: لم كل هذا؟!.. هل لو أن ولدها ترك سنة وهدياً نبوياً، هل كانت تحتفل وتتأثر؟.. هل لو أن ولدها أخّر إفطاره، أو أكل في منتصف الليل وترك السحور، هل كانت تهتم أو تكترث؟..

هل تعلم أن النبي -ﷺ- سوف يقف أمامه تاركو السنة ويتساقط لحم وجوههم خجلاً من النبي -ﷺ-؟.. أم أن المسألة لا تعنيها مادام الولد بصحة جيدة يلعب الكرة مع أقرانه!.. لماذا لا تهتم الأم المسلمة أو تفكر في أن تبين لولدها أن ما فعله ليس من سنة المصطفى وهديه، إن الله -سبحانه وتعالى- أرسل رسوله بالهدى ودين الحق لنتبعه، وأمرنا باتباعه والاقتداء به.

يروى أن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول: «لعل خُفاً يقع على خُف.. يعني خُف ناقة رسول الله -ﷺ-»[11].

وعن عاصم الأحول، عمن حدثه قال: «كان ابن عمر إذا رآه أحد ظن أن به شيئاً من تتبعه آثار النبي -ﷺ-»[12].

وقت السحور

أما متى كان وقت السحور، أو هذا الغداء المبارك، كما سماه النبي -ﷺ- فهو قبل الفجر بمقدار خمسين آية. يروى أن الصحابي الجليل زيد بن ثابت -رضي الله عنه- قال: «تسحرنا مع رسول الله -ﷺ- قال: ثم قام إلى الصلاة، قال: قلت: كم كان بين الأذان والسحور؟. قال: قدر قراءة خمسين آية»[13]

(١١) الأصبهاني، حلية الأولياء، (١/٣١٠).
(١٢) المصدر السابق.
(١٣) سنن الدارمي، كتاب الصوم (١/٣٢٨).

وروى عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «تسحروا فإن في السحور بركة»[١٤].

ما هي الحكمة؟، ربما تقول أو يقال لك: إن الحكمة هي أن تبدأ الصوم وأنت قريب عهد بطعام، فيستمر معك الطعام حتى منتصف النهار، وقد يكون هذا صحيحاً. لكني أقول لك: عليك أن تلاحظ امتثال أمر النبي -ﷺ- في التسحر وفي تأخيره.

إننا نريد أن نخرج من رمضان، ونحن أكثر التصاقاً برسول الله -ﷺ- وأكثر تعلقاً وأكثر حباً، وأكثر اهتداءً. وما ذاك إلا بتحري السنة. يقول النبي -ﷺ- داعياً إلى التمسك بهديه في تعجيل الفطر وتأخير السحور: «ما يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[١٥].

خيرية الأمة مرتبطة بهذا العمل البسيط في ظاهره، لكنه كبير في معناه، إذ أن معناه توحيد الأمة في عمل واحد من أجل الاقتداء بسنة المصطفى.

وقد ورد أن رسول الله -ﷺ- قال: قال الله تعالى «أحب عبادي إليّ أعجلهم فطراً»[١٦]. فأنت تصل إلى محبة الله لك لا بالإسراع في الأكل، ولكن بنية الاقتداء برسول الله -ﷺ- فهذا التذكر حضور للقلب مع الله.

خلوف فم الصائم

وأحب أن أتحدث إليك حديثاً خاصاً في هذه المسألة، ربما كان بعضه تعلمه، ولكنه لا يخلو من فائدة -بإذن الله.

ورد عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «خُلُوفُ فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[١٧]. فكيف يستساغ هذا الربح مع أن معنى خُلُوف هو تغير رائحة الفم؟. والله طيب لا يقبل إلا طيباً، وكيف تنهى سنة النبي -ﷺ- عن الروائح الكريهة، أو غير المستساغة، ويأمر بالطيب، ثم يخبر النبي -ﷺ- بأن خُلُوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك؟!.

قال العلماء في ذلك قولاً طيباً، ولكني أضيف: إن هناك عبادات متميزة، أصحابها يحملون سماتها يوم الحشر، وكأني بهذه السمات تعفي صاحب العبادة من المساءلة، فالله قد أكرمهم بأن قلدهم وسام كرامة بعلامات تميزهم يوم القيامة، فالصائم معه خلوفه الطيب يوم القيامة، والمجاهد الشهيد معه دمه يثعب، كما ورد في الحديث، وهو لا يغسل حتى يبقى معه دمه يوم الحشر، ورد أن النبي -ﷺ- قال في شهداء أحد: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله،

---

(١٤) سنن الدارمي، كتاب الصوم (٣٢٩/١).

(١٥) سنن الدارمي، كتاب الصوم (٣٢٨/١).

(١٦) النسائي.

(١٧) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب: فضل الصوم (٢٦/٣).

والله أعلم بمن يُكْلَمُ في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك»[18].

وورد أيضاً: «إن الشهيد يبعث وجرحه يثعب دماً»[19].

فهذا وسامه يحمله يُزَفُّ به إلى الجنة يوم القيامة.

وكذلك المُسْبِغ للوضوء على المكاره يحشرون غراً محجلين من أثر الوضوء، كما ورد في الحديث. روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - أنه قال: «ألا أدلكم على ما يرفع الله به الدرجات ويمحو به الخطايا، كثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء على المكاره»[20].

وكذلك الذي يموت وهو مُحْرِم، فإن رسول الله - ﷺ - أمر ألا يغطي رأسه بالكفن، عن ابن عباس - رضي الله عنه - أن رجلاً وقصه بعيره، ونحن مع النبي - ﷺ - وهو مُحْرِم، فقال النبي - ﷺ -: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تمسوه طيباً، ولا تخمروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة مُلبياً»[21].

وكذلك المؤذنون، فقد ورد عن النبي - ﷺ - أنه قال عن المؤذنين: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»[22].

وهكذا في المحشر، نرى عبادات متميزة لرجال متميزين، وأعمالاً ذات أوسمة، فلا حاجة للمحاسبة، وكأني بهم تنادي عليهم الملائكة: هلموا إلى جنة ربكم ﴿ بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾[23].

وخُلوفُ فم الصائم، وسام يحمله في المحشر ينادى عليه، فيدخل الجنة من «باب الريان» وقد ورد عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق عليهم، فلم يدخل منه أحد»[24].

---

(18) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من يجرح في سبيل الله - عز وجل - (4/19)

(19) فتح الباري، شرح صحيح البخاري، باب ما ينهى من الطيب للمُحْرِم والمُحْرِمة (4/54، 55)

(20) رواه أحمد في مسنده (2/301)

(21) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب كيف يكفن المُحْرِم (2/83)

(22) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب فضل الأذان

(23) سورة الحاقة آية (24)

(24) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (3/26)

انتصارات شهر رمضان

للأستاذ الدكتور/ عبد الرحمن العدوى (*)

يستقبل المسلمون شهر رمضان بالعزيمة الصادقة، على أن ينتصروا على شهوات النفس ومغرياتها، وأن يكون سبيلهم لهذا الانتصار الاستجابة لما كتبه الله عليهم من صيام هذا الشهر المبارك، وإخلاص النية فى أداء هذه العبادة، التى هى سر بين العبد وربه لا يدخله مظاهر الرياء ولا قصد المباهاة فإن الواقع لا فرق فيه بين الصائم والمفطر فكلاهما سره مصون وأمره مكنون لا يعلمه إلا من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

وشهر رمضان الذى فرض الله صيامه شهر ميزه الله على سائر شهور العام بما أنزل فيه من القرآن الكريم كتاب هذه الأمة الخالد الذى أخرجها الله به من الظلمات إلى النور، فأنشأها هذه النشأة الفاضلة الكاملة حين أخذت بأحكامه والتزمت شرائعه واستجابت لتوجيهاته وآدابه فجمع الله بهذا القرآن شتاتها، ووهبها مقوماتها التى صارت به أمة، ولم تكن من قبل شيئا، وهى بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان فى الأرض ولا ذكر فى السماء.

فشهر رمضان شهر نشأة أمة الإسلام أراد الله له أن يطهر فيه أفراد هذه الأمة من أدران الشهوات التى مارسوها طوال العام، فكان هذا الشهر بما فيه من عبادة الصوم هو شهر التدريب العملى على كبح جماح الغرائز الشهوانية، والتخلص من سيطرتها، وخلق حالة شعورية إرادية تحكم سلوك الصائم وتعطيه القدرة على السيطرة وهزيمة نزعات النفس، وتحكم عاداتها التى تكونت طوال العام بعيدة عن منهج الله.

ومعركة الصائم مع شهوات البطن والفرج مكتوب له النصر فيها فقد وعد الله الصائمين بأن يكونوا من أهل التقوى والله مع المتقين بعونه ونصره وتوفيقه، وأخبر الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - بأن الصوم جنة، أى: وقاية من الشهوات فهو كالدرع الواقى للمحارب يحميه من سلاح العدو، والصائم كلما تذكر أنه

(*) عضو مجمع البحوث الإسلامية

صائم كانت وقايته من كل إثم أشد وأكمل وأقوى، ولذلك أمره رسول الله - ﷺ - أن يواجه مواقف الغضب والسباب والمخاصمة بقوله: إني صائم، إني صائم ليكون ذاكرا لصومه الذي هو سر بينه وبين ربه والذي تجرد فيه لطاعة الله وحده دون نظر إلى الناس ومعرفتهم أو عدم معرفتهم بهذه العبادة.

الانتصار على النفس

وانتصار الإنسان بالصوم على نفسه الأمارة بالسوء وعلى شهواته هو الأساس الذي تبنى عليه كل الطاعات والفضائل فعندما يتربى ضميره وتتجه نفسه إلى حسن أدائه للعبادة يكون حسن سلوكه في الحياة والمعاملات وعلاقاته مع الناس، ويتحقق له خلق التقوى وفيه كل الخير، ولن يصل إلى هذا المستوى إلا من صحت عقيدته وتجرد من البخل والشح والتعلق بالدنيا وتجرد من الجبن والخوف وكان صابرا في مواجهة الأزمات والشدائد، هذه صفات المتقين، واقرأوا في ذلك قول الله - تعالى -:

﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(1).

والارتباط وثيق بين هذه الآية، وآية الصوم، فبعد أن ذكر الله صفات المتقين الذين صدقوا جاءت آية الصيام تعلن أن الله فرض هذه العبادة للوصول إلى التقوى عن طريقها فيكون الصائم من المتقين الذين تحدث الله عن خصائصهم في آية البر، وحكم لهم بأنهم الذين صدقوا وأولئك هم المتقون.

الانتصار على الشيطان ووساوسه

والمعركة الثانية التي ينتصر فيها الصائم بصومه هي المعركة ضد الشيطان ووساوسه، فإن الشيطان الذي أنظره الله إلى يوم الدين، والذي أقسم بعزة الله ليغوين العباد أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين، والشيطان الذي أخبرنا الله بعداوته وأمرنا بأن نتخذه عدوا فقال:

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

وقال:

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

هذا الشيطان الذي هو عدو المؤمنين وعدو النبيين كما قال الله - تعالى -:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾

---

(1) البقرة (177).

وقال:

﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾

هذا الشيطان من الجن يقيده الله بالسلاسل والأغلال في شهر رمضان فلا يقوى على الإغواء والإفساد الذى كان يفعله قبل رمضان، وفي ذلك حديث رسول الله - ﷺ -: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين» (٢).

فالله - سبحانه وتعالى - من فضله ورحمته بعباده الصالحين يزين لهم الجنة، ويفتح أبوابها ويباعد بينهم وبين النار ويغلق أبوابها، ويساعدهم في معركتهم ضد الشياطين فيشد أغلالهم ويعجزهم عن الإغواء الذى كانوا قادرين على مباشرته في غير رمضان، وبذلك يعين الله الصالحين على شياطين الجن فينتصرون عليهم كما انتصروا على أنفسهم وشهواتها، أما شياطين الإنس الذين يزينون للناس المعاصي والخروج على طاعة الله والإفساد في الأرض فلا يصفدون ويتركون بغير عون ولا ولي بينما الصالحون وليهم الله وناصرهم وناشر رحمته عليهم، فتكون معركتهم مع الفاسقين مضمونة النصر لهم على العصاة والمفسدين كما انتصروا على مردة الشياطين.

الانتصار في ميدان القتال

والنوع المعركة الثالثة التي تحقق النصر فيها في شهر رمضان المبارك هي معارك الإيمان التي خاضها الرسول - ﷺ - والمؤمنون معه في شهر رمضان والمعارك التي دخلها المسلمون من بعده في هذا الشهر مع أعداء الله وكان النصر حليف المسلمين في هذه المعارك التي خاضوها في أيام مباركة انتصروا فيها على أنفسهم وانتصروا على شياطينهم وسعدوا بمعية الله ربهم، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، ونذكر من هذه المعارك ثلاثا وقعت في شهر رمضان وحقق الله فيها النصر للمؤمنين:

أولها: معركة بدر الكبرى: وهي معركة لم يتخذ المسلمون فيها أهبة للقتال وكان خروجهم للاستيلاء على عير قريش القادمة من الشام تحت قيادة أبي سفيان حتى يعوضوا بعض ما استولى عليه أهل مكة من أموال المهاجرين وعقاراتهم، فقد أخرجوهم من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، فإذا سنحت لهم الفرصة لاسترداد جزء من الأموال التي غصبت منهم فإن من العجز أن يضيعوها، ولذلك كان خروجهم من المدينة تحدوهم الرغبة في الحصول على هذه العير بأحمالها وتجارتها، ولكن الله أراد لهؤلاء المؤمنين أن يواجهوا معركة لم تدر بخلدهم ولم يستعدوا لها ونزلت آيات القرآن الكريم تصور حالهم الذى أرادوه وما قدره الله بإرادته الغالبة فقال - تعالى -:

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۝ ﴾ (٣).

---

(٢) رواه البخاري ومسلم

(٣) سورة الأنفال الآيتان (٧ - ٨)

وكان ما أراده الله فأفلتت العير بعد أن غيرت طريقها ونجت تجارة قريش من الاستيلاء عليها، وليتحقق وعد الله بقطع دابر الكافرين أخذت قريشا العزة بالإثم، وركب القوم رؤوسهم وأوعدوا وأبرقوا واستولى على نفوسهم الكبر والطغيان وقالوا: كيف تجرؤ هذه الشرذمة على التعرض لتجارتنا ونحن سادة العرب وحماة البيت والشأن لتجارتنا وعيرنا أن تغدو وتروح آمنة لا يتعرض لها أحد كائنا من كان، والناس يتخطفون من حولنا، ولو أننا سكتنا على هذه البادرة لضاعت هيبتنا واهتزت كرامتنا، وتحفزوا للخروج سراعا وعلموا أن العير قد نجت وأن لا داعي لخروجهم للقتال، ولكن أبا جهل قائد الجيش الذي قوامه ألف مقاتل قال في كبرياء وغطرسة: والله لا نرجع حتى نرد بدرا، فنقيم بها ثلاثا فننحر الجزور، ونطعم الطعام ونسقى الخمر، وتعزف لنا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا. فكان خروجهم كما وصفه الله - تعالى -:

﴿ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٤).

وتطورت الأمور تطورا مفاجئا ورأى المسلمون أنفسهم في مواجهة جيش كثير العدد قوى العدة وهم لا يبلغون ثلث هذا الجيش ولم يكونوا مستعدين للقتال، وقد تركوا في المدينة إخوة لهم لو كانوا يعلمون قتالا لخرجوا معهم، ولعل رهبة الموقف داخلت بعض النفوس التي قال الله عن أصحابها:

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾(٥).

ولكن قوة الإيمان، وصدق العزيمة في الله حسمت الموقف، وتحدث القادة من الجيش الإسلامي من المهاجرين والأنصار يعلنون الطاعة لله ورسوله، والحرص على الاستشهاد في سبيل الله، وكان مما قاله سعد بن معاذ قائد الأنصار وحامل لوائهم قال مخاطبا رسول الله - ﷺ -: لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يارسول الله لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله لقد كانت هذه الكلمات الصادقة معبرة عن الإيمان القوى الذي يتمتع به أصحاب رسول الله والثقة الكاملة في أن الله لا يخذل عباده المؤمنين، ذلك وعد الله الذي لا يتخلف:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾

لقد كانت معركة بدر في ليلة الجمعة السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة

(٤) الأنفال (٤٧)

(٥) الأنفال (٥، ٦)

وكان عدد المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا، ونصر الله الإيمان على الكفر في هذه المعركة التي فرضت على المسلمين بغير استعداد لها وظهرت عناية الله بعباده وتأييده لهم:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ﴾

وهزم المشركون وقتل منهم سبعون وأسر سبعون وصدق الله وعده مع المؤمنين الذين استنصروا بالله واستغاثوا به وأخلصوا الله وتضرعوا له، وأنجز لرسوله ما وعده به من النصر والتأييد

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾.

وكانت أول معركة خاضها المسلمون ضد الذين تجبروا وتكبروا عليهم وأذاقوهم ألوانا من العذاب فما وهنوا في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، وكان النصر في هذه المعركة أول مظاهر قيام دولة الإسلام على يد الرسول العظيم - ﷺ - وأصحابه الأكرمين.

ثانيها: غزوة فتح مكة: وإن كانت معركة بدر قد جاءت في تطور مفاجئ على غير استعداد من المسلمين للقتال غير أن فتح مكة كان قد استعد له الرسول - ﷺ - وعزم عليه لما نقض كفار مكة معاهدة الحديبية واعتدوا على قبيلة خزاعة التي دخلت في حلف وحماية رسول الله - ﷺ -، وجاء عمرو بن سالم الخزاعي يستنصر رسول الله - ﷺ - وأنشد أبياتا منها:

يارب إني ناشد محمدا
حلفنا وحلف أبيه الأتلدا

إلى قوله:

إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا
وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله - ﷺ -: «نصرت يا عمرو ابن سالم».

وتجهز رسول الله - ﷺ - وأمر المسلمين بالجهاز وأعلمهم أنه سائر إلى مكة وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش، حتى نبغتها في بلادها» ولم تكن قريش في حاجة إلى أن يعلمها رسول الله بأن العهد الذي بينهم وبينه قد انتقض فهم الذين نقضوه وحاولوا إحياءه وأرسلوا أبا سفيان إلى المدينة لذلك فلم يجبه أحد إلى ما طلب.

ولعشر خلون من شهر رمضان في السنة الثامنة من الهجرة غادر رسول الله - ﷺ - المدينة متجها إلى مكة في عشرة آلاف من الصحابة - رضي الله عنهم - وواصل رسول الله - ﷺ - سيره وهو صائم والناس صيام، حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - فأفطر وأفطر الناس معه ثم واصل سيره حتى نزل بمر الظهران - وادي فاطمة - وفي صباح يوم الأربعاء السابع عشر من شهر رمضان سنة ٨ من الهجرة غادر رسول الله - ﷺ - مر الظهران إلى مكة، ودخلها الجيش من

جوانبها، ولم يلق مقاومة تذكر، ودخل رسول الله - ﷺ - البيت الحرام وطهره من الأصنام وكسرها وهو يقول: «جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» ثم دار في البيت وكبر في نواحيه ووحد الله، وقريش قد ملأت المسجد صفوفا ينتظرون ماذا يصنع بهم؟ ووقف عند باب الكعبة يخطب وكان مما قاله «يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل بكم، قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته:

﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ومنحهم الرسول العفو العام رحمة منه وسماحة وحسن صنيع وخلق وما كانوا لذلك أهلا.

ثالثا: معركة العبور في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هجرية ١٩٧٣ ميلادية وكانت لتحرير الأرض التي احتلها العدو الإسرائيلي ست سنين، أحس فيها المسلمون بمرارة الهزيمة، التي حاقت بهم في عام ١٩٦٧م وكان لابد من معركة ينفر فيها كل قادر على القتال، فإنه إذا احتل العدو أرض المسلمين صار القتال فرض عين على كل مسلم فتخرج المرأة بغير إذن زوجها للمعاونة، ويخرج العبد بغير إذن سيده، ويخرج الولد بغير إذن والديه حتى يجلوا العدو عن الأرض، التي احتلها من ديار المسلمين، وهذه حالة النفير العام، وكان من تباشير النصر في هذه المعركة أن وقعت في شهر رمضان المبارك وكان شعارها «الله أكبر» هتف به الجنود بغير ترتيب سابق ولا إعداد حتى أذاعت إذاعات العالم أن صوت التكبير يهز ميدان القتال، ويعلو على صوت القذائف، وقد نظر الله إلى هذا الجند الهاتف باسمه فكتب لهم النصر على عدوهم، الذي صنع من الحصون والسدود ما كان يظن أنها مانعة إياه من الهزيمة. حتى قال خبراء العالم العسكريون: إن السد الذي أقامه العدو على ضفاف القنال لا يمكن اقتحامه، وخاب فألهم جميعا، وكان نصر الله في شهر رمضان أعظم نعمة أنعم بها على أمتنا فقد صفت نفوسنا بعد الهزيمة، واستعنا بالله في إعداد ما نستطيع من قوة كما أمر الله، واجتمعت كلمة الأمة على هدف واحد وحارب الجنود لنيل إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة، وكان للشهر الكريم روحانياته ورحمات الله، التي يتجلى الله بها فيه فكان بحق شهر القرآن، وشهر الرحمن، وشهر الصيام، وشهر القيام، وشهر الانتصارات، فنعما هذا الشهر الكريم الذي نوره الله بالقرآن الكريم، وأعلى قدره بليلة ذات قدر، هي خير من ألف شهر، وحق للمسلمين أن يستقبلوه بما هو أهله من صيام نهاره، وقيام ليله، وإطعام الطعام، وكثرة الصدقات، وإزالة الشحناء من النفوس، وشكر الله على نعمه

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

أخلاق القرآن والصوم

للأستاذ الدكتور/ محمد إبراهيم الفيومي

«مات وعاء الأخلاق» راعنى هذا النعى فى إحدى المجلات المصرية، فأقبلت على قراءته، فإذا هو ينعى فضيلة الإمام الشيخ/ محمد عبد الله دراز ١٩٥٤، والشيخ من الذين تميزوا بفكرهم العميق الإسلامى والغربى، ولقد تميز عن أقرانه؛ بأنه قبل أن يسافر الى فرنسا، كان قد حصل على تخصص المادة «العالمية؛ دكتوراة» فى تخصص أصول الدين، ثم اشتغل بتدريس مقررات أصول الدين؛ عقيدة - وتفسيرا - وحديثا...

ثم سافر الى فرنسا، وحصل على دكتوراة الدولة، فى «أخلاق القرآن» الذى ترجم مقدمتها؛ «تاريخ القرآن» - دكتور/ سيد بدوى، وترجم الرسالة «دستور الأخلاق فى القرآن» دكتور/ عبد الصبور شاهين، وهو عالم جليل فشكر الله لهما حسن صنيعهما، فأطلعا أجيال العربية على تراث الآباء الأصيل - وكيف جاهد الشيخ/ محمد عبد الله دراز على توضيح جوانب الإسلام الأخلاقية فى الغرب، ذلك الصقع الذى تزدحم فيه المذاهب الأخلاقية بمعاييرها المختلفة.

ولما كان القرآن الكريم كتابا لدى الاستشراق، غير محكم، وأنه من وضع الرسول - ﷺ - وأنه صورة مشوشة أو مشوهة من الأناجيل إلى آخر تلك المزاعم الغربية، فبدأ الدكتور الإمام الشيخ دراز بالكتابة التمهيدية للدكتوراة عن تاريخ القرآن وعلاقته بالكتب، وعرض تهم الاستشراق للقرآن وأخذ يفندها واحدة بعد واحدة إلى أن وصل إلى النتيجة المقدمة وهى كما قال - تعالى :-

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١)

ورغم أنى اشتريت: الكتاب: «دستور الأخلاق فى القرآن» الطبعة الفرنسية التى طبعتها دار المعارف، والطبعة العربية التى طبعتها مؤسسة الرسالة: فلقد حالت بينى وبين قراءته كاملاً شواغل علمية.

---

(١) هود/ ١.

ثم نأى بى العهد غير أن تعلقى به، عصمه من أن ينزلق انزلاقا فى دائرة النسيان.

وحين صح العزم منى وخلتنى المشاغل، نهضت لقراءة الكتاب، ورغم ضخامته وجد ثقافته لم يمسنى نصب، ولا لغوب، ولم يأخذنى ملل ولا سام، ولا أخال أن شيئا من هذا يصادفك وأنت تقرأ كتابا للشيخ محمد عبد الله دراز، لا أستطيع تفسيراً لتلك الميزة، إنما قد أستطيع استلهامها من وحى بيان الشيخ، ومنهاجه العلمى، الذى يحمل طابع النور والصفاء.

لقد كان منهج الشيخ واضحا كل الوضوح عميقا كل العمق يعكس إحاطته بالثقافة الغربية، وتشبعه بالثقافة الإسلامية الأصيلة، ولقد كان رائدا فى الدراسات المقارنة بين ثقافتين: الإسلامية والغربية وفى حياد يحوطه حرارة الإيمان، قدم حلولا للمشكلة الأخلاقية، كحل نموذجى للقلق، الذى انتاب حضارتنا، وكحل للإنسان المعاصر، الذى وقع فى براثن التوتر، وعدم الأمان فأفرز جوانبها السلبية، من جوانبها الإيجابية، وكان علاجه ناجعاً حين استمده من الأمن الدينى والوحى الإسلامى، فأصلح من شأن العقل وشأن الإنسان، ولقد عمر كتاب «دستور الأخلاق فى القرآن» للإمام الشيخ / محمد عبد الله دراز بالموضوعات، التى تتعاون على حل المشكلة الأخلاقية فقدم عرضا تاريخيا للمشكلة، كما عرض للمذاهب الفلسفية، ولاسيما الفيلسوف الألمانى: «كانت» وعرضه لنظرية الواجب، منصفة من المذاهب الشوهاء، التى أوقعت مسيرة الحضارة الغربية فى حرج، ثم قدم الأصول الإيمانية والعقلية من القرآن والسنة، والتراث الإسلامى، ثم قدم فى وضوح تام الإسلام ونظريته الأخلاقية. ولم يقف الشيخ عند عرض الأخلاق النظرية، إنما عرض شعائر الإسلام عرضا يتناسب مع العقلية الغربية، لتقرأه فى سهولة ويسر، وبين أن تلك الشعائر هى سلوك المسلم، وأخلاقه العملية لا يقوم بها المسلم عملا عشوائيا كيفما اتفق له، إنما تسبقه النية، والقصد والعزيمة، وبمناسبة شهر رمضان أقدم نموذجا من الكتاب عن موضوع «الصوم وصلته بالأخلاق وأثره على الشخصية الإنسانية وتهذيبه للسلوك الإنسانى».

الصـــــوم

هنا نقف أمام نوع من المشقة البدنية، التى تحدث خلال أداء الواجب، ولكنها قلما تكون جانبا منه، فالألم بطبيعته لا يمكن أن يكون موضوع تكليف، لأن كل ألم - بمقتضى التعريف - انفعال، وليس عملا.

ولكن قد يقال لنا: إذا لم يكن ممكنا أن يكون موضوعا مباشراً لتكليف، فقد يكون بوساطة عمل معين، يصلح لإثارته، وإذن فمن الممكن أن يعبر عن الأمر بالصوم فى هذه الكلمات: «أذق نفسك ألم الجوع والعطش، بامتناعك عن الشراب والطعام، خلال ساعات محددة».

ونجيب عن ذلك: بأنه لو كان الأمر هكذا، فلن تكون هناك وسيلة للطاعة، فى وسع من لا يحس بهذا الحرمان المحدد، مادام تطويل الصوم زيادة على ساعاته محرما، كتحريم قطعه قبل موعده. وإذا

علمنا أن أولئك الذين يرعون القاعدة بإخلاص متساوون فى الطاعة، بصرف النظر عن رد الفعل الخاص فى أجسامهم، لنتج عن ذلك بداهة ألا يدخل الألم البدنى هنا فى الحساب، كجزء من الواجب بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة.

والواقع أن الواجب شىء آخر، وقد كان من طريق الصدفة أن وجدت له علاقة بالألم، والجهد الذى نبحثه هنا ذو طابع أخلاقى أساسا، إنه أولا وقبل كل شىء نوع من «التدريب» المفروض على «الإرادة الإنسانية» حتى تحصل منها على قدر من الانتظام والثبات فى خضوعها «للإرادة الإلهية» ولما كانت إرادتنا سيدة نفسها، من حيث تسيطر على بدنها، ولكنها تابعة الرئيس - إن صح التعبير - أمام الخالق - فإن مهمتها أن توفق بين هذين الأمرين، باتباع أحدهما للآخر، وخيرها يكمن فى التزامها بدور الوسيط، الذى يعرف قدر نفسه، وشرها فى أن تقلب هذا النظام الأصلى، فتتردى إلى أسفل، وتكون مسترقة للشهوات.

ولتيسير، هذه المهمة كانت الشعيرة المقترحة غاية فى السهولة، نظام غذائيا يتّبعُ مدته شهر فى كل عام، وهو نظام ينظم الساعات، دون أن يمس كمية الغذاء أو كيفيته: فإذا طلع الفجر أمسك الصائم عن تعاطى أى شىء خلال النهار، وبعد مغرب الشمس يصبح كل شىء مباحا وهذا التنظيم نفسه ينطبق على العلاقات الجنسية.

وهكذا تتلقى تابعة الرئيس «أى الإرادة» بمناسبة عمل واحد أمرين متعارضين، فى كل يوم مرتين: أحدهما بأن تكف، والآخر بأن تعمل، فإذا ما حرصت إرادتنا على القيام بتنفيذ هذين الأمرين فى مجالها الخاص، ومن أن تعيد نفس التدريب خلال الشهر، فياله من ترويض لهذه الإرادة! . . . ذلك أنه كلما كثرت طاعة المرء أصبح طائعا، كما أنه كلما تمرس بالقيادة يصبح قائدا، ومع ذلك فإن هذا التدريب لم يكن لكى نتوقف عند الموضوع المادى، الذى يستخدم فيه، إنه يستهدف مجموع سلوكنا، فمن أقبل خلال صومه على كل آثم من القول أو الفعل - لم يستفد من الدرس، إذ يكون قد فرض على نفسه تضحيات لا جدوى منها، حين حرم نفسه من الأكل والشرب، وعلى حين لم يحقق مقاصد الأمر السماوى، وفى هذا يقول رسول الله - ﷺ - فيما رواه أبو هريرة: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»[٢].

إننا لم نستلهم المغزى الأخلاقى للصوم، على ما حددناه آنفا، من المسلك العام للتعليم القرآنى فحسب، وإنما هو مبسوط فى نفس النص الذى يأمر بهذه الشعيرة، وهو قوله - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[٣].

والرسول - ﷺ - يقول: «الصوم نصف الصبر»[٤] ويقول أيضا: «الصوم جُنّة»[٥] وليس فى هذه النصوص، ولا فى غيرها، فيما أعلم، أية إشارة إلى الألم البدنى، باعتباره واجبا، أو نتيجة من

(٢) صحيح البخارى - كتاب الصوم - باب/٨.

(٣) سورة البقرة/ ٧٩ .

(٤) مسند أحمد ٤/ ٢٦٠.

(٥) مسند أحمد ١/ ١٩٥.

نتائج الواجب، التى تستهدفها الشريعة. وليس يغض من صدق هذا القول أن من الممكن حدوث هذا الألم، بل إنه نتيجة طبيعية للحرمان، وكثيرا ما نلاحظ لدى الصائمين، سواء فى البداية، أو على مدى الصوم، شعورا بالضيق، بضعف أو بقوى، وهو ناتج على الأقل عن تغيير النظام، ولكن أمرا جديدا يفرض نفسه فى هذه الحالة ذلك أن الواجب ليس أن نعتصم بالصبر، ونتشبث بالكرامة، فقط فى مواجهة حدث مُغمّ لا يمكن تفاديه من مثل ما تحدث عنه القرآن فى قوله - تعالى - :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(٦).

بل إن هناك فرصة ممتازة يجب أن نهتبلها كيما نتأمل تأملا سليما فى طبيعتنا، وعلاقتنا بالله، وبالناس. بأى خشوع - فى الواقع - يتعين علينا أن ننظر إلى ضعفنا تحت ضغط الضرورات على أبداننا:

﴿ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾(٧)

وأية عظمة، وأى إحسان، نحن مدينون بهما لله، الذى وهبنا هذا النور:

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٨).

وأخيرا لنذكر بعض إخواننا الذين يتألمون فى حياتهم العادية، دون أن تضطرهم إلى ذلك تكاليف أخلاقية، أو ظروف طبيعية عامة.

إن مساعدة البائسين، التى أوصى الله - سبحانه - بها - وبخاصة - فى شهر الصوم، والتى تصبح تكليفا صريحا عقب الصوم - هذه المساعدة ليست سوى نتيجة منطقية، ومحصلة لهذه العبادة، وأيا ما كان أمر هذه المنافع ذات الطابع الأخلاقى، أو تلك المنافع الأخرى ذات الطابع العضوى (أو الفسيولوجى) فمن الواضح لأعيننا أن الألم البدنى الناشىء عن الحرمان ليس من أهداف الشارع الإسلامى ولئن كان ينجم أحيانا من أداء واجب أخلاقى فإنه يفرض بدوره واجبات أخرى، بل إن الإمساك المتطاول، على رغم هذا الألم، هو عمل باطنى من الناحية الإيجابية، تقاوم به الإرادة مطالب الجسد، والجانب المادى فى الإمساك يتمثل فى تحمل الآلام، أكثر من العمل ضدها، فهو يقتصر على عمل سلبى مجرد، ولا يمكن إذن أن يسمى جهدا صريحا، وهكذا نستطيع أن نحدد فى كلمتين موقف القرآن بالنسبة إلى «مشكلة الألم البدنى فى الأخلاق» فليس حتما أن نبحث عن هذه التضحية، ولا أن نهرب منها حين تفرض ضمن واجب من الواجبات» هاتان القضيتان تستخلصان بوضوح أكثر عندما نتأمل بنظرة فاحصة كيفية تطبيق هذا المبدأ القرآنى فيما قدم النبى - ﷺ - من حلول، فى مختلف المسائل الخاصة، وحسبنا أن ندرس فى هذا الصدد قضيتين متنافيتين، طالما ناقشهما الأخلاقيون المسلمون، محاولين توضيح بعض جوانبهما:

الصبر والعطاء، والعزلة والاختلاط.

---

(٦) سورة البقرة/ ١٥٥.

(٧) سورة النساء/ ٢٨.

(٨) سورة البقرة/ ١٨٥.

صبر وعطاء

هذه هي المشكلة الأولى: فأي الفضيلتين خير من الأخرى: الصبر في البأساء، أو العطاء في الرخاء؟ وربما طرحت هذه المشكلة طرحا سيئا إذا ما أريد بها هنا إقرار تدرج ذي طابع عملي، صالح لغرض واجب، أو حتى وصية، ذلك أنه لكي نمارس الفضيلة الأساسية المنافية لوضع معين. فإما أن يكون كافيا أن نتخذ بطريقة مصطنعة موقف الوضع النقيض، وهو أمر يبدو محالا غير معقول، وإما أن يلزمنا أن نستبدل بالوضع الراهن الوضع العكسي.

ولكن لو افترضنا أن إصلاح وضعنا، وإسعاد أنفسنا ماديا، أو إفساد هذا الوضع، وتدمير ثرواتنا. كلاهما يتوقف علينا، فهل من واجبنا الملح ـ كيما ننتقل من حالة إلى أخرى مناقضة لها ـ أن نغير وضعنا، أو أن نسير بهذه الطريقة أو تلك على حسب الظروف؟

إن الإجابة عن هذا السؤال موجودة أولا بصورة مجملة في وصية حكيمة، يدعو فيها رسول الله — ﷺ — كلا منا ألا يدع مجال عمله، الذي اعتاده مالم تنقلب أحوال هذا العمل ضده: فعن عائشة — رضي الله عنها ـ قالت: «سمعت رسول الله — ﷺ — يقول: إذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه، فلا يدعه حتى يتغير له، أو يتنكر له»[9] فإذا ما نقلنا هذا القول من المجال الاجتماعي إلى المجال الأخلاقي ـ ألانستطيع أن نؤكد أن الإنسان حين يكون بحيث يستطيع الوفاء بواجبه الحالي كاملا، يجب عليه أن يلتزم به، وأن يثبت عليه، ولا شيء يضطره إلى أن ينشيء جوا مصطنعا ينهضه إلى واجب مضاد؟..

ومع ذلك فلا حاجة بنا أن نلجأ إلى هذا التعليل القياسي، مادمنا نجد نفس النصيحة في الميدان الأخلاقي، وذلك عندما أراد أهل ضاحية من ضواحي المدينة أن يبيعوا ديارهم، ليستقروا بالمدينة قريبا من المسجد: فعن جابر بن عبد الله، قال: «خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله — ﷺ ـ فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد» قالوا: نعم يا رسول الله، قد أردنا ذلك، فقال: يا بني سلمة، دياركم، تكتب آثاركم، دياركم، تكتب آثاركم»[10].

ومن المسلم في بعض الحالات أن الواجب قد لا يتطلب تعديلا، بل تغييراً، فإذا ماعدنا إلى نص مشكلتنا لقررنا أن الإنسان المعسر يجب عليه أن يبذل كل طاقته كيما يثرى فهل العكس صحيح؟.. هل على إنسان موسر إذن أن يصبح معسرا؟.. كلا فإن الموقف الإسلامي جد واضح في هذا الصدد فقد كان النبي — ﷺ — يحث كل إنسان على أن يعمل في كسب معاشه بجهده، وهو القائل: «ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده»[11] وكان يحرم على الأصحاء أن يسألوا الآخرين إحسانهم، وهو القائل: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه»[12]

---

(9) سنن ابن ماجة ـ كتاب التجارة ـ باب/ 3.

(10) صحيح مسلم — كتاب المساجد — باب/ 50.

(11) البخاري — البيوع — باب/ 15.

(12) البخاري السابق.

و: «لا تحل الصدقة لغنى، ولا لذى مرة سوى»[١٣].

كما كان يحرم على الموسرين أن يعرضوا أنفسهم، أو يعرضوا ذويهم لتلك الحالة المحزنة، سواء بالإسراف، أو بالوصية بالثروة كاملة، وهو القائل لمن أراد أن يتخلع من ماله صدقة إلى الله ورسوله - ﷺ - رجاء التوبة: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك»[١٤].. ولمن أراد أن يوصى بثلثى ماله أو بشطره: «لا، الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»[١٥].. وأيضاً «يأتى أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة، يقعد يستكفُ الناس. خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[١٦].. لم يكن هذا فحسب، موقف رسول الله - ﷺ - بل لقد قال فى كلمات صريحة: «لا بأس بالغنى لمن اتقى»[١٧].. بل لقد قال أيضاً: «فنعم صاحبُ المسلم، ما أعطى منه المسكين، واليتيم، وابن السبيل»[١٨].. والحق أن القلة التى يصف بها القرآن والسنة متاع هذه الدنيا، تدعونا إلى أن نزهد ولو قليلاً فى هذه المتع الفانية؛ بيد أن هذه الزهادة التى يمكن أن تُفهم عموماً بمعنى روحى.. لا ينبغى أن تُفهم مادياً إلا فى ظروف شديدة الندرة، كحالة إنسان خَلِىّ منقطع، لا ينطلب نشاطه أى تكليف، من قريب أو من بعيد. فمن الأفضل لهذا الرجل بلا شك أنه متى ما أشبع حاجاته الخاصة العاجلة ألا يسعى كثيراً إلى مزيد من الكسب، بل عليه أن يُسَخِّرَ أعظم جهده لتهذيب قلبه وروحه.

هذه الظروف هى على وجه التحديد ظروف المتصوفة المسلمين، الذين سبقهم على هذا الدرب عدد من صحابة رسول الله - ﷺ - وبخاصة أهل الصُّفَّة، لكنه كان واجباً على كل المسلمين أن يكون لهم موقف روحى متحفظ حيال المتع الأرضية، وقدر من التجرد من هذا الحب الزائد، الذى يسخر الروح للمادة، والذى يجعل من مجرد الوسيلة غاية حقيقية، وليس وراء هذين المعنيين أى موقف متنسك مشروع فى الإسلام.

ومن ثم لا يمكن أن ننصح إنساناً موسراً بأن يفتقر باختياره لكى يصير مسلماً حقاً، فليس فى هذا زهد حقيقى، إذا ما حكمنا عليهم بتحديد النبى - ﷺ - نفسه الذى يقول: «الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا ألا تكون بما فى يدك أوثق مما فى يد الله»[١٩].. وكذلك الأمر فى حالة العكس، حالة رجل منقطع، يتمتع بالضرورى قانع متعفف ويتمسك بصورة خاصة بالقيم العليا، فلا ينبغى لنا أن نغريه بالتخلى عن مُثُله من أجل أن يثرى مادياً، والحق أن ما ينبغى على المرء أن يفعله غير ما تفرضه عليه الساعة التى يحياها، هو أن ينوى

---

(١٣) ابن ماجة - كتاب الزكاة - باب/٢٦

(١٤) البخارى. الزكاة. باب/ ١٧.

(١٥) مسلم. الوصية باب/٢.

(١٦) أبو داود. الزكاة. باب/ ٣٨.

(١٧) ابن ماجة. التجارات. باب/ ١.

(١٨) البخارى. الزكاة. باب/ ٤٠.

(١٩) أخرجه الترمذى. كتاب الزهد، ونحوه ابن ماجة عن أبى ذر الغفارى.

دائماً –ولو أن نيته في حيز القوة– أن يغير موقفه متى ما غير الوضع وجهه، أى أن يكون دائماً مستعدا للهجوم، وللدفاع، وللعطاء، والصبر.

وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نرى بين هاتين الفضيلتين علاقة مساواة فى القيمة، متناسبة مع ظروفها الخاصة، ولما كان لكل وضع مقتضياته الأخلاقية، فمن الواضح أن من يعرف كيف ينهض به يؤدى واجبه الكامل الذى لا بديل له، لا أقل ولا أكثر.

وتلك فيما نعتقد نتيجة تنبع –بالضرورة– من الفكرة المميزة لهذه الأخلاق، أعنى أنها لا ترغب إلينا أن نعمل ضد طبيعة (الأشياء) وإنما هي تريد أن نكيّف أنفسنا معها، بالمعنى السامي لكلمة «تكيُّف» الذى يستلزم مركبا من الشجاعة ونبل المظهر.

وانطلاقاً من هذا المبدأ يمكن أن نثبت أن الموقفين يتساويان فى القيمة من الناحية العملية، حتى ولو لم نملك نصوصاً محددة فى هذا الموضوع، فما بالنا وهذه النصوص موجودة وإليك بعضها:

* عن صهيب قال: قال رسول الله – ﷺ –: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»(٢٠).

وأكثر من هذا وضوحاً قوله – ﷺ – فيما رواه عنه أبو هريرة: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر».

وهكذا.. فإن المشكلة التى تشغلنا الآن، مع أنها لا تحمل أى معنى ذى طابع عملى، أعنى أنها لا تتطلب بعض التغيير فى واجبنا.. ينبغى أن تُطرَح على بساط البحث عن الخير، وتقديره فى ذاته، مستقلاً عن إمكاناتنا الخاصة، وإذن فإذا ما انتقلت إلى هذا المجال فإن الحل الذى وضعه لها الإسلام يتجه – فيما يبدو لنا – إلى منح الأولوية إلى فضيلة تعميم الخير الإيجابى المشترك، أعنى الفضيلة التى تفترض درجة عالية من الرخاء والرفاهية الطبيعية، لا تلك التى تقصر خيراتها عن مالكها، والتى تستتبع الحرمان والألم.

وذلك –على الأقل– هو ما يدل عليه الحوار الذى وقع بين النبى – ﷺ – وبعض صحابته.. وإليك النص الذى رواه مسلم عن أبى هريرة: إن فقراء المهاجرين، أتوا رسول الله – ﷺ – فقالوا: «ذهب الدثور بالدرجات العُلى، والنعيم المقيم..» فقال: «وما ذاك؟».. قالوا: يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق. فقال رسول الله – ﷺ –: أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟.. قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة. قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله – ﷺ – فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله، فقال رسول الله – ﷺ –: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»(٢١).

---

(٢٠) صحيح مسلم. كتاب الزهد.

(٢١) صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

مع القائد الهادي في يوم الفرقان ومقدماته دروس هاديات وبراهين ناطقات

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

مقدمات سبقت بدر الكبرى

لقد كان السلم طريقه - ﷺ - على مدى الثلاث عشرة سنة التي سبقت هجرته الشريفة إلى المدينة المنورة، وكان البرهان سلاحه، والحجة الساطعة دليله، لم يعرف منطق القوة والعنف، ولم يدع إليه، و كان لسان حاله يقول لعتاة المشركين: لئن بسطتم إلينا أيديكم وألسنتكم بالسوء والشر فإننا المسلمون - نبسط إليكم أيدينا وألسنتنا بالرحمة والخير إشفاقا عليكم مما أنتم فيه من الضلالة والعمى، ورغبة في إزالة حجب التعصب الأعمى عن بصائركم وقلوبكم، لتتاح للحكمة أن تعمل عملها، وللعقل أن يتبصر وينظر في الدلائل والآيات.

ولكن المتعنتين المتحجرين أسرفوا في غيهم، وتمادوا في الصد عن سبيل الله، وفي التضييق على حرية المسلمين في إقامة شعائر دينهم، والدعوة إلى الله بالحكمة، والموعظة الحسنة.

وصبر رسول الله - ﷺ - وثابر، وصبر أصحابه وثابروا، ثم خرجوا من أحب بلاد الله إلى قلوبهم، يلتمسون أرضا أخرى يزرعون فيها سلاما آمنا، من عراقيل تحول بينهم وبين حرية العمل، لخير الإنسان والدعوة إلى دين الله بالحجة والبرهان.

وفي المدينة المنورة

بعد مقدم رسول الله - ﷺ - المدينة المنورة أذن الله للمسلمين في قتال من يقاتلهم، وكسر شوكة من يظلمهم، بعد أن صبروا على أذى مشركي قريش وحلفائهم، وظلمهم للمسلمين ثلاث عشرة سنة، قال - سبحانه -:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾(١).

(١) سورة الحج، الآيتان (٣٩، ٤٠).

فكان أول مشهد شهده رسول الله - ﷺ - ودار فيه قتال يوم بدر في العام الثاني، يوم الجمعة لسبع عشرة من شهر رمضان، وفيها نصر الله عبده، وأعز جنده، وهزم حشود قريش التي بلغت ألفا بعدتها وعتادها، و كان المسلمون نحو ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا، وكان معهم فرسان اثنان وسبعون بعيرا، يتناوب على الواحد من هذه الدواب الاثنان والثلاثة والأربعة.

وكم لنا في هذه الغزوة من العبر والدروس والآيات؟

ولكن كيف جرت الأمور في الفترة التي سبقتها؟

وقبل هذه الغزوة:

ومنذ الشهور الأولى بذل القائد الهادي - ﷺ - الجهد لتهيئة النفوس في المدينة المنورة، وما حولها، للسلام والموادعة لتحقيق الأمن والأمان في القبائل العربية، وأهل الكتاب، ولتسكين نيران الفتن، وردع الطامعين في النهب والسلب، مما كان مألوفا في الجاهلية:

● ففي المدينة حالف رسول الله - ﷺ - بين المهاجرين والأنصار واليهود في دار أنس بن مالك، كما آخى بين المهاجرين والأنصار، وصار المسلمون أمة واحدة من دون الناس لها خصائصها ومزاياها، التي بهرت العالمين.

● ووادع رسول الله - ﷺ - اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم، وعلى أن يكون بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، ولم يجد اليهود من رسول الله - ﷺ - وأصحابه إلا خيرا وبرا ووفاء.

● وكانت قبيلة جهينة تعيش على سيف البحر الأحمر في الطريق بين مكة والمدينة ولما علمت بأمر رسول الله وما يريده من الخير للناس جاءته بقيادتها في المدينة وقالوا: « إنك قد نزلت بين أظهرنا فأوثق حتى نأتيك وقومنا، فأوثق لهم، فأسلموا» وكان لهذا العهد وتلك الموادعة أثر كبير في سلام المنطقة، وفي حرية العمل للدعوة مابين المدينة المنورة حتى ينبع ورابغ.

لقد صار للدولة المؤمنة الهادية الناشئة هيبتها في صدور القبائل، وزيادة في تأمين أعظم مساحة بين مكة والمدينة وسائر شبه الجزيرة بدأت السرايا والغزوات قبل غزوة بدر لأغراض متعددة، ولم يقع قتل أو قتال فيها إلا ما كان في سرية عبدالله بن جحش التي تلتها غزوة بدر الكبرى.

السرايا والغزوات:

الغزوة: تعني البعثة التي يخرج معها رسول الله - ﷺ -.

والسرية: تعني البعثة التي يقودها صحابي، ومن ذلك:

في السنة الأولى:

في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر خرج حمزة بن عبدالمطلب في ثلاثين من المهاجرين ليعترض تجارة لقريش يقودها أبوجهل في ثلاثمائة رجل من قريش فحجز بينهم مجدي بن عمرو زعيم جهينة لما بينه وبين قريش من الموادعة كما كان الأمر مع المسلمين، ولم يقع قتال.

● وفي شوال على رأس ثمانية أشهر خرج عبيدة بن الحارث في ستين من المهاجرين ليس فيهم أنصاري إلى بطن رابغ بالقرب من الجحفة

والتقوا بمائتين من مشركي قريش على رأسهم أبو سفيان بن حرب، وجرى بينهم الرمي دون المسايفة، فلم يقع التحام.

● وفي ذي القعدة خرج عشرون رجلا من المهاجرين على رأسهم سعد بن أبي وقاص يسيرون ليلا ويكمنون نهارا حتى وصلوا منطقة الخرار التي أوصاهم القائد الهادي - ﷺ - ألا يجاوزوها، فلم يدركوا عير قريش التي سبقتهم قبل ذلك بيوم.

من أهداف هذه السرايا

● من أهدافها جمع الأخبار عن قوافل قريش التجارية وأحوال القبائل والعشائر.

● تهديد طرق هذه القوافل وأهمها الطريق إلى الشام وإشعار قريش بالقلق والخوف إذ لا غنى لها عن جلب الخيرات في رحلتي الشتاء والصيف.

● محاولة إضعاف قوة العدو المعاند الاقتصادية، مع تعويض المهاجرين عن جزء من أموالهم وعقاراتهم التي فقدوها في مكة المكرمة وقد تركوها ناجين بأنفسهم من الفتنة والتعنت الشديد، والتصلب في التضييق على المسلمين.

● السعي إلى تحقيق أكبر قدر من الموادعة مع القبائل المنتشرة بين مكة والمدينة لإتاحة فرص السلام مع الجميع، مع إشعار قريش بأن قوافلها التجارية مرصودة ومهددة لعل ذلك يستميل القرشيين فيكفوا عن غلظتهم وتعنتهم ويرضوا بالمهادنة والموادعة ويعيش الجميع في أمن وأمان.

● وقد أتاحت هذه البعوث للمهاجرين معرفةً أعظم بالطرق وطبيعة الأرض ومواطن الماء والكلأ، وتحسس نوايا القبائل أو العشائر الباقية على شركها ونظم حياتها، ولذا خرج الرسول - ﷺ - في عدد من الغزوات قبل بدر الكبرى:

وفي السنة الثانية:

كانت له قبل بدر الكبرى ثلاث غزوات هي: الأبواء، ثم بُواط، ثم العُشَيْرة:

● خرج - ﷺ - بنفسه على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة حتى بلغ «الأبواء» ويقال لها «غزوة وَدَّان» - بتشديد الدال مفتوحة - وكان يريد قريشا وبني ضَمْرة بن بكر من كنانة وحققت الغزوة هدفا طيبا وهو موادعة بني ضَمْرة، وكان الذي وادع الرسول - ﷺ - مخشيُّ بنُ عمر الضمري - بفتح الضاد - سيد بني ضمرة في ذاك الوقت، ورجع - ﷺ - إلى المدينة ولم يلق كيداً، وكان ذلك في شهر صفر.

● أما غزوة بُواط من ناحية رَضْوى فقد خرج إليها - ﷺ - في مائتي راكب، وكان مقصده أن يعترض لعير قريش بقيادة أمية بن خلف ومعه مائة رجل وألفان ومائة بعير، وبقي - ﷺ - أياماً من شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى يتفقد أحوال المنطقة، ويوادع أهلها ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً، لأن القافلة اتخذت طريقا غير مألوف.

● ثم خرج - ﷺ - في جمادى الأولى حتى نزل العُشَيرة - بضم أوله - من بطن ينبع يعترض لعيرات قريش ذاهبة إلى الشام بقيادة أبي سفيان وبقي حتى جمادى الآخرة ينتظر مرور القافلة ولكنها فاتته، وكسب - ﷺ - مُوادعة بني مُدلج وحلفائهم من بني ضَمْرة، وبقي من بقي

على شركه، وأسلم من أسلم، ولم يجدوا من المسلمين إلا خيراً ووفاء وبراً.

● ولتأمين المدينة المنورة من غارات السلب والنهب التي اعتادها الجاهليون خرج النبي - ﷺ - من المدينة بعد عشرة أيام من غزوة العشيرة يطلب «كرز بن جابر الفهري» الذي أغار على إبل المدينة وأغنامها وتابع المسير - ﷺ - حتى وصل وادياً يقال له: «سفوان» من ناحية بدر، وفاته كرز هاربا بما استلبه، وذاع في الناس مقصده من هذه الحملة، وتلك هي بدر الأولى، ولم يقع فيها قتال.

● وفي شهر رجب بعث رسول الله - ﷺ - عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رجال من المهاجرين إلى أرض: «نخلة بين مكة والطائف» يترصد قريشا ويجمع أخبارهم، وفي آخر رجب وهو شهر حرام مرت تجارة لقريش فيها عمرو بن الحضرمي ومعه ثلاثة، وتحير الصحابة وتشاوروا لأنهم في آخر يوم من الشهر الحرام، فإن تركوا القافلة انطلقت إلى الحرم فلم يدركوها، وفيها ما يعوضهم بعض الشيء عما فقدوه في مكة من الأموال والدور.

ثم شجعوا أنفسهم ورمى واقد بن عبد الله التميمي بسهم فقتل عبد الله بن الحضرمي وأخذوا أسيرين، وفر الثالث، وتحيروا في الغنائم فحملوها كما هي إلى المدينة حتى يعرفوا حكم الله فيما فعلوه.

وفي المدينة تجهّم الموقف وازدادوا ألماً وحزناً حتى فرّج الله عنهم، فهم وإن كانوا قاتلوا العدو في الشهر الحرام فإنما قاتلوا الذين أخرجوهم من البلد الحرام، وإن إخراج أهل الحرم منه بالتضييق عليهم والأذى لأكبر من القتال في الشهر الحرام والقتل فيه، وكذلك الصدّ عن سبيل الله والكفر به، وفتنة الرجل عن دينه بالوعد والوعيد، مع إصرار مشركي قريش وحلفائهم على قتال المسلمين والتأليب عليهم ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا:

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ﴾(٢).

فالذي فعله المشركون مع المسلمين أعظم وزراً عند الله من القتال في الشهر الحرام فإن كنتم - أيها المسلمون - قتلتم منهم أحداً في الشهر الحرام فقد انتهكوا حرمة أعظم وأفظع، فأذن الله لهم في الدفاع عن نفوسهم، وحماية عقيدتهم مادام عدوهم على هذا النحو من التعنت والإصرار وسلب الحقوق، وانشرحت صدور المسلمين، وزال عنها الكرب والخوف، وكان ابن الحضرمي أول قتيل في لقاء مع المسلمين وكانت تلك أولى الغنائم.

الدعوة للحرب

حرك هذا الحادث غلاة اليهود، فعملوا على إثارة قريش وتأليبها لحرب المسلمين، وشعر القرشيون بمزيد من القلق والمخاوف على طرق

---

(٢) البقرة (٢١٧).

تجارتهم، وفى الوقت نفسه مازالت العير بقيادة أبى سفيان بعد أن أفلتت من المسلمين ما زالت فى الشام فزاد ذلك من قلق قريش، وتحفزت النفوس.

وأراد الله - عز وجل - أن يلتقى الفريقان على غير موعد فى بدر لحكمة بالغة وإرادة نافذة ليُحق الله بعونه الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون، المجرمون، وكم فى غزوة بدر الكبرى من العبر والآيات والدروس لأهل السياسة والحرب ولكل ذى عقل وبصيرة.

الخروج من المدينة فى رمضان

سمع رسولُ الله - ﷺ - بأن تجارة عظيمة لقريش بقيادة أبى سفيان مقبلة من الشام ومعه نحو أربعين رجلا وألف بعير تحمل البضائع والأموال، فندب رسولُ الله أصحابه للخروج إليها لعلها تقع فى أيديهم غنيمة يغيظون بذلك قريشاً، وخرج الراغبون من المهاجرين والأنصار وهم يظنون أن الرسول - ﷺ - لن يلقى حرباً، وكان أبو سفيان يتحسس ويتلمس أخبار المسلمين فعلم بخروجهم فأخذ حذره: بأن بعث أعرابيا مسرعاً إلى مكة ليستنفر قريشا ويثيرهم للخروج لحماية أموالهم وتجارتهم، ثم اتخذ لنفسه طريقاً غير المألوف للناس فسلكه حتى نجا بتجارته ومن معه.

وخرجت قريش فزعةً على الصعب والذلول فى نحو ألف رجل ومائتى فرس، والنساء يضربن بالدفوف يوقدن نار الحرب فى النفوس.

وكان الفريقان غير متكافئين من النواحى المادية والعددية والعتادية ولكنها حكمة الله - عز وجل - ليحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وليكون فى ذلك عبرة لأهل الإيمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها والتقى الفريقان على غير موعد على ماء ببدر ونصر الله جنده.

مع القائد الهادى ودروس هادية

● كان - ﷺ - يأخذ لكل أمر أهبته ويرتب أموره فأناب عبد الله بن أم مكتوم للصلاة بالناس فى المدينة، وأناب أبا لبابة على شئون الناس بها، ورتب الصفوف واختار قادة الألوية.

● كان المسلمون يتناوبون الركوب كل اثنين أو ثلاثة على بعير، وكان رسول الله - ﷺ - مثلهم فى ذلك، فقال له رفيقاه: نحن نمشى عنك يا رسول الله، فقال: «ما أنتما بأقوى منى، ولا أنا بأغنى منكما عن الأجر» وأبى إلا التواضع والمساواة.

● كان من عادة القوافل تعليق أجراس فى أعناق الإبل لأغراض السير فى الصحراء ومخاطرها، ولكن القائد الهادى - ﷺ - أخذ حيطته ليأخذ بمبدأ المباغتة وسرية الحركة فأمر بالأجراس أن تُقطع من أعناق الإبل يوم بدر.

● وبعث رسول الله - ﷺ - العيون أمامه تتحسس الأخبار عن أبى سفيان وعيره، وسلك طريقه من المدينة ماراً بعدد من الأودية والقرى لم يمسسهم سوء من أحد بفضل الله حتى أقام بواد قريب من بدر يقال له: «ذفران» وأتاه الخبر عن خروج قريش ومسيرهم لحماية تجارتهم، وقد خرج معه أصحابه للعير وليس للنفير، فأراد أن يستوثق من موقفهم وطاعتهم.

● المشورة: استشار الصحابة في أمر لقاء قريش، فتحدث المهاجرون وأحسنوا، فأراد أن يسمع وجهة نظر الأنصار الذين عاهدوه على النصرة في المدينة، فماذا يكون موقفهم خارجها فقال: «أشيروا عليّ أيها الناس» يريد الأنصار، فتحدث سعد بن معاذ وأحسن ومما قال: «فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد» وكان موقف الصحابة عظيماً عظيماً.

فسُرّ رسول الله وقال: «سيروا وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني انظر إلى مصارع القوم».

● وسار من الذّفران حتى نزل قريباً من بدر، ثم تقدم ومعه أحد أصحابه يجمع الأخبار بنفسه - ﷺ -حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فوعدناه إذا أخبرهما أولاً، فتحدث الشيخ عن محمد وأصحابه ومسيرة وعن قريش ومسيرها، مما يدلّ على أن الخبر قد ذاع، فقال له رسول الله - ﷺ -: «نحن من مّاء» فظن الشيخ أنهما من أولاد ابن ماء السماء بالعراق وقَصَدَ الرسولُ التورية، وهي من لوازم أوقات الحرب والشدّة، فنحن البشر «من ماء» وظل - ﷺ - يتتبع أخبار قريش بنفسه حتى علم أمرها وعددها وقال لأصحابه: «هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها» أي رجالها وقادتها وشبابها، إذ لم يتخلف سوى بني عديّ، وقبل المعركة انسحب بنو زهرة وعادوا إلى ديارهم، إذ لم يجدوا لمتابعة أهواء أبي جهل وحماقته محلاً، فقد نجّى اللهُ تجارتهم وعادت لمكة سالمة فلماذا الحرب؟ وكان رسول الله - ﷺ - يأمل أن يعود لقريش رشدُها ويعودوا لبلدهم دون قتال، ولكن طيش أبي جهل كان سبباً في هلاكه وهلاكهم؟ إذ تركوا في أرض المعركة سبعين هالكاً عدا الأسرى والغنائم، وكأنهم جلبوها من مكة ليسلموها للمسلمين!!.

وفي أرض المعركة الخالدة

● مضى - ﷺ - في مسيرته هذه يبادر المشركين إلى الماء حتى جاء أدنى ماءٍ من بدر فنزل به وأصحابه، وكان الحُباب بنُ المنذر على دراية بطبيعة المنطقة، فتقدّم في أدب يسأل القائد الهادي: أنزلنا في هذا المكان بوحي فتجب علينا الطاعة ولا رأي لأحد؟ فعلم من قائده أن هذا الأمر خاضع للرأي والمشورة والاختيار الأنسب للقتال، فأشار الحباب - رضي الله عنه - على القائد الهادي أن يكون معسكر المسلمين عند أدنى ماء من معسكر المشركين، ثم يقوم المسلمون بتغوير ما وراءه من الآبار بكبسها بالتراب حتى ينضب ماؤها، ثم يبنون عليه حوضا يتم ملؤه بالماء ويكون تحت سيطرة المسلمين فيشربون مع حرمان المشركين منه.

وأخذ القائد الهادي - ﷺ - برأي صاحبه، مبيناً أنه بشر مثلهم وأنه لا يقطع برأي دونهم، وشجعهم على الشورى، فانظر إلى أدب الصاحب وطاعته وتسليمه لكل ما يأتي به الوحي من عند الله، وإلى عظمة الهادي الحبيب وإشراكه الأمة في الرأي وتوجيه الأمور.

وعند نصف الليل كان المسلمون عند القليب

(البئر) الذى يلى المشركين، وتم تغوير بقية القلب، وبناء الحوض ثم ملئوه ماء ثم قذفوا فيه الآنية، وأصبحوا وليس للمشركين ماء.

● وعلينا أن نرى بقلوبنا رسول الله - ﷺ - وهو قائم طوال الليل تحت شجرة يصلى ويطيل السجود ويدعو ويتضرع رحمة بالأمة يطلب من الله نصره ورحمته بهم، ويكثر فى سجوده «يا حى يا قيوم» وقد ألقى اللهُ -عز وجل- على المسلمين السكينة والطمأنينة فناموا جميعا ليزدادوا سكينة وراحة قلب.

● وجاء سعد بن معاذ يشير عليه أن يبنوا له عريشا «حجرة قيادة» يكون بجوارها ركائب، فإذا انتصروا كان زيادة فى الخير والبركة، وإن أراد الله غير ذلك ركب رسول الله - ﷺ - وبادر بحراسه إلى المدينة المنورة فالأمة فى أشد الحاجة إلى الاطمئنان على قائدها الهادى وهو أحب إلى قلوبهم من النفس والولد وكل شىء فى الدنيا ومما قال: «فقد تخلّف عنك فى المدينة أقوامٌ ما نحن بأشدّ حبًّا لك منهم» ولو كانوا يعلمون أنه خرج لحرب لخرجوا جميعاً ما تخلّف أحد.

وأثنى رسول الله - ﷺ - على سعد كما أثنى على الحُباب وكل من أشار برأى، وتم بناء العريش، وبهذه التربية وأمثالها أقام المسلمون أعظم حضارة!

وعند المواجهة والتقاء الجمعين

كان رسول الله - ﷺ - فى العريش يتوجّه إلى الله - عزّوجل - ضارعا داعيا يسأله النصر لعباده المؤمنين، وأبو بكر الصدّيق معه يشفق عليه كما كان معه فى الغار ليلة الهجرة: «اللهمّ إن تهلك هذه العصابةُ لا تُعبد فى الأرض» «اللهم أنْجزْ لى ما وعدتنى، اللهم نَصْرَك» ويرفع - ﷺ - يديه إلى السماء ويُلحّ ويجتهد فى الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه، وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه، ويسوّى عليه رداءه مشفقا عليه، ويقول له: «يا رسول الله بعض مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك» وظل يدعو، ثم ينزل إلى أرض المعركة ثم يعود فيدعو حتى استجاب الله دعاءه.

● كان ينزل رسول الله إلى أصحابه يتقدّمهم ويسوّى صفوفهم ويحثهم على الصبر والثبات ويُعبّئهم أحسن تعبئة، ويذكرهم بما أعدّ الله للمجاهدين والشهداء: «والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيُقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدبر إلا أدخله الله الجنة» ولما دنا المشركون كان هو أقربَهم إلى العدوّ ويقول: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»

وكان لمشاركته - ﷺ - لجنوده، وتقدمه فى الميدان عليهم، ولكلماته أعظم الأثر فى أن القوة النفسية للصحابة صارت فى أعلى ذروتها، وهانت عليهم الدنيا، ورغبوا فيما عند الله من الخير والرحمة، وأراهم الله فى عيونهم عدوّهم ضئيلاً قليل العدد، فما كان فى فكرهم إلا نصرة الحق واستئصال المتغطرسين أهل الباطل:

حتى إن الصحابى عُمير بن الحمام كان بيده تمرات قليلات يأكلهن فقذف بها، ورفع سيفه، واقتحم الصف يقاتل حتى استشهد.

● قال على بن أبى طالب كما عند الإمام أحمد: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول

الله - ﷺ - وهو أقربنا من العدو، وكان من أشدّ الناس يومئذ بأساً»

● وتأمل القائد الهادى تحفّه ملائكة الرحمن وهو يعدّل الصفوف بسهم فى يده فبرز من الصف قليلاً الصحابى سَوَّاد بن غَزِيّة فدفعه بالسهم وقال: «استو يا سواد» - بتشديد الواو - فقال: «أوجعتني يا رسول الله فأقدنى» - أى فخذ لى بحقى منك - فكشف الهادى الحبيب عن بطنه فقال: «استَقِدْ يا سوادّ» - أى اطعن كما طعنتك - فاعتنقه سوّاد فقبّل بطنه، وقال: «يا رسول الله قد حضر ما ترى - أى القتال - فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدى جلدك» فدعا له رسول الله بخير

عظمــــة القيــــادة الهاديــــة

إن لنا فى رسول الله - ﷺ - الأسوة الحسنة، ولقد رأيناه فى هذه الغزوة المباركة أعظم الناس إخلاصاً وتوكلاً على الله، وانظر إلى رفقه بالأمة وحرصه على ما يحقق لها الخير والنصر، وتأمل مساواته نفسه الشريفة بأصحابه ومشورتهم والأخذ بالصالح من آرائهم، وإلى ضربه المثل العظيم فى الثبات وشجاعة القلب وحسن القيادة، فهو يتقدم الصفوف، ويحث المجاهدين، ويوجّه، وينام أصحابه ويظل الليل حارساً يدعو ويبتهل، وانظر إلى قيامه بنفسه بتحسس الأخبار، ويسبق الجيش يتعرّف الأحوال وموقف العدو وعدده.

وبفضل الله وإحسانه أمدّه بنصره:

أمطرت السماء رذاذاً خفيفاً فلبّدت الأرض لتسهل الحركة تحت أقدام الصحابة، وهذا من تأييد الله، وأمطرت فشربوا واغتسلوا.

غلبهم النعاس فناموا جميعاً والعدوّ أمامهم متربّص ولم يصبهم سوء، وفى النعاس راحة للبدن والنفس فازدادوا طمأنينة وإيماناً.

أمدّهم الله بالملائكة لتكثير العدد وإرهاب العدوّ بالصوت يسمعونه ولا يرون شخصاً، وكثّر عددهم فى عيون الأعداء، وقلّل عدوّهم فى عيونهم،

وقد ملأ ذلك كله وغيره قلوبهم بالطمأنينة

● وألحّ القائد الحبيب بالدعاء والتضرع واقترب جبريل وقال: «يا محمد خُذ قبضة من التراب، فأخذ - ﷺ - كفاً من الحصى فى يده الشريفة، ثم استقبل المشركين فقال: «شاهت الوجوه» ثم نفخهم بها، وقال لأصحابه: «احملوا، شُدّوا»

فلم تكن إلا الهزيمة بفضل الله للمشركين المتغطرسين:

تركوا سبعين قتيلا من صناديدهم، وسبعين أسيراً، وفرّ الباقون تاركين ما حملوا من المتاع والمال.

وتلك من أعظم العبر لأهل العقل والحكمة واليقين الصادق:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٣).

وكان فضل الله عليه عظيماً، فطوبى لمن تدبر واتعظ.

---

(٣) الأنفال (١٧).

صيام رمضان:

حكمة مشروعيته .. وعظيم فائدته

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

قال الله - تعالى -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1].

شرع الله - عز وجل - صيام شهر رمضان لحكم عظيمة وأسرار كثيرة وفوائد جمة، تسمو بالبشرية إلى درجات الرشد والاستقامة، فالصوم خير علاج لعلة النفس ،وغلبة الهوى إذ يبعث في الإنسان روح التقوى، وروح الخوف والخشية ويربي فيه ملكة الصبر، وقوة الإرادة، ومضاء العزيمة وتحمل الشدائد والوفاء بالعهد كما يربي فيه: ملكة المراقبة لله - تعالى - ويغرس في النفس نوعا من الأمانة، هو أسمى ما عرف الناس من أنواعها وهي الأمانة الدافعة إلى الخير، الخالصة لوجه الله فالصوم رياضة للنفس يعودها الفضائل ويبعدها عن الرذائل ويدعوها إلى طيب العشرة والحلم والشفقة والعطف والرحمة والعفو عن المسيء ومراعاة حقوق الجوار، ومعونة ذوي القربى، والصدقة في السر والعلانية، والصوم من بين العبادات كلها سر بين العبد وربه، هو أمر خفي عن أعين الناس: فالمصلي يراه الناس وهو يصلي، والمزكي يراه الناس وهو يعطي، والحاج يراه الناس واقفا بعرفة، وطائفا حول الكعبة، وساعيا بين الصفا والمروة، أما الصائم فلا يعرف جوعه وعطشه غير ربه، ولا يطلع عليه إلا الذي يطلع على القلوب ويعلم خفيات السرائر.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله - عز وجل -: إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك[2]».

كتب الله الصيام على جميع المكلفين الخالين من الموانع والأعذار الشرعية، لا فرق في ذلك بين حاكم ومحكوم، ورئيس ومرءوس ولا بين ذكر وأنثى ولا بين غني وفقير فيمتنعون في آن واحد عن تناول جميع المفطرات، فكأنه حرمان

(*) المدير العام الأسبق للدعوة والإعلام الديني بالأزهر الشريف.

(1) البقرة / ١٨٣

(2) رواه البخاري ومسلم

اشتراكي يتساوى فيه من حيزت له الدنيا بحذافيرها، ومن ملك منها القليل، وكان الصوم قانون عملي لإصلاح الصفات الإنسانية في الأغنياء الموسرين، تلك الصفات التي أفسدها الثراء والترف واللين ويجعلهم يحسون في صورة عملية بما يعانيه إخوانهم الفقراء، من مرارة الحرمان طوال العام، فيعطفون عليهم، ويمدون بالعطاء أيديهم إليهم، فتطيب نفوسهم وتقر أعينهم ويشعرون من أعماقهم بأن الإنسانية ترعاهم لأنهم مع الأغنياء إخوة في النوع وشركاء في الجنس، أبوهم هو آدم والأم حواء .. ثم هو أيضا قانون عملي لإصلاح ما أخل به الفقر والبؤس من الصفات الإنسانية بالفقراء والبائسين ويحمل الجميع على ذلك، فيستوى الأغنياء بالفقراء، والأقويا بالضعفاء، ويتقارب بعضهم من بعض، فتكون المحبة والترابط بين الناس جميعا، وبذلك تكون الأمة الإسلامية، أمة متكاملة، متعاونة على البر والتقوى، امتثالاً لأمر الحكيم العليم..

ففي الصوم: ميزة إنسانية كريمة تجعل الصائم يشعر بمقدار ما يحتمله الفقير من ألم الفاقة والحرمان، لأن الصائم يحس هذا الألم في فترة الصوم اليومية، إلا أن هناك فرقا لا ينكر بين حرمان الصائم المقتدر، وحرمان الفقير، فحرمان الصائم، يكون لمدة محددة، هي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس كل يوم من شهر رمضان، بينما هو يتمتع بأكل ما يشاء، وشرب ما يريد في حدود ما أحل الله من الطعام والشراب من غروب الشمس إلى قبيل الفجر.. أما حرمان الفقير فإنه حرمان غير محدود فقد تطلع عليه الشمس وهو جائع، وتغرب عليه وهو جائع، وقد يقضي ليله طاويا، ويظل هكذا إلى أن يهيىء الله له من يتصدق عليه أو يهدى له ما يسد جوعه، أو يمسك رمقه، ولهذا يستحب الإكثار في شهر رمضان من بذل الصدقات ولنا في رسول الله - ﷺ - أسوة حسنة وقدوة صالحة، فقد كان أجود الناس بالخير وكان يضاعف هذا الجود في شهر رمضان كان جوده قبل أن يبعث كرما إنسانيا، فلما أكرمه ربه بالرسالة.. أصبح جوده كرما ربانيا، ومن أولى من رسول الله بأن يتخلق بأخلاق مولاه؟ فإذا جاء شهر التنزيل فمن دونه البحر فيضا وصفاء ومن دونه الريح انطلاقا ورخاء، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «كان النبي - ﷺ - أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من ليالي رمضان فيدارسه القرآن فرسول الله - ﷺ حين يلقاه جبريل: أجود بالخير من الريح المرسلة»[٣].

فالصوم عدة لأدب النفس على أن تسمو على شهواتها فتخضعها فتستجيب لنداء الرحمن ووسيلة لتذيقها ألم الحرمان، فيدعوها ذلك إلى الرأفة والبذل للمحرومين والمعوزين، فتسعد الهيئة الاجتماعية بتهذيب الأغنياء، وسد حاجة الفقراء.

والصوم أداة لتهذيب الخلق، ورفع مستوى النفس إلى مكارم الأخلاق، والبعد عن القبائح،

(٣) رواه البخاري.

وسفاف الأمور، فتحكم النفس والسيطرة عليها وحرمانها من حقها وملاذها في وقت الصوم كل ذلك يدعو إلى تهذيبها وإلى تغلب الإنسان عليها إذا هي أمرته بالسوء، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال: «الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين والذي نفسي بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه، وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها»[4].. فرض الله صيام رمضان ليرقى بالإنسانية إلى درجات الكمال، لما في الصوم من الفوائد الروحية والمعنوية والصحية والخلقية والاجتماعية، فالصوم مطهر للجوارح من فعل المحرمات، مهذب للنفوس: بالتورع عن الشبهات، مرب لخلق الأمانة، كابح لجماح الشهوات، مقو للإرادة، قامع لفاحش النزوات وهو الصبر، والصبر ثوابه الجنة.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - أنه قال: «إن الله - تبارك وتعالى - فرض صيام رمضان، وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[5].

حقيقة الصوم أن يصوم قلبك عن الإثم، وأن تحجر نفسك عن الشر، وأن تصوم عينك عن النظر إلى المحرمات، وأن يصوم لسانك فلا تجعله ينتهك كل عرض وينتقص كل شخص وأن تصوم أذناك عن سماع الغيبة والكذب والبهتان، وأن تصوم يدك فلا تمتد إلى أحد بالإيذاء، ولا تتناول ما لا يحل وأن تكون نقية بيضاء، وأن تصوم رأسك فلا تفكر في إفساد، ولا في إلحاق الضرر بالعباد، ولا تمكر بخلق الله، فلا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال - قال رسول الله - ﷺ -: « من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[6].. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ - أنه قال .. «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر»[7].

في جوع الجسم صفاء القلب، وإيقاد العزيمة، وإنفاذ البصيرة، لأن الشبع، يورث البلادة، ويعمي القلب، ويكثر البخار في الدماغ فيتبلد الذهن، والصبي إذا ما كثر أكله، ضعف حفظه وفسد ذهنه، وصار بطيء الفهم والإدراك، وقد قيل: «أحيوا قلوبكم بقلة الضحك، وقلة الشبع وطهروها بالجوع تصفو وترق، والصوم في فلسفته ما هو إلا وقاية وعلاج، وطب وشفاء، ثم هو (روشتة) ربانية تحتوي على عقاقير إيمانية فيها تزكية بدنية ورياضة نفسية وصفاء روحي، وإشراق وجداني، وخصوصية مادية، ونار تحرق الميول الشهوانية، والانحرافات البهيمية.

والصوم: من أكبر الوسائل في تخفيف حدة النهم وذلك مما يدعو إلى راحة المعدة وهو ينقي الجسم من الفضلات الرديئة، ويشفي من

---

(4) رواه البخاري.

(5) أخرجه النسائي في سننه.

(6) رواه البخاري.

(7) رواه ابن ماجة في سننه.

الأمراض الصدرية وفيه من المزايا الصحية، ما شهد به العدو قبل الصديق، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ قال: «اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا»[٨] والصوم بإجماع الأطباء حمية منظمة والطبيب المعالج يوصى المريض فى بعض الحالات المرضية بالامتناع عن تناول الأطعمة أو بعضها لتصفى عروقه فتنفع فيها الأدوية وتتسرب إليها الصحة والعافية، وقد ثبت بالتجربة وتقرير الأطباء، أن الصوم يصح الأبدان، ويجدد الشباب، ويخلص الجسم من كثير من أمراضه، كما أثبت الطب الحديث أن كثيراً من جراثيم الأمراض.. لا يقتلها سوى الصوم قال الدكتور «روبرت بارتولو» وهو طبيب أمريكى من أنصار العلاج الدوائى للزهرى: «لا شك أن الصوم من الوسائل الفعالة فى التخلص من الميكروبات ومنها ميكروب الزهرى لما يتضمنه من إتلاف للخلايا ثم إعادة بنائها من جديد وتلك هى نظرية التجويع فى علاج الزهرى، وهى طريقة شرقية قديمة، وهناك حالات كثيرة استفادت من هذا العلاج» وقد استخدم الصوم فى العصر الحديث كثير من أساطين الطب والتربية ومن بينهم الدكتور «آلان» الذى استخدمه بنجاح فى علاج السكر والنقرس..

والدكتور «كارلسون» حيث كان وسيلة فى تجديد الشباب والدكتور «خنجر» الذى كان يصفه فى كثير من الحالات المرضية التى تعرض عليه «وبرنارد مكفادن» زعيم الثقافة البدنية فى أمريكا، ويؤثر عنه عبارته المشهورة «الصوم يستطيع أن يبرىء كل علة خابت فى علاجها الوسائل الأخرى»..

وإذا كان شكر كل نعمة بما يناسبها، ويتصل بها، فخليق بمن يشكر الله على هذه المنة الكبرى أن يجمع إلى قيامه بصوم رمضان تخلقه بأخلاق القرآن فإذا كان يحفظه أو يحفظ قدرا منه فليتخذ من دراسته وتلاوته شكرا وذكرا، أما العمل به والتخلق بأخلاقه فذلك، جماع الشكر وأفضل أنواع الذكر، وكذلك كان هدى النبى ـ ﷺ ـ كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه..

ومن هنا كان الصوم مصحا للبدن مهذبا للنفس مربيا للروح مقوما للخلق، وحسب المجتمع بعد ذلك، أن يقوم على لبنات سليمة، وأن يعتمد على أفراد صحاح الأجسام والعقول والأرواح، وأن يرتكز على جماعات سلمت أذواقهم وعلى أفراد صح تفكيرهم وقوى عزمهم، يدركون الأمور على حقيقتها، يحسنون الحسن، ويسعون إليه، ويقبحون القبيح، ولا يحومون حواليه، وحسب الصائمين ما بشرهم الله به من أنهم يعطون أجورهم بلا غاية ولا نهاية ولا عد ولا حصر، قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٩].

---

(٨) رواه الطبرانى فى الأوسط.

(٩) الزمر / ١٠.

وما أدراك ما ليلة القدر ؟

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

١

ليلة مباركة كريمة عظيمة، ليلة القدر، ويحسبها شرفا وعظمة أن نزلت فيها سورة كاملة من سور كتاب الله الكريم، هى سورة القدر، وسميت ليلة القدر، من القدر بمعنى الشرف والعظمة، أو من تقدير الأمور فيها، أو بهما معا: أى الشرف والتقدير.

وتبدأ سورة القدر ببيان سبب هذا الشرف الذى نالته تلك الليلة، وهو كما يقول مفسرو كتاب الله الحكيم أنه أنزل فيها القرآن جملة واحدة من لدن رب العرش العظيم إلى السماء، ثم نزل به جبريل منجما إلى الأرض على مدى عشرين سنة، وقيل: إنه ابتدأ نزول القرآن فيها على رسول الله ـ ﷺ ـ حمله رسول الوحى الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ إلى محمد رسول الله إلى العالمين.. وذهب بعض المفسرين إلى وجه آخر، هو: أن المعنى إنا أنزلنا القرآن فى شأن ليلة القدر، وهو وجه ضعيف.

وما هى ليلة القدر؟ الأصح الذى ذهب إليه جمهور العلماء والمسلمين أنها الليلة السابعة والعشرون من رمضان المبارك، وقيل: إنها إحدى الليالى الوتر من العشر الأخيرة من شهر رمضان المبارك، وقيل: إنها إحدى الليالى الزوجية من العشر الأخيرة من رمضان، وقيل: إنها دائرة فى العشر الأواخر من رمضان ولا تثبت فى ليلة واحدة منها، وقيل: إنها دائرة فى شهر رمضان جميعه وقيل: إنها ليلة السابع عشر من رمضان، ليلة بدر الخالدة، وقيل: إنها مختفية من رمضان كله، وقيل: إنها مختفية فى العام كله، وهناك من يرى أنها رفعت بعد النبى ـ ﷺ ـ وهو رأى ضعيف.

وفى الحديث الشريف «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه».

قيل: إن رجلا في الأولين عبد الله ألف شهر، فعجب أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ من ذلك، ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك ـ أى عن أكثر من ثلاث وثمانين سنة، فأعطاهم الله ليلة القدر، وجعلها خيراً من عبادة الله فى تلك المدة الطويلة ونزل بذلك الوعد الإلهى الكريم، هذه السورة المباركة.

وفى تنزل الملائكة والروح الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ فيها روى أن الملائكة تنزل على عباد الله المؤمنين القائمين فيها بالخير والرحمة والبشرى،

وقيل: إنها تنزل إلى السماء الدنيا حاملة ـ بإذن الله ـ كل أمور العالمين، بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك.

إنها ليلة خير وسلام لعباد الله وللإنسانية كافة؛ لأن القرآن الكريم، كتاب الله الخالد قد نزل فيها على رسوله الأمين ـ صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين ـ وأى خير نالته الدنيا والإنسانية والعالم والبشرية كلها بنزول القرآن الكريم، شريعة الله الخالدة القاعدة الباقية إلى يوم الدين.

وفي حديث رسول الله ـ ﷺ ـ تعظيم لشأن رمضان ولشأن ليلة القدر..

٢

وفي البخاري ومسلم ـ كتاب الصوم ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين»(١).

وفي مسلم: «إذا كان رمضان فتحت أبواب الرحمة..»(٢).

ولقد كان قدوم رسول الله إلى المدينة مهاجراً في ربيع الأول في أول عام هجري، ولم يفرض صيام رمضان في ذلك العام بل في العام الهجري الثاني، فهو أول رمضان صامه الرسول والمسلمون معه، وفيه كانت معركة بدر.

وعن أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ «في شهر رمضان»، فيه ليلة خير من ألف شهر»(٣)

ولقد كان رسول الله ـ ﷺ ـ يجتهد في شهر رمضان على طلب ليلة القدر، وكان يستقر أمره على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان في طلبها، وأمر بطلبها فيها، ومن حديث ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان»(٤). وفي الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان»(٥) وفي مسند الإمام أحمد وكتاب النسائي عن أبي ذر قال: كنت أسأل الناس عن ليلة القدر، فقلت: يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر: أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال: «بلى، هي في رمضان»، قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا فإذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: «بل هي إلى يوم القيامة»، قلت: في أي رمضان هي: قال ـ ﷺ ـ: «التمسوها في العشر الأول والعشر الأواخر» قلت: في أي العشرين هي؟ قال ـ ﷺ ـ: «في العشر الأواخر لا تسألني عن شيء بعدها» ثم حدث رسول الله ـ ﷺ ـ ثم اهتبلت غفلته، فقلت: يا رسول الله أقسمت بحقي لما أخبرتني في أي العشر هي؟ فغضب عليَّ غضباً لم يغضب مثله منذ صحبته، وقال: «التمسوها في السبع الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها»(٦) وفي رواية: أن رسول الله قال لأبي ذر: «ألم أنهك أن تسألني عنها؟ إن الله لو أذن لي أن أخبركم بها لأخبرتك، لا آمن أن تكون في السبع الأواخر».

وكان عمر بن الخطاب وحذيفة بن اليمان وجماعة من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ لا يشكون في أنها ليلة سبع وعشرين، وكان أُبيّ بن كعب يحلف على ذلك(٧) ويقول: والله إني لأعلم أي ليلة هي، وهي الليلة التي أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بقيامها، وهي ليلة سبع وعشرين.

---

(١) صحيح البخاري جـ ٣، صـ ٣ كتاب الصيام.

(٢) مسند أبي هريرة، صحيح مسلم جـ٢، صـ ٧٥٨ رقم (١٠٧٩/٢).

(٣) الحديث في مسند الإمام أحمد جـ ٢، صـ ٤٢٥.

(٤) صحيح البخاري جـ٣، صـ ٦١، كتاب الصيام باب (٧٢).

(٥) صحيح البخاري جـ٣، صـ ٦٠ كتاب الصوم.

(٦) مسند الإمام أحمد، جـ٥، صـ ١٧١.

(٧) تفسير القرطبي، سورة القدر، وفي صحيح مسلم، باب «الترغيب والترهيب»، كتاب الصيام.

وفي مسند الإمام أحمد عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى رسول الله وقال «يا رسول الله إني شيخ كبير عليل يشق عليَّ القيام فمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة القدر قال ـ ﷺ ـ له: عليك بالسابعة والعشرين»[8].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين يعني ليلة القدر»[9].

٣

وعن أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قلت «يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال ـ ﷺ ـ لها: قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني»[10].

وعن ابن عباس مرفوعا أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال «إن الله ينظر ليلة القدر إلى المؤمنين من أمة محمد فيعفو عنهم ويرحمهم إلا أربعة: مدمن خمر، وعاقا ـ أي لوالديه ـ ومشاحنا ـ أي كثير الشحناء والخصومة للناس ـ وقاطع رحم»[11].

٤

إن ليلة القدر تكريم لليلة نزول القرآن الكريم، لنزول معجزة السماء إلى الأرض، لنزول آخر الرسالات على خاتم الرسل، لنزول الشريعة الخاتمة على سيد الأنبياء، إنها ليلة الهداية الإلهية للبشرية، كافة، ليلة النور الإلهي يغمر الأرض، ويملأ الدنيا، ويضيء العالم.

إنها ليلة الدين الخالد: الإسلام العظيم، الذي يدعو إلى التوحيد والإيمان، وإلى الحق والخير والهدى والرحمة والسلام.

الدين الذي رعى حقوق الإنسان، وحمى الفقير والمريض واليتيم والمرأة والعامل والخادم والمسكين من عسف الأقوياء، وبشر الناس جميعا برحمة الله ومغفرته ورضوانه، وحرم الفحشاء والموبقات والرذائل والشرور والآثام والذنوب وأكل أموال الناس بالباطل ودعا إلى فضائل الإنسانية كلها، وإلى العدل والإحسان والصدقة والزكاة وصلة الرحم، وإلى الحرية والمساواة، وإلى الأخوة الإنسانية بأوسع معانيها وصدق الله العظيم فيما قال:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[12]

أيتها الإنسانية المعذبة: اليوم أصيخي لنداء السماء، ولدعوة الله ـ جل جلاله ـ إلى الخير والبر والصالحات من الأعمال وإلى احترام حقوق الإنسان والشعوب في العدل والرحمة

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[13]

أيتها البشرية المضللة بيد الأقوياء من جبابرة اليوم وطغاة الشعوب، أفيقي من النوم، واستيقظي من رقاد طويل، قد دفعك إليه الفراعنة الغلاظ الشداد في عصرنا، عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما فعلوا نادمين.

---

(٨) مسند أحمد جـ١، ص ٢٤٠.
(٩) مسند أحمد ٢/ ٢٧.
(١٠) صحيح الترمذي، من كتاب الدعاء.
(١١) مسند أحمد جـ١، ص ١٨٣، ٢٥٨.
(١٢) آل عمران (١٩).
(١٣) الأنعام (١٥٢).

رمضان شهر الإحسان

للأستاذ الدكتور/ مبروك عطية أبو زيد (*)

بفتح القلوب تفتح الدروب، وبسعة النفوس تتسع البلدان، وينتشر الخير فى كل مكان مع النسمات التى تصحب ركاب رمضان، ورمضان شهر الإحسان من الرحيم الرحمن، الذى آثره لذاته المقدسة، فهو يجزى به، ومن الصائمين الذين تبوأ فى صدورهم الإيمان، فهم فى نهار صائم، وليل قائم، وذكر وطهر، وقرآن.

لقد فتح الفتاح العليم فى رمضان أبواب الجنة، وغلق أبواب جهنم، وسلسل الشياطين، فجو رمضان رحمة، تسوقها نفحات المولى إلى عباده.

روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة، أنه ـ ﷺ ـ قال: «إذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» (1)

وفتح أبواب السماء فتح لكل وجوه الخير، والرزق، والبركة، والرحمة، والمغفرة، وتغليق أبواب جهنم سد لكل وجوه الشر، والإمساك، والإتلاف، والعذاب، والعقاب، وسلسلة الشياطين فتح لكل صفاء، ونقاء، ويقين، فلا ريب، ولا وسوسة، وإنما اليقين الذى يصهر النفس المؤمنة، ويكشف الحجب عن فطرتها السوية، وسلوكها القويم، لكى تصل إلى مولاها وخالقها، بأحب الأعمال إليه، وهو ما فرضه على عباده، فى قوله ـ عز من قائل ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

البقرة: ١٨٣

وقد روى البخارى فى صحيحه من حديث أبى هريرة قول سيدنا النبى ـ ﷺ ـ: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ماتقدم من ذنبه»(2).

ورمضان بنص التنزيل أيام معدودات، قال تعالى ـ:

(*) رئيس قسم اللغويات بكلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر فرع سوهاج

(1) صحيح البخارى/ كتاب الصوم/ باب (هل يقال رمضان أو شهر رمضان)

(2) صحيح البخارى/ باب (من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونية)

﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾[٣]، وإذا كان صيام الأيام المعدودات سبيلاً إلى مغفرة ماتقدم من الذنوب فما أعظم هذا الإحسان من الحق - سبحانه وتعالى - وماأكرمه! وذلك بشرط أن يكون صيامه إيماناً ويقيناً، وأن يحتسب المسلم الصائم ثواب صيامه عند ربه الذى ادخر له ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من نعيم مقيم، وظل دائم، وأنهار مما لذ وطاب، لا ينضب معينها، ولاينفد عطاؤها، ولايتوقف مددها.

وفى رمضان تفرش البسط، وتمتد الأيدى بالعطاء، فالكرم فى رمضان آية من آياته، وبشارة من خيراته، وندى من نفحاته، وهو كرم غير مصنوع، وخلق فى المسلمين مطبوع، يتنافس حوله وإليه المتنافسون فى كل مكان يسعون إلى إفطار الناس عند الغروب، ساعة تودع الشمس يوماً لاتعوضه فى بركته، وأريحيته كل أيام السنة، وتنسخ فى ليل تتنزل فيه الملائكة بالرحمات من رب الأرض والسماوات على أهل القيام والتلاوة، والذكر، والتسابيح، فترى الأيدى تمتد، والوجوه تستقبل، والصدور تفتح قبل الدور، والقلوب ترحب فياضة بالعفو والسماحة والنور،

وتسمع فى رمضان أطيب الألفاظ، وأطهرها، فما أقرب المسلم الصائم من ملائكة الله المكرمين، الذين لايعصون الله ماأمرهم، ويفعلون مايؤمرون، وماأبعده عن الشياطين الماردين، العاصين الآثمين، وقد أراد الشرع الحكيم لنا تلك القربة من الطهارة والصفاء، ففى صحيح الحديث قول سيدنا رسول الله - ﷺ -: « وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولايصخب، فإن سابّه أحد، أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم»[٤].

لأن الصيام طهارة للنّفْس قبل أن يكون راحة للمعدة، وإلاّ فالله - عز وعلا - أكرم من أن يعذّب عباده، أو أن يحرمهم ماأحله لهم من شهوتى البطن والفرج، «فمن لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه»[٥].

إذ لاقيمة للحرمان، ولامعنى لمجافاة الطّعام والشّراب ساعات النّهار مالم يؤثر ذلك فى سلوك المسلم الصائم، الذى هو لبنة فى صرح أمة، كانت خير أمة أخرجت للناس بأمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، وإيمانها بربها الذى خلقها، وذرأها فى الأرض لتعمرها، على بصيرة من الحكمة، والعدل، والرحمة،

---

(٣) البقرة (١٨٤)

(٤) صحيح البخارى باب (هل يقول إنى صائم إذا شتم)

(٥) رواه البخارى عن أبى هريرة (باب من لم يدع قول الزور والعمل به)

ومن هنا تتجلى القيمة الحقيقية للصيام فى تهذيب سلوك المسلم، وإذا كان الإحسان من خلق المسلم فى رمضان فينبغى أن يمتد ذلك الإحسان إلى مابعد رمضان، خصوصاً إذا كان مقصوداً به وجه الله - تبارك وتعالى - فإن رب رمضان هو ربُّ شوال، وسائر الشهور، وهو خالق الشهور والدهور، وواهب المنن، ورازق البشر.

ولاشك أنّ هذا الإحسان إذا تحقق فى غير رمضان فقد تحقق معنى الأمة، الذى أراده الله لها، من كونها جسداً واحداً فى تعاطف الأفراد وتراحمهم وتوادهم فإذا ما اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، فإذا سلمت تلك الأمة فقد ضمنت لنفسها الاستقرار، والأمان، والطمأنينة على مر الأيام والليالى، ولعلّ رمضان يدفعها إلى هذا المراد، لأنه شهر الإحسان، يفيض على نفوس الصائمين بالخير المطلق الذى يبقى أثره إلى مابعده، بحيث يخرج المسلم من رمضان محفوفاً بغفران ربه، وكرمه، فيستأنف مابقى له من عمره على هذا النهج من الإحسان، إذْ الديمومة هدف، ومطلوب، من مطالب الشرع الحنيف، حيث كان أحب الأعمال إلى الله أدومها وإنْ قلّ.

أمّا أن يحسن المسلم فى رمضان، فتراه كريماً طيباً طيلة أيام رمضان ولياليه، فإذا انتهت تلك الأيام والليالى تبدل كرمه بخلاً، وطيبه خبثاً، وإحسانه إساءة، فما تعلم الدرس الأصيل الذى جاء به الشهر الكريم، وفى ختام آية الصوم قول ربنا - تعالى -:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وما من شك فى أنّ التقوى ليست موقوتة برمضان، وإنما هى صفة لازمة دائمة للمؤمن الذى يرجو رحمة ربه ورضاه، ويسعى إلى رضوانه وجنته، فهو يتقى الله حيثما كان، وفى كل زمان مادام حيًّا، يتحرى الحلال كما تحرى الهلال، ويجتنب المعاصى والآثام كما بعد عن كثير المنام من أجل الذكر والدعاء والاستغفار، إنّ صورة المسلم فى رمضان وقد بعث الأمل فى نفوس الفقراء، وتصدق على اليتامى والأرامل والمحرومين صورة طيبة جميلة، وعليه أن يحافظ عليها بعد رمضان، حيث إنّ هؤلاء الذين غرس الخير فيهم، وحنا عليهم، ودنا منهم مازالوا بعد رمضان فى حاجة إليه، ومازالت نيته متجهة إلى الله، والله حىٌّ لايموت، إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه، ليرفع به صاحبه.

ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه الكرام الطيبين إلى يوم الدين.

معجزة النبى عيسى ـ عليه السلام

بقلم: رحمة الله قارى عابدوف (*)

بعد حصول جمهوريتنا على نعمة الاستقلال بدأ عهد جديد من تاريخ شعبنا. إن التجدد الروحى الجارى فى مجتمعنا يتطلب منا دراسة عميقة فى تراثنا التاريخى، ومن ضمنها دراسة قيم الدين الإسلامى. من أجل تنفيذ هذا الهدف، لقد خلقت فى بلادنا الظروف الاجتماعية والسياسية اللازمة، لاسترجاع قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا القومية إلى مستواها السابق. فافتتحت أبواب خزائن العلم أمام علمائنا المتخصصين فى علوم الدين، واللغة والتراث.

إن التراث الباقى من أجدادنا القدامى أعنى الكتب العلمية والدينية والمؤلفات المخطوطة، كمراجع أصلية تقدم واحدة بعد أخرى إلى إيدى أفراد مجتمعنا بعد الدراسة والتدقيق فيها وترجمتها إلى لغتنا.

إن لتعلم تاريخ الأنبياء المذكورة أسماؤهم فى القرآن الكريم أهمية كبرى، لأن فى قصص الأنبياء قدوة وعبرة تربوية، لا تقدر بثمن، ولكن مع الأسف أن المعلومات والخبرة عن القرآن الكريم، وعن معانيه وعن الأنبياء المذكورين فيه، قليلة بين يدى شعبنا، إذ يعترف العلماء الأوزبك أن القرآن الكريم المصدر الأساسى للدين الإسلامى، وله أهمية كبرى فى تربية الإنسان الروحية إلا أن سرعة تقديم هذا الكنز إلى الشعب بعد دراسته تجرى ببطء.

إن البحوث ليست فى القرآن الكريم وحده فقط بل وفى محتويات الكتب والتعاليم لمعتنقى الأديان الغير إسلامية الذين يعملون فى جمهوريتنا والتعرف عليها تعطى فائدة أكبر، وإنه لمن الحكمة أن يعيش المسلمون الأوزبك منذ مائة سنة فى تفاهم وجنبا إلى جنب مع أصحاب الأديان الأخرى مع النصارى مثلا الذين توجد نقاط مشتركة فى دياناتهم مع تعاليم الدين الإسلامى.

أليس من الضرورى أن ندرس هذه النقاط؟

لقد بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز أن النصارى متسامحون، وأقرب مودة

(*) الكاتب: نائب رئيس جامعة طشقند الإسلامية ـ أوزبكستان.

للمسلمين، وأنه من الممكن أن يعيشوا مع المسلمين فى سلام وتفاهم فى مكان واحد، وزمان واحد، وفى بلدة واحدة، ومدينة واحدة، وعلى الخصوص أن تعايش النصارى مواطنى البلد الحرة المزدهرة لجمهوريتنا ذات القوميات الكثيرة مع الشعب الأوزبكى المتسامح المحب للإسلام - أصحاب الأخلاق الإسلامية والفضائل الإنسانية الذين لا يؤذون غيرهم بأيديهم ولا بألسنتهم - لهو إثبات البشرى التى وردت فى آيات القرآن الكريم.

وعلى هذا علينا أن نتفكر ونتأمل فى مضمون آيات القرآن - الكلام المقدس - المنزلة فى حق عيسى نبى النصارى.

كلما أراد الله - سبحانه وتعالى - إرسال نبى إلى قوم جعله أكمل البشر وأعلمهم لزمانهم وأيده بمعجزات ويثبت بها هؤلاء الأنبياء للناس صدقهم فيما يدعون إليه وأنهم مرسلون من عند الله، وتدل هذه المعجزات على قدرته - سبحانه وتعالى -.

منها معجزة موسى - عليه السلام - التى ظهرت أمام فرعون وهامان وهى العصى التى أصبحت حية وبلعت عصى وحبال السحرة المسحورة نتيجة لما برع فيه هؤلاء إذ ذاك من السحر.

وإخراج موسى يده من جيبه فإذا هى ناصعة البياض تتلألأ للناظرين.

ومنها تأييد رسوله محمد - ﷺ - بالمعجزة الخالدة ألا وهى القرآن المعجز بأسلوبه، وبلاغته، وبما يحتويه من هدى وعلوم ومعارف، وأخبار والذى تحدى به محمد - ﷺ - العرب أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا وهم الذين اشتهروا بالفصاحة والبلاغة فى فنون القول.

ومنها صنع نوح - عليه السلام - السفينة فى الصحراء للنجاة من الطوفان وإلانة الحديد بين يدى داود - عليه السلام - حتى أصبح كالشمع يتصرف به كما يشاء من غير نار ولا مطرقة.

وإعطاء الله - تعالى - سليمان - عليه السلام - سلطانا على الريح وقدرة عليها فجعلها تجرى بأمره وتفضل الله عليه بتعلم لغة الحيوان والطير - كل هذا من معجزات النبوة.

لقد أعطى الله مثل هذه المعجزات لعيسى - عليه السلام - أيضا. كما يشهد القرآن أن عيسى - عليه السلام - أدى رسالته فى زمانه وهو أحد آلاف الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله - تعالى - ليبشروا ولينذروا وليدعوا العباد إلى الهداية.

أظهر عيسى - عليه السلام - معجزات إذا اقتضى الأمر الحاجة إليها كما صدرت هى من الأنبياء الآخرين.

ولم ينكر عيسى - عليه السلام - أحدا من الرسل والأنبياء الذين عاشوا قبله مصدقا لما بين يديه من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعده وهو محمد - ﷺ -.

المعجزة الأولى التى أيد الله بها عيسى - عليه السلام - هى أن أنطقه الله وهو صبى فى المهد وشهد عيسى - عليه السلام - بالجواب الشافى الدال لبنى إسرائيل على براءة أمه وعلى أنه عبد الله سيؤتى الإنجيل ويختار نبيا.

ومعجزته الثانية من الله هى الإنجيل فيه هدى ونور وهو مصدق لكتب الأولين المقدسة وهو الدستور الذى يبين لبنى إسرائيل ما اختلفوا فيه

من الحلال والحرام ويحل لهم بعض الذى حرم عليهم ويحرم عليهم بعض الذى أحل لهم.

والعصر الذى عاش فيه عيسى - عليه السلام - اشتهر بترويج علوم الطبيعة والطب، فأيده الله بالمعجزات الباهرة من هذا النوع.

فمسح على الأكمه - وهو من ولد أعمى - فعاد الأعمى بصيرا بإذن الله، ومسح على الأبرص فشفاه وبحسب الطب حتى الآن أنه لا دواء للبرص، وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله.

وكان يحيى الموتى بإذن الله بالنداء أو اللمس فيقوم بأمره من القبور الأموات القدماء وهذا ما يقصه الله فى آيات من سورة.. المائدة

﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾(١).

وفى آيات من سورة آل عمران يذكر الله نعمه الأخرى التى أنعم بها على عيسى - عليه السلام-

﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٢).

إن الله - تعالى - يخبر فى الآيتين المذكورتين عن معجزات النبوة التى ميز بها عبده ورسوله عيسى - عليه السلام - بأسلوبين رائعين أحدهما أن الله - سبحانه وتعالى - يقص مخاطبا نبينا محمد - ﷺ - قصة عيسى - عليه السلام -.

والأخرى أنه يقصها على لسان عيسى - عليه السلام - نفسه الذى يخاطب بنى إسرائيل ويبين لهم ما ميز الله به إياه ليثبت نبوته.

فى الآية الأولى يمن الله - تعالى - على عيسى - عليه السلام - خلقه من غير أب، الدال من جهة على قدرته - سبحانه وتعالى - بقوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ ﴾(٣).

ويدل من جهة أخرى على أن - الله تعالى - جعل هذه المعجزة نجاة لمريم من أن يتهمها الظالمون والجهلاء بغيا وأن يثبت عيسى - عليه السلام - عفة أمه بولادته هذه.

والنعمة على عيسى - عليه السلام - وأمه هى أن الله - تعالى - أيد عيسى - عليه السلام - بروح القدس يعنى جبريل - عليه السلام - وخصه بالنطق صبيا فى المهد وفى الكهولة، وبالنطق فى المهد أثبت عيسى - عليه السلام - أنه ليس بولد زنا.

إنما النطق فى سن البلاغة ليس غريبا لكن نطق عيسى - عليه السلام - فى الكهولة هى دعوته إلى سبيل الله، كان يبشر الناس برسالته ويدعوهم إلى اتباعه والكثير من الناس فى القرى والجماعات كانوا يجيبون دعوته ويلتفون حوله.

---

(١) سورة المائدة الآية ١١٠.
(٢) سورة آل عمران الآية ٤٩.
(٣) المائدة (١١٠).

بعد وفاة أمه مريم أخذ عيسى ـ عليه السلام ـ يسافر بأمر من الله ـ تعالى ـ إلى مدن وقرى بنى إسرائيل ويدعوهم إلى سبيل الحق ويداوى مرضاهم بالدعاء إلى الله وبإذنه، وكان يقول لهم: إنه رسول من الله لهداية خلقه ويدعوهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن عيسى رسول الله.

إن قول عيسى ـ عليه السلام ـ هذا من دعوته فى الكهولة وهو ابن ثلاثين من العمر، وتعنى الكهولة سوى السن وتحيط مدة رسالة عيسى ـ عليه السلام ـ عند النصارى أعوام من ٣٠ إلى ٣٣ سنة من أواخر عمره ـ عليه السلام ـ.

ورواية القرآن أن عيسى ـ عليه السلام ـ كان فى طفولته زكيا وفى سن البلاغة أصبح رسولا لا تتعارض مع عقيدة النصارى فعلى سبيل المثال فى إنجيل لوقا يقال: (كلما نما الصبى وصار حكيما وتقوى روحا ظهرت فيه مميزات وهبه الله بها) (٢٠٤٠).

(بعد ثلاثة أيام وجدوه فى المعبد حيث كان جالسا بين المعلمين يستمع إليهم ويجيب عن أسئلتهم) (٢٠٤٦) (ح.س. كرامتوف. مباحث القرآن فى الآداب الأوزبكية. دكتوراه فى الأدب ص ١١٨).

بينما كان عيسى ـ عليه السلام ـ يؤدى دعوته طالبه بنو إسرائيل بما يؤيد رسالته، بعد ما سمعوا قول عيسى ـ عليه السلام ـ:

﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

طلبوا منه لإحراجه بأن يصنع من الطين طيرا وجناحيه من غير ريش مع العلم بأن الطير ذو جناحين، ولو يشبه الخفاش طيرا إلا هو يضحك كالإنسان وتحيض أنثاه كالمرأة ولها ثديان ترضع بإحداها فرخها وبالثانية نفسها، ولا تبيض كالطيور الأخرى بل تلد كالبهائم، ولا يطير الخفاش بالنهار لأنه لا يبصر بالنور بل يطير حوالى ساعة بالمساء فى طلب القوت.

فصنع عيسى ـ عليه السلام ـ شكل الطير المذكور العجيب ثم نفخ فيه فكان طيرا بإذن الله وطار، آمن البعض من بنى إسرائيل بعد هذه المعجزة، وأيد الله عيسى ـ عليه السلام ـ بالمعجزة الثانية أعاد بها إلى الأعمى بصره، ويوصف هذ الأعمى فى الآية بكلمة (الأكمه) يفسرها البعض أنها تعنى الذى لا يرى إلا بالنهار ويقول الآخر بالعكس هو الذى يرى كالخفاش بالمساء فقط ولا يبصر نهارا، وقال البعض وهو الأصح: إنه من ولد أعمى، لأن إعادة البصر لمن ولد أعمى هى معجزة فى الحقيقة.

البرص مرض منفر لا دواء له وحتى الآن لم يوجد دواء يشفى الأبرص تماما، أما عيسى ـ عليه السلام ـ فشفاه بمعجزة من الله وبإذنه، لكن اليهود طلبوا منه معجزة أخرى أقوى وأبهر من الأولى وهى إحياء الموتى، وفى رواية محمد بن طلحة عن أبى بشر عن أبى هزيل أن عيسى ـ عليه السلام ـ كان يصلى ركعتين قبل إحياء الموتى ويتلو فى الركعة الأولى سورة الملك وفى الركعة الثانية سورة «الم تنزيل» «السجدة» (وتدل هذه الرواية على أن نص السورتين المذكورتين من القرآن مسجل فى الإنجيل أيضا) ثم يحمد الله ـ تعالى ـ ويثنى عليه ثم يدعو له بذكر أسمائه ـ سبحانه وتعالى ـ السبعة وهى يا قديم يا خفى يا دائم يا فرد يا وتر يا أحد يا صمد، فإذا تعسر عليه إحياؤه كان ينادى بهذه الأسماء (يا حى يا قيوم يا الله يا رحمن يا ذا

الجلال والإكرام يانور السماوات والأرض وما بينهما ورب العرش العظيم ياربّ) ثم يأمر مواجهاً إلى قبر الموتى (قم بإذن الله!) (تفسير ابن كثير المجلد ـ ١ ص١١٥) .

لما طلب بنو إسرائيل من عيسى ـ عليه السلام ـ أن يحيى ميتا سألهم عيسى ـ عليه السلام ـ والميت الذى اختاره بنو إسرائيل كان ميتا جديدا موضوعا في قبر مفتوح لم يدفن بعد في التراب؛ فأحياه عيسى ـ عليه السلام ـ بالدعاء . وحصلت بهذه الطريقة المعجزة التي بشر بها لسان عيسى ـ عليه السلام ـ في الآية ٤٧ من سورة آل عمران ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾(٤) وتروى هذه المعجزة في إنجيل الحوارى يوحنا تحت عنوان « إحياء عيسى ـ عليه السلام ـ لازار » اقترب عيسى في اضطراب شديد من القبر، والقبر كان في غار مغطى مدخله بحجر، قال عيسى: « ارفعوا الحجر! » .

وقالت له أخت الميت مارفا: يا حضرت، لقد وضع الميت في هذا القبر منذ أربعة أيام ربما فاحت منه رائحة، قال عيسى: « ألم أقل لك أن تؤمني بالله سوف تشهدين قدرته » . فرفعوا الحجر من مدخل الغار الذى كان المرحوم موضوعا فيه . وخاطب عيسى ـ عليه السلام ـ بالدعاء ناظرا إلى السماء: يا لازار اطلع إلى الخارج! فإذا جسد مربط يداه ورجلاه ومغطى وجهه بمنديل يخرج من الغار . (إنجيل يوحنا . ستوكهولم ١٩٩٢ ، ٢٤٨) .

أما بنو إسرائيل فلم يؤمنوا بعيسى ـ عليه السلام ـ حتى بعد معجزته هذه وقالوا: هذا ميت جديد ربما ما خرجت روحه تماما علاوة على هذا هو يعرفك ولهذا يذكرك وطلبوا: « إذا تريد تصديقنا فأحى ميتا قديما مدفونا في الأرض وعظامه نخرة » من تريدون إحياءه ـ سأل عيسى ـ عليه السلام ـ فعرضوا عليه قبرا عتيقا ـ قبر سام ابن نوح . صلى عيسى ـ عليه السلام ـ ركعتين ثم دعا ثم أمره: يا سام قم بإذن الله » فإذا القبر شق وخرج منه سام وهو يقول « لبيك يا رسول الله! » وبدا بمنظره شيب الشعر واللحية وطويل القامة . وسأل عيسى ـ عليه السلام ـ منه: ما كان الناس في زمانك يتشيبون وأنت شيب تماما فأجاب سام: كان شعرى ولحيتى سوداوين فلما أمرتنى بالقيام من القبر حسبت أن القيامة قامت فتشيبت من شدة الخوف .

لقد وردت قصة إحياء عيسى ـ عليه السلام ـ إنسانا مات قبل أكثر من أربعة آلاف سنة وأخرجه من القبر في الآية ١١٠ من سورة المائدة ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ﴾(٥) وآمن الكثير من بنى إسرائيل بعد هذه المعجزة كان عيسى يدعو إلى العمل بالإنجيل المنزل من عند الله كما هو مصدق لما بين يديه من التوراة التى كان يعتقدون والعمل بما فيها بنو اسرائيل، ففى الانجيل نسخ بعض الاحكام وأمر بالآخر، وأحل لبنى إسرائيل بعض الذى حرم عليهم: لأن الحكمة الأساسية من نبوة عيسى ـ عليه السلام ـ وتأييده بالمعجزات هى تجديد بعض أحكام الشريعة السابقة .

فلما أخبر عيسى ـ عليه السلام ـ بنى إسرائيل بأنه جاء ليحل لهم بعض الذى حرم عليهم من

---

(٤) آل عمران ٤٩ .

(٥) المائدة ١١٠ .

قبل زاد عناد بني إسرائيل وحسدهم عليه لأنهم كانوا قساة القلوب وسيىء المعاملة مع الأنبياء، يكذبون بعضهم ويقتلون بعضهم. فإذا هل هم يتبعون نبيا قام ضد التوراة يريد تبديل أحكامه ويعاملون معه حسن المعاملة؟

ومن هذا اليوم بدأ تيار عناد بني إسرائيل يقوى وبوادر الكفر بعيسى ـ عليه السلام ـ تطغى، فأكثر اليهود كانوا يحقرونه بأنه ولد زنا، لا أب له وما يقوله ويعرضه سحر وهو نفسه ساحر. قال الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(٦).

وقال الله ـ تعالى ـ:

﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٧).

كما تشهد الآيات المذكورة أنه عندما زاد اضطهاد عيسى ـ عليه السلام ـ وقف في قومه يخاطبهم لكي يجد من بين بني إسرائيل من يلبي دعوته ويتبعه يعتمد على الذين أعلنوا إيمانهم بجرأة وهم القلة وسط جموع الكافرين وعقب هذا الخطاب أعلن الحواريون إيمانهم ولأنه حدث انقسام شعب بني اسرائيل إلى فريقين. لما خاطبهم عيسى ـ عليه السلام ـ لباه فريق وهم تلاميذه الذين آمنوا به والذين ألهم الله قلوبهم بأن الصراط المستقيم ـ سبيل النجاة هو اتباع أوامر عيسى ـ عليه السلام ـ هكذا آمن الحواريون بنور أنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ وهو الإنجيل وأصبحوا أنصارا مخلصين وتلاميذا صادقين له، كما صاروا أمة مسلمة لله ـ سبحانه وتعالى ـ.

واختار عيسى ـ عليه السلام ـ من بين الحواريين اثني عشر رجلا هم أصحابه ـ عليه السلام ـ وتلاميذه المقربين الذين أرسلهم المسيح في حياته للتبشير بديانته، وهذه أسماؤهم: فوما ويوحنا ويعقوب زبادي وياقيل وتادي ويعقوب ألفي ومتي ويهودا واندري وسيمون، وارفولومي وفيليب.

إن الحواريين ليسوا برسل الله بل هم رسل لعيسى ـ عليه السلام ـ لأنهم لم يتلقوا من الله وحيا وهناك أفكار شتى لتسميتهم بالحواريين. قال البعض: إنهم كانوا يرتدون ألبسة بيضاء ولهذا سموا بحواريين. وقال البعض الآخر إنهم كانوا غسالين، ويقول الآخرون إنهم كانوا صيادين. وأصح القول وكما جاء في قاموس اللغة أن هذه الكلمة تعني ناصحا أو ناصرا.

بعد ما رفع الله عيسى ـ عليه السلام ـ قام الحواريون وفاء لنبيهم: فانتشروا في شتى البلاد يدعون إلى الله ويبشرون بدين الله الحق ـ الإسلام ويشروه في أنحاء العالم، ومن بينهم من استشهد في سبيل أداء هذه الرسالة الربانية.

---

(٦) المائدة ١١١.

(٧) آل عمران ٥٢، ٥٣.

تعقيب على رد

لفضيلة الشيخ / أبو صفي الرحمن السكندري (*)

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وعلى آله، وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمـــا بعــد:

فقد نشرت مجلة الأزهر الغراء في جزءها السادس من السنة الثالثة والسبعين، الصادر في جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ الموافق سبتمبر ٢٠٠٠، في الصفحات ٨٥١ وما بعدها مقالاً للأستاذ الدكتور صبحي عبد المنعم سعيد - وفقه الله - تحت عنوان، تعقيب على رد كاتب مقال الأحرف السبعة، - قال في بدايته تحت عنوان، القراءات والتواتر، ما نصه:- ، لاحظت في ختام نقدي لمقال الشيخ عيطة أنه أسند تهمة ترجيح إنكار ، القراءات السبع ، إلى مؤلف كتاب ، الفرقان ، دون مسوغ. فعقبت على هذه التهمة في ص ٦١٢ قائلاً: والحق أن مؤلف كتاب ، الفرقان ، برئ من تهمة إنكار القراءات السبع التي أسندها إليه الشيخ عيطة. إذ أن المؤلف لم يزد أن حكى تردد الزركشي في التسليم بتواتر ، القراءات السبع ، عن النبي - ﷺ - إلى الأئمة السبعة. وفي رأيه أن هذا التردد دليل على أن ، القراءات السبع ، متواترة من أصحابها إلينا فقط. [إلى أن قال] .... وشتان ما بين عدم التسليم بتواتر القراءات عن الرسول - ﷺ - إلى الأئمة السبعة وبين إنكارها.. ا. هـ.

والملاحظ في هذه السطور أن الأستاذ الدكتور - وفقه الله - مازال مُصراً على اتهام الشيخ عيطة بأنه أسند إلى مؤلف كتاب « الفرقان » تهمة إنكار القراءات بلا دليل أو سند، أو بعبارة الأستاذ الدكتور « دون مسوغ. . . . » والحق أن الأستاذ الدكتور قد جانبه الصواب فيما رمى به الشيخ عيطة، كما جانبه الصواب - أيضاً - حين سمح لقلمه أن يسطر هذه العبارة « . . . والحق أن صاحب كتاب « الفرقان » برئ من تهمة إنكار القراءات. . . ». والذي أوقع الأستاذ الدكتور في هذا - على ما يبدو - هو أنه حتى الآن لم يطلع على كتاب « الفرقان » وما احتواه بين طياته من أباطيل، وأضاليل، ولا يعفي الأستاذ الدكتور ظنه

(*) محفظ القرآن الكريم بمركز الشيخ محمد بن صقر القاسمي بالإسكندرية وعضو نقابة القراء بالأزهر الشريف.

أن المؤلف «مؤلف كتاب الفرقان» لم يزد أن حكى تردد الزركشي في التسليم بتواتر «القراءات السبع» عن النبي - ﷺ - إلى الأئمة السبعة - إذ كان من الضروري أن يطلع على الكتاب لاسيما في الجدل الدائر بينه وبين الشيخ عيطة.

فأقول وبالله أستعين:- إن صاحب كتاب «الفرقان» الذي انبرى الأستاذ الدكتور للدفاع عنه، وعن رأيه، دون أن يطلع على كتابه المشار إليه آنفاً من أشد المنكرين للقراءات المتواترة المعلومة من الدين بالضرورة، والشيخ عيطة - سدده الله - حين وصفه بأنه من فريق الرافضين للقراءات المتواترة كان سمحا كريما في عبارته تلك، وقبل أن أسوق للأستاذ الدكتور ما يؤكد هذه الحقيقة، يقتضيني المقام - أولاً - أن أعرف بالكتاب المذكور وصاحبه.

● **الكتاب: الفرقان**

جمع القرآن وتدوينه، هجاؤه ورسمه.

تلاوته وقراءاته، وجوب ترجمته وإذاعته.

طبعة أولى صدرت عن «مطبعة دار الكتب المصرية»

سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م يقع في مائتين وسبعة وأربعين صفحة، من القطع الكبير، به فهرس للموضوعات، خال من ذكر المراجع.

● **المؤلف**: ابن الخطيب. محمد محمد عبداللطيف صاحب «المطبعة المصرية»[1] له عدة مؤلفات منها: تفسير على هامش المصحف أسماه «أوضح التفاسير»[2] تحدث في مقدمته عن نفسه بما أرتأه. ومنها: كتاب «المرأة في شتى العصور من لدن آدم - عليه السلام - حتى الآن مالها وما عليها» كتب على غلافه بعد العنوان: بقلم ابن الخطيب. صاحب «الفرقان» و«أوضح التفاسير» و«غريب القرآن».

كما شارك في تحقيق كتاب «طوق الحمامة في الألفة والألاف»[3] للإمام الفقيه أبي محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى عام ٤٥٦ هـ مع الأستاذ الدكتور / محمد عبدالمنعم خفاجي عميد كلية اللغة العربية، والأستاذ الدكتور / إبراهيم إبراهيم هلال أستاذ الدراسات الإسلامية بكلية البنات.

● **محتويات كتاب «الفرقان»**.

(١) انظر تفسيره الموسوم بـ «أوضح التفاسير» الصفحة الأخيرة من المقدمة.

(٢) كتب في آخر صفحة من هذا التفسير «تم في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٥٢ ولله الحمد في البدء والختام».

(٣) نشرته الفلاح الحسينية المصرية بميدان الأزهر ورقم إيداعه ٤٢٦٦/١٩٧٥.

والكتاب – المشار إليه – مكدس بالأراجيف، مفعم بالأباطيل، لا تكاد تخلو صفحة من صفحاته من طعن فيما هو ثابت ومعلوم، وكاتبه منكر للقراءات المتواترة، ينعتها بالبذاءة، ويصف من يقرؤها ويدرسها بالذباب، ناهيك عن رميه الأئمة الأعلام – القدماء والمحدثين – بسوء الفهم، واتهامهم في عقولهم، ونعت آرائهم بالهراء، وتألِّيه على الله – عز وجل – وزعمه أنه برئ من القراء حتى يتوبوا من هذا الهراء، هذا فضلا عن تخطيئه للصحابة – رضي الله عنهم – ورميهم بالجهل، وتكذيبه للثابت الصحيح من حديث سيدنا رسول الله – ﷺ –(٤).

وقد تصدى الأزهر الشريف للكتاب وأفكاره السيئة – ممثلا في شيخه الشيخ الشناوي – رحمه الله – ومعه هيئة كبار العلماء، فـفندوا أباطيل الكتاب تفنيدا، وعصفوا بما فيه من أراجيف عصفاً، إلى أن حكم بمصادرته، ومع ذلك وجد الكتاب طريقه إلى الخارج فاحتضنته جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، ووضعت نسخة بمكتبة وايدنر بالجامعة!!(٥) وبعد هذا العرض الموجز للكتاب وكاتبه، أسوق إلى الأستاذ الدكتور الدليل على إنكار الرجل للقراءات المتواترة من كتابه مكتفيا بذكر دليلين.

الأول:– قال ص ١٠٥:– « أخرج الحاكم في مستدركه من طريق حمران بن أعين عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال:– « جاء أعرابي إلى رسول الله – ﷺ – فقال:– يا نبئ الله، فقال: لست بنبئ الله ولكني نبيُّ الله » . ولكن القراء – أثابهم الله – يأبون إلا أن قراءة نبئ بالهمز قراءة صحيحة متواترة، يأثم جاحدها، ويكفر منكرها، وأنا أشهد –الله تعالى– ، وملائكته، ورسله، أني بهما أول الجاحدين، ولكلام القراء أول المكذبين ولحديث رسول الله – ﷺ – الذي أنزل عليه القرآن أول المصدقين » ا. هـ.

ترى ما رأى الأستاذ الدكتور صبحي في هذا الكلام؟ فالرجل يستشهد بحديث منكر لا يصح، قال عنه النسائي:– حمران ليس بثقة وقال أبوداود: رافضي روى عن موسى ابن عبيدة. وهو واه(٦).

وعلى الرغم من ذلك يبني عليه الرجل حكماً، فينكر قراءة صحيحة متواترة،(٧) بل يصرح بأنه لها « أول الجاحدين »!! أليس هذا إنكارا سيدى الدكتور؟!

---

(٤) انظر كتاب « الفرقان » ص٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٨/٦٩، ٨١، ٩، ١٠٩–١٦٠، ١٦٢، على سبيل المثال لا الحصر.

(٥) انظر الجمع الصوتي الأول للقرآن الدكتور لبيب السعيد ص١١٣. هامش الصفحة رقم (٢).

(٦) انظر المستدرك ج ٢ ص٢٥٦ حديث رقم ٢٩٠٦، « كتاب التفسير » بتحقيق الأستاذ/مصطفى عبد القادر عطا. ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(٧) هي قراءة نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي أحد القراء العشرة.
انظر كتاب « السبعة لابن مجاهد » بتحقيق الدكتور/شوقي ضيف. ص١٥٧، ١٥٨.

وقد يقول قائل: لعل الرجل لا يعرف أن ما ذكره واستشهد به لا يصح عن رسول الله - ﷺ - فهو معذور بجهله، وللجواب عن ذلك أقول:-

إن إعذار الرجل بجهله أمر مستبعد.. كيف وهو القائل فى كتابه ص ١١٥، ١١٦، «وقد يقول قائل: إن الذى حدا بك إلى ما تقول، هو جهلك بما تعلمه، والإنسان بطبعه عدو لما يجهل» وجوابى على هذا: إننى بفضل - الله تعالى - قد علمت ما تعلمون، وفوق ما تعلمون، ودرست ما درستموه، وفوق ما درستموه، ولكنكم أنتم الذين تجهلون ما أقول ولا تفهمونه، فأنتم الأعداء لما تجهلون وما تعلمون» ا. هـ.

الثانى: قال ص ١١٧: «وقال الزمخشرى[٨] أيضا فى تفسيره عند قوله تعالى:-

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ومدغم الراء فى اللام «فيغفلمن يشاء»[٩] لاحن، مخطئ خطأ فاحشا، وراويه عن أبى عمرو، مخطئ مرتين، لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب فى نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب فى قلة الضبط قلة الدراية» ا. هـ. والذى نستخلصه من كلام الزمخشرى - رضى الله تعالى عنه - أن من القراءات المعتمدة التى بلغت مبلغ التواتر والصحة، ما هو خارج عن المعقول، وغير جائز لغة، بل وباطل سمج مردود» ا.هـ.

مرة أخرى أليس هذا - سيدى الدكتور - إنكاراً للقراءات؟!!

لعل الأستاذ الدكتور صبحى يكون قد اطمأن إلى أن الشيخ عيطة برئ من تهمة إسناد تهمة إنكار القراءات المتواترة لصاحب كتاب «الفرقان» بلا سند، أو دون مسوغ كما توهم سيادته.

ثم استطرد الدكتور صبحى - وفقه الله - فى مقاله قائلاً: «ثم استطرد الشيخ عيطة قائلا:- «فالقرآن يشترط أن تكتمل فيه ثلاثة أركان:

الأول: أن يوافق العربية ولو بوجه.

الثانى: أن يقوم على التواتر الذى يصل سنده إلى رسول الله - ﷺ -.

الثالث: موافقة الرسم العثمانى ولو احتمالاً. فالتواتر شرط فى قبول القراءة الصحيحة» ثم قال معقباً على كلام الشيخ عيطة:- «والحق أن هذه الفقرة الأخيرة من قول الشيخ عيطة تثير أكثر من سؤال ينبغى أن يوجه إلى فضيلته أولاً: من العالم الذى نطق بهذه الفقرة وما المصدر العلمى الذى أخذت منه؟ وكيف ساغ لأخى الشيخ أن يسوق مثل هذه الفقرة أثناء جدل علمى دون أن ينسبها لصاحبها أو يعين مصدرها؟

---

(٨) فى كتابه القيم «الاتجاهات المنحرفة فى تفسير القرآن الكريم دوافعها، ودفعها» قال الشيخ/محمد حسين الذهبى - رحمه الله -: «...... وفى كتاب الكشاف مواقف كثيرة للزمخشرى ينكر فيها بعض ما ثبت من قراءات متواترة، متأثرا فى ذلك بمذهبه النحوى، وما كان للزمخشرى ولا لغيره أن يحكم مذهبه النحوى فى كتاب الله... ص٤٢.

(٩) انظر كتاب «السبعة» لابن مجاهد تحقيق الدكتور/شوقى ضيف ص١٣١.

ثم عن أى شئ يتحدث الشيخ عيطة فى هذه الفقرة؟! أهو يتحدث عن القراءات - وهى موضوع الخلاف؟ أم عن القرآن - وهو فوق هذا الخلاف؟ أم أن الشيخ لا يفرق بين القرآن والقراءات وهما حقيقتان مختلفتان...» ا.هـ ثم راح الدكتور صبحى يفند عبارة الشيخ واصفاً إياها بسوء التركيب اللغوى الذى يوقع القارئ فى لبس شديد.. والحق أن عبارة الشيخ عيطة - سدده الله - غاية فى الدقة والضبط.

وإيراد الشيخ عيطة للعبارة الأخيرة من الفقرة المذكورة هو تحصيل الحاصل لما ذكره قبل، وفيه دلالة على سعة اطلاع الشيخ فيما يتحدث فيه، إذ أنه لم يزد عما قاله أهل التحقيق فى هذا الشأن كما سيأتى بيانه مفصلاً، بيد أن إيمان الدكتور وتسليمه سلفاً - بعدم لزوم شرط التواتر فى قبول القراءة هو الذى حدا به إلى قول ما قاله.

لكن فى كلام الدكتور صبحى ما لا يجب أن يمر هكذا - وما أكثر ذلك فى مقاله - فقد قال سيادته:- «... أم أن الشيخ لا يفرق بين القرآن والقراءات وهما حقيقتان مختلفتان....» وأنا لا أدرى من أين جاء الدكتور بكلمة «مختلفتان» هذه؟! وواضح أن سيادته يرتكز فى ذلك على قول الزركشى - رحمه الله - الذى يقول فيه:- «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان...»[10] فهو يفهم «التغاير» المشار إليه فى قول الزركشى على أنه الاختلاف المطلق. وليس الأمر كما فهم الأستاذ الدكتور!!

حيث إن التغاير المذكور فى كلام الزركشى - رحمه الله - لم يقصد به التغاير التام، ولإيضاح الأمر أعرض لكلام الزركشى - رحمه الله - متبوعاً بمناقشة له من أستاذ كبير، وفارس من فرسان هذا الميدان، ومشهود له بالكفاءة فى هذا المجال وهو الأستاذ الدكتور/ شعبان محمد اسماعيل - حفظه الله -.

قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه «البرهان»: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان.. فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد -ﷺ- للبيان والإعجاز؛ والقراءات هي اختلاف الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها من تخفيف، وتشديد، وغيرها..»[11] اهـ.. قال الأستاذ الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل - حفظه الله - معقباً على عبارة الزركشي - رحمه الله - السالفة: «وتبعه على ذلك بعض العلماء: كالقسطلاني في لطائف الإشارات، والشيخ أحمد بن محمد الدمياطي صاحب كتاب (إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر..).. وأقول: إن كان الزركشي يقصد بالتغاير التام، فلست معه، إذ ليس بين

(١٠) انظر البرهان. تحقيق الأستاذ/محمد أبو الفضل ج١ ص ٣١٨.

(١١) انظر البرهان (ج ١ص ٣١٨).

القرآن والقراءات تغاير تام، فالقراءات الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول ما هي إلا جزء من القرآن الكريم، فبينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل.. ولعل هذا هو الذي يقصده الإمام الزركشي حيث قال: (ولست في هذا أنكر تداخل القرآن بالقراءات إذ لابد أن يكون الارتباط بينهما وثيقاً، غير أن الاختلاف على الرغم من هذا يظل موجوداً بينهما، بمعنى أن كلاً منهما شيء يختلف عن الآخر لا يقوى التداخل بينهما على أن يجعلهما شيئاً واحداً، فما القرآن إلا التركيب واللفظ، وما القراءات إلا اللفظ ونطقه، والفرق بين هذا وذاك واضح بيّن).. إلى أن يقول -حفظه الله-: فالواقع أنهما ليسا متغايرين تغايراً تاماً، كما أنهما ليسا متحدين اتحاداً حقيقياً، بل بينهما ارتباط وثيق، ارتباط الجزء بالكل.. والله أعلم»[12] ا. هـ.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام، أن من العلماء -القدامى: والمحدثين- من يرى أن القرآن والقراءات بمعنى واحد لا فرق بينهما.. فمن القدامى ابن دقيق العيد -رحمه الله- ومن المحدثين.. الدكتور محمد سالم محيسن[13] - حفظه الله - وقد تعرض الدكتور شعبان محمد إسماعيل لرأي الأخير فقنده منتهياً إلى الرأي الذي مر بك.

والخلاصة في هذه المسألة: أن هناك تداخلا بين القرآن والقراءات، وأن النسبة بينهما هي: العموم والخصوص المطلق، فكل ما هو قرآن فهو -ولابد- من القراءات.. وليس كل ما هو من القراءات بقرآن.. والله أعلم[14]..

لقد كان من الأفضل ألا يتسرع الدكتور صبحي -وفقه الله- في تعريضه بالشيخ عبطة.. بأنه لا يفرق بين القرآن والقراءات.. لاسيما والأمر كما رأيت.

وقبل أن انتقل إلى الحديث عن مسألة تواتر القراءات أحب أن أوجه سؤالاً للأستاذ الدكتور صبحي -وفقه الله- وهو: لقد ذكرت في مقالك تعريفاً للقرآن الكريم، دون ذكر المصدر العلمي الذي أخذ منه هذا التعريف، فهلا تفضلت بذكر المصدر المأخوذ عنه هذا التعريف بالألفاظ التي ذُكرت؟!.

(يتبع)

---

(١٢) القراءات ،أحكامها، ومصادرها، ص٢٠، ٢١، ٢٢.

(١٣) القراءات ،أحكامها ومصادرها، ص٢١، ٢٢. للدكتور شعبان محمد إسماعيل وانظر القراءات القرآنية ،تاريخها - ثبوتها - حجيتها - وأحكامها، تأليف/عبد الحليم بن محمد الهادي قابة ص ٣١.

(١٤) المرجع السابق ص ٣٢.

العشرة المبشرون بالجنة

٣ أمين الأمة

أبو عبيدة بن الجراح

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

روى الإمام أحمد: حدثنا عبدالله قال: حدثني محمد بن أبان حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن موسى بن يعقوب بن عبدالله بن وهب بن زمعة، عن عمر بن سعيد، عن عبدالرحمن بن حميد، عن أبيه، أن سعيد بن زيد حدثه في نفر، أن رسول الله - ﷺ - قال: عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، والزبير في الجنة، وطلحة، وعبدالرحمن، وأبو عبيدة بن عبدالله يعني بن الجراح وسعد بن أبي وقاص فعد هؤلاء التسعة فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور أنت العاشر؟ قال: إذ ناشدتموني بالله، أبو الأعور في الجنة[١]

في بدر

وفي غزوة بدر يضرب أبو عبيدة عامر بن الجراح أروع الأمثلة في الالتزام - بما أمر به الله - عز وجل - ورسوله الكريم - ﷺ - بعد أن خاض محنة وأي محنة.

انطلق أبو عبيدة مع رسول الله - ﷺ - وأصحابه - رضوان الله عليهم - يصول ويجول بين الصفوف صولة من لا يهاب الردى وجولة من لا يحذر الموت فهابه المشركون وحذره صناديدهم

(١) رواه الإمام أحمد في الفضائل (١١٤/١:١١٥) برقم (٨٥).

إلا رجل واحد كان أبوعبيدة - رضي الله عنه - يتنحى عن طريقه ويتجنب لقاءه.

إلا أن هذا الرجل الذي تحاشاه أبوعبيدة شدد في الهجوم عليه وسد عليه كل المسالك، ووقف حائلا بينه وبين قتال أهل الشرك ،فما كان من سيدنا أبوعبيدة عامر بن الجراح إلا أن فلق هامته بالسيف فخر صريعا، ذلك هو عبدالله بن الجراح والد أبي عبيدة..

فأنزل - الله - عز وجل -:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢].

يقول الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير في تفسيره لهذه الآية:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾

أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال - تعالى -:

﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾

الآية وقال - تعالى -:

﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾

وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره: أنزلت هذه الآية «لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر..» إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر، ولهذا قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة - رضي الله عنهم - ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته، وقيل في قوله - تعالى -:

﴿ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ﴾ نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر «أو أبناءهم» في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن «أو إخوانهم» في مصعب ابن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ «أو عشيرتهم» في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا، وفي حمزة، وعلي وعبيدة بن الحارث، قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم[٣].

وقال الإمام البغوي «قوله - عز وجل -:

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾

---

(٢) المجادلة (٢٢)

(٣) تفسير/ ابن كثير (٨/ ٢٧٣)

أخبر أن إيمان المؤمنين يفسد بموادة الكفار وأن من كان مؤمنا لا يوالي من كفر وإن كان من عشيرته.

وروى مقاتل بن حيان، عن مرة الهمداني، عن عبدالله بن مسعود، في هذه الآية قال: «ولو كانوا آباءهم» يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه عبدالله بن الجراح[٤].

وثبت بن الجراح ـ رضي الله عنه ـ يوم أحد مع رسول الله ـ ﷺ حين انهزم الناس وولوا، وأحاط الكفار برسول الله ـ ﷺ ـ وشاهد أبوعبيدة سهما ينطلق ويصيب رسول الله ـ ﷺ فاقترب منه مع بقية الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ معملا السيف فيمن التف حوله من الكفار والرسول ﷺ ـ يمسح الدم بيمينه وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم»؟[٥]

ويروى ابن سعد في طبقاته عن موقعة أحد قال:

عن عائشة قالت: سمعت أبا بكر يقول: لما كان يوم أحد، ورمى رسول الله ﷺ ـ في وجهه حتى دخلت في أجنتيه حلقتان من المغفر فاقبلت أسعى إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وإنسان قد أقبل من قبل المشرق يطير طيرانا فقلت: اللهم اجعله طاعة، حتى توافينا إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فإذا أبوعبيدة بن الجراح قد بدرني، فقال: أسألك بالله يا أبا بكر الا تركتني فانزعه من وجنة رسول الله ـ ﷺ ـ قال أبو بكر: فتركته فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم أخذ الحلقة الأخرى، بثنيته الأخرى فسقطت، فكان أبوعبيدة في الناس أثرم[٦].

«قال أبوبكر: فكان أبوعبيدة من أحسن الناس هتما»

إن عصيتني أطعتك

وبعث رسول الله ـ ﷺ ـ عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل من أرض بني عذرة يستنفر العرب إلى الشام، وذلك أن أم العاص بن وائل، كانت امرأة «من بلي» فبعثه رسول الله ـ ﷺ ـ يستألفهم لذلك حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له السلسل وبذلك، سميت تلك الغزوة غزوة «ذات السلاسل» ـ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله ـ ﷺ ـ يستمده، فبعث إليه رسول الله ـ ﷺ ـ أبا عبيدة بن الجراح في المهاجرين الأولين، فيهم أبوبكر وعمر، وقال لأبي عبيدة حين وجهه: لا تختلفا، فخرج أبوعبيدة حتى إذا قدم عليه، قال له عمرو: إنما جئت مددا لي، قال أبوعبيدة لا، ولكني على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه، وكان أبوعبيدة رجلا لينا سهلا، هينا عليه أمر الدنيا، فقال له عمرو: بل أنت مدد لي، فقال أبوعبيدة: ياعمرو ،إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لي: لا

---

(٤) معالم التنزيل (٨/٣٥).

(٥) البداية والنهاية لابن كثير.

(٦) طبقات ابن سعد (١/٢٩٨) والأثرم هو الأهتم، والأهتم هو الذي سقطت أسنانه.

(٧) الإصابة الترجمة (٤٤٠٠)

تختلفا، وإنك إن عصيتني أطعتك، قال: فإني الأمير عليك، وأنت مدد لي. قال: فدونك؛ فصلى عمرو بالناس[٨].

غـزوة الخبـط

وبعث رسول الله ـ ﷺ ـ أبا عبيدة ـ رضي الله عنه ـ قال في السرية المسماة .. «جيش الخبط»

يروى ابن سعد عن جابر قال: بعثنا رسول الله ـ ﷺ ـ مع أبي عبيدة بن الجراح ونحن ثلثمائة وبضعة عشر رجلا، وزودنا جرابا من تمر فاعطانا منه قبضة قبضة، فلما أخزناه أعطانا تمرة تمرة، فلما فقدناها، وجدنا فقدها، ثم كنا نخبط الخبط، بقسينا ونسفه ونشرب عليه من الماء، حتى سمينا جيش الخبط، ثم أخذنا على الساحل فإذا دابة ميتة مثل الكثيب يقال لها العنبر، فقال أبوعبيدة ميتة لا تأكلوا، ثم قال: جيش رسول الله ـ ﷺ ـ، وفي سبيل الله ونحن مضطرون، فأكلنا منه عشرين ليلة، واصطنعنا منه وشيقة .. قال: ولقد جلس ثلاثة عشر رجلا منا في موضع عينه، وأقام أبوعبيدة ضلعا من أضلاعه فأحضر أجسم بعير من أباعر القوم فأجازه تحته، فلما قدمنا على رسول الله ـ ﷺ ـ قال: ما حبسكم؟ قال: كنا نبتغي عيرات قريش، فذكرنا له شأن الدابة فقال: «إنما هو رزق رزقكموه الله، أمعكم منه شيء؟ قلنا نعم[٩] (*).

وشهد أبوعبيدة المشاهد كلها مع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى أن لحق ـ ﷺ ـ بالرفيق الأعلى ـ ويتشاور المسلمون في سقيفة بني ساعدة حول شخصية الخليفة الذي يتولى الأمر بعد رسول الله ـ ﷺ ـ.

روى الإمام أحمد: حدثنا عبدالله قال: حدثني أبي حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا إسماعيل بن سميع، عن مسلم البطين، عن أبي البختري، قال: عمر لأبي عبيدة بن الجراح: ابسط يدك حتى أبايعك، فإني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: أنت أمين هذه الأمة فقال أبوعبيدة: ما كنت لأتقدم بين يدي رجل أمره رسول الله ـ ﷺ ـ أن يؤمنا فأمنا حتى مات[١٠].

وبويع الصديق بالخلافة، فكان أبوعبيدة خير ناصح له في الحق، ثم عهد أبوبكر بالخلافة بعده إلى الفاروق، فدان له أبوعبيدة بالطاعة، ولم يعص له أمرا إلا في مرة واحدة وكان ذلك وابن الجراح أميرا على الشام من قبل عمر بن الخطاب.

يروى ابن كثير في أحداث عام ١٧ من الهجرة:

قال محمد بن إسحاق عن شعبة عن المختار ابن عبدالله البجلي عن طارق بن شهاب البجلي.. قال: أتينا أبا موسى وهو في داره بالكوفة لنتحدث عنده، فلما جلسنا قال: لا تخفوا فقد أصيب في الدار إنسان بهذا السقم، ولا عليكم أن تتنزهوا عن هذه القرية، فتخرجوا

---

(٨) السيرة النبوية لابن هشام (٢٣٩/٤). (**) يعني أبا بكر الصديق

(٩) الطبقات الكبرى (٢٩٩/١) والسيرة النبوية لابن هشام (٢٤٢/٣).

(*) وفي لسان العرب (١٠٩٢/٢) «خبط الشجرة بالعصا يخبطها خبطاً: شدها ثم ضربها بالعصا، ونفض ورقها منها، ليعلفها الإبل والدواب». والمعنى كما فهمت أنهم كانوا يخبطون ورق الشجر المتساقط على الأرض بقسيهم يطحنونه ويسفونه من شدة الجوع .. والله أعلم

(١٠) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٥/١).

في فسيح بلادكم ونزهها، حتى يرتفع هذا البلاء، فإني سأخبركم بما يكره مما يتقى، من ذلك أن يظن من خرج أنه لو أقام مات، ويظن من أقام فأصابه ذلك لو أنه خرج لم يصبه، فإذا لم يظن ذلك هذا المرء المسلم فلا عليه أن يخرج، وأن يتنزه عنه، إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام، عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجع وبلغ ذلك عمر، كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد: فإنه قد عرضت لي إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إليّ، قال: فعرف أبوعبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من الوباء، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين إني قد عرفت حاجتك إليّ، وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه، فحلني من عزمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي.

فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس:

يا أمير المؤمنين أمات أبوعبيدة؟ قال لا وكأن قد. قال: ثم كتب إليه «سلام عليك أما بعد: فإنك أنزلت الناس أرضا عميقة فارفعهم إلى أرض مرتفعة نزهة» قال أبوموسى: فلما أتاه كتابه دعاني، فقال: يا أبا موسى، إن كتاب أمير المؤمنين قد جاءني بما ترى فاخرج فارتد للناس منزلاً أتبعك بهم، فرجعت إلى منزلي لأرتحل، فوجدت صاحبتي قد أصيبت، فرجعت إليه وقلت: والله لقد كان في أهلي حدث. فقال: لعل صاحبتك قد أصيبت قلت: نعم. فأمر ببعيرة فرحل له، فلما وضع رجله في غرز طعن فقال: والله لقد أصبت ثم سار بالناس حتى نزل الجابية ورفع عن الناس الوباء.

وقال محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح عن شهر بن حوشب قال[11]: لما اشتعل الوجع قام أبوعبيدة في الناس خطيبا فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة بكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم، وإن أبا عبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظه، فطعن فمات واستخلف على الناس معاذ بن جبل فكتب معاذ إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول:

لعبدالله عمر أمير المؤمنين، من معاذ بن جبل، سلام عليك.. فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فاحتسب امرأ كان لله أمينا وكان الله في عينه عظيما، وكان علينا وعليك يا أمير المؤمنين عزيزا: أبا عبيدة ابن الجراح غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبه، وبالله نثق له، كتبت إليك وقد فشى الموت وهذا الوباء في الناس، ولن يخطىء أحدا أجله من الموت، ومن لم يمت فسيموت جعل الله ما عنده خيرا لنا من الدنيا، وإن أبقانا وإن أهلكنا فجزاك الله عن جماعة المسلمين، وعن خاصتنا وعامتنا رحمته ومغفرته ورضوانه وجنته، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(١١) ابن كثير البداية والنهاية (٧/٨٧ ، ٨٨).

(١٢) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠ ط ١٩٨٥، دار النفائس ـ بيروت.

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم فضيلة الشيخ/ عبدالفتاح حسين الزيات

● **سؤال من السيدة/ سامية صادق عبدالعزيز - مشتول السوق: أنا سيدة أصوم رمضان، وأتبعه بستة من شوال من كل عام وقد مضى شهر شوال لم أصم فيه الستة أيام فهل أصوم أياما ستة عن شوال السابق؟**

●● **الجواب:**

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فنفيد: بأن صيام الأيام الستة من شوال يعتبر من النوافل المستحبة وليست فرضا على الإنسان، ولكن ثوابها عظيم وأجرها جزيل لقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «من صام رمضان وأتبعه بست من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فمن أدركها في وقتها وصامها فقد فاز بثوابها، ولها أن تصوم ثلاثة أيام من كل شهر عربي ١٣، ١٤، ١٥، أو تصوم الاثنين والخميس من كل أسبوع كما هو وارد في السنة النبوية عند كثير من الأئمة.

هذا إذا كان السؤال كما ورد والله أعلم.

● **السؤال من السيد/ مصطفى السيد علي خزبك - الحلمية - أبو حماد شرقية: رجل أساء معاملة زوجته لدرجة استحالة دوام العشرة بينهما فرفعت أمرها للقضاء فطلق لها القاضي طلقة بائنة، استأنف**

الزوج حكم الدرجة الأولى فأيد الاستئناف حكم الدرجة الأولى، فلجأ الزوج إلى النقض ومازالت القضية معروضة أمام النقض والزوجة تسأل هل يحق لها الزواج بعد مضى ما يزيد على العدة المشروعة خصوصا وأنها تخشى على نفسها وتحتاج إلى إعفاف نفسها بالزواج. فهل يجوز لها الزواج أم لا؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاه والسلام على رسوله:

وبعد.. فإن الذى طلق لهذه الزوجة إنما هو القضاء كما فهم من فحوى السؤال ولا يصح لهذه الزوجة أن تتزوج بزوج آخر إلا بعد أن يعتبر الحكم الصادر بالطلاق حكما نافذا غير قابل للطعن شرعا وقانونا وحيث إن قاضى النقض قد قبل القضية شكلا وأعادها للتحقيق فى محكمة النقض فإن هذا الحكم لا يعتبر نافذا إلا بعد حكم محكمة النقض وبشرط أن يؤيد النقض حكم الدرجة الثانية وبالتالى فحكم درجة ثانية وهو الاستئناف كان يؤيد الحكم أول درجة بالطلاق وبعد تأييد النقض لهذا الحكم كما ذكرنا يصبح لها أن تتزوج بزوج آخر طالما كان الحكم بالطلاق نهائيا.

هذا إذا كان الحال كما ذكره السائل.

● سؤال من فاطمة السعيد عبدالغنى ـ المنصورة ـ عزبة الشال: ما حكم الشرع فى صيام الحامل أو المرضع، وهل عليهما إثم إذا تركا الصوم استناداً إلى حالهما؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فنفيد بأن للائمة الأربعة أقوال فى صيام الحامل والمرضع نوجزها فيما يلى:

قال الشافعية: إن الحامل والمرضع داخلتان فى منطوق قوله - تعالى -:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾

البقرة (١٨٤)

إذ أنها تشمل الشيخ الكبير والمرأة المسنة، وكل من يجهده الصوم، ومن ثم كان عليهما الفدية كالشيخ الكبير.

وقال الحنفية: إن الحامل والمرضع فى حكم المريض، سواء خافتا على نفسيهما أو على ولديهما، وقد سئل الحسن البصرى عن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما فقال: أى مرض أشد من الحمل، وتفطر وتقضى، ولأن الشيخ الهرم لايمكن إيجاب القضاء عليه لانه إنما سقط عنه الصوم إلى الفدية لشيخوخته وزمانته، فلن يأتى عليه يوم يستطيع فيه الصيام.

أما الحامل والمرضع فإنهما من أصحاب

الأعذار الطارئة المنتظرة الزوال، فالقضاء واجب عليهما، فلو أوجبنا عليهما الفدية - أيضا - كان هذا جمعا بين بدلين وهو غير جائز لأن القضاء بالصوم بدل، والفدية بدل ولايجوز الجمع بينهما.. إذ الواجب أحدهما فقط، لأن شريعة الإسلام تقوم على اليسر ومراعاة أحوال الناس قال - تعالى -:

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج ٧٨]

فمن هذا يتبين أن الحامل والمرضع تفطران وتقضيان ولا فدية عليهما كالمريض وذلك إذا خافتا الهلاك من الصوم على نفسيهما أو على ولديهما، هذا إذا كان الحال كما ورد في السؤال والله أعلم.

● السؤال من السيد مصطفى محمود أحمد: ما حكم عمل المرأة في محلات الكوافير وحكم المال الذي تتقاضاه وحكم إخراج الزكاة عليه؟

●● الجواب:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله.

وبعد.. فإن عمل المرأة فيما يسمى بالكوافير إذا كان عملها في وسط النساء بشرط أن لا تغير شيئا من خلق الله وبحيث لا تكون واصلة ولا واشمة ولا مفلجة للسن ولا مغيرة لخلق الله وبحيث لا يترتب على عملها أي إغراء أو غش يكون أجرها في حدود العمل الحلال وإن كان على عكس ما سبق كان ما تتقاضه حراما.

أما عمل الرجل في الكوافير الخاص بالنساء فهو حرام مطلقا وما ترتب عليه من أجر حرام كذلك.

وأما بالنسبة للزكاة فإن تجمع لديهم مبلغ يساوي نصابا وحال عليه الحول وجبت فيه الزكاة بمعدل ٢,٥٪ ونصاب الزكاة بما يساوي ثمن ٨٥ جراما ذهبا عيار ٢١ بسعر العملة السائر.

● سؤال من علي علي السلاموني - بلطيم - كفر الشيخ: أنا شاب مصاب بداء الدوسنتاريا المزمنة، وقد أثبتت عدة تحليلات وجودها بدرجة كبيرة وأكد الأطباء تمكن مكروبها من جسمي واستحالة شفائي منها وكان من أثر ذلك تكرار الإسهال في فترات قريبة مما تسبب في ضعفي وهزالي فضلاً عن الألم النفسي من جراء ذلك.. وبمناسبة حلول شهر رمضان المعظم ما هو موقفي من الصوم رغم أنني أعلم أنه سوف يزيد من ضعفي الجسماني ويحد من قدرتي على العمل، مع أنني أصوم هذا الشهر الكريم منذ حداثة سني لم أتخلف في سنة من السنين.

●● الجواب :

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله نفيد :

بأنه اذا كان الصيام يزيد من مرض هذا السائل أو يؤخر برأه منه فإنه يجوز له أن يفطر وعليه قضاء ما أفطره من أيام بعد زوال هذا الداء.

أما إذا أخبر طبيب مسلم ثقة عدل، باستحالة شفاء السائل من هذا الداء المزمن وأن الصوم لاشك سيزيده، كان له أن يفطر حينئذ مع الفدية ويصبح حكمه حكم الشيخ الفاني الذى فنيت قوته وضعف جسمه عن تحمل الصوم مع اليأس من عودة قوته إليه.

والفدية هي أن يطعم عن كل يوم أفطره واحداً من الفقراء، فيعطيه نصف قدح من الحبوب المطعومة كالقمح والأرز، أو يعطيه ثمن هذا القدر نقداً، أو يطعمه غداء وعشاء وجبتين مشبعتين من طعامه المتوسط.

هذا وبالله التوفيق

● **السؤال من السيد / سعد عبدالهادى : تقوم بعض شركات صيانة الأجهزة المنزلية بالنصب على العملاء من حيث إن قيمة البضاعة التى تقوم بتركيبها تحاسب على أن ثمنها ٤٠٠ جنيه فى حين إن ثمنها الأساسى ٣٦ جنيها. فهل هذا العمل حرام أم حلال ؟**

●● الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .. فنفيد بأن الشركة حينما تقول للعميل بأن ثمن البضاعة كذا والثمن فى الحقيقة غير هذا فيعتبر هذا العمل كذبا وأكل أموال الناس بالباطل وهو سحت وهذا الكذب من علامات المنافق الذى أخبر عنه الرسول - ﷺ - بقوله : «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان» فيجب على هذه الشركات أن تكون صادقة فى أقوالها وأفعالها لأن الصدق هو الذى ينجى الإنسان فى الدنيا والآخرة. ففى الأثر (الصدق منج والكذب مرد).

والله أعلم

● **سؤال من إبراهيم الشلقامي - طلخا دقهلية : حيث إننا نتأسى برسول الله - ﷺ - ونتخذه قدوة حسنة في أقواله وأفعاله فهل لنا أن نعرف كيف كان يصوم - ﷺ ؟ بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم ؟**

●● الجواب :

كان النبي - ﷺ - يصوم رمضان ويصومه المسلمون من أول رؤية هلاله إلى رؤية هلال شهر شوال وكان يفطر بمجرد غروب الشمس لأن تعجيل الفطر سنة عنه - ﷺ - ومن ذلك قوله - ﷺ -: «لا تزال أمتى بخير ما عجلوا

الفطر وأخروا السحور».

والحكمة في تعجيل الفطر أن كثيرا من الناس يجهدهم طول الوقت وهم صائمون فمن الخير أن يعجلوا الفطر ثم يصلون المغرب ما دام وقته متسعا.

والذي جرى عليه العلماء كثيرا أنهم يفطرون عاجلا على أي شيء مما يقتات به كتمر أو نحوه، ثم يصلون المغرب، ثم يكملون الفطر.

وكان النبي - ﷺ - يواصل الصوم من يوم إلى يوم فتابعه الصحابة على ذلك فنهاهم عن الوصال في الصوم فقالوا له: إنا نراك تواصل - يا رسول الله - فقال لهم - ﷺ - «لست كهيئتكم؛ إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني» والمعنى أنه يبيت في مناجاة ربه بالعبادة والاستغفار والدعاء وكل ما يستطيعه من دواعي القرب من الله - عز وجل - من الذكر فيكون غذاءً روحيا له يغنيه عن الغذاء الجسماني وهذه خصوصية من خصوصيات رسول الله - ﷺ - التي لا ينبغي أن يشاركه فيها أحد ونحن إذا أحسنا صيامنا وقيامنا وعملنا بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله - ﷺ - فأخلصنا العبادة لله - تعالى - كان ذلك مما جاء به رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وأمر به وحث عليه، فقد ورد أنه - ﷺ - كانت له تنفلات كثيرة منها على سبيل المثال: صوم ثلاثة أيام وسط كل شهر، وستة أيام من شوال، وصوم يوم عرفات وعاشوراء والاثنين والخميس من كل أسبوع.

أرجو الله أن يحسن من أطاع وأن يبلغ من استجاب... هذا وبالله التوفيق.

● **السؤال من ب. ح: تزوجت بامرأة ومعها بنتان وقمت برعاية أولادها مع أولادي فكانت دائمة المشاكل معي إلى أن ألقيت عليها ثلاث طلقات منفصلة في عدة أعوام وقامت بالاتفاق مع أحد أقاربها بعمل محلل وتزوجت وفي اليوم الثاني للزواج طلقت وبعد أشهر العدة راجعتها إلى عصمتي ومنذ ذلك اليوم والبركة نزعت من بيتي فهل هذا العمل حرام أو هو حلال؟. برجاء الإفادة وشكرا.**

●● **الجواب:**

ما دمت قد طلقت زوجتك ثلاثا فلا تحل لك حتى تنكح زوجا غيرك زواجا شرعيا معتبرا، فإذا طلقها الثاني أو مات عنها جاز لك أن تتزوجها بعد انقضاء عدتها من الثاني، أما إذا اتفق الزوج الثاني مع الزوج والزوجة أو أحدهما ليطلقها لتعود للأول بما يعرف بالمحلل فإن الزواج يكون باطلا للأول والثاني والله أعلم.

طرائف .. ومواقف

إعداد الأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

استعن بالله

يروى أنه لما ولي عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – كتب إلى الحسن البصري –رحمه الله–: إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لي أعواناً يعينوني عليه.

فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك .. فاستعن بالله.

من إساءة الظن بالله .. الحسد

ألا قل لمن بات لي حاسدا
أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه
لأنك لم ترض لي ما وهب

وزاد بعضهم:

فكان جزاؤك أن زادني
وأوصد دونك باب الطلب

حقا

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه[1] .. الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله.

غض البصر

مرت أعرابية بقوم من بني نمير، فأداموا النظر إليها، فقالت: يا بني نمير: والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين، لا بقول الله –تعالى–:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ ﴾[2].

ولا بقول جرير:

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فاستحيا القوم من كلامها وأطرقوا.

---

(١) لأن تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله، فإنه بذلك قد أمات طمعاً، ومحا خوفاً، وصابر في بأس شديد، ولا شيء من هذا في تواضع الغني.

(٢) سورة النور، الآية ٣٠.

لا تشاؤم

كان المنصور بن أبي عامر الأندلسي إذا قصد الغزو عقد لواءه بجامع قرطبة، ولم يسر إلى الغزو إلا من الجامع، فذات مرة اتجه إلى الجامع لعقد اللواء فيه، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة، فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من ثريات الجامع فانكسرت على اللواء وتبدد الزيت، فتطير الحاضرون من ذلك، وتغير وجه المنصور بن أبي عامر فقال رجل: أبشر يا أمير المؤمنين لغزو هيّن، وغنيمة سارة، فقد بلغت أعلامك الثريا، وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة، فاستحسن المنصور ذلك واستبشر به، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات.

ألف مثقال لكل سطر

لزم بعض الحكماء باب بعض ملوك العجم دهراً فلم يصل إليه، فتلطف للحاجب في إيصال رقعة ففعل، وكان فيها أربعة أسطر:

* السطر الأول: «الأمل والضرورة أقدماني عليك».
* والسطر الثاني: «والعدم لا يكون معه صبر على المطالبة».
* والسطر الثالث: «الانصراف بلا فائدة، شماتة للأعداء».
* والسطر الرابع: فإما نعم مثمرة، وإما لا مريحة».

فلما قرأها أمر بأن يعطى له عن كل سطر ألف مثقال.

ما عليك

قال إبراهيم النخعي لسُليمان الأعمش.. وأراد أن يماشيه: إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش، قال: ما عليك أن يأثموا ونؤجر، قال: ما عليك أن يَسلموا ونَسلم.

حكمة في قصيدة

قال أبو نواس - رحمه الله -:

نموت ونبلى غير أن ذنوبنا
إذا نحن متنا لا تموت ولا تبلى
ألا رُب ذي عينين لا تنفعانه
وما تنفع العينان من قلبه أعمى

دعاء

اللهم أخرجني من ذل نفسي، وطهرني من شكي وشركي قبل حلول أجلي، بك أستنصر فانصرني، وعليك أتوكل فلا تكلني، ولجنابك انتسب فلا تبعدني، وفي فضلك أرغب فلا تحرمني، وببابك أقف فلا تطردني، وإياك أسأل فلا تخيبني.

مثل رائع للمثقفة المسلمة

الدكتورة بنت الشاطئ في نضالها الفكري السديد

(٢)

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

اشتهرت ابنة الشاطئ باستبطانها النفسى لسرائر المرأة، وكشفها الخوالج المكظومة من أحاسيس حواء وقد تجلى ذلك فيما كانت تكتبه تحت عنوان، صور من حياتهن، إذ كانت تختار شخصيات شتى من الريف والمدينة ومن العاملات والمتعالمات، والساذجات والماكرات لتبسط ما بين اللحم والدم من نبضات لا تستمع إليها غير فتاة حاذقة أريبة، وقد فكرت فى أن تتحدث بروحها المؤمنة الشفافة، عن سيدات البيت النبوى، آمنة بنت وهب أم الرسول، وعن زوجاته الطاهرات، وبناته النقيات ثم عن زينب بنت على، بطلة كربلاء، وسكينة بنت الحسين العالمة الأديبة الناقدة! والحديث عن هؤلاء، رضى الله عنهن، غير الحديث عن بنات العصر الحاضر لأن الخطر يحيق بالكاتبة حين تسترسل فى سرد عواطف قد لا تكون هى العواطف المماثلة تماما لأحاسيس أمثال آمنة وخديجة وعائشة وفاطمة وزينب، ولابد حينئذ من الاتئاد اليقظ فى تشريح كل عاطفة، وكشف كل خالجة، وهذا ما استشعرته بنت الشاطئ تماما، فأحاسيسها المؤمنة، وإجلالها الركين، وحبها الخالص، كل ذلك كان حاجزا واقيا من الاندفاع المتسرع، لذلك صادفت كتبها الرائعة الوفية عن سيدات البيت النبوى رواجا متسعا فى المحيط الإسلامى جميعه لا فى المحيط العربى وحده، إذ أن هذه الكتب، وقد ظهرت أولا فى أجزاء متفرقة من سلسلة، كتاب الهلال، ثم جمعت فى مجلد ضخم جاوز الألف من الصفحات.

هذه الكتب قد ترجمت إلى الفارسية والأردية والأندونسية والتركية إذ أعادت مجد الكتاب الإسلامى المصرى السالف حين كانت كتب محمد عبده، وطنطاوى جوهرى ومحمد فريد وجدى، ومحمد رشيد رضا تترجم إلى هذه اللغات حتى أنشئت جمعيات إسلامية فى هذه البلاد تحمل أسماء: طنطاوى جوهرى، ومحمد عبده، وإعجابنا الزائد بهذه الكتب لا يمنعنا أن

تقول ما يخالف وجهة نظر الكاتبة في بعض ما اتجهت إليه، وهي مخالفة لا تدل على اعتراض، فقد تكون وجهة النظر الأخرى هي الأقوم والأسد، فبعض هذه الشخصيات المثلى لا يتسع الحديث عنها اتساعا مفرطا بحيث يشمل كتابا برأسه، مثل السيدة الفضلى، الشابة الرقيقة: آمنة بنت وهب، فحياتها النبيلة قد لا تتجاوز ثلاثين صفحة إذا كتبت دون استطراد، ولكن السيدة بنت الشاطئ دفعها حبها لآمنة الطاهرة أن تكتب عنها كتابا برأسه، وكيف تحقق ذلك، وليست أمام قصة خيالية تقذف بأبطالها حيث تريد، إنما هي بإزاء شخصية، واضحة الدور، محدودة المواقف، فسمحت لنفسها أن تكتب فصولاً ممتازة في حقيقة أفكارها، صادقة في مجال توثيقها، ولكنها بعيدة عن حياة السيدة الطاهرة، فقد بدئ الكتاب بمناجاة لآمنة وهذا من صميم الموضوع فلا اعتراض عليه، ثم تحدثت عن مصادر الكتاب وطريقة إنشائها الأدبي وهذا ما سنعرض له فيما بعد، وأردفت بحديث عن العواتك في الجاهلية والإسلام، شغل عدة صفحات متصلة، ثم اتسع المجال لأمهات الأنبياء، هاجر أم إسماعيل في فصل، وأم موسى في فصل، ومريم أم عيسى في فصل، فإذا خلصت من ذلك اتجهت إلى البيت العتيق بمكة فأفاضت في حديث بنائه، ورفع قواعده على يدي إبراهيم وإسماعيل، ومن توارد على حكم مكة من القبائل والشيوخ مع إيضاح حرمتها المتمكنة في نفوس العرب جميعا، وكل ذلك قد شمل ثمانين صفحة من الكتاب وهذا كله استطراد ممتد، وقد خلصت إلى الحديث بعد ذلك عن بني زهرة بن كلاب وعن الود المتأصل بينهم وبين بني عبد مناف لتدخل عقب ذلك إلى ما كان يجب أن تبدأ به، وهو حديث آمنة، وقد تجلى بيانها المنير فيما جاء بعد ذلك من فصول استقطرت الدمع حين أذكت الشجون في حديثها عن فداء عبدالله يوم الذبح، ورحيله إلى المدينة ووفاته بها، ثم عن أشجان الأم الثاكلة ومرضها ورحيلها المبكر، وهي أحاديث مؤمنة زكية الأريج ساطعة البهاء! أقول لو كنت مكان السيدة بنت الشاطئ لأفردت كتابا عن السيدة خديجة، وكتابا عن السيدة عائشة فهاتان الزوجتان الطاهرتان تصلح كل منهما لكتاب مستقل، وقد فعل ذلك أكثر من كاتب في أكثر من بلد إسلامي، ولكنها كتبت عن كل منهما فصلا واحدا في كتاب يشمل زوجات النبي جميعا - رضوان الله عليهن جميعا - على حين أفردت كتابا مستقلا عن السيدة آمنة فاضطرت إلى استطراد وسيع.

وأذكر أن السيدة بنت الشاطئ قد بدأت هذه السلسلة الطيبة بكتاب: (زينب بطلة كربلاء) إذ كان أول ما أصدرته في سلسلة «كتاب الهلال»، وقد صادف قبولاً دفع الكاتبة إلى إتمام الحديث عن سيدات البيت النبوي، كما أذكر في مجال التاريخ النقدي أنني كنت أول من خص هذا الكتاب بنقد هادف، حيث كتبت في مجلة «الرسالة»[1] الغراء عقب ظهوره فصلا عن أثر هذا الكتاب في نفسي قلت فيه منبها إلى ما وقعت

(١) مجلة الرسالة العدد ٩٧٩ بتاريخ ٧/٤/١٩٥٢م.

فيه الكاتبة من استطراد تحيف الموضوع الأصلي:

«لقد بدىء الكتاب بحديث عن زينب بنت الرسول - وليست زينب صاحبة الكتاب لمجرد اتفاق الاسمين فقط، فذكرت كيف تزوجت أبا العاص بن وائل في مكة، ثم تركته إلي المدينة مهاجرة إلي والدها العظيم، وكيف وقع الزوج أسيراً يوم بدر ثم افتدته زوجته الحبيبة، وكيف تزوجها مرة ثانية بعد أن أسلم، لأن الإسلام قد فرق بينهما من قبل،... وكنا نتجاوز عن السيدة المؤلفة لو أسهبت في حديثها بلا مناسبة ملحة، مرة أو اثنتين أو ثلاثاً، ولكنها تمضي في الكتاب على هذه الوتيرة، فما تكاد تلم بموقف أو حادثة حتى تسهب في تسجيلها وتسطيرها، لأهون سبب وأضعف داع، مما جعلني أعتقد أن الدكتورة الجامعية قد ظلمت كتابها ظلما عنيفا حين أسمته (بطلة كربلاء) وماذا عليها لو استبدلت به عنوانا ينطبق على مدلوله فلا يصطدم القارئ بأنباء يعدها غريبة دخيلة على الكتاب.

ثم قلت بعد ذلك: «وقد فطنت المؤلفة الفاضلة إلي ما يجره استطرادها المتواصل من شطط فقالت في تبرير ذلك: «وقد تمر فترة طويلة تغيب زينب خلالها في غمرة الأحداث، بل قد تفقد أثرها أحيانا في ضجة الردى الراعد الذي كان يصم الآذان، لكننا سنجدها أخيراً بعد أن تكون الأحداث العنيفة قد هيأت المسرح لظهور كربلاء، ومن هنا يبدو عذرنا إذ نطيل الحديث عن معارك سياسية قد يظن ظان أنها لا تلمس زينب من حيث صلتها بالقادة والأقطاب، على حين نرى في كل هذه المعارك مقدمات لها خطرها في توجيه حياة زينب وأثرها في إعدادها لدورها الرهيب.

وقد قلت في مقالي النقدي ما يدفع هذا القول، ولا حاجة إلي إعادته بعد أن أشرت إلي موضعه بالرسالة ليرجع إليه من أراد، وأنا مع هذا كله بعد مرور قرابة نصف قرن على هذا النقد أقرر أن الاستطراد لم يخل من نفع، فكثير من القارئات والقارئين من الشباب والشواب، لم يكونوا يعرفون شيئا عن هذا العهد، فإذا ألموا بحقائق تاريخية أيا كان موضعها من الكتاب، ناشزاً أو غير ناشز - فهذا كسب حقيقي للذهن العربي.

ولن أترك مجال الحديث عن هذه السلسلة القيمة دون أن أخالف الكاتبة الفاضلة في دفاعها عن الأساطير المتعلقة بحياة البيت النبوي - حيث اهتمت بها اهتماما كبيرا، وجعلتها الدليل الواضح على إيحاءات تقرب الفهم لأحداث التاريخ، وقالت في تأييد هذا الاتجاه عن الذين يعارضون إقحام الأساطير في كتاب تاريخي يلتزم بالواقع الصريح.

«إنهم يرون فيها طابع الخيال، وظلّ الوضع، وفاتهم أن تنبهوا إلي دلالتها الاجتماعية التي لا تكذب، والتي تمد الدارس بأضواء تكشف عما وراء التاريخ المادي من عالم نفسي، وتكمل ما تتركه الأخبار من ثغرات في فهم طبيعة المجتمع، وتلك الآثار هي ما خلفه لنا قوم، رأوا في السيدة آمنة (والحديث في مقدمة كتاب السيدة آمنة)[٢]

(٢) مقدمة كتاب (آمنة بنت وهب أم النبي) ص ٢٨.

صورة الكمال المطلق لأم رسول، فتحدثوا عنها بوحي من قلوبهم الصافية، ودافع من وجدانهم المؤمن، ما كذبوا في ذلك، ولا خدعوا ولا خانوا.. وإذا قال المحب المؤمن، والمؤمن الواثق ما قال بلسان الوجدان، مفسرا بذلك ما يشعر به من عظمتها، معبرا عن صورتها عنده وحقيقتها في وزنه، وجوهرها في قلبه، فهو صادق محق كذلك، لا يسئ إلى الواقع التاريخي في شئ لأنه ليس من أهل هذا الواقع بل هو يحدث عن عالم قلبه، ويعبر عن دنيا وجدانه».

نقلت هذا الكلام على طوله، وجواره كلام مماثل ينحو هذا المنحى، لأعرض وجهة نظر الدكتورة بنت الشاطئ في الاهتمام بالأساطير، ولكني لا أدرى كيف أوافقها على قولها: إن الذى يتخذ الأساطير مجالاً لحديثه لا يسئ إلى الواقع التاريخي في شئ! وأكبر ما يدهشني أن الدكتورة بنت الشاطئ نفسها قد تعرضت لكتاب الفته الأديبة السورية الفاضلة وداد سكاكيني تحت عنوان: (أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء) فأخذت عليها أنها تقدس أمهات المؤمنين، وتعتمد على كل ما يثبت هذا التقديس قالت بنت الشاطئ[3].

«على أني آخذ على الأخت الفاضلة أشياء في المنهج والتاريخ، فمن خطأ المنهج أنها بدأت تعالج موضوعها متأثرة برأى فيه وهذا يعطل حرية تفكيرها، ويعوق نفاذها في التحليل الدقيق لشخصياتها المختارة، ويحول بينها وبين الإنصاف الواجب للحق والتاريخ، ذلك أنها نظرت إلى هذه الطائفة من أمهات المؤمنين وأخوات الشهداء نظرة مفتونة معجبة، ترى فيهن عبقريات لم تنجب أمثالهن أمة من الأمم في القديم والحديث، وهذا غلو لا أرضاه للأخت، وادعاء لا ترضاه الحقيقة العلمية».

وواضح أن التى تؤكد حق المنهج العلمى في دراسة التاريخ لا يمكن أن تقبل الأساطير، وأن تعدها أداة لرسم المشاعر الخاصة لا من حيث مؤلف الأساطير بل من حيث الأثر التاريخى الذى تنتهى إليه الأسطورة وكأنها حق واقع، وقد قرأت السيدة وداد سكاكيني كتاب بنت الشاطىء عن بطلة كربلاء، فنقدته ببحث جيد نشر في مجلة الثقافة[4] وفيه اتفاق كبير في الرأى بيني وبينها، حيث تواردت الخواطر في المقالين، وقد سبقتها في النشر، لا أقول ذلك لأوحي بأنها أخذت مني فهي - رحمها الله- سيدة ممتازة حقا، ولكن أقول إن توارد الخواطر كان شيئا طبيعيا لا اعتراض عليه، ومما قالت الناقدة السورية الفضلى؛ ومما أخذتني به قولها: «فمن خطأ المنهج أن بدأت الكاتبة تعالج موضوعها متأثرة برأى

---

(٣) مجلة الكتاب (مايو سنة ١٩٤٧).

(٤) مجلة الثقافة - العدد ٦٩٧ - ٥/٥/١٩٥٢م

فيه، وهذا يعطل حرية تفكيرها، ويعوق نفاذها في التحليل لشخصياتها المختارة، ويحول بينها وبين الإنصاف للحق والتاريخ، فما بال الأخت الأديبة قد عطلت حرية تفكيرها، وأهملت المنهج الذى تدعو إليه، فجاءتنا بصورة ملومة حشوها الاستطراد، وملؤها المنافقة والتزويق، لقد حرمت علىّ بالأمس، ما أحلت اليوم لنفسها، وما كنت صادرة إلا عن نفسى ووجهتى مخلصة للحق والفكر فيما صورت وأظهرت».

ولا أترك هذه المساجلة دون أن أشير إلى شيء هام، هو أن الباحث - أى باحث - قد يرى اليوم نقيض ما رآه بالأمس، لدواع فكرية قلبت رأيه من وضع إلى وضع، فإذا كانت بنت الشاطئ، قد رأت الالتزام بالتاريخ والمنهج حين نقدت السيدة وداد ثم خالفت ذلك إلى التمسك بدلالة الأساطير، وعدها مجالاً لتحليل البواعث والأفعال فإنها قد تكون قد عدلت عن هذا الرأى لجديد من التفكير طرأ على ذهنها من بعد، وهذا ما يحدث كثيرا، وكم رأينا من رد على نفسه قبل أن يرد عليه سواه.

وقد اتجهت الدكتورة اتجاها حميدا فى كهولتها المباركة نحو كتاب الله تستشف أسراره وتستجلى معانيه، فأصدرت كتبا فى الإعجاز القرآنى والتفسير البيانى ونقد ما سمته التفسير العصرى، والحق أنها أبلت بلاء حسنا فى كل ما كتبت، وراجعت أمهات كتب التفسير مراجعة من يأخذ منها ويدع، فإذا أخذ أوضح معانى الأخذ، وإذا ترك أوضح مبررات الترك، وقد قالت فى مقدمة الجزء الأول من التفسير البيانى «الطبعة الخامسة»: إنها التزمت فى ذلك بمنهج أستاذها أمين الخولى، ووضحت سماته فيما يلى:

١- التناول الموضوعى، حيث يبدأ المفسر بجمع ما فى الكتاب من سور وآيات فى الكتاب المدروس.

٢- ترتيب الآيات على حسب نزولها لمعرفة ظروف الزمان والمكان، كما يستأنس بالمرويات فى أسباب النزول من حيث هى قرائن لابست نزول الآية، دون أن نجهل أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأن السبب فيها ليس بمعنى الحكمية أو العلية التى لولاها مانزلت الآية، والخلاف فى أسباب النزول يرجع غالبا إلى أن الذين عاصروا نزول الآية والسورة، يربطها كل بما فهم أو توهم أنه سبب النزول.

٣- فى فهم دلالات الألفاظ نعرف أن العربية هى لغة القرآن فنلتمس الدلالة اللغوية الأصيلة التى تعطينا حس العربية للمادة فى مختلف استعمالاتها الحسية والمجازية، ثم نخلص للمح الدلالة القرآنية باستقراء كل ما فى القرآن من صيغ اللفظ، وتدبر سياقها الخاص، فى الآية والسورة، وسياقها العام فى القرآن كله.

٤- فى فهم أسرار التعبير، نحتكم إلى سياق النص فى الكتاب المحكم ملتزمين ما

يحتمله نصا وروحا، ونعرض عليه أقوال المفسرين فنقبل منها ما يقبله النص، ونتحاشى ما أقحم على كتب التفسير، من مدسوس الإسرائيليات، وشوائب الأهواء، وبدع التأويل.

٥- كما نتحكم إلى الكتاب العربي المبين، في التوجيه الإعرابي والأسرار البيانية، نعرض عليه قواعد النحويين والبلاغيين ولا نعرضه عليها، ولا نأخذ منها بتأويل لعلماء السلف على صريح نصه وسياقه لتسوية قواعد الصنعة النحوية، وضوابط علوم البلاغة، إذ القرآن هو الذروة العليا في نقاء أصالته وإعجاز بيانه، ثم هو ليس بموضع ضرورة كالشواهد الشعرية، ليجوز عليها ما يجوز من التأويل.

وهذا المنهج سديد موفق، ولكنه ليس جديدا كله فالمفسرون المعاصرون من لدن محمد عبده حتى محمد متولي الشعراوى، يرجعون إلى أسباب النزول غير جاهلين أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وملتزمين بالسياق التزاما يحدد المعنى المراد، وناظرين إلى المادة اللغوية كما جاءت في الآيات المختلفة، وفي مختلف استعمالاتها الحسية واللغوية، أما الاحتكام إلى النص وعرض أقوال المفسرين عليه فهو ما التزم به محمد عبده على نحو كاشف بحيث أصبح «تفسير المنار» تطبيقا عمليا له، وكم شن المفسرون المحدثون حملات على التوجيه الإعرابي المفتعل، والتحليل البلاغي المصطنع.

أما التفسير الموضوعي فللآن لم يقربه أحد على وجهه الصحيح، مع الاعتراف بجهود الشيخ محمود شلتوت ومحمد البهي، ونفر من الفضلاء، وأذكر أني قلت بصدد ذلك في كتابي: «التفسير القرآني»[*] متحدثا عن جهود السيدة بنت الشاطىء، ودافعا لبعض ما قررته:

«فالأستاذة الدكتورة بنت الشاطىء ذات فضل لا ينكر، ولها كفاءتها الممتازة فيما تعالج من بحوث شتى، وقد ذكرت أن الأصل في منهج التفسير الأدبي كما تلقته عن الأستاذ الخولي هو التناول الموضوعي الذي يفرغ لدراسة الموضوع الواحد فيه، فيجمع كل ما في القرآن عنه، ويهتدي بمألوف استعماله للألفاظ والأساليب، بعد تحديد الدلالة اللغوية لكل ذلك».

ذكرت الدكتورة ذلك وأكدته، ولكنها اختارت في مجال التطبيق صغار السور من جزء «عم» فكأنها عمدت للسور المستقلة ولم تعمد للموضوع تجمعه من شتى السور، كما دعا الأستاذ لذلك، كما أنها في تفسير الكلمات، نقلت أقوال المفسرين لتوازن وترجح، وتختار ما يناسب، وقد تأتي بالمعنى الجديد أو المقارب كثيرا لما قيل، وبذلك وقفت عند الدراسة اللغوية والبيانية وحدهما! وهي معذورة لأن معرفة تطور

(*) التفسير القرآن – للدكتور محمد رجب البيومي ص١٤١.

الكلمات بحسب الزمان تحتاج إلى جهد مجمعي في قاموس موسوعي، وذلك فوق طاقة فرد واحد، وإلى أن يتم تأليف هذا القاموس يتحقق بعض ما عناه الأستاذ الخولي».

إن التفسير البياني لا يتوقف عند مراجعة ما قال المفسرون، وتوهين قول وترجيح قول آخر، ثم الإتيان بما يظن جديدا وهو قريب قريب مما قيل، كما فعلت في تفسير قول الله:

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾

لقد أرادت معارضة الإمام بحذف بعض أقواله[٦]، ولو أتمت القول لاتفقت معه دون خلاف، وأمثلة أخرى لا يتسع المقام لسردها، ثم ما هذا الإيغال في سرد الكلمات المتشابهة دون أن نجد فارقا في السياق بين معنى ومعنى حتى ليظن القارئ أنه أمام قاموس لغوي فحسب! إن منهج الأستاذ الخولي لايزال في حاجة إلى تطبيق، ولعل الفارق الشديد يبدو حين نقارن ما كتبه الأستاذ سيد قطب في تفسير السور التي اختصتها الكاتبة بما كتبتها لنجد، كيف اتكأ الأستاذ سيد قطب على نفسه اتكاء شفافا نفحه بكثير من الطريف النادر، دون ملاحقة لأقوال السابقين ودون تلمس وجه الخلاف بتمحل شديد! إن التفسير البياني في ظلال القرآن أوضح منه في أي كتاب آخر، لأنه جلا القرآن في معرض من البيان الصافي، مع الاهتداء إلى أسرار نقية، ونكات ذوقية لم يسبق بها أحد من قبله!

على أن جهد الدكتورة بنت الشاطئ في شتى وجوه المعرفة الإنسانية، أدبا ونقدا، وعلما وفنا، يدل على أنها لم تضع وقتا ما من عمرها السعيد، وهي ربة بيت تحمل أعباء الأسرة. وشجون الأمومة، ولكن نشاطها الفكري كان شاغلا لها أي شاغل عن الاستسلام إلى ما ووجهت به من نكبات لا تخلو منها حياة إنسان، فاستراحت إلى الفكر ناجية بنفسها من تداعي الشجون وصراع الآلام، ولابد أنها صابرت حتى صبرت، ولعل دراستها لكتاب الله كانت بلسما يشفي الجراح، ويبرئ الكلوم، فهي في هذا المجال أسوة خلقية، كما هي في دنيا الفكر أسوة علمية، وأنا أدعو تلميذاتها الكثيرات في شتى ربوع العالم العربي أن يحاولن الاحتذاء بكفاحها، فقد تأتي الأيام ببنات الشاطئ يسعدن النفوس، ويضئن العقول. وما ذلك بعزيز.

---

(٦) المنهج البياني في تفسير القرآن ص ١٢٦ للدكتور كامل علي سعفان

قراءة إيمانية في كتاب الكون

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(١).

صدق الله العظيم

هذه الآيات الكريمة قليل من كثير مما جاء في القرآن الكريم: ليستثير في الإنسان النظرة المتأملة المستقصية، ويلفت أصحاب العقول الراجحة وذوي القلوب المؤمنة إلى اتباع المنهج الصحيح في التعامل مع الكون واستقراء لغته وإشاراته، باعتباره كتاب معرفة وشاهد صدق على وحدانية الخالق العليم الذي أودع فيه من الآيات ما يدل عليه وينادي بعلمه وحكمته:

فـــــفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحـــــد

المادة الكونية من منظور إيماني

إن مادة الكون هي كل ما خلق -سبحانه وتعالى- في عالم الشهادة، أي العالم الذي تحسه بحواسنا أو تدركه بما يقوم مقام الحواس ويعزز وظائفها من أجهزة وأدوات، مثل المجاهر (الميكروسكوبات) التي تيسر رؤية الأجسام الدقيقة، والمقاريب (التلسكوبات) التي تمكن الراصد من رؤية الأجسام البعيدة، أو الحاسبات الالكترونية التي تيسر أعقد العمليات العقلية، أو غير ذلك مما لم يتمكن الإنسان بعد من إدراكه والتعرف عليه في هذا الكون الفسيح الذي لا يعلم مداه إلا الله وحده.

---

(١) سورة آل عمران (١٩٠ - ١٩٤).

ولقد أقسم الحق -جل وعلا- بالمادة الكونية في صورها المختلفة، سواء كانت شمساً، كما في قوله -تعالى-:

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴾[2]، أو قمراً:

﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾[3] أو نجماً:

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾[4]، أو سماءً:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾[5]، أو أرضاً

﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾[6]، أو ريحاً:

﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴾[7]، أو بحراً:

﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾[8]، أو كانت حتى قلماً وكلاماً مسطوراً:

﴿ نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾[9].

ولعل في القَسَمْ الإلهي بمادة الكون في صورها المختلفة ما يعني حثّ الإنسان على دراستها للإفادة منها والتعرف على ما فيها من خصائص وأسرار دالة على عظمة الخالق -سبحانه وتعالى- وقدرته، فهي في جميع أشكالها مسخرة من قبل الله -تعالى- لاستخدام الإنسان بما يحقق الإعمار في الأرض، وهي مخلوقة من العدم، ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعا. قال تعالى:

﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[10].

وكلمة «التسخير» من أقوى التعابير في الدلالة على التذليل للخدمة المستمرة الدائبة.

ومن يتأمل تركيب المادة في حالتها البلورية يجد فيها من التناسق والتماثل والنظام والترتيب ما يشهد بجلال الخالق العليم.. ويكفي -على سبيل المثال- أن ننظر إلى ذرات الكربون المتماثلة التي يعطينا ترتيبها بنظام معين مادة الجرافيت الهشة المعتمة التي تستخدم في صناعات كثيرة منها الأقلام الرصاص، بينما ترتيبها في نظام بلوري آخر يعطينا مادة «الماس» Diamond غالية القيمة ذات الشفافية والصلابة العالية والبريق الأخاذ.. وقد اكتشف حديثا أن ذرات الكربون يمكن ترتيبها بطريقة ثالثة لتعطي تركيبا جديداً هو مادة «الفولرين» Fullerine التي اكتشفت لأول مرة عام ١٩٩٠م، وهي مادة ذات موصلية كهربية فائقة عند درجات الحرارة المنخفضة، وتتميز بعدة صفات مهمة في الحياة العملية.

---

(٢) سورة الشمس: (١). (٣) سورة الشمس: (٢). (٤) سورة النجم: (١).
(٥) سورة الطارق: (١١). (٦) سورة الطارق: (١٢). (٧) سورة الذاريات: (١).
(٨) سورة الطور: (٦). (٩) سورة القلم: (١). (١٠) سورة الجاثية: (١٢-١٣).

دعــــاوى مفنــــدة

لقــد شــوّه الماديون هذا المعنى الإيمانى للمادة، واعتبروها الحقيقة الوحيدة المؤكدة التى يفسـرون بها قضايا الكون والمعرفة والسلوك، واعتقدوا خطأ أن لا سبيل إلى العثور على حكمة وراءها ولجأ هؤلاء الملحدون إلى محــاولة تقنين هذه الأفكار الضالة فى أنساق خلعوا عليها صفة «العلمية» وانخدع بها الكثيرون إلى حين، فزعموا أن المادة ليست بلا بداية ولا نهاية، وأن العالم يخضع لحتمية تربط بين السبب والنتيجة، وأن الكون المادى يتصرف بضرورة داخلية (آلياً) دون الحاجة إلى علة مطلقة، وأن كل ما يحدث فى الكون من الأرض إلى السماء يخضع لقانون أسموه «قانون الطبيعة». وبلغ تقديس هذه النزعة الإلحادية حداً جعل الموغلين فى المادية يقارنون بين الإنسان والآلة، ويشبّهون أجزاء المجتمع كله بالآلة وأجزائها، ويردّون الحياة إلى مجموعة أعضاء أو وظائف تؤدى عملها وكأنها تروس فى آلة ميكانيكية. ولا يجدون سوى العوامل الكيميائية والفسيولوجية لتفسير الظواهر النفسية، أو الغرائز والانفعالات للحكم على توجهات الإنسان وسلوكه. وخلاصة ما يزعمه هؤلاء أن الكون والإنسان لا يحتاجان البتة إلى أى سبب غيبى ميتافيزيقى (من وراء الطبيعة). أما تفسير الظواهر المختلفة فلا يخضع -حسب زعمهم- إلا لنوعين من العلل هما: الضرورة والصدفة.

ولقد شاء العليم القدير أن يتولى العلم نفسه دحض هذه الأفكار المادية الطائشة وإسقاطها عندما ظهرت بشائر مرحلة جديدة فى تاريخ العلم الحديث والمعاصر، وكان من أهم نتائجها أنها زوّدت الباحثين بأدوات فكرية وعملية جديدة تمكنهم من البحث المفصل فى بنية الكون بأكمله، وفى أصله ومصيره. ولعل أبرز ما توصل إليه العلم حديثا نظرية «الانفجار الكبير» التى تقضى بأن الكون قد نشأ فى لحظة محددة يرجع تاريخها إلى ما بين ١٢ و٢٠ بليون سنة، إثر انفجار مادته التى كانت جميعها محتواة فى حيّز صغير جدا تحت ضغط ودرجة حرارة هائلين، وكانت تلك اللحظة هى بداية المكان والزمان والمادة الكونية. ويعترف علماء الكونيات بأن هذه العملية تفوق الخيال، ولكنها مقبولة ولا يستلزم حدوثها وجود مكان قائم بالفعل، إذ ليس هناك ما يدعو إلى أن نفترض أن المادة والطاقة كانتا موجودتين قبل الانفجار الكبير، وأنه حدث بينهما تفاعل فجائى، فما الذى يميز تلك اللحظة عن غيرها من اللحظات فى الأزلية؟!

ويجد الحكماء والعقلاء فى هذه النتائج دليلا على نفى صفتى الأزلية والأبدية عن المادة والكون، والأبسط أن نسلم بحقيقة إبداع الإرادة الإلهية للكون من العدم مصداقا لقوله -تعالى-:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾(١١).

---

(١١) سورة الأنبياء: (٣٠).

وقد جاء فى التفسير أن السموات والأرض (كانتا رتقا) أى شيئا واحداً متصلا، وهذا يدل على أنهما من عناصر واحدة، (ففتقناهما) أى فصل الله بينهما فانتشرتا فى الفضاء أجزاء حيث شاء الخبير العليم. والرتق لغة بمعنى: الضم والالتحام، وهو عكس الفتق، يُقال: رتقت الشىء فارتق أى التأم.

ولما كان من معانى «الإعجاز» فى اللغة العربية الفوتُ والسبقُ، فإن القرآن الكريم فى آية سورة الأنبياء ينفرد بالسبق المعجز إلى تقرير حقيقة كونية عن أصل الكون تمثل تحديا مستمرا للعلم البشرى مهما تطور وتقدم، ذلك لأن قضية أصل الكون ونشأته تعتبر من أمور الغيب التى يعلم الله وحده حقيقتها الكاملة مصداقا -لقوله تعالى-:

﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾(١٢).

لكن غيبية هذه القضية لم تمنع العلماء - بحكم تعاليم الإسلام الحنيف- أن يواصلوا البحث والتنقيب عن آيات الله فى الكون ليزداد الإنسان إيمانا بقدرة الخالق المبدع ووحدانيته. قال -تعالى-:

﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾(١٣).

وهكذا نجد أن معطيات العلم الحديثة لا تناقض فطرة الإيمان الخالص بوحدانية الله - سبحانه وتعالى- الذى خلق هذا الكون على أعلى درجة من الترتيب والنظام والكمال والجمال

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(١٤).

كذلك نجد أن معطيات العلم الحديثة تقود بالضرورة إلى اعتبار الإنسان فى مركز الغاية من إبداع الكون، والكون الذى يستهدف ظهور الإنسان يستلزم بداهة وجود الخالق العليم الحكيم الذى يدبره ويرعى شئونه. فسبحان القائل فى محكم التنزيل:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(١٥).

صدق الله العظيم.. وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١٢) سورة الكهف (٥١).

(١٣) سورة العنكبوت (٢٠).

(١٤) سورة الملك (١- ٤).

(١٥) سورة ص (٢٧).

حماية الحياة البرية من منظور إسلامي

للأستاذ الدكتور / عبد الراضي حسن المراغي (*)

الحياة البرية هى الموارد البيئية المتجددة، من حيوانات ونباتات، وكائنات حية دقيقة، خلقها المولى - عز وجل - كأحد دعائم النظم البيئية التى نعيش فيها. إن هذه المخلوقات التى خلقها الله تسبح بحمده فى البر والبحر والجو، هى ثروات تتوارثها الأجيال لمنفعة البشرية قال - تعالى -:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾(١).

وقد خلق المولى - عز وجل - هذه المخلوقات كثيرة ومتنوعة منها الشائع ومنها النادر القليل العدد، وقد اهتمت الدول والمنظمات الدولية والعالمية بتنوع الحياة البرية والذى اطلق عليه « التنوع البيولوجى » ووجهت هذه المنظمات الأنظار إلى أهمية التنوع البيولوجى فى توفير مقومات الاستمرار للتنمية الزراعية والصناعية والعلاجية.

وفى تقرير بيئى لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة لخص قضية التنوع البيولوجى وتقلص الغابات والمراعى جاء فيه أن حوالى ١٤ مليون نوعا من الأنواع الحيوانية والنباتية والكائنات الحية الدقيقة هى المصادر البيئية المتجددة التى تغنى النظم البيئية لم يتم التعرف إلا على ٧٠٪ من مجموع هذه الأنواع ويحدد التقرير أن هناك ٥٤٠٠ نوع حيوانى و ٤٠٠٠ نوع نباتى أشرفت على الاندثار والانقراض.

وقد تحالفت المناشط الإنسانية المدمرة مع التلوث البيئى بأنواعه المختلفة والتنمية العشوائية والتقلص الكبير فى مساحات الغابات خاصة فى أواسط أمريكا الجنوبية والأمازون، وغابات أتلانتا والتدمير الذى أصاب الشعاب المرجانية كل ذلك عمل على انقراض واندثار الكثير من الأنواع النباتية والحيوانية والحشرية بل والكائنات الحية الدقيقة أيضا.

كما أصبحت بعض الأنواع الحيوانية والأنواع النباتية مهددة بشكل كبير للانقراض بسبب إرتفاع درجة الحرارة الناتج من زيادة انبعاث الغازات التى تستنزف طبقة الأوزون وتعمل على تغيير المناخ وتلوث الهواء الجوى، وزيادة انبعاث غاز الميثان الذى

(*) الكاتب أستاذ بكلية العلوم - جامعة الأزهر.

١ - سورة الحجر الآية (١٩).

يتولد نتيجة تخمر النفايات في مقالب القمامة، والذي له أثر يصل إلى عشرين ضعفا مما يسببه غاز ثاني أكسيد الكربون، ولذلك يجب التخلص من القمامة بطرق حديثة تضمن عدم انبعاث هذا الغاز، كما أن عمليات التصحر وتدهور الأراضي الزراعية وعمليات الصيد الجائر -أيضا- من ضمن أسباب انقراض الأنواع الحيوانية والنباتية بالإضافة إلى إزالة الغابات المدارية تعد سببا آخر لهذا الانقراض.

وذكر برنامج الأمم المتحدة للبيئة أنه مع كل يوم يمر يصبح أكثر من ٥٠ نوعا من النباتات والحيوانات مهددا بالانقراض في العالم إذا استمرت الأسباب السالفة الذكر في الزيادة مما يغير مناخ الأرض ويعبث بالأنظمة البيئية بها، ومن بين الأنواع المهددة بالانقراض زهرة «البرسية الألبية» السندر الأسود بجبال الألب الأوروبية والمرموط وفراشة أبولو، أما الأنواع المهددة بالانقراض في الغابات الممطرة فغير معروفة، ويمكن لمعاهدة جديدة لحماية الغابات المساعدة في إنقاذ كافة الأنواع الحيوانية والنباتية والتي تتراوح ما بين ٥٠ إلى ٩٠٪ من الأنواع في العالم.

ولمواجهة انقراض الأنواع الحيوانية والنباتية أو ما يطلق عليه صون التنوع البيولوجي ناقش مؤتمر قمة الأرض في ريودي جانيرو بالبرازيل عام ١٩٩٢م معاهدة التنوع البيولوجي، وبسبب إزالة الغابات والأشجار تم تدمير كثير من الأنواع النباتية والحيوانية للأبد، وعموما يبلغ معدل الانقراض الحالي للأنواع ما يزيد على نحو مائة ألف مرة عما كان عليه الحال قبل أن تزيد المناشط البشرية ويعبث الإنسان بالتوازن البيئي والطبيعي.

وفي العام التالي لقمة الأرض عزمت منظمة الأغذية والزراعة على اختيارها موضوع الإفادة من التنوع البيولوجي شعارا للاحتفال بيوم الأغذية العالمي مما وجه الأنظار إلى أهمية التنوع البيولوجي في توفير مقومات الاستمرار للتنمية الزراعية والصناعية للسلامة البيئية لكوكبنا الأرضي.

فمنذ العصور الإنسانية الأولى بدأ الإنسان يجعل بعض الحيوانات أليفة له وبدأ يزرع بعض الأنواع في صورة محاصيل وأخرج من البحار والأنهار والمحيطات الثروة السمكية والبحرية، وبدأ يتعرف على الكثير من الأنواع الحيوانية والنباتية ويستغلها لرفاهيته كغذاء له وحلي وملبس ويصنع منها أدواته وحاجياته الأخرى قال تعالى:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾(٢).

كما بدأ يستخرج من الأعشاب النباتية أدوية يعالج بها أمراضه شاع استعمالها واعتمدت عليها كثير من الصناعات الدوائية، ومن أمثلتها أحد أنواع الورود من مدغشقر تنتج مواد كيماوية تستعمل لعلاج أنواع معينة من الأمراض السرطانية، وتوضح أحد الأسباب الهامة للحفاظ على الثروة العظيمة للتنوع البيولوجي على الكرة الأرضية، ومثال آخر هو جذع أحد أنواع الأشجار ينتج مادة التاكسول أحد المواد الهامة لمعالجة السرطان اكتشفت حديثا في منطقة الباسفيك في الشمال الغربي لأمريكا الشمالية وتوضح أهمية أسباب الحفاظ على التنوع البيولوجي، إلا أن الأخطار أخذت تحيق بهذه الثروة التي خلقها الله

---

٢ - النحل: (٥).

للإنسان من موارد متنوعة وبدأت هذه الموارد تنقرض وأخذت دائرة التنوع البيولوجي في التدهور والانقراض.

إن المصادر البيئية المتجددة والمتمثلة في الثروة البيولوجية التي تتناقلها الأجيال أصبحت الآن مهددة بالانقراض وذلك للأخطار التي تهدد التوازن البيئي من حولنا من قطع الأشجار إلى التوسع العمراني، وتجفيف الأراضي والرعي الجائر وحرق الغابات والاستعمال العشوائي المكثف للمبيدات والمخصبات الزراعية، وفي كل عام تتعرض مساحة ٧٥ مليون هكتار من الأراضي الزراعية للتدهور ويدمر بما عليه من كائنات حية وأنواع حيوانية ونباتية.

كما تتعرض أنواع كثيرة من الكائنات البحرية الحيوانية والنباتية للانقراض أيضا بسبب التلوث البحري، وفي دراسة حديثة انقرض عدد كبير من الحيوانات الرخوية في المناطق الملوثة على شواطئ البحر المتوسط بالإسكندرية بالمقارنة بالمناطق غير الملوثة[٣] وعندما يقل معامل التنوع البيولوجي أي يقل عدد الأنواع ويتم القضاء على التنوع البيولوجي فتقل المصادر البيئية المتجددة كما لا يستطيع الإنسان القيام بعملية انتخاب أنواع وسلالات جديدة لمواجهة حاجة الإنسان إلى محاصيل وسلالات جديدة لأن الانتخاب غير ممكن إلا مع وجود الاختلافات في الطرز الظاهرية والوراثية للأنواع[٤].

وقد اهتمت الكثير من الدول بإنشاء بنوك للجينات للحفاظ على مخزونات الحبوب وسلالاتها وتحسين الإنتاج العالمي من الغذاء ولكن الطلب المتزايد على الغذاء يجعل أمامنا هدفا رئيسيا هاما هو زيادة الإنتاج وتنمية المحاصيل الزراعية والسلالات الحيوانية وتحسينها عن طريق التحسين الوراثي، ومن أجل ذلك لابد من الحفاظ على الموارد الوراثية الهامة لمختلف الأنواع النباتية والحيوانية خاصة التي يمكنها أن تتكيف مع البيئة والأحوال المناخية، ومع النظم الطبوغرافية لكل إقليم بل ولكل دولة والتي يمكنها أيضا مقاومة الآفات الزراعية والحيوانية.

إن قضية صون التنوع البيولوجي هي إحدى قضايا البيئة الهامة والمعاصرة لأنها قضية التنمية من أجل استمرار الموارد البيئية المتجددة والحفاظ على التوازن البيئي والطبيعي واستمرار وضمان الأمن الغذائي، ولهذا لابد من اتخاذ إجراءات عاجلة على المستوى العالمي والإقليمي والدولي لإنقاذ الأنواع المعرضة للانقراض والتي تمثل تراثا طبيعيا غاليا يؤثر بشكل أو بآخر على الموارد الطبيعية المتجددة، ولابد لكل دولة أن تسجل تراثها البيولوجي والأنواع الحيوانية والنباتية الموجودة بها حاليا والمسجلة من قبل، وتسجل أيضا الأنواع المنقرضة والأنواع التي تتعرض للانقراض ويقل عددها، وتعمل منظمة الأغذية والزراعة على استنباط السبل والطرق المفضلة لما يقوم به العلماء من إثراء لصون التنوع البيولوجي وتوفر هذه المنظمة منتدى دوليا للتعاون بين الدول التي تضم مصادر التنوع البيولوجي، وهذه المصادر يوجد أغلبها في الدول النامية؛ إن تكلفة صون التنوع البيولوجي أقل بكثير من تكلفة العواقب الناجمة من تدهوره.

---

٣ - شاهيناز مجدي أبوخليل (١٩٩٨م) دراسات على رخويات البيئة الصخرية كمقياس بيولوجي للتلوث في ساحل البحر المتوسط بالإسكندرية رسالة ماجستير - كلية العلوم - الإسكندرية.

٤ - عبدالراضي حسن المراغي (١٩٨٣) الاختلافات الوراثية والانتخاب غير المرئي في الموقع الأرضي -أرينا أريستوريم. رسالة دكتوراه قسم بيولوجيا البيئة - كلية العلوم - جامعة مانشيستر - انجلترا.

جهازك المناعى كيف يقوى؟

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

نعم الله على مخلوقاته لا تعد ولا تحصى وآلاؤه ـ جل فى علاه ـ على الإنسان لا تستقصى. ومن أعظم تلك الآلاء وأجدرها بالشكر والامتنان لمعطيها وواهبها. ذلكم الجهاز العجيب الذى يحفظ على الإنسان صحته ويلبسه تاج العافية والسعادة فتسرى فى أوصاله منن البارى تطيب بها حياته ويهنأ فى وارف ظلالها عيشة، إنه الجهاز المناعى الذى إن حافظ الإنسان عليه قويا فعالا، لوقاه الله ـ فضلاً منه ونعمة ـ شتى الأمراض والعلل. ولقد أكد تلك الحقيقة ورسخ مفهومها خليل الله، ابراهيم ـ عليه السلام ـ حينما نسب المرض إلى نفسه تأدبا مع ـ الله تعالى ـ وذلك فى معرض تعداد نعمه عليه، ومنحه إياه وعطاياه فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ الشعراء الآيه ٨٠.

ولم يكن الأمر مجرد تأدب مع الله فحسب، بل كان تقريراً لحقيقة علمية أثبتتها التجارب العملية.

وقدم العلماء من ثم وصايا غالية ونصائح نفيسة يستفيد من عمل بها وأحسن تطبيقها أقصى استفادة فتوفر له جهازاً مناعياً قوياً قادراً على التصدى لأعتى الأمراض واجتيازها بسلام ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وبادىء ذى بدء نقول: إن هناك ظاهرة يحار الكثير فى تفسيرها وتأصيلها، فلا شك أنك صادفت فى حياتك أناساً لا تبالغ إن قلت: إنهم لا يمرضون، وآخرون على العكس من ذلك تماماً لا يكادون يشفون من علة حتى تصيبهم غيرها، فيعيشون سلسلة متصلة من الآلام ـ نسأل الله أن يكون مصابهم تطهيراً لذنوبهم ورفعا لدرجاتهم ـ.

ويرجع العلماء هذه الظاهرة لسببين:

أولهما: العوامل الوراثية

والثانى: العادات الحميدة والسلوكيات السوية مع الغذاء المنتظم.

وهم مع ذلك كله يؤكدون على أن طريقة الإنسان في التعامل مع ما يحيط به من ظروف، هي التي تحدد إن كان يملك جهازاً مناعياً قوياً أو غير ذلك ومن نافلة القول أن الضغط العصبي ذو تأثير كبير في قدرة أجسامنا على مقاومة المرض، ولذا فإن تصديك الواعي لمشاكلك له مفعول السحر في التقليل من الأخطار. وحتى يصبح الأمر سهلاً ميسراً هاك بعض وصايا العلماء، فاعمل بها وأنت في شهر كريم مبارك هو شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان لعل أحدنا أن تصيبه نفحة من نفحات الرحمن تكتب لنا بها السعادة الأبدية ما التزمنا بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ.

١ـ كن متفائلا، فالتفاؤل والاستبشار وتوقع الخير المشفوع بالعمل المثمر البناء هو مفتاح الجهاز المناعي الكفء.

أما التشاؤم والتواكل والانزواء والانطواء والتقوقع على النفس والعيش خلف أسوار الحياة، فكلها أمور أثبتت الدراسات أثرها المدمر على صحة الإنسان، ولذا فإن علماء النفس والاجتماع يقدمون لنا تجربة فريدة تقول: إن أتباع التنجيم الصيني الذين امتلأت أدمغتهم بخزعبلاته راسخو الاعتقاد بأن ما يصابون به من أمراض حددته ـ سلفاً ـ سنة ميلاد كل منهم، ولذا قام أحد العلماء بدراسة شهادات الوفاة الخاصة بأكثر من ٢٥ ألف أمريكي منحدرين من أصول صينية، ووجد أن الكثيرين منهم ماتوا صغاراً وبشكل مفاجيء والسبب في زعمهم الفاضح: ما تنبأ لهم به العرافون والكهنة، وهو فكرمنحرف تلفظه الفطرة السليمة ولا يقره الإسلام بحال، فالله ـ عز وجل ـ ضمن لكل إنسان الرزق والأجل بعد أن خلقه على فطرة الاسلام، ورفض رفضاً باتاً كل ما يصادم هذه الحقيقة أو يصادرها ولا يصدر عنها. ولذا قام العلماء بتجربة أخرى أجريت على أربعمائة ألف أمريكي ليسوا من ذوى الأصول الصينية، فكان الأمر مختلفاً حيث خلت رؤوسهم من تلك التخاريف.

والخلاصة:

إن العقيدة المبنية على التفاؤل والتبشير والتيسير أحرى بالاتباع، وأثرها في الحياة محمود على المدى القريب والبعيد.

٢ـ الروح المعنوية العالية:

فتصميم الإنسان أن يرتفع إلى مستوى تحدى ما يجابهه من أحداث وإصراره على المواجهة والحسم، أمر لا مندوحة عنه في مصارعة مشاكله. إنه باختصار ما يطلق عليه العلماء «عامل الصلابة والمثابرة».

ويقدم لنا كتاب «الجسم السليم في العقل السليم» تحليلاً موضوعياً لمقابلات أجريت مع واحد وخمسين شخصاً عاشوا حياة ناجحة ونعموا فيها بالصحة والعافية، فكان الخيط العام الذى انتظم سلك حياتهم هو المعنويات

المرتفعة والإرادة الفولاذية والعزيمة الحديدية فى الإقبال على الحياة والتمتع بطيباتها، كذلك لم يغفل البحث التأكيد الشديد على البعد عن التدخين وتحرى الغذاء منخفض الدسم والتمرينات الرياضية غير المرهقة وأن ينحصر مفهومهم لضغوط الحياة اليومية فى أنها تحديات ينبغى مواجهتها مواجهة إيجابية تجعل من الحياة رحلة ممتعة تزخر بالمغامرات الشيقة التى تستدعى فى الإنسان طاقاته الإبداعية وتستثير فيه قدراته الخلاقة. وللإسلام فى هذا المجال قصب السبق، فقد دعى إلى كل فضيلة، وحذر من كل رذيلة وأكد أن حياة الإنسان المعنوية أهم وأسمى من حياته المادية، ووازن بين الأمرين فى وسطية تعلو بكرامة الإنسان إلى مستوى ما أنيط به من أعباء جسام، وهو ينأى بالإنسان عن كل ما يمكن أن يسبب له الاكتئاب الذى يقلل من كفاءة جهازه المناعى على مقاومة الأمراض، فالتفاؤل والروح المعنوية العالية تقوى آليات الدفاع لدى الإنسان فينتصر فى معركته المستمرة مع إبتلاءات الحياة ومفاجآت الأيام.

٣ـ تحمل المسئولية:

فالروح المحاربة المقاومة الوثابة المصرة على النجاح ترضى الله ـ عز وجل ـ وتعتصم بحبله وتدأب فى البحث المثير عن أمرين هما: الدافع الذى يجعلها تجاهد بلا كلل أو ملل فى سبيل الوصول إلى الأهداف السامية، والحافز الذى يعوضها التضحيات الغالية فى سبيل إنجاز ما تريد، إنها المواجهة الإيجابية مرة أخرى، وقد رسم الرسول الكريم ـ ﷺ ـ منهجاً فعالاً تمثل فى استعاذته ـ ﷺ ـ من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وغلبة الدَّيْن وضلعه وقهر الرجال، كل ذلك طلباً لأسلحة لاغنى للمرء عنها فى تحمل المسئولية، فانظر ـ حفظك الله ـ إلى إنسان تسلح للأيام بالنشاط والقوة والثبات والفتوة فالنفس المطمئنة المستبشرة، والقلب الجرىء، والروح الشجاعة، والنفس السخية الأبية التى ترفض الضيم والهوان وتتعالى على زخارف الحياة وتطمح إلى معاليها، فهل لجهازها المناعى إلا النصر!

٤ـ التخلى عن الآفات النفسية المهلكة:

وذلك كالحقد والضغينة والإحن والشحناء، وغيرها من آفات ـ وقانا الله شرها وملأ أرواحنا غبطة وانشراحا وانقيادا لأوامره ونواهيه، ثم التحلى بكل جميل من الأخلاق، سمح من المعاملات، رفيق بالضعفاء، ملتمس رضا الله فيهم.

ولربما كان الغضب فى غير موضعه هو أولى الآفات التى يجب على الإنسان تجنبها، والغضب المنهى عنه هو الذى يجعل من الإنسان شخصا يسعى فى لوم الآخرين بلا داع والتحامل عليهم دون مبرر فهو لأتفه سبب يؤمن أن الآخرين يبيتون له بليل ولا يفعلون شيئاً إلا بقصد غشه والتحايل عليه وابتزاز أمواله.

وقد أوضحت الدراسات أن استعداد الآخرين بملأ الإنسان بالمرارة مما يكون سبباً أكيداً في ضعف جهازه المناعي وعدم أدائه لوظائفه على ما يرام، بل ربما كان شكله الذي لا يفتأ يساوره في كل من حوله سبب إصابته بأمراض حفظنا الله منها وأعزنا بالثقة الدائمة في عداله

٥- الإخلاص:

وهو إخلاص النية في التعامل مع الآخرين وملاقاتهم بوجه طليق، ومن باسم والاستعداد الدائم لخدمتهم، فالرغبة الشديدة في تقديم الخير للآخرين تشعر الإنسان بقيمة وجوده في الحياة، خصوصا إذا اتخذ حبه للناس ثوب العمل النافع الذي يترك في أنفسهم ذكراه العطرة وسيرته الطيبة، فحب الآخرين مقو أكيد للمناعة الإنسانية وقد شبه العلماء انطواء النفس على بغض الآخرين باحتواء جسمه على سموم قاتلة لابد له أن يتخلص منها حتى لا تصيبه بأذى، واستبدالها بما لا يكمل الإيمان إلا به، ألا وهو حب الآخرين والتفاني في الإخلاص لهم.

٦- الترويح

والمقصود به الترويح عن النفس والتحلي بروح الدعابة، فخلو الحياة من الملح والطرائف وكثرة القلق والمتاعب عقباه وخيمة، ويقول أحد علماء الطب السلوكي إن القدرة على الضحك والابتسام - مع عدم الإفراط في ذلك بالطبع - عنصر من عناصر الارتقاء بكفاءة عمل الجهاز المناعي.

٧- الإيثار

وهو تفضيلك الآخرين على نفسك، ولئن كان اهتمامك بنفسك يرفع نسبة مناعتك ١٠٪ مثلا، فإن إيثارك الآخرين بعطائك، خصوصا إذا كانوا من ذوى الحاجة يصل بمناعتك إلى أوجها فقد أثبت العلم أن إيثار الغير على النفس أمر يجعل الحياة جديرة بالعيش، والأرض أهلا للسكنى.

كما أكدت الأبحاث أن السلوكيات التي اتسمت بالإيثار، كانت ولاتزال ذات أثر مجد مثمر جسميا وعقليا بدنيا وذهنيا، ولا يقتصر الأمر على كونك تؤثر غيرك على نفسك بل يتعداه حتى إلى مجرد الاستماع لقصص الخيرين الطيبين، والإحجام عن التعاطف مع الظلمة والطغاة لأي سبب من الأسباب، فقد ثبت بالدليل المقنع أن من تعاطفوا مع المجرمين لم تزدد أجهزتهم المناعية إلا وهنا واهتراء بينما تبين أن من استمعوا أوشاهدوا قصص الخيرين الصالحين ازدادت لديهم وتوافرت بشكل مكثف نوعية من الأجسام المضادة أفرزتها أجسادهم فحمتهم من الأمراض الرئوية والعلل التنفسية بما فيه البرد والإنفلونزا، ولا مراء أن حنيفيتنا السمحة أشادت بالإيثار، وأطرت المؤثرين ذوى الأنفس النبيلة فقال - تعالى - في كتابه العزيز:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُو مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

الحشر الآية (٩، ١٠)

جعلنا الله من المؤثرين

٨- الأواصر الاجتماعية المتينة:

فهذه الوشائج الطيبة تحيطك بمن يرعى مصالحك ويحب لك الخير كالزوجة الودود، والأبناء المحبين والأصدقاء المخلصين والأخلاء الأوفياء الحريصين عليك، الذين إذ نسيت ذكروك وإن ذكرت، أعانوك، وإذا استشرت أخلصوا لك المشورة، ولكل تلك العلاقات الطيبة والروابط الوثيقة أثر طيب على صحتك عموما.

٩- التدرج في حل مشكلاتك

فحل مشاكلك على مراحل وتفتيت التحدى الضخم الهائل إلى خطوات بسيطة يمكن إنجازها على مراحل يهون الصعب ويجعل العسير يسيراً

فلو افترضنا – مثلا – أن أحدا فقد وظيفته ولم يكن باستطاعته الحصول على وظيفة بديلة بشكل سريع، فإن بإمكانه على الأقل تتبع الإعلانات المبوبة في الصحف وهي خطوة على الطريق الصحيح يتلوها الفرج القريب المغنى لمن فوض أمره لمولاه

١٠- عبادة الله وحده وهو مسك الختام لمنهاج عملي يفيد منه كل من ابتغى جهازا مناعيا حصينا يحترز بقدرة الله وعونه. وليس معنى إيراد الأمر بعبادة الله في خاتمة البحث إلا تذكيراً بمبدأ جوهرى لم يخلق الإنسان إلا له فهو يتسنم أولوياته ويقتضى منه البقاء الدائم على حال الطهر المعنوى والحسى باطنا وظاهراً ،استمساكاً بالحلال وتحرياً لسبله، وصبراً عن الحرام وتحاشيا لطرقه، فالله يحب التوابين والمتطهرين الذين سموا عن السفاسف وابتغوا المعالي.

وبعد: فإن رياضة النفس على كل تلك الأمور أو بعضها يحتاج منا إلى جلد وتحمل ومعاناة وطول نفس يرجى معه الفوز بجهاز مناعي ذى أداء عال يؤتى بفضل الله القدرة على ابتكار أساليب غير تقليدية ووسائل ناجعة في مقاومة الأمراض، لينعم الإنسان بهدوء بال، والأمة بصلاح ذات بين تمكن الفرد والجماعة من التفرغ لأداء مهام أوكلت إليهم ،وأمانة حملوها لا يجدى في إتمام أدائها على الوجه الأكمل إلا نفس مؤمنة اعتزت بإعزاز الله لرسوله وللمؤمنين ، وروح تاقت لرضاه وهفت لغفرانه وقد ضاع في ثناياها عَرْف جنته ولطف مثوبته.

المسجد الأقصى لم يبن على أنقاض هيكل سليمان أو على أساسه القديم

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

للمستشار / محمد عزت الطهطاوى

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

طالعتنا مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى غرة شوال سنة ١٤١٨ هـ - فبراير سنة ١٩٩٨ م بمقال هام عن المسجد الأقصى قصة بنائه ووصفه بالأقصى لأستاذ وباحث إسلامى من العلماء، وكان مما جاء فى ذلك المقال قوله: (إن تجديد البناء تم فى عهد داود وسليمان - عليهما السلام -) استنادا إلى ما ذكره كعب الأحبار وكان من أحبار اليهود قبل إظهار إسلامه فهو يقول: (إن سليمان بنى بيت المقدس على أساس قديم) ثم يعلق كاتب المقال على هذا الكلام بقوله: (وهذا صحيح) ثم يستطرد إلى القول: ولما ظهر رسول الله داود سعى الى إعادة بناء المسجد فوق المغارة التى كان يتعبد فيها ملكى صادق العربى اليبوسى، واشترى بيدرا من رجل عربى يبوسى يقع فوق كهف ملكى صادق لتوسعة المكان، ثم أوصى داود ابنه سليمان بإقامة قواعد هذا البيت المقدس من جديد، وقد تم ذلك فى عهده وبوصية من أبيه.

وفيما ذكر كاتب المقال يعنى أن المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة القائمين حاليا بناهما المسلمون مكان الهيكل الذى بدأ فى إنشائه داود وأتمه ابنه سليمان - عليهما السلام - (لأن مكان العبادة فى مفهوم الإسرائيليين يعنى الهيكل ولايسمى مسجدا).

وهذا غير صحيح وبعيد عن الحقيقة بعد السماء عن الأرض، إذ أن هيكل سليمان أقيم فى مكان بعيد عن أرض المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة وهذا ما ذكرناه فى مقال

سابق تفضلت «مجلة الأزهر» بنشره في عام ١٤١٧ هجرية، ولابأس أن نشير إلى أدلة ذلك مرة أخرى مع إضافات يقتضيها المقام[١].

أولا : إن مدينة القدس وقد أنشأها اليبوسيون العرب سكانها الأصليون في سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد وسميت باسمهم (يبوس) في أول أمرها وقد عمروها وسكنوا فيها مدة ألف سنة حتى ظهر الإسرائيليون على أرض فلسطين فحاولوا التسلل للمدينة المقدسة، لكن اليبوسيين قاوموا التسلل الإسرائيلي فلا ينالون منها إلا بالتخريب والإحراق حينا أو بالمساكنة والتعايش السلمي أحيانا أخرى.

ثانيا : لما تولى داود - عليه السلام - حكم بني إسرائيل وكان من سبط يهوذا اتجه بجيوشه إلى مدينة القدس فاستولى على جزء منها فقط يسمى (جبل صهيون) ويدعونه بالمدينة الفوقانية وجعلها عاصمة لملكه ومقرا للسلطة الدينية، لذلك بدأ ببناء مذبح أو معبد كبير أي هيكل مات قبل إتمامه، فأتمه ابنه سليمان عندما خلف والده في حكم بني إسرائيل، لذلك فهو يسمى باسمه (هيكل سليمان) ثم أخذ داود يضغط على اليبوسيين سكان المدينة ويضايقهم في جبلهم ويدعى (جبل الموريا) ويسمونه (المدينة التحتانية) فرحلوا تاركين ديارهم حتى لم يبق لهم إلا سطح القمة مكان المسجد الأقصى وقبة الصخرة حاليا، يملكه شخص يبوسي يسمى آرونا ولا يوجد أي دليل على ما يزعمه الإسرائيليون بأن داود اشترى ذلك المسطح ليجعل من الصخرة التي على الهضبة مذبحا للرب[٢].

ثالثا : ذكرت الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) أنها قامت بزيارة مدينة القدس كسائحة أجنبية بعد احتلال الإسرائيليين لها في يونية سنة ١٩٦٧ م، وقد التقت مع عالم الآثار الأمريكي (غوردون فرانز) الذي قضى عاما ينقب عن الآثار في القدس ودخل النفق القديم تحت المسجد الأقصى هناك ولم يعثر فيه على أي دليل يثبت أنه أثر إسرائيلي.

كما قرر ذلك العالم الأمريكي أنه لا يوجد - أيضا - أي دليل يثبت أن هيكل سليمان كان موجودا في هذا المكان[٣].

رابعا : أكد العديد من المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى وتعمقوا فيها بأنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي أثر عن الهيكل المشار إليه، والذي يزعم الإسرائيليون أنه مدفون بجوار حائط المبكى الغربي، بل كل الدرسات تنتهي إلى نتيجة واحدة هي أن هيكل سليمان لم يكن موجودا في منطقة المسجد على الإطلاق.

---

(١) مجلة الأزهر عدد شعبان سنة ١٤١٧ هـ ديسمبر سنة ١٩٩٦م.

(٢) كتاب «إسرائيل ركيزة للاستعمار بين المسلمين» تأليف الدكتور حسن ظاظا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣م.

(٣) مجلة منار الإسلام عدد رجب سنة ١٤٠٤ هـ ابريل سنة ١٩٨٤ م مقال هدم الأقصى إلى أين؟ بقلم الشيخ محمود محمد.

كما لايوجد أي دليل تاريخي واحد يقطع بأن حائط البراق الذي يسميه الإسرائيليون الجدار الغربي أو حائط المبكى هو جزء من هيكل سليمان، بل إن اسمه الحقيقي هو كما سماه المسلمون (حائط البراق) نسبة إلى البراق الذي ورد ذكره في حديث نبي الإسلام ﷺ عن الإسراء والمعراج المشهور[4].

خامسا : وفي لقاء بين مندوب صحيفة «الأهرام» القاهرية الأستاذ محمود مهدي مع سماحة الشيخ إبراهيم قطان قاضي قضاة الأردن خلال شهر مايو سنة ١٩٨٣ قرر سماحة قاضي القضاة أنه ليس لهيكل سليمان وجود في مكان المسجد الأقصى والمؤكد أنه كان خارج حدود الجبل الذي يقع عليه المسجد، و كثير من العلماء والأثريين الإسرائيليين أنفسهم على يقين بعدم وجود أي أثر لهذا الهيكل في مدينة القدس، فإنه منذ قرن من الزمان، والبعثات الأثرية والأثريون الإسرائيليون يبحثون وينقبون دون جدوى[5].

ومن الذين شكوا في أن تكون الصخرة الحالية (والتي بمسجد الصخرة) هي صخرة اليهود المعنية في التلمود الباحث الألماني (شيك) في أوائل هذا القرن الحالي فهو يقول : (إن الصخرة الحالية لم تكن في يوم ما داخلة ضمن أقداس اليهود، أما صخرة اليهود التي تسميها بعض أساطير التلمود (إبين هاشتيا) أي حجر الأساس فالله أعلم ماذا صنع بها بختنصر، وأنطيوخوس أبيفانوس، وتيتوس، وكذا فسبازيان، وهدريان، والصليبيون، وغيرهم ممن دمروا أورشليم مرارا وتكرارا تدميرا كاملا) انتهى كلامه.

ومع ذلك يصر الباحثون اليهود وفي مقدمتهم دوائر المعارف العبرية المختلفة وما كتبوه عن القدس من المؤلفات إلى القول بدون أي حجة : إن صخرة مسجد الصخرة هي حجر الأساس المذكور في التلمود[6].

يطلق على الإسرائيليين لفظ اليهود وذلك نسبة إلى أحد أسباطهم المدعو يهوذا وكتاب التلمود هو أحد كتب اليهود المقدسة.

كيف ابتدع اليهود ما يسمى حائط المبكى سلخا من جدران المسجد الأقصى؟ واستغلالهم له.

برع اليهود في التدليس على الحقيقة التي تقطع بعدم وجود أي أثر مقدس لهم في أرض فلسطين، لذلك فإنهم عقب المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م أخذ زعماؤهم في البحث عن أثر مقدس يجمع يهود العالم للإيمان به ويثير العواطف الدينية لديهم.

واشتدت حاجتهم لذلك إثر زيادة الهجرة اليهودية إلى أرض فلسطين فما كان من هؤلاء الزعماء إلا أن ابتدعوا ما يسمى حائط المبكى كجزء باق من هيكل سليمان بطول ثلاثين مترا من الحائط الغربي للمسجد الأقصى البالغ طوله ١٠٠ متر وعلوه ٢٠ مترا.

---

(٤) كتاب «معالم التاريخ الإسلامي المعاصر» تأليف الأستاذ أنور الجندي طبعة سنة ١٩٨١.

(٥) صحيفة الأهرام القاهرية بتاريخ ١٩٨٣/٥/٦.

(٦) كتاب «إسرائيل ركيزة للاستعمار» المرجع السابق.

ويزعمون أن هذا الجزء من الحائط هو الأثر المتبقي من هيكل سليمان، ويمتد أمام هذا الحائط رصيف بعرض أربعة أمتار تقريبا، وعلى مسافة قصيرة من الرصيف إلى الجنوب منه يتشكل ضمن الحائط تجويف صغير ثبت في الكتب التاريخية الإسلامية أن رسول الله محمد - ﷺ - ربط براقه في هذا التجويف أثناء إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنذ ذلك التاريخ يطلق اسم البراق الشريف على ذلك الحائط تيمنا بفعل نبي الإسلام - صلوات الله وسلامه عليه حين ربط براقه الشريف بنفس الحائط المشار إليه.

وحين أصدر بلفور وعده المشئوم عام ١٩١٧م بحق اليهود في وطن قومي في فلسطين، خلال الحرب العالمية الأولى وكان بلفور هذا وزيرا للخارجية البريطانية، فأخذ اليهود في استغلال ما ابتدعوه وما أسموه بحائط المبكى في الدعاية لجذب المهاجرين اليهود لفلسطين لربطهم بأثر مقدس لهم يجمعهم فوق الأرض العربية الفلسطينية.

وفي محاولتهم استغلال ما أسموه حائط المبكى اتخذوا الخطوات الآتية

١- بدأوا يتسللون إليه ويضعون حوله الستائر.

٢- عملوا على إضاءته بالمصابيح.

٣- أخذوا في التجمهر حوله أيام السبت من كل أسبوع(٧).

رفض العرب سكان فلسطين محاولات اليهود إقرار حقوق لهم في حائط البراق

كان ما قام به اليهود نحو حائط البراق الشريف فيه إثارة لحفيظة المواطنين العرب خشية إقرار حقوق لهؤلاء اليهود في الحائط المشار إليه، فبدأت الاشتباكات اليومية بين العرب واليهود إلى أن بلغت ذروتها عام ١٩٢٩م مما اضطر سلطات الانتداب البريطاني آنذاك إلى التدخل لوضع حد للمشاكل بين العرب واليهود في حق ملكية ذلك الحائط فطلبت سلطات الانتداب من عصبة الأمم الموافقة على تشكيل لجنة لتنظر في حق الملكية له، وفي عام ١٩٣٠م اتخذت عصبة الأمم قرارها بتشكيل اللجنة الدولية المشار إليها(٨).

انعقاد اللجنة الدولية والقرارات التي أصدرتها

عقدت تلك اللجنة الدولية ٢٣ اجتماعا برئاسة (اليل لو فقرن) عضو مجلس الأعيان في حكومة أسوج رئيسا و(تشارلس بارد) رئيس محكمة العدل في جنيف عضوا و(فان كمبن) عضو البرلمان الهولندي عضوا.

واستمعت خلال اجتماعاتها إلى عدد كبير من المواطنين الفلسطينيين والمستوطنين اليهود وقتئذ، ودرست الشواهد والآثار التاريخية للحائط موضوع النزاع، وأخذت

---

(٧) مقال عن «حائط البراق الشريف المسمى خطأ بحائط المبكى» بقلم الأستاذ شمس الدين العجلاني نشر بمجلة الفيصل العدد ٦١، رجب سنة ١٤٠٢ هـ مايو سنة ١٩٨٢م.

(٨) عصبة الأمم في ذلك الوقت كانت تقوم بما تقوم به هيئة الأمم المتحدة في زماننا المعاصر.

يعين الاعتبار الصلح الموقع عام ٦٣٢م بين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب والبطريرك صفرونيوس زعيم مسيحيي القدس، والذى نص على ان النصارى - ويطلق عليهم المسيحيون في زماننا المعاصر - اشترطوا على المسلمين الا يسمحوا لليهود بالدخول إلى القدس أو العيش فيها.

وقد عرض الجانب اليهودى على اللجنة ٣٥ وثيقة ومستندا.

مقابل ٢٦ وثيقة من العرب المسلمين. وفى ديسمبر (كانون الاول) من عام ١٩٣٠ اعلنت اللجنة قراراتها ورفعتها إلى عصبة الامم وحكومة الانتداب البريطانى، وكانت على الشكل التالى فى مجملها:

(للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف.. وإن أدوات العبادة وغيرها من الأدوات التى يحق لليهود وضعها بالقرب من الحائط بالاتفاق بين الطرفين لايجوز باى حال من الاحوال ان تعتبر او يكون من شانها إنشاء اى حق عينى لليهود في الحائط أو فى الرصيف المجاور له).

(ويمنع اليهود من جلب المقاعد والسجاجيد والحصر والكراسي والستائر والدواب لقرب الحائط) (ولايسمح لليهود بنفخ البوق بالقرب من الحائط).

(ومن حق المسلمين وواجبهم تنظيف الرصيف المقابل للحائط وإصلاحه متى كان ذلك ضروريا) [٩].

مدى أهمية تقرير اللجنة الدولية وهل التزم الإسرائيليون به؟

يعتبر تقرير اللجنة الدولية السابق الإشارة إليه اول وثيقة دولية تثبت حق المسلمين وعرب فلسطين وحدهم فى ملكية حائط البراق الشريف، وأن هذا الحائط قد بنى بايدى المسلمين وليست له اى علاقة من قريب أوبعيد بهيكل سليمان محل عبادة اليهود.

وبالرغم من هذه الحقيقة الواضحة بجلاء فإن الإعلام وأبواق الدعاية الإسرائيلية لاتمل عن خداع الرأى العام العالمى وحمله على الاعتقاد بانه مكان مقدس يهودى، مع ان المهتم بتاريخ الحركة اليهودية ومؤتمراتها وآراء فلاسفتها يدرك تماما ان ما يسمى بحائط المبكى بدعة ابتكرها زعماؤهم حديثا - بعد عام ١٩٠٠م، (اما قبل هذا التاريخ فلم يرد اسم حائط المبكى باية وثيقة يهودية) - وذلك لربط اليهود المشتتين فى انحاء العالم باثر مقدس يثير مكامن الشعور فيهم، كما قدمنا بغية تجمعهم لإعادة بناء هيكل سليمان كما يزعمون مكان واحد من اقدس المقدسات الإسلامية ونعنى به المسجد الاقصى.

---

(٩) مقال «حائط البراق الشريف» بمجلة الفيصل. المرجع السابق.

مدى سلامة الأخذ بما ينقله كعب الأحبار من أخبار

رغم أن الآثار التاريخية تشير إلى أن ذلك اليهودي أسلم في زمان الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلا أن الرواية عنه لا يطمأن إليها، وبالتالي لا حاجة إلى الاستدلال بها في موضوع بناء المسجد الأقصى.

١ ـ فقد قال عنه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ (إن كنا لنبلو عليه الكذب) يعني فيما ينقله.

٢ ـ وقد علق الحافظ ابن كثير وهو إمام من خيرة المفسرين على كلام الخليفة الأموي بقوله: (إن فيما ينقله ذلك اليهودي من صحفه هو من الإسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مختلق، ودخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض).

٣ ـ كما قرر الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة العميد السابق لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فرع أسيوط (أنه كان أولى به وأجمل لو أنه تحرى الحق والتزم الصدق في مروياته التي بلغت حدا كبيرا لكنه ركام متهافت سمم العقول والأفكار وجر على المسلمين البلاء[١٠]

٤ ـ أما الأستاذ عباس محمود العقاد في أبحاثه فإنه يتهم كعب الأحبار بأنه شريك في جريمة قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وذلك في قوله: (وقد شاركهم في هذه المؤامرة ـ يعني شارك أبا لؤلؤة فيروز من سبايا الفرس بالمدينة، والهرمزان وهو أمير فارسي زالت عنه الإمارة بعد ذهاب الدولة المجوسية ـ يهودي مغلوب تظاهر بالإسلام وهو المسمى بكعب الأحبار ولعله أراد أن يكسب سمعة العلم بالأسرار من علمه بالمؤامرة، فذهب إلى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله ينذره أن يختار ولي عهده لأنه ميت في ثلاثة أيام.

فسأله عمر: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله التوراة، فلم تجز هذه الدعوة على عمر، وعاد يسأله: الله!.. إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟

فأشفق الرجل أن ينكشف دجله وقال: بل أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك ثم كرر له النذير في اليومين التاليين.

فعمر إنما ذهب ـ رحمه الله ـ شهيد مؤامرة من أعداء الدولة الإسلامية لا شك فيها[١١] انتهى كلامه.

وبعد: فهل بعد هذه الشهادات القاطعة والبيانات الواضحة الحاسمة والتي عرضناها آنفا يطمأن إلى أقوال ذلك اليهودي كعب الأحبار في شأن بناء المسجد الأقصى، أو المكان الذي أقيم فيه، وهو على ما نعلم أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين؟

---

(١٠) كتاب «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» تأليف الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة عميد كلية أصول الدين جامعة الأزهر بأسيوط سابقا، من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سنة ١٣٩٣هـ. سنة ١٩٧٣م.

(١١) كتاب «عبقرية عمر» تأليف عباس محمود العقاد، طبعة دار الهلال بدون تاريخ

مُسلمو الكيب
صفحة إسلامية مشرفة

للأستاذ الدكتور / عبدالله نجيب محمد (*)

يمكن القول أن الظروف الدولية بين عامى ١٨٥٦ - ١٨٧٨ قد دفعت الدولة العثمانية كى تقوم بدور بارز وفاعل فى رعاية شئون المسلمين، خارج حدود الدولة، وتتمثل هذه الظروف فى نتائج معاهدة «باريس» فى ٣٠ مارس ١٨٥٦م، التى ضمنت استقلال الدولة وسلامة ممتلكاتها، كما أن الدولة اتبعت سياسة رشيدة فى معاملة رعاياها من المسيحيين خاصة فى شرق أوروبا وأكد السلاطين تمسكهم بالشريعة الإسلامية، وخلافة المسلمين وحماية حمى الحرمين الشريفين، وتلك هى الفترة التى شهدت أقصى امتداد للدولة فى الغرب والجنوب ومن ثم اهتمامها بمسلمى أفريقيا.

ومن المعروف أن العثمانيين حاولوا حماية المسلمين السواحيليين فى شرق أفريقيا، ضد الاستعمار البرتغالى الذى ضرب المنطقة وخرب مدنها، ولكنهم فشلوا فى مدافعتهم، وتولى العمانيون هذه المهمة، أما جنوب أفريقيا، فكانت قد خضعت لشركة الهند الشرقية الهولندية منذ عام ١٦٥٦م، كما بدأت «هولندا» استعمارا واسع النطاق فى أندونيسيا والملايو منذ عام ١٦٥٧م ولكنها واجهت ثورة إسلامية شاملة، دفعت الهولنديين إلى نفى زعماء الثورة من المسلمين جميعا إلى جنوب افريقيا، وحرمانهم من العودة إلى بلادهم نهائيا، بل وحرمتهم من الالتقاء بغيرهم أو الحصول على نسخ من القرآن الكريم والكتب الدينية اللازمة لهم فى منفاهم.

عاش هؤلاء الزعماء وأسرهم فى جنوب أفريقيا، وشكلوا طبقة مسالمة تمتهن الحرف والمهن

(*) أستاذ الأدب الأفريقى بمعهد البحوث والدراسات الافريقية جامعة القاهرة

المختلفة في مدينة الكيب أساسا، وكانوا مثالا في السلوك الحضاري والأمانة والجد في العمل والاستقامة، و مع ذلك أساءت السلطات الحاكمة معاملتهم، ولم تعترف بزواجهم، واحتقرت ثقافتهم وحرمتهم من حق التملك، ووضعتهم تحت إشراف مجلس شيوخ المواطنين البيض اللاندروست[١] Burgr Senate وأرغموا على العمل في الخدمة العامة دون مقابل، وحرموا من مغادرة منازلهم دون تصريح مرور وكثيرا ما عوقبوا بالجلد والسجن والاعتقال، وفرضت عليهم ضرائب باهظة[٢] ومع كل ذلك ثابر المسلمون في متاجرهم ومصانعهم ومهنهم، وحافظوا على عقيدتهم ومظهرهم الذي ينم عن الاعتزاز والثقة بالنفس. وجاهد زعماؤهم للحفاظ على هويتهم الإسلامية، وكان همهم الأكبر جمع القرآن الكريم من صدور من يحفظون بعض آياته وسوره[٣].

ومن أبرز من ساهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية لمسلمي الكيب الشيخ «يوسف الجاوي» الذي نفي إلى مستعمرة الكيب سنة ١٦٩٤ مع خمسين من أصحابه حيث عاشوا في قرية «سندوفلي» بإقليم ستالينبوش Sellenbousch فقام بدوره في تعليم أصحابه ورعايتهم وإمامة المسلمين في الصلاة، ومنهم أيضا الشيخ «عبدالله قاضي عبدالسلام» الذي نفي بدوره إلى الكيب، ومن حسن حظ المسلمين أنه كان يحفظ القرآن الكريم، فكتب بقلمه نسخة بخط يده، اعتبرها مسلمو الكيب أقيم الكنوز لديهم.

تعرض مسلمو الملايو وأندونيسيا المنفيين للقهر والتمييز العنصري، وللضغط والعنف والظلم واستشهد بعضهم ومنهم الشيخ الشهيد «جان فان باتافيا» الذي كان رائدا من رواد الكفاح والدفاع عن الهوية الإسلامية.

وفي عام ١٨٠٦ احتلت بريطانيا مستعمرة الكيب للمرة الثانية، وقام الشيخ «محمد» وهو من تلاميذ الشيخ الشهيد «باتافيا» قام بدور إسلامي نشيط بين مسلمي الكيب، وكرس حياته وجهده لخدمة الدين الإسلامي، وكان رمزا للصمود، وقدوة صالحة للمسلمين، حتى ضربوا به المثل في هذا المجال[٤].

---

(١) اللاندروست : هو حاكم إقليمي في المستعمرة في عهدها الهولندي راجع أ.د سيد فليفل في رسالته للماجستير بعنوان جمهورية جنوب أفريقيا (١٨٥٧-١٩٠٢) معهد البحوث والدراسات الأفريقية. ج القاهرة ١٩٨٠.

(٢) The South African Commercial Advertiser 27.1

(٣) Golding, George & Joshua, Franklin : The Coloured community the South African Way of Life. London 1953. pp 71-65.

عن أ.د سيد فليفل. الدولة العثمانية والمسلمون في جنوب أفريقيا دراسة وثائقية للفترة من ١٨٥٦ - ١٨٧٨م س.أوراق أفريقية (٣) مركز دراسات المستقبل الأفريقي ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

(٤) راجع سيد فليفل الدولة العثمانية والمسلمون في جنوب أفريقيا ص٢٩

امتثل الشيخ محمد للحكم الجديد، وقام مدافعا عن حقوق المسلمين، ونجح فى اقناع النائب العام «مستر بورتر» بأن الإسلام عقيدة سماوية صادقة مما دفع الأخير إلى أن يقف فى الجمعية التشريعية لمستعمرة الكيب مطالبا بتوفير منح مالية لتعليم الدين الإسلامي Ecclesiastical grants وراح «بورتر» يستشهد بآيات من القرآن الكريم يدلل بها على أهمية تعليم النشء، وكانت تلك إشارة جعلت المستعمرة كلها تموج بحركة نشيطة لتفهم الإسلام وملاحظة سلوكيات المسلمين، وتقديم ما يحتاجونه من دعم لتعليم أبنائهم(٥).

ومع حدوث ثورة فى الهند عام ١٨٥٧ جرى نفى عدد آخر من زعمائها المسلمين إلى «ناتال» فى جنوب أفريقيا، ونقل إلى هناك عدد من الهندوس والمسلمين، وشهد عام ١٨٦٠ زيادة كبيرة فى تهجير الهنود، وتركزت نسبة كبيرة منهم فى مدينة ديربان وبالقرب منها، حتى وصلت نسبة المسلمين إلى حوالى ١٦٪ من جملة السكان وعمل بعضهم فى مزارع المستعمرة، ولتمييز المسلمين اطلق عليهم الإنجليز «العرب» واتبعوا معهم سياسة خبيثة ترمى إلى نبذهم والتفريق بينهم وبين أبناء وطنهم من الهندوس، مما جعل هؤلاء المهاجرين من الهند جماعات منفصلة فكرا ولغة ودينا على أرض المنطقة وقد أدى هذا بالطبع إلى خلافات ونزاعات، ومع ذلك تمكن المسلمون من نشر الإسلام بين الأفارقة فى مستعمرة ناتال والترنسفال. وكانوا دائما محل الاحترام والتقدير.

تزايدت نسبة المسلمين فى جنوب أفريقيا، واستمر حرمانهم من مغادرة البلاد أو الالتقاء بإخوانهم من خارج وطنهم الجديد، واستمر الأمر على هذا النحو حتى عشرينات القرن التاسع عشر حتى كانت ١٨٢٠ حيث زار عدد من الأثرياء العرب مستعمرة الكيب فى جزيرة «يوحنا» فى قناة موزمبيق Mozambique Channel فكان لقاؤهم بإخوانهم فى المستعمرة لقاء حارا مشحونا بالعواطف الجياشة، والمشاعر الأخوية الفياضة، ومنذ ذلك الوقت توالى وصول سفن تحمل عربا يحملون معهم مصاحف وكتبا دينية كان مسلموا جنوب أفريقيا فى أمس الحاجة إليها، بل واستقر بعض العرب بين مسلمى الكيب. وعاشوا بينهم، مما زاد من قوة المسلمين، وتدعيم مواقفهم، وكانت النتيجة:

صدور القانون رقم ٥٠ 50 th Ordinance الذى ينص على مساواة جميع الأجناس أمام القانون، بغض النظر عن اللون والجنس(٦) وأدى ذلك إلى انطلاق جهود المسلمين فى الدعوة إلى الإسلام وانتشاره بين السكان الأصليين، ومن ثم

---

(٥) السابق ص٢٠

(٦) The South African Commercial Advertiser, Dec. 27 1828, The Cape Mlays and the 50th Ordinance of July 3, 1828.

تزايدت أعدادهم ومساهماتهم في الحياة العامة حتى شكلوا نصف سكان العاصمة «كيب تاون» تقريبا وكان ذلك سببا في غضب المبشرين المسيحيين وثورتهم فحرضوا الحكومة عليهم وكانت النتيجة تعرض المسلمين للظلم ومرت بهم فترات عصيبة اتسمت بالتضييق عليهم وممارسة العنصرية والتمييز ضدهم والاتهام والشك والتحريض عليهم، وتتحمل جماعات المبشرين مسئولية هذا التضييق وتلك الممارسات البغيضة اللا إنسانية ويؤكد المؤرخ الانجليزى الجنوب افريقى الكبير «جورج مكال فيل» كل ذلك في بعض إشاراته(٦)، وفى مرحلة تالية بدأ المبشرون يحاولون اختراق جماعة المسلمين وتنصيرهم ومنهم المبشر الإنجليزى المستشرق الدكتور ج. م. ارنولد John. M.Arnold الذى حاول بكل الوسائل التبشير بين المسلمين وجذبهم إلى حظيرة النصرانية ولكن جهوده لم تسفر عن شئ مما دعاه إلى كتابة عدة كتب ووثائق يتضح منها كيف يحافظ المسلمون على هويتهم وثقافتهم الإسلامية وكيف يقاومون الضغوط التبشيرية وتلك هي النتيجة نفسها التى توصل إليها المؤرخ «ماكسيليان كوليس الذى كتب كتابا يشرح فيه احوال المسلمين وتمسكهم بالشريعة الإسلامية، وعاداتهم الحسنة في اللباس والطعام والزواج والمواظبة على تأدية الفروض والنظافة، وقدرتهم الفائقة على التماسك والالتحام.

وكان ميناء خليج تيبل Table bay Port الميناء الرئيسي لمستعمرة الكيب يضم عددا كبيرا من المسلمين وكان هؤلاء – من خلال عملهم في الميناء – على صلة بما يجرى في العالم الإسلامى بسبب التقائهم بعدد من المسلمين العاملين كبحارة على السفن التى كانت تمر في طريقها بين الشرق والغرب وبخاصة بحارة من جزيرة زنجبار وجوهانا Johanna ومسقط، وفى وقت لاحق تمكن المسلمون من طبع كتاب لتعليم العقيدة والعبادات والمعاملات الإسلامية عام ١٨٥٦ بالحروف العربية على الحجر، وكان ذلك نقطة تحول في حياة مسلمي الكيب وفى بحثهم عن ذاتيتهم وتأكيد هويتهم الإسلامية، وهذا هو العام نفسه الذى بدأت فيه الدولة العثمانية تتوجه باهتمامها نحو رعاية مسلمي جنوب افريقيا. حيث وصلتها رسائل من زعماء المسلمين بها تشيد برجل عظيم هو «دى روبيه» القاضى والمشرف على الشرطة حث تولى هذا الرجل حمايتهم واتخذ مواقف جليلة لحل الخلافات بين المسلمين، وعمل على احترام دينهم وحرية ممارساتهم لشعائرهم، والعمل على تماسكهم الاجتماعى، وكان ان أرسل إليه السلطان «عبدالمجيد» يطلب إليه مد رعايته إلى كل

---

(٦) Teal, George Mccall: Records of the cape Colony, vol. XXVIII (28) PP 36-8 and Vol. xxxv (30) p.138-9
عن سيد فليفل ص٣١ راجع السابق (سيد فليفل) ص٣٥.

مسلمي جنوب أفريقيا، وتوفير الأموال اللازمة لبناء مؤسساتهم ومساجدهم ومدارسهم وإصلاحها واستمرت الاتصالات بين الدولة وهذا الرجل العظيم في الفترة منذ ١٨٥٩ إلى ١٨٦٣.

وكان ذلك سببا في ازدهار أحوال المسلمين وزيادة نشاطهم وزارت الباخرة العثمانية بروسا Brossa بقيادة الكومودور علي بك مدينة الكيب Commodore Ali Bay في سبتمبر ١٨٥٩ ورست في ميناء سيمونز تاون، وتوافد المسلمون في الكيب إلى الميناء مرحبين بإخوانهم في الدين في مظاهرة شعبية راقية عبروا فيها عن امتنانهم للدولة العثمانية، وجهودها في رعايتهم والاهتمام بهم وقد أدى سلوك المسلمين الحضاري في الكيب واهتمام الدولة العثمانية بهم إلى صدور القانون رقم ١٦ لسنة ١٨٦٠ الذي يعترف بالزواج الإسلامي ويؤكد على حقوق المسلمين ودورهم في الحياة في بلدهم، وبعد وفاة السلطان عبدالمجيد، وتولى السلطان «عبدالعزيز» الخلافة. ومنذ عام ١٨٦١ توثقت الصلات بين الدولة ومسلمي الكيب، وعين «دي روبيه» قنصلا عاما للدولة العثمانية في جنوب أفريقيا ووجهت إليه الدعوة لزيارة القسطنطينية عام ١٨٦٣، فذهب إليها وتحدث موضحا أحوال المسلمين، ولدى عودته مُنح عدة أوسمة ونياشين وأشادت صحافة الكيب بجهوده في رعاية المسلمين وقد بدأ هذا الرجل بمد رعايته إلى مسلمي ناتال الهنود ورعايتهم اجتماعيا ومعنويا.

استقرت أوضاع المسلمين الجديدة وتيسر سفرهم إلى القاهرة لتلقى تعلمهم في الأزهر الشريف، الذي زودهم بداعية لم ترشدنا الوثائق عن اسمه. ولكن هذا العالم الأزهري قام بواجبه على أكمل وجه، وظهر أثر ذلك في تعليم اللغة العربية وتأسيس مدرسة الأزهر في كيب تاون مما كان سببا في انتشار العقيدة الإسلامية بين الأفريقيين.

واستمرت جهود هذا الشيخ خلال السبعينات من القرن التاسع عشر وطبعت بعض الكتب العربية باللغة الملاوية بالحروف العربية عام ١٨٧٨ وتزايد النشاط الإسلامي والدعوة إلى الإسلام في كل مكان.

وتدل الوثائق في المرحلة التالية على ازدياد صلة مسلمي الكيب بالأزهر، إذ توافد أبناؤهم للدراسة وقام الشيخ عبدالرحمن قاسم جميل الدين الكيبي – الذي كان تلميذا لذلك الشيخ الأزهري، ثم وكيلا لمسلمي الكيب بالقاهرة – قام برعاية شئون أبناء الكيب في مصر الذين عادوا محملين بالعلم والكتب في مختلف العلوم الإسلامية وقاموا بدورهم في التعليم والتثقيف والتربية الإسلامية، واستمر الأزهر يقوم بهذا الدور المشرف حتى يومنا هذا وكانت النتيجة زيادة عدد المسلمين، وقبول الأفارقة لهذا الدين الذي يسوى بين الناس ولا يميز بينهم ويدعوهم دائما إلى المحبة والتعاون والإخلاص في ظل العبودية الشاملة لله الواحد الأحد، رب الناس جميعا.

مدرسة «السلطان حسن» درة العمارة الإسلامية

للأستاذ / أيمن محمد عبد الهادى

تعتبر العمارة الإسلامية مرجعاً يضئ أمامنا تاريخنا الإسلامى الزاهر كما هى دليل قاطع على مدى مابلغه فن العمارة عند المسلمين من سمو على أيدى مهندسين عباقرة سجلوا فنهم الرائع على بيوت العبادة فظلت وستظل شامخة ماشاء ـ الله تعالى ـ من الدهر.

إلى جانب ذلك كله كان فن العمارة الإسلامية سجلاً حافلاً بحضارة الإسلام ولاسيما فى مصر التى قادت وماتزال تقود الحياة الدينية والعلمية والسياسية للمسلمين.

وأبرز دليل على ما بلغته العمارة الإسلامية من تقدم وازدهار مدرسة «السلطان حسن».

تقع هذه المدرسة بميدان «صلاح الدين» تجاه القلعة بالقاهرة فى الجهة الغربية الشمالية منها.

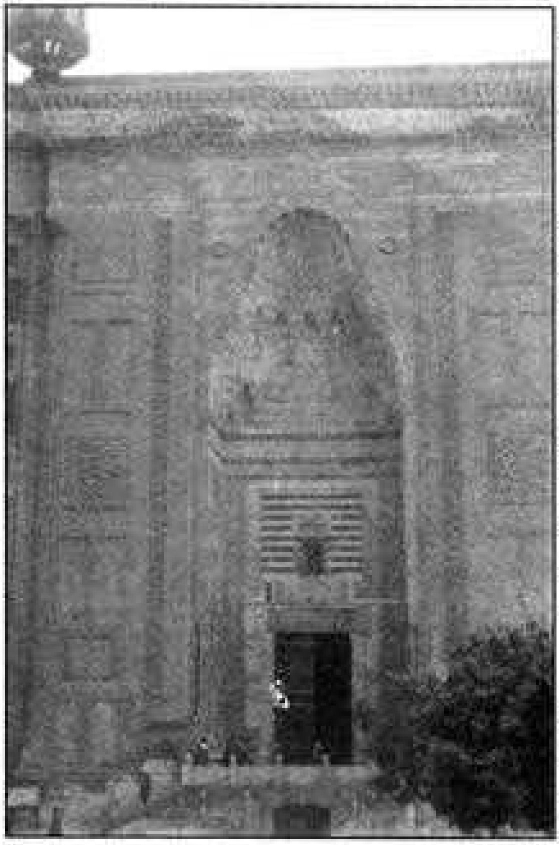
ومؤسسها هو «السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون» وهو السلطان التاسع عشر من سلاطين المماليك بمصر، وقد ولى السلطنة سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م. وعمره ثلاث عشرة سنة ومن أهم عمائر «السلطان حسن» بمصر مدرسته المعروفة به وقد ذكر «المقريزى»[1] فى خططه أن «السلطان حسن» ابتدأ عمارة مدرسته سنة ٧٥٧ هـ - ١٣٥٦ م، واستمر العمل بها ثلاث سنوات دون انقطاع.

وأفاض «المقريزى» فى وصفه وبين أن بهذا الجامع عجائب مدهشة من البنيان منها المنبر الرخام والقبة العظيمة التى لا مثيل لها.

وتعد مدرسة «السلطان حسن من أحسن الآثار الإسلامية، فجميع ما فى المدرسة من زخارف وعمارة تسترعى النظر وبخاصة باب الدخول العام والواجهة القبلية الشرقية وتقول الدكتورة «سعاد ماهر» أستاذ كرسى العمارة الإسلامية بجامعة القاهرة سابقاً فى مؤلفها القيم عن مساجد مصر»: إذا كان لمصر الفرعونية أن تفخر بأهراماتها، فإن لمصر الإسلامية أن تتيه

---

(١) «المقريزى»: هو أحمد بن على المقريزى، ولد بمدينة القاهرة سنة ٧٦٥هـ - ١٣٦٤م، وقد تتلمذ على يد «ابن خلدون» واشتغل بعلم التاريخ وله العديد من المؤلفات ومن أشهرها «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» «إغاثة الأمة بكشف الغمة».



عجباً بمدرسة «السلطان حسن» فقد احتوت على كل جديد وفريد كما تمثلت فيها كل مقومات المدرسة الإسلامية من الناحية المعمارية والناحية الدينية على حد سواء.

وتقع الواجهة الرئيسية للمدرسة في الناحية الشمالية مشرفة على شارع «القلعة» وتحتوي على ستة وتسعين نافذة على مدى الطوابق الأربعة التي تحتويها المدرسة، ويبلغ طول الواجهة الشمالية خمسا وأربعين ومائة متر، كما يبلغ ارتفاعها سبعة وثلاثين متراً، أما الواجهة الجنوبية للمدرسة فيبلغ طولها خمسين ومائة متر وارتفاعها خمسة وثلاثين متراً، كما يبلغ طول الواجهة الشرقية التي تحوي القبلة حوالي ثمانية وستين متراً[٢].

أما عن صحن المدرسة فيتكون من مربع كبير. إذ يبلغ طوله تقريبا خمسة وثلاثين متراً وعرضه ثلاثة وثلاثين متراً وهو مفروش بالرخام ويتوسطه «فسقية» للضوء تعلوها قبة خشبية تقوم على ثمانية أعمدة ويحيط بالصحن من جهاته الأربعة «إيوانات» المدرسة أكبرها «إيوان» القبلة ويحيط به «إفريز» من الجص نُقشت عليه كتابات بالخط الكوفي على أرضية مورقة، أما في صدر الإيوان فيوجد المحراب وهو من المحاريب الكبيرة ومزخرف بالرخام الملون.

أما القبة فهي مربعة الشكل يبلغ طول ضلعها واحدا وعشرين متراً وارتفاعها ثمانية وأربعين متراً، وقد زخرف مربع القبة بشريط مكتوب عليه «آية الكرسي»[٣].

وقد كانت مدرسة «السلطان حسن» تحوي الكثير من «المشكاوات»[٤] الزجاجية كما يدل ذلك العديد من السلاسل التي ماتزال تتدلى من أسقف الإيوانات الأربعة حتى الآن.

وقد فقد معظم هذه «المشكاوات» ولم يبق منها غير القليل.

---

(٢) د. سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحين.

(٣) المرجع السابق.

(٤) جمع مشكاة.



المدرسة ودورها فى الحياة العلمية والسياسية فى العصر المملوكى

أولاً : الحياة العلمية : أدت المدرسة دوراً هاماً فى إثراء الحياة العلمية فى مصر فى عصر المماليك، ويشير إلى ذلك «على مبارك»[٥] فى خططه فيقول:

لقد رتب السلطان حسن فى وقفيتين كل ما يخص المدرسة من الطلبة والمدرسين، فقد جعل لكل مذهب من المذاهب الاربعة شيخاً يُدرس علوم مذهبه، وجعل راتباً لكل شيخ يساوى ثلاثمائة درهم، كما حدد راتبا لكل طالب من طلاب المذاهب الأربعة.

وعنى السلطان بتعيين شيخ لتحفيظ القرآن الكريم، وشيخ للقراءات السبع، ومادح يمدح الرسول - ﷺ - بعد الفراغ من قراءة القرآن الكريم، ومؤقتين عارفين بالمواقيت لتقدير مواعيد الصلاة وحدد لكل واحد من هؤلاء راتباً شهرياً.

كما عنى «السلطان حسن» بالناحية الصحية لأهل المدرسة فيما يشبه نظام «التأمين الصحى» الموجود الآن، فعين طبيبين مسلمين أحدهما مختص بمعالجة الأبدان والآخر خبيراً بصناعة الكحل[٦] يحضر كل منهما فى يوم ليداوى من يحتاج إليهما من أرباب الوظائف والطلبة.

ثانياً : الحياة السياسية :

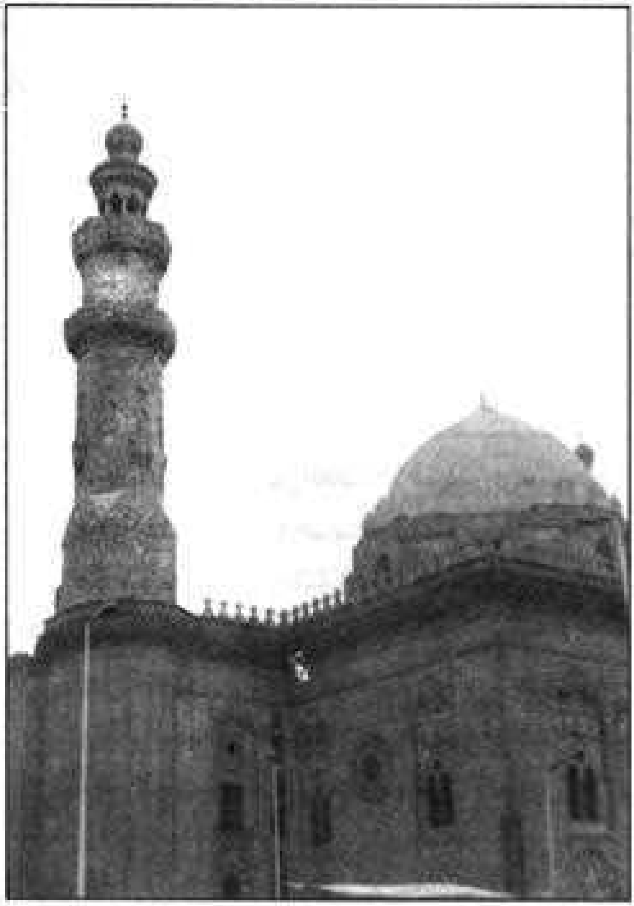
أيضاً أدت المدرسة دوراً هاماً فى الحياة السياسية فى عصر المماليك كما نستشف ذلك من كتاب «ابن إياس»[٧] بدائع الزهور،

---

(٥) «على مبارك» أحد رواد النهضة فى تاريخ مصر الحديث، وقد تولى وزارة المعارف فى وزارة نوبار باشا على عهد الخديوى إسماعيل، واهتم بنشر التعليم والنهوض به فأنشأ مدرسة «دار العلوم» والعديد من المدارس الأخرى التى ساهمت فى قيام نهضة تعليمية وثقافية كبرى.

(٦) صناعة الكحل: تعنى تخصص العيون - بلغة ذلك العصر.

(٧) «ابن إياس» هو محمد بن أحمد بن إياس الحنفى، اهتم بكتابة تاريخ مصر فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى، ومن أشهر مؤلفاته «بدائع الزهور فى وقائع الدهور» الذى يعتبر مصدراً أساسيا لتاريخ تلك الحقبة.



فقد كانت المدرسة ملاذاً للمعارضين من أمراء المماليك وقد اتخذوها حصناً يدافعون به عن أنفسهم ضد السلاطين الموجودين بقلعة الجبل، وكان ذلك على حساب الدور العلمي والديني للمدرسة، إذا كانت المدرسة تغلق فترات طويلة من الزمن لا تؤدى فيها وظيفة التدريس ولا شعائر الصلاة بسبب هذا الوضع.

وقد حدث ذلك في عهد السلطان «برقوق»[8] سنة ٧٩١ هـ ـ ١٣٨٨م عندما نصب الأمراء المعارضين على سطح المدرسة المدافع ورموا بها على باب السلسلة بقلعة الجبل، قام السلطان «برقوق» بهدم السلم الموصل إلى سطح المدرسة وإغلاق المدرسة وظل الأمر على هذا الحال حتى أمر «السلطان المؤيد شيخ»[9] بترميم المدرسة وإعادة فتحها.

وتكرر هذا الأمر كثيراً في عهد المماليك حتى غدت المدرسة مركزاً للمعارضة السياسية.

على أي حال كانت مدرسة «السلطان حسن» ليست فقط واحدة من أجمل الآثار الإسلامية فحسب، ولكن كان لها دور مؤثر في تشكيل وعي ووجدان المسلمين علمياً ودينياً وسياسياً على مدى فترة واسعة من التاريخ.

---

(٨) «السلطان برقوق»: هو السلطان «الملك الظاهر أبوسعيد برقوق بن أنص» مؤسس دولة المماليك الجراكسة «البرجية» في مصر سنة ٧٨٤هـ ـ ١٣٨٢م.

(٩) «السلطان المؤيد شيخ»: هو السلطان الملك المؤيد أبوالنصر شيخ المحمودي. وكان من مماليك «السلطان برقوق» وشق طريقه إلى عرش مصر سنة ٨٠٥ هـ ـ ١٤١٢م.

صفحات مطوية من تاريخ الصحافة المصرية

(النزال الأدبى)

(الجزء الأخير)

للدكتور / محمد عبد الحكيم محمد *

وفى هذه المقالة نستكمل الحلقة الأخيرة من دراستنا حول النزال الأدبى فى صحافتنا المصرية فيما بين ثورتى (١٩١٩ و١٩٥٢) ، حيث نعمت مصر فى هذه الفترة ببعض الاستقرار المادى والاجتماعى، مما أتاح للكتاب الذين اشتغلوا بالكتابة للصحف اليومية والأسبوعية ، أن ينشطوا بنهضة فكرية - أدبية وسياسية - ملحوظة.

ونحن نعتقد أنه مما أسهم فى حيوية الفكر الأدبى وازدهاره وانشغال الناس به فى ذلك الوقت - إلى جانب الفكر السياسى - هو تلك المحاورات والمساجلات والنزاليات الأدبية التى دارت رحاها بين الأدباء والمفكرين الذين برعوا فى ممارسة فن « النزال الأدبى ».

وفيما يلى نستكمل الاستدلال على هذا الاتجاه بنشر تتمة النزالية الأخيرة « الفن للفن أم للمجتمع ؟ » والتى دارت فيما بين « الزيات والحكيم وعبدالمنعم خلاف ».

وكان من كلام أحمد أمين قوله : أو من الحق أن تستلهم الأدب اليونانى والرومانى وتترك استلهام قومك وهم أولى بالاستلهام .. ثم تقول « الفن للفن » وماذا يضير لو نظر إلى المجتمع فرفعه كما فعل (برنارد شو) و (تولستوى) وأمثالهما[١] .

ثم تدخل « عبدالمنعم خلاف[٢] مؤيدا « أحمد أمين » فى تقييد الفن لصالح المجتمع، وظل الأمر سجالا بينهما على هذا النحو وتلك ملامحه :

١ - أحمد أمين : مستقبل الأدب العربى[٣]

إن أول واجب على الأدب العربى فى نظرى أن يعرف الحياة الجديدة للأمة العربية ويقودها

(*) الكاتب مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة.

(٢) الرسالة العدد ٥٧٠ - ٥ يونيه (١٩٤٤).

(١) الثقافة العدد ٢٧٧ - ١٨ ابريل (١٩٤٤)

(٣) الثقافة ٤ من ابريل ١٩٤٤ (العدد ٢٧٥)

ويجد في إصلاح عيوبها ويرسم لها مثلها الأعلى ويستحثها للسير إليه.

إن الأدب العربي للآن تغلب عليه النزعة الفردية لا النزعة الاجتماعية.

وأرى أن الأدب العربي يجب أن يتجه من جديد بقوة ووفرة إلى النزعة الاجتماعية حتى يعوض ما فاته منها ومستقبل الأمم العربية وحاضرها في أشد الاحتياج إلى الأدب الاجتماعي ينهض بها، أطمع أن يكون لنا في الأدب العربي أمثال «برنارد شو» في الأدب الإنجليزي «وأناتول فرانس» وتولستوي في الأدب الروسي وأمثالهم ممن وقفوا أدبهم على خدمة المجتمع وإشعاره بعيوبه.

ثم أعرب عن إعجابه بالأدب الأمريكي لأنه يستوحي مجتمعه ولا يستوحي أساطير اليونان وخياله وأوهامه، ثم انتقد الأدب العربي الذي يستوحي امرؤ القيس أو شهرزاد لأنه ليس أدبا راقيا ولا ينبغي أن يكون غالبا، ثم انتقل إلى «الوعي الاجتماعي» ورآه مزدهرا في الأمم الحية بينما في الأمم العربية لا يزال في دور التكوين، وخلص من ذلك بقوله:

«إن الأمم الشرقية في بدء عهدها بالوعي الاجتماعي يجب أن يكون لها أدباء يدفعون هذا الوعي العام إلى الأمام حتى يكمل وينضج.

٢- توفيق الحكيم: في الأدب والفن(٤)

«مع الأسف أراني مضطرا أن أقول على استحياء: إن أساطير اليونان، والرومان، وامرىء القيس، وشهرزاد، هي النوع الأرقى في الأدب لا في الماضي وحده ولا في الحاضر بل في الغد - أيضا - وبعد آلاف السنين ما دام الإنسان إنسانا، وما دام رقيه الذهني يخير لم يصبه نكاس، فالإنسان الأعلى هو الذي يصون (الجمال الفني) من الاستغلال في أي صورة من صوره ويحتفظ به لمتعته الذهنية وثقافته الروحية..

والأدب الأمريكي الذي يعجب به (أحمد أمين) هو في أغلبه صحافة راقية أكثر مما هو أدب حقيقي، والأدب الحقيقي فيه هو ما استند إلى أساطير اليونان والرومان، أي مخلوقات الإنسانية التي أبدعتها أحلامها الجميلة وخيالها الرائع.

إن مطامع الناس شاءت أن تمد أيديها الفانية إلى هذا الجوهر السامي لتسخره في شئون الأرض، فرأينا الشعر والأدب يتجهان إلى غايات نفعية، فاستخدم الشعر أحيانا لمدح الملوك والأمراء من أجل المال والثراء، أو لنشر الدعوة في الدين والسياسة من أجل الثواب والجزاء، ولكن كلمة الفن هي العليا دائما، وإذا كان في الإمكان وجود فن يخدم المجتمع دون أن يفقد ذرة من قيمته الفنية العليا، فإني أرحب به، وأسلم على الفور بأنه الأرقى، ولكن هذا لا يتهيأ إلا للأفذاذ الذين لا يظهرون في كل زمان.

٣- أحمد أمين: مستقبل الأدب العربي(٥)

«.. إنه قلب غرضي رأسا على عقب ونسب إلي ما لم أقل، لا يا أخي، فرق كبير بين الدعوة إلى أن يكون من مصادر الأدب: الحياة

(٤) الرسالة: ١٠ من أبريل ١٩٤٤ (العدد ٥٦٣).

(٥) الثقافة: ١٨ من أبريل (١٩٤٤) العدد ٢٧٧.

الاجتماعية و الوعى الاجتماعى، وبين الدعوة إلى مادية الأدب وتسخيره للأغراض الوضيعة.. ولعل الخلاف الحقيقى، بينك وبينى أنك تفضل الأدب الذى ينبع من الوعى الفردى على الأدب الذى ينبع من الوعى الاجتماعى، وأنك تفضل الأدب الذى يستوحى أدب اليونان والرومان وامرؤ القيس وشهرزاد على الأدب الذى يستوحى الحياة الاجتماعية الحاضرة، وتفضل الفن للفن على الفن للمجتمع.

أومن الحق أن تستلهم الأدب اليونانى والرومانى وتترك استلهام قومك وهم أولى بالاستلهام، ونحن أكثر تذوقا من غيرنا، لما يستلهم منا، وأشد انتفاعاً به من غير أن ينقص الفن شيئا.

أيعجبك أن ينصرف الأدباء كلهم إلى وصف لوعة الحب والاستمتاع باللذة والتغزل فى الخمر والكتابة فى الأوهام، ولا يتعرضون لمكبلين بالأغلال يجب أن يفكوا، وإلى غارقين فى الجهل يجب أن يتعلموا، ومصابين بالخمول يجب أن ينشطوا ثم تقول: (الفن للفن) وماذا يضير الفن لو نظر إلى المجتمع فرفعه كما فعل (برناردشو وتولستوى) وأمثالهما.

٤- توفيق الحكيم: الفن والإصلاح[٦]

«.. يجدر بنا أن نسأل هل من الحق أن الأدب الأوروبى بلغ مبلغه بفضل نزوله معترك الحركات الإصلاحية أو بفضل قيمته الفنية ومزاياه الأدبية؟

الذى أعلمه هو أن (أناتول فرانس) أديب و(برناردشو) مؤلف مسرحى و(تولستوى) قصصى، وتلك هى صفاتهم التى تؤخذ على سبيل الجد. أما ميول (فرانس) و(شو) الاشتراكية، ونزعات (تولستوى) الإصلاحية فهى نواح ينظر إليها تارة بغير احتفال، وتارة على أنها توابع أو ظواهر ودلائل قد تفسر على ضوئها بعض أعمالهم الأدبية أو آثارهم الفنية.

لقد تحدث الأستاذ أحمد أمين فى أكثر من موضع عن الرواية الغرامية وغرامة الحب بما ينم عن الازدراء، كم من المؤلفات المملوءة بالإرشاد والإصلاح قد نشرت وظهرت ولم تحتفظ بها ذاكرة الزمان، ولكنها احتفظت بقصة غرامية أو قصيدة غزل، أو رواية حب عارم.

كلا لا ينبغى علينا أن نملى على الفن اتجاها بعينه ولا يجوز لنا أن نوصيه بارتداء لباس الحكمة الرزينة أو رداء الإصلاح والوقار..»

٥- أحمد أمين: مستقبل الأدب العربى[٧]

وفى هذا المقال «أغلق» أحمد أمين باب المناقشة.

وخالفه فى أن يكون ذلك الاهتمام هو مدار اهتمام الأدب، بل لا بد من تصويره للنزعات السامية بوفرة وسعة ليكون جديرا بتمثيل واقع

(٦) الثقافة ١٨ من أبريل (١٩٤٤) العدد ٢٧٧.

(٧) الثقافة ٢ من مايو (١٩٤٤) العدد ٢٧٩.

الأمة والنهوض بحياتها، ثم ختم مقاله بقوله:

«وظيفة الأدب الحقة أن يغني نواحي الإنسانية ويرقي مشاعرها، ويعلي من مداركها ويوسع أفقها، ولعل نقطة الخلاف الحقيقية بين الحكيم وبيني هو أنه يقدر الفن بجماله فقط، وأريد أن أقدره بجماله وأخلاقياته معاً».

تقويم النزالية:

وفيما نعتقد أن نظرية «الفن للفن» نظرية مستحدثة طرحت بقوة في مجال الفنون والآداب منذ الثلاثينيات وحتى وقتنا الراهن، وقد وجدت بين كتابنا من يتعصب لها رغم أنها دعوة تغريبية تتعارض مع الفطرة والذوق الإنساني قبل تعارضها مع الفن نفسه، فمن الخير للمجتمع أن يقوم فنه وأدبه على الضوابط الأخلاقية لأن إطلاقه من كل القيود لا يحقق عنصر الجمال بقدر ما يحقق عنصر «القبح» المتمثل في الكشف والإباحة.

الخلاصـــة:

في ضوء ما تقدم من المعارك والنزاليات الأدبية نرى إلى أي حد كان إسهامها بما احتوته من موضوعات وقضايا في توجيه الفكر الأدبي إبان زمن العشرينيات والثلاثينيات وأوائل الأربعينيات، كما نلحظ كيف ازدهر الأدب العربي واشتدت عضلاته في هذا الوقت من النهضة الفكرية التي سادت مصر فيما بين الحربين العالميتين على وجه التقريب.

غير أن تلك النهضة الأدبية ـ كما بدا ـ كان لها وعليها في وقت معا، ذلك أنها لم تكن ناصعة البياض وبمعنى آخر لم تكن خالصة تماما لوجه الفكر العربي والإسلامي، لأنها لم تستطع النجاة من أسر تيار التغريب الذي نشط في تلك الآونة.

فقد استطاع «تيار التغريب» بمعونة دعاته أن يغزو الفكر الأدبي ويؤثر في توجيهه إلى درجة كادت تقطعه عن مساره وحلقاته المتتابعة منذ فجر الإسلام في محاولة الاستعاضة عنه بفكر غربي يرتبط أساسا بالمفاهيم الوافدة من مدارس الغرب.

وفي تقديرنا أن تلك المفاهيم الوافدة التي تبناها أدبنا العربي في تلك الفترة وإن كانت قد بلغت حد التسمم لاحتوائها على عدة مضامين خبيثة لا يقرها العقل العربي ولا المنطق الاسلامي، إلا أنها لم تؤت ثمارها ليقظة بعض أدبائنا ومفكرينا المحافظين، والمجددين المعتدلين الذين لا يخلو منهم زمان أو مكان، إنهم هم المجاهدون بسلاح القلم في تأييد دين الله – عزوجل – وتنقية الفكر العربي من أوضار التغريب، وعلائق التبعية الثقافية.

خميلة الشعر

للأستاذ/ محمد عبد الوهاب

هلَّ شهرُ الصيامِ بالأفراح ... يلسم الطُّهر والهُدى والصلاح
قد أتى للنفوس نبع صفاء ... نبعِ تقوى سمت وأسُّ فلاح
إذ تصير الحياة فيه جهاداً ... والهُدى يلتقي بأهل الكفاح

* * *

جاء شهرُ الصيام يرسمُ نهجاً ... فلسفيا في حكمة .. وسماح
حيث نسرى في كل حينٍ فيوض ... والتسابيح في الدُّجى والصباح
فيه درسٌ وعبرة وشموخ ... وارتقاب لنصرة «كصلاح»(1)
فيه «بدرٌ»(2) بنورها قد أطلت ... كي تُعيدُ المنى .. وبرء الجراح
أيها العرب كيف تهنى حياة؟ ... قُدسُنا واقعٌ رهين اجتياح
حَميّة العرب أين أخفت لظاها؟ ... كيف نرضى الخنا وخفض الجناح؟
لا تناموا عن العدا .. هُم قيام ... دنسوا قُدسَنا وكل البطاح
ترهبون العدا بتوحيد صفٍ ... بعلوم مقرونة بالسلاح
وحدوا الصف كي تعيشوا كراما ... وحدوا الرأى في جميع النواحي

لقد برغ في سماء الكون هلال شهر مبارك، خصه الله -سبحانه- بالمكانة العظمى بين بقية الشهور، فجعله شهر الصوم، وأنزل فيه القرآن، ثم زاده رفعة وسمواً فجعل فيه ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر، كما أن الله -سبحانه- لم يذكر في القرآن الكريم اسم شهر سواه إنه شهر رمضان المعظم.

نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يعيده على الأمة الإسلامية، وقد عادت القدس الحبيبة

1- أي كانتصار صلاح الدين واسترداده القدس

2- أي غزوة بدر الكبرى

لتلتئم بكيان الأمة العربية، ويعم على الأرض السلام.

وحميلة الشعر تقدم فى هذا الشهر الكريم خير ما وصلها من قصائد شعرية إيمانية نستهلها بقصيدة «ليلة القدر» لفضيلة الشيخ عبد الغفار الدلاش، وبعدها يقدم لنا الشاعر محمد محمد عبد الرحمن، قصيدة بعنوان: «رمضان تاج الشهور»، ثم نختتم جولتنا الوجدانية فى هذا العدد الوضيء بقصيدة بعنوان: «العنقاء» للشاعر محمد فهمى سند.

اللهم هيىء لنا الخير.

ليلــــة القــــدر

لفضيلة الشيخ / عبد الغفار الدلاش

فـيـضى على الكون أدنانا وأقـصـانا ... لا تـتـركى نـسـمـةً إنساً ولا جـانا

صـبى فـيـوض الندى أمناً وإيمانا ... نورا وهدياً وتـثـبـيـتـاً وغـفـرانا

ضـوعى أريجـاً شـذياً طيّباً عطراً ... مـسكاً من الخلد فـوّاحـاً وريحـانا

فـوحى كـوردِ الربى حُسناً ومـرحـمـةً ... يهنا الجـمـيعُ به شـيـبـاً وشـبّـانا

شـعّى ضـيـاءً على الأرواح حـائرةً ... يهـدى إلى الحق إحـسـاناً وإيمانا

طيـبى صـفـاءً على الأرواح ترشـفـهُ ... رحـيق حبٍ من الرضـوان رضـوانا

* * *

صُبى فـيـوضَ الندى لا تـتـركى أحـداً ... فـيـمـا يعـانيـه إملاقـاً وحـرمـانا

ولتـبـعـثى الروح فى أكـفـانها بليت ... حـرصـاً على زيفـهـا شـحـاً وخسـرانا

تلك النفـوس التى غـارت مـواردُها ... حـتى تلظّت بلفح النار هجـرانا

يا ليلة القـدر قـد أوليت منزلة ... جلّ الكريمُ الذى أهداك (قـرآنا)

من ذا يُحيطُ بفيض الله يُغدِقُهُ ... غيثاً وريّاً على من شاء طوفانا

يا ليلة الذكر قد أوحاه بارئُه ... رَوْحَ الخلود لأولانا وأخرانا

سادت به في رحاب الكون أمتُهُ ... حيناً من الدهر عزّت فيه سلطانا

كانوا به في الوغى أُسْداً مزمجرة ... وفي محاريبهم في الليل رُهبانا!

كانوا فتوحاً على الآفاق باهرة ... كأنما حشدوا الآفاق عُقبانا

العدلُ يمضي حثيثاً في ركابهم ... فضلاً من الله قسطاساً وميزانا

ما كان للحيف سلطان وإن شاءوا ... وما استبدوا على الأيام عُدوانا

بل رحمة الله تجري في دمائهم ... حُبّاً وعطفاً ومعروفاً وإحسانا

الباذلون، فما ضنوا وما بخلوا ... بالنفس والمال والأهلين قربانا

ثم استدارت بهم أيامُهم عنتاً ... وجرّعتهم كئوس الصاب أشجانا

يوم استكانوا إلى الدنيا وبهجتها ... ومزقت شملهم في الأرض قطعانا

هبت ذئاب الورى ترعى بأرضهم ... فمارعوهم وهل يرعى الذى هانا؟

يا ليلة القدر ثوري في دمائهم ... بعثاً ونشراً وتنبيهاً وإيذانا؟

عودوا إلى ربكم يا قوم وانتبهوا ... فروا إليه زرافات ووحدانا

هذا كتابكم منهاجكم أبداً ... لا، لا تضلوا عن الآيات عميانا

الروح فيكم فإن شئتم فلا تهنوا ... عودوا إلى المجد تمكيناً وعمرانا

من كان بالله محتسباً ومنتصراً ... كان الإله له بالبر معوانا

ومن تولى عن الرحمان يخذله ... كفاه إثماً وإدباراً وعصيانا

يا خالق الخلق غفراناً ومعذرة ... ما كان بالصدق والإخلاص أحرانا!

إنا عصاة فلا تأخذ بما اقترفت ... منا الجوارح إسراراً وإعلانا!

* * *

على طريق الهدى يحدو مسيرتنا — ليثٌ من النيل نهواه ويهوانا
هذا هو الأمل البرّاق يحفزُنا — على طريق الهُدى تصفو نوايانا
«حُسنى مُبارك» قائدُنا ورائدُنا — كالنيل يمضى بفيض الخير طُوفانا
يارائد السلْم في الآفاق ننشُدُهُ — بُوركْتَ فكراً ووجداناً وربّانا !
دُمْ للكنانة فخراً من مفاخرها — ومعْلماً بارزاً يرْعى قضايانا
واعْبُرْ بنا مرةً أخرى لنهْضتنا — في موكب النور والأمجاد مزدانا

* * *

ما أنبت النيلُ يوماً في مرابعه — شوكاً وما شأنهُ ترعاهُ سعدانا
لكنه الخيرُ موّارٌ تدفُّقُه — دوماً بفيض على واديه جذلانا
هذي الحقائق لا تحتاج برهنةً — فما رأى الناسُ كالمصرى إنسانا
نعم الدلالة في أعياد أمتنا — أن عانق «الشيخُ» يوم الفصْح «مُطْرانا»
وليس يخفى على الدنيا برمتها — أن يحضر «القس» يوم العيد أضحانا
ما كان من راحلٍ إلا نُشيّعُهُ — حتى نُوَسِّدَهُ في رُحْبِ موتانا !
أو من مناسبةٍ إلا وتجمعنا — بعضاً ببعضٍ بها بشْرا وأشجانا
أو كان من فتنة إلا ونخمدها — ولا يكون بنا إلا الذى كانا !
من كان في أرضنا من أهل ذمتنا — في حُرمة الأهل حيثُ الله أوصانا !
يا رب فانزع من الأكباد غلظتها — حتى تزول بفضل الله بلوانا !
تدعوك في ليلة القرآن أمتُه — وحّد على الحق والتوحيد مسعانا
في ليلة القدر والأملاك تشهدنا — ندعوك : يا رب يا رحمانُ غفرانا

* * *

رمضان تاج الشهور

للأستاذ الشاعر : محمد محمد عبدالرحمن

بزغت به شمس الهداية نورا
يمحوا الضلال ويقشع الديجورا
غنت له الدنيا وهبت نسمة
فاحت بأردان الوجود عبيرا
صدحت حمائمها وغرد فى الذرى
طير العشاش: مرحبا مسرورا

* * *

الخير يقدم حين تقدم ضافيا
زان البقاع موسعا والدورا
فإذا حللت معززا ومكرما
(إبليس) يرحل موجعا مدحورا
وإذا الملائك رحمة مبثوثة
للصائمين تحفهم تقديرا
وإذا القلوب تبدلت من جفوة
لمودة.. وبدا الكفيف بصيرا!!
وإذا الجديب يلوح وهو منضر
وإذا اليباب قد استحال زهورا
وإذا الدنى مكسوة بنضارة
والليل ضاء: مآذنا وقصورا
من صام صومك تائبا مستغفرا
ومطهرا ومسامحا وصبورا
فى ليلة القدر السنية.. داعيا
نال الشفاعة: جنة وحريرا

كم حقق الأبطال فيك بباسهم

مجدا لأمتنا يبدد زورا

والنصر في (حطين) يبقى شاهدا

طول الزمان: مبشرا ونذيرا

فالأرض ليست تستباح لغاشم

كالعرض.. يبقى سالما موفورا

و«العاشر» الميمون في هجماته

دحر العدوّ.. مجندلا مذعورا

من قال: (جيش ليس يهزم مطلقا)

وانساق في دعوى الكميّ فخورا

حتى إذا هجم الأباة وكبروا

«الله أكبر» كم دهت مقهورا

فمضى يجرجر ذيل خزي بالغ

جيش الغرور.. مدمرا تدميرا!

* * *

ما باله اليوم اغتدى مستأسدا

فمضى يجندل أعزلا وصغيرا؟

.. في (القدس) يبدو شامخا متجبرا

بإزاء من منحوا الرصاص.. صدورا!

ألقوا عليه حجارة تزري به

لم يرهبوا متنمرا مغرورا

وغد لناظره قريب، لن يرى

إلا وبال الجبن: ساء مصيرا

ويعود للقدس الطهور أحبّة

يفدونه.. حتى يعود قريرا

* * *

العنقاء

للشاعر / محمد فهمي سند

لا تسأل التاريخ عن زمني ... واسأل عروق الضوء في وطني

لا ترتجف من صرخة الأبطال، لا ... تبحث عن الشهداء في الكفن

لا تحمل الأيام في عينيك تسقيها سلاف المجد والمنن

بل سائل الرمل الذي ما زال في ... تسبيحه يزهو على الزمن

حين استفاق على ندى كفٍّ تُهَدْ ... هِدُهُ وتغسله من الدرن

حين ارتوى من قبلة ضمته في ... أحضانها كالعاشق الفطن

لم يأت من شفة البطولة خارجا ... من جبة الصوفي للبدن

بل جاء من عين العناية شاهرا ... صوت المدى للريح والسفن

غسلته أدمعنا وأفئدة الهدى ... فتطهرت بالفرض والسنن

رمضان كبر للصلاة وأنت تنتظر اجتياح النار والحصن

ركعت مع الحاخام أحلام النجوم الساقطات على صدى الوهن

سجد الغرور فأيقظ النوام من ... جرف الردى بترابه العطن

«مانير» تبكي نجمة، صهيون شاركها أنين غروره العفن

وتطهرت سيناء من بعض الذئاب فعاد صوت النصر للأذن

وغدت جنود الحق تبني للسلام حديقة ريانة الغصن..!

حتى استفاق الكون من وهم السنين على اندحار عصابة الفتن

* * *

والآن يا عقل الوجود تجمعت   نُذُر الصديد بأصلها النتن

فاستأثرت بالعالم الدموي تذكي حقده بالسوط والرسن

لا شيء يرعبهم سوى الإسلام هل عرفوه قبل الحقد والضغن؟!

عرفوه في نبض الدماء وومضة العينين قبل بداية الزمن

لكنهم جحدوا الحقيقة واستحيوا كفرهم في السر والعلن

صبُّوا جحيم الظلم فوق المسلمين بكل ناد كاذب اللسن

أنشأت مظلمة فهل للعدل صوت في الوجود يعيد لي وطني؟!

وأنا هنا أستقبل الأنباء أشكو للفراغ كآبة اللحن

أبكي على نار العروبة كيف أطفأها صراع العبد والوثن

* * *

هذا هو الأقصى يقاتل عن قداسته معول البغض والإحن

والقدس تطوي حزنها وتصيح: "واعرباه" إن العرب لم تهن

إنا هنا نحمي عروبتنا وإن   خان الجميع فنحن لم نخن

والقدس تنهض من مذابحها على صوت الأذان بثوبها الخشن

عنقاء تحرق ريشها وتعود طاهرة كطهر الماء واللبن

* * *

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

● عزيزى القارىء. هيا معاً نتجول داخل الإنسان الذى كرّمه الله وفضّله على كل مخلوقاته وجعل له من التفضيل ما لا يجعله فى غفلة عن التسبيح والثناء على هذه النعم التى لا تحصى ولا تعد، وتكريمه عن كل شىء خلقه الله. واهتمام هذا العالم الجليل بالطاقات الحقيقية فى الإنسان يرجع إلى يقينه بالمهمة الملقاة على عاتق ذلك الإنسان مما يجعل استغلال الطاقات التى أودعها الله فيه ضرورة حتمية، لينطلق فى الحياة مستفيداً بكل إمكانياته المادية لتحقيق تطلعاته الروحية، وبحيث يمكن للإنسان التغلب على معاناته النفسية والمادية وتحقيق أقصى درجات الإيجابية فى الحياة الإنسانية وهو يعيد لأذهاننا دور علماء المسلمين الأوائل الذين ترجموا العلوم من منابعها المتعددة وأضافوا إليها روح الإيمان والإسلام فتحققت أعظم حضارة عرفتها الأجيال.

● ففى الفصل الأول من هذا الكتاب تحدث عن مجالات العقل الإنسانى، فالأشياء غير المنظورة تشعر بها عن طريق العقل، وهذا العقل لم يره أى مخلوق، إلا أن وجوده مسلم به من الكل.

● ثم تحدث عن كيفية اتصال الإنسان بالعقل الكلى والفرق بينه وبين العقل الواعى والعقل اللاشعورى للإنسان.

أما كيف تقود العقل الباطن (اللاشعور) أى كيف نخلق الظروف؟ فقال: نحن نميّز الأشياء عن طريق الشكل فى العالم المنظور فإذا نظرنا إلى صورة أو إلى شىء ما، فإننا نرى الشكل الذى ينطبع على بصرنا وعلى مخنا وإذا أغلقنا أعيننا، فإننا نظل نرى صورة عقلية للشىء الذى رأيناه وهذه الصورة العقلية هى صورة لشىء موجود فعلاً، فهى نتيجة لنشاط خلاق سابق.

● وتحدث عن عوامل نجاح استخدام الشكل الفكرى قائلا: هو أن تصفى قلبك من كل حقد أو حسد أو كبر أو تمن سيىء أو هدم أو أى شعور سيىء.

● أما الفصل الثانى فقد عرض فيه المؤلف علم انتقال الصور العقلية، كالألوان الشعورية والأشكال الفكرية وكيف يؤثر الناس فى بعضهم.

● وعن كيفية تأثير الجسم بالعقل قال: كل ذرة فى الجسم لها نصيب من العقل، فالجسم كله عقل.. وكل عقل فى كل خلية يتأثر أساساً، ويتحكم فيه العقل العام فى الجسم وهو العقل الموجب.

● وانتقال تيارات الفكر إلى الغير أشار فيها بأنها تنتقل فى شكل أمواج اهتزازية من عقل شخص إلى آخر وتؤثر عليه تبعاً لقانون الانفعال العقلى.

● فهى تثير فى العقل الآخر اهتزازات مماثلة وبالتالى تخلق مشاعر مماثلة.

● وتحدث عن الإيحاءات بأن منها الإيجابى وهو خلق حالات عقلية فى الآخرين عن طريق التأكيد والأمر الإيجابى، متجها مباشرة إلى حالة الشخص العقلية.

والسلبى هو خلق حالات عقلية فى الآخرين عن طريق دفع وتقديم أفكار الغير وطرق التأثير بالإيحاء، عن طريق مجالات، الطاعة، التقليد، الاجتماع، التكرار.

● أما كيفية تنمية الإرادة عمليا فوضح قائلاً: .. وتتم عن طريق القواعد الآتية:

ـ كن متحكما فى وسائل التعبير، تعلم كيف تركز، ثم فى نفسك تحديد الغرض، لاحظ



أن أول عمل - دائماً - هو الصعب. يجب أن تطمئن أولاً أنك على حق.

● وفى الفصل الثالث والرابع عرض أهمية معرفة صورة النفس، موضحاً العقد النفسية وتعريف الشخصية وكيفية عمل أجهزة النجاح، وكيف يخلق الإنسان نفسه من جديد.. وكيفية التحكم فى عقل وجسم الإنسان من جهة ترابط العقل والجسم وانقباض العضلات وتوتر شعور الإنسان وتأثير الكلمات فى صحة الإنسان.

● أيضاً كيفية استخدام مفتاح السعادة.. وما هو هذا المفتاح.. وكيف تؤثر العضلات المشدودة على مشاعرك ثم الاسترخاء الصحى، أسرار الاسترخاء العميق.

● أيضاً.. طرح المؤلف كيف تتعامل مع عقلك الباطن؟ واستخدم جدولاً من الأسئلة بالنسبة للطفولة والصبا والبلوغ والرجولة.

وبيّن كيفية التخلص من الانفعالات الضارة وكيفية نسيان الذاكرة المؤلمة..

● ثم كيفية التغلب على اليأس.

● وطرح عدة تمارين للاسترخاء.

● أما الباب الخامس فتجول فيه المؤلف في ميادين الطب البديل، كالعلاج الطبيعي والعلاج بالماء، والعلاج بالتخيل والعلاج بالأملاح، والعلاج بالأعشاب، وكثير جداً من علاج الطب البديل ثم العلاج بالنبض وهو يعتمد على استغلال الطاقات الكامنة التي أودعها الله في جسم الإنسان وتسخير الامتحانات النفسية والجسدية والروحية لعلاج الأمراض الإنسانية بعيداً عن العقاقير الطبية.

● وأخيراً.. لقد استطاع المؤلف الوقوف على ذلك بسعة اطلاعه ومعرفته الواسعة باللغات وهمته التي لا تعرف الكلل ولا الملل، كل اجتهادات العلماء في محاولة اكتشاف أسرار الإنسان التي لا تحصى ولا تُعد، وبداخل الإنسان أسرار كثيرة تكمن في داخله لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى-

---

● هذا الركن الإسلامي الذي بنى الإسلام عليه من خمس الأركان الخمسة وهو الزكاة، نتحدث عنه في هذا العدد لأهميته، وبخاصة في هذه الأيام المباركة والتي ينتظرها فقراء المسلمين وعامتهم كل عام.

● وهذه الدراسة تأتي في وقت فشلت فيه النظم الاقتصادية المعاصرة ذات الأيديولوجيات المتصارعة في الوصول إلى نظام اقتصادي عادل، يحفظ للإنسان كرامته وآدميته بعد أن جربت مناهجها الاقتصادية الخاطئة التي أدت ولا تزال إلى المزيد من البطالة والفقر والكساد على مستوى العالم، لتناقضها مع متطلبات الفطرة الإنسانية السوية.

● فبعد تخبط طويل لتلك النظم وما نجم عنها من مآس لعدة قرون يعود العالم اليوم ليتنبه إلى ما سبق أن قرره الإسلام منذ أربعة عشر قرناً من نظام اقتصادي مرن يحقق التوازن بين الدوافع الذاتية ومصالح الأمة الاجتماعية.



فالزكاة تعتبر من أهم الوسائل في بناء المجتمع لأنها تساعد على إزالة الكراهية والحقد والحسد، الذي تغلي به قلوب

المحرومين، ومن ثم يسعد المجتمع ويعيش متعاوناً متآخيا مترابطا.

ففي الفصل الأول تعرض المؤلف إلى الزكاة في الشريعة الإسلامية من حيث الزكاة والواجبات المالية والتنمية في المفهوم الإسلامي.

● ثم طرح أيضاً مفهوم قيمة العمل في الإسلام.

● أشار أيضا إلى حقيقة المال في الإسلام كالزكاة حق المال، وتعريف المال..

ثم تعريف الملكية بأنها الاحتواء والقدرة على الاستبداد (أو الاستئثار) بالشيء ويراد بها:

- حق الفرد في احتواء شيء ما، وتمكينه من الانتفاع به بكافة الطرق الجائزة شرعاً.

● وتحدث عن تنظيم الملكية ومفهوم الاستخلاف، والملكية الخاصة، وسائلها وحمايتها، في الإسلام، و الملكية العامة وصورها في الإسلام.

● أما في الفصل السادس فوضّح المؤلف: الزكاة كفريضة مالية إسلامية، ومشروعية الزكاة، ثم زكاة الحيوان، وزكاة الثمار والزروع، وزكاة الركاز والمعدن.

● ثم طرح موضوع.. هل تغنى الضرائب عن الزكاة؟ وتحدث فيه في عرض موجز مقارن بين طبيعة كل من نظامي الزكاة والضرائب، وبيّن -أيضاً- مصارف الزكاة في المجتمع وعدالة التوزيع في الإسلام.

● وفي الفصل الثامن كان دور الزكاة في تنمية المجتمع كأسباب ومقاصد الزكاة وشروط نجاح عملية التنمية في المجتمع وأهداف التنمية الاقتصادية في الإسلام. وأخيراً تأتي هذه الدراسة لتوضيل ملامح الزكاة و تبرز في الوقت نفسه إلى أي مدى يكون دورها في تنمية المجتمع الإسلامي وإزالة حدة الفقر بين أفراده على مختلف فئاتهم وطبقاتهم.

● كم من مؤلف كتب عن سير الأنبياء وقصصهم في القرآن الكريم هناك الآلاف التي تناولت هذا الموضوع من كل الزوايا والأركان لم تترك صغيرة ولا كبيرة في هذا الموضوع من الناحية القصصية.

● ثم إن المكتبة الإسلامية غنية بقصص الأنبياء، كتبها علماء السلف والخلف، بالإضافة إلى الكثير من التفاسير التي تضمنت شرحاً وافياً لقصص الأنبياء.. والمؤلف بذلك يسهم بإسهامات جديدة في تحقيق الوعي الديني من خلال مشاهد الأنبياء والرسل مع أقوامهم وإيقاظ البُعد



الإيماني وتحريكه في نفوس المسلمين وحثهم على العمل بما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم في الإسراع بما يأمر به المولى -تبارك وتعالى- وبما يأمرنا به الرسول - ﷺ -.

ولكن هذا البحث القصصي وفق فيه المؤلف في اختيار السهل الممتنع اسلوبا مقبولاً لدى الخاصة والعامة والحوار القرآني منهجاً في بحثه ودراسته ومعولاً أساسياً عليه وجعله وسطيا بين الإيجاز والإطناب.

● وقد قسمه إلى مشاهد ومواقف في حياة هؤلاء الأنبياء -عليهم السلام-.

● وقد قدم لهذا الكتاب فضيلة الشيخ عسكر خليل عبدالعال، والكاتب الإسلامي محمد عبدالله السمان.. الذي وضح في تقديمه اسلوب وطريقة المؤلف في تناول قصصه، ثم المراجعة الدقيقة لكل ما كتبه المؤلف.

تناول في البداية قصة سيدنا آدم- عليه السلام -.

ثم تحدث عن مشهد العقيدة الصحيحة، ومشهد من مشاهد الحقد والحسد، وطرح المؤلف أيضا بعضاً من مشاهد الذبح الجاهلي والنذر الحرام.

● ومشهد طريق النجاة وطريق الهلاك ثم مشهد الإنسان وهو في بطن امه.

● ووضح عمل الملائكة والجن قائلاً: إن مهمتهم الأولى تسبيح الله وتقديسه وبث الطمأنينة في قلوب المؤمنين وتثبيت المسلمين في القتال وتبشيرهم بالنصر وتسيير السحاب والرعد والبرق وإنبات الزرع ونفخ الروح في الأجنة وهي في بطون أمهاتها ثم قبضها عند انتهاء أجلها وإهلاك الكافرين بالنار والسير مع بني آدم من أمامهم وخلفهم بأمر الله - تعالى -.

● وأشار أيضا إلى مشهد المعركة بين الحق والباطل ومشهد مهمة الإنسان على الأرض.

● ثم طرح قصة سيدنا إدريس -عليه السلام- من جهة ذكره في القرآن الكريم وقوم إدريس.

● وتحدث عن سيدنا نوح - عليه السلام - من حيث تصاعد المواجهة بينه وبين أهله ودعاء نوح على قومه والحوار الذي دار بينه وبين قومه.

● ومشهد قوم نوح يدعونه لطرد المؤمنين، ومشهد صنع السفينة ودعوته للمؤمنين بركوب السفينة، ثم دعوته لابنه.

● وأخيراً مشهد استعداد الأرض لسفينة نوح وهبوطه على الأرض ليعيد الحياة فيها.

● لقد سلك المؤلف طريقا فريداً بين كتاب قصص الأنبياء، مبيناً منها العبر والمشاهد في كل موقف مع كل نبي بعيداً عن الخرافات والإسرائيليات.

● أيضا مقارنة الواقع الذي نعيش فيه بواقع الحياة التي عاشها الأنبياء والرسل.. ولقد اختلف هذا الكتاب كثيراً عن رواية القصص التي كتبها معظم كتاب القصة في اختيار الأحداث والمشاهد والمواقع في حياة الأنبياء -عليهم السلام-.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعي خفاجة

حكم... ولكن

نستكمل حديثنا حول رسالة القارئ، عوض على أحمد، من شبرا قبالة - دقهلية.. بعنوان «حكم.. ولكن»، حيث يقول:

فماذا يمكن أن يقال عن المثل القائل: «يا مستكثر، الأيام أكثر». أليس دعوة إلى المنع والحرص والشح والبخل، ويتعارض مع قول الحق - تبارك وتعالى - :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾

وعلى هذا النهج ونفس المنوال يمكن أن نجد الكثير من الأمثال الهدامة، والتي تقود متبعيها إلى سبل الندامة لأنها تدمر ولا تعمر، وتخرب العقول، وتفسد القلوب، وتقود الأقدام إلى طرق الفساد والضلال، بينما نحن في غفلة من أمرنا، ونظل مسلمين قيادنا لها استسهالاً لاتباعها، وانخداعاً بشيوعها وذيوعها وتكاسلاً عن البحث في معانيها وأصلها وفصلها ونبقى هكذا أسرى، لاعتقادنا بأن هذه الأمثال حكم جليلة لا يأتيها الباطل من بين يديها أو من خلفها!!..

ونقول: في الحقيقة إنك دعوت الناس إلى البحث عن معاني هذه الأمثال وأصلها وفصلها، حتى لا يقعوا أسرى اعتقاد خاطئ، وهذا كلام طيب، إلا أنك يا عزيزي القارئ، وقعت أسير ما حذرت منه، حيث نظرت إلى المثل من ناحية واحدة ولم تقلب الأمر وتستعرض أوجه معانيه المختلفة.

وأقدم - لك عزيزي القارئ - هذا الحديث الشريف الذي يقول: «... إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس...»[1].

فإذا علمت أن هذا القول من رسول الله - ﷺ - كان توجيهاً كريماً لرجل أراد أن

(1) سنن أبي داود، المجلد الثالث، كتاب الوصايا ص ٢٨٤، الحديث رقم ٢٨٦٤، طبع دار الحديث - سوريا.

يتصدق، ولم يكن مبذراً ولا منفقاً ماله في وجوه أخرى من أوجه الإنفاق، أدركت أن المثل لا يتعارض مع روح الإسلام، ولا حرج إن قلناه في مناسبته.

ولكي يُتْرك الأبناء أغنياء لا يتكففون الناس، فإن ذلك لن يتأتى لرجل «يستكثر ماله» فيرمي به هنا وهناك دون تدبر أو تفكير، فالواجب أن يتحرى الإنسان أين يضع أمواله ولو كان في الخير، فأبواب الخير كثيرة، وبعضها مقدم على بعض.

وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ لذلك الرجل الذي أراد أن يتصدق بثُلثي ماله أو بشطره.. قال ـ ﷺ ـ: «... الثُلث، والثُلثُ كثير...»[2].

ولتعلم ـ عزيزي القارىء ـ أن الأمثال لم تنه عن فعل الخير أبداً، بل حضت عليه، ومن ذلك المثل القائل: «افعل الخير وارمه في البحر».

أي: افعل الخير، لا تبتغي به غير وجه الله.

وأزيدك ـ يا عزيزي القارىء ـ من القصيد بيتاً، وأقصد المثل القائل: «امش سنة، ولا تخطو قناة».

وظاهر هذا المثل: الدعوة للكسل والدعة، ولكنه في الحقيقة غير ذلك، فهذا المثل يقال لمن له خيار بين المشي الموصل للهدف مع طول المسافة، وبين قفز غير محسوب النتائج، فينصح باتخاذ الأسلم، وعليه ألا يعرض نفسه للتهلكة، فماذا تفيد السرعة إذا جنى الندم؟!..

ومثل هذا المعنى تجده في حديث النبي ـ ﷺ ـ الذي يقول فيه: «إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»[3].

والمُنبتُّ: هو المُتسرِّع.

ومن منا لم يصادفه مانع أو عقبة تمنعه عن استكمال المسير؟!.

وليس المقصود في المثال السابق (بالقناة) غير هذا المانع الذي يجب أن نعبره بتروٍ وتَبَصُّر سواء كان هذا المانع مانعاً اقتصادياً أو علمياً أو غير ذلك.

ولعلك عزيزي القارىء تتفق معي في أن هذا من باب «البحث في معاني الألفاظ» الذي طالبت به.

وأن حكمة الأجداد تحتاج منا هذا البحث حتى تخرج بحكم سليم.

ويبقى أن أقدم شكري لك لما قدمت، ولإسهامك بقلمك في إثراء تلك الصفحات التي جعلناها «بين المجلة والقارىء».

ثم.. أما بعد:

فقد أهلّ الله علينا هلال رمضان، فاجعله اللهم هلال خير ورشد وبركة، وبلغنا فيه آمالنا.

ونسأل الله ـ العلي القدير ـ أن يعيد مثل هذه الأيام على الأمة الإسلامية بالخير والبركة...... آمين.

وبهذه المناسبة فقد أرسل الكثير من القراء إسهاماتهم احتفاء بالشهر الفضيل، نقدم بعضها، ونقدم شكرنا لكل من أسهم بقلمه واعتذارنا لمن لم تتسع المساحة لنشر كلمته..

وكل عام وأنتم بخير.... «المحرر»

---

(2) راجع الحديث السابق، رقم ٢٨٦٤، سنن أبي داود المجلد ٣

(3) كنز العمال جـ٣، صـ ٣٨، رقم ٥٣٥٠.

دروس من مدرسة الصيام

من هذه الكلمات التي وردت احتفاء بشهر رمضان كلمة القارىء الشيخ / السيد مرسي البرعي إمام وخطيب بأوقاف البحيرة، يقول فيها:

إن الصوم في حقيقة أمره مدرسة تعلم المؤمن دروساً كثيرة وأول درس فيها هو درس التقوى، التي قال عنها ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

(البقرة ١٨٣)

فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب ونحن نؤدي هذه الفريضة طاعة لله وإيثاراً لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية ولو تلك التي تهجس في البال. والمخاطبون في هذه الآية هم المؤمنون الذين يحرصون على تقوى الله، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم وهذا الصوم، أداة من أدواتها وطريق موصل إليها، ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً مضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ونجد أن للصيام دروساً أخرى منها المراقبة، والمراقبة بها يعلم العبد أن ربه مطلع على كل حركاته وسكناته، ولذلك نجد أن الصيام لا يدخله الرياء والمفاخرة لأنه سر بين العبد وربه، فقد يخلو الإنسان مع نفسه ولا يراه أحد، فهل يمنعه أحد من الطعام والشراب؟!. أجل يمنعه اطلاع ربه عليه. ومن هنا يتعلم العبد المراقبة.. وهناك درسٌ آخر وهو « الصبر »، وهو حبس النفس على ما تكره، فالصيام أعظم درس لتعليم النفس الصبر وتحمل مكاره الحياة، فالصبر يقوى عزيمة المؤمن ولذلك وصف الرسول ـ ﷺ ـ شهر رمضان بشهر الصبر حيث قال: « هو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة. وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ». (رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي وابن حبان).. ويتعلم الإنسان أيضاً من مدرسة الصوم المواساة للفقراء والمحتاجين والعطف عليهم ويشعر المسلم من خلاله بعطاء الله له من نِعَم وبخاصة نعمة العافية، فكَمْ مِنْ مريضٍ حُرِم من كذا وكذا ربما طول عمره، ومنه ـ أيضاً يتعلم المؤمن الشفافية والإيثار والروحانية وتَخَرُّج النفس من شهواتها وملذاتها إلى الروحانيات وترقى الروح إلى عالم الصفاء والنقاء.

تنويه

حدث خطأ غير مقصود في حاشية رقم (١) ص١١٥٥ وصحته تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩٩/٣).

وفي الحاشية رقم (٢) في نفس الصفحة وصحته مجمع الزوائد للهيثمي (١٢٨/٢) كتاب الصلاة باب ما يقول في ركوعه وسجوده.

الصيام وتهذيب النفوس

أما القارىء : خيرى محمد إبراهيم ـ بيلا ـ كفر الشيخ..

فيقول:

الصيام من أركان الإسلام الخمسة وهو يهذب النفوس وهو فى التشريع الإسلامى عبادة تنطوى على الإمساك عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع النية.

.. والصوم يُهذب النفوس البشرية لأنه يمنع النفوس ويحول بينها وبين العكوف على المادة ويُشعر هذا الإنسان بضعفه وعجزه وافتقاره إلى الطعام والشراب وغيرهما، والجوع فى حد ذاته يُقلق النفس البشرية ويُعرفها قدرها ومكانتها، لأن من أكل الطعام افتقر إلى هذا الطعام، والافتقار ضعف وعجز، وإن أحاسيس الجوع عند الصائمين تحملهم حملاً ـ بحكم الفطرة التى فطر الله الناس عليها ـ على التفكير فى شأن الجائعين من الناس بسبب البؤس والفقر والشقاء والعوز فيدفعهم ذلك إلى البر بالفقراء والمساكين والبؤساء والمحرومين فيتحقق بذلك شىءٌ من التكافل والتراحم والتعاون بين الناس جميعاً.

.. والصوم يكسر الكبر فى النفوس البشرية ويُعطى الإنسان درساً بليغاً فى التواضع وأنه عبدٌ لله ـ تعالى ـ خاضعٌ له ـ جل جلاله.

.. ولقد فرض الصوم على المؤمنين لتسمو أرواحهم فيرتفعون إلى مصاف الملائكة الأبرار الأطهار.. والتقوى هى الهدف الأسمى والغاية من الصيام. ولقد قال المولى فى القرآن الكريم وهو أصدق القائلين:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾

سورة البقرة ، الآية ١٨٣

رمضان شهر لتطهير الروح

.. والقارىء/ عبد الهادى محمد أحمد سليم.. منشأة الجمال ـ مركز طامية ـ الفيوم.. أرسل هذه الكلمات استقبالاً للشهر الجليل:

كُلما أهل الله علينا شهر رمضان تنتعش أرواحنا وتصفو نفوسنا، ويُعبق الجو بنسيم جميل لا نحسه إلا فى هذه الأيام المباركات.

وشهر رمضان يهيىء الله لدخوله بشهرين مباركين هما رجب وشعبان، وكلاهما ملىء بالنفحات العاطرة والعطاءات الإلهية المباركة حتى أن أحد العارفين قال: «رجب شهر الزرع، وشعبان شهر سقى الزرع، ورمضان شهر جنى المحصول». وقول هذا العارف لا يأتى إلا عن إدراك ووعى من مؤمن صادق أحس بروحه

تلك المعاني. وقال أحدهم أيضاً: «رجب شهر تطهير البدن، وشعبان شهر تطهير القلب، ورمضان شهر تطهير الروح».

.. والحق - سبحانه وتعالى - يهيىء لعباده الصائمين هذا الجو الروحي في رمضان ليعينهم على طهارة الروح فيقول رسولنا الكريم - ﷺ: «إذا دخل رمضان فُتحت أبواب السماء، وغُلقتْ أبوابُ جهنم، وسُلْسِلَتْ الشياطين». رواه البخاري ومسلم.. ومن هذا الحديث نعلم أن الجو مُهيأ في رمضان من كل النواحي، فأبواب السماء مُفتحة لقبول الدعاء، ورفع العمل الصالح، وأبواب جهنم مُغلقة لم يُفتح منها باب، والشياطين محبوسة ومقيدة. وبعد هذا التجهيز والإعداد من الله يفتح الله باب المنافسة بين عباده المؤمنين للتسابق في الخيرات فيقول رسول الله - ﷺ: «أتاكم رمضان، شهر بركة يغشاكم الله فيه، فينزل الرحمة، ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله - تعالى - إلى تنافسكم فيه، ويُباهي بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حُرِمَ فيه رحمة الله - عز وجل». رواه الطبراني، والمنذري في الترغيب والترهيب. فلننظر لقوله - ﷺ: «ينظر الله - تعالى - إلى تنافسكم فيه».. نجد فيه الحث وتشجيع الهمم على الجهاد بكثرة العبادة في هذا الشهر الكريم، ونتيجة هذا كله طهارة الروح وتنقيتها وهذا هو الهدف الأسمى من الصوم فيكون صاحبها تقياً نقياً لقول الحق - تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

سورة البقرة، الآية ١٨٣

نسأل الحق - تبارك وتعالى - أن يُطهرنا من الدنس، وأن يُطهر بيت المقدس من دنس اليهود وأن يُشتت الله شملهم، ويُفرق جمعهم ويفل حدهم وأن يجعل الدائرة عليهم وأن يسلبهم مدد الإمهال... آمين يا رب العالمين.

تهنئة

تهنئ أسرة تحرير مجلة الأزهر

فضيلة الشيخ / الطاهر محمد أحمد الطاهر الحامدي

بصدور قرار السيد رئيس مجلس الوزراء بترقيته مديراً عاماً للمجلة

ونتمنى له دوام التوفيق

من إبداعات القراء :

رمضان يا زين الشهور

رمضانُ يا زينَ الشهور أتيتنا زينتَ يا شهر الصيام حياتنا

أنت الفضيلُ على الشهور جميعها يا رحمةً في بدئه عمّتْ بنا

فيك الفتوح تسابقت في عزةٍ فالنصرُ لاقى في شموخٍ صومَنا

ذا فتحُ مكةَ .. أيُّ فتحٍ يزدهي عَبْرَ الزمان عليه في كل الدُّنى ؟

ريحُ انتصار المؤمنين تضوّعتْ مسْكاً ونوراً فاكتمل يا بدرنا

يا يومَ بدرٍ أنت تاج رؤوسنا أنت الأساس لكل نصرٍ جاءنا

يا أهل بدرٍ فابعثوا نفحاتكم منْ ليلةٍ غرّاء زفت نصْرنا

أبناؤكم هبّوا وردّوا قدسنا «حطّينُ» تكتُب بالمفاخر عزّنا

أحفادكم في عصرنا هزّوا الدُّنى لمّا عَبَرْنا في الصيام قناتنا

يوم احتضنّا لهفةً أرضاً بدتْ مثل النجومِ تلألأت حُبّاً لنا

يا رب وفقنا إلى نصرٍ علَى أهلِ الخيانةِ يسترد الموطنا

هل كان شهرُ الصوم إلا نفحة النصر التي من ربنا تأتي لنا ؟

يا ربُّ، هذي ليلة القدر ازْدهَتْ يا رب بالقرآن غمّرْ صدرنا

وامننْ علينا بالتُّقى حتى نرى الأقصى يعود معانقاً كل المنى

هذي دُموعُ المؤمنين تضرّعتْ فاقبل بفضلك واستجب يا ربنا

نجاح عبد القادر سرور

محافظة البحيرة – كوم حمادة – كفر بولين

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الإمام الأكبر:

تنظيم الأسرة لون من ألوان مباشرة الأسباب

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر الشريف وفد علماء المؤسسات الدينية الإسلامية بالأردن برئاسة الدكتور محمد القضاة عميد كلية الشريعة بجامعة الأردن.

وضم الوفد ممثلين للهيئات الدينية الأردنية، وجامعة الأردن والتليفزيون الأردنى.

رحب فضيلة شيخ الأزهر بالوفد فى مصر وأزهرها الشريف مشيدا بأوجه التعاون بين البلدين الشقيقين، الذى يقوم على الأخوة والمحبة، شارحاً الأمور المتعلقة بالمسألة السكانية والتى تتمثل فى تنظيم الأسرة، والمفاهيم المختلفة التى اثيرت حول هذا الموضوع مشيراً إلى رأى رجال الطب طبقا للطرق الحديثة التى يتبعها الأطباء للظروف التى تلائم كل زوجين، والأساس هو رغبة الزوجين فى ذلك، ومراعاة للأمور الطبية التى تقاس عليها كل حالة والذى يقرر تنظيم النسل الزوجان دون ضغط أو فرض من قانون أو إجبار، ولكل حالة ظروفها وطبيعتها مراعاة للظروف الاقتصادية والتعليمية، وظروف المسكن، وأيضاً تختلف مسألة تنظيم النسل باختلاف ظروف كل مجتمع وكل دولة، وطبقا لثقافة كل مجتمع، كما بين فضيلته بأن تنظيم الأسرة لون من ألوان مباشرة الأسباب، وهذه الأسباب قد تنجح وقد لا تنجح، موضحاً بأن الوسائل المتبعة فى تنظيم النسل لا تتعارض مع الدين ولا مع أحكام شريعة الإسلام، وأنه لا ضرر طبقا لآراء الأطباء، كما أجاب فضيلته عن أسئلة واستفسارات الوفد وكلها تدور حول تنظيم الأسرة.

ثم أهدى فضيلته لكل أعضاء الوفد المصحف المفسر طبع الأزهر الشريف ومذكرة تنظيم النسل من تأليف فضيلته. شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر على حسن الحفاوة.

السودان يطلب المساعدة من الأزهر لنشر صحيح الإسلام

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد السفير أحمد عبدالحليم محمد سفير السودان بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف موضحاً عمق العلاقات الأخوية التي تجمع بين البلدين الشقيقين والروابط القوية والمتينة الممتدة منذ الأزل لشعبي وادي النيل، ومصر والسودان قطعة واحدة، داعياً للشعبين العظيمين بدوام الاستقرار والأمن والأمان.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء والحفاوة، وطلب إمداد السودان بعلماء من الأزهر الشريف للمشاركة مع إخوانهم العلماء في السودان في نشر صحيح الإسلام وتدريب الكوادر في السودان على أعمال الوعظ والإفتاء.

كما أبدى الضيف رغبته في زيارة فضيلة شيخ الأزهر لدولة السودان، وقد وعد فضيلته بدراسة طلباته تمهيداً لتنفيذها، وقال: إنه لا مانع لدى الأزهر من إيفاد علماء للسودان ويتم التنسيق في ذلك من خلال القنوات الشرعية المتخصصة.

الإمارات العربية تشيد بدور الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالي الشيخ محمد بخيرة الظاهري وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة.

رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف قائلاً: إن الأزهر دائماً يفتح قلبه قبل أن يفتح أبوابه للأشقاء العرب، وبخاصة دولة الإمارات العربية المتحدة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على الحفاوة التي حظى بها في مصر، وفي الأزهر الشريف، ودار الحديث حول تنسيق التعاون بين الأزهر الشريف ودولة الإمارات من حيث إيفاد العلماء والمدرسين لدولة الإمارات العربية المتحدة للمشاركة في أعمال الدعوة والإرشاد الديني مشيداً بالدور المصري البارز والأزهر الشريف ومواقفه في شرح القضايا المعاصرة في العالم الإسلامي.

من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية:

جيبوتي تطلب المعونة من الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالي الوزير/ إبراهيم إدريس جبريل وزير العدل والشئون الإسلامية بدولة جيبوتي، والسيد السفير/ محمود علي يوسف سفير جيبوتي بالقاهرة والسادة المرافقين لهما.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف في الأزهر الشريف مؤكداً على وقوف الأزهر الشريف بجانب إخوانه في قارة إفريقيا وبخاصة في دولة جيبوتي، وأوضح أن أبناء جيبوتي يدرسون في الأزهر على منح دراسية بجانب إخوانهم من أبناء مصر سواء بسواء ويلقون كل رعاية واهتمام في الدراسة والإقامة والإعاشة والعلاج، كما أوضح أن للأزهر الشريف بعثة من علماء الأزهر يقومون بتعليم أبناء جيبوتي ويقومون بالوعظ والإرشاد في المساجد.

شكر الوفد فضيلة الإمام الأكبر، مشيدين بدور البعثة الأزهرية وعلمائها فى دولة جيبوتى فى تعليم أبنائهم أمور الدين ونشر الإسلام بصورة صحيحة، وقد طلب الوفد إمداد دولة جيبوتى بالعلماء والقضاة لتنفيذ الإصلاحات فى مجال الشريعة والقانون لتطبيقه على أرض الواقع، وبخاصة لأن تعداد دولتهم حوالى مليون نسمة، معظمهم من المسلمين، كما قدم الوفد شكره وتقديره لمصر ولأزهرها الشريف للدعم المتواصل للقضية الفلسطينية والمحافظة على القدس الشريف.

وقد رحب فضيلة الإمام الأكبر بالاستجابة لطلباتهم والوقوف إلى جانب إخوانه فى دولة جيبوتى.

ثم التقى الوفد بفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف لدراسة الطلبات التى قدمها الوفد من إيفاد المتخصصين فى مجال الشريعة والقانون لتطبيق الشريعة الإسلامية بدولة جيبوتى، وكذلك إمدادهم بالكتب والمراجع الفقهية اللازمة لإنشاء مكتبة شرعية قانونية، وقد أكد السيد السفير أن خريجى الأزهر من أبناء جيبوتى حوالى خمسين خريجا من كليات الأزهر المختلفة وأنهم بصدد تعريب القوانين الفرنسية لتكون إسلامية عربية، وهم بصدد إنشاء مكتبة ضخمة ودار للإفتاء، ومركز أعلى للشئون الإسلامية، وهم يعتمدون فى ذلك على مساعدة الأزهر الشريف.

الإمام الأكبر يستقبل الصادق المهدى

استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد / الصادق المهدى رئيس وزراء دولة السودان الأسبق وذلك بمناسبة عودته للسودان.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف مشيدا بعمق الروابط المصرية السودانية التى تجمع بين القيادتين الحكيمتين والشعبين الشقيقين، وأن التعاون المثمر البناء قائم ودائم بين مصر وأزهرها الشريف وبين دولة السودان الشقيقة، وأن الطلبة السودانيين الذين يدرسون بالأزهر الشريف محل رعاية وعناية واهتمام، وهم على منح من الأزهر الشريف ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية ويدرسون فى معاهد الأزهر وكليات الجامعة، والأزهر على أتم استعداد للتعاون مع الإخوة فى السودان.

شكر الضيف فضيلة شيخ الأزهر على حسن اللقاء وأكد أنه يشعر بأنه مع أهله وذويه، وأن علاقة السودان بمصر هى علاقة إخوة أشقاء، مشيدا بدور مصر ورئيسها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك، وبدور الأزهر فى نشر العلم وصحيح الدين فى كل بلاد الدنيا، وقد طلب من فضيلة الإمام الأكبر زيادة عدد المنح الدراسية لأبناء السودان، وطلب إمداد السودان بعلماء من الأزهر الشريف لنشر الثقافة الإسلامية، وأكد على دعم أوجه التعاون فى المجالات العلمية والدينية والثقافية وأكد فضيلة شيخ الأزهر على تحقيق طلبات الإخوة فى السودان لأن السودان قطعة من مصر ومصر قطعة من السودان.

الإمام الأكبر يلتقى بوفد من السائحين الألمان

استقبل فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عبدالغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف نيابة عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف مجموعة السياح الألمان الذين يزورون مصر بغرض السياحة وللتحدث مع علماء الأزهر حول المفاهيم الإسلامية والتعرف عليها من مصادرها الأساسية وعددهم أربعون سائحا.

حضر اللقاء الأستاذ الدكتور محمد عمارة الكاتب والمفكر الإسلامي وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر وقد أوضح فضيلة وكيل الأزهر للوفد المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي وعلاقة الإسلام بالأديان الأخرى كما جاءت في القرآن الكريم وعلى لسان سيدنا رسول الله - محمد ﷺ - وموضحاً المعاهدات التي حافظ عليها المسلمون ولم ينقضوها.

وأوضح الدكتور محمد عمارة بأن المسلم دائماً يتمسك بتعاليم دينه ويحترم الأديان الأخرى وأشار إلى أن سفير ألمانيا في المغرب ألف كتاباً أوضح فيه بعض مفاهيم الدين الإسلامي وذلك بعد اعتناقه الإسلام وأجاب فضيلته عن بعض أسئلتهم واستفساراتهم.

وفي نهاية اللقاء حظى الوفد بلقاء فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الذى قام بالترحيب بهم فرداً فرداً.

الإمام الأكبر يؤكد:

القرآن الكريم أساس التعليم الأزهرى

برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتمع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر، لمناقشة جدول الأعمال والتصديق على ميزانية العام السابق، ثم مناقشة موقف المعاهد الأزهرية التى قام الأزهر بترميمها، والمعاهد التى وضعت فى الخطة، وذلك لإعادة تشغيلها طبقا للتحديث الذى اتخذه الأزهر من مبان تتضمن توفير الجو النفسى لمزيد من التحصيل للطلاب ولمزيد من العطاء للمدرسين وذلك للارتقاء بالعملية التعليمية على أسس حديثة، كما تم مناقشة تطوير المناهج الدراسية وتبسيط المعلومات ليعم النفع جموع الطلاب والطالبات، وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر أنه لابد من عمل البرامج التعليمية المتطورة مشيداً بما اتبع فى حفظ القرآن الكريم، حيث تم تسليم أشرطة تسجيل القرآن الكريم بصوت المرحوم الشيخ محمود خليل الحصرى، لجميع المعاهد الأزهرية، لتعاون الطلاب على حفظ كتاب الله الكريم.

وقد أكد فضيلته على أهمية هذا الأمر حتى يتعلم الطالب القراءة الصحيحة للقرآن الكريم لأنه الأساس فى التعليم فى الأزهر الشريف.

كما أشاد المجلس بالتطور الذى حدث فى بعض المعاهد فى المحافظات من إدخال الحاسب الآلى والكمبيوتر تمهيداً لتطوير أسلوب التعليم فى جميع المعاهد الأزهرية.

وأكد فضيلة الشيخ وكيل الأزهر بأن الخطوات التى اتخذت لاستقرار العملية التعليمية والتى منها عدم نقل المدرسين أثناء العام الدراسى قد أتت بنتائج إيجابية ملموسة، وأن الدورات التدريبية للمدرسين تسير وفق الخطط الموضوعة وأكد على انتظام الطلاب فى الحضور حتى انتهاء الفصل الدراسى الأول، وأكد على استمرار ممارسة الطلاب للأنشطة الرياضية المختلفة فى المعاهد.

وقد أجمع السادة الأعضاء برياسة فضيلة الإمام الأكبر على تقديم رسالة شكر للسيد الرئيس / محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية هذا نصها:- السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس الجمهورية . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته - وبعد ..

المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالمعاهد الأزهرية المنعقد برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يحيى جهود سيادتكم المباركة، والموقفة لدعم إخواننا الفلسطينيين فى قضيتهم العادلة وحشد الجهود والطاقات العربية لنصرتهم، ويؤيدون من قلوبهم مساعيكم الحميدة وما تقدمون من عمل طيب لقضايا الحق والعدل. أمدكم الله بمدد من عنده وسدد خطاكم وأنجح إلى الخير مسعاكم .

٢ من شعبان ١٤٢١ هـ الموافق ٢٩ من أكتوبر ٢٠٠٠م.

شيخ الأزهر الشريف

الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

تبرعــات من الأزهــــر لدعم الانتفاضة الفلسطينية

برياسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتمع المجلس الأعلى للأزهر يوم السبت أول شعبان ١٤٢١هـ ٢٨ / ١٠ / ٢٠٠٠م ووافق على تبرع جميع العاملين بالأزهر الشريف والسادة أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم والعاملين بجامعة الأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر التبرع بأجر يوم من رواتبهم لدعم الانتفاضة الفلسطينية.

حضر الاجتماع فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف، والأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسادة نواب رئيس الجامعة وفضيلة الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة رئيس الإدارة المركزية للعلاقات والإعلام والسادة الأعضاء.

دورات تدريبية لعلماء العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف حفل تخرج الدورة التدريبية رقم ٥٠ لائمة ودعاة العالم الإسلامى بمدينة البعوث الإسلامية وعددهم ٣٠ إماما وواعظا من دول: ساحل العاج، تشاد، الفلبين، نيجيريا، جيبوتى، النيجر، وذلك بقاعة الاجتماعات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف، وقد استمرت الدراسة ثلاثة أشهر اعتبارا من ١ / ٨ / ٢٠٠٠ تلقوا خلالها العلوم والمعارف والتدريب على أعمال الفتوى على أيدى السادة أصحاب الفضيلة علماء الأزهر الشريف وأساتذة جامعة الأزهر.

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة هنأهم فيها على اجتيازهم الدورة بنجاح وتفوق مثل إخوانهم فى الدورات التدريبية السابقة، وحثهم على مواصلة الاطلاع والمواظبة على حفظ كتاب الله، وأكد على أن يلتزموا فى فتاواهم بالاعتدال والتوسط وألا يشقوا على الناس فالدين يسر لا عسر ودين تبشير لا تنفير، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لأن الله يقول فى كتابه الكريم:

﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

وأن يكونوا رسل سلام ومحبة ينقلون إلى الناس ما تعلموه في بلادهم، وأن تكون فتاواهم بعيدة عن التعصب أو الانحياز لمذهب معين، لأن الإسلام دين الوسطية والسماحة واليسر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكونوا على صلة وتواصل بالأزهر الشريف ومصر كنانة الله في الأرض.

ثم قام فضيلته بافتتاح الدورة (٥١) لأئمة ودعاة ووعاظ العالم الإسلامي والبالغ عددهم ٢٩ إماما من دول: فلسطين، بنجلاديش، ماليزيا، المالاديف، مالاوى، تايلاند.

حضر الحفل فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر، وفضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجور الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية، وفضيلة الشيخ علي أبوالحسن الأمين العام المساعد للدعوة والإعلام الديني بالأزهر، وفضيلة الشيخ عبدالخالق نصير الأمين العام للجنة العليا للدعوة، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسي رئيس الإدارة المركزية للعلاقات والإعلام، والسادة علماء الأزهر وسفراء الدول التي يشارك علماؤها في الدورة.

الإمام الأكبر:

الأمم في هذا العصر تتباهى بالتقدم العلمي

بحضور ورعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر نظم مركز الاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر المؤتمر الدولي للسكان بعنوان (السكان والصحة الإنجابية وقضايا النوع الاجتماعي من منظور إسلامي) بالاشتراك مع المركز الدولي الإسلامي للدراسات والبحوث السكانية بالجامعة والمنظمة الإسلامية للتربية العلوم والثقافة (إيسسكو) الرباط ـ المغرب.

وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أن الأمم في هذا العصر لا تتباهى بكثرة عدد أفرادها ولا باتساع أراضيها وإنما تتباهى بالتقدم العلمي وبكل ما من شأنه أن يجعلها قوية بين الأمم، وقال: إن تنظيم الأسرة أصبح من الأمور المسلم بها عند العقلاء، وهو ليس بالتحديد أو الإلزام، وإن هذه القضايا لا تعالج بالقوانين، وإنما بالإقناع المستمر الخالص لوجه الله –عز وجل– وعندما نقول بتنظيم الأسرة نقول –أيضا– إن الإجهاض في غير الضرورة التي قررها الأطباء حرام شرعاً، والأمر كذلك بالنسبة للتعقيم، وتنظيم الأسرة هو الاعتدال والوسطية بأن يتفق الزوجان على اتخاذ وسائل معينة يقرها الأطباء المتخصصون لإطالة فترة الحمل بين الطفلين، وقال فضيلته: إن غرس مكارم الأخلاق في نفوس الأبناء منذ الصغر والتربية السليمة يعتبر من الضرورات التي تستلزم تنظيم فترة الحمل.

وأشاد الدكتور إسماعيل سلام وزير الصحة بدور الأزهر وجامعته في إنشاء مراكز متخصصة تقدم العلم في الإطار الإسلامي وفي قيادة التعليم الطبي المستمر مؤكداً على دور الوزارة في تقديم الخدمات الصحية والعلاج للمرأة في الريف ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.

وأوضح الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ورئيس شرف المؤتمر على أهمية التعاون العلمي بين علماء الطب والدين، لأن الإسلام هو دين العلم ولا يتعارض مع العلم النافع لعلاج الأمراض من خلال ضوابط أخلاقية وطبقا

للشريعة الإسلامية التي فيها صلاح البشرية في الدنيا والآخرة.

وصرح الدكتور جمال أبوالسرور عميد كلية الطب ورئيس المؤتمر بأن بحوث المؤتمر ركزت على مشكلات المجتمع والأسرة وطرق معالجتها والتغلب عليها بالوقاية وتوعية الجماهير بمدى خطورتها، وضرورة القضاء عليها، وكيفية تنشئة البراعم ليكونوا صالحين، وأكدت توصيات المؤتمر على أهمية إعادة النظر في المقررات المتعلقة بالصحة الإنجابية لإضافة بعد اجتماعي وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ومراعاة الضوابط الإسلامية في تدريب مقدمي خدمات الصحة الإنجابية وتعزيز دور الأسرة والمربين والدعاة والعاملين في هذا المجال، ونشر المفاهيم الإسلامية التي أكدت على أن حسن المعاشرة بين الزوجين أساسه المودة والرحمة كما أوصت بضرورة إنشاء مراكز قومية للمعلومات وقواعد بيانات متكاملة تتضمن كافة المعلومات المرتبطة بالأنشطة العلمية والسكانية والبحثية بالدول الإسلامية، كما نادت بزيادة التعاون بين علماء الدين والمنظمات والهيئات المعنية، والتأكيد على أن التربية الإسلامية مطلب ضروري للحياة، ويجب تعزيز دور الأسرة في التربية الإسلامية، والعمل على تنقية البرامج الإعلامية من كل ما يفسد السلوكيات ويؤثر على الأسرة سلبيا، وأهمية إسهام القيادات الدينية في برامج التوعية بالصحة الإنجابية وإعداد مدرسي التربية الدينية للمشاركة بتدريس مفاهيم التربية السكانية.

مهام وعظية لعلماء الأزهر في رمضان

● صدر قرار فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي بالموافقة على سفر عدد من السادة أصحاب الفضيلة العلماء بالأزهر الشريف إلى الدول الإسلامية والأوروبية والأمريكية والأسيوية والإفريقية وذلك في شهر رمضان المعظم للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية.

ترقيات

بناء على ما عرضه فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر صدر قرار رئيس مجلس الوزراء:

● يعين فضيلة الشيخ عبدالكريم محمد عبدالرحمن عبدالهادي أميناً عاماً للمجلس الأعلى للأزهر الشريف بالدرجة الممتازة لمدة سنة.

● ويعين في الوظيفة الموضحة قرين اسمه بالدرجة العالية بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من السادة:

– محمد أحمد أبو المعاطي يونس - الأمين المساعد للبعوث الإسلامية (اعتبارا من ١٣/١٢/٢٠٠٠).

– عبدالعزيز عبدالقوي إبراهيم عيسى - وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون التعليم.

– عبد العزيز سيد مهدي يوسف - الأمين المساعد للشئون المالية.

– موسى علي قوشتي عيسى - رئيس الإدارة المركزية لمنطقة أسيوط.

● يعين في الوظيفة الموضحة قرين اسمه بدرجة مدير عام بالأزهر الشريف لمدة سنة أو حتى تاريخ بلوغه السن القانونية المقررة لترك الخدمة أيهما أقرب كل من السادة:

– محمد صالح محمد بشناق - وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بالإسكندرية.

- محمد عبدالرحمن على عباس ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بالقاهرة .
- عبد المجيد أحمد على الزقاقى ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بالدقهلية .
- محمد جمال الدين السيد أحمد ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية .
- محمود عبدالغنى السيد فرحات ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية .
- محمد عبد اللطيف عبد الجواد عوض ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بالمنيا .
- أحمد محمد عبد الوهاب عبد الفتاح ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للعلوم الدينية والعربية بالإسماعيلية .
- كمال صالح صالح شلبى ـ مدير عام الإدارة العامة للتنسيق .
- صالح على اسماعيل رضوان ـ مدير عام الإدارة العامة للتنظيم والإدارة .
- محمود عيسى عبد القادر عوض ـ مدير عام الإدارة العامة للعلاقات العامة الداخلية .
- محمد فوزان عوض حمد مهيوب ـ مدير عام مكتبة مجمع البحوث الإسلامية .
- أحمد عبد العزيز عبد القادر أحمد ـ مدير عام التعليم النوعى .
- حامد محمد محمود البشرى ـ مدير عام الإدارة العامة لشئون الخريجين .
- معاطى محمد معاطى عامر ـ مدير عام التوجيه الفنى للتعليم الثانوى .
- عبد الصبور أمين عبد الرازق هيكل ـ مدير عام التوجيه الفنى للتعليم الإعدادى .
- السيد العراقى شمس الدين أبو اسماعيل ـ مدير عام البحوث والتأليف والترجمة .
- الطاهر محمد أحمد الطاهر ـ مدير عام مجلة الأزهر .
- عبد الصبور إبراهيم حسن شلبى ـ مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالقاهرة .
- فتحى شحاتة حسن رحيم ـ مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالإسكندرية .
- حسن على حسن نصار ـ مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالقليوبية (اعتبارا من ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٠) .
- أحمد نور الدين محمد محمد أحمد ـ مدير عام منطقة الدعوة والإعلام الدينى بالشرقية .
- محمد على عبد الله موسى ـ مدير عام منطقة أزهرية (ب) بالوادى الجديد .
- إبراهيم عبد الرحمن على محمد ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالقاهرة (اعتبارا من ١٨ / ١١ / ٢٠٠٠) .
- عطا الله محمد محمد أحمد عطا الله ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالبحيرة .
- محمد عبيد يوسف عبيد ـ وكيل منطقة أزهرية (أ) للمواد الثقافية ورعاية الطلاب بالدقهلية .
- محمود زكى مصطفى البحيرى ـ شيخ معهد ثانوى (أ) « معهد الأحمدى الثانوى الأزهرى للبنين بطنطا » .
- بدوى عبد المعطى بدوى زايد ـ شيخ معهد ثانوى (أ) « معهد المنصورة الثانوى الأزهرى للبنين » .

من أنباء العالم الإسلامي

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد (*)

ارتفاع عدد شهداء انتفاضة الأقصى لمائتي شهيد

القدس المحتلة واشنطن ـ وكالات الأنباء:

استمرت المواجهات الدامية بين المواطنين الفلسطينيين وقوات الاحتلال الاسرائيلي في الأراضي الفلسطينية وقد استشهد أربعة فلسطينيين خلال هذه المصادمات وأصيب نحو عشرين فلسطينيا آخرين بجراح وأعلن الجيش الإسرائيلي أن تبادلا لإطلاق النار وقع بين الفلسطينيين وقوات الجيش في مناطق متفرقة بقطاع غزة والضفة الغربية.

وقد استشهد الشاب الفلسطيني محمود كامل (١٨ عاما) برصاص جنود الاحتلال خلال مواجهات قرب خان يونس في قطاع غزة.. واستشهد ثلاثة بينهم أحد قادة حركة فتح عندما قصفت طائرة هليكوبتر إسرائيلية سيارة فلسطينية في بلدة بيت ساحور.

وبذلك يرتفع عدد الشهداء الفلسطينيين منذ اندلاع انتفاضة الأقصى في ٢٨ سبتمبر الماضي إلى مايزيد على ١٩٥ شهيدا وزعم متحدث إسرائيلي أن عدداً من مواقع الجيش الإسرائيلي والمستوطنات اليهودية في الضفة وقطاع غزة تعرض لهجمات بالرصاص من قبل الفلسطينيين وأن إسرائيلياً كان يقود سيارته على أحد الطرق في الضفة الغربية أصيب بجراح خلال هذه الهجمات وذكر راديو إسرائيل أن مستوطنة بساجوت ومعسكر عوفير القريبين من رام الله وفي محيط الخليل تعرضا لهجمات بالرصاص، كما دارت مواجهات بالرصاص بين الإسرائيليين والفلسطينيين بالقرب من مستوطنة جوش قطيف ومدينة خان يونس في قطاع غزة وفي ضوء تصاعد حدة العمليات المسلحة قرر الجيش الإسرائيلي منع الإسرائيليين من تنظيم احتفال ديني والصلاة أمس عند قبر راحيل الواقع قرب مدخل بيت لحم بالضفة الغربية وقرر الجيش اعتبار المنطقة منطقة عسكرية مغلقة بعد أن تلقى تحذيرات باحتمال وقوع مصادمات خلال هذا الاحتفال اليهودي وقد حاول الإسرائيليون الدخول للموقع بالقوة إلا أن الجنود منعوهم وقاموا بإجلائهم عن المكان.. في الوقت نفسه قام الجيش الإسرائيلي بهدم عدة منازل في قرية الشواكة شرق مدينة رفح على الحدود الفلسطينية المصرية.

(*) مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة.

إسرائيل تفخر بماضيها في حرب العصابات

القدس المحتلة - أ. ف. ب:

حذرت إسرائيل الفلسطينيين أمس من اللجوء «لحرب العصابات» وقالت: إنهاء «بطل العالم» في هذا المجال وقال إفرايم سنيه نائب وزير الدفاع الاسرائيلي في تصريحات لشبكة تليفزيون «سي. ان. ان» الامريكية إن الانتفاضة الفلسطينية ليست حركة شعبية.. وقال إن ما نشهده اليوم هو حرب عصابات. وأضاف محذراً الفلسطينيين «نحن أبطال العالم في هذه اللعبة» وأشار إلى الهجوم الذي شنته طائرة هليكوبتر إسرائيلية وقتل احد قادة فتح في بلدة بيت ساحور.

زعماء العالم الإسلامي يبحثون سبل حماية الأقصى

الدوحة - وكالات الأنباء

عقد مؤتمر القمة الاسلامية يوم الأحد الموافق (١٢ نوفمبر ٢٠٠٠) في مدينة الدوحة عاصمة قطر.. لبحث القضية الفلسطينية والإصرار على أن تكون مدينة القدس العربية عاصمة لفلسطين.. إلا أن بعض الدول الإسلامية كانت قد طالبت قطر بضرورة قطع صلتها بإسرائيل قبل موعد انعقاد مؤتمر القمة الإسلامية.

هذا وقد أعلنت دولة قطر إغلاق مكتب التمثيل التجاري الإسرائيلي بالدوحة وصرح مصدر قطرى مسئول بأن هذا القرار جاء انطلاقا وحرصا على نجاح القمة الإسلامية بالدوحة وتعزيزا للتضامن الإسلامي.

وقد أشاد د. عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية وعمرو موسى وزير الخارجية وفاروق الشرع وزير الخارجيةالسورى ونبيل شعث وزير التعاون الدولى الفلسطيني بقرار قطر بإغلاق مكتب التمثيل التجارى الإسرائيلي ووصفوه بأنه قرار سليم وخطوة جيدة.. ويمثل رسالة لإسرائيل.

وقد افتتح المؤتمر سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى أمير دولة قطر، وقرر المؤتمر تدعيم قرارات القمة العربية التي عقدت في القاهرة كما بحث المؤتمر تدعيم السلطة الفلسطينية لتحرير المسجد الأقصى وأرض فلسطين وتوفير الاعتمادات اللازمة لأسر الشهداء من أبناء فلسطين.

ومن المسائل التي عرضت على المؤتمر توفير الاعتمادات اللازمة لتشغيل ابناء فلسطين والذين منعتهم إسرائيل من العمل داخل أراضيها بسبب الانتفاضة.

هذا وقد خرجت القمة الإسلامية ببيان ختامى، وينتظر بدأ تنفيذ بنود هذا البيان فور الانتهاء من اعمال المؤتمر.

حول الوجود السورى العسكرى فى لبنان

بيروت - أ. ش. أ:

حسم الرئيس اللبناني العماد إميل لحود الجدل القائم حول قضيتي الوجود السورى العسكرى في لبنان وإرسال الجيش اللبنانى إلى الجنوب والذى أثارته المناقشات البرلمانية لبيان الحكومة الجديدة.. وأكد الرئيس اللبنانى أن انسحاب القوات السورية من لبنان رهن بالتوصل إلى سلام عادل وشامل في المنطقة وقال «إننا بحاجةإلى سوريا وسوريا بحاجة إلينا».

richesse,l' argent et la gloire terrestre qu'ilapporte à son auteur et malgré tout ce qu'il apporte comme honneurs,prix et médailles.

Combien d'œuvres d'art qui ne sont en fin de compte qu'un divertissement,une perte de temps et une perte de vie.Combien de poèmes magistralement structurés qui ne sont que des œuvres de galanterie et de louange envers un souverain despote,une satire rythmée,une fatuité ostentatoire ou une d'apothéose qui n'a pas de sens.C'est un art éclatant,fait de paroles charmeuseses qui ne sont en fait que des péchésque leur auteur souhaitera n' avoir jamais prononcées et une souillure dont il souhaiterait être purifié.

Traduit par

Zeinab Hassan

terrestres comme de la beauté et que son auteur est illustre.Mais les mesures dans ce monde sont parfois trompeuses,et toujours continuellement changeantes.Combien de millions faisaient parti du cortège funéraire de Staline ; combien d'ouvrages ont mentionné sa gloire, combien d'articles ont exalté sa majesté et combien de statues sont élevées à sa gloire et de pièces de monnaie frappées à son image.Ensuite les taux de mesure ayant changé,le personnage glorifié est devenu maudit et celui qui était honoré est rejeté.Et nous ne savons pas ce qui peut demain arriver dans ce monde où la bourse des valeurs de l'art est encore plus étrange.

Récemment un tableau de Van Gogh a été vendu à quarante millions de dollars, lui qui,durant sa vie avait essayé de le vendre au prix d'une bouchée de pain sans trouver preneur…Picasso est mort en pleine gloire ,mais nous ne savons pas ce que les artistes dans cent ans diront eux-mêmes de ses œuvres.Le plus probable c'est qu'elles seront considérées pour la plupart comme des essais absurdes.

Il reste un seul taux de mesure qui ne faute ni ne se trompe jamais dans l'évaluation des œuvres humaines, quelles soient artistiques ,spirituelles,philosophiques,politiques ou sociales,et c'est celui que nous apporte le Coran…[.. "l'écume (du torrent et du métal fondu) s'en va, au rebut,tandis que (l'eau et les objets) utiles aux hommes demeurent sur la terre".]…(Sourate"Arra 'd" -Le Tonnerre -17)…L'art constructif est celui qui demeurera pour son créateur comme une bonne action en ce monde et dans celui de l'au-delà;tandis que l'art nuisible , destructeur et avilissant il est rabaissant et ruineux malgré toute la

Cela n'est pas un sujet qui concerne la religion, mais un sujet primordiale de science sociale... A l'artiste qui me demande si ce qu'il fait est licite ou illicite je dis: "Je ne peus pas te répondre,mais ton cœur peut".Demande toi si ce que tu fais est utile et bienfaisant aux gens,ou bien leur est -il nuisible?... Tu sauras où tu en es".

Il n'est pas défendu que l'artiste gagne et s'enrichit,mais il doit le faire par le moyen d'œuvres qui bénificient à ses lecteurs et à ses spectateurs et les enrichissent. L'argent que prend celui d'entre eux qui abaisse les lecteurs et les spectateurs ne peut être considérée comme un gain, mais comme un vol.A celui qui demande s'il y a un art médiocre ,et comment on le classe dans la catégorie de l'art s'il est médiocre je dis que oui il y en a et cela ne peut être empêché.Car l'art est une habileté et un talent qui peuvent être utilisés pour le bien ou le mal.Il est comme la force physique,la vue et l'ouïe perçants ; la vivacité et l'intelligence d'esprit qui sont des talents employés parfois au service du bien et d'autres à celui du crime.

L'artiste arrive à être parfois démoniaque et il l'exprime dans ses œuvres.Il y a des œuvres d'art mondiales suintant le pessimisme et la rancœur,d'autres qui vibrent d'agressivité,qui poussent à l'anarchie ou qui invitent au matérialisme, à l'athéisme, à la contestation ,et à la mécréance.Les auteurs de ces œuvres sont des artistes d'une réputation mondiale qui ont reçu des prix et des médailles... Ils sont illustres, ils ont une grande de renommée et un publique d'admirateurs... Ils ont des yauchts et des châteaux. Cet art négatif compte pour "Allah" comme un péché ,bien qu'il soit considéré d'après les lois

dans les rues.Et parce que l'art pénètre aujourd'hui chez nous furtivement ,de sous la porte,au moyen du journal de tous les jours et du livre,et qu'il se glisse dans nos chambres à coucher avec la télévision et la cassette,il s'est transformé en un moyen d'éducation infernal pour déformer les générations, les détruire et leur faire un lavage de cerveau. L'artiste est maintenant capable de tuer ,perdre et détruire une nation,comme il est capable de lui redonner la vie et de la ressuciter.Et ,parce que l'art est une arme dangereuse il n'est pas juste de lui donner la pleine libertée.Cette libertée réclamée par l'art et l'artiste n'est pas valable .L'artiste est un homme libre mais responsable.Comme pour le porteur de n'importe quelle arme, elle doit lui être soutirée si elle est mal utilisée.Si l'artiste nous demande de le protéger ,les spectateurs et les lecteurs qu'on compte par millions ont aussi le droit de l'être contre la médiocrité qu'on leur expose.Le mot artiste ne signifie pas l'immunité contre l'interrogation ni l'invulnérabité.Au contraire il signifie la responsabilité. Le tribunal de la critique et l'épée de la censure sont une protection nécessaire aux citoyens.

La télévision mérite encore plus de précautions parce qu'elle a une influence directe sur le bébé, l' enfant, l'adolescent, les malades dans leurs lits et les jeunes gens dans leur solitude.La télévision a besoin d'une assemblée de sages qui arrêtent ce flot de films et de présentations vulgaires, de chansons déchues, des dialogues médiocres et de danses obscènes.

Est-ce que l'art est illicite?

L'art est l'un des dons qui distinguent l'homme et une faculté qui lui est propre comme la parole ,la réflexion et la liberté de choix.Il est en effet le seul animal qui parle, pense et invente.L'art est la manifestation dans l'esprit humain des dispositions des plus beaux attributs divins qui sont: "LeCréateur,L'Innovateur,Le Sage,L'Omniscient".Car,par la grâce d' "Allah" il est capable de sagesse, de science,de création etd'innovation....C'est comme "L'Audiant" qui se manifeste dans l'ouie de l'homme, " L'Omnivoyant" dans sa vue, "L'Innovateur" dans son invention et "Le Créateur" dans sa création artistique...Tous les arts sont des talents naturels et innés qui représentent... quelques uns des dons et des grâces d' "Allah".

Mais l'homme, qui est né libre ,électique,pécheur et révolté, n'utilise pas toujours ce talent pour le bien.Il le fait dévier vers les caprices,les désirs et les passions, vers la recherche du gain et de la renommée, pour mal ou bien influencer les autres.Nous avons vu au cinéma que, l'art qui est sensé modeler les sentiments,en fait un jouet et un passe temps;et nous avons vu que la poésie qui élève l'esprit, l'a abaissé au contraire avec elle et a entâché les sentiments,et que la musique aussi, qui peut nous mener aux limites de la beauté et de la contemplation,nous l'avons vue nous faire chuter vers la danse burlesque et les chimpanzeries. Nous pouvons dire même plus que cela des pièces de théâtre inconsistentes,des dialogues grossiers, des scènes triviales...et des présentations honteuses

Lorsque Sa'd ibn 'Abada, l'Ançarite vint apportant du pain et de l'huile, le Prphète -b.s.- en mangea puis fit pour Sa'd les invocations suivantes : « Qu'Allah fasse de ta demeure un lieu où le jêuneurs trouvent de quoi rompre leur jêune,que les vertueux mangent de ta nourriture et Que les Anges prient pour toi. »

On dit que 'Abdullah ibn 'Abbas fut le premier à donner à manger (pour le repas de la rupture du jêune :Al Iftar) à ses voisins et le premier à dresser des tables dans la ruepour donner à manger aux passants.

Il est vrai quee les Arabes avant l'Islam étaient réputés pour leur générosité et leur hospitalité ;puis la Chari'a islamique vint inciter les musulmans à traiter leurs hôtes avec hospitalité. Ainsi 'osman ibn 'Affan -qu'Allah soit satisfait de lui- préparait pour les gens deux repas par jour ,l'Iftar et le Suhur (repas du milieu de la nuit fait avant la journée de jêune qui commençait avec l'aube).

De même plus tard Ahmad ibn Tulun en Egypte prévoyait des repas pour les jêuneurs et il était heureux de voir les gens manger à sa table ;il les autorisait même à emporter avec eux des viandes et des fruits. Après lui les Fatimides avaient coutume d'ouvrir les portes de leurs palais et d'installer de grandes tentes afin que les jêuneurs viennent y prendre le repas de l'Iftar durant tout le mois de Ramadan.Tous ceux qui vinrent en Egypte après les Fatimides conservèrent cette coutume jusqu'à
nos jours .

Plusieurs versets du Coran incitent le muslman à donner à manger qu'ils soient des proches ou des nécessiteux. Les Compagnons du Prophète-b.s.-disait que le fait de se réunir autour d'un repas est un signe de haute qualité morale.

Le Messager d'Allah -b.s.- nous a appris que la nourriture qu'Allah préfère c'est celle vers laquelle beaucoup de mains se tendent.

Rappelons enfin ,à l'occasion de l'arrivée du mois de Ramadan que les meilleurs banquets du Miséricordieux sont ceux où la nourriture est simple mais proprement présentée et où les pauvres et les nécessiteux sont honorablement traités.

A l'occasion du mois de Ramadan
Les Prières Nocturnes et les Banquets du Miséricordieux.

Par Dr. Rokeya GABR

Le prophète Muhammad-à lui bénédiction et salut-a dit :"Celui qui prie durant les nuits du mois de Ramadan avec ferveur en espérant une rétribution divine,Allah luipardonnera ses péchés antérieurs.»

En effet la Prière Nocturne –Salat at-Tarawih –faite durant tout le mois de Ramadan est une Sunna assurée aussi bien pour les hommes que pour les femmes. Elle est considérée comme étant l'un des plus grands actes de dévotion par lesquels le Musulman essaye de se rapprocher d'Allah. Le Messager d'Allah- à lui bénédiction et salut- recommandait expréssément aux musulmans de l'accomplir ;sans toutefois les obliger comme il le faisait pour les prières prescrites.

Après la mort du Messager d'Allah-b.s.-AL Bukhary rapporte d'après 'Abdul Rahman ibn Abd Al Qari que ce dernier a dit : »Comme j'étais sorti avec 'Umar ibn Al Khattab pour me rendre à la mosquée par une nuit du mois de Ramadan nous vîmes les gens prier en groupes dispersés ,chacun priant séparément ou bien un homme priant (avec) derrière lui un petit groupe de fidèles de trois à treize personnes.Alors 'Umar dit : Je pense que si je groupais tous ceux-ci derrière un seul Imam ,ce serait préférable .Puis il décida de faire ainsi et les groupa tous(pour faire la prière en commun) derrière Abu ibn Ka'b. »

Comme Ibn Abu Salama interrogeait 'Aicha-qu'Allah soit satisfait d'elle-sur la manière dont le Prophète accomplissait la Prière des Tarawih au cours du mois de Ramadan ,elle lui dit :

« Il ne dépassait pas durant le mois de Ramadan-ni durant les autres mois- le nombre de onze Rak'as(unités de prières). Il accomplissait une prière de quatre Rak'a puis une autre prière de quatre rak'as très prolongées et à la perfection (par son recueillement).Ensuite il accomplissait trois rak'as. »

Il est certes préférable d'accomplir cette Prière (Salat at-Tarawih) en assemblée et dans la Mosquée sauf pour ceux qui sont incapables de le faire :ceux-là ainsi que les femmes sont autorisés à l'accomplir à la maison.

Les Banquets du Miséricordieux

A l'aube de l'Is'lam et après que le jêune fut prescrit aux musulmans,la coutume de dresser des tables et un repas pour nourrir ceux qui jêunent à l'heure de l'Iftar(la rupture du jêune) .cette coutume renferme certes des principes et une éthique appelant à l'entr'aide sociale en donnant l'exemple du secours apporté à celui qui est dans le besoin et en offrant la nourriture à celui qui a faim,avec l'espoir d'obtenir la rétribution divine comme Allah-gloire à Lui l'a dit : « Pour l'amour d'Allah ils nourrissent le nécessiteux,l'orphelin et le captif.(ils disent) :en fait nous vous nourrissons pour l'amour d'Allah et nous n'attendons de vous ni récompense ni gratitude »

REVUE
AL AZHAR
Section Francaise

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ
أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا
اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

"The month of Ramadan is that in which the Qur'an was revealed, a guidance to men and clear proofs of the guidance and the Criterion. So whoever of you is present in the month, he shall fast therein, and whoever is sick or on a journey, (he shall fast) a (like) number of other days. Allah ease for you, and He desires not hardship for you, and (He desires) that you should complete the number and that you should exalt the greatness of Allah for having guided you and that you may give thanks."

(The Cow, 185)

The beginning of Ramadan becomes official when the new crescent is seen. Its end is officially fixed when the new crescent of the next month (Shawwal) is seen. While fasting a Muslim should do his best to be active and perform his regular jobs. He should not waste the time in laziness and sleep.

Things which Spoil the Fast

1. Deliberate eating, drinking and vomiting.
2. Indulgence in sexual intercourse.
3. Obsence or falsehood speech.
4. Lying

Exemptions From the Fast

Women in menstraution, or in childbirth bleeding.

Persons on sick or a journey.

Islam is a Moderate Religion

Islam is a realistic religion. It acknowledges the desires of the human being but in the meantime helps him to control them. A Muslim is allowed to satisfy all his bodily desires from sunset till dawn. He is permitted to eat whatever he wishes.Meat is not prohibited because it provides the body with the required Ammonia Acids that are not available in any kind of plants. In fact, Ammonia acids protect the human body against diseases.

Conclusion

This is the true picture of fasting in Islam. Fasting enjoys in the eyes of Allah, a grace unparalleled by other acts of worship. In a Qudsi Hadith (utterance attributed to Allah outside of the Qur'an), Allah says :

"Fasting is Mine and it is I who give reward for it. (A man) gives up his sexual passions, his food and his drink for My sake.

Fasting is like a shield and he who fasts has two joys : when he breaks his fast and a joy when he meets his Lord. The change in the breath of the mouth of him who fasts is better in Allah's estimation than the smell of musk.

(It was related by Al-Bukhari, Muslim, Malik, Attirmidhi, Annasai and Ibn Majah.

Reference "

An article by Dr Afifi Mahmoud Afifi, Al-Azhar Magazine (Ramadan 1420 - December 1999).

Fasting in Brief

By : Hanan Abdou El Tahtawy

Fasting is a mean of controlling human bodily desires for the purification of the soul. Abstaining from the basic needs of life like food, drink and sex for some time daily (from dawn to sunset) strengthens one's will. The opportunity is ripe then for whoever has got used to bad habits (like coffee drinking, smoking, etc) to give them up after the month of Ramadan. It also makes the rich feel the pain endured by the poor. Apart from that it is one way of showing submission to the Creator. In fact, fasting is a very specific form of worship. It is something between the Muslim and his God and no one knows of it except Allah.

A great health advantage is involved in fasting. An empty stomach throughout the day ensures rest for the body. In that way the body becomes more efficient. This is better than one's being uninterruptedly engrossed in eating and drinking.

Fasting is there in other religions but in a different way of course. It raises the human being high to reach the standard of angels. When fasting was first imposed on the early Muslims, they did not come near their wives, which was hard for some of them. Allah knew what they felt and revealed the Ayah :

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾

"It is made lawful for you to go in to your wives on the night of the fast."

(The Cow, 187)

The Ayah goes on and tells Muslims to eat and drink, as they like until dawn. Here, it is understood that Muslims used to eat only one meal after sunset.

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ
ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾

"... and eat and drink until the whiteness of the day becomes distinct from the blackness of the night at dawn, then complete the fast till nightfall,....

(The Cow, 187)

In that case fasting took its final form, which stayed the same until this day and will remain until the last day on earth.

When should a Muslim Fast?

Allah commanded Muslims to fast during the month of Ramadan. This was prescribed in the second year of the Hijra. Ramadan is the glorious and blessed month during which the Qur'an was revealed to prophet Muhammad (P&BUH) Allah stated:

AL-AZHAR MAGAZINE
Ramadan1421 H.

ENGLISH SECTION
Dec. 2000

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."
(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.
Dept. of English Language and Translation
Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine

الفهرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

المشرف العام

رئيس التحرير

عبد المعز عبد الحميد الجزار

مدير عام التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدى

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / إدارة الأزهر / القاهرة

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

فى رحاب الحج

الحمد لله الذى أرشدنا إلى حج بيته الحرام، وزيارة نبيه سراج الأنام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، سيد الرسل الكرام، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأئمة الأعلام.

«وبعـــد»

فإن الحج رحلة روحية تتطلع إليها نفوس المحبين، وقلوب العاشقين، والحج من أفضل العبادات المالية والبدنية، وهو بهذه الكيفية من خصوصيات الأمة المحمدية، وهو أحد قواعد الإسلام الخمس ومعلوم من الدين بالضرورة، ويكفر جاحده، ولا يجب فى العمر إلا مرة واحدة، لأنه - ﷺ - لم يحج بعد فرض الحـ - إلا مرة واحدة، وهى حجة الوداع، ومثلـ سمرة. والأصل فيه قبل الإجماع قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1].

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[2].

﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[3].

﴿ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ﴾[4].

﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (١٩٦) ﴾[5]

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: «سئل – ﷺ – أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[6]. وعن عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها– أنها قالت: يا رسول الله: نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: «لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»[7].

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال سمعت رسول الله –ﷺ– يقول: «من حج فلم يرفث ولم يفسق، رجع كما ولدته أمه»[8].

وعلى هذا فإن من أراد الحج فعليه أن يتجرد بالتوبة عما يغضب الله، ذاكرا أنه إنما قصد بيت الله ليغسل عن قلبه أدران النفس وأقذارها ويطهرها من الكبر والرياء وغير ذلك، وأن يستحضر جلال الله وعظمته في كل موقف من مواقف الحج، فإذا دخل في الإحرام أدخل نفسه باب التوبة والإنابة وخلع عنها قبائح

---

(١) آل عمران – ٩٧.
(٢) البقرة – ١٩٧.
(٣) البقرة – ١٥٨.
(٤) البقرة ١٩٨.
(٥) البقرة ١٩٦.
(٦) اتحاف السادة المتقين ج١، ص ٨٥.
(٧) البخاري ٢/١٦٤.
(٨) البخاري ٢/١٦٤ – مسلم/ الحج رقم ٤٣٨.

الصفات، كما يخلع الثياب عن جسده، وإذا طاف وسعى فليسع بقلبه إلى مراتب المعرفة والطاعة والإخلاص كما يسعى ببدنه بين الصفا والمروة، وإذا وقف بعرفات فعليه أن يذكر يوم يقف الناس بين يدى ربهم للجزاء على أعمالهم، وإذا رمى الجمرات فليرم معها شرور نفسه وعيوبها فيعود وقد طهر الله قلبه وصفاه ونوّره ونقاه، فإن الحج ليس بركوب المشاق والصعوبات، بل بالوقوف فى مقام الإخلاص واليقين وحسن المعاملة مع رب العالمين واتباع المرسلين.

أخى المسلم تذكر أن الله -تعالى- جعل السفر إلى الحج مثالاً للسفر إلى الآخرة، لذا ينبغى لك أن تستحضر عند كل عمل من أعمال السفر أمراً من أمور الآخرة يوازنه ويماثله، فتذكر عند وداع الأهل والأصحاب عند السفر وداعهم فى سكرات الموت، ومنْ أخذ الزاد لطريق الآخرة، ومن بُعد الطريق وخوف السباع وانقطاع فيها، تذكر بُعد طريق الآخرة وفتنة منكر ونكير وعذاب القبر ومن الالتفاف فى ثياب الإحرام: الالتفاف فى الأكفان، ومن السعى بين الصفا والمروة التردد بين كفتى الميزان أيتهما ترجح، ومن الموقف موقف القيامة.

روى مجاهد، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: كنا مع رسول الله - ﷺ - إذ أقبلت طائفة من اليمن، قالوا: «فداك الأمهات والآباء أخبرنا بفضائل الحج قال: نعم، أى رجل خرج من منزله حاجاً أو معتمراً، فكلما رفع قدماً، ووضع قدماً تناثرت الذنوب من قدميه، كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام فإذا ورد ذا الحليفة واغتسل، طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات وإذا قال: لبيك اللهم لبيك.. أجابه الله -تعالى- بـ (لبيك وسعديك.. أسمع كلامك وأنظر إليك) وإذا دخل مكة فطاف وسعى بين الصفا والمروة.. أوصل الله له الخيرات، وإذا وقف بعرفات وضجت له الأصوات بالحاجات باهى الله - تعالى - بهم ملائكة سبع سموات فيقول: ملائكتى وسكان سماواتى أما ترون إلى عبادى أتونى من كل فج عميق شُعثاً غُبراً وقد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، فوعزتى وجلالى وكرمى لأهبن مسيئهم لمحسنهم ولأخرجنهم من الذنوب كيوم وضعتهم أمهاتهم؟ فإذا رموا الجمار وحلقوا الرءوس وزاروا البيت نادى مناد من بُطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم، واستأنفوا العمل»[9].

---

(9) اتحاف السادة المتقين ٢٧٦/٤.

أخى الحاج تذكر أن زيارة مسجد رسول الله وزيارة قبره - ﷺ - من أهم القربات وآكدها وفى الحديث: «من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شهيدا وشفيعا» وفى رواية: «من جاءنى لم تنزعه حاجة إلا زيارتى كان حقاً على الله أن أكون له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة»[10]. وينبغى لمريد الزيارة أن يكثر فى طريقه من الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله - ﷺ - وإذا رأى حرم المدينة وأشجارها زاد فى ذلك وسأل الله أن ينفعه بهذه الزيارة ويتقبلها منه. وإذا بلغ حرم المدينة أن يقول بعد الصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام: «اللهم إن هذا هو الحرم الذى حرمته على لسان حبيبك ورسولك- ﷺ - ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلى ما هو بحرم بيتك الحرام فحرمنى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك وارزقنى ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك ووفقنى فيه لحسن الأدب وفعل الخيرات وترك المنكرات».

كما يستحب للزائر مدة إقامته بالمدينة أن يصلى الصلوات كلها بمسجد رسول الله- ﷺ - لحديث: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[11]. وأن ينوى الاعتكاف فيه كلما دخله، ذاكرا الله -تعالى- وأن يكثر من الصلاة عليه.

وختاما أسأل المولى أن يوفقنا لصالح الأعمال وأن يختم لنا بالباقيات الصالحات وأن يغفر لوالدينا.. آمين.

عبد المعز عبد الحميد الجزار

(١٠) الدر المنثور ٦/٢٣٧.

(١١) مسند أحمد ج٦ ص١٨٤، أبو داود فى الصلاة ١٣٦.

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله – تعالى –:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ (٢٠٦) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ (٢٠٧) ﴾

الآيات من ٢٠٤ : ٢٠٧.

بعد أن بين – سبحانه – فريضة الحج وما اشتملت عليه من أحكام وآداب، وبين أصناف الناس في أدعيتهم التي تكشف عن خبايا قلوبهم، ومعادن نفوسهم، بعد أن بين ذلك أعقبه بالحديث عن صنفين من الناس:

أولهما: يمثل الأشرار.

والثاني: يمثل الأخيار.

أما الصنف الأول فقد وصفه الله - تعالى - بخمس صفات، الصفة الأولى حكاها في قوله:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾.

يعجبك: من الإعجاب بمعنى الاستحسان، تقول: أعجبني هذا الشيء، أي، استحسنته وعظم في نفسي. و «من» للتبعيض.

والمعنى: ومن الناس فريق يروقك منطقهم، ويعجبك بيانهم، ويحسن عندك مقالهم. فأنت معجب بكلامهم الحلو الظاهر، المر الباطن، وأنت في هذه الدنيا لأنك تأخذ الناس بظواهرهم، أما في الآخرة فلن يعجبك أمرهم لأنهم ستنكشف حقائقهم أمام الله الذي لا تخفى عليه خافية، وسيعاقبهم عقابا أليما لإظهارهم القول الجميل وإخفائهم الفعل القبيح، وعلى هذا التفسير يكون قوله: ﴿ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾ متعلقا بيعجبك.

وبعضهم يجعل قوله:

﴿ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ﴾

متعلقا بالقول فيكون المعنى عليه، ومن الناس فريق يعجبك قولهم إذا ما تكلموا في شئون الدنيا ومتعها لأنها منتهى آمالهم، ومبلغ علمهم، وأصل حبهم، ومن أحب شيئا أجاد التعبير عنه، أما الآخرة فهم لا يحسنون القول فيها، لأنهم لا يهتمون بها، بل هم غافلون عنها، ومن شأن الغافل عن شيء ألا يحسن القول فيه.

ويبدو لنا أن تعلق الجار والمجرور بيعجبك أرجح، لأنه يتفق مع السياق، إذ سياق الحديث في شأن الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، ويخدعون الناس بمعسول بيانهم مع أن نفوسهم مريضة، وليس في شأن الذين يحسنون الحديث عن شئونها المختلفة، بل إن بعض الذين يحسنون الحديث في شئون الدنيا لم يضيعوا آخراهم وإنما عمروها بالعمل الصالح، فهم جامعون بين حسنتي الدنيا والآخرة.

الصفة الثانية من صفات هذا النوع المنافق من الناس بينه القرآن بقوله:

﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ﴾

أي: يقرن معسول قوله، وظاهر تودده، بإشهاد الله على أن ما في قلبه مطابق لما يجري على لسانه.

وكأن هذا النوع المنافق قد رأى من الناس تشككاً في قوله، لأن من عادة المنافقين أن يبدو من فلتات لسانهم ما يدل على ما هو مخبوء في نفوسهم فأخذ يوثق قوله بالأيمان الباطلة بأن يقول لمن ارتاب فيه: الله يشهد أني صادق فيما أقول.. إلى غير ذلك من الأقوال التي يقصد بها تأكيد قوله وصدقه فيما يدعيه، فالمراد بإشهاد الله: الحلف به أن ما في قلبه موافق لقوله.

وجملة ﴿ وَيُشْهِدُ اللَّهَ ﴾ حالية أو مستأنفة أو معطوفة على قوله: ﴿ يُعْجِبُكَ ﴾.

وقوله – تعالى –: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾

صفة ثالثة من صفات هذا النوع من الناس.

قال القرطبي: الألد: الشديد الخصومة والعداوة.. ولددته – بفتح الدال – ألده – بضمها – إذا جادلته فغلبته. والألد مشتق من اللديدين وهما صفحتا العنق أي: في أي جانب أخذ من الخصومة غلب. والخصام في الآية مصدر خاصم. وقيل جمع خصم كصعب وصعاب. والمعنى: أشد المخاصمين خصومة، وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»[1].

أي: إن هذا النوع من الناس يثير الإعجاب بحسن بيانه، ويضللهم بحلاوة لسانه، ويحلف بالأيمان المغلظة أنه لا يقول إلا الصدق، ويجادل عما يقوله بالباطل بقوة وعنف ومغالبة، فهو بعيد عن طباع المؤمنين الذين إذا قالوا صدقوا، وإذا جادلوا اتبعوا أحسن الطرق وأهداها. ثم وصفه الله – تعالى – بصفة رابعة فقال:

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾

تولى: من التولية بمعنى الإدبار والانصراف، ومتعلق تولى محذوف تقديره: تولى عنك. وسعى: من السعي وهو المشي السريع وهو مستعار هنا لإيقاع الفتنة والتخريب. والفساد كما قال الراغب – خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيرا، ويضاده الصلاح يقال: فسد فسادا وفسودا إذا خرج عن الاستقامة[2].

والحرث: مصدر يحرث، أي: أثار الأرض لإعدادها للزراعة، ثم أطلق وأريد به المحروث وهو الأرض، ثم أطلق وأريد به ما يترتب على ذلك من الزروع والثمار وهو المراد هنا.

والنسل: كما يقول القرطبي – ما خرج من كل أنثى من ولد. وأصله الخروج والسقوط، ومنه نسل الشعر ينسل إذا سقط ومنه

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾[3].

أي: يخرجون مسرعين.

والمعنى: وإذا أعرض عنك هذا النوع من الناس وولاك دبره أسرع في الإفساد بينهم، وتفريق كلمتهم، وإتلاف كل ما يقع تحت يده من الزروع والثمار والحيوان وما به قوام الحياة والأحياء.

فإهلاك الحرث والنسل كناية عن إتلافه لما به قوام أحوال الناس ومعيشتهم، وعن إيذائه الشديد لهم.

وبعض العلماء يرى أن «تولى» مشتق من الولاية؛ يقال: ولي البلد وتولاه، أي صار واليا له، أميرا عليه. والمعنى على هذا الرأي.

وإذا صار – هذا النوع من الناس – واليا على قوم اجتذبهم إليه ببريق قوله، وبمعسول لفظه، وبأيمانه الفاجرة، ومجادلته الباطلة، حتى إذا ما

---

(1) تفسير القرطبي جـ3 ص16.

(2) المفردات في غريب القرآن ص379 للراغب الأصفهاني.

(3) الأنبياء (96).

التف الناس حوله سعى بينهم بالفساد، وعمل على تقاطعهم وتباغضهم، وحكم فيهم بالباطل، ظنا منه أن هذا الخلق وذلك السلوك سيجعلهم دائماً طوع إرادته.

قال الإمام الرازى: والقول الأول أقرب إلى نظم الآية، لأن المقصود بيان نفاق هذا النوع من الناس، وهو أنه عند الحضور يقول الكلام الحسن ويظهر المحبة، وعند الغيبة يسعى في إيقاع الفتنة والفساد[3].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ أى لا يرضى عن الذى منه الإفساد في الأرض ويظهر للناس الكلام الحسن وهو يبطن لهم الفعل السيء، لأنه - سبحانه - أوجد الناس ليصلحوا في الأرض لا ليفسدوا فيها، فالجملة الكريمة تحذير منه - سبحانه - للمفسدين، ووعيد لهم على خروجهم عن طاعته.

أما الصفة الخامسة لهذا النوع من الناس فهى قوله -تعالى-:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾

أى: وإذا قيل لهذا المنافق على سبيل النصح والإرشاد اتق الله، واترك ما أنت فيه من نفاق وخداع وخروج عن طاعة الله، استولت عليه العزة - أى حمية الجاهلية - مقترنة بالإثم ومصاحبة له، فهى ليست العزة المحمودة ولكنها الكبرياء المبغوضة. والباء على هذا المعنى للمصاحبة والاقتران.

قال الجمل والباء على هذا تكون في محل نصب على الحال وفيها حينئذ وجهان:

أحدهما: أن تكون حالاً من العزة أى ملتبسة بالإثم.

والثاني: أن تكون حالا من المفعول. أى، أخذته حال كونه ملتبسا بالإثم، وفي قوله العزة بالإثم التتميم وهو نوع من علم البديع، وهو عبارة عن إرداف الكلمة بأخرى ترفع عنها اللبس وتقربها من الفهم، وذلك أن العزة تكون محمودة ومذمومة فمن مجيئها محمودة قوله - تعالى- :

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4].

فلو أطلقت لتوهم فيها بعض من لا دراية له أنها محمودة، فقيل بالإثم توضيحا للمراد فرفع اللبس، ويجوز أن تكون الباء للتعدية - وهو قول الزمخشرى - فإنه قال: «أخذته بكذا إذا حملته عليه وألزمته إياه. أى: حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذى ينهى عنه وألزمته ارتكابه، ويجوز أن تكون للسببية بمعنى أن إثمه كان سببا لأخذ العزة له[5].

أى: استولت عليه حمية الجاهلية بسبب الإثم الذى استحوذ على قلبه فأنساه كل ما يوصل إلى الصلاح والاستقامة.

و «ال» في العزة للعهد. أى: العزة المعهودة المعروفة عند أهل الجاهلية التى تمنع صاحبها من قبول النصيحة.

قال الأستاذ الإمام محمد عبده مرجحاً ما ذهب إليه من أن «تولى» بمعنى الولاية والإمارة: «وهذا الوصف ظاهر جداً في تفسير التولى بالولاية والسلطة، فإن الحاكم الظالم

---

(3) تفسير الفخر الرازى جـ5 ص 219.　(4) المنافقون (8).　(5) حاشية الجمل على الجلالين جـ1 ص 164.

المستبد يكبر عليه أن يرشد إلى مصلحة، أو يحذر من مفسدة، لأنه يرى أن هذا المقام الذى ركبه وعلاه يجعله أعلى الناس رأياً وأرجحهم عقلاً، بل الحاكم المستبد الذى لا يخاف الله - تعالى - يرى نفسه فوق الحق كما أنه فوق أهله فى السلطة، فيجب أن يكون أفن رأيه خيراً من جودة آرائهم، وإفساده نافذاً مقبولاً دون إصلاحهم، فكيف يجوز لأحد منهم أن يقول له: اتق الله فى كذا.....»[٥].

ثم بين - سبحانه - سوء عاقبة من هذه صفاته فقال:

﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾.

الفاء هنا للإفصاح، لأنها تفصح عن شرط محذوف تقديره: إذا كانت هذه حالة المعرض عن النصح أنفة وتكبراً ﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ أى: كافيه جهنم جزاء له ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ أى: ولبئس الفراش الذى يستقر عليه بسبب غروره وفجوره.

وقوله: ﴿ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر، وقوله: ﴿ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ جواب قسم مقدر أى: والله. والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه وهو جهنم. والمهاد جمع مهد وهو المكان المهيأ للنوم، والتعبير عن جهنم بالمهاد من باب التهكم والاستهزاء بهذا النوع المغرور المفسد من الناس.

هذا وقد أورد بعض المفسرين روايات فى سبب نزول هذه الآيات منها: أنها نزلت فى الأخنس ابن شريق الثقفى أقبل على النبى - ﷺ - فأظهر الإسلام وزعم أنه يحبه وأقسم بالله على ذلك، غير أنه كان منافقاً خبيث الباطن، فخرج من عند النبى - ﷺ - فمر بزرع لقوم من المسلمين فأحرق الزرع وقتل بعض الماشية فنزلت.

قال الإمام الرازى ماملخصه بعد أن ساق هذه الرواية وغيرها: «واختيار أكثر المحققين من المفسرين أن هذه الآيات عامة فى حق كل من كان موصوفاً بهذه الصفات المذكورة... ولا يمتنع أن تنزل الآية فى الرجل ثم تكون عامة فى كل من كان موصوفاً بتلك الصفات، ونزولها على السبب الذى حكيناه لا يمنع من العموم، بل نقول فيها مايدل على العموم وهو من وجوه:

أحدها: أن ترتب الحكم على الوصف المناسب مشعر بالعلية، فلما ذم الله - تعالى - قوماً وصفهم بصفات توجب استحقاق الذم، علمنا أن الموجب لتلك المذمة هو تلك الصفات، فيلزم أن كل من كان موصوفاً بتلك الصفات أن يكون مستوجباً للذم.

وثانيها: أن الحمل على العموم أكثر فائدة، وذلك لأنه يكون زجراً لكل المكلفين عن تلك الطريقة المذمومة.

وثالثها: أن هذا أقرب إلى الاحتياط، لأنا إذا حملنا الآية على العموم دخل فيه ذلك الشخص، وأما إذا خصصناه بذلك الشخص لم يثبت الحكم فى غيره، فثبت بما ذكرنا أن حمل الآية على العموم أولى»[٦].

---

(٥) تفسير المنار جـ٢ ص ٢١٦.

(٦) تفسير الفخر الرازى جـ٥ ص٢١٦.

هذا، وفي هذه الآيات الكريمة زجر شديد ووعيد أليم للمنافقين الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ويفسدون في الأرض ولا يصلحون، ويكادون يسطون بالذين ينصحونهم ويتلون عليهم آيات الله لأن المنافقين ما كثروا في أمة إلا وجعلوا بأسها بينها شديدا.

روى ابن جرير عن نوف البكالي قال: إني لأجد صفة ناس من هذه الأمة في كتاب الله المنزل: قوم يحتالون على الدنيا بالدين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، يلبسون للناس مسوك - أي جلود - الضأن، وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله - تعالى - : «فعلي يجترئون وبي يغترون، حلفت بنفسي لأبعثن عليهم فتنة تترك الحليم حيران».

قال ابن كثير: قال القرظي الذي روى هذا القول عن نوف: تدبرت هذه الصفات في القرآن فإذا هي في المنافقين ووجدتها في قوله - تعالى - :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[7].

والحق أنه ما ابتليت أمة بتفشي هذا النوع من الناس فيها إلا فسد حالها وهان شأنها وكانت عاقبة أمرها خسرا.

أما النوع الثاني من الناس وهم الأخيار الصادقون فقد عبر عنهم القرآن بقوله - تعالى - :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾

﴿ يَشْرِى نَفْسَهُ ﴾ أي: يبيعها ببذلها في طاعة الله وإعلاء كلمته، وتحقيقه أن المكلف قد بذل نفسه بمعنى أنه أطاع الله - تعالى - وحافظ على فرائضه، وجاهد في سبيله، من أجل أن ينال ثواب الله ومرضاته، فكأن ما يبذله من طاعات بمثابة السلعة، وكأن هو بمنزلة البائع، وكأن قبول الله - تعالى - منه ذلك وإثابته عليه في معنى الشراء.

وقوله: ﴿ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ الابتغاء الطلب الشديد للشيء، والرغبة القوية في الحصول عليه، وهو في الآية مفعول لأجله.

أي: ومن الناس نوع آخر قد باع نفسه بذلها في طاعة الله طلبا لرضوانه، وأملا في مثوبته وغفرانه.

فهذا النوع التقي المخلص من الناس، يقابل النوع المنافق المفسد الذي سبق الحديث عنه.

قال بعضهم: وكان مقتضى هذه المقابلة أن يوصف هذا الفريق الثاني بالعمل الصالح مع عدم التعريض والتبجح بالقول، أو مع مطابقة قوله لعمله وموافقة لسانه لما في قلبه. والآية قد تضمنت هذا الوصف وإن لم تنطق به، فإن من يبيع نفسه لله لا يبغي ثمنا لها سوى مرضاته لا يتحرى إلا العمل الصالح وقول الحق مع الإخلاص في القلب فلا يتكلم بلسانين ولا يقابل الناس بوجهين. ويكون هو المؤمن الذي يعتد القرآن بإيمانه»[8].

---

(7) تفسير ابن كثير جـ1 ص: 246

(8) تفسير المنار جـ2 ص: 252

وقال أحد العلماء: ومرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضا. ولا شك أن التعبير بالمصدر الميمي دون المصدر الأصلي له معنى يدركه السامع بذوقه، ولم تجد النحويين ولا البلاغيين تعرضوا لبيان التفرقة بين المصدر الميمي وغيره والذي يتبدى لنا ويظنه تفرقة بينهما، أن المصدر الميمي يصور المعنى المصدري واقعاً قائماً متحققاً في الوجود، أما المصدر غير الميمي فيصور المعنى مجرداً فإذا كانت كلمة مقال بمعنى القول، فإن التعبير بالقول يصور معنى مجرداً من غير نظر إلى كونه تحقق وجوده أولا. أما كلمة مقال فتصور معنى وجد وتحقق، أو في صورة الموجود المتحقق، وعلى ذلك معنى «**ابتغاء مرضاة الله**» أنهم يبيعون أنفسهم طالبين طلباً موثقاً رضا الله - سبحانه - حقيقة واقعة مؤكدة، ويتصورون رضاه - سبحانه - حقيقة قائمة قد حلت بهم، فيشتد طلبهم واقتداؤهم للحق بأموالهم وأنفسهم»[٩].

ثم ختم - سبحانه - الآية بقوله -:

﴿ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ أي، رفيق رحيم بهم، ومن مظاهر ذلك أنه لم يكلفهم بما هو فوق طاقتهم، وإنما كلفهم بما تطيقه نفوسهم، وأنه أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة في الدنيا مع تقصيرهم فيما أمرهم به أو نهاهم عنه، وأنه كافأهم بالنعيم المقيم على العمل القليل، وأنه جعل العاقبة للمتقين لا للمفسدين، إلى غير ذلك من مظاهر رأفته التي لا تحصى.

هذا، وقد أورد المفسرون روايات متعددة في سبب نزول هذه الآية منها أنها نزلت في صهيب ابن سنان الرومي، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه المشركون أن يهاجر بماله، وإن أحب أن يتجرد منه ويهاجر أذنوا له، فتخلص منهم وأعطاهم ماله فأنزل الله فيه هذه الآية. فتلقاه عمر بن الخطاب وجماعة إلى طرف الحرة فقالوا له: ربح البيع يا صهيب، فقال لهم: وأنتم فلا أخسر الله تجارتكم وما ذاك؟ فأخبره أن الله أنزل فيه هذه الآية. ويروى أن الرسول - ﷺ - قال له عندما رآه: «ربح البيع، ربح البيع» مرتين[١٠].

وهناك روايات أنها نزلت فيه وفي عمار بن ياسر وفي خباب بن الأرت وفي غيرهم من المؤمنين المجاهدين.

والذي نراه - كما سبق أن بينا - أن الآية الكريمة تتناول كل من أطاع الله - تعالى - وبذل نفسه في سبيل إعلاء كلمته، ويدخل في ذلك دخولا أولياً من نزلت فيهم الآية، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما يرى جمهور العلماء.

وبذلك نرى أن الآيات الكريمة قد بينت لنا نوعين من الناس: أحدهما خاسر، والآخر رابح، لكي نتبع طريق الرابحين، ونهجر طريق الخاسرين

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[١١]

«يتبع»

---

(٩) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة - بمجلة لواء الإسلام. السنة الخامسة - العدد الخامس.

(١٠) تفسير ابن كثير جـ١ ص ٢٤٧ .

(١١) فاطر (١٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

احتفال مصر بليلة القدر



كلمة السيد رئيس الجمهورية



وجه الرئيس حسنى مبارك رسالة إلى الأمة العربية والاسلامية فى الاحتفال بليلة القدر.. أكد الرئيس أنه ليس أمامنا سوى خيار واحد.. هو التواصل مع سائر الناس والشعوب.. وعلينا حشد الطاقات والقدرات.. للحاق بركب التقدم والتنمية والرخاء.. قال إن المسلمين يحتاجون إلى وقفة صدق مع النفس.. لأننا بحق خير أمة أخرجت للناس فهى لا تبتغى علوا فى الأرض ولا فساداً..

وفيما يلى نص الكلمة:

الإمام الأكبر شيخ الأزهر
العلماء الأجلاء
الأخوة والأخوات الأعزاء

في مثل هذه الليلة المباركة من كل عام، تلتقي قلوب ملايين المسلمين في أرجاء الدنيا كلها، وتتعانق مشاعرهم حول مناسبة عزيزة عليهم، احتفالا بليلة القدر، التي بدأت فيها آخر حلقات الوحي إلى أهل الأرض، حاملة إليهم كلمات الله، تنطق بينهم بالحق، وتأمرهم بالإحسان والعدل، وتدعوهم للتراحم والتعارف، والتعاون على البر واشاعة السلام، وهي ليلة وصفها الحق سبحانه بأنها «ليلة مباركة»، فرق الله بها بين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، فاستحقت أن تكون عند الله والناس خيرا من ألف شهر، وأن تكون بإذن ربها سلاما حتى مطلع الفجر.

وقفة مع النفس

وإذا كان من حق المسلمين أن تكون لهم أعياد يتبادلون فيها التهنئة، ويشيعون البهجة والسرور في حياتهم، ويتخففون من أعباء الحياة في هذا الزمان الصعب، فاننا - نحن المسلمين - لانملك ونحن نحتفل بهذه الأعياد إلا أن تكون لنا وقفة صدق مع النفس، نتذكر فيها من جديد تبعات الأمانة الكبيرة التي حملنا الله اياها حين أنعم علينا برسالة الاسلام، واستخلفنا بها في أرضه، فكانت تشريفا، كما كانت تكليفا، وصرنا بها وبالعمل الصالح الذي ينفع الناس «خير أمة أخرجت للناس»، نعمر الدنيا، ونبني الحضارة بسلطان العلم ونور العقل وقوة العمل، وعزم أصحاب الرسالات، لانبتغي بذلك علوا في الأرض ولا فسادا، وانما نبتغي رضوان الله الذي جعل المؤمنين جميعا شهداء على الناس بقيم العدل والرحمة والسلام.

السادة العلماء.. الاخوة والأخوات..

إن أخطر ما يتعرض له المسلمون اليوم أن يتصوروا أنفسهم أمة منعزلة عن سائر الناس، تملك أن تدبر أمرها وأن تدير حياتها كما لو كان بينها وبين سائر الناس سور حاجز، فقد آن لكل مسلم وكل مسلمة أن يدركوا أن العزلة عن الدنيا لم تعد ممكنة ولاجائزة، فقد زالت الحواجز وارتفعت الحجب وتهاوت السدود، وانكمشت فواصل المكان والزمان، ولم يعد أمامنا نحن المسلمين إلا خيار واحد، هو خيار التواصل مع سائر الناس والشعوب، وهو تواصل يحمل لنا فرصا هائلة لتحقيق النمو والتقدم والرخاء، بقدر ما يحمل من تحديات تحتاج مواجهتها إلى جهد هائل وصبر طويل، والمسلمون يحتاجون اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى أن يصارحوا أنفسهم بحقيقة تلك التحديات، وما تتطلبه مواجهتها من رؤية جديدة للعمل الوطني داخل كل بلد عربي أو إسلامي، وماتحتاج إليه

أيضاً من أساليب عمل جديدة على المستويين العربى والإسلامى، وهى اساليب لابد لها أن تواكب التطورات الهائلة التى تعاقبت وتتابعت حلقاتها على الساحة العالمية خلال العقود الأخيرة.

على مفترق طريقين

فعلى المستوى الداخلى، نجد أن الدول العربية والإسلامية تقف اليوم على مفترق طريقين لايلتقيان، أحدهما طريق الجمود والانكفاء على الماضى، وإرضاء الذات بشعارات كبيرة لايقابلها عمل جاد دءوب، وهو طريق يفضى بطبيعته إلى تراجع وانتكاس قد لا يسمح الزمن بالخروج منه، أما الطريق الآخر الذى لا بديل له، فإنه يبدأ برصد الواقع ـ بخيره وشره ـ رصداً صادقاً أميناً، لاتهوين فيه ولا تهويل، وبعد هذا الرد. تبدأ المسيرة بعقد الهمة وحشد الطاقة، وشد الثغرات التى لاتخلو منها حياتنا نحن العرب والمسلمين، وذلك بعمل لايتوقف، وجهد لايعرف اليأس أو التراجع، تقتحم به أجيالنا الصاعدة ساحات الحياة كلها، مسلحة بأحدث ما وصلت إليه الإنسانية من أساليب العمل ومناهج الأداء، وتقنيات البناء والإنتاج، ذلك أن العلم النافع لا وطن له، والحكمة لا جنسية لها تحجبها عن الآخرين، بل هى فيما يعلمنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم «ضالة المؤمن، أنى وجدها أخذها».

ونحن هنا فى مصر أيها الأخوة والأخوات، قد أدركنا هذه الحقائق من زمن بعيد، فحشدنا طاقاتنا وقدراتنا من أجل اللحاق بمن سبقونا إلى التقدم والتنمية والرخاء. فاجتزنا كثيراً من العقبات، وصححنا كثيراً من الخطوات، وخرجنا ـ بعون الله وتوفيقه ـ من عنق الزجاجة والطريق المسدود إلى ساحة الفرص الكبيرة، فتحققت على أرض مصر انجازات هامة من ميادين الصناعة والزراعة، والتجارة والخدمات، وظهرت فى تلك الميادين كفاءات مصرية متميزة، كثير منها من جيل الشباب، الذى ولد فى عصر المنافسة والتحدى، وهو جيل لا حد لطموحه إلى التفوق والاتقان، وإننا لنشعر بالفخر والاعتزاز عندما نتابع خطى هذا الجيل، الذى هو أقوى أسلحتنا على طريق المنافسة الحضارية.

الأمانى والأحلام

أيها الإخوة والأخوات..

إن الحديث عن دور رائد للشعوب العربية والإسلامية ـ فى ظل النظام العالمى الجديد ـ سوف يظل محصورا فى نطاق الأمانى والأحلام ما لم يسبقه تعزيز شامل لبنيان كل بلد عربى أو إسلامى، وما لم يستند إلى موقف جماعى موحد، يكون له ثقله وأثره على الصعيد العالمى.

إن الخروج من المحلية الضيقة إلى العالمية الواسعة لم يعد ترفاً أو خياراً نملك أن نرفضه

أو نتباطأ فى تحقيقه، وإنما أصبح تطورا حتمياً نحتاج إلى مواجهته والتعامل معه بإيجابية وحكمة، وعلى أساس ثقتنا بأنفسنا وبعدالة قضايانا.

ولا يقل أهمية عن إدراك هذه الحقيقة الكبرى إدراك حقيقة أخرى مؤداها أن نتائج السباق الرهيب القائم بين شعوب هذا العصر لن تحددها القوة العسكرية، أو الاقتصادية وحدها، وإنما سيحسمها فى النهاية قدرة الشعوب على استيعاب وتطوير العلم والثقافة والتكنولوجيا المتقدمة، وامتلاك القدرة على التجديد والإبداع، وهو ما يفرض علينا أن نعيد النظر فى أنظمتنا التعليمية والثقافية والإعلامية، وأن نتخذ خطوات تتميز بالجرأة والشجاعة لإعادة صياغة وبلورة العقل العربى والعقل المسلم، الذى توجهه وتتحكم فيه تلك الأنظمة التعليمية بأدواتها المختلفة.

الوجه المشرق للإسلام

ومادمنا أيها الإخوة والأخوات نلتقى فى رحاب هذه المناسبة الإسلامية الكريمة، فإن من واجبى أن أذكر علماءنا الأجلاء ومعلمينا، بالحاجة الملحة إلى إظهار وتوضيح الوجه الحقيقى المشرق للإسلام، لا دفاعاً عنه أمام أصحاب الحضارات الأخرى المعاصرة فحسب، ولا رداً لحملة التشويه التى يتعرض لها الإسلام والمسلمون، وإنما من أجل أن يستقيم فهم الإسلام وإدراك مقاصده ومراميه النبيلة فى عقول الأجيال الشابة من أبنائنا، وحتى يستقر فى تلك العقول أن للإسلام رؤية صحيحة مبصرة للكون وما فيه، قبل أن يكون نصوصا جزئية متفرقة، يحلو لبعض من لا حظ لهم من علم أو فقه، أن يفسروها حسب أهوائهم ومخططاتهم المخالفة لصحيح الإسلام وروحه، التى جعلت من رسول الله الكريم رحمة مهداة لشعوب الدنيا كلها، يخفف من معاناتها، وييسر لها أمرها، فمن أراد اليوم أن يكون متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم، مقتديا بسيرته وسنته، فعليه أن يكون كما كان : رحمة لكل من حوله من الناس، بالفهم وبالفونه، يخالطهم ولا يعتزل عنهم، وعليه أن يعرف ـ قبل ذلك كله ـ أنه لن يكون فى ميزان الإسلام مسلما حقاً إلا إذا سلم الناس من لسانه ويده.

النهضة تبدأ عندنا

العلماء الأجلاء

أيها الإخوة والأخوات

لقد آن لنا ان نعرف ان طريق النهضة يبدأ عندنا ولا يبدأ عند الآخرين، وان نعرف فوق ذلك، انه لا مكان للمسلمين فى عالم الغد الا اذا تضامنت شعوبهم وتعاونت حكوماتهم،

والا اذا تحول التضامن الذى نتحدث عنه الى واقع عملي شامل بين الدول العربية والاسلامية، يترجم نفسه الى سوق عربية مشتركة بل وسوق اسلامية مشتركة، وتكامل اقتصادى حقيقي، وتنسيق قائم على المصارحة والشفافية فى المواقف من القضايا المصيرية، وفى مواجهة الاخطار المشتركة التى تواجه الامة كلها.

ولقد لمسنا مؤخرا ما يمكن ان يحققه التضامن ووحدة الصف داخل الاسرة العربية، حين نهضت شعوب الامة العربية كلها، دفاعا عن حرمة المسجد الاقصى الذى بارك الله حوله، ومساندة للشعب الفلسطينى العربى الشقيق وهو يواجه محنة القمع الاسرائيلى الذى تجاوز كل الحدود، وأوشك ان يجهض جهود السلام العادل والشامل، وقد كان من ثمرات هذا التنسيق، ان بدأت اسرائيل تدرك ان الحرم الشريف يمثل للمسلمين جميعا مكانا مقدسا لا تفريط فيه ولا مساس به، وان الامة الاسلامية تسعى الى السلام الشامل والعادل بكل صدق واخلاص، غير انها لا تقبل الاستسلام ولا التنازل عن حقوق الخالق عز وجل، وعلى الآخرين ان يدركوا ان للسلام والتعايش ركائز ومتطلبات اساسية، اهمها الالتزام بالقانون وقواعد الشرعية، واحترام المقدسات والمشاعر الدينية، التى تمثل لكل مسلم قيمة سامية يضحى فى سبيلها بكل غال وعزيز.

تحية لأرواح الشهداء

ولعلى ايها الاخوة والاخوات اتحدث باسمكم جميعا - بل باسم الامة العربية والاسلامية - حين ابعث فى هذه الليلة المباركة تحية لارواح الشهداء الذين لقوا ربهم وهم يحملون فى ايديهم اغصان السلام، وعزاؤنا ان ارواحهم الطاهرة لن تضيع هباء او تذهب سدى، بل انها ستظل دائما برهانا ساطعا على قدرة كل مسلم على الحفاظ على مقدساته مهما كانت التضحيات.

السادة العلماء

الإخوة والأخوات

لا اريد ان اطيل عليكم فى ليلة عيد، ولكن هذه كلماتى اليكم فى هذه الليلة المباركة، وفى هذا اللقاء الذى اجتمعنا فيه، نتدبر امورنا، ونجدد ايماننا، وندعو ربنا ان يجعله لقاء مباركاً ميمون الثمرات، ترعاه رحمة الله، وتحف به ملائكته، ويذكره الله - سبحانه - فيمن عنده.

وكل عام وأنتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله،،

كلمة فضيلة الإمام الأكبر



ألقى الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر كلمة في الاحتفال قال فيها :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

السيد الرئيس محمد حسني مبارك .. وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه .

الحفل الكريم .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

نحن الآن في العشر الأواخر من شهر رمضان .. وفي تلك الليالي المباركة التي نلتمس فيها ليلة القدر .. التي وصفها الخالق القادر عز وجل بأنها خير من ألف شهر والتي تتنزل فيها الملائكة بإذن خالقهم عز وجل لتدعو للمؤمنين الصادقين .

لقد قص علينا القرآن الكريم جانبا من تلك الدعوات التي تتوجه بها الملائكة الى المؤمنين الصادقين ومن ذلك قوله عز وجل « ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم، وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم » .

نحن الآن في الشهر الذى ابتدأ فيه نزول القرآن على سيدنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان أول مانزل من قرآن على سيدنا وشفيعنا سيدنا محمد قوله عز وجل « اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذى علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم » .

وكانت هذه أول صيحة لإدخال النور إلى القلوب ولإزالة ظلمات الجهل عن النفوس وصدق الله إذ يقول « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

إن القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل إلى البشر أجمعين ليبنى نفوسهم على الحق ولينشىء عواطفهم على الخير.

إن القرآن الكريم هو الكتاب الذى ربى اتباعه على الفضائل وعلى النفور من الرذائل وأوجب عليهم أن يعمروا هذا الكون الذى سخره الله سبحانه وتعالى لخدمتهم.

القرآن الكريم هو الذى ربى اتباعه على العزة والحرية وعلى النفور من الذلة والعبودية، أمر اتباعه بأن يحسنوا إلى من يسالمهم وان يردعوا وان يؤدبوا من يعتدى عليهم «لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

وصدق الله إذ يقول «وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا ان الله لايحب المعتدين».

القرآن الكريم هو الذى ربى اتباعه على الثبات أمام الأحداث وعلى الوقوف أمام المحن والمصائب بقلوب بعزائم صادقة وعلى مقاومة المعتدين المغرورين بكل قوة لأن هذا الثبات وتلك المقاومة تزيد أصحاب الحق قوة على قوتهم وتزيد المعتدين المغرورين رجسا على رجسهم «ولاتهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لايرجون».

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه، لقد جاء شهر رمضان فى هذا العام واخواننا وأبناؤنا وبناتنا فى فلسطين يتعرضون لأقبح ألوان الغدر والظلم والقتل من اليهود، كما تعرض المسجد الأقصى للاساءة إلى حرمته ممن لايقيمون وزنا لا للقيم الدينية ولا للأخلاق الانسانية، ولقد قلتم ياسيادة الرئيس فى خطابكم الذى القيتموه منذ أيام قليلة أمام أعضاء مجلسى الشعب والشورى، قلتم ياسيادة الرئيس، ليس هناك من يستطيع المساس بقدسية المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله لأن حقوق الله لايمكن أن تنتهك والله على ما أقول شهيد.

لقد قلتم ذلك ياسيادة الرئيس ولقد صدقتم فيما قلتم، واننا جميعا - مصر بأكملها - اننا جميعا لنعاهد الله عز وجل أن نكون خلف قيادتكم الحكيمة نؤيد اخواننا فى فلسطين ونعاونهم بكل ألوان المعاونة المادية والمعنوية حتى يظفروا بحقوقهم كاملة غير منقوصة وأن ندافع عن المسجد الأقصى بكل ما نملك من وسائل الدفاع إلى أن نلقى الله عز وجل.

ولقد توعد الله تعالى كل من يعتدى على بيت من بيوته توعده بالخزى فى الدنيا وفى الآخرة ومن ذلك قوله عز وجل: «ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم».

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك وفقه الله وسدد خطاه ووفقنا جميعا مع سيادته لما يحبه ويرضاه، نعاهد الله سبحانه وتعالى ونعاهدكم على أن نقف إلى جانب الحق حتى ينتصر، وأن نقف فى وجه الباطل حتى يندحر وكل عام وانتم بخير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة فضيلة وزير الأوقاف



أكد الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف ان اهمال العمل للدنيا والانقطاع التام للعبادة ليس من الدين فى شئ.

وقال انه على الانسان اذا اراد ان يتقى الله حقا ان يبذل كل ما فى وسعه لتعمير الحياة ونشر الخير فى كل مكان حتى يكون اهلا لرضا الله.

اضاف الدكتور زقزوق ان الوزارة لم تتخلف عن المشاركة فى جهود التعمير وبادرت بالاستجابة لدعوة الرئيس حسنى مبارك بزيادة الأرض الزراعية عن طريق اقامة المشروعات الكبرى.

قال انه فور تسلم هيئة الأوقاف للاراضى المخصصة لها فى شرق العوينات والتى تبلغ عشرين الف فدان بدأت العمل الجاد عن طريق بعض الشركات القوية المتخصصة، تم الانتهاء من استصلاح المرحلة الاولى والتى بلغت الفا ومائتى وخمسين فدانا وقد تم تأجيرها بالفعل لاحدى الشركات الاستثمارية اعتبارا من اول نوفمبر الماضى وتمت زراعتها كما تتسلم هيئة الاوقاف مساحة مماثلة بعد الانتهاء من استصلاحها الشهر القادم تتلوها بقية المراحل.

اكد ان اشتراك هيئة الأوقاف فى المشروعات القومية الاستثمارية يعد من ناحية استثمارا ونماء لمال الوقف الخيرى ومن ناحية اخرى يحقق فرص عمل كثيرة ويسهم فى دعم مسيرة الاقتصاد القومى.

استعرض الدكتور زقزوق فى كلمته جهود

وزارة الأوقاف في ترجمة معاني القرآن الكريم.. وأشار الى ان الوزارة قدمت في الأعوام الماضية ترجمات باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية وانه قد انتهت الوزارة من الترجمة باللغة الأسبانية لمعاني القرآن الكريم.

وأوضح انه سيتم تعميم هذه الترجمة على المسلمين الناطقين بالأسبانية في مناطق العالم المختلفة.

وفيما يتعلق بالمسابقة العالمية للقرآن الكريم للعام الثامن على التوالي.. قال وزير الأوقاف ان اكثر من ٧٠ دولة من مختلف دول العالم تشارك في مسابقة هذا العام حفظا وفهما وسلوكا بعيدا عن كل شكل من اشكال التطرف في الفكر او الانحراف في الفهم والسلوك.

وقال الدكتور حمدي زقزوق ان وزارة الأوقاف خطت خطوات كبيرة في خطتها لضم المساجد والزوايا الأهلية لوزارة الأوقاف من اجل ضمان وصول التوعية الدينية السليمة للمواطنين. وقد تم في السنوات الخمس الماضية ضم ثلاثين الف مسجد، واحد عشر الف زاوية اضيفت الى ما تشرف عليه حاليا ويقدر بنحو اثنين وخمسين الف مسجد وأحد عشر ألف مسجد.

اضاف وزير الأوقاف في كلمته انه من المتوقع ان تنتهي الوزارة من ضم جميع المساجد والزوايا الأهلية خلال عامين.

وأشار إلى ان الحكومة توفر الاعتمادات اللازمة لأعمال الاحلال والتجديد والتأثيث والصيانة والترميم للمساجد بالاضافة إلى الاعتمادات اللازمة للعمالة التي تحتاجها المساجد المنضمة لاشراف الوزارة.

كما تقوم الوزارة منذ بداية عام ١٩٩٨ باختيار ائمة المساجد عن طريق مسابقات أفرزت عناصر ممتازة من الدعاة يقومون الآن بمهمتهم في مجال الدعوة على خير وجه.

اكد وزير الأوقاف ان الأجواء التي تشهدها مصر في عهد الرئيس مبارك الزاهر من تنمية شاملة وترسيخ لدعائم الديمقراطية الحقيقية لها اثرها العظيم في ترسيخ الشعور بالانتماء لهذا الوطن لدى المواطنين، الامر الذي يحفزهم الى بذل المزيد من العمل والانتاج من أجل خير مصر.

كما اكد ان الدعاة في ظل هذا المناخ الصحي لا يتوانون عن بذل جهود مضاعفة من أجل توعية المواطنين توعية دينية صحيحة.. وقد كان لذلك اثره في غرس القيم الايجابية في نفوس المواطنين وتشجيعهم على القيام بواجبهم الوطني بالمشاركة الحقيقية في اختيار ممثليهم في مجلس الشعب.

اشار إلى ان العالم كله شهد مدى الحيدة والنزاهة التي تمت بها عملية الاقتراع.. وانه سينعكس اثر ذلك كله على جميع مجالات الحياة في مصر ليشارك الجميع في مسيرة التنمية الشاملة وصنع مستقبل مصر الذي تقودون مسيرته نحو مزيد من التقدم والازدهار لمصرنا العزيزة، التي ستظل دوما سندا حقيقيا لامتها العربية.

وأكد وزير الأوقاف في ختام كلمته أن مصر ستظل في عهد الرئيس مبارك ـ كالعهد بها دائما ـ تقف بكل امكاناتها مساندة وداعمة لقضايا امتها العربية، من أجل تحقيق الآمال في استرداد الحق العربي في فلسطين، وفي كل المناطق العربية المحتلة، حتى تنعم المنطقة بالاستقرار وتتفرغ لجهود التنمية الشاملة وتلحق بركب العصر.

الرئيس يكرم حفظة القرآن الكريم







الرئيس يسلم مسعود عبداللطيف الفندى من ليبيا جائزته

قام الرئيس حسنى مبارك بتوزيع الجوائز على الفائزين فى مسابقة القرآن الكريم ومنهم:

* **الفائزون في المسابقة المحلية فى حفظ كامل القرآن الكريم:**

قدرى محمد شوقى أحمد سيد (الجيزة) والمكافأة خمسة آلاف جنيه خضرة شحاتة السعيد الحريرى (الغربية) والمكافأة خمسة آلاف جنيه.

* **الفائزون فى المسابقة العالمية الثامنة:**

الفائزون فى حفظ كامل القرآن الكريم مع تفسير الجزء السادس والعشرين: محمود حسن كمال حسين (مصر) وقيمة المكافأة ثلاثون الف جنيه أمامه صلاح على محفوظ - سبع سنوات - قيمة المكافاة ٥٠٠٠ جنيه من البحيرة، عبدالسلام مصلح محمد - عشرون ألف جنيه - اليمن زكريا محمد زكريا - خمسة عشر الف جنيه.

* **الفائزون في حفظ كامل القرآن الكريم:**

السيد معاز الحلطى - خمسة وعشرون الف جنيه - المغرب، عبدالرحمن انور محمد متولى - عشرون الف جنيه - مصر، مسعود عبداللطيف الفندى - خمسة عشر الف جنيه - ليبيا.

قبس من أنوار النبوة

أبواب الجنة

لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة فقال أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله: ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال نعم، وأرجو أن تكون منهم»(١)

رواه البخاري... ومسلم

البيان

أحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ أدومها وإن قل ـ كما جاء في الحديث المتفق عليه ـ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وأحب الأعمال إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ أداء الفرائض كما جاء في الحديث القدسي عن الله ـ سبحانه وتعالى ـ: «وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه وما يزال يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه».

أخرجه البخاري

إن المداومة على عمل الصالحات سبب للتيسير في الحساب وتجاوز الله ـ تعالى ـ عن عباده، فقد اجتمع حذيفة وأبومسعود، فقال حذيفة: «رجل لقي ربه فقال: ما عملت؟ قال: ما عملت من الخير إلا أني كنت رجلا ذا مال فكنت أطالب به الناس، فكنت أقبل الميسور وأتجاوز عن المعسر، فقال: تجاوزوا عن عبدي.. فقال: أبومسعود: هكذا سمعت رسول الله ﷺ، يقول. أخرجه البخاري ومسلم.

روى البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول

---

(١) زاد المسلم

الله ﷺ : إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا.

قال ابن حجر ـ في فتح الباري ـ هذا في حق من كان يعمل طاعة فمنع منها، وكانت نيته ـ لولا المانع ـ أن يدوم عليها(٢).

وعن عائشة – رضى الله عنها ـ فيما رواه النسائي ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : «ما من امرىء تكون له صلاة بليل فغلبه عليها نوم إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه».

وعن جابر بن عبدالله ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال لنا رسول الله ـ ﷺ ـ : ألا أحدثكم بغرف الجنة، قال : قلت : بلى يا رسول الله.. بأبينا أنت وأمنا، قال : إن في الجنة غرفا من أصناف الجوهر كله.. يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. فيها من النعيم واللذات والشرف ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، قال : قلت : لمن هذه الغرف، قال لمن أفشى السلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»(٣).

وروى أحمد عن أنس – رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ : إن طير الجنة كأمثال البخت.. ترعى من شجر الجنة.. فقال أبو بكر ـ رضى الله عنه – : يا رسول الله.. إن هذه الطير ناعمة.. فقال : أكلتها أنعم ـ قالها ثلاثا ـ وإنى لأرجو أن تكون ممن يأكل منها»(٤).

ولقد بشر رسول الله ـ ﷺ ـ كل من ينفق شيئين من أى شىء كان صنفين أو متشابهين، وقد جاء مفسرا مرفوعا : بعيرين، شاتين، حمارين، درهمين «في سبيل الله» وهذا عام في أنواع الخير وأوجه البر ـ نودى ـ ودعى من أبواب الجنة : يا عبدالله هذا خير ـ «أى خير من غيره في اعتقاد المنادى.. لأن كل مناد من باب يُرغّب المؤمن في الدخول من ذلك الباب لكثرة ما فيه من الخير الكثير والنعيم الدائم» قاله النووى(٥).

فمن كان من أهل الصلاة، المؤدين لفرائضها المكثرين من نوافلها، – ويقال مثل ذلك : في الجهاد والصيام والصدقة ـ «دعى من باب الصلاة» «ومن كان من أهل الجهاد» المخلصين فيه لله – تعالى – «دعى من باب الجهاد» «ومن كان من أهل الصيام» المكثرين منه «دعى من باب الريان» وهو باب من أبواب الجنة يدخل منه أهل الصوم.. لأن الصائم لتعطيشه نفسه في الدنيا يدخل من هذا الباب ليأمن من العطش ثوابا له على ذلك.

«ومن كان من أهل الصدقة» المكثرين منها

---

(٢) المختار من أحكام للحديث من شهر رمضان / لمجموعة من علماء القصيم.

(٣) رواه البيهقي ـ انظر كتاب من وصايا القرآن للأستاذ محمد الأنور البلتاجى ص٣٦.

(٤) انظر من وصايا القرآن المصدر ـ السابق.

(٥) زاد المسلم جـ ٣ صـ ١٠٩.

«دعى من باب الصدقة» وفى رواية «من أبواب الصدقة» وليس فى هذا تكرار مع ما فى صدر الحديث حيث قال: «من أنفق زوجين» لأن ذلك عام فى جميع أنواع البر: كصلاتين أو صيام يومين أو إنفاق دينار وثوب مثلا وهذا خاص بصاحب الصدقة المكثر منها.

هذه أربعة أبواب وجاء بقية الأبواب فى حديث باب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس. وباب الراضين.

قال - صاحب زاد المسلم - وفى نوادر الأصول: من أبواب الجنة باب محمد - ﷺ - وهو باب الرحمة وهو باب التوبة وسائر الأبواب مقسومة على أعمال البر.. وعند الآجرى عن أبى هريرة مرفوعا: إن فى الجنة بابا يقال له الضحى، فإذا كان يوم القيامة ينادى مناد: أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوا منه. وعند الترمذى: باب الذكر.. وعند ابن بطال: باب الصابرين. والحاصل: أن كل من أكثر نوعا من العبادة خص بباب يناسبها ينادى منه وقل من يجتمع له العمل بجميع أنواع التطوعات.. ومن يجتمع له ذلك يدعى من جميع الأبواب على سبيل التكريم.

[فقال أبوبكر - رضى الله عنه -: بأبى أنت وأمى] أى أفديك بهما.

«يا رسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة» أى ليس على المدعو من تلك الأبواب كلها ضرر.. بل ذلك له تكرمة وإعزاز قال فى شرح المشكاة: لما خص كل باب بمن أكثر نوعا من العبادة وسمع الصديق - رضى الله عنه - ذلك رغب فى أن يدعى من كل باب.

وقال ليس على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة.. بل ذلك شرف وإكرام، ثم سأل فقال: «فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟» فقال عليه الصلاة والسلام «نعم» يدعى منها كلها على سبيل التخيير فى الدخول من أيها شاء - لاستحالة الدخول من كلها فى وقت واحد «وأرجو أن تكون منهم» يا أبابكر.. خرج مخرج الأدب مع الله إذ لا يجب عليه سبحانه وهو سبحانه أكرم من أن يخلف رجاء رسوله - ﷺ - وفى قوله: وأرجو أن تكون منهم: أن الصديق من أهل هذه الأعمال كلها إذ رجاؤه ﷺ لا يتخلف إن شاء الله...

ومما يؤيد أنه كان من أهل تلك الأعمال كلها ما أخرجه مسلم عن أبى هريرة أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من أصبح منكم اليوم صائما قال أبوبكر: أنا قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبوبكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكينا؟ قال أبوبكر أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضا؟ قال أبوبكر: أنا فقال رسول الله - ﷺ -: «ما اجتمعن فى امرىء إلا دخل الجنة».

وفقنا الله وجميع أحبتنا للأعمال التى تنال بها تلك المنزلة العظيمة إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

يومئذ يفرح الصائمون

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

يقول رسول الله - ﷺ -: للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه»[1].

ولست أحسب فرحة الصائم عند الإفطار هي فرحة بالطعام والشراب، فهمة الصائم أرفع من ذلك، ولابد أنها فرحته بأنه أدى فرضا فرضه الله عليه. وهي فرحة تتجدد كل يوم وتكتمل في نهاية الشهر فتصبح فرحة كبرى، لأن العبد أفطر وأنهى شهر الصوم، فكأنه طاف طواف الإفاضة آخر مناسك الحج.

والفرحة الأكبر يوم القيامة عند لقاء الله - تعالى - وليس بين الله وبينه ترجمان يترجم له، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم[2] فسوف يفرح عندما يلقى الله - تعالى - بعمل هو له - جل شأنه - وهو الذي يجزي به.

.ويوم القيامة تخرس الألسنة فلا تتكلم، ولا تستطيع أن تدافع، وليس هناك محامون، وسوف يخرس الجميع عندما يعلو صوت الحق:

﴿ هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[3].

إنه لموقف تشيب له الولدان.

نسأل الله - تعالى - أن نكون ممن يفرحون فيه بلقاء ربهم.

إن الله - تعالى - ختم آية الصوم بقوله:

﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4] وها نحن قد انتهينا من الصوم. فهل حصلنا على النتيجة؟ هل حصلنا تقوى الله؟

اسأل نفسك قبل أن تُسأل فلا تجيب، قيِّم عملك قبل أن تقوَّم فلا تزن في موازين الرجال شيئا.

تستطيع أن تخدع الناس طويلا، وقد

---

(1) النسائي ب ٤٠ - الصيام، ابن ماجه رقم ١٦٣٨.

(2)

(3) النساء/ ١٠٩.

(4) البقرة/ ١٨٣.

تصل إلى أن تكذب على نفسك، ولكنك لن تكذب على الله أبدا.

إن الصائم يحصل على التقوى، والمتقون يجعل الله لهم فرقانا، فلا يضلون ولا يتخبطون.

فلماذا نتخبط في دنيا الناس كأننا سكارى؟! ولماذا نضل كأننا غرباء؟!

لأن الدين أصبح عندنا جملة من الأحكام والمعارف المبتورة عن غاياتها النبيلة. وبقيت طباعنا لم تهذب وأهواؤنا ومطامعنا تعلن عن نفسها عند أول منعطف، لأنها تتخفى في صور من الطاعات وقشور من العبادات، أما الضمير فميت!

يقول الله ـ تعالى ـ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(٥).

فهل في رمضان حصلنا على التقوى، وهل حصلنا الفرقان أو جهاز الاستشعار عن بعد أو الإنذار المبكر فنفرق به بين الحق والباطل، إن العبادة عندما تفقد مضمونها، يضعف تأثيرها على القلب، أتدرى لماذا تضل الطريق وتتشعب بك المسالك، فلا تستطيع أن تهتدى، برغم ما تؤديه من عبادات تتصور أنها صالحة تقدمها؟.

لأن العبادات فقدت مضمونها، وعندما تفقد العبادة مضمونها وتصبح طقوسا وحركات جسمانية يضعف تأثيرها على القلب، وينعدم تأثيرها كلية، إذا كان مطعم المتعبد من حرام.

وبهذا أفهم قوله ـ ﷺ ـ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه»(٦) ولقد فهمنا الحديث وفسرناه، وقصرناه على ما يصيب الجسد من شر. والحديث وإن كان يتناول هذا المعنى إلا أن قصره عليه فيه جناية على الحديث، واعتساف للمعنى الجميل الرائع الشامل لكلام سيد المرسلين، ففى امتلاء البطن يكمن داء القلب ـ أيضاً ـ، وقد قيل: المعدة بيت الداء. فالمعدة أكبر عائق في الوصول إلى الدرجات العلى، فهى موضع جمع الأطعمة، فإذا أدخلت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة، وإذا أدخلت فيها الشبه اشتبه عليك الطريق إلى الله، وإذا أدخلت فيها الحرام كان بينك وبين الله حجاب.

يروى أن رجلا قال لأحد العارفين: أوصنى.

فقال له: أنظر خبزك من أين هو؟

وقيل: الطعام في الأفعال كالبذرة في النبات، إذا كان حلالا أنبت حلالا، وإذا كان حراما أنبت حراماً، وكذلك إن كان شبهة أنبت شبهة.

وقيل: إذا صمت فانظر على أى طعام تفطر، فإن الرجل يأكل الأكلة فتشمل قلبه بالسم فلا ينتفع بما أكل في طاعة الله.

---

(٥) الأنفال/٢٩.

(٦) الترمذي رقم ٢٣٨٠، القرطبي جـ ٧، ١٩٢، فتح الباري: جـ ١١/ ٢٨٨.

وروى عن سهل بن عبدالله التستري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: من لم يكن مطعمه من الحلال لم يكشف عن قلبه حجاب، وتسارعت إليه العقبات.

وكان يقول: إنما حجب الخلق عن مشاهدة الملكوت وعن الوصول بسوء المطعم، وأذى الخلق.

وكان إبراهيم الدسوقي ـ رضي الله عنه ـ يقول: مادام لسانك يذوق الحرام فلا تطمع أن تذوق شيئا من المعارف.

وقد روى عن المعصوم ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه لا يتقبل الله منه عملا أربعون يوماً»[٧] هل عرفت يا أخي أن المعدة بيت الداء. داء القلب والأعمال كما أنها داء الجسد. صدق رسول الله ـ ﷺ ـ الذي كان من خصائصه أنه أوتي جوامع الكلم.

اللهم نور قلوبنا وألهمنا التوفيق والرشد.

وفرحة العيد لمن قدم عملا صالحا في رمضان، وصوما متقبلا. فإن وقعت منازلة أو كان منا تقصير فعلينا بالاستغفار، فقد ورد عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «... يغفر فيه ـ أي في رمضان ـ إلا لمن أبى. قالوا: يا أبا هريرة ومن يأبى؟ قال: من أبى أن يستغفر الله ـ عزوجل ـ[٨]».

ويوم العيد هو يوم الجائزة، فقد ورد أن الله ـ تعالى ـ يقول للملائكة ـ إذا اجتمعوا في صلاة العيد ـ: «يا ملائكتي، ماجزاء من وفى عمله؟ فيقولون: يوفى أجره. فيقول الله: أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم».

فهل وفيت عملك في رمضان، حتى توفى أجرتك؟ وهل ستنال جائزتك؟ أم أنك لا تستحق الجائزة؟

ولا تكن من الذين يقولون: ما جدوى هذا الكلام الآن وقد انتهى رمضان. أما كان أحرى أن يقال هذا الكلام قبل رمضان؟

أقول لك: إن هذا القول دسيسة شيطانية وخدعة من إبليس حتى يصرفك عما ينفعك. ومداخل الشيطان متعددة، وهو يأتي لكل إنسان بما يناسبه، فيدخل على العالم بغير ما يدخل به على الجاهل، ويدخل على العابد بغير مايدخل به على العاصي.

إن الشيطان يريد أن يصرفك عن الاستغفار والتوبة والعزم على عدم العودة إلى الذنب. ألسنا مقصرين في حق رمضان؟ من منا يزعم أنه أدى حق رمضان، ولم يقصر في الطاعة ولم يهمل في العبادة والذكر؟

أليس واجبا على المذنب المقصر أن يعتذر إلى مولاه وسيده؟

وبم يكون الاعتذار إلا بالتوبة والاستغفار؟

ومن الآن.. لماذا التأخير والتسويف؟ إن

---

(٧) الدر المنثور (١/١٦٧) ابن كثير (١/٢٩٢).

(٨) من أقوال أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٩)

الشيطان يريد أن يصرفك عن خير وسيلة نحو الذنوب والخطايا الا وهي الاستغفار.

ويخدعك بالتسويف وتأجيل إلى الغد، ويدفعك إلى الإصرار على الذنب. اليس التسويف في التوبة إصرارا، وتأجيل العمل الى الغد خطيئة تضاف إلى خطايانا؟ ومن أدراك أنك تدرك الغد؟ وإذا أدركته هل تكون أحسن حالا وإقبالا على الله مما أنت عليه الآن؟ كيف وقد خرجت من رمضان بأسوء مما دخلت فيه؟ فهل هناك أمل أن تدرك رمضان بخير مما أنت عليه؟

يا من أقام على خطيئته
سدت عليك مذاهب الرشد
منيت نفسك أن تتوب غدا
أو ما تخاف الموت دون غد

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «نية المرء خير من عمله» فتوبتك وأوبتك إلى ربك واستغفارك وفرارك من تقصيرك في حق مولاك، كل ذلك خير لك من عملك الذى قد لا يجيء، وقد لا يبلغ بك العمر فتعمل.

تب الآن، واستغفر لذنبك، فإن ذلك خير لك من عمل سوف يشوبه نقصان بشرى، لأنك إذا نويت العمل فإنه بالنية، يكتب لك الأجر كاملا، أما أداؤك بالفعل فإنه قطعا مشوب بالتقصير، ولهذا يقال: إن سبب خلود المؤمنين في الجنة، وخلود الكافرين في النار بنياتهم، لأن أعمالهم مهما كثرت وأعمارهم مهما طالت فهى محدودة موقوتة، أما نيتهم وعزمهم على طاعة ربهم ماداموا أحياء فذلك دائم غير محدود فناسبه الخلود فضلا من الله للطائعين وعدلا للعصاة المذنبين.

وقد ورد في الحديث القدسي: «إن العبد إذا تأخر عن الصلاة كان يؤديها، يقول الله ـ تعالى ـ للملائكة: انظروا ما حبسه ـ أى ما منعه عن الحضور ـ فتقول الملائكة: حبسه المرض، فيقول الله: اكتبوها له كما كان يؤديها»[10] وما ذلك إلا من أجل عزمه على أداء الصلاة كما كان يؤديها مع أنه في الواقع لم يفعل.

ما أوسع رحمتك يارب بعبادك. فإذا لم نكن ممن يستحقونها فأنت يارب أهل لها.

فإذا لم تكن ممن قدم عملا في رمضان يستحق الفرحة، فلتكن ممن يحصلون عليها بالاستغفار والتوبة والعزم على العمل المخلص لوجه الله الكريم.

نسأل الله السلامة والعافية في الدين والدنيا وأن يجعلنا من الحزب المفلحين.. آمين.. آمين.

(١٠) ابن عساكر (١٩٧/٤).

نظرات في ألفاظ القرآن الكريم

لفظ "أهل"

٤

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله والحمد لله وبعد، فعلى مدى مقالات ثلاث سابقة تتبعنا هذا اللفظ حتى سورة الكهف ونحاول هنا بعون الله - تعالى - أن نتتبعه فيما بقى من الكتاب العزيز فنقول وبالله التوفيق:

ذكرت الكلمة فى سورة الكهف مرتين، المرة الأولى فى قوله تعالى:

﴿ فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا ﴾[1]

ذلك أن موسى- عليه السلام- ألحّ على العبد الصالح (الخضر) أن يصحبه ليتعلم من علمه اللدني، فقبل العبد الصالح بعد أخذ وردّ أن يصحبه موسى بشرط ألا يسأله عن شيء مما يفعله حتى يكون هو الذى يبين له سره وحكمته، فقبل موسى هذا الشرط وانطلقا سويا حتى وصلا إلى الشاطىء وأرادا العبور إلى الجهة الأخرى فركبا سفينة وجدا من أهلها إكراما فعاقبهم الخضر- عليه السلام- ونزع أحد ألواح السفينة فقال له موسى- عليه السلام-: إن هذا سيؤدى إلى غرق السفينة بمن فيها فهل هذا جزاء الإكرام؟ إنه بلا شك غاية فى التنكر، فذكره الخضر بما اتفقا عليه من عدم سؤاله عن شيء يراه عجيبا من فعله فاعتذر له موسى بالنسيان وطلب منه الصفح عن هذه الغفلة فقبل الخضر منه عذره.

والمرة الثانية التى ذكر فيها لفظ «أهل» فى قوله- تعالى-:

(١) الكهف (٧١)

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾(٢).

خالف موسى- عليه السلام- شرط الخضر مرتين، اعتذر في الأولى بالنسيان وفي الثانية اشترط هو علي نفسه إن عاد إلى السؤال فقد حل للخضر ان يفارقه لكنه لم يصبر فحين دخلا قرية اهلها لئام بخلاء ابوا ان يسدوا جوعهما عن طريق الإكرم والضيافة، فرأى الخضر فيها جدارا يوشك أن يتهدم فأصلحه الخضر فاستوى كما كان قبل ذلك بالطرق العادية من استعمال مواد البناء السهلة بمعاونة موسى، وقيل مسحه بيده فقام واستوى معجزة للخضر- عليه السلام- فقال له موسى: لو شئت لاخذت على ذلك أجرا من هؤلاء القوم الذين لا يستحقون معروفا. عندئذ فارقه الخضر، ثم بين له حكمة ما خفى عنه من الأمور التي سأل عنها، أما السفينة فقد خرقها لتصبح معيبة فيتركها جنود الملك الظالم فتبقى لأصحابها المساكين، وأما الغلام فقد سبق في علم الله أنه سيكون كافرا يرهق أبويه، فأراد الخضر أن يبدلهما الله خيرا منه، وأما الجدار فكان ليتيمين صغيرين وكان تحته كنز ادخره لهما أبوهما الذى كان صالحا، فلو سقط الجدار وظهر الكنز لاخذه أهل القرية اللئام عنوة حيث لا يستطيع الصبيان الدفاع عنه فأصلح الخضر الجدار بحيث يظل قائما حتى يكبرا ويستطيعا الدفاع عن كنزهما، عن رسول الله- ﷺ- انه قال: «رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لرأى العجب لكن أخذته من صاحبه ذمامة - حياء - فقال:

﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَـٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴾(٣).

وفي مريم ذكرت الكلمة مرتين الأولى قوله- تعالى-:

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾(٤).

والمعنى: اذكر يا محمد لقومك ولكل العالمين قصة مريم بنت عمران حين اتخذت لها مكاناً شرقي بيت المقدس لتتفرغ فيه لعبادة ربها فجاءها ثمّ الملك ونفخ فيها من روح الله فحملت بعيسى- عليه السلام-.

عن ابن عباس انه قال: (إني لأعلم خلق الله لأى شيء اتخذ النصارى المشرق قبلة لقول الله- تعالى-:

﴿ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾(٤).

فاتخذوا ميلاد عيسى عليه السلام قبلة

والموضع الثاني في قوله- تعالى-:

﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾(٥).

والكلام فيها وفي الآية سابقتها عن إسماعيل - عليه السلام - فقد كان رسولا نبيا عرف

(٢) الكهف (٧٧).
(٣) الكهف (٧٦).
(٤) مريم (١٦).
(٥) مريم ٥٥.

بصدق الوعد، وكان - عليه السلام - يأمر أهله شأن كل رسول بالصلاة والزكاة، وكان لذلك مرضي الأعمال عند الله فاقتدوا أيها العرب بأبيكم إسماعيل في صدق الوعد والوفاء بالعهد والتزام شرع الله وننتقل إلى سورة طه - لنرى لفظة .. «أهل» في الآية العاشرة منها:

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾(٦).

والمعنى وهل بلغك يا محمد شيء عن ابتداء الوحي المبارك إلى موسى، لقد فاجأه الوحي حين ضل الطريق في صحراء سيناء أثناء عودته إلى مصر ففي ليلة شاتية مظلمة ضاع منه الطريق فرأى نارا من بعد عن يسار الطريق فقال لأهله ـ زوجته وأولاده ـ اجلسوا مكانكم ولا تغادروا هذا الموضع فقد أبصرت نارا وسأذهب إليها لعلي أحضر لكم شعلة من النار تستدفئون بها أو أجد على النار من يدلني على الطريق.

وذكرت اللفظة في طه مرة أخرى في قوله - تعالى -:

﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾(٧).

ومازال الحديث عن موسى - عليه السلام - فبعد أن كلمه ربه وأراه بعض المعجزات، وأخبره أنه صار نبيا ورسولا، وأمره بالذهاب إلى فرعون الطاغية، طلب موسى - عليه السلام - من ربه أن يعينه على هذه المهمة بشرح صدره وتيسير أمره وإطلاق لسانه وأن يجعل أخاه هارون معيناً له في هذه المهمة، لأنه أفصح منه لسانا وأكبر سنا وأخبر بأمور فرعون منه فاستجاب الله له هذه الدعوات فقال له:

﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾.

وقد ذكرت أهل مرة ثالثة في السورة نفسها قال - تعالى -:

﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾(٨).

لقد أجاب الله - تعالى - موسى إلى ما طلب، وتلك نعمة أضيفت إلى نعم سابقة أمتن الله بها على موسى وذكره الله بها، وذلك حين ألهم أمه وربط على قلبها فوضعته في التابوت ورمت به في اليم، وألقى الله محبته في قلب كل من رآه خاصة امرأة فرعون وكذلك حين مشت أخته على شاطئ النهر ترقبه من بعيد فلما أخذوه ولم يقبل ثدي امرأة غير أمه قالت لهم أخته وهم لا يعرفونها: هل أدلكم على من يكفله لكم؟ فأعدناك إلى أمك لكي تقر عينها بلقائك ولا تحزن على فراقك، وذكره كذلك بما كان من قتل المصري الذي كان سبباً في خروجه من مصر وتوجهه إلى أهل مدين التي لبث بين أهلها عشر سنوات ثم عاد بعدها وفق ما سبق في قضاء الله وقدره والآية الأخيرة التي ورد فيها لفظ «أهل» في سورة طه هي قوله - تعالى -:

---

(٦) طه (٩-١٠).

(٧) طه (٢٩)

(٨) طه (٤٠).

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(٩).

والمعنى: يأمر الله رسوله محمداً - ﷺ - أن يداوم على أمر أهله بالصلاة وأن يديم هو عليها، لأن العاقل لا يأمر غيره بشيء إلا إذا فعله هو أولاً، لكن الصلاة تحتاج إلى صبر وعزيمة في المداومة عليها -، ولذا قال «**واصطبر عليها**» ولا تشغل نفسك بأمور الدنيا فرزقك مكفول على الله والعاقبة الحسنى لمن اتقى الله وأطاعه.

وفي سورة الأنبياء ذكرت كلمة أهل ثلاث مرات الأولى في قوله - تعالى -:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٠).

ومعناها كآية النحل السابقة، أي أن الله - تبارك وتعالى - لم يرسل إلى الناس قبل محمد - ﷺ - رسلاً ملائكة، فكل الرسل كانوا رجالاً، فاسألوا يا أهل مكة أهل الديانات السابقة يخبرونكم بذلك إن كنتم لا تعلمون.

والثانية قوله تعالى:

﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴾(١١).

والمعنى: واذكر يا محمد خبر نوح إذ نادى ربه قبلك ودعاه أن ينصره على القوم الكافرين، فقال

﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴾(١٢)

فاستجاب الله دعاءه ونجاه من الغرق هو وأولاده المؤمنين ومن آمن به من سواهم وأغرق أهل السوء الكافرين فكان هذا نصر الله عليهم.

والآية الأخيرة في الأنبياء قوله - تعالى -:

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾(١٣).

والمعنى: لقد استجاب الله - تعالى - لأيوب - عليه السلام - حين نادى ربه: أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وكشف ما به من ضر في جسمه بأن عافاه من المرض وأعاد إليه صحته خيراً مما كانت وأعطاه أولاداً ضعف أولاده الذين ماتوا كل ذلك رحمة من الله، لأنه صبر على هذا الضر في البدن والمال والأولاد، وليتذكر ويتعظ به العابدون فيصبروا كما صبر فينالوا من الثواب في الدنيا والآخرة مثل ما نال - عليه السلام - وقد ذكرت الكلمة مرة واحدة في سورة المؤمنون في - قوله تعالى -:

﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوٓا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾(١٤).

وهي مثل آية هود في المعنى إلا قليلاً، لقد يئس نوح - عليه السلام - من إيمان قومه الذين لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً

---

(٩) طه (١٣٢). (١٠) الأنبياء (٧). (١١) الأنبياء (٧٦).
(١٢) القمر (١٠). (١٣) الأنبياء (٨٤). (١٤) المؤمنون (٢٧).

يدعوهم إلى عبادة الله دون جدوى خاصة بعد أن أخبره ربه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن، فأمره ربه أن يصنع الفلك بعنايته ورعايته حتى إذا جاء أمر الله بالطوفان ورأى تنور الخبز يفور بالماء أمره الله أن يدخل في السفينة من كل نوع من الحيوان زوجين اثنين ذكراً وأنثى ويدخل فيها كذلك من آمن به وأبناءه ونساءهم إلا من سبق القول بهلاكه لكفره، أما من عدا هؤلاء فهم مغرقون فلا تسألني نجاتهم.

وفي سورة النور ذكرت الكلمة مرة واحدة في قوله- تعالى-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(15).

ينهى الله المسلمين أن يدخلوا بيوت الآخرين إلا بعد الاستئذان الذي يحصل به، وبالإذن بعده الأنس، وبيَّن -سبحانه- أن في الاستئذان والسلام خيرا كثيرا للمسلمين كي يتذكروا ويتعظوا.

وذكرت الكلمة في سورة الشعراء مرتين في آيتين متتاليتين هما قوله -تعالى-:

﴿ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ۝ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾(16).

والحديث فيهما عن لوط- عليه السلام- فقد أعلن البراءة مما يفعله قومه المفسدون، وذكر لهم أنه يكره هذا العمل المخالف لطبائع البشر بل والحيوان ثم سأل الله- تعالى- أن ينجيه وأهله من هذا العمل البالغ الذروة في السوء، فاستجاب الله له ونجاه وأهله من عملهم ومن العذاب الذي نزل بهم، لكن امرأته عجوز السوء حل بها العذاب لكفرها وخيانتها للوط- عليه السلام -.

فإذا انتقلنا إلى سورة النمل رأينا الكلمة في قوله- تعالى- :

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾(17).

ومعناها كمعنى الآية من سورة طه، فحين أبصر موسى النار في صحراء سيناء والجو بارد والظلام شديد والمطر نازل قال لأهله: الزموا هذا المكان ولاتبرحوه حتى أذهب إلى النار وأعود بخبر عن الطريق الذي ضللناه أو أقبس شعلة من النار أحضرها لكم تستدفئون بها.

وذكرت الكلمة في النمل مرة ثانية في قوله- تعالى-:

﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾(18).

ومعناها -والله أعلم- لما توعد سليمان الهدهد لغيابه بلا إذن، أخبره أنه كان في مهمة خطيرة تتصل بالدعوة، فقد رأى في اليمن امرأة

---

(15) النور (27).

(16) الشعراء 169، 170.

(17) النمل (7).

(18) النمل (34).

ذات ملك عظيم تعبد هي وشعبها الشمس من دون الله وتسجد لها، فأراد –عليه السلام– أن يستوثق الخبر، فأرسله بكتاب يأمرها فيه وقومها بالإسلام والمثول بين يديه، فاستشارت الملأ من قومها، فلم تجد عندهم سوى القوة فإن أرادت أن تحارب كانوا طوع أمرها، لكنها كانت أعقل منهم فقالت لهم: إن الملوك إذا دخلوا بلدا فاتحين أفسدوها بالقتل والتخريب وحولوا ذوى العز من السكان إلى أذلاء فهذا دأبهم.

وذكرت الكلمة مرتين في الآية التاسعة والأربعين

﴿قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(١٩).

لقد تآمر قوم صالح– عليه السلام –عليه وعلى ناقته فعقروها وتوعدوه بالقتل وتحالف الرهط التسعة المفسدون في الحجر أن يقتلوا صالحا قبل أن يحل بهم العذاب الذي توعدهم به بعد ثلاثة أيام وبعد ذلك يقسمون لأولياء دمه ما قتلناه ولا رأينا مقتله وإننا صادقون في ذلك، ولقد أفسد الله مكرهم فأهلكهم وعجل لهم العذاب قبل قومهم وصدق الله العظيم

﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

والمرة الأخيرة التي ذكر بها لفظ الأهل في النمل قوله– تعالى–:

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(٢٠).

والآية تفيد أن الله نجى لوطا وأهله إلا زوجته الخائنة فقد سبق في علم الله أنها من الهالكين.

وفي سورة القصص ذكرت الكلمة عدة مرات أولاها في قوله– تعالى–:

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢١).

بدأ الحق– سبحانه وتعالى–: قصة سيدنا موسى– عليه السلام– بذكر طغيان فرعون فقد تجبر في مصر وظلم أهلها وقهرهم وجعلهم فرقا مختلفة وأحزابا متعددة وبث بينهم العداوة كي يكيد بعضهم لبعض فتذهب ريحهم ويسهل عليه إخضاعهم فاستضعف بعضهم وأذلهم بقتل الذكور من أبنائهم ويستحيي النساء. فعل كل شئ وأبشع منه لأنه كان من المفسدين. والمرة الثانية التي ذكرت فيها الكلمة في القصص هي قوله– تعالى–:

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾(٢٢).

والمعنى أن الله– تعالى– لكي ينجز وعده لأم موسى أن يرده إليها حرم عليه المراضع فجعله لا يقبل ثدى أي امرأة وكانت أخته ترقبه من بعيد تنفيذا لأمر أمها، فقالت حين رأت اهتمامهم برضاعه وحرصهم على بقائه: أنا أستطيع أن أرشدكم إلى أهل بيت يأخذونه ويرضعونه ويتولون تربيته رغبة في خدمة الملك وإرضائه

(١٩) النمل (٤٩).

(٢٠) النمل ٥٧.

(٢١) القصص (٤).

(٢٢) القصص (١٢).

وسيكونون ناصحين له تقربا إلى الملك بذلك.

وذكرت الكلمة مرة ثالثة في قوله- تعالى-:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾(٢٣).

والمعنى أن موسى- عليه السلام- قد تربى في قصر فرعون فاقبل من القصر في عين شمس ودخل العاصمة وقت الظهيرة والناس غافلون عنه فوجد فيها رجلين أحدهما إسرائيلي من قومه والثاني قبطي من أعدائه وجدهما يقتتلان فطلب الإسرائيلي من موسى أن يغيثه وينقذه من القبطي فضربه موسى بجمع يده في صدره كي يدفعه بعيدا عن الإسرائيلي فقتله من حيث لايدري أن هذه اللكمة ستقضي عليه فندم على ذلك، وقال: هذا من عمل الشيطان إنه عدو للإنسان مضل له.

والمرة الرابعة التي ذكرت فيها الكلمة في القصص قوله- تعالى-:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾(٢٤).

والأجل الذي قضاه موسى في مدين هو المدة التي اتفق عليها مع صهره شعيب أن يعمل له ثماني أو عشر سنوات أجيرا مهرا لابنته فلما قضى أتم المدتين سار بزوجته وولده وخادمهما نحو مصر فضل الطريق بسبب المطر والبرد والظلام، فأبصر من بعيد نارا، فقال لأهله: اجلسوا حتى آتي النار فأحضر لكم جذوة منها تصطلون بها وقد أجد عند النار من يدلنا على الطريق.

والمرة الأخيرة لهذه الكلمة في القصص قوله- تعالى-:

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾(٢٥).

والمعنى أن الله - سبحانه - جرت سنته في خلقه ألا يهلك أهل القرى حتى يبعث في عاصمتها رسولا يدعوهم إلى الله يبشرهم وينذرهم بتلاوة آيات الله عليهم ليكون ذلك قاطعا لعذرهم ودافعا لهم بالحجة، فإذا كذبوا وظلموا أنفسهم بعد إرسال الرسول، فقد استحقوا العذاب بعدل الله- تعالى- وصدق الله العظيم

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(٢٦)

صدق الله العظيم، وإلى اللقاء في مقال قادم إن شاء الله.

---

(٢٣) القصص (١٥).
(٢٤) القصص (٢٩).
(٢٥) القصص (٥٩).
(٢٦) الإسراء (١٥).

قضايا قرآنية :

قضية التجويد

(١)

لفضيلة الشيخ / صديق بكر علي عيطة

مانزال فى مناقشة هذا الفكر الرافض لكل علوم القرآن، مدعيا أنه يبحث عن الحقيقة، وقد وصل بنا المسير فى آخر الحلقة الماضية إلى تهجم صاحب كتاب « الفرقان » على علم التجويد؛ حيث إن هناك إصرارا من جانب الرجل على تلطيخ وجه هذا العلم بكل منقصة، حتى وإن دعاه ذلك إلى أن يركب الشطط فوق الشطط فوق الشطط.. ويلوى عنق الحقائق، ويلف ويدور، ويغالط فى مناقشة الأدلة، التى ترفض رأيه ليحيلها إلى ما يؤيده. ومما يؤكد على صحة ما نقول، عبارة الإمام الغزالى، التى نقلها المؤلف فى صفحة ١٣٨ من كتابه « الفرقان »، مدللا على صحة ما زعمه، وسوف نثبتها هنا ليدرك القارىء، كم هى كبيرة تلك الجناية التى يرتكبها الرجل فى حق الإمام؛ حيث لوى عنقها، وحملها من المعانى والأهداف فوق ما تحتمل، يقول المؤلف: « قال الغزالى - رضى الله تعالى عنه -: أكثر الناس قد منعوا من فهم القرآن، لأسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم، فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن ».

« ومنها أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف، بإخراجها من مخارجها؛ وهذا يتولاه شيطان وكّل بالقراء ليصرفهم عن فهم معانى كلام الله - تعالى - ».

« فلا يزال يحملهم على ترديد الحروف؛ يخيل إليهم أنها لم تخرج من مخارجها، فلهذا يكون تأملهم مقصورا على ذلك. فأنى تنكشف لهم المعانى ؟ ».

« وأعظم ضحكة للشيطان: من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس » اهـ كلام الغزالى الذى نقله المؤلف.

وقد سلك هذا الرجل للوصول إلى غرضه، وهو تحميل كلام الإمام مالا يحتمل طريقين:

الطريق الأول: طريق حذف مالا يستغنى عنه القارىء، إذا أراد أن يتعرف حقيقة هدف الإمام؛

وذلك ليوحي المؤلف إلى القارئ، بما يريده هو، لا بما يريد الإمام. قال المؤلف: «قال الغزالي -رضي الله تعالى عنه-: أكثر الناس قد منعوا من فهم القرآن، لأسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم.... ألخ».

والحق أن هذه ليست عبارة الإمام بتمامها. وإنما عبارته كالتالي «... فإن أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن. قال -ﷺ-: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت» ومعاني القرآن من الملكوت وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت. وحجب الفهم أربعة: أولها أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل ليصرفهم عن معاني كلام الله -عز وجل- فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فأنى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس»[1].

فانظر أيها القارئ كيف حذف، وبدل من عبارة الإمام بما يغير من هدفه ويجعله حجيجه يوم القيامة.

الطريق الثاني: عدم تهيئة القارئ بمعرفة حقيقة ما قبل النص المنقول، وما بعده اعتمادا على أنه -غالبا- لا يقرأ باستفاضة في مثل هذه المراجع النادرة، وإن من يقرأ قبل عبارة الإمام المنقولة، في «الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة» يرى أن الأدب الثاني من هذه الآداب يركز على مقدار القراءة.

يقول الإمام الغزالي في هذه النقطة: «وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة، وبعضهم مرتين، وانتهى بعضهم إلى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة، وأولى ما يرجع إليه في التقديرات قول رسول الله -ﷺ-: «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه» وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة -رضي الله عنها- لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي -ﷺ- عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع..»[2].

والذي يعنينا هنا من هذه الفقرة أن القراءة المعتد بها هي ذلك الترتيل الذي يسمح بالتفقه وفهم معاني الكتاب العزيز سواء ختم القرآن في ثلاث أو أسبوع أو أكثر كما يفهم من صريح عبارة الحديث، وخبر عائشة -رضي الله عنها- ولا يكون الترتيل إلا بإعطاء الحروف حقها ومستحقها، كما يقول علماء التجويد في تعريفهم لهذا الفن.

والمؤلف يصرف النظر عن كل ذلك ويشوه في عبارة الإمام التي نقلها، ليثبت ما يرمي إليه، وهو ذم علم التجويد !!

---

(١) إحياء علوم الدين جـ١ ص٢٨٥ ط دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

(٢) إحياء علوم الدين جـ١ ص٢٧٦ ط دار إحياء الكتب العربية.

فانظر أيها القارئ. كيف أن الإمام الغزالى يقصد فى صريح كلامه هؤلاء المرضى النفسانيين الذين وقعوا فى حبائل الشيطان صرعى تلبيسه، فلا يزال الواحد منهم يردد الحروف بخيل إليه أنها لم تخرج من مخارجها؛ فإذا بالمؤلف الواعى، الفاهم لكلام الإمام يأخذ هذه الحالة المرضية الخاصة، ويعممها على جميع القراء الذين يهتمون بقراءة القرآن الكريم، ويعطونها حقها ومستحقها فى بساطة ويسر، دون أن يشعروا بحرج فى صدورهم؛ لأنهم ذوو نفوس نقية، وفطر سليمة تكفل لهم الأداء الجيد.

الإمام يهدف إلى التحذير من الشيطان وتلبيسه الذى يركب من النفس كل مركب، ليجعل من هذه العبادة الجليلة، ذات المنزلة العليا فى الإسلام، ما تضيق به النفس لاقترانها بذلك الحرج الذى يطبق على الصدور المريضة التى استسلمت للشيطان وأسلمته مقاليدها حتى أثناء الصلاة.

والمؤلف يهدف إلى التنفير مطلقا من كل عناية بالقرآن الكريم، ويحشو التراب على رؤوس القراء، ويصمهم بالتعنت والتنطع.. فهو يورد كلام الإمام الغزالى ويفسره بطريقته الخاصة، وسط جو كله شحون ضد علماء القراءات والتجويد. فمثلا فى صفحة ١٣٣ قال: «وبهذا يبطل ما يدعيه القراء، من وجوب القراءة بطرق معينة، ومدود مقدرة، وقلقلة، وإدغام، وإشمام، إلى غير ذلك مما هو مدون فى كتبهم أراحنا الله -تعالى- منهم» وقال فى نفس الصفحة: «وقد بلغ من تضييق القراء وتعسفهم: أن جعلوا القرآن الكريم، السهل، السمح، الميسر للتدبر والتفكر: صعبا، شديدا، مغلقا، مبهما».

المؤلف ورأى الشيخ خلف الحسينى

يرفع المؤلف راية الاحتجاج على الشيخ محمد خلف الحسينى شيخ المقارىء المصرية، السابق، حينما صرح «بأن أخذ القرآن من المصحف لا يجوز، ولو كان مضبوطا»، ويعلق على رأيه بقوله: «وهذه جرأة عظيمة على الحق، واحتكار لكتاب الله -تعالى- الذى أنزل للعامة قبل الخاصة، وللجهال قبل العلماء، وللأشقياء قبل الأتقياء» (صفحة ١٣٥)

وفضلا عن أن أسلوبه يعتمد على الإثارة والاستفزاز، وكأنه يقف خطيبا بين حشد من الجُهّال والعامة والأشقياء وهو يثيرهم ضد العلماء والخاصة والأتقياء، فضلا عن ذلك لا ندرى من أين فهم هذا الاحتكار!! فى حين أن عبارة الشيخ، التى نقلها المؤلف نفسه، لا تدعو لأكثر من أخذ القرآن عن «شيخ» من حفّاظ القرآن، ولقد صدق أمير الشعراء حين قال:

فخـــذوا العلم على أعلامـــه
واطلبـــوا الحكمـــة عند الحكمـــاء

وهذا حق أبلج لا غموض فيه، ولا التواء، ولا مكابرة. لم يقل الشيخ لا يتعلم القرآن إلا من كانت صفته كيت وكيت، أو أى شىء من هذا القبيل، بل هو يدعو إلى أن يتحمل حفاظ القرآن الكريم، الذين يتلونه حق تلاوته مسئولية الحفاظ على بقاء حبل التواتر موصولا مابقيت الحياة، وما كان هناك قرآن يتلى، هذا التواتر الذى يتصل سنده برسول الله -ﷺ- فقراءة القرآن علم له أصوله وقواعده، التى تُطلب ممن يجيدونها، والأمر

ما قال رسول الله -ﷺ-: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه».

«وبالجملة فإن التعبد بفهم معاني القرآن في وزن التعبد بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالنبي -ﷺ-».

«وقد عد العلماء القراءة بغير هذا التجويد لحنا خفيا؛ لأن المختص بمعرفته وتمييزه هم أهل القراءة الذين تلقوه من أفواه العلماء، وضبطوه من ألفاظ أئمة أهل الأداء»[3] ولا يمكن أن يرتقي الأداء القرآني إلى ما يجب أن يرتقي إليه إلا بالسماع، الذي هو سيد الموقف، وواقع الحال خير شاهد على ذلك.

أما أن الشيخ محمد خلف الحسيني يدعو إلى الاحتكار، فهذا أبعد مايكون عن عبارته.

جاء في «الإتقان» للسيوطي: «اعلم أن حفظ القرآن فرض كفاية على الأمة، صرح به الجرجاني في الشافي والعبادي وغيرهما. قال الجويني: والمعنى فيه ألا ينقطع عدد التواتر فيه؛ فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين، وإلا أثم الكل. وتعليمه -أيضا- فرض كفاية، وهو أفضل القرب ففي الصحيح «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأوجه التحمل عند أهل الحديث السماع من لفظ الشيخ والقراءة عليه والسماع عليه بقراءة غيره والمناولة والإجازة والمكاتبة والعرضية والإعلام والوجادة فأما غير الأولين، فلا يأتي هنا لما يعلم مما سنذكره وأما القراءة على الشيخ فهي المستعملة سلفا وخلفا، وأما السماع من لفظ الشيخ فيحتمل أن يقال به هنا لأن الصحابة -رضي الله عنهم- إنما أخذوا القرآن من النبي -ﷺ- لكن لم يأخذ به أحد من القراء والمنع فيه ظاهر؛ لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على كيفية الأداء كهيئته بخلاف الحديث؛ فإن المقصود فيه المعنى أو اللفظ لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن وأما الصحابة فكانت فصاحتهم وطباعهم السليمة تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه من النبي -ﷺ- لأنه نزل بلغتهم، ومما يدل للقراءة على الشيخ عرض النبي -ﷺ- القرآن على جبريل في رمضان كل عام (ويحكى) أن الشيخ شمس الدين بن الجزري، لما قدم القاهرة وازدحمت عليه الخلق لم يتسع وقته لإقراء الجميع فكان يقرأ عليهم الآية ثم يعيدونها عليه دفعة واحدة، فلم يكتف بقراءته. وتجوز القراءة على الشيخ ولو كان غيره يقرأ عليه في تلك الحالة، إذا كان بحيث لايخفى عليه حالهم، وقد كان الشيخ علي السخاوي يقرأ عليه اثنان وثلاثة في أماكن مختلفة ويرد على كل منهم، وكذا لو كان الشيخ مشتغلا بشغل آخر، كنسخ ومطالعة، وأما القراءة من الحفظ فالظاهر أنها ليست بشرط، بل يكفي ولو من المصحف»[4].

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة -إن شاء الله- لنواصل المسيرة.

---

(٣) اعجاز القرآن للرافعي ص ٦١.

(٤) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ٩٩ ط البابي الحلبي، الطبعة الثالثة.

مقومات وحدة الأمة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة

للأستاذ الدكتور/ محمود حمدى زقزوق

ينقسم بحثنا حول، مقومات وحدة الأمة الإسلامية فى ضوء القرآن والسنة، إلى قسمين، نتحدث فى القسم الأول منهما عن بعض النقاط التمهيدية والمقدمات العامة التى نمهد بها للقسم الثانى الذى نتناول فيه المقومات الأساسية والأبعاد المختلفة لوحدة الأمة الإسلامية وذلك فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية ثم نختم حديثنا بالإشارة إلى بعض المخاطر التى تهدد وحدة الأمة الإسلامية ونتناول فى هذا الصدد - أيضا - واقع الأمة الإسلامية وآفاق المستقبل.

القسم الأول: مقدمات عامة

١ - مفهوم الأمة الواحدة فى القرآن:

إذا بحثنا عن كلمة وحدة في المعاجم فستجد أن الوَحدة (بفتح الواو) تعنى الانفراد. تقول رأيته وحده أى منفرداً، ووحَّده توحيداً جعله واحداً، ورجل متوحِّد أى منفرد، ولابن باجه الفيلسوف كتاب بعنوان «تدبير المتوحد». والتوحيد: الإيمان بالله وحده، والمسلمون موحدون لأنهم أفردوا الله بالعبادة دون غيره، وتوحد الله إنساناً بعصمته أى عصمه ولم يكله إلى غيره[1].

والملاحظ أن كلمة الوحدة مضافة إلى الأمة أى وحدة الأمة لم ترد فى القرآن الكريم، ولكن ورد وصف الأمة بأنها واحدة. فالتركيز فى القرآن قد جاء إذن على مفهوم الأمة التى توصف بأنها أمة واحدة وليس على مفهوم الوحدة التى تضاف إلى الأمة. وهذا يعنى أن الأمة الواحدة هى الأصل، أما

(١) راجع القاموس المحيط ومختار الصحاح.

مسألة توحيد الأمة ووحدتها فقد كانت متأخرة في الزمان بعد أن طرأ الاختلاف على الأمة مما استدعى القيام بجهود كبيرة لإعادتها إلى أصل نشأتها عن طريق الرسالات السماوية المتعاقبة.

فنحن نقرأ في القرآن الكريم وصف الأمة بأنها واحدة في موضعين:

في سورة الأنبياء (آية ٩٢):

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾

وفي سورة المؤمنون (آية ٥٢):

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾

وباستعراض كتب التفسير نجد أن السياق الذي وردت فيه هاتان الآيتان يدل على أن المراد بالأمة الواحدة هي أمة الأنبياء. فهي «أمة واحدة تدين بعقيدة واحدة وتنهج نهجا واحدا هو الاتجاه إلى الله دون سواه، أمة واحدة في الأرض، ورب واحد في السماء لا إله غيره ولا معبود إلا إياه، أمة واحدة وفق سنة واحدة تشهد بالإرادة الواحدة في الأرض والسماء»[٢].

ويرى بعض المفسرين أن الإشارة بالأمة الواحدة في سورة الأنبياء تنصرف إلى الأمة المحمدية، فهي ملتكم التي يجب أن تتمسكوا بها ولا تنحرفوا عنها.. هي ملة واحدة كما عرفتم من الأمم مع أنبيائهم، أي ملة واحدة غير مختلفة في الأصول والعقائد[٣].

ويقول الزمخشري في تفسيره «الكشاف»: إن الأمة بمعنى الملة، والإشارة هنا بالأمة الواحدة في هاتين الآيتين إلى ملة الإسلام. والمعنى: «أن ملة الإسلام هي ملتكم التي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يُشار إليها بأنها ملة واحدة غير مختلفة»[٤].

ولعل هذا التفسير يلتقي أيضا مع تلك الدعوة التي دعا بها إبراهيم وإسماعيل ربهما وهما يرفعان القواعد من البيت الحرام:

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾[٥].

وفي تفسير الفخر الرازي لآية سورة (المؤمنون):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾

يرد على اعتراض قد يرد على الأذهان يقول: كيف يكون دين الأنبياء واحدا (المعبر عنه هنا بالأمة الواحدة) مع أن شرائعهم مختلفة؟

ويقول الفخر الرازي في رده على هذا الاعتراض: «إن المراد من الدين ما لا يختلفون فيه من معرفة ذات الله- تعالى- وصفاته. وأما الشرائع فإن الاختلاف فيها لا يسمى اختلافا في الدين، فكما يقال في الحائض والطاهر من النساء أن دينهن واحد وإن افترق تكليفهما فكذا هنا. ويدل على ذلك قوله:

﴿ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾.

---

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب - طبعة دار الشروق - مجلد٤ ص٢٣٩٥ وما بعدها، وكذلك ص٢٤٦٩.

(٣) راجع التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازي ج١٧ ص٣١.

(٤) راجع تفسير الكشاف للزمخشري ص٢٠٥ ج٣.

(٥) سورة البقرة: ١٢٨.

فكأنه نبه بذلك على أن دين الجميع واحد فيما يتصل بمعرفة الله- تعالى- واتقاء معاصيه، فلا مدخل للشرائع وإن اختلفت فى ذلك(٦).

ومن ذلك يتضح أن الوحدة هنا تعنى وحدة المقاصد والغايات ولا يلزم بالضرورة أن تكون وحدة فى الشرائع أو الوسائل . ومما يدل أيضا على التأكيد على وحدة الدين بصرف النظر عن اختلاف الشرائع قوله- تعالى- فى سورة الشورى (آية ١٣):

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾

وذلك بجانب قوله- تعالى- فى آية أخرى:

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾(٧).

٢- منشأ الاختلاف فى الأمة الواحدة:

وإذا كانت هذه الآيات التى تتحدث عن وحدة الأمة فى الدين الذى جاءت به الرسل جميعا فإن هناك أسبابا ذكرها القرآن الكريم للاختلاف فى داخل هذه الأمة الواحدة يتجاوز الاختلاف فى الشرائع، وهناك مفاهيم أخرى للأمة تتسع أو تضيق على حسب الأحوال. فالراغب الأصفهانى مثلا يقول فى تعريفه للأمة: «الأمة كل جماعة يجمعهم أمر ما: إما دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أم اختيارا»(٨).

وقد كان الناس فى الأصل أمة واحدة على الحق ثم اختلفوا بسبب الحسد والبغى بدءاً من قتل قابيل لأخيه هابيل، والأمر ذاته ينطبق على من بقى فى السفينة بعد الطوفان، إذ كانوا جميعا على الحق والدين الصحيح ثم اختلفوا بعد ذلك . ويدل على هذا قول الله- تعالى- :

﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾(٩).

وقوله تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾(١٠)

أى بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين بعد أن حدث الاختلاف كما تنص على ذلك الآية الكريمة.

ولكن هذا الاختلاف بين البشر الذى نشأ بسبب الانحراف عن الدين ليس أمرا خارجا عن المشيئة الإلهية، وإنما هو أمر يتفق مع سنة الله فى خلقه. فالله سبحانه كان يستطيع لو شاء أن يجعل الناس جميعا أمة واحدة إلى قيام الساعة، ولكنه- سبحانه- أراد أن يختبر خلقه ليميز الخبيث من الطيب، وذلك مصداقا لقوله - تعالى- :

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾(١١)

---

(٦) التفسير الكبير للفخر الرازى - مجلد ١٢ ج٢٣ ص١٠٥ - دار الفكر.

(٧) المائدة: ٤٨.

(٨) نقلا عن أحمد محمد شاكر فى تعليقه على مادة «أمة» فى دائرة المعارف الإسلامية.

(٩) يونس: ١٩.

(١٠) البقرة: ٢١٣.

وقوله تعالى:

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[12]

فهو- سبحانه - يضل من يشاء ممن رأى فى سابق علمه أنه لو ترك ونفسه لما فعل إلا الضلال والبهتان، ويهدى من يشاء ممن اطلع عليه فى سابق الأزل فرآه يميل إلى الخير ولو ترك وشأنه لما فعل إلا الخير[13].

وهناك آيات أخرى فى نفس المعنى فى سورة هود (آية ١١٨) وفى سورة الشورى (آية ٨).

٣- الوحدة والخصائص المميزة:

وبعد هذا التمهيد الذى طال بعض الشىء، نستطيع أن نتبين من خلاله فيما يخص الأمة الإسلامية بالمعنى التاريخى أن وحدة الأمة الإسلامية لا ينبغى أن يفهم منها نفى الخصائص المميزة لكل شعب من شعوب الأمة الإسلامية داخل هذه الوحدة. فالوحدة هى الإطار العام تنفى التناقض ولكنها لا تنفى الاختلاف فيما هو خارج نطاق الأصول العامة.

فوحدة الأسرة ليس معناها إذابة كل الفروق النفسية والعقلية بين أعضائها فكل مُيسر لما خُلق له. ووحدة المجتمع لا تعنى القضاء على اختلاف وجهات النظر فيما هو محل اجتهاد، ولا تعنى طمس معالم ذاتية الأفراد واعتبارهم أدوات صماء أو نسخا مكررة، فتلك وحدة لا يمكن أن تبنى مجتمعا متماسكا.

والشىء نفسه ينطبق على وحدة الأمة الإسلامية بصفة عامة، إذ ليس معنى هذه الوحدة طمس الخصائص التى تتميز بها شعوب الأمة الإسلامية وجعلها بلا لون. فقد خلق الله الناس شعوبا وقبائل لتتعارف وتتآلف لا لتذوب خصائصها كلية، وإلا لم يكن هناك داع فى الأساس لجعلهم شعوبا وقبائل.

وكمثال بسيط يعبر عن احترام الإسلام لما تتميز به كل طائفة أو قوم من خصائص مادامت لا تتناقض مع مقررات الدين ما رواه الإمام البخارى عن عائشة- رضى الله عنها- أنها زفت جارية يتيمة كانت فى حجرها لرجل من الأنصار. فدخل رسول الله ولم يسمع الغناء. فقال: يا عائشة ألا بعثت معها من يغنى، فإن الأنصار قوم يحبون الغناء أو يحبون الغزل. فلو بعثتم معها من يقول:

أتيناكم أتيناكم .. فحيونا نحييكم
لولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
لولا الحنطة السمرا .. ما سمنت عذاريكم[14].

فوحدة الأمة الإسلامية لا تصادم أية خصائص يتميز بها كل شعب من شعوب الأمة الإسلامية مادامت فى الإطار المشروع، وما دام الجميع ملتزمين بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ويؤكد جمال الدين الأفغانى على هذه النقطة قائلا:

«لا ألتمس بقولى هذا -فى الدعوة إلى وحدة

---

(١١) المائدة: ٤٨.

(١٢) النحل: ٩٣

(١٣) التفسير الواضح ج١٤ ص٥٠، انظر أيضا ج١٢ ص٦٠، ج٢٥ ص١١

(١٤) رواه البخارى وابن ماجه والحاكم فى المستدرك.

الأمة الإسلامية- أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصا واحدا، فإن هذا ربما كان عسيرا، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فإن حياته بحياته وبقاءه ببقائه[15].

٤- الوحدة الكمية والوحدة النوعية:

والإسلام عندما يتحدث عن وحدة الأمة الإسلامية ويحث عليها ويدفع المؤمنين دفعا إليها فإنه لا يركز بأية حال من الأحوال على مجرد الكثرة العددية. فالوحدة الكمية لا يمكن أن تكون هي الأساس المتين لبناء الأمة وقوتها. فإذا بنيت مثل هذه الوحدة على أساس من الكثرة العددية فقط فسيكون البناء بناء هشا لا قيمة له ولا قوام، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه بمصطلحات العصر أنه وحدة شعارات خالية من المضمون.

وينطبق على مثل هذه الوحدة الهشة التي تُعد جسدا بلا روح ما عبر عنه النبي- ﷺ- بغثاء السيل. فقد روى أبو داود في سننه والإمام أحمد في مسنده أن رسول الله - ﷺ - قال:

[توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت][16].

وعندما نظر المسلمون في غزوة حنين إلى كثرة عددهم وأصابهم شيء من الغرور وقالوا: لن نغلب اليوم عن قلة دارت عليهم الدائرة وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[17]

ومن أجل ذلك يركز الإسلام على الوحدة النوعية. فالنوعية المؤمنة القليلة العدد تستطيع بوحدتها وتماسكها وقوة إيمانها وثقتها بنصر الله- تستطيع أن تتغلب على الكثرة الكاثرة الخاوية من الإيمان. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[18]

فبناء وحدة الأمة لا بد أن يقوم على أسس راسخة حتى يكون بناءً متينا شامخا ولا بد أن تكون عناصر هذا البناء قوية متينة. ومن هنا نجد النبي- ﷺ - يؤكد على أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وأن «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»[19].

---

(١٥) د. محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص٧٦ نقلا عن مجموعة العروة الوثقى ص١٩٢.

(١٦) سنن أبي داود، وكتاب الملاحم ٥/ ج٤ ص٤٨٢ (طبعة استانبول. الكتب الستة مجلد ١٠).

(١٧) التوبة: ٢٥.

(١٨) البقرة: ٢٤٩.

(١٩) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

حضارة الإسلام وأثرها فى تقدم أوروبا

لفضيلة الشيخ / عبد الحفيظ فرغلى القرنى

من حسن حظ العرب أن الإسلام نبت فى أرضهم وشرّق وغرّب على أيديهم، وليس من الصواب اتهام العرب كافة قبل الإسلام بالجهالة والتأخر، فقد كانت هناك حضارة عربية قديمة، ولعله من نافلة القول أن نذكر أن حضارة العرب من أقدم الحضارات فى العالم.

وجاء الإسلام بنوره فجلا أبصار العرب وأزال الغشاوة عنها فأصبح لديهم الاستعداد لحمل رايته والمضى بها قدماً للتبشير بدين الله فى أرضه الواسعة، وحمل رسالة الحضارة إليه، وبذلك أصبحت حضارة الإسلام منتشرة فى الأصقاع التى وصلت إليها رسالة الإسلام، وأصبحت أصلا لحضارة أوروبا التى أخذت من العرب وتتلمذت عليهم وسارت على نهجهم، ثم تقدمت فى حين أن العرب تحت عوامل كثيرة تأخروا فسُبِقُوا.

ولا نقول هذا القول من موقع التعصب، بل هو من موقع الحقيقة التى شهد بها المنصفون من أهل الغرب أنفسهم ـ من أمثال « جوستاف لوبون » فى كتابه القيم « حضارة العرب » الذى ترجمه الأستاذ الكبير عادل زعيتر ـ حيث يقول: إن العرب فى أسبانيا هم الذين فتحوا عيون الأوروبيين على العلم والثقافة والحضارة، وأن أسبانيا بعد خروج العرب منها قد خسرت خسراناً مبيناً..

ثم يقول: لقد هبطت أسبانيا بعد خروج المسلمين منها إلى أسفل دركات الانحطاط، بعد أن بلغت ـ بوجودهم فيها ـ قمة المجد، وانهار مع ذلك كل ما كان فيها من الزراعة والصناعة والتجارة والعلوم والآداب والسكان، وها هى ذى عدة قرون مضت على ذلك الدور من غير أن تستطيع أسبانيا أن تنهض من هبوطها مع ما بذل ويبذل من جهود.

لم تكن أسبانيا قبل الفتح الإسلامى لها ذات حضارة تذكر، ولكنها بعد الفتح صارت ذات حضارة ناضرة، ثم هبطت إلى الدرك الأسفل بعد جلاء العرب المسلمين عنها.

وعن طريق الأندلس زحفت حضارة العرب المسلمين إلى مختلف ربوع أوروبا وتمنى

«جوستاف لوبون» أن يكون المسلمون قد استولوا على العالم كله ـ ومنه أوروبا ـ لينشروا المثل العليا والمبادىء الكريمة، لما كان فيهم من نبل الطباع وكرم السجايا، ولو أن موسى بن نصير ـ الفاتح العربي نجح في تحقيق أمله في العودة إلى سوريا عن طريق القسطنطينية وإخضاع العالم القديم لأحكام القرآن، ولو أن الخليفة الأموى آنذاك لم يأمره بالعودة فوراً إلى دمشق دون تحقيق هذا الأمل لجعل أوروبا كلها مسلمة، ولحقق للأمم المتمدنة وحدتها الدينية، ولأنقذ أوروبا من دور القرون الوسطى الذى تردت فيه.

أثر العرب المسلمين في تحضير أوروبا

إن العرب بعد أن فتحوا أسبانيا لم يكتفوا بذلك الفتح، لأن هدفهم ليس استعماريا، بل أخذوا يقومون برسالة الحضارة حتى استطاعوا في فترة وجيزة بالنسبة لأعمار الأمم أن «يحيوا ميت الأرضين، ويعمروا الخرائب، ويقيموا المباني الفخمة، ويعقدوا صلات وثيقة بالأمم الأخرى، ويتفرغوا لدراسة العلوم والفنون والآداب، ويترجموا كتب اليونان واللاتين، وينشئوا الجامعات التى ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمنا طويلا».

إن العرب هم الذين هذبوا بتأثيرهم الخلقى البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان، وهم الذين فتحوا أمام أوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية، فكانوا ممدين لها، وأئمة فيها طوال ستة قرون أو تزيد وظلت كتب العرب ولاسيما الكتب العلمية مصدرا وحيدا تقريبا ـ للتدريس في جامعات أوروبا خمسة قرون أو ستة قرون..

يقول: مسيوليبرى: لو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا الحديثة عدة قرون.

قدم حضارة العرب

وحضارة العرب ليست وليدة الإسلام فحسب ولكنها تمتد إلى جذور عريقة عميقة قبل الإسلام، لقد كان للعرب قبل الإسلام آداب ناضجة راقية، وكانت لهم صلات تجارية بأرقى أمم العالم في عصرهم، والآداب، واللغة لا تأتى عفوا، بل هي ثمرة عراقة قديمة وتجارب عميقة وقد استطاع العرب ـ بعد الإسلام ـ أن يقيموا دولة عظيمة، ويبدعوا حضارة عالمية في زمن وجيز، وليس ذلك إلا لما كان يكمن في نفوسهم من آثار ثقافية وثمار معرفية، آثار شعلتها الإسلام، وأضرم نارها هذا الدين الجديد الذى جاء داعيا إلى العلم والمعرفة والنظر والتفكر، والانتفاع بالعقل.

وكان العرب ـ على الرغم من أميتهم ذوى معارف شهد بها التاريخ، وتدل على فكر ثاقب ورأى صائب، وكانوا على علم بمعرفة مواقع المطر وأنواع السحب والرياح والعيافة والقيافة وتتبع الآثر وزجر الطير، إلى جانب البراعة في فنون القول من شعر وخطب ووصايا وحكم وأمثال ولهم آثار رائعة في ذلك تشهد بها ولها أسواقهم المشهورة التى كانت تقام للتبارى في قول الشعر واختيار أجوده ليعلق على أستار الكعبة، ونتج عن ذلك ما يعرف «بالمعلقات السبع أو

العشرة. وليس قول الشعر والحكمة وضرب المثل إلا لونا بديعا من ألوان الحضارة.

وكان العرب أمة متحاربة فيما بينها، ولكنها إذا جد الجد عرفت كيف تتضامن فيما بينها حتى استعصت على المستعمر الدخيل، فلم يستطع الفرس أو الروم أن يخضعوا العرب لسلطانهم، واكتفوا من ذلك بحسن الجوار معهم أو اصطناعهم في بعض الأحيان.

وللحضارة في بعض أنحاء الجزيرة العربية أثر ملموس يظهر في إقامة دولة ذات أسس راسخة في الفن والعمران، وقد ظهر ذلك في دولة سبأ التي أنشأت « سد مأرب » المشهور الذي أدى إلى العمران والثراء والرخاء والنماء فترة طويلة من الزمن كما ظهر ذلك في الممالك التي كان يحكمها الأقيال والتبابعة والأذواء، والذين ساد بعضهم حتى خرجوا فاتحين في بعض أنحاء آسيا، ومن هؤلاء الفاتحين القدامى شمر ابن إفريقي من ملوك حمير الذي وصل إلى حدود الصين، وفتح سمرقند وبه سميت، فقد كان اسمها « السند » فهدمها فسميت « سمر كنت » بلغة العجم أي شمر أخربها، وقيل: هو أول من أمر ببنائها فسميت به، وكتب على بابها بالحميرية هنا ملك عرب لأعجم شمر الملك الأشم، فمن بلغ هذا المكان فهو مثلي، ومن جاوزه فهو أفضل مني.

وعلى أطراف دولة الفرس نشأت مملكة الحيرة الذائعة الصيت التي كان يحكمها النعمان بن المنذر العربي، وعلى أطراف دولة الروم نشأت مملكة غسان التي كان يحكمها الغساسنة، وهم عرب ذوو شأن.

وكان للعرب تجارات رائجة إلى مختلف البلدان، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله- تعالى -:

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ① إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ③ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ④ ﴾(1).

وكانت لقريش كلمة مسموعة في أنحاء الأرض، فاحترمهم أهل الحبشة وأهل الشام والفرس، ووصلت رحلاتهم إلى أفريقيا والهند.

ولقد ذكر المؤرخون المنصفون أن حضارة اليمن كانت أقدم من حضارة الرومان، وأن الحيرة التي كان يحكمها المناذرة العرب كانت تنافس القسطنطينية، وأن مملكة الغساسنة لم تقل، شأنا عن ذلك، وقد دامت هذه المملكة خمسة قرون، وكانت تشتمل على ستين مدينة محصنة وأن أهلها قاموا بأعمال عظيمة كان لها الأثر في حضارة الروم كما كان لحضارة الحيرة أثر في حضارة الفرس.

الحضارة في ظل الإسلام

هذه الحضارة العربية القديمة تبلورت في ظل الإسلام، واستطاع المسلمون بفضل ما اكتسبوه من تعاليم الإسلام الذي يدعو إلى العلم، ويحث أبناءه على التقدم والتعمير والأخذ بأيدي الناس إلى ذلك استطاعوا أن يقيموا دولة واسعة، وأن ينشروا العلم والحضارة في مختلف البلاد التي فتحوها.

خلقت تعاليم الإسلام في نفوس المسلمين

---

(1) سورة قريش من 1- 4.

مفاهيم جديدة، وقوضت كثيرا من العادات والتقاليد والقيم التى كانت في نفوسهم مما لا يستقيم مع تعاليم الإسلام، وقد عبر جعفر بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ عن هذه التعاليم الإسلامية بقوله في بلاط النجاشي ملك الحبشة: «كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منها الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبة وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا».

وعلى هذه الأسس قامت حضارة الإسلام، حضارة تستمد روافدها من المثل العليا والقيم المثلى والإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر إلى جانب التحلى بالأخلاق والفضائل، وعلى هذه الأسس انطلق المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يبشرون بدين الله وينشرون مبادئه الواضحة السليمة التى أحبها الناس، وفتحوا لها قلوبهم وعقولهم، وأقبلوا عليها يعتنقونها بحب ورضا وإقبال.

لقد ساعد وضوح الإسلام البالغ وما أمر به من عدل وإحسان على انتشاره وذيوعه، وأدت أخلاق المسلمين إلى فتح الطريق أمامه دون معوقات، وهذا يقوض دعاوى أعداء الإسلام الذين يزعمون بأن الإسلام انتشر بالسيف.

ولم ينغلق المسلمون على أنفسهم بعد الإسلام، ولكنهم استفادوا بما أطلعوا عليه وشاهدوه من علوم وآثار وفنون، حتى ازدهرت حضارتهم بعد أن اقتبسوا من ثقافة اليونان والفرس والروم، وأبدعوا حضارة عظيمة ازدهرت فيها الآداب والعلوم والفنون، ونهضت في عصر العباسيين الفنون والعلوم والإسلامية، وتقدمت الصناعة والتجارة والعلاقات الاقتصادية وحدثت ابتكارات. وقف الروم والفرس أمامها مذهولين، حتى لقد أهدى هارون الرشيد إلى إمبراطور الروم ساعة دقاقة من ابتكارات العرب المسلمين، لم يكن تعليق المحيطين بالإمبراطور عليها إلا بأن الجن هم الذين يديرونها.

أما مظهر الحضارة العربية الإسلامية في أسبانيا بعد أن فتحها العرب فهو أكبر من أن يوصف.

أصالة الحضارة العربية

ولقد شهد القاصي والداني بأصالة الحضارة العربية وأنها ناشئة من ذاتهم، وكان ما اطلعوا عليه من حضارات الأمم الأخرى عوامل مساعدة لنمو حضاراتهم، فإنه لولا وجود الاستعداد للإنشاء والابتكار لما تمكنوا من صنع هذه الحضارة العالمية الرفيعة التي ظهرت في أرجاء البلاد شرقها وغربها، وأصالة الحضارة العربية هي التي ضمنت استمرارها وبقاءها على الرغم من مرور العصور والأعاصير عليها، ولقد أثرت الحضارة العربية الإسلامية في غيرها من الأمم

التى اغتالتها على الرغم من هزيمة العرب عسكرياً، ولا يوجد إعصار كإعصار التتار الذى اجتاح الأمة الإسلامية وقوض كل شىء فى طريقه، وأحرق المدائن وأغرق المكتبات وما تضمنه من ذخائر المخطوطات التى أنتجتها العقول العربية، حتى اصطبغت مياه الأنهار بمداد هذه المخطوطات، ومع ذلك فلم تمت الحضارة العربية وبقيت راسخة حتى أخضعت الغالبين لها فانطووا تحت لوائها، وأعلنوا إسلامهم، وانطلقوا يواصلون فتوحاتهم تحت راية الإسلام الذى حاربوه.

لقد بهرت حضارة العرب الباقية هولاكو سلطان المغول الذى خرب بغداد وقتل الخليفة العباسى فيها، وتولى هو بنفسه بعد ذلك حماية هذه الحضارة ورعايتها، وأقام المغول بعد ذلك فى الهند دولة قوية كان قوامها حضارة العرب المسلمين التى نقلوها إليها.

وكما فعل التتار فى أول أمرهم مع العرب وحضارتهم فعل الصليبيون نفس الشىء فى غزواتهم المتتالية مستهدفين البلاد العربية فى الشام ومصر، ولكنهم لم يستطيعوا تقويض حضارة العرب التى أثرت فيهم تأثيرا كبيرا، فحاولوا تقليدها والاقتباس منها ونقلها والاستفادة منها حتى لقد تحول فن العمارة فى أوروبا بعد الحروب الصليبية، وانتقل إليها كثير من الصناعات والفنون والمعارف التى كان الأوروبيون يجهلونها تماما، لقد ظهر أثر ذلك واضحا فى أسلحة الغربيين وثيابهم ومساكنهم وفى كل جوانب حياتهم.

وما زلنا مع جوستاف لوبون فى كتابه « حضارة العرب » الذى يقول: اقتبس الأوروبيون من آسيا كل صنائع الخشب والمعادن والميناء والزجاج وقد كانوا يجهلون ذلك تماما قبل الحروب الصليبية.

وعن المسلمين أخذ الأوروبيون صناعة النسائج الحريرية والصباغة المتقنة، وعن سوريا ـ المسلمة ـ أخذوا صناعة الأسلحة وغيرها من الصناعات، ولم يلبث فن العمارة أن تحول فى أوروبا تماما، لقد ظهر تأثير الشرق فى تمدين الغرب بصورة واضحة جدا وذلك بفعل الحروب الصليبية، ولقد كان هذا التأثير قويا فى الصناعة فى أول الأمر ثم لم يلبث أن امتد إلى أبعد من ذلك فقد أخرج العرب أهل الغرب من حالة التوحش التى كانوا عليها، ودفعوهم إلى التقدم بفضل علومهم وآدابهم التى أخذت جامعات أوروبا تُعول عليها، حتى انبثق عصر النهضة منها ذات يوم.

حقد الغرب على الإسلام

وعلى الرغم من فضل العرب والمسلمين على الغرب وانتشالهم من وهدة التأخر والأخذ بأيديهم إلى مدارج الحضارة والتقدم، فإن الغربيين يحقدون على المسلمين حقداً شديداً وينظرون إليهم على أنهم أعداء الداء.

ولا سبب فى ذلك إلا مرض النفوس الذى يتغلغل فى داخلهم، ولقد لمس الغربيون حسن معاملة المسلمين لهم حين فتح المسلمون بلادهم، ولكنهم حينما كانت الكرة لهم بطشوا بالمسلمين أشد البطش ونكلوا بهم تنكيلاً شديداً، ولعل القارىء يلمس ذلك فى

معاملة الأسبان للمسلمين حين استردوا البلاد منهم، وكيف أنهم أجبروهم على التنصر ثم لم يقبلوا ذلك منهم فقتلوهم..

وفي الحروب الصليبية جرت الدماء أنهاراً من المسلمين، في حين أن المسلمين عندما استردوا القدس عاملوا القساة بمنتهى الرحمة والرأفة، ومازال الأوروبيون - ومعهم الأمريكيون - إلى وقتنا هذا ينظرون إلى الإسلام على أنه عدوهم الأول، ويصفونه بكل ما في جعبتهم من أوصاف الإرهاب والعنف والفظاظة والسوء، والإسلام من كل هذا برىء، فهو دين الرأفة والرحمة والعدل والمساواة، وليس في صفحات تاريخه سطر واحد يمكن أن يشوه نقاء هذه الصفحات التي اتصف بها، بل وازدهر بها.

لقد أجمع المؤرخون على أن تسامح العرب وعدلهم كان هو السبب في انتشار الدين الذي جاءوا يبشرون به، ولقد كان في إمكان العرب أن تزدهيهم نشوة النصر فيغفلون عن مبادىء دينهم فيسيئون إلى أهل البلاد المفتوحة، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، والدليل على صدق ذلك أنهم لو أساءوا معاملة الناس وظلموا وغشموا لتألب عليهم أهل هذه البلاد المفتوحة من أقصاها إلى أقصاها، ولتمكنوا وهم كثرة من أن يطردوا العرب وهم قلة ولكنهم استراحوا إلى حكمهم وأعجبوا بأخلاقهم وأسرعوا إلى اعتناق دينهم وتعلم لغتهم.

فلماذا ينقم الغربيون على الإسلام إذن؟ ولماذا يمالئون العدو الصهيوني على أهل الإسلام؟ ويتحازون له مغمضين أعينهم عن جرائمه التي لا تعد ولا تحصى؟ لماذا يمدونه بالعون المادي والمعنوي ويعضدونه بكل ما أوتوا من قوة ليمكنوه من السيطرة على البلاد التي احتلها بالغدر والكيد والعدوان، حتى طغى وبغى، وها هي ذي آثار بغيه في فلسطين في الأيام الأخيرة ظاهرة واضحة لقد قتل وجرح من الشعب الفلسطيني الأعزل الآلاف وأحرقت مزارعهم وهدمت بيوتهم بالصواريخ المصوبة من الطائرات والبوارج والدبابات التي تحاصرهم حصاراً شديداً..

لماذا ينكر الغربيون حق العرب في مقدساتهم ويباركون عدوان الصهاينة على هذه المقدسات ؟

لا جواب على ذلك إلا الحقد الدفين المتوارث عبر العصور والحق محارب دائماً والباطل يباركه أهله دائما.

ولكن إذا كان أهل الباطل ينصرون باطلهم، فإن ذلك إلى حين، فللباطل صولة ثم يندثر، وعين الله ساهرة لا تغفل عن نصرة أهل الحق مهما طال الأمد.

وسيأتي اليوم الذي تظهر فيه كلمة الله، وتنقشع سحب الضلالة إلى الأبد إن شاء الله، وإن غداً لناظره قريب..

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾(٢).

---

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

مَدينة القُدس

مَسرى النبى - صلى الله عليه وسلم - وقرة عين ألف مليون مسلم

لفضيلة الشيخ / أحمد بن محمد طاحون

عن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -:

« إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء »[1] ومسجد إلياء هو المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله بالقدس الشريف، وكانت تسمى إلياء عند ظهور الإسلام، كما كانت تسمى بيت المقدس.

القدس عربية:

والقدس مدينة تاريخية وكان اسمها فى أول الأمر يبوس نسبة إلى بناتها الأوائل وهم اليبوسيون سكان فلسطين، واليبوسيون بطن من بطون العرب فى العصور القديمة، كانت نشأتهم فى صميم الجزيرة العربية، وترعرعوا فيها ثم هاجروا كما هاجرت القبائل العربية الكنعانية إلى الشام، واستوطنوا أرض فلسطين ووقعت هذه الهجرات ما بين عام ثلاثة آلاف قبل الميلاد وخمسمائة قبل - الميلاد أيضا -.

وظلت القدس على اسمها العربى اليبوسى حتى سماها العرب الكنعانيون « أورو سالم » أى مدينة السلام، ومنهم من قال: أورو سالم: أى مدينة سالم ينسبونها إلى أمير يبوسى اسمه سالم يعتقد أنه هو أول من بناها، ثم صار اسمها بعد ذلك: أورشليم.

أرض كنعان:

أما منطقة فلسطين فكانت تسمى فى التاريخ القديم باسم « أرض كنعان » نسبة إلى العرب سكان البلاد الأصليين، وهذا الاسم ورد فى التوراة، وقد ظلت السيادة الكاملة

---

(١) مسلم الحج رقم ٥١٣، ص ٣، السنن للبيهقى جـ ٥/ ٤٤.

للكنعانيين على أرض فلسطين إلى مدينة حماة مستمرة نحو ألف وخمسمائة سنة ثم ضعفت هذه السيادة بعد ذلك في بعض فترات التاريخ بسبب الغزو الأجنبي الذى تعرضت له بلادهم، فقد غزا فلسطين قبل الميلاد البابليون، والفرس واليونان والرومان ومع هذا الغزو المتلاحق كان العرب سكان البلاد يعيشون فى بلادهم وفى مدينتهم القدس ولم يكفوا عن مقاومة الغزاة، وقدموا الضحايا في سبيل الحرية والاستقلال.

ومن هذه الغزوات: التي تعرضت لها منطقة فلسطين ما يذكره التاريخ من أن يوشع بن نون عبر ببنى إسرائيل نهر الأردن فى عام ألف ومائة وتسعة وثمانين قبل الميلاد، واحتل بعض المدن والقرى الكنعانية بعد قتال وحشي مرير، ولكنه لم يتمكن من احتلال يبوس «القدس» لأن العرب أصحاب البلاد دافعوا عنها وتمكنوا من رده.

ثم فى عام ألف وتسعة وأربعين قبل الميلاد تولى نبى الله داود الملك على بنى إسرائيل فأعد جيشا قويا، وهاجم به «يبوس» وبعد قتال عنيف كادت الحملة تفشل غير أن داود ـ عليه السلام ـ تمكن من السيطرة على نبع الماء الوحيد الذى كان يستقى منه سكان المدينة الكنعانيون فسقطت يبوس بسبب ذلك، ونقل إليها داود عاصمة ملكه، وسماها حينئذ «مدينة داود».

لم يطل ببنى إسرائيل الأمد:

وتلك هى أول مرة يدخل فيها بنو إسرائيل القدس، ولكن الأمد لم يطل بهم، فقد تولى الملك بعد داود ابنه سليمان ـ عليهما السلام ـ ثم مات سليمان وانقسم بنو إسرائيل على أنفسهم وحارب بعضهم بعضا، واستعان كل فريق بالدول الأجنبية فتعرضت البلاد بسبب ذلك لغزوات أجنبية وشارك سكان البلاد الأصليون فى قتال اليهود حتى تم القضاء على بنى إسرائيل قضاء تاما إذ قتل من قتل، وأسر من أسر وتشتت الباقون تحت كل كوكب وخلت منهم أرض فلسطين تماما، وحرم عليهم الرومان منذ عام سبعين بعد الميلاد دخول القدس لا أفرادا ولا جماعات.

انقطاع بنى إسرائيل بفلسطين بعد الغزو:

ومع هذا استطاع بعض بنى إسرائيل أن يتسلل إلى المدينة منذ عام مائة وستة من الميلاد، فأعاد الرومان الكرة عليهم فى عام مائة وخمسة وثلاثين من الميلاد، ومن هذا التاريخ انقطعت صلة بنى إسرائيل بالمدينة المقدسة حتى الفتح الإسلامى، أى بعد نحو خمسة قرون.

من شروط تسليم القدس للمسلمين:

ولما صالح أهل بيت المقدس عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أخذوا عليه عهداً

الا يساكنهم في القدس أحد من اليهود، وهذا جزء من كتاب الصلح كما أورده الطبرى وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين اهل إيلياء من الامان: أعطاهم أمانا لانفسهم وأموالهم، ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من اموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود... إلى ان يقول الصلح: وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية.

عهد جديد ومسئولية المسلمين:

ومن نصوص هذا العهد نرى عدل الإسلام وسماحته وبره بالناس جميعا لهذا اغتبط به الأسقف صفرنيوس أسقف إيلياء في ذاك الحين واغتبط به أهل المدينة إذ أقرهم المسلمون وأمنوهم على أموالهم وأنفسهم وعقائدهم، ولبوا رغبتهم في الا يسمحوا لليهود بالسكنى في المدينة المقدسة.

لقد كان هذا الصلح عهدا جديدا فتح الله به على سكان المدينة المقدسة أهل بيت المقدس إذ لم يعرفوا على مدى التاريخ الطويل مثل هذا العدل، ولا مثل هذا الأمن على النفس وعلى المال وعلى العقيدة فالروم وهم نصارى مثلهم كانوا يكرهون أهل المدينة على ترك مذهبهم ليعتنقوا المذهب الذى كان عليه هرقل واتباعه ومن أبى شوهوا خلقته فقطعوا أنفه وأذنه ثم هدموا بيته».

فلسطين في ظل الإسلام:

ثم عاش أهل فلسطين في ظل الحكم الإسلامي آمنين مطمئنين، وظلت البلاد الطيبة خالية تماما من اليهود، وقد حاول بعضهم في فترات متعاقبة من التاريخ ان يستأذن بعض خلفاء المسلمين في سكنى القدس فيرفض مطلبهم لان في ذمة المسلمين عهدا وميثاقا الا يسكن المدينة المقدسة أحد من اليهود.. وقد كتب السائح اليهودى بتاعيا الذى زار القدس في القرن الثاني عشر من الميلاد يقول: لم أجد في مدينة القدس سوى يهودي واحد، وفي القرن الثالث عشر تسللت عائلتان يهوديتان إلى القدس، وفي القرن السابع عشر من الميلاد وصل عدد المتسللين إلى القدس في ظلام الغفلة مائة وخسون شخصا، ثم كانت النكبة ومقدماتها بدعم ومساندة من القوى الصليبية والإلحادية في القرن العشرين إذ مكنت هذه القوى المعادية للإسلام والمسلمين شراذم اليهود من السيطرة على فلسطين وعلى بيت المقدس غير

عابئين بالقوانين الدولية، وحقوق الإنسان المعلنة، وحق كل شعب في أن يعيش على أرضه آمنا مطمئنا.

أمانة فى الأعناق والضمائر:

تلكم هى فلسطين أرض العروبة والإسلام وتلك هى القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين وقرة عين كل مؤمن ومسرى النبى محمد ـ ﷺ ـ وفى مسجدها الأقصى المبارك صلى إماما برسل الله وأنبيائه ـ عليهم جميعا أفضل الصلوات وأتم التسليمات ـ ولنتدبر قول الحق ـ تبارك وتعالى ـ:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾(١).

ومن المسجد الأقصى كان عروجه إلى السماء ـ قال تعالى ـ:

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴾(٢).

واجب المسلمين:

إن للقدس مكانة خاصة في نفوس نحو ألف مليون مسلم يرون فيما أصاب القدس طعنة فى صميم القلب لا يمكن أن يندمل أثرها إلا بإزالة كل أثر للعدوان الواقع على الديار المقدسة، وتطهير بيت المقدس وفلسطين من رجس شراذم اليهود الذى غضب الله عليهم ولعنهم فى كتبه وعلى ألسنة رسله لكفرهم النعمة واستعلائهم فى الأرض بغير الحق وعبادتهم الهوى والمال.

إن تحرير بيت المقدس، وتطهير فلسطين، وإعادة شعب فلسطين إلى دياره وتمكينه من حقوقه وتأمين حياته فوق أرض الآباء والأجداد إن ذلك واجب المسلمين جميعا، ولهذا ونحوه فرض الجهاد بالنفس والمال على المسلمين.

الحقيقة التاريخية:

إن فلسطين عربية إسلامية هذه هى الحقيقة التاريخية الصحيحة وستظل عربية إسلامية إلى الأبد ولن يخلف الله وعده بنصرة أوليائه إذا صدقت نياتهم وأخلصوا جهادهم لله

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾(٣).

---

(١) الإسراء (١).

(٢) النجم (٨ - ١٥).

(٣) غافر (٥١).

الرسول وتبليغ الدعوة

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

جاءت البعثة المحمدية إنقاذا للعالم وللبشرية من عصور الشرك والوثنية والضلال، لتسير من جديد فى ضوء الإيمان والإسلام والتوحيد وبلغ الرسول - ﷺ - الناس بالرسالة والدعوة ودعاهم إلى الإسلام والتوحيد فأنكروا عليه ما يقول، وأصروا واستكبروا استكبارا.

وفى دار الأرقم بن أبى الأرقم مكث الرسول - ﷺ - ثلاث سنوات يدعو إلى الإسلام، فآمن به عدد غير كثير وكانت الدعوة تحمل طابع السرية طيلة هذه السنوات الثلاث، وبعد ذلك خرج المسلمون يعلنون الدعوة جهارا، فأنكرت قريش ما يقوله الرسول - ﷺ - إنكارا شديدا.

وطال الحوار بين الرسول والمشركين، الرسول يدعوهم إلى الشرف، إلى النور إلى التوحيد إلى الإيمان، وكفار قريش من المشركين الضالين سادرون في غيهم وضلالهم، ولايزيدهم الحوار إلا عتواً وإنكارا وإمعانا فى الكفر، وإصرارا على الشرك.

ومضى رسول الله - ﷺ - فى طريقه، من تبليغ رسالة الله والدعوة إلى الدين.

ثم إنه اجتمع يوما بعد غروب الشمس، عند ظهر الكعبة عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبوسفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبوالبخترى بن هشام، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبوجهل بن هشام، وعبدالله بن أبى أمية، والعاص بن وائل، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد، فكلموه وخاصموه، حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه: أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك، ليكلموك، فأتهم، فجاءهم رسول الله، وهو يظن أن قد بدا لهم فى الدين رأى جديد، وكان عليهم حريصا يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، وجلس إليهم، فقالوا له: يامحمد، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك، .

لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وشتمت الآلهة، وسفهت الأحلام وفرقت الجماعة، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك.

فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذى يأتيك رئياً[1] تراه قد غلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك:

فقال لهم رسول - ﷺ -: ما بى ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولاً، وأنزل علىّ كتاباً، وأمرنى أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربى، ونصحت لكم، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم[2] قالوا: يامحمد.. فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلداً، ولا أقل ماء، ولا أشد عيشاً، منا، فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به، فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجر لنا فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصى، فإنه كان شيخ صدق، فنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل؟ فإن صدقوك وصنعت ما سألناك، صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول: فقال لهم - صلوات الله عليه -: «ما بهذا بعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوا فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم» قالوا: فإذا لم تفعل هذا لنا، فخذ لنفسك: سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقوله، ويراجعنا عنك، وسله فليجعل لك جناناً وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك، إن كنت رسولاً، كما تزعم، فقال لهم رسول الله - ﷺ - «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا: وما بعثت بهذا، ولكن الله بعثنى بشيراً ونذيراً.. فإن تقبلوا ما جئتكم به، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه علىّ، أصبر لأمر الله، حتى يحكم الله بينى وبينكم» قالوا: فأسقط علينا كسفاً كما زعمت أن ربك لوشاء فعل، فإنا لانؤمن لك إلا أن تفعل.

---

(١) أى جنياً.

(٢) تفسير القرطبى جـ ١٠ ص٣٢٨ تفسير سورة الإسراء.
البداية والنهاية جـ٣ ص ٥٠ عن ابن عباس.

فقال رسول الله - ﷺ - وذلك إلى الله إن شاء أن يفعله لكم فعل» قالوا: يامحمد أفما علم ربك أنا سنجلس معك، ونسالك عما سالناك عنه، وتطلب منك ما نطلب، فيتقدم إليك، فيعلمك ما تراجعنا به، ويخبرك ما هو صانع في ذلك إذا لم نقبل منك ما جئتنا به؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له: «الرحمن» وإنا - والله - لا نؤمن بالرحمن أبدا، فقد أعذرنا إليك يامحمد، وإنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك أو تهلكنا، وقال قائلهم: نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا.

فلما قالوا ذلك لرسول الله - ﷺ - «قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أبي أمية المخزومي، وهو ابن عمته، فهو لعاتكة بنت عبدالمطلب، فقال له: يامحمد .. عرض عليك قومك ما عرضوا، فلم تقبله منهم، ثم سالوك لأنفسهم أموراً، ليعرفوا بها منزلتك من الله، كما تقول، ويصدقوك ويتبعوك، فلم تفعل، ثم سالوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم، ومنزلتك إلى الله، فلم تفعل، ثم سالوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل، فوالله لا أومن بك أبدا، حتى تتخذ إلى السماء سلما، ثم ترقى فيه، وأنا أنظر إليك، حتى تأتيها، ثم تأتي معك باربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وايم الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله.

وانصرف رسول الله إلى أهله حزينا آسفا مما فاته، مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه ولما قال لهم رسول الله - صلوات الله عليه ما قال - قال أبوجهل: يامعشر قريش: إن محمدا قد أبى إلا ما ترون، من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وشتم آلهتنا، وإني أعاهد الله لأجلس له غدا بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته، فضخت به رأسه، فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدالهم.. قالوا:

والله ما نسلمك لشيء أبدا، فامض لما تريد.

فلما أصبح أبوجهل، أخذ حجرا، كما وصف، ثم جلس لرسول الله ينتظره، وغدا رسول الله كما كان يغدو، وكان رسول الله بمكة، وقبلته إلى الشام، فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والحجر الأسود، وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله يصلي، وقد غدت قريش، فجلسوا في أنديتهم، ينتظرون ما أبوجهل فاعل، فلما سجد رسول الله، احتمل أبو جهل الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزماً، منتقعاً لونه، مرعوباً، قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر الذي معه من يده،

وقامت إليه رجال قريش، يقولون: مالك يا أبا الحكم؟ قال: قمت إليه، لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل، لا والله ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط، فهم بي أن يأكلني.

وروى أن رسول الله قال: ذلك جبريل - عليه السلام - لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا [٣]، فلما قال لهم ذلك أبو جهل، قام النضر بن الحارث، فقال: يا معشر قريش، إنه - والله - قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم قولاً، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة - حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به، قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن: لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة، وسمعنا سجعهم وقلتم: شاعر: لا والله ما هو بشاعر، قد رأينا الشعر، وسمعنا أصنافه كلها، هزجه ورجزه، وقلتم: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون، فما هو بوسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش، فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم.

وكان النضر من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله، وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس، فكان إذا جلس رسول الله مجلساً، فذكر فيه بالله، وأنذر قومه ما أصاب من قبلهم، من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام وقال أنا والله - يا معشر قريش - أحسن حديثاً منه، فهلم إليَّ، فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود المدينة، وقالوا لهما: سلاهم عن محمد، وصفا لهم صفته، وأخبراهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا، حتى قدما المدينة، فسألا أحبار اليهود عن رسول الله، ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، وقالا لهم: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، فقالت لهما أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح، ما هي، فإن أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبي،

---

(٣) صحيح مسلم جـ٤ صـ ٢١٥٤ رقم ٢٧٩٧.

وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم..

فأقبل النضر وعقبة، حتى قدما مكة على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار اليهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، فجاءوا رسول الله، فقالوا: يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب، وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وأخبرنا عن الروح ما هي؟ فقال لهم رسول الله - ﷺ -: أخبركم بما سألتم عنه غداً، ولم يقل إن شاء الله.. فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله - ﷺ -، خمس عشرة ليلة، لا يُحْدِثُ الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة، قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله غياب الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة، ثم جاءه جبريل من الله -عز وجل- بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته -جل شأنه- إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وروي أن رسول الله - ﷺ - قال لجبريل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبريل، حتى سئمت ظناً، فقال له جبريل:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[4].

وفي سورة الكهف:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾[5].

وفي السورة:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[6].

وقال تعالى في سورة الإسراء:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[7].

ونزل عليه من سورتي الإسراء والفرقان ما نزل، ونزل في النضر بن الحارث:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[8].

فلما جاءهم رسول الله بما جاء به عرفوا أنه الحق، وعرفوا صدقه فيما حدث، وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيب، حين سألوه عما سألوا عنه.. حال الحسد منهم له

---

(4) سورة مريم - 64.

(5) سورة الكهف - 9، 10.

(6) سورة الكهف - 83.

(7) سورة الإسراء - 85.

(8) القلم - 15.

بينهم وبين الإيمان برسالته وتصديقه ولَجُّوا فيما هم عليه من الكفر. قال قائل منهم:

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[٩].

فإنكم إن ناظرتموه يوماً غلبكم، وجعلوا إذا جهر رسول الله بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه، ويأبون أن يستمعوا له خوفاً وفرقاً.

روى أن أبا سفيان وأبا جهل والأخنس بن شريق الزهري، خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله، وهو يصلي من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه، وكل واحد منهم لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا..

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة.. ثم انصرفوا.

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجلاً منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا.

فلما أصبح الأخنس أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال له: أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد، قال له أبو سفيان: والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها، قال الأخنس: وأنا، والذى حلفت به كذلك ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فقال له: ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا كنا كفرسى رهان، قالوا: منا نبى يأتيه الوحى من السماء، فمتى ندرك مثل هذا؟ فوالله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

وهكذا كان يمضى الحوار بين رسول الإسلام وزعماء قريش، حوار لإفهام عقولهم عظمة الرسالة، وجلال الدعوة، وشرف الإيمان.

ولكنهم ظلوا سادرين في الغواية والشرك والضلال حتى كانت الهجرة إلى المدينة المنورة فتحاً للإسلام والمسلمين.

---

(٩) فصلت - (٢٦).

العشرة المبشرون بالجنة

ذو النورين

١ عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

روى الإمام أحمد قال: حدثنا عبدالله، قال: حدثنا محمد بن حميد، قال: حدثنا جرير عن أشعث بن اسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن رسول الله - ﷺ - قال: «يطلع عليكم من هذا الفج رجل من أهل الجنة، فطلع عثمان بن عفان»[1].

وروى الإمام أحمد قال: حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبو مروان العثماني، حدثنا أبي، عن عبدالرحمن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله - ﷺ - قال: «لكل نبي رفيق في الجنة، ورفيقي فيها عثمان بن عفان»[2].

وروى الإمام أحمد، حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبي، حدثنا حجاج، حدثنا ليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب، عن يحيى بن سعيد بن العاص، أن سعيد بن العاص أخبره أن عائشة زوج النبي - ﷺ - وعثمان حدثاه أن أبا بكر استأذن على رسول الله - ﷺ - وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو على ذلك الحال، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة اجمعي عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أر فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان؟

(١) فضائل الصحابة (٤٥٤/١) برقم (٧٣٢).

(٢) فضائل الصحابة (٤٦٦/١) برقم (٧٥٧).

فقال رسول الله -ﷺ- إن عثمان رجل حيي وإني خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يبلغ إليَّ في حاجته. وقال ليث وقال جماعة الناس: إن رسول الله -ﷺ- قال لعائشة: ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة؟»[3].

وروى الإمام أحمد: حدثنا محمد، حدثنا محمد بن يزيد، قال: حدثنا يحيى بن يمان، قال: حدثنا عن الحسن، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يشفع عثمان يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر»[4].

وروى الإمام أحمد: حدثنا عبدالله، قال: حدثني أبي، حدثنا وكيع، ومحمد بن جعفر، قالا: حدثنا شعبة، وحجاج، قال: حدثني شعبة عن الحر بن الصياح، عن عبدالرحمن بن الأخنس، فقال: خطبنا المغيرة بن شعبة، فنال من فلان فقام سعيد بن زيد، فقال: سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة والزبير في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، ولو شئت أن أسمي العاشر، قال ابن جعفر وحجاج في حديثهما، ثم ذكر نفسه يعني العاشر»[5].

وروى الإمام أحمد: حدثنا عبدالله، قال: حدثني محمد بن أبان البلخي، حدثنا معاوية بن هشام، حدثنا سفيان، عن منصور، عن هلال، عن حيان بن غالب، قال: جاء رجل إلى سعيد بن زيد، ثم أنشأ يحدث، قال: كنا مع رسول الله -ﷺ- على حراء، فتحرك، فقال رسول الله -ﷺ-: «اثبت حراء، فليس عليك إلا نبي أو صديق، أو شهيد»، قال: وعليه النبي، وأبو بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن مالك، وعبدالرحمن بن عوف، وسعيد بن زيد[6].

ويروى المفسرون أن سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- كان من أولئك الرجال الذين أنزل الله فيهم قرآنا، ومنه قوله -تعالى- في سورة الزمر:

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[7].

قال ابن عمر -رضي الله عنهما- ذاك هو عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، يقول الحافظ إسماعيل بن كثير: «وإنما قال ابن عمر -رضي الله عنهما- ذلك، لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- بالليل- وقراءته، حتى إنه ربما قرأ القرآن في ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة -رضي الله تعالى عنه-»[8].

فمن هو عثمان بن عفان -رضي الله عنه-؟

---

(3) فضائل الصحابة (1/ 490) برقم (793).

(4) فضائل الصحابة (1/533) برقم (866).

(5) فضائل الصحابة (1/116:117) برقم (87).

(6) فضائل الصحابة (1/113:114) برقم (83).

(7) سورة الزمر: (9)

(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تفسير سورة الزمر ص5683، ط دار الشعب، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (7/229- 230)؛ البغوي، معالم التنزيل (7/229).

نسبه ومولده

هو: عثمان، بن عفان، بن أبي العاص، بن أمية، بن عبد شمس، بن عبد مناف، بن قصي، ابن كلاب، بن مُرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، ابن معد، بن عدنان، القرشي، الأموي[٩].

امه: أروى، بنت كريز، بن ربيعة، بن حبيب، ابن عبد شمس، بن عبد مناف.

وأمها: ام حكيم البيضاء، بنت عبدالمطلب، ابن هشام، توأمة أبي رسول الله -ﷺ- فأم عثمان بنت عمة النبي -ﷺ-[١٠].

وُلِدَ في السنة السادسة من عام الفيل[١١] في الطائف.

وكان عفان، بن أبي العاص، بن أمية، من عظماء الرجال في الجاهلية، ومن أشرف القبائل في قريش، وكانت حرفته التجارة، وكادت هذه الحرفة أن تقضي عليه هو وابنه عثمان.

فقد حدث أن خرج الفاكه بن المغيرة، بن عبدالله، بن عمر، بن مخزوم، وعوف بن عبد مناف بن الحارث بن زهرة، ومعه ابنه عبدالرحمن، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، ومعه ابنه عثمان. فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر، كان هلك باليمن، إلى ورثته، فادعاه رجل منهم يُقال له: خالد بن هشام، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميِّت، فأبوا عليه، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه، وقاتلوه، فقُتِلَ عوف بن عبد مناف، والفاكه بن المغيرة، ونجا عفان بن أبي العاص، وابنه عثمان، وعبدالرحمن ابن عوف[١٢].

صفته وخلائقه

كان -رضي الله عنه- حسن الوجه، دقيق البشرة، كبير اللحية، معتدل القامة، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الرأس، حسن الثغر، فيه سُمرة، وقيل كان في وجهه شيء من آثار الجدري.

ومن خلائقه انه كان عذب الروح، حلو الشمائل، كريم الأخلاق، ذا حياء كثير، وكرم غزير، محببا إلى عارفيه، [١٣] ومن ذلك أن نساء قريش كن يرقصن أطفالهن فيقلن:

أحبك والرحمن
حب قريش عثمان

إسلامه

ولما أراد الله -تعالى- رحمة العباد كانت البعثة، وكانت النبوة، وكانت الرسالة ونزل قول الله -عز وجل- على نبيه الكريم محمد بن عبدالله -ﷺ-:

---

(٩) السيوطي، تاريخ الخلفاء (١٣٨)؛ ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٥٠)؛ ابن كثير، البداية النهاية (٢١٧/٧).
(١٠) السيوطي، تاريخ الخلفاء (١٤٠).
(١١) المصدر السابق (١٣٨).
(١٢) ابن هشام (٤٣٦/٢).
(١٣) ابن كثير، البداية والنهاية (٢١٧/٧، ٢١٩).

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾(١٤)

فقام -ﷺ- يدعو إلى الله -سبحانه- الكبير والصغير، والحر والعبد، والرجال والنساء، والأسود والأحمر، فاستجاب له عباد الله من كل قبيلة.

وكان حائز سبقهم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ودعا مع رسول الله -ﷺ- إلى الله -عز وجل- على بصيرة، فكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أول من أسلم بدعاء أبي بكر الصديق مع الزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله.

ويروي ابن كثير قصة إسلام عثمان بن عفان فيقول: «لقيه أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- فقال له: ويحك يا عثمان! إنك لرجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأصنام التي يعبدها قومنا؟ أليست من حجارة صم، لا تسمع ولا تبصر ولا تضر، ولا تنفع؟ قال: قلت: بلى! قال: والله إنها لكذلك. فقال: هذا رسول الله -ﷺ- قد بعثه الله إلى خلقه برسالته، هل لك أن تأتيه؟ فاجتمعنا برسول الله -ﷺ- فقال: «يا عثمان أجب الله إلى حقه، فإني رسول الله إليك وإلى خلقه» قال عثمان: «فوالله ما تمالكت نفسي منذ سمعت رسول الله -ﷺ- أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له»(١٥).

وأحدث إسلام عثمان بن عفان -رضي الله عنه- دوياً هائلاً في قريش، فهو من سلالة الأمويين التي اشتهرت في الجاهلية بالثراء الواسع وكان عثمان من أغنى أغنيائهم.

فضلاً عن ذلك فإن أقارب عثمان -رضي الله عنه- كانوا أكثر من أوغلوا في إيذاء رسول الله -ﷺ- واشتهر بذلك على وجه الخصوص اثنان هما:

- زوج أمه: عقبة، بن أبي معيط، بن أبي عمرو، بن أمية، بن عبد شمس، بن عبدمناف، ابن قصي.
- وعمه الحكم بن أبي العاص.

وعلى يديهما ذاق سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- صنوفا من العذاب والاضطهاد والإيذاء الذي امتد لينال من رسول الله -ﷺ- انتقاما من إسلام عثمان.

وتفصيل ذلك أنه عندما ذاع إسلام عثمان شكاه عقبة بن أبي معيط إلى أمه، وكان قد تزوج بها عقب وفاة عفان بن أبي العاص، فقال لها: «إن ابنك قد صار ينصر محمداً» فلم تنكر ذلك من ابنها، وقالت: «ومن أولى به منا؟! أموالنا وأنفسنا دون محمد».

وكان عقبة هذا ممن آذوا رسول الله -ﷺ- شر الإيذاء قال عنه رسول الله -ﷺ-: «... أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي، وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلا شاة، فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي»(١٦).

---

(١٤) سورة المدثر (١: ٤).

(١٥) البداية والنهاية (٧/٢٦٨)؛ وابن هشام، السيرة النبوية (١/٢٥٠، ٢٥١).

(١٦) ابن كثير، البداية والنهاية (٤/٣٠٥).

وعندما فكرت قريش في الاستعانة بأحبار اليهود في مواجهتها رسول الله -ﷺ- أرسلت إليهم عقبة بن أبي معيط مع النضر بن الحارث، فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن رسول الله -ﷺ- ووصفا لهم أمره، وأخبراهم ببعض قوله، فقالت لهما أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فإنه قد كان لهم حديث عجب، وسلوه عن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه، وسلوه عن الروح ما هي؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي، وإن لم يفعل، فهو رجل متقوّل، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فقدم عقبة بن أبي معيط مكة قائلاً: «يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها، فإن أخبركم عنها فهو نبي، وإن لم يفعل فالرجل متقوّل، فروا فيه رأيكم[17].

وحدث أن جلس عقبة بن أبي معيط إلى رسول الله -ﷺ- وسمع منه، فبلغ ذلك أُبي بن خلف -أحد رموز الكفر في قريش-، فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه! وجهي من وجهك حرام أن أكلمك إن أنت جلست إليه أو سمعت منه، أو لم تأته فتتفل في وجهه، ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط -لعنه الله-[18] فأنزل الله تعالى فيه:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾[19]

وتشاء إرادة الله -عز وجل- أن يعرف الإسلام طريقه مبكرا إلى قلب أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط فأسلمت، وحسن إسلامها، وفرت بدينها إلى يثرب، وكانت أول من هاجر من النساء إلى المدينة بعد صلح الحديبية، وفيها نزل قوله الله -عز وجل-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾[20]

وعندما علم أخوها الوليد بهجرتها أقسم ليأتين بها مهما كلفه ذلك من مشقة وجهد، فخرج هو وأخوه عمارة بن عقبة إلى المدينة، حتى قدما على الرسول -ﷺ- وطلبا منه أن يدفع إليهما أختهما تنفيذا للعهد الذي كان بينه وبين قريش في صلح الحديبية ولكن رسول الله -ﷺ- ردهما ردا كريما وقال لهما: «أبى الله ذلك»[21].

---

(١٧) السيرة النبوية لابن هشام (١/٣٠٠ : ٣٠١).

(١٨) ابن هشام، السيرة النبوية (١/٣٦١).

(١٩) سورة الفرقان الآيات (٢٧ : ٢٩).

(٢٠) سورة الممتحنة آية (١٠).

(٢١) طبقات ابن سعد. (٨/٣٣١).

وأما الحكم بن أبي العاص فكان ممن يؤذون رسول الله -ﷺ- ثم هداه الله -سبحانه وتعالى- إلى الإسلام، ومما يروى عما تعرض له سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من إيذاء على يد عمه الحكم بن العاص ما أخرجه ابن سعد في طبقاته، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال: لما أسلم عثمان بن عفان، أخذه عمه: الحكم بن أبي العاص بن أمية، فأوثقه رباطا، وقال ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث! والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه، فقال عثمان: والله لا أدعه أبدا، ولا أفارقه، فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه[٢٢].

مصاهرة مع رسول الله -ﷺ-

وكانت السيدة رقية بنت رسول الله -ﷺ- زوجة لعتبة بن أبي لهب، فلما دعا رسول الله -ﷺ- قريشا إلى الإسلام أوعز أبو لهب لابنه أن يطلق ابنة رسول الله -ﷺ- وسار أبو لهب مع جماعة من رؤوس الكفر إلى عتبة وقالوا له: طلق بنت محمد، ونحن ننكحك أي امرأة من قريش شئت، فقال: إن زوجتموني بنت أبان بن سعيد بن العاص، أو بنت سعيد بن العاص فارقتها. فزوجوه بنت سعيد بن العاص، وفارقها، ولم يكن دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهوانا له، وخلف عليها عثمان بن عفان أحد النفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأعرق فتيان قريش نسبا، وقال عنه عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- «كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين»[٢٣].

ولم يُر زوجان قط أجمل ولا أبهى من رقية وعثمان، ويروى أن النساء غنيا في عُرسهما:

أحسن شخصين رأى إنسان
رقية وبعلها عثمان[٢٤]

وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد، قال: بعثني رسول الله -ﷺ- إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم، فدخلت، فإذا رقية -رضي الله عنها- جالسة، فجعلت أنظر إلى وجه عثمان، فلما رجعت سألني رسول الله -ﷺ-، قال: دخلت عليهما؟ قلت: نعم، قال: فهل رأيت زوجا أحسن منهما؟ قلت: لا يا رسول الله»[٢٥].

وأخرج ابن عدي، وابن عساكر، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إنا نشبه عثمان بأبينا إبراهيم»[٢٦].

وأنجب عثمان من رقية ابنه عبدالله فاكتنى باسمه، وكان يكنى في الجاهلية بأبي عمرو فبلغ عبدالله ست سنين فنقره ديك على عينيه، فمرض فمات في جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة، فصلى عليه رسول الله -ﷺ- ونزل في حفرته عثمان بن عفان[٢٧].

---

(٢٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء (١٤٠، ١٤١).

(٢٣) الاستيعاب (١/٠٣٩-١٠٠) وانظر فضائل عثمان في كتاب الصحابة من صحيح مسلم، وسيرة ابن هشام (١/٣٥٢)؛ فتح الباري (٧/٨٥، ٨٦).

(٢٤) الروض الأنف (٢/٧٩)، والإصابة، في ترجمة سعدى بنت كريز بن ربيعة، خالة عثمان.

(٢٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٤٠.

(٢٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٤١.

(٢٧) الطبقات الكبرى (٣/٣٦، ٣٧)، البداية والنهاية (٤/٨٩)، (٧/٢٣٨)، فتح الباري (٧/٥٤).

الهجـــرة إلى الحبشـــة

ولما رأى رسول الله -ﷺ- ما يصيب أصحابه من البلاء بفعل ما ألحقته قريش بهم من الأذى، وما هو فيه من العافية بمكانه من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه»[٢٨]، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله -ﷺ- إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، وفرارا إلى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الإسلام، وكانت في رجب سنة خمس من البعثة[٢٩].

فكان أول من خرج مهاجرا من المسلمين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وزوجته رقية بنت رسول الله -ﷺ- على قُرب عهدهما بالزواج[٣٠].

روى البيهقي من حديث يعقوب بن سفيان عن عباس العنبري عن بشر بن موسى عن الحسن ابن زياد البرجمي، حدثنا قتادة، قال: أول من هاجر إلى الله -تعالى- بأهله عثمان بن عفان -رضي الله تعالى عنه- سمعت النضر بن أنس يقول: سمعت أبا حمزة -يعني أنس بن مالك- يقول: خرج عثمان بن عفان، ومعه امرأته رقية بنت رسول الله -ﷺ- إلى أرض الحبشة، فأبطأ على رسول الله -ﷺ- خبرهما، فقدمت امرأة من قريش، فقالت: يا محمد قد رأيت ختنك ومعه امرأته. قال: «على أي حال رأيتهما؟» قالت: رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة، وهو يسوقها، فقال رسول الله -ﷺ-: «صحبهما الله، إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط -عليه السلام-»[٣١].

وضم الركب المهاجر مع عثمان وزوجه وجوه الصحابة وأعلامهم، وهم:

- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه زوجه سهلة بنت سهيل بن عمرو.
- الزبير بن العوام.
- مصعب بن عمير.
- عثمان بن مظعون.
- أبو سلمة عبدالله بن عبدالأسد، ومعه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية المخزومي.
- أبو سبرة بن أبي رهم العامري وزوجه أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.
- عامر بن ربيعة، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة.
- عبدالرحمن بن عوف.
- سهيل بن البيضاء.

وكان أمير الركب عثمان بن مظعون[٣٢].

وتقدم الدكتورة عائشة عبدالرحمن تصويرا رائعا لهذا المشهد، مشهد هجرة سيدنا عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وزوجه رقية بنت رسول الله -ﷺ-:

«ولو نظرت قريش ليلتئذ بظهر الغيب، لرأت فتى أمية (عثمان بن عفان) يهاجر من مكة، موطن آبائه، ومهد طفولته، ومناط عزته، إلى بلد ناء، وقوم غرباء.. فكان (عثمان بن عفان) أول من هاجر إلى الحبشة، وهاجرت معه زوجته السيدة (رقية) على قرب عهدهما بالزواج.

---

(٢٨) ابن هشام، السيرة النبوية (٣٢٢/١) وابن كثير، البداية والنهاية (٧٢/٣).

(٢٩) الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٣٣١/٢) وابن كثير، البداية والنهاية (٦٦/٣).

(٣٠) ابن كثير، البداية والنهاية (٦٦/٣).

(٣١)، (٣٢) ابن كثير، البداية والنهاية (٦٧/٦٦/٣).

وتجلد المهاجر وهو يلقى نظرة وداع على البلد الحبيب وأما (رقية) فلم تملك دموعها، وهى تطوف بمغاني صباها مودعة، وتعانق أباها وأمها وأخواتها الثلاث، قبل أن تتبع زوجها إلى مهاجره.

وتمهلت فى مسيرها إلى حيث كانت راحلتها تنتظر، فلما آن أوان الرحيل تلفتت وراءها لتملأ عينيها من الوطن، فحال الدمع دون ما تبغى.

وكذلك سارت الجمال وئيدا تريد أن تتزود من عبير أم القرى، فلما خرجت إلى الصحراء العارية الجرداء، انطلقت خفافا تسمع غناء الحادى:

الأهل والأوطان .. فراقهم صعب
لكنه الإيمان .. فداؤه القلب
والروح والأبدان .. فليقبل الرب
فليقبل الرب

وهز الصوت الشجى قلب (رقية) فأصغت إليه وهى ترتجف انفعالاً وتأثراً، ثم أطلت من هودجها، لعل أثرا من مكة ما يزال يلوح من بعيد، فإذا زوجها (عثمان) على قيد خطوة منها، يرنو إليها فى عطف مشوب بالعتاب...»[٣٣].

وشق المهاجرون طريقهم حتى انتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة[٣٤].

وتتابعت موجات هجرة المسلمين فراراً من جحيم قريش حتى وصل عدد المهاجرين إلى ثلاث وثمانين مهاجرا فيهم عم رسول الله -ﷺ- جعفر بن أبى طالب الذى صار بأمر رسول الله -ﷺ- أميرا على مهاجرى الحبشة[٣٥].

وحين حنول قريش لما رأت استقرار المسلمين بالحبشة، وأنهم قد أصابوا داراً وأمنا ائتمروا على أن يبعثوا إلى النجاشى رجلين جلدين فى أمر المسلمين ليخرجوهم من بلاده ويردوهم عليهم، وأن يهدوا إليه هدايا، مما يُستطرف من متاع مكةومن أعجب ما يأتيهم منها الأدم -فجمعوا له أدما كثيرة، ومما أعدوا له فرسا وجبة ديباج، ولم يتركوا من بطارقته بطريقا إلا أهدوا له هدية على حدة، ثم بعثوا بذلك عمرو بن العاص، وعبدالله بن أبى ربيعة المخزومى، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم، ثم قدما إلى النجاشى هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما.

فقدما على النجاشى، وفعلا ما أمرا به، فأبى النجاشى، ورد عليهما هداياهما، وردهما خائبين[٣٦].

وهكذا كانت هجرة عثمان وصحبه إلى الحبشة أول هجرة فى الإسلام، فأقاموا عند النجاشى بخير دار فى أحسن جوار -بعد أن أكرمهم الله -عز وجل- بإسلام النجاشى- وأمنوا فى جواره على دينهم وأنفسهم وعبدوا الله لا يؤذون، ولا يسمعون شيئا يكرهونه، فأقاموا شعبان ورمضان، وقدموا فى شوال إلى مكة لما بلغهم من إسلام أهلها، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا، وكان فى العائدين سيدنا عثمان بن عفان وزوجته السيدة رقية بنت رسول الله -ﷺ- فدخلوا فى جوار طائفة من قومهم إلا ابن مسعود، فإنه عاد مهاجرا إلى الحبشة[٣٧].

«يتبـــع»

---

(٣٣) عائشة عبدالرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة -رضى الله عنهن- ص٥٥٦ : ٥٥٧.

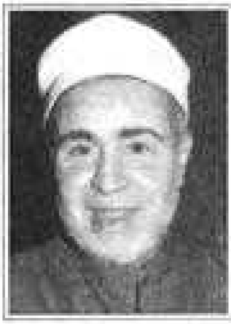
(٣٤) ابن كثير، البداية والنهاية (٦٦/٣).

(٣٥) المصدر السابق (٦٦/٣ : ٦٩).

(٣٦) عمر بن فهد، اتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت (٢٦٧/١، ٢٦٨).

(٣٧) المصدر السابق (٢٦٥/١)، ابن هشام، السيرة النبوية (٣٦٤/١).

من أعلام الإسلام



الإمام محمد سيد طنطاوى "بين التفسير والإفتاء"

١

للدكتور/ محمد رجب البيومى

كان من توفيق الله للإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى أن هداه الله فى صدر شبابه إلى كتابة تفسير شامل لكتاب الله، فأخذ للأمر عدته، وقرأ كل ما وقع تحت يده من كتب التفسير، بل قرأ ما ينشر فى المجلات الإسلامية من شرح للكتاب المبين دون أن تجمع فى كتاب.

وإذا كان القرآن قد حوى أصول الثقافة الإسلامية، وبذور علومها من فقه، وتشريع، وسير أنبياء، وهداية للناس، باتباع الصراط القويم، فى مسيرة الحياة، فإن الذى يشرئب إلى تفسيره، وقد متعه الله بالذهن الثاقب، والإخلاص الصادق والتعبير المشرق، والقراءة الشاملة لما خطه السابقون من أئمة المفسرين، وإن الذى يشرئب إلى هذا التفسير مواصلاً ليله بنهاره فى الاطلاع قارئاً، والتفكير المتند صامتاً، سيقع على ذخيرة من أغلى الذخائر الروحية والعقلية معا، وسيؤهل إلى الإفتاء فى قضاء المجتمع مستعينا بما درس واستوعب، وكأن الله حين قدر فى مكنون غيبه أن يلى الأستاذ إمامة المسلمين فى مستقبل عمره، أعده لذلك، بتوجيهه إلى كتابة هذا التفسير والاستسقاء من ينابيع سابقيه، مضيفا إلى ما اصطفاه من أقوالهم ما من الله به عليه من تأويل طريف أو استنباط سديد.

وقد عرف طريقه، الذى يجب أن يسلكه منذ بدأ يكتب تفسير فاتحة الكتاب، هذا الطريق، الذى أوجز الإشارة إليه فى قوله فى مقدمة الكتاب: «لقد بذلت فيه أقصى جهدى، ليكون تفسيرا علميا محققا محررا من الأقوال الضعيفة، والشبه الباطلة، والمعانى السقيمة وستلاحظ خلال قراءتك أننى كثيرا ما أبدأ بشرح الألفاظ القرآنية ثم

اذكر سبب النزول للآية أو الجملة، عارضا ما اشتملت عليه من وجوه البلاغة، والبيان، والعظات والآداب، والأحكام، مدعما ذلك بما يؤيد المعنى من آيات أخرى ومن الأحاديث النبوية، وأقوال السلف الصالح، وقد تجنبت التوسع في وجوه الإعراب، واكتفيت بالآراء الراجحة إذا تعددت الأقوال، لأني توخيت فيما كتبت، إبراز ما اشتمل عليه القرآن من هدايات جامعة، وأحكام سامية، وتشريعات جليلة وآداب فاضلة، وتوجيهات نافعة وأساليب بليغة».

ولم يتخل المؤلف عن منهجه هذا، فجاء تفسيره سهلا واضحا يناسب كل قارىء مؤهل، إذ يأخذ منه ما يلائمه وإنه من معجزة القرآن أن يسره الله للذكر، إذ ينهل منه كل ظامىء فيرتوى بشرابه العذب.

كذلك من توفيق الله للمفسر أن يأتى بما لايعجز القارىء الناشىء وبما يعجب الدارس المتأمل معا، لذلك أخذ هذا التفسير مكانه مستريحا بين كتب الأئمة المعاصرين محمد رشيد رضا، ومحمد متولى الشعراوى وجمال الدين القاسمى، ومحمد الطاهر بن عاشور، وأحمد المراغى، وسيد قطب ممن انشرحت صحفهم على مدى فسيح، إذ أن الله لا يضيع أجر العاملين، ولكل من هؤلاء ذوقه المتفرد، وطابعه المتميز، وكلهم خيار من خيار.

قلت إن الله قد هيأ الإمام للتفسير في صدر شبابه، وفي هذه العبارة تجوّز، لأن الطالب الأزهرى يتهيأ للتفسير منذ يلتحق بالأزهر، صحيح أن درس التفسير يبدأ في القسم الثانوى، ولكن ما قبله يفوح بأريج القرآن، في أكثر ما يتلقى الطالب من الفنون، وكان الطالب الناهض منذ التحق بالأزهر يقوم بالخطابة المنبرية في أيام الجمع، وكانت عدته في ذلك آيات من كتاب الله، وهي آيات الهداية والإرشاد والدعوة إلى أخلاق القرآن فكانت خطب الجمعة بمثابة دراسة مبدئية للتفسير، وقد ظل الأستاذ في سنواته السعيدة متعلما وعالما يحافظ على مكان الداعية يوم الجمعة في المسجد، وغير يوم الجمعة في الندوات العلمية، حتى إنه شغل بالإمامة ذات الأعباء الثقال لم يشغل عن خطبة الجمعة أسبوعيا في الجامع الأزهر الشريف، وهي خطبة تعيد العهد الزاهر لهذا المسجد يوم كان الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله - يتخذه منبراً لمعالجة شئون الساعة فكان كأنه صحيفة أسبوعية يكتب بها أستاذ كبير خلاصة ما يراه في مجريات الأحداث ولكن في هدى من كتاب الله وسنة الرسول وسير الكرام من السلف الصالح، ولعل من فرط اهتمام الإمام بتأثير الدعوة المنبرية في النفوس، هو ما حفزه على أن يكتب أسبوعيا خلاصة دقيقة لموضوع حيوى ينشره في «صوت الأزهر» ليقدم النموذج لخطبة الجمعة في عناصر محددة مركزة، وفي ذلك تعليم للخطيب كي يحصر خطبته في موضوع واحد لايتعداه، إذ ما أصيبت الخطبة المنبرية ببلاء قدر إصابتها بمن يتكلمون في مواضع شتى في الخطبة الواحدة، فلا يشبعون رغبة السامع الذى يريد أن يأخذ خلاصة شافية لغرض محدد، ومادمت قد تعرضت للنشأة المنبرية الأولى للشيخ فإني أوجز حياته الرسمية في

سطور قليلة إذ أعلن أنه ولد فى قرية سليم الشرقية بمحافظة سوهاج فى سنة ١٩٢٨، وتلقى تعليمه الأساسى بقريته ذات العبق الدينى العاطر، ثم التحق بمعهد الأسكندرية بعد أن حفظ القرآن فرأى الفرق البعيد بين هدوء القرية الحالمة التى يحتضنها الجبل عن شمال ويمين، وبين حركة الثغر الدائبة الناشطة. وحضارته التى مثلت طابع أقوام من ذوى الترف فى جانب، والذين لايزالون يزاولون وسائل الرزق البدائى فى جانب آخر مع ما يزخر به المصيف من اتجاهات تنتمى إلى الحضارة، مقبولة ومرفوضة فكان المحيط الاجتماعى بالأسكندرية رافداً حيوياً لثقافته ذات النظر المتشعب الأفانين.

ثم التحق بكلية أصول الدين فى تخصص التدريس، وأتم الله نعمته عليه فحصل على الدكتوراه فى التفسير والحديث بتقدير ممتاز وكانت رسالته الجامعية أول رسالة تقدم لجامعة الأزهر فى عهد التطوير فرسمت صورة نموذجية لرسائل تالية وتحدثت عنها الصحف بإشباع، ثم عين مدرسا فأستاذا فعميداً لكلية أصول الدين، وارتقت مواهبه إلى منصب الإفتاء فى عهد حضارى خطير، يموج بالتيارات المتقابلة ويتعارض به القديم مع الحديث فى مهادنة تارة ومصادمة تارة أخرى فمضى بالسفينة فى تيارها المصطخب على نحو ما سأشير إليه بعد، وتوج كفاحه العلمى بمشيخة الأزهر، فنهض بها دائبا متوثبا، ولم يخلد إلى مكتبه تعرض عليه الأوراق فى سكينة ليوقعها، ولكنه انتقل إلى العواصم والقرى متفقدا منافذ الدعوة والتعليم داخل البلاد تارة، وسائحا فى شتى بلاد العالم متفقدا لحالات الإسلام والمسلمين بها على نحو متصل تارة أخرى، ورزقه الله الصحة والعافية، فأكمل مسعاه على وجه حميد.

وقد بدأ الدكتور نتاجه العلمى الرصين برسالة الدكتوراه وهى (بنو إسرائيل فى الكتاب والسنة) واتجاهه إلى هذا الموضوع قبل سنة ١٩٦٦ كان - أيضا - توفيقا من الله، إذ ألم فى هذه الرسالة بلباب القضية الفلسطينية المعاصرة راجعاً إلى جذورها البعيدة من عهد إبراهيم حيث ناقش من يرى أن كلمة عبرى من العبور، وهو التجول فى أنحاء البادية، وهو الرأى الشائع المتعالم ولكن الدكتور الطنطاوى وقف أمامه وقفة ناقدة، فذكر أن الأمم السامية من بابليين وآراميين وعرب كانوا - أيضا - يعبرون الأرض من مكان إلى مكان فلماذا يختص بها اليهود، ثم أرجع اللفظ إلى عهد إبراهيم - عليه السلام - حين عبر الفرات.

أقول كان الأستاذ بتتبعه تاريخ اليهود هذا التتبع التاريخى فى الغابر البعيد ومن بعده هذا الرصد المؤثر للحاضر الأليم يستمد من قراءاته ما يجيب به الآن فى المنتديات السياسية والمحافل الإسلامية إجابة الدارس المكين الذى خاض غمار المحيط وعرف تياره المضطرب الموّاج، وهو فى رحلاته المتعددة لشتى بلاد العالم يُفاجأ بأنصار الصهيونية يريدون إحراجه بالأسئلة المدخولة على ظن أنه لا يلم بالجذور الضاربة فى أعماق التاريخ فيجدون التصحيح المصيب مؤيدا

بالوثائق الكاشفة والنصوص الدالة، ومن يقرأ رسالة الأستاذ يجد جهدا جاهدا في تصحيح أخطاء حاول اليهود تأكيدها، وهو إذا اصطدم برأي أوروبي، واجهه بنص عربي يرتفع كثيرا بإسناده إلى النصوص المحكمة في القرآن والأحاديث المتواترة في السنة. أما من يحاولون أن يستشهدوا بالتوراة على أن جميع ما جاء بها حق لا لبس فيه فقد واجههم الأستاذ بما يدل المنطق على زيفه، إذ أمعنت التوراة في ذكر المقابح الدنسة المنسوبة ظلماً إلى أنبياء الله وفيهم أنبياء بني إسرائيل، ومن البدهي أن تكون هذه المقابح مفتراة لا تلحق بنبي معصوم، ولكن أتباع هؤلاء الأنبياء يحملون عليهم أفظع النقائص حين يقرون ما جاء في سفر الملوك من أن سليمان - عليه السلام - افتتح حكمه بقتل أخيه. وأتى من المفاسد ما لا قبل للخلق الكريم به، كذلك قيل عن داود ما هو منه براء، وقد دافع الأستاذ عنهما بنصوص شرقية وغربية وثيقة الإسناد، وكان صادقا حين قال في خاتمة دفاعه: «ونحن ننزههما عن كل ما نسبته أسفار التوراة، وكتب التاريخ إليهما من جور وظلم فهما نبيان كريمان، معصومان عن ارتكاب ما نهى الله عنه».

وهذا الموقف لا يكاد يصدق فمثله تماما مثل من يطعن أباه وأمه في شرفهما، ويجيء منصف غريب فيدفع تهمة الولد العاق! ولو تأمل القارئ المحايد أمثال هذه المواقف من علماء الإسلام لعرف كم هم ملتزمون بقضايا الحق والإنصاف، ولأدرك أثر هذا الدين الخالد في إخراج الناس من الظلمات إلى النور.

والنقد داخليا وخارجيا الذي خطه الأستاذ خاصا بما يظهر زيفه من نصوص التوراة، يحمل كل منصف على الإعجاب به، وقد رجع إلى الأثبات من كُتاب التاريخ في القديم والحديث لينص على أن الغزل المتهالك الداعر المنسوب إلى سليمان - عليه السلام - قد يكون لمجموعة من شعراء بابل، ووجوده في التوراة سر خفي لا يدرى معه كيف غفل رجال الدين لديهم عما يتضمن من مقابح، فأجازوا ترداده ونسبته إلى أنبياء الله!

وإذا كان بعض المغرضين من أذناب الاستشراق يحاول التهجم على بعض أحداث السيرة النبوية فيفسرها على غير وجهها الصحيح، وبخاصة ما يتعلق بأهل الكتاب، إذ يروق له أن يصور الإسلام ديناً مهاجماً. متصيداً من الأحداث ما يفسره على غير وجهه، فإن الأستاذ قد شاء أن يقرر سماحة الإسلام قبل الخوض في غدر اليهود ومكايدهم تقريراً هادئا يدعمه الدليل، وهو في كل حكم يُقرره يعتصم بالدليل الصريح من كتاب الله. ناطقاً بالحجة في وضوح فمحمد - ﷺ - قد بشرت به التوراة والإنجيل وعرف اليهود حقيقة ذلك فكانوا يستفتحون به على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، كما جاء القرآن مصدقا للكتب السماوية. وهي بين أيديهم يعرفون أصولها ومدى اتفاقها مع ما جاء به النبي الأمي دون أن يعلمه أحد غير ربه، كما كان القرآن منصفا لهم كل الإنصاف إذ وصفهم بأنهم أهل الكتاب ودعا إلى مجادلتهم بالتي

هى أحسن، وأباح طعامهم والزواج منهم، وقال بالمساواة العادلة دون تحيف وكل ذلك لم يسقه المؤلف مرسلاً بل جاء مشفوعا بالنص الصريح والواقع الجلى من سلوك نبى الإسلام إزاء مخالفيه، وجمع هذه الأدلة على النحو المستوعب، الدقيق فى اختيار ما يؤكده دون لبس ينبىء عن توفيق كبير لصاحب هذه الدراسة. وبعض الناس يمر بهذه النصوص مرورا عابرا، ولكن صاحب النظر الجاد يقف عند كل حرف دال ليفهم مرماه، وذلك يحتاج إلى تفوق فكرى يهتدى به الدارس إلى ما يجب أن يقال! وهذا الفصل هو حجة الإسلام الدالة على إنصافه لأهل الكتاب، وعلى الدعاة أن يقفوا أمامه طويلا وقد مهد لهم المؤلف السبيل.

ثم تحدث عن مكايد اليهود فى عهد النبوة فأفاض إفاضة شافية، وما كتبه فى هذا المجال يعتبر تفسيراً تاما لجزء كبير من آيات الكتاب المبين إذ كانت هى حجر الزاوية فى الاستدلال وقد شفعت بدءا وخاتمة بما يجلوها فى ذهن القارىء تمام الجلاء.

وإذا كان المؤلف قد وفق إلى ذكر ما دبره اليهود من مكايد فى العصر النبوى، فإن ذلك قد أبان للقارىء أن حبل المكيدة ممتد من عهد النبوة إلى اليوم. إذ ما قام به أمثال حُيى بن أخطب، وسلام ابن أبى الحقيق وكعب بن الأشرف يتماثل كثيرا مع ما قام به اليوم وايزمان، وبن جوريون، وموشى ديان، وشارون، وأحزابهم، والمؤلف يعرف ذلك جيدا، وقد قرره صريحا دون مواربة حين قال:

«وقد أثبتت الأيام صدق ما أخبر به القرآن الكريم عنهم، فإنهم بعد أن دخلوا بعض البلاد الإسلامية فى فلسطين بمساعدة الاستعمار، طردوا أهلها الشرعيين منها، واستولوا على كل ما فيها من خيرات، ولم يسمحوا للاجئين أن يأخذوا معهم ما يستر العورة، أو يمسك الرمق، وأقرب دليل لذلك أنهم عندما احتلوا عن طريق الغدر قرى دير ياسين وكفر قاسم، والرملة وغيرها من قرى فلسطين قاموا بذبح النساء والأطفال والشيوخ ومن نجا من الذبح فقد كل ما يملكه.

وقد كتب هذا الكلام فى الطبعة الأولى منذ خمسة وثلاثين عاما، ولو أتيح للإمام أن يضيف إليه الجديد لذكر ما تمخضت عنه دناءة اليهود عقب هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ وما تلاها إلى اليوم من كوارث أقربها ما صنعه السفاح شارون فى المسجد الأقصى جهارا دون تستر ولهؤلاء يومهم المرتقب فلن يفلت ظالم من عدالة السماء.

إن تحليل كتاب «بنوا إسرائيل فى الكتاب والسنة» يحتاج إلى بحث طويل يظهر مراميه وقد حاولت ذلك فى بحث نشر منذ أعوام بمجلة الهلال الغراء وعدت إليه فى تحرير هذا المقال.

وقد أصدر الأستاذ كتبا عدة فى مسائل تتعلق بكتاب الله، منها: أدب الحوار فى الإسلام، والقصة فى القرآن الكريم، والعقيدة والأخلاق، وحديث القرآن عن العواطف الإنسانية، والمرأة فى الإسلام، وكلها وما يحو نحوها من مؤلفات الإمام التى أخذت تتدافع رائقة صافية كما يتدافع الماء فى مجراه

الهادىء المطمئن، كلها وما ينحو منحاها مما يندرج تحت عنوان (التفسير الموضوعى) الذى أخذ يزدهر هذه الأيام بجهود نفر من الباحثين، ومرماه حصر الآيات القرآنية التى قيلت فى موضوع واحد، حصرها من السور المختلفة، ثم تنسيق ترتيبها تنسيقا هادفا يعمد إلى إيضاح المدلولات عن طريق التسلسل المطرد، وهذا ما ظهر واضحا فيما أشرت إليه من البحوث، وما لم أشر مما اكتفيت بما ذكرت عنه كيلا يتشعب البحث فى مجاله المحدود، وقد سلم هذا المنحى من تأليف الإمام من عيوب لحقت ببعض ما كتبه الدارسون فى هذا المجال، لأنهم لم يقتصروا على ما جاء فى كتاب الله وما جاء مبينا له من أحاديث الرسول تصديقا لقوله : - عز وجل - فى سورة النحل:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

لم يقتصروا على هذين بل توسعوا فى آراء جدلية ومسائل تاريخية وأحكام تشريعية لا تمت للنص القرآنى المعروض، وإذا كان ذلك مفيدا فى ذاته فإن محاولة إلصاقه بالتفسير توحى بأنه من المفهوم العام للكتاب المبين وهذا شطط لا يقبل.

ولكى أضرب المثال الناطق على ما أريد تقريره أقول : إن كتاب (المرأة فى الإسلام الذى كتبه الأستاذ إذا ما قورن بكتاب « المرأة فى الإسلام » لمؤلف آخر لا ينكر فضله فى العمل وسبقه فى البحث، فإن هذه المقارنة تدل على التزام الإمام بالنص القرآنى وحده وما يلحقه من أحاديث النبوة، أما الكتاب الآخر فقد كان معرضا تاريخيا لأحوال المرأة منذ برأها الله حتى الآن مستندا إلى صحائف شتى منها العربى والأعجمى، وهذا إذا أفاد القارىء فائدة تامة فإنه لايتصل بالتفسير الموضوعى ذى الاتجاه المحدد بالنص القرآنى، وقد ناقشت بعض من انتحوا هذا المنتحى المسهب، فأوضحت له أن ما كتبه ثقافة علمية جديدة، ولكنها ليست تفسيرا موضوعيا، فأبى أن يستجيب لما أدليت به من تصويب، وحسبى أن بلغت!

وقد يكون من المناسب أن أضرب المثل لما أريد من التفسير الموضوعى بما كتبه الإمام الأكبر تحت عنوان (حوار مع المنافقين) فى كتابه (أدب الحوار فى الإسلام) إذ جمع فى هذا الباب ما بكتاب الله فى سور مختلفة كسور : النساء والتوبة والأحزاب والمنافقون فشرح الآيات شرحا دالا يستند إلى سياقها وأسباب نزولها، وفحوى مرادها، بحيث لا يحتاج القارىء إلى أمر زائد فى شأن المنافقين أكثر مما جاء فى السور الكريمة، ومن يقرأ كتب السيرة المطهرة وأقربها إلى أيدينا سيرة ابن هشام يجد ما بها من الوقائع ينتهى إلى محكم هذه السور، ولا أنكر أن كتب السيرة تضف من الملابسات الدقيقة ما يضىء فهم النص القرآن، فقراءتها ضرورية، ولكن فى بعض هذه الكتب ما قد يكون موضع شك لضعف الرواية أو اختلاطها بعناصر تفسد ما بها من صواب، أما الاعتماد على النص القرآنى وحده، فمما لا يتطرق إليه أدنى شك، ولذلك جاء حديث المنافقين فى ضوء ما قرره القرآن الكريم من أحكم القول، ومن أصدق من الله حديثا؟

ومهمة التفسير الموضوعي في هذا المجال أن يسلسل الآيات في نسقها المطرد على نحو ما فعل الإمام؛ فقد التزم بترتيب السور في المصحف الشريف، كما جعل الحديث عن حوار المنافقين وحده. وهو من أدق الحوار، لأن هؤلاء كانوا قوما لداً، وقد قال الله- عز وجل - عنهم:

﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾(١).

إذ لديهم من براعة العقل وحسن التأني ما يجعل لكلامهم وجها من القبول لدى من يغتر بما فوق السطح دون أن يلج إلى الأعماق، فجاءت الآيات الكريمة كما رصدها المؤلف وافية بما ترومه من كشف دخائل هؤلاء.

وقد سلسل الأستاذ آيات النفاق على نحو يبهر القارىء لأن الله - عز وجل - قد أظهر من البواطن النفسية، والخوافي المستترة ما فضح كل غائب متنكر، وفي صدد ما يقوم به من التحليل قد يتعرض لإيضاح وجهات غير سديدة قال بها بعض المفسرين، وهذه شريعة أهل العلم، ومما يؤسف له أن يقوم كاتب فيتعصب لرأى معلول دون دليل لا لشيء إلا لأنه تردد في حواشي بعض المفسرين، وقد يكون القائل به أقل مرتبة في دنيا العلم من أعلام كبار ولكن الكاتب يخالف لوجه المخالفة وحدها، ولو لزم كل ناقد جانب الحق لاستراحت الأقلام من عناء لا طائل وراءه، واستراح القراء من شطط مريب.

ولا نترك حديث التفسير لدى الأستاذ الدكتور محمد سيد الطنطاوى موضوعيا وغير موضوعى دون أن نشير إلى المصحف الميسر الذى استله من التفسير الوسيط، ليقدم الخلاصة الموجزة لقول الله، وقد قام جماعة من المعاصرين بمثل ما قام الأستاذ ولكنه في اختياره قد التزم الرأى الراجح باعتباره قد عانى متاعب الأقوال المضطربة حين كتب التفسير المبسوط، وقد سماه «الوسيط» تواضعا فيما أرى لأنه استوعب كل ما يجب أن يقال، والذين اكتفوا في التفسير الميسر بالألفاظ اللغوية دون المعنى العام كالأستاذ حسنين محمد مخلوف في كتاب (كلمات القرآن) لم يقدموا شيئا ذا بال لأن هذا النهج قد عرف في القديم فيما يسمى «بغريب القرآن» وقد درسنا نموذجا منه في القسم الثانوى بالأزهر وهو «غريب السجستانى» وقد أشرت إلى كتاب كلمات القرآن للأستاذ مخلوف كيلا يظن قارىء أنى أقصد تفسيره الجامع للمعانى الإجمالية دون زيادة على نهج النسفي والبيضاوى - رحمهما الله.

وانتشار كتب التفسير معجزة للقرآن الكريم، وتأكيد لقول الله - عز وجل -:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٢).

صدق الله العظيم

«يتبع»

(١) المنافقون: (٤)

(٢) الحجر: (٩)

روائع من الماضي بمجلة الأزهر

صدق العزيمة أو قوة الإرادة

لفضيلة الشيخ / محمد الخضر حسين

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أفضل ما يمدح به الإنسان أن يتوجه بعزمه القاطع إلى إظهار حق أو إبطال باطل.
وللتجربة أثرها الواضح فى قوة العزيمة مما يجعل صاحبها على يقين من نجاح عمله وحسن عاقبته.
ويساعد على صدق العزيمة شرف الهمة والتعفف فأنزه القوم نفسا وأبعدهم عن الطمع أشدهم عزما على أن يقول حقا أو يعمل صالحا، وإن لم يرض عن قول الحق أو عمله الصالح ذو مال أو سلطان.
وقوى العزم هو الذى تكون إرادته تحت سلطان عقله فمتى بصر بالأمر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له فى قوة.
ولقوة الإرادة أثر كبير فى انقلاب حال الأفراد والجماعات وكم من أمة أو دولة لم ينقذها ممن يبتغى بها سوءا سوى قوة الإرادة وللمزيد قال الكاتب. رحمه الله:

يخطر فى النفس أمر فتثق بأنه حق أو نافع، فتحرص على حصوله فإذا أضافت إلى هذا الحرص، النظر فى وسيلة بلوغها إياه وبدالها أنه فى حدود استطاعتها فسرعان ما تقبل عليه وتبذل سعيها للوصول إليه وذلك ما نسميه بالعزم أو الإرادة.

فما يخطر فى النفس مما تعتقد حقيته أو نفعه وتود أن يكون حاصلا لديها ثم لا تسعى له سعيه ولا تضع لبلوغه خطة، فإنما هو التمنى الذى لا يفرق بين المحال والمستطاع والذى يخطر فى نفوس القاعدين كما يخطر فى نفوس المجاهدين، وما مثله إلا كمثل الشرر الذى يلمع حول النار ثم يتصاعد هباء.

وإذا تحدثنا فى هذا المقال عن قوة الإرادة وذهبنا فى حديثها مذهب خصال الحمد، فإنا نعنى الإرادة المتوجهة إلى ما هو خير، ومن

أفضل ما يمدح به الرجل أن يتوجه بعزمه القاطع إلى إظهار حق أو إقامة مصلحة.

وتنشأ قوة الإرادة من التجارب فمن تعلق همه بأمر كان قد عرف بطريق التجربة أنه ميسور وأن عاقبته سلامة ونجاح، انقلب همه في الحال عزما صادقا، أما من لم تسبق له تجربة فقد يتخيل الأمر ممكان لا تناله يده أو يخشى من أن يلاقي وراء السعي إليه خيبة، فيقف في تردد وإحجام، فذو العمر الطويل من أولي الألباب قد يكون أسرع إلى بعض الأمور وأشد عزما عليها من حديث السن، لما تفيده التجارب من إمكانها ونجاح السعي لها.

وتنشأ قوة الإرادة من درس التاريخ فالذى يخطر فى باله أمر قرأ فى سيرة شخص أنه كان قد هم بمثله وعمل لحصوله فنجح عمله وصلحت عاقبته شأنه أن يعزم على ذلك الخاطر ويجعله بعد العزم عملا نافذا، فمن يخطر في باله أن يدعو الحاكم الجائر بالموعظة الحسنة، وقد قرأ سير العلماء الذين كانوا يأمرون بعض الجبارين بالمعروف فيأتمرون، أو يكظمون في الأقل غيظهم ولا يبطشون، يكون أقوى عزما على الدعوة ممن لم يقرأ في هذا الشأن خبراً، لما عرفه من أن للحق الذى يخرج في أسلوبه الحكيم سطوة على النفوس وإن كانت طاغية، فيقدم على وعظه في رفق وحسن خطاب، فإن لم يهده سبيل الرشد قضى حق النصيحة له، وما على الذين أتوا الحكمة إلا البلاغ.

وتنشأ قوة الإرادة من أدلة خاصة تجعل الرجل على يقين من نجاح العمل وحسن العاقبة، واعتبروا فى هذا بتصميم أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - على قتال أهل الردة ومانعي الزكاة، فإنه كان عالما بأنه على حق من قتالهم، وكان على ثقة من أنه سينتصر بفئته القليلة على جموعهم الكثيرة، ومما دله على أنه الظافر وأن المرتدين عن الدين لايفلحون قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]

ولو تقاعد أبوبكر عن جهاد تلك القبائل وخلى الردة تتفشى فى جزيرة العرب وباء فاتكا لانفصمت عرى الوحدة العربية الإسلامية ولم يستقم أمر تلك الفتوح التى كانت عاقبتها ظهور دين الحق على سائر الأديان.

وتنشأ قوة الإرادة من كمال بعض السجايا الأخرى وبلوغها غاية قصوى، كسجية إباء الضيم تهز الضعيف وتثير فى نفسه العزم على أن يدافع القوى عن حقوقه ما استطاع دفاعه، وكذلك خلق الشجاعة يجعل الرجل أمضى عزما وأسبق إلى الحروب من الجبان الذى يتمثل له الموت في كل سبيل.

---

(١) التوبة ٣٣.

ومما يساعد الرجل على صدق العزيمة خلق التعفف وشرف الهمة، فلتجدن أنزه القوم نفسا وأبعدهم عن الطمع وجهة، أشدهم عزما على أن يقول حقا أو يعمل صالحا وإن لم يرض عن قوله الحق أو عمله الصالح ذو مال أو سلطان.

تتفاوت الإرادة في القوة وتفاوتها على قدر قوة شعور الرجل بما للشئ من أحقية أو نفع وعلى قدر ثقته من تيسره وإمكان حصوله فالذى اتقن علما فاحاط باصوله وغاص على أسراره يكون عزمه في الدعاية الى الأعمال المرتبطة به أقوى من عزم ذلك الذى وقف في دراسته عند حد لا يجعله من أعلامه، والرئيس العادل يكون أقوى عزما على حرب أعدائه من الرئيس الجائر، لان العادل يثق من قومه بحسن الطاعة أكثر مما يثق الجائر ومن ظفر من قومه بحسن الطاعة فقد ظفر بأكبر أسباب الفوز والانتصار.

نقرأ في التاريخ أن المنصور بن أبي عامر الذى جذب عنان الملك من يد هشام بن الحكم في قرطبة قد غزا ستا وخمسين غزوة دون أن تنتكس له راية أو يتخاذل له جيش أو يصاب له بعث أو تهلك له سرية ومن درس سيرته لم يعجب لهذا الانتصار المطرد، إذ يجد فيها عدلاً ومساواة يأخذان النفوس إلى أن تلقي إليه بالمودة والامتثال. ومن الأخبار الشاهدة بما وصفنا أن رجلا من العامة وقف بمجلسه وقال له: إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذى على رأسك وأشار الى الفتى صاحب الدرقة[٢] وكان للفتى فضل محل عنده، فقال المنصور: ما أعظم بليتنا بهذه الحاشية، ثم نظر إلى الفتى وقال له: ادفع الدرقة إلى فلان وانزل صاغرا وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضعك ثم قال لصاحب شرطته الخاص به: خذ بيد هذا الفاسق الظالم وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحق من سجن أو غيره وبعد أن جازاه القضاء بما يستحق ابعده المنصور عن خدمته، وصاحب مثل هذه السيرة حقيق بان يكون له متى هم بالحرب عزم لا يختلج بتردد.

فمن وضع أمامه غاية شريفة ورام من قومه العمل لها بعزم لا يخالطه فتور فما عليه إلا أن يريهم بالاسلوب السائغ والدليل المقنع وجه شرف تلك الغاية، ثم يصف لهم طريقها الناجح، فلا يكون منهم الا أن يتسابقوا إليها ويقتحموا كل عقبة تلاقيهم في سبيلها.

فإذا رأيت قوما يذكرون في صباحهم ومسائهم شيئاً من معالي الأمور ولم ترهم يسعون له سعيه ولا يتقدمون إليه بخطوة فاعلم أن العزم لم يأخذ من قلوبهم مأخذه، فهم إما أن يكونوا عن حقيقته وشرف غايته غائبين وإما أنهم ضلوا طريقه وما كانوا مهتدين.

---

(٢) الدرقة: الترس.

وإذا ذكرنا العزم النافذ في خصال الشرف فإنما نريد الإقدام على الأمر بعد استبانة عاقبته ولو على وجه الظن الغالب، وذلك ما يعنيه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في قوله: «ولكن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث» والمكيث من لا يخف إلى الهجوم إلا بعد روية وتدبير.

ولا يعد في قلة العزم أن يستبين الرجل الحق أو المصلحة ويقف دون عزمه مانع، كأن يعلم أن عقول الجمهور لا تتسع لقبوله ويخشى الفتنة فيرجئه ريثما يمهد له بما يجعله مقبولا سائغا، قال عبد الملك بن عمر ابن عبد العزيز لأبيه عمر يا أبت مالك لا تنفذ الأمور؟ فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور فقال له عمر: لا تعجل يا بني إن – الله تعالى – ذم الخمر مرتين وحرمها في الثالثة وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه وتكون فتنة.

ولا يعد في قلة العزم أن يرى الرجل رأيا ويعقد النية على إنفاذه ثم يبدو له على طريق الحجة أنه غير صالح فينصرف عنه، وقوي العزيمة هو الذي تكون إرادته تحت سلطان عقله، فيقبل بها على ما يراه صوابا ويدبر بها عما يراه فسادا.

وإذا قال الشاعر مادحا.

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عن ذكر العواقب جانبا

فإنما يريد الهم الناشئ عن رجاحة رأي، وقوي العزم متى بصر بالأمر ووثق بأنه سداد قطع نظره عن العواقب ونهض له في قوة أما ضعيف العزم فإنه يترك نفسه مجالا للخواطر وذكر العواقب هذه تغريه على العمل وهذه تصده عنه حتى تفوت الفرصة ويذهب وقت العمل ضائعا.

ومن صرامة العزم أن تفرغ فؤادك من كل داعية شأنها أن تلحق بعزمك وهنا أو تصرف وجهك عنه صفحا، وتتمثل هذه الصرامة في عبد الرحمن الداخل (صقر قريش)[٣] إذ خرج من البحر أول قدومه على الأندلس وأهديت له جارية بارعة الجمال، فنظر إليها وقال: إن هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا شغلت عنها بما أهم به ظلمتها وإن أنا اشتغلت بها عما أهم به ظلمت همتي، فلا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها.

وكثيرا ما يجيء التردد في الأمر من ناحية الشهوات والعواطف كالذي يثق بما في طلب العلم من خير وشرف ويقعده عنه حب الراحة وإيثار ما تنزع إليه النفس من اللذات الحاضرة والذي يقول:

---

(٣) قال أبو جعفر المنصور لأصحابه يوما: أخبروني عن صقر قريش فذكروا له طائفة من الخلفاء، وهو يقول «لا» فقالوا: من يا أمير المؤمنين فقال: عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا مفردا فمصر الأمصار، وجند الأجناد ودون الدواوين وأقام ملكا بعد انقطاعه لحسن تدبيره وشدة شكيمته.

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة

فإن فساد الرأى أن تترددا

إنما ينبه على التردد الناشئ عن نحو الشهوات والعواطف فذلك هو التردد المفسد للرأى والموقع فى خسر.

ولقوة الإرادة أثر فى انقلاب حال الأفراد والجماعات عظيم فكم من فتى يساويه فى نباهة الذهن وسائر وسائل السؤدد فتيان كثيرون ولكنه يجد من قوة الإرادة مالا يجدون فيكون له شأن غير شأنهم ويبلغ فى المحامد شأوا أبعد من شأوهم، ولو نظرت إلى كثير ممن ظهروا أكثر مما ظهر غيرهم وأقمت موازنة بينهم وبين كثير من لداتهم لم تجد فى أولئك الظاهرين مزية يرجح بها وزنهم غير أنهم يهمون بالأمر فيعملون.

وإذا جعلت تتقصى أثر دولة الموحدين التى وضعت قدمها فى فاس وبسطت أجنحتها على الأندلس والجزائر وتونس وجدت أقصى هذه الدولة همة طفحت بها نفس محمد بن تومرت بعد انصرافه عن مجالس أبى حامد الغزالى وأبى بكر الطرطوشى وغيرهما عائدا إلى بلده بالمغرب الأقصى.

وكم من أمة أو دولة لم ينقذها ممن يبتغى بها سوءا سوى قوة الإرادة وقد يكون فيما صنع هارون الرشيد بالبرامكة غلواً فى الانتقام وسرفاً فى القتل، ولكن تنقية مناصب الدولة منهم لم تكن إلا بنت اليقظة والإرادة التى لا يأخذها التردد فى قطع المكر السيئ من جذوره وإذا صح ما يصفهم به بعض أهل[4] العلم من أنهم كانوا يكيدون للإسلام كيد الباطنية كان لهارون الرشيد موقف خير من موقف المنتقم لملكه أو ملك أسرته من بعده.

فإذا كان صدق العزيمة من أفضل خصال الشرف وأجلها فى الإصلاح أثرا فجدير بأساتيذ التربية أن يعطوه من عنايتهم نصيبا وافرا، وحقيق بالرجال القوامين على الشئون العامة أن يأخذوا به بأنفسهم ويقيموه شاهدا على كفايتهم فإن ما بيننا وبين المدينة الفاضلة والحياة الآمنة مسافة طويلة المدى، صعبة المرتقى إذا لم نقطعها بالعزم الصارم والعمل المتواصل ظلمنا أنفسنا ولم نقض حق الأجيال بعدنا فمن واجبهم علينا أن نبنى لهم صروحا من العز شامخة فإن لم نستطع هيأنا لهم أسسا ليرفعوا عليها قواعد الشرف والمنعة فإذا هم أحرار فى أوطانهم حقا مكرمون لنزلائهم طوعا.

وما اقترن العزم الصحيح بأدب التوكل على من بيده ملكوت كل شئ إلا كانت عاقبته نجاحا ورشدا

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[5]

المجلد الأول

١٣٤٩هـ

---

(٤) هذا ما قرره القاضى أبوبكر بن العربى فى كتاب العواصم والقواصم

(٥) آل عمران/١٥٩

فاعتبروا يا أولى الأبصار

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

لقد عاشت على وجه الأرض أمم شتى ردحا من الزمن ثم بادت واندثرت. وقامت بعدها أمم أخرى ثم انقضى أجلها وبادت هى الأخرى. ولم يبق من هؤلاء وأولئك سوى الآثار والذكرى.

وكل أمة من هذه الأمم أرسل الله إليها رسولا مصداقا لقوله - سبحانه -:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾(١).

وقد انقسم الناس فى التعامل مع رسلهم إلى فريقين : فريق المهتدين وفريق الضالين. ووقع صراع بين الفريقين انتهى بانتصار المهتدين بقيادة رسلهم على فريق الضالين الذين كذبوا الرسل وأعرضوا عن الله فأهلكهم الله. يقول الله - سبحانه وتعالى -:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٢).

وفى قوله:

﴿ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

توجيه إلى طريق من طرق الهداية وسبيل من سبل الرشاد، وهو النظر فى أخبار السابقين.

وقد تكرر هذا التوجيه فى القرآن الكريم بشكل يوحى بأهمية هذا الطريق كعلم من أعلام الهداية.

فمن ذلك قول الله - تعالى -:

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾(٣).

---

١ - فاطر - ٢٤.　　٢ - النحل : ٣٦.　　٣ - محمد : ١٠، ١١.

والمعنى : أقعدوا فلم يسيروا فى الأرض فينظروا نظر اعتبار بقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التى كذبت رسلها، مثل قوم عاد وثمود وأصحاب القرية وقوم لوط، فإن آثار ديارهم تنبىء عن أخبارهم، فقد دمرهم الله تماما، ولم يبق غير آثارهم تشهد عليهم، وللكافرين أمثال عقوبة هؤلاء، وذلك كائن بقدرة الله ناصر أوليائه المؤمنين، ولن يجد الكافرون من ينصرهم من الله.

ومن ذلك قول الله – تعالى –:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى ﴾(٤).

أى : إن الكون محكوم بسنن من صنع الله – تبارك وتعالى: وذلك يعنى أن ماوقع فى الماضى سيقع مثله بمشيئة الله فى الحاضر، فالحياة كتاب مفتوح تملاه الأبصار والبصائر، فسيروا فى الأرض لتعرفوا آثار هذه السنن وكيف كان عاقبة المكذبين.

وعليكم أن تدركوا أن ماجرى للمكذبين بالأمس سيجرى مثله للمكذبين اليوم وغداً، وذلك من شأنه أن يطمئن قلوب المؤمنين، وفيما جرى عبرة وبيان للناس كافة، وفيه هدى وموعظة للمتقين خاصة.

ومايرح القرآن الكريم يذكر بأخبار السابقين سواء أكانوا من الأخيار أم من الأشرار، لأن فى أخبار هؤلاء وأولئك دروساً وعبراً لطالبى الهداية والساعين إليها، وتهديداً وإنذاراً للضالين المكذبين لعلهم يثوبون إلى رشدهم ويرجعون عن غيهم، وتثبيتا للمجاهدين الصابرين، وتجديداً لآمالهم فى نصر الله وتأييده لهم.

فبعد ماعرض القرآن الكريم نماذج من قصص الأنبياء وجه الخطاب إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – فى قول الله – تعالى –:

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٥)

ولما تألم رسول الله بسبب تكذيب أهل مكة له ورفضهم لدعوته، وملاحقته بالأذى هو وأصحابه نزلت آيات الله فيها تسلية له وأمر بالتزام الصبر حتى يأتى نصر الله، وتبين أن هذا هو ماجرى للأنبياء من قبله، وأن مايجرى إنما يتم وفق سنة من سنن الله التى لاتتخلف ولاتتبدل.

يقول الله – تعالى –:

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾(٦)

يقول الإمام ابن كثير: «يخبر الله – تعالى – نبيه مسليا له فى تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه. قد أحطنا علما بتكذيبهم لك وحزنك وتأسفك عليهم

---

٤ – آل عمران: ١٣٧، ١٣٨.

٥ – هود: ١٢٠.

٦ – الأنعام: ٣٣، ٣٤.

﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ﴾(٧).

فإنهم لايتهمونك بالكذب في نفس الامر ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدورهم، فقد قال ابوجهل للنبي – صلى الله عليه وسلم–: إنا لانكذبك ولكن نكذب ماجئت به . فانزل الله

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(٨).

وعن أبي يزيد المدني أن النبي – ﷺ – لقى ابا جهل فصافحه، فقال له رجل: لاأراك تصافح هذا الصابيء؟ فقال: والله إني لاعلم أنه نبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟. وتلا ابويزيد هذه الآية(٩) ثم ذكر الله لرسوله أن مثل هذا جرى مع الأنبياء الذين سبقوه، وأنهم صبروا على أذى قومهم وتكذيبهم لهم حتى أتاهم نصر الله، وأن عليه أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وعليه أن يقتدى بهم، فله فيهم أسوة حسنة(١٠).

وقد حدث مثل هذا مع موسى – عليه السلام – فقد بعثه الله إلى فرعون وملئه وايده بالمعجزات الباهرات وامده بالآيات البينات، ولكن فرعون وملاه كذبوا بالآيات كلها فاخذهم الله اخذ عزيز مقتدر. يقول الله –تعالى–:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾(١١)

فهذه الآيات إخبار من الله – تعالى– أنه– سبحانه– بعث موسى وأخاه هارون إلى فرعون وقومه يحملان البشرى لمن آمن وينذران من كفر، وايدهما الله بالمعجزات العظيمة والآيات المتعددة فكذبوا بها كلها فاباده‍م الله ولم يبق منهم احداً، فهل كفار مكة خير من اولئك الذين اهلكهم الله بسبب تكذيبهم لرسلهم،أم أن معهم براءة من الله انه لن يعذبهم ولن ينكل، بهم أم يعتقدون أنهم بتجمعهم ومناصرة بعضهم لبعض يهربون من عذاب الله؟ إن شملهم سيتفرق وستنزل بهم الهزيمة في الدنيا، ومايتنظرهم في الآخرة من عذاب الله اشد واقسى.

ولقد كان الكبر والعناد والجحود هو السبب الذي جعل هولاء يكذبون موسى وهارون– عليهما السلام–: وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾(١٢)

---

٧ – فاطر : ٨
٨ – رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين
٩ – رواه ابن أبي حاتم
١٠ – من تفسير ابن كثير بتصرف.
١١ – القمر : ٤١
١٢ – النمل : ١٣ – ١٤

وجدير بالعقلاء من الناس أن يتعظوا بما جرى لغيرهم وأن يعتبروا بما أصاب من سبقوهم فيهتدوا إلى طريق الخير والفلاح، ولا يقعوا فيما وقع فيه من ضلوا الطريق فعاقبهم الله.

ولكن الظلمة والجبابرة والطغاة لا يتعظون ولا يعتبرون، حتى إن بعضهم يخلف بعضاً من سبقوهم ويسكنون قصورهم ويعرفون جيداً ما جرى لمن قبلهم، ولكنهم يتبعون نهجهم ويفعلون فعلهم ويسلكون مسالكهم، ويتكرر المشهد مرة أخرى، مع أنه كان الأولى باللاحقين أن يحذروا الوقوع فيما وقع فيه السابقون لعلمهم بما أصابهم.

وفي هذا يقول الله - عزوجل -:

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾(١٣)

فهؤلاء سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله، وقد عرفوا كيف عاقبهم الله وأنزل بهم نقمته، وقد ضرب الله لهم المثل بهؤلاء وأمثالهم فلم يتعظوا ولم يعتبروا وساروا على نفس الدرب.

ويقول الله - تعالى -:

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾(١٤)

يعني: أولم يتبين للذين يستخلفون في الأرض من بعد إهلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها، فساروا بسيرتهم، وعملوا أعمالهم وعتوا عن أمر ربهم، ولم يعتبروا بما جرى للسابقين. ألا يعلمون أن الله لو شاء لانتقم منهم بسبب ذنوبهم وفعل بهم كما فعل بمن قبلهم من النكال والعذاب، وأن يختم على قلوبهم فلا يسمعون موعظة ولا تذكيراً.

وهذا نظير قول الله - تعالى -:

﴿ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾(١٥)

أي أن ما جرى من إهلاك الله للأمم السابقة فيه آيات بينات وعبر وعظات ينتفع بها أصحاب العقول الصحيحة، ويغفل عنها ولا يعقلها من عميت بصائرهم فهم لا يهتدون ونظيره أيضا قول الله - تعالى -:

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴾(١٦)

---

١٣ - إبراهيم: ٤٤ - ٤٧.

١٤ - الأعراف: ١٠٠.

١٥ - طه: ١٢٨.

١٦ - السجدة: ٢٦.

وقد وضع الله تبارك وتعالى بين يدى أهل مكة كثيرا من الأمثلة من قصص الأولين محذرا لهم من الإصرار على كفرهم وعنادهم، وفي هذه الأمثلة هداية - بتوفيق الله - لمن أراد، يقول الله- تعالى-:

﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾(١٧)

وبعد ماذكر الله أخبار عاد وأنهم كذبوا رسولهم، وبين كيف عاقبهم كما جاء في قوله- سبحانه-:

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾(١٨)

بعد مابين الله ذلك لفت انظار أهل مكة إلى موطن العبرة فيما جرى فقال- سبحانه-:

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(١٩)

أى ولقد مكنا الأمم السابقة تمكينا كبيرا في الدنيا بما أعطيناهم من مال وولد أكثر مما عندكم، وقد أعطيناهم سمعا وأبصارا وأفئدة كي ينتفعوا بها في الوصول إلى الهداية، ولكنهم لم ينتفعوا بها ولم يهتدوا فأحاط بهم العذاب والنكال الذى كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه، فاحذروا أن تكونوا مثلهم فيصيبكم مثل ماأصابهم من العذاب. وها هى الأمم من حولكم قد أهلكناها فهذه عاد بالأحقاف من حضرموت، وهذه ثمود في طريقكم إلى الشام، وهذه سبأ باليمن، وهذه مدين في طريقكم إلى غزة، وهذه بحيرة قوم لوط تمرون عليها مصبحين وبالليل، وقد وضحنا لهم الآيات لعلهم يرجعون عن غيهم وعنادهم فلم يفعلوا. فهل نصرهم آلهتهم التى عبدوها من دون الله حين انتقم الله منهم؟ إنهم ضلوا عنهم وخذلوهم حيث كانوا محتاجين إلى النصير، وتلك نتيجة تكذيبهم وافترائهم على الله وإعراضهم عن هديه.

وآيات القرآن الكريم حول هذا المعنى كثيرة تشير كلها إلى ماأنعم الله به على أوليائه

---

١٧ - الأنعام: ٦.

١٨ - الأحقاف: ٢٤ - ٢٥.

١٩ - الأحقاف: ٢٦ - ٢٨.

ومـا أنزله من نقـمـة على أعدائه وكـيف جـرى ذلك فـيمـا مضى . لكي يكون ذلك من أعلام الهـداية لمن طلبـهـا وسـعى في تحـصيلهـا ممن يخشون الله ويطلبون رضـاه، لكن الأشـقيـاء الذين أعرضوا عن الله ورفضوا مـاجـاءهم من الهدى لن ينتفعوا بذلك. فهذا موسى - عليه السـلام - يتوجه - بأمر الله - إلى فرعون يدعوه إلى الله برفق ولين، ويحـاول الأخـذ بيده إلى طريق الهـداية، فـيـعـانـد ويكابر ويصـر على الضلالة ، فكانت عـاقـبتـه الخسـران والنكال جزاء وفاقا، وأصبح ماجرى عليه وعلى قومه الذين اتـبـعوه في الضلال عـبرة لأهل العظة والاعتبار، يقول الله - تعالى -:

﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾(٢٠)

وكما أن مـا جـرى للسـابقين ومـا قص الله من أخبـارهم يجرى مجرى السنن، فإن العقـلاء يتخذون من هذه الأخبار أعلام هداية ينتفعون بهـا ويحـصلون على الخـير، وغـير العـقـلاء يعرضون عنها ولايعتبرون بها فيصيبهم مثل ماأصاب السـابقين من العذاب والهلاك جزاء بغيهم وظلمهم .

وفي هذا يقول الله - تبارك وتعالى -:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾(٢١)

فلن يفلت أحد أعدائه من غضبه وانتقامه، فليطمئن إلى ذلك أولياء الله في كل زمان.

وبعد ماقص الله صور العقوبات التي أنزلها ببعض المكذبين من الأمم السابقة قال - سبحانه -:

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(٢٢)

وهذا من عدل الله - سبحانه - فقد فعل بهم مايستحقون جزاء وفاقا، ولايظلم ربك أحداً.

نسأل الله العفو والعافية والفوز بالجنة والنجاة من النار بفضله وكرمه.

---

٢٠ - النازعات : ١٥ - ٢٦.

٢١ - الفجر : ٦ - ١٤.

٢٢ - العنكبوت : ٤٠.

الصبر الجميل

سبيل الفوز والنجاح وطريق المجد والفلاح

لفضيلة الشيخ / عبد المنصف محمود عبد الفتاح*

قال الله -تعالى-:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(1).

وعن أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال من يتصبّر يصبّرْه الله، وما أعطى أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر(2).

الصبر: فضيلة من أجل الفضائل التى تربى فى النفس: ملكات الخير، فلا يكون الإنسان راضيا ولا قانعاً ولا شجاعا، ولا وفيا ولا أمينا، ولا عفيفا ولا حليما، ولا تقيا ولا كريما، إلا إذا كانت عنده ملكة الصبر.

فهو خلق فاضل يمتنع به الإنسان عن فعل ما لا يَحْسُن ولا يَجْمُل.. وهو قوة من قوى النفس التى يراد بها قوام أمرها، وصلاح شأنها.. كيف لا والصبر هو قهر النفس على احتمال المكاره فى ذات الله وتوطينها على تَحَمُّل المشاق وتَجَنُّب الجزع، وترويضها على الإتيان بما يقتضيه الشرع والعقل، وحملها على الابتعاد عما يُنفِّرُ منه الشرع والعقل.. فهو باعث العقل والدين فى مقابلة باعث الهوى والشهوة، وهو بذلك قوة إيجابية تدفع النفس إلى فعل الخير وقوة سلبية تحول بين المرء وعمل الشر.. فالنفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام.. فحقيقة الصبر أن يجعل الإنسان قوة الإقدام مصروفة إلى كل ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكا عن كل ما يضره.. وقد علق الله -تبارك وتعالى- الفلاح بالصبر والتقوى فقال -جل شأنه-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(3)

---

(1) الزمر: 10. (2) رواه البخارى. (3) آل عمران: 200.

وأخبر- سبحانه وتعالى- عن محبته للصابرين، فقال:

﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٤).

وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار، لا يحظى به إلا الصابرون، قال الله- تعالى-:

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٥)

وجعل الإمامة في الدين منوطة بالصبر واليقين فقال- تعالى-:

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٦)

وأخبر عن نبيه يوسف- عليه السلام- أن صبره وتقواه أحلاه وأنزلاه محل العز والتمكين فقال:

﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(٧).

وأثنى على نبيه أيوب- عليه السلام-: بأحسن وأجمل الثناء على صبره، فقال:

﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(٨).

وأمر نبيه المصطفى وحبيبه المجتبى: محمدا- ﷺ- بالصبر لحكمه فقال:

﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(٩).

وقال:

﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾(١٠)

وأمر عباده المؤمنين: بالاستعانة بالصبر والصلاة على شدائد الدنيا والدين، فقال- تعالى-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(١١)

وبين أن الصبر خير لأهله فقال:

﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾(١٢).

وجعل الصبر على الشدائد والمحن: من عزائم الأمور فقال:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(١٣)

وقال:

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(١٤)

وقال حكاية عن لقمان ينصح ابنه:

---

(٤) آل عمران: ١٤٦. (٥) المؤمنون: ١١١. (٦) السجدة: ٢٤.
(٧) يوسف: ٩٠. (٨) ص: ٤٤. (٩) الطور: ٤٨.
(١٠) النحل: ١٢٧. (١١) البقرة: ١٥٣. (١٢) النحل: ١٢٦.
(١٣) آل عمران: ١٨٦. (١٤) آل عمران: ١٨٦.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾(١٥)

وقرن الصبر بالعمل، فقال

﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٦)

وقال:

﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾(١٧)

وأخبر أن الملائكة تسلم عليهم في الجنة بصبرهم، فقال:

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾(١٨)

والصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام:

(١) صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها المرء على خير الوجوه وأحسنها..

(٢) وصبر عن المناهي والمحرمات حتى لا يقع فيها..

(٣) وصبر على الأقضية والأقدار حتى لا يتبرم بها..

فلابد للعبد من أمر يفعله، ونهي يجتنبه، وقدر يصبر عليه.. والصبر وسيلة وغاية

أما كونه وسيلة فلأنه قوة معنوية بها يكافح المؤمن عوامل الضعف والجبن والهلع وبها يثابر في ميادين العمل فيزيد إنتاجه ويعم الرخاء.. وبها يواصل البر بخطوات واسعة في إزالة ما يعترضه من عقبات وعراقيل.. وبهذه القوة: يعد المجاهدون أنفسهم للحصول على أقصى درجات الخير والفلاح قال الله- تعالى-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١٩)

أثر عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه قال لأشياخ بني عبس: «بم قاتلتم الناس؟ قالوا: بالصبر. لم نلق قوما إلا صبرنا لهم كما صبروا لنا» وقال بعض السلف: «كلنا يكره الموت وألم الجراح، ولكن نتفاضل بالصبر»..

وأثر عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: «لقد هممت أن أفر يوم صفين، لولا أني تذكرت قول القائل:

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي

فإنك إن سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاع

فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاع

---

(١٥) لقمان: ١٧.

(١٦) النحل: ٩٦.

(١٧) العنكبوت: ٥٨، ٥٩.

(١٨) الرعد: ٢٣، ٢٤.

(١٩) آل عمران: ٢٠٠.

فلزمت مكاني وثبت فدفع الله عني عار الهزيمة وخزيها.. فليس الصبر: هو الاستسلام والخنوع والتخاذل والاستكانة فإن ذلك عجز وصغار وذلة ومهانة لا يرضاها الله لعباده المؤمنين وإنما الصبر: أن يحسن الإنسان عمله الزارع في حقله والتاجر في متجره والصانع في مصنعه والطبيب في مصحته والعالم في معهده والطالب في مدرسته والجندي في جيشه وأن يحسن استقبال البلاء أو الشدائد أو المشاكل وأن يحسن معالجتها والتصرف فيها وأن يحسن التغلب عليها والتخلص منها ما استطاع إلى ذلك سبيلا قال -الله تعالى-:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾(٢٠)

فبالصبر: نستطيع أن نتغلب على الصعاب والآلام ونحقق الأهداف والآمال..

قال الشاعر:

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال آخر:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

وأما كونه غاية:

فلأنه: يكسب صاحبه هدوء النفس وراحة البال واطمئنان القلب وما ذاك إلا لاعتقاده بأن الله -تبارك وتعالى-: حكم عدل رءوف رحيم قال -تعالى-:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾(٢١)

وقال جل شأنه:

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾(٢٢)

وقد أمر الله- عز وجل - نبيه وحبيبه محمدا- ﷺ -: أن يبشرا الصابرين على احتمال المكاره والاطمئنان على قضاء الله فيها بقوله:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾(٢٣)

وقد أطلق- سبحانه وتعالى- البشرى دون

---

(٢٠) محمد: ٣١.
(٢١) التغابن: ١١.
(٢٢) الحديد: ٢٢.
(٢٣) البقرة: ١٥٥، ١٥٧.

أن يذكر نوعها إعلانا بعظمتها وعمومها لكل ما يسعد الإنسان في دنياه وأخراه، والآية الكريمة تشير إلى فوز الصابرين: بثلاث خصال لم يجمعها الله لغيرهم من المؤمنين كل خصلة منها خير مما طلعت عليه الشمس.. فصلوات الله- تعالى- عليهم أن يثني عليهم في الملأ الأعلى، ويزيدهم تشريفا وتكريما وتعظيما.. ورحمته عليهم هي ما يكون في نفس المصيبة: من لطف الله- تعالى- وإحسانه فيكون لهم من حسن العزاء مما يحملهم على الرضا والتسليم لقضائه.. وهم المهتدون إلى الحق والصواب، فيما ينبغي عمله في أوقات المصائب والمحن، فلا يسمحون للجزع أن يستحوذ عليهم أو يتسرب إلى نفوسهم ولا يذهب البلاء بالأمل.. من قلوبهم.

ولا شك أن الحوادث التي تهز المجتمع هزا عنيفا تمحص الإيمان الخالص من الإيمان المشوب بالضعف والاستكانة حتى تصفوا النفوس فلا يبقى فيها درن قال الله- تعالى- :

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾(٢٤)

وقال - جل شأنه - :

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾(٢٥)

فكل أمة تريد أن تشق طريقها إلى المجد والسيادة وتسلك سبيل العزة والكرامة لابد أن تتدرع بالإيمان بالله والثقة بالنفس وإعداد العدة والصبر أمام الملمّات والتضحية بالنفس والنفيس في سبيل نصرة الحق والله ولي الصابرين وهو نعم المولى ونعم النصير.

***

(٢٤) آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠.

(٢٥) آل عمران: ١٤٦.

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من وصايا سيدنا عمر - رضى الله عنه -

- قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: «دخلت علىّ عمر - رضى الله عنه - فى أيام طعنته، وهو مضطجع على وسادة من أدم، وعنده جماعة من الصحابة - رضوان الله عليهم - فقال له رجل: ليس عليك بأس. قال: لئن لم يكن على اليوم ليكونن بعد اليوم، وإن للحياة لنصيبا من القلب، وإن للموت لكربة وقد كنت أحب أن أنجى نفسى وأنجو منكم، وما كنت من أمركم إلا كالغريق، يرى الحياة يرجوها، ويخشى أن يموت دونها، فهو يركض بيديه ورجليه، وأشد من الغريق الذى يرى الجنة والنار وهو مشغول، ولقد تركت زهرتكم كما هى، ما لبستها فأخلقتها، وثمرتكم يانعة فى أكمامها وما أكلتها، وما جنيت، ما جنيت إلا لكم وما تركت ورائى درهما ما عدا ثلاثين أو أربعين درهما. ثم بكى، وبكى الناس معه، فقلت: يا أمير المؤمنين: أبشر، فوالله لقد مات رسول الله وهو عنك راض، ومات أبوبكر وهو عنك راض، وأن المسلمين راضون عنك قال: المغرور والله من غررتموه، أما والله لو أن لى ما بين المشرق والمغرب لافتديت به من هول المطلع.

حقا

قال ابن الحجاج البكرى:

يا غاديا فى غفلة ورائحا
إلى متى تستحسن القبائحا
وكم إلى كم لا تخاف موقفا
يستنطق الله به الجوارحا

ميادين الاختبار

فى المآزق يتكشف لؤم الطباع، وفى الفتن تتكشف أصالة الرأى، وفى الحكم يتكشف زيف الأخلاق،

وفي المال تنكشف دعوى الورع، وفي الجاه ينكشف كرم الأصل، وفي الشدة ينكشف صدق الأخوة.

شكاية صريحة

قدم أمير المؤمنين ـ المنصور ـ حاجا فكان يخرج للطواف ليلا، وبينما هو يطوف إذ برجل يقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع فاستدعاه المنصور وسأله، ما هذا الذي تقول؟ لقد حشوت مسامعي بما أمرضني وأقلقني.

فأجابه الرجل: إنما عنيتك بقولي وقصدتك لا سواك.

رأس المال

سرق رجل جملا، وذهب ليبيعه في السوق فسرق منه، فلما عاد قيل له بكم بعت جملك؟ قال: برأس المال.

أتدرون ما الداء؟

قال الربيع بن الخيثم لأصحابه: أتدرون ما الداء والدواء والشفاء؟.

قالوا: لا، قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب ثم لا تعود.

نصيحة

علّم علمك من يجهل، وتعلّم ممن يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت.

حرمت من قيام الليل

قال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلا يبكي، فقلت في نفسي: هذا مراء.

دعاء

اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني، واستعملني به صالحا تقبله مني.

خميلة الشعر

للأستاذ / محمد عبد الوهاب

(عيد.. بأية حال عدت يا عيدى) هل بالرزية.. أم برصاص عربيد؟!

قد مكن (الغرب) - فى أرض لنا - فئةً من الشرذام.. فى بغيٍ، وتهديد

صار الدخيل أصيلاً.. فى مواطننا! بعد اغتصاب.. وتنكيل وتشريد

واليوم فى المسجد الأقصى برابرةٌ (شارون) قد ساقهم من أجل تهويد

صارت مدافعهم للعُزْل مجزرة بعد انتفاضة أبطال أماجيد

***

أين الحماةُ؟ وأين البأس يردعهم سناً بسن، وتهديدا بتهديد

شريعة الله فى الأديان أنزلها وفى القصاص حياةٌ.. دون تفنيد

(فى القدس) ثورة تحرير ركائزها قذف الحجارة فى أوداج رعديد

مثل الأبابيل ترميهم كعاصفة هبت لتطردهم، من معقل الصِّيد

صارت ثعالبهم ناراً بأسلحة قد سددوها لعُزْلٍ.. أى تسديد

شنوا على (درة) الأطفال نزوتهم شأن الوحوش.. بمولود كأملود

***

إيه (أبا الطيب) المعدود واحدنا فى الشعر قاطبة، تحظى بتخليد

في بيتك الرائع اتحدت مشاعرنا ... في نفثة كاللظى.. من بعد تصعيد
يا رب هيىء لنا من أمرنا رشداً ... وانعم بنصر يرد الفرح للعيد
وعندها سيكون (العيد) بهجتنا ... حقا.. ويزهو بها شعري وتنهيدي
و(القدس) يرفل في التحرير مسجدها ... والطير في أرضها يشدو بتغريد

***

ها قد ودعنا مسرعاً شهر رمضان المعظم، بعد أن عمرت أيامه بالصيام ولياليه بالقيام، ليهل علينا هلال شهر شوال وعيد الفطر المبارك في مقدمته، ليحمل إلينا أجمل الأمنيات بالخير والبركة، وأعظم الآمال بتحرير القدس العربية المسلمة، أعاده الله علينا وعلى كل الدنيا بكل الخير والسلام، وأن تظلل عالمنا ظلال العدالة والحرية.

هذا، ولا زالت الخميلة تتلقى قصائد الشعراء عن القدس الغالية، ونبدأ في جولتنا في هذا العدد الوضيء بقصيدة (يا جبال القدس) لشاعر دمياط فضيلة الشيخ السيد الصديق حافظ، بعدها نقدم قصيدة (انتصار الحق) لشاعر الأسكندرية الأستاذ محمود الطاهر الصافي ثم نختتم جولتنا بقصيدة (خواطر ساهر) شعر فضيلة الشيخ محمد عبدالرحمن صان الدين.

استدراك

وقع خطأ في البيت التاسع من مقدمة الخميلة في العدد السابق وصحته كما يلي:

غضبة العرب.. أين أخفت لظاها؟... كيف نرضى الخنا وخفض الجناح؟

اللهم هيئ لنا الخير وألف بين قلوبنا واهدنا سبل الرشاد،

يا جبال القدس!

شعر / السيد الصديق حافظ

لا تراعى! أمة القرآن صبراً! لا تراعى! [1]

إن نصر الله منك اليوم أدنى من ذراع!

أنت شمس الله يحيى نورها كل البقاع!

إن نور الله لا يخبو ولن ينعاك ناعى!

***

اسمعى التهليل والتكبير للأمر المطاع!

واشهدى فوق الثرى القدسى بدرى الصراع!

تخطب الأحجار فى القدس، فهل فى القوم واع؟!

يصرخ الأقصى عباد الله هبوا للدفاع!

***

يا جبال القدس لا يعلوك أولاد الأفاعى!

لعنة الدنيا نفايات المنافى والضياع!

إنهم رجس فلا يقربك منهم «قينقاعى»! [2]

---

(١) لا تراعى = لا تفزعى ولا تخافى «من الروع».

(٢) قينقاعى - نضيرى - وقريظى منسوب إلى إحدى هذه القبائل اليهودية ذات العداء القديم

أو «نضيري» خبيث النفس وحشي الطباع!

أو «قريظي» لئيم الكيد محقور المساعي!

كيف دنستم رحاب القدس يا أهل الخداع؟!

واقترفتم كل إثمٍ بادي القبح مذاع!

* * *

يا «صلاح الدين» إن «القدس» نهبى للضباع (٣)

هم عدو الله! كلٌ أهل الأذى صاعاً بصاع!

يأذن الله لنار الحرب يوماً باندلاع!

كي يميز الفارس الندب من النذل اليراع! (٤)

ليس للمولى ولياً من غدا عبد المتاع

كلما هبت رياح الهبت شوق الشراع!

من تخلوا عن جهادٍ واستماتوا في نزاع

لم يؤلفهم نظام في انفرادٍ واجتماع!

* * *

ليس يخشى الموت في الله أخو قلبٍ شجاع!

يشترى الله نفوساً... يا لبيع وابتياع!

نحن بالله رضينا... عن يقينٍ واقتناع!

أيها المبعوث فينا... جئت بالأمر المطاع!

---

(٣) صلاح الدين = هو كل صلاح الدين قادم في رحم الغيب!

(٤) الفارس الندب = الشهم الشجاع - اليراع = الجبان.

انتصار الحق

للأستاذ / محمود الطاهرى الصافى

تعاليت يا من تجعل الحق يغلب ... ويهزم شراً قد تمادى يخرب

فأنت الذى يعطى الحقوق لأهلها ... فنصرك أقوى ما يكون وأقرب

فحلمك يرخى للطغاة حبالهم ... وعدلك يطوى كبرهم حين يضرب

فأرسلت فيهم مرسلاً إثر مرسلٍ ... ولكنهم لجوا وضلوا فعذبوا

وإن جميع الناس نوعان عاقل ... حكيم ونوع للشرور تحزبوا

ويحسب أن الظلم صفقة رابحٍ ... فيهلكه بالظلم سعى ومركب

وفى قوم نوح عبرة أى عبرة ... وقوم ثمودٍ والذين تنكبوا

وفى قوم (صهيون) مواعظ جمة ... فإنهم شيطان شر وأشعب

فهم آفة الأقطار سم شعوبها ... فما لهم مأوى ولا متقلب

إذا أكرمتهم أمة ساء فعلهم ... وكل لئيم وده لا يقرب

لقد كرهوا الله العظيم ووحيه ... فردعهم خير لهم ومؤدب

وقتلهم للأنبياء مكررٌ ... وبغضهم للحق طبع ومأرب

شياطين فى شكل الأناسى صورت ... فمن أحرق الشيطان فهو المهذب

وإن كيان الأرض منهم مهدد ... فهم أخطبوط صدعه اليوم أوجب

فيا أمة الإسلام والعرب وحدوا ... جهادكم حتى يذلوا وينكبوا

ولا تعبأوا بالتابعين لمكرهم ... فلله مكر بطشه متغلب

***

خواطر ساهر

لفضيلة الشيخ / محمد عبدالرحمن صان الدين

خاطرى فى كل فج ** بات طول الليل يسبح
بحديث ذى شجون ** كيله فى الصمت يطفح
فحياة المرء برد ** أو سموم القيظ تلفح
وسهام العيش تصمى ** مهجة الحر وتجرح
كل إنسان رشيد ** تحت نير سار يرزح (١)
لا يغرنك ابتسام ** من غرير الفكر يمرح
قلْ ما فى هذه الدنيا ** بهيج العيش يسنح
لكن الساعى بجد ** فوق ظهر الأرض يربح
والذى نالت يداه ** من عطاء الله يفرح
وشعاب الأرض فيها ** مرتع خصب ومسرح
وجناب الله للمغمور ** فى النعماء أروح
إن بعض الناس أعشى ** فى صفاء الحق يقدح (٢)
للمتاع الغث يقنى ** للثمين الحر يطرح
أى هذين استوى فى ** كفة الميزان يرجح
ان وجه الحق حتى ** للكفيف الغر يلمح
فجناب الله نور ** من ضياء الشمس أوضح
من مضى بالقول يهذى ** غير من صلى وسبح
فاطرق الأبواب بأمن ** أنت فى الفردوس تطمح
لارب إلا الله يرعى ** كل مخلوق ويمنح

---

(١) نير بكسر النون = ثقل.

(٢) اعشى = لا يرى بوضوح.

تراثنا

حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة

للأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم

تناول الأستاذ / محمد أبو الفضل إبراهيم المحقق الكبير عدداً من كتب التراث العربي . قدم لها وترجم لمؤلفيها وعرف بهما بعنوان « تراثنا » .

ورأت المجلة أن تقدمها حتى يستفيد جمهور القراء والباحثين من هذا الجهد المحمود .

يعتبر دخول العرب مصر سنة ٢٠ من الهجرة على يد الصحابي الجليل عمرو بن العاص مولد تاريخ جديد لهذه البلاد ذات الماضي البعيد ، فلم يكد يتم الفتح ، وتستقر الأحوال بها بعد الوقائع الحربية المعروفة ، حتى أخذ سكانها يدخلون في دين الله أفواجا ، وتنشرح صدورهم للقرآن الكريم ، وتصطنع ألسنتهم اللسان العربي المبين ، وتصبح اللغة العربية لغة الدواوين . ثم يرحل إليها أعيان الصحابة وجلة التابعين ، ويهوى نحوها الفقهاء والقراء وحفاظ الحديث ورواة اللغة والأدب والشعر ، وتبنى فيها المساجد ، لإقامة شعائر العبادات ، ودراسة علوم الدين ، وللفصل في ساحتها بين الناس ، كما أنشئت فيها المدارس لتلقي العلوم والمعارف ، ألحقت بها خزائن الكتب ، لجذب العلماء من شتى الجهات ، مما ارتفع به شأن العلم ، وازدهرت الفنون والآداب .

وتولى مقاليد الحكم فيها على مر العصور من الولاة والخلفاء والملوك والسلاطين ، من فتحوا أبوابهم للعافين والوافدين ، واستمعوا إلى الشعراء والمادحين ، وأجازوا على التأليف والتصنيف ، وقاموا في بناء الحضارة الإسلامية بأوفى نصيب .

على إن مصر كانت - وما زالت - حامية الملة والدين، وراعية الإسلام والمسلمين، وقاهرة الغزاة والمعتدين، مما جعلها أعز مكان في الوطن العربي الكبير.

فكان من حق هذا الإقليم أن يشغل مكانه في التاريخ، وأن يخص بعناية العلماء والمؤرخين، وأن تفرد لوصف ملامحه المؤلفات. وأن يتدارس تاريخه في كل مكان وزمان... وكذلك الأمر والحمد لله كان، فقد نبغ من العلماء القدامى والمحدثين من وضعوا في تاريخ مصر المصنفات تختلف طولا وقصرا وتتباين طريقة ومنهاجا، منهم: ابن عبد الحكم وأبو عمر الكندي، وابن ميسر، والمسبحي، والقضاعي، وابن دقماق، وابن زولاق، والإدفوي، والعماد الأصبهاني، وابن حجر، والمقريزي، والسيوطي، والجبرتي، وأبو السرور البكري، وابن تغري بردي، وابن إياس.

وكتاب «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، الذي صنفه الجلال السيوطي من أنفس الكتب التي صدرت عن هؤلاء الاعلام، وأعذبها موردا، وأصفاها منهلا، وأسدها منهجا، وأوضحها فصولا وأبوابا، وأوفاها استيعابا وشمولا، سلك فيه طريقا قصدا، ليس بالطويل المستطرد المشوش، ولا بالمقتضب الخالي من النفع والجدوى، بدأه بذكر ما ورد في شأن مصر من الآثار في القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم ثناه بذكر تاريخ مصر في عهدها القديم، عهد الفراعنة وبناة الأهرام، على حسب ما وقع لديه من المعارف، وعلى حسب ما كان شائعا في عصره، ثم وصف الفتح الإسلامي وما صاحبه من وقائع وأحداث، وما تم من امتزاج المصريين بالعرب تحت راية الإسلام، ثم ذكر الوافدين على مصر ومن نبغ فيها من أصحاب المذاهب، ومن عاش بها من الحفاظ والمؤرخين والقراء والقصاص والشعراء والمتطببين وغيرهم، مع ذكر نبذ من حياتهم وتاريخ مولدهم ووفياتهم. ولم يخل كتابه من تاريخ الولاة الذين تعاقبوا عليها، والقضاة الذين حكموا فيها، والحكومات التي قامت بها، وما بني فيها من المساجد والمدارس والخانقاهات.

ومن أمتع ما ورد فيه تلك الفصول التي عقدها في ذكر عادات المصريين ومواسمهم وأعيادهم والأسباب الدائرة بينهم، وما كان فيها من أندية الأدب ومجالس الشعر والسمر، على منهج طريف أخاذ.

وكان سبيله في كل ما أورده من هذا الكتاب النقل عن الكتب المتخصصة في هذا الشأن، مضافا إليها ما وقع له من المشاهدة، أو ما نقله سماعا من علماء عصره، من الشيوخ والأقران والتلاميذ.

وللسيوطي منهج معروف يذكره في مقدمات بعض كتبه - خاصة المطولة منها - أن يورد مصادره من الكتب التي اعتمد

عليها وأسماء مؤلفيها ، فعل ذلك في كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، وكتاب الاتقان في علوم القرآن ، وفعل ذلك أيضا في هذا الكتاب ، قال : «لقد طالعت على هذا الكتاب كتبا شتى ، منها فتوح مصر لابن الحكم ، وفضائل مصر لابي عمر الكندي ، وتاريخ مصر لابن زولاق ، والخطط للقضاعي ، وتاريخ مصر لابن ميسر ، وإيقاظ المتغفل ، وإيعاظ المتأمل لتاج الدين محمد ابن عبد الوهاب بن المتوج الزبيري ، والخطط للمقريزي ، والمسالك لابن فضل الله ، ومختصرة للشيخ تقي الدين الكرماني ، ومباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبدالله الأنصاري ، وعنوان السير لمحمد بن عبدالله الهمذاني ، وتاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزي ، والتجريد في الصحابة للذهبي ، والإصابة في معرفة الصحابة لابن حجر ، ورجال الكتب العشرة للحسيني ، وطبقات الحفاظ للذهبي ، وطبقات القراء له ، وطبقات الشافعية للسبكي و وللإسنوي ، وطبقات المالكية لابن فرحون ، وطبقات الحنفية لابن دقماق ، ومرآة الزمن لسبط بن الجوزي وتاريخ الإسلام للذهبي ، والعبر له ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر ، والطالع السعيد في أخبار الصعيد للإدفوي ، وسجع الهديل في أخبار النيل لأحمد بن يوسف التيفاشي ، والسكروان لابن أبي حجلة ، وثمار الأوراق لابن حجة» .

هذا غير ما ذكره في تضاعيف الكتاب من المراجع الأخرى . وأما جلال الدين السيوطي المؤلف ، فقد عقد لنفسه فصلا في هذا الكتاب تحدث فيه عن نسبه وأجداده ، وذكر أن مولده كان : «بعد المغرب مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة» ، كما ذكر الكتب التي درسها ، والشيوخ الذين تلقى عنهم ، والبلاد التي رحل إليها ، والعلوم التي حذقها ، والكتب التي ألفها ، مما يعد وثيقة تاريخية في حياة هذا العالم الجليل .

وقد ظل السيوطي طوال حياته مشغوفا بالدرس ومشتغلا بالعلم ، يتلقاه عن شيوخه أو يبذله لتلاميذه ، أو يذيعه فتيا ، أو يحرره في الكتب والأسفار ، وحينما تقدم به العمر ، وأحس من نفسه الضعف ، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس ، واعتزل الناس ، وتجرد للعبادة والتصنيف ، وألف كتابه : «التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس» .

وكان رحمه الله في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين ، عفيفا كريما ، غني النفس ، متباعدا عن ذوي الجاه والسلطان ، لا يقف بباب أمير أو وزير ، قانعا برزقه من خانقاه شيخو ، لا يطمع فيما سواه . وكان الأمراء والوزراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطيات فيردها . ويروى أن السلطان الغوري أرسل إليه مرة خصيا وألف دينار فرد الدنانير

، وأخذ الحصى ثم أعتقه ، وجعله حارسا في الحجرة النبوية ، وقال لرسول السلطان : لا تعد تأتينا قط بهدية ، فإن الله أغنانا عن ذلك.

وأما كتبه فقد أحصى السيوطي منها في كتابه ثلاثمائة ، في التفسير وتعلقاته والقراءات ، والحديث وتعلقاته والفقه وتعلقاته ، وفن العربية وتعلقاته ، وفن الأصول والبيان والتصوف ، وفن التاريخ والأدب والأجزاء المفردة ، ما بين كبير في مجلد أو مجلدات ، وصغير في كراريس أو أوراق. وذكر تلميذه الداودي المالكي أنها أنافت على خمسمائة مؤلف. وقال ابن إياس في تاريخه (حوادث ٩١١) : إنها بلغت ستمائة مؤلف.

وتقع هذه الكتب في مجلد أو مجلدات، كالمزهر والإتقان والأشباه والنظائر وبغية الوعاة والدر المنثور في التفسير بالمأثور والجامع الصغير والجامع الكبير وأمثالها ، أو في أوراق أو صفحات ، كهذه الرسائل التي طبعت باسم الحاوي في الفتاوى ، في مجلد يحوي ثمانية وسبعين كتابا في معظم الفنون. وقد تدارس العلماء هذه الكتب في كل مكان ، وانتشرت في حياة السيوطي وبعده ، وعمرت بها المدارس والمعاهد ودور الكتب ، وكاتبه المستفتون من شتى الجهات ، مما أثار عليه فريقا من أقرانه ومعاصريه من العلماء ، وتحاملوا عليه ، ورموه بما هو منه براء ، وكان من أشد الناس خصومة عليه ، وأكثرهم تجريحا وتشهيرا ، المؤرخ شمس الدين السخاوي ، صاحب كتاب الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، فقد ترجم له في هذا الكتاب ، ونال من علمه وخلقه ، مما يقع مثله بين النظراء والأنداد ، وانتصر السيوطي لنفسه في مقامة أسماها : الكاوي على تاريخ السخاوي ، كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممن جاء بعده ، منهم الشوكاني صاحب البدر الطالع ، قال في ترجمته للسيوطي بعد أن لخص مطاعن السخاوي فيه ، ورد هذه المطاعن عنه : «وعلى كل حال فهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل ، بعدم قبول قول الأقران بعضهم في بعض ، مع ظهور أدنى منافسة ، فكيف لمثل هذه المنافسة بين هذين الرجلين التي أفضت إلى تأليف بعضهم في بعض ! فإن أقل من هذا يوجب عدم القبول. والسخاوي ـ رحمه الله ـ وإن كان إماما غير مدفوع ، لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه».

وكانت وفاة السيوطي على ما ذكره ابن إياس في الخميس تاسع شهر جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ ، ودفن بجوار خانقاه قوصون خارج باب القرافة ، بعد أن ملأ الدنيا علما وشهرة وذكرا ، رحمة الله عليه.

الشعر الإسلامي

ديوان: حسان بن ثابت

للشاعر/ عبد العاطي موسى عبد العاطي

إذا كنا قد التقينا مع الإمام «الشافعي» - فى عدد سابق - شاعراً وفقيهاً، فإننا نلتقى الآن مع صحابى جليل، ذاق حلاوة الأنس بالقرب من رسول الله - ﷺ - لقب «بشاعر الرسول» يمدحه ويرد على من يهجوه من شعراء قريش، هو «حسان بن ثابت» من بنى النجار ثم من الخزرج، ينتهى نسبه إلى قحطان، فهو إذاً يمنى، أمه الفريعة بنت خالد بن قيس، من الخزرج، كذلك كان يكنى أبا الوليد، وأبا عبد الرحمن، وأبا الحسام.

ولد حسان - رضى الله عنه - فى يثرب - ولم يذكر أحد من رواة أخباره سنة مولده - ونشأ فيها، فهو إذاً من أهل المدر، أى سكان المدن والقرى، ومن هذه النشأة الحضرية وتأثره بالحياة البدوية، تأثر شعره وبخاصة ما قاله فى جاهليته.

ولما ظهر الإسلام وهاجر النبى - ﷺ - إلى يثرب اسلمت الأوس والخزرج، وأسلم حسان، فكان من الأنصار، شارك فى نصرة الدين الجديد بلسانه، شهر يراعه على أعداء النبى، وكان أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - يدله على معايب القوم ومثالبهم، وكان الرسول الكريم يقول له: «أهجهم وروح القدس معك»، والقارئ لشعر حسان بعد إسلامه، يلمس فيه الصدق وعدم المغالاة أو تجاوز الحقيقة، فهو فى نضاله عن النبى، يصور عصره أصدق تصوير، بما فيه من مناضلة بين الإسلام والشرك، ويعطينا صورة واضحة عن تهاجى الأنصار والقرشيين، حيث الشعر السياسى الصحيح المستند إلى عقيدة، فكأنه فى تحمسه للدين الجديد يمهد الطريق للشعر الدينى فى الإسلام.

قال أبوعبيدة: «فضل حسان على الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار فى الجاهلية، وشاعر النبى فى النبوة، وشاعر اليمن كلها فى الإسلام».

وقال الحطيئة: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم أشهر العرب حيث يقول:

ويخشون حتى ما تهر كلابهم
لا يسألون عن السواد المقبل

وشهد له النابغة لما سمعه في الجاهلية، فقال له: «إنك لشاعر». كان هذا وغيره من الأقوال فيه يدل على أنه كان شاعراً فحلاً، متصرفاً في فنون الشعر كلها، وقد عرفت ديباجته بنقاوتها وجزالتها وسهولة ألفاظها، وأجمع الرواة على أنه «أشهر وأشعر أهل المدر». كف بصره في آخر أيامه، ومات في المدينة في خلافة معاوية، وكان من المعمرين، قيل إنه عاش مائة وعشرين سنة، ستين سنة منها في الجاهلية وستين في الإسلام.

يقول حسان بأسلوب يفيض قوة ويسمو صورة في وصف الخيل والقتال من أجل كلمة التوحيد:

عدمنا خيلنا إن لم تروها
تثير النقع موعدها كداء(١)
يبارين الأعنة مصعدات
على أكتافها الأسل الظماء(٢)
تظل جيادنا متمطرات
تلطمهن بالخمر النساء(٣)
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا
وكان الفتح وانكشف الغطاء(٤)
وإلا فاصبروا لجلاد يوم
يعز الله فيه من يشاء
وجبريل أمين الله فينا
وروح القدس ليس له كفاء(٥)

ويقول مادحاً رسول الله – ﷺ – قبل فتح مكة ومدافعاً عنه:

وقال الله: قد أرسلت عبداً
يقول الحق إن نفع البلاء(٦)
شهدتُ به فقوموا صدقوه
فقلتم: لا نقوم ولا نشاء
وقال الله: قد يسرت جنداً
هم الأنصار عُرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معدّ
سباب أو قتالٌ أو هجاء
فنُحكِمُ بالقوافي من هجانا
ونضرب حين تختلط الدماء

ويزداد حبه لرسول الله، ذلك الحب الذي يهون من أجله كل غال ونفيس من أهل ومال وولد، فيرد على أبي سفيان قبل إسلامه قائلاً:

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولستَ له بكفء
فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركاً براً حنيفاً
أمين الله شيمته الوفاء(٧)
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء
فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

ويسمو أسلوبه عذوبة ورقة متمثلاً قوله – تعالى –: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٨)، فينشد قائلاً:

وأحسن منك لم ترقط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأً من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

ثم يذكر فضل الله على المؤمنين في غزوة

---

(١) كداء: الثنية العليا بمكة. (٢) يبارين: يجارين الأعنة في سرعة الانقياد. الأسل: الرماح.

(٣) متمطرات: مسرعات. الخمر، الواحد خمار: ما تغطي به المرأة رأسها. وتلطيم النساء الخيل لتردها عن غايتها.

(٤) اعتمرنا: أدينا العمرة وزيارة البيت الحرام. (٥) الكفاء: النظير.

(٦) البلاء: الامتحان. (٧) الحنيف: الذي يدين بالحق. (٨) سورة ن ٤.

« الخندق » وتأييده ونصرته لجنوده فيقول:

حـــتى إذا وردوا المدينة وارتجـــوا
قـــتْلَ النبي ومـــغنم الأســـلاب[8]

وغـــدوا علينـا قـــادرين بأيدهم
ردوا بغـــيظهم على الأعــقـــاب[9]

بهبوب معصفةٍ تفرق جمعهم
وجنود ربك ســـيد الأرباب[10]

وكـفى الإله المؤمنين قـتـالهم
وأثابهم في الأجـر خـيـر ثواب[11]

وللرثاء نصيب من شعر حسان كرثائه للفاروق وعثمان وغيرهما، فيقول في رثاء أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - بأسلوب يملؤه الحزن والأسى وتموج فيه المرارة مرددا بعض صفاته:

وفـــجّـــعَنا فـــيـــروزُ لا در دره
بأبيض يتلو المحكمـــات منيب[12]

رؤوف على الأدنى غليظ على العـدا
أخي ثقـة في النائبـات نجـيـب[13]

متى ما يقل لا يكذب القول فعله
سريع إلى الخيـرات غيـر قطوب[14]

وقال أيضا يذكر رسول الله - ﷺ - وأصحابه يوم بدر:

وقـد زعـمـتم بأن تحـمـوا ذماركم
ومـاء بدر زعـمتم غـيـر مورود[15]

وقـد وردنا ولم تـســمع لقـولكم
حتى شربنا رواءً غـيـر تصـريد[16]

مــسـتعـصمـين بحبل غيـر منجذم
مــسـتحكم من حبـال الله ممدود[17]

ثم يضيف قائلا:

فـينا الرسـول وفـينا الحق نتبعـه
حتى الممات ونصـر غيـر محدود

ماض على الهول ركـاب لما قطعـوا
إذا الكمـاة تحـامـوا في الصناديد[18]

وافٍ وماض شـهـاب يستضاء به
بدر أنار على كل الأمـاجـيـد[19]

مــبـارك كـضـيــاء البـدر صورته
مـا قـال قـضـاءً غـيـر مردود

والقارىء لديوان حسان لا يمل ولا يسأم بتنقله بين زهراته الحسان لدرجة تجعل القلب مشبعا بالسكينة، والروح هائمة برسول الله - ﷺ - ومنها ما يقوله في مدح الرسول والنبي الخاتم:

أغـــرُّ عليـــه للنبـــوة خـــاتمٌ
من الله مــشـهـود يلوح ويشـهـدُ[20]

وضم الإله اسم النبي إلى اســـمـــه
إذا قـــال في الخـمـس المؤذن أشـــهـــد

وشق لـه من اســـمــــه ليـجـله
فذو العرش محـمـود وهذا محـمـد

---

(8) الأسلاب: الواحد سلب: ما يسلبه الغالب من المغلوب.

(9) الأيد: القوة.

(10) المعصفة: الريح الشديدة الهبوب. جنود ربك: أراد بهم الملائكة.

(11) أثابهم: جازاهم.

(12) فيروز: أبولؤلؤة فارسي من نهاوند قاتل عمر بن الخطاب.

لا در دره: لاكثر خيره. الأبيض: النقي العرض.

المحكمات: الآيات المحكمات أي المتقنة تنظيما وصياغة دون خلل.

المنيب: المقبل إلى الله.

(13) النجيب: الكريم الحسيب.

(14) القطوب: العبوس.

(15) الذمار: ما يلزم حفظه.

(16) التصريد: الشرب دون الري.

(17) المنجذم: المنقطع. المستحكم: المحكم الوثيق.

(18) ماض على الهول: لا يعرف الخوف.

(19) الأماجيد: الأشراف.

(20) الأغر: الكريم.

ثم يقول فيمن أرسله الله رحمة للعالمين:

نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل، والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا
يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الإسلام فالله نحمد

ويقول وقد ذهبت نفسه حسرة، وحنانه يعتصر ألما على فراق رسول الله -ﷺ-:

فبوركت يا قبر الرسول وبوركت
بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد[21]

وبورك لحد منك ضمن طيبا
عليه بناء من صفيح، منضد

تهيل عليه الترب أيد وأعين
عليه وقد غارت بذلك أسعد[22]

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة
عشية علوه الثرى لا يوسد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم
وقد وهنت منهم ظهور وأعضد

يبكون من تبكي السموات يومه
ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد[23]

وهل عدلت يوما رزيه هالك
رزية يوم مات فيه محمد[24]

تقطع فيه منزل الوحي عنهم
وقد كان ذا نور يغور وينجد

يدل على الرحمن من يقتدي به
وينقذ من هول الخزايا ويرشد

إمام لهم يهديهم الحق جاهدا
معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا

ثم يقول - معبرة زفراته عن شوق لا يحد، وحب تملك مشاعره ووجدانه -:

فأصبح محمودا إلى الله راجعا
يبكيه جفن المرسلات ويحمد[25]

وأمست بلاد الحرم وحشا بقاعها
لغيبة ما كانت من الوحي تعهد[26]

فابكي رسول الله يا عين عبرة
ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد

ومالك لا تبكين ذا النعمة التي
على الناس منها سابغ يتغمد

ثم يستطرد مناجيا:

فجودي عليه بالدموع وأعولي
لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد

وما فقد الماضون مثل محمد
ولا مثله حتى القيامة يفقد

ثم لا يجد سوى أن يسلم بقضاء الله وقدره، فتعود نفسه إلى مناجاة خالقه -سبحانه وتعالى- لينشد قائلا:

وأنت إله الخلق ربي وخالقي
بذلك ما عمرت في الناس أشهد

تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك إلها أنت أعلى وأمجد

لك الخلق والنعماء والأمر كله
فإياك نستهدي وإياك نعبد

رحم الله حسان بن ثابت -الصحابي الجليل- وصدق رب العزة في قوله - تعالى -:

﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾[27]

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(21) المسدد: الذي وفقه الله لصواب.
(22) تهيل: تصب، وأعين: المراد أعين تصب عليه الدمع.
(23) أكمد: أحزن.
(24) عدلت: ساوت، الرزية: المصيبة.
(25) المرسلات: الملائكة المستترة عن عيون الآدميين.
(26) الحرم: مكة، وحشا: قفرا.
(27) الأحزاب آية 23.

أهمية الكلمة في الإعلام الإسلامي

للأستاذ الدكتور / أحمد عبده عوض (*)

الحمد لله رب العالمين، حمداً يليق بجلاله وكماله وعظمته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، ﷺ، خاتم الأنبياء وإمام المرسلين .. وبعد:

فإن الدعوة إلى الله - تعالى - هي مهمة الأنبياء والمرسلين - على نبينا وعليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام. وصدق الله العظيم، القائل: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[1] والقائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[2]

وقد أمر الله تعالى، رسوله محمداً، ﷺ، بالدعوة إلى الله - تعالى - في قوله، تعالى -:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

ويؤكد القرآن الكريم دوماً على خطورة الكلمة، فيقول الحق - سبحانه -:

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾[5].

ويقول - عز وجل -:

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[6].

كما يدعو إلى القول الكريم الحسن

(*) الكاتب: عضو هيئة التدريس - بكلية التربية جامعة طنطا.

(1) الكهف، 56. (2) الأحزاب، 45- 46. (3) النحل، 125.

(4) الحج، 67. (5) إبراهيم، 24 - 26. (6) الكهف، 5.

المسئول، فيقول ـ سبحانه ـ:

﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[٧] ويقول:

﴿ فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾[٨]. ويقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[٩].

ويحذر من القول دون العمل، بكلام مرسل يجافيه السلوك العام والخاص للفرد، دون إقدار لمسئولية الكلمة فيقول الحق ـ سبحانه ـ:

﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾[١٠]

ويقول عزت قدرته

﴿ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[١١]..

ويقول ـ تعالى ـ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[١٢].

وفي مواضع كثيرة من القرآن الكريم يتكرر النداء ذاته، بإقدار الكلمة وضرورة توجيهها للخير والصلاح

﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾[١٣].

.. وقوله:

﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[١٤] وقوله:

﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١٥].

وقوله:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[١٦].

وفي الأدب النبوي نجد توجيهات النبي الكريم ـ ﷺ ـ بضرورة الحرص على القول الحسن، وعدم إطلاق الكلمات إلا في الخير، فيقول ـ ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[١٧].. ويقول ـ أيضا: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ـ تعالى ـ ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم»[١٨] وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه ـ قال: قلت يا رسول الله: حدثني بأمر أعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم» قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»[١٩] وفي حديث معاذ: «وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[٢٠] وجمع الرسول الكريم ـ ﷺ ـ النجاة في ثلاث، قالها ﷺ لعقبة ابن عامر رضي الله عنه: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[٢١].

وأمانة الكلمة تقتضي عدم كتمها والتصريح بها، وإعلائها، فيقول ـ ﷺ: «أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر»[٢٢].. ويقول أيضا: «من سئل عن علم

---

(٧) البقرة ٨٣.
(٨) الإسراء ٢٨.
(٩) الأحزاب ٧٠.
(١٠) النور ١٥.
(١١) الشعراء ٢٢٦.
(١٢) الصف ٢، ٣.
(١٣) الإسراء ٥٣.
(١٤) الحجرات ١٢.
(١٥) ق ١٨.
(١٦) الانفطار ١٠ ـ ١٢.
(١٧) حديث متفق عليه رواه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
(١٨) أخرجه الإمام البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
(١٩) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
(٢٠) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح
(٢١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن.
(٢٢) رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[٢٣].. والمعنى ذاته فى قوله ـ ﷺ : «نضر الله امرأ سمع منى شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع»[٢٤].

وفى المجتمع المسلم تتأكد خطورة الكلمة، وما يتبعها من مسئولية وتبعات؛ فالكلمة الصادقة تفتح أبوابا للخير والفلاح لدى المتلقى، وتكون بمثابة النور، الذى يفتح العيون على رسالة الحق ومن هنا يتأكد لنا ضرورة الالتزام بالتوجيهات القرآنية، فى القول الحسن، والقول السديد، والقول الميسور، والالتزام بصدق العمل مع صدق القول.

فالكلمة هى مناط التفاهم، وطريق الوصول إلى الحقيقة ومدار الحوار ومدار النقاش، وفى الإعلام الإسلامى لا تكون الكلمة للخداع أو الضغط أو الإكراه وإنما هى وسيلة للإقناع، وسبيل للمواجهة وميدان للتدبير والتفكير، وهى دعوة إلى الوصول إلى الحقيقة والانتفاع بالعلم النافع دون تأثير عارض مفتعل، يزول بزوال السبب، وإنما يبقى كشجرة طيبة وارفة يمتد فرعها إلى السماء فأصولها ثابتة قوية.

وفى المقابل فإن الكلمة السيئة الخبيثة فيها تضليل وإضلال وتزييف للحقيقة ولا تستند إلى الحق، وفيها ترويج للإشاعات واتهام للآخرين، يقول الرسول الكريم ـ ﷺ : «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة، وهو منها برئ؛ يشينه فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه فى النار حتى يأتى بإنفاذ ما قال»[٢٥] ولذا وجب التصدى لمثل هذه الأباطيل المكذوبة وتصحيحها، يقول الرسول الكريم ـ ﷺ ـ: «من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يقيه النار»[٢٦].

فالرسالة الإعلامية فى المجتمع المسلم تقوم على نشر كلمة الدين الصحيحة عن وعى وبصيرة، والدعوة إلى إعلاء كلمة الحق والصدق والعدل، يقول ـ سبحانه ـ:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[٢٧].

وذلك بالتواصى بالخير والتناهى عن الشر ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾[٢٨].

وكذا المعارضة بأسلوب كريم فيه الأدب والإحسان ودفع السيئة بالحسنة يقول ـ تعالى ـ

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾[٢٩].

فدفع السيئة بالسيئة ينقص من قيمة الحق وقيمة الداعية، وإنقاص قيمة القدوة لديه وبذا يصبح داعية سوء، لا يقدر أهمية الكلمة وأهمية الرسالة.

ولما للرسالة والكلمة من أهمية وفاعلية فإننا نلتمس إقدار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لذلك، ويقينهم أن الخير فى أن تقول الكلمة أمينة صادقة، ولا تمنع الآخرين من قولها، فانظر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يدور حوار بينه وبين أحد الناس ويتمسك الآخر برأيه ويقول لأمير المؤمنين: «اتق الله يا عمر» ويكررها مرات كثيرة ويزجره أحد الأصحاب قائلا: صه، فقد أكثرت على أمير المؤمنين، ولكن

---

(٢٣) رواه أبو دواد والترمذى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ.

(٢٤) رواه الترمذى عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ.

(٢٥) رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» من حديث أبى ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ.

(٢٦) أخرجه الإمام أحمد وابن المبارك فى «الزهد» والطبرانى فى «الكبير» وأبو نعيم فى الحلية عن أسماء بنت زيد ـ رضى الله عنها ـ.

(٢٧) يوسف «١٠٨».   (٢٨) العصر «٣».   (٢٩) المؤمنون «٩٦».

أمير المؤمنين يقول له: «دعه، فلا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها».

وهو ـ رضى الله عنه ـ يوجه أصحابه إلى عدم كتم النصح له وتوجيهه بالرأى الصواب الذى يختلف مع رأى ـ عمر رضى الله عنه ـ فتأمل قوله الصريح المجرد عن الهوى: «لا تقولوا الرأى الذى تظنونه يوافق هواى وقولوا الرأى الذى تحسبونه يوافق الحق» ونجد تأكيدا على ذلك فى حواره مع حذيفة ـ رضى الله عنه ـ عندما يجد عمر بن الخطاب مهموما، فيسأله: ماذا يا أمير المؤمنين ؟! فيجيب عمر: «إنى أخاف أن أخطئ فلا يردنى أحد منكم تعظيما لى»، يقول حذيفة، فقلت له: «والله لو رأيناك خرجت عن الحق لرددناك إليه» فيفرح عمر ويستبشر ويقول: «الحمد الله الذى جعل لى أصحابا يقوموننى إذا اعوججت».

وهكذا نرصد فهما راقيا للكلمة الناصحة وللمعارضة المستنيرة التى حدد عمر بن الخطاب مواصفات لها،فليس بالضرورة أن الآراء المعارضة توافق رأيه هو، فالرأى الحر الصحيح يبتغى به وجه الله وليس إرضاء الحاكم، فموافقة الحق هو الأساس ولصاحب الحق مقالة.. ولذا يسر عمر عندما يجد من يقومونه ويردونه إلى الصواب، عندما يعوج.. وكان يحزن، لأن الناس قد يمتنعون عن رده ونصحه تعظيما وإجلالاً له، فإذا بهم يدركون دورهم ويعلمون أمانة التوجيه وفرضية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ولعل الطريف هنا أن أمير المؤمنين عمر هو الذى يستحث الناس على معارضته ويجعل الخير فى أن يقولوها صريحة مدوية، وعليه هو أن يسمعها ويستجيب لها، بل ويجعل من فضل الله عليه أن قيض الله له فى هذه الأمة من يقوم اعوجاجه ويرده إلى الحق.

واخيرا فإن الكملة فى الإعلام الإسلامى ينبغى أن توافق المتلقى وتراعى ظروفه وأحواله، فدعوة الخطاء «كثير الخطاء» الذى كثرت عليه الذنوب والمعاصى، ينبغى أن تصبح مفتاحا لتوبته وفلاحه ودعوة المجاهر بالمعصية المبارز، بالخطايا تكون بقوارع الحجج وزواجر الكلم، ودعوة الرفيق الذى زلت قدمه تكون توجيها حانيا وأخذا رفيقا رفيقا وفى كل حالة تتنوع الموعظة حسب طبيعة من توجه إليه، وقد ألمح القرآن العظيم إلى كيفية التعامل مع صنف آخر ـ لم نذكره فيما تقدم ـ هم المنافقون:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾(٣٠).

وإذا كانت الكلمة ـ كما أوضحنا ـ لها أهميتها فى الإعلام الإسلامى، والدعوة إلى الله ـ تعالى ـ فإن هناك حواسا أخرى تستقبل الكلمة؛ وتستقبل غيرها، لها دور عظيم فى تلقى الإعلام الإسلامى، وهذا ما نوضحه فيما يلى:

استقبال المسلم للمادة الإعلامية يعتمد فى درجة كبيرة على حواسه التى يتلقى بها، وعلى توظيفه الجيد لتلك الحواس؛ فالسمع والبصر نافذتان يتعامل بهما قلب المرء فى العالم الخارجى، ومؤثرة وعليها مسئولية عظيمة فى ذلك يقول تعالى:

---

(٣٠) النساء، ٦٣.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٣١].

وقوله:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[٣٢].

ودورهما الرقابي التنظيمي لتلك المؤثرات يتعاظم هذه الأيام لكثرة ما يحيط بنا من مرئيات ومسموعات، مما يراه المسلم ويصل إلى أذنيه من صنوف اللهو والفحش واللغو، فإذا ما مرت هذه الأشياء عبر الأذن أو العين فإنها تأخذ طريقها إلى القلب مباشرة وعندئذ قد يفسد صاحبه، وقد يختم الله على قلبه لكثرة مداخلة المعاصي إليه، وخاصة عندما لا ينكر قلبه هذه الموبقات، بل يتآلف معها، ويستأنس بها،حتى ران على قلبه

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣٣].

ويصاب القلب بالمرض والقسوة والزيغ والحسرة والريبة وكل هذه المعاني عبر عنها القرآن الكريم باعتبارها مظاهر لفساد القلب وفي المقابل عبر عن صلاحه بالطهارة والتقوى والاطمئنان والتأليف والتثبيت والخشوع.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾[٣٤].

وتتأكد بعد ذلك سيادة القلب في توجيه المرء، فالقلب هو الملك، والأعضاء جنوده، و هو المضغة التي يتوقف عليها صلاح الجسد أو فساده يقول الرسول ـ ﷺ ـ : «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ؛ألا وهي القلب»[٣٥].

والمتأمل في المنهج الإسلامي يجد الحرص على نقاء البيئة المحيطة بالإنسان منذ ولادته ليبقى استقباله طيبا نقيا[٣٦] ونقاء البيئة يتبعه نقاء الرسالة أو الرسائل التي تبث عن طريق السمع والبصر إلى الفؤاد، وحدوث عملية التكوين والتلقي يشارك السمع والبصر فيها بنصيب أعظم، والمحصلة هي: المشاركة في بناء القلب أو هدمه، وفي صحته أو مرضه ؛ يقول الحق ـ سبحانه ـ:

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٣٧].

فمداخل الصلاح أو الفساد إلى القلب قد أضحت واضحة ومتأثرة بنقاء البيئة من عمل الشيطان أو تلوثها به، ولأن هذه المداخل من السهل فك رموزها، فقد أدرك أعداء الإسلام أن الكلمة (السمع) والصورة (البصر) عليهما دور

---

(٣١) الاسراء،٣٦. (٣٢) ق ،٣٧. (٣٣) المطففين ،١٤.

(٣٤) الحديد،١٦.

أشرنا فقط إلى بعض مظاهر علة القلب وبعض مظاهر صحته دون ذكر شواهدها القرآنية. لأن هذا ليس مقصدنا هنا وجاءت الإشارة إلى هذا الأمر توفية لتناولنا لأدوات الاستقبال عند المسلم وما يعتريها من تحولات.

(٣٥) متفق عليه عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣٦) لعل تصديق ذلك يتضح في توجيه الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يكون الأذان للصلاة ثم الإقامة هما أول ما يطرق أذني الطفل من مؤثرات صوتية بيئية خارجية، ليطالع قلبه صوت الحق والرشاد والاطمئنان والسكينة .

(٣٧) النحل (٧٨)

عظيم في إفساد قلوب الأمة وسمعها وبصرها، وتحول بينها وبين سبل بالهدى وذلك بالضرب على أوتار الشهوات، وإلهاب، الغرائز أكان ذلك بالكلمة المسموعة أم بالصورة المشاهدة، وبإغراق الأمة في الملذات، وفنون العبث والمجون والخلاعة.

وهذا ما تفعله الإذاعات المضللة والمعادية وهذا كله يلوث البيئة المسلمة شكلا وموضوعا.

ويحزن المرء عندما يجد أن البيئة المسلمة قد لوثت إعلاميا من داخلها وبيد أبنائها قبل وبعد أن غزيت من خارجها بالكلمة المسموعة والصورة المنحرفة المضللة.

سمات الإعلام الإسلامي الذي نرجوه

ولمواجهة هذا الغزو القوي فلابد من وجود إعلام إسلامي مستنير، يتعهد الطفل منذ ولادته، وحتى مماته، فلا خدش للحياء العام ولا انتهاك للأخلاق والآداب، ولا نشر للأدب المكشوف، ولا إعاقة لعملية الإنتاج ولا ملء لفراغ الناشئة باللهو.

فالخطاب الإعلامي الإسلامي يكون له مردود تعليمي إرشادي دفاعي يتصدى للغزو الثقافي وللوثات الأفكار والقيم، ويجمع كلمة المسلمين، ويرشد الصحوة الإسلامية القائمة في أنحاء العالم الإسلامي، ويقدم ما يخدم الإسلام والمسلمين، وينشر الدعوة الإسلامية، ويبرز دور الحضارة الإسلامية في مختلف فروع العلم والمعرفة في إثراء الحضارة الإنسانية، ويبتعد عن مجالات الجدل، ويعدل سلوك الجماهير ليتلاءم مع جوهر الإسلام، ويقضي على المعتقدات الباطلة بين البعض، ويناقش القضايا الإسلامية المعاصرة، ويصحح صورة الإسلام في أذهان العالم، ويواجه الحملات الإعلامية المضادة للإسلام، ويعرف الرأي العام العالمي بموقف الإسلام من ذوي الأديان الأخرى.

كما أنه يعرف بالعقيدة الإسلامية كعبادة ومنهاج حياة، ويؤكد على القيم الإسلامية، ويناقش أحوال المسلمين، ويذيع أخبارهم، ويبرز دور الشخصيات الإسلامية في جميع المجالات، ويفند الدعايات الكاذبة والافتراءات المغرضة التي يشنها أعداء الإسلام، ويقدم الحلول لمشكلات المسلمين ولايخضع لسيطرة الإعلام الغربي، ولاينساق وراء الشعارات، ولاينخدع بالإشاعات، ولا يشغل بسفاسف الأمور ولا بتوافه الأحداث والموضوعات[٣٨].

ومواصفات الخطاب الإعلامي الإسلامي التي عرضنا لها آنفا ـ مأخوذة من مضامين المنهج العام للإعلام والدعوة في الإسلام، الذي يمكن إيجازه في: بساطة الدعوة ووضوحها المتمثل في وضوح العقيدة وخلوها من التعقيدات، وسهولة استيعابها وشرحها ومخاطبتها للفطرة الصحيحة.

ويمكن إيجازه ـ أيضا ـ في كونه يحترم العقل الإنساني، ويقدر الفكر البشري، ويدعو إلى التأمل والتدبر، كما أنه يقوم على العلم والحقائق اليقينية المبنية على العلم الصحيح، ويقوم كذلك على التسامح الفكري، والتحلي بحسن الخلق واللين، والإعراض عن اللغو في الحديث.

(٣٨) ليس بوسع منصف إنكار دور الإذاعات الإسلامية المتخصصة في بعض البلدان العربية والإسلامية في الحرص على أن يكون خطابها الإعلامي نابعا من الإسلام شكلا وموضوعا، وعلى هذا فالإذاعات الإسلامية المسموعة لها دور لا ينكر في الدعوة الإسلامية، لكنه في المقابل فإننا نرصد غياب الإذاعة الإسلامية المرئية من الساحة الإعلامية، وثم توجهات معلنة الآن بالدعوة الجادة إلى إقامة قناة «محطة» إسلامية مرئية في مواجهة الغزو الثقافي، نرجو أن تظهر في واقعنا قريباً.

تكنولوجيا الاتصال وأبعادها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد *

ثورة المعلومات والاتصال وأدواتها

في بداية الألفية الثالثة ومع بدايات القرن الحادي والعشرين نعيش ثورة اتصال هائلة وثورة معلوماتية لا حدود لها تجعلنا نعيش عصراً جديداً يعكس من المتغيرات الضخمة، وهي متغيرات بالغة العمق والاتساع تطغى على كل مجالات الحياة وكل أوجه النشاط الإنساني.

وأدوات هذه الثورة المعلوماتية والاتصالية لم تكن وليدة اليوم، فقد بدأت وسائلها منذ القدم، ولكن تطورت بمرور الزمن مع تطور ونضج العقل البشري، غير أن وسائل كل أداة من هذه الأدوات تمثل علامة بارزة في التاريخ الإنساني، وكل هذه الأدوات التي ظهرت في ثورة المعلومات والاتصال كانت مقدمة لنقلة حضارية أخرى، فعلى سبيل المثال بدأ:

١ـ اختراع المصريين القدماء للغة الكتابة وورق الكتابة "البردي" منذ ستة آلاف سنة.

٢ـ اختراع آلة الطباعة منذ أكثر من خمسمائة سنة.

٣ـ اختراع التلغراف منذ أكثر من مائة وخمسين سنة.

٤ـ اختراع اللاسلكي منذ أكثر من تسعين سنة، وقد تطور إلى الهاتف "المحمول" حتى أصبح هذا الهاتف في يد الجميع.

٥ـ اختراع التليفون (السلكي) منذ أكثر من مائة سنة.

٦ـ اختراع الإذاعة والتليفزيون منذ منتصف القرن الماضي.

٧ـ اختراع وسائل الإعلام غير التقليدية كالبث الفضائي الرقمي (الأقمار الصناعية)،

(*) الكاتب: مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة

أجهزة الكمبيوتر، شبكات المعلومات في الربع الأخيرة من القرن العشرين.

وستكون هذه الأخيرة وهي ظاهرة "الكمبيوتر والإنترنت" أهم أداة اتصالية في السنوات القادمة والتي بدأت تنتشر منذ عشرين عاماً، فهي ظاهرة تعني وجود ما يقرب من بليون جهاز كمبيوتر متصلين معاً في شبكة واحدة عنكبوتية ضخمة (شبكة الإنترنت) كل جهاز فيها يحتوي على ملايين وآلاف المعلومات مما يعطي كماً هائلاً من المعلومات المتاحة لأي إنسان.

تكنولوجيا الاتصال وتحديات القرن الجديد

الواقع أنه على الرغم من تدفق البث الوافد على مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وتأثيره على بعض العقول والقلوب إلا أنه لم يتمكن من السيطرة عليها لسببين:

الأول: صمود أفراد المجتمع وتدينهم، وحرصهم على إعلاء القيم الإنسانية النبيلة التي دعت إليها رسالات السماء وعلى رأسها "الإسلام" وتعاليمه.

الثاني: يقظة الدولة وتحملها جزءاً كبيراً من واجب الحماية في هذا الاتجاه، وتمثل وزارة الإعلام واجب هذه الحماية من الناحية الاعلامية ومن مؤسساتها الفرعية الإعلامية مراكز النيل للإعلام المنتشرة في شتى الأقاليم، فهي تقوم بمهمة الإعلام الداخلي، وهي مزودة بتقنيات حديثة وبرامج عمل متطورة، وهي في الحقيقة لا تعمل وحدها إنما إلى جانب القنوات التلفزيونية المحلية، وشبكات الإذاعة المحلية، الى جانب مراكز ومجمعات الإعلام الداخلي والتي يصل عددها إلى ثلاثة وستين مركزاً، بما فيها الستة والعشرين السابق ذكرها في محافظات مصر فهي إذن جزء من منظومة متكاملة في الاعلام المصري تخدم قضايا التنمية المحلية والبيئية من جانب، وتحقق التوازن بين الانفتاح على الخارج والحفاظ على هويتنا الثقافية والدينية وعاداتنا وتقاليدنا.

إلا أن تلك الحماية على أهميتها لم تمنع من تأثير الغزو الثقافي علينا والتبعية الثقافية فينا بنسبة ما، تفرض نفسها وتتنامى وتتعاظم بحكم الإلحاح الغربي على مرور الزمن، وجهاده المستميت من أجل تقليص وتهميش تعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه في حركة حياة العرب والمسلمين.

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾(1).

وحقيقة الأمر أنه كلما تقدمت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، أدى ذلك إلى اختزال الزمن وإلغاء المسافات، وإسقاط الحواجز بين الأمم والشعوب، حتى أصبح العالم "قرية كونية على حد تعبير علماء الاتصال.

مما يوجب علينا في المقابل مزيداً من التغطية والمراقبة والتفعيل في مجالات الثقافة والتعليم والإعلام(2).

---

(1) سورة الصف (8).

(2) أحمد ماهر السيد : مجلة الدراسات الإعلامية . عدد يناير/مارس ٢٠٠٠ . دراسة عن العولمة ودور الثقافة والإعلام ص ٣٨ والكاتب سفير مصر السابق في واشنطن.

ونحن وإن كنا كمسلمين وعرب ـ قد تملكنا الكثير من تكنولوجيا وسائل الاتصال، لاسيما فى طباعة الصحف، وقنوات الفضاء، وشبكات المعلومات، فإن كل ذلك ليس إلا الوسائل والأوعية التى تحمل الفكر، ويبقى بعد ذلك الفكر نفسه، أو المضمون الذى ينفتح على الثقافة العالمية مع احترام الماضى وأصالته، حتى لا نذوب فى كل ما تهب به علينا رياح الغرب.

فهذا ما ينبغى أن نركز عليه فى وسائلنا الإعلامية والتعليمية، ونحن نواكب عملية التطور والتحدث فى تقنيات الاتصال، فلن تغنى عنا مواكبتها شيئا فى ظل غياب المضمون العربى والإسلامى، أو فى ظل خطاب إعلامى متسم بالسطحية وعدم المعرفة بواقع التطور الدولى.

إن الإعلام الدولى يشهد من حولنا تعاظماً منقطع النظير وتأثيراً مذهلاً على العقول أثناء عملية تبادل نقل الأخبار والمعلومات[٣].

ومن ثم نستعرض فيما يلى أهم تحديات القرن الحادى والعشرين، التى تواجهنا فى دول العالم الثالث، لاسيما فى وسائل إعلامنا وأجهزة تعليمنا، وبيان كيفية دعم المواجهة وسبل تحقيقها.

تحديات القرن الجديد فى الإعلام والتعليم

١) الكمبيوتر والإنترنت وأثرهما الاتصالى.

٢) حتمية امتلاك التكنولوجيا وتحديث وسائل الإعلام.

٣) قضية الهوية الثقافية فى ظل تيار العولمة.

٤) قضية حرية التعبير فى الإعلام والتعليم.

٥) الاحتكارات الإعلامية الكبرى وأبعادها.

٦) قضية السلام واحترام حقوق الانسان.

٧) قضية الحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعية.

٨) قضية الإرهاب وعلاقتها بالأمن والاستقرار.

أولاً: الكمبيوتر والانترنت وأثرهما الاتصالى:ـ

لا شك أن شبكة الاتصالات العالمية المعروفة باسم "الإنترنت" من أفضل طرق تداول المعلومات فى العالم حالياً وهى من أهم الأسباب التى أدت إلى الوصول إلى ما يعرف اليوم باسم طريق المعلومات السريع.

وشبكة الإنترنت هى شبكة اتصالات عالمية تربط الآلاف من شبكات الكمبيوتر بعضها ببعض إما عن طريق خطوط التليفونات أو عن طريق الأقمار الصناعية، وقد بدأ العمل بهذه الشبكة عام ١٩٦٩ كتجربة قامت بها وكالة المشروعات للأبحاث المتقدمة للدفاع فى الولايات المتحدة (DARPA) بهدف إنشاء نظام اتصالات قادر على ربط جميع أنظمة الاتصالات المختلفة وبروتوكولاتها مع شبكة مكتب الدفاع الأمريكى (ARP ANET) ومن ثم نقل المعلومات من نظام إلى آخر بسهولة ويسر، ومن هنا اشتق اسم "إنترنت". وفى ظل ثورة المعلومات والاتصالات يوجد أكثر من

---

(٣) عبدالمحسن شعبان: مجلة الدراسات الإعلامية ـ عدد يناير / مارس ٢٠٠٠ ـ دراسة عن العولمة والإعلام العربى صـ٣٣.

بليون جهاز كمبيوتر متصلين معاً خلال شبكة الإنترنت ويحتوى كل منها على ما يتراوح بين بضعة آلاف وبضعة ملايين معلومة وكل هذه المعلومات متاحة للجميع.

ومن الخدمات التى تقدمها شبكة الإنترنت بالنسبة للإعلاميين:(٤)

أ- خدمة البريد الإلكترونى حيث يمتلك كل شخص عنواناً بريدياً يتسلم من خلاله رسائل البريد حيث إن لكل مشترك فى شبكة الانترنت عنواناً اليكترونياً يتلقى عليه رسائله

ب ـ خدمة نقل المعلومات وتبادل الملفات حيث يتم نقل المعلومات بين محطتى عمل مختلفتين مرتبطتين بشبكة إنترنت وتكون إحداهما مرسلة والاخرة مستقبلة.

ت ـ خدمة "يوزنت" أو المجموعة الإخبارية حيث يمكنك أن تسمع صوتك وتطرح آراك واستفساراتك وإجاباتك على الملايين من مستخدمى الشبكة فى شتى أنحاء العالم كل على جهازه المتصل بالشبكة ليشاركوك او يعارضوك الراى، ويمكننا ان نقول ان "يوزنت" هى مؤتمر عالمى دائم الانعقاد على مدار الساعة.

أما بالنسبة للتعليم الطبى فقد شهد العالم ثورة حقيقة فى أساليب العلاج عن بعد مما يساهم فى إزالة الكثير من آلام وامراض البشرية بصورة أفضل وأسرع، وكذلك التعليم عن بعد الذى أصبح سمة المستقبل حيث المدارس والجامعات بلا جدران، فالتعليم يقع عليه عبء إعداد أجيال المستقبل.

الصحافة الإلكترونية والإنترنت

ومنذ بدأت الصحافة وتقدمت خطاها خصوصاً فى القرن العشرين وهى تواجه التحديات، لقد كان الراديو هو التحدى الاول وقد دخلت معه الصحافة فى معركة هادئة.. وبعد الراديو جاء التلفزيون الذى توقع البعض أن يهدد صناعة الصحافة ولكن العكس هو الذى حدث.. ثم جاء التحدى الثالث من الأقمار الصناعية التى أصبحت تنقل الأخبار الى المشاهدين فى لحظة وقوعها، الا ان صناعة الصحافة استفادت بهذه الأقمار الصناعية فى نقل صور صفحات الجريدة التى يتم إعدادها فى المقر الرئيسى إلى عدة مواقع أخرى يتم طباعة الجريدة فيها لتكون قريبة من القارىء البعيد..(٥)

وبذلك تغلبت صناعة الصحافة على مشكلة النقل التى كانت تؤخر وصول الصحف.. وعلى سبيل المثال فإن صحيفة الاهرام التى أصبح يقرأها فى نفس صباح يوم صدورها القارىء الموجود فى مصر وفى أوربا وأمريكا وطبع الجريدة هناك وتوزيعها على القارىء مع باقى صحف الصباح المحلية.

---

(٤) محمد تيمور ومحمود علم الدين: الحاسبات الإلكترونية وتكنولوجيا الاتصال، دار الشروق، صفحات ١٣٩- ١٤٤.

(٥) للمزيد حول هذه القضايا راجع كلمتى الرئيس محمد حسنى مبارك، وكلمة وزير التعليم العالى أ د/ مفيد شهاب فى أعمال مؤتمر الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية، والمنعقد فى القاهرة من (٢٦- ٢٩ ابريل ٢٠٠٠).

خاصية الصحافة كوسيلة

والواقع أنه لا التلفزيون ولا الأقمار الصناعية هددت صناعة الصحف، فمازالت الصحيفة تتفوق على الإثنين بميزة الاختيار.. اختيار الموعد الذى يقرأ فيه القارىء الصحيفة وهو مالا يجده فى التلفزيون الذى إذا لم يتفرج على البرنامج فى وقت إذاعته لم يتمكن من رؤيته.. ليس هذا فقط، فمن مميزات الصحيفة أيضاً العودة إليها أو احتفاظ القارىء بما يريده فى سهولة على عكس البرامج التلفزيونية.. ولهذا لم يكن غريباً أنه فى عصر التلفزيون زاد توزيع الصحف خاصة بعد التطوير الذى حدث فى الطباعة وأصبح ممكناً طباعة الصحف والمجلات بالألوان وبسرعة أكبر مما كان.

وهكذا نجد أنه من المؤكد أن الكمبيوتر والإنترنت سيكونان السمة الأبرز والأهم فى السنوات القادمة وهما يلعبان دوراً حاسماً فى تطور الإعلام والتعليم، ولابد من إدخال وتعميم أجهزة الكمبيوتر فى المدارس وذلك لإعداد جيل قادر على مواجهة تحديات القرن الجديد.

ثانياً: حتمية امتلاك التكنولوجيا وتحديث وسائل الإعلام:

تتجه مصر إلى تحديث وسائل الإعلام وذلك لمواجهة الإعلام الوافد بتوفير البديل الوطنى المتنوع وبما يتناسب مع احتياجات المواطنين واهتماماتهم على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والفكرية، فتم إنشاء منظومة حديثة للإعلام الإقليمى وذلك لتدعيم قضايا التنمية وتوفير أداة من أدوات اللامركزية والعمل على الاتصال المباشر بين الجمهور ووسائل الإعلام الوطنى.

وهذه المنظومة تعمل على تحقيق التوازن بين الانفتاح على الخارج والحفاظ على هويتنا الثقافية وعاداتنا وتقاليدنا وحماية المجتمع من التيارات التى لا تتفق مع القيم.

ومع التطور الإعلامى قامت مصر بإنشاء أول قناة فضائية عربية ١٩٩٠ والتى أدت الى أن تنطلق قنوات الدول العربية الفضائية لتصل الى "٣٠" قناة فضائية عربية، ثم أطلقت مصر بعدها قناة النيل الدولية ثم القناة الفضائية الثانية.

ونظراً لريادة مصر الاعلامية فى المنطقة كان عليها أن تدخل عصر الأقمار الصناعية فجاء قرار تصنيع وإطلاق القمر الصناعى المصرى (نايل سات ١٠١) الذى يعتبر نقلة حضارية للإعلام المصرى حيث أصبح يمتلك أدوات الإنتاج والبث والإطلاق وأدوات الاستقبال والإرسال والتخاطب مع العالم.

ثم أطلق القمر الصناعى الثانى (نايل سات ١٠٢) فى أغسطس من هذا العام من قاعدة "كورو" بأمريكا الجنوبية، وبذلك تمتلك مصر إمكانيات تكنولوجيا التفاعل والتعليم عن بعد حيث انتشرت القنوات التعليمية والمتخصصة مثل قناة التعليم العالى وقناة الأسرة وقناة الرياضة وغيرها مما

يشبع رغبات الجمهور المصرى وبالتالى لا يتجه إلى الإعلام الخارجى.

وكان من الطبيعى أن يتواكب مع ذلك كله إنشاء قاعدة إنتاج ضخمة تلبى احتياجات القنوات الفضائية المصرية والعربية وقد تمثلت هذه القاعدة فى مدينة الإنتاج الاعلامى بمنطقة السادس من اكتوبر والتى تعد ثانى أكبر مدينة للإنتاج الإعلامى فى العالم بعد «يونيفرسال الامريكية»(٦).

ثالثاً : قضية الهوية الثقافية فى ظل تيار العولمة :-

لعل من أخطر التحديات التى تواجهنا والتى تتطلب المشاركة بالفكر والرأى هى تلك الناشئة عن التطورات بالغة الأثر التى تشهدها الساحة العالمية حالياً والتى ربطت الاقتصاد العالمى بمفاهيم جديدة للتعاون الدولى فى كيان سقطت حواجزه، حيث أصبح العالم كله عبارة عن قرية صغيرة.

إن متابعة قواعد النظام العالمى الجديد واتفاقية التجارة العالمية تدعو الى التأكيد على أهمية تحقيق التوازن بين الدول المتقدمة والدول النامية مع الحرص على سيادتها، لأنه من مصلحة المجتمع العالمى الا تتسع الفجوة القائمة حالياً بين الدول النامية والدول المتقدمة.

كما ان الخصوصية الإسلامية والهوية الثقافية، بل وسيادة الدول تتعرض لضغط شديد فى المرحلة الحالية فى ظل تداخل غير مسبوق بين ما هو عالمى وما هو داخلى، وتعرض ما هو محلى لطوفان إعلامى دولى توجد صعوبة فى التعامل معه وهى أمور تثير مخاوف الدول النامية.

وبالتالى فانه لابد من الحفاظ على الذاتية المحلية امام الإعصار الناجم عن البث الوافد من معظم دول العالم، وهو ايضاً إنشاء بنية أساسية للإعلام العربى والإسلامى بحيث يكون قادراً على مواجهة تحديات العولمة والحفاظ على الهوية الثقافية.

رابعاً : قضية حرية التعبير فى الإعلام والتعليم :-

تعتبر حرية التعبير من التحديات الهامة التى تواجه الإعلام والتعليم فى القرن الجديد، حيث إن التفاعل مع معطيات الواقع المتغير يتطلب لغة جديدة ومستويات مهنية أكثر تطوراً وأكثر قدرة على التعبير عن هذه المتغيرات.

ففى عصر يجد الانسان نفسه مع الآخرين حبيس قرية صغيرة يتحمل فيها اخطاء الآخرين، يصبح دور الإعلام والتعليم أكثر اهمية وتزداد قيمة الحرية والسعى من اجلها.

إن تحدى الحرية يتمثل فى الجانب الأكبر منه الإعلامى الممارس ذاته، خبراته، مهاراته، وسبل إعداده، فليس أخطر على حرية الإعلام من ممارسين يفتقرون إلى المهارات اللازمة للتعبير عن الواقع بحرية، وبدون مهارات إعلامية متطورة يصبح الحديث عن التكنولوجيا الجديدة نوعاً من العبث.

---

(٦) المرجع السابق.

فالتكنولوجيا وحدها لا تصنع إعلاماً حراً ولا تعليماً متوازناً، و لكننا هنا نؤمن بالحرية المسئولة، فالحرية المسئولة هي تعبير امريكي ظهر في منتصف الأربعينات منذ لجنة «هاتشينز»، فالإعلام الحر يكون مسئولا أمام مجتمعه حيث تحكمه قيم المجتمع وهويته وثقافته واستقراره.

والمسئولية ليست قيداً قانونياً وانما هي تحكيم صالح المجتمع على ان يكون تقرير صالح المجتمع نتاج وعي كامل بالظروف التي يمر بها المجتمع.

إن القرن القادم يحمل الكثير من القوى الداعمة لحرية الإعلام والتعبير في مصر، فالاصلاحات الاقتصادية والسياسية التي تشهدها مصر سوف تؤثر على حرية التعبير والإعلام وسوف تؤكد على حق الإعلامي في الوصول إلى المعلومات واكتمال مشروع البنية الأساسية خاصة في مجال الاتصالات سوف تسهل الطريق كثيراً للوصول إلى المعلومات وتقييد أي محاولة للنيل من حرية التعبير.

خامساً: الإحتكارات الإعلامية الكبرى وأبعادها:ـ

انتشرت في العالم الشركات الضخمة التي تسيطر على الإعلام الدولي، وقد وصلت حالياً ـ خاصة في ظل الاندماجات الكبرى ـ وصلت إلى أوضاع أكثر ضراوة، فهناك شركات ضخمة تمثل إمبراطوريات إعلامية تسيطر على الإعلام الدولي قادرة على التحكم في توجهات الرأى العام العالمي والتأثير على القيم.

فالتحدى الاقتصادى يطل بوضوح مع بذوغ فجر الألفية الثالثة، فلا يمكن لصناعة وسائل الاعلام ان تنهض بمسئولياتها دون اقتصاديات قوية تؤكد طموحاتها وتدعم مكانتها في المجتمع.

واذا كان مقبولاً أن تسيطر حفنة قليلة من الشركات متعددة الجنسيات على الجزء الأكبر من حركة التجارة العالمية في صناعة السلع والخدمات فإن أخطاراً كثيرة تمكن في أن تمتد هذه المعادلة إلى صناعة وسائل الإعلام.

إن تشخيص تحديات المستقبل خطوة في الطريق الصحيح حتى يمكن أن نتبين سبل المواجهة، وفي حدود التشخيص الحالي فإن تحرير هياكل ملكية وسائل الإعلام والاستجابة لاحتياجات الجمهور من خلال مضمون وسائل الإعلام والتضامن بين المؤسسات الإعلامية وتوسيع قاعدة المشروعات المشتركة تبدو استراتيجيات مقبولة في مواجهة تحديات القرن الجديد.

سادساً: قضية السلام ،واحترام حقوق الإنسان:

تعتبر هذه القضية من أهم التحديات التي تواجه الإعلام والتعليم في القرن الجديد، فبعد الحروب الضارية التي تعرض لها المجتمع الإنساني في القرن الماضي وراح ضحيتها الملايين من البشر فلابد أن يساعد الإعلام في نشر السلام بين الشعوب والعمل على تدعيمه وذلك من خلال نشر الحقائق واحترام حقوق الإنسان والحفاظ على آدميته ولا يكون هناك تفرقة في تناول وسائل الإعلام للأحداث العالمية، ولابد أن تعمل وسائل الإعلام على الإقرار بأحقية الشعوب في تقرير مصيرها والعيش في أمن وسلام.

وهنا نشير إلى دور الإعلام المصرى فى تدعيم عملية السلام فى الشرق الأوسط وذلك من خلال احترام معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية والعمل دائماً على تهدئة الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط .

سابعاً : قضية الحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعية :ـ

البيئة هى كل ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه ويتأثر به، والحفاظ عليها أمر هام وضرورى لاستمرار البشرية ويقع على عاتق وسائل الإعلام الجزء الأكبر فى توجيه الأفراد إلى ضرورة الحفاظ على البيئة ومواردها الطبيعية وذلك من خلال عرض السلوك السليم فى برامجه المختلفة والذى يتمثل فى عمل برامج وإرشادات تدعو إلى عدم إهدار المياه أو تلويثها وعدم استخدام المبيدات الحشرية وعدم تلويث الهواء .

وكما يجب إحاطة الجمهور والشباب من خلال وسائل الإعلام ومن خلال مناهج الدراسة بخطورة اتساع ثقب الأوزون والأسباب التى تؤدى إلى ذلك مما يؤثر بالسلب على الإنسان، ومع انتشار القنوات الفضائية التى تغطى معظم أنحاء العالم لابد من استخدام وسائل الإعلام فى إلقاء الضوء بل والتركيز على الآثار المدمرة لاستخدام أسلحة الدمار الشامل والعمل دائماً على تشجيع إقامة المؤتمرات الدولية التى تناقش خطورة هذه الأسلحة . وتعتبر مصر فى مقدمة الدول التى نادت بحظر إنتاج واستخدام تلك الأسلحة وأعلنت مبادرتها بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل وتعمل وسائل الإعلام المصرى على الضغط على إسرائيل من أجل إجبارها على الانضمام إلى معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية .

ثامناً : قضية الإرهاب وعلاقتها بالأمن والاستقرار :ـ

من أخطر التحديات التى تواجه العالم فى القرن الجديد بما لها من تأثير سلبى على التنمية وما يسببه الإرهاب من خوف وذعر للمواطنين مما يهدد كيان ووجود المجتمع ككل .

والإرهاب قضية خطيرة تعانى منها الدول المتقدمة والدول النامية على السواء وهى قضية لا ترتبط بدين معين، ومحاربة هذه الظاهرة لا تقتصر على الدول فقط بل لابد أن تتضافر كل الجهود للقضاء على هذه الظاهرة .

ولابد أن يلعب الإعلام دوره فى محاربة هذه الظاهرة بالبحث عن مرتكبى جرائم الإرهاب ومساعدة الشرطة فى الكشف عنهم والعمل على كشف حقيقتهم أمام الناس سواء من خلال المسلسلات التلفزيونية أو من خلال متابعة جرائمهم .

وعلى الدولة أن تقوم بغرس المعتقدات الدينية الصحيحة فى مناهج التعليم حتى لا ينحرف الشباب عن الطريق الصحيح ويشاركون فى مسيرة التقدم والرخاء وهنا لابد أن نشير إلى مبادرة مصر بعقد مؤتمر دولى لمكافحة الإرهاب باعتباره ظاهرة عالمية وليست ظاهرة محلية ترتبط بدولة بذاتها أو عقيدة بعينها .

سبل مواجهة التحديات

وبعد .. فهناك العديد من المداخل للتعامل مع التحديات التى تواجه الإعلام العربى والتعليم فى القرن الجديد ، منها :(٧).

١- إصلاح المناخ العربى العام:

إذ لابد من إدخال إصلاحات تسمح بانطلاق حرية الإعلام العربى حيث يكون قادرا على التعامل مع متغيرات العصر وأولها حرية التعبير والنقد ولكن الحرية التى تقترن بالمسئولية.

٢- تطوير الهياكل الإعلامية:

إذ لابد من معالجة المعوقات المؤسسية والتكنولوجية والاقتصادية التى تعرقل انطلاق الإعلام العربى مما يكسبه قدرا أكبر من المصداقية حيث إن السائد فى الوطن العربى هو سيطرة الحكومات العربية على وسائل الإعلام مما يفقدها مصداقيتها.

٣- تطوير البنية التعليمية:

أ- حيث إن تطوير التعليم يلعب دورا متعدد الاتجاهات فى التعامل مع التحديات التى تواجه الإعلام فى المرحلة الحالية منها:

أن رفع مستوى المتلقين ثقافيا وتعليميا يساعدهم على الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة التى يتطلب كثيرا منها مستويات خاصة من القدرات والمهارات.

ب- أن رفع المستوى التعليمى للمتلقى يحمى الفرد من كل التأثيرات القيمية والدعائية السلبية ويعمل على الحفاظ على الهوية الثقافية.

جـ- أن رفع المستوى التعليمى يعمل على مقاومة ثقافة الاستهلاك وعمليات التسطيح الفكرى والتضليل المنظم

٤- الحفاظ على الهوية الثقافية

والعمل على مواجهة تحديات العولمة والحفاظ على الهوية الثقافية العربية والإسلامية يكون بالتركيز على بناء الإنسان من محورين:

الأول: تأصيل وتعميق ارتباط المواطن بجذوره الأصلية وبحضارته وتاريخه ودينه.

الثانى: تشجيع الانفتاح على العالم والتفاعل مع معطيات الحضارة الحديثة من أساليب العلم والتقدم وأخذ كل ما هو نافع ومفيد ورفض كل ما هو ضار وخبيث.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾(٨).

---

(٧) للمزيد حول هذه السبل راجع أعمال مؤتمر الاتحاد العالمى للمجالس الصحفية والمنعقد فى القاهرة من (٢٦ - ٢٩ أبريل ٢٠٠٠) وراجع مجموعة بحوث «العولمة وآثارها على أفريقيا» من مطبوعات معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة (١٩٩٩).

(٨) سورة الأنعام (١٠٤).

الإنسان والبيئة في التصور الإسلامي

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا(*)

لعل مشكلات البيئة المتزايدة والمتعددة تتصدر قائمة القضايا المعاصرة التى أفرزتها حركة العلوم الكونية وتقنياتها، والإنسان بطبيعة الحال واحد من مكونات البيئة، دائم التأثر والتأثير فى إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة، بما فيها من يمثل بنى جنسه. وقد عجزت المؤتمرات العالمية والمعاهدات الدولية حتى الآن عن تحقيق التوازن المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى.

ويمكن للفكر الإسلامى الرشيد أن يواجه هذا التحدى من خلال صياغة جديدة لفلسفتنا الإسلامية تؤكد أصالة الفكر العلمى الإسلامى، وتظهر قدرته على استيعاب حركة العصر وتقديم الحلول الشافية لمشكلاته المختلفة.

البيئة والمصطلحات البيئية:

البيئة والباءة والمباءة فى اللغة العربية أسماء بمعنى: المنزل الذى يأوى إليه الإنسان والحيوان ويقيم فيه، وهى مشتقة من الفعل «بوأ»، بتشديد الواو، فيقال: أباءه منزلاً وبوأه إياه وبوأه له وبوأه فيه، بمعنى هيأه له وأنزله ومكّن له فيه. قال - تعالى -:

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾(1).

وتوصف هيئة التبوّؤ وحاله بالحسن أو السوء، فيقال: إنه لحسن البيئة، أو إنه باء ببيئة سوء(2).

و«البيئة» فى العلوم الكونية مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات، وتؤثر فى

(*) عميد كلية العلوم جامعة القاهرة.

(1) سورة العنكبوت: 58.

(2) لسان العرب لابن منظور، الجزء الأول، مادة «بوأ»، ص382.

العمليات الحيوية التى تقوم بها. ويرتبط مدلول مصطلح «البيئة» بنمط العلاقة بينها وبين مستخدميها، فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة والمدرسة بيئة، والحى بيئة والوطن بيئة والكرة الأرضية بيئة، والكون كله بيئة. أى أن بيئة الإنسان تكبر وتتسع مع نموه واتساع خبراته، فبيئة ما قبل الولادة عبارة عن موقع يعيش فيه الإنسان جنينا، يستمد منه مقومات نموه ويتأثر بالبيئة الخارجية من خلال تأثر أمه بها. ومن المألوف أن تشاهد أحيانا ملصقات طبية تحمل شعار: «حافظوا على بيئة الإنسان الأولى» تحت رسم تخطيطى يمثل الرحم مع توصيات بالاعتناء بالغذاء والإقلاع عن التدخين واستشارة الطبيب قبل تناول العقاقير الطبية. وفى هذه البيئة الأولى تتحدد صفات الإنسان وفق ما يخترف من ثروة «الجينات» التى هى «البيئة الوراثية»[٣].

لذا فإن العناية فى اختيار الإنسان لزوجه أصبحت من العوامل التى يجب مراعاتها لتحسين النسل وتفادى العيوب الوراثية.

أما بيئة ما بعد الولادة، فتتدرج من البيت إلى الحى إلى المدرسة، ثم الوطن والكرة الأرضية كلها، من خلال وسائل الاتصال المختلفة، ثم الكون كله، وهو البيئة الكبرى للإنسان، فالطاقة الشمسية التى تصل إلى الأرض باستمرار وانتظام هى الأساس فى كون الأرض بيئة صالحة لبقاء الحياة واستمرارها. على أن الإنسان فى هذا التدرج لا يكون معزولاً فى بيئة معينة لا يتأثر بغيرها، فكوكب الأرض يتأثر بمكونات الكون الأخرى. وهذا يعنى فى الواقع أن هناك بيئة كبرى واحدة تتمثل فى الكون بأسره، وما يحدث فى جزء منه يؤثر فى الكل، إلا أن العلم فى اهتمامه بالجزيئات، ينطلق من البيت والأرض لتحديد إطار البيئة الشامل وفهم معناها، لأن النظرة الكلية الشاملة مرة واحدة إلى بيئة الإنسان الكبرى متمثلة فى الكون بأسره من شأنها أن تقود إلى متاهة كثيرة القنوات تضيع فيها فرصة فهم المعنى الحقيقى للبيئة، وهذه واحدة من أهم المشكلات التى يواجهها الإنسان فى التعامل مع البيئة وقضاياها، ويمكن أن تعالجها الفلسفة بهدى من تعاليم الإسلام.

من ناحية أخرى، يمكن النظر أيضا إلى تعريف «البيئة» من خلال الأنشطة البشرية المختلفة، فنقول: البيئة الزراعية، والبيئة

---

(٣) رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني: البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٢، ذو القعدة/ ذو الحجة ١٣٩٩هـ- أكتوبر ١٩٧٩م.

الجينات Genes (أو المورثات) هى تجمعات المواد الكيماوية التى تحتوى على شفرة الصفات الوراثية للكائن الحى، وتنتظم الجينات فى جسيمات أو خيوط متشابكة فى داخل نواة كل خلية من خلايا الجسم (الشبكة النووية)، وتعرف هذه الجسيمات بالكروموسومات (أو الصبغيات)، ويكون عددها ثابتا فى النوع الواحد من الكائنات الحية. فالإنسان مثلاً تحوى كل خلية من خلايا جسمه ٤٦ كروموسوماً، نصفها من الأم ونصفها الآخر من الأب، وتتحد الصفات الوراثية للفرد عند لحظة الإخصاب.

الصناعية والبيئة الاجتماعية، والبيئة الثقافية.. إلى آخره. ذلك لأن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها في بيئة ما بعد الولادة تحددها أنماط التفاعل مع عناصر ومكونات هذه البيئة، بما فيها من يمثل بني جنسه، فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته، وإنما تشمل «البيئة» أيضا علاقة الإنسان بالإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم والأديان. وإغفال هذه المعاني عند تعريف «البيئة» يزيد من تفاقم مشكلاتها، ذلك أن الاقتصار على التفسير المادي للبيئة يعوق أي جهد يبذل لتقديم الحلول الشافية لمشكلاتها. وهنا، مرة ثانية يمكن أن تتدخل الفلسفة أو الرؤية الإسلامية، بهدي من تعاليم الإسلام الحنيف، إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة لتصحيح النظرة المادية للبيئة، وتصويب الأخطاء التي وقع فيها الإنسان، ومداواة الخلل الذي أحدثه في منظومة العلاقة بينه وبين البيئة (الكون).

● علم البيئة ومشكلات التلوث البيئي:

علم البيئة، أو الإيكولوجيا Ecology، من العلوم البينيّة الحديثة التي تتجاذبها اختصاصات علمية متعددة (طبيعية وإنسانية)، وهو يُعنَى بالبحث في العلاقات المتبادلة بين الكائنات والبيئة المحيطة بها، ويتتبع أسباب الخلل الذي يحدث في التوازن البيئي للنظم البيئية ليقف على تأثيراته المباشرة وغير المباشرة، ويحذر من أخطاره العاجلة والآجلة، ويدل على أفضل الطرق لمكافحة التلوث والقضاء عليه، وهكذا نجد أن علم البيئة (الإيكولوجيا) يتضمن مفهومين هامين يحتاجان إلى إيضاح:

(أ) أما المفهوم الأول فيتعلق بمصطلح «النظام البيئي» Ecosystem، ويطلق على أيّة وحدة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية، تتفاعل مع بعضها البعض لتكوّن نظاماً مستقرا في إطار التوازن الكوني الشامل الذي قدّره الخالق - سبحانه وتعالى - لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة. فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنظم بيئية محدودة. وأكبر النظم البيئية التي نعرفها في الكون هو ذلك الحيِّز الذي تظهر فيه الحياة على سطح الأرض، مشتملا على الإنسان والحيوان والنبات، ويعرف باسم الغلاف (أو المحيط) الحيوي Biosphere. وكل شيء في شبكة الغلاف الحيوي مرتبط بكل الأشياء الأخرى، والخلل الذي يحدثه الإنسان في مكان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة في أماكن أخرى قريبة أو بعيدة بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة. أي أن النظم البيئية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض.

والتوازن القائم الذي وضعه الله - سبحانه وتعالى - بين مختلف عناصر البيئة يمكن

ملاحظته فى كثير من الأشياء التى تقع حولنا. مثال ذلك ما يقوم به النبات من امتصاص لغاز ثانى أكسيد الكربون الموجود فى الهواء لاستخدامه فى صنع غذائه بواسطة عملية التمثيل الضوئى التى يتولد منها غاز الأكسجين كناتج ثانوى تستهلكه الحيوانات المختلفة فى عملياتها الحيوية، وفى الحصول على الطاقة اللازمة، وتطلق بدورها غاز ثانى أكسيد الكربون ليبدأ دورته من جديد. وإذا تأملنا النظام البيئى الأكبر فى محيط الأرض الحيوى لوجدنا أن كل ما فيه من ماء وهواء ويابسة وطاقة ومخلوقات حية يشكل كلاً متكاملاً يتميز باستمرارية الأخذ والعطاء فى اتزان معجز ودقيق.

(ب) وأما المفهوم الثانى فيتعلق بمصطلح «التلوث» الذى يعنى علميا وجود أىّ مادة أو طاقة فى غير مكانها وزمانها المناسبين بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئى. فالماء يعتبر مادة ملوِّثة إذا ما أضيف إلى التربة بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئى. فالماء يعتبر مادة ملوِّثة إذا ما أضيف إلى التربة بكميْات كبيرة، فيحل محل الهواء فيها ويسبب اختناق جذور النبات. والسماد المضاف إلى التربة الزراعية لتحسين خصوبتها يكون ملوِّثا إذا ما أضيف بكميات غير مناسبة، والنفط يلوث رمال الشواطىء ومياه البحار والأنهار عندما يتسرب إليها، وهكذا يشمل تعريف «التلوث» كل ما يكدّر أو يفسد أيًّا من عناصر البيئة، سواء كان هذا العنصر كائنا حيا كالإنسان والحيوان والنبات، أو مكوِّنا طبيعيا غير حىّ كالهواء والماء والتربة وغيرها.

فهناك، على سبيل المثال، كميات هائلة من الطاقة الحرارية التى تنطلق إلى الجو مباشرة من المصانع، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية، وحرائق الغاز الطبيعى فى مناطق البترول ومصافى تكريره، والمراجل (الغلايات) المتنوعة، ومراكز تحلية مياه البحر، وأماكن التفجير النووى، ووسائل النقل، ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلى والخارجى، وغير ذلك من الآلات الحرارية والنووية. ناهيك عن تزايد مايسمى بتأثير البيت الزجاجى (أو الصوبة، أو الاحتباس الحرارى) الذى يؤدى إلى ارتفاع مستمر فى درجة حرارة الغلاف الجوى نتيجة لزيادة تصاعد غاز ثانى أكسيد الكربون بسبب احتراق كميات هائلة من وقود الفحم والنفط والغازات الطبيعية . ويتوقع العلماء أن يفضى هذا التأثير بحلول عام ٢٠٣٠م إلى ارتفاع فى درجة حرارة الجو يتراوح بين درجتين وأربع درجات مئوية. وبالرغم من أن هذا الارتفاع الحرارى المتوقع يبدو ضئيلا، إلا أن أثره سيكون كبيرا على تغيرات الطقس العام وما يتبع ذلك من حدوث أخطار تهدد مصير الكائنات الحية على الأرض. فدفء الطقس -على سبيل المثال- يؤدى إلى زيادة

حدة الجفاف والرطوبة في بعض المناطق، ويعمل على تفاقم مشاكل التصحر وتآكل التربة الزراعية وإرهاقها في وقت قصير جدا نسبيا، بالإضافة إلى احتمال إذابة قدر من جليد المناطق القطبية وارتفاع مستوى سطح الماء في البحار.

وهناك أيضا تزايد مستمر في معدلات التلوث بالمواد الكيميائية والإشعاعات النووية والأمواج الكهرومغناطيسية والضوضاء وغيرها. هذا بالإضافة إلى ما تتضمنه كلمة «تلوث» من معنى معنوى عندما تدل على تغير ينتاب النفس فيكدرها أو الفكر فيفسده أو الروح فيفطرها، وهذا التغير يكون دائماً إلى ما هو أسوأ، أو يكون تغييرا من أجل غرض ما(٤).

وهكذا وجد الإنسان نفسه متورطاً فى الانشغال الزائد بثورة العلم والتقنية دون النظر إلى آثارها الضارة على مختلف عناصر البيئة، بما في ذلك حياة الإنسان ذاته. وتعالت صيحات التحذير من أخطار التلوث البيئى التى تصيب الحرث والنسل، وكان أهمها انعقاد أكبر مؤتمر قمة عالمية فى تاريخ البشرية فى مدينة «ريودى جانيرو» البرازيلية عام ١٩٩٢م للنظر فى المشكلات البيئية التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض، والاتفاق على معاهدات تنظيم واجبات الدول فى مواجهة مختلف أشكال الخلل البيئى. لكن الضوابط والمعاهدات الدولية التى توصل إليها المجتمعون لم تحقق حتى الآن التوازن المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى. وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٥)

[يتبع]

---

(٤) لمزيد من التفصيل عن مختلف صور التلوث البيئي راجع:

ـ د. أحمد فؤاد باشا، الإنسان ومشكلات التلوث البيئي، مجلة الأزهر، الأعداد: (٢) ١٩٩٢، (٣) ١٩٩٢، (٥) ١٩٩٢م.

ـ رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني، مرجع سابق.

ـ د. أحمد مدحت إسلام، التلوث مشكلة العصر، عالم المعرفة، الكويت، ع ١٥٢، ١٩٩٠م.

ـ د. محمد عبده العودات ود. محمد يحيى ياسهيى، التلوث وحماية البيئة، الرياض ١٩٨٥م.

(٥) سورة الروم: ٤١.

من القلب إلى القلب

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

القلب ذلك العضو الصنوبرى الشكل الرشيق التكوين.. ترى كيف يعمل؟.. وما دوره فى حياتك؟..

إنه بلا مبالغة مضخة الحياة التى يسرى منها الدم إلى كل أجزاء الجسم. ولو أنه توقف ولو لوقت قليل لمات الإنسان فيما لا يزيد على خمس دقائق.. لكن التغييرات التى شهدها مجال القلب وفنونه تغيرت تغيرا كليا. فمنذ ستين عاما كان من المستحيل إجراء عمليات قلب لأى مريض يعانى من مشاكل فى القلب. والسبب أن القلب نفسه لابد له من أن يعمل بانتظام ولا يتوقف وجيبه أثناء العملية. لكن وفى هذه الأيام تمكن الجراحون. ولله الفضل والمنة. من تحييد قلب المريض ورئتيه وعدم الاقتراب منهما وتحاشيهما بكل السبل الممكنة مما جعل من الميسور تنفيذ عمليات جراحية معقدة فى القلب.. بل إن الأطباء خطوا خطوة أكثر جسارة وجرأة. فتمكنوا من استبدال القلب الذى أضنته العلل والأمراض بقلب سليم معاف فيما أصبح يطلق عليه فيما بعد: عمليات زرع القلب.

ووظيفة القلب هى إرسال الدم المتشبع بالأكسجين وتوزيعه بشكل متناسق يجعله يسرى فى كل أعضاء الجسم، وتلك عملية شديدة الحيوية لأن كل خلايا الجسم تحتاج بشكل ماس إلى مدد لا ينقطع من ذلك الأكسجين ونخص بالذكر هنا خلايا المخ، فخلايا ذلك الجهاز الحساس لا تدوم حياتها أكثر من أربع إلى خمس دقائق فى حال انقطاع مدد الأكسجين أو نفاده عنها مما يؤدى بالتالى إلى موت الجسم كله بشكل بطىء..

والأكسجين الذى تتنفسه أنت أيها الإنسان يسرى إلى داخل دمك وينتشر عبر رئتيك، ثم ما يلبث أن يحمل إلى قلبك ثم يعاد ضخه ثانية إلى كل أجزاء جسمك وذلك عبر الشرايين مما يمد كل خلايا جسمك ويزودها بالأكسجين ويستمر حدوث ذلك طالما استمر سريان الدم فى ذلك الجسم، وما أن ينفد ما لديك من مخزون الأكسجين حتى يقوم الدم بالتقاط المواد الضارة والفضلات وثانى أكسيد الكربون وتنقية الخلايا منها وإعادة ذلك الدم إلى القلب وذلك عن طريق الأوردة.

وربما تساءل أحد قائلاً: لماذا لا تكون ضربات القلب ونبضاته متصلة لا فرق بين النبضة والأخرى؟.. والجواب: إن القلب يرتاح ويهدأ في تلك الفترة البسيطة التي تتخلل النبضات حيث يملؤه الدم الوارد إليه من الأوردة. كما أن هناك عملية أخرى أوجدتها العناية الإلهية حفاظاً على ذلك القلب من التلف حيث زود الله ـ عز وجل ـ القلب بصمامات صغيرة مهمتها منع الدم المتدفق من أن يعود إلى الشرايين، ثم يقوم القلب بعد ذلك بدفع ذلك الدم المستعمل وإعادته إلى الرئتين حيث تتم تنقيته من ثاني أكسيد الكربون الذي يخرج في عملية الزفير أثناء التنفس، ويدخل بدلاً منه الأكسجين النقي في عملية الشهيق.

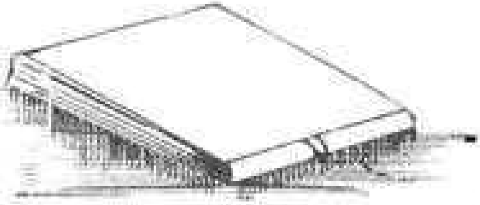
وحتى القرن العشرين لم يكن باستطاعة أي طبيب أن يمس القلب وعندما بدأ الأطباء أخيراً في إجراء عمليات بالقلب كانوا مضطرين إلى استعمال حاسة اللمس فقط في تلك العمليات حيث كان من المستحيل رؤية ما بداخل قلب لا يتوقف عن النبض وقد امتلأ بالدم. لكن كل ذلك تغير تماماً منذ نصف قرن تقريباً حيث تمكن أحد الأطباء في أمريكا من اختراع جهاز يقوم مقام القلب والرئتين ويتولى أداء ما يقوم به القلب والرئتان من وظائف بشكل مؤقت. وتفصيل ذلك أن الدم يمكن أن يسري عبر ذلك الابتكار إلى شتى أجزاء الجسم متحاشين مروره بالقلب حتى يستطيع الجراحون إجراء العملية داخل القلب وهم يبصرون ما يفعلون. إنها إذن الحقبة المعروفة بـ (حقبة عمليات جراحة القلب المفتوح).

ورغم ما يزعم من أن الأنجليزي وليام هارفي هو الذي اكتشف الدورة الدموية، فإن الأطباء العرب وعلى رأسهم الطبيب العربي ابن النفيس هو المكتشف الحقيقي للدورة الدموية فيما أكده المحققون من العلماء. ولقد تمكن الأطباء العرب من معالجة الكثير والكثير من اضطرابات القلب. كما أنه قد تم الكشف مؤخراً عن بردية من برديات قدماء المصريين التي تصف العمليات الجراحية في سنة ١٥٥٠ ق.م وأوضحت هذه البردية أن الأطباء في ذلك الزمن السحيق توصلوا إلى طريقة استطاعوا بها قياس معدل النبض، كما لا ينكر دور المشاهير اللامعين من الأطباء في العصر الحديث في استمرار تطوير عمليات القلب المفتوح وجراحات زرع القلب مما أنقذ بفضل الله ورحمته حياة الآلاف من البشر.

وبعد الإلمام السريع بدنيا القلب وما أودع الله فيه من أسرار وهبات أهمس بكلمات أرجو أن ينير الله بها عقول الحائرين وبصائر المشككين الذين جادلوا في مسألة: هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر؟.. وأكثروا فيها الجدال فأقول: ترى كيف كان سيصبح الحال لو صرت مُخَيَّراً في أمور بدنك الفسيولوجية من تردد أنفاسك بين شهيق وزفير وجريان دم العروق وتبضات قلب لا تتوقف ولا تفتر ليلاً أو نهاراً وحركات أمعاء وغير ذلك؟!

والجواب معروف: فمن رحمة الله أن تولى عنك تنظيم وتصريف تلك المسئوليات الجسام والمهام العظام. فاحمد الله كل الحمد واشكره جزيل الشكر وفوض له الأمر.

دوحة الكتب



إعداد:
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر، يظل الكتاب رافداً من أهم روافد الإشعاع الثقافى؛ ولذا نقدم - دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة - تعريفاً بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية.

المحرر

عذاب القبر ونعيمه

تأليف
جمال عبد الفتاح البنا

التوزيع
زين العابدين
الإسلامية بالعمرانية

أيها القارئ الكريم.. فى الآونة الأخيرة ترددت الأقاويل وكثر الجدال وانتشرت الإرهاصات عن إنكار عذاب القبر ونعيمه والتشكيك فيما ورد من الأدلة فى ذلك، وللأسف فإنهم ينتسبون إلى الإسلام، ولو قاله غير المسلمين لكان أهون علينا، فلقد مُنى الإسلام من قديم الزمان بأعداء لا يناموت، يضمرون له الكيد وينسجون الخيوط ويدبرون المؤامرات لذهاب دولة الإسلام وحاولوا تشكيك المسلمين فى عقائدهم وفى عذاب القبر.

هذا الكتاب هو الدليل لكل حائر يبحث عن الحقيقة التي تمحى كل شك أثير في هذا الموضوع.

ففي الباب الأول تحدث عن كل من أنكر عذاب القبر حيث ذكر ثبوت عذاب القبر بالكتاب والسنة، والإيمان به واجب، وهو غيب لا عمل للعقل فيه.

ثم تحدث عن حاجة المسلم إلى سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - واستقلال السنة بالتشريع كتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها وتحريم سائر القرابات من الرضاعة عدا ما نص عليه في القرآن إلحاقاً لهن بالمحرمات من النسب.

أيضاً تحدث عن القبر والسُّنَّة وكلام السلف ومترادفات القبر.

ثم أشار في الباب الثالث إلى أن عذاب القبر حق وذكر الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من القرآن في سورة الأنعام وإبراهيم والمؤمنون وطه ونوح وغافر ثم الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من السنة، وذكر عدة أحاديث.

وطرح عدة اعتراضات وقام بالرد عليها، كسمع أهل القبور وكلامهم، وهل عذاب القبر دائم أم منقطع، وهل النار التي في القبور ليست من نار الدنيا؟

أيضاً أشار إلى الحكمة في حجب عذاب القبر عن الناس دون البهائم..

ثم هل تعرض أعمال الأحياء على الموتى، وهل الموتى يسألون عن الأحياء ويعرفون



أقوالهم وأعمالهم وزيارتهم لهم، وهل تأكل الأرض أجساد الأنبياء؟ وهل الأرواح تُعاد إلى الأبدان في القبور مع كونها في الجنة أو النيران؟ أيضا تحدث عن إحياء الأنبياء في قبورهم وهل يلقَّن الميت في قبره بعد الفراغ من دفنه وضمة القبر؟

ثم تحدث عن النعيم في القبر وأنواع عذاب القبر وأسبابه.

وأشار أيضا إلى الأحكام الفقهية الخاصة بدفن الميت وأحكام الدفن وتلقين الميِّت وستر القبر ثم ما ينفع الميت في قبره.

وأخيراً الخاتمة التي بيَّن فيها عالم البرزخ وما فيه بالأدلة من الكتاب والسنة ولعل كل هذه الأدلة تذكر هؤلاء القلة لعلهم يرجعون إلى الله وليعلم هؤلاء أن أعمالهم فانية وسوف تنقلب عليهم يوم القيامة حسرة وندامة..

السحر والشعر

تأليف
لسان الدين بن الخطيب السلماني
الناشر
دار الفضيلة للنشر والتوزيع



عزيزي القارىء.. ما أكثر ما حقق من كتب تراثية ومخطوطات في عصرنا الحديث وقد أصبح من اليسير أن يقوم البعض باختيار مخطوطة ما أو كتب تراثية، فليس كل ما يحقق وليس كل ما يختار من موضوعات أو مخطوطات، ولكننا اليوم نقف أمام مخطوطة يسرنا أن نعرضها عليكم في هذا العدد وهي لذي الوزارتين: لسان الدين بن الخطيب أبي عبدالله محمد بن الخطيب السلماني الغرناطي الذي ولد بمدينة لوشة سنة ٧١٣هـ نوفمبر سنة ١٣١٣م، وهي مدينة قريبة من غرناطة إحدى المدن الأندلسية الشهيرة أيام الحكم الإسلامي، حيث النشأة والدراسة، وتلقى العلم والأدب، فدرس اللغة والشريعة والأدب على يد أقطاب العصر، هذا المخطوط أهداه ابن الخطيب لأكبر أبنائه عبدالله في مناسبة بلوغه سن الرشد مختاراً له باقة من نفائس الشعر من مختلف فنونه وألوانه ما بين مدح، ووصف ونسب وما انتقاه من الروائع لمشاهير الشعراء، جاهليين وإسلاميين وأمويين وعباسيين ومغاربة وأندلسيين.

إضافة إلى باقة من شعره ترقى بدورها إلى نفس المرتبة من نفائس أقرانه القدامى والمعاصرين.

وهذا الكتاب باعتبار ما تضمنه من نتاج الشعراء يمكننا أن نطلق عليه مصنفاً أكثر منه مؤلفاً.

وقد بيَّن المؤلف في مقدمته سبب تصنيفه له وأيضاً سبب التسمية (السحر والشعر).

وتضمن الكتاب نسخة كاملة للمخطوط في جزءين من بين جميع النسخ الأخرى وهي نسخة الخزانة العامة بالرباط التي تحمل رقم (١٢١ د) وهي نسخة ملكية لجودة خطها، والاحتفاظ بها بالخزانة وإيراد بعض كلماتها باللون المذهب، إضافة إلى أن عنوان الموضوعات قد كتب بالخط البارز الملون وتقع في ٢٥٠ لوحة من الحجم أقل من المتوسط ومسطرتها ١٢,٥ × ١٠ سم ومكتوبة بخط أندلسي جميل بالإضافة إلى أربعة مخطوطات أخرى رجع إليها المحققان.

وتحدث الكتاب عن تربية ابن الخطيب بين أسرة عرفت بالأصالة والعلم والجاه واشتغل ابن

الخطيب بالسياسة وظفر بمكانة ممتازة لدى السلطان -محمد الغني بالله ملك غرناطة- إذ منحه ثقة الملك، كأبيه من قبل، وخلع عليه لقب (ذو الوزارتين) لجمعه بين الكتابة والوزارة.

ثم تحدث المحققان عن المؤلف ومؤلفاته ومصنفاته وقد بلغ عددها ما يربو على الستين مؤلفاً في شتى الفنون من أدب وتاريخ وتصوف وسياسة وطب وموسيقى.

بعد ذلك تحدثا عن المصنف في مقدمة طويلة ثم قسم الكتاب إلى أبواب منها: المدح وباب الفخر وباب الرثاء وباب النسيب وباب الوصف وباب الحِكَم والجد.

أما الجزء الثاني من الكتاب فقد اشتمل على مقدمة وعدة أبواب نذكر منها: باب الغزل وباب الوصف وباب الرثاء.

وأخيراً عزيزي القارىء إنك لن تجد أحسن من هذا الاختيار والتنسيق الشعري لابن الخطيب، فقد كان اختياره للأبيات قائما على أساس من سحر القول قبل أي اعتبار، فساق الأبيات التي تشير إلى أن قوة السحر في الشعر لترى الإنسان هيئة الظلام الدامس، كالنور المتوهج واستدل على تلك القوة التأثيرية للشعر في النفوس بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة»[1].

إعجاز القرآن الكريم

تأليف

د. فضل حسن عباس

سناء فضل عباس

الناشر

دار الفرقان بالأردن



أيها القارىء الكريم: إن إعجاز القرآن الكريم لهو من أعظم الموضوعات وأجلها وضوحا وأفيدها للإنسانية جمعاء فما زال الإعجاز قائماً ما دام الزمن باق، فالقرآن مازال، وسيبقى معجزة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو من أعظم الموضوعات شأنا وأجلها.

وهذا الكتاب قد حرص فيه المؤلف على حسن العرض، ويُسر الأسلوب، وجدة المادة، وسهولة العبارة.

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٠٧).

وقد بدأ المؤلف كتابه هذا بتمهيد عن حاجة الناس إلى الرسل وتأييدهم بالمعجزات، وبيّن فيه المعجزة، بأن أصل مادة معجزة، العجز، والعجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره، والمعجزة هي ما يدل على تصديق الله - تعالى- للمدعي في دعواه الرسالة أو هي تأييد الله، مدعي النبوة، بما يؤيد دعواه ليصدقه الرسل إليهم.

وتحدث عن شروط المعجزة والفرق بين المعجزة والكرامة، والمعجزة والسحر، ثم بقاء معجزة النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وأشار إلى إعجاز القرآن، ومتى ظهرت كلمة معجزة ثم وجوه الإعجاز.. وانطلق المؤلف إلى الباب الأول حيث تاريخ الإعجاز وقسّمه إلى فصول:

كان الفصل الأول عن جهود الأقدمين وتحدث فيه عن دور الإشارات وبيان إعجاز القرآن للخطابي، والوجه المختار في إعجاز القرآن، ثم دور الرسائل والدور الثالث دور الكتب.

وأشار إلى وجوه إعجاز القرآن عند الباقلاني، والقاضي عبدالجبار الهمذاني، وعبدالقاهر الجرجاني، والإمام الزمخشري.

أما في الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن: المحدثون والإعجاز، كالإعجاز للرافعي، ود. محمد عبدالله دراز، وسيد قطب، وبنت الشاطئ، والشعراوي.

أيضاً أشار إلى الإعجاز البياني وأهميته والكلمة القرآنية، ودعوى الترادف ورسالة الحرف والجملة القرآنية، والإعجاز في الفاصلة القرآنية ثم قضية التكرار، ودعوى الزيادة في كتاب الله.

وانتقل المؤلف بعد ذلك إلى الإعجاز العلمي وتحدث فيه عن آراء العلماء في تفسير الآيات تفسيراً علمياً. وتحدث أيضاً إلى المانعين في القديم والحديث كالشاطبي والشيخ شلتوت.

أما المثبتون في القديم والحديث في الإعجاز العلمي ذكر منهم: الإمام الغزالي، والإمام الرازي، والسيوطي، ومحمد عبده، ومحمد الغمراوي، وذكر المؤلف نماذج من التفسير العلمي كخلق الإنسان وأطوار الخلق.

أما في الفصل الثالث فقد وضع فيه الإعجاز التشريعي مبيناً أنه لا ينفصل عن الإعجاز البياني.

ثم تحدث عن تشريعات الرومان وقصورها وجوانب التشريعات، وذكر المؤلف نماذج من تشريعات القرآن مقارنة مع غيرها مثل: الزكاة - الرق - الميراث - الطلاق.

وفي الفصل الرابع أخبار الغيب في القرآن الكريم، كإخبار القرآن عن الأمم السالفة وإخباره عن أحداث المستقبل.

ووضع في الفصل الخامس الإعجاز النفسي والإعجاز الروحي. وقد ذكر بعض الكاتبين أن الإعجاز النفسي له أكثر من مظهر مثل: الحديث عن النفس الإنسانية، تأثير القرآن في النفس الإنسانية، تمزيق القرآن لحواجز النفس الإنسانية.

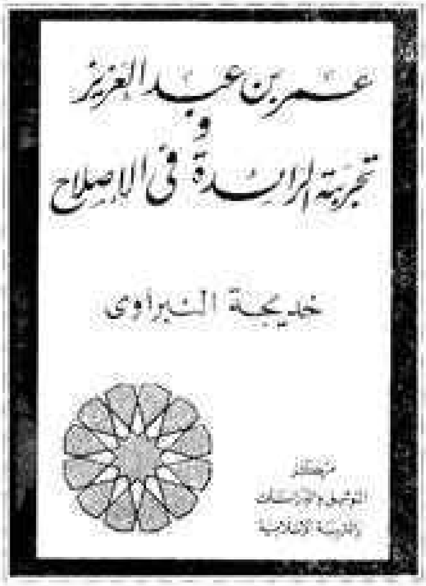
والإعجاز الروحي هو ذلكم التأثير العظيم لهذا القرآن على النفوس هيبة وحلاوة ورغبة ورهبة.

وعن الإعجاز العددي كان حديث المؤلفان في الفصل السادس والأخير وذكر فيه الاختلاف حول الفوائد العلمية وهل هو وارد في تراثنا الإعجازي؟ مستدلين بالإمام الباقلاني والإمام الزمخشري.

وأخيراً.. لقد حاول المؤلفان أن يجعلا الموضوع في يُسر وسهولة وجودة في العرض كتبسيط أسلوب الأئمة السابقين مع الدقة والأمانة والابتعاد عن كل ما فيه تكلف وأن تكون الأمثلة العملية بما يمس حياتنا مساً مباشراً.

عمر بن عبد العزيز وتجربته الرائدة فى الإصلاح

تأليف
خديجة النبراوى
الناشر
مركز التوثيق والدراسات



أيها القارئ الكريم مهما كتبت بكل معانى اللغة والاستعارات البلاغية وحلاوة الألفاظ وأعظمها، فإن ما أكتب قبس من بحور الدنيا لسيرة ما أعظمها لبثت من المنبع الذى استقى منه مبادئه، إنها سيرة عمر بن عبدالعزيز -رضى الله عنه- الذى جعل العدل والحب والرحمة والمساواة ركيزة إسلامية تجعل المسلمين فى قوة واعتصام.

والكتاب الذى بين أيدينا يُعتبر واحداً من ضمن آلاف الكتب التى أسهب الكُتّاب والمفكرون فى التحدث والكتابة عن تلك الشخصية الإسلامية التى جمعت نواحى العظمة واستأثرت بوجدان المسلمين وإعجابهم والذى ما زال يزداد يوماً بعد يوم، كلما ذكرت سيرة هذا الخليفة العادل حفيد عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- الذى أرسى قواعد العدل.

ومن هنا تتبلور تلك المعجزة الخالدة التى حققها (عمر بن عبدالعزيز) عندما تولى خلافة الأمة الإسلامية حيث برهن بالدليل العملى القاطع أن روح الإسلام ستظل دوماً وأبداً قادرة على انتشال الأمة من كل مهاوى الضياع التى وصلت إليها.

بدأت المؤلفة الحديث عن حياة الخليفة الزاهد، بلمحة إجمالية لنعرف أن ذيوع الصيت بالثناء عليه والذكر الحسن لا يأتى من العدم، بل هو تتويج لعوامل كثيرة منها: شخصية الإنسان - عوامل وراثته - نشأته - تعليمه - الظروف المحيطة به - جهاد نفسه ضد نزعاتها الدنيوية والشيطانية - درجة يقينه بالعقيدة التى آمن بها.

ثم إشارات إلى نشأته واختيار جده الأكبر سيدنا عمر بن الخطاب - وهو أمير المؤمنين - زوجة لابنه وهى مجرد بائعة لبن لتقواها وخشيتها الله فى السر قبل العلن، فزوجها لابنه عاصم قائلا له بفراسة المؤمن الذى يرى

بنور الله: «تزوجها يا بنى والله ليوشكن أن تأتى بفارس يسود العرب».

وتربية عمر على أيدى أكبر العلماء والفقهاء فى شتى أنواع العلوم.

وكانت البداية محيّرة للمؤلفة لأنها تقف أمام بحر متلاطم الأمواج، فكيف الخوض فى تلك الأمواج، فضلاً عن الخوض فى أعماق ذلك البحر، وعمر بن عبدالعزيز هو بحر لا تستطيع أن تحدد البداية فيه.

لكننا نجد المؤلفة بدأت الحديث عن دور عمر فى الإصلاح السياسى، فقد خاض ثورة سياسية بكل المفاهيم خلال فترة حكمه الوجيزة، ولكنها على قصرها فقد اشتملت على نواحى إصلاح عديدة تعتبر منهاجاً متكاملاً لنظام حكم يقوم على دعائم ثابتة فى الإصلاح السياسى.

وفى وضعه لمنهج الإصلاح السياسى تحرى الكفاءة فى اختيار العناصر القيادية، ثم إقامة دعائم الفكر السياسى الإسلامى ومجابهة التطرف الفكرى وتحقيق السلام العام فى الدولة، فحرية الفكر التى تدعمها الشريعة الإسلامية هى الحرية القائمة على الوعى والتدبر والتبصر، بما يقود المجتمع إلى ما فيه خيره ورفاهيته، أما حرية الانحلال والإباحية التى تنخر فى عظام الأمة وتعتبر معاول هدم لأركانها فيجادلهما الإسلام بالتى هى أحسن، ليرد النفوس الشاردة إلى مجال الحق والفكر الصائب، فيما لا يهلك القوى العقلية هباءً.

أما الجزء الثانى من الكتاب فأوضحت فيه المؤلفة دور عمر بن عبدالعزيز فى الإصلاح الاقتصادى، وقالت: لقد حقق الإصلاح الاقتصادى بكل مفاهيم العصر الحديث، التوازن المطلوب بين قوى العرض وقوى الطلب وحقق فائضاً فى ميزانية الدولة بحيث زادت الإيرادات عن المصروفات ووجهها من جديد لصالح الأمة.

وطرح منهاجه فى الإصلاح الاقتصادى من حيث المواجهة الفعلية والعدالة الاجتماعية فى توزيع ثروات الأمة وإقامة نظام ضريبى يحقق التوازن الاقتصادى وصيانة المال العام وتشجيع الاستثمار.

أما الجزء الثالث والأخير فكان عن دوره فى الإصلاح الاجتماعى.

وتعتبر تجربة عمر بن عبدالعزيز فى التنمية من قبيل التنمية الشاملة التى تناولت جميع القطاعات فى نفس الوقت وهذا ما يعطيها التميز والإعجاز.

وقد شمل الإصلاح الاجتماعى عدة ميادين: كالاهتمام بتكوين رأى عام قوى ورد المظالم إلى أهلها والرفق بالناس، وشمول مظلة التأمين الاجتماعى.

وأخيراً عزيزى القارىء.. ستظل شخصية عمر بن عبدالعزيز نبع إثراء للمفكرين المسلمين يستخرجون منها كنوزاً ثمينة، تكون معالم على طريق التقدم والحضارة مهما تغيرت الظروف ومهما تقدمت العصور.

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

لغتنا العربية

كم نتمنى أن تسود لغة الضاد، وتشمل كل نشاطات حياتنا، فهي عنوان عروبتنا ورمز عزتنا ولغة قرآننا. وإن المتأمل لصور الغزو الحديث للشعوب، يجدها تتمثل في الغزو الثقافي، الذي يستهدف أولاً اللغة، فهدم اللغة هو في الواقع هدم لكيان أهلها، إذ اللغة هي الإطار الذي يجمع شملهم، فإذا ذاب هذا الإطار تفرقوا واندثروا.

وليست هناك لغة لاقت مثلما لاقت وتلاقى اللغة العربية باعتبارها لغة الإسلام والوعاء الحافظ لأحكامه.

فتارة يأتيها الغزو من أعدائها، وأخرى ممن يعدون أبناءها.

ولكن الله ـ تعالى ـ الذى تكفل بحفظ كتابه، يجند لهذه اللغة جنوداً يدافعون عنها ويحمون حماها.

ومما يحمل بشائر الخير، ويؤكد أن للغة العربية جنوداً يسهرون لأجلها. تلك الرسالة التي وصلتنا من الأستاذ الدكتور محمد يونس الحملاوى.. وتضم:

* العدد الأول من رسالة التعريب ـ التي تصدرها الجمعية المصرية لتعريب العلوم. وقد اشتمل على عدة مقالات قيِّمة هي:

– ضروريات لقضية التعريب.

– التعريب وجودة التعليم الهندسي

– أثر لغة التعليم في المرحلة الثانوية في استمرار التفوق في المرحلة الجامعية.

– أرقامنا العربية المشرقية الأصلية.

– لغة القوم وتقدمهم العلمي.

– تعريف بالتعريب في العلوم الهندسية.

كما ضمت الرسالة:

* دعوة لكل المهتمين بتعريب العلوم لتقديم بحوث (المؤتمر السنوي السابع لتعريب العلوم ـ بالقاهرة).

* وكذا توصيات ندوة الأرقام العربية: القضية والحل المنعقدة بجامعة الدول العربية بالقاهرة في ١٨ من شعبان ١٤٢١هـ ـ ١٤ من نوفمبر ٢٠٠٠م.

ونحن إذ نشكر للأستاذ الدكتور الحملاوى كريم رسالته للمجلة نتمنى للقائمين على أمر «الجمعية المصرية لتعريب العلوم» كل التوفيق وننتظر ذلك اليوم الذى تسود فيه اللغة العربية كل المحافل العلمية.. وإن مجلة الأزهر تنشر هذه الدعوة إلى كل من يهمه أمر اللغة العربية..

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة عين شمس	الجمعية المصرية لتعريب العلوم

النشرة الثالثة ودعوة لتقديم بحوث

المؤتمر السنوى السابع لتعريب العلوم بالقاهرة

تعريب العلوم فى منظومة التنمية القومية

أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس
١٣ : ١٥ ذو القعدة ١٤٢١ هـ
(٦ : ٨ فبراير ٢٠٠١م)
دار الضيافة ـ جامعة عين شمس
العباسية ـ القاهرة

الجمعية المصرية لتعريب العلوم
ص.ب ٥٣٠١ غرب مصر الجديدة
القاهرة ١١٧٧١، مصر
ناسوخ (فاكس) ٦٣٧٧٤٤٦
البريد الإلكترونى
mhamalwy @ hotmail.com

تنظم جامعة عين شمس والجمعية المصرية لتعريب العلوم المؤتمر السنوى السابع بالقاهرة، استمراراً لأداء رسالتها فى دفع مسيرة التعريب. لقد انصرف اهتمامنا فى مؤتمراتنا السابقة إلى بحث العديد من أوجه قضية التعريب، ومن ثم رأينا أن يهتم مؤتمرنا هذا بقضية التعريب من منظور التنمية القومية، على مستوى الأفراد والمؤسسات.

ومن ثمَّ تكون محاور المؤتمر كالآتى:

- تقييم التعليم بالعربية فى الكليات غير المعربة.
- تقييم أداء الشُعَب التى تدرس بغير اللغة العربية فى الكليات المعرَّبة.
- تقييم أداء خريجى المدارس العربية ومدارس اللغات الأجنبية فى الجامعات.
- تقييم تدريس العلوم باللغة العربية وباللغات الأجنبية فى التعليم العام.
- تقييم استخدام منظومتى الأرقام المشرقية والمغربية فى الكتابة العربية.
- تقييم استخدام الحروف العربية فى الرموز العلمية.
- أسلوب تدريس اللغة العربية واللغات الأجنبية فى الجامعات لغير المتخصصين فيها.
- حصر واقع التعريب فى مختلف المعاهد والمؤسسات.
- تعريب التعليم والعولمة.
- اللغة والهوية.
- معوقات التعريب.
- اقتصاديات تعريب التعليم العالى والجامعى.

- إعداد برامج علمية تعليمية باللغة العربية.
- تيسير استخدام شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) بالنسبة للبريد الإلكتروني وآليات البحث وغيرها من المجالات.
- تعريب اللغات الحاسوبية.
- استخدام تقنيات المعلومات في منظومة التعريب.

ترسل البحوث في إطار محاور المؤتمر مكتوبة باللغة العربية ويرجى ألا يتعدى البحث كاملاً بالموضحات خمس عشرة صفحة، علماً بأن البحوث خاضعة للتحكيم وسوف يتم نشر البحوث المقبولة منها في كتاب المؤتمر.

على أن يرسل البحث مكتوباً على الحاسوب نظام (أ. ب. م) برنامج الكلمة (وورد) الإصدار السادس، وبشرط أن يرفق القرص مع البحث المطبوع أو يرسل بالبريد الإلكتروني على عنوان الجمعية.

مواعيد مهمة

استلام نص الباحث كاملاً حتى ١ يناير ٢٠٠١م.

إعلام الباحث بقبول البحث حتى ١٥ يناير ٢٠٠١م.

حلقتى النقاش

يتضمن المؤتمر حلقتي نقاش تعالجان القضيتين التاليتين:

١- الجدوى الاقتصادية لمنظومة تعريب العلوم.

٢- لغة التعليم في المدارس التجريبية والخاصة.

ترسل أوراق العمل لهاتين الحلقتين في حدود ١٠٠٠ كلمة في موعد غايته الأول من يناير ٢٠٠١م.

نسأل الله - العلي القدير - أن يوفق القائمين على أمر هذه الجمعية إلى ما فيه الخير، وأن يكلل جهودهم بالفلاح وأن يضم هذا المؤتمر من البحوث كل ما هو جاد ونافع لخدمة اللغة العربية، حتى تستعيد مجدها التليد وتشرق من جديد.

... المحرر

اقرأ لهؤلاء في العدد القادم

فضيلة الشيخ/ إبراهيم الدسوقي - وزير الأوقاف الأسبق

الأستاذ الدكتور/ محمد عمارة - المفكر الإسلامي المعروف

الأستاذ الدكتور/ عبدالشافي عبداللطيف أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة الأزهر

رحيل رمضان والانتصار على الشيطان

وعما يجب أن يفعله المؤمن حفاظاً على ما حصل في رمضان كانت هذه الرسالة من الصديق / حاتم إبراهيم محمد ـ من منوف ـ سنجرج . . يقول :

إذا كانت رحمة الله بعباده، وشفقته عليهم قد استدعت مجيء رمضان، بما فيه من خير لهم، ونعم لا تُعَدّ، من مضاعفة الثواب، وتقييد منافذ الشيطان . . . إذا استدعت رحمته ـ تعالى ـ ذلك، فإن العبد لا يجب عليه حيال هذه العطايات والمِنَن أن يقف موقفاً سلبياً بعد انقضاء رمضان، فيضل بعد هُدى، وينحرف بعد استقامة، وينقطع عن ساحة الله بعد اتصاله بها . . . إذ يجب عليه أن ينتهز الفرصة، فيسعى إلى تحصين نفسه، والاغتراف من دواء رمضان لشفاء دائه، ليَخْطُ بها أولى الخُطى نحو طريق الكمال، فلا يجب أن يكون رمضان في تصوره، أياما مباركة تمر وتنقضي ثم يعود بعدها أدراجه منزلقاً في طريق الشيطان.

إن رمضان أبداً لا يكون بهذا الظن الموحش، البعيد كل البُعد عن ماهيته الواضحة، إن الشيطان في رمضان قد حكم الله عليه بأنه بعيد بعيد عن عباده، فلا سبيل له عليهم، ولا طريق يسلكه لغوايتهم . . . ولكن على قدر سعادتنا بهذا الحكم الإلهي، يجب أن نقرن سعادتنا بالحذر الشديد، لأن الشيطان بعد أن حُرِم منا شهراً بأكمله، لابد وأن يتوعدنا ببذل جهده المضاعف، ليعوض ما حُرِمَ منه من غوايتنا، فيهدم ما جمعناه من زاد ينفعنا عند الله.

يقول الدكتور / محمود عمارة :

«لقد كان الشيطان . . وعلى مدى رمضان . . كان مقيداً، واليوم يطلق سراحه . . مستأنفاً رحلة الإفساد من جديد، في محاولات مكرورة للعودة بنا إلى النفق المظلم . . إلى سابق العهد والأوان . . محرومين من هذه المكاسب التي حققناها بالصوم، وإذن . . فواجبنا اليوم أن نأخذ وضع الاستعداد . . حتى نُفَوِّت على الشيطان غرضه، وأولى واجباتنا أن نعرف هدفه ووسيلته . . حتى يكون انطلاقنا لمنازلته نابعاً من فهم عميق . . معين على الانتصار عليه».

إن رمضان يمثل للمؤمنين مرحلة تجديد وإحياء، تجديد للإيمان، وإحياء من الخمول والاضمحلال الذي وسوس به الشيطان.

إن هذا التجديد الذي يبعث الحيوية في النفوس، لا يجب أن يتقادم عليه العهد بمرور رمضان، فيتبخر غالباً، ويذهب أدراج الرياح . . إن الله ـ سبحانه ـ قد قيد الشيطان بإغوائه في رمضان، وزاد فيه من الثواب، لكن هذا الحال لن يدوم ولن يستمر . . إذ سرعان ما ينتهي رمضان، فيعود الشيطان ليبدأ رحلته العدائية من جديد . . ساعتها فقط سوف يعلم الإنسان أنه في حاجة إلى حصن يقيه من الوساوس، وإلى عزيمة قوية يقهر بها تحريض الشيطان وغوايته . . وليس هناك زاد أقوى مما تركه رمضان في النفوس من تربية عالية، وروحانية تمتد جذورها في أعماق القلب لتمثل سهماً قوياً يفتك بالمؤامرة الشيطانية . . فيعز الإنسان ويقوى بعد غلبته للشيطان واستعصائه عليه، وبهذا المنهج الواضح، يصير رمضان موسماً لهزيمة الشيطان وقهره . . فرمضان من العام كله يمثل مكاناً صغيراً تفوح منه رائحة زكية تغمر كل ما حولها من الأرجاء والأركان.

فلسفة العقوبة فى الإسلام

وعن فلسفة العقوبة فى الإسلام كانت رسالة فضيلة الشيخ محمود الساعى محمود / عضو لجنة الفتوى بالسويس..

يقول:

إن من ملامح التكامل فى المنهج الإسلامى.. معالجته الجذرية لقضايا الفرد والمجتمع. بداية بالتربية ثم الترهيب والترغيب او العقوبة.

والعقوبة فى النظام الإسلامى وسيلة من الوسائل التى يعتمدها الإسلام لصيانة المجتمع من غوائل الانحراف والشذوذ.. ولتأديب الجانى وللترهيب من الجناية وللقصاص من المجرم وللحد من الجريمة.

فالإسلام يضع تشريعاته فى ضوء تصوره العميق لطبيعة الناس وقدراتهم ولعوامل الخير والشر النافذ فيهم مبينا ما يضرهم وما ينفعهم وما يسعدهم وما يشقيهم.

فهو لا يتركهم إلى ذواتهم ولا يكلهم إلى نزواتهم، إنه يحضهم على الخير والطهر ويحذرهم من مغبة الانسياق مع الهوى واتباع سبيل غير المؤمن.

وهو - أيضا - يضع من التشريعات والقوانين والإجراءات الاحترازية والزجرية والتربوية ما يضمن سلامة المجتمع وسلامة الأفراد من شتى الجرائم والمحاولات الإجرامية بما يتناسب وطبائع الناس كافة.

فمن الناس من يكفيه النصح والتذكير، ومن الناس من يلزمه التأنيب والتعزير ومنهم من لا ينفع معه سوى العقوبة الزاجرة والقصاص الرادع.

فالعقوبات موانع قبل الفعل زواجر بعده. أى العلم بشريعتها يمنع الإقدام على الفعل، وإيقاعها بعده يمنع من العودة إليه.

يقول الماوردى:

«الحدود زواجر وضعها الله - تعالى - للردع عن ارتكاب ما حظر وترك ما حرم لما فى الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة فجعل الله - تعالى - من زواجر الحدود ما يروّع به ذا الجهالة حذرا من ألم العقوبة وخوفا من نكال الفضيحة ليكون ما حظر من محارمه ممنوعا وما أمر به من فروضه متبوعا... ».

إن طبيعة العقوبات الإسلامية وموافقتها لنوعية الجرائم المحددة لها بالغ الأهمية فى حصول الأثر النفسى الرادع عن ارتكاب الجريمة.

- وإن الإسلام فى تقريره لنوعية العقوبة يحرص على حماية الأخلاق بل يصدر عن هذا الحرص أساسا حين تقريرها وهذا أساس الخلاف فى النظر إلى الجريمة وتصورها بين الإسلام والقوانين الوضعية جمعاء.

- فالقوانين الوضعية تهمل المسائل الأخلاقية إهمالا شبه تام، فهى لا تعاقب على الزنا مثلاً إلا فى حالة الإكراه.. بمعنى: ان الزنا فى تصور القوانين الوضعية ليس جرما بذاته، وإنما الجرم فى الإكراه أو تناول الأجر عليه، أما إذا حصل بالتراضى وبدون أجر فلا ضير فى ذلك، ثم إن هذه القوانين لا تعاقب على شرب الخمر أو على

السكر لذاته، وإنما تعاقب (المشمول) حين يخرج وهو في حالة السكر الشديد إلى الشارع لاحتمال تعرض الناس لإيذائه.

والعلة في استهانة القوانين الوضعية بالأخلاق، أن هذه القوانين لا تقوم على أساس من الدين. وإنما تقوم على أساس الواقع وما تعارف الناس عليه من عادات وتقاليد. والقواعد القانونية الوضعية يضعها عادة الأفراد الظاهرون في المجتمع بالاشتراك مع الحكام. وهم يتأثرون حين وضعها بأهوائهم وضعفهم البشرى، ونزعاتهم الطبيعية إلى التحلل من القيود.

كذلك فإن هذه القواعد قابلة للتغيير والتبديل بحسب أهواء القائمين على أمر الجماعة فكان من الطبيعي أن تهمل القوانين الوضعية المسائل الأخلاقية شيئا فشيئا. وأن يأتي وقت تصبح فيه الإباحية هي القاعدة، والأخلاق الفاضلة هي الاستثناء. ولعل البلاد التي تطبق القوانين الوضعية قد وصلت هذا الحد الآن.

من أعلام الإسلام المعاصرين

محمود شيت خطاب

من القارىء الأستاذ / خضر الولي.. وردت هذه الرسالة التي تحمل معاني الوفاء والتقدير للراحل الكبير محمود شيت خطاب..

يقول فيها:

فقد الوسط العلمي والفكري علماً خفاقاً من أعلام الإسلام البارزين.. عضواً مجمعياً، بعدة مجامع عربية وإسلامية منها: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف ومنها: المجمع العلمي العراقي، ذلك هو اللواء الركن المتقاعد الحاج محمود شيت خطاب عن (٧٩) عاماً قضاها في خدمة وطنه، وأمته العربية والإسلامية، بالمشاركة الجهادية والعلمية، وله فيها مواقف مشرفة وثابتة، في معارك المصير التي خاضها جيشنا الباسل ضد قوى الشر والعدوان.

وللفقيد صولات، وجولات بطولية متميزة، وبخاصة حين تطوع في الحرب، للدفاع عن عروبة فلسطين عام ١٩٤٨م إذ بقي على أرضها جندياً مقاتلاً عاماً كاملاً، وهو برتبة نقيب على الرغم من وقف إطلاق النار بين العرب واليهود الغاصبين، وحقق في حينه انتصارات مشهودة، وحارب المستعمر البريطاني، وظل مدافعاً عن هويته القومية،

وشارك في ثورة أيار ١٩٤١م.

ولد الفقيد في مدينة الموصل عام ١٩١٩، من أبوين عربيين ونشأ في بيت علم يتلو أفراده القرآن الكريم صباح مساء، كما ضم مكتبة عامرة، بمصادرها العلمية، وقد درس القرآن الكريم، وعلوم اللغة، والفقه، والشريعة، وأصول الدين، على أيدي رجال محنكين ملتزمين بتطبيق شريعتنا السمحة، وفي هذه المدينة الزاهرة أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٣٧م وتخرج في الكلية العسكرية عام ١٩٣٨م ومن كلية الأقدمين للدراسات العليا في إنجلترا عام ١٩٥٥.

في سنة ١٩٦٣ عُين وزيراً للبلديات، واختير عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٩٦ حيث أصبح عضو شرف فيه، كما اختير عضواً في المجامع العلمية في القاهرة، ودمشق، والأردن والمغرب. ومنها مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف وله أكثر من أربعين كتاباً، وله عشرات البحوث، والدراسات العسكرية، والتاريخية، ومن أبرز مؤلفاته: كتاب (الرسول القائد محمد ـ ﷺ) عام ١٩٥٨م وقد تُرجِمَ إلى اللغة الفرنسية، و (جيش المسلمين في عهد بني أمية) و (أبو عبيدة عامر بن الجراح) و (إرادة القتال في الجيش الإسلامي) و (حقيقة إسرائيل) و (دروس في الكتمان من الرسول القائد) و (الوجيز في العسكرية الإسرائيلية) و (أسرار الحرب العالمية الثانية – ترجمة لكونتر بلومنتريت) و (سلسلة قادة الفتح الإسلامي في ستة عشر جزءاً) و (الشورى العسكرية النبوية) وأربعة أجزاء في العلوم العسكرية ومفرداتها.

يعتبر الحاج محمود شيت خطاب من أبرز المفكرين الإسلاميين العسكريين العرب، القلائل علماً ومتابعة للأحداث السياسية.

لقد فقد الوسط العلمي العراقي، والعربي عالماً بارزاً من علمائه، إذ لم يتوقف عطاؤه في البحث والدراسة حتى رحيله يرحمه الله وجزاه خيرا عما قدم للعروبة والإسلام.

وإنا إذ نشكر للقارئ الكريم الأستاذ خضر الولي مشاركته بهذه اللمحة الخاطفة، ندعو السادة الكتاب الكرام لتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل يتناول جهاد الراحل الكريم في سبيل الإسلام.. والله المستعان.

من إبداعات القراء:

نهنئ الأمة الإسلامية بحلول عيد الفطر المبارك ونقدم للقارئ عماد عبد المنعم هذه الإشراقة الشعرية..

إشراقة العيد..
وانتفاضة القدس الشريف

هي الأيامُ: في طيٍّ ونشرٍ … يُداولها الإله .. ليوم حشرِ
وبين الناس تمضي في مضاء … وفاز السالكون: طريق خيرِ
مضى رمضانُ في خطوٍ سريعٍ … وودعناه .. في تعظيم قدرِ
وجاء العيدُ يرفل في دمقسٍ … لأطفالٍ ترفُّ رفيف زهرِ
وشمسٍ بالصباح تشعُّ حسناً … على دنيا الرياض، وشطِّ نهرِ

***

نقود العيد في يدهم عطاءٌ … يُضيء وجوههم من فرط بشرِ
(فعيدياتهم) صارت سبيلا … لأحباب لهم، ولشد أزرِ
مضى الشهداء منهم في شموخٍ … إلى عرصات جنّاتٍ وبرِّ
فكم قد مسّهم في القدس بغيٌ … أحاط بأهلهم، بفنون غدرِ
بسلب الأرض واستنزاف قوتٍ … وزرع الشر من بحرٍ وبرِّ
يصبّون البلاء بلا ارتداعٍ … بأسلحة الدمار .. بكلِّ شرِّ
على عُزلٍ أباة .. دون حولٍ … وتشريد بدا في كل قُطرِ
وقد صاموا قياماً واحتسابا … على إفطار .. مسغبة وحرِّ

***

يقاوم شعبهم بحديد عزمٍ … ويرسف بعضهم في قيد أسرِ
وقد صرخت دماءٌ في الحنايا … ليهول الخطب بعد نفاد صبرِ
وإنّ العيد، حقّ العيد، يوم … يثبّت جمعنا في كل أمرِ
ويرفع رأسنا في الناس طُرّاً … ويكلؤنا بنصرٍ، بعد إصرِ

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسي

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور / محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه بمشيخة الأزهر بحديقة الخالدين بالدراسة سعادة الأستاذ / مير آقاى المساعد الدولى لرئيس المجمع العالمى للتقريب بين المذاهب الإسلامية بإيران، يرافقه سعادة سفير إيران بالقاهرة بمناسبة انتهاء عمله، والسيد محمد رضا حسين دوس الملحق الثقافى لدى البعثة الإيرانية.

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالضيف ومرافقيه فى الأزهر الشريف مُعَبِّراً للضيف بأن الأزهر الشريف دائماً فى خدمة المسلمين فى شتى بقاع المعمورة، وأوضح أن العلاقة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة إيران علاقة طيبة وفى تقدم دائم، وأن القضايا ذات الاهتمام المشترك يتم التشاور فيها بشكل طيب.

شكر السادة الضيوف فضيلة الإمام الأكبر على حُسْن اللقاء وأوضح رئيس الوفد بأنه يحمل تحيات رئيس وعُلماء وشعب إيران لفضيلة الإمام الأكبر ولشعب مصر العظيم ولرئيسه وحكومته الرشيدة على التعاون المثمر بين البلدين الشقيقين.

ودار الحديث حول عقد دورات مكثفة لتعليم اللغة الفارسية لعدد أربعين من أساتذة جامعة الأزهر الشريف والجامعات المصرية الأخرى بكلية التربية بطهران، وأيضاً هناك رغبة قوية من أساتذة الجامعات الإسلامية الإيرانية فى تقوية لغتهم العربية وتحسينها بجمهورية مصر العربية تحت إشراف الأزهر الشريف، وذلك فى إطار التبادل والتعاون الثقافى بين البلدين.

كما تمت مناقشة الإعداد للمهرجان الإسلامى الكبير الذى سيعقد فى مدينة قُمّ بإيران، وذلك فى ٨/١/٢٠٠١ والتأكيد على مشاركة علماء من الأزهر الشريف بالحضور وبالمشاركة فى تقديم أبحاث عن فضيلة المرحوم الشيخ /

محمود شلتوت.. شيخ الأزهر الأسبق للتقريب بين المذاهب.

وفي نهاية اللقاء وعدهم فضيلة الإمام الأكبر بدراسة طلباتهم تمهيداً لتلبيتها

حضر اللقاء فضيلة الشيخ / محمود عاشور.. وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير / محمد ويدر اوغو.. سفير بوركينا فاسو بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف موضحاً بأن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً في تقديم العون والمساعدة لأبناء بوركينا فاسو الذين يدرسون على منح دراسية من الأزهر وهم يعاملون معاملة طيبة شأن زملائهم طلاب مصر ونحن نرحب بهم أبناء لنا في مصر وأزهرها الشريف ونفتح لهم قلوبنا قبل أبوابنا.

شكر الضيف فضيلته على الاهتمام بطلبة بلاده مشيداً بعمق المحبة لمصر ولأزهرها وعلمائها، كما قدم امتنانه على تدريب الأئمة والدعاة في الأزهر وهذا كله له أثر طيب وفعَّال لدى الدولة والشعب على السواء، كما أبلغ الضيف تحيات وتقدير حكومة وشعب بلاده على ما تقدمه مصر وأزهرها الشريف وخاصة على المنح الدراسية التي زادت من ٧٠ طالباً وطالبة إلى ١٠٠ طالب وطالبة.. هذا العام.. ويلقون المعاملة الحسنة الكريمة، وأعرب سيادته عن أن الأزهر الشريف يحتل المكانة العالية والتقدير الكبير لدى شعب وحكومة بلاده، وأن التعاون مثمر بين البلدين.

.. وفي نهاية اللقاء أعرب فضيلة الإمام الأكبر عن استعداد الأزهر لكل طلبات سعادة السفير وتذليل أية عقبات حتى يتلقى الطلاب والطالبات تعليمهم الأزهري على الوجه الأكمل.

حضر اللقاء فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور.. وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير / يوسف المقدم.. سفير جمهورية تونس بالقاهرة يوم ٢٥ شعبان ١٤٢١ هـ: ٢١ / ١١ / ٢٠٠٠م.

رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف مؤكداً على عمق الروابط بين مصر وأزهرها الشريف وجمهورية تونس الشقيقة، داعياً لجمهورية تونس بدوام التقدم والرُّقي والازدهار.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حُسْن اللقاء مشيداً بدور الأزهر الشريف تجاه قضية القُدْس، وموقف الأزهر تجاه الأوضاع في الأراضي الفلسطينية، وأن قضية القُدْس هي موضوع الساعة وعلى رأس القضايا المطروحة وأن موقف الدول العربية جاء مؤيداً لنصرة الحق والوقوف بجانبه، وخاصة مواقف مصر العظيمة بقيادة السيد الرئيس / مُحَمَّد حُسْني مُبارَك الذي يُسَيِّر الأمور بحكمة واقتدار.

وأبلغ السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر تحيات السيد رئيس الوزراء معالي السيد محمد الغنوش ودعوته لزيارة تونس لإلقاء بعض المحاضرات، ولما لفضيلته من احترام وتقدير لدى الشعب التونسي، واستمرارا للتنسيق بين تونس ومصر وأزهرها الشريف في النواحي الدينية.

وقد وعده فضيلته بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها فى القريب العاجل بإذن الله.

حضر اللقاء فضيلة الأستاذ الشيخ / محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سمو الأمير / تنكو تدريس بن سلطان عزلان شاه سلطان ولاية فيران بماليزيا.. والوفد المرافق برياسة رئيس وزراء الولاية وسفير ماليزيا بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف الكبير والوفد المرافق فى مصر وأزهرها الشريف شارحاً دور الأزهر الشريف وجامعته العريقة فى تعليم أبناء المسلمين، حيث يستضيف الأزهر الشريف طلاب ٩٤ دولة يقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية ويدرسون فى الأزهر الشريف الدين الإسلامى بسماحته ويسره، وأوضح أن الدراسة فى الأزهر تقوم على الاعتدال والوسطية ودراسة المذاهب الإسلامية بدون الانحياز لمذهب بعينه، والتأكيد على حفظ القرآن الكريم، ولقد اتخذنا فى الأزهر شعاراً نؤكد عليه دائماً وهو أنه «ليس أزهرياً من لا يحفظ القرآن الكريم» وأوضح فضيلته أن عدداً كبيراً من أبناء دولة ماليزيا تخرجوا فى الأزهر وحصلوا على أعلى الدرجات ويشغلون مناصب كبيرة فى بلادهم، ودعا فضيلته لدولة ماليزيا بدوام الاستقرار والأمن والأمان والتقدم والرقى.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء مشيداً بدور الأزهر فى تعليم أبناء المسلمين، ومؤكدا على حسن الرعاية والاهتمام التى يحظى بها أبناء ماليزيا أثناء دراستهم بالأزهر وخاصة أن ٥٥٪ من سكان ماليزيا مسلمون.

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام للضيف ومرافقيه مصحف الأزهر الشريف.

● كما استقبل فضيلته وفد دولة تايلاند برياسة السيد / عبدالشكور جارون سوك عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى تايلاند.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف موضحا لهم أن الأزهر الشريف يسعى جاهدا لخدمة أبناء المسلمين الذين يدرسون فى الأزهر علوم الدين والدنيا وأن أبناء تايلاند يدرسون على منح من الأزهر ويقيمون فى مدينة البعوث الإسلامية وينالون الاهتمام والرعاية شأنهم شأن إخوانهم من مصر دون أية تفرقة بل قد يجد الطالب القادم من أى دولة الاهتمام والرعاية أكثر من زميله المصرى لأن هذا هو دور مصر والأزهر الشريف.

شكر الضيف فضيلته على حسن اللقاء والحفاوة مشيداً بدور الأزهر فى تعليم أبناء دولة تايلاند ومن أجل ذلك فإن للأزهر الشريف مكانة عظيمة ومرموقة لدى المسلمين فى تايلاند.

وطلب الضيف زيادة المنح الدراسية للطلاب، وزيادة إرسال علماء من الأزهر الشريف للتدريس بمدرسة نور الإسلام بنونتا بورى بتايلاند وأشاد بالتعاون المثمر البناء فى مجال التعليم.

وقد وعد فضيلة الإمام بدراسة الطلبات تمهيداً لتلبيتها بإذن الله ـ تعالى ـ.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السيد / محمد معلم محمود سفير كينيا بالقاهرة يوم ٢ من رمضان ١٤٢١هـ

٢٨ / ١١ / ٢٠٠٠م رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف موضحاً بأن الأزهر الشريف لا يألوا جهداً ووسعاً فى تقديم المساعدة لأبناء المسلمين للدراسة بالأزهر وبخاصة أبناء كينيا الذين يدرسون على منح من الأزهر الشريف.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء مشيداً بدور الأزهر الشريف تجاه القارة الأفريقية وبخاصة دولة كينيا، وأوضح أن العلاقات بين البلدين الشقيقين مصر وكينيا طيبة ويسودها الحب والود، كما أن المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء كينيا لها مكانة عظيمة لدينا فى بلادنا على كل المستويات، ونعلم جيداً أن الأزهر الشريف يذلل كل الصعاب والمعوقات التى يواجهها طلبة كينيا الذين يدرسون بالأزهر ولذا فنحن نعلم وعلى يقين أن الطلبة يعيشون فى ظروف طيبة للغاية.

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وفد مركز الدراسات القضائية بدولة باكستان برياسة السيد / أغا رفيق أحمد قاضى المحكمة العليا بباكستان، والسيد / عبدالرحمن بخارى المشرف بالجامعة الإسلامية بباكستان فى ٢ رمضان ١٤٢١ هـ ٢٨ / ١١ / ٢٠٠٠م.

رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى مصر وأزهرها الشريف، وتمنى لهم إقامة طيبة بالقاهرة ومشيداً بتلك الزيارات التى من شأنها أن تقوى الروابط الأخوية بين أبناء البلدين كما أنها تقوى الجوانب العلمية والشرعية والقانونية، وشريعة الإسلام تأمرنا جميعا بالتعاون بقول ـ الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾

كما تأمرنا بالتعارف بقوله الله ـ عز وجل ـ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾

ثم أوضح فضيلته مدى أهمية القضاء العادل الذى من شأنه أن يجعل الأمة تعيش فى أمان واطمئنان ورخاء، والقرآن الكريم يأمرنا بأن نكون عادلين فى أحكامنا وفى شهادتنا، لأن شريعة الإسلام تقوم على الحق وعلى العدل وعلى الوضوح وعلى الإخلاص فى العبادة لله الواحد القهار، فالعبادات تطهر القلوب وتصفى النفوس وترقق المشاعر فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصلاة والصيام والزكاة والحج عبادات فرضها الله ـ عز وجل ـ علينا وعلى الأمم السابقة.

كما أن شريعة الإسلام واضحة فى عباداتها وفى معاملاتها فى البيع والشراء والمشاركة والوكالة، وكل معاملة تخلو من الغش والظلم والابتزاز يبيحها الإسلام، وبالفهم الصحيح لشريعة الإسلام يأتى العدل والخير والأمان والأطمئنان.

شكر الوفد فضيلة شيخ الأزهر الشريف على حسن اللقاء مشيداً بدور مصر وأزهرها الشريف فى تقديم العون والمساعدة للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها، وأوضح أن هذه هى الدورة التاسعة لزيارة مصر وعلى رأس برامجها زيارة

الأزهر الشريف لما له من أصالة وعراقة ومحبة فى نفوس أبناء باكستان الذين يكنون للأزهر كل ود واحترام وتقدير، وعلاقة باكستان بمصر قديمة وقوية ومستمرة، وأبناء باكستان يدرسون فى الأزهر تحت كل عناية ورعاية واهتمام على منح من الأزهر الشريف.

وطلب الوفد الدعوات والنصائح الطيبة للشعب الباكستانى الذى يسعده ويشرفه زيارة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لباكستان.

وقد دعا فضيلته بالتوفيق والسداد والأمن والأمان لدولة باكستان الشقيقة ووعد بزيارة باكستان فى الوقت المناسب.

● برياسة فضيلة شيخ الأزهر الشريف عُقد بمشيخة الأزهر اجتماع رؤساء المناطق الأزهرية وذلك للوقوف على ما أعدته المناطق لتوزيع لجان امتحان الشهادة الثانوية الأزهرية بنظاميها القديم والحديث فى ضوء القواعد التى أعدت لذلك، ومراعاة التيسيرات الخاصة بالمناطق النائية مثل الوادى الجديد وشمال وجنوب سيناء وتم التأكيد على أن المناطق استغلت كافة المقار الصالحة لعقد هذا الامتحان سواء أكانت هذه المقار ابتدائية، أم إعدادية، أم ثانوية، أم قراءات ومعلمين. والتأكيد على أن ما أعدته المناطق فى هذا الشأن قد حقق المطلوب فى تخصيص مقار لامتحان طلاب النظام القديم ٤ سنوات، وتخصيص مقار لأصحاب طلاب النظام الحديث ٣ سنوات، كما تم دراسة البدائل التى يمكن فى ضوئها تحقيق الفصل الكامل بين لجان النظام القديم والحديث وأيضاً لجان خاصة بالبنين وأخرى خاصة بالبنات وذلك فى حالة وجود عقبات تحول دون ذلك، ووضع القواعد الخاصة بمراكز حفظ الأسئلة لكل من النظامين، والقواعد التى يجب أن تتوافر فى كوادر كل منها، ومناقشة ما يجب اتباعه عند ترشيح الكوادر الخاصة بتقدير الدرجات لكل من النظامين، والمحاذير التى توضع فى الاعتبار عند الترشيح، كما تم مناقشة ما يجب تدبيره من إمكانات يتطلبها هذا الامتحان سواء أكان ذلك متعلقاً بنقل مقاعد أم تدبير أوراق الإجابة وغير ذلك من الإمكانات اللازمة والمطلوبة.

حضر الاجتماع فضيلة الأستاذ الشيخ/ محمود عاشور.. وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ/ على فتح الله.. رئيس قطاع المعاهد الأزهرية، والسادة وكلاء ومستشارى المواد المقررة والقائمون على أعمال الامتحانات.

● توجه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر لزيارة دولة المغرب الشقيق بدعوة خاصة من جلالة الملك محمد السادس ملك المغرب وذلك لإلقاء عدة محاضرات مشاركة فى الدروس الدينية الحسينية التى أقامتها المملكة خلال شهر رمضان فى القصر الملكى فى العاصمة المغربية الرباط ويحضرها جلالة ملك المغرب والوزراء والسفراء ومنها محاضرة بعنوان: (أقم وجهك للدين حنيفاً) وفى طريق عودة فضيلته من المغرب زار دولة تونس الشقيقة بدعوة خاصة من الرئيس التونسى زين العابدين بن على وقد استقبله الرئيس والتقى فضيلته مع كبار علماء الدين وألقى محاضرات بمناسبة شهر رمضان المعظم حول التضامن والتسامح والتآزر فى الإسلام، امتدت

الزيارتين لمدة أسبوع اعتبارا من ٦ رمضان ١٤٢١ هـ. ٢/١٢/٢٠٠٠م.

● أعلن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف أن ما تقوم به مصر بقيادة السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس الجمهورية لنصرة القضية الفلسطينية واجب ديني مقدس وأن مساندة الفلسطينيين لاستعادة كامل حقوقهم المشروعة غير منقوصة واجب قومي، وفرض على مختلف الحكومات والشعوب العربية والإسلامية وأن مساندة الشعب الفلسطيني يجب أن تشمل جميع المساعدات المادية والمعنوية مطالباً رجال الأعمال بدورهم في دعم الفلسطينيين بكل الإمكانات المتاحة للتغلب على الحصار الإسرائيلي المفروض على المواطنين الأبرياء العزل بالأراضي المحتلة.

وأكد فضيلته أن مقاطعة المنتجات والسلع الأجنبية بصرف النظر عن كونها أمريكية أو من أي دولة أخرى لخدمة القضية الفلسطينية تعتبر مقاطعة واجبة وشكلاً من أشكال المساندة القومية لدعم نضال الشعب الفلسطيني مشيراً إلى أن تحديد نوعية المنتجات والسلع التي يتم مقاطعتها يجب أن تكون عن طريق خبراء ومتخصصين في مختلف السلع حتى لا تحدث أي انعكاسات سلبية على الدول العربية.

وأوضح فضيلته أن هناك قواعد عامة للمقاطعة الواجبة بأن تكون لمن يضر الأمة العربية والإسلامية، حيث إن كل بضاعة تساعد العدو وتضر الفلسطينيين يجب مقاطعتها أياً كانت جنسيتها.

وفي رد على سؤال حول مدى وجوب الزكاة في أموال المتعاملين في البورصة قال فضيلته: إن البورصة لها خبراؤها ولا أستطيع أن أفتي بطبيعة التعاملات بها دون دراستها دراسة جيدة، وفهم لآلياتها.. مشيراً إلى أن هناك قاعدة عامة لإخراج الزكاة وهي امتلاك المسلم للنصاب، وقدره حاليا أربعة آلاف جنيه، وأن يمضي عليها حول كامل وأن يكون المبلغ فائضاً عن حاجته الضرورية وليس مديناً وتقدر الزكاة بـ ٢,٥٪ سنوياً.

وأوضح أن احتساب الزكاة يكون بعد سداد الضرائب والديون وتقدر على الصافي، وفي حالة امتلاك المسلم لمشروع أو مصنع عليه ديون تستغرق ثمنه أو قيمته فلا زكاة عليه.

وأشار إلى أنه من الجائز تقسيط وتجزئة الزكاة المقررة على النصاب في صورة عطايا وهبات شهرية للمحتاجين والمستفيدين من أموال الزكاة قبل حلول العام، وأضاف: إن شراء الأجهزة الطبية وإهدائها للمستشفيات لخدمة المرضى والمحتاجين لأجهزة تعتبر من أموال الزكاة تحت بند في سبيل الله بشرط أن تقدم الخدمة مجاناً للمرضى والفقراء، حيث إن مصارف الزكاة الثمانية محددة في سورة التوبة.

جاء هذا خلال لقاء فضيلته مع أعضاء جمعية رجال الأعمال بالإسكندرية يوم الخميس ٤ من رمضان ١٤١٢هـ. ٣٠/١١/٢٠٠٠م.

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر مواعيد امتحانات النقل والشهادات للمراحل الثلاث الابتدائية والإعدادية والثانوية ومعاهد القراءات والمعلمين على مستوى الجمهورية

للفصلين الدراسيين ما عدا الشهادات، فإن امتحاناتها تتم آخر العام.

* امتحانات الصفوف الرابع والخامس الابتدائي للفصل الدراسي الأول يوم السبت ١٣ يناير ٢٠٠١.

* امتحانات الصفوف الأول والثاني والثالث الابتدائي للفصل الدراسي الأول يوم الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠١.

* امتحانات الصفوف الأول والثاني الإعدادي للفصل الدراسي الأول يوم الأحد ٧ يناير ٢٠٠١.

* امتحانات الصفوف الأول والثاني الثانوي للفصل الدراسي الأول يوم السبت ٦ يناير ٢٠٠١.

.. وامتحانات الفصل الدراسي الثاني

* الصفوف الأول والثاني والثالث الابتدائي الاثنين من ٧ مايو ٢٠٠١. والدور الثاني: السبت ٧ يوليو ٢٠٠١.

* الصفوف الرابع والخامس الابتدائي والأول والثاني الإعدادي الأربعاء ٢ مايو ٢٠٠١. والدور الثاني: السبت ٧ يوليو ٢٠٠١.

* والمعاهد الثانوية والقراءات والمعلمين الخميس ٣ مايو ٢٠٠١. والدور الثاني: السبت ٧ يوليو ٢٠٠١.

* النقل لمعاهد البعوث الإسلامية بالقاهرة والإسكندرية الأربعاء ٢ مايو ٢٠٠١. الدور الأول. والسبت ٢١ يوليو ٢٠٠١. للدور الثاني في المرحلة الإعدادية، والخميس ٣ مايو الدور الأول للثانوي والسبت ٢١ يوليو ٢٠٠١. للدور الثاني للمرحلة الثانوية.

.. ومواعيد امتحانات الشهادات الأزهرية

* الشهادة الابتدائية الأزهرية الدور الأول: ١٢ مايو والدور الثاني: ١٤ يوليو ٢٠٠١.

* الشهادة الإعدادية الأزهرية الدور الأول: ١٦ يونيو والدور الثاني: ٤ أغسطس ٢٠٠١.

* الشهادة الثانوية بنوعيها القديم والحديث والمعلمين والقراءات الدور الأول: السبت ٢٦ مايو والدور الثاني: ٤ أغسطس ٢٠٠١.

* الشهادة الإعدادية والثانوية لمعاهد البعوث الإسلامية الدور الأول: السبت ١٦ يونيو والدور الثاني: ٢٥ أغسطس ٢٠٠١.

* وموعد امتحانات مسابقة القبول للصف الأول الإعدادي ومعاهد القراءات يوم السبت ٢٥ أغسطس ٢٠٠١.

.. والامتحانات جميعها مستمرة في أيام العطلات الرسمية ولا تتوقف إلا في أيام الجمعة بالقرار ١٣٨٤ لسنة ٢٠٠٠

● وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على سفر فضيلة الشيخ / محمود عبد الغني محمود عاشور.. وكيل الأزهر الشريف إلى دولة الإمارات العربية المتحدة لمدة خمسة عشر يوماً خلال شهر رمضان المعظم لسنة ١٤٢١هـ. للوعظ ونشر الثقافة الإسلامية وإلقاء محاضرات بدعوة كريمة من وزارة العدل والأوقاف والشئون الدينية بدولة الإمارات، وقد غادر فضيلته القاهرة متوجهاً إلى دولة الإمارات يوم ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٠.

Les phénomènes cosmiques dans le Coran

Le ciel ... une couverture pour protéger les hommes

Allah - Le Très Haut - dit : [Et nous avons fait du ciel un toit protégé .Et cependant ils se détournent de Ses merveilles .] Sourate Al - Anbiya> (Les prophètes) , verset N: 32 .

Docteur Mohamad Magdi Abd El Wahab , professeur d' astronomie et de météorologie à la faculté des sciences de l'Université du Caire dit :
" Allah a créé la terre et a fait du ciel un toit pour la protéger . En effet , il la protège de grands dangers tels que les météores , les aréolites et les corpuscules cosmiques .Il protège la terre également du danger des radiations nuisibles .

Si l'on remarque que le degré de température du soleil s'élève dans l'absolu à six milles degrés , que ce soleil ardent fournira environ 1370 watts par mètre carré de la surface de la terre et que , grâce au ciel , cette quantité est réduite à la moitié donc sans le ciel - ce couvercle protecteur - la température de la surface de la terre s'élèverait et il y aurait un déséquilibre dans les fonctions vitales . Dans la Sourate At - Târiq (L'astre nocturne) , Le Seigneur - Qu'Il soit exalté - dit : [Par le ciel qui fait revenir la pluie....] .

La couche d'ozone forme -t-elle un des remparts protecteurs de la vie sur terre?

Dr. Mohamad Magdi dit : " oui ; la couche d'ozone est l'un des remparts qui protègent la vie sur terre . Ce ciel porte en lui tout ce qui prévient les dangers afin que la vie soit plus facile et plus organisée . Bien que la quantité d'ozone dans l'air soit très minime par rapport à celle des autres gaz , son influence est primordiale . Généralement , l'ozone résulte des réactions chimiques ayant lieu dans la couche atmosphérique . Le gaz de l'ozone reste dans le ciel à une hauteur de 20 km environ pour être efficace : protéger les êtres vivants sur la terre en purifiant l'air des rayons ultra-violets nocifs des radiations solaires . Ainsi environ un dixième des rayons ultra-violets seulement atteint la surface de la terre .

Il serait bon de mentionner ici que le gaz de l'ozone est également responsable de la distribution de la chaleur à travers la stratosphère car plus on s'élève , plus la température augmente . Cette distribution a pour but de protéger les composantes de la couche atmosphérique . C'est ainsi qu'apparaissent clairement les signes du Créateur , [celui qui a créé et agencé harmonieusement , qui a décrété et guidé] Sourate Al-A>LA (LE Très-Haut), versets N: 2 et 3 .

Dr. IBTIHAG H. AHMAD

femmes et des jeunes garçons, qu'ils soient résidents ou en voyage, que cette prière soit accomplie en asssemblée ou individuellement, dans la mosquée, en plein air ou dans la maison. D'autre part, celui qui a raté la prière en commun le jour de la Fête doit accomplir seul une prière de deux rak'as.

Quant à la participation des femmes à cette prière, on rapporte à ce sujet le Hadith suivant de Ibn 'Abbas : " ***Je suis sorti avec le Prophète - à lui bénédiction et salut - le jour de la rupture du jeûne; il fit la Khutba puis se rendit auprès des femmes, les admonesta leur rappela (les enseignements de l'Islam) et leur recommanda de faire l'aumône*** ". Hadith rapporté par Al Bokhari.

Selon Ibn 'Abbas, le Messager d'Allah - à lui bénédiction et salut - emmenait ses femmes et ses filles avec lui les jours des deux Fêtes (Hadith rapporté par Ibn Maguih).

Les trois Imams, Abu Hanifa, Al Chafi'i et Ibn Hanbal, sont unanimes à reconnaître que la condition essentielle pour la validité de la prière de la femme c'est qu'elle soit vêtue décemment et que ses vêtements ne laissent voir que son visage et ses mains. Toutefois, les ulémas hanéfites jugent préférable pour la femme d'accomplir la prière dans son foyer car la prière en commun dans la mosquée n'as pas été prescrite pour les femmes.

Rappelons enfin que dans les pays islamiques la prière en assemblée durant les deux Fêtes est un des aspects de l'union des musulmans autour d'une foi en un Dieu unique et en Son Messager, Mohammad - à lui bénédiction et salut.

Dr. Rokeya GABR

بسم الله الرحمن الرحيم

"Salat Al 'Id" ou la Prière de la Fête

par Dr. Rokeya Gabr

La prière est la clé du Paradis et c'est l'un des fondements de l'Islam tels que les a prescrits Allah - Gloire à Lui - pour tout musulman et toute musulmane.

La prière est un entretien intime entre le croyant et son Créateur à qui il s'adresse en aspirant à obtenir Sa grâce, Son pardon et Sa miséricorde. Au cours de cet entretien accordé par le Seigneur à Son serviteur, Allah pardonne au musulman ses péchés présents et passés. C'est ce que certifie le Hadith du Prophète - à lui bénédiction et salut - : "***Lorsque le serviteur d'Allah se lève pour prier, il se rend à la prière en portant sur la tête et sur les épaules tous ses péchés; chaque fois qu'il s'agenouille ou se prosterne, ses péchés tombent***". (Hadith rapporté par Al Tabarani).

La Prière d'Al 'Id (de la Fête) fait partie des prières accomplies par les musulmans qui suivent la Tradition certifiée ou Sunna. Le Messager d'Allah - à lui bénédiction et salut - avait coutume d'accomplir la prière des deux fêtes (celle du Sacrifice et celle de la Rupture du Jeûne) et recommandait aux musulmans de suivre son exemple. Ainsi, dès l'an I de l'Hégire les mususlmans prirent l'habitude de se rendre à la mosquée pour accomplir la Prière de la Fête.

Selon certains jurisconsultes il est préférable d'accomplir cette prière dans la mosquée alors que d'autres ulémas optent pour l'avis qui recommande de l'accomplir en plein air, en dehors de la mosquée.

Selon Al Bokhari la Prière de la Fête est exigée aussi bien des hommes que des

REVUE
AL AZHAR
Section Francaise

"And those who strive heard for Us, We shall certainly guide them in Our way. And Allah is surely with the doers of good."

(Al Ankabut, 69)

Allah enlightend the hearts of the prophet's companions specially Abu Bakr, Omar and Uthman. They were very close to Allah and feared Him. No one is equal to them. They had an unmatched kind of insight. Narrated Abu Haraira (may Allah be pleased with him), Allah's Messenger (may the peace and blessings of Allah be upon him) said : "Among the nations (who lived before you), there were Muhaddathin (people who were inspired, though they were not prophets). And if there is any of such persons among my followers, it is Umar."

(Al Bukhari, volumes 5, The Virtues of the Companions)

The prophet (P&BUH) was appointed by Allah to cleanse evil from the souls of man. throughout the Qur'an, Zakat is spoken of as a form of purification. The heart of the one who gives is cleaned of selfishness and avarice. The heart of the one who receives is cleansed of envy and hatred. Distrust, injustice, exploitation and class warfare, to name but a few of the evils that stain the heart of society, are purged by goodwill and compassion.

The Islamic call was an ideal call because it knew how to conquer the human heart and how to direct it. The true believer is he who feels faith growing and his heart always guides him to righteousness. Allah will not accept anything done by a Muslim unless it proceeds from true belief. And the true believers are those whose hearts submissively respond to Allah's words and fear Him. Allah stated:

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾

"They only are believers whose hearts are full of fear when Allah is mentioned, and when His messages are recited to them they increase them in faith, and in their Lord do they trust."

(Al Anfal, 2)

Reference :

An article entitled "The Heart of the Believer" by Sheikh Ali Hammad Abdul Rehim (Al Azhar Magazine, Zul-Kada H 1420 - Feb. 2000).

Who Are the Believers?

By : Hanan Abdou El Tahtawy

Believers have pure hearts, which are free from hatred. They understand that Allah does not judge by appearance or outward behavior but by what one truly feels. The heart is mentioned in the Holy Qur'an in several places.. Allah states.

﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

"The day when wealth will not avail nor sons.
Save him who comes to Allah with a sound heart."
(Al Shu'ara, 88, 89)
Allah also says :

﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾

"Who fears the Beneficent in secret and comes with a pentient heart."
(Qaf, 33)
No human being whatsoever has power over anybody's heart. Therefore, there could be no coercion in belief because it is a matter of the heart. One can be forced to utter words or faith or disbelief. What the tongue says is of no value if it does not rest in the heart. Allah does not punish anyone who is forced to say something against his will so long as he is a believer at heart.
A Muslim must strive to clear his heart of all sin because this leads to the safety of all organs. the Messenger of Allah (may the peace and blessings of Allah be upon him) said. "Truly in the body there is a morsel of flesh which if it be whole, all the body is whole and which, if it be diseased, all of it be diseased. Truly it is the heart."

(It was related by Al-Bukhari and Muslim)

In Science, the heart is that muscular organ which pumps blood through the body. In general, it is the center of a person's thoughts and emotions. Through the senses we achieve knowledge that fills our hearts with belief in Allah. We see and hear what makes us sure of the existence of the Creator and enlightens our souls with faith. By following Allah's commandments, staying away from what is prohibited and continuously remembering Him, the heart is purified and reaches the stage of wisdeom. Allah bestows great blessings on those who abide by His commands. Allah states ;

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

AL-AZHAR MAGAZINE

Shawal 1421 H.

ENGLISH SECTION

June 2001

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهـــرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
يصدرها
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
• • •
رئيس التحرير
أ.د. محمد رجب البيومي
مدير عام المجلة
الطاهر محمد الطاهر الحامدي
سكرتير التحرير
عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم
مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / مصر
ت: ٢٦٣٨٥٩٩
الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

رسالة مجلة الأزهر بأقلام أساتذتها الكبار

حين أسند إليّ القيام على تحرير هذه المجلة، رأيت أن أستضيء بآراء أساتذتها الكبار ممن تولوا رياسة تحريرها في عقود متتابعة، وهم من أعلام العصر الذين تركوا أنصع الصفحات في تاريخ الثقافة الإسلامية، كما أردت من ناحية ثانية أن يلتفت كُتّاب اليوم إلى هذه الآراء فلا افاجأ بمن يرى أن المقالة الدينية خطبة منبرية، فيرسل إلى المجلة ما تضيق عن نشره، أو يكتب مقالاً لا جديد به من المطروقات المتعارفة!.. والدين النصيحة لله ولعباده المؤمنين.

أول من قام على تحرير هذه المجلة هو الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين - رحمه الله - وقد أعلن عن خطته في افتتاحية العدد الأول حيث قال:

"خرجت هذه المجلة وهي تحمل سريرة طيبة، لا تنوي أن تهاجم ديناً بالطعن، ولا أن تتعرض لرجال

←

الأديان بالمكروه، إذ لا يعزب عنها ما يحدث عن مثل هذا القصد من الفتن وبواعث التفرقة بين سُكان الوطن الواحد وهم في حاجة إلى السكينة والهدوء، والتعاون على المصالح فردية كانت أو اجتماعية. خرجت هذه المجلة لتعمل على نشر آداب الإسلام، وإظهار حقائقه نقية من كل لبس، وتكشف عما أُلصق بالدين من بدع ومحدثات، وتنبه على ما دُسّ في السُّنة من أحاديث موضوعة، وتدفع الشُّبَه التي يحوم بها مرضى القلوب على أصل من أصول الشريعة، وتعنى بعد هذا بسير العظماء من رجال الإسلام، وما تجد فائدة في نشره من المباحث، علمية كانت أو أدبية، ولن تحكي رأياً خارجاً عن منهج الصواب إلا أن تقرنه بما يكشف عن كنهه. وتُراعي في تحريرها الأساليب التي تألفها أذواق القراء، ويجتلون فيها صور المعاني ماثلة أمامهم لا لبس فيها ولا التواء مُقْتَدِيَة في نقاشها بقول الله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1].

وقد ظلت المجلة تسير على هذا النهج الحميد حتى أُسْنِدَتْ رياسة تحريرها إلى العلّامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدى فخطا خُطوة جديدة مع هذه الخطوات السابقة وقال عن خُطته:

" لقد عرفنا منذ عالجنا الكلام في الإسلام أن أشد ما يعترض طريقه، ويثبط من توثباته، شبهات صبغها المتسرعون بصبغة العلم، وأشاعوها بين المتعلمين في ثنايا أصوله، وإطراء نظرياته، وتلقفها الناس عنهم تقليداً، وقد نقشوا في روعهم أن هذه الشُّبهات تدحض تعاليم الدين، وتزعزع من أساسه، وأنها حين صاولته في بلاد المدنية الحديثة، تصدّى لها عدد من الأعلام ليَفلوا من شباتها فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً وانتهى أمرهم بالاستسلام لها، وهذه الشُّبهات اليوم تبذر بذورها عندنا، وتفعل بنا ما فعلته بسوانا، ظناً من الذين يدبرون هذه الفتنة، أن التجرد من العقائد شرط للنهوض الأدبي، وهذا ضلال بعيد، فليس في الإسلام أصل يعطل النهوض الأدبي، و «**مجلة الأزهر**» تبذل جهدها لتصفية هذه الشبهات المدسوسة على العلم، وتحليلها، وإيضاح نواحي القوة والضعف منها، وإيضاح أنها لا تعدو على الإسلام، ولا تمسّ جوهره، ولكنها (في نواحي القوة منها) تصدقه وتؤيده، وتجعل منه الدين العالمي الذي لا مَحيد عنه ".

وإذن فقد أضاف الأستاذ وجدى عملاً جديداً، هو نقل الشبهات المادية، والافتراضات التي تتسربل ظاهراً بلسان العلم، ليكشف عوارها، ويبين أن الإسلام وطيد البناء لا تناله هذه الأراجيف.

ثم جاء الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات، فكتب عن خطته بالمجلة موجزاً كعهده، فقال:

---

(١) النحل: (١٢٥)

"إن المجلة تخطو في سبيل الله مؤيدة بالشرع، مسددة بالصواب، تدعو إلى الله بالدعاء السنيّ، وترفع صوت الأزهر ندياً فوق هذه الأصوات المنكرة التي تتخاطب بالحديد، وتتجاوب بالوعيد، وتزعم أن الله مكَّن أصحابها في الأرض ليبدلوا حكمه، ويعدلوا نظامه، ويقولوا بسلطان القوة: هذا حلال وهذا حرام، والأزهر بحكم وراثته للنبوّة، وخلافته للرسالة مكتوب عليه أن يحاول هذا الإنقاذ.. (إنقاذ البشرية من الضلال).. ولن تهيأ له وسائله إلا إذا وصل علماؤه أسبابهم بأسباب الرسول، ـ ﷺ ـ ففهموا الكتاب كما انزل عليه، وفقهوا السنة كما صدرت عنه، واعتقدوا أنهم جُنْد الله يرمي بهم عدوه في كل وقت، وفي كل أرض، فيعيشون للموت كالجُنْد، ويعملون للحياة كالقادة".

وحين جاء الأستاذ الكبير.. محب الدين الخطيب، وهو علم من الأعلام لا تقل مكانته العلمية عن سابقيه، فلم يكتب مقدمة تفصح عن اتجاهه، ولكنه سار في ضوء الهداية الإسلامية، متبعاً أدواء العصر، ومجاهداً شتى الأقلام المنحرفة، وكان في قلمه حِدّة لم تُعْرَف لدى سابقيه، ولكل وجهة هو موليها.

ثم ماذا؟.

ثم مضى عهد الرعيل الأول، وجاء عهد تلاميذهم ممن وردوا حياضهم، ونهلوا من منهلهم، وكلٌّ له مقام مشهود على تفاوت متقارب، ومنهم الأساتذة الأجلاء: عبدالرحيم فودة، وعبد المعطي البيومي، وعبد الودود شلبي، وصابر البرديسي، وعلى الخطيب، وعبد المعز الجزار، وعبدالحفيظ عبدالحليم وكل واحد يستحق مقالاً برأسه يشيد بفضله.. وقد عاصرتهم جميعاً كاتباً أسعد بثقتهم، وأستمع إلى اقتراحاتهم، حتى عُهِدَ إليّ أن أقوم ببعض ما قاموا به، فتذكرت أن الناس ليسوا الآن مثل الناس، وأن الذين كانوا يكتبون مع أساتذة الرعيل الأول كانوا يجدون القارىء النابه، والناقد الذكي، والكاتب الفاقه، وأين نجد هؤلاء في عالم التليفزيون والفيديو والكرة؟!.. لقد توجفت من سوء المصير..

وتعددت جوانب النقص لدى كتاب اليوم..

أرجو أن يعينني الله ـ تعالى ـ وأن أعمل على تلافيه.. وما توفيقي إلا بالله.

عليه توكلت وإليه أنيب.

أ.د. محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي

قال الله - تعالى -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

الآيات من ٢٠٨ / ٢١٢

بعد أن عرض القرآن لصنفين من الناس هما الأشرار والأخيار في كل زمان ومكان، وجه النداء إلى المؤمنين دعاهم فيه إلى الاستجابة التامة لخالقهم فقال - تعالى -:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

﴿ ٱلسِّلْمِ ﴾ - بكسر السين وفتحها مع إسكان اللام - بمعنى واحد، ويطلقان على الإسلام وعلى المسالمة. وبعضهم فرق بين اللفظين فجعل «السلم» بكسر السين - للإسلام، و«السلم» - بفتحها - للمسالمة، وأنكر المبرد هذه التفرقة.

قال الفخر الرازي: «وأصل هذه الكلمة من الانقياد. قال - تعالى -:

﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

والإسلام إنما سمى إسلاما لهذا المعنى، وغلب اسم السلم على الصلح وترك الحرب، وهذا أيضا راجع إلى هذا المعنى، لأن عند الصلح ينقاد كل واحد إلى صاحبه»[1].

و﴿ كَآفَّةً ﴾ أى جميعاً. وهي في الأصل صفة من كف بمعنى منع، واستعملت بمعنى الجملة والجميع بعلاقة أنها مانعة من التفرق وهي حال من قوله: ﴿ ٱلسِّلْمِ ﴾ أى: يأيها المؤمنون ادخلوا في الإسلام والتزموا بكل تعاليمه، ونفذوا جميع أحكامه وآدابه، واعملوا بكل أوامره ونواهيه، ولا تكونوا ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فالمقصود التزام جميع شرائع الإسلام وأحكامه وآدابه.

وبعضهم يرى أن قوله: ﴿ كَآفَّةً ﴾ حال من فاعل ادخلوا وهو ضمير الجماعة والمعنى عليه: ادخلوا فى الإسلام جميعا، وانقادوا لأحكامه مجتمعين غير متفرقين، لأنه الدين الذى ألف الله به بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً.

وسواء أكان لفظ ﴿ كَآفَّةً ﴾ حالا من ﴿ ٱلسِّلْمِ ﴾ أو من فاعل ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ﴾ فالمقصود من الآية دعوة المؤمنين إلى التمسك بجميع شعب الإسلام وشرائعه مع التزامهم برباط الإخاء الذى ربط الله به بين قلوبهم بسبب اتباعهم لهذا الدين الحنيف.

وإذا كان المراد بكلمة ﴿ ٱلسِّلْمِ ﴾ المسالمة والمصالحة كان المعنى: يأيها الذين آمنوا إن إيمانكم يوجب عليكم فيما بينكم أن تكونوا متصالحين غير متعادين، متحابين غير متباغضين، متجمعين غير متفرقين، كما أنه يوجب عليكم بالنسبة لغيركم ممن هو ليس على دينكم أن تسالموه متى سالمكم، وأن تحاربوه متى اعتدى عليكم، فإن دينكم ما جاء للحرب والخصام وإنما جاء للهداية وللسلام العزيز القوى الذى يرد الاعتداء بمثله.

هذا هو المعنى الذى نراه ظاهرا فى الآية، وهو ما سار عليه المحققون من المفسرين.

وبعضهم ذكر أن الخطاب في الآية لمؤمني أهل الكتاب، لما روى عن ابن عباس أنه قال: نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه، وذلك أنهم حين آمنوا بالنبى - ﷺ - وآمنوا بشرائعه وشرائع موسى - عليه السلام - فعظموا السبت وكرهوا لحم الإبل وألبانها بعد أن أسلموا، فأنكر عليهم المسلمون، فقالوا: إنا نقوى على هذا وهذا، وقالوا للنبى - ﷺ -: إن التوراة كتاب الله فدعنا فلنعمل بها فأنزل الله هذه الآية. فالخطاب لمؤمنى أهل الكتاب[2].

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ٥ ص ٦٢٦.

(٢) تفسير الآلوسى جـ٢ ص٩٧.

وبعضهم ذكر أن المراد بالآية المنافقون والتقدير: يأيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا بكليتكم في الإسلام ولا تتبعوا خطوات الشيطان. وهذان القولان ضعفهما ظاهر، إذ لا مستند لهما يعتمد عليه، ولا يؤيدهما سياق الآية الكريمة، لأن الآية الكريمة صريحة في دعوة المؤمنين إلى التمسك بجميع تعاليم الإسلام، وإلى الإخاء الجامع ونبذ التفرق والاختلاف والاعتداء.

وقوله:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

تحذير لهم مما يصدهم عن الدخول في السلم.

أي: ادخلوا في السلم واحذروا أن تتبعوا مدارج الشيطان وطرقه إنه لكم عدو ظاهر العداوة بحيث لا تخفي عداوته على عاقل.

والخطوات. جمع خطوة - بفتح الخاء وضمها - وهي ما بين قدمي من يخطو.

وفي قوله:

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾

إشعار بأن الشيطان كثيراً ما يجر الإنسان إلى الشر خطوة فخطوة ودرجة فدرجة حتى يجعله يألفه ويقتحمه بدون تردد، وبذلك يكون ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله. والعاقل من الناس هو الذي يبتعد عن كل ما هو من نزغات الشيطان ووساوسه، فإن صغير الذنوب قد يوصل إلى كبيرها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

وقوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ جملة تعليلية، مؤكدة للنهي ومبينة لحكمته.

وقوله:

﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

تفريع على النهي، وترهيب من العقاب الذي سيصيب المتبعين للشيطان.

قال القرطبي: وأصل الزلل في القدم، ثم استعمل في الاعتقادات والآراء وغير ذلك.

يقال: زل يزل زلا وزللا وزلولا، أي: دحضت قدمه.

والبينات: جمع بينة، وهي الأدلة والمعجزات، ومجيئها: ظهورها.

والمعنى: فإن تنحيتم عن طريق الحق، وعدلتم عنه إلى الباطل، من بعد أن ظهرت لكم الأدلة المفرقة بين الصواب والخطأ، والتي تدعوكم إلى اتباع طريق الحق، فاعلموا أن الله ﴿ عَزِيزٌ ﴾ لا يقهر ولا يعجزه الانتقام ممن زل ﴿ حَكِيمٌ ﴾ لا يترك ما تقتضيه الحكمة وإنما يضع الأمور في مواضعها. وجيء في الشرط بإن، لندرة حصول الزلل من المؤمنين، إذ الشأن فيهم ذلك. وقوله:

﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

جواب الشرط.

وقوله: ﴿ مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾

قطع لعذرهم حتى لا يقولوا يوم الحساب إننا زللنا لأننا لا نعرف الحق من الباطل؛ وفي الآية دليل على أن عقوبة العالم بالذنب أعظم من عقوبة الجاهل به - كما قال القرطبي -

وقال الفخر الرازي ما ملخصه:

«وقوله: ﴿ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ نهاية في الوعيد، لأنه يجمع من ضروب الخوف مالا يجمعه بذكر العقاب، وربما قال الوالد لولده: إن عصيتني فأنت عارف بي وأنت تعلم قدرتي عليك وشدة سطوتي. فيكون هذا الكلام في الزجر أبلغ من ذكر الضرب وغيره، فإن قيل: أفهذه الآية مشتملة على الوعد كما أنها مشتملة على الوعيد؟ قلنا: نعم من حيث أتبعه بقوله: ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فإن اللائق بالحكمة أن يميز بين المحسن والمسيء، فكما يحسن من الحكيم إيصال العذاب إلى المسيء فكذلك يحسن منه إيصال الثواب إلى المحسن، بل هذا أليق بالحكمة وأقرب للرحمة»[3].

وبعد أن أمر الله المؤمنين بالدخول في السلم كافة، ونهاهم عن الزلل عن طريقه المستقيم، عقب ذلك بتهديد الذين امتنعوا عن الدخول في السلم فقال:

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ ﴾

ينظرون: أي ينتظرون. يقال: نظرته وانتظرته بمعنى واحد.

وظلل: جمع ظلة. كظلم جمع ظلمة - وهي ما أظلك من شعاع الشمس وغيره.

والغمام: اسم جنس جمعي لغمامة، وهي السحاب الرقيق الأبيض، سمي بذلك لأنه يغم، أي يستر، ولا يكون الغمام ظلة إلا حيث يكون متراكبا والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

والمعنى: ما ينتظر أولئك الذين أبوا الدخول في الإسلام من بعد ما جاءتهم البينات، إلا أن يأتيهم الله يوم القيامة في ظلل كائنة من الغمام الكثيف العظيم ليحاسبهم على أعمالهم، وتأتيهم ملائكته الذين لا يعلم كثرتهم إلا هو - سبحانه -.

وإتيان الله - تعالى - إنما هو بالمعنى اللائق به - سبحانه - مع تنزيهه عن مشابهة الحوادث وتفويض علم كيفيته إليه - تعالى - وهذا هو رأي علماء السلف.

وقوله: ﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ معناه على هذا الرأي: أتم - سبحانه - أمر العباد وحسابهم فأثيب الطائع وعوقب العاصي، ولم تعد لدى العصاة فرصة للتوبة أو تدارك ما فاتهم، وقد ارتضى هذا الرأي عدد من المفسرين منهم ابن كثير فقد قال في معنى الآية: يقول الله - تعالى - مهددا للكافرين بمحمد - ﷺ -:

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾

يعني: يوم القيامة لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله: إن خيرا فخير وإن شرا فشر!! ولهذا قال - تعالى -:

﴿ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾[4].

أما علماء الخلف فيؤولون إتيان الله بما يتناسب مع ذاته - سبحانه -، ولذا فسروا إتيانه بأمره أو بأسه في الدنيا.

وقد عبر صاحب الكشاف عن وجهة نظر هؤلاء بقوله: «إتيان الله: إتيان أمره وبأسه كقوله

---

(3) تفسير الفخر الرازي جـ5 ص231.

(4) تفسير ابن كثير جـ1 ص248.

﴿ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾ ﴿ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾

ويجوز أن يكون المأتى به محذوفا، بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله - قبل ذلك - « فإن الله عزيز حكيم » . فإن قلت: لم يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت: لأن الغمام مظنته الرحمة، فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول؛ لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم، كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير؛ ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث: ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ أي: تم أمر إهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه »[٥].

وقال الجمل ما ملخصه: وقوله:

﴿ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ استثناف مفرغ من مقدر، أي ليس لهم شيء ينتظرونه إلا إتيان العذاب وهذا مبالغة في توبيخهم وقوله:

﴿ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ بالرفع عطفا على اسم الجلالة أي، وتأتيهم الملائكة فإنهم وسائط في إتيان أمره - تعالى - ، بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة، وقرأ الحسن وأبو جعفر: والملائكة بالجر عطفا على ظلل، أي إلا أن يأتيهم في ظلل وفي الملائكة . وقوله ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون معطوفا على يأتيهم داخلا في حيز الانتظار ويكون ذلك من وضع الماضي موضع المستقبل والأصل ويقضى الأمر، وإنما جيء به كذلك لأنه محقق كقوله: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ .

والثاني: أن يكون جملة مستأنفة برأسها أخبر الله - تعالى - بأنه قد فرغ من أمرهم فهو من عطف الجمل وليس داخلا في حيز الانتظار »[٦].

ثم ختم - سبحانه - هذه الآية بقوله:

﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ أي إليه وحده - سبحانه - لا إلى غيره ولا إلى أحد معه تصير الأمور خيرها وشرها وسيجازي الذين أساءوا بما عملوا ويجازي الذين أحسنوا بالحسنى.

فالجملة الكريمة تذييل قصد به تأكيد قضاء أمره، ونفاذ حكمه، وتمام قدرته .

ثم بين - سبحانه - أن كفر الكافرين ليس سببه نقصان الدليل على صحة إيمان المؤمنين، وإنما سببه الجحود والحسد وإيثار الهوى على الهدى، بدليل أن بني إسرائيل قد آتاهم الله آيات بينات تهدي إلى الإيمان ومع ذلك كفروا بها. استمع إلى القرآن وهو يصور موقفهم بعد تهديده للكافرين في الآية السابقة فيقول:

﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ .

قال الفخر الرازي: اعلم أنه ليس المقصود: سل بني إسرائيل ليخبروك عن تلك الآيات فتعلمها؛ وذلك لأن الرسول - ﷺ - كان عالماً بتلك الأحوال بإعلام الله - تعالى - إياه، بل المقصود منه المبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله - تعالى - .

أي: سل هؤلاء الحاضرين أنا لما آتينا أسلافهم

---

(٥) تفسير الكشاف جـ١ ص٢٥٣.

(٦) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص ١٦٦.

آيات بينات فأنكروها، لا جرم استوجبوا العقاب من الله - تعالى -، وذلك تنبيه لهؤلاء الحاضرين على أنهم لو زلوا عن آيات الله لوقعوا في العذاب كما وقع أولئك المتقدمون فيه، والمقصود من ذكر هذه الحكاية أن يعتبروا بغيرهم...... »[٧].

و﴿ سَلْ ﴾ فعل أمر من سأل وأصله اسأل فنقلت فتحة الهمزة إلى السين قبلها وصارت ساكنة فحذفت، ولما فتحت السين لم يكن هناك حاجة إلى همزة الوصل فحذفت أيضا.

و﴿ كَمْ ﴾ إما خبرية والمسئول عنه محذوف، والجملة ابتدائية لا محل لها من الإعراب مبينة لاستحقاقهم التقريع والتوبيخ؛ كأنه قيل «سل بني إسرائيل» عن طغيانهم وجحودهم للحق بعد وضوحه فقد آتيناهم آيات كثيرة بينة ومع ذلك أعرض كثير منهم عنها.

وإما استفهامية والجملة في موضع المفعول الثاني لقوله «سل» وقيل: في موضع المصدر أي: سلهم هذا السؤال. وقيل: في موضع الحال. أي: سلهم قائلاً: كم آتيناهم.

والاستفهام للتقرير بمعنى حمل المخاطب على الإقرار - بأنه قد خالف ما تقتضيه الآيات من الإيمان بالله - تعالى -.

فالمراد بهذا السؤال تقريعهم على جحودهم الحق بعد وضوح الآيات لا معرفة إجابتهم كما إذا أراد واحد منا توبيخ أحد فيقول لمن حضره: سله كم أنعمت عليه؟

ومن الآيات البينات والمعجزات الواضحات التي أظهرها الله - تعالى - لبني إسرائيل على أيدي أنبيائهم ليؤمنوا بهم: عصا موسى التي ألقاها فإذا هي حية تسعى؛ والتي ألقاها، فإذا هي تلقف ما صنعه السحرة، والتي ضرب بها البحر ﴿ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله وصدق من جرت على يديه هذه الخوارق، ومع ذلك فمنهم من قال لموسى ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ ومنهم من كفر وعبد العجل.

ثم بين - سبحانه - سوء عاقبة الجاحدين لآياته فقال:

﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

التبديل: جعل شيء بدلا عن آخر، ونعمة الله هنا تتناول آياته الدالة على صدق رسله، كما تتناول ما أسبغه الله على عباده من صحة ومال وعقل وغير ذلك من نعمه الظاهرة والباطنة.

أي: ومن يبدل نعم الله بعد ما وصلت إليه واتضحت له، بأن كفر بها مع أنها تدعو إلى الإيمان، وجحد فضلها مع أنها تستلزم منه الشكر لمسديها من يبدل ذلك التبديل فإن الله سيعاقبه عقاباً شديداً.

وقوله: ﴿ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ ﴾ زيادة توبيخ لهم، وأنهم مستحقون لأشد ألوان العذاب، لأنهم قد كفروا بآيات الله وجحدوا نعمة الله بعد معرفتها والوقوف على تفاصيلها. فهو كقوله - تعالى -:

---

(٧) تفسير الفخر الرازي جـ٦ ص٣.

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

فهو تبديل عن معرفة لا عن جهل أو خطأ.

وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

تعليل للجواب أقيم مقامه.

أي: ومن يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة لأنه شديد العقاب فلا يفلت منه أحد، ويحتمل أن تكون هذه الجملة هي الجواب بتقدير الضمير أي شديد العقاب له.

والعقاب هو الجزاء عن جناية وجرم، وهو مأخوذ - كما يقول القرطبي - من العقب، كأن المعاقب يمشي بالمجازاة للجاني في آثار عقبه، ومنه عقبة الراكب - أي الموضع الذي يركب منه -، فالعقاب والعقوبة يكونان بعقب الذنب وقد عاقبه بذنبه [٨].

فالآية الكريمة وعيد شديد لكل من يبدل نعم الله، ويترك شكرها.

وبعد أن ذكر القرآن حال من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته، أتبعه بذكر الأسباب التي حملت أولئك الأشقياء على البقاء في كفرهم وجحودهم فقال - تعالى -:

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ .... الآية.

التزيين: جعل الشيء زينا أي: شديد الحسن. والحياة نائب فاعل، زين، ولم تلحق تاء التأنيث بالفعل لأن نائب الفاعل مجازي التأنيث ولوجود الفاصل بين الفعل ونائب الفاعل.

والمعنى، أن الحياة الدنيا قد زينت للكافرين فأحبوها وتهافتوا عليها تهافت الفراش على النار، وصارت متعها وشهواتها كل تفكيرهم، أما الآخرة فلم يفكروا فيها، ولم يهيئوا أنفسهم للقائها.

قال القرطبي: والمزين هو خالقها ومخترعها وخالق الكفر، ويزينها أيضاً الشيطان بوسوسته وإغوائه وخص الذين كفروا بالذكر لقبولهم التزيين جملة وإقبالهم على الدنيا وإعراضهم عن الآخرة بسببها، وقد جعل الله ما على الأرض زينة لها ليبلو الخلق أيهم أحسن عملا، فالمؤمنون الذين هم على سنن الشرع لم تفتنهم الزينة، والكفار تملكتهم لأنهم لا يعتقدون غيرها [٩].

وقوله: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

معطوف على جملة ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾ أو خبر لمبتدأ محذوف أي وهم يسخرون وتكون الواو للحال.

ويسخرون: يضحكون ويهزأون. يقال. سخرت منه وسخرت به وضحكت منه وضحكت به.

أي أن الذين كفروا لا يكتفون بحبهم الشديد لزينة الحياة الدنيا وشهواتها وإنما هم بجانب ذلك يسخرون من المؤمنين لزهدهم في متع الحياة، لأن الكفار يعتقدون أن ما يمضي من حياتهم في غير متعة فهو ضياع منها، وأنهم لن يبعثوا ولن يحاسبوا على ما فعلوه في دنياهم، أما المؤمنون فهم يتطلعون إلى نعيم الآخرة الذي هو أسمى وأبقى من نعيم الدنيا.

وجيء بقوله: ﴿زُيِّنَ﴾ ماضيا للدلالة على أنه قد وقع وفرغ منه، وجيء بقوله:

---

(٨) تفسير القرطبي جـ٣ ص ٢٨

(٩) تفسير القرطبي جـ٣ ص ٢٩.

﴿ وَيَسْخَرُونَ ﴾ مضارعا للدلالة على تجدد سخريتهم من المؤمنين وحدوثها بين وقت وآخر.

قال - تعالى -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾

وقد ذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية روايات منها: أنها نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي، وحزبه، كانوا يتنعمون في الدنيا أو يسخرون من ضعفاء المؤمنين وفقراء المهاجرين، ويقولون: انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد - ﷺ - انه يغلب بهم. ومنها، أنها نزلت في أبي جهل ورؤساء قريش كانوا يسخرون من فقراء المسلمين كعمار وخباب وابن مسعود وغيرهم بسبب ما كانوا فيه من الفقر والصبر على البلاء، والحق انه لا مانع من نزولها في شأن كل الكافرين الذين يسخرون من المؤمنين.

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ رد منه - سبحانه - على هؤلاء الكفار الذين يسخرون من المؤمنين، والذين يرون أنفسهم أنهم في زينتهم ولذاتهم أفضل من المؤمنين في نزاهتهم وصبرهم على بأساء الحياة وضرائها.

أي، والذين اتقوا الله - تعالى - وصانوا أنفسهم عن كل سوء فوق أولئك الكافرين مكانة ومكانا يوم القيامة، لأن تقواهم قد رفعتهم إلى أعلى عليين، أما الذين كفروا فإن كفرهم قد هبط بهم إلى النار وبئس القرار.

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: لم قال «من الذين آمنوا» ثم قال: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾؟

قلت: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن التقي، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك[10].

وقيدت الفوقية بيوم القيامة للتنصيص على دوامها، لأن ذلك اليوم هو مبدأ الحياة الأبدية، ولإدخال السرور والتسلية على قلوب المؤمنين حتى لا يتسرب اليأس إلى قلوبهم بسبب إيذاء الكافرين لهم في الدنيا.

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ تذييل قصد به تشريف المؤمنين، وبيان عظم ثوابهم.

أي: والله يرزق من يشاء بغير حساب من المرزوق، أو بلا حصر وعد لما يعطيه، أو أنه لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب لما يخرج منها، فهو - سبحانه - الذي يعطي ويمنع، وليس عطاؤه في الدنيا دليل رضاه عن المعطى فقد يعطي الكافر وهو غير راض عنه، أما عطاؤه في الآخرة فهو دليل رضاه عمن أعطاه.

قال الأستاذ الإمام: إن الرزق بلا حساب ولا سعي في الدنيا إنما يصح بالنسبة إلى الأفراد، فإنك ترى كثيرا من الأبرار وكثيرا من الفجار أغنياء موسرين متمتعين بسعة الرزق، وكثيرا من الفريقين فقراء معسرين، والمتقي يكون دائما أسعد حالا وأكثر احتمالا، ومحلا لعناية الله به فلا يؤلمه الفقر كما يؤلم الفاجر لأنه يجد في التقوى مخرجا من كل ضيق... وأما الأمم فأمرها على غير هذا، فإن الأمة التي ترونها فقيرة ذليلة لا يمكن أن تكون متقية لأسباب نقم الله وسخطه وليس من سنة الله أن يرزق الأمة العزة والثروة وهي لا تعمل، وإنما يعطيها بعملها ويسلبها بزللها، ...»[11].

(يتبع)

(10) تفسير الكشاف جـ1 ص255.

(11) تفسير المنار جـ2 ص274 بتلخيص

قبس من أنوار النبوة

سبيل النجاة

لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ ـ قال:
«يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته عندي في الإسلام منفعة. فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة؟ قال بلال: ما عملت عملاً في الإسلام أرجى عندي منفعة من أني لا أتطهر طهوراً تاماً في ساعة من ليل ولا نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي، رواه البخاري ومسلم واللفظ له[1].
دف نعليك في رواية البخاري وحفيف في بعض النسخ. خشف نعليك في رواية مسلم. وخشخشتك في رواية الحاكم وعند أحمد والترمذي، خشخشة نعليك وعند ابن السكن: دوي نعليك والجميع بمعنى الصوت والحركة التي لها صوت والسير اللين.

البيان

مضى شهر رمضان وهو شاهد لنا أو علينا بما كان من أعمال الخير والبر والطاعة، والجود والسخاء، والتأدب بآداب ديننا الحنيف، وبعدنا عن المعاصي والذنوب، عملاً بمنهج الإسلام الذي جاءنا به الرسول الكريم، حتى تغفر لنا الخطايا وتكفر السيآت في شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار وكان أبرز الأعمال وأجملها عمارة بيوت الله بالمصلين في جميع الأوقات، خاصة عند صلاة العشاء حيث ترى المصلين لها ولصلاة القيام وكأن المساجد المملوءة في صلاة جمعة، فإذا جاء وقت صلاة الجمعة رأيت المساجد ـ على تعددها وسعتها وكثرتها ـ تضيق بالمصلين، والكثير من المصلين يؤدون الصلاة يفترشون الشوارع والطرقات في مشهد بهيج، والكل يرجوا المغفرة والقبول ولكن بعد انقضاء شهر الصوم بدا تسرب المصلين من المساجد وكأن الصلاة ليست فرضاً إلا في شهر رمضان.

فهل يعلم الناس أن الصلاة هي الركن الأساسي في الإسلام بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ـ وهل تعلم أيها الإنسان

(١) زاد المسلم ـ فيما اتفق عليه البخاري ومسلم للشنقيطي ـ حديث رقم ٩٤٨ ـ.

أن تارك الصلاة جحودا في عداد الكافرين[2] وإن دخول الجنة ثمرة من ثمار الصلاة لهذا كان من دعاء إبراهيم ـ عليه السلام ـ قوله:

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾[3].

فقدم ـ عليه السلام ـ إقامة الصلاة على طلب المغفرة؛ لأن المغفرة ثمرة مرجوة وهي غاية والصلاة هي الوسيلة إليها.

وقال ـ تعالى ـ لرسولنا محمد ـ ﷺ ـ:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[4].

فأرشدنا ـ تعالى ـ إلى الصراط المستقيم. فكما أن أمر الحياة والموت بيد الله وحده لذا فإن الصلاة والعبادة لا تكون إلا له وحده.

ولما كانت الصلاة هي حجر الزاوية في العبادات كلها بعد شهادة التوحيد والإيمان بالرسول، وهي عنوان التقوى فقد وصف الله ـ تعالى ـ المتقين بأنهم

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[5].

فإذا كان الإنسان يحافظ وهو في الدنيا على ماله برغم كون عارية مستردة وزائلة، ألا يجب عليه المحافظة على صلاته وهي ذخره الوحيد في الآخرة، ولا عون للمسلم في حياته وآخرته إلا الصلاة قال ـ تعالى ـ:

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[6].

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «خمس صلوات افترضهن الله ـ عز وجل ـ من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ـ أي كان له عند الله وعد بالغفران ـ ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه» رواه مالك وأبو داود والنسائي وإن أحب الأعمال إلى الله أداء الصلاة في وقتها ولا يعفى منها العاقل البالغ ذكرا أو أنثى إلا إذا كانت المرأة في حالة حيض أو نفاس، فتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة. روى مسلم[7] أن عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ دعا بطهور

فقال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله وبين الكفر والإيمان ترك الصلاة فمن تركها كان كافرا ومن فعلها كان مؤمنا قال صاحب التاج الشيخ منصور علي ناصف: «إن من ترك الصلاة فهو كافر

---

(2) من وصايا القرآن للدكتور محمد الأنور البلتاجي ص٥٦٦ وما بعدها.

(3) سورة إبراهيم (٤٠ ـ ٤١).

(4) الأنعام (١٦٢ ـ ١٦٣).

(5) البقرة (٣).

(6) العنكبوت (٤٥).

(7) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ص١/١٢٥.

وهذا بإجماع المسلمين إذا تركها جاحدا لها أي لا يعتقد لوجوبها عليه لأنها معلومة من الدين بالضرورة، وأن من تركها كسلا وهو معتقد لوجوبها كما هو حال كثير من الناس، فجمهور السلف والخلف أنه لا يكفر وعليه مالك والشافعي -رضي الله عنهما- بل يفسق فيستتاب فإن تاب وصلى وإلا قتل حدا كالزاني المحصن، ولكنه يقتل بالسيف، وحجتهم في عدم كفره

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾(٨).

وحديث «حرم على النار من قال: لا إله إلا الله» وحديث: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة»، وحجتهم في قتله:

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾(٩).

وحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» وروى عن علي وأحمد بن حنبل -رضي الله عنهما- أنه يكفر، وبه قال ابن المبارك وإسحاق وبعض أصحاب الشافعي لظاهر النصوص، وقال أبو حنيفة وبعض أهل الكوفة والمزني من أصحاب الشافعي: إنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي، وتأولوا الأحاديث بأنها محمولة على المستحل للترك أو أنه فعل فعل الكفار أو أنه قد يؤول به إلى الكفر»(١٠).

فإذا حافظ المسلم على الصلاة بشروطها وآدابها كان لها نور وضياء وفتحت لها أبواب السماء وكان لها شفاعة، بخلاف ما إذا ضيعها فإنها تدعو عليه بالضياع وتغلق دونها أبواب السماء ويضرب بها وجه صاحبها.

«فعن عبادة بن الصامت -فيما ذكره أبو جعفر العقيلي- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «إذا توضأ العبد فأحسن الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتني ثم يصعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور، وفتحت لها أبواب السماء حتى تنتهي إلى الله -تبارك وتعالى- فتشفع لصاحبها وإذا ضيع وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة: ضيعك الله كما ضيعتني ثم يصعد بها إلى السماء فتغلق دونها أبواب السماء ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجه صاحبها» كتاب الصلاة لابن قيم الجوزية»(١١).

هذا حال من يضيع بعض شروط الصلاة فكيف حال التارك لها ألم يسمع قول المصطفى -عليه الصلاة والسلام- فيما رواه الإمام أحمد عن معاذ بن جبل- «من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله» وإن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت أفلح وأنجح وإن فسدت خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب -عز وجل-: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على هذا» رواه الترمذي.

اللهم اجعلنا ممن حافظ ويحافظ على أداء الفرائض، وتمسك بالسنن، واقتدى بهدي، وبهداية الدين، ومن المقبولين إنك على كل شيء قدير.

---

(٨) النساء (١١٦).

(٩) التوبة (٥).

(١٠) التاج الجامع لأحاديث الرسول ص ١٣٠ تعليقا.

(١١) مجموعة الحديث للشيخ محمد رشيد رضا ص ٤٩٤.

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

١

الحج شريعة الله، وركن من أركان الإسلام.. شريعة: إبراهيم، وإسماعيل، ومحمد، عليهم الصلاة، السلام -.

ومن عظمة الحج أن سميت سورة من سور القرآن الكريم، كتاب الله المنزل، بسورة الحج، تكريما وتعظيما لهذه الشعيرة المفروضة على كل مسلم يعبد الله فى الأرض.

وقوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾(١)، وقوله: ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾(٢) امر إلهى بإعلام الناس بفرضية الحج، وبأن يؤدوا هذه الشعيرة المعظمة وأذّن: من الأذان، وهو الإعلام، أى: أعلم الناس عامة بشعيرة الحج، وبأن الله - عزّ وجلّ - فرضه عليهم كافة، والأمر فى

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ لإبراهيم - عليه السلام -، لأنّ الآية السابقة هى عن إبراهيم

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(٣).

بمعنى: هيأنا أو جعلنا، والبيت هنا: الكعبة.

وقيل الخطاب والأمر فى ﴿ وَأَذِّن ﴾ لرسولنا محمد - ﷺ - وروى أنه لما أمر بالأذان بالحج صعد على جبل أبى قبيس ونادى: أيها الناس، إنّ الله قد أمركم بحجّ هذا البيت فحجوا، فسمعه الناس جميعا وأجابه فى ذلك الوقت كل

(١) آل عمران (٩٧)   (٢) الحج (٢٧)   (٣) الحج (٢٦)

مخلوقات الله من إنس وجن: [لبيك اللهم لبيك]. ووصف الله - عز وجل - البيت بالعتيق أى القديم فى قوله - تعالى -:

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾[4] لأنه أول بيت وضع للناس، حيث يقول الله - عز وجل -:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[5].

وروى أن موضع البيت كان آدم يعبد الله فيه، ثم درس بالطوفان فدلَّ الله - عز وجل - إبراهيم - عليه السلام - على مكانه، وأمره ببنيانه

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[6].

ويقول الله - عزَّ وجلَّ -:

﴿ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[7].

كما يقول - عزَّ وجلَّ -:

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[8].

وكما أمر إبراهيم - عليه السلام - بالأذان بالحج أمر كذلك رسولنا محمد - ﷺ - بالأذان به، فالحج شريعة إبراهيم وإسماعيل ومحمد - عليهم الصلاة والسلام -.

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه -: «سئل رسول الله - ﷺ -: أى العمل أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد فى سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور»[9].

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: رسول الله - ﷺ -: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[10] وعن جابر - رضى الله عنه -: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من حجَّ فلم يرفث ولم يفسُقْ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[11]، وعن عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(٤) الحج (٢٩).
(٥) آل عمران (٩٦، ٩٧).
(٦) البقرة (١٢٧).
(٧) البقرة (١٢٥).
(٨) البقرة (١٢٨، ١٢٩).
(٩) رواه الشيخان فى صحيحيهما.
(١٠) رواه مالك فى موطئه، والشيخان.
(١١) رواه الشيخان.

« تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة »[١٢] وفى حديث ابن عمر – رضى الله عنه – : « تابعوا بين الحج والعمرة، فإن متابعة ما بينهما تزيد فى العمر والرزق، وتنفى الذنوب من بنى آدم »[١٣]. ومعنى هذه المتابعة: إذا حججتم فاعتمروا، وإذا اعتمرتم فحجوا، وعن رسول الله – ﷺ – : « إن الهجرة تهدم ماكان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله »[١٤].

وعن رسول الله – ﷺ – انه قال: إن الله – عز وجل – يباهى ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة فيقول انظروا إلى عبادى آتونى شعثا غبرا[١٥].

وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – مرفوعا: « ان الله يباهى بأهل عرفات ملائكة السماء »[١٦].

الحج، وما أدراك ما الحج، هو احد اركان الإسلام، وهو فرض على كل من استطاع إليه سبيلا.

٢

وفى تحديد سنة فرض هذه الشعيرة المقدسة خلاف.

البعض يذهب إلى ان الحج فرض عام خمسة من الهجرة، وبهذا قال كثير من العلماء، لانه نزل فى هذا العام قوله – تعالى – :

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ اى وأتوا بهما تامين. وقال القسطلانى فى « المواهب اللدنية »: ويؤيده قراءة علقمة ومسروق والنخعى بلفظ: واقيموا رواه ابن جرير الطبرى بأسانيد صحيحة عنهم. وقيل: المراد بالإتمام: الإكمال بعد الشروع، وهذا يقتضى تقدم فرض الحج قبل ذلك، وقد وقع فى قصة ضمام ذكر الأمر بالحج، وكان قدومه على ماذكره الواقدى سنة خمسة وفى هذا – إن ثبت – دلالة على تقدم فرضية الحج على سنة خمس او وقوعها فيها قبل قدوم ضمام.

والبعض الآخر يذهب إلى ان الحج فرض فى السنة التاسعة من الهجرة، حكاه النووى فى (الروضة)، والماوردى فى (الأحكام السلطانية)، وصححه القاضى عياض والقرطبى، وصوبه ابن القيم فقال: فرض الحج سنة تسع وان آية فرضه وهى قوله – تعالى – :

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾[١٧] – قد نزلت عام الوفود او آخر عام تسعة، وانه – عليه الصلاة والسلام – لم يؤخر الحج بعد فرضه عاما واحدا، ويؤيد ذلك أن صدر سورة آل عمران قد نزلت عام تبوك سنة تسع، وفيها ناظر اهل الكتاب، ودعاهم إلى التوحيد، وبها نزلت الآية:

---

(١٢) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، ورواه غيره.

(١٣) رواه الدارقطنى، والطبرانى فى معجمه الكبير.

(١٤) رواه ابن خزيمة، ورواه مسلم.

(١٥) رواه احمد والطبرانى فى الكبير والصغير.

(١٦) رواه ابن حبان وأحمد.

(١٧) آل عمران (٩٧).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾(١٨)، والمناداة بها كانت عام تسعة، وبعده حج الصدّيق – رضى الله عنه – يؤذن بذلك فى موسم الحج، وأردفه بعلى – رضى الله عنه –.

وحج رسول الله – ﷺ – بعد الهجرة حجة واحدة سنة عشر من الهجرة.

وفى العام العاشر بعث رسول الله – ﷺ – رسله منادية فى القبائل والعشائر والأحياء بأن رسول الله – ﷺ – يريد الحج فى هذا العام فمن أراد أن يحج معه فليتهيأ وليأت المدينة، فتجمع المسلمون من كل مكان فى مدينة رسول الله – ﷺ – ليؤدوا شعيرة الحج معه، حتى بلغ عددهم مائة ألف أو يزيد. وأما العمرة فقد أداها الرسول أربع مرات:

١– عمرة الحديبية سنة ست من الهجرة ولم يتمّها رسول الله بل تحلّل منها ورجع إلى المدينة بناء على الاتفاق الذى وقع بينه وبين مشركى مكة.

٢– عمرة القضاء سنة سبع.

٣– عمرة الجعرانة عام الفتح سنة ثمان، لما قسّم رسول الله – ﷺ – غنائم حنين، وقيل: إنها كانت فى آخر شوال والمشهور أنها كانت فى ذى القعدة وعليه الجمهور عامة.

٤– عمرة حجة الوداع فى السنة العاشرة.

وفى العام العاشر خرج الرسول – ﷺ – من المدينة يريد الحج ومعه مائة ألف أو يزيد يريدون الحج مع رسول الله – ﷺ – وامتلأت الشعاب بهذا الشعار العظيم: لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

ومضى موكب رسول الله – ﷺ – ومن معه من المدينة إلى مكة ولا يستطيع أى بليغ أن يصور جلال هذا الموكب المحمدى العظيم، موكب الحج، موكب السلام والإيمان والتوحيد.

ركب رسول الله – ﷺ – ناقته القصواء، وقد أهلّ من ذى الحليفة، ملبيا بالحج والعمرة، صاعدا شرف البيداء، والمسلمون محرمون ملبّون من بين يديه، وقد امتلأ بهم الوادى، وسالت بهم الشعاب، واهتزت بمسيرتهم الصحراء، وجبريل ينزل على الرسول الأكرم بقوله – تعالى –:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾(١٩).

والرسول – ﷺ – فى وسط هذا الموكب العظيم كالقمر وسط النجوم.

وتجمع الناس فى مكة، ينتظرون مقدم رسول الله – ﷺ – ليؤدوا فريضة الحج معه، والحرم المكى يموج بالحجاج كالبحر الهادر، ودلف رسول الله – ﷺ – إلى الحرم الشريف مكبرا مهللا ومن خلفه الآلاف من الحجاج

(١٨) التوبة (٢٨).

(١٩) المائدة (٣).

لبيت الله الحرام ويقول رسول الله وهو يدخل المسجد: اللهم زد هذا البيت أو زد بيتك هذا تشريفا وتكريما وتعظيما ومهابة وبرا، ثم يستلم الحجر الأسود، ويطوف بالكعبة المشرفة ويشرب من ماء زمزم ثم يسعى بين الصفا والمروة.

وجاء يوم التروية، والمواكب تتهيأ للمسير إلى منى، والرواحل تسير، ويركب الرسول في الصحوة الكبرى، قاصدا منى ملبيا، فينزل بالخيف، ويصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم يبيت وينهض فيصلي الفجر، ويسير مع أصحابه إلى (نمرة) فيقيل فيها ويسير عند الزوال إلى مصلى (نمرة) فيخطب خطبتين يشرح فيهما المناسك، وأصوات الحجاج ترتفع إلى عنان السماء، وينادي المؤذن للصلاة، ويصلي رسول الله - ﷺ - الظهر والعصر جمعا وقصرا. ثم يسير بالناس إلى عرفات، والحج عرفة، ويقف في سفح جبل الرحمة، ويخطب الجمع الحاشد خطبة حجة الوداع، وتغرب الشمس، ويدفع الرسول الأكرم، حيث يفيض حجاج بيت الله معه ويصل الرسول إلى المزدلفة فيصلي المغرب والعشاء جمع تأخير، ثم يلتقط الحجارة، ويبيت بها داعيا ملبيا، ويصلي الفجر، ثم يقف بالمشعر الحرام ملبيا شاكرا لله، حامدا له على هدايته، وعند الإسفار قبل طلوع الشمس يسير رسول الله حتى يصل إلى (وادي محسر)، فيسرع محركا دابته، ثم يأتي وسط منى، سالكا بطن الوادي حتى يقف مستقبل الجمرة الكبرى فيرميها بسبع حصيات مكبرا، ويأتي وسط منى فينحر البدن، وهي مائة بدنة، ينحر منها ثلاثا وستين بيده الشريفة، وهي قائمة متوجهة نحو القبلة، وينحر علي بن أبي طالب باقيها بإشارة من رسول الله - ﷺ - ثم يحلق رسول الله رأسه، ويذهب بعد ذلك إلى مكة، فيطوف طواف الإفاضة. ويعود إلى منى ويمكث فيها، يكبر دبر الصلوات، ويرمي في أيام التشريق الجمرات بعد الزوال. ويخطب في اليوم الثاني، مبينا للناس أمور مناسكهم وحجهم، ويودع الرسول أصحابه قائلا: لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.

موكب خالد لم ير مثله الزمان

موكب الرسول الأعظم في أيام الحج الأكبر موكب أحاطه الله - عز وجل - بالعزة والجلال والشرف. وحسبك أن جبريل وملائكة الله قد شهدته وأحاطت به إحاطة السوار بالمعصم.

إن مكة والبيت الحرام، وشعاب الوادي من مكة إلى عرفات، قد شهدت هذا الموكب الجليل، موكب الرحمة والمغفرة والرضوان.

فسلام عليك يا خاتم المرسلين وسيد النبيين، وسلام على أصحابك إلى يوم الدين.

دعوة التقريب

لفضيلة الشيخ / محمود عبد الغنى عاشور
وكيل الأزهر الشريف

شهدت مدينة (قم) بإيران يومى ٨، ٢٠٠١/١/٩ مؤتمرا عالميا للاحتفال بذكرى سماحة آية الله بروجودى وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق. وقد أقام هذا المؤتمر الدولى مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية بإيران بالاشتراك مع الأزهر الشريف الذى أوفد خمسة عشر عالما من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية للمشاركة فى أعماله ببحوث علمية.

وتحدث فى المؤتمر فضيلة الأستاذ الشيخ محمود عبد الغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف فقال:

إذا كانت الدعوات تشرف بشرف أهدافها، وتسمو بسمو غاياتها فإن دعوة التقريب تأخذ أعلى مكانة فى تاريخ الإصلاح الإسلامى قديمه وحديثه.. لأنها دعوة إلهية.

الله - عز وجل - هو الذى وضع أساسها ورسم منهجها.. ورفع من شأن الداعية إليها ووجه الرجاء إلى اجتناء ثمرتها كل ذلك فى آية واحدة من كتابه العزيز: إذ يقول - سبحانه -:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

فالجملة الأولى من الآية: تقرر حقيقة من الحقائق الثابتة: «إنما المؤمنون اخوة» أى أن هذا شأنهم وتلك حقيقة أمرهم. فليس للمسلمين بعد هذا أن يسيروا إلى هدف يخالف هذا الهدف، ولا أن يخرجوا عن مقتضيات هذه الأخوة لأى سبب من الأسباب.

والجملة الثانية: تأمر بإصلاح ذات البين. أى بأن يدرأ المسلمون عن أنفسهم كل ما يفسد علاقة الأخوة التى قررها الله بينهم. ومن أجل ذلك جاء تحذير رسول الله - ﷺ -: إذ يقول: «إن فساد ذات البين هى الحالقة».

(١) الحجرات (١٠).

والجملة الثالثة من هذه الآية الجامعة: تأمر بأن يكون الإصلاح بين المسلمين في ظل من تقوى الله. فتحذر بذلك من اتباع الهوى. والتواء القصد وأن يزعم فريق منهم أنه ما يريد إلا الإصلاح: بينما هو يريد التعقيد واللجاجة بالباطل فإن الله عليم بذات الصدور. ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

والجملة الرابعة: هي جملة الختام. يوجه الله فيها رجاءنا إلى ثمرة هذه الدعوة فيقول: «لعلكم ترحمون» وما الرحمة في هذا المقام إلا تيسير اليسرى لمن استقام على الطريقة المثلى.

تلك هي دعوة التقريب في أساسها ومنهجها وثمرتها.

إن فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية لا تعني توحيد المذاهب الإسلامية ولا صرف أي مسلم عن مذهبه، ففكرة توحيد المذاهب أو إدماجها عمل ضد العقل، وضد طبيعة البشر، كما أن صرف المسلم عن مذهبه تحت شعار التقريب تضليل.

وفكرة التقريب كما شرحها روادها، وكما يجب أن تكون هي تذكير المسلمين بنقاط الوفاق بينهم، وهي كثيرة، كما أنها في أصول الدين وثوابته.

أما نقاط الخلاف فهي فرعية لا ينبغي أن تسبب تباعدا أو شقاقا ولذلك، فإن الاجتماع على فكرة التقريب يجب أن يكون أساسه البحث والإقناع والاقتناع. حتى يمكن بسلاح العلم والحجة محاربة الأفكار الخرافية الطفيلية التي لا تعيش إلا في ظل الأسرار والأجواء المظلمة.

والتقريب كما نفهمه -دعوة إلى التعرف على وجوه الاتفاق، والالتفاف حول مواضع الاتحاد، والقربى ومعالم الأخوة، التي تربط بين المسلمين وأن يلتقي علماء المذاهب يتبادلون المعارف والدراسات، ليعرف بعضهم بعضا في هدوء العالم المتثبت المتبصر، الذي لا هم له إلا أن يرى ويعرف ويقول فينصف.

إن فكرة التقريب بين المذاهب في ضوء الفكر المستنير المستقيم الراشد، والتي اجتمع شملكم عليها فكرة حوارية علمية تعتمد الاجتهاد والحجة، وتمقت التعصب والتشرذم والانغلاق، وترحب بالرأي ما دام يعتمد على المنطق والدليل وهي فكرة تدعم الوحدة الإسلامية، وليس غريبا أن يكون عرض الخلافات المذهبية عاملا في تدعيم وحدة المسلمين، لأن ذلك يتمشى مع ما كان عليه أصحب المذاهب المختلفة من التقدير المتبادل وذم التعصب للرأي. وأقوالهم في ذلك معروفة.

وأحسب أن الأحاديث العظيمة التي وردت في هذا الباب تدعو كل مجتهد لأن يبذل جهداً وهو مأجور عليه بإذن الله -تعالى- فإن المجتهد إذا أصاب له أجران، وإن أخطأ فله أجر، إن هذه القاعدة تدفع دفعا إلى الحوار ونبذ الفرقة وتقبّل الآخر، وتغري بالانفتاح والاجتهاد، وتدفع إليه دفعا.

إن مبدأ الاجتهاد يعني احتمال الخطأ، وما دام احتمال الخطأ وارداً فاحتمال صواب المخالف وارد -أيضا- وبشكل متساو.

كل هذا كما تعلمون شرطه الاتفاق على الثوابت التي لا تقبل الاجتهاد أو المخالفة، وهي الأصول المعروفة لدى المسلمين جميعاً وإذا كان الأمر كذلك -وهو كذاك فعلا- فلا ينبغي أن تطغى العصبية المذهبية على المسلمين، بل الواجب أن يأخذوا بما أظهر البرهان صوابه، وأن تكون الرغبة الصادقة في الوصول إلى الحق ملء جوانحهم.

وأرى أن تجرى دراسات مقارنة بين المذاهب المختلفة الأربعة السنية والجعفرية والزيدية والظاهرية بل وآراء بعض المجتهدين الذين لم يشتهر عنهم مذهب معين.

وفى ضوء ما سبق وفى إطارة الواضح المستقيم يصبح الخلاف الفقهى المذهبى وسيلة من وسائل القوة العلمية والسماحة الفكرية متمشيا مع طبيعة الإسلام العالمى الدعوة التى تعم البشر جميعاً، ويتفرغ المسلمون لما هو أولى بهم من التعرف على أسباب نصرة الدين وإصلاح حال المسلمين.

وإننى فى هذا اليوم أتذكر علمين من أعلام التقريب ملكا فكراً حراً وجراة فى الحق لا تبارى.

أولهما:

فضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت الذى ولد فى بلدة منية بنى منصور مركز إيتاى البارود محافظة البحيرة جمهورية مصر العربية فى ٢٢ / ٤ / ١٨٩٣ حفظ القرآن الكريم وعمره اثنى عشر عاما نشأ فى أسرة دينية، فوالده تخرج فى الأزهر، وجده أيضا ولا يوجد منزل فى عائلته إلا وفيه عالم أو حافظ للقرآن الكريم.

تخرج فى الأزهر ١٩١٨ وتنقل فى التدريس إلى أن نقل إلى القسم العالى بالقاهرة سنة ١٩٢٧ وكان داعية إصلاح نير الفكر سعى إلى إصلاح الأزهر، وفُصِلَ هو ومناصروه، فعمل بالمحاماة، وأعيد إلى الأزهر وعين وكيلاً لكلية الشريعة. وكان عضواً فى هيئة كبار العلماء وكان خطيبا موهوبا، له ستة وعشرون مؤلفا فى التفسير، وشتى فروع الثقافة الإسلامية، وله اجتهادات لم يُسبق إليها منها فتواه الشهيرة التى أصدرها فضيلته وهو شيخ الجامع الأزهر بجواز التعبد على أى مذهب من المذاهب الإسلامية التى عرفت أصولها ونقلت نقلا صحيحا. فلقد كانت هذه الفتوى ثمرة يانعة من ثمار التقريب، صدرت من رجل عظيم ذى مركز خطير فى الإسلام اعتنق الفكرة من أول يوم.

والثانى هو:

السيد الأجل والحبر الأعظم آقا حسين الطباطبائى البروجودى ولد فى بروجود غربى إيران من أسرة عرفت بطول باعها وسعة معارفها فى الشريعة الإسلامية، ولا غرو، أن الأسرة الطباطبائية من صلب الإمام جعفر الصادق، الرائد الأول للمذهب الجعفرى، الإمام السادس عند الشيعة الإمامية الإثنى عشرية وهم الأقرب فى مذهبهم إلى أهل السنة ويدرس مذهبهم ضمن المذاهب التى تدرس فى الأزهر الشريف.

بدأ دراساته فى مسقط رأسه ثم انتقل إلى أصفهان وقم ورحل إلى النجف الأشرف، وهناك استطاع أن يترقى فى درجات العلم المطلوب والمرتبة المعهودة لعلماء الشيعة، ممن ينالون درجة الاجتهاد، التى تؤهل صاحبها أن يكون مرجعا للتقليد لاتباع المذهب، وبعدها عاد إلى مسقط رأسه بروجود وبقى هناك مشتغلا بالعلم والتدريس إلى أن هيأت له الأقدار تولى مرجعية التقليد فى إيران، ورحل إلى مدينة قم، وتولى بذلك زعامة المذهب الإمامى الإثنى عشرى.

وتذكر مجلة «رسالة الإسلام» لسان جماعة التقريب الجهود الكبيرة التى بذلها الإمام السيد حسين الطباطبائى البروجودى، والذى يُعد من أكبر العاملين على جمع كلمة المسلمين، فهو لم يكن رجل طائفة فحسب، أو صاحب مذهب معين أو القائد الروحى لشعب بذاته، وإنما كان رجل الدنيا والدين للناس جميعا والإسلام.

توفى فى ٣٠ مارس سنة ١٩٦١.

نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم

لفظ «عمر»

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد ففى هذا المقال بمشيئة الله وعونه سنلقى النظرات على مادة «عمر».

يقول الفيرزآبادى فى بصائره: العُمر والعَمر أى بضم الميم وسكونها اسم لمدة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء فإذا قيل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه. وإذا قيل بقاؤه فليس يقتضى ذلك لأن البقاء ضد الفناء ولفضل البقاء على العمر وصف الله - تعالى - به وقلما وصف بالعمر[1].

ولقد ذكرت هذه المادة بكل مشتقاتها فى كتاب الله سبعا وعشرين مرة منها عشر مرات أسماء (العُمُر، العمرة، المعمور، عمارة، عمران) والباقى فى صورة أفعال ماضية ومضارعة مبنية للمعلوم تارة وللمجهول أخرى.

ونتعرض للأسماء أولا فنقول بتوفيق الله وإعانته:

العُمْر والعَمْر واحد أى أتى فى عينها الضم والفتح لكن خص القسم بالمفتوحة كقوله - تعالى -:

﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[2].

وعَمْرَكَ الله أى: سألت الله عمرك وخص هنا لفظ عمر لما قصد به القسم «ا - هـ»[3].

وأول سورة ذكرت فيها كلمة العمر سورة يونس - عليه السلام - فى قوله تعالى:

﴿ قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4]

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز جـ٤ ص ١٠٠ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

(٢) الحجر (٧٢)

(٣) بصائر ذوى التمييز (١٠٠/٤).

(٤) يونس (١٦)

ذلك أن الكفار طلبوا من الرسول - ﷺ - أن يبدل القرآن أو يأتيهم بقرآن آخر فرد - صلوات الله عليه - عليهم بأنه يتبع ما يوحى إليه لأنه إن بدل أو غير وقع تحت طائلة العذاب العظيم وقال لهم ما أمره به ربه . لو شاء الله ألا أتلوه عليكم ما تلوته عليكم لكنه سبحانه أنعم عليّ وعليكم وعلى الدنيا كلها بهذا القرآن أمرني أن أتلوه عليكم والدليل على ذلك أني لبثت فيكم أربعين سنة قبل أن يوحى إلي لم أتلُ عليكم أي قول يشبه القرآن لا في اللفظ ولا في المعنى، ولا في الغاية والهدف وهذا من أعظم الأدلة على أن القرآن من عند الله أفلا تعقلون، إن من كان مثلي أميا لا يمكن أن يأتي بهذا القرآن من عنده.

وفي سورة النحل جاءت كلمة العمر في قوله - تعالى - :

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾(٥).

والمعنى: والله أوجدكم من العدم بعد أن لم تكونوا شيئا فمنكم من يموت في طفولته أو صباه أو شبابه ومنكم من يعيش حتى يصير شيخا فيرد إلى أرذل العمر، وأرذل العمر أردؤه وأخسه لأنه في هذه المرحلة تضعف ذاكرته وقواه فلا يعلم الكثير مما كان يعلمه في صباه إن الله عليم بكل شيء قدير عليه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وجاءت الكلمة أيضا في سورة الأنبياء في قوله - تعالى - :

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾(٦).

والحديث فيها عن أهل مكة الذين أبطرتهم النعمة وغرهم طول العمر والأمل فنسوا عهد الله وجهلوا مواقع النعمة ولم يتعظوا بما يدور حولهم من أحداث فقد فتح الله البلاد للمؤمنين . وهذا هو نقص الأرض من أطرافها . وأخضعوها لسلطانهم العادل وقتلوا رؤساء الكفر فكيف لا يتعظ أهل مكة؟ هل يظنون أنهم أقوى ممن هزموا.

وتأتي الكلمة مرة أخرى في سورة الحج في قوله تعالى :

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾(٧).

والمعنى فيها كالمعنى الذي جاء في سورة النحل غير أن آية الحج سيقت لبيان إمكان البعث فذكرت مراحل خلق الإنسان من تراب ونطفة وعلقة ومضغة ثم ولادته وطفولته ولذلك ذكرت على سبيل التمثيل أن الأرض

---

(٥) النحل (٧٠). (٦) الأنبياء (٤٤). (٧) الحج (٥).

تكون هامدة فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت بالنبات وارتفعت فصارت حية بعد أن كانت ميتة ولذلك جاءت الآية التالية تؤكد هذا المعنى

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٨).

وتأتى الكلمة مرة أخرى فى سورة الشعراء فى قوله- تعالى- حكاية عما قاله فرعون لسيدنا موسى- عليه السلام-:

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾(٩).

لقد ذهب موسى- عليه السلام- إلى فرعون بأمر الله يدعوه إلى الإيمان ونبذ ما هو عليه من تأليه نفسه وظلم الناس فقال له فرعون على سبيل التهكم والتقريع: ألست الفتى العبراني الذى ربيناك فى قصرنا ولم نقتلك كما فعلنا بالصبيان وأنعمنا عليك سنين طويلة ثم قتلت القبطي وفررت بعد أن كفرت بنا فرد موسى -عليه السلام- بالاعتراف بجميل التربية لكنه دافع عن نفسه فى موضوع القتل والكفر فقال له إنى لم أتعمد قتل المصرى بل وكزته على سبيل التأديب والردع وكنت أجهل أن هذه الوكزة الخفيفة ستقضى عليه.

وجاءت الكلمة فى قوله- تعالى- فى سورة القصص

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾(١٠).

والغربى هو الجبل الذى تم فيه الميقات أربعين ليلة وكلم الله - سبحانه - عنده موسى وقضى إليه أمر الرسالة، و أعطاه ألواح التوراة، والمعنى انك يا محمد لم تكن حاضرا مع موسى فى الجبل الغربى الذى واعدناه عنده وأنهينا إليه أمر الرسالة وكلفناه بالنبوة وأعطيناه التوراة فمن أين أتاك علم هذه التفاصيل حتى تخبر بها وأنت أمى نشأت فى قوم أميين، إنه الوحى الذى شرفك الله به لا مراء، يعنى أن إخبارك بأحوال الأمم والأنبياء السابقين لأكبر دليل على صدق رسالتك وصدق نبوتك، ولما تطاول العمر والعهد على موسى وتعاقبت أجيال كثيرة ونسيت رسالته أو زيفت وبدلت كان من الضرورى أن نرسل رسولاً لتجدد دين الله فقد سبقت كلمتنا وجرت حكمتنا أنا لا نعذب قوما حتى نبعث إليهم رسولا وذلك قوله جل جلاله: «ولكنا كنا مرسلين» والموضع الأخير الذى جاء فيه لفظ العمر فى سورة فاطر قال- تعالى-:

---

(٨) الحج (٦).

(٩) الشعراء (١٨).

(١٠) القصص (٤٤-٤٥).

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(١١).

وقد ذكر فى الآية الكريمة ثلاث كلمات من المادة التى نحن بصدد الحديث عنها وهى يُعمر، مُعمَّر، عُمُرٌ، تقول عُمِّرَ الرجل أى طال عُمُره فهو مُعَمَّر ولا يقال كما هو شائع على سبيل الخطأ عَمَّر بالبناء المعلوم لأن المعمِّر هو الله فالكلمة مبنية للمجهول أى بضم العين ومن طال عمره فهو مُعَمَّر.

وفى الآية دليل على إمكان البعث فالله الذى خلق الإنسان من تراب تحول فى الغذاء إلى نطفة وتحولت النطفة فى الرحم إلى علقة والعلقة إلى مضغة ثم صار بشرا سويا منه الذكر والأنثى ليتم التعادل والتزاوج وتستمر الحياة وذلك كله يتم وفق تقدير الله وعلمه السابق الذى لا يتخلف فما من أنثى تحمل أو تضع إلا والله عليم بها وما من مخلوق يُزاد فى عمره أو ينقص إلا كان ذلك فى صحيفته التى سطرت أزلا يوم نفخ الملك فيه الروح وحدد الله عمره وعمله وحاله ومآله وكل شئ يتصل به ذلك يسير على الله - تعالى - أليس الذى فعل هذا كله قادرا على البعث وإحياء الناس بعد أن يصيروا ترابا.

وبعد أن فرغنا من الحديث عن كلمة العُمُر ننتقل إلى كلمة العمرة ولم تذكر فى القرآن الكريم إلا واحدة فى قول تعالى -:

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(١٢).

والعُمرة فى اللغة الزيارة التى فيها عمارة الود لكنها فى الشرع زيارة مخصوصة بشروط مخصوصة، أو هى زيارة بيت الله الحرام لأداء النسك أو لتطواف به بالشروط المبينة فى كتب الفقه، وهى كالحج فرض فى العمر مرة واحدة عند الشافعية والحنابلة وسنة عند الأحناف والمالكية.

ومعنى الآية والله أعلم أيها المسلمون أدوا الحج والعمرة تامَّين فإن منعتم من الوصول إلى البيت لأى سبب عدو أو غيره فعليكم ما تيسر لكم من الهدى يذبح حيث أحصرتم ثم تتحللون من إحرامكم ومحظور على المحرم بحج أو عمرة أن يحلق رأسه أو يقلم أظافره فإن كان بالمحرم مرض أو أذى فى رأسه كحكة أو قمل فله أن يحلق رأسه أو يلبس المخيط

(١١) فاطر (١١).

(١٢) البقرة (١٩٦).

وعليه فدية صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين أو ذبح شاة وهو المراد بالنسك في قوله – تعالى –:

﴿ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾

وهذا على التخيير فأيهما فعل جاز، ثم ذكرت الآية ما يجب على المتمتع بالعمرة إلى الحج «فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى» أي عليه دم نسك شكرا لله الذي أتاح له الجمع بين العمرة والحج هو كالأضحية يذبح يوم النحر ويجوز لصاحبه أن يأكل منه فإذا لم يجد الهدى لعدم وجوده أصلا أولعدم القدرة على شرائه لفقره فعليه صيام عشرة أيام: ثلاثة منها أثناء الإحرام (السابع والثامن والتاسع من ذى الحجة) والسبعة الباقية يصومها إذا رجع إلى بلده أو في الطريق إليها بعد أن يغادر مكة، والتمتع ما يترتب من وجوب الهدى أو الصوم خاص بالقادمين من خارج مكة، أما أهل مكة فلسهولة أداء العمرة عليهم في أي وقت ليسوا مضطرين إلى أدائها أيام الحج «ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام» وتختم الآية بقوله – تعالى –:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

أي حافظوا على أداء الأوامر واجتناب النواهي من غير إفراط ولا تفريط لأن الله شديد العقاب لمن انتهك حرماته والله أعلم.

والكلمة الثالثة من كلمات هذه المادة كلمة «عمارة» وقد ذكرت في قوله – تعالى –:

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾(١٣).

ومعنى العمارة هنا حفظ البناء وقد يراد بها العمارة المعنوية كالعمرة مثلا وقد روى مسلم عن النعمان بن بشير في سبب نزول هذه الآية قال: كنت عند منبر رسول الله – ﷺ – في نفر من أصحابه فقال رجل منهم: ما أبالى ألا أعمل عملا بعد الإسلام إلا أن أسقى الحاج، وقال رجل آخر: بل عمارة المسجد الحرام، وقال آخر: بل الجهاد في سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر – رضي الله عنه – وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله – ﷺ – وذلك يوم الجمعة ولكن إذا صليت دخلت على رسول الله – ﷺ – لأستفتيه فيما اختلفتم فيه فدخل بعد الصلاة فاستفتاه فأنزل الله

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

فبينت الآية أن الجهاد في سبيل الله أفضل من سقاية الحجاج وعمارة المسجد الحرام مع فضل السقاية والعمارة لقوله: «لا يستوون» ولأن الرسول – ﷺ – أبطل كل مآثر الجاهلية إلا السقاية والسدانة أو الحجابة قال – صلوات الله عليه –: «كل مأثرة من مآثر الجاهلية تحت قدمي إلا سقاية الحاج وسدانة

---

(١٣) التوبة (١٩)

البيت » أى عمارته، وقد كانت السقاية قبل الإسلام من مآثر قريش وأقرها الإسلام وكانت لبنى هاشم وكانت للعباس قبيل الإسلام وبعده، أى أن العباس ولى السقاية باعتباره واحد من بنى هاشم فى الجاهلية والإسلام وسدانة البيت: عمارته وإصلاحه وكانت فى بنى طلحة وأقرهم الرسول عليها.

والآية ترد على المسلمين الذين تنازعوا واختلفوا فى أى هذه الأعمال أفضل السقاية والعمارة والجهاد تقول لهم لاينبغى أن تجعلوا السقاية والعمارة كالجهاد فى الفضل والثواب وإن كان كل منهما –السقاية والعمارة– من أعمال البر لكن أصحابهما لايدانون فى الفضل والثواب المجاهدين فى سبيل الله.

والكلمة قبل الأخيرة من كلمات هذه المادة الأسماء كلمة عمران وقد ذكرت فى سورة آل عمران فى قوله– تعالى–:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(١٤).

وقوله:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾(١٥).

وآل عمران هم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وأمه– عليهم جميعا السلام–، وعمران وآله – كما يقول المفسرون – هو الفرع الزاكى من شجرة إبراهيم – عليه السلام –.

وينتهى نسبهم إلى يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فهم من ذرية إبراهيم، وإبراهيم من ذرية نوح، ونوح من ذرية آدم فهم ذرية بعضها من بعض وهم أشباه فى الخير والفضيلة التى جعلتهم أهلا لاصطفاء الله لهم للرسالة.

وقد قالت حنة أم مريم امرأة عمران بن ماثان من نسل يهوذا بن يعقوب وهو غير عمران أبى موسى– عليه السلام– فهو من نسل لاوى.

قالت أم مريم حين حملت بها: رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محررا أى خالصا لخدمة المعبد فقد رجت أن يأتى حملها ذكرا إذ لا يقبل لهذه المهمة إلا الذكور فلما جاءت أنثى أسفت وقالت رب إنى وضعتها أنثى فقال لها سبحانه:

﴿ لَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ أى ليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى رزقت فليس كل ذكر أفضل من كل أنثى ولأنها أفضل من الذكر الذى أملته تقبلها ربها بقبول حسن وانقطعت للعبادة ونفخ الملك فيها فحملت بعيسى– عليه السلام–.

والكلمة الأخيرة من أسماء هذه المادة هى المعمور وقد جاءت هذه الكلمة فى قوله– تعالى–:

﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾(١٦).

والبيت المعمور هو الكعبة أو هو بيت فى السماء الرابعة حيال الكعبة – أى بإزائها – يطوف حوله الملائكة، أقسم الحق به على أن عذاب الكفار واقع يوم القيامة ليس له من دافع.

وفى المقال القادم بمشيئة الله – نعرض للأفعال من هذه المادة.

(يتبع)

---

(١٤) آل عمران (٣٣). (١٥) آل عمران (٣٥). (١٦) الطور (٤).

دعوة الإسلام كما ينبغي أن نبلغها

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

لست أدري لماذا أحس كأن قصوراً في الدعوة إلى دين الله - تعالى - وأن هذا القصور راجع إلينا، لا لأننا نذرنا للرحمن صوماً فلن نكلم اليوم إنسياً؛ بل نحن نكثر الكلام إلى حد الثرثرة، حتى نصيب من يسمعنا بالملل. لكن المشكلة أننا نتكلم لغة لا يفهمها الناس كثيرا، بل وفي بعض الأحيان لا نفهمها نحن، وحتى إذا فهمناها كتراكيب لغوية، فنحن غير مقتنعين بما نقول أو غير راضين عنه.

ذلك برغم أننا في عصر العلم والكمبيوتر نخاطب الناس بعقلية بدائية، وبرغم أننا نعايش العلاقات الإنسانية المتدنية والعلاقات الأسرية المتهرئة نخاطب الناس بلغة لا تعالج الأسباب وتنشد الغايات البعيدة التي تبدو كأنها خيال، كما نقدم تعليلات غير مقنعة لبعض الأحكام لأنها غير حقيقية.

إن قصور الدعوة راجع إما إلى عجز لغة الخطاب أو سذاجة المحتوى، والمفارقة العجيبة أن الإسلام ينتشر برغم عجز أهله وذلك في رأيي ورأي الكثيرين من ذوي الألباب راجع للإسلام نفسه فإنه دين له (ديناميكية ذاتية) فهو يتقدم بذاته، وبطبيعته الخاصة، فهو دين واضح سهل، عقلاني، وجداني بدرجة متساوية مع الطبيعة البشرية.

فالمجتمع الغربي - مثلا - بعد أن أفرغ وجدانيا بفعل المادية وأصبحت حياته بليدة، هرع مثقفوه - الفلاسفة والعلماء - إلى الأديان يدرسونها بقصد الوصول إلى الحقيقة أو بقصد الاطلاع أو بدافع من الظمأ الوجداني، فيفاجؤن جميعا بمنطقية وعقلية تسير الحياة هادرة عميقة مفعمة بالمعرفة والأخلاق، فالإسلام وهو يطلب الإيمان بالرسالة والوحي المنزل يربط السماء بالأرض والإيمان بالحياة، والغيب بالمشاهدة، والدين بالدنيا والمسجد بالسوق، فيقول رسوله الكريم: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»(١).

والأمانة ليست قاصرة في معاملة أتباعه بعضهم مع بعض، بل خاطب بذلك الذي يخون عهدا حتى مع أعداء الإسلام قال - تعالى -: ﴿ فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ﴾(٢) وتشريعات

---

(١) مسند الإمام أحمد جـ ٣، ص ١٣٥ وابن حبان. ولفظ الطبراني: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له».

(٢) التوبة (٤).

الإسلام في الحرب أنبل وأسمى من تشريعات الآخرين في السلام، فإن الغرب الذي يمارس العنف الاستعماري مع شعوب الأرض جميعا، ويلوك كلمات الرحمة والرفق بالحيوان وهو يهدر آدمية البشر والدول!!

ولست أحب أن أسترسل في هذا المجال لكني أبرز القول في النقاط التالية وإن كان غيرها كثير:

(١) تعليل الأحكام.

(٢) السيرة والتاريخ الإسلامي.

(٣) لغة الخطاب.

وأقصد بتعليل الأحكام ـ مثلا ـ أن نعلل أو نذكر حكمة مشروعية حكم معين من الأحكام بيانا أعوج غير مقنع، و بالتالي فهو غير حقيقي، فمثلا نقول: إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ كتب الصوم حتى يحس الغني بالفقير الذي لايجد، وهي علة واهية، كان الأجدر ألا تذكر، حيث أنها لاتصلح علة أو حكمة لمشروعية الصوم لأنها لو كانت حكمة أو علة مشروعية لفرض الله الصوم على الأغنياء فقط ولم يفرضه على الفقراء، كما أن الأمر واضح في فرض الزكاة، فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يفرضها على الفقراء، فضلا عن أن علة الصوم ـ كما نفهمها وكما هي مثبتة في النص القرآني نفسه وفي كتب الفقه والتفسير ـ واضحة جلية وسهلة ومقبولة عقلا ومنطقا، فضلا عما يمكن أن يقدمه علم الأخلاق والسلوك والطب في فوائد وحكم للصوم.

ومثلا، يذكر البعض أن علة قصر الصلاة في السفر هي المشقة فهل يقنع هذا الخطاب وقد أصبحت وسائل الانتقال مريحة والسفر بها متعة لامشقة فيه؟

وليس المشكل أن فقيها أخطأ، فالخطأ وارد في الاجتهاد، لكن الخطأ القاتل للدعوة أننا نقدم للناس رسالة عامة خالدة من عند الله فلماذا نقدم أحكاما قاصرة، وننسبها للشريعة؟

فهل نحكم ببطلان صلاة القصر الآن؟ أم أن هناك فرقا بين حكمة المشروعية التي قد يستنبطها الفقيه أو المتحدث وبين علة الحكم التي تكون هي مناط التكليف؟ وماشروطها وضوابطها؟ ولو أننا عدنا إلى الحديث والسيرة النبوية أو التاريخ الإسلامي وكيف نقدمه للناس؟ وحتى يتضح ما أرمي إليه، أعود بك إلى مرحلة دراستي الثانوية.

ففي أول يوم ندرس فيه مادة الحديث، وكان الأستاذ الذي عليه أن يقوم بتدريس المادة لنا هو فضيلة الدكتور / محمد فتحي عبدالمنعم «كفيفا» أو كما كان يقول عنه الطلبة الليبيون زملاء الدراسة وصفا أحب إلى نفسي من هذا الوصف، كانوا يقولون: «بصيرا» قال ـ رضي الله عنه، ونور الله قبره كما نور عقولنا ـ: ماذا تعرفون عن حديث رسول الله ـ ﷺ ـ؟ فذكرنا له جملة من الأحاديث كنا نحفظها.

فقال: ليس عن هذا أسأل. لكن هل تعرفون متى قالها؟ فوجمنا قليلا، ثم أجبنا بإجابات غير ذات موضوع.

قال: لماذا قال النبي ـ ﷺ ـ الحديث؟

فلم نحر جوابا.

قال: هل كان النبي ـ ﷺ ـ يكتب أحاديثه ويخرج بها على الناس في هيئة مذكرات مثلا؟

فأخذنا غرور الجهل بالإجابة، وأسندنا ظهورنا

للحائط ـ كما يقولون ـ ، ثم قلنا فى كبرياء الجهل الحقيقى: الله أعلم.

قال ـ رضى الله عنه ونور الله قبره ـ: الحديث يا أبنائى وليد موقف ومعايشة من رسول الله ـ ﷺ ـ مع أصحابه، فالنبى ـ ﷺ ـ بين أصحابه يعيش معهم ويعايشهم، ويتكلم فى هذه المعايشة توجيها، وتعليما، وتوضيحا، وتقريرا فيكون الحديث، فالحديث ليس خطابا من برج عاجى، وخيمة معزولة عن الناس. كان بعض أصحابه يتعلم حكما أو أحكاما من الدين فيفعل حسب فهمه، فيوجهه النبى ـ ﷺ ـ إن أخطأ أو يسكت إن أصاب.

وقد يختلف أصحابه فى فهم كلامه فيفعل كل واحد غير الآخر، وقد لا يخطئ واحداً. إذن الحديث وليد معايشة، ثم قال ـ رضى الله عنه ـ: هل عرفنا هذه المعايشة؟ هل عشنا فى هذا الجو؟ ودرسنا الحديث من هذا المنطلق؟ أم أننا ندرس نصوصا مبتورة المنبت والنشأة. نحن الذين قطعناها من منشئها .

ثم قال ـ رضى الله عنه ونور الله قبره ـ: ماذا ندرس من حديث رسول الله؟

ثم أجاب عن نفسه ـ كأنه أدرك أننا نغلف جهلنا الصبيانى بأردية ـ علم مزعوم ـ: إننا ندرس اللغة نحوا وصرفا وبلاغة، وهذا وإن كان شيئا لا بد منه إلا أننا فى كثير من الأحيان نقف عند هذا الحد أو نضيف إليه شيئا من الأحكام الفقهية. أليس كذلك؟ قلنا: بلى.

قال: فنحن نقف بدراستنا للحديث حيث كان يبدأ الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ أى أن دراستنا للنحو والصرف والبلاغة كان يعرفها الصحابة، فلا بد أنهم كانوا يفهمون أشياء أخرى فوق ذلك. وأنهم كانوا يبحرون مع النبى ـ ﷺ ـ فى بحر كأنه التنزيل. إننا نحاول أن نبدأ مع الصحابة. ثم استعرض لنا أحاديث الكتاب المقرر فوجدناها جملة من الأحكام الفقهية أو السلوكية ثم بادرنا بسؤال آخر: هل عرفتم النبى ـ ﷺ ـ؟

فقلنا ـ فى سذاجة صبيانية مندفعة ـ: إنه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، وذكرنا نسبه الشريف.

قال ـ فى أبوة وحنو و رحابة صدر ـ: إن الصحابة عرفوه أبا وأخا وزوجا وقاضيا وإنسانا وعايشوه نبيا هاديا.

قلنا ـ فى غرور صبيانى تحمَّله ـ نور الله قبره ـ فى أبوة حانية ـ: نعم ذلك موجود فى كتب التراث الإسلامى.

ودق الجرس إيذانا بانتهاء الحصة. وانتهى العمر أو يكاد وأدركت مع الأيام كيف أن شعاعا من النور ملأ قلوب الرجال حوله ـ ﷺ ـ عرفته من خلال قول لأنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عندما انتقل الرسول ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى حيث يقول ـ رضى الله عنه ـ: «ما أن وارينا رسول الله ـ ﷺ ـ التراب، حتى أنكرنا قلوبنا».

ولازالت كلمات الأستاذ ـ رضى الله عنه ورحمه ـ فى ذهنى تطل علىَّ بإلحاح كلما قرأت أو فكرت فى الإسلام أو رسالة الإسلام كماينبغى أن نبلغها للناس.

«وللحديث بقية»

في رحاب الله

بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

فقدت مجلة الأزهر فجر الثانى من شهر شوال ١٤٢١هـ بل وفقد الأزهر الشريف بعامة رجلا من أخلص رجاله وجنديا من جنود الحق الذين لا تلين لهم قناة.

إنه الشيخ - عبدالمعز الجزار - رئيس تحرير مجلة الأزهر الذى كان جنديا على ثغر من ثغور الإسلام ظل يحميه ويدافع عنه حتى لقى ربه -تعالى-.

نسأل الله أن يتغمده برحمته ويفيض عليه من واسع مغفرته وإلى القارىء العزيز نبذة عن حياة الراحل الكريم:

ولد الشيخ عبدالمعز عبدالحميد الخضرى الجزار فى «طبلوها» مركز تلا محافظة المنوفية وحفظ القرآن الكريم فى سن التاسعة وجوده ثم التحق بالأزهر الشريف حتى أتم دراسته سنة ١٩٦٠ وكان متفوقا على مدى سنى دراسته فى كلية اللغة العربية.

وفور تخرجه من كلية اللغة العربية عمل بمدينة البعوث الإسلامية.

ولم يتوقف طلبه للعلم فالتحق بقسم الدراسات الإسلامية وحصل على دبلوم عال فى الدراسات الإسلامية سنة ١٩٦٤ كما حصل فى نفس العام على دبلوم تحسين الخطوط من مدرسة خليل أغا.

وقد تقلد كثيراً من المناصب فعمل: مشرفا بمدينة البعوث فعضوا فنيا بمجمع البحوث الإسلامية، فرئيسا للمكتب الفنى لوكيل الأزهر فرئيسا لبعثة الأزهر الشريف بأندونيسيا ولما عاد من أندونيسيا شغل منصب المدير العام للبحوث والتأليف والترجمة ثم أمينا عاما مساعدا بمجمع البحوث الإسلامية.

وأخيرا عمل رئيسا لتحرير مجلة الأزهر وقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات تأليفا وتحقيقا نذكر منها:

- كتاب «مع الإمام على -كرم الله وجه-».
- «رحلة الشوق والحنين».
- «ابن حجر الهيتمى».
- «دليل الصائم».

مناسك الحج والعمرة.

تحرير المقال في آداب وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال لابن حجر.

« أنيس الحج ».

« الإسلام وصحة الفرد والبيئة ».

« التغذية وأثرها في بناء الجسم وتربية النشء ».

« المنهج الإسلامي في رعاية الطفولة » بالاشتراك مع د/ سعد ظلام عميد كلية اللغة العربية سابقا وصدر بعدة لغات.

تحقيق بعض أجزاء من كتاب « سبل الهدى والرشاد » وغيرها كثير. بالإضافة إلى العديد من البحوث الفقهية والكثير من المقالات التي نشرت في مجلة الأزهر ومنبر الإسلام ورسالة الأزهر ورابطة العالم الإسلامي وصحيفة اللواء الإسلامي بمصر وصحيفة المسلمون بلندن، والوطني الكويتية، والهدى بالإمارات العربية (أبوظبي).

ناهيك عن نتاج كبير من الفتاوى الإسلامية نشرت لفضيلته في رسالة الأزهر واللواء الإسلامية والأخبار المصرية والمساء إضافة إلى بعض الأحاديث الإذاعية.

كما شارك فضيلته في العديد من اللجان العلمية:

فكان

(١) عضو لجنة تحقيق التراث الإسلامي والعربي بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

(٢) عضو لجنة وضع المناهج الدينية بوزارة التربية والتعليم بمصر ممثلا للأزهر عام ١٩٨١م.

(٣) عضو لجنة إعداد الندوة العلمية العالمية للاحتفال بالعيد الألفي للأزهر الشريف.

(٤) عضو لجنة تقنين الشريعة الإسلامية على مذهب الإمام الشافعي بمجمع البحوث الإسلامية.

(٥) الإشراف العلمي والإداري على أعمال المؤتمر العالمي الرابع للسيرة والسنة النبوية بالأزهر الشريف.

(٦) عضو اللجنة العليا لمراجعة مصحف الشيخ مكتوم بدبي

وكان ما كتبه بعنوان « في رحاب الحج » هو آخر ما سطره افتتاحية لمجلة الأزهر في عددها الصادر في شهر شوال ١٤٢١هـ.

نسأل الله أن يرحم شيخنا الكريم ويسكنه فسيح جناته ويغدق عليه من واسع فضله إنه سميع مجيب.

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

(أسرة التحرير)

مقومات وحدة الأمة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة

٢

للأستاذ الدكتور / محمود حمدي زقزوق

القسم الثاني

المقومات الأساسية لوحدة الأمة الإسلامية

١- البعد الديني:

يمثل البعد الديني أهم عناصر وحدة الأمة الإسلامية. فالدين هو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها بقية العناصر. فوحدة الأمة الإسلامية تمثل بناء متكاملا له أساس ثابت في الأرض هو الذي يحمل البناء كله أو هي كالشجرة لها جذور ضاربة في الأرض وبدونها لايكون للشجرة كيان ولا حتى وجود، ومن هذه الجذور يمتد الساق والفروع والأغصان:

ويتمثل البعد الديني في العقيدة الواحدة بإله واحد ونبي وكتاب واحد وعبادة واحدة: فالجميع يتجهون في صلاتهم في مواعيد محددة إلى الله نحو قبلة واحدة أيا كانوا في أي مكان من العالم، ويجمع بينهم الصيام في شهر معين، ويجمع الحج بينهم من كل الأجناس والأقطار طائفين حول كعبة واحدة في حرم الله الآمن تنجذب إليها أفئدتهم من كل فج عميق

﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾[1].

وهذا التجمع الكبير في الحج يعد رمزا حيا لوحدة الأمة الإسلامية كلها، فهؤلاء ممثلوها من كل مكان يجمعهم هدف واحد ويربط بين قلوبهم رباط واحد يجعل منهم جميعا إخوة متحابين متآلفين بأمر الله.

---

(١) سورة الحج (٢٨).

ويعبر القرآن الكريم عن هذا البعد الديني بقوله- تعالى- :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾[2]، وهذه الوحدة الروحية من شأنها أن تقضي على كل ما يعكر صفو وحدة الأمة أو يعمل على تقطيع أوصالها. فما دام الرب واحدا، والدين واحدا، والقرآن واحدا فلا مجال للتناقض في أمور الدين. والاعتصام بحبل الله ليس مجرد شعار يرفعه المسلمون وإنما له مقتضيات لا يتحقق بدونها ولايقع عند الله موقع القبول إلا إذا تحققت وقام المعتصمون بتبعاتها على الوجه الذي رسمه الله في كتابه طريقا لكمال الإنسانية ورقيها، فهو يقضي بتنحية الشهوات والأهواء التي تثيرها بينهم العصبيات القبلية والجنسية والمذهبية، ويقضي بالنظر السريع في تنقية العقائد والعبادات وسائر التعاليم الإلهية مما يشوبها ويكدر صفوها من صور الشرك والابتداع الذي هيأ لخصوم الإسلام أن يقولوا بتعددية الإسلام ويزعموا أن الإسلام ليس دينا واحدا، وإنما هو أديان متعددة تختلف باختلاف الأقاليم والمذاهب[3].

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[4].

٢- البعد الإنساني :

ويتضح البعد الإنساني لوحدة الأمة الإسلامية جليا في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فالله- سبحانه وتعالى- يلفت نظرنا إلى وحدة الأصل الإنساني.

فالناس جميعا قد خلقهم الله من نفس واحدة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[5].

والرسول - ﷺ - يؤكد هذا المعنى أيضا في قوله: «ياأيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وأباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[6].

والإسلام لا يفصل هذا البعد الإنساني عن البعد الديني الذي أشرنا إليه كما كانت تفعل- ولا تزال - بعض الأيديولوجيات والفلسفات في القديم والحديث التي تصل بالإنسان إلى حد التأليه وتجعله صاحب السلطان الأوحد في هذا الكون.

ويبين لنا القرآن الكريم أن الإنسان الذي ينكر أصله أو يجحد خالقه هو إنسان يعمل ضد طبيعته وفطرته التي فطره الله عليها.

---

(٢) سورة آل عمران (١٠٣).

(٣) من توجيهات الإسلام للشيخ محمود شلتوت ص ٥١٢، مطبوعات الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر ١٩٥٩.

(٤) سورة الكهف (٥). (٥) سورة النساء (١).

(٦) مسند الإمام أحمد ٤١١/٥، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ببيروت، وقد رواه الترمذي- أيضا في سننه جـ ٤، ص٣٨٩، (مجلد ١٤ من طبعة إسطنبول لكتب السنة)

فالله- سبحانه- قد أخذ عليه ميثاقا لايجوز له أن يتجاهله أو يغفل عنه لأنه مركوز في أصل فطرته . وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴾[٧] .

ومن بين القلائل من فلاسفة الغرب الذين أكدوا هذا المعنى كان الفيلسوف الفرنسي ديكارت الذي قال : «والحق أنه لاينبغي أن نعجب من أن الله حين خلقني غرس في هذه الفكرة (أي فكرة وجود الله) لكي تكون علامة للصانع مطبوعة على صنعته »[٨] .

وهذا الارتباط الوثيق بين كل من البعد الديني والبعد الإنساني في وحدة الأمة الإسلامية له دلالة هامة ، إذ يعني أن هذه الأمة التي أراد الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس من شأنها أن تكون عنصر أمان واستقرار في هذا العالم . فهي أمة ترتبط بخالقها بعلاقة العبودية له سبحانه وترتبط بغيرها من بني البشر بعلاقة الإنسانية التي لا تنسى عبوديتها لخالق الكون كله . وهذه الصلة الوثيقة بالله إذا استقامت فإنها كفيلة بتصحيح مسار الأمة الإسلامية في هذا الوجود وبذلك تتحقق خيريتها - إنها أمة تسع الإنسان أينما كان وأنى كان وتشمل برعايتها وأمنها كل من يعيش على أرضها . أمة يرى خليفتها عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- شيخا يهوديا يتكفف الناس في شوارع المدينة فيفرض له من بيت مال المسلمين ما يكفيه ذل السؤال.. أمة يفرض عليها دينها حقا للجار غير المسلم على جاره المسلم . أمة يؤكد كتابها الكريم المعنى الإنساني الشامل الذي يؤكد كرامة الإنسان وحرمته في قوله- تعالى- :

﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٩] .

٣- البعد الاجتماعي :

إذا كانت الأمة الإسلامية ترتبط فيما بينها بروابط العقيدة والإنسانية فإن محصلة هذين البعدين هي الأخوة التي هي أقوى من أخوة النسب . ومن هنا كان قول القرآن الكريم :

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١٠] .

وعندما أراد النبي- ﷺ- أن يؤسس قواعد المجتمع الإسلامي في المدينة بعد الهجرة آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فتآلفت قلوبهم بفضل الله . وقد امتن الله على المؤمنين بهذا التأليف فقال :

---

(٧) سورة الأعراف (١٧٢).

(٨) التأملات لديكارت ترجمة د. عثمان أمين ص ١٥٥ القاهرة ١٩٥١.

(٩) سورة المائدة (٣٢).

(١٠) سورة الحجرات (١٠).

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾(١١).

وهذه الأخوة لها حقها فهي تتضمن بعدا عاطفيا يتمثل في المشاركة الوجدانية.

فكل فرد من أفراد الأمة الإسلامية يشعر بآلام وآمال أمته لأنه جزء منها يحس بإحساسها ويسعد لسعادتها ويتألم لألمها. ومن هنا كان قول النبي -ﷺ-: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»(١٢).

ولكن مجرد المشاركة الوجدانية- مع أهميتها- لاتكفي. ولابد أن يترجم هذا الشعور الداخلي إلى عمل فعال يكون من شأنه النهوض بالأمة وبأفرادها. ومن هنا كان مبدأ التكافل في الإسلام بمثابة ترجمة عملية لذلك الشعور الباطني لدى المسلم وقد جعل الإسلام هذا المبدأ عبادة مفروضة يتعبد بها المسلم ويتقرب بها إلى ربه وهي فريضة الزكاة.

فالزكاة إذن ليست مجرد تبرع يجود به المسلم أو لا يجود وإنما هي حق المال وهو حق إلزامي واجب الأداء من طيبات ما كسبنا، وهو حق لا يجوز التهاون فيه بأي حال من الأحوال. فالله- سبحانه- قد استخلف الإنسان في المال الذي هو مال الله وأمره بالانفاق منه. وفي ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾(١٣).

ومن هنا نفهم لماذا حارب أبوبكر -رضي الله عنه- مانعي الزكاة لأنها ضرورة من ضرورات المجتمع الإسلامي فضلا عن أنها أحد أركان الإسلام الأساسية. فالأمة الإسلامية أمة متكافلة ولاتتم وحدتها بدون هذا التكافل، ولايتم إيمان المسلم بدونه. وفي ذلك يقول الرسول- ﷺ-: (ما آمن بي من بات شبعانا وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم)(١٤).

وهذا أمر لا ينطبق على محيط التجمعات السكنية الصغيرة أو القرى أو المدن أو محيط كل دولة إسلامية على حدة، وإنما هي مبادئ مقررة تلتزم بها الأمة الإسلامية كلها حتى لايكون هناك فقير أو محتاج على مستوى الأمة الإسلامية.

فهموم هذه الأمة ينبغي أن تشغل بال كل مسلم وكل حاكم في العالم الإسلامي. وقد آن الأوان ليخرج المسلمون من دائرة المشاركة الوجدانية السلبية إلى المشاركة الإيجابية الفعالة المؤثرة وذلك بوضع الخطط المفصلة لإقامة بنيان التكافل بين أبناء الأمة الإسلامية. وقد آن الأوان للأمم الإسلامية أن تنصهر في بوتقة الوحدة الحقيقية للأمة الإسلامية بتحقيق مبدأ التكافل والخروج من سجن الفرديات المنعزلة والقوميات المنفصلة

---

(١١) سورة آل عمران (١٠٣).

(١٢) رواه مسلم والإمام أحمد. راجع فيض القدير للمناوي ٥/٥١٤. دار المعرفة بيروت.

(١٣) سورة الحديد (٧).

(١٤) رواه الطبراني والبزار بإسناد حسن. راجع الترغيب والترهيب للإمام الحافظ المنذري ٣/٣٥٨.

إلى محيط الجماعة الكبرى التي أرادها الله أن تكون خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وتقيم التعاون فيما بينها على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

٤- البعد الجغرافي:

لقد جعل الله للأمة الإسلامية من وضعها الجغرافي الذي تتميز به في هذا العالم وحدة طبيعية جامعة تمتد في رقعة مترامية الأطراف متلاحمة الأجزاء. وقد صور العالم الجليل الراحل الدكتور محمد عبدالله دراز هذه الوحدة الجغرافية تصويرا طريفا معبرا نقتبسه هنا لأهميته في إعطاء صورة واضحة المعالم لهذا البعد الجغرافي يقول - رحمه الله -:

«إنها صورة جمل ضخم قد برك على الأرض بمؤخرته ولكنه أخذ يهم بالنهوض فنصب ساقيه الأماميتين ورفع رأسه ومد عنقه، وقد سحب إلى الأمام من مشفره بحبل وتدلى من عنقه حبل ثان، واجتذب إلى الوراء من منكبيه بحبل ثالث كأنه المقود في يد الراكب. أما مبرك الجمل فهو الجزء الأعظم من القارة الإفريقية، أعني كتلتها العظمى المحصورة بين المحيط والبحر الأبيض والبحر الأحمر، وأما ساقاه الأماميتان فهما الصومال وأوغندة، وأما صدره فهو جزيرة العرب وما يليها من الشمال، وأما عنقه ورأسه الممتدان في قلب القارة الأسيوية فهي بلاد إيران وأفغانستان وباكستان وما فوقهن، وأما الحبلان الممدودان من مشفره، ومن عنقه، فهما سلسلتان من الأقاليم الأسيوية تمتد أحدهما إلى أقصى الشرق على المحيط الهادي أمام الجزر اليابانية، وتمتد الأخرى إلى الجنوب حتى تعبر القارة الأسيوية عند ملتقى المحيطين الهادي والهندي، وهناك تؤلف مجموعة الجزر الاندونيسية، وأما المقود الذي يجذبه من منكبه إلى الوراء فهو سلسلة من الأقاليم الأوروبية تبتدئ من الأقطار التركية وتسير في اتجاه شمالي غربي حتى تصل إلى بحر البلطيق».

وهذه الوحدة الجغرافية التي تتضح لنا من خلال هذه الصورة الملموسة من شأنها أن تمحو بين أقطار العالم الإسلامي تلك الحواجز الإقليمية المصطنعة في شئون الاقتصاد والإنتاج. ومن شأن هذه الوحدة الجغرافية أيضا أن تيسر توزيع ثروتها المادية بينها توزيعا ينشر فيها الرخاء ويحقق لها الاكتفاء الذاتي والاستغناء عما سواها.

«يتبـــع»

***

منزلة العلم في الإسلام

لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقي

روى الترمذى فى النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا بإسناد صحيح وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر بإسناد جيد قال: قال - ﷺ - «العلم علمان، علم على اللسان فذلك حجة الله - تعالى - على خلقه، وعلم فى القلب فذلك العلم النافع». تخريج العراقى على الإحياء.

الكلمات: قوله - ﷺ - علم على اللسان: ويختص به من شاء الله أن يحملوه ليبلغوه وفرض عليهم - سبحانه - ذلك وأخذ بذلك عليهم الميثاق قال - سبحانه -:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾(1).

كما قال - سبحانه -:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(2).

هذا العلم هو العلم الظاهر الذى أقام الله به الحجة على الناس سواء منهم المعلم والمتعلم، أما المعلم فقد شدد الله النكير عليه أن يأمر بالخير ولا يأتيه وينهى عن الشر ويقع فيه. قال - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(3).

مثل هؤلاء كمن قال الله فيهم:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾(4).

كما ينقطع به عذر من سمع وعلم ولم يعمل وقوله: وعلم فى القلب إشارة إلى نوع من العلم

---

(1) آل عمران (187).

(2) البقرة (159، 160).

(3) الصف (2)(3).

(4) البقرة (16).

لايدرك بالحواس الظاهرة ومرجعه إلى المرء نفسه إذ يجب عليه أن يقوم بتصفية نفسه وتطهير قلبه من أدرانه التي منها الرياء والعجب والطمع والفخر وحب الظهور والشهرة بين الناس من كل ما لا يطلع عليه إلا من يعلم السر وأخفى، وكان العلم فرض عين لا يحمل وزره إلا صاحبه.

ومن الناس نوع خصصهم الله بنوع من العلم بما تجملوا به من سني الفعال وكريم الخصال والتزام كلمة التقوى بالإخلاص، والصبر والشكر والقناعة والورع والزهد وصاحبه على عين من ربه، قال العارفون عن هذا العلم: إنه نور يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده فتكون لهم المعرفة بالله وتتحق لهم الزلفى منه ويكونون ممن أحبهم الله - عز وجل - فكان لهم السمع الذي يسمعون به والبصر الذي يبصرون به، والرجل التي يمشون بها واليد التي يبطشون بها وإذا سألوه أجابهم وإذا استعاذوا به أعاذهم وهو القائل:

﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾(٥)

وقوله: فذلك العلم النافع، وهو الذي لم يلبس صاحبه إيمانه بظلم وهو على الطريق الآمن إلى منازل المقربين وأصحاب اليمين.

لقد اصطفى الله من الأمم الأمة المحمدية ورضي لها الإسلام دينا وأعلن خيريتها على جميع الأمم حين قال: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٦) وذلك بما شرفها به من الدين الذي هو فطرة الله التي فطر الناس عليها كما أبدع خلق الإنسان وصاغه في أحسن تقويم معافاً في بدنه نقيا طاهرا من كل ما يلوث طبيعته التي جبله الله بها ويحول بينه وبينها ما يوبقها أو يرديها أو يكدر صفوها ويغض من شأنها وحتى تظل على صلة بمصدر حياتها ومبعث فضلها وتكريمها وهو عالم النور حيث الكمال الذي به ساد الوجود علويه وسفليه إنسه وجنه كما صار الكون جميعه مسخرا له على غير تقدير أو تدبير منه. قال - سبحانه -:

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾(٧).

وقال:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٨).

ذلك إلى ما أفاض - سبحانه - علينا من نعمه التي يذكرنا بمصدرها وفضله علينا بها وما توحي به من إكبار صانعها. والامتثال لأمره واجتناب ما نهى عنه، إذ يقول:

﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(٩).

وحتى لايكون للناس على الله حجة فقد قدم - سبحانه - لهم المنهج الذي يهتدون به ما استمسكوا بتعاليمه واعتصموا بحبله قال - سبحانه -:

---

(٥) الرحمن (٦٠).

(٦) آل عمران (١١٠).

(٧) الحجر (٢٩).

(٨) البقرة (١٦٤).

(٩) النحل (١٧، ١٨).

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(١٠).

إنها رسالات السماء التي جاء بها الرسل حفاظا على الفطرة كيلا تحرفها رياح الفتن أو تعصف بآثارها تيارات الأهواء الجارفة، ثم يقول - ﷺ - : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وختام هذه الرسالات كانت بعثة سيدنا محمد - ﷺ - للناس كافة ودستورها القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ويحقق للبشرية ماتبصر به معالم الطريق إلى مافيه خيرها دينا ودنيا إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

بين المادة والروح

وإذا كان الإنسان قد جمع في بنيانه بين المادة ممثلة في هذا الجسم الذي خلق من الأرض التي أودعها الله أقواته وسخر له ما في السموات وما في الأرض جميعا منه، وحتى لايكون أسير المادة حياته بحياتها وبقاؤه رهن بحظه منها فهو يعيش لها ويكدح من أجلها ويركض فيها ركض الوحش في الفلاة فقد مازه بالعقل يسوس به ما يحيط به من العوالم في إطار من النظام لايتجاوز به حاجته، وما يدرأ الشر عنه في غير سرف أو تقتير وكانت الحاجة إلى مايسمو به عن سلطان المادة إلى آفاق العزة والكرامة التي تتمثل في الجانب الروحي الذي نيط بالمرء أن يعطيه ما به يحيا حياة الكرام البررة في الملأ الأعلى حيث كان اصطفاء الله له وإرادة نفخة من روحه. الأمر الذي يهيب بهذا الإنسان الذي لم يأخذ مكانه في هذا الوجود إلا به فاسجد له ملائكته وأعلن على الدنيا فضله، أن يدرك حكمة الله في ذلك. وسره في هذا الاصطفاء ويعلم أن كل ماخلق الله في الحياة إنما كان لإثراء هذا الجانب الروحي الذي حدد الحق - سبحانه - وظيفته حين قال:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١١).

وكما كفل سبحانه للجسم مقومات حياته فكانت من طينته. فقد كانت وسائل حياة الإنسان الروحية لونا يتفق وطبيعته وماهيته غير محس بهذه الحواس التي بها يرى ويسمع ويغدو ويروح ويعطي ويمنع ويصل ويقطع. وقد أخذت هذه الرسائل قيمتها لا من الطقوس التي تؤدى وحسب وإنما من مقدار حظ المرء من معرفته بخالقه فيها.

قال سبحانه:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(١٢).

ولما أمر حبيبه ومصطفاه بقوله:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(١٣).

والحديث عن الجانب المادي والجانب الروحي في الإنسان كتوأمين في بنيانه لاغنى بأي منهما عن الآخر كما لايطغى أي منهما فيعطل أو يعوق مقابله وثم فإنه من الضروري مراعاة الاعتدال في كل منهما. فلا يكون الإنسان ماديا لايرى ولايشعر ولايؤمن إلا بما

---

(١٠) طه (١٢٣).
(١١) الذاريات (٥٦).
(١٢) الكهف (١١٠).
(١٣) الأنعام (١٦٢، ١٦٣).

يحسه وتمليه عليه غرائزه وشهواته، ويقوده إليه هواه وشيطانه، أو روحيا لايرى الحياة إلا من خلال مايثرى فيه الجانب الروحى فهو فى ليله ونهاره، فى سره وعلنه مشغول به لاحظ له فى شئ من متاع الدنيا ولايهمه تعطلت بالناس مسيرة الحياة أو سارت، كما لا يهمه أن تستقيم دفة العيش بسفين العمل أو تتخبط فى دياجير من التيه لاتجد مرفأ ترسو عليه أو وقتا تجد فيه ما يحقق لها سبل الأمن والنجاه.

دعـــــوة المحبـــــة

ومن هنا فقد كان العالم بأسره بحاجة إلى من ينقذها ويصل بها إلى بر الأمان حيث ترفرف فى سمائها ألوية السلام وينعم الجميع بلون من السكينة والاطمئنان، ويحيى فى قلوبها الأمل فى جو باسم تشيع فى ربوعه البهجة وتملؤه روح المودة والمحبة، وتحكم الجميع فيه شرعة السماء بقيمها وفضائلها وتنطلق الهمم الى التفانى فى إذكاء هذه الروح الخيرة من خلال ماارتضى به الحق ـ سبحانه ـ للنفوس عليه من العبادات والمعاملات والأخلاق الكريمة وتكون به الأمة التى أراد الله لها أن تكون الأمة الوسط التى تحكم علاقاتها دعوة الحق التى أشار إليها ـ سبحانه ـ بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾(١٤).

وقوله:

﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾(١٥)

وقوله:

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١٦).

بهذا يتم للمرء الفوز بالحسنيين عز الدنيا وسعادة الآخرة عن طريق الإيمان المركوز فى النفس منذ بدء الخلق الذى أشار إليه ـ سبحانه ـ بقوله:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾(١٧).

فالإيمان بهذا صوت الفطرة في أعماق الإنسان قال ـ تعالى ـ:

﴿ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١٨).

وقال:

﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾(١٩).

وإذا اختلفت ذات الفطرة فى ساعات الرخاء واللهو فإنها تعود إلى الظهور فى الشدة والبأساء وسرعان ما يذوب الطلاء الكاذب وينكشف المعدن الأصيل فى النفس البشرية فتعود إلى ربها داعية متضرعة. قال ـ تعالى ـ:

(١٤) فصلت (٣٠).

(١٥) الجن (١٦).

(١٦) الأعراف (٩٦).

(١٧) الأعراف (١٧٢).

(١٨) إبراهيم (١٠).

(١٩) الروم (٣٠).

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾(٢٠).

ومن ثم كانت دعوة الإسلام إلى الناس كافة وإلى أهل الكتاب خاصة.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(٢١).

ومحمد نبي الإسلام لم يقل القرآن عنه إلا أنه ﴿رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(٢٢).

ولم يقل عن نفسه إلا أنه عبد الله ورسوله، ففي الصحيح قال ـ ﷺ ـ: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله».

والإيمان بالنبوات ليس بالأمر العجيب بعد الإيمان بكمال الله وحكمته، فما كان الله ليخلق الإنسان ويسخر له كل شئ ثم يتركه في تيه الحياة يتخبط على غير هدى، بل كان من الحكمة أن يهديه سبيل الآخرة كما هداه سبيل الحياة الدنيا وأن يهيئ له زاده الروحي كما هيأ له زاده المادي، وأن ينزل الوحي من السماء ليحيي به القلوب والعقول كما أنزل من السماء ماء لتحيا به الأرض بعد موتها. والهداية بالوحي ينزل على الأنبياء أعلى مراتب الهداية التي منحها الله للإنسان، فهناك الهداية الفطرية الكونية وهي التي عبر عنها أحد العلماء حين قيل له متى عقلت؟ قال منذ نزلت من بطن أمي جعت فالتقمت الثدي وتألمت فبكيت. وهذه الهداية تشمل الحيوانات والطير والحشرات وهي التي عبر عنها بالوحي في شأن النحل بقوله:

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾(٢٣) بل هي منبثة في أجزاء الكون كله، النبات الذي يمتص غذاءه من عناصر الأرض بنسب محدودة وقدر معلوم، وفي الكواكب التي يسير كل منها في مداره لا يتعداه وفي قانون لا يتخطاه.

المرتبة الثانية للهداية مرتبة الحواس الظاهرة كالسمع والبصر والشم والذوق، والباطنة كالجوع والعطش والفرح والحزن وهي أرقى من الأولى فبها نوع من الإدراك ونوع من الأشياء وإن كانت لا تسلم من الخطأ كما نرى في السراب الذي يحسبه الظمآن ماء، وفي الظل الذي يظنه ساكنا وهو متحرك.

المرتبة الثالثة هداية العقل بملكاته وقواه المختلفة وهو أرقى رتبة من الحواس وإن كان كثيرا ما يعتمد على الحس في الحكم والاستنباط، وبذلك يتعرض للخطأ كما يتعرض له في ترتيب المقدمات واستخلاص النتائج، والعقل بعملياته العليا من خصائص الإنسان التي تفرد بها عن الحيوان.

والمرتبة الرابعة هداية الوحي وهي التي تصحح خطأ العقل وتنفي وهم الحواس وترسم الطريق إلى ما لا سبيل للعقل أن يصل إليه وحده وترفع الخلاف فيما لا يمكن

---

(٢٠) يونس (٢٢).

(٢١) آل عمران (٦٤).

(٢٢) آل عمران (١٤٤).

(٢٣) النحل (٦٨).

أن تتفق عليه العقول. قال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٢٤].

وقال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٢٥].

وثم كان الإيمان بالنبوات إيذاناً بوحدة الدين عند الله وأنه واحد في جميع الأزمان والأماكن لا يتغير، فضلاً عما يغرس في المرء من مثل عليا ويصنع منه المقدرة الإنسانية الممتازة التي جعلت من مكارم الأخلاق حقائق واقعة.

كما أعلنت الدنيا أن الأنبياء ليسوا آلهة ولا أنصاف آلهة ولا أبناء آلهة وأنهم بشر ليسوا ملائكة، منَّ الله عليهم بالوحي ليبلغوا رسالات الله.

أما الإيمان بالدار الآخرة فقد اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين على أن لنفس الإنسان بقاءً تحيا به بعد مفارقة البدن. وأنها لا تموت موت فناء مطلق، هذا الشعور العام بحياة بعد هذه الحياة من الإلهامات التي اختص الله بها الإنسان كما ألهمه أن عقله وفكره هما عماد بقائه، وألهم العقل وبعث في النفوس الشعور بأن هذا العمر القصير ليس هو منتهى ما للإنسان في هذا الوجود بل الإنسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حيا باقيا في طور آخر وإن لم يدرك كنهه.

أما بعث الأحياء بعد الموت فليس بعزيز على من خلقهم أول مرة قال – تعالى –:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[٢٦].

وبعد البعث يكون الحساب والميزان وهنا ينقسم الناس فريق في الجنة وفريق في السعير. إن الحياة في هذه الدار هي الحياة الحقة وصدق الله إذ يقول:

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٢٧].

العلم وختام الرسالات

وفي إطار ما يحيط بالإنسان من صوارف الدهر على كثرتها كان من الضروري أن يوضح الحق للبشرية معالم الطريق التي تثرى هذه العقيدة وكان حديث جبريل الذي يحدد موقف العبد من هذه العقيدة في أركانه التي فرضها الله عليه والتي كان أول ما يفتتح به الوحي إلى رسول الله – ﷺ – في قوله – عز شأنه –:

---

(٢٤) البقرة (٢١٣).

(٢٥) الحديد (٢٥).

(٢٦) الروم (٢٧).

(٢٧) النساء (٧٧).

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(٢٨).

لقد سوى الحق -سبحانه وتعالى- بين نعمة الخلق والإيجاد ونعمة العلم فيكون ذلك إيحاء بأن المخلوق الجاهل لا اعتداد بوجوده في هذه الدنيا. فالناس بذلك أحد رجلين إما متعلم يطلب الرشد وإما عالم يطلب المزيد وليس بعد ذلك من يؤبه له بعدهما. وفي الأثر: «العالم والمتعلم شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس».

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهموا
على الهدى لمن استهدى أدلاء
ففز بعلم تعش حيا به أبدا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

وفي الحديث الصحيح يقول -ﷺ-: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم.

فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

فإذا أمعنا النظر في صفحات القرآن الكريم راعنا هذا الحوار القائم بين الله وبين الملائكة عن آدم واستخلافه عن الله في الأرض

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(٢٩)

وبين يدي ذلك كله يعلن الحق شرف العلم والعلماء إذ يقول:

﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾(٣٠)

حينئذ سجد الملائكة لآدم تكريما وتعظيما للعلم الذي تميز به آدم على الملائكة المقربين وحملة العرش أليس في هذه المفاضلة بين آدم والملائكة إشعار بأن الأساس الذي تميز به آدم على الملائكة إنما هو العلم، ولن تجد مطلقاً في المجتمعات مهما اختلفت طائفة من الناس تسمو على ورثة الأنبياء. أنهم في مجالات العلم المختلفة في طبقات الأرض وفي أجواء السماء وما يجري به الهواء إنهم العلماء المؤمنون في الحديث وفي الفقه وفي التفسير وفي كل جانب من جوانب الكون، هذه الوراثة لا يضارعها في المجتمع أية وظيفة أخرى أو ترقى إلى منزلتها في الآداب العامة منزلة شرقية كانت أو غربية أو أوروبية أو أمريكية وليس ثمة دين من الأديان ولا نظام اجتماعي من النظم المعروفة قديماً وحديثاً يبلغ شأو الإسلام في رفع شأن العلم والتنويه

(٢٨) العلق (١:٥). (٢٩) البقرة (٣٠، ٣١، ٣٢). (٣٠) البقرة (٣٣).

بقيمته وفي الدعوة إليه والتعويل عليه قال – تعالى –:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾(٣١).

فقد اعتد الله في هذا الأمر الجلل وهو التوحيد بشهادة أهل العلم كما لم يقرن طائفة من الطوائف به وبملائكته إلا العلماء ورفع من قدر العلم إلى حيث لا مرتقى إذ قال:

﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٣٢).

وأعلن أن أهله يفضلون جميع من سواهم لأنهم حملة النور الإلهي والقائمون برفع كشف الجهل عن العقول قال: تعالى:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٣٣).

وقال تعالى: في وصف القرآن

﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾(٣٤).

جعل العلم أخص صفات كلامه الإلهي، وقال

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾(٣٥).

وقال – ﷺ –: «يستغفر للعالم ما في السموات والأرض» يقول الإمام الغزالي: وأي منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له. وقال – ﷺ –: «لموت قبيلة أيسر من موت عالم».

وكما كرم الله العلم والعلماء فإنه يزم الجهل والجاهلين بقول تعالى:

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٣٦).

أي لا يستوي من يعلم أن ما أنزل إليك من ربك هو الحق الذي لا مرية فيه ولا افتراء فيهتدي بنوره ومن لا يهتدي إلى الحق فهو أعمى لا يهتدي إلى خير يفقهه، ولو فهمه ما انقاد إليه ولا صدق فيبقى حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلالة، وروى الضحاك عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال –ﷺ–: «علماء هذه الأمة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الأرض والكرام الكاتبون، يقدم على الله يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين.

ورجل آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رءوس الخلائق هذا فلان ابن فلان آتاه الله علما في الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس» أخرجه الطبراني في الأوسط.

---

(٣١) آل عمران (١٨)
(٣٢) الزمر (٩)
(٣٣) المجادلة (١١)
(٣٤) الأعراف (٥٢)
(٣٥) العنكبوت (٤٩)
(٣٦) الرعد (١٩)

وقال - ﷺ -: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي» حديث صحيح.

ولقد زاد الله هذه الوصايا الكريمة قوة فجعل كمال التقوى متوقفا على العلم فقال - تعالى -:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٣٧) وربط به فهم الأمثال التي يضربها للناس ليهديهم إلى طريق السعادة أو يستنهض هممهم للخير فقال:

﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾(٣٨).

وفي الإسلام فضلا عن الأمر بإقامة بنيان هذه الأمة على هدى السماء فقد فرض عليها أن تأخذ من العلم ما يقيم بنيانها على أساس من تقوى الله - عز وجل - فقد قال - ﷺ -: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» كما قال: «اطلب العلم ولو بالصين» أخرجه البيهقي في المدخل وابن عدي، وروى عن علي - رضي الله عنه -: ما أعلى به من قيمة العلم وما قدر العلماء وحببه إليهم ذاكرا أن فضلهم بمقدار حظهم منه ومن مكانه في نفوسهم ومنزلته بين أمانيهم وآمالهم قال:

وقدر كل امرىء ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء

فلا تعيروهم اهتماماً فإنهم بجهلهم لا وزن لهم حتى تخشوهم فأنتم بالحق أعلا وأقدر.

وكفى بالعلم قربى إلى الله - عز وجل - وأن صاحبه على عين من ربه يخلع عليه خلع القبول والكرامة حتى إذا زلت به القدم استعتبه ربه حتى لا يخلع عنه رداءه، قال عمر بن الخطاب: «يا أيها الناس عليكم بالعلم فإن لله - عز وجل - رداء يحبه، فمن طلب بابا من العلم رداه الله بردائه فإن أذنب ذنباً استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك، وإن تطاول به ذلك الذنب حتى يموت.

واجب العلماء

والعلماء من بين الناس قد ائتمنهم الله على ما عملوا وكما جعل في الأموال حقا للمحروم فقد ناط بالعلماء حقا لمن حرموا أن يعلموا الناس أو غيره فقال سبحانه:

﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٣٩)

والمراد التعليم والإرشاد وقوله - تعالى -:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾(٤٠).

وهو إيجاب للتعليم وفي النص على من يكتمون العلم يقول:

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٤١)

وفي الحديث قال - ﷺ -: «ما آتى الله عالمًا علماً إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذه على النبيين أن يبينوه ولا يكتموه» أخرجه أبونعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه.

---

(٣٧) فاطر (٢٨).
(٣٨) العنكبوت (٤٣).
(٣٩) التوبة (١٢٢).
(٤٠) آل عمران ١٨٧.
(٤١) البقرة ١٤٦.

كما قال فى الشهادة:

﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾[42].

وقال -تعالى-:

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[43].

وقال - ﷺ -: «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الخير».

الإسلام دين ودنيا

هذا ولما كانت مقاصد الخلق مجموعة فى الدين والدنيا فلا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، إذ الدنيا مزرعة الآخرة وهى الآلة الموصلة إلى الله - عز وجل- لمن اتخذها آلة، ومنزلة لمن يتخذها مستقراً ووطناً. وأمر الدنيا ينتظم بأعمال الآدميين وهى المأكل والملبس والمسكن والسياسة التى ترسم وسائل المعيشة وضبطها ثم الوسائل التى تخدم هذه الأصول كالحدادة وما يصنع منها من الآلات التى تخدمها، ذلك إلى أمور تتم بها هذه الأصول وتؤدى وظيفتها وبها يتم الانتفاع بها إلا أن ذلك لكى يتحقق به خير الإنسان دنيا ودينا لا يمكن تحقيقه إلا بتخطيط يمر بمراتب أربعة: سياسة الأنبياء وحكمهم على الخاصة والعامة وعلى ظاهر الخلق وباطنهم، ثم الخلفاء ومن فى حكمهم وحكمهم فقط على ظاهرهم لا على باطنهم ثم العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة حيث لا يرتفع فهم العامة إلى الاستفادة منهم، وفى النهاية يكون دور الوعاظ الذين يسيطرون على بواطن العامة فأشرف هذه المراتب بعد النبوة مرتبة العلماء.

بقى أن نعلم أى العلوم المحمودة لنتعلمها وأيها المذموم لنتحاشاها ونجتنبه يقول الإمام الغزالى: «العلم ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة، والمعاملة التى كلف بها العبد العاقل البالغ ثلاثة: اعتقاد وفعل وترك. ويتم الاعتقاد بالنطق بالشهادتين عن يقين لاريب فيه» ويأتى بعد ذلك ما جاء عن أبى طالب المكى حين سئل عن العلم: أنه ما تضمنه الحديث الذى فيه معانى الإسلام وهو قوله -ﷺ- «بنى الإسلام على خمس .... » الحديث.

هذا هو العلم الذى هو فرض عين. وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين.. والعلم بكيفية العمل ووقت وجوب العمل به، ومن تتمه كلمة الشهادتين الإيمان بالرسل وبالجنة والنار وأن من أطاع الله ورسوله فله الجنة، ومن عصاهما فله النار وأما ما يجب تركه فحسب العبد أن يعكف على العيش مع السنة حيث يجد فيها الحلال الذى يطمئن إليه قلبه، والحرام الذى ترفضه فطرته ولا تستريح له نفسه والرسول -ﷺ- يقول: «الحلال بين والحرام بين» كما يقول: «البر ما اطمأنت إليه النفس والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

كما يقول: «اجتنبوا السبع الموبقات» وكما يقول: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». وهكذا مما غصت به كتب السنة وأفرد له الإمام الغزالى فى الإحياء قسما سماه (ربع المهلكات) من فروض الإيمان.

(يتبع)

---

(42) البقرة (283)

(43) فصلت (33)

لماذا تخلف المسلمون ؟

للأستاذ الدكتور / محمد عمارة

لقد عرفت الإنسانية العديد من الحضارات التى نمت وازدهرت، قبل الحضارة العربية والإسلامية، وحولها، ومن بعدها.. وشهدت الإنسانية تميز العريق من هذه الحضارت بالمذاق الخاص و« البصمة » الخاصة التى ميزت الواحدة من هذه الحضارات عن غيرها.. وشهدت الإنسانية، أيضا، تميز حضارتنا « بالوسطية الإسلامية »، كخصيصتها العظمى، برزت فيها، فلونت قسماتها، حتى غدت عنوانا عليها، وكانت سر ازدهارها، لا فى إطارها المحلى الإسلامى فقط، بل وسر الجاذبية التى صنعت تأثيراتها العالمية سلما واختيارا..

وقبل الحديث عن أبرز معالم هذه « الوسطية الإسلامية »، ودورها فى الإحياء الحضارى المنشود، لابد من التنبيه على أن تطورات واقعنا وفكرنا قد أصابت مصطلح « الوسطية » بما جعله مصطلحا « سيء السمعة »!.. فهو، لدى « العامة » من المثقفين، وأشباه المثقفين من العامة قد غدا مرادفا « للثنائية » و« للتميع الفكرى » و« انعدام الموقف المحدد » و« إمساك العصا من المنتصف » وغيبة اللون والطعم والرائحة عندما يتطلب الأمر الحسم والتحديد.. وهو، لدي كثير من « خاصة » المثقفين، يعنى مضمونه فى الفلسفة الأوسطية، أى: « نقطة رياضية » بين « قطبين » من أقطاب الظاهرة.. فالشجاعة، ـ مثلا ـ هى وسط بين « الجبن » و« التهور »، كما أن « الكرم » هو وسط بين « البخل » و« الإسراف ».. الخ.. الخ...

وما هكذ مضمون « الوسطية »، كالخصيصة العظمى لحضارتنا العربية الإسلامية.. فهى ليست الموقف الوسط بين أمرين ـ على هذا النحو، وبهذا المعنى ـ وإنما هى « الموقف الثالث » الذى يرفض تطرف الانحياز لأى من القطبين المتناقضين والمتقابلين، ولا يكتفى بالوقوف فى نقطة ثابتة تتوسطهما، وإنما يجمع ويؤلف ما يمكن جمعه وتأليفه من سماتهما وقسماتهما.. فه الكرم « غير « البخل » وغير « الإسراف »، لكنه موقف ثالث جامع لسمات وقسمات عن كل من

«البخل» و«الإسراف» على نحو يجعله غيرهما، ومتميزا كل التميز عنهما.. وقس على ذلك كل الفضائل والمواقف والقسمات الحضارية التى كونت ملامح الحضارة التى أبدعتها هذه الأمة الوسط.

وإذا كان الله ـ سبحانه ـ قد نبه على اختصاص هذه الأمة بهذه الخصيصة ـ التى يستطيع كل من امتلكها أن يدخل فى إطارها ـ فقال سبحانه:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(١).

فإن نجاح المسلمين فى الحفاظ على هذه الخصيصة فى بنائهم الحضارى، هو الذى مثل سر تقدمهم.. كما أن اختلال التوازن، ومن ثم افتقادهم هذه الوسطية، هو الذى أفقدهم ميزتهم، فدخلوا دروب الجمود والتراجع والتخلف الذى ساد حياتهم لعدة قرون..

وإذا كنا نقول مع القائلين: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».. فإن لهذه المقولة عندنا مضمونا أعمق مما لها عند الكثيرين؟!.. فهى تعنى: أن ازدهارنا الحضارى رهن بتميز نهضتنا المعاصرة بالخصائص التى تميزت بها نهضتنا الحضارية الأولى.. تلك الخصائص التى ترتبط «بالخصيصة الجامعة»، خصيصة «الوسطية الإسلامية».. فهذه الوسطية هى التى ميزت حضارتنا عن كثير من الحضارات الأخرى بالتوازن والموازنة بين ما عد فى أنساق فكرية أخرى متناقضات لا سبيل إلى تعايشها، فضلا عن الجمع بينها والتأليف بين قسماتها وسماتها.. ففى الحضارة العربية الإسلامية تجسدت هذه الوسطية فى العديد من السمات والقسمات التى كونت جوهر البناء الحضارى، ومثلت سر تفوق المسلمين وتقدمهم.. وذلك من مثل:

* تميز الإسلام ـ وهو «دين» ـ بـ «العقلانية»، فـ «النقل» فيه ـ وهو قرآنه المعجز لم يأت ليدهش العقول فيذهبها، بل ليحتكم إليها، جاعلا منها مناط التكليف، مؤاخيا بين «الحكمة» و«الشريعة» جاعلا من صريح المعقول وصحيح المنقول، ومن «كتاب الوحى» و«كتاب الكون» سبلا متآخية، خلقها خالق واحد وييسرها لهداية الإنسان، دونما تناقض أو تضاد.. حتى لقد قالوا ـ صادقين ـ عن الإسلام: «إنه نسق فكرى، فيه تدينت الفلسفة، كما تفلسف الدين.. لقد تقدم المسلمون عندما حافظت وسطيتهم على هذا التوازن، فلما سادت فيهم «النصوصية»، التى تنكرت للعقل والعقلانية، انفتح عليهم باب من أبواب التخلف فدخلوا فيه!»

* وتميز الإسلام ـ وهو الدين العالمى ـ بعدم تجاهل الواقع القومى المتميز للأمم التى دخلت فيه..

إنه لا يتجاهل التمايز القومى، ولا يقفز عليه.. فمن آيات الله فى البشر: اختلاف الألسنة والألوان.. لكنه ـ بالوسطية ـ يعطى هذا

---

(١) البقرة (١٤٣).

التمايز القومي المضمون الحضاري الذي يؤلف بين التعددية القومية وبين عالمية الإسلام الدين، على النحو الذي يجعل أمة الإسلام وحضارته «محيطا» يحتضن «الجزر القومية» دونما تناقض أو تضاد.. فالعروبة الإسلامية، مثلا دائرة انتماء حضارية، تسبقها الدائرة الوطنية، وتليها جامعة الإسلام.. فمضمونها هذا ثمرة إسلامية متميزة عن مضمونها العرقي الجاهلي، ومن ثم فأفقها مفتوح، وهي ليست فكرية ـ الأيديولوجية ـ المناقضة لفكرية الإسلام.

وعندما حفظت الوسطية هذا التوازن بين «العروبة» و«الإسلام» كان تفوق المسلمين وتقدمهم.. فلما حكم الأعاجم ـ المماليك والترك ـ امتنا، ووقفوا عند الإسلام الدين، دون العروبة الحضارية، ونشأت مزاعم تناقض العروبة والإسلام، حتى لقد هم هؤلاء الأعاجم بتتريك العرب، انفتح على المسلمين باب من أبواب التخلف فدخلوا فيه!..

* وبالوسطية الإسلامية لم يقف فكر حضارتنا ـ إبان ازدهارها ـ عند «النظر»، وإنما زاوج ـ في توازن ـ بين هذا «النظر» وبين الممارسة والتطبيق.. فلم يقف المسلمون عند علوم الوحي والشرع وحدها، وإنما برعوا في علوم الكون والطبيعة ـ أيضا ـ ولم يقفوا عند «القياس» النظري الأرسطي، وإنما تجاوزوه فأبدعوا «المنهج التجريبي».. ورأينا حضارتنا ـ في الأصول ـ كما أبدعت في «أصول الدين» فلسفتها النظرية ـ علم الكلام ـ تبدع في أصول التشريع للدنيا «أصول الفقه» أيضا.. وكذلك صنعت في الفروع، فضم «الفقه»: فقه «المعاملات» مع فقه «العبادات»..

وعندما ساد ذلك في حضارتنا كان تفوق المسلمين وتقدمهم ـ فلما وقفنا عند «الحواشي» و«الشروح» و«التعليقات» على «أصول الدين» و«فقه العبادات»، وأغلقنا باب الاجتهاد في «أصول الفقه» و«فقه المعاملات»، كان ذلك واحدا من أبواب التخلف الذي انفتح على المسلمين فدخلوا فيه!

* وكانت الوسطية الإسلامية قد حددت «للإنسان» المسلم في هذا الكون مكانا ممتازا ومتميزا.. فهو ليس سيد الكون ـ كما قررت ذلك الحضارات ذات الطابع المادي ـ حتى لقد زعمت تجسد الله فيه!.. كما أنه ليس «الفاني» «المتلاشي» في ذات الله ـ كما قالت الحضارات ذات الطابع الصوفي ـ.. وإنما هو سيد في هذا الكون ـ سيد فيه، وليس سيده ـ لأنه، مع تفضيله حتى على الملائكة المقربين، وتسخير الطبيعة له، يحتل في هذا الكون مكان الخليفة عن السيد الحقيقي، لا مكان هذا السيد الحقيقي... فهو سيد في نطاق الخلافة والنيابة والتوكيل، سخرت له الطبيعة لعمارتها، وليس للعدوان عليها والتدمير لمقوماتها وبهذه الوسطية ربطت حضارتنا بين «العلم» و«الحكمة»، بين «الوسائل» و«الغايات» وعرفنا فيها أن «السياسة» هي «الأعمال التي يكون الناس معها أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد».. وليست هي: «فن الممكن من الواقع» ـ بصرف النظر عن

الوسائل والأساليب ونصيب الغايات من الفضائل والأخلاقيات؟!..

ويوم أن كانت سائدة فى حضارتنا هذه الوسطية تقدم المسلمون.. فلما دعا فريق إنسانها - بالتصوف - إلى الفناء فى ذات الله.. ودعاه آخرون إلى مادية لا تقيم فى الوجود وزنا لسواه.. كان ذلك بابا من أبواب التخلف الذى دخل فيه المسلمون!..

* وكانت الوسطية الإسلامية قد أقامت توازنا نموذجيا بين «الفرد» و«المجموع».. حتى لقد استنت فى ميدان الثروة والمال سنة ممتازة ومتميزة، رأينا فيها الملكية الحقيقية - ملكية الرقبة - فى الأموال لله سبحانه.. ورأينا فيها الإنسان - كإنسان - خليفة ومستخلفا عن الله فى إدارة الأموال وتنميتها - وله فيها - كفرد - ملكية مجازية - هى ملكية المنفعة - الوظيفة الاجتماعية للملكية - محكومة بشرعية الوكالة والنيابة والاستخلاف.. وثمرة للعمل المشروع.. ومحدودة بحد الاكتفاء وبهذه الوسطية تقدم المسلمون.. فلما جنحوا إلى الانحراف، فتحولت أرضهم وأموالهم إلى «إقطاع حربى» لقادة العسكر وأمراء الأجناد والمماليك.. ثم كان انحياز صفوة مفكريهم الاجتماعيين والاقتصاديين إلى قطبى التطرف الوافدين من الحضارة الغربية: الليبرالية المطلقة. أو الشمولية المطلقة.. غابت الوسطية الإسلامية، ودخل المسلمون إلى التخلف من هذا الباب!..

* وكانت الوسطية الإسلامية قد أبدعت التوازن بين «الدين» و«الدنيا».. فنحن نعمل للدنيا كأننا نعيش أبدا، ونعمل للآخرة كأننا نموت غدا.. وإيماننا بالآخرة هو الذى يدعونا إلى أن نزرع الغرسة حتى عندما تقوم القيامة وتشهد بأعيننا أشراطها؟!.. بل ويقول حجة الإسلام الغزالى: إن صلاح أمر الدين مؤسس على صلاح أمر الدنيا!

لأن الإنسان إذا لم تصلح «دنياه»، بتوفر الكفاية فى المأكل، والملبس، والمسكن، والأمن، لن يجد الوقت اللازم لتحصيل ما يصلح به أمر «دينه»، من العلم والمعرفة والعبادة لله!.. وحتى لقد قال فقهاؤنا: إن صلاة الجائع والخائف لا تجوز، لأن الأمن «المادى» و«الروحى» هو أساس التدين بالدين..

وعندما ساد هذا التوازن الذى صنعته الوسطية الإسلامية، كان تقدمنا وتفوقنا.. فلما غابت هذه الوسطية، فأدار البعض منا ظهره للدنيا وعلومها وفنونها، باسم الدين، وأدار البعض الآخر ظهره للدين وعلومه ومناهج تهذيبه، باسم الدنيا، اختل التوازن، فكان ذلك الباب من أبواب التخلف الذى دخل المسلمون فيه!..

* وكانت حضارتنا قد أقامت ذلك التوازن الفريد بين «فروض العين» و«فروض الكفاية»، أى - بتعبير مألوف - بين «الفرائض الفردية» و«الفرائض الاجتماعية» - كجزء من موازنتها بين «الفرد» و«المجموع» - فكانت هذه الموازنة لبنة من لبنات تقدمنا.. فلما أصابها الخلل، ورأينا الذين يهتمون لهموم الأمة ويناضلون

لنهضة «الجماعة» يتحللون من التكاليف الفردية، بل ويسخرون منها.. على حين قد غرق فيها آخرون حتى لقد استنفدت منهم الطاقات فأهملوا مصالح «المجموع».. كان ذلك واحدا من أبواب التخلف الذى دخل فيه المسلمون!..

* وكانت حضارتنا قد استنت ـ بالوسطية ـ سنة الموازنة بين «حقوق الحكام» و«حقوق المحكومين»، فللحكام ـ وهم نواب عن الأمة ـ حق السمع والطاعة فيما فوضتهم الأمة فيه، مما هو لازم لبلوغ الغاية من التفويض.. وللمحكومين على حكامهم حق العدل والإنصاف فى ممارسة هذا التفويض..

فلما اختل هذا التوازن.. تنكب الحكام سبيل العدل إلى مسالك الاستبداد والمظالم.. وسلك المحكومون سبل التواكل واللامبالاة، إفشالا لخطط الحكام، ونكاية بهم وانتقاما من ظلمهم واستبدادهم، فغاب السمع والطاعة مع غيبة العدل والإنصاف.. فكان ذلك بابا واسعا من أبواب التخلف الذى دخل المسلمون فيه!..

* وكانت وسطيتنا الإسلامية قد أقامت لنا توازنا بين «العقل» و«القوة»، تحدث عنه تراثنا، أحيانا، تحت عنوان: التوازن بين «القلم» و«السيف».. وبهذا التوازن صارت القوة الضاربة أداة بيد العقل والفكر والحضارة، عليها أن تحمى الحمى، ولها حق «الوعى» الحضارى عندما يتطلب منها أن «تطيع»؟!..

وعندما كانت هذه القوة الضاربة «عربية الفكر والحضارة» ـ أى من ذات الأمة ـ ساد التوازن بينها وبين «عقل الأمة».. فكان التقدم والازدهار.. فلما أصاب الترف بأمراضه هذا القطاع من قطاعات الأمة، وأعجز الترف واقعدت الرفاهية العرب المسلمين عن النهوض بمهمة القوة الضاربة اللازمة لمواجهة التحديات، الداخلية ـ كالإقليمية، والثورات، والتمردات ـ والخارجية ـ بيزنطية.. وصليبية.. ومغولية ـ لجأت الدولة إلى الترك المماليك، فلما تضخمت مؤسسة العسكر المماليك، تحولوا من أداة بيد الخلافة إلى القوة الحقيقية التى تلعب بمنصب الخلافة ـ وكانوا غرباء عن حضارة الأمة، لم يألفوا ـ لأنهم عسكر وترك مماليك ـ ما تعنيه عقلانية الإسلام من استنارة، ولا ما عقده الإسلام الحضارى مع العروبة الحضارية من عروة وثقى.. فاختل التوازن، لحساب «القوة»، وعلى حساب «العقل».. لحساب «النصوصية» الجامدة، وعلى حساب «العقلانية المستنيرة».. ثم كان أن فرضت الأخطار الخارجية ـ وخاصة الصليبية والمغولية والغربية الحديثة ـ على الأمة أن تسلم القياد لهذا اللون من ألوان «القوة»، فامتدت قرون الحكم للترك المغول ـ المماليك ـ والترك العثمانيين ـ فلما طال ليل التخلف النابع من غيبة التوازن، لاختفاء الوسطية، رأينا التراجع وقد صار جمودا.. ورأينا هذا الجمود وقد أثمر ـ بمرور القرون ـ هذا التخلف، الذى نتساءل الآن عن سبب وقوع المسلمين فيه!...

* وكانت وسطيتنا الإسلامية قد صنعت

ذلك التوازن الدقيق بين « الدين » و« الدولة » عندما وقفت شريعتها الإسلامية الإلهية الثابتة عند المقاصد والفلسفات فيما يتعلق بشئون الدولة وسياسة المجتمع وتنمية العمران، الأمر الذى جعل من هذه الشريعة إطاراً والأمة بداخله هى مصدر السلطات، تبدع فى شئون « الدولة » إبداعها المحكوم بروح الشريعة الإلهية ومقاصدها التى وقفت عند الثوابت والأصول..

وفي ظل هذا التوازن صنعت أمتنا تقدمها. فلما غاب، وتوزعتنا دعوات تبعنا فيها سنن الأمم الأخرى، شبرا بشبر وذراعا بذراع!.. فقال منا نفر بما يشبه « الكهانة » و« الدولة الدينية ».. وقال آخرون « بعلمانية » تدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله؟!.. كان هذا الباب من أبواب التخلف الذى دخله المسلمون يستعيرون « مشكلا » كي يستعيروا له « الحلول » ذاهلين عن وسطيتهم الإسلامية، وغافلين عن التوازن الذى أثمرته فى هذا الميدان!..

تلك هى « الوسطية الإسلامية »: الخصيصة الجامعة..

كانت « زاوية الرؤية » لكل سمات حضارتنا العربية الإسلامية إبان ازدهارها وعطائها..

وكانت « المزاج » الذى طبع قسمات هذه الحضارة، عندما كانت منارة الدنيا بأسرها..

وكانت « الروح » السارية فى « المكونات: الثوابت »، التى مثلت « هوية » هذه الحضارة و« جوهرها »..

وصدق الله العظيم حيث يقول:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾

وصدق رسول الله – ﷺ – إذا يقول: « الوسط: العدل جعلناكم أمة وسطا »(٢).

إنها أمة متميزة بـ« هوية » حضارية متميزة.. ولابد لمشروعها الحضارى المأمول أن يضع ذلك فى الحسبان، لابد من أجل وفائه بحق هذا التمايز الحضارى ليس على الأمة العربية والإسلامية فحسب، بل ولما تحتاجه النماذج الحضارية الأخرى - والنموذج الغربى بخاصة - من بديل يخرج إنسانها من المازق الذى وقع فيه...

إن تميز أصالتنا بهذه « الهوية » الحضارية التى طبعتها، يتطلب أن تتميز بها معاصرتنا، إذا شئنا لها أن تكون محققة للنهضة التى تحررنا من الأغلال.. أغلال التبعية لقاهرى أمتنا، الذين فرضوا عليها التحديات، تاريخيا، ولايزالون يفعلون!.. وإذا شئنا، كذلك، لحضارتنا أن تعود فتسهم، مرة أخرى، فى العطاء الفكرى كحضارة إنسانية، تبلورت حول عقيدة عالمية، حمل رسالتها النبى العربى إلى الإنسانية جمعاء.

---

(٢) رواه الإمام أحمد.

لا بديل عن الهداية الإلهية لإنقاذ البشرية

لفضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

أوجب الله على البشر أن يهتدوا بهديه منذ أسكنهم فى أرضه، واستخلفهم فيها فقال:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(١).

وقال: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾(٢).

ومن رحمة الله بالعباد أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وفيها هدى ونور فقال الله - جل جلاله -:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٣).

ولا تزال الدنيا وسيظل العالم كله فى أشد الحاجة إلى اتباع صراط الله المستقيم ومناهجه القويم الذى جاء به النبيون من ربهم لتضح المعارف مستنيرة والسبل مستقيمة والرؤية سليمة، وبهذا تزول الجهالات وتنمحى الظلمات، فلا وساوس ولا هواجس ولا إنكار ولا بغى، ولا استكبار ولا عبث، ولا استهتار، لكنه الصدق مع الله ومع النفس ومع الناس أجمعين لأن الله لم يخلق الناس عبثا، ولن يتركهم سدى بعد أن منحهم عقولا يفكرون بها، وصار الإنسان أرقى المخلوقات إذا عرف فضل الله وآلاءه التى بين يديه، فعبد الله واتبع هداه ولم يعبد إلا إياه ولم يخش أحدا سواه، وأسلم وجهه إلى الله وهو محسن، والله يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

---

(١) البقرة ٣٨.
(٢) طه ١٢٣.
(٣) الحديد ٢٥.
(٤) البقرة ٢١، ٢٢.

ويأمرنا ربنا بالعبادة لأن عبادة الله وحده والإيمان الصادق والسلوك المستقيم كل هذا نور يضيء جوانب النفس وينقي الروح، ويطهر القلب.

والإيمان بالله هو واحة الاسترواح في صحراء الحياة الدنيا وهو المنار في الظلمات الذي يهتدي به الحائرون وهو العاصم الواقي من شرور الإلحاد والفساد في الأرض لأن الإيمان بالله يتم بالتصديق بالقلب والإقرار باللسان، بأن لا إله إلا الله محمد رسول الله فإذا آمن المرء بربه الواحد الأحد آمن بكل ما أنزله على ختام رسله - ﷺ - والله يقول:

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾(٥).

والإسلام قادر على صنع المستوى الرفيع من الناس إذا أخلصوا لدينهم بالله في كل فعل وقول كما جاء من عند الله الذي أكمل به الله الملة وأتم به النعمة وارتضاه لعباده دينا لأن شريعته تؤسس بنيان الحياة على تقوى من الله ورضوان، ولأن كتاب الله يهدي للتي هي أقوم، وقديما صنع الإسلام رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فكانوا كما قال الله فيهم:

﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾(٦)

هذه صورتهم في القرآن وهذا شأنهم بعد أن عرفوا ربهم معرفة جعلتهم موصولين بالله وحده لا شريك له فرفع الله قدرهم وأعلى شأنهم وبوأهم في سماء المجد مكانا عليا فملئوا الأرض عدلاً وأمناً وسلاماً؛ واستقامت لهم الدنيا وفتح الله عليهم بركات من السماء والأرض لما كان القرآن شرعتهم ومنهاجهم، والرسول أسوة لهم وقدوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا: والله يقول:

﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾(٧)

آيات القرآن الكريم وإسلام عمر - رضي الله عنه -

لما أراد الله أن يعز الإسلام بعمر وأن يعز عمر بالإسلام استجاب الله - عز وجل -

---

(٥) البقرة ٢٨٥.

(٦) الفتح ٢٩.

(٧) الأحزاب ٢١.

لدعوة رسوله الكريم سيدنا محمد - صلوات الله وسلامه عليه - حيث دعا ربه ضارعا وخاشعا قائلا: « اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام « اسم أبى جهل » فكان أحبهما إليه عمر ابن الخطاب الذى كان إسلامه فتحا وهجرته نصرا وإمامته رحمة ».

قال ابن عباس - رضى الله عنه - لما أسلم عمر بن الخطاب قال جبريل للنبى - ﷺ -: « يا محمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر فإن المشركين قالوا: قد انتصف القوم اليوم منا ».

فأنزل الله - تعالى - قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٨).

أما السبب الثانى فى إسلام عمر بعد دعوة الرسول له فنبينه فى إيجاز فنقول: سمع عمر - رضى الله عنه - قبل أن يسلم أن أخته وبعلها قد اتبعا محمد بن عبد الله فسار إليهما جادا فى مشيته والسيف فى يده، والغيظ فى قلبه، حتى اقترب من المكان فسمع قرآنا يتلى ينبعث من الدار بصوت أخته أو زوجها: يقرأ:

﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾(٩).

ثم طرق عمر الباب ودخل فوجد فى يد أخته صحيفة فيها هذه الآيات فقرأها فذاق روعتها فى قلبه وخالطت روحه، وهدأت ثورته: وذهب إلى رسول الله - ﷺ - وأعلن إسلامه على يديه، وفرح المسلمون يومئذ فرحا شديدا بإسلام عمر - رضى الله عنه وأرضاه - وهذا هو القرآن الكريم الذى أعز الله به المسلمين فى كل وقت وحين -

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(١٠).

لقد أنزله الخالق لإصلاح الخلق، وجعله محفوظا ثابتا لا يتبدل ولا يتغير لكيلا يتبدل الناس، ولا يتغيروا:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(١١).

ورسول الله هو المثل الأعلى والقدوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا والذكر باللسان وبالقلب قربات ودرجات:

أما قول الله - تعالى:

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(١٢):

فقد قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - ذكر الله بالقلب أكبر زجرا ونهيا عن المعاصى من جميع الطاعات:

وقال ابن عباس وأبو الدرداء ومجاهد

---

(٨) الأنفال ٦٤ (٩) طه ١ - ٥ (١٠) إبراهيم ١
(١١) الحجر ٩ (١٢) العنكبوت ٤٥

وعكرمة: ذكر الله لكم أكبر من ذكركم له. وذكر الله عبادة ميسرة للوصول إلى درجات رفيعة بدون مجهود.

لقد كان فى قصصهم عبرة

لما أراد الله نجاة موسى - عليه السلام - من كيد فرعون الذى علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين.

لما أراد الله نجاة سيدنا موسى من طغيان من قال: أنا ربكم الأعلى وقد خافت عليه أمه ولكن عناية الله فوق طاقة البشر، وقدرة القادر القاهر فوق عباده أعجزت تخطيط فرعون وهامان وجنودهما والله يختص برحمته من يشاء ولنقرأ قول الله - تعالى -:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١٣).

فى هذه الآية أمران ونهيان وبشارتان:

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾(١٤).

(واللام فى كلمة ليكون للغاية أو الصيرورة)

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۝ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ۝ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٥)

وفى القصة إعجاز وإيجاز وعبرة وهذه عناية الله يصورها لنا القرآن فى أجمل صورة من القصص الإلهى القرآنى والقصص القرآنى له جلاله وجماله وروعته وبلاغته وبيانه الذى أعجز كل البشر، والله يقول:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(١٦)

الإيمان بالله قوة

ولاريب فى أن الإيمان بالله قوة تظهر آثارها فى حياة المؤمن الذى يسمو بنفسه فوق أهوائها ونزواتها وشهواتها الشيطانية لتكون موصولة بالله فى كل أفعالها وأقوالها:-

---

(١٣) القصص ٧.
(١٤) القصص ٨.
(١٥) القصص ٩ - ١٣.
(١٦) الإسراء ٨٨.

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٧).

والله يقول: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (١٨).

والإسلام لا يكره أحدا أبدا على اعتناقه ولكنه يوجه الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويعرض فضائله ومزاياه، ويقول للناس حسنا فمن أراد الله له خيرا وفقه لهداه

﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾(١٩).

والناس معادن فإذا سلمت فطرة الإنسان وكان المنبت طيبا وأراد الله بالعبد خيرا استجاب لله وللرسول

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾(٢٠).

وذلك لأن من ذاق حلاوة الإيمان وارتبط بالله عرف أن الدين عند الله الإسلام وأن الإسلام دين رسل الله - عليهم السلام جميعا - والإيمان زاد روحي واطمئنان قلبي وعطاء إلهي ورضا نفسي، وشعور بأن الإنسان لم يخلق عبثا ولن يترك سدى ولكن وجد ليعرف ربه الذي خلقه فسواه وألهمه فجوره وتقواه، وبالتقوى تستيقظ الضمائر وتستنير البصائر فيحس الإنسان بأن له وجودا روحيا قويا فلا يهيمن عليه هوى ولا تسترقه نزوات أو شهوات والله يقول:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢١).

والعبادة بمعناها الواسع تشمل كل عمل صالح- من قول أو فعل يرضى الله - تعالى - والإسلام دين السلام والوحدة والتعاون على الخير لا على الشر والبغي، فلا يرضى للإنسان أن ينسلخ من إنسانيته إلى وحشية ضارية قاتلة معتدية إرضاء للنزوات أو للمطامع والمنافع فلا ظلم في الإسلام، ولا بغي ولا عدوان ولا طغيان، ولكن الإسلام دين التراحم والتعاون والتآلف والتناصح والتناصر والمودة والأمن وحب الخير للغير والله يقول:-

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾(٢٢).

---

(١٧) النحل ٩٧ .

(١٨) التغابن ١١ .

(١٩) الأنعام ١٢٥ .

(٢٠) الأنفال ٢٤ .

(٢١) الذاريات ٥٦ .

(٢٢) النساء ٦٦ - ٦٩ .

العقل من أعلام الهداية

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

إن العقل من أعظم النعم التى أنعم الله بها على الإنسان. به يكون الإدراك والتمييز، وبه يكون الفهم والاستنباط، وباستعماله تتحقق الاختراعات والابتكارات، وبالعقل تتجنب المخاطر وتتقى المضار، وبه تجتلب المنافع، وفوق هذا فإنه بالعقل تكون الهداية والرشاد.

ولأن الله وهب العقل للإنسان فقد كلفه بالتكاليف لأنه لا تكليف بدون عقل ولذا قال العلماء: إن العقل مناط التكليف.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١).

وقد حرص الإسلام على تحرير العقول من كل ما يكبلها ويعوقها عن أداء دورها فى حياة الإنسان، فحررها من قيود الأوهام والخرافات والكهنوت، وحرم الإسلام إتيان العرافين والدجالين والكهنة ووصفهم بأنهم كذابون، فلا يجوز أن يصدقهم أحد.

كما أبطل الإسلام الاعتقاد فى نفع التمائم والرقى والودع وما شاكل ذلك، كما رغب الإسلام الإنسان وحثه على النظر فى الكون من حوله والتفكر فى بديع صنع الله؛ ليتعرف من خلال ذلك على عظيم قدرة الله وجميل لطفه وحكمته، وبذلك يزداد الإيمان ويربو فى قلبه ويوجه سلوكه نحو الفلاح والرشاد. وكل ذلك إنما يعرف بالعقل.

وفى هذا المعنى وردت آيات كثيرة منها قول الله - تعالى -:

(١) الأحزاب: ٧٢.

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾[٢].

ومنها قول الله – تعالى :–

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾[٣].

في هذه الآيات يلفت القرآن الكريم أنظار الناس لكي يُعملوا عقولهم ويتأملوا في كل ما خلق الله من حولهم ليهتدوا إليه ويعرفوا عظمته وقدرته وأن القادر على خلق هذه الأجرام الهائلة وهذه المخلوقات البديعة المتقنة قادر على بعثهم للوقوف بين يديه يوم الحساب. والإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

وقد حث القرآن الكريم على إعمال العقل وعدم إهماله وذلك في كثير من الآيات القرآنية التي أمر الله فيها بالنظر والتأمل في آيات الله المبثوثة في الكون من حولنا وفي داخل نفوسنا. وتلك التي أمر فيها بالتدبر في آيات الله المدونة في كتابه الكريم. وذلك كله من عمل العقل الرشيد. لكي يكون ذلك التأمل والتدبر سبيلاً إلى الهداية والرشاد.

يقول الله – تعالى – :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[٤].

ويقول الله – تعالى :–

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٥].

وحين خلق الله الإنسان زوده بوسائل المعرفة والإدراك، ووهبه القدرة على التفكر والتدبر لكي يستطيع القيام بوظيفته التي خلقه الله لأدائها، وهي عمارة الأرض والانتفاع بما خلق الله في السموات والأرض، والوصول إلى معرفة خالقه والقيام بعبادته، وشكره على جزيل نعمه، يقول الله – تعالى :–

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[٦].

---

(٢) ق: ٦ ــ ١١. (٣) الغاشية: ١٧ ــ ٢٠. (٤) البقرة: ١٦٤.
(٥) ص: ٢٩. (٦) النحل: ٧٨.

وقد ثبت بدليل الواقع أن كل الذين أعملوا عقولهم في البحث عن الحقيقة بتجرد وموضوعية ساقهم تفكيرهم الصائب إلى معرفة الله وسلوك طريق الهداية والرشاد.

وجاء رسل الله فحددوا معالم الطريق وسددوا الخطى.

وأما الذين أهملوا عقولهم وتمسكوا بما ورثوه عن الآباء والأجداد فقد ضلوا الطريق، وعموا عن معرفة الحق، لا بسبب خفاء الحق أو غموضه ولكن بسبب سلوك طريق التقليد والجمود.

وقد كشف لنا القرآن الكريم عن هذه الحقيقة حين عرض لموقف الكفار من دعوة الرسل الذين جاءوهم بالبينات والهدى فلم ينظروا فيما عرضوه عليهم من الآيات وسدوا آذانهم عن سماع الحق، وحجبوا عيونهم عن رؤية الهدى، وحبسوا عقولهم عن التفكر، وقلوبهم عن التعقل والتدبر.

وهذا التصرف منهم ومن أمثالهم يعد من أكبر العوائق التي تحول بين الناس وبين سلوك طريق الهداية. يقول الله – تعالى :–

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٧).

وعلى هذا الدرب من الجمود والعناد سار الكافرون الضالون في كل أمة وفي كل جيل. وهذا ما فعله غالبية أهل مكة مع رسول الله – ﷺ – فقد خاطبهم بالقرآن وناقشهم في عقائدهم الفاسدة معتمداً على الأدلة العقلية الدامغة فلم يستجيبوا لنداء العقل وأصروا على التمسك بالموروث، والتعصب للمألوف دون دليل أو برهان، وآثروا التهرب من مواجهة الحقيقة وقولها، يقول الله – تعالى :–

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ۝١٩ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ۝٢١ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾(٨).

وأهل مكة في هذا المسلك ساروا على الدرب نفسه الذي سلكه من قبلهم كل من ضل عن سواء السبيل. وسيسير على الدرب نفسه آخرون يأتون من بعدهم إذا ما أهملوا عقولهم، وحرموا أنفسهم من نعمة التدبر والتفكر. يقول الله – تعالى :–

﴿ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾(٩).

وفي هذه الآية الكريمة يلفت القرآن الكريم أنظارنا إلى سر من أسرار النفس البشرية وسنة

---

(٧) البقرة: ١٧٠.

(٨) الزخرف: ١٩ – ٢٢.

(٩) الزخرف: ٢٣.

من سنن الله الكونية . وهي أن الترف يدفع الناس إلى الإعراض عن طلب المعالي التي لا تنال إلا بالجد والعمل والتفكير السليم، ويؤدي بالمترفين إلى الخمول والكسل وحب الدعة والراحة، ويتبع ذلك عدم الرغبة في السمو والرقي وإعمال العقل بحثاً عن الكمالات . وبذلك يضل المترفون الطريق، ويرفضون الهداية ويصرون على الكفر . بل ربما سول لهم الشيطان الظن بأن ما في أيديهم من أموال وما رزقوا به من أولاد يضمن لهم السعادة في الدنيا والآخرة – على افتراض أن هناك آخرة، لأنهم لا يؤمنون بها – وفي هذا يقول الله – تعالى :–

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾(١٠).

والانسياق في هذا الطريق الوعر يصل بالإنسان إلى وضع لا يليق بكرامته الإنسانية، ويهبط به إلى درك الحيوانية أو أدنى من ذلك . حيث يقول الله – تعالى – :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(١١)

وقد يصل الأمر بهؤلاء الغافلين إلى درجة الاعتراف بالتحجر والتباهي بالجمود كما حدث من أهل مكة وغيرهم . يقول الله – تعالى – حاكياً موقف أهل مكة من دعوة القرآن لهم لكي يهتدوا بهداه

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾(١٢).

ومع إن معالم الحق كثيرة ودلائل الهدى وفيرة . وآيات الله ودلائل قدرته لا تعد ولا تحصى . وهذه المعالم والدلائل والآيات مبثوثة ومتجددة من حولنا في الأنفس والآفاق بدليل الواقع الذي يؤكده قول الله – تعالى :–

﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾(١٣).

---

(١٠) سبأ: ٣٤ – ٣٧.
(١١) الأعراف: ١٧٩.
(١٢) فصلت: ١ – ٥.
(١٣) الذاريات: ٢٠ – ٢١.

وقول الله - تعالى :-

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾(١٤).

وعلى الرغم من ذلك كله فإن المكذبين الضالين - نتيجة إهمالهم لعقولهم وإصرارهم على موروثاتهم، أو انصرافهم عن التفكير في وسائل الهداية - يمرون على آيات الله فلا يدركون ولا يبصرون ولا يهتدون. يقول الله - تعالى :-

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾(١٥)

ولو أن الإنسان فكر فيما جرى للسابقين وتأمل في مصائر المنحرفين الفاسدين وما آل إليه أمر الصالحين وما تنطق به آثار هؤلاء وأولئك. لو أن الإنسان فعل ذلك - وهو ينظر في التاريخ أو يسيح في الأرض - لوجد في ذلك زاداً عظيماً لعقله وفكره يعينه على معرفة الصواب. ولهذا لفت القرآن الكريم أنظارنا إلى ذلك في مثل قول الله - تعالى :-

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾(١٦).

فهاتان الآيتان تشيران بوضوح إلى أن النظر الواعي سبيل إلى الهداية ومعنى ذلك أن الذين لا ينظرون ولا يتدبرون، والذين يهملون عقولهم لن يصلوا إلى الهداية والرشاد ويستحقون الضلالة والهلاك بسبب شقوتهم وخمولهم وإعراضهم عن سبيل الهداية ووسائلها.

وفي هؤلاء يقول الله - تعالى :-

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(١٧).

وهؤلاء الذين مروا على آيات الله ودلائل قدرته وعلى ما في التاريخ من دروس وعبر ولم ينتفعوا بما وهبهم الله من وسائل الإدراك والمعرفة، ولم يوظفوا عقولهم فيما هو أعظم من متاع الدنيا وزينتها، وقنعوا بالمألوف والموروث من العقائد الفاسدة والنظريات الباطلة والعادات السيئة سيندمون في وقت لا ينفع فيه الندم. وقد سجل لنا القرآن الكريم مقالتهم حين يدخلون النار ويصلون عذابها فقال الله - سبحانه :-

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾(١٨).

---

(١٤) فصلت: ٥٣. (١٥) يوسف: ١٠٥. (١٦) آل عمران: ١٣٧ - ١٣٨.
(١٧) الحج: ٤٥ - ٤٦. (١٨) الملك: ١٠ - ١١.

إنه لحرى بالإنسان أن ينتفع بنعمة العقل، وأن يتفكر فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ باحثاً عن الحقيقة ساعياً إلى الهداية تواقا إلى الرشاد[19].

وفى الوقت نفسه ينبغى ألا يغتر الإنسان بعقله ويظن فيه القدرة على معرفة كل شئ. فإن العقل مع قدرته الهائلة على التفكير والإبداع، ومع قدرته كذلك على التحليل والاستنباط والاختراع إلا أنه لا يستطيع البحث إلا فيما يقع تحت الحس أو ما يعرف بعالم الشهادة، أما قدرته على معرفة الغيب فمعدومة، وقدرته على معرفة ما وراء الطبيعة مما هو خارج عن دائرة الحس فمحدودة.

وأقصى ما تمكن العقل من معرفته من النظر فى الطبيعة وما وراء الطبيعة الإيمان بوجود الخالق القادر الكامل. وليس أمام العقل من سبيل لمعرفة بقية صفات الكمال والجلال التى وصف الله بها ذاته المقدسة إلا عن طريق الوحى. وليس أمام العقل من سبيل لمعرفة كل ما يحبه الله من الأخلاق والأعمال والأقوال إلا عن طريق الوحى. كما أنه ليس أمام العقل من سبيل لمعرفة كل ما يبغضه الله من الأخلاق والأعمال والأقوال إلا عن طريق الوحى.

كما أن العقلاء جميعاً يعرفون بالتجربة والواقع أن العقل قد يقع فى أسر الشهوات والرغبات ويعمل فى خدمتها ويصبح مستعبداً للهوى، بدلاً من أن يكون سيداً وحاكماً ومسيطراً على الشهوات والرغبات وموجهاً لها.

وما ذلك إلا لأن العقل طاقة من طاقات البشر ووسائل الإدراك لديهم، مثله مثل السمع والبصر، وهو مقترن بهما فى كثير من آيات القرآن الكريم.

لأنهما النافذتان اللتان توصلان إليه المدركات من المرئيات والمسموعات، وطاقات البشر محدودة وناقصة كنقص البشر وقصورهم، لأن هذه الطاقات مخلوقة كما أن البشر مخلوقون، والكمال لله وحده لا شريك له.

ولذلك فنحن نسمع عن كثير من الناس الذين يشار إليهم بالبنان وتتحدث عنهم الدنيا ويوصفون بأنهم عباقرة، ومع هذا فإن عقولهم الجبارة لم توصلهم إلى الهدى وضلوا الطريق، وما ذلك إلا لسبب من الأسباب التى أشرنا إليها.

ولهذا فإن على العاقل أن يجعل وحى الله قائداً لعقله فيسير على نوره ويهتدى بسناه، وعليه أن يحذر اتباع الهوى لأنه يضل عن سبيل الهداية ويدفع الإنسان فى طريق الغواية.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[20].

---

(19) من كتابنا طريق النجاة فصل خطاب إلى العقلاء.

(20) القصص: 50.

قضايا قرآنية :

قضية التجويد

القرآن ولغة العرب .. كيف نفهم هذه القضية

لفضيلة الشيخ / صديق بكر على عيطة

من المسلمات التى هى جزء أصيل من عقيدة المسلمين، ويعرفها أيضاً غير المسلمين، أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وفى زمن بلغت فيه هذه اللغة عند أهلها مبلغ اليفاعة والقوة، وحسن الأداء، حتى إنه كانت تقام المنازلات والمصاولات بين القبائل فى أسواق عكاظ، وذى المجنة، وذى المجاز، قال الحق - سبحانه -:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(١)

وقال أيضاً:

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(٢).

وغير هذه وتلك من الآيات، الذى لا يتسع المقام لسردها،

غير أن صاحب كتاب «القرقان» يستغل هذه الحقيقة الكبرى، أسوأ استغلال، ليسئ من خلالها إلى مكانة علم التجويد، ويتطاول على علمائه الذين أفنوا حياتهم فى خدمة هذا الكتاب العزيز «القرآن الكريم» يقول المؤلف فى صفحة ١٣٣ فى كتابه المشار إليه: «لقد صنعوا

---

(١) يوسف (٢)

(٢) الشعراء (١٩٣ - ١٩٥).

«أى القراء» كتابته، وتلاوته، والنطق به، مع أنه لم يزد عن كونه كلاماً عربياً، يتركب من الأحرف التى يتركب منها سائر كلام العرب، وينطق به كما تنطق العرب بكلامها:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ﴾(٣).

﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾(٤).

﴿ الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾(٥).

وفى صفحة ١٤٦ يقول: «لقد أنزل الله تعالى القرآن عربياً، وهيأه للتلاوة، ويسره للذكر، وقال: يا معشر الناس: لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر».

فانظروا- وما يزال الكلام لصاحب كتاب «الفرقان»- كيف تنطق العرب بكلامهم، وانطقوا بالقرآن بمثل ما تنطق، وإلا فما تقرأون به هو الخطأ، وما تتكلم به العرب هو الصواب».

ثم يقول فى صفحتى ١٤٦، ١٤٧: «وهل لو تكلم أمامنا عربى قح فصيح ـ وهو الذى يعتبر بحق حكماً فى النطق بالألفاظ، ومرجعاً فى الأداء ـ أكان يمر فى ألفاظه بمثل ما يمرون، ويتعسف بمثل ما يتعسفون؟» «ولو أن أعرابياً، قال ـ مثلاً ـ : هؤلاء القوم. أكان يقولها كذلك. أم كان يقولها: «هـ .. ؤلا .. ء القوم» كما يزعم القراء؟».

«ومن عجب أنهم يتغالون فى التمسك بما يسمونه «القلقلة ويحددون حروفها بخمسة، يجمعها لفظ «قطبجد» فأى حرف جاء ساكناً من هذه الأحرف وجبت إمالته إلى الكسر» اهـ كلامه، وبالرغم من أن نيران التعصب والغضب تبدو واضحة بين أنياب كلماته فإننا سنصرف عنها النظر ولن نرد إلا على فكره، كما ألزمنا أنفسنا وتعهدنا أمام القارئ منذ الحلقة الأولى فى هذه المسيرة.

فالواضح أن المؤلف يهدف من وراء هذه العبارات وأمثالها إلى أن يدلل على صحة ما ذهب إليه من قبل، وهو ترك العناية بمخارج الحروف، وإعطاء كل حرف منها حقه ومستحقه. من مدّ أوغن، أو إدغام، أو إخفاء أو إظهار.. إلى آخر ما تتطلبه جودة التلاوة، وأحصاه علم التجويد.

والمؤلف فى سبيل تحقيق هدفه، يغالط ويناور مستغلاً حقيقة أن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى طريقتهم فى تكوين العبارة، لكنه فى هذه الحالة يغفل أو يتغافل حقيقة كبرى، هى أن العربى حينما سمع القرآن رأى أنه «إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية فى انسجامه واطراد نسقه، واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً مقطعاً ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعاً ولا تتلوه تلاوة».

«وهذا نوع من التأليف لم يكن منه فى منطق أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، إلا الجمل القليلة التى إنما تكون روعتها وصيغتها وأوزان توقيعها من اضطراب النفس فيها إذ تضطرب فى بعض مقامات الحماسة، أو الفخر أو الغزل أو نحوها فتنتزى بكلام المتكلم من أبعد موضع فى قلبه حتى تنتهى به إلى الحلق ثم ترسله من هناك وكأن ألفاظه عواطف تتغنى».

«وقد كان منطق القوم يجرى على أصل من تحقيق الحروف وتفخيمها، ولكن أصوات الحرف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة فى جملتها كيف اتفقت، فلابد لها مع ذلك من نوع فى التركيب وجهة من

---

(٣) البقرة (١- ٢)   (٤) يوسف (١)   (٥) الرعد (١)

التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً ويتألف منها شئ مع شيء، فتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحن الموسيقى، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتى الذى يثير بعضه بعضاً على نسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده»[6].

والمؤلف، لو فهم مكمن الإعجاز في تركيب الجملة القرآنية لما سوغ لنفسه أن يقول عن القرآن: «... مع أنه لم يزد عن كونه كلاماً عربياً، يتركب من الأحرف التى يتركب منها سائر كلام العرب، وينطق به كما تنطق العرب بكلامها»، فاتحاد المادة مع اختلاف المبنى، هو المدخل الأول الذى ينفتح على كثير من مداخل الإعجاز في هذا الكتاب الأقدس، وهو الذى جعل «الوليد بن المغيرة» يقول عن - محمد ﷺ -: «... أتقولون إنه ساحر؟ فهل رأيتموه يسحر قط؟ أتقولون إنه شاعر؟ فوالله ما فيكم أحد أعلم منى بقصيده ولا برجزه. وإن ما يقوله ليس بشعر.. إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته، وما يقوله بشر»!!

يا سبحان الله. تلك شهادة أعتى عتاة الكافرين، وقد أنطقه الحق الأبلج، وها هو ذا مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، يقول: مع أنه لا يزيد عن كونه كلاماً عربياً.. الخ!!

هل هو مجرد كلام عربى ذلك الذى لوى عنق كل من: الوليد بن المغيرة، والأخنس بن قيس، وأبى جهل بن هشام، وجعلهم «يتلصصون» على محمد وهو يقرأ القرآن في بيته أكثر من مرة؟ يتعاهدون عقب كل مرة على ألا يفعلوا بعد ذلك؟ ثم هم يفعلون، ثانية، وثالثة؟! أى قوة تنسيهم ذلك العهد الموثق، مع أن العرب أمة عرفت بالوفاء بالعهد؟! هل لأنه مجرد كلام عربى كأى كلام؟ وهبه كلاماً عربياً كأى كلام عربى آخر. فلماذا إذن يقولون لسفهائهم:

﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾

فالتحذير هنا من مجرد السماع، أليس لأنهم «رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هى توقيعها»[7].

يقول المؤلف: «وهل لو تكلم أمامنا عربى قح فصيح - وهو الذى يعتبر بحق حكماً في النطق بالألفاظ، ومرجعاً في الأداء - أكان يمد في ألفاظه مثل ما يمدون ويتعسف بمثل ما يتعسفون؟»

ونحن نجيب على هذا التساؤل بـ «لا» لن يمد العربى القح الفصيح بمثل ما يمدون لسبب واحد بسيط: هو أن كلام العربى كلام بشر، مهما بلغت فصاحته التى لا تبارى، أما القرآن فهو وحى يتلى، ليصل ما بين الأرض والسماء، ورحم الله الأستاذ مصطفى صادق الرافعى، حينما أراد أن يوضح هذه النقطة حيث قال: «وأنت تتبين ذلك «أى الفرق بين كلام العرب، وكلام - الله تعالى -» إذا أنشأت ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم على طريقة التلاوة في القرآن، مما تراعى فيه أحكام القراءة وطرق الأداء، فإنك لابد ظاهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء، وانحطاطه في ذلك عن مرتبة القرآن، بل ترى كأنك بهذا

---

(6) إعجاز القرآن للرافعى صـ213-214.

(7) المصدر السابق صـ216.

التحسين قد نكرت الكلام وغيرته، فأخرجته من صفة الفصاحة، وجردته من زينة الأسلوب، وأطفأت رواءه، وأنضبت ماءه، لأنك تزنه على أوزان لم يتسق عليها في كل جهاته، فلا تعدو أن تظهر من عيبه مالم يكن يعيبه إذا أنت أرسلته في نهجه وأخذته على جملته »

« وحسبك بهذا اعتبارا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا يتفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير، وغير ذلك.. ».

« ولقد كان هذا النظم عينه هو الذي صفى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم، حتى كان لهم من محاسن التركيب في أساليبهم ـ مما يرجع إلى تساوي النظم واستواء التأليف ـ مالم يكن مثله للعرب من قبلهم، وحتى خرجوا عن طرق العرب في السجع والترسل على جفاء كان فيهما، إلى سجع وترسل تتعرف في نظمهما آثار الوزن والتلحين، على ما يكون من تفاوتهم في صنعة ذلك ومقداره، ومبلغهم من العلم به، وتقدمهم في صنعته »..

« ولولا القرآن، وهذا الأثر من نظمه العجيب، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامية، بل لما بقيت اللغة نفسها » .

« وليس يخفى أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى »..

فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على طرق الأداء الصحيحة لرأيناه أبلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هز الشعور واستثارته من أعماق النفس؟ وهو من هذه يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي، حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم، لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه؟ لأن فيهم طبيعة إنسانية، ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان؟ وعلى هذا وحده يؤول الأثر الوارد أن في الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا، لأنه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يعد نقصا منه إذا لم تجتمع أسباب الأداء في أصوات الحروف ومخارجها، وإنما التمام الجامع لهذه الأسباب صفاء الصوت، وتنوع طبقته، واستقامة وزنه على كل حرف »[8].

وبعد هذا التحليل الرائع، الذي قدمه الأستاذ الرافعي ـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة ـ والذي وضع

---

(٨) المصدر السابق ٢١٤ - ٢١٦.

كلا من طرفي القضية في مكانه الصحيح، تتبين الفرق الكبير بين طبيعة كل من التركيب العربي المعتاد، والتركيب القرآني المعجز، إذ لا يصلح أي طرف منهما لأن تحمل عليه خصائص الطرف الآخر.

ولذا كان من الخطأ البين أن تأخذ عبارة المؤلف التي يقول فيها:

«إن العربي هو الذي يعتبر بحق حكما في النطق بالألفاظ، ومرجعا في الأداء» على إطلاقها، فالعربي القح حكم.. هذا صحيح، ولكن على العربي القح أو غير القح، أما على الأداء القرآني فلا..!! القرآن جاء ليعجز العرب فأعجزهم.. ولوى أعناقهم.. فكيف يحكم العاجز على المعجز؟! بل كيف تحكم الأرض على السماء؟!

-نعم يقول الحق تبارك اسمه:

﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾.

﴿ الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ وهو ما استشهد به مؤلف كتاب «الفرقان» غير أنه لم يستشهد به على وجهه، فالحق تبارك اسمه - والله أعلم - يريد أن يبين للعرب، أهل الفصاحة والبيان، أن هذا القرآن ليس غريبا عن أفهامهم، وهو ما يؤيده قوله تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾(٩).

بل إن من يريد منهم أن ينفتح أمامه باب واحد إلى القرآن، فسوف يرى أمامه عدة أبواب، كلها قد انفتحت، يدخل من أيها شاء.. هذا أولا، وثانيا: إذا كانت هذه هي لغتكم وحروفكم التي يتألف منها كلامكم، والقرآن لم يبتدع حرفا واحدا غير مألوف لديكم، وقد عجزتم عن أن تأتوا بقرآن مثله، أو بما يماثل أقصر سورة منه، أفلا تؤمنون بأن هذه الأحرف - وقد تعانقت مع وحي السماء إلى الأرض - قد خرجت عن طوق البشر، بما فيهم- محمد ﷺ-، لتصير معراجا يصل الأرض بالسماء؟!

هكذا يجب أن نفهم هذه القضية «قضية القرآن ولغة العرب» وهذا هو الإطار الصحيح الذي يجب أن توضع فيه. صحيح أن القرآن الكريم، مؤلف من أحرف هي ما تعورف عليها لدى العرب. ولكن بعد أن اتحدت مادتها بنور الوحي السماوي، وصارت معبرا تنفذ من خلاله أشعة الهدى الرباني إلى الأرض، فأشرقت الأرض بنور ربها.. أصبحت له خصائصه، ومميزاته، التي لا يتعلق بها بشر، ولا يطمع في مجاراتها إنس ولا جن ولا ملك.. ومن هنا تتبين فساد القياس الذي ذهب إليه المؤلف، عندما قال: «مع أنه لم يزد عن كونه كلاما عربياً، يتركب من الأحرف التي يتركب منها سائر كلام العرب، وينطق به كما تنطق العرب بكلامها»

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة - إن شاء الله - لنتعرف على حقيقة علم التجويد.

---

(٩) فصلت (٤٤).

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم الشيخ/ عبدالفتاح حسين الزيات

● السؤال من فتح الله عبدالواحد - التل الكبير - شرقية:

- بعد قراءة الفاتحة من قبل الإمام جهراً في الصلاة الجهرية، فهل يجوز للمأمومين أن يطيلوا في قراءة «آمين» أم يقصروها؟ وما حكم ذلك، وهل هذا مجمع عليه من أئمة المذاهب؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

نفيد أن جمهور الفقهاء ذهب إلى أن التأمين خلف الإمام سنة من سنن الصلاة ويكون سراً في الصلاة السرية، وجهراً في الصلاة الجهرية، وهو سنة للإمام والمأموم والمنفرد.

إلا أن الحنفية قالوا: إنه يكون سراً في الصلاة الجهرية والسرية. بينما يرى فقهاء المالكية أنه يندب للمنفرد والمأموم فيما يسر فيه ويجهر فيه، وللإمام فيما يسر فيه فقط.

وينبغي أن يؤمن المأموم في الجهرية إذا سمع قول إمامه: «ولا الضالين» وفي السرية بعد قوله هو: «ولا الضالين».

والخلاصة: أن التأمين سنة من سنن الصلاة ويكون سراً في الصلاة السرية وجهراً في الصلاة الجهرية للإمام والمأموم والمنفرد، عدا المالكية الذين يرون أنه مندوب للمنفرد والمأموم مطلقا، وللإمام فيما يسر به.

غير أنه لم يرد عن الفقهاء قول فصل فيما يتعلق بقصر التأمين أو مده، ولكن الأولى بالمسلم أن يكون معتدلاً ملتزما بما هو معتاد وأن يتوسط في ذلك استجابة لقوله -تعالى-:

﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[1].

وامتثالاً لقوله -ﷺ- فيما رواه الطبراني-: «إن اليهود قد سئموا دينهم وهم قوم حسد، ولم يحسدوا المسلمين على أفضل من ثلاث: رد السلام، وإقامة الصفوف، وقولهم خلف إمامهم -في المكتوبة- آمين»[2].

ولكن ينبغي للمسلم أن ينأى عن الخلاف في مثل هذه الأمور وأن يتجنب الشقاق في مثلها لأنها أمور ليست من فروض الصلاة، ولا من مأمورات الدين. والله -سبحانه وتعالى- أعلم.

● **السؤال من إبراهيم مصطفى الطويل / حوش عيسى:**

-أرضعت أمي ابنة عمتي لمدة قصيرة، وكان عمر البنت يتراوح ما بين سبعة أشهر أو ثمانية، وكانت تأكل أشياء أخرى، وقد كبرت ابنة عمتي هذه وتزوجت وأنجبت بنتا هي الآن في السابعة عشر من عمرها، وقد تقدم أخي الأصغر (الثالث بعدي) لخطبتها، وقد علمنا من والدتنا قضية الرضاعة السالف ذكرها، فخفنا أن نقع في المحرمات. فنرجوا إفتاءنا، هل تجوز له هذه البنت أم لا؟

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه نفيد:

بأنه إذا صدّق الخاطب والدته في إخبارها أنها أرضعت ابنة عمته لمدة قصيرة في مدة الرضاع المحددة شرعاً وهي الحولان، تصبح والدته أماً لهذه البنت من الرضاع، وتعتبر ابنة عمته هذه أختاً من الرضاع لجميع أولادها ذكوراً وإناثاً، لا فرق في ذلك بين من رضع منهم معها في مدة الرضاع وبين من لم يرضع معها. ويصير أولاد بنت عمته هذه، أولاد الأخت رضاعة، لأنهم -وإن كانوا أولاد ابنة العمة نسباً- إلا أنهم أصبحوا كذلك أولاد الأخت رضاعا، وحينئذ لا يحل لصاحب السؤال أن يتزوج من بنت ابنة عمته المذكورة لأنها أصبحت بنت أخته رضاعا، فكما يحرم على الرجل أن يتزوج بنت أخته نسباً، يحرم عليه الزواج من بنت أخته رضاعا، وهذا على إطلاقه هو ما ذهب إليه الحنفية والمالكية وإحدى الروايات عن الإمام أحمد، على اعتبار أن قليل الرضاع وكثيره عندهم سواء في إيجاب التحريم.

أما إذا لم يصدقها وأنكر إخبارها بواقعة الرضاع، أو تشكك في عدد الرضعات فإن المقرر عند فقهاء الشافعية وأظهر الروايات عند الحنابلة، أن القدر المحرم من الرضاع ما كان خمس رضعات مشبعات متفرقات متيقنات، ولا يثبت عندهم إلا بشهادة امرأتين، أما الحنفية فقالوا: لا يثبت إلا بشهادة رجلين أو رجل وامرأتين، وعلى ذلك فيجب على الخاطب أن يتحقق من صحة إخبار والدته برضاع ابنة عمته احتياطا للدين، فقد قال بعض فقهاء الشافعية: إنه إذا كان الإرضاع ثابتا

(1) الإسراء (١١٠).

(2) الترغيب والترهيب (جـ١/ص٣٢١).

والخلاف فى قدر أو عدد الرضعات، كره الزواج، وذلك احتياطا فى الدين.. والله أعلم.

● **السؤال من صافيناز أحمد المراكبى - بورسعيد:**

- لقد امتلأت الأسواق بأنواع مختلفة من اللحوم، منها المستورد ومنها ما هو مذبوح فى بلادنا وقد تدعو الحاجة إلى شراء هذه اللحوم المستوردة لأنها أرخص فى السعر من اللحوم البلدية، فما حكم الشرع فى هذه اللحوم المستوردة أحلال أكلها أم حرام؟.. أفيدونا أفادكم الله.

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فنفيد بأن الله -تعالى- قال فى كتابه العزيز:

﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾(٣).

فكلمة «وطعام الذين أوتوا الكتاب» عامة تشمل كل طعام لهم وهى تصدق على كل الذبائح والأطعمة المصنوعة من مواد مباحة، فكل ذلك حلال لنا مالم يكن محرماً لذاته كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير، فهذه لا يجوز أكلها بالإجماع وسواء أكانت طعام مسلم أو كتابى، بدليل الآية القرآنية المذكورة.

وقد اشترط فقهاء المسلمين لحل ذبائح أهل الكتاب شروطا، نوجزها فيما يلى:

قال بعض فقهاء المالكية: إن كانت ذبائحهم وسائر أطعمتهم مما يعتبرونه مزكى عندهم، حل لنا أكله وإن لم تكن زكاته عندنا زكاة صحيحة، ومالا يرونه مزكى عندهم لا يحل لنا أكله»(٤).

وقال الحنفية: إنما تؤكل ذبيحة الكتابى إذا لم يشهد -أى المسلم- ذبحه ولم يسمع منه شىء أو سمع وشهد منه تسمية الله تعالى.

وقال الشافعية: إنه لو أخبر فاسق أو كتابى أنه زكى هذه الشاة قبلناه لأنه من أهل الزكاة.

ويمكن تجميع هذه النصوص الفقهية فى القاعدة التى قررها الفقهاء وهى: «أن ما غاب عنا لا نسأل عنه». إذ أنه ليس على المسلم أن يسأل عما غاب عنه حول حقيقة الذبح وهل استوفت شروطها أم لا؟ وهل ذكر عليها اسم الله أم لا؟

روى الترمذى وابن ماجه.. أن رسول الله -ﷺ-: سُئل عن الجبن والسمن والفراء التى يصنعها غير المسلمين فقال: (الحلال ما أحل الله فى كتابه والحرام ما حرّم الله فى كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه).

فيستفاد مما تقدم أنه إذا كانت اللحوم والدواجن المستوردة إنما ترد من بلاد يقوم بالذبح فيها مسلمون أو كتابيون، كان الحكم الشرعى أن ذبائح اليهود والنصارى حلٌ للمسلمين بنص القرآن والسنة قولا وفعلا على ما سبق بيانه. والله أعلم.

● **السؤال من المرسى السعيد الجوهرى - كفر الجنينة:**

- امتلك محلاً تجارياً لبيع المثلجات والحلويات والخردوات، وقد كلفنى إعداده حوالى ٢٥٠٠٠

---

(٣) المائدة (٥).

(٤) [أنظر أحكام القرآن لابن العربى جـ٢/ ص٥٥٣].

ج (خمسة وعشرين ألف جنيه) ومع ذلك لم استكمل معداته الضرورية وأصبحت مديناً بمبلغ ٣٠٠٠ج (ثلاثة آلاف جنيه) وقد مضى على مزاولة النشاط لهذا المحل حوالي سنة وقد أضيف كل ما نتج عنه من ربح إلى رأس المال، استكملت منه المعدات الباقية وسداد الديون، ولم يبق مال فائض أخرج منه الزكاة. فما هو حق الزكاة الواجبة عليّ وما هو النِصاب المقرر شرعاً؟

●● الجـواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد: فنفيد بأنه قد اجمع الصحابة والتابعون والفقهاء من بعدهم على القول بوجوب الزكاة فى أموال التجارة أو ما يعبر عنه فى الفقه بعروض التجارة.

وقد اشترط الفقهاء لزكاة عروض التجارة شروطا منها:

حولان الحول، وبلوغ النصاب المعين وهو تعادل قيمته ٨٥ جراماً من الذهب والفراغ من الديون، والفضل عن الحوائج الأصلية..

وأن الجمهور اشترط فى زكاة التجارة شرطين هما: العمل بالبيع والشراء، ونية قصد الربح، وأنه لا بد من التلازم بين هذين الشرطين:

ويجب التنبيه إلى أن المعتبر فى رأس مال التجارة الذى يجب تزكيته هو المال السائل أو ما يعبر عنه برأس المال المتداول، أما المبانى والأثاث الثابت للمحلات التجارية ونحوه مما لا يباع ولا يحرك، فلا يحتسب عند التقويم ولا يخرج عنه الزكاة.

ولذلك قال الفقهاء: «لا تقوم الأوانى التى توضع فيها سلع التجارة، ولا الأقفاص ولا الموازين ولا الآلات كالمنوال والمنشار والقدوم والمخرات، ولا دولاب العمل اللازم للتجارة، وذلك لبقاء عينها فأشبهت عروضه (القنية) أى الممتلكات الشخصية التى لا تُعد للنماء»[*].

أما عن كيفية إخراج التاجر زكاة أمواله التجارية، أخذا من أقوال الأئمة، أنه على التاجر إذا حل موعد الزكاة: أن يضم ماله بعضه على بعض أى رأس المال والأرباح والمدخرات والديون التى له على الغير المرجو سدادها، ثم يقوم بجرد تجارته، ويقوّم قيمة البضائع إلى ما لديه من نقود وما له من ديون مرجوة القضاء، الغير ميئوس منها ويخرج عن ذلك كله ربع العُشر (٥،٢٪).

أما الدين الذى انقطع رجاؤه أو فى حكم المعدوم فلا يزكيه إلا إذا قبضه.. وأما ما عليه من ديون فإنه يطرحها من جملة ماله ثم يزكى ما بقى إذا بلغ نصابا وذلك بعد طرح الأثاث الثابت ونحو مما لا يُعد للبيع على أن تقوم السلع والبضائع بالسعر الحالى الذى تباع به السلعة فى السوق عند وجوب الزكاة بها. والمعهود فى الزكاة أنها تؤخذ من رأس المال ونمائه معاً، كما فى زكاة المواشى.

والخلاصة فإن هذا المحل -موضوع السؤال- وإن بدأ برأسمال يتجاوز النصاب إلا أنه لم يستكمل المعدات الضرورية اللازمة له، وأن صاحبه كان مدينا بمبلغ آخر وأنه بعد مضى سنة كانت كل

(*) [انظر المغنى لابن قدامه وفتح القدير وبلغة السالك].

أرباحه قد أضيفت إلى رأس المال.. وعلى ذلك تكون بعض الشروط غير متوفرة في زكاة هذه التجارة حيث إنه لم يستكمل النصاب في آخر الحول، لأنه لم يبق مال فائض، وعلى ذلك فلا تجب زكاة التجارة عن هذه السنة، وعلى صاحب المحل -مستقبلا- تقييم السلع والبضاعة المعدة للبيع بعد طرح الأثاث والآلات والمعدات اللازمة على نحو ما سبق، ويضيف إليها ما قد يربحه فإذا بلغت كلها نصاب الزكاة، كاملا بشرط أن يكون فائضا عن حاجته، خاليا من الديون ابتدأ الحول من حينئذ ولا يحتسب ما مضى طبقا لرأى الجمهور. والله أعلم.

● السؤال من سلامة إبراهيم البعلى - دسوق - كفر الشيخ:

ـ من المسائل المطروحة على الساحة فى هذه الأيام ويتردد فيها كثير من الناس -أقصد من النساء- مسألة الحجاب الشرعي للمرأة، فما هو، وما مداه؟ وهل يمكن إلقاء الضوء على هذه المسألة وبيان القول الفصل فيها حتى نكون على بينة منها؟

●● الجواب:

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نفيد بأن فى القرآن الكريم آيتين تنبهان على ما يجب أن تكون عليه ثياب المرأة المسلمة وهما الآية رقم ٣١، من سورة النور، ٥٩ من سورة الأحزاب فهما آيتان متكاملتان حيث حددتا ما يجب أن ترتديه المرأة المسلمة بحيث يحجب جسدها كله، فلا ينكشف منه إلا ما تقضى به حاجة التعامل وهو: الوجه والكفان، عملا بقوله تعالى:

﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾

فالمطلوب من المرأة المسلمة - بمقتضى هاتين الآيتين أن تستر رأسها ورقبتها وصدرها:

﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ وأن يكون ثوبها ساترا لجميع جسدها، فلا يرى الغير منها إلا الوجه والكفين

﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾.

فقد روى أبو داود عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها - «أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على النبى -ﷺ- فى لباس رقيق يشف عن جسدها فأعرض عنها النبى -ﷺ- وقال: يا أسماء: إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه». وقد روى هذا الحديث فى كثير من المصادر ووردت أحاديث أخر صحاح تقويه فى إباحة كشف الوجه والكفين لحاجة التعامل.

ويؤيد هذا أن المرأة تكشف وجهها فى الصلاة وكذلك فى الإحرام بالحج والعُمرة، فلو كان الوجه والكفان عورة لما أبيح لها كشفهما لأن ستر العورة واجب.

لما كان ذلك.. كان لزاما على المرأة المسلمة - بمقتضى هاتين الآيتين وحديث رسول الله- أن تستر جسمها من قمة رأسها إلى ظاهر قدميها. وليس لزاما أن تخفى وجهها وكفيها بنقاب أو

قفاز وما أشبههما باعتبار أنه لم يرد دليل صريح من القرآن والسنة بوجوب إخفاء الوجه والكفين، بل جاءت الأخبار الصحيحة بغير ذلك.

وبناءً على ذلك يكون استعمال النقاب والقفاز عملاً شخصياً محضاً لا يساند وجوبه دليل ظاهر، أما القول بأن بعض النساء كن يخفين وجوههن وأكفهن على عهد رسول الله -ﷺ- فإن ذلك كان من باب الحياء والأدب، لا على سبيل الإلزام بحكم تشريعي، الدليل على ذلك ما رواه الحاكم عن أسماء -رضي الله عنها- قالت: كنا نغطي وجوهنا من الرجال حياءً. وروى أحمد والبيهقي وأبو داود عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: «كان الركبان يمرون بنا -ونحن محرمات- فإذا حاذونا أسبلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه»، فتغطية الوجه والكفين عمل اختياري موقوت بظروفه غير مأمور به ولا منهي عنه، بل قد يكون خيراً إذا ترجحت الفتنة وتعين درء المفسدة.

إن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، وأن من الخير للمسلم والمسلمة الوقوف عندما يعلم علماً صحيحاً من حلال أو حرام، وألا يتجاوز هذا إلى مالا يعلم متزايداً بالإفتاء بما لا سند له، متأولاً أو متجاوزاً حدود التأويل. ففي القرآن الكريم نهي صريح عن القول في الإسلام بغير دليل أو برهان، في حدود أصول الإسلام المبينة في القرآن والسنة وما تفرع عنهما من أدلة ارتضاها سلف الأمة.

وفي القول في الدين بغير علم -تحريماً أو تحليلاً- هو ما أكد الله -أيضاً- تحريمه في قوله -سبحانه وتعالى-:

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾(٦).

وأما ما قيل من أن شروط الحجاب للمرأة، غطاء الوجه والكفين -كما تنسب ذلك لبعض الفقهاء- وهو ما أسموه (بالنقاب) وخص بالذكر الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في مجموع فتاويه في موضعين هما: -عند تفسير آيات الاستئذان وغض البصر- في سورة النور.. والموضع الآخر في فصل الحديث عن ستر العورة، وقد ردد في الموضعين الخلاف بين الفقهاء في وجوب ستر المرأة وجهها ويديها إذا خرجت من بيتها، وعلى كل قارئ أن يتدبر ما يقرأ.

وبعد: فإن القضايا التي يكثر فيها جدل المسلمين سواء من كانوا من أهل العلم أو ممن لم يكن منهم تمسكا بقول فقيه ينبغي أن نأخذ بالمعيار الذى قرره القرآن ووضحته السنة، فلا نجعل المندوب سنة، ولا السنة فرضا حتما، ولا العادة عبادة، فتحدث بذلك الفُرقة في الصفوف ونضل الناس بغير علم ونقول في الإسلام بغير ما تقرر فيه. إن علينا جميعاً اتباع قول الله -تعالى-:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(٧).

هذا والله -تعالى- أعلم.

---

(٦) النحل (١١٦).

(٧) الأنعام (١٥٣).

من أعلام الإسلام



الإمام محمد سيد طنطاوى "بين التفسير والإفتاء"

٢

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

كان الإمام الأكبر قبل أن يلى الإفتاء أستاذا جامعيا يعرف طلابه، وأهل العلم من ذوى الاختصاص منازع فضله، ويقرءون آثاره فى اطمئنان، فلما ولى الإفتاء صار رجل المجتمع الإسلامى فى مصر خاصة وفى العالم الإسلامى عامة، إذ جد من الوقائع، وذاع من الأحداث ما أبدى فيه وجهات النظر الفقهية، وكان فيما أبداه من الجدة المتأنية ما جعل بعض ذوى المحافظة يرون فى بعض أحكامه ما يخالف ما يألفون فكان موقفه فى خاتمة القرن العشرين موقف الإمام محمد عبده فى خاتمة القرن التاسع عشر إذ أمده الله بالسداد القويم فأبرز من سمات الشريعة فى الفقه والفتوى والتفسير ما جذب النبهاء إلى فضله فأذاعوا به، ولكن فريق المحافظين قد ناوأه، ولاقى من كيدهم ما يضيق به صدر الحكيم ثم مضت الأيام، فإذا آراء الأستاذ الإمام منهج يسلك، ومصباح يهدى.

وأكثر ما آلمنى من بعض ما اتجه إليه معارضوه أنهم تركوا الجدال فى الحكم الشرعى إلى أمور هابطة لا يصح أن يرتكس فيها أولو العلم فزعموا واهمين أن آراءه الفقهية مما أوحى به المسئولون من رجال الدولة وهو زعم يريدون به الانتصار العلمى من غير وجهه الصحيح، ويدل على بصائر مدخولة وحسد عرف به بعض أهل العلم فى القديم والحديث ولو دققوا النظر فى كثير من فتاوى الأستاذ الإمام محمد سيد طنطاوى لرأوا أنها فى حينها عارضت وجهة الدولة، ولم تسر معها فى طريق، ومن ذلك حكمه

الصارم في التركات والأيلولة، حيث قرر بعد بسط للقواعد الفقهية ما جمعه في قوله[1]:

«أما إذا كان الميت قد دفع جميع ما عليه من التزامات، وحقوق للدولة في حياته، وليس لها في ذمته شيء، ففي هذه الحالة لا يصح للدولة بأية صورة من الصور أن تمس تركته بسوء، فضلا عن أن تأخذ منها شيئا، وإنما تصبح التركة بكاملها خالصة للورثة الشرعيين وليست الدولة واحدا منهم لأنها ليست من الورثة الذين حددهم الله في كتابه الكريم، وأوضحهم النبي - ﷺ - بقوله وفعله..».

كذلك جهد الإمام برأيه الحاسم في قضية الأيلولة[2] فقال:

«أما رسم الأيلولة، فإن كان بمعنى أن تقرر الدولة مبالغ معينة كرسوم على من يريد أن تؤول إليه أموال أو عقارات معينة، لكي تصبح مسجلة باسمه، فلاشيء في ذلك من الناحية الدينية، مادامت هذه المبالغ المقررة لا ظلم فيها ولا غبن، أما إذا كان رسم الأيلولة يحمل معنى آخر سوى ما ذكرناه آنفا، فعلى السلطة التشريعية في الدولة أن تعدل تلك الرسوم بحيث تتفق مع عدالة شريعة الإسلام وسماحتها ويسرها».

وقد كان لهذه الفتوى أثرها الرسمي والشعبي وقد تحدث عنها الكاتبون بأقصى عبارات الإعجاب والتقدير وأذكر منهم الأستاذ صلاح حافظ حيث أفرد لها في جريدة الأخبار مقالا مسهبا، كما كانت موضع تقدير الأستاذ أنيس منصور إذ كتب عن الأستاذ في عموده «مواقف» ما اعترف له بالفضل وأنه خليفة الإمام محمد عبده، وقد سكت الذين يتشيعون فتاويه بالنقد، فلم يقولوا شيئا، وكان عليهم أن يشدوا أزره إذا كانوا يبحثون عن الحق لوجهه الصحيح.

وأعود إلى نماذج مما اختلف فيه هؤلاء، وأظهر هذه النماذج فتوى شهادات الاستثمار، فقد ذهب الأستاذ في إباحتها مذهب كثير من أهل العلم من قبل فتواه ومن بعده، ومن مزيته الكبرى أنه في مثل هذه القضايا الدقيقة لا يدعي التجديد- وهو مجدد في كثير مما أفتى- ولكنه يلتمس التأييد ممن سبق من كبار الفقهاء فأدلى بدلوه في الدلاء، ولم يُخْفِ عن قارئه كل ما دار بشأن هذه الاستثمارات في مجامع البحث الفقهي وبخاصة مجمع البحوث الإسلامية إذ ناقش - أي المجمع - «الاستثمارات» مناقشة شافية، وطبيعي أن تختلف وجهات النظر ولكل دليله، فلم يوافق أربعة من الفضلاء ذكرهم الإمام بأسمائهم ودون وجهات نظرهم وعقب عليها بما رآه، على حين وافق تسعة من هؤلاء الأفاضل ذكرهم أيضا بأسمائهم، وكلهم أصلاء محققون ودوّن وجهات نظرهم، ولم يقف عند أعضاء مجمع البحوث الأحياء الذين خصهم بالنظر، بل انتقل إلى

---

(١) فتاوى شرعية للإمام الدكتور الطنطاوي ص ١٠٧.

(٢) فتاوى شرعية للإمام الدكتور الطنطاوي ص ١٠٩.

السابقين الكبار من أمثال الشيخ محمود شلتوت، والشيخ عبد الوهاب خلاف وهما من أعلام التشريع فى العصر الحديث فنقل عنهما زبدة ما قالاه راجعا إلى المصدر الموثق، وأذكر أن الرجلين الكبيرين حين أصدرا رأيهما من قبل قوبلا بمثل ما قوبل به الأستاذ، فتصديا للرأى بالرأى وذكرا من الأدلة ما شفى صدور المؤمنين، وكان على من جاء بعدهم أن ينظر فى أدلتهم ثم يناقشها إذا وجد مجالا للنقاش، ولكن هؤلاء جعلوا يدورون فى حلقة مفرغة، فيعيدون كلاما سبق الأستاذان الكبيران بالرد الشافى عنه، وهذا غير سبيل أهل العلم، إذ الواجب على التالى أن يلم بكل ما قال السابق فى موضوعه، إذا أراد أن يكون من أهل الرأى، أما الخطب المنبرية والتهييج الحماسى فى موضوعات فقهية دقيقة، فمما لا تشرف صاحبها بحال، وقد قلت ذلك من قبل فى مقالات كثيرة قبل أن تدور المعركة بين الشيخ الطنطاوى ومخالفيه، فأنا لا آتى بجديد الآن. وقد قال فى خاتمة بحثه [٣]:

«إن دار الإفتاء قد اقترحت على المسئولين بالبنك الأهلى أن يتخذوا الإجراءات اللازمة لتسمية الأرباح التى تعطى لأصحاب شهادات الاستثمارات بالعائد الاستثمارى، أو الربح الاستثمارى وأن يحذفوا كلمة الفائدة لارتباطها فى الأذهان بشبهة الربا مع اعترافنا بأن العبرة فى المعاملة بحقيقتها ومضمونها وليست بألفاظها وأسمائها».

وكان الشيخ حازماً حين حتّم على البنوك فى كل ما تزاوله من أمور مالية فى الاستثمار أو التمويل العقارى لبناء المساكن أو غيرهما أن تتمسك بما قاله العلماء دون اتساع فى الربح، وقال بصدد ذلك:[٤]

«وأما الوسائل التى اتفق العلماء على حرمتها، وعلى وجوب التخلى عنها، فهى كل وسيلة تسلكها هذه البنوك فى تعاملها مع غيرها، وتكون مصحوبة بالغش والتدليس، أو الاستغلال أو بالربا، فمثلاً ما تأخذه هذه البنوك من فوائد باهظة على المبالغ التى تقرضها لمن هم فى حاجة إليها، لسد ضروريات حياتهم هى من قبيل الظلم والاستغلال والربا المحرم، وما تأخذه من فوائد مضاعفة على المعسرين هو أيضا من قبيل الظلم البين والربا الجلى الذى أعلن القرآن الكريم حرب الله ورسوله لمن يتعاطاه فقال فى كتابه:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(البقرة ٢٧٩)

ولما كان المعارضون لا يدعون سبيلا للهجوم دون أن يسلكوه، فلم يكتف الإمام بما أصدره سنة ١٩٨٩ فى كتاب (فتاوى شرعية) بل رأى أن يبسط الرأى بسطاً ثانيا

---

(٣) فتاوى شرعية ص٣٧.

(٤) فتاوى شرعية ص ١٢٨.

فى كتاب وافٍ مستقل يشفى غلة كل صدر يبحث عن الحقيقة فأصدر كتابه (معاملات البنوك والاستثمار وأحكامها الشرعية) فى مائتين وخمسين من الصفحات. وقد بدأه ببحوث أصولية تُمهد السبيل إلى تفهم ما يليها، فجعل المبحث الأول خاصا بالشريعة الإسلامية ومصادرها حيث أفاض فى حديث القرآن والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة والعرف والاستصحاب وشرع ما قبل الرسالة المحمدية، وهى أبواب معروفة لدى دارسى علم الأصول ولكن عرضها الواضح الساطع يضيء الطريق لمن يحاول أن يفقه روح التشريع.

أما المبحث الثانى فخاص بأسس المعاملات وطرقها مع بيع وشراء وإجارة وسلم ورهن ووكالة وصلح ومرابحة وحوالة مع ذكر الآداب الخلقية الواجب اتباعها لدى التعامل التجارى وتحرى الحلال، والتيسير على المعسر. وذلك كله تمهيد للباب الأصيل، وهو الربا، وأدلته، ونماذج من الربا المحرم وأقوال العلماء فى ربا الجاهلية. وإذا كان ذلك مما وسعته كتب الفقه من قبل، فإن مما لم تسعه ما جاء بعد ذلك من حديث القروض والديون والودائع والاستثمار، والبنوك، وتحديد الربح، وشهادات الاستثمار، والبنوك العقارية، وأذون الخزانة، وصناديق التوفير. ومن يقرأ ذلك كله يرى شريعة الإسلام وقد رسخت أصولها، ثم امتدت فروعها فشملت كل مرافق الحياة. وعاونت على التيسير فى التعامل، وأخذت من الغنى للفقير!

وإذا كان الدين لا ينفصل عن السياسة، بل هو منها فى صميم الصميم، فإن فتاوى الإمام قد امتدت إلى الأحداث الخطيرة فى عصره، فقال كلمة الحق فى كثير مما جد من أحداث، ومن أبرزها هذا الحدث المشئوم الذى قام به حاكم العراق من اجتياح الكويت، فقد كان زلزالاً مدمراً للعالم العربى بأجمعه ولم ينقذ منه غير أعداء العروبة والإسلام وحدهم، وحين نشطت الأقلام المأجورة فى تأييد هذا الاعتداء الصارخ دون حياء، رأى المفتى الأكبر أن يصدع بالحق فى بيان ضاف نشره فى اثنين وسبعين من الصفحات، ليقطع دابر من ينتحلون الأعذار، ويسوقون الشبهات المفتعلة مع علمهم ببطلانها، ولم يهجم على الموضوع دون تمهيد كاشف لدعوة الإسلام إلى السلام بنصوص قرآنية، وأحاديث للرسول، ومواقفه المختلفة متحدثا عن نعمة الشعور بالأمن والأمان، وناقلا من أمهات كتب التفسير ما يقنع من الآراء والأحداث التاريخية للأنبياء والمرسلين، ومن الضرورى أن يتحدث عن الحرب فى الإسلام ومشروعيتها لردّ الاعتداء. وآدابها المفروضة من رعاية من لم يخوضوها، ساردا وصايا القادة من الخلفاء والأمراء، ثم كرّ على ما فرضه الإسلام من حرمة مهاجمة الآمنين، وضرورة الإعلان عن القتال حتى لا يؤخذ الأعداء على غرّة لينتهى إلى قوله ص ٢٠ :

«ولنا أن نتساءل بعد كل هذه النصوص إذا كان هذا هو حكم شريعة الإسلام مع غير المسلمين، فلا نقاتلهم حتى نعلنهم إعلانا لا

ليس فيه ولا خفاء فما ظنك بدولة مسلمة كبيرة هي العراق تجتاح في بضع ساعات دولة مسلمة مجاورة لها هي الكويت بدون سابق إنذار، فتحتل أراضيها، وتضمها إلى رقعتها، وإذا لم يكن هذا الفعل الشنيع هو الغدر بذاته، فماذا يكون الغدر؟».

وعاد البيان ثانية إلى ذكر آداب الحرب، وقد يظن القارئ أن هذا تكرار لا داعي له، ولكن الواقع المؤلم كان أكبر داع، لأن من أذيال الطغيان من حاولوا أن يبرروا وحشية الاعتداء بأن هذه سنة القتال، وهم يعلمون أنه ليس هناك ميدان بين متقاتلين، وإنما هو اكتساح كالموج الدافق يبتلع جدولاً بجواره فتتلاشى قطراته في الخضم المواج.

بعد هذه القواعد الراسخة اتجه المفتي الأكبر إلى إيضاح حكم الإسلام في عدوان دولة مسلمة على أخرى؟ والسؤال يُعرف بجوابه مما سبقه، ولكنه يبسط أدلة جديدة تعتمد على آيات الكتاب وما أحاطها به زعماء المفسرين من أمثال الطبري والقرطبي والطاهر بن عاشور مؤكداً أن الفئة الباغية هي التي حشدت حشودها ثم باغتت دولة مسلمة إلى جوارها، فاحتلت ديارها في بضع ساعات ص ٣٢.

ولم يفت المفتي أن يوضح حكم الإسلام في من يسيطر على دولة لم تُرِدْه ولم يكن لها شأن في اختياره، فهو غاصبٌ ظلّام وقد استعان بالنصوص الملزمة، كدأبه، متطرقا إلى واجب الحاكم ومسئوليته عن رعيته، وإذا كان بعض المنافقين جاهروا تأييدا للطاغية بأن الاستعانة بالحلفاء عمل منكر فقد دحض المفتي هذه الدعوى متسائلا عمّن تسبب في وجود الأجنبي، أهُو المضطهد والمظلوم الذي يبحث عن النصير؟ أم الطاغية الذي ارتكب أفدح الشرور. وكان الإمام مُهذبا فلم يسفّه هؤلاء بما يجب أن يكشف دخائلهم الموبوءة، ولكنه اكتفى بالتي هي أحسن من أدب الجدال، والصفحات التي كتبها الإمام في تبرير الاستعانة بالقوى لرد الظالم الغاشم من أحسن ما قيل في موضوعها، وأدلّته المقنعة من الكتاب والسنة ومواقف الرسول في جهاده الصابر، لا تجد منفذاً للاعتراض. وكيف والحق في هذه القضية واضح كالنهار، وقد ختم كلامه بقوله ص٤٨ :

«إذا تعارضتْ مصلحةٌ ومفسدة قُدّم الأرجح منهما، وإذا تعارضتْ مفسدتان ارتكب الأخف منهما ومفسدةُ الاستعانة العسكرية بالولايات المتحدة إلى حين أخفّ من اجتياح البلاد وتشريد أهلها ونهب ثرواتها.

وجاء بعد ذلك ختام رائع مستفيض، فحواه كلمة ناصحة إلى حكام المسلمين من ملوك ورؤساء، وهي كلمة حاسمة بأدلتها الواضحة، ونصوصها الملزمة، وأكتفي هنا بالإشارة إليها مع نفاستها البالغة، ولم يشأ الأستاذ الطنطاوي أن يكون وحده في مجال الإفتاء، بل دعا حكام الدول الأعضاء في الجامعة العربية أن يختار كل واحد منهم المفتي الرسمي لدولته ليجتمع المفتون في أقرب وقت كي يعلنوا الحكم الشرعي في أحداث الخليج بعد أن كثر عدد الذين يفتون بغير علم، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون».

وحين اعتدى بعض الآثمين على المسجد الحرام بمكة، ورجفت الراجفة بأهوال هذا الاعتداء، كان المفتى الأكبر من أوائل من أصدروا الحكم الشرعى فى هذا العدوان، وكان هادئ النبرة، هادئ التوجيه، وإن كان عظيم الألم والأسى لما روّع الآمنين، وقد ابتدأ الفتوى بتمهيد شاف عن مكانة المساجد فى الإسلام، تحفل بنصوص الكتاب والسنة ثم خلص إلى المسجد الحرام وهو أشد حرمة وأعظم مكانة، فألم بفضائله، وأشار إلى فريضة الحج متتبعاً ما نزل بشأنها فى كثير من السور، وخلص إلى اللباب حين تحدث عن الضمانات التى منحها الإسلام لمن حل بالحرم الشريف، واقفا عند قوله - تعالى -:

﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ وقفة بصيرة تبين حرمة المكان وهيبته، وفى كل ما ذكر من النصوص واستنبط من الأحكام ما يدفع المعتدى الأثم، وقد ترك المفتى النصوص الصريحة تصيح بمدلولها القاطع، بما يبتر كل التباس.

وكان يؤدّى أن أشير إلى فتاوى مماثلة، ولكنى فى هذا المجال أستشهد ببعض دون بعض، والمراجع ميسورة لمن شاء الاستيعاب.

أما رحلات الإمام إلى شتى الدول شرقاً وغرباً، فقد عادت بالنفع الأكبر على المسلمين، ومزية الرجل أنه يخطب فى كل مجتمع، ويجيب على الأسئلة فى كل ندوة، ويدرس البلد الذى سيزوره قبل الرحلة فيلمّ بأحوال المسلمين ومطالبهم عن وعى، ويتحدث مع المسئولين فى كياسة تغنى فيها اللمحة الدالة عن الاسترسال المتشعب، وقد أصدرت مجلة الأزهر عدة كتب خاصة بهذه الرحلات يحسن الرجوع إليها لتلمّ بأثر الأزهر الشريف فى العالم الإسلامى، وترى من مشاعر الأخوة الصادقة بين أبناء الإسلام ما يدعو إلى الإعجاب، كما تعرف من هذه الكتب كثيراً من معضلات السياسة والتعليم والاجتماع فى هذه البلاد، ومع اهتمامى بأنباء العالم الإسلامى فقد رأيت فى صفحات هذه الكتب كثيراً مما لا أعلم، كما سجلت جانباً من الإجابات الدقيقة التى رد بها الإمام فى الندوات التوجيهية متحدثاً عن قضايا المسلمين، وما يفرضه الإسلام من علاج، وكيلا يظن القارئ أن إعجابى برحلات الإمام ورسالته التوجيهية فى هذه الرحلات يدفعنى إلى إطراء الصديق والأخ، فإنى أترك المجال لغيرى، حين أنقل بعض ما كتبه المحرر النابه الأستاذ محمد عبدالمنعم بجريدة الأهرام الصادرة فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٩٧، تحت عنوان «الشيخ الشجاع» إذ قال من حديث مستفيض بدأه بشجون عن الوضع الدينى فى مصر، وموقف المصلحين بإزائه، مسجلاً شجاعة الشيخ فى شتى مواقف الالتباس والحذر، إذ تخلى عن كل مواربة، وجهر بما يعتقد دون وجل، ثم تطرق إلى رحلاته فى بلاد الغرب فقال: «وعندما ذهب الرجل إلى الخارج، وأثناء زيارته لبريطانيا أعطى انطباعاً حقيقياً للجميع، بأن الإسلام دين سماحة وحضارة وعصرية لا حدود لها،

فأقنع القوم بأن الإسلام الحقيقى شىء يختلف تماماً عن الإسلام الذى يروج له الإرهابيون ومخططاتهم الأجنبية .. ثم التقى الإمام الأكبر بمائة وأربعين من كبار رجال البنوك والاقتصاد والمفكرين الفرنسيين، فأعلن أمامهم بسماحة وعلم واقتدار أن على العالم كله أن يدرك جيداً أنه لا فرق بين المسلم وغير المسلم فى مصر، وأنه إذا كانت بعض الدول تقول : إن مصر دولة إسلامية فكيف يمكن أن تعامل غير المسلمين، فإننى أقول لهم أن مصر دولة إسلامية بحكم الدستور، ولكن ذلك لا يمنع أن كل من يحمل الجنسية المصرية مسلماً كان أو مسيحياً أو يهودياً متساو فى الحقوق والواجبات مع كل المصريين، فما كان إلا أن صفق الجميع للرجل العظيم . وأن الأزهر يتحمل مسئولية تصحيح المسار الفكرى الإسلامى وحمايته من الخطأ فى الحقائق العلمية أو الحقائق الدينية، وأن الإسلام هو العدل المطلق بين جميع بنى البشر دون تفرقة، وأن الإسلام لا يمنع الحوار بين الأديان إذ هو دين السماحة والتعاون والإخاء».

هذا قليل مما ذكره الكاتب فى مقاله الحافل، ونحن العلماء نعرف هذه الحقائق التى أذاعها الإمام ولا يختلف عليها أحد، ولكن شرحها فى بلاد الغرب أمام قوم يتسلحون بمعرفة ثقافية شاملة . وفيهم من يتلمس أى مغمز ليهجم على الإسلام تبعاً لنزعة تبشيرية تعتمل فى نفسه، هذا الشرح قد ألجم ألسنة كانت مستعدة، فى هذا الجمع الحاشد أن تصب بتروﻻً على النار، وأدوات الإعلام من خلفها على أهبة الاستعداد، كى تنشر الأراجيف على أوسع مدى يتاح .

وفى المؤتمر الصحفى الذى عقده الإمام أثناء زيارته لباكستان، وحضره مراسلو الصحف الأجنبية والوطنية وجهت له الأسئلة الدقيقة، وفيها ما يتوهم صاحبه أنه مظنة حرج للسائل وفق تصوره، ولكنه وجد الحسم الصريح فى الإجابة دون مواربة، لأن حقائق الإسلام من السطوع بحيث يضيع أمامها كل احتيال، وكان من أبرز ما احتفل به المجتمعون جواب الإمام عن سؤال صحيفة «ترای» : هل هناك صراع بين الحضارة الحديثة والإسلام؟ حيث فرق بين أثرين من آثار الحضارة، والأثر العلمى التثقيفى، وذلك ما لا خلاف عليه، والأثر الماجن المتحلل من الأخلاق . وهذا ما يحاربه الإسلام، ويجب أن يكون رائداً فى هذا المجال .

لقد قصرت الكلام فى هذا المقال على الاتجاه العام لتفكير الإمام، كما يتضح فى بعض مؤلفاته، لأن محاولة الاستيعاب ليست تتسنى فى مجال التعريف الموجز ولكنها بحاجة إلى كتاب مستقل، وأنا فى هذه المقالات التى تتحدث عن أعلام الفكر الإسلامى المعاصر أضع المصباح فى أول الطريق ـ ليكمل الشوط نفر من الدارسين ـ يرون لزاماً عليهم أن يتابعوا أثر هؤلاء الذين يتجاهلهم المغرضون حين يحاولون أن يطفئوا نور الله، والله متم نوره وللحق جنوده المخلصون .

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

حفظ الله للعبد

منْ حفظ الله للعبد أن يحفظه في صحة بدنه وقوته وعقله وماله.

وكان أبو الطيب الطبري، قد جاوز المائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته، فوثب يوماً من سفينة كان فيها إلى الأرض وثبة شديدة، فعوتب على ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها في الصغر، فحفظها الله علينا في الكبر.

وعكس هذا أن الجنيد رأى شيخاً يسأل الناس، فقال: إن هذا ضيّع الله في صغره فضيّعه الله في كبره.

وقد يحفظ الله العبد بصلاحه في ولده وولد ولده كما قيل في قوله -تعالى-: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[1] إنهما حفظا بصلاح أبيهما.

وقال محمد بن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وقريته التي هو فيها.

● وقال ابن المسيب لابنه: يا بني إني لأزيد في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك، وتلا هذه الآية: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾.

● وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: «ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله -تعالى- في عقبه وعقب عقبه».

حقوق الآخرين عليك

قال رجل للرقاشي:

● ما يجب على المؤمن في حق الله؟

قال: التعظيم له، والشكر لنعمته.

● قال: فما يجب عليه في حق السلطان؟

قال: الطاعة والنصيحة.

● قال: فما يجب عليه في حق نفسه؟

قال: الاجتهاد في العبادة، واجتناب الذنوب.

---

(١) الكهف (٨٢).

● قال: فما يجب عليه في حق العامة؟
قال: كف الأذى، وحُسن المعاشرة.
● قال: فما يجب عليه في حق الخليط؟
قال: الوفاء بالمودة، وحُسن المعرفة.

قبلتك جهة ثيابك

يروى أنه جاء رجل إلى أبي حنيفة -رضي الله عنه- فقال له: إذا خلعت ثيابي، ودخلت النهر أغتسل فإلى القبلة أحوّل وجهي أم خلافها، فقال له أبو حنيفة -رضي الله عنه- الأفضل أن تحوّل وجهك إلى الجهة التي فيها ثيابك لئلا يسرقها أحد.

يا ليت أبا بكر مثلك!

روى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: دخل أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- حائطا، وإذا بطير في ظل شجرة، فتنفس الصعداء، ثم قال: يا طوبى لك، تأكل من الشجر، وتستظل بالشجر، وتصير إلى غير حساب، يا ليت أبا بكر مثلك.

كم ذبابة قتلت؟؟

قام أحد الأزواج بطرد الذباب من البيت، ولما تضايق من إخراجه كله راح يقتل ما تبقى منه، وبعد أن فرغ من مهمته، سألته زوجته ساخرة: كم ذبابة قتلت؟؟

أجاب: ثمانية أربع إناث وأربعة ذكور!!

فقالت له: ولكن كيف استطعت أن تميز الإناث من الذكور؟!

أجاب: كانت الأربع الإناث واقفة على المرآة، بينما الأربعة الأخرى كانت مرتكزة على قطعة من السكر.

ما بلغ من طمعك

قيل لأشعب: ما بلغ من طمعك، قال: أرى دخان جاري فأفت خبزي.

وقال -أيضاً-: ما رأيت رجلين يتساران في جنازة إلا قدّرت أن الميت أوصى لي بشيء من ماله، وما زفت عروس إلا كنست بيتي رجاء أن يغلطوا فيدخلوا بها إليّ.

قال بعضهم:

لا تغضبن على امرىء ... لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استدعاك تطلب ما في يديه

دعاء

اللهم سكن يا مولانا روعنا، وآمن خوفنا في اليوم الموعود إذا شاب المولود، وجيء بالشاهد والمشهود، واجعل اللهم لنا عملاً صالحاً مؤنساً لنا في خلوتنا إذا أوحشنا المكان وفارقنا الأهل والجيران.

تراثنا

إنباه الرواه على أنباه النحاة

للأستاذ / محمد أحمد أبو الفضل إبراهيم

قفط بلدة بالصعيد الأعلى بمديرية قنا، تبعد قليلاً عن الشاطىء الشرقى للنيل، شمال قوص.. وكانت معروفة فى التاريخ المصرى القديم، ودار حولها كثير من القصص والأساطير، ولما كان الفتح الإسلامى وارتبطت مصر ببلاد العرب ارتباطاً وثيقاً صار لها شأن خاص، وأصبحت ممراً للتجار والرحالين والحجاج، فى طريقهم ذاهبين إلى عيذاب وجدة فبلاد العرب والهند. واستفاض العمران بها، واجتذبت إليها كثيراً من العلماء ممن كان يذهب الى مكة للحج أو يعود. وأقيمت بها حلقات الدروس، وامتلأت مساجدها ونواديها بأفاضل العلماء، وجهابذة الأدباء، ونشطت فيها الحركة العلمية. كما نشطت فى قنا وقوص وادفو وأسوان وغيرها من بلاد الصعيد.

في هذه البلدة ولد الصاحب جمال الدين أبوالحسن بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني ونسب إليها، وصار يعرف بالقفطي فيما بعد، ويلقب بالقاضى الأكرم

كان مولده فى أحد ربيعى سنة ٥٨٦ على ماذكره أخوه إبراهيم مؤيد الدين، وقضى بها شطرا من طفولته، ثم ذهب إلى القاهرة، وتعلم بمدارسها، وأخذ عن شيوخها وعلمائها، ثم عاد إليها فى ربيع شبابه، وقضى بها حقبة من الزمن، نهل من موارد العلم، وقبس من ضياء المعرفة، وتخرج على من كان بها من العلماء.

وهو عربى صريح النسب، كريم النبعة، ينتمى قومه إلى شيبان، وقد نزحوا من الكوفة مع القبائل العربية التى توافدت على مصر بعد الفتح أرسالا، وهاجر إليها أفرادها جماعات، ثم انتشروا فى شمال الوادى وجنوبه، وطاب لهم العيش، وامتدت بهم أسباب الحياة، وأبوه يوسف بن إبراهيم الملقب بالقاضى الأشرف. كان كاتبا ناصع البيان، متصرفا فى ضروب الإنشاء، حسن الترسل، مليح الخط، ولد بقفط سنة ٥٤٨ هـ وقضى بها صدرا من حياته، نابه الذكر، مرعى

المكانة، سامي الرتبة، ولما تشبت الفتنة بها، وأعلن أهلها خروجهم على السلطان صلاح الدين الأيوبي، نزح عن البلاد طلبا للعافية، وإيثاراً للسلامة. ثم ذهب إلى القاهرة، واتصل بالملوك الأيوبيين، فأنزلوه منزلة كريمة، وولوه أعمالا بالصعيد ثم ببلبيس وبيت المقدس، وناب عن القاضي الفاضل بحضرة صلاح الدين. ولما ملك العادل الشام لم تطب للقاضي الأشرف الإقامة ببيت المقدس، وغادرها إلى حران. وهناك استوزره الملك الأشرف موسى بن العادل، ثم استأذنه في الحج فأذن له على أن يعود، ولكنه امتنع عن العود، وذهب إلى اليمن، فاستوزره أتابك سنقر، وأقام في الوزارة زمنا، ثم بدا له أن ينقطع عن خدمة الملوك، فذهب إلى ذى جبلة، وآثر العزلة عن الناس، والإخلاد إلى الوحدة، فأقام بها منفردا بنفسه، بعيدا عن الخاصة والعامة إلى أن توفي سنة ٦٢٤هـ.

وكانت القاهرة حين وفد القفطي إليها معمورة بالمدارس، مأهولة بالعلماء، زاخرة بالكتب، فاخلى ذرعه للدرس، وقصر نفسه على العلم، وأحاط منه بقدر صالح كبير ولقى كثيراً من العلماء وأخذ عنهم. وكان ممن لقيه محمد بن بنان الأنباري، وكان شيخا فاضلا عالما، تصدر للإقراء، فلزمه وأخذ عنه سماعاته، وأجازه في رواياته، وسمع منه كتاب الصحاح للجوهري.

وترامت إليه أخبار أبي طاهر السلفي نزيل الاسكندرية وعالمها في ذلك الحين، فارتحل إليه، وانتظم في حلقة الطلاب الذين وفدوا عليه من أطراف البلاد، وكان صغيراً في ذلك الحين إلا أنه أفاد منه، وتحدث عنه في كتاب « الأنباه».

ثم عاوده الحنين إلى وطنه، واشتاق الى ملاعب طفولته، ومنبت أهله وعشيرته، فسافر إلى قفط، وكان قد اكتمل عقله، وأوفى على الغاية استعداده، وهناك خالط علماءها، وناظر أدباءها، والتقى بصالح بن عادى العذرى نزيلها. وكان بن عادي ممن حذق النحو، وتقصى مسائله، وجمع أشتاته، وأحاط بأصوله وفروعه، ونقب عن مقيسه وشاذه. فلزمه واستفاد منه، وحمل عنه علما كثيراً.

ثم عاد إلى القاهرة ليقضي بها مدة قصيرة ويرحل عنها فلا يعود. ففي سنة ٥٩١هـ سافر أبوه الى بيت المقدس واليا عليها من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، فصحبه في سفره، ونزل معه ببيت المقدس، وطاب له فيه المقام زمنا، وهناك عايش أهلها، ولابس رجالها، ولقى عندهم جوارا كريما، ومنزلا طيبا، ولقوا فيه رجلا محمود الصحبة، جميل العشرة، لطيف الطبع، أديبا بارعا عذب المورد، وعالما فاضلا جم الفوائد، يتجمل بالخلق الكريم، والطبع السوى النبيل، فأحبهم وأحبوه واطمأن إليهم واطمأنوا إليه. ثم رغبوا إليه في أن يتولى شيئا من أمور الملك فأبى عليهم، وآثر أندية العلم، ومجامع الأدب والفضل، وزهد في مجالس الحكم وديوان السلطان.

وعصفت ببيت المقدس أقدار، وتقلبت عليها أهوال، وانتهت إلى أن دخلت في حوزة الملك العادل ووزيره ابن شكر. ولم يكن أبوه القاضي الأشرف من شيعة العادل، ولا ممن يوادون ابن شكر، فتوجس منهما خيفة، وخرج منها بليل، وذهب إلى حران، وعندئذ تعذر على القفطي المقام بعد أبيه، ونبا به المنزل، فترك بيت المقدس،

وقصد إلى حلب مع من قصد إليها.

وكان السلطان صلاح الدين قد أعطى ولاية حلب لابنه الملك غازى المعروف بالظاهر فى حياته، ثم ظلت فى حكمه بعد وفاة أبيه، وتوارثها أولاده من بعده، فكانت بعيدة عن الفتن التى شجرت بين خلفاء صلاح الدين، والحال فيها خير من الحال فى مصر والعراق وبقية بلاد الشام، فازدهرت فيها الآداب، وأينعت العلوم، ورحل إليها العلماء، مما طابت له نفس القفطى، ووافق هواه، ووجد المكان الذى يطمئن له العيش فيه.

وصدر أيامه كان مصاحبا لميمون القصرى صديق أبيه، ورفيقه فى الرحلة الى حلب، وأحد الولاة الذين صار لهم نصيب من السلطان، فلازمه على سبيل الصداقة والمودة، لا على سبيل العمل والخدمة. وفى هذه المدة اجتمع بجماعة من العلماء المقيمين بحلب والواردين عليها، واستفاد بمحاضراتهم، وفقه بمناظرتهم. ثم جد فى شراء الكتب وسعى فى اقتنائها وجلبها، واستطارت شهرته بذلك فى الآفاق، وتوافد عليه الوراقون والنساخون وباعة الكتب، كما توافد عليه العلماء والشعراء وذوو الفضل. وكان ممن وفد إليه فى ذلك الحين ياقوت بن عبدالله الحموى صاحب معجم الأدباء، فآواه إلى ظله، وأنزله فى داره، وأفرد له مكانا فى مجلسه. وعرف فيه ياقوت الفضل والعلم، فأذاع بفضله فى كل محفل، وروى عنه فيما صنف من الكتب، وأهدى إلى خزانته كتابه «معجم البلدان».

وبينما كان القفطى مطمئنا إلى هذه الحياة الهادئة الخصيبة، يجالس العلماء، ويأخذ عنهم ويأخذون عنه، ويقتنى الكتب ويقرؤها ويستوعب مافيها، ويحصل العلوم ويؤلف فى شتى نواحيها، وإذا بميمون القصرى يموت وزيره فيلزمه أن يحل مكانه، فيقبل على كره، وفى ذلك يقول ياقوت :

«ألزمه ميمون القصرى خدمته، والاتسام بكتابته، ففعل ذلك على مضض واستحياء، ودبر أموره أحسن تدبير، وساس جنده أحسن سياسة، وفرغ بال ميمون من كل مايشغل به بال الأمراء، وأقطع الأجناد إقطاعات رضوا بها، وانصرفوا شاكرين له، لم يعرف عنه - منذ تولى أمره إلى أن مات ميمون القصرى - جندى اشتكى أو تألم. وكان وجيها عند ميمون المذكور، يحترمه ويعظم شأنه، ويتبرك بآرائه إلى أن مات ميمون سنة ٦١٠هـ».

وعندئذ عاد إلى منزله، والتزم العزلة أكثر من عام، يطالع وينسخ ويستفيد. ولكنه ألزم بالخدمة مرة أخرى، فظل متوليا أمور الديوان حتى مات الملك غازى سنة ٦١٣هـ وتولى الملك ابنه العزيز، فعاد إلى داره، ومكث ملتزما الخلوة والبعد عن السلطان، وشهاب الدين طغريل وزير العزيز يجرى عليه رزقا يستعين به على الانقطاع والخلوة، إلى أن كانت سنة ٦١٦هـ، حيث ألزمه الأمير تولى أمور الديوان، فلم يجد من قبول ذلك بدا.

وطالت أيامه فى هذه المدة، فإنه ظل من سنة ٦١٦هـ إلى سنة ٦٢٨هـ، يسوس الأمور أحسن سياسة، وينصح الأمير، ويرعى مصالح الرعية. روى ياقوت: «أنه مر فى طريقه بصعلوك شكا إليه أنه اتهم بسرقة الملح، وأخذت دابته، ثم طولب بجباية. فلم يكد يستمع إلى شكواه حتى ذهب إلى شهاب الدين طغريل، وقال له أيها

الأمير، روى عن النبى - ﷺ - أنه قال: «ثلاثة أشياء مباحة الناس مشتركون فيها الكلأ والماء والملح، وقد جرى كيت وكيت، ولا يليق بمثلك وأنت عامة وقتك جالس على مصلاك أن تكون مثل هذه الأشياء في بلدك!».

«فقال: اكتب الساعة إلى جميع النواحى برفع الجبايات ومحو اسمها، وأمر الولاة أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله. من وجب فيه حد من الحدود الشرعية يقام فيه على الفور، ولا يلتمس منه شيء آخر، وأمر الساعة بإراقة كل خمر فى المدينة، ورفع ضمانها، واكتب إلى جميع النواحى التى تحت حكمى بمثل ذلك، وأوعد من يخالف ذلك عقوبتنا فى الدنيا عاجلا، وعقوبة الخالق فى الآخرة آجلا». قال القفطى:

«فخرجت وجلست فى الديوان، وكتبت بيدى - ولم استعن بأحد من الكتاب في شيء من ذلك - ثلاثة عشر كتابا إلى ولاة الأطراف».

ولا تكتب بكفك غير شيء
يسرك فى القيامة أن تراه

وكأنه رأى أن طول هذه المدة قد أقصاه عن المطالعة، وصرفه عن التأليف، وحال بينه وبين الانقطاع إلى مدارس العلم، فأعفى نفسه من تكاليف السلطان، وخلع عن عنقه ربقة الإمارة، و« انقطع في داره مستريحا من معاناة الديوان، مجتمع الخاطر- على شأنه - للمطالعة والفكرة وتأليف الكتب، منقبضا عن الناس، محبا للتفرد والخلوة، لايكاد يظهر لمخلوق».

ولكن الملك العزيز حينما جاوز حداثته، واستقل بالملك وحده لم يلبث أن دعاه إليه، واتخذه وزيره، وألقى إليه زمام أموره، مطمئنا إلى نفاذ بصيرته، وأصالة رأيه، فأصفى له النصح، واجتهد في المشورة، وتوخى مناهج الرشد، والتزم القصد والسداد.

ومات العزيز وتولى بعده، ابنه الناصر، لم تجاوز سنه سبع سنوات، فاستمر القفطى فى تدبير المملكة، وفيا بالعهد، قائما بمصالح الملك، بعيد الصيت، مرعى الجانب، إلى أن توفى سنة ٦٤٦هـ، ودفن فى المقام بحلب.

كان القفطى أديبا جيد الملكة، وافر المحفوظ، عالما طويل الباع، واسع الاطلاع، غزير المال واضح القصد، مصنفا سديد المنهج جامعا لأشتات الفوائد، ومنثور المسائل، جال فى كل فن، وشارك فى كل ناحية من نواحى المعرفة. قال ياقوت:

«اجتمعت بخدمته فى حلب، فوجدته جم الفضل، كثير النبل، عظيم القدر، سمح الكف، طلق الوجه، حلو البشاشة، وكنت ألازم منزله ويحضر أهل الفضل وأرباب العلم، فما رأيت أحدا فاتحه فى فن من فنون العلم، فى النحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الإطلاق، إلا قام به أحسن قيام، وانتظم فى وسط عقدهم أحسن انتظام».

وقد تضافرت ظروف نشأته وحياته، وتعدد أسفاره ورحلاته، واتصاله بشيوخه فى حلقات الدرس، ومناظرته للعلماء والأدباء فى مجالس الأدب والعلم، وعمله فى ديوان الإنشاء، وقراءته الموصولة في الكتب والأسفار فى تكوين ذوقه الأدبى، وتمكينه من المعرفة الشاملة، وذلك

المحصول الوافر.

كانت أمة بدوية من عرب قضاعة، فصيحة مطبوعة تحفظ الشعر وترويه، وكان أبوه على ما عرفناه كاتبا، من كتاب ديوان الإنشاء، فنشأ أديبا صافي الديباجة فتيق اللسان حر البيان. وكانت القاهرة حينما ارتحل إليها منهلا للعلم والمعرفة، وموردا للفنون والآداب، حافلة بالعلماء، وقبلة الشعراء والأدباء، ودور الكتب ميسرة لكل دارس، ومعاهدها مفتوحة لكل وافد، والملوك الأيوبيون من وراء ذلك يشيدون المدارس، ويعقدون المناظرات، ويشجعون الدارسين، ويرفدون العلماء بالهبات والأعطيات، فتهيأ له من كل ذلك دراسة كاملة، ومعرفة شاملة، درس القرآن، وتلقى الحديث، وحذق النحو، وحفظ اللغة، ووعى التاريخ، وأحاط بقسط وافر من الفلسفة والحكمة وعلم الكلام.

ثم كانت المحاضرات التي عقدها بمجلسه في حلب، والأحاديث التي دارت حول المعقول والمنقول في مسائل العلوم، والتحدث بالغرائب والطرائف، وكتبه التي عكف عليها في داره، فاستجلى غوامضها، واستلهم أسرارها، واستقصى ما فيها استقصاء الدارس الحصيف، ونقدها نقد الصيرفي الخبير. من هذه المنابع الصافية تكونت ثقافته، وتلاقت معارفه، وانسجمت أفكاره وخواطره، وتألفت منها تلك الكنوز التي نثر منها في مجالسه الخاصة، وأودعها كتبه المتنوعة.

وكان القفطي صاحب نثر وشعر، أما النثر فقد تخرج فيه على أبيه، وتمرس به في ديوان الإنشاء، وأثر عنه كثير من الرسائل، وجرى قلمه بشيء منه في كتاب «الأنباه» . وقد اعتنق طريقة القاضي الفاضل، وسار على نهجه، من تنميق اللفظ والاحتفال بالسجع، والقصد إلى التورية والجناس، والاستشهاد بالنظم في أثناء المنثور، سواء في ذلك رسائله التي أوردها ياقوت :

« وأما سؤاله عن سبب التأخر والتجمع، والتوقف عن التطاول في طلب الرياسة والتوسع، والتعجب من التزامي قعر البيت، وارتضائي بعد السبق أن أكون السكيت، فلا تنسبني في ذلك إلى تقصير، وكيف ولساني في اللسن غير ألكن وبناني في البيان غير قصير، ولقد أعددت للرياسة أسبابها، ولبست لكفاح أهلها جلبابها، وملكت من مواردها نصابها، وضاربت أضرابها، وباريتهم في ميدان الفضائل، فكنت السابق وكانوا الفسكل. وظننت أني قد حللت من الدولة أمكن أركانها، وأصبحت إنسان عينها وعين إنسانها، فإذا الظنون مخلفة، وشفار العيون إلى الأعداء مرهفة، والفرقة المظنونة بالإنصاف غير منصفة، وصار ما اعتقدته من أسباب التقريب مبعدا، ومن اعتقدته لي مساعدا غدا على مسعط، ومن أعددته لمرادي موردا أصبح لمثالبي موردا. وجسست مقاصد المراشد فوجدتها بهم مقفلة، ومتى ظهرت فضيلة اعتمدوا فيها تعطيل المشبه وشبه المعطلة ».

« وإذا ركبت أشهب النهار لنيل مرام، ركبوا أدهم الليل لنقض ذلك الإبرام، وإن سمعوا مني قولا أذاعوا، وإن لم يسمعوا اختلقوا من الكذب ما استطاعوا. وقد صرت كالمقيم وسط أفاع لا يأمن لسعها، وكالمجاور لنار يتقي شرها ويستكفي لذعها. والله المسئول توسيع الأمور إذا ضاقت مسالكها، وهو المرجو لإصلاح قلوب الملوك على

مماليكهم، إذ هو رب المملكة ومالكها، وهاأنا جاثم جثوم الليث فى عرينه، وكامن كمون الكمى فى كمينه. وأعظم ما كانت النار لهبا إذا قل دخانها، وأشد ماكانت السفن جريا إذا سكن سكانها، والجياد تراض ليوم السباق، والسهام تكن فى كنائنها لإصابة الأحداق، والسيوف لاتنتضى من الأغماد إلا ساعة الجلاد، واللآلئ لا تظهر من الأسفاط إلا للتعليق على الأجياد. وبينما أنا كالنهار المانع طاب ابراده، إذ ترانى كالسيف القاطع خشن حداه. ولكل أقوام أقوال، ولكل مجال أبطال نزال. وسيكون نظرى - بمشيئة الله - الدائم ونظرهم لمحة، وربحى فى هذه الدولة المنظورة عادية وربحهم فيها نفحة، وهاأنا مقيم تحت كنف إنعامها، راج وابل إكرامها من هاطل غمامها، منتظر لعدوى وعدونا انكا سهامها من وبيل انتقامها».

وقد أغرم القفطى بالكتب غراما شديدا، وناقس فى اقتنائها، وبذل النفيس فى شرائها، وأنفق وقته فى حفظها وترتيبها، وأصبحت داره فى حلب قبلة الوراقين، ومقصد الناسخين، يجلبون له الكتب والأسفار، وهو يضاعف لهم الثمن، ويجزل العطاء. قال ابن شاكر: «جمع من الكتب مالا يوصف، وقصد بها من الآفاق، وكان لا يحب من الدنيا سواها، ولم تكن له دار ولا زوجة، وأوصى بكتبه للناصر صاحب حلب، وكانت تساوى خمسين ألف دينار».

وروى أنه اقتنى نسخة من كتاب الأنساب للسمعانى حررت بيد المؤلف، إلا أن فيها نقصا، وبعد الإطلاب المديد، والاقتفاء الطويل حصل على الناقص، إلا أن وراقا أبلغه أن فلانيا قد استعملها قوالب لقلانسه فضاعت، فتأسف غاية الأسف على هذا الضياع، حتى كان يمرض، وامتنع أياما عن خدمة الأمير فى قصره، فصار عدة من الأفاضل والأعيان يزورونه تعزية له، كأنما قد مات أحد أقاربه المحبوبين!

وفى كتابه «الأنباه» نجده كثيرا مايفخر بأنه اقتنى كتابا بخط مؤلف معروف، أو ناسخ مشهور، أو عثر على نسخة فريدة من كتاب لاتوجد عند سواه.

وقد جمع مقدارا وافرا من التعليقات والفوائد والطرف التى تعود العلماء أن يضعوها على ظهور الكتب. ولما اجتمع له قدر صالح منها رأى أنها تستأهل أن تكون كتاباً، فكان كتاب «نهزة الخاطر ونزهة الناظر فى أحاسن مانقل من ظهور الكتب».

كتاب إنباه الرواة

وكتاب «إنباه الرواة» يصور ناحية من نواحى التآليف ظهرت فى القرنين السادس والسابع تصويراً صحيحا، فقد تميز هذا العصر بالتوسع فى المعاجم التاريخية، نتيجة لكثرة المعارف، وتنوع الفنون، ووفرة الكتب، واتصال العلماء بعضهم ببعض، وتوفر ثقافة علمية واسعة تنتظم مابين الأندلس غربا إلى آخر حدود فارس شرقاً.

وقد تميزت هذه المعاجم بجمع الحقائق المنثورة فى تضاعيف الكتب، وتنسيق المعارف التى وردت على ألسنة الرواة، وحشد المشاهد التى وقعت للعلماء حول موضوعات خاصة مرتبة على حسب حروف المعجم، حرصاً على الاستقراء والحصر، وقصدا إلى تيسير الإفادة والنفع، مع خلوها من الإسناد، كما كان ذلك متعارفا فيما

قبلها من الكتب. فكان كتاب الأنساب للسمعاني، واللباب لابن الأثير، ومعجم البلدان ومعجم الأدباء لياقوت، وأنباه الرواة وأخبار الحكماء للقفطي، وعيون الأنباء لابن أصيبعه، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

وكتاب «أنباه الرواة» معجم شامل لتراجم «مشايخ علمي: النحو واللغة، ممن تصدر لإفادتهما تصنيفا وتدريساً ورواية» من عصر أبي الأسود الدؤلي حتى عصر المؤلف في القرن السابع. وقد تضمن أيضا تراجم كثيرة للقراء والفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمتصوفين والعروضيين والأدباء والشعراء والكتاب والمؤرخين والمنجمين، ممن كان له أدنى مشاركة في اللغة أو معرفة بالنحو، وبهذا اجتمع فيه قرابة ألف ترجمة من تراجم العلماء.

ولم يختص هذا المعجم بعصر دون عصر، أو إقليم دون آخر، بل شمل كل من كان له شأن مذكور في «أرض الحجاز واليمن والبحرين وعمان واليمامة والعراق وأرض فارس وخراسان وكرمسير وغزنة وما وراء النهر وآذربيجان والمذار وأرمينية والموصل ودياربكر وديار مضر والجزيرة والشام والساحل ومصر وأعمالها وأفريقية ووسط المغرب وأقصاه وجزيرة الأندلس وجزيرة صقلية».

وقد اعتمد المؤلف في معارفه التي أودعها في هذا الكتاب مصدرين أساسيين:

١ - الكتب المؤلفة قبله في التراجم والسير والأخبار مثل: تاريخ بغداد للخطيب، وتاريخ دمشق لابن عساكر، وتاريخ مصر لابن يونس، وتاريخ نيسابور لابن البيع، وتاريخ همذان لشيرويه، وتاريخ غرس النعمة للصابي، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي، والمقتبس في تاريخ الأندلس لابن حيان، ورجال الأندلس لابن حزم، والصلة لابن بشكوال، وأخبار النحويين لابن درستويه، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي والمقتبس في أخبار النحويين واللغويين للمرزباني، والفهرست لابن النديم، وطبقات الشعراء لابن سلام، والمختلف والمؤتلف لابن حبيب، والأنموذج لابن رشيق، ويتيمة الدهر وتتمة اليتيمة للثعالبي، ودمية القصر للباخرزي، ووشاح الدمية للبيهقي، وخريدة القصر للعماد الأصفهاني، وغيرها مما يصرح بالنقل عنها تارة، وينقل من غير تصريح تارة أخرى.

٢ - معارفه الخاصة التي استمدها من شيوخه في القاهرة والإسكندرية وقفط، أو شاهدها في أسفاره بين مصر والشام، أو أفادها من مجالسه في حلب، أو كاتبه بها العلماء من مختلف الأمصار.

وكثير من الحقائق التي نشرها في كتابه قد انفرد بها، أو نقلها من كتب لم تصل إلينا، فهو بذلك يختص من بين الكتب المتداولة بقيمة تاريخية علمية نادرة المثال.

ولايوجد نص صريح يشير إلى التاريخ الذي بدأ المؤلف الكتاب أو انتهى منه ويظهر أنه ألفه في فترات طويلة، وتناوله بالزيادة على مر الأزمان إلى أن انتهى إلى وضعه الأخير، والثابت أن الكتاب كان موجوداً قبل سنة ٦٢٦هـ وهي السنة التي توفي فيها ياقوت، وقد ذكره في كتابه معجم الأدباء.

والثابت - أيضا - أن النسخة التي اعتمدت عليها فرغ منها قبل سنة ٦٣٨هـ.

جوانب مشرقة من تاريخنا الإسلامي

للدكتور/ عبدالشافي محمد عبداللطيف (*)

تمر أمتنا الإسلامية في هذه الأيام بأوقات عصيبة، وعلى الأمم الحية عندما تمر بمثل هذه الأوضاع أن تقف وقفة تأمل مع النفس، تراجع مسيرتها عبر التاريخ، لتستلهم العبرة والدروس النافعة، وتاريخ أمتنا تاريخ مشرق، ومراجعته مراجعة دقيقة أصبح واجباً دينياً ووطنياً في هذه الأيام، لنعرف كيف حققت أمتنا أمجادها وأصبحت أمة قوية مرهوبة الجانب من أعدائها، لا يستباح حماها ولا تهدر حقوقها. وكيف أنها كانت قوية مرهوبة الجانب لم تظلم أحداً ولم تسلبه حقوقه، ولم تحد عن جادة الصواب، وفي هذه السطور محاولة لتذكير أمتنا الإسلامية بما تحقق من أمجاد إسلامية وكيف تحقق أملاً في أن تحرك هذه التذكرة كوامن النخوة والرجولة والشجاعة في نفوس بعض أبنائها، فيهبوا للعمل على النهوض بها وإقالتها من عثرتها، لتسترد مكانتها وتصون كرامتها وتحافظ على حقوقها.

وليس أجدى في هذا الصدد من مراجعة جهاد كبار قادة الأمة الإسلامية المؤسسين لمجدها والبانين لحضارتها وتاريخها. ولنبدأ بالتذكير بالجهد العظيم الذي بذله قائدها الأعظم والأول وهو الرسول - ﷺ - في وضع الأسس القويمة والمبادىء العظيمة التي قامت عليها وحدة الأمة وأمجادها وحضارتها. والرسول - ﷺ - هو قدوتنا ونحن مأمورون بالتأسي به واتباع خطاه من ربنا - عز وجل - حيث يقول - تعالى:

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾(1).

ويقول:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾(2).

فهو قدوتنا في سلوكه الأخلاقي، وفي جهاده وصبره وقدرته على العمل لتحقيق الهدف مهما تطلب من جهد.

(*) أستاذ التاريخ بجامعة الأزهر.

(1) الأحزاب (21).

(2) الحشر (7).

الرسول وتوحيد الأمة العربية

لنتأمل كيف كان حال العرب عند بعث النبي - ﷺ - يخبرنا التاريخ أنهم كانوا أمة مشتتة إلى قبائل متناحرة متنافرة، حياتهم تسودها القسوة والخشونة، وطابعها الاقتتال المستمر لأتفه الأسباب، وأحياناً بدون أسباب. لأنها كانت حياة فارغة، ولم يكن لها هدف أسمى تحققه في الحياة، فبددت طاقاتها في حروب ومنازعات عقيمة.

وكانت نظرة الأمم حولهم إليهم نظرة استخفاف، بل نظرة ازدراء واحتقار، فالفرس على سبيل المثال كانوا يعتبرون العرب عبيداً لهم، وهنا نذكر الناس برد ملك الفرس «أبرويز الثاني» على رسالة النبي - ﷺ - التي أرسلها إليه في مطلع العام السابع الهجري يدعوه فيها إلى الإسلام، فكان رده أن مزق الرسالة، وقال: كيف يكتب إليّ وهو عبدي، ولم يكتف بذلك بل طلب من بازان، نائبه على حكم اليمن، التي كانت مستعمرة فارسية، أن يرسل له النبي - ﷺ - مقيداً في الحديد ليحاكمه على جرأته في الكتابة إليه، هذا مثل واحد.. وهناك عشرات غيره توضح نظرة الآخرين إلى العرب.

صلاحية العرب لقيادة العالم

هؤلاء العرب الذين كانت هذه حالهم كان معدنهم سليماً، وعنصرهم طيباً، ولذلك اختارهم الله - تعالى - لحمل رسالته العالمية الخاتمة لرسالات السماء، حيث أوحى إلى واحد منهم بهذه الرسالة، وهو محمد بن عبد الله - ﷺ - لأنه كان يعلم أنهم قادرون على حملها معه، والتضحية في سبيلها، وقد أثبت الواقع التاريخي أن العرب كانوا أصلح أمة على ظهر الأرض لحمل الرسالة الإسلامية إلى العالم، وصدق الله العظيم القائل:

﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾(٣).

فقد كان العرب أحراراً شجعاناً، فيهم رجولة وأصحاب مروءة ونجدة، وفيهم صدق واعتزاز بالنفس والكرامة، وكل هذه صفات مطلوبة لمن يحمل رسالة عالمية للناس جميعاً.

والرسول - ﷺ - كان يعرف ذلك منهم، ولذلك صبر عليهم، وتحمل أذاهم وخشونتهم، ونجح نجاحاً باهراً في تعليمهم أمور الدين والدنيا وأعدهم وهيأهم لقيادة العالم، ولكنها كانت قيادة رشيدة ورحيمة، فالرسول - ﷺ - لم يُوَحِّد العرب ليسلطهم على الناس، أو حتى لينتقم بهم ممن كانوا يحتقرونهم في الماضي، بل أعدهم لينشروا رسالة التوحيد بين الناس، وليحملوا لهم العزة والكرامة، وليخلصوهم من الظلم والقهر الذي كانت تمارسه عليهم الأمم المتجبرة، ويجعلوهم يعيشون سعداء في أمن وأمان.

لقد ظل الرسول - ﷺ - ثلاثة وعشرين عاماً

(٣) الأنعام (١٢٤).

مكرساً كل جهوده لنشر الرسالة وبناء الدولة وتربية الأمة وتوحيدها وإعدادها لقيادة العالم، وقد نجح في ذلك نجاحاً لا نظير له في التاريخ البشرى كله، نجاحاً أصبح محل تقدير العلماء من غير المسلمين، ويكفى أن نقرأ ما كتب عنه الدكتور (مايكل هارت) في كتابه «الخالدون مائة أعظمهم محمد» - ﷺ -.

مكث الرسول - ﷺ - في مكة ثلاثة عشر عاماً تحمل خلالها هو والقلة التى آمنت به من الأذى ما تنوء به الجبال من تعذيب وتجويع وقتل، حتى حياته هو تآمروا عليه، ولما سدت قريش في وجهه كل الطرق، جاءه نصر الله من يثرب فهاجر إليها وسبقه إليها بضع عشرات من أصحابه، ولنتأمل خروجه من مكة والألم يعتصره على مغادرة أحب بلاد الله إليه ظلماً وقهراً، وكيف اختبأ هو وصديقه أبو بكر في غار ثور، والموت يترصدهما من كل جانب. ثم لنتأمل عودته إليها بعد ما يقرب من عشرة أعوام فاتحاً ظافراً منتصراً يقود عشرة آلاف رجل من المسلمين، وكيف ارتفع فوق آلامه ولم يستغل قوته في الانتقام ممن آذوه وقاتلوه طوال عشرين عاماً، بل ضرب أروع الأمثلة في التسامح والعفو، فعفا عنهم وقال لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء».. وهم بدورهم أدركوا خطأهم فأقبلوا على الإسلام بكل ما لديهم من رجولة وشجاعة وشهامة وإقدام وأبلوا مع رسول الله البلاء الحسن ما بقى فيهم، ولما انتقل إلى الرفيق الأعلى واصلوا جهادهم في تدعيم الدولة والفتوحات وكانوا يقولون: «نريد أن نعوض ما فاتنا من الجهاد مع رسول الله - ﷺ».

وبعد سنتين من فتح مكة، في أواخر العام العاشر الهجرى عاد - ﷺ - إلى مكة مرة أخرى وأخيرة، فحج حجة الوداع، ووراءه زهاء مائة ألف مسلم، يتسابقون إلى الفوز بشرف الصحبة، يا له من مشهد ينحني له التاريخ إعجاباً وإكباراً، لذلك الرجل الذى نجح في غضون سنوات معدودة في نشر رسالة وبناء دولة وتوحيد أمة وإعدادها لقيادة العالم، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقى حيث يقول عن الرسول - ﷺ :

وعلمنا بناء المجد حتى
أخذنا إمرة الأرض اغتصابا

ومن الجدير بالذكر أن هذه الإنجازات العظيمة وهذا النجاح الباهر تحقق بأقل قدر من الخسائر البشرية، فكُتُب السيرة النبوية تحصر عدد شهداء عصر النبوة، في جميع غزوات الرسول وسراياه بأقل من مائة وخمسين شهيداً، كما أن خسائر قريش في حروبها معه نحو من مائة قتيل. وهذا أمر له دلالة عظيمة وعلى أن الرسول - ﷺ - كان يتحاشى الحرب، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وكان يقتصد في الدماء إلى أقصى حد، فالحرب في الإسلام ليست غاية، بل هى وسيلة لتحقيق أسمى الغايات، ولا يلجأ إليها إلا إذا كانت هى الحل الأخير بعد استنفاد كل الوسائل السلمية.

هذه لمحة وجيزة عن جانب من جوانب العظمة في شخصية القائد الأول والأعظم للأمة الإسلامية، وهو جانب صبره وجهاده وقدرته الفائقة على توحيد المتنافرين وحشد الطاقات البشرية لتحقيق أعظم الأهداف وأنبلها وأعظمها فائدة وخيراً وبركة للإنسانية كلها، فجزاه الله عن الإنسانية خير الجزاء - ﷺ - ما بقيت الأرض والسماء.

والخلاصة أن الرسول - ﷺ - ظهر وبُعث فوجد العرب أشتاتاً ممزقين وتركهم ولحق بالرفيق الأعلى وهم أمة قوية متماسكة موحدة، صحيح تعرضت هذه الوحدة بعد وفاته مباشرة إلى هزة عنيفة كادت تقضي عليها وتعود بالعرب إلى ما كانوا عليه، لكن متانة الأساس الذى وضعه الرسول وعظمة الرجال الذين ربّاهم وعلمهم وأعدهم لقيادة الأمة والعالم كانوا بالمرصاد لكل من يحاول النيل من الدين والدولة ووحدة الأمة.. وهذا ما نراه في الصفحات التالية.

أبو بكر الصديق.. وإعادة توحيد الأمة العربية

ما أن علم العرب بوفاة الرسول - ﷺ - حتى ارتد معظمهم في حركة عارمة واسعة النطاق، كانت كإعصار يريد أن يدمر البناء الشامخ الذى جاهد الرسول - ﷺ - أكثر من عشرين عاماً في بنائه.

ولهذه الحركة أسباب كثيرة، من أهمها تحريض الدول الكبرى للقبائل العربية وإثارتها ضد المسلمين، ومنها أن كثيراً من العرب أقبلوا على الإسلام لا بدافع الإيمان الحقيقي ولكن بدافع الخوف من القوة، فكان استسلاماً أكثر منه إيماناً، ولذلك قال الله عنهم:

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾(١).

لكن من حسن الحظ أن الرجل الذى خلف الرسول - ﷺ - في قيادة الأمة ورياسة الدولة وهو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - واجه هذه العاصفة الهوجاء برجولة نادرة، وكان على يقين أنه مهما كان من عنفوانها فهو قادر بعون الله على وأدها والقضاء عليها قضاء مبرماً، ذلك أن أبا بكر كان أكثر المسلمين فهماً لروح الإسلام وعظمته، وكان أقربهم إلى الرسول - ﷺ - ووقف إلى جانبه من بداية الرسالة إلى أن أدى الأمانة ولحق بربه وترك له هذا الميراث العظيم ليصونه ويحافظ عليه، وكان أهلاً لهذا الشرف العظيم وتلك المسئولية الجسيمة.

فها هو يرد على الذين جاءوا يساومونه على الدين، وقالوا: نحن مسلمون ولكننا لن ندفع الزكاة، لكن خليفة محمد - ﷺ - الذى أصبحت وظيفته حراسة الدين، كيف يقبل تلك المساومة الرخيصة؟.. فكان رده:

---

(١) الحجرات (١٤)

«والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه بالسيف».. وقد قاتلهم وانتصر عليهم وكان انتصاره على مانعي الزكاة فاتحة خير وانتصارات أعظم على حركة الردة في مجملها. كان معظم العرب قد رفض الإسلام جملة وتفصيلاً، فتعامل معهم الصديق بدبلوماسية ماهرة، ونصحهم بالعودة إلى الدين والنظام وذكرهم في رسائل أرسلها إليهم بما كانوا عليه من فرقة وشتات، وضآلة الشأن بين الأمم، وكيف أن الإسلام وحدهم وأخرجهم من الوثنية إلى التوحيد، فعليهم أن يراجعوا أنفسهم ويعودوا إلى رشدهم، وإلا.. فلن يتهاون معهم قط.. وعلى الفور شرع في إعداد الجيوش - أحد عشر جيشاً في وقت واحد - التي غطت جميع مناطق الردة في كل أقطار شبه جزيرة العرب، واختار لقيادة هذه الجيوش أعظم وأمهر القادة، خالد بن الوليد (سيف الله)، وعبقرى الحرب والسياسة عمرو بن العاص..، وعكرمة بن أبي جهل، والعلاء بن الحضرمي، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي، وغيرهم.. وفي أقل من عام قضى أبو بكر على حركة الردة وعلى مدعي النبوة، وأعاد للأمة وحدتها وتماسكها، وأعدها لردع الطغاة الذين كانوا يتربصون بالإسلام والمسلمين، ويقفون عقبة كئوداً في طريق الدعوة الإسلامية ويمنعون المسلمين بالقوة من تبليغ رسالة الله إلى الناس، فكانت الحروب ضد الفرس والروم، والتي لم تنته إلا بالقضاء على دولة الفرس قضاء مبرماً وتحرير الشام ومصر وشمال أفريقيا من قبضة الروم وظلمهم وطغيانهم.

خلاصة القول أن الصدِّيق - رضي الله عنه - واجه أول ما تولى خلافة الرسول - ﷺ - تلك العاصفة الهوجاء، فواجهها مواجهة الرجال وقضى على حركة الردة وأعاد للأمة وحدتها وسلمها للفاروق عمر بن الخطاب تسليم أمين لأمين.. فخطا بها هو بدوره خطوات جادة على طريق العدل والحق والخير والحرية والكرامة لكل الناس على أرض الدولة الإسلامية.

* * *

الإنسان والبيئة فى التصور الإسلامى

٢

للأستاذ الدكتور / أحمد فؤاد باشا (*)

إن منطلق التقويم فى علاقة الإنسان بالبيئة (الكون) يعتبر الأساس العقدى لشرح الوجود فى العقيدة الإسلامية، وكذلك الأساس العقدى للغاية من الوجود الإنسانى. ذلك أن حياة الإنسان على الأرض -كما يصورها القرآن الكريم- مهمة نبيلة وصفها الله -تعالى- بقوله:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (البقرة، ٣٥).

ومن طبيعة هذه المهمة -أى خلافة الله- أن تكون العلاقة بين الإنسان والميدان الذى يوجد ويعمل فيه -أى الكون والبيئة- علاقة حب وخير. ومن البين بنفسه أن حفظ الوجود الإنسانى متوقف على استمرار وجود العناصر البيئية من ماء وهواء وغذاء وغير ذلك.

وعلى مستوى الترابط الوجودى بين الإنسان والبيئة (الكون) يؤكد القرآن الكريم أن كل الموجودات متساوقة مع بعضها البعض حتى إنه لا يوجد شىء واحد من الموجودات هو فى وجوده مستقل عن المنظومة الوجودية العامة، فكل عنصر كونى مترابط معها فى كينونتها وسيرورتها، وهو ما يفهم من بعض معانى قوله تعالى:

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾(١).

أى خلقناه بحكمة وترتيب يسهمان فى حفظ الوجود وتحقيق المسيرة الكونية كما أرادها الله – تعالى – لتبلغ غايتها.

ويترتب على هذا المنطلق العقدى، من ناحية أخرى، أن الكون بدوره رهين الوجود الإنسانى، فهو قد أعد لاستقباله واستمرار وجوده، وهذا عكس ما يبدو فى الظاهر من أن الموجودات مستقلة فى وجودها عن الوجود الإنسانى، وليست متوقفة عليه لا ابتداء ولا استمرارا، وإلا فما المقصود من معانى التسخير التى جاءت فى آيات كثيرة امتن الله بها على عباده، فى مثل قوله – تعالى –:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾(٢).

(*) عميد كلية العلوم جامعة القاهرة.

(١) سورة القمر: ٤٩.

(٢) البقرة: ٢٩.

وقوله – سبحانه –:

﴿ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾[3].

وقوله – جل شأنه –:

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾[4].

وقوله – عز من قائل –:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[5].

وقوله – جل وعلا –:

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[6].

فكل ما حول الإنسان في هذا الكون الكبير إنما هو مسخر له، والأرض ممتدة أمامه:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[7].

بل إن القرآن الكريم ليجعل الإنسان جزءاً من مادة الأرض:

﴿ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾[8] فالإنسان يعيش عليها ثم يثوى في جوفها:

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[9].

ويقول – تعالى –:

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾[10].

ويعبر الرسول – ﷺ – عن هذه المعاني بقوله: « تمسحوا بالأرض فإنها بكم برة »[11].

● البعد الإيماني لعلاقة الإنسان بالبيئة:

من أجل ذلك لا ينبغي أن تقوم العلاقة بين الإنسان والبيئة (الكون) على أساس من العداوة والاستغلال الهدام والتخريب، وإنما تقوم على أساس من استخراج خيراتها في تآلف وتناغم ومودة. ذلك أن أهم ما يميز علاقة الإنسان بالبيئة (الكون) في عُرف الإسلام هو أنها علاقة توازن وانسجام لصالح الحياة والأحياء، بما فيهم البشر الذين هم قمة الأحياء، وليست أبداً علاقة حرب وقلق وتنافر وعداء وصراع، كما يقول بعض الماديين من

---

(3) الرحمن: 10.
(4) سورة لقمان: 20.
(5) الجاثية: 13.
(6) إبراهيم: 32 - 34.
(7) الملك: 15.
(8) نوح: 17.
(9) طه: 55.
(10) هود: 61.
(11) رواه الطبراني في المعجم الصغير.

الطبيعيين Naturalists الذين يزعمون أن العالم الطبيعى وجد نفسه دون علّة خارجة عنه، ويتعاملون مع بعض الظواهر الكونية على أنها «كوارث طبيعية» خالية من أى خير، ويُعدّون كل كشف لقانون من قوانين الكون، وكل تسخير لطاقة من طاقاته، وكل اختراع لتقنية متقدمة جديدة، انتصاراً على الطبيعة، أو قهراً لها وهيمنة عليها.

كذلك تزخر السنة المطهرة بما يؤكد هذا التصور الإسلامى لحقيقة هذه العلاقة الحميمة والمودة الصافية بين الإنسان، باعتباره أحد مكونات البيئة وعناصرها، بل هو المؤهل للإفادة من بقية المكونات والعناصر بما منحه الله -تعالى- من خصائص وملكات ومميزات تجعله الكائن الحضارى الوحيد، وبين البيئة وما تحتويه من موجودات حية وغير حية باعتبارها الإطار الذى يعيش فيه الإنسان ولا يستغنى عنه لاستمرار حياته. فقد كان الرسول -ﷺ- يرى الهلال فيستقبله بفرح وهو يقول: «ربى وربك الله»، وكان يستقبل قطرات المطر بفرح ويقول: «إنها قريبة عهد بالله»، وكذلك كان يستقبل كل وليد يولد ويقول عنه: «قريب عهد بالله». وكان يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق: «هذا جُبيل يحبنا ونحبه»، فيخلع عليه الحياة ويشعر بالحب منه كما يشعر بالحب له. وقال- أيضا- فى النخل: «أكرموا بنى عماتكم النخل». فذلك منه تعبير عن وشائج الألفة بين الإنسان وعناصر البيئة، ألفة تثبت جذورها من الوحدة المتعددة المظاهر بين الإنسان والكون باعتبارهما معلولين للوجود الإلهى الأزلى الأبدى، وأثرا من آثاره.

ويمتد هذا الأساس من التآلف ليشمل عناصر أخرى من البيئة، فأبوبكر الصديق- رضى الله عنه- يقول فى وصيته ليزيد بن أبى سفيان وهو على رأس جيش متجه إلى الشام: «لا تقطع شجراً مثمراً، ولا تخرّب عامرا.. ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقه»[١٢].

والإسلام ينهى عن تعذيب الحيوان: «عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعاً فدخلت فيها النار»[١٣].

والعبرة العميقة فى هذا أن الهرة لا تستطيع أن تدافع عن نفسها إذا كانت حبيسة، وتصرف الإنسان مع من هو أضعف منه هو أوضح دليل على أخلاقه التى تبدو على حقيقتها فى مثل هذا الموقف.

حتى ما تأكله الطير من حقل، يقول فيه الرسول -ﷺ-: «ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»[١٤].

واعتبر الحاكم فى أرض الإسلام نفسه مسئولا حتى عن ماشيتها، فيحدد الخليفة عمر بن عبدالعزيز ثقل الأحمال التى تحملها الإبل على شاطىء النيل.. يفعل هذا وهو فى الشام فيقول: «بلغنى أن بمصر إبلاً نقالات

---

(١٢) انظر موطأ الإمام مالك تحقيق فؤاد عبدالباقى ٤٤٧ - ٤٤٨.

(١٣) البخارى ٦ : ٢٥٤ - ٢٥٥ من رواية عبدالله بن عمر.

(١٤) رواه مسلم فى صحيحه عن جابر ٣: ١١٨٨ : ١١٨٩.

يُحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يُحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل»[15].

وانعكست هذه الرحمة على الحيوان في أرض الإسلام، فكانت هناك أوقاف مخصصة لإطعام الحيوانات الضالة وعلاجها، وشراء الحبوب الغذائية للطيور، وما زال هذا التقليد متبعاً حتى الآن في الحرم المكي، يشتري الناس القمح ويلقونه على أرض المسجد ليلتقطه الحمام الذي يعيش هناك بأعداد كبيرة آمنا على نفسه قريباً من الإنسان يعيش معه في سلام.

هذا قليل من كثير من صور العلاقة بين الإنسان ومكونات البيئة، وهي علاقة تنبع من أساس واحد هو أن الله -تعالى- خالق الإنسان والوجود- وإن عمل الإنسان في الدنيا وامتثاله لأوامر الله لا يختلف من حيث الدلالة على قدرة الله عن حركة الأكوان وخضوعها لسنن الله التي لا تتبدل ولا تتحول. فوجودها سجود دائم يصوره القرآن الكريم بقوله:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾[16].

من الواضح إذاً أن هذا الشعور بالألفة والود والرحمة بين الإنسان والبيئة يلقي في النفس بُعداً إيمانياً يزيد من انفساحها للكون والإقبال على التعامل معه بكل الطاقات الإبداعية. وافتقاد البشرية لهذا البُعد الإيماني والشعور النفسي القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة كما يعرضها المنهج الإسلامي المتفرد، هو الذي يدلنا على طبيعة الحرب التي شنّها الإنسان على نفسه في غمرة انشغاله بثورة العلم والتقنية، فهي حرب ضد الحياة على كوكب الأرض، والإنسان المتورط فيها هو ذاته الذي يسعى جاهدا لأن يكسبها:

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[17].

• البعد الجمالي لعلاقة الإنسان بالبيئة:

يقول الله تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[18].

في هاتين الآيتين الكريمتين من كتاب الإسلام الخالد دعوة إلى تأمل كتاب الكون الجميل الصفات العجيب التكوين والتلوين، لكي يتدبره العلماء الموصولون بخالقهم الواحد جل وعلا. وإن دعوة العلماء إلى تأمل الجمال

---

(15) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص166 ط الرحمانية بمصر 1927.

(16) النور: 41.

(17) الأحزاب: 72.

(18) فاطر: 27 - 28.

الكونى هى فى حقيقتها دعوة إلى التفوق فى مجال العلوم الكونية المعنية بدراسة ظواهر الكون والحياة للإفادة منها فى تطوير حياة البشر وفهم أسرار الوجود.

ومن المنطقى أن يقابل هذا الجمال الكونى المقصود قصداً فى خلق الكائنات بُعد جمالى فى العلاقة بين الإنسان والبيئة. فالمتأمل فى السماء وما يدور فيها من كواكب وما ينتشر فيها من أفلاك، يجب ألا يغفل عن زينتها التى نبه إليها الحق فى قوله -تعالى-:

﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴾(١٩).

وعند النظر إلى الأنعام من زاوية فوائدها المادية وقيمتها كثروة حيوانية، يجب أن نحافظ على الصورة الجمالية التى عبر عنها القرآن الكريم بقوله:

﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾(٢٠).

وعند استقصاء حكمة الخالق فى خلق الكون وإنبات النبات يجب أن نستشعر معنى البهجة التى تشيع فى أرجاء النفس عندما ترى منظر الخضرة، مصداقاً لقوله -تعالى-:

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ﴾(٢١).

بل إن الشيخ محمد الغزالى -رحمه الله- يؤكد أهمية البُعد الجمالى فى علاقة الإنسان بالبيئة، إلى الحد الذى يجد فيه أن النظر البليد إلى الأرض والسماء دون إحساس بالجمال هو نوع من المعصية ينبغى أن نتوب عنه(٢٢).

ولما كان الجمال مقصوداً قصداً فى خلق الكون، وكان البُعد الجمالى ضروريا فى علاقة الإنسان بالبيئة، فإن ما يحدث فى عصرنا من أشكال التلوث البيئى المختلفة يجب النظر إليه على أنه اعتداء أثيم على توازن البيئة المحكم وتشويه متعمد لشكلها الجمالى. ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث، والإبقاء على الجمال فى صفحات الكون، مطلباً إسلامياً عزيزاً تستثار لأجله الهمم.

(يتبع)

---

(١٩) الحجر: ١٦.

(٢٠) النحل: ٥-٦.

(٢١) سورة النمل: ٦٠.

(٢٢) حلقة نقاشية (سيمينار) حول «فلسفة الفن فى الإسلام»، مجلة المسلم المعاصر، العدد ٥٨، ١٤١١هـ - ١٩٩٠/١٩٩١، ص١٠٢.

سيف الله المسلول

خَالِد بن الوَلِيد

للأستاذ / أحمد السيد تقي الدين

روى الإمام أحمد أن رسول الله - ﷺ - قال: « لا تؤذوا خالداً فإنه سيف من سيوف الله سله الله على أعدائه »(١).

وقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: « إني سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين »(٢).

وروى أحمد - أيضاً - عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد: « ما ليلة تهدى إليّ فيها عروس أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام بأحب إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها العدو »(٣).

نحاول عبر صفحات قليلة قراءة سيرة هذا البطل الذي قال عنه عمر بن الخطاب يوم وفاته: « على مثل أبي سليمان تبكي البواكي عجزت النساء أن يلدن مثل خالد ».

هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي أبو سليمان المخزومي.

وأمه عصماء بنت الحارث أخت لبابة بنت الحارث وأخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين.

سيف الله وأحد الشجعان المشهورين، لم يُقهر في الجاهلية ولا في الإسلام(٤).

ولا تمدنا المصادر بشيء عن خالد بن الوليد قبل إسلامه سوى في موضعين الاول في أحد حيث كان على ميمنة خيل قريش ولاحظ تخلى الرماة الذين امرهم رسول الله - ﷺ - الا يتركوا اماكنهم أعلى جبل احد مهما كان الأمر فلما كانت الغلبة للمسلمين أول الأمر خالف الرماة

---

(١) فضائل الصحابة (٢/٨١٧) برقم (١٤٨٤).

(٢) رواه احمد في الفضائل برقم (١٤٨٠) (٢/٨١٦).

(٣) فضائل الصحابة (٢/٨١٤)، (برقم ١٤٧٦).

(٤) البداية والنهاية ٧/ ١٢٥.

تعليمات رسول الله وهبطوا من فوق الجبل يجمعون الغنائم فاعتلى خالد الجبل بفرسانه مانحاً قريش أفضلية كبرى بوجوده خلف ظهور المسلمين لتنقلب دفة المعركة[٥].

أما الموضع الثانى فكان يوم الحديبية عندما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ فى ذى القعدة مع أصحابه معتمراً، فوقف خالد بن الوليد على رأس فرسان قريش عند كراع الغميم[٦] يعترضون دخول رسول الله ﷺ مكة.

إسلامه:

ويروى خالد بن الوليد قصة إسلامه فيقول: لما أراد الله بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الإسلام وحضرنى رشدى، فقلت: قد شهدت هذه المواطن كلها على ـ محمد ﷺ ـ فليس فى موطن أشهده إلا انصرف، وأنا أرى فى نفسى موضع فى غير شىء، وأن محمداً سيظهر، فلما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الحديبية خرجت فى خيل من المشركين، فلقيت رسول الله ـ ﷺ ـ فى أصحابه بعسفان، فقمت بإزائه وتعرضت له فصلى بأصحابه الظهر أمامنا فهممنا أن نغير عليهم ثم لم يعزم لنا ـ وكانت فيه خيرة ـ فاطلع على ما فى أنفسنا من الهم به فصلى بأصحابه صلاة العصر صلاة الخوف، فوقع ذلك منا موقعا وقلت الرجل ممنوع فاعتزلنا، وعدل عن سنن خيلنا وأخذ ذات اليمين، فلما صالح قريشاً بالحديبية ودافعته قريش بالرواح قلت فى نفسى أى شىء بقى؟ أين أذهب إلى النجاشى! فقد اتبع محمد وأصحابه عنده آمنون، فأخرج إلى هرقل فأخرج من دينى إلى نصرانية أو يهودية، فأقيم فى عجم، فأقيم فى دارى بمن بقى فإنا فى ذلك إذ دخل رسول الله ـ ﷺ ـ مكة فى عمرة القضية فتغيبت ولم أشهد دخوله، وكان أخى الوليد بن الوليد قد دخل مع النبى ـ ﷺ ـ فى عمرة القضية، فطلبنى فلم يجدنى فكتب إلىّ كتاباً فإذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد؛ فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك! ومثل الإسلام جهلهُ أحد؟ وقد سألنى رسول الله ـ ﷺ ـ عنك وقال أين خالد؟ فقلت: يأتى الله به، فقال مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وجدهُ مع المسلمين كان خيراً له، ولقدمناه على غيره» فاستدرك يا أخى ما قد فاتك [من] مواطن صالحة.

قال فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الإسلام وسرنى سؤال رسول الله ـ ﷺ ـ عنى، وأرى فى النوم كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة فخرجت فى بلاد خضراء واسعة، فقلت إن هذه لرؤيا، فلما أن قدمت المدينة قلت لأذكرنها لأبى بكر، فقال: مخرجك الذى هداك الله للإسلام، والضيق الذى كنت فيه من الشرك، قال: فلما أجمعت الخروج إلى رسول الله ١ـ ﷺ ـ قلت: من أصاحب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فلقيت صفوان بن أمية، فقلت: يا أبا وهب أما ترى ما نحن فيه إنما نحن كأضراس وقد ظهر محمد على العرب والعجم، فلو قدمنا على محمد واتبعناه فإن شرف محمد لنا شرف؟ فأبى أشد الإباء، فقال: لو

---

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية ٦٦، ٨٦.

(٦) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة.

لم يبق غيري ما اتبعته أبداً، فافترقنا وقلت: هذا رجل قتل أخوه وأبوه ببدر، فلقيت عكرمة بن أبي جهل، فقلت له مثل ما قلت لصفوان بن أمية، فقال لي مثل ما قال صفوان بن أمية، قلت فاكتم علي، قال لا أذكره، فخرجت إلى منزلي فأمرت براحلتي فخرجت بها إلى أن لقيت عثمان بن طلحة، فقلت: إن هذا لي صديق فلو ذكرت له ما أرجو، ثم ذكرت من قتل من آبائه فكرهت أن أذكره، ثم قلت: وما علي وأنا راحل من ساعتي فذكرت له ما صار الأمر إليه، فقلت: إنما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج، وقلت له نحوا مما قلت لصاحبي فأسرع الإجابة، وقلت له: إني غدوت اليوم وأنا أريد أن أغدو وهذه راحلتي بفج مناخة، قال: فاتعدت أنا وهو بيأجج إن سبقني أقام وإن سبقته أقمت عليه، قال: فأدلجنا سحراً فلم يطلع الفجر حتى التقينا بيأجج[7]، فغدونا حتى انتهينا إلى الهدة فنجد عمرو بن العاص بها، قال مرحباً بالقوم فقلنا وبك، فقال: إلى أين مسيركم؟ فقلنا وما أخرجك؟ فقال: وما أخرجكم؟ قلنا الدخول في الإسلام واتباع محمد ـ ﷺ ـ قال: وذاك الذي أقدمني، فاصطحبنا جميعاً حتى دخلنا المدينة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فأخبر بنا رسول الله ـ ﷺ ـ فسر بنا، فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت إلى رسول الله ﷺ فلقيني أخي، فقال أسرع فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قد أخبر بك فسر بقدومك وهو ينتظركم، فأسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال يتبسم إلي حتى وقفت عليه، فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق، فقلت: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «تعال»، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير» قلت: يا رسول الله إني قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك معانداً للحق فادع الله أن يغفرها لي، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «الإسلام يجب ما كان قبله»، قلت: يا رسول الله على ذلك، قال: «اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيل الله» قال خالد: وتقدم عثمان وعمرو فبايعا رسول الله ـ ﷺ ـ قال: وكان قدومنا في صفر سنة ثمان، قال: والله ما كان رسول الله ـ ﷺ ـ يعدل بي أحداً من أصحابه فيما حزبه[8].

تسميته بسيف الله المسلول:

بعث رسول الله ـ ﷺ ـ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان واستعمل عليهم زيد ابن حارثة، وقال: «إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس» فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج وهم ثلاثة آلاف.

وتقابل الجمعان فقُتِلَ زيد فتسلم الراية جعفر فقتل، ثم تسلمها عبدالله بن رواحة فقتل، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء وفي نفس الوقت وفي المدينة المنورة صعد رسول الله ـ ﷺ ـ المنبر فأمر فنودي: الصلاة جامعة فاجتمع الناس لرسول الله ـ ﷺ ـ وكشف له الله ـ تعالى ـ ما بينه وبين الشام فقال: أخبركم عن جيشكم هذا، إنهم انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيداً شهد له بالشهادة واستغفر له، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً، شهد له بالشهادة واستغفر له، ثم أخذ

---

(٧) موضع بالحجاز بين مكة والمدينة.

(٨) البداية والنهاية (٤/٢٣٨ : ٢٤٠).

اللواء عبدالله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل شهيدا، فاستغفر له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء هو أمر نفسه، ثم قال رسول الله ـ ﷺ : «اللهم إنه سيف من سيوفك أنت تنصره»(٩).

أما خالد بن الوليد فإنه لما أصبح غدا وقد جعل مقدمته ساقته وساقته مقدمته وميمنته ميسرته، فأنكر الروم ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا، وانكشفوا منهزمين فقتلوا مقتلة لم يقتلها القوم(١٠).

قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم»(١١).

وقال خالد بن الوليد عن هذا اليوم: «لقد دق في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»(١٢).

وفي حديث صحيح نقله ابن كثير عن البخاري قال رسول الله ـ ﷺ : «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله على يديه» مؤكدا بذلك ـ أي ابن كثير ـ على أن مؤتة كانت نصراً مؤزرا، وإنما كان هناك فرار فروا أثناء القتال فلما وصلوا المدينة قيل لهم: يا فرار فررتم عن سبيل الله، فقال لهم رسول الله ـ ﷺ ـ «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله ـ عز وجل ـ».

وبعث رسول الله ـ ﷺ ـ خالد إلى بني جذيمة بن عامر يعرض عليهم الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، وإنما قالوا: «صبأنا. صبأنا» ذلك أن قريشا كانت تلقب رسول الله ـ ﷺ ـ وأصحابه بالصابئين، فأعمل خالد فيهم السيف، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ـ ﷺ ـ رفع يديه إلى السماء، ثم قال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد»، وبعث رسول الله ـ ﷺ ـ يعلى بن أبي طالب إلى بني جذيمة(١٣) ليودي القتلى. ولنا إزاء هذه القصة تعليق، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول في محكم تنزيله:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾(١٤).

وقد قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «نعم عبدالله وأخو العشيرة خالد بن الوليد وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين»(١٥) وحاشا أن يخطئ لله سيف، ولعل الله ـ تعالى ـ يكون قد أراد بهذا أن يجنب المسلمين جبهة ردة جديدة أما غضب رسول الله ـ ﷺ ـ فإنه نابع ولا شك من إحساسه بخطورة صنيع خالد والعرب لازالوا حديثي عهد بإسلام.

ولخمس بقين من رمضان من عام الفتح بعث رسول الله ـ ﷺ ـ خالد بن الوليد إلى العزى ليهدمها، وكانت بيتاً بنخلة يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان من بني سليم حلفاء بني هاشم؛ فلما سمع حاجبها السلمي بمسير خالد بن الوليد إليها علق سيفه عليها ثم فر إلى الجبل، أما خالد فقد انتهى إلى العزى وهدمها، ثم رجع إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ولكنه أمره بالرجوع ثانية فلما رجع خرجت إليه امرأة سوداء ناشرة شعرها تولول فعلاها بالسيف، ثم رجع فأخبر رسول الله ـ ﷺ ـ فقال: «تلك العزى ولا تعبد أبدا»(١٦).

---

(٩) المصدر السابق (٤/ ٢٤٦) (١٠) البداية والنهاية (٤/٢٤٧) (١١) نفس المصدر السابق

(١٢) المصدر السابق (٤/٢٤٦) (١٣) البداية والنهاية (٤/٣١٣، ٣١٤) (١٤) النجم/ ٣، ٤.

(١٥) رواه أحمد في الفضائل برقم (١٨٤٠) (٢/٨١٦)

إسرائيل من الداخل

أيها القارئ الكريم، تحت هذا العنوان وبإذن الله - تعالى - سوف تقدم لك «مجلة الأزهر» فى غرة كل شهر عربى موضوعاً عن إسرائيل فى محاولة لإلقاء الضوء على هذه الجماعة وسبر الغور للعقلية الصهيونية المعاصرة، وأنها ليست إلا نتاج تراكمات مضى عليها أجيال عديدة حتى تمخضت عنها هذه النوعية الموجودة الآن، وسوف نتجول بين لغتهم وأدبهم وفرقهم الدينية والعنصرية وصورة العربى فى أدبهم، وكذلك الدين الإسلامى الحنيف كما سنتعرض لمكائدهم عبر التاريخ.

اللغة العبرية

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق

هى إحدى اللغات السامية، نسبة إلى سام بن نوح، عليه السلام، وتكتب العبرية وتقرأ من اليمين إلى اليسار كاللغة العربية، والحروف تكتب منفصلة عن بعضها، كما تنتفى ظاهرة الإعراب فى أواخر الكلمات.

وترتيب الحروف الأبجدية العبرية هو: أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت، وعددها إثنان وعشرون حرفا، وهناك خمسة حروف يتغير شكلها إذا وقعت فى نهاية الكلمة وتجمعها كلمة (صنفكم).

واللغة العبرية خالية من الأرقام، وهو قصور فى اللغة، ويستعيضون عن ذلك باستخدام الحروف الأبجدية كأعداد فمن حرف الألف حتى الطاء ترمز إلى الآحاد، ومن حرف الياء حتى الضاد ترمز إلى العشرات، ومن حرف القاف حتى التاء ترمز إلى المئات حتى العدد ٤٠٠، ويضم الآحاد إلى العشرات وهكذا.

ويمكن تكرار حرف التاء حتى يصبح ٨٠٠، كما يرمز إلى الآلاف باستخدام الأعداد الآحادية مع وضع نقطتين فوق الحرف وهكذا.

وتحرك الحروف العبرية بحركات كما فى اللغة العربية تتحرك بالفتحة والكسرة والضمة، ولها أشكال خاصة بها.

وأداة التعريف فى اللغة العبرية هى حرف الهاء ويسمى هاء التعريف.

المتحدثون بها:

وكان يتحدث بها الكنعانيون، ثم اتخذها العبرانيون لغة لهم، كما أن تسمية هذه اللغة بالعبرية جاء فى وقت متأخر فقد كان يشار إليها باصطلاح «يهوديت»[1] والنبى أشعيا يطلق فى «العهد القديم» على اللغة العبرية اسم «لغة كنعان»[2] وعمر العبرية قصير للغاية، ولم يظهر استقلالها اللغوى إلا فى القرن ١٤ق.م[3] وأول النصوص المعروفة بهذه اللغة يرجع تاريخه إلى عام ١٢٠٠ق.م وظل العبرانيون يتحدثون بها حتى السبى البابلى ٥٨٦ق.م ثم أخذت الآرامية تحل محلها كلغة لليهود.

(١) ملوك ثانى ١٨/٢٦.　(٢) أشعيا ١٩/١٨.

(٣) دكتور عبدالوهاب المسيرى: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام ١٩٧٤ ص٢٦٦.

ثم ماتت اللغة تماما في القرن الثاني ق.م واقتصر استخدامها على الصلوات اليهودية. وهكذا لم تكن العبرية لغة اليهود إلا فترة وجيزة وبموتها أطلقوا عليها اسم « اللغة المقدسة ».

وهذا يتفق مع الوجدان اليهودي الذي يضفي القداسة على كل زعم يدعم وجودهم فاللغة مقدسة، والأرض مقدسة، والشعب مقدس.

والعصر الذهبي للغة العبرية. كان بالأندلس، حيث احتك اليهود بالعلماء والمفكرين وأساطين الشعر والأدب، فأخذوا عنهم، وقوموا لغتهم، حيث إن اللغة العربية هي أرقى اللغات السامية، حتى إنهم استخدموها في مؤلفاتهم الفلسفية والدينية، وكان يهود الأندلس يتحدثون بلهجة تسمى « العربية اليهودية ».

وقد أعيد بعث اللغة العبرية في العصر الحديث على يد مفكري « حركة الاستنارة اليهودية » وظهرت أول جريدة عبرية سنة ١٨٥٦.

وقد تبنت الصهيونية فكرة بعث اللغة العبرية مع العلم بأن « هرتسل » مؤسس الصهيونية كان لا يتحدث ولا يجيد إلا الألمانية.

والاختصارات في اللغة العبرية كثيرة جداً، ويعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد واستمر استخدامها في العصور الوسطى حتى العصر الحديث.

وفضل اللغة العربية على اللغة العبرية لا ينكره اليهود أنفسهم، فعبرية يهود الشرق « أي » يهود البلاد العربية الإسلامية تختلف عن عبرية يهود الغرب « الاشكناز » والذين يشكلون حوالي ٨٩٪ من يهود العالم، وهذا يعود إلى أن يهود البلاد العربية كانوا منذ أيام الأندلس لا يتحدثون إلا بالعربية، وكان لاحتكاك العرب باليهود أثره العميق على لغتهم وجدير بالذكر أن « سليمان بن جابيرول » وهو شاعر وفيلسوف أندلسي يهودي. تأثر شعره بالصوفية الإسلامية، وبالتراث العربي وقد كتب أعماله باللغة العربية (كعادة المفكرين العرب اليهود) ثم ترجمت أعماله بعد ذلك إلى العبرية (ولد عام ١٠٢١ وتوفي عام ١٠٥٦).

وبالرغم من أن دولة الكيان الصهيوني قد قامت على أكتاف يهود الغرب « الأشكناز » وهم أساساً يهود روسيا وبولندا وكانوا يتحدثون اليديشية[٤].

ويشكل الاشكناز حوالي ٨٥٪ من عدد يهود العالم - وكان الأطفال يدرسون بعض العبرية. وعندما حضروا إلى فلسطين كانت لغتهم مشوشة.

فاضطر القائمون على رأس هذا الكيان الصهيوني إلى الاعتراف بأن تكون لغة الدولة هي اللغة العبرية السفاردية، التي حضر بها إلى فلسطين يهود المشرق العربي، كلغة لها قواعد وأصول للكتابة لأنها أخذت الكثير من اللغة العربية.

وهذه الأفضلية لم يستطع إنكارها حتى ألد أعدائنا وحتى الآن فإن اللغة السفارادية العبرية. هي لغة الدراسة، والكتابة واللغة الرسمية لطلاب المدارس والجامعات.

---

(٤) لهجة ألمانية (جنوبية) يستخدمها يهود شرق أوروبا (حوالي ٨٥٪ من مفرداتها ألمانية والباقي عبري وكلمات سلافية.

إشكالية الهوية الثقافية فى مجتمعاتنا النامية

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد*

لقد أدركت القوى الاستعمارية المتنافسة حول اقتسام مناطق النفوذ والسيطرة على المواقع الاستراتيجية، اقتصاديا وعسكريا أن العتاد العسكرى مهما بلغ من الدقة والتحديث والتطوير لا يحل المشكلات المعلقة، ولا يحقق إخضاع الشعوب المغلوبة واستغلال خاماتها ومواردها. لذا أصبح أمرا مؤكدا أن يتحول الصراع والتنافس إلى ساحات أخرى غير الساحات العسكرية وبأسلحة تقل فى التكلفة عن القنابل النووية والصواريخ. ولم يعد الأمر يحتاج إلى برهان مدعوم على أن الانتصار الحقيقى إنما يتقرر فى ساحات الصراع الثقافى، وأن السلاح الأكثر فاعلية هو سلاح الأفكار والثقافات، وأن الأمة التى تفرغ من عالم أفكارها ومن منابع ثقافتها تصبح مهيأة للاختراق الثقافى.

وقد بدا الصراع بين الغزو الثقافى والمجتمع العربى الإسلامى واضحا منذ عهد محمد على والحملة الفرنسية على مصر، ثم فى عهد إيفاد البعثات إلى أوروبا، وانتشار التعليم بأسلوب أوروبى، ومن ثم حفلت الأوساط الثقافية عندنا بصراع فكرى كبير دار حول قضية جوهرية واحدة تعددت فيها الزوايا، حيث برزت من خلال أفكار فرعية، منها: «الأصالة والمعاصرة»، و«التغريب والتعريب»، و«التراث والحداثة»، و«العلمانية والأصولية» إلى آخر هذه المصطلحات والشعارات التى تعتبر جزئيات فى منظومة الغزو الثقافى. وكم كان اهتمام الغرب كبيراً بإيفاد البعثات إلى أوروبا كقناة مرحلية يعتمد عليها -منذ زمن بعيد- فى تصدير إعصاره الثقافى إلى عالمنا العربى بغية تشويه الحياة الإسلامية، وتمييع العقل المسلم وتقليص دوره تمهيداً للقضاء عليه.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(1).

ولعل فى اعتراف الوجودى الفرنسى «جان بول سارتر» تحليلاً أوسع لهذه الحقيقة، إذ يشير فى مقدمة صدر بها كتاب المفكر الأفريقى «فرانس فانون»: (المعذبون فى الأرض) إلى أسلوب صناعة

(*) الكاتب: مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة

(1) الصف/8

المفكر الشرقي في الغرب ومجال استخدامه، فيقول[٢]: «كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من أفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في «أمستردام» و«لندن» و«النرويج» و«بلجيكا» و«باريس» فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة، ويتعلمون طرقاً جديدة في الرواح والغدو، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا.

وكنا ندبر لبعضهم أحياناً زيجات أوروبية ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا ثم نرسلهم إلى بلادهم وأي بلاد؟، بلاد كانت أبوابها مغلقة دائماً في وجوهنا، ولم نكن نجد منفذاً إليها، كنا بالنسبة إليها رجساً ونجساً، لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلى بلادهم، كنا نصيح في أمستردام أو برلين أو باريس: «الإخاء البشري» فيرتد إلينا رجع أصواتنا من أقاصي أفريقيا أو الشرق الأوسط أو شمالي أفريقيا.. كنا نقول: «ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة، وكانوا يرددون.. هذه أصواتنا من أفواههم، وحين نصمت يصمتون، إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لا يملكون كلمة واحدة يقولونها غير ما وضعنا في أفواههم.

شـــهادة من أهلهـــا

فهذه شهادة من أهلها عن كيفية صناعة المبعوثين العرب في أوروبا منذ بداية البعثات العلمية في عصر التنوير كقناة مرحلية فعالة في تغريب العقل العربي والإسلامي.

وليس من شك في أن هذه الصناعة لم تؤت كل ثمارها، إذ ليس كل المبعوثين العرب إلى أوروبا قد عادوا مستغربين، فإن الكثير منهم كان يملك تلك الحصانة القوية الذاتية التي جعلته ينفتح على العالم الغربي ويتفاعل مع ثقافته دون أن يذوب فيها أو يفقد شيئاً من أصالته، والأسماء كثيرة لا يسعنا رصدها ولا التفاضل بينها.

فماذا عن أساليبهم في التغريب والغزو الثقافي بعدما تطورت وسائل الاتصال وأجهزة الإعلام ومراكز المعلومات في السنوات التي أعقبت عهد التنوير وإيفاد البعثات إلى أوروبا، وانتشار التعليم وتحديثه وسقوط المعسكر الاشتراكي الأوروبي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالساحة الدولية وبروز الفجوة بين الشمال والجنوب، وما صاحبها من مظاهر الصراع والتحدي في ظل آثار الثورة العلمية والتكنولوجية؟

كل هذه التداعيات الدولية والإقليمية كما يرى خبراء الإعلام والاتصال قد أسفرت عن بدء ظهور خريطة جديدة للصراع الإقليمي والعالمي، كما تمخضت عن حدوث تغييرات جوهرية في أنماط الاتصال ومصادره وقنواته واستخداماته كأداة للهيمنة المحلية والدولية، وكسلاح حاسم في الحروب والصراعات الإقليمية[٣].

ومن هنا لم تعد هناك حاجة لأخذ العربي المسلم إلى «لندن وباريس وأمستردام» من أجل التحكم في عقله وعواطفه، إذ أن وسائل إعلامهم- بشتى صورها- تغرق الآن مجتمعاتنا العربية والإسلامية عبر الأقمار الصناعية، بل

(٢) مجلة الأمة -العدد الخمسين- شبابنا في وجه الإعصار -ص٢١.

(٣) د. عواطف عبدالرحمن: قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي - ط١ - دار الفكر العربي- (١٩٧٧) ص٢٣.

وتقتحم عليهم بيوتهم لتسهم بدورها في تشكيلهم وانحراف قيمهم وتوجيه أذواقهم وأنماط سلوكهم بما يتفق مع قيمهم ومعاييرهم.

وفي ظل الصراع الثقافي والتحديات الحضارية تبرز الأدوار الجديدة للإعلام والاتصال المعاصر، حيث لم تعد تكنولوجيا الاتصال تشغل موقعاً مركزياً فحسب في شبكة الإنتاج الصناعي؛ بل بدأت تشغل موقع القلب في استراتيجية إعادة تشكيل منظومة العلاقات الدولية على المستوى السياسي بين الحكومات وذلك بالترويج لما يسمى بالشرعية الدولية ومعاييرها المزدوجة، وعلى المستوى الثقافي بين الثقافات المختلفة بإعلاء شأن الثقافة الغربية الصناعية وتهميش ثقافات الجنوب[4].

ولعل هذا ما جعل البعض ينظر إلى الإعلام على أنه لم يعد يمثل السلطة الرابعة أو الخامسة كما تشير الأدبيات الإعلامية بل أصبح يشغل موقعاً مركزياً في الاستراتيجيات والسياسات التي تستهدف إعادة بناء المجتمعات المعاصرة سواء في الشمال أو الجنوب على حد سواء[5].

لكن على أية حال ستظل قضية التدفق الثقافي من الشمال إلى الجنوب ذات إنعكاسات قوية على الصحافة والإعلام، بل وستظل من أقوى اتجاهات القرن الحالي في ظل تيار «العولمة» المتنامي، وهنا تكمن أهمية المشكلة.

وهنا تظهر أهمية الاعتماد على الذات في مواجهة العولمة.

في ظل تزاوج ثورتي الاتصال والمعلومات، وعلى الرغم من توفر المقومات الأساسية التي تجعل من عالمنا العربي قوة متحدة في السياسة والاقتصاد والثقافة، كوحدة الأرض، والدين، واللغة، والتراث الحضاري، والثقافي، إلا أن عدة عوامل حالت –حتى الآن– دون تحقيق الوحدة بين هذه الدول، ولعل من أهمها:[6]

(١) طبيعة الزعامات السياسية التي حكمت العالم العربي منذ إنهاء الحقبة العثمانية، واستمرارية الكثير منها في ظل السيطرة الأوروبية حتى مرحلة ما بعد الاستقلال، مما ترتب عليها سقوط الثقافة في دائرة العمل السياسي الموالي للخارج الاستعماري.

(٢) عملية الاختراق الثقافي للوطن العربي، والتي اختلفت أشكالها باختلاف المراحل التاريخية وطبقاً لحاجة الاستعمار الثقافي الجديد، مما ترتب عليها خلق نخبة من المثقفين العرب رأوا أنه لا بديل أمامهم لنهوض مجتمعاتهم إلا باقتباس الثقافة الأوروبية وتعلم لغاتها والانبهار بتراثها العقلاني الليبرالي، والنقل الحرفي لمؤسساتها الإدارية والمالية والسياسية والتربوية.

ومما لا شك فيه أنه قد أسفر عن هذه المقدمات نتيجة مهمة، هي ظهور أنماط جديدة للثقافة العربية التابعة لثقافة المستعمر الأوروبي ولغته على حساب لغتنا العربية وتراثنا الثقافي والإسلامي.

---

(٤) مجلة الدراسات الإعلامية - العدد ٨٨- عواطف عبدالرحمن: الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والاختراق الثقافي- ص٩.

(٥) المرجع السابق.

(٦) مجلة الدراسات الإعلامية - العدد ٩٩ - يونيه (٢٠٠٠) بحث عن «التغطية الإخبارية في الصحافة العربية بين الاستقلال والتبعية» ص١٢.

ولقد استفادت الولايات المتحدة من قاعدة التبعية الإعلامية والثقافية لأوروبا، وأضافت إليها التكنولوجيا المتقدمة في الإتصال والمعلومات، تلك التكنولوجيا التي تستخدمها في الترويج لمصالحها الاقتصادية والثقافية والعسكرية، كما استفادت الشركات العملاقة متعددة الجنسيات بهذه البنية التابعة واستخدمتها في الترويج لأيديولوجية السوق ولمنظومة القيم الخاصة بالعولمة داخل مجتمعاتنا العربية والإسلامية. ولعل ما ساعد على ذلك الاختراق والتوظيف المنظم انتشار الفضائيات وتعاظم شبكات المعلومات، ومن ثم تبرز ضرورة بناء قاعدة عربية وإسلامية للعلم والتكنولوجيا تكون قادرة على استيعاب ثورتي الاتصال والمعلومات من جهة، وتوظيفهما في مواجهة تداعيات العولمة والغزو والهيمنة الغربية من جهة أخرى.

وفيما يلي نعالج إشكالية الهوية الثقافية في المجتمعات النامية، وعلاقتها بمفردات الغزو والتبعية الثقافية من خلال عدة نقاط رئيسية:

(١) الغزو الثقافي والتبعية في العالم الثالث.

(٢) الغزو والاتصال الحضاري.

(٣) وسائل الغزو الثقافي وأساليبه.

(٤) أهداف الغزو الثقافي في العالم الثالث.

(٥) واقع الغزو الثقافي وعوامل انتشاره.

(٦) العناصر الاتصالية للغزو الثقافي.

أولاً: الغزو الثقافي والتبعية في العالم الثالث

تُعد قضية البث الوافد وما يمثله من غزو ثقافي لدول العالم الثالث إحدى ثلاث قضايا اتفق الباحثون على كونها أهم قضايا الإعلام الدولي في مرحلته الراهنة[٧] خاصة بعد ظهور الأقمار الصناعية واستخدامها من قبل الدول الغربية، بصفة عامة، والولايات المتحدة بصفة خاصة، لبث برامجها وموادها التليفزيونية إلى شعوب دول العالم النامي، في عصر أصبح يسمى بعصر السماوات المفتوحة[٨] open skies الأمر الذي يشكل تهديداً لسيادة هذه الدول النامية، ومساساً بأمنها الثقافي والإعلامي.

فمع الأقمار الصناعية تلاشت المسافات والحدود والجمارك وأصبحت المجتمعات -لا سيما النامية- تتعرض لتيار ثقافي جديد يتم إعداده غالبا في الولايات المتحدة بحكم سيطرتها على التكنولوجيا الحديثة التي مكنتها من الاتصال بالشعوب الأخرى بدلاً من التعامل مع حكوماتها[٩].

ويرتبط الغزو الثقافي بقضية من أخطر القضايا التي تواجه عالمنا الثالث في الوقت الحاضر، لا سيما في ظل ثورة العولمة الثقافة وثورة الاتصالات التي أوشكت أن تسقط الحواجز بين الأمم والشعوب، ألا وهي قضية التبعية approach الثقافية، وهي قضية ترتبط بأساليب ووسائل الاستعمار الإعلامي واحتكاراته وهيمنته التكنولوجية وتوجهاته الثقافية في العالم الثالث،

---

(٧) سعيد محمد السيد: دراسة نقدية لنماذج التدفق الدولي للأنباء - كلية الإعلام- ص٢.

(٨) أعمال ندوة الاختراق الإعلامي (نوفمبر ١٩٩٦) - المنظمة العربية للثقافة -ص٣.

(٩) انشراح الشال: بث وافد على شاشات التليفزيون - دار الفكر العربي - ص١٣.

ومن ثم يجب أن تنصب جهود الباحثين على فهم الواقع الثقافي لوسائل الإعلام الوطنية وغير الوطنية في محاولة لرصد تأثيرها.

وما من أحد ينكر أن دراسة البُعد الثقافي لوسائل الإعلام هو من أصعب المجالات ولكن هناك اتفاقاً حول الأسئلة الأساسية التي يجب طرحها ولكنه ليس هذا اتفاقاً حول الأساليب أو المعايير التي يجب أن تستخدم في الحكم أو التقييم فلم تبذل في السنوات الأخيرة جهوداً لفهم قضية الثقافة في إطار نظرية التبعية[١٠].

وهكذا تصبح الحاجة ملحة إلى دراسة الجوانب السلبية للتبعية الثقافية لمعرفة آثارها على الثقافة الوطنية للمجتمعات التابعة ورصد مظاهرها في وسائل إعلامها، فالغرب لم يزل يجهد نفسه بشتى الوسائل المرئية والمسموعة والمطبوعة في محاولات مستميتة لطمس هوية العالم الثالث وصياغة عقول أبنائه في قوالب غربية من أجل حماية مصالح القوى الأكثر سيطرة على الساحة العالمية مدعومة ومعززة بمصالح النخب السياسية والاقتصادية والمحلية[١١].

فالثقافة العربية تخوض في المرحلة الراهنة معركة بالغة الحدة ومتعددة الجبهات تهدد وجودها بالذات كثقافة حضارية لشعوب مارست في الماضي إبداعاً حضارياً مرموقاً وأسهمت في إثراء الحلقة الوسيطة بين الحضارات القديمة والحضارة الأوروبية الأمريكية الحديثة، ومما يضاعف من خطورة المرحلة الراهنة وجود شبكة قوية من المصالح المشتركة بين النخب العربية السياسية والاقتصادية التي تلتقي مع ركائز الغزو الأجنبي وتسهل له إمكانية التغلغل والرسوخ على أرضية العداء للجماهير العربية وثقافتها.

والواقع أن الغزو أو الاختراق الثقافي ما كان له أن يحقق أهدافه مالم تشارك في التنفيذ معظم مراكز السلطة والزعامات والقوى العربية المحلية[١٢].

وفي دراسة علمية جادة عن قضايا التبعية الإعلامية والثقافية استطاعت الدكتورة عواطف عبدالرحمن أن ترصد مظاهر وآليات التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث على هذا النحو:

(المظاهـــر)	(الآليـــات)
أ) التبعية التكنولوجية	أ) وكالات الأنباء العالمية.
ب) التبعية الثقافية	ب) الشركات متعددة الجنسيات.
جـ) تبعية التدفق الإعلامي ذي الجنب الواحد	جـ) الإعلانات.
د) تبعية بحوث الإعلام	

وهي مظاهر وآليات خطيرة، تحتاج إلى دراسات تحليلية ضافية، ولا تزال موضع تجاهل وإهمال الباحثين العرب، مما يضاعف من أخطار مردودها في مجتمعاتنا النامية خلال السنوات القليلة القادمة.

(يتبـــع)

(١٠) جيهان أحمد رشتي: الإعلام الدولي - دار الفكر العربي (١٩٨٦) ص٣٤.
(١١) عواطف عبدالرحمن: مجلة الدراسات الإعلامية -العدد ٨٨- دراسة عن الإعلام العربي بين غياب الديمقراطية والاختراق الثقافي- ص٣٠.
(١٢) المرجع السابق- صفحات ٣٠- ٣١.

خميلة الشعر

للأستاذ / محمد عبد الوهاب

الشيخ عبد المعز عبد الحميد الجزار في رحاب الله

مـــاذا يطوقك، بعـد الخطب يا قلم
مـــاذا تسطر.. والأشجـــان تحتـدم

بين الأنامل كم قـد صـرت ملتهـبا
فـيض المشاعر، في أعمــاقنا، ضـرم

وكـيف لا؟ وبلمح الطرف فـارقنا
إلى جــــوار إلهي.. ذلك العلم

وكــان في العلم والعرفــان عدتنا
وكــان فـوق جبين النيل.. يرتسم

***

(عـبدالمعز) سيبقى في جوانحنا
كـعــقـد در -من الأخلاق- ينتظم

قـــاد الســـفـــيـنة ربانا لمبـــرتنا

حـــتى تـــســـامى به، والموج يلتطم

(خـــمـيلة الشـــعـــر): آهات، بلابلهـــا

غـــدت تودع طودا.. ضـــمـــه الرجم

يا رحـــمـــة الله حـــفـــيـــه بما رحـبت

به العناية، والغـــفـــران، والكرم

***

وبعد، فإننا نقدم فى هذا العدد بعض النماذج الشعرية المتميزة، فى (أدب الحج)، الذى أظلنا موسمه المبارك، وهى من نتاج شعراء ينتمون لندوة (شعراء العروبة) بالقاهرة، التى أشرف بعضويتى بها.

ونستهلها بقصيدة بعنوان: (خواطر فى رحاب النور) لفضيلة الشيخ: عبدالغفار عقيفى الدلاش، وبعدها نقدم قصيدتين للشاعر أحمد مصطفى حافظ، الأولى بعنوان: (فى موكب الحجيج) والثانية بعنوان: (إلى المدينة المنورة) وهى قصيدة مترجمة، وقد ترجمها شعرا عن الشاعر العالمى البنغالى: (نذر الإسلام)

وإلى اللقاء فى العدد القادم، بإذن الله -تعالى- مع بعض قصائد التراث الشعرى الجياد، والجديد من ثمرات قرائح الشعراء المعاصرين. وبالله التوفيق.

***

خواطر في رحاب النور

لفضيلة الشيخ/ عبد الغفار عفيفي الدرش

على مهد الرسالة حط ركبي — وراح إلى رحاب البيت قلبي
ودق بأضلعي طربا وفرحا — وأنا غامرا فيمن يلبي
جموع في رحاب البيت تسعى — تهرول حوله من كل صوب
وأنهار الدموع من المآقي — حياة قلوبها من فرط حب

***

تظللني السكينة في حماها — وطوبى للذي يحظى بشرب
أليست (زمزم) فيها دواء — وحسبي أنني.. في بيت ربي
دعاء الناس فيه مستجاب — كفاني من رضا الوهاب.. قربي
فيوض مفرج الكربات تترى — ومن غير الإله.. يزيل كربي

***

رحاب البيت آيات وفيض — تفيض برحمة من غيث غيب
تهون مشقة الأسفار فيها — ولا يبقى بها أثر لصعب
أمان الروح موفور علينا — وبرد يقينها يغري ويسبي
صفاء لا يعادله صفاء — تجرد خالصا من زيف عجب

***

حشود الناس والأجناس هامت — بنجوى الحب.. من عجم وعرب
وفوق مدينة المختار (طه) — فيوض الغيث من هطال سحب
توسع (خادم الحرمين) فيها — على درب الهدى، في خير درب
وصارت روضة (الهادي) منارا — لمن يبغي الحمى من أي شعب

***

في موكب الحجيج

للشاعر - أحمد مصطفى حافظ :

من كل فج عـمـيـق .. مـاج بالنغم | يأتى الحجيج، بحشد .. سال كالديم
لبـوا نداء إله لا شـريك لـه | في الملك .. من أبدع الأكوان من عـدم
وفى إزارينا الإحـرام قـد نبذوا | سراب دنيـا .. تدس السم في الدسم

***

تجرى السفين بهم والقلب يغبطهم | وقـد تعاظم وجـد .. جـد مضطرم
والطائرات بأسراب قـد انطلقت | تئز في أفـقـهـا، من توقـهـا العرم
والدمع فـاض من الآماق تحسبه | نهـرا .. يطهر أرواحـا من السقم
يستبطئون بساط الريح .. مركبة | تقل - قبل ارتداد الطرف - للحرم!
وخـيـر زاد لهم: تقـوى الإله وهم | يرنون للكعبة الغـراء من أمم[1]
ثم الطواف بهـا سبعا، ليعقبه | سعى بوادى (الصفا) يشفى من الغمم
وفى (منى) حصيات .. يرجمون بها | رمـزا لإبليس أس الشر والنقم
وفى رُبى (عرفات) .. الكل قد خشعوا | في مشهد، بجلال الله، متسم

***

يا شعر حسبك، كنت العمر لى سندا | فمر بحورك تزجى أنفس الكلم
إذا وقـفت بأعتاب الرسول وبى | جوى تأجج في الأضلاع كالضرم

***

(١) من أمم: من قرب

إلى المدينة المنورة

للشاعر العالمي: نذر الإسلام، شاعر البنغال

ترجمها شعراً: أحمد مصطفى حافظ

أيهـــا الملاح.. في عـــزم وجـــد
أعـمل المجـداف، واغنم مـا تشـاء
نحـــو أرض، من رفـــيع القـــدر، قـد
حـــازت الذروة.. في أسنى رواء
فـــيها يثـــرب، فـــيها من نـور
نورها ـ من نور (طه) ـ مـــســتـمـد

***

أيهـــا الملاح قلبي قـــد هـفـا
لبـقـاع، كل مـا فـيـهـا، صـفـا
فـارحم القلب جـنـا مـسـتعطفا
يتشد القـرب بهـا.. مـسـتـشرفا
.. وإذا مـا صـرت فـيـهـا، فـاتئـد
ذبت وجـدا.. بعـد أن طال الأمـد

***

فـإذا مـا سـألتني مـسـتـغـربا:
كـيـف تجـرى، في الفـيـافي، مـركـبـا
لا بحـــار بين هـاتـيـك الربى
لا نهـــر بيننا.. كي نقـربا
.. سـتـرى الدمع بجـفـني يتـقـد
هاطلا.. كـالـسـيل يعلوه الزبد

***

وترى نهـــرا من الدمع تـــرى
يملأ الرحب.. إلى (أم القـــرى)
ثم تمضي فـــيه.. صـــوب المصطفى
تمطر الـتـرب بلثم.. والثـــرى
.. أيهـــا الملا تـرقى لا تحـد
إنمـا نرجـو تهـيـأ.. فـاسـتـعد!

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

نحو إعلام إسلامي رشيد
الصحف والمجلات

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

أخي القارىء

حتى تواصل المجلة دورها الإيجابي البناء تجاه عقيدتنا وأمتنا والإنسانية جمعاء، كان ولا بد من إعادة ما كتبه الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي منذ عشرين عاما تحت عنوان: «إعلام إسلامي رشيد، الصحف والمجلات»، وذلك في شهر صفر ١٤٠١هـ - يناير ١٩٨١م السنة الثالثة والخمسون، ونضيف إلى هذا المقال ما كتبه الأستاذ الدكتور في مقدمة افتتاحية المجلة لهذا العدد قوله: «حين أسند إليّ القيام على تحرير هذه المجلة رأيت أن أستضىء بآراء أساتذتها الكبار ممن تولوا رياسة تحريرها في عقود متتابعة، وهم من أعلام العصر الذين تركوا أنصع الصفحات في تاريخ الثقافة الإسلامية، كما أردت من ناحية ثانية أن يلتفت كتاب اليوم إلى هذه الآراء فلا أفاجأ بمن يرى أن المقالة الدينية خطبة منبرية فيرسل إلى المجلة ما تضيق عن نشره، أو يكتب مقالاً لا جديد به، من المطروقات المتعارفة!!

وهو بهذا يضيف إلى ما كتبه أساتذتنا الكبار ممن سبقوه في الإشراف على هذه المجلة، أنه ولا بد لكاتب المقال أن يجهد نفسه ليأتي بالجديد النافع يصل الحاضر بالماضي مستنبطا مما يكتب معنا جديدا يذكر به العاقل ويرشد به الضال مستهديا بكتاب الله، مستلهما سنة رسول الله، سائرا على درب مثلها الساطعة ونجومها الهادية من علمائنا العاملين، ليخرج القارىء بنفع ملموس مما قرأ بما أضافه من خواطر الكاتب الذاتية وآرائه العلمية ما يهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض.

وللمزيد من الإيضاح قال الكاتب - وفقه الله - تعالى:

﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي ﴾[1].

آية كريمة أرددها حين تجيش خواطري كموج البحر ثم أحاول أن أنقلها للقارئ فأجدني ذكرت شيئاً وتركت أشياء، وقد يكون ذلك عن ركود ذهني لا يسعف صاحبه بترجمة مشاعره ترجمة وافية، ولكنه قد يكون أيضاً نزولاً عند رغبات بشرية تجنح للمجاملة وإيثار الراحة، بدلاً من الاضطرار إلى إغضاب أناس بعضهم الزميل وبعضهم الصديق وبعضهم الأستاذ...

ولكن هذه الخواطر المكفوفة مازالت تجيش وتهدر وتلح على أن أعيد ما كتبت لتكتمل الحلقة على وجه يأتي بالفائدة وهأنذا أمسك بالقلم لأكتب... غير عالم بما سأقدر عليه من تصريح أو ما أضطر إليه من تلميح، وإذا كان لغيري أن يدعي بطولة المواجهة، وشجاعة المعارضة فما أظنني ممن يسير معه في طريق!!

حين نرصد الحركة الفكرية في عالم الصحافة الإسلامية نجد حملة الأقلام لدينا فريقين: فريق مخلص مثابر يرى موضع الحريق فيسارع إلى إطفائه مرهفاً سمعه إلى كل نبأة، وعينه إلى كل إشارة، ووعيه إلى كل منطق حتى إذا جمع أمر نفسه سطا على الباطل بمنطقه فدمغ البغي ونصر الحق.

ونسأل مثوبة الله وتقدير المنصفين.

وفريق ثرثار يتخذ الكلام بضاعة والكتابة كسباً فهو يملأ الصفحات ويحبر المقالات باحثاً عن صيده المادي، دون تقدير لما يجب أن يقال وتلك ناحية تتطلب الإيضاح لتنذر قوماً تنكبوا الجادة وضلوا عن الطريق...

نحن نعلم أن الحكومات الإسلامية في كل بلد عربي قد عملت على إصدار مجلات إسلامية تنطق باسم الحقيقة بنبراسها الساطع حتى أصبحنا نجد من هذه المجلات كثرة كاثرة يخطئها العد، وكان المظنون ممن يتصدرون للكتابة في هذه المجلات الهادفة أن يعلموا أنهم جميعاً يقفون موقف الرباط على الثغور الإسلامية، ومهمة كل واحد منهم أن يكتسب أرضاً جديدة تضاف إلى المساحة الإسلامية أو يقيم الحصون الشاهقة كي يمنع الهجوم، ويؤمن الحدود ولا نظلم الحق حين نقول: إن بعض هؤلاء الكاتبين يقدر تبعة قلمه فيجهد نفسه ليأتي بالجديد النافع، والقراء وعي صائب إذ يعرفون هؤلاء المخلصين فيضعونهم موضع التقدير ويتابعون ثمراتهم الفكرية في يقظة وإعجاب.

أما غير هؤلاء فيظن الكتابة الإسلامية ـ وليتها الكتابة الأدبية بمفهومها الضيق ـ احترافاً يجلب الكسب ويشغل الفراغ، فهو يحرص كل الحرص على أن يكتب المقالات المتتابعة وأن يمتد صداه إلى كل أفق يستطيع أن يصل إليه، ولا عليه بعد ذلك إذا اكتفى بالمكرور الشائع من القول والتافه السطحي من الحديث وإنما قصارى جهده أن يكتب وأن يكافأ، وكأن هذه المجلات الهادفة مورد تجارة

---

(1) سورة الشعراء، ١٣.

فقط! لا منيراً حياً يذكر الغافلين، ويرشد الضالين، إذ تشتد الريب وتتكاثر الأوهام!!

إنك لتأخذ بعض هذه المجلات في يدك ثم تقرأ راجياً أن تجد ما ينقع غليلك ويروى صداك فتصعق حين تنظر إلى المقال وتقرأ الصفحة فلا تكاد تخرج بجديد ما على الإطلاق، فيا لضيعة الأوراق والمداد حين اكتفى كاتبو هذه المعادات بنقل المعلومات الذائعة دون إضافة بل دون تنسيق!!

هذا مقال أول في تفسير بعض الآيات الكريمة من كتاب الله، يقبل عليه القارئ متلهفاً يظن أن صاحبه قد وصل الحاضر بالماضي حين استنبط من وحي الله معنى جديداً، أو عالج في ضوئه مشكلة عصرية يلتمس شفاءها من كتاب الله، ولكنه يشعر بالخيبة حين يجد الكاتب المرتزق ينقل آراء السابقين دون إضافة! وليته اختار من هؤلاء السابقين، أو برع في تحليل أو غاص إلى عمق ولكنه ركب الذلول إلى نقول متعالمة مشتهرة ثم جرؤ على أن يوقع المقال بإمضائه الكريم!!

وهذا مقال ثان يتعرض لشرح أثر من الآثار النبوية الرائعة، يراه القارئ فينشط إلى تلاوته متوهماً أن كاتبه قد رأى في الحديث النبوى الشريف ما يطلب لعلاج مرض اجتماعي مستحدث، أو حل أزمة خلقية معقدة، ولكنه يقرأ ويقرأ فلا يجد غير ما سبق به شراح الحديث النبوى في كتبهم السابقة، وكان الكاتب الفاضل قد رأى أن مهمته الوحيدة هي النقل عن أمثال الحافظ ابن حجر في طراز من نسخ متعارف مملول! فهل كانت رسالة المجلة الإسلامية في مفهومه أن تنقل الورق الأصفر إلى ورق أبيض فحسب ثم تختم هذه النقول بتوقيعات مزيفة لم يأت أصاحبها بشئ جديد؟!

ويضيق صدرك فتنتقل إلى مقال يتحدث عن غزوة محمدية أو بحث يتجه إلى تحليل شخصية تاريخية، أو فصل بشرح مسألة تشريعية، فتصبر على قراءة كل ذلك فتجد صاحب الغزوة قد صاغ أسلوب سيرة ابن هشام بطريقة منبرية تنخفض إلى مستوى الأميين من العامة، وصاحب الشخصية التاريخية قد نقل عن أمثال ابن خلكان بما لا يخرج عما قال، أما صاحب الموضوع الفقهى فقد اكتفى بحاشية مملوكية دون بصر بواقعه المعاصر!

وهكذا تنفق الحكومات الإسلامية على عشرات المجلات ليمتلئ أكثر صفحاتها بالتافه المكرر، أما الجيد المقبول فهو من القلة بحيث يكاد يتبدد في خضم هذه السطحيات الغافلة، وتلك حال دفعت نفراً من الممتازين إلى الانزواء أنفة من أن يختلط جيدهم الصائب بما يحيطه من الأتربة المتراكمة إذ يخافون على اقباسهم الهادية أن يبتلعها الديجور الحالك فلا تكاد تضئ!!

والطامة الكارثة في استخفاف هؤلاء الوصوليين: أنهم لا يخجلون من السطو على آثار المعاصرين دون حياء، وليتهم يرعون واجب الأمانة فيشيرون إلى من اهتدوا بهديه وساروا على غراره ناقلين، بل يدفعهم التبجح الشائن إلى غطرسة توهم القارئ العادى أنهم أبطال الميدان وحماة السرح، فقد تفد من دول الإلحاد

شبهة زائفة تجد الرد القاطع من ذوى الغيرة الحقيقيين أمثال محمد عبده وفريد وجدى، ورشيد رضا، وعبدالعزيز جاويش ممن سبقوا إلى رحمة الله وأمثال أبى الأعلى المودودى، وأبى الحسن الندوى ومحمد الغزالى ممن يحملون الراية الإسلامية عن جدارة واستحقاق، ثم تنظر بعد ذلك فتجد نفراً من هؤلاء المرتزقة يعيدون الحديث عن هذه الشبه الزائفة ثم ينقلون ردود هؤلاء الأفذاذ عليها دون إضافة تذكرة، بل ربما وقعوا فى تحريف خاطئ إذ عجزوا عن الفهم الصحيح لما قاله الأصلاء، وقد حسبوا أنهم بمسوخهم الشائهة لآراء السابقين صاروا من حماة العقيدة وذادة الإسلام، وهم بعد لم يصلوا إلى مستوى القارئ الدقيق!!.

لقد اشتهرت أراجيف أوروبية فندها الأحرار تفنيداً لا يحتمل الاختلاف. ثم مضت الأيام وجاءت شرذم الوصوليين لتعيد ما قيل دون سأم ومن هذه الشبه ما فات وقته، وكشف عن وجهه كشفاً لا يقبل التكرار، وأضرب الأمثلة على ذلك بمسألة الغرانيق، وتعدد زوجات الرسول، واختلاف القراءات القرآنية، ومكانة الأسرة فى الإسلام، فذلك قد حسم أمره وعرف وجه الحق فى موقف الإسلام منه، فما بالنا بعد هذه الجهود الرائعة نجد أدعياء البحث يجددون من حديث هذه الأراجيف، وقد حملوا أقلامهم لينسخوا كل ما قيل دون حياء وهم بعد فى نظر أنفسهم كتاب فضلاء وعلماء باحثون!!

فإذا تركنا كتاب المجلات هؤلاء إلى القائمين على الصحف من رؤساء التحرير للجرائد اليومية فى بعض المجتمعات الإسلامية فإننا نحمد لبعضهم جميل اهتمامه وقوة يقظته إذ سار على الدرب القويم مراعياً دينه فيما يقدم ويختار.

ونحن نبارك هؤلاء، ونشد على أيديهم سائلين الله لهم حسن المثوبة وكمال التوفيق، ولكننا لا نجهل أن نفراً من رؤساء التحرير يستغل مشاعر المسلمين لكسبه النفعى ورواجه الشخصى، فيفرد من جريدته صفحة تهتم ظاهراً بشئون الإسلام، إذ يعلم أن الجمهرة القارئة مسلمة وقد فاءت إلى ربها فعرفت أن النصر لا يتاح من غير طريقه ولابد أن يحرص صاحب الجريدة على استمالتهم فيفرد للإسلام صحيفة تتحدث عن قضاياه، ولكن هل كان صادقاً مع نفسه فى هذا الاتجاه؟ لننظر إلى ما يصنع هو وأشباهه ثم لنحكم غير متحيزين. وإليك إشارة لامحة تقوم مقام الدليل.

١ـ يأتى رمضان المعظم فيعلم القائم على الجريدة أن قارئه متلهف إلى صفحة دينية، وأن صحيفة أخرى منافسة قد كسبت أكثر القراء إذ أفردت صفحة لأحاديث رمضان، فيضطر إلى أن يسارع بإصدار الصفحة الدينية، فيتوقع القارئ بادئ ذى بدء أن يجد الأحاديث النافعة، والكلمات الهادفة فى موسم دينى جليل، ولكنه يقرأ الصحيفة ذات الأعمدة الثمانية الطوال فماذا يجد، يجد مقالاً واحداً ينحو منحى الإسلام لا يشغل غير عمود أو عمودين على الأكثر أما الباقى فممتلئ بصورة لمسجد أثرى، أو لوحة لفانوس فوق مئذنة مع حديث عن الطراز المعمارى لبعض المآذن والمحاريب، وأوصاف الأطباق الغذائية،

وإعلانات عن مطاعم شهيرة وأحاديث عن سهرات مسائية، وحوار مع عمامة مظهرية تكتفي من الإسلام بالمظهر الخادع ولا تعطى قارئها ما يفيد، وهكذا تخدع الجريدة قارئها فتوهمه أنها تفرد صفحة كاملة عن الصيام وهى عنه بمكان بعيد!!

٢ــ يكتب كاتب أوروبي مقالاً أو كتاباً عن الإسلام لا يخلو من أخطاء كثيرة متعمدة أو غير متعمدة، فتأتى جريدة وصولية وتضع عنوان الكتاب في حجم بارز يشمل جميع أنهار الصفحة ثم تضع صورة المؤلف جهيرة لامعة مشفوعة بالإطراء، وتقول: إنها تلخص بعض الفصول المختارة للكتاب، فتقرأ التلخيص فلا تجد غير الهجوم الخفى حيناً، والبارز حيناً آخر، فيالله! كيف حرصت الجريدة على ترجمة الهجوم، ولها فى التلخيص عذر إن تركته، ثم إذا كانت تحرص على أن تطلعنا على آراء المهاجمين فلماذا لا تكلف من كتابها من يقوم بالنقد والتفنيد كيلا يتورط القارئ فى تصديق هذه الأراجيف؟

٣ــ تحتاج بعض المسائل الاجتماعية إلى إيضاح رأى الإسلام فى نواح هامة، وبخاصة فيما يتعلق بالمرأة زياً وتبرجاً واختلاطاً وزواجاً، فتستغل الجريدة التاجرة ظمأ الجمهور المسلم إلى معرفة رأى الشريعة الإسلامية فى كل ما يشغل الأذهان فلا تلجأ إلى الفقهاء الأثبات والعلماء الأعلام ليميزوا الخبيث من الطيب، وليصدعوا بكلمة الله مجلجلة دون خفاء ولكنها تعمد إلى نمط خاص من أدعياء الفتوى فتوجه إليهم الأسئلة الدقيقة الحساسة، ولهذا النمط من الأدعياء كلف بالظهور والإعلان وإيثار لجذب القراء وإغرائهم بالمبتدع الخادع من الأفكار، وإذ ذاك تقرأ ما تأسف له من جاهل الرأى وفاسد النقل وشائن التدليل!

٤ــ ترى التناقض السافر بين ما تضطر الجريدة إلى تقديمه من الزاد الإسلامى جذباً للقراء، وما تنحدر إليه من سلوك بغيض يكره الإسلام فهى مثلاً فى صفحتها الدينية التى تنشرها يوم الجمعة من كل أسبوع تكتب مقالاً عن تحريم الخمر أو ذم السفور أو تقبيح الاغتياب ثم لا يكاد القارئ يترك الصفحة إلى ما جاورها من الصفحات فى العدد نفسه حتى يرى الإعلانات بارزة عن بعض أنواع الخمور، وصوراً خليعة لبعض المتحللات من بنات الشاشة البيضاء، وولوغاً دنيئاً فى سير بعض الشرفاء! فيالله ماذا يقول قارئ هذه الصفحة الدينية، وهو يرى التناقض الصارخ فى العدد الواحد؟ وكيف يصدق الجريدة الوصولية على هداية المسلمين وقد شقت عصا الطاعة لشريعة الإسلام فيما روجت من منكرات وبعثت من أراجيف.

وبعد فلم أقل كل ما أريد أن أقول؟ وقد اضطررت إلى تكرار بعض ما نبهت إليه من قبل وأرجو ألا أضطر مرة ثانية إلى تحديد مقالات وتعيين أسماء وتجريح جرائد، إذ لا أزال مؤثراً نهج الإسلام فى الدعوة إلى الحق بالحكمة والموعظة، وأن يكن التصريح بخطأ المخطئ مما لا يعاب لدى منصف عادل، أو مخلص نزيه.

هلا ارتويت !!

للأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

هل تدرى ما هو أثمن شيء يحوزه إنسان داخل جسمه، وأنفس مادة يدخلها بدنه فى كل وقت وأى زمان لا يستطيع الاستغناء عنه وصبره عنه لا يدوم طويلا؟

إنه شيء غلا وعز رغم رخص ثمنه وكاد يكون نادرا رغم توافره وكثرته قد تقوم الحروب بسببه وتشتعل المعارك تهافتا عليه فالنقطة منه ستكون أنفس وأغلى من نقطة البترول بل حتى من قطرة الدم نعم إنه الماء نعمة الله العظمى وآيته الكبرى للعالمين وفى إبحارنا وراء الحقيقة نركز لبعض الوقت على نقطة بعينها لا نحيد عنها ولا تتسرب خيوطها من بين أيدينا وهى ماتؤكده الأبحاث من خطورة نقص الماء فى جسم الإنسان وما لذلك النقص من آثار مدمرة ونتائج مروعة على صحته الجسمية والعقلية معاً.

ففى بحث نشرته مجلة « Insight » مؤخرا قالت فيه: إن بداخل كل منا عشرة جالونات من الماء تتوزع على أعضائنا وتنتشر فى أجهزتنا بشكل نسبى لا يمت للعشوائية أو الصدفة بأدنى صلة، وعن كيفية توزيع هذه الكمية قالت: إن منها ما يقارب ستة أو سبعة جالونات تغذى الخلايا وترويها كما يسقى أحدنا زرعه ويتعهده بالرعاية، والعناية، ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد بل ينضم إلى كل تلك الجالونات جالونان آخران تنحصر مهمتهما فى غمر تلك الخلايا وجعلها ندية رطبة لا يتطرق الجفاف إليها بحال، وأما الجالون العاشر فإنه يفيض عبر مجرى الدم ويسرى، يظل معه يلازمه ولا يفارقه أبدا..

وبنفس السرعة التى تختزن أجسادنا الماء فى داخلها يفقد ذلك الماء منها فى عمليات الإخراج الضرورية المعروفة لنا جميعا، ويؤكد هذه الحقيقة أحد أساتذة علم وظائف الأعضاء بالمدرسة الطبية التابعة لجامعة جورج تاون الأميريكية فيقول: إن الشخص البالغ يفقد فى كل يوم كمية من الماء تقدر بحوالى $2\frac{1}{2}$ كوارت وهو مكيال يسع ١,١٣٦ لتر أو ربع جالون وإن الشخص العادى يحصل على حوالى كوارت واحدا من كل ما يتناوله أثناء يومه من الخضر والفاكهة المتنوعة بينما يقوم جسمه بتصنيع ١٢ أوقية أخرى من الماء أيضاً أى فى عمليات التمثيل الغذائى المختلفة، ثم

ينتهي إلى توصية تقول: إن على الإنسان أن يشرب ١,٢ كوارت من الماء يوميا لمجرد تعويض ما فقد من ماء في يومه ذلك.

ومما يزيد حاجة الجسم للماء ويرفعها أداؤه للتمرينات الرياضية خصوصا العنيفة منها التي تصل بحاجته إلى ٦ لترات وهي إحدى المتطلبات التي يتقاعس الكثيرون عن الوفاء بها مع أنها أمر سهل ميسور يتلخص في ثمانية أكواب من الماء يومياً. وتقول إحدى أساتذة النظم الغذائية فيما يعد دقا لناقوس خطر محدق: إن معظمنا يعيش في حالة من الجفاف وإن مظاهر ذلك ستظهر علينا وبين سواء كان أحدنا مصارعا محترفا أو شخصا عادياً يؤدي عملاً مكتبياً وتتمثل في أعراض يعانيها كالتعب والملل والإجهاد، وقلة القدرة على التنسيق والتركيز وعدم التعاون مع الآخرين والشعور بالإنهاك المستمر وتوضح الباحثة أنها حاولت مع كل من تعمل معهم من رياضيين محترفين وهواة حاولت أن تجعلهم يواصلون نشاطاتهم طيلة نهارهم دون تناول الماء الكافي فلم تفلح في ذلك إذ لم تقل الكمية التي تناولها كل منهم عن ١٦ أوقيه على الأقل، وذلك قبل بداية أحدهم في ممارسة رياضته بساعتين اثنتين وقبل الاسترسال في ذلك البحث الطريف يجدر بنا أن ننوه إلى ذلك التعبير الشائع الذي يحلو للكثيرين استخدامه ونعني به تعبير «النظم الغذائية» فنقول: إنه تعبير ظريف يعبر عن سلوك سوي قويم سبق إليه نبينا الكريم - ﷺ - حين أمرنا بأن لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع.

ونواصل حديث الماء فنقول: إنه ينصح بتناول الماء الكثير بعد أداء التمارين الرياضية فالشخص المجهد لا يستطيع أداء عمله بالكفاءة المطلوبة وهو أمر بديهي أكده علماء الطب الرياضي وبينوا أن عدم إعطاء الجسم كفايته من الماء يجعل صاحبه ضعيفا مستهلكا تزيد قدرة غيره عنه من عشرة إلى خمسة عشر دقيقة في أداء العمل أي أن قدرته على أداء عمله تقل عن غيره بمدة ربع ساعة إضافة إلى ما تقدم من أعراض لا داعي لتكرارها، ثم ينتقل البحث إلى نقطة جوهرية تتلخص في سؤال يقول: هل على ممارس الرياضة تناول ما يطلق عليه المشروبات الرياضية أو أن عليهم تناول الماء العادي وأنه أفضل؟ وحتى لا تختلط الأمور نؤكد أن تعبير المشروبات الرياضية يبتعد بالشخص تماما عن كل المسكرات والمفترات والمثبطات والمنشطات التي كانت سببا مباشرا في فقدان رموز بعض الرياضات لمكانتهم وخروجهم من المنافسات الرياضية لكسر التقاليد المرعية، والآداب التي من المفترض أن يتحلى بها الرياضي، وحجة بعض المدربين أن تلك المشروبات تضيف لمن يتناولها بعض المواد والعناصر التي فقدها أثناء عملية التنفس والعرق الشديد. وحجة أخرى يقدمونها تقول إن تناول الماءوحده يقلل ما به بلازماء الدم من الصوديوم مما يخفف حدة الحاجة إلى شرب الكثير من الماء بينما تناول المشروبات الرياضية خصوصا في فصل الصيف يحتفظ لك بتوازن السعرات الحرارية المطلوبة، ولا يضر بدمك أو يفقده أيا من عناصره الضرورية كما يجعلك مشوقا دائما لإرواء ما تحسه من ظمأ.

ومع هذا كله فإن المحققين من العلماء يساورهم الشك في تناول تلك المشروبات ولا يقرونها رغم بعدها كل البعد عن ما يفسد العقل ويسيء إلى تلك الفضيلة، ويقولون إن تحقيق الوجبة الغذائية

المتوازنة ينتج عنه ما أسموه بوفرة عظيمة من الإليكترولات وهى أشياء تشبه السعرات الحرارية لا يستغنى عنها الجسم البشرى بحال، ويؤكدون أنك إن كنت مصارعاً تشارك فى كثير من المنافسات أو جوالا تجول الصحراء جيئة وذهابا وتحتاج إلى كمية ضخمة من الإليكترولات فإنه لا يزودك بكل هذا إلا الماء ولا شىء غير الماء نعمة الله التى أسبغها علينا وهناك سؤال هام هو: هل يمتنع الإنسان عن شرب الماء وينتظر حتى يحس بالعطش؟ والجواب بالنفى إذ يجب على الانسان أن لا ينتظر الإحساس بالعطش ثم يروى والسبب خطير جداً إذ فى الوقت الذى تقوم فيه مراكز الإحساس بالعطش الموجودة بالمخ بالتنبيه إلى حاجة الجسم للماء يكون الجسم قد شرع فى الإتيان سلفا على ما به من سوائل وهى كارثة تؤدى إلى إشاعة الخلل والاضطراب والارتباك فيما يقوم به الجسم من وظائف حيوية فكيف نتحقق إذن من أن جسمك يحافظ على توازن ما به من سوائل بشكل صحيح ومناسب؟

ينصحك الأطباء بأن تقوم بإجراء فحص للبول فإن كان صافيا فمعنى ذلك أنك تشرب من الماء ما يكفى أما إذا كان غامق اللون شديد التركيز عالى الكثافة ثقيلا فاعلم أنك تعانى من الجفاف بدرجة ما، وأنك فى مسيس الحاجة إلى تناول ما يكفيك من الماء.

فإن تكاسلت فأنت مهدد بأعراض أشد خطورة تشمل الفم الذى ستجده جافا والشفاه المتشققة والجلد الذى سيصبح خشنا ناهيك عن الصداع الذى ندعو الله جميعا أن يقينا منه وأن يمتعنا بموفور الصحة وكامل العافية، أما حالات الجفاف الشديدة الوطء والمهلكة التى تنشأ عن قضاء أيام طويلة دون تناول أى سوائل فإن ما بالجسم من أنسجة وخلايا تأخذ فى التجعد بل إنها لتموت، ولإيضاح الضرر الشديد الذى يصيب الجسم إذا قل ما به من ماء ينصحنا العلماء بتأمل كوب من الشاى مضافا إليه بعض السكر فلو افترضنا مثلاً أنك نسيت ذلك الكوب طيلة النهار ولم تره إلا عند المساء حيث تذكرت النظر إليه فوجدته أعلى تركيزا وأشد كثافة وأغلظ قواماً كذلك الحال مع الجسم الذى تنقصه السوائل فإنه يصير أكثر تيبساً كما أنه يضطر إلى سحب ما بالخلايا من ماء حتى يستنفدها فتتقلص الخلايا ولا تؤدى وظائفها على ما يرام ويشمل ذلك خلايا المخ والقلب والرئتين أسبغ الله على عباده تاج الصحة والعافية التى لا تطيب الحياة إلا بها.

ومن السهل الميسور تحاشى قليل الجفاف وكثيره بتناول الماء أولاً وقبل كل شئ، ولا أقول القهوة أو العصير أو غيرها من المشروبات، وبينما يحذر العلماء من الإكثار من المنبهات حتى ولو كانت خالية من المضار فإنهم يؤكدون أن فى اللبن الحليب وعصائر الفاكهة السعرات الحرارية المطلوبة وأن كل المنبهات والكحوليات والجعة كما يزعمون مدرة للبول ولكن حذار لا تحسبن أن ذلك مجدياً مفيداً فإنها تتسبب فى فقدان ما فى جسمك من سوائل هامة.

وتناول الماء شديد الأهمية للطاعنين فى السن وصغار السن على حد سواء، ويؤكد الخبراء أن ما يحدثه الظما من انعكاسات أمر غير مبشر لكبار السن فهو يصيبهم بالجفاف وهو أحد أهم الأسباب التى تصيب بالعلل من هم فوق سن الخامسة والستين.

فبالإضافة إلى الإحساس الضعيف بالحاجة إلى

تناول الماء، فإن الشيخوخة ترتبط أيضاً بضعف الكلى عن أداء وظائفها وانخفاض ما بالجسم من ماء وتدنى مستوى اللياقة البدنية، وكلها أمور تزيد الجفاف، أما صغار السن الذين يرضعون رضاعة طبيعية - فإنهم فى غير حاجة إلى ماء إضافى، لكن إذا كان الجو شديد الحرارة والرضيع كثير العرق فإنه سيستفيد أكثر من أوقية أو اثنتين من الماء بعد غذائه العادى.

أما إذا أصيب الرضيع بالإسهال أو القئ فإن عليه أن يعتاض عما فقد من سوائل وبشكل عام فإن الطفل يحتاج إلى نصف ما يحتاجه البالغ من السوائل يوميا ومن علامات الجفاف لدى الطفل قلة الدموع عند الصراخ والبكاء إضافة إلى وجود بقعة ضعيفة ومنطقة واهية منخفضة فى فروة الرأس.

كما أن الرضع يستفيدون كثيراً من الفلورايد المضاف إلى الماء فقد ثبت علميا أن ما يمكن أن يصابوا به من تجاويف فى الفم قد قلت نسبته من ٤٠٪ إلى ٦٠٪ لأولئك الذين استخدموا ذلك الماء منذ الولادة، وحتى البلوغ لكنهم يحذرون أيضاً من الإفراط فى استعمال تلك المادة وإلا نتج عن الإسراف فى استخدامها أسنان تناثرت عليها البقع غير المستحبة والألوان غير المرغوب فيها، ومن هنا كان التحذير عالى الصوت من منتجات تصنع لتغذية الأطفال بل حتى من الماء المعبأ فى زجاجات وأنه كلما كانت الرضاعة طبيعية ومن مواد غير مخلقة صناعياً كانت أفضل، ولعلك الآن قد أدركت أهمية الماء بالنسبة لكل منا فمهمته لا تنحصر فى جعل الكلى تعمل فى أحسن حالاتها والقلب والرئتين فى تمام الصحة والعافية والأعضاء الداخلية الأخرى تؤدى وظائفها بشكل صحيح ومنتظم بل إنه يثرى خلايا الجلد، ويحسن لون البشرة ويجعل الخلايا تتكاثر بشكل هادئ منساب وأهم من كل ذلك أن يحتفظ الجسم بصحته وشبابه بعيداً عن الإجهاد لتسير سفينة الحياة سيراً هادئاً آمناً بين شطآن السكينة والطمأنينة يدفعها إلى بر الأمان موج المحبة والوئام.

وبعد فهذا قليل من كثير عن أهمية أن يشرب أحدنا من الماء ما يكفيه ويشفيه وهو أمر لن يكلفه الكثير فالماء بحمد الله متوفر وهو فى أذهان وقلوب الكبار والصغار حتى إنك لو سألت طالبا بالإعدادى أو الثانوى عنه لعاجلك بقوله: تقصد H_2O وهو يعنى أن الماء مركب من ذرتى هيدروجين وذرة أكسجين وهى معادلة مألوفة لكنها تدفعنا إلى أن نختتم بموعظة نخفف بها من سيل تلك المعلومات.

فقد روى أنه كان لأحد الصالحين ابنتان زوج إحداهما لرجل احترف صناعة الفخار من جرار وأباريق وغيرها، وزوج الأخرى لمزارع يفلح الأرض مبتغيا بركات الله - عز وجل - وذات يوم ذهب الأب الصالح يزور ابنته ويتفقد أحوالها فأخبرته أنها بخير حال لكنها سألته أن يدعو الله أن ينزل المطر حتى يسقى زوجها زرعه ويبذر شرعه فوعدها بذلك وانصرف ميمماً شطر ابنته الأخرى فأخبرته مثل الذى قالت شقيقتها غير أنها سألته أن يدعو الله أن يقل هطول المطر حتى تروج حرفة زوجها فإن كثرة المطر تفسد ما يصنع زوجها من أوان فخارية فتحير العبد الصالح قليلاً أيدعو للأولى أم للثانية لكن حيرته لم تدم طويلاً إذ وفقه الله إلى أن يدعو قائلاً اللهم دبرلى فإنى لا أحسن التدبير، وهذا تفويض إلى الله تبارك وتعالى فهلا تعلمنا واتعظنا.

بين الصحف والمجلات

إعداد/ محمود القشنى

فى موضوع الثقافة

نشرت جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ١٢ من يناير تحت عنوان صندوق الدنيا للأستاذ أحمد بهجت

« بعد أن مارس وزير الثقافة حقه الطبيعى فى حماية القيم، ارتفعت صيحات من بعض المثقفين وكانت الصيحات فى معظمها تدور حول فكرة رئيسية....

إنهم يضربون الثقافة ويعوقون الإبداع ويتدخلون فى حرية التعبير وهذا هو السر فى تردى - الواقع الثقافى المصرى - وثمه سؤال يطل برأسه هنا هل الإبداع مرتبط بالجنس المكشوف؟ هل منع ما يخدش الحياء ويسىء إلى النظام العام يعتبر ضربة للثقافة؟!

هل صار الأدب هو العرى بلا حدود ولا قيود؟! إذا كان هذا تصور الأدب فى ظن البعض فإن هؤلاء ليسوا سوى أقلية قليلة والأغلبية عكس ذلك تماما

وأمامنا شوامخ الرواية فى العالم. إنهم يشيرون إلى الجنس ولكنهم لا يصرحون، وبديهى أن يكون تعبير الأديب أرقى وأكمل وأشد حياء.

نعرف أن فنون العرى (البورنو أو الأفلام الزرقاء كما يسمونها) نعرف أن هذا غزا المدنية الغربية وتسلل إليها، ولكن حتى فى الغرب لا يعتبر هذا فنا جديرا بالمناقشة أو النقد. هل المطلوب منا أن تنفق نقود الشعب المسئولة عنها وزارة الثقافة فى نشر أعمال تثير الرأى العام، وتخدش الحياء وتسىء إلى النظام العام، نفعل هذا وإلا تم اعتبارنا من أمراء الظلام الذين يعيدون دور محاكم التفتيش ويدفعون التاريخ إلى الوراء.

هل من حق وزير الثقافة أن يمنع نشر رواية فيها أدب مكشوف، هذا ليس حقه فحسب، إنما هو واجبه بالدرجة الأولى. ومن واجبه - أيضا - أن يراعى القائمون على النشر تقاليدنا الثقافية والأديان التى تنتمى إليها، والقيم التى تحكم سلوكنا.

إن الحرية لا تعنى الفوضى، وإنما تتضمن التزاما بالمسئولية هذا كله معروف ومشهور ».

● **التعليق**

لماذا لا نصحو من غفوتنا إلا بعد حدوث الشيء، كما تضمن موضوع (صندوق الدنيا) متى نفيق خاصة وأن موضوع الوليمة لم يمر عليه سوى أيام معدودات ألم يكن الحساب رادعا لمن طبخوا الوليمة.

أرى أن تضع حلا لهذه المهازل خاصة ونحن دولة إسلامية وعربية بأن نشرع قانونا بمعاقبة من يعبثون بثقافاتنا ويفسدون فى الأرض ويدمرون عقول شبابنا وقيمنا وليكن قانونا يتساوى فى نوع العقوبة مع جريمة هتك العرض ومس الحياء لأن هذه الثقافات الهدامة هى التى أدت إلى كثرة جرائم الاغتصاب وضياع القيم والأخلاق.

(جميمة خان) اليهودية التى اعتنقت الإسلام

فى جريدة المساء الأسبوعية فى عددها الصادر بتاريخ ٦ من يناير سنة ٢٠٠١ جميمة خان ابنة الملياردير جيمس جولد سميث وهى يهودية الأصل اعتنقت الإسلام عندما تزوجت من لاعب الكريكيت الباكستانى عمران خان منذ خمس سنوات، قامت الدنيا ولم تقعد بعد أن نشرت جريدة (الجارديان) مقالها الذى تطالب فيه أمريكا باعتبارها قوة عظمى وراعية للسلام، بأن تلتزم بالموضوعية تجاه أزمة السلام فى الشرق الأوسط وألا تقف متحازة لإسرائيل على طول الخط.

ذكرت جميمة فى مقالها كيف أن الإعلام الأمريكى يساند ويؤيد بقوة موقف إسرائيل فى الشرق الأوسط وطالبت رجال السياسة الأمريكيين بتوخى الدقة والتعامل بشىء من الموضوعية تجاه عملية السلام مثلما يفعلون فى شئونهم الداخلية وأقرب مثال على ذلك انتخابات الرياسة الأمريكية.

تقول جميمة: إن اللوبى الإسرائيلى له قوته ونفوذه فى الولايات المتحدة فالإعلام الأمريكى يحكمه اليهود على نطاق واسع وواضح، بل إنهم كانوا يمثلون أكثر من نصف رجال السياسة فى إدارة كلينتون، وتضيف جميمة: أظن أن الجميع يتفقون معى على أن الإعلام الأمريكى هو المسيطر الآن وهو الذى يؤيد ويساند.. وفى يده أن يلفت أنظار العالم إلى ما يهوى وبذلك فإذا تمتع بالنزاهة والموضوعية فسيكون ورقة رابحة فى أيدى الجميع من أجل عملية السلام فى الشرق الأوسط.

تتذكر جميمة أنها تلقت العشرات من الرسائل التى توجه لها الآثام بأنها معادية للسامية وتؤكد قائلة: إن كل ما دار فى عقلى عندما قررت الكتابة هو رغبتى فى إعلان رأى متوازن لسيدة فى مثل موقفى، ذات جذور يهودية وأخيرا معتنقة للإسلام.

● **التعليق**

ليس جديدا على الإعلام الغربى تشويه صورة العرب عبر أثيره المسموم فى كل أنحاء العالم وذلك العداء تجاه جميمة التى اعتنقت الإسلام وهى ذات عراقة عرقية واجتماعية ولها مكانة بارزة بحكم والدها الملياردير.

ودائما الإعلام الغربى يبيح لنفسه ما يحرمه على غيره: أين هم من السامية التى قد يكون من معانيها السمو.

عدم الرد على السفهاء من أدب الإســلام

طالعتنا جريدة صوت الأزهر بمقال للدكتور أحمد عمر هاشم فى عددها الصادر فى ١٢ من يناير سنة ٢٠٠١ جاء فيه:

علمنا الإسلام ألا نرد على السفهاء، وألا نقابل السيئة بمثلها إذ من آداب الصيام: «إن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم» وذلك لنتعود على عدم الرد على أهل الشر والباطل، وهواة السوء والبذاءة بعد رمضان وفي كل وقت وحين، وفي كل زمان ومكان.

إن الذين يتعرضون لسفاهة السفهاء هم الحكماء والعلماء والشرفاء في كل زمان ومكان، وفي كل جيل من أجيال التاريخ.

لقد تطاول أحد السفهاء على سيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – الذي قال عنه الرسول – ﷺ –: «لو وزن إيمانه بإيمان الأمة لرجح» ومع هذا تطاول عليه أحد السفهاء فكظم أبو بكر الغيظ في صدره ثم كرر السفاهة مرة ثانية فكظم أبو بكر الغيظ في صدره فلما كان في الثالثة رد عليه ليسكت شره فنظر فوجد النبي – ﷺ – قد خرج من المجلس فقال أبو بكر لرسول الله – ﷺ –: «أوجدت عليّ يا رسول الله» أي أغضبت؟ فقال له معلما وموجها: إنك حين كنت تكظم الغيظ سخر الله ملكا من السماء يرد على عرضك، وحين رددت عليه خرج الملك ونزل الشيطان وما كنت لأقعد إذ نزل الشيطان» أو ما معناه... إن هذا درس عظيم في كظم الغيظ علمنا رسول الله – ﷺ – إياه، وأكده شهر رمضان في عبادة الصيام حيث كان من آداب الصيام: إن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم.

ولم يخل جيل من الأجيال ولا وطن من الأوطان ولا موقع في الأمة من وجود بعض المغرورين من السفهاء فيه، فوجودهم ابتلاء للأمة وفيه اختبار لصفوة العباد، فالحق في صراع مع الباطل والخير في صراع مع الشر إلى يوم القيامة.

وما خلا عهد من هذه العهود من السفهاء الذين يتطاولون على الشرفاء حتى في خير القرون وحتى مع رسول الله – ﷺ – فكم تنبئنا سيرته العاطرة بتطاول أهل الشر من السفهاء على مقامه الكريم بل وصل الحد بهم إلى درجة أن سبوه وسبوا أهل بيته في أغلى شيء.

وكان – ﷺ – يصبر ولا يرد على السفهاء ليعلم أمته، وخاصة العلماء من بعده أن يصبروا وإن ربك لبالمرصاد بل وصل بالسفهاء الجراءة أن تطاولوا على الله نفسه وقال قائلهم: إن له ابنا وولدا ووالدة – تعالى الله عما يقولون علوّا كبيرا – وكما قال القائل:

والله لو صحب الإنسان جبريلا
لم يسلم المرء من قال ومن قيلا
قد قيل في الله أقوال مصنفة
تتلى إذا رتل القرآن ترتيلا
قد قيل إنه له ابنا ووالدة
زورا وسبا وتكذيبا وتضليلا
إن كان ذا قولهم في الله خالقهم
فكيف لو قيل فينا بعض ما قيل؟

ولقد كنا نقول للإمام العارف بالله فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: لماذا تطاول

السفهاء كثيرا على العلماء؟ فكان جوابه: لأن العلماء ورثة الأنبياء، فإذا كان من إرث النبوة الرتبة العلية، فإلى جانبها الصبر والاحتمال والحلم في مواجهة جهل الجاهلين.

فقد رأينا كم تعرض الأئمة وشوامخ رجال العلم من العلماء والأولياء إلى كثير من حملات البغي والعدوان والسفاهة والبهتان ولكنهم صبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصر الله وتأييده.. شهدنا ذلك مع الإمام الغزالي والإمام عبد الحليم محمود والإمام الشعراوي ومن قبلهم ومن بعدهم

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾(١).

وعلى أهل الحق أن يوضحوا للناس رسالتهم وألا يبددوا أوقاتهم في الرد على الذين يتطاولون عليهم أو يتظاهرون بعظمة الغرور المزيف، فالسكوت خير إجابة عليهم كما قال الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت
إذا كلمته فرجت عنه
وإن أهملته كمدا يموت

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢).

وبالله التوفيق

مؤتمر عالمي للاحتفال بذكرى
آية الله بروجودي والإمام الشيخ محمود شلتوت

في جريدة الجمهورية في عددها الصادر بتاريخ ١٢/١/٢٠٠١ تحت عنوان قرآن وسنة للدكتور عبد الله النجار قال فيه:

شهدت مدينة (قم) بإيران يومي ٨، ٩/١/٢٠٠١ مؤتمرا عالميا للاحتفال بذكرى سماحة آية الله بروجودي وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، وقد أقام هذا المؤتمر الدولي مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية بإيران بالاشتراك مع الأزهر الشريف الذي أوفد خمسة عشر عالما من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية للمشاركة في أعماله ببحوث علمية.

قدمت من أكثرهم سلفا، عن التقريب ومحاوره والشخصيات الإسلامية التي ساهمت في تأسيس فكرته ومنهم بالقطع العالمان الجليلان المحتفى بهما في ذلك المؤتمر الدولي الكبير.

شرفني مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف باختياري ضمن هذا الوفد العلمي رفيع المستوى للمشاركة في تلك المهمة الإسلامية ذات الأثر البالغ في الوجود في الوجود الإسلامي المعاصر، ببحث عن الإمام محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق، ودوره في

---

(١) إبراهيم (٤٢).

(٢) فصلت (٣٤).

الفقه المقارن، وفكرة التقريب بين المذاهب، ومن المفيد للقارىء أن يعرف بعض المعلومات عن هذا العالم الجليل الذى ربما لا يعرف أكثر الناس مكانته أو شيئا كبيرا عن مراحل حياته مع أنه من كبار أعلام الإسلام، وكان أحد الذين تبنوا فكرة التقريب لا عن تكلف وتصنع ورياء، ولكن عن إيمان راسخ بها، وأنها تعد فى نظره وسيلة من وسائل توحيد صفوف الأمة الإسلامية فى مواجهة خصومها وما أكثرهم، بل وما أشد كثرتهم فى وقتنا المعاصر المسمى عصر العولمة التى لا تعترف القوى الدولية فيه إلا بالتكتلات الكبيرة والتجمعات الدولية ذات الثقل الدولى المؤثر.

والفكرة التى حدت به إلى ذلك نبتت فى ذهنه وفكره منذ بدايات حياته الوظيفية حتى أنه كان أول من فكر فى إنشاء مجمع البحوث الإسلامية ليكون أداة لوحدة الرأى فى المسائل العلمية التى أسيء فهم اختلاف الرأى والاجتهاد فيها وتحولت إلى أداة فرقة وعداء، ونجح فى ذلك المسعى وظهر المجمع إلى حيز الوجود فى عهد توليه مشيخة الأزهر مع قانون سنة ١٩٦١ فوحدة المسلمين وبعدهم عن الانحراف فى فهم الخلاف فى الرأى كانت هى الباعث له فى سبيل تبنى تلك الفكرة بعد أن برزت فى عهد شيخ الإسلام الأسبق عبد المجيد سليم، وقد أثبتت الأيام بعد نظر هؤلاء الرواد الأوائل، لأن فكرة التقريب هذه يمكن أن تفيد المسلمين اليوم إلى حد كبير.

قذائف اليورانيوم تثير الزعر فى أنحاء أوربا

أكدت تقارير صحفية ألمانية إصابة جندى ألمانى باللوكيميا عقب عودته من الخدمة فى البوسنة.

وأشارت إلى أن استخدام قذائف دخل فى صنعها مادة اليورانيوم خلال العمليات هناك هو السبب الرئيسى لإصابته بالمرض.

ونقلت صحيفة «بليد» عن شاربنج قوله انه ليس هناك خطر داهم للإصابة بالسرطان من جراء الإشعاع وفقا للنتائج التى توصل لها أطباء القوات المسلحة الألمانية، بعد فحص ١٢٠ جنديا خدموا خلال مهام حلف شمال الأطلنطى (ناتو) فى يوجوسلافيا السابقة.

ولكن الوزير أعرب عن استعداد الحكومة الألمانية لإجراء الفحوص الطبية اللازمة لجميع القوات مستقبلا، اذا كان هذا الأجراء سيبدد جميع المخاوف. وقرر الوزير إعلان نتيجة الفحص الطبى الذى أجرى على الجندى الألمانى المصاب بهدف وضع حد للشائعات التى تتردد عن تعرضه للإصابة بسبب القذائف.

وقال ان هذا الجندى لم يعمل فى اى منطقة استخدمت فيها القذائف، مشيرا إلى أن حالة اصابة واحدة باللوكيميا وسط ٦٠ ألف جندى ليست مؤشراً يعتد به.

وكانت جماعات قدامى المحاربين وأسر الجنود قد ذكرت ان استخدام القوات

الأمريكية لقذائف يدخل في صنعها اليورانيوم خلال عمليات البوسنة عامي ٩٤ و٩٥، وفي كوسوفا عام ١٩٩٩ هو السبب الرئيسي لتسجيل عدد كبير من الإصابات باللوكيميا في عدة دول.

وتظهر الاحصاءات المعلنة حتى الآن ان سبعة جنود إيطاليين وخمسة بلجيك وهولنديين وأسبانيين وألمانيا واحدا وآخر من البرتغال، توفوا جميعا متأثرين بسرطان الدم منذ عودتهم من البلقان.

● **التعليق:**

نأمل ان يكون ماحدث بسبب تفاعل قضية الجنود المصابين بأمراض سرطانية «سرطان الدم» بين صفوف القوات التي شاركت في حملة حلف شمال الأطلنطي العسكرية ضد يوجوسلافيا، بداية لاجراء محاكمة دولية للمسئولين عن استخدام هذه الأسلحة الفتاكة، التي لاتكتفي بقتل من يتعرض لها، بل تشوه جيلاً او اجيالاً قادمة.

ونحن نتحسر على الوضع الذي آل إليه حال العرب والمسلمين، حيث اصبحوا لدى الغرب: المناخ الملائم البديل لفئران التجارب، ليس في يوجوسلافيا والبوسنة بل وفي العراق أيضاً.

فقد سبق للقوات الغربية استخدام هذه القذائف ضد الشعب العراق على نحو يفوق عشرات المرات ما استخدم في البلقان، ولايخفى على الجميع ضحايا هذا السلاح القاتل في العراق مما كانت تمتلىء بهم المصحات العراقية وقتئذٍ وحتى الآن.

ومن المعروف ان هذه القضية لم تطرح على الرأى العام الغربي والعالمي إلا بعد أن سقط عدد من جنود الدول الغربية فريسة للاعراض الجانبية لهذا السلاح الفتاك.

خريطـــة للجوع العالمى!

الأمم المتحدة ـ أ.ب:

وسط التزايد الرهيب لضحايا المجاعات في العالم، قرر برنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة اصدار خريطة للجوع، تسلط الاضواء على الدول الأكثر تضررا، ويقع أغلبها في منطقة جنوب الصحراء الافريقية، وفي آسيا.

وذكر متحدث باسم البرنامج ان الجفاف انتشر في أكثر من ٢٠ دولة في العام الماضي، وأصاب ١٠٠ مليون شخص، وأوضح المتحدث ان البرنامج قام بتوفير الغذاء لنحو ١٦ مليون شخص في العام الماضي، مقابل ٣ ملايين فقط في عام ١٩٩٦. وحذر المتحدث من ان نصف سكان العالم سيعيشون في دول تعاني نقص المياه خلال العقدين المقبلين.

***

بين المجلة.. والقارئ

إعداد وتقديم/ عادل رفاعى خفاجة

ضيوف الرحمن فى عرفات

فى مثل هذه الأيام المباركة تتطلع قلوب المؤمنين إلى مكة المكرمة، قاصدين بيت الله الحرام، ليؤدوا فريضة الحج المباركة التى فرضها الله عليهم فى قوله - تعالى -:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(١).

وليظفروا بخير الدنيا والآخرة فى هذا الجمع المبارك وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾(٢).

وكفى بهذه الرحلة فضلاً أنها تمحو خطايا المؤمن فيعود ولا ذنب عليه.

لقول الرسول - ﷺ -: حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن»(٣)

نسأل الله - تعالى - لحجاج بيته حجا مبرورا وذنباً مغفوراً وأن يوفقنا لحج بيته وأداء هذه الفريضة المباركة.

وعن الحج وردت رسالة فضيلة الشيخ كمال ضاحى - المدير م للبحوث الإسلامية اشتملت على دليل لحجاج بيت الله الحرام وقد راعى فيه أن يكون مختصراً ليناسب مقتضى الحال، فجاء مفيداً على اختصاره نسأل الله أن ينتفع به كل من يقرؤه.

يقول فضيلته تحت عنوان:

---

(١) آل عمران (٩٧). (٢) الحج (٢٧، ٢٨). (٣) رواه الطبرانى فى الأوسط.

دليـــل الحـــج

عزيزى الحاج: تبدأ معاً رحلة الحج من أولها حتى نهايتها يصحبنا فيها حفظ الله وعنايته، ويجب أن تعلم أنك ذاهب إلى مكة لأداء عبادتين: الحج والعمرة، وأنت مخير بين أن تؤدى العمرة أولاً ثم تؤدى الحج وبين أن تؤدى الحج أولاً ثم العمرة وبين أن تؤدى الحج والعمرة معاً.

وأعمال العمرة هى: [الإحرام - الطواف بالكعبة - السعى بين الصفا والمروة ثم الحلق أو قص بعض الشعر]

والأعمال المطلوبة فى الحج أو فى الحج والعمرة هى: [نفس الأعمال السابقة مع زيادة الوقوف بعرفة].

(١) فإذا خرجت من بيتك فسم الله واحمده وكبره ثلاثاً.

(٢) عليك أن تتحلى بالصبر والحلم وسعة الصدر وأن تتجاوز عن هفوات الناس، وأن تصون لسانك وعينيك عن كل ما يغضب الله ويؤذى الناس،

لأن النبى - ﷺ - قال: «من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٤].

(٣) إذا قاربت الميقات يستحب لك أن تغتسل ناويا به غسل الإحرام.

(٤) ثم إذا أردت الإحرام بالعمرة، فقل: نويت الإحرام بالعمرة لله، وإذا أردت الإحرام بالحج وحده فقل: نويت الإحرام بالحج لله، وإذا أردت الإحرام بالحج والعمرة معاً فقل: نويت الإحرام بالحج والعمرة لله، وبعد أن تنوى ارفع صوتك بالتلبية وقل: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

بعد هذه النية أصبحت محرما، ويحرم عليك فعل الأشياء الآتية:

(أ) المعاشرة الزوجية وعقد النكاح.

(ب) لبس المخيط كالجلباب والسروال والملابس الداخلية.

(جـ) تغطية الرأس، وتغطية الوجه واليدين للمرأة.

(د) التعرض لصيد البر الوحشى أو لقطع شجر الحرم.

(هـ) الحلق أو قص شىء من الشعر.

(و) استعمال العطور وقص الأظافر.

- إذا فعل المحرم واحداً من هذه المحظورات غير الجماع قبل التحلل الأول صح حجه، وصحت عمرته، ولكن عليه أن يذبح شاة أو يطعم ستة مساكين أو يصوم ثلاثة أيام، أما الجماع قبل التحلل الأول فإنه يفسد الحج وعليه أن يعيد الحج فى العام التالى.

٥ - إذا وصلت إلى جدة فتوجه إلى مكة المكرمة، وبعد أن تضع حقائبك وأمتعتك فى المكان الذى ستقيم فيه - توجه إلى البيت الحرام بعد أن تتوضأ.

٦ - إذا وصلت إلى البيت ورأيت الكعبة المشرفة قائمة جليلة مهيبة فقل: اللهم زد هذا

---

(٤) رواه أحمد والبخارى والنسائى.

البيت تشريفاً وتعظيماً وتشريفاً وتكريماً ومهابة وبراً، اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيينا ربنا بالسلام. ثم ادع الله بما تشاء من خيرى الدنيا والآخرة.

٧ ـ ثم إذا كنت نويت العمرة فطف بالكعبة طواف العمرة.. طف سبعة أشواط وابدأ الشوط بالحجر الأسود جاعلاً الكعبة عن يسارك، ويسن لك أن تقبل الحجر الأسود أو تضع عليه يدك أو تشير إليه من بعيد وتقول:

اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك، واتباعاً لسنة نبيك محمد - ﷺ - ويسن لك أن تقول أثناء الطواف:

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت.

٨ ـ فإذا فرغت من الطواف فتوجه إلى مقام سيدنا إبراهيم واجعل المقام بينك وبين الكعبة وصل خلفه ركعتين.

٩ ـ ثم توجه إلى بئر زمزم واشرب من مائها لأنه خير ماء.

١٠ ـ ثم توجه بعد ذلك إلى الصفا والمروة لتسعى بينهما سبعة أشواط (سعي العمرة) وابدأ بالصفا واختم بالمروة وقل وأنت تسعى [رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم] واذكر الله وادع بما شئت.

١١ ـ وبعد أن تفرغ من سعي العمرة احلق رأسك أو قص بعض شعرك ويسن للمرأة قص الشعر فقط.

١٢ ـ بعد طواف العمرة وسعي العمرة والحلق أو التقصير تكون قد فرغت من أداء العمرة فاخلع ملابس الإحرام والبس الملابس المعتادة، وعندئذ يحل لك كل شيء من محظورات الإحرام، وانتظر إلى اليوم الثامن من ذي الحجة.

١٣ ـ إذا كنت قد نويت الإحرام في الباخرة أو الطائرة بالحج فقط أو الحج والعمرة فعندما تتوجه إلى مكة وتصل إلى البيت الحرام فطف بالكعبة طواف القدوم، وهو سبعة أشواط كما علمت وصلِّ خلف مقام إبراهيم ركعتين سنة الطواف واشرب من ماء زمزم واستمر بملابس الإحرام، ولا تفعل شيئا من محظوراته حتى تذهب إلى عرفة وفي هذه الفترة التي تقضيها في مكة قبل التوجه إلى عرفة احرص على أن تصلي في الحرم الصلوات كلها، وأن تحيي الحرم بالطواف كلما دخلت المسجد.

١٤ ـ في اليوم الثامن من ذي الحجة: إذا كنت قد أحرمت أولا بالعمرة ثم تحللت فاستعد في هذا اليوم للإحرام بالحج: اغتسل - توضأ - اخلع ملابسك العادية - البس ملابس الإحرام انوِ الإحرام بالحج: وإذا كنت قد نويت في الباخرة أو الطائرة الإحرام بالحج والعمرة فيُسَنُّ لك في اليوم الثامن من ذي الحجة أن تتوجه إلى منى ويُسَن لك المبيت بها وإلا فاذهب إلى عرفات مباشرة.

١٥ ـ ماذا تفعل في اليوم التاسع من ذي الحجة...؟

احرص على أن تكون في عرفات قبل غروب شمس اليوم التاسع، ويُسَنُّ لك أن تُصلي الظهر والعصر جمع تقديم وقصر في مسجد نمرة بعرفة، وبعد غروب الشمس اترك عرفة وتوجه إلى

المزدلفة، وصلِّ بها المغرب والعشاء في وقت العشاء جمع تأخير وقصر وتبيت بها - إن تيسر لك - وتصلي بها الصبح وعند اصفرار الشمس تجمع منها الجمرات ثم تتوجه إلى منى إلى العقبة لرمي الجمرات في اليوم الأول للعيد.

١٦ - وفي اليوم العاشر يوم العيد تكون في منى، وقم بهذه الأعمال.

(أ) ارم جمرة العقبة بسبع حصيات.

(ب) إن كنت قد أحرمت بالعمرة فقط أو بالحج والعمرة فاذبح هديك.

(جـ) احلق شعر رأسك أو قص منه بعض شعرات والمرأة تقص فقط، ثم البس ملابسك العادية ولا تقرب زوجتك ولا تمس عطراً.

(د) إن تيسر لك في هذا اليوم التوجه إلى مكة فاذهب وطف بالكعبة طواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج. وهذا الطواف يغنيك - أيضاً - عن طواف العمرة إن كنت محرما بالحج والعمرة: ثم بعد الطواف، وصلاة ركعتين سنة الطواف خلف مقام إبراهيم، والشرب من ماء زمزم المبارك، عليك أن تؤدي السعي، فتسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط. وبهذا تكون قد تحللت التحلل الأكبر فيحل لك النساء والطيب.

(هـ) ثم غادر مكة وتوجه إلى منى لتبيت فيها.

١٧ - وفي اليوم الحادي عشر من ذي الحجة [ثاني أيام العيد الأكبر] عليك أن ترمي الجمرات الثلاث بالترتيب الجمرة الصغرى، ثم الجمرة الوسطى، ثم الجمرة الكبرى، وكل جمرة ترمي بسبع حصيات.

١٨ - وفي اليوم الثاني عشر من ذي الحجة ترمي الجمار الثلاث كما رميتها في اليوم الذي قبله، ولك بعد هذا أن تترك منى ولكن قبل الغروب، فإذا غربت عليك الشمس فلابد أن تبيت بها وترمي الجمرات الثلاث في اليوم الثالث عشر.

١٩ - وبهذا تكون قد فرغت من أعمال الحج إن كنت قد أديت العمرة أولا، وتكون أديت الحج والعمرة إن كنت قد أحرمت بهما - وإن كنت قد أحرمت بالحج وحده فقد أديته ولكن عليك أن تؤدي العمرة، فأخرج إلى مكان قريب من مكة يسمى التنعيم واخلع ملابسك والبس ملابس الإحرام وانو الإحرام بالعمرة. ثم اقصد الكعبة فطف طواف العمرة واسع بين الصفا والمروة سعي العمرة ثم احلق وقصر، بهذا تكون قد أديت العمرة فاخلع ملابس الإحرام. والبس ثيابك المعتادة.

٢٠ - إذا عزمت على السفر ومغادرة مكة فحيي الكعبة بالطواف سبعة أشواط وهذا الطواف يسمى طواف الوداع.

زيارة المسجد النبوي الشريف

يُسَنُّ لكل مسلم ومسلمة قبل العودة أن يزور الرسول - ﷺ - في المدينة المنورة سواء أكان في غير موسم الحج أو في موسم الحج قبله أو بعده، لما رواه البخاري ومسلم عن رسول الله - ﷺ - قال: « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى ».

آداب الزيـــــارة....:

١ - إذا وصل الزائر إلى المدينة، يُسَنُّ له أن يطمئن على إقامته وأمتعته، وأن يغتسل ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه.

٢ - أن يتوجه إلى الحرم النبوى متواضعا عليه السكينة والوقار، فإذا وصل المسجد، قصد إلى الروضة النبوية بين القبر الشريف والمنبر النبوى، فيصلى ركعتين لله تحية المسجد، ويدعو الله بما شاء لأنه فى مهبط الرحمة وموطن الإجابة وروضة من رياض الجنة

٣ - بعد أن ينتهى الزائر من صلاة ركعتين عليه أن يتوجه إلى مرقده - ﷺ - ويقف عند رأسه الشريف فى أدب وإجلال وتبجيل ويتمثل أنه أمام رسول الله حياً فيسلم على الرسول - ﷺ - فى صوت منخفض ويقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبى الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين وإمام المتقين أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت فى سبيل الله حق جهاده، ثم يصلى على رسول الله ويبلغه سلام من أوصاه.

٤ - ثم يتحرك إلى يمينه قدر ذراع، فيجد نفسه واقفا أما رأس أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - فيقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله فى الغار، السلام عليك يا أمينه فى الأسرار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماما عن أمة نبيه.

٥ - ثم يتحرك إلى يمينه قدر ذراع فيجد نفسه أمام رأس عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فيقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا مظهر الإسلام، السلام عليك يا مكسر الأصنام، جزاك الله عنا أفضل الجزاء.

٦ - ثم يدعو لنفسه ووالديه ولمن أوصاه بالدعاء ولجميع المسلمين.

٧ - ويستحب للزائر أن يخرج إلى زيارة أهل البقيع حيث يرقد الأبطال المجاهدون من الأنصار والمهاجرين والصالحين، فيزور قبورهم ويقول: السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا ونحن لكم بالأثر.

٨ - ويُسَنُّ لزائر مسجد رسول الله - ﷺ - أن يصلى الصلوات الخمس فيه مدة إقامته فى المدينة وأن يكثر من صلاة النافلة فى الروضة الشريفة، وأن يكثر من الدعاء والذكر والتسبيح والاستغفار.

٩ - ويستحب لك أن أن تزور شهداء أحد، وقبر سيد الشهداء حمزة عم رسول الله، وكذلك مسجد قباء أول مسجد بناه رسول الله - ﷺ -.

١٠ - وإذا أردت أن ترجع إلى بلدك: يُسَنُّ لك أن تذهب لزيارة رسول الله - ﷺ - فتصلى ركعتين فيه وأن تتوجه إلى مرقده رسول الله فتصلى وتسلم عليه وعلى صاحبيه وأن تسأل الله أن ييسر لك العودة إليه مرات ومرات.

[والله ولى التوفيق]

الأستاذ الدكتور مهدى علام
أستاذ جيل كما عرفته

أرسل إلينا الدكتور ناصر محمود وهدان هذه الكلمة وفاءً لأستاذه الدكتور محمد مهدي علام ـ رحمه الله . يقول فيها :

في مدينة القاهرة عام ١٩٠٠م كان مبتداه، وبنفس المكان عام ١٩٩٢ كان منتهاه، علم من أعلام مصر المعاصرين، وأديب من أدبائها المعدودين، وسفير من سفرائها المبرّزين، وقطب من أقطاب اللغة والتربية والدّين، خرّج أكثر من ثمانين فرقة من طلابه بمصر، والعالم الإسلامي، وجامعات انجلترا وغيرها.

عالم كبير، علمه غزير، وفضله وفير، وخلقه نبيل.

أستاذ جيل بلا منازع، دائرة معارف تمشى على قدمين

إنه العالم الجليل أستاذى الدكتور/محمد مهدى علام ـ رحمه الله ـ عضو مجمع البحوث الإسلامية، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية، وعميد كلية الآداب بجامعة عين شمس.

عندما تلقيتُ نبأ وفاته ـ وأنا خارج مصر ـ كان ذلك كوقع الصاعقة علىّ، علم الله أننى حينما أبكيه فإنما أبكي علمه الرفيع، ودماثة خُلقه، ورزانته ووقاره، ووفاءه النادر لأساتذته وزملائه وتلاميذه وطلابه على حد سواء.

رجل من قمم المعرفة لا سيما فى محيط المعرفة اللغوية والأدبية العربية، إلى جانب ما يزيد عن أربع لغات حيّة وقديمة.

وليسمح لى القارىء الكريم أن أتكلم عنه كإنسان ـ بما يجيش به صدرى ـ فهو إنسان تتجلى فيه خير الصفات: مكارم الأخلاق، العداء للنفاق، الحزم والعزم، الصدق والشجاعة، وهو لا يخشى فى الله لومة لائم. إذا قال فعل، وإذا وعد فهو صادق الوعد، ليّن القلب للضعفاء، حازم مع الأشداء، طريقه قويم، وتنبع أفكاره وآراؤه من عقل سليم، وهو رجل كريم، متواضع عظيم، إذا تناجى فبالبر والتقوى، وإذا صمت فهو فى مناجاة مع الله العزيز الحكيم.

وما أريد أن أسهب فى وصفه كرائد لأولى العلم، ولا فى وصف إنسانيته، ومكارم أخلاقه، كأستاذ فاضل، وعالم كبير.

ولا نُخبر بمجهول عندما نقول: إنّ أبرز خصائصه ذلك الإخلاص الذى كان يُوليه كل عمل يُعهد به إليه، فيُقبل عليه بكل طاقاته ليوفّيه حقّه ـ على الرغم من تقدّم السن ـ حتى وافته المنيّة.

وبهذه الميزة يستحوذ على احترام الجميع، وبخاصة طلابه الذين يحبونه من كُلّ قلوبهم، ويحبهم من كُلّ قلبه، فهو معهم بمقام الأب الذى لا يضنّ على أبنائه بخير، لا مقام الحسيب عن سطوة، المعاقب عن هفوة.

هذا إلى ما يُميز نتاجه المتعدد من منهجية علمية، لعلها أثر من ثقافاته المتعددة السابقة التى تمكنّه من الخوض فى أى ميدان يمس الفكر والنفس، وكل ذلك فى صياغة أدبية تؤكد حُبّه للبيان العربى، وحبّ اللغة العربية له.

وبعد... فهذا هو أستاذى العظيم الذى فقدناه منذ سنوات، كان مناراً للعلم، وداعية للحق، مُعلّماً أميناً ارتوى من فيض علمه قولاً وعملاً وكتابة آلاف الطالبين والباحثين؛ فقد كان نجماً تجلّى لهم فى سماء المعرفة، أضاء لهم سبيل الحياة عن طريق العلم، والحديث عنه مُتشعّب ومستفيض، وهيهات أن يتسع لاستيعابه مثل هذا المقام، وقديماً قالت العرب: «كفى من القلادة ما حفّ بالعُنق». كان حقاً ذخراً للإسلام والمسلمين، فلئن مات فإن ذكراه لا تموت فى قلوب تلاميذه ومعاصريه، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته، لقاء ما قدّم من جهاد مستمر، وعطاء متجدّد.

«الأخلاق باقية لم تمت»

ومن القارئ: حاتم إبراهيم محمد سلامة سنجرج – منوف وردت هذه الكلمة الطيبة التى تشيد بالأخلاق وأنها باقية.. يقول فيها:

إن حياة الرعيل الأول من جيل الصحابة، صورة مشرقة، وتاريخ مضىء مشرف. يعجبك فيهم تقواهم وزهدهم، وتمسكهم المتين بشريعة الله، وسنة قائدهم ومربيهم.

لقد بلغوا قدراً عظيماً من الطهر والنقاء، يبلغ بهم مراتب الكمال البشرى والرفعة السامية. وهذه الرفعة وهذا الكمال، ما صنعهما وأوجدهما إلا أخلاق الإسلام وآدابه.

● وإذا كنا على هذا النحو مبهورين بخلقهم العالى وفضائلهم الرفيعة، فاعجب من هذا ألا نحاول أن نكون مثلهم، ونتخلق بأخلاقهم التى هى أخلاق الإسلام، ومن هذا الواقع فإن كلمتى موجهة لهؤلا القابعين فى الكسل فاستبدت بهم أدران النفوس، فصاروا يقرأون سير الصالحين، فيقولون عن جهل وحمق، أين نحن من هؤلاء، لقد كانوا وكانوا

● وتناسوا بهذا التخاذل، أن أخلاق الإسلام باقية لم تمت، صامدة لم تزل وأن هذه الأخلاق التى صنعت هؤلاء الأوائل، قادرة بنفس الحجم والقوة أن تخلق منهم صوراً ذات عزيمة ومضاء، لتبهر العالم من جديد، بمنهجها الأخلاقى الرشيد.... إن هؤلاء بدعواهم هذه لا يثنون على حياة الصحابة ولا يرثون لحالهم البئيس، وإنما هم فى حقيقة الأمر يسيئون للإسلام، ويعلنون بصورة مستترة أن أخلاقه، لا تستطيع أن تنجب وتنتج مُثلاً تهدى البشر والبشرية، من هوى النفوس، وجبروت الأهواء.

● بل إنهم بمقالهم يبثون يأساً وقنوطاً يهدم العزائم، ويفت الحماس، لتسير أمتنا إلى طريق مظلم، فلا جهاد ولا اجتهاد، ولا كفاح ولا امتداد لطريق الخير.... ليعلن الشر انتصاره وخلوده فى هذه الحياة.

ألا فليكفوا عن هذيانهم مستغفرين لتستطيع الأخلاق ساعتها أن يسرى مفعولها فيهم، لتقودهم للكمال كما قادت سلفهم.

كيف نعالج الهم؟

ومن القارئ/ محمد عباس محمد عرابي وردت هذه الكلمة التي يصف فيها علاجا ناجعاً لمن يصيبه الهم يقول:

الهمّ هو تفكير دائم يستعيد فيه المهموم متاعبه مراراً، دون أن يصل إلى حل نهائي يخفف عنه. وليست الهموم العادية مما يصعب التغلب عليها، وخير وسيلة لطردها هي أن يوجد الشخص لنفسه مجالاً للتنفيس عنها. ويمكننا أن نحقق ذلك عن طريق الانشغال عنها، وصرف الطاقة الفكرية، وكذلك الجسمية، في مجالات بعيدة عن مصادر الهم ومن هذه المجالات الانهماك في عمل مشوق، أو قراءة ممتعة، أو لعب مرفه، أو أي نشاط اجتماعي يستوعب الكثير من وقت الفراغ، الذي تتخذ منه الهموم مسرحا لنشاطها. كما أن من وسائل التغلب على الهموم أن يتحدث الشخص عنها إلى شخص آخر هو موضع ثقته. فإن ذلك يساعد على منع الكبت ولا يترك مجالاً للاسترسال في إدمان التحدث إلى النفس.

وقد وضع الرسول - ﷺ - تذكرة علاج فعالة للشفاء من الهم والحزن ففي الحديث الذي رواه البخاري أن الرسول - ﷺ - كان يكثر من قوله:- «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال»

وروى أحمد أن الرسول - ﷺ - قال:- «ما أصاب عبداً همٌ ولا حزن فقال:- «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدل فيَّ قضاؤك أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حُزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه، وأبدله مكانه فرحاً»

***

من إبداعات القراء:

ورد إلى المجلة العديد من الرسائل التى تحمل العزاء والمواساة فى وفاة الشيخ الجليل عبد المعز الجزار رئيس تحرير المجلة فجزى الله الجميع خيرا، ونرجو أن يتقبلوا - جميعا - شكرنا.

ونقدم قصيدة الأستاذ محمود الطاهر الصافى لتكون معبرة عن مشاركة القراء فى رثاء الشيخ الجليل - رحمه الله - تعالى.

يقول:

عبدُ المعزِّ مضى إلى الجنّاتِ ... فى خير سعى سابغ الخيرات

قد كان داعية يعيشُ مُجاهداً ... فى خدمة الإسلام والآيات

لم يألُ جهداً فى رضاء علومه ... ورضاء سيرة سيد السادات

قد كان نوراً فى الحقائق ساطعاً ... فجزاه ربُّ الحق بالنفحات

قد كان نجماً فى الفصاحة لامعاً ... يغذو النفوس بحكمة وثبات

فلَمْ من الشبان غاب عن الدُّنا ... لكنْ ذكراهُ بكُلِّ جهات

فـ(الأزهرُ) الغراءُ تذكر نعته ... فى خالد التذكار والصفحات

ومصنفات العلم من نفحاته ... تدعُو لهُ الأسماع بالكلمات

يارب فارفعْهُ بخير فرادس ... فهْو الجديرُ برفعة الدرجات

شعر:

محمود الطاهر الصافى

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ/ عمر البسطويسي

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٢٠ من رمضان ١٤٢١هـ ١٦ / ١٢ / ٢٠٠٠ الوفد الماليزى برياسة السيد/ شهيدان بن قاسم كبير الوزراء بولاية فرلسيس الماليزية برافقه الشيخ/ محمد يحيى مفتى الولاية والأستاذ/ محمود عيدون المحاضر بالجامعة الوطنية بماليزيا، والسيد المستشار التعليمى بالوزارة، والسيد الملحق التعليمى.

رحب فضيلة شيخ الأزهر بالوفد الكريم معربا بأن الأزهر الشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يضع فى مقدمة أولوياته حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وحفظ التراث الإسلامى، وبابه مفتوح لكل مسلم ولكل طالب علم فى أركان الدنيا، ويلبى كل طلبات الدول وخاصة دولة ماليزيا ويذلل كل الصعاب التى تواجه طلبة ماليزيا الذين يدرسون على منح الأزهر الشريف.

قدم الوفد شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء، كما أعربوا عن سعادتهم لوجودهم فى القاهرة بلد الأزهر الشريف، وقالوا إنهم يحملون تحيات رئيس دولة ماليزية لفضيلة شيخ الأزهر، كما أعربوا عن سعادة أبناء وشعب ماليزيا للزيارة التى قام بها فضيلته لدولة ماليزيا، والأثر الطيب الذى تركته تلك الزيارة فى نفوس دولة ماليزيا رئيسا وحكومة وشعبا.

قدم الوفد لفضيلة الإمام الأكبر كتيبا باللغة الأندونيسية به المحاضرات التى ألقاها فضيلته فى ماليزيا أثناء زيارته، وقالوا: إن هذه المحاضرات تركت أثرا طيبا جدا لدى شعب وحكومة دولة ماليزيا.

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير/ يوسف أحمد سفير الجمهورية العربية السورية بالقاهرة فى

٢٨ من رمضان ١٤٢١هـ ٢٤/١٢/٢٠٠٠ وتأتي هذه الزيارة بمناسبة تسلم سيادته عمله الجديد كسفير لبلاده بالقاهرة.

وقد رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف وقدم له الشكر على زيارته الكريمة وتمنى له إقامة طيبة في مصر.

ودعا له بالتوفيق والسداد وأبلغه بأن الأزهر بابه مفتوح وقلوبنا - أيضا - مفتوحة لكل طلبات سيادته بل لكل مايوطد أواصر التفاهم والحب بين بلدينا، وطلب فضيلته إبلاغ تحياته والعاملين بالأزهر للجمهورية السورية رئيسا وحكومة وشعبا داعيا المولى - عز وجل - أن يديم على دولتينا مصر وسوريا نعمة الأمن والأمان والرخاء وأن ينصرهما على القوم الظالمين.

وأبدى سعادة السفير سروره البالغ للقاء فضيلة الإمام الأكبر وزيارته للأزهر الشريف منارة العلم وقبلة العلماء وقال: أشعر أنني في بلدي الثاني مصر وبين أهلي وإخواني، ولا أشعر في مصر بأي غربة على الإطلاق.

وناقش سيادته مع فضيلة شيخ الأزهر معادلة بعض الشهادات الدراسية في سوريا لإلحاق حامليها من الطلاب بجامعة الأزهرالشريف.

وفي نهاية اللقاء تمنى فضيلته للضيف إقامة طيبة بالقاهرة، وشكر الضيف لفضيلته حسن الحفاوة واللقاء.

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه البابا شنودة الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية والوفد المرافق له، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته ولعلماء الأزهر والمسلمين وذلك بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك في ٢٩ من رمضان ١٤٢١هـ ٢٥/١٢/٢٠٠٠م رحب فضيلته بالضيف والوفد المرافق موضحا أن مصر العظيمة يعيش أبناؤها في أمن وأمان وسلام لا فرق بين مسلم ومسيحي فكل واحد له حقوق وعليه واجبات وقد منّ الله - تعالى - علينا جميعا بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى، وعلينا أن نؤدي واجب الشكر لله - عز وجل - على هذه النعم، ودعا الله - سبحانه وتعالى - أن يديم على مصر نعمة الأمان والاستقرار تحت قيادة السيد الرئيس محمد حسني مبارك حفظه الله الذي يعمل جاهدا على استقرار مصر داخليا وخارجيا.

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه السيد/ توماس فار وكيل وزارة الخارجية الأمريكية ورئيس المكتب الدولي للحرية الدينية بالولايات المتحدة الأمريكية.

حيث رحب فضيلته بالضيف في الأزهر الشريف قلعة العلم وموئل العلماء وأكد أن الأزهر الشريف الذي عمره الآن أكثر من ألف عام تقوم الدراسة فيه على الاعتدال والتوسط والدراسة الدينية السليمة، وهو من خلال هذه الدراسة يدعو إلى نشر الإسلام الذي يدعو إلى الأمن والأمان بين أفراد المجتمع كله، لأن الناس جميعا خلقوا من أب واحد وأم واحدة يقول الله - تعالى -:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾(١).

كما أوضح فضيلته أننا يجب أن نتعاون دائما على نشر الفضائل التى جاءت والتى اتفقت عليها جميع الأديان السماوية والتى لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، مؤكدا على أن حرية الإنسان حق كفله الله للإنسان وهى فضيلة وحق من حقوقه، والاعتداء عليها رذيلة، وأن الله - تعالى - منذ أوجد الإنسان والعقيدة جزء منه لأن الروح فى حاجة إلى العقيدة، والعقائد لاتباع ولا تشترى ولا إكراه عليها، ولقد أشار القرآن الكريم فى آياته البينات إلى هذه الحقيقة فى قوله - تعالى -: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ لأن الإكراه على العقائد لا يولد مؤمنين صادقين وإنما يأتى بمنافقين كذابين، وشريعة الإسلام تدعو إلى عدم الإكراه، بل إن عدم الإكراه على العقائد ركن من أركان الإسلام، لأن حرية العقيدة مكفولة لكل إنسان، كما أن شريعة الإسلام تدعو أتباعها بألا يسيئوا إلى غيرهم.

وأكد الضيف أن الأزهر مركز إسلامى عظيم، ونحن نؤمن بأن لكل إنسان الحق فى حرية العقيدة مشيرا إلى أن مكتب حرية الأديان بالولايات المتحدة الأمريكية يسعى دائما إلى تقوية المفهوم العالمى للحرية الدينية، وتشجيع الثقافات المختلفة على ذلك، وأضاف: إننا نهتم بإقامة علاقات إيجابية مع ستة ملايين مسلم بأمريكا، ولدينا الرغبة فى فهم مبادىء الإسلام وأن الإنسان لا يستطيع أن يمسك الحقيقة إلا عن طريق الحرية.

وقال فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف، إننا نؤيد فكرة حرية الأديان، وكل ما يدعو له مكتب حرية الأديان، لأن شريعة الإسلام تعتبر كل شىء يأتى عن طريق الإكراه لا قيمة له سواء كان ذلك يتعلق بالعقائد أو بالمعاملات أو بأى لون من ألوان السلوك الإنسانى.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء وقال: إنه سعيد بلقاء فضيلة شيخ الأزهر وما سمعه منه.

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف يوم ٢٠ من شوال ١٤٢١هـ/١٥/١/٢٠٠١ وفد مجلس النواب بالجمهورية اليمنية برئاسة الدكتور سمير خيرى رضا مقرر لجنة السكان والصحة باليمن، رحب فضيلته بالسادة الضيوف فى الأزهر الشريف معربا عن ارتياحه للروابط العميقة بين مصر وأزهرها الشريف ودولة اليمن الشقيقة ذات التاريخ الحضارى والعلمى والثقافى العريق وأكد فضيلته على الروابط القوية المتينة التى تربط بين مصر واليمن وهى روابط الأخوة والاحترام مشيرا بأن هذه اللقاءات من شأنها تجديد الأخوة والمحبة بيننا؛ بل إنها تجعلنا نتعاون على البر والتقوى ونتكاتف على خدمة الحق والعقيدة والمصالح المشتركة التى أحلها الله - سبحانه وتعالى - كما أوضح فضيلته بأن الأمم الرشيدة تسعى نحو التآلف والتعاون والتسامح

---

(١) الحجرات (١٣)

وإشاعة الكلمة الطيبة، وكل هذا من أجل خدمة ديننا وأمتنا، وعندما تصفو النفوس وتحسن صلة الإنسان بخالقه يأتي الخير الكثير حيث يتحول القليل إلى كثير والأمر البعيد إلى قريب ببركة التعاون.

كما أوضح فضيلته أن الأزهر الشريف يحرص على أن تقوم الدراسة فيه على الاعتدال والتوسط والبعد عن التعصب المقيت، وأوضح أن أصول الإسلام ثابتة كالصلاة والصوم والزكاة والحج فهي أركان ثابتة ومحل اتفاق، أما مسائل الاجتهاد فقد تكون محل مناقشة.

وحول سؤال من الوفد عن رأي الدين في مسألة تنظيم الأسرة أجاب فضيلته: بأن الإسلام أباح تنظيم الأسرة إذا ما كانت هناك ضرورة لذلك والضرورة يقدرها الزوجان فيما بينهما طبقا للحالة الصحية أو الاجتماعية أو النفسية، وأيضا بما يقدرها الطبيب المسلم بالوسيلة التي يراها مناسبة لذلك بما لا يخالف الشريعة الإسلامية، والضرورة تقدر بقدرها، فالإجهاض أو تحديد النسل أو منعه كل ذلك حرام، وأيضا تنظيم الأسرة يختلف من حيث الزمان والمكان فلكل أسرة ظروفها ولكل دولة ظروفها أيضا، ولا مانع من تنظيم النسل متى كانت هناك ضرورة يقدرها الزوجان ولفترة معينة، وأكد على أن الإسلام ضد التعقيم وضد التحديد ضد الإجهاض وضد المنع.

كما أجاب فضيلته عن أسئلتهم واستفساراتهم في بعض الأمور الدينية.

شكر الوفد فضيلته على حسن اللقاء وعلى ما استفادوا به من علم فضيلته الغزير وعلى ما يقدمه الأزهر لأبناء المسلمين من منح دراسية للتعليم في الأزهر الشريف ثم يعودون إلى بلادهم حاملين العلم النافع، فهم رسل علم وخير وسماحة، وأشادوا بدور الأزهر العظيم في نفوس أبناء وشعب وحكومة اليمن لما له من مكانة عالية.

وفي نهاية اللقاء دعا فضيلته لمصر ولدولة اليمن وللدول الشقيقة العربية والإسلامية بدوام التقدم والرقي، وقدم المصحف المفسر طبع الأزهر الشريف هدية لكل فرد في الوفد وكتيب عن تنظيم الأسرة ثم قام الوفد بزيارة لمكتبة الأزهر الشريف للإطلاع على كتب التراث والمخطوطات وأخذوا فكرة طيبة عن مكتبة الأزهر الشريف.

* في ندوة القدس التي أقامتها جامعة الأزهر الشريف تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف وعقدت في مركز صالح كامل للدراسات الإسلامية الاقتصادية في ١٩، ٢٠ شوال ١٤٢١هـ، ١٤، ١٥/ ١/ ٢٠٠١م.

رحب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة القدس والمسجد الأقصى المبارك وذلك لشد أزر إخواننا الفلسطينيين، وأكد أنه في العام الماضي قام بزيارة مع وفد إسلامي رفيع المستوى بدعوة من السيد الرئيس ياسر عرفات، وقال: إننا عندما نتحدث عن إخواننا في فلسطين وقضاياهم لا نتحدث بألسنتنا بل نتحدث بقلوبنا قبل ألسنتنا، لأن فلسطين قطعة من مصر ومصر قطعة من فلسطين وإن إخواننا في فلسطين قطعة منا، قال ذلك في كلمته أمام الجلسة الافتتاحية لندوة المسجد الأقصى التي نظمتها رابطة الجامعات الإسلامية.

وأضاف أن ديننا وعقيدتنا تأمرنا أمرا مؤكدا أن نتعاون مع إخواننا الفلسطينيين

بكل ألوان المعاونة والمساعدة وأننا إذا قصرنا فى ذلك نكون خائنين لديننا وأمتنا.

وأعلن الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف أن قضية القدس قضية المسلمين جميعا، فكما أنهم مكلفون بالحفاظ على المسجد الحرام والدفاع عنه فهم أيضا مكلفون بالدفاع عن المسجد الأقصى المبارك والاعتزاز به، وأكد على دعوته منذ سنوات لأن يقوم المسلمون بزيارة المسجد الأقصى بالوف مؤلفة على مدار العام ليعرف العالم أجمع أن الأماكن المقدسة للمسلمين جميعا فى شتى أنحاء الأرض ولن يتخلوا عنها بأى حال من الأحوال فلا تستطيع إسرائيل الوقوف فى وجه مليار، ٣٠٠ مليون مسلم.

كما أعلن الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف أن الندوة تأكيد لوقوف الأزهر الشريف وجامعته العريقة بجانب الانتفاضة ليظل الصمود أمام الصلف الإسرائيلى لمناصرة إخواننا فى فلسطين وقال: إننا نقدم دماءنا لأخواننا فى فلسطين وكانت جامعة الأزهر الشريف سباقة حيث أمدت سيارات الهلال الأحمر بالدم لجرحى الانتفاضة.

وأكد الدكتور محمد عبد الحليم عمر مدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى فى كلمته على اهتمام الأزهر الشريف وجامعته العريقة بقضية القدس الشريف حيث عقدت ثلاثة مؤتمرات منذ بدء الانتفاضة فى سبتمبر وأشار إلى أن هذا اللقاء هو تعبير عن تلاحم القواعد الشعبية مع القيادة السياسية فهذا هو موقف السيد الرئيس محمد حسنى مبارك الذى يعلنه دائما بأن قضية القدس والمقدسات الإسلامية قضية لا تقبل المساس بها.

وتحــــدث فى الندوة ممثل دولة فلسطين الدكتور بركات الفرا مؤكدا على أن القدس عربية وستظل عربية رغم أنف الصهاينة، وأن اليهود قتلة الأنبياء موجودون فى القدس بالقوة ولكن لن يستمروا طويلا، ودعا لزيارة القدس والمسجد الأقصى المبارك لشد أزر الفلسطينيين ليظلوا على صمودهم.

وتحدث الدكتور/ عبد الصبور مرزوق أمين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مؤكدا على أن القــدس الشــريف فى قلوب المسلمــين جميعا، والمقدسات الإسلامية الدينية فى يد المسلمين ويجب أن تعمل على ذلك.

شارك فى الندوة علماء الأزهر الشريف ورجال الفكر وأساتذة جامعة الأزهر وبعض وسفراء الدول الإسلامية والعلماء المسلمين الذين يحضـرون دورات تدريبيـة بالأزهر الشريف.

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فى ٢١ من شوال ١٤٢١هـ ١٦/١/٢٠٠١م معالى السفير/ ديناجوراجا محمود سفير جمهورية مالى بالقاهرة.

رحب فضيلته بالضيف فى الأزهر الشريف مؤكدا على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم العون والمساعدة لأبناء مالى وذلك عن طريق تعليمهم العلم النافع الذى من شأنه أن يساعدهم على أن يكونوا علماء نافعين لأنفسهم ولبلادهم حينما يعودون لأهليهم

وذويهم يبصرونهم بأمور دينهم، والدراسة فى الأزهر الشريف تمتاز بالوسطية والاعتدال والبعد عن التعصب والعنصرية، وأن باب الأزهر مفتوح على مصراعيه للاستجابة لكل مطالب الشعب المالى وتذليل العقبات أمام الطلبة الدارسين بالأزهر الشريف، ودعا الله ـ عز وجل ـ أن يعم الرخاء والأمان والسلام دولة مالى الشقيقة.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على حسن اللقاء والحفاوة، مشيدا بالأزهر الشريف وشيخه العالم الجليل لما يقدمه من عون ومساعدة لأبناء مالى وللبعثات التى يوفدها الأزهر الشريف لتعليم أبناء مالى أمور دينهم، كما حمل الضيف تحيات رئيس جمهورية مالى لفضيلة الإمام الأكبر وللأزهر الشريف، والشعب المالى يكن كل احترام وتقدير لمن تلقوا العلم فى الأزهر الشريف من أبناء دولة مالى لأنهم يتميزون بالعلم وبالمعرفة، كما يتميزون بالاعتدال والبعد عن التشدد فى تصرفاتهم ومعاملاتهم، كل ذلك لأنهم تعلموا فى الأزهر الشريف.

وأكثر من ٩٧٪ من الشعب المالى مسلمون، والسيدات اللاتى تجاوزن الخمسين من العمر بدأن فى تعلم اللغة العربية ومبادىء الإسلام.

وفى نهاية اللقاء بعث فضيلة الإمام الأكبر بتحياته وتحيات شعب مصر إلى السيد رئيس جمهورية مالى وللحكومة والشعب مؤكدا على أن مصر وأزهرها الشريف فى خدمة جمهورية مالى الشقيقة.

قرارات فضيلة الإمام الأكبر

* صدر قرار شيخ الأزهر الشريف رقم ٣ لسنة ٢٠٠١ يسند إلى الشيخ حسين حسن حامد الطويل مدير إدارة الامتحانات بمنطقة القاهرة الأزهرية القيام بعمل وظيفة مدير عام الإدارة العامة للبعوث الإسلامية بصفة مؤقتة لحين شغلها بصفة أصلية ممن تتوافر فيه شروطها وفقا أحكام قانون الوظائف القيادية رقم ٥ لسنة ١٩٩١ ولائحته التنفيذية.

صدر فى ٧ من شوال ١٤٢١هـ الموافق ٢ من يناير ٢٠٠١م.

* صدر قرار شيخ الأزهر الشريف رقم ٥ لسنة ٢٠٠١ بالموافقة على ندب كل من:

١ ـ فضيلة الشيخ على على على الفحار مدير عام مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية لوظيفة مدير عام منطقة وعظ الغربية.

٢ ـ فضيلة الشيخ محمود عيسى عبد القادر مدير عام العلاقات العامة بالأزهر لوظيفة مدير عام مكتب الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وذلك لصالح العمل.

صدر فى ٨ من شوال ١٤٢١هـ الموافق ٣ من يناير ٢٠٠١.

* صدر قرر رئيس مجلس الوزاء رقم ٢٢٢ لسنة ٢٠٠٠ بناء على ما عرضه فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر: يعيّن السيد / عبد المنعم حافظ مأمون فودة فى وظيفة مدير عام الأمن بالأزهر الشريف لمدة سنة.

صدر برياسة مجلس الوزراء فى ٤ من شوال ١٤٢١هـ الموافق ٣٠ من ديسمبر ٢٠٠٠م.

Astres,le soleil et la lune en sorte que chacun vogue dans son orbite,c'est-à-dire dans un trajet circulaire autour de la source dont il a été créé.Allah-Gloire - à lui-dit:[*Allah retient les cieux et la terre pour qu'ils ne s'affaissent*.]**(Sourate''Fatir''verset41)**. En somme, Allah-qu'Il soit exalté-a créé entre les corps célestes et les astres des forces d'attraction qui sont de nature à les lier et à les unir les uns aux autres. Il s'agit là de la loi d'attraction découverte par Newton à la fin du xvii^e siècle. C'est ainsi que les versets coraniques et les réalites géoastronomiques ont prouvé la forte présence du phénomène de rotation et de mouvement entre les planètes, les astres et les galaxies. Comme tout dans l'univers tourne autour de la même chose, il en est de même pour l'atome et le noyau. Ainsi, la ressemblance est évidente dans tous les mouvements du cosmos.

Traduit par:
Ebtihag Hassan ALMarsafy
Revisé par:
Dr.Roukeya Gabr

Les phénomènes cosmiques dans le Coran

La rotation des planètes

Les astres connaissent-ils un mouvement et une rotation semblables à ceux de la terre?
Docteur Fawzy AL.Chirbini, professeur de géoastronomie,
Dit: "les observations géoastronomiques ont prouvé que les neuf planètes du système solaire, y compris la terre, tournent, chacune à une vitesse régulière, autour du soleil dans le même sens de la rotation de celui-ci autour de son axe. Les photos ont montré que les astres sont en mouvement continu à une vitesse moyenne de 20 km/sec. La plupart des astres de notre galaxie ainsi que ceux des galaxies extérieures ne tournent pas seuls mais sous forme de constellations constituées de deux, de trois, de quatre astres, voire plus.
On a trouvé que, selon la loi du mouvement et de la composition de l'atome, la masse de ce dernier est. concentrée dans son noyau qui est à charges positives (les protons) autour duquel circulent de petits corps à charges négatives (les électrons). Or, le saint Coran a mentionné la loi du mouvement lorsqu'Allah-Gloire à lui- dit dans la sourate **AR-Rahman**: [*Et quant au ciel, Il l'a élevé bien haut. Et Il a établi la Balance.*] (Verset 7).
On sait que la balance est un instrument utilisé pour mesurer les poids et établir la justice. Mais le verset [*a établi la balance*] a rendu égales deux choses c'est-à-dire qu'allah a élevé les astres, leur a accordé une énergie cinétique et les a soumis à l'influence de celle-ci et à celle des forces d'attraction opposées qui les lient. Celà prouve qu'Allah-Le Très Haut-après avoir élevé les astres, a rendu égales les influences des forces d'attraction qui les lient et de leurs mouvements acquis c'est-à-dire qu'ils sont à égale distance les uns des autres. Ces distances ne diminuent pas par le rapprochement ni n'augmentent par l'éloignement. Allah-qu'Il soit exalté-a expliqué la nature du mouvement créé effectivement dans les corps célestes quand Il dit dans la sourate **AL-Anbia'** [*Et c'est Lui qui a créé la nuit et le jour, le soleil et la nuit, chacun voguant dans un orbite*] **(verset33)**.Ce qui signifie qu'Allah-Le Très Haut-a créé la terre,les

La porte ouverte

Par Dr. Rokeya GABR

(Et si Mes serviteurs t'interrogent à Mon sujet ,Je suis très proche et réponds à l'invocation de celui qui M'invoque lorsqu'il M'invoque)

(Allah a dit : Invoquez-Moi et je répondrai à votre demande)

Lorsqu'on réfléchit sur le sens de ces paroles, on trouve que ces versets ainsi que d'autres n'ont précisé ni un lieu ni un temps déterminé pour les invocations ; bien au c ontraire :ils laissent une entière liberté au croyant qui veut implorer son Seigneur.

Il ya en cela un indice qui montre que l'invocation d'Allah est une nécessité dans la vie de tout musulman,aussi bien dans la gêne que dans la prospérité,la nuit comme le jour.

L'on sait que tout être humain est soumis à des épreuves durant sa vie ; même les messagers et les prophètes n'en sont pas dispensés. Le Messager d'Allah-à lui bénédiction et salut- a dit : » Ceux qiu sont le plus durement éprouvés ce sont les prophètes ensuite les hommes les plus pieux ,puis ceux qui le sont un peu moins. L'on peut même di re que les gens sont éprouvés en fonction de leur grand mérite auprès d'Allah .

Quelle est donc cette porte ouverte que franchissent ceux qui subissent une dure épreuve ? Quel est ce baume capable de guérir leur poitrine et qui remplit leur cœur de calme ,de sérénité ,de certitude et d'espoir ?

Ce sont les invocations.Elles sont la clé qui dissipe les chagrins. A ce propos le noble Messager d'Allah-b.s.- a dit : »L'invocation dissipe l'épreuve ;elle est efficace aussi bien lorsque l'épreuve frappe un individu que lorsqu'elle ne l'a pas encore frappé. En cas d'épreuve ,l'invocation atténue les effets de cette dernière sur les âmes ;d'autre part, au cas ou il n'y a point d'épreuve,l'invocation a pour effet d'amener la clémence d'Allah envers Son serviteur dont le cœur rasséréné supporte avec patience et même avec gratitude l'épreuve qui le frappe .

L'invocation est la lumière de ceux dont la foi est ferme ;elle est aussi l'arme des repentants,la lanterne des pieux,le plaisir des fervents et l'épanouissement du cœur des fidèles.Allah ne nous a-t-Il pas commandé de nousréfugier auprès de Lui pour rechercher la protection auprès de Sa majestueuse souveraineté en implorant Sa toute-puissaance,Sa miséricorde et Sa clémence ?

Comment pouvons-nous faire cela si ce n'est en L'implorant ,les mains levées vers le ciel avec l'espoir d'être exaucés !?

Me voici tourné vers toi ,ô Seigneur,et disant : « C'est vers Toi que je me tourne ,tout en reconnaissant mafaiblesse et l'inefficacité de mes pouvoirs et de mes moyens,comptant sur Toi et m'adressant à Toi seul.Fais que mes espoirs se réalisent par le bien ,que mon unique souci soit de T'obéir. Tire-moi des ténèbres de l'ignorancevers la lumière des actions louables.Accorde-moi Ton approbation ,octroie-moi le pardon et la certitude de la foi.Fais que je sois sain en ma vie, en mon corps ,en mes pensées ,dans ma vue et mon ouie. Enveloppe -moi de Ta mansuétude apparente et cachée en me protégeant de tout mal et de tout chagrin. Ô Toi l'Omnipotent,éparge-moi tout malheur ainsi que les maux provenant des ennemis des envieux,des malins et des jaloux et fais naîtr dans mon cœur une lumièreémanant de Ton nom sublime .Tu es Celui qui répond aux invocations.

Rokeya GABR.

REVUE
AL AZHAR
Section Francaise

More than 1300 years before the Declaration of Human Rights, Islam was there to give the woman her due rights. The Organization of the Islamic Conference issued a decree in 1981 on human rights. Article 5 states that the family is the corner stone of the society and marriage is the means to form a family. The following points are included under this article :
A-Men and women have the right to marry no matter what nationality, color etc... they have.
B-The society and the Government have to remove all obstacles and facilitate marriages as well as look after the family. Meanwhile, Article 6 states that A- The woman is an equally dignified human being in the same way as a man. She has rights as well as duties. She has an independent civil personality and a separate financial liability. She has the right to keep her family name. B- The man is to look after his family and provide for it in line with the idea of-men's protection, maintenance and support of women (Qawama) in the Islamic Sharia.
In Islam women's opinion is important. She has the right to think freely and express herself. That is clear from the story of "Khaula bint Tha'alaba". She complained to the prophet (P & B U H) because her husband divorced her following the old pagan customs by saying. "You are to me as the back of my mother (Zahar). She urged her plea to the prophet. Her just plea was accepted and this custom of divorce based on false words was abolished. Thus, the words of a woman led to a new legislation.

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ
يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

Allah has indeed heard (and accepted) the statement of the woman, who pleads with," concerning her husband and carries her complaint (in prayer) to Allah : And Allah (always) hears the argument between both of your for Allah hears and sees (all things)" (al-Mujadala, 1)
Women according to the Qur'an is not blamed for Adam's first mistake. Adam and Eve were jointly wrong in their disobedience of Allah, both repented and both were forgiven. With regards to clothes, a Muslim woman's dress must cover all her body except the face and hands. She should not display her beauty and adornment in front of strangers. The covering of a Muslim woman is liberation from the male scrutiny. It sanctifies her and forces society to hold her in high esteem.

Reference :

An article "Sahria and the Woman's Rights" by : Mr El Sayed Ahmad Al Makhzangi, Al Azhar Magazine (Rajab 1421 H. October 2000)

Muslim Women

By : Hanan Abdou el Tahtawy

Women's dignity and rights are highly respected in Islam. As a human being, the woman is completely equated with a man in the sight of Allah. Many chapters (Sura) in the Qur'an focus on woman's affairs. For example, Surat Al Nisaa (The Women) and Surat Al Talaq (Divorce).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ
بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

"O mankind! Fear your Guardian Lord, Who created you from a single soul, Created out of it, his mate, and from them twin sacttered (like seeds) countless men and women; Fear Allah through Whom you demand your mutual rights, and be heedful of the wombs (that bore you for Allah ever watches over you."

(Surat An-Nisa, 1)

Islam guarantees a woman her civil rights in the society. She has the right to sign contracts, own property and accept or refuse a marriage proposal. It is forbidden to force a female to marry without her consent.

When married, the Muslim woman still keeps her family name. According to Islamic law, a woman's right to her money, real estate or other properties is fully acknowledged. She retains her full rights to buy, sell, mortage or lease any or all her properties. She has an independent personality and her weallth forever belongs to her. A husband does not have the right to take anything without her concession.

In terms of religion, a man and a woman have the same obligations in prayers, fasting, pure dues and pilgrimage. A woman even has certain advantage over man. She is exempted from the daily prayers and from fasting during the menstrual period and forty days after childbirth.

According to the teachings of Islam, the mother that bore us must ever have our reverence. The wife, through whom we enter parentage, must also have our reverence.

Narrated Abu Hurairah (May Allah be pleased with him) : A man came to Allah's Messenger (Peace and Blessings Upon Him) and said, "O Allah's Messenger! Who is most entitled to be treated with the best companionship by me?" The prophet (P&B U H) said: "Your mother." The man said, "Who is next?" the Prophet (P & B U H) said, "Your mohter." The man further said, "Who is next?" the Prophet (P & B U H) said, "Your mother." the man asked (for the fourth time), "Who is next?" The Prophet (P & B U H) said, "Your father."

(al Bukhari, the book of Al Adb- Good Manners)

The Lesson

The people of Thamud replaced the tribe of 'Ad and they were very similar to them in their beliefs and practices. The lessons to be learned from both of these stories are the same.

When people obtain great wealth and power they becme arrogant and begin to believe that there is no power greater than themselves that could take away what they have. They become arrogant and prideful which leads to their rejection of Faith and Belief in Allah. They forget that it is He who gives and He who takes away. They deny the prophets sent to them by Allah and this leads to their destruction.

At the same time wealth and power can lead people to blindly follow those who are their leaders or even their forefathers (Taqleed). They begin to believe that their fathers did things in a way that gave them great wealth and power and hence must be the right way. This is another attitude which leads directly to Allah's anger and the eventual destruction of those who practice Taqleed. Submission and servitude is to be directed towards Allah only and not any other.

One's material wealth should be shared with the needy. Throughout the Qur'an Allah speaks of those who gain His pleasure and specifically mentions those who are charitable. This is a very important aspect of Islam. There is equality between those who are wealthy and strong and those who are poor and weak. In the sight of Allah it is not one's possessions which make him more loved by Allah it his piety.

Anyone who endeavours to bring Allah's message to people must be patient, have courage, and be able to perservere through any type of situation. It is important that he who brings Islam to others depend on Allah only and have no fear of other human beings. it is this total dependence on Allah that brings security and strength.

Mankind inevitably becomes arrogant and obstinate once they have obtained technological and scientific knowledge. When mankind sees that they can accompolish great feats from this knowledge they turn away from rightehousness and truth. Instead they use the power they obtain to usurp those who are weak and they become oppressors.

When mankind turns to a life of nothing but sin, disobedience and rejection of Allah commands and laws, they bring about their own destruction. Only by turning to Allah repenting and aksing for His forgiveness, can mankind save themselves from destruction in this life, and torment and torture in the Hereafter.

he brought, they were suspicious of him. (Surah 11:62-62) They told Salih that he must be bewitched with madness and that he was nothing more than a human being like themselves. (Surah 26:154)

The disbleivers among the people of Thamud repeatedly told Prophet Salih to give them a sign -- a miracle -- from Allah to prove that he was telling the truth and that he was really one of Allah's messengers. They continued to refuse to accept his teachings and they said that they would be crazy or filled with madness to follow a human being like themselves. They questioned the fact that Allah would choose Salih with whom to send His Message instead of one of the other tribesmen. The disbelievers accused Salih of being a liar. (Surah 54:23-25)

It was at this point that Allah told Salih that He was sending a she camel as a sign and a test for the people of Thamud, and that Salih should watch them and be patient. (Surah 54:27-28)

Salih went to the disbelievers and told them that the she-camel was their sign from Allah

He told the people that they were to take turns drinking water from the wells and watering their livestock with the she-camel; each having its day for drinking. (Surah 26:155) Prophet Salih also warned the people to leave the she-camel to eat freely from Allah's earth and not to touch her or cause her any harm. He told them if they did not obey this command, Allah would send a terrible torment upon them. (Surah 11:64)

The disbelievers ignored Salih's warning. Instead they plotted to kill him and the she-camel. Nine of the most sinful and evil men from the sons of the chiefs of Thamud plotted to attack Salih and his household and kill them. However, their plotting did them no good as Allah protected Prophet Salih. (Surah 27:48-50)

At the same time the chiefs of Thamud brought the most evil and corrupt man from among them to kill the she-camel. He took his sword and killed her without any thought as to the consequence of his act. (Surah 54:29; Surah 92 : 127)

Prophet Muhammad said that the one who was appointed to cut the legs of the she-camel was the most wicked man among the Thamud -- he was a tough man whose equal was rare, powerful, honored among his people and enjoyed their full protection. (Sahih Bukhari)

The disbelievers then went to Salih and sarcastically told him to bring about the torment and punishment he promised if he was really a messenger of Allah . (Surah 7:77)

Prophet Salih said : "enjoy yourselves in your homes for three days. This is a promise that will not be belied." (Surah 11:65) On the morning of the fourth day all of the disbelievers of Thamud were destroyed. Allah has described their demise in the Noble Qur'an.

But As-Saiha (torment - awful cry, etc.) overtook them in the early morning (of the fourth day of their promised punishment days). .... so the earthquake seized them ... and they became like the dry stubble of a fold-builder. .... so they lay (dead), prostrate in their homes -- as if they had never lived there. (Surah 15:83; 7:78; 654:71; 11:67-68)

Allah saved Salih and all the believers from this horrifying end. And thus ends the story of Salih and the people of Thamud.

The Prophets of Allah

Prophet Salih

by Sheikh Muhammad Mustafa Gemea'ah

The tribe of 'Ad was destroyed and replaced by the tribe of Thamud. The people of Thamud have been called "the second 'Ad" because of their being so similar to the 'Ad in their disobedience to Allah. Thamud lived two hundred years after the 'Ad in the northern part of the Arabian Peninsula known as al-Hijr. They were skilled in the cutting of rocks from which they built great palaces and sewllings. Thamud distorted and corrupted the teachings of the previous messengers as did the 'Ad, and became idol worshippers.

Allah sent Prophet Salih to the people of Thamud so that he could call them back to the worship of Allah alone (Tawheed). (Surah 11:61)

Prophet Salih, like Prophet Hud called his people to the belief in the Oneness of Allah -- Tawheed -- and to stop blindly following their forefathers in idol worship. (Surah 7 : 74) He instructed them to repent to Allah and and to ask His forgiveness for their sins and disobedience. Prophet Salih reminded his people of all that Allah had bestowed upon them such as; power, strength, wealth, comfort, peace, gardens, springs, trees and the skill of carving homes and palaces out of stone. (Surah 26 :141 - 152)

As can be seen in the stories of the previous prophets humans become filled with arrogance, pride, and vanity once they possess reat wealth and comfort. They begin to build and enjoy living in tall buildings and they forget that they should be thankful and grateful to Allah as He is the One who provides these luxuries.

Salih tried to remind Thamud of their duty to Allah, which they had abandoned, by repeatedly mentioning the great comforts and bounties Allah had bestowed upon them. Prophet Salih warned them that if they continued to follow the disbelieving oppressors among them that they would come to the same end as the people who preceded them. He told his people that he asked no reward from them for bringing them Allah's message, as his reward would come from Allah alone. (Surah 26 : 145)

The chiefs of Thamud became more arrogant and prideful than before. They asked, with sarcasm, those who followed and believed in Salih if they knew for a fact that he was a prophet sent by Allah. The believers said to the chifs : "We do indeed believe in that with which he has been sent. (Surah 7:75) The chiefs then told Prophet Salih's followers that they did not believe in Salih or his message and that they had no intention of following him. (Surah 7:76)

The chiefs then began to mock the believers as they thought that the teachings of Salih were simple-minded and came from one who was possessed with madness. They could not believe that Prophet Salih wanted them to abandon worshipping idols. Their forefathers worshipped these idols and so they blindly followed their wrong-doing and rejected the true worship of Allah alone. The chiefs were very disappointed in Salih as they had always hoped that he would one day be their leader. He had always been of good character but with this new idea

AL-AZHAR MAGAZINE
Zu-L- Qieda 1421 H.

ENGLISH SECTION
Feb. 2001

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾

الأعراف/ ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr. TRANDIL H. EL RAKHAWY, Ph.D.

Dept. of English Language and Translation

Al-Azhar University

ADEL REFAI KHAFAGA M.A.

Executive Secretary

Al Azhar Magazine

الفهـرس

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

يصدرها

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

●●●

رئيس التحرير

أ.د. محمد رجب البيومي

مدير التحرير

الطاهر محمد الطاهر الحامدي

سكرتير التحرير

عادل رفاعي خفاجة

المراسلات باسم

مدير التحرير / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر

ت: ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات: قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

الحج مجمع علمي

لا أنسى مقامي بمنى ثلاث ليلات مع صفوة من كرام العلماء وفدوا لحج بيت الله من أقطار مختلفة، وقد بدأ التعارف تلقائيا حيث استمعت إلى أحدهم يناقش زميله في مسألة نحوية، وحين فرغا من الحديث، تقدمت إليهما فقلت ما بدا لي فيما كانا يتناقشان فيه، ثم تعارفنا، وانتقلنا إلى جماعة يعرفها صاحباي، وكلهم أستاذ نابه، فكانت ليلة عامرة بأطيب ذخائر العلم وما كدنا نفترق من بعدها حتى أذن مؤذن الرحيل، وقد اتصل التراسل العلمي بيني وبين هؤلاء النفر على بعد الديار فكان موسم الحج مهدا طاهرا لهذا التعارف العلمي، إذ قطفت منه أشهى الثمار.

وقد سبح خاطري في رحلة خيالية طريفة إذ جعلت أتأمل بخيالي طوائف العلماء وقد احتشدوا حول البيت العتيق عاما خلف عام، وتم التعارف العلمي بين هؤلاء الكرام في

←

أطهر أرض شرفها الله، وكم دارت حلبات النقاش العلمي خالصة لوجه الله ومتوخية وجه الصواب دون مراوغة إذ لا جدال في الحج.. فكل ينشد الحقيقة محتفلا بها أيا كان مصدرها، سبح خاطري في تصور هذه المجالس منذ نشأ العلم في الإسلام وهرع شيوخه إلى الحج خاشعين، فتقابلوا في شوق، وعرف كل دارس من صاحبه بعض ما لم يكن يعلم، فنقل عنه، وتأثر به، وكان أكثر العلماء في الزمن الغابر يؤمون البيت في أواخر رمضان، فلا يرجعون إلا في مطلع العام الجديد، وهو مدى حافل يتسع للنقاش، كم درست فيه من كتب، وكم تبودلت فيه من أخبار، بل إن بعض هؤلاء الأعلام كان يؤثر أن يقضي العام كله جارا لله في بيته فلا يرجع إلا إذا حج حجتين لا واحدة، وهو الغانم مغفرة من الله، وإحاطة بما لدى الزملاء من علم، ثم يرجع مغفور الذنب، مليء الوطاب من العلم، فيفوز بالسعادتين.

وقد ذكر صاحب نفح الطيب سجلا وافيا بأسماء من رحلوا إلى المشرق من المغرب، وهدفهم الأول حج بيت الله الحرام، فأتاحت لهم الرحلة الربانية أن يقابلوا مشيخة من أولى الفضل في مكة، والمدينة ثم دفعهم الظمأ إلى المعرفة أن يمروا بعواصم الإسلام قبل العودة فزاروا بغداد ودمشق والقاهرة وصنعاء ومنهم من توغل إلى بلاد المشرق فزار ما وراء النهر، ورأى ما لم يكن يظن أن يراه.. وسمع من العلم ما لم يكن يعرف له وجودا من قبل، وسأعود في مقال آخر إلى بسط نماذج من رحلات الراحلين بعد أن أدوا فريضة الحج وصمموا على أن يقفوا على أحوال العالم الإسلامي فكتبوا ما عرف فيما بعد بأدب الرحلات ولولا الحج ما انتشر هذا الفن الأدبي على امتداده الفسيح.

وقد سجل التاريخ رحلات الخلفاء والملوك إلى بيت الله في موسم الحج مسهبا مطيلا في ذلك، ولكنه سجل مع ذلك لقاء العلماء للخلفاء في هذا الموسم المشهود، وهو لقاء يستوي فيه الكبير والصغير، إذ لا سلطان لأحد على أحد في بيت الله، وتلك هي مزية الحج التي جعلت حرم الله آمنا، ويتخطف الناس من حوله، بل جعلت أعرابيا ساذجا يصرخ في وجه الحجاج بن يوسف قائلا: كيف أهابك وأنا في بيت الله وأنت عبده الخاضع لمشيئته! ويرى الحجاج أن الأعرابي صادق فيما قال أو أن رهبة من جلال الموقف تغشاه فتكفه عن مؤاخذة من يتحداه فيصيح به: انصرف بسلام.

لقد حج أبوجعفر المنصور ذات عام، فجاءته الأنباء أن علماء المسلمين يحجون هذا الموسم، وفيهم: عمرو بن عبيد، والأوزاعي وسفيان الثوري، ومالك بن أنس،

وابوذؤيب، وابوحنيفة ،وكان ابوجعفر طالب علم قبل ان يصير الأمر إلي بني العباس وله زمالة علمية مع عمرو بن عبيد وسفيان الثوري ومالك بن انس، فهو يعرف هؤلاء معرفة عيان ومشاهدة ولكنه يعلم مكانة الاوزاعي وأبي ذؤيب وأبي حنيفة في الفقه الإسلامي، فاحب أن يرى هؤلاء جميعا في عده، ورأى موسم الحج سبيلا طبيعيا لرؤية البعيد، ومحادثة الغريب فطلب إلي وزيره الربيع بن يونس أن يبعث بمن يأتي بهم في الصباح، وكان له ما اراد، ولم يُر المنصور أكثر خشوعا مع احد كما رُئي اليوم في مجلس هؤلاء، وقد دخلوا واحدا بعد واحد، وحادثهم في شئون السياسة التي يتبعها فوجد الجواب متفقا وكأنهم أعدوه في مجلس خاص، وذلك ما لم يحدث، وإنما أخلصت القلوب النصيحة فنطقت بالحق، وقد طلب المنصور من الإمام مالك أن يجمع المسلمين على رأي واحد، في كتاب يدونه، فلم يشأ أن يذعن لأن الفروع الفقهية تختلف في بعض اتجاهاتها ولكل حكم دليله، وأذعن المنصور لرأي مالك، إذ لمس صحة وجهته، وإن لم يعفه من تدوين كتاب يجمع المختار من احاديث الأحكام فكان الموطأ.

ومن البديهي أن يكون اجتماع هؤلاء الائمة في مكان واحد، موضع إفادة مرجوة لطلاب العلم، لأن المسجد الحرام منذ عهد الصحابة، لم يخل من فقهاء يشرحون ويوجهون ويفتون، فإذا كان الموسم الجامع فقد اتسعت الدائرة وتشافه العلماء وجها لوجه، وسمع الناس ما يقولون فرجعوا إلي بلادهم يحملون الكثير من احكام الله، ولا تكاد سيرة فقيه من فقهاء الإسلام في هذه العصور الزاهرة تخلو من رحلات متكررة لبيت الله، ولكل فقيه تلاميذه المستجيبون ومريدوه السائلون فالمجابون، وبذلك كله كان الحج جامعة علم ومدرسة إفتاء.

وهنا طريفة تقال، فقد كان بعض العلماء إذا أعياهم التأليف في مسألة علمية معقدة، رأوا في مجاورة البيت الحرام سبيلا إلي تيسير التأليف، فعزموا على البقاء بمكة بعد انتهاء الموسم، ليفرغوا إلي ما يريدون من الكتابة، مؤتنسين ببيت الله، هانئين بجواره، ويذكرون أن أبا القاسم الزمخشري كان يتوق إلي كتابة تفسير لكتاب الله، ويحس قدرا كبيرا من الهيبة يمنعه أن يبدأ، لأن المقام جد خطير، والكلام كلام الله، ولا يجرؤ على القول في تفسيره إلا من استوثق من علمه، وأبن شطط الرأي وفتنة الهوى، وهذا ما تلبس الزمخشري ردحا من الدهر، ثم رأى أن يكون جارا لله في بيته «لذلك أطلق عليه جار الله» مدة تقرب من أربع سنوات بدأ فيها بتفسير الكشاف حتى أتمه، وكان إحساسه ببركة البيت العتيق يدفعه إلي العمل المتواصل، واثقا من تيسير الله، حتى أتمه على وجهه المقروء، في مثل مدة

خلافة أبي بكر الصديق كما سجل ذلك، وقد تعالم الفقهاء في شتى بقاع العالم الإسلامي وجود أبي القاسم الزمخشري في حرم الله، فجعلوا يراسلونه مستفيدين، كما بعثوا برسائلهم العلمية إليه، ما بين طالب إجازة أو ملتمس فتوى، فكان الإمام مع اشتغاله بكتابة التفسير يجيب عن كل رسالة بما يناسب ويذكر مترجموه في هذا الصدد أن الحافظ السلفي عالم الإسكندرية ومحدثها بعث إليه طالبا أن يجيزه بدراسة مؤلفاته فلم يجبه لفوره، ومضى الرسول دون الإجازة، فانتظر الحافظ السلفي موكب الحج القادم وبعث إليه برسالة عاتبة فأدرك الزمخشري تقصيره في حقه، وكتب إليه رسالة نادرة رواها ياقوت في معجمه وابن خلكان في وفيات الأعيان، وفيها يقول: «العلم مدينة أحد بابيها الدراية، والثاني الرواية، وأنا في كلا البابين بضاعة مزجاة، ظلي فيها أقلص من ظل الحصاة»... ثم أجازه فأقر عينه بما أراد وحين أراد الرحيل إلى بلده أنشأ قصيدة يتحسر فيها على فراق البيت الحرام، وظل في وطنه يلهج بذكر مكة، وما صادف بها من المتعة الروحية واللذة العلمية، ولما مات رثاه أحد تلاميذه بقصيدة قال فيها:

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها

حزنا لفرقة جار الله محمود

وقد لاحظت لدى قراءة كتب التراجم في القرون الماضية مثل: الدرر الكامنة لابن حجر، والضوء اللامع للسخاوي، والبدر الطالع للشوكاني، والكواكب السائرة للغزي، والريحانة للشهاب الخفاجي، وسلافة العصر لابن معصوم، لاحظت أن جمعا كثيرا ممن ترجم لهم هؤلاء المؤلفون تُختَمُ حياتهم بالذهاب إلى مكة والدفن بها، ومعنى هذا أن حركة علمية كبرى قامت في الحرم المكي، حين تلاقت طوائف العلماء من كل صوب بمكة، وأنِسَتْ بالمقام الطيب لدى البيت العتيق، تحقيقا لقول الله -عز وجل-: ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ ومن غير العلماء أنشط لداعي الحرم الأمين، على أن مما يقطع كل ريب في هذه المسألة هو كتاب «المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر» وقد ظهر محققا في طبعة قشيبة أشرف عليها الأستاذان الجليلان المكيان، محمد سعيد العامودي، وأحمد علي، فإن فهرس هذا الكتاب يحفل بأسماء وألقاب للشامي، والمصري، والمنوفي، والطبري، والزواوي، والشيرازي والبخاري، والدهلوي، والهندي، واليمني والسنجاري، والداغستاني، والإسفرائيني، والدياربكري، والحبشي، والإنطاكي، والقازاني، والستاري،

والسندي، والحاوي، والتكروري، والحضرمي، والجبرتي، والقطبي، والتونسي، والاسترابادي ،والمؤري، والبلخي، والحموي، وما لا يندرج تحت حصر، فلله أرض وسعت هؤلاء جميعا ولله دين رفع الفواصل بين أبنائه في شتى بقاع الأرض، حتى أصبح الإسلام يغني عن البلد والنسب ويقوم مقام الدم المترقرق في جسد واحد، وقديما قال القائل:

أبي الإسـلام لا أب لي سـواه

إذا افـتـخـروا بقـيـس أو تميم

ولا أختم المقال دون أن أشير إلى سمة فاضلة من سمات زائري البيت الحرام.. من كبار العلماء، إذ أن شعور العالم البحاثة أنه في أقرب مكان من ربه، يغسل نفسه من أدران التعصب المذهبي، والجدل الفكري، ويدفعه إلى مزيد من التفاهم المقوي للأصرة الإسلامية، فقد اشتعلت في أوائل الثلاثينيات من هذا القرن جذوة الخلاف بين فريق من علماء المملكة وفريق من علماء مصر حول ما يدعي بالتوسل، واشتط بعض الذين لايجادلون بالتي هي أحسن من الفريقين في تعبيرات قاسية تؤجج المشاعر، وفي هذه الأثناء ذهب فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ إبراهيم الجبالي -رحمه الله- عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف إلى مكة حاجا معتمرا، ورأى من واجبه أن يقابل أصحاب الفضيلة علماء الحرم، وأن يتفقوا جميعا على احترام آداب البحث والمناظرة والبعد التام عما يشين الحوار العلمي من أساليب التهكم والاستهزاء ووجد الأستاذ الجبالي ترحيبا حارا بالفكرة أسعد نفسه ودفعه إلى كتابة مقال بمجلة نور الإسلام «ربيع الأول سنة ١٣٥٠هـ» الموافق لسنة ١٩٣١م يبدي فيه ارتياحه لما لمس من اجتماع الرأي على سعة الصدر، وعفة اللفظ لدى من تحدث معهم من علماء الحرم، وقد قال فيما قال:

«فلو أن أهل النظر وقادة الرأي في المسلمين، كانوا أوسع صدرا وأطول صبرا ونظر كل منهم في المسائل المختلف فيها من الناحية التي نظر إليها صاحبه، وكذلك يفعل صاحبه، فيضم كل منهما إلى علمه في المسألة علم مناظره، لكان جديرا أن يتقاربا في الرأي، إن لم يتفقا تماما، وفي ذلك رأب لصدع المسلمين، وجمع لشملهم، وضم لشتاتهم».

لقد كان الجو الطاهر بالبيت الحرام، داعيا أولي العلم إلى الوفاق، وتلك إحدى ثمار الحج، لا أختلقها اختلاقا، ولكن أتحدث عنها لتكون عبرة لمن اعتبر، ومثلا لمن تأمل، ومعي الدليل.

دكتور/ محمد رجب البيومي

تفسير سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

قال الله - تعالى -:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣) أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

الآيات رقم ٢١٣، ٢١٤

ثم بين ـ سبحانه ـ أحوال الناس وأنهم في حاجة إلى الرسل ليبشروهم وينذروهم ويحكموا بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه.

قال الفخر الرازي: اعلم أنه ـ تعالى ـ لما بين في الآية المتقدمة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا، بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المتقادمة؛ لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق ثم اختلفوا وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا.(١)

و ﴿ الأمة ﴾ القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم ببعض مأخوذ من أم بمعنى قصد لأن كل واحد من أفراد القوم يؤم المجموع ويقصده في مختلف شؤونه.

وللعلماء أقوال في معنى قوله ـ تعالى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

القول الأول الذي عليه جمهور المفسرين أن المعنى: كان الناس أمة واحدة متفقين على توحيد الله ـ تعالى ـ مقرين له بالعبودية مجتمعين على شريعة الحق ثم اختلفوا ما بين ضال ومهتد، فبعث الله إليهم النبيين ليبشروا من اهتدى منهم بجزيل الثواب، ولينذروا من ضل بسوء العذاب، وليحكموا بينهم فيما اختلفوا فيه بالحكم العادل، والقول الفاصل.

قال القفال: ويشهد لصحة هذا الرأي قوله ـ تعالى ـ ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(٢) فهذا يدل على أن الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إنما بعثوا حين الاختلاف، ويتأكد هذا بقوله:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾(٣)

ويتأكد أيضا بما نقل عن ابن مسعود أنه قرأ: كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين وكان على هذا الرأي على بابها من المضي، وعدم استمرار الحكم وعدم امتداده إلى المستقبل، لأن الناس كانوا مهتدين ثم زالت الهداية عنهم أو عن كثير منهم بسبب اختلافهم فأرسل الله ـ تعالى ـ رسله لهدايتهم.

القول الثاني يرى أصحابه أن المعنى: كان الناس أمة واحدة مجتمعين على الضلال والكفر فبعث الله النبيين لهدايتهم.

و« كان » على هذا الرأي ـ أيضا ـ على بابها من المضي والانقضاء ولا تحتاج على هذا الرأي إلى تقدير كلام محذوف، وهو ثم اختلفوا فبعث ... إلخ.

ومن العلماء الذين رجحوا القول الأول الإمام ابن كثير فقد قال: عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين .. وهكذا قال قتادة ومجاهد .. وقال العوفي عن ابن عباس: (كان الناس أمة واحدة) يقول: كانوا كفاراً (فبعث الله النبيين) والقول الأول عن ابن عباس وهو أصح سندا ومعنى؛ لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نوحا ـ عليه السلام فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض(٤).

---

(١) تفسير الفخر الرازي جـ٦ ص١١.

(٢) يونس (١٩).

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ٦ ص١٢.

(٤) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٥٠.

أما الرأى الثالث فقد قرره الإمام القرطبى بقوله: ويحتمل أن تكون «كان» للثبوت، والمراد الإخبار عن الناس الذين هم الجنس كله أنهم أمة واحدة فى خلوهم عن الشرائع، وجهلهم بالحقائق، لولا مَنّ الله عليهم وتفضله بالرسل إليهم.. فلا يختص «كان» على هذا التأويل بالمضى فقط، بل معناه معنى قوله:

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٥].

وهذا الرأى قد اختاره الأستاذ الإمام محمد عبده فى تفسيره للآية الكريمة ووافقه عليه بعض العلماء الذين كتبوا فى تفسير هذه الآية.. قال الأستاذ الإمام ما ملخصه:

«خلق الله الإنسان أمة واحدة؛ أى مرتبطا بعضهم ببعض فى المعاش لا يسهل على أفراده أن يعيشوا فى هذه الحياة الدنيا إلا مجتمعين يعاون بعضهم بعضا، فكل واحد منهم يعيش ويحيا بشىء من عمله لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن توفير جميع ما يحتاج إليه، فلابد من انضمام قوى الآخرين إلى قوته.. وهذا معنى قولهم: «الإنسان مدنى بطبعه» يريدون بذلك أنه لم يوهب من القوى ما يكفى للوصول إلى جميع حاجاته إلا بالاستعانة بغيره.. ولما كان الناس كذلك كان لابد لهم من الاختلاف بمقتضى فطرهم، وكان من رحمة الله أن يرسل إليهم مبشرين ومنذرين.

وترتيب بعثة الرسل على وحدة الأمة فى الآية التى نفسرها يكون على هذا المعنى: إن الله قضى أن يكون الناس أمة واحدة يرتبط بعضهم ببعض ولا سبيل لعقولهم وحدها إلى الوصول إلى ما يلزم لهم فى توفير مصالحهم ودفع المضار عنهم، لتفاوت عقولهم واختلاف فطرهم وحرمانهم من الإلهام الهادى لكل منهم إلى ما يجب عليه نحو صاحبه، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأيدهم بالدلائل القاطعة على صدقهم وعلى أن ما يأتون به إنما هو من عند الله - تعالى - القادر على إثابتهم وعقوبتهم[٦].

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة ما ملخصه: وإن هذا الرأى الذى اختاره الأستاذ الإمام هو الذى نختاره وعلى هذا التأويل لا يكون ثمة حاجة إلى تقدير محذوف، لأن ذات حالهم من كونهم لا علم لهم بالشرائع ولا تهتدى عقولهم إلى الحقائق بنفسها توجب البعث ولأن تلك الحال التى تكون على الفطرة وحدها توجب الاختلاف فتوجب بعث النبيين ثم إن نفس كل إنسان فيها نزوع إلى الاجتماع وحيث كان الاجتماع فلابد من نظام يربط وشرع يحكم.

وعلى هذا التأويل أيضا تكون الفاء فى قوله: ﴿ فَبَعَثَ ﴾ - وهى التى يقول عنها النحويون: إنها للترتيب والتعقيب - فى موضعها من غير حاجة إلى تقدير، لأن كون الناس أمة واحدة اقتضت الرسالة واقتضت الاختلاف.

و«كان» على هذا التأويل تدل على الاستمرار والثبوت، لأن الناس بمقتضى فطرهم دائما فى حاجة إلى شرع السماء لا يهتدون إلا به.

ثم قال فضيلته: وقد يقول قائل: إن جعل «كان» للاستمرار يفيد أن وحدة الناس فى الفطرة

---

(٥) تفسير القرطبى جـ٣ ص٣١.

(٦) تفسير المنار جـ١ ص٢٨٢ بتصرف وتلخيص.

وتاديها إلى التناحر يقتضى بعث النبيين إلى يوم القيامة، وانه لابد من نبى لعصرنا ونحن نسلم بالاعتراض ولا ندفع إيراده ونقول: نعم إنه لابد من قيام رسالة إلى يوم القيامة وهى رسالة محمد ـ ﷺ ـ التى جاءت بكتاب تتجدد به الرسالة والبعث إلى ان تفنى الأرض ومن عليها وهذا الكتاب هو القرآن الكريم الذى لا تبلى جدته، والذى تكفل الله بحفظه، وبإعجازه إلى يوم القيامة والذى من يقرؤه فكأنما يتلقاه عن النبى ﷺ(٧)

هذه هى أشهر الأقوال فى معنى قوله ـ تعالى ـ:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾

وهناك أقوال أخرى لم نذكرها لضعفها.

وقوله ـ تعالى:

﴿ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾

معطوف على ﴿ فَبَعَثَ ﴾ والمراد بالكتاب الجنس.

والمعنى: وأنزل ـ سبحانه ـ مع هؤلاء النبيين الذين بعثهم مبشرين ومنذرين كلامه الملتبس بالحق والجامع لما يحتاجون إليه من أمور الدين والدنيا، لكى يفصلوا بواسطته بين الناس فيما اختلفوا فيه من شئون دينية ودنيوية.

وذكر ـ سبحانه ـ الكتاب بصيغة المفرد للإشارة إلى أن كتب النبيين وإن تعددت إلا أنها فى جوهرها كتاب واحد لاشتمالها على شرع واحد فى أصله، وإذا كان هناك خلاف بينها ففى تفاصيل الأحكام وفروعها لا فى جوهرها وأصولها، وقوله: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ متعلق بأنزل، أو حال من الكتاب أى ملتبسا شاهدا به.

والضمير فى قوله: ﴿ لِيَحْكُمَ ﴾ يجوز أن يعود إلى الله ـ تعالى ـ أو إلى النبيين أو إلى الكتاب.. ورجح بعضهم عودته إلى الكتاب لأنه أقرب مذكور والجملة تعليلية للإنزال المذكور.

وفى إسناد الحكم إلى الكتاب تنبيه للناس إلى أن من الواجب عليهم أن يرجعوا إليه عند كل اختلاف.. لأن هذا هو المقصد الأساسى من إنزال الكتب السماوية.

وللأستاذ الإمام محمد عبده كلام نفيس فى هذا المعنى فقد قال ـ رحمه الله ـ ما ملخصه: «الحكم مسند إلى الكتاب نفسه، فالكتاب ذاته هو الذى يفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، وفيه نداء للمحاكمين بالكتاب أن يلزموا حكمه، وألا يعدلوا عنه إلى ما تسوله الأنفس وتزينه الأهواء.. ولو ساغ للناس أن يؤولوا نصا من نصوص الكتب على حسب ما تنزع إليه عقولهم بدون رجوع إلى بقية النصوص، لما كان لإنزال الكتب فائدة ولما كانت الكتب فى الحقيقة حاكمة، بل كانت متحكمة فيها الأهواء، فتعود المصلحة مفسدة، وينقلب الدواء علة، ولهذا رد الله الحكم إلى

---

(٧) تفسير الآية الكريمة لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبوزهرة. مجلة لواء الإسلام السنة الخامسة من العدد الثامن.

الكتاب نفسه لا إلى هوى الحاكم به. ونسبة الحكم إلى الكتاب هي كنسبة النطق والهدى والتبشير إليه في قوله ـ تعالى ـ:

﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ﴾

وقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

ثم يقول ـ رحمه الله ـ: يتخذ الواحد منهم كلمة من الكتاب أو أثراً مما جاء به وسيلة إلى تسخير غيره لما يريد، وذلك قطع الكلمة أو الأثر عن بقية ما جاء في الكتاب والآثار الأخر ولي اللسان أو تأويله بغير ما قصد منه؛ وما هم المؤول أن يعمل بالكتاب وإنما كل ما يقصد هو أن يصل إلى مطلب لشهوته، أو عضد لسطوته، سواء أهدمت أحكام الله أم قامت، واعوجت السبيل أم استقامت ثم يأتي ضال آخر يريد أن ينال من هذا ما نال غيره، فيحرف ويؤول حتى يجد المخدوعين بقوله، ويتخذهم عونا على الخادع الأول، فيقع الاختلاف والاضطراب، وآلة المختلفين في ذلك هو الكتاب[8].

ثم بين ـ سبحانه ـ الأسباب التي أدت إلى اختلاف الناس في الكتاب الذي أنزله لهدايتهم فقال:

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾

والضمير في قوله: ﴿ فِيهِ ﴾.

وفي قوله: ﴿ أُوتُوهُ ﴾ يعود إلى الكتاب، والمعنى عليه: وما اختلف في شأن الكتاب الهادي الذي لا لبس فيه، المنزل لإزالة الاختلاف، إلا الذين أوتوه، أي علموه ووقفوا على تفاصيله، ولم يكن اختلافهم لالتباس عليهم من جهته وإنما كان خلافهم من بعد ما ظهرت له الدلائل الواضحة الدالة على صدقه، وما حملهم على هذا الاختلاف إلا البغي والظلم والحسد الذي وقع بينهم.

والمراد بالذين اختلفوا فيه أهل الكتاب اليهود والنصارى، واختلافهم في الكتاب يشمل تصديقهم ببعضه وتكذيبهم بالبعض الآخر، كما يشمل اختلافهم في تفسيره وتأويله وتنفيذ أحكامه وعدم تنفيذها، وذهاب كل فريق منهم مذهبا يخالف مذهب الآخر في أصول الشرع لا في فروعه.

وعبر عن الإنزال بالإيتاء ـ كما يقول الألوسي ـ للتنبيه من أول الأمر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما فيه من الحق، فإن الإنزال لا يفيد ذلك، وقيل: عبر به ليختص الموصول بأرباب العلم والدراسة من أولئك المختلفين، وخصهم بالذكر لمزيد شناعة فعلهم ولأن غيرهم تبع لهم[9].

وقوله:

﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾

متعلق باختلف، وفيه زيادة تشنيع عليهم لأنهم قد اختلفوا فيه بعد أن قامت أمامهم الحجج الناصعة الدالة على الحق.

وقوله: ﴿ بَغْيًۢا ﴾ مفعول لأجله لاختلف

---

(8) تفسير المنار جـ1 ص284، 286.

(9) تفسير الألوسي جـ2 ص102.

و ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ متعلق بمحذوف صفة لقوله: ﴿ بَغْيًا ﴾ أى أن داعى الاختلاف هو البغى والحسد الذى وقع بينهم، فجعل كل فريق منهم يخطىء الآخر ويجرح رأيه.

وفى هذا التعبير إشارة إلى أن البغى قد باض وفرخ عندهم، فهو يحوم عليهم، ويدور بينهم ولا طمع له فى غيرهم ولا ملجأ له سواهم لأنهم أربابه الذين تمكنوا منه، وتمكن منهم بقوة ورسوخ.

وبعضهم جعل الضمير فى قوله: ﴿ فِيهِ ﴾ يعود إلى الحق، والضمير فى قوله: ﴿ أُوتُوهُ ﴾ يعود إلى الكتاب، أى: وما اختلف فى الحق إلا الذين أوتوا الكتاب.

ويرى بعض العلماء أن عودة الضمير فى كليهما إلى الحق أو إلى الكتاب جائز، وأن المعنى على التقديرين واحد، لأن الكتاب أنزل ملابسا للحق ومصاحبا له، فإذا اختلف فى الكتاب اختلف فى الحق الذى فيه وبالعكس على طريقة قياس المساواة فى المنطق والجملة الكريمة تحذير شديد من الوقوع فيما وقع فيه غيرهم من اختلاف يؤدى إلى البغى والتنازع والإعراض عن الحق.

ثم بين ـ سبحانه ـ حال المؤمنين بعد بيانه لحال الغاوين فقال ـ تعالى:

﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾

أى: فهدى الله الذين آمنوا وصدقوا رسله إلى الحق الذى اختلف فيه أهل الضلالة، وذلك الهدى بفضل توفيقه لهم وتيسيره لأمرهم.

والفاء فى قوله: ﴿ فَهَدَى ﴾ فصيحة لأنها أفصحت عن كلام مقدر وهو المعطوف عليه المحذوف.

والتقدير: إذا كان هذا شأن الضالين المختلفين فى الحق، فقد هدى الله بفضله الذين آمنوا إلى الصواب.

وبين ـ سبحانه ـ أن الذين رزقهم الهداية هم الذين آمنوا للإشعار بأن سبب هدايتهم للحق هو إيمانهم وتقواهم، واستجابتهم للداعى الذى دعاهم إلى الطريق المستقيم.

وأسند الهداية إليه ـ سبحانه ـ لأنه هو خالقها، ولأن قلوب العباد بيديه فهو يقلبها كيف يشاء، وهذا لا ينافى أن للعبد اختيارا وكسبا فهو إذا سار فى طريق الحق رزقه الله النور المشرق الذى يهديه، وإن سار فى طريق الضلالة واستحب العمى على الهدى سلب الله عنه توفيقه بسبب إيثاره الضلالة على الهداية.

وقوله ـ تعالى ـ فى ختام هذه الآية:

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ تذييل قصد به بيان كمال سلطانه، وتمام قدرته.

أى: والله وحده هو الهادى من يشاء من عباده إلى طريق الحق الذى لا يضل سالكه، فليس لأحد سلطان بجوار سلطانه ولو أراد أن يكون الناس جميعا مهديين لكانوا، ولكن حكمته اقتضت أن يختبرهم ليتميز الخبيث من الطيب، فيجازى كل فريق بما يستحقه.

قال ابن كثير: وفى صحيح البخارى ومسلم عن عائشة أن رسول الله ـ ﷺ ـ كان إذا قام من الليل يصلى يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه

يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم».

وفى الدعاء المأثور: اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل واجعلنا للمتقين إماما[10].

وبذلك نرى أن الآية قد بينت أن الناس لا يستغنون عن الدين الذى شرعه الله لهم على لسان رسله - عليهم الصلاة والسلام - وأن الأشرار من الناس هم الذين يحملهم البغى على الاختلاف فى الحق بعد ظهوره لهم، أما الأخيار منهم فهم الذين اهتدوا بتوفيق الله وتيسيره إلى طريق الخير والصواب

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

وبعد أن ذكر - سبحانه - حال الناس، واختلاف سفهائهم على أنبيائهم، واهتداء عقلائهم إلى الحق، عقب ذلك بدعوة المؤمنين إلى الاقتداء بمن سبقهم فى الصبر والثبات. فقال - تعالى -:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾.

قال القرطبى: قال قتادة والسدى وأكثر المفسرين: نزلت هذه الآية فى غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدة والحر والبرد وسوء العيش وأنواع الشدائد، وكانوا كما قال - تعالى -:

﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ ﴾[11]

وقيل نزلت فى حرب أحد، ونظيرها - فى آل عمران

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[12]

وقالت فرقة: نزلت الآية تسلية للمهاجرين حين تركوا ديارهم وأموالهم بأيدى المشركين، وآثروا رضا الله ورسوله، وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله وأسر قوم من الأغنياء النفاق فأنزل الله ذلك تطييبا لقلوبهم[13].

وما ذكره المفسرون فى سبب نزول هذه الآية الكريمة لا يمنع عمومها، وأنها تدعوا المؤمنين فى كل زمان ومكان إلى التذرع بالصبر والثبات تأسيا بمن سبقهم من المتقين حتى يفوزوا برضوان الله - تعالى - ونصره.

و﴿ أَمْ ﴾ هنا يرى بعضهم أنها للاستفهام الإنكارى، ويرى بعض آخر أنها أم المتصلة، ويرى فريق ثالث أنها أم المنقطعة.

قال الجمل: وحسب هنا من أخوات ظن تنصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر، وأن وما بعدها سدت مسد المفعولين عند سيبويه، ومسد الأول عند الأخفش والثانى محذوف، ومضارعها فيه وجهان: الفتح وهو القياس والكسر[14].

و﴿ وَلَمَّا ﴾ تدل على النفى مع توقع

---

(١٠) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٥٠.
(١١) الأحزاب (١٠).
(١٢) آل عمران (١٤٢).
(١٣) تفسير القرطبى جـ٣ ص٣٤.
(١٤) حاشية الجمل على الجلالين جـ١ ص١٦٩.

حصول المنفى بها، كما فى قول النابغة:

أزف الترحل غير أن ركابنا
لما تزل برحالنا وكأن قد

فنفى بلما ثم قال: وكأن قد، أى وكأنه قد زالت.

و﴿ ٱلۡبَأۡسَآءُ ﴾ ما يصيب الناس فى الأموال كالفقر. والضراء: ما يصيبهم فى الأنفس كالمرض مشتقان من البؤس والضر.

و﴿ وَزُلۡزِلُواْ ﴾ من الزلزلة وهى شدة التحريك وتكون فى الأشخاص وفى الأحوال. فيقال: زلزلت الأرض، أى تحركت واضطربت، ومعنى زلزلوا: خوفوا وأزعجوا واضطربوا.

والمعنى على أن ﴿ أَمۡ ﴾ للاستفهام الإنكارى: أظننتم أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان دون أن يصيبكم ما أصاب الذين سبقوكم من شدائد فى الأنفس والأموال، ومن مخاوف أزعجتهم وأفزعتهم حتى بلغ الأمر برسولهم وبالمؤمنين معه أن يقولوا وهم فى أقصى ما تحتمله النفوس البشرية من آلام: متى نصر الله؟!!

لا ـ أيها المؤمنون ـ إلى أنهاكم أن تظنوا هذا الظن، وآمركم أن تتيقنوا من أن الظفر بدخول الجنة يستلزم منكم التأسى بمن سبقكم من المتقين فى الصبر والثبات.

والمعنى على أن ﴿ أَمۡ ﴾ هنا هى المتصلة ـ أى المشعرة بمحذوف دل عليه الكلام ـ: قد خلت من قبلكم أمم أوتوا الكتاب واهتدوا إلى الحق فآذاهم الناس أذى شديدا فصبروا على ذلك أفتصبرون مثلهم على المكاره وتثبتون ثباتهم على الشدائد؟ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون أن يصيبكم ما أصابهم؟

والمعنى على أن ﴿ أَمۡ ﴾ هنا منقطعة ـ أى تدل على الإضراب والاستفهام معا ـ: لقد أوذيتم أيها المؤمنون فى سبيل دينكم أذى عظيما، فعليكم أن تصبروا وأن تثبتوا كما فعل الذين من قبلكم، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة دون ابتلاء وصبر.. أى: بل أحسبتم. إن كان هذا هو حسبانكم فهو حسبان باطل لا ينبغى لكم.

وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ ﴾ استئناف وقع جوابا عما يتساق إليه الذهن كأنه قيل: كيف مثل أولئك الذين خلوا ومضوا؟ فكان الجواب مستهم البأساء... إلخ.

ومستهم أى: حلت بهم. وعبر بمستهم للإشعار بأن تلك الشدائد قد أصابتهم بالآلام التى اتصلت بحواسهم وأجسادهم ولكنها لم تضعف إيمانهم إذ حقيقة المس اتصال الجسم بجسم آخر.

قال صاحب الكشاف: وقوله: ﴿ وَزُلۡزِلُواْ ﴾ أى: أزعجوا إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما أصابهم من الأهوال والإفزاع «حتى يقول الرسول» أى: إلى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها

﴿ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ ﴾ أى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك.. ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية دليل على تناهى الأمر فى الشدة وتماديه فى العظم؛ لأن الرسل لا يقادر قدر ثباتهم

واصطبارهم وضبطهم لأنفسهم، فإذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمع وراءها[15].

والمراد بالرسول - كما يقول الآلوسى - الجنس لا واحد بعينه. وقيل: شعياء، وقيل: أشعياء، وقيل اليسع. وعلى التعيين يكون المراد من الذين خلوا قوما بأعيانهم وهم أتباع هؤلاء الرسل[16].

وقوله - تعالى -: ﴿ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴾ استئناف على تقدير القول. أى فقيل لهم حينما التمسوا من الله النصر بعد تلك الشدائد والأهوال التى نزلت بهم: ألا إن نصر الله قريب، تطبيبا لأنفسهم، وبعثا للآمال فى قلوبهم.

وفى هذه الجملة الكريمة ألوان من المؤكدات والمبشرات بالنصر القريب، ويشهد لذلك التعبير بالجملة الاسمية بدل الفعلية فلم يقل - مثلا - ستنصرون والتعبير بالجملة الاسمية يدل على التوكيد.

ويشهد لذلك أيضاً تصدير الجملة بأداة الاستفتاح الدالة على تحقيق مضمونها وتقريره، ووقوع إن المؤكدة بعد أداة الاستفتاح، وإضافة النصر إلى الله القادر على كل شىء والذى وعد عباده المؤمنين بالنصر فقال:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾[17].

هذا والمتأمل فى الآية الكريمة يراها قد بينت للمؤمنين أن طريق الجنة محفوف بالمكاره، وصدق رسول الله - ﷺ - فى قوله: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» وأنهم لكى يصلوا إلى الجنة عليهم أن يتأسوا بالسابقين فى جهادهم وصبرهم على الأذى، فقد اقتضت سنة الله أن يجعل هذه الحياة نزالا موصولا بين الأخيار والأشرار، ونزاعا مستمرا بين الأطهار والفجار، وكثيرا ما يُضَيِّق البغاة على المؤمنين، وينزلون بهم ما ينزلون من صنوف الاضطهاد إلا أن الله - تعالى - قد تكفل بأن يجعل العاقبة للمتقين.

ولقد حكى لنا التاريخ أن المؤمنين السابقين قد صبروا أجمل الصبر وأسماه فى سبيل إعلاء كلمة الله.

روى البخارى عن خباب بن الأرت - رضى الله عنه - قال: شكونا إلى رسول الله - ﷺ - وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[18].

وبذلك نرى أن السورة الكريمة من قوله - تعالى -:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ﴾

إلى هنا قد بينت لنا أقسام الناس فى هذه الحياة، ودعت المؤمنين إلى أن يتمسكوا بجميع تعاليم الإسلام، وأن يزهدوا فى زينة الحياة التى شغلت المشركين عن كل شىء سواها، وأن يشكروا الله على هدايته إياهم إلى الحق الذى اختلف غيرهم فيه، وأن يوطنوا أنفسهم على تحمل الآلام لكى يحقق الله لهم الآمال.

«يتبع»

---

(15) تفسير الكشاف جـ1 صفحة 256.

(16) تفسير الآلوسى جـ2 صفحة 101.

(17) سورة غافر (51).

(18) صحيح البخارى، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر جـ9 ص26.

تعقيب على رد

التواتر شرط لازم لقبول القراءة

لفضيلة الشيخ / أبو صفى الرحمن السكندرى (*)

فى مقالى السابق والمنشور بمجلة الأزهر الغراء فى جزئها التاسع من السنة الثالثة والسبعين، الصادر فى رمضان ١٤٢١هـ الموافق ديسمبر ٢٠٠٠م فى الصفحات ١٣٤٤ وما بعدها. تناولت مسألتين أثيرتا ضمن المسائل الحافل بها النقاش الدائر بين فضيلة الشيخ صديق بكر عبطة -حفظه الله- والأستاذ الدكتور صبحى عبدالمنعم -وفقه الله-.

الأولى: تتعلق بكتاب (الفرقان) وصاحبه، وقد أوضحت فيها أن كاتب الكتاب من المنكرين للقراءات المتواترة المعلومة من الدين بالضرورة.

الثانية: وتتعلق ببيان العلاقة بين « القرآن » و« القراءات » وانتهيت فيها إلى أن التغاير الواقع بينهما فى كلام « الزركشى » -رحمه الله- لا يُقصد به التغاير التام، بل بينهما علاقة الجزء بالكل.

وأتناول -إن شاء الله- فى هذا المقال -بالتعليق والإيضاح- مسألة « تواتر القراءات » وبيان أن التواتر شرط لازم لقبول القراءة. وأعنى بـ « التعليق » أن كلامى الآنف التعقيب على كل ما ذكره الأستاذ الدكتور / صبحى عبدالمنعم -وفقه الله- من استدلالات رأى منها أن صحة السند تكفى فى قبول القراءة وليس الأمر كما يرى. وأعنى بـ « الإيضاح » ذكر القول الفصل فى هذه المسألة. فأقول وبالله أستعين:

بعد أن عاب الأستاذ الدكتور / صبحى -وفقه الله- على فضيلة الشيخ / عبطة، تصريحه بلزوم شرط التواتر فى قبول القراءة، وبعد أن فنَّد عبارته

(*) محفظ القرآن الكريم بمركز الشيخ محمد بن صقر القاسمى بالإسكندرية وعضو نقابة القراء بالأزهر الشريف.

الواردة في ذلك، واصفا إياها بسوء التركيب اللغوي الذي يوقع القارئ في لبس شديد[1]!!

قال سيادته: « ...... ومهما يكن من الأمر فمن الواجب أن نشرح القول الذي ارتضاه علماء الأمة في شأن التواتر... »[2]اهـ. والمفترض بعد هذه العبارة أن سيادته سوف يشرح ما ارتضاه علماء الأمة في شأن التواتر، فهل وفَّى سيادته بما قال؟!

١- قال سيادته: -في أول استدلالاته- ما نصه: « يقول مكي بن أبي طالب المتوفى ٤٣٧هـ في كتابه « الإبانة عن معاني القراءات » ص٣٩، معبراً عن فكر علماء الأمة في القرون الأربعة الأولى من الهجرة:-

... قسم يقرأ به اليوم، وذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال:

وهي أن ينقل عن الثقات إلى النبي -ﷺ- ويكون وجهه في العربية التي نزل بها شائعاً، ويكون موافقا لخط المصحف.. إلخ ».

علق سيادته على قول مكي -رحمه الله- قائلاً: « وهكذا نرى أن الفكر الذي كان يشيع في القرون الأربعة الأولى لا يشترط التواتر في سند القراءة المقبولة... »اهـ.

أقول: أما قول سيادته أن مكياً -رحمه الله- بما قال يعبر عن فكر علماء الأمة في قرونها الأربعة الأولى ففيه نظر، وهو غير سديد، ويعوزه الدليل، حيث إن الأمة منذ قرونها الأولى مروراً بمكي -رحمه الله- وحتى الآن -سلفاً وخلفاً- تكاد تكون مجمعة على لزوم شرط التواتر في قبول القراءة -كما سيأتي بيانه- وإني ليحق لي أن أسأل سيادته -وفقه الله- ما هو دليلك على أن مكياً -رحمه الله- يعبر عن فكر علماء الأمة في قرونها الأربعة الأولى في هذا الخصوص: ومَنْ من العلماء المعتبرين صرح بمثل هذا الكلام وما دليله؟ وهل عدمت الأمة علماءها إبان ذلك حتى لم تجد مَنْ يعبر عن فكرها في هذا الشأن سوى مكي -رحمه الله- وحده؟! الحق أن ما ذكره سيادته مجازفة كبرى، أي مجازفة؟!!!

وأما استدلال سيادته -وفقه الله- بما ذكره مكي -رحمه الله- ونقله عنه، فهو حجة عليه، وليس له، وقول مكي -رحمه الله- فيه: « ... وهو أن ينقل الثقات... إلخ » يشعر أن المقصود « التواتر » لا « صحة السند » فتصريحه -رحمه الله- بلفظ الجمع في كلمة « الثقات » كاف في الدلالة على قصد التواتر، ثم إن في بقية كلام مكي -رحمه الله- والذي ضرب سيادته صفحاً عن ذكره ما يعضد ذلك ويقويه، حيث قال -رحمه الله- بعد أن ذكر القسم الأول مما يقرأ به: « ... القسم الثاني: ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، فهذا لا يُقبل ولا يُقرأ به لعلتين: **إحداهما**: أنه لم يوجد بإجماع. إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد.

العلة الثانية: أنه مخالف لما أجمع عليه.

القسم الثالث: هو ما نقل عن غير ثقة أو ثقة، ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف[3]اهـ. فعبارة مكي -رحمه الله-

---

(١) انظر مقال الأستاذ الدكتور -وفقه الله- مجلة الأزهر عدد جمادى الآخرة ١٤٢١هـ ج٦ السنة الثالثة والسبعون ص٨٤٢.

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٣) الإبانة ص٣٩، ٤٠.

الصريحة « ... ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد... » قاضية على زعم الأستاذ الدكتور وظنه -وظن غيره- ممن يرون أن مكياً ممن لا يشترط التواتر، ويكتفي بصحة السند.

يقول الأستاذ الدكتور / سيد رزق الطويل: « ... ومن خلال هذا التقسيم نرى مكياً لا يأخذ القرآن بخبر الآحاد، وهو إن قبل القراءة، يمنع القراءة بها... » وقال: « وثبت عن مكي قوله: « وما خالف خط المصحف - أيضاً -هو من السبعة إذا صحت روايته، ووجهه في العربية، ولم يضاد خط المصحف، لكن لا يُقرأ به، إذ لا يأتي إلا بخبر الآحاد. وإذ هو مخالف لخط المصحف المجمع عليه، فهذا ما نقول به، ونعتقده وقد بيناه »اهـ. الإبانة ص١٤٣ »[4]. فأين -أخي الدكتور- ما يشير في كلام مكي إلى صحة السند؟!! إن أفضل ما كان يجب الاستدلال به من كلام مكي في هذا الشأن هو قول مكي في « الإبانة » ص٦٧: « ... وإنما الأصل الذي يعتمد عليه في هذا أن ما صح سنده، واستقام وجهه في العربية، ووافق خط المصحف فهو من السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً متفرقين أو مجتمعين، فهذا هو الأصل الذي بُني عليه في قبول القراءات... »اهـ. وإنما كان هذا هو الذي يجب أن يستدل به لتصريح مكي فيه بـ« صحة السند » وهذا نفسه -فيما أرى- ما استدل به أبو القاسم النويري شارح الطيبة، وعلي النوري الصفاقسي صاحب « غيث النفع في القراءات السبع » ومن تبعهما. على أن مكياً ممن يرون « صحة السند » لا « التواتر » شرطاً في قبول القراءة. بيد أن هذا لا يُسلم به، لما ثبت عن مكي نفسه في هذا الخصوص ومر بك قريباً. وأما قول مكي -رحمه الله- هنا: « .. أن ما صح سنده.... إلخ » فمحمول -والله أعلم- على أنه أراد الضابط لا التعريف إذ أن التواتر ملحوظ في تعريف القرآن على أنه شطر أو شرط على الأقل، ولم يلحظ في الضابط لأنه يُغتفر في الضوابط ما لا يُغتفر في التعاريف. فالضوابط ليست لبيان الماهية والحقيقة. وهذا ما أشار إليه صاحب « مناهل العرفان »[5] حين علل في ملاحظته الجليلة لماذا اكتفى القراء في ضابط القراءة المشهورة بصحة الإسناد مع الركنين الآخرين ولم يشترطوا التواتر. فليراجع هناك.

لقد حق لفضيلة الشيخ عبدالقيوم السندي أن يقول: « ... وفي الحقيقة أن من قرأ كتابه « الإبانة » لا يشك في أنه لا يشترط التواتر لقبول القراءة.. »[6] اهـ.

٢- ثم عرج الأستاذ الدكتور -وفقه الله- على كتاب « السبعة » لابن مجاهد فنقل منه سندي قراءة نافع، وابن كثير، وتسائل مرتين: أين التواتر في هذا الإسناد؟!» وهذا القول الصادر عن سيادته -وفقه الله- ومؤداه أن القراءات ليست متواترة، بل آحاد، وهو ما يرمي إليه سيادته من

---

(٤) في علوم القرآن مدخل وتحقيق، للأستاذ الدكتور سيد رزق الطويل ص٤٩ وما بعدها.

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني ج١ ص٤٢٧.

(٦) القراءات القرآنية للأستاذ عبدالحليم قابة ص١٦٥ وعزاه إلى «صفحات في علوم القرآن» ص٦٠ للشيخ عبدالقيوم السندي.

تساؤله مردود، وقد سبقه إليه -فيه- كثيرون منهم الشوكاني[7] ويجاب عن هذا ونظائره بقول العلامة الدمياطي - رحمه الله -: «فإن قيل: الأسانيد إلى الأئمة، وأسانيدهم إليه -ﷺ- على ما في كتب القراءات آحاد، لا تبلغ عدد التواتر أجيب: إن انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، وإنما نسبت القراءات إليهم لتصديهم لضبط الحروف، وحفظ شيوخهم فيها، ومع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها عدد التواتر ثم إن التواتر المذكور شامل الأصول والفرش وهذا الذي عليه المحققون»[8] اهـ.

وقد نبه الشيخ طاهر الجزائري إلى خطورة هذا المعتقد في القراءات فقال: «... اعلم أن من قال: إن القراءات كلها لم تنقل إلا بطريق الآحاد المحضة غير سديد، لأنه يؤدي إلى أن يكون القرآن، في كثير من المواضع، -وهي المواضع التي اختلفت فيها قراءة القراء- لا يهتدى إلى معرفة قراءته فيها على الوجه الذي ينبغي أن يقرأ به- وهو أمر ينافي ما ثبت عن الأمة من فرط عنايتها بأمر القرآن»[9] اهـ.

ويُعقب الأستاذ عبدالحليم قابة على قول الشيخ «طاهر الجزائري» بقوله: «وقد سبق أن هذه الشبهة دخلت على من ذهب هذا المذهب بسبب نظره إلى أسانيد هذه القراءات في كتب القوم. فلما رآها آحاداً قال ما قال، وهذه غفلة عظيمة، أدت إلى قول وخيم العاقبة، وخطير الأثر فيما يتعلق بثبوت النص القرآني، فقد غفل هؤلاء عن أن ما ذكر من أسانيد إنما هو غيض من فيض، وقلٌ من كثر»[10] اهـ.

وللشيخ كمال الدين بن الزملكاني جواب سديد في ذلك حيث قال: «انحصار الأسانيد في طائفة لا يمنع مجيء القرآن عن غيرهم، فلقد كان يتلقاه أهل كل بلد بقراءة إمامهم، الجم الغفير عن مثلهم، كذلك دائماً، فالتواتر حاصل لهم. ولكن الأئمة الذين قصدوا ضبط الحروف، وحفظوا شيوخهم منها، جاء السند من جهتهم، وهذه الأخبار الواردة في حجة الوداع هي آحاد. ولم تزل حجة الوداع منقولة عمن يحصل بهم التواتر عن مثلهم في كل عصر فهذه كذلك»[11] اهـ.

وللشيخ أبي المعالي شيخ الإمام ابن الجزري - رحمهما الله- كلام قريب من هذا ذكره ابن الجزري في «المنجد» فليراجع[12].

بقي أن يعرف الأستاذ الدكتور -وفقه الله- أن المعتقد في القراءات القرآنية بأنها آحاد، هو الذي اتخذ منه الرافضة ومن لف لفهم من منكري القراءات ذريعة لإنكار القراءات القرآنية جملة وتفصيلاً. ولا يخفى ما في هذا من ضلال مبين، وإنكار خادع[13].

---

(٧) انظر «إرشاد الفحول» ص٣٠.

(٨) «إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر» ص٧.

(٩) انظر «القراءات القرآنية» للأستاذ عبدالحليم قابة ص١٧٩ وعزاه إلى «التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن» للشيخ طاهر الجزائري ص١١٣.

(١٠) القراءات القرآنية ص١٨٠.

(١١) البحر المحيط للزركشي ج٢/ ص٢١٢. نقلاً عن «القراءات القرآنية» ص١٨٠.

(١٢) منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص٢٤٩: ٢٥٢ تحقيق الدكتور عبدالحي الفرماوي.

(١٣) انظر «شبهات مزعومة حول القرآن وردها» للأستاذ محمد الصادق قمحاوي ص١٦٣.

٣- ثم استطرد سيادته -وفقه الله- يقول: «... حق للإمام الزركشي- وهو من علماء القرن الثامن الهجري أن يقول في البرهان ج١ ص٣١٨. «القراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل مشهورة، والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي -ﷺ- ففيه نظر» اهـ أقول: على فرض التسليم بهذا الرأي فإن الأمة بعد ذلك قد أجمعت عليها، وتلقتها بالقبول وهذا وحده كاف للقطع بقرآنيتها، والاعتماد عليها. وقد نبه الزركشي -نفسه- ولكن في غير البرهان إلى ذلك حين نقل عن بعض المتأخرين قولهم: «التحقيق أنها متواترة عن الأئمة أما تواترها عن النبي -ﷺ- ففيه نظر...» علق الزركشي -رحمه الله- على ذلك بقوله: «وقد يجاب على هذا على تقدير التسليم بأن الأمة تلقتها بالقبول، واختاروها لمصحف الجماعة، وقطعوا بأنها قرآن، وما عداها ممنوع من إطلاقه، والقراءة به كما قال أبو بكر في «الانتصار»...»[١٤] اهـ.

وهكذا نرى أن ما جزم به سيادته -وفقه الله- أنه من كلام الزركشي -رحمه الله- ليس من كلامه، بل هو نقله عن بعض المتأخرين وعقب عليه بما رأيت.

٤- ثم استطرد -سيادته- وفقه الله- فقال ناقلاً عن ابن الجزري ما في نشره ج١ ص١٣ ما نقله ابن الجزري عن أبي شامة في كتابه «المرشد الوجيز»: «وقد شاع على ألسنة جماعة من المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن القراءات السبع كلها متواترة... الخ» قال سيادته معقباً: «ومعنى ذلك أن الآفة -هكذا!!- في نظر أبي شامة وابن الجزري الذي حكى قوله هي في المقرئين المتأخرين من غير العلماء، وفي المقلدين الذين يعتقدون ما يقوله غيرهم دون أن يتبينوا..» اهـ!!!

وبعيداً عن اتهام سيادته -وفقه الله- للمقرئين ووصفهم بالآفة أقول: سيادته -وفقه الله- يأخذ من حكاية ابن الجزري لكلام أبي شامة دليلاً على موافقة ابن الجزري لأبي شامة فيما قال حيث صرح سيادته في عبارته: «ومعنى ذلك أن الآفة في نظر أبي شامة وابن الجزري... الخ» والحقيقة خلاف ذلك تماماً. ولو علم سيادته كيف فند ابن الجزري كلام أبي شامة لما سمح لنفسه بكتابة هذه العبارة.

أما ما ذكره أبو شامة ونصه: «... ما شاع على ألسنة جماعة من متأخري المقرئين وغيرهم، من أن القراءات السبع متواترة، ونقول به فيما اتفقت الطرق على نقله عن القراء السبع دون ما اختلف فيه، بمعنى أنه نفيت نسبته إليهم في بعض الطرق. وذلك موجود في كتب القراءات لاسيما كتب المغاربة، والمشارقة، فبينهما تباين في مواضع كثيرة، والحاصل أنا لا نلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء. أي: بل منها المتواتر، وهو ما اتفقت الطرق على نقله عنهم، وغير المتواتر وهو ما اختلف فيه بالمعنى السابق، وهذا بظاهره يتناول ما ليس من قبيل الأداء، وما هو بقبيله»[١٥] اهـ.

---

(١٤) القراءات القرآنية ص١٨٦ نقلاً عن البحر المحيط ج٢/ ٢٠١.

(١٥) انظر «المنجد» لابن الجزري ص٦٠ تحقيق د. عبدالحي الفرماوي
وانظر -أيضاً- مناهل العرفان للزرقاني ج١ ص٤٢٨.

قال ابن الجزرى -رحمه الله- بعد أن ذكر كلام أبى شامة السابق: «فانظر يا أخى إلى هذا الكلام الساقط الذى خرج من غير تأمل، المتناقض فى غير موضع، فى هذه الكلمات اليسيرة، أوقفت عليه شيخنا الإمام ولى الله- تعالى- أبا محمد محمد بن محمد بن محمد الجمالى -رضى الله عنه- فقال: «ينبغى أن يعدم هذا الكتاب ولا يظهر البتة، فإنه طعن فى الدين». قلت [القائل ابن الجزرى]: ونحن نشهد الله- تعالى- أنا لا نقصد انتقاص الإمام أبى شامة، إذ الجواد قد يعثر، ولا يجهل قدره، بل الحق أحق أن يتبع، ولكن نقصد التنبيه على هذه الزلة المزلة ليحذر منها من لا معرفة له بأقوال الناس، ولا اطلاع على أقوال الأئمة...» اهـ ثم راح الشيخ -رحمه الله- يفند كلام أبى شامة بما هو جدير أن يطالع، ويُقرأ كله ثم قال: «وهذا كلام من لم يدر ما يقول. حاشى الإمام أبى شامة منه. وأنا من فرط اعتقادى فيه أكاد أجزم بأنه ليس من كلامه فى شىء، ربما يكون البعض ألحقه بكتابه أو أنه إنما ألفه أول أمره كما يقع لكثير من المصنفين..» اهـ[١٦].

يقول الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقانى: «رأى أبى شامة هذا كنت أقول به فى الطبعة الأولى[١٧] أنه أمثل الآراء فيما أرى لأمور أربعة [ذكرها ثم قال:] «ولكن بعد معاودة النظر، واتساع أفق اطلاعى فيما كتب أهل التحقيق فى هذا الشأن تبين لى أن أبا شامة أخطأه الصواب أيضاً فيمن أخطأ، وأننى أخطأت فى متابعته وتأييده، ويضطرنى إنصاف الحق أن أكرَّ على الوجوه التى أيدته بها بين يديك فانقضها وجهاً، وجهاً والرجوع إلى الحق فضيلة». [فنقضها ثم قال:] «والتحقيق الذى يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر متواترة، وهو رأى المحققين من الأصوليين، كابن السبكى، وابن الجزرى، والنويرى، بل هو رأى أبى شامة فى نقل آخر صححه الناقلون عنه[١٨]. وجوزوا أن يكون الرأى الآنف مدسوساً عليه أو قاله أول أمره ثم رجع عنه»[١٩] اهـ.

وبهذا يعلم أن ابن الجزرى -رحمه الله- لم يكن مؤيداً لأبى شامة -رحمه الله- حين حكى قوله فى النشر. كما حاول الأستاذ الدكتور -وفقه الله- أن يوهم القارىء بذلك. وما هو بذلك!!!

هـ- ثم استطرد -سيادته- وفقه الله- فقال: «وإذا كان قد شاع بين المقرئين المتأخرين وغيرهم من المقلدين أن «القراءات السبع» متواترة فلا مفر من الاستماع إلى قول عالم يعرف العلماء قدره... الخ. اهـ وسيادته يريد بهذا العالم -الإمام السيوطى -رحمه الله- كما أوضح سيادته فى كلامه. لكن السيوطى -رحمه الله- الذى أقحمه سيادته فى النقاش يقول: وكما أورد سيادته -وفقه الله- بعد أن أورد كلام القاضى جلال الدين البلقينى.. «وأحسن من تكلم فى هذا النوع إمام القراء فى زمانه، شيخ شيوخنا أبو الخير بن الجزرى... الخ» فحرى بنا بعد أن أعفانا الإمام السيوطى من مناقشته، ومناقشة القاضى جلال الدين البلقينى[٢٠] أن نتجه إلى إمام الأئمة ابن الجزرى ونذكر كلامه الوارد فى هذا الشأن متبوعاً بمناقشة العلماء المحققين له.

---

(١٦) انظر «المنجد» ص٢٤٥.

(١٧) يعنى فى الطبعة الأولى لكتابه القيم «مناهل العرفان».

(١٨) لم يذكره الشيخ قطوبى لمن وجده ونشره.

(١٩) انظر «مناهل العرفان» ج١ ص٤٢٨ : ٤٢٩.

(٢٠) المقصود بالمناقشة هنا مناقشة التلميذ للعالم. لا مناقشة الند للند. فأين الثرى من الثريا!!!

قال الإمام ابن الجزرى -رحمه الله-: «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها... هذا هو الصحيح عند الأئمة... ثم قال -رحمه الله-: «وقولنا صح سندها: إنما نعنى به أن يروى العدل الضابط عن مثله كذا حتى تنتهى. وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم. وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى هذا الركن، ولم يكتف فيه بصحة السند وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر وإن مجىء الآحاد لا يثبت به قرآن وهذا لا يخفى ما فيه... ولقد كنت أجنح إلى هذا القول ثم ظهر فساده»[21]اهـ. هذا ما ذكره الإمام فى نشره، وأجمله فى نظمه الموسوم بـ «طيبة النشر فى القراءات العشر» حيث قال:

فكل ما وافق وجه نحوى
وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصح إسناداً هو القرآن
فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت
شذوذه لو أنه فى السبعة اهـ[22]

وقد انبرى العلماء المحققون لكلام ابن الجزرى -رحمه الله- وكأنى بلسان حالهم يقول: «الجواد قد يعثر ولا يجهل قدره، والحق أحق أن يتبع».

قال الإمام أبوالقاسم النويرى -رحمه الله-: «وقوله -يعنى قول ابن الجزرى- صح إسناداً ظاهره أن القرآن يكتفى فى ثبوته مع الشرطين المتقدمين بصحة السند فقط، ولا يحتاج إلى تواتر، وهذا قول حادث مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم.. ولقد ضل بسبب هذا القول قوم فصاروا يقرأون أحرفاً لا يصح لها سند أصلاً ويقولون التواتر ليس بشرط. وإذا طولبوا بسند صحيح لا يستطيعون ذلك ولا بد لهذه المسألة من بعض بسط فأقول: القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب الأربعة منهم الغزالى وصدر الشريعة: [يقصد صدر الشريعة الأصغر عبيد الله بن مسعود بن محمود البخارى الحنفى من علماء الحكمة والطبيعيات وأصول الفقه والدين ت٧٤٧هـ) وموفق الدين المقدسى، وابن مفلح، والطوفى [يقصد سليمان بن عبدالقوى فقيه حنبلى له كتب فى التفسير والفقه والأدب ت٧١٦هـ] هو ما نقل بين دفتى المصحف نقلاً متواتراً وقال غيرهم: هو الكلام المنزل على رسول الله -ﷺ- للإعجاز بسورة منه- وكل من قال بهذا الحد اشترط التواتر. كما قال ابن الحاجب -رحمه الله- للقطع بأن العادة تقتضى التواتر فى تفاصيل مثله، والقائلون بالأول لم يحتاجوا للعادة لأن التواتر عندهم جزء من الحد، فلا يتصور ماهية القرآن إلا به. وحينئذ فلا بد من حصول التواتر عند أئمة المذاهب الأربعة. ولم يخالف منهم أحدٌ فيما علمت بعد الفحص

---

(٢١) النشر ج١ ص٩ : ١٣.

(٢٢) انظر متن «الطيبة» لابن الجزرى تحقيق صاحب الفضيلة الشيخ على محمد الضباع -رحمه الله- ص٣.

الزائد وصرح به جماعات لا يحصون كابن عبدالبر، وابن عطية، وابن تيمية، والتونسي في تفسيره والنووي، والسبكي، والإسنوي، والأذرعي، والزركشي، والدميري، والشيخ خليل [يقصد ابن اسحاق بن موسى ضياء الدين الجندي فقيه مالكي ت٧٧٦هـ] وابن الحاجب، وابن عرفة، وغيرهم -رحمهم الله-.

وأما القراء فأجمعوا من أول الزمان على ذلك، وكذلك في آخره ولم يخالف من المتأخرين إلا أبو محمد مكي وتبعه بعض المتأخرين»[٢٣]اهـ.

وقال الشيخ على النوري الصفاقسي بعد أن ذكر كلام مكي -رحمه الله- «القراءة الصحيحة ما صح سندها... إلخ: «وتبعه على ذلك بعض المتأخرين ومشى عليه ابن الجزري في طيبته ونشره حيث قال فيها:

فكل ما وافق وجه نحو....... «الأبيات السابقة»

وهو قول محدث لا يعوّل عليه، ويؤدي إلى تسوية غير القرآن بالقرآن، ولا يقدح في ثبوت التواتر اختلاف القراءة، فقد تتواتر عند قوم دون قوم فكل من القراء، إنما لم يقرأ بقراءة غيره لأنها لم تبلغه على وجه التواتر، ولذا لم يعب أحدٌ منهم على غيره قراءته لثبوت شرط صحتها عنده، وإن كان هو يقرأ بها لفقد الشرط عنده»[٢٤]اهـ.

هذا وقد عدل الإمام ابن الجزري -نفسُه- عن رأيه هذا القائل بصحة السند إلى الرأي الآخر القائل بالتواتر حيث قال في «منجده»: «كل قراءة وافقت العربية مطلقاً، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.. وتواتر نقلها، هذه هي القراءة المتواترة المقطوع بها.. ثم قال: ونعني بالتواتر: ما رواه الجماعة عن جماعة كذا إلى منتهاه يفيد العلم دون تعيين عدد، هذا هو الصحيح. وقيل بالتعيين واختلفوا فيه، فقيل: ستة، وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرون، وقيل: أربعون، وقيل: سبعون، والذي جمع في زماننا هذه الأركان الثلاثة، هو قراءة الأئمة العشرة التي أجمع الناس على تلقيها بالقبول، وهم: أبوجعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف»اهـ.

وقال -رحمه الله- أيضاً- في «منجده» مترجماً للباب السادس:

«في أن العشرة بعض الأحرف السبعة، وأنها متواترة فرشاً وأصولاً...»[٢٦]اهـ.

وبعد فهذه ردود على كل ما أورده الأستاذ الدكتور/ صبحي عبدالمنعم -وفقه الله- من استدلالات رأى منها أنه لا يشترط التواتر في قبول القراءة، بل يكتفي بصحة السند. وليس الأمر كما رأى سيادته -وفقه الله-. والآن أتناول -بالإيضاح- الخلاصة في مسألة التواتر. فأقول: اختلف العلماء في مسألة التواتر إلى أقوال عديدة أجملها الأستاذ عبدالحليم قابة في خمسة أقوال هي:

الأول: القراءات ليست متواترة بل هي آحاد. وهو قول المعتزلة[٢٧].

---

(٢٣) شرح الطيبة للإمام أبي القاسم النويري ج١ ص١١٩.

(٢٤) (غيث النفع في القراءات السبع) ص١٧.

(٢٥) انظر (المنجد) ص٩١، ٩٢.

(٢٦) المرجع السابق ص٢١٩.

(٢٧) وبهذا القول يسلم الأستاذ الدكتور/ صبحي عبدالمنعم - وفقه الله -.

الثاني: القراءات العشر فيها المتواتر، وغيره، وهو رأى أبي شامة، والشوكاني على التحقيق.

الثالث: أنها متواترة فيما ليس من قبيل الأداء وهو قول ابن الحاجب وقد تبعه بعض الأصوليين، وهو ما صححه ابن خلدون في المقدمة.

الرابع: القراءات السبع متواترة عن القراء لا عن النبي -ﷺ- وهو قول الزركشي في «البرهان» وأبي شامة في «المرشد» ونقل عن الطوفي.

الخامس: القراءات العشر متواترة إلى رسول الله -ﷺ- وهو قول الجمهور الذي عليه المحققون، كما قال الدمياطي، ونسبه بعضهم إلى جميع أهل السنة، وادعى الإجماع عليه، ولم يستثن إلا المعتزلة. وهو الذي انتصر له ابن الجزري في المنجد.[28]. اهـ.

والراجح في هذه الأقوال هو القول الأخير، بل هو الصواب، وهو الذي عليه المحققون، وهو الذي انتصر له الأستاذ عبدالحليم قابة[29] فأحسن وأجاد. وهاك بعض أقوال العلماء المؤيدة لذلك.

١- يقول الشيخ على النوري الصفاقسي - رحمه الله-: «... وهذه الأحرف السبعة داخلة في القراءات العشرة، التي بلغتنا بالتواتر، وغيرها مما اندرس وكان متواتراً، راجع إليها، لأن القرآن محفوظ من الضياع ولو تطاولت عليه السنون ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

وقال: «مذهب الأصوليين، وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثين، والقراء أن التواتر شرط في صحة القراءة، ولا تثبت بالسند الصحيح غير المتواتر ولو وافقت رسم المصاحف العثمانية، العربية»[30]اهـ.

٢- وقال العلامة الدمياطي - رحمه الله-: «... والحاصل أن السبع متواترة اتفاقاً، وكذا الثلاثة أبو جعفر، ويعقوب، وخلف على الأصح، بل الصحيح المختار، وهو ما تلقينا عن عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم وبه نأخذ»[31]اهـ.

٣- وقال الإمام جمال الدين أبو عمر وعثمان ابن عمر المعروف بابن الحاجب المالكي -رحمه الله-: «القراءات السبع متواترة لنا. لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر «كمالك، وملك» ونحوهم وتخصيص أحدهما تحكم باطل لاستوائهما»[32]اهـ.

هذا ومن قبل مر بك قول الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني صاحب «مناهل العرفان» في معرض تفنيده لكلام أبي شامة بأن «التحقيق الذي يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر كلها متواترة...». هذا وكل مشايخنا الكبار أعلام الهدى والهداية، وحاملي راية الإسلام، كالشيخ المتولي، والحسيني، والضباع، والشيخ عامر، وعبدالفتاح القاضي، ومحمد الصادق قمحاوي، والدكتور شعبان محمد إسماعيل، والدكتور محمد سالم محيسن، والدكتور عبدالعال سالم علي وغيرهم كثير ممن يشرف المقام بذكرهم، وتضيق السطور

---

(٢٨) (القراءات القرآنية) ص١٧٩/ ١٨٧.

(٢٩) انظر (القراءات القرآنية) ص١٨٨/ ١٩١.

(٣٠) انظر (غيث النفع) ص١٧.

(٣١) انظر (اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر) ص٧.

(٣٢) انظر (منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل) ص٤٦.

بحصرهم. كلهم -رضى الله عنهم جميعاً- على أن التواتر شرط لازم لقبول القراءة.

وآخر ما أحب أن أختم به هذا المقال فتوى من فتاوى العلماء الواردة فى هذا الخصوص، والتى لو لم أذكر إلا سواها لكفى، وشفى، ووفّى.

وما ظنك بفتوى يكون السائل فيها ابن الجزرى -رحمه الله- والمسئول فيها عبدالوهاب السبكى -رحمه الله-؟!!

قال ابن الجزرى - رحمه الله -:

«... وأنشدته يوماً [يعنى أنه - رحمه الله- أنشد الشيخ عبدالوهاب السبكى -رحمه الله] من أول قصيدتى «هداية المهرة فى تتمة العشرة»:

وبعد فإنى ناظم أحرف الثلا
ثة الغر نظماً موجزاً ومفصلا
لمن أتقن السبع القراءات وهو يط
لب العشر والطرق العوالى مكملا
فكم من إمام قال فيها تواترت
وإجماع أهل العصر فى ذا تنزلا
وذا الحق وهو الاعتقاد بلا مرا
فنتلوا به فى الفرض مع غير كلا

فاستحسنها كثيراً، ثم سألته أن يكتب لى شيئاً فى هذا المعنى، يشفى القلب. فقال لى: اكتب لى فتوى حتى اكتب عليها. فكتبت له ما صورته: [ما تقول السادة العلماء أئمة الدين، وهداة المسلمين - رضى الله عنهم أجمعين- فى القراءات العشر التى يقرأ بها اليوم؟ هل هى متواترة؟ وهل كل ما انفرد به واحد من الأئمة العشرة بحرف من الحروف متواتراً أو لا؟ وإذا كانت متواترة فما يجب على من جحدها أو حرفاً منها أفتونا مأجورين. رضى الله عنكم أجمعين.

قال: فأجابنى -ما صورته ومن خطه نقلت: «الحمد لله، القراءات العشر التى اقتصر عليها الشاطبى، والثلاث التى هى قراءة أبى جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف، متواترة معلومة من الدين بالضرورة. وكل حرف انفرد به واحد من العشرة متواتر معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله -ﷺ- لا يكابر فى ذلك إلا جاهل، وليس التواتر فى شيئ منها مقصوراً على من قرأ بالروايات، بل هى متواترة عند كل مسلم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. ولو كان مع ذلك عامياً. لا يحفظ من القرآن حرفاً. ولهذا تقرير يطول، وبرهان عريض لا تسع هذه الورقة شرحه، وحظ كل مسلم وحقه أن يدين الله -تعالى- وتجزم نفسه بأن ماذكرناه متواتر، ومعلوم باليقين لا تتطرق الظنون، ولا الارتياب إلى شيء منه. والله- تعالى- أعلم». كتبه عبدالوهاب السبكى الشافعى[٣٣] اهـ.

وبعد هذا الإيضاح والبيان يحق لى أن أتمثل قول القائل:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع!!

والله من وراء القصد. والحمد لله أولاً وآخراً.

---

(٣٣) انظر (المنجد) ص٢٠٨، ٢٠٩. وانظر (الاتحاف) للدمياطى ص٦، ٧.

تحذير إلى جميع المسلمين

لفضيلة الشيخ / السيد عبد المقصود عسكر

«الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا».

والصلاة والسلام على خاتم رسله سيدنا محمد الذى أنزل الله عليه أكمل كتاب الذى يستنبط من ألفاظه ومعانيه أحكام الحلال والحرام وكل ما يستحب أو يعاب.

﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(١).

«وبعد»: فقد وصف الله القرآن الكريم بأوصاف جعلته أعلى الكتب المنزلة قدراً، وأرفعها ذكراً، وأعظمها شأناً، ويكفى أن الله قال فى حقه

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١) لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾(٢).

وقد ضمن الله الخلود لهذا الكتاب، إذ تكفل ـ سبحانه ـ بالحفاظ عليه، وليس ذلك لأى كتاب سواه، حيث قال ـ عز وجل ـ:

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٣).

وكم تآمر على هذا الكتاب متآمرون، وسعى فى محاولة تحريفه مجرمون، لكن محاولاتهم جميعاً باءت بالخسران، وحقق الله وعده على يد علماء الإسلام الذين كانوا بالمرصاد فردوا الكيد إلى نحور المفسدين.

ومن المعلوم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ اختار اللغة العربية لتكون وعاء لكتابه المجيد، وذلك لشرف هذه اللغة ورحابتها، ولأنها لغة رسوله الأمين محمد ـ ﷺ ـ ولأنها لغة أهل الجنة على ماوردت بذلك الآثار.

وقد أكدت هذه الحقيقة آيات كثيرة من كتاب الله ـ عز وجل ـ نذكر بعضها فيما يأتى: يقول الله ـ تعالى ـ:

(١) هود (١). (٢) فصلت (٤١ : ٤٢) (٣) الحجر (٩).

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٤).

ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ حم ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾(٥).

ويقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾(٦).

فالقرآن الكريم باللسان العربي المبين حجة على سامعه لما فيه من البيان والإعجاز ويظهر ذلك المعنى بوضوح في السور التي بدأها الله ببعض حروف الهجاء العربية المقطعة فإن الكثير من هذه السور عني ببيان حجية القرآن الكريم والتنبيه على وجه إعجازه.

ومثال ذلك سورة فصلت، حيث بدأت بقول الله ـ تعالى ـ:

﴿ حم ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾(٧).

فإذا تأملنا الموضوعات التي عنيت بها هذه السورة وجدنا في مقدمتها إقامة الحجة على الناس بهذا القرآن العربي المكون من هذه الحروف الهجائية التي يتكون منها كلام العرب، وتستمر السورة في تأكيد هذا المعنى حتى تصل إلى آخرها فنجد قول الله ـ تعالى ـ:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٨).

ونظائر هذا في القرآن كثير.

وقد حكى الإمام القرطبي في تفسيره قول عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ «جَوِّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات، وأعربوه فإنه عربي، والله يحب أن يعرب به».

وروى سفيان ـ عن أبي حمزة ـ قال: «قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية، قال: أحسنوا، يتعلمون لغة نبيهم ـ ﷺ ـ وقيل للحسن: إن لنا إماماً يلحن فقال: أخروه».

ويقول السيد / محمد رشيد رضا في مقدمة تفسير المنار: «لما رأى علماء المسلمين في الصدر الأول تأثير القرآن في جذب قلوب الناس إلى الإسلام، وأن الإسلام لا يحفظ إلا به، ولما كان العرب قد اختلطوا بالعجم، وفهم من دخل في الإسلام من الأعاجم ما فهمه علماء العرب أجمع كلٌّ على وجوب حفظ اللغة العربية ودونوا لها الدواوين».

ويقول: «إن القرآن هو حجة الله البالغة على دينه الحق، فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن فهماً صحيحاً، ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية......» ولهذا اتفق علماء الإسلام من

---

(٤) يوسف (١ : ٢). (٥) الزخرف (١ : ٤). (٦) الشعراء (١٩٢ : ١٩٥).
(٧) فصلت (١ : ٤). (٨) فصلت (٥٢).

العرب والعجم على حفظ اللغة العربية ونشرها، وكان العلم والدين فى أوج القوة بحياة اللغة العربية. وكان جميع من دخل فى الإسلام يشعر بأنه صار أخاً لجميع المسلمين، وأن أمته هى الأمة الإسلامية، لا العربية ولا الفارسية ولا القبطية ولا التركية..... كما قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٩).

ومن البديهى أن وحدة الأمة لا تتم إلا بوحدة اللغة، ولا لغة تجمع المسلمين وتربطهم إلا لغة الدين الذى جعلهم بنعمة الله إخواناً، وهى العربية التى لم تعد خاصة بالجنس العربى.

ولهذا كان يجتهد مسلمو العجم فى خدمة هذه اللغة كما يجتهد مسلمو العرب بلا فرق، ويعدونها لغتهم لأنها لغة القرآن التى تقوم بها حجته، وهم من أمة القرآن كالعرب بلا فرق.

وقد أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ أن نتدبر القرآن ونعتبر به ونتذكر ونهتدى، وأن نعلم ما نقوله فى صلاتنا من آياته وأذكارنا، وأكد هذه المسائل فى آيات كثيرة، والامتثال لها والعمل بها لا يكون إلا بفهم العربية الفصحى، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وقد جعل الله القرآن الكريم معجزاً للبشر ولا تقوم حجته فى هذا عليهم إلا بفهمه، ولا يمكن فهمه إلا بفهم العربية الفصحى، فمعرفة العربية من ضروريات دين الإسلام.

وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وإنه لا يعود إليهم شئ مما فقدوا من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته، والاعتصام بحبله، كما يرون ذلك مبيناً فى تفسير الآيات الكريمة الدالة عليه، ولا يتم لهم ذلك إلا بالاتفاق على إحياء لغته، فالدعوة له دعوة لها»(*).

وأشار السيد محمد رشيد رضا إلى أن العلامة الإسفرائينى ألف كتاباً فى الفرق ختمه بذكر أهل السنة ومزاياهم، وعد من فضائلهم التى امتازوا بها على سائر الفرق التبريز فى اللغة وآدابها وبين ذلك بأحلى بيان.

وعن ابن أبى مليكة قال: قدم أعرابى فى زمان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فقال: من يقرئنى مما أنزل على محمد ـ ﷺ ـ؟ قال: فأقرأه رجل، براءة (أى سورة التوبة) فقال: (إن الله برئ من المشركين ورسوله) (بكسر اللام فى كلمة «رسوله») فقال الأعرابى: أوقد برئ الله من رسوله؟. فإن يكن برئ من رسوله فأنا أبرأ منه.

فبلغ عمر مقالة الأعرابى فدعاه فقال: يا أعرابى أتبرأ من رسول الله ـ ﷺ ـ؟. فقال يا أمير المؤمنين إنى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت: من يقرئنى؟. فأقرأنى هذا سورة براءة، فقال: إن الله برئ من المشركين ورسوله فأنا أبرأ منه. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابى، قال: فكيف هى يا أمير المؤمنين؟. قال: (إن الله برئ من المشركين ورسولُه) [بضم اللام]. فقال

---

(٩) الأنبياء (٩٢). (*) مقدمة تفسير المنار من صفحة ٢٨ وما بعدها بتصرف.

الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ألا يقرئ الناس إلا عالم باللغة. وهكذا فإن الخطأ في نطق حرف واحد في كلمة من آية من كتاب الله كاد أن يؤدي إلى هذه الجريمة الكبرى لولا لطف الله وقيام عمر بتدارك الأمر في حينه.

وبناء عليه فقد تم وضع قواعد علم النحو وقام المسلمون بضبط حروف القرآن الكريم بالشكل حتى لا يخطئ قارئ في نطق كلمة أو حرف.

ويقول ابن عطية: «إن إعراب القرآن أصل في الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع» وقد حفظ رسول الله القرآن الكريم المنزل من عند الله بالتلقي عن جبريل ــ عليه السلام ــ وذلك ما صرح به القرآن الكريم في عدة مواضع. منها قول ــ الله تعالى ــ مخاطباً رسول الله ــ ﷺ ــ:

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(١٠).

ومعناه إذا قرأ جبريل فاستمع إليه واسكت حتى ينتهي جبريل ولا تقارنه بالقراءة فإذا سكت جبريل فخذ أنت في القراءة.

وقد كان النبي ــ بعد نزول هذه الآية ــ إذا نزل عليه جبريل أطرق واستمع فإذا ذهب قرأ ما نزل. وبالطريقة نفسها تلقى الصحابة القرآن من رسول الله ــ ﷺ ــ وكتبوه وبمثل ذلك تلقاه المسلمون جيلاً بعد جيل بالتواتر المتصل في القراءة وفي كيفيتها. وذلك على يد القراء الحافظين المتقنين.

ولهذا قال العلماء: لا يؤخذ القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي. [أي من الأوراق] وقد ذكر العلماء وجوها عدة لإعجاز القرآن الكريم في مقدمتها فصاحته التي لا تتناهى وبلاغته التي لا تبارى. وهذا واضح وقد تأكد بدليل الواقع حيث نزل القرآن الكريم وسط قوم هم أهل الفصاحة والبلاغة وتحداهم أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجزوا على الرغم من حرصهم على تكذيب رسول الله ــ ﷺ ــ.

وإذا كان العرب قد عجزوا فإن غيرهم يكون أشد عجزاً، وبذلك ثبت عجز جميع الخلق عن الإتيان بمثله قال الله ــ سبحانه ــ:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(١١)

وهذا الوجه الهام من وجوه الإعجاز لا يتحقق إلا إذا قرئ القرآن بلغته التي نزل بها وهي العربية.

وإذا نقل القرآن إلى لغة أخرى ضاع هذا الوجه من وجوه الإعجاز وعلى أساس كل ما سبق ذكره نقرر الأحكام الآتية:

أولاً ــ لا يجوز أن تكتب المصاحف إلا بالحروف العربية وبالرسم العثماني الذي كتبت به المصاحف في عهد أمير المؤمنين ــ عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ ووزعت نسخ منها على عواصم الأقاليم الإسلامية لتكون مرجعاً لجميع المسلمين ولكي ينقلوا منها مصاحفهم جميعها. وقد انعقد الإجماع على أن تظل المصاحف على

---

(١٠) القيامة (١٦: ١٩).

(١١) الإسراء (٨٨).

هذا الرسم إلى يومنا هذا. وذلك حفظاً للقرآن من أى تحريف إذا ما كتب بالرسم الإملائى لأن ذلك يختلف من إقليم لإقليم وهو عرضة للتطور كما هو معلوم، فنزه المسلمون كتاب الله عن ذلك.

ثانياً: لا يجوز ترجمة القرآن الكريم لأى لغة غير العربية. لأن القرآن لا يكون إلا عربياً. فإذا نقل إلى لغة أخرى فلا يمكن أن يقال عن هذا المكتوب بتلك اللغة إنه قرآن مهما كانت الترجمة دقيقة. وقد ثبت أن ترجمة القرآن الكريم مستحيلة.

وكل ما هو مسموح به فى هذا الشأن أن يقال عن المكتوب بلغة غير عربية إنه ترجمة لمعانى القرآن الكريم، حتى لا يتحمل القرآن الكريم نتائج الأخطاء التى لابد أن تقع فى مثل هذه الترجمات. وحتى لا يحدث للقرآن الكريم ما حدث للكتب السابقة حيث كانت الترجمات من أسباب تحريفها.

ثالثاً: لا يجوز أن يكتب القرآن الكريم بالحروف اللاتينية لأنه نزل بلغة العرب ولسانهم وكتب بحروف لغتهم التى ذكر الله بعضها فى أوائل عدد من سور القرآن الكريم تنبيهاً على الصلة الوثيقة بين القرآن الكريم وبين هذه الحروف العربية وذلك أمر حتمى لما بينّا ولأنه من المعروف أن كثيراً من الحروف العربية ليست لها نظائر فى الحروف اللاتينية.

مثال ذلك حرف «الحاء» المهملة. وحرف «الخاء» المعجمة. وحرف «الصاد» المهملة. وحرف «الضاد» المعجمة. وحرف «الطاء» المهملة. وحرف «الظاء» المعجمة. وحرف «العين» المهملة. وحرف «الغين» المعجمة. وحرف «القاف» فلو سمحنا بكتابة القرآن - وهو عربى - بالحروف اللاتينية فإن ذلك سيؤدى إلى تحريفه حتماً. وتلك جريمة يحكم على فاعلها بالكفر والخروج من ملة الإسلام.

وصور التحريف تظهر بوضوح من الأمثلة الآتية:

أ - كيف نفرق بين كلمة «يألمون» فى قول - الله تعالى -:

﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾[12].

وبين كلمة «يعلمون» فى قول - الله تعالى -:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[13].

ب - كيف نفرق بين كلمة «الطلاق» فى قول الله - تعالى -: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[14].

وبين كلمة «التلاق» فى قول الله - تعالى -

﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾[15].

جـ - كيف نفرق بين كلمة «الطين» فى قول الله - تعالى -:

﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾[16]

وبين كلمة «التين» فى قول - الله تعالى -:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ﴾[17].

د - كيف نفرق بين كلمة «سار» وبين كلمة «صار» والفرق بينهما فى المعنى كالفرق بين السماء والأرض. ومثل ذلك يقال فى الفرق بين كلمة «سبح» وبين كلمة «صبح» ويقال كذلك ما هو الفرق بين كلمة «ضل» وبين كلمة «دل». ويقال كذلك ما هو

---

(12) النساء (104).
(13) يوسف (21)
(14) البقرة (229)
(15) غافر (15)
(16) المائدة (110)
(17) التين (1، 2)

الفرق بين كلمة «ظلّ» وبين كلمة «زلّ» ويقال كذلك ما هو الفرق بين كلمة «قُل» فعل امر وبين كلمة «كُل» فعل أمر. وما هو البديل لحرف الظاء حتى لا تختلط بحرف الزاى وبينهما فرق كبير فى الواقع.

ولو رحنا نتبع الخطايا الكثيرة التى تحدث تبعاً لهذا التصرف لأعيانا الحصر. ثم إن تلاوة القرآن لها أحكام خاصة كالإظهار والإدغام والإقلاب والإخفاء وأنواع المد والتنوين فى حالاته المختلفة بالفتح والضم والكسر وكيف ينطق به وصلاً ووقفاً. وكل ذلك لا يمكن أن تتسع له أو تضبطه الكتابة بالحروف اللاتينية.

ومعنى ذلك أن التحريف للقرآن حاصل لا محالة إذا ما تمت كتابته بالحروف اللاتينية وتلك جريمة يتحمل وزرها كل من فعلها أو شارك فيها أو سكت عنها.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(١٨)

وبناء على ما سبق شرحه وتفصيله فإننى أقرر إن المجلدات الكاملة وكذلك الأجزاء المتفرقة الموجودة فى أمريكا وربما فى غيرها أيضاً والتى يقال عنها إنها قرآن أو أجزاء منه والمطبوعة فى الهند أو التى يمكن أن تطبع على شاكلتها فى أماكن أخرى. وقد قسمت كل صفحة منها إلى ثلاثة أقسام. القسم الأول منها كتب فيه القرآن الكريم بالحروف العربية كما جاء من عند الله. وبجوار هذا القسم كتابة بالحروف اللاتينية مضاهاة للقرآن ولا يمكن أن تكون قرآناً فى الواقع. والقسم الثالث دونت فيه بعض المعانى.

أقرر أن هذا الفعل من كيد الشيطان ومكره، وهو مرفوض رفضاً تاماً من الناحية الشرعية، ولا يمكن أن يقره أو يرضى به عالم من علماء المسلمين أو أى مجمع إسلامى رسمى.

ولا قيمة لقول يقوله قائل: إن القصد من ذلك هو تيسير قراءة القرآن لغير الناطقين باللغة العربية. فتلك حجة داحضة وعذر أقبح من ذنب لأن تعلم العربية أيسر من ذلك وأوفق وهى التى ترضى الله ورسوله وتحفظ للقرآن الكريم قدسيته.

وقد وفق الله كثيراً من إخواننا المسلمين فى باكستان والهند وغيرها وحفظوا القرآن الكريم بحروفه العربية حفظاً جيداً متقناً، مع أنهم لا يحسنون التحدث باللغة العربية وأولى بهم وبغيرهم من المسلمين أن يتقنوا اللغة العربية وعلى كل من يعرف اللغة العربية أن يجتهد ويعلم الناس لغة القرآن الكريم.

ولهذا فإنه يجب على كل المسئولين عن المراكز الإسلامية فى أمريكا وغيرها أن يبادروا فوراً إلى إعدام هذه المطبوعات وإحراقها والتحذير من تداولها أو التعامل معها بأى شكل من الأشكال سواء على المستوى الفردى أو الجماعى حتى يُمحى أثرها تماماً وذلك حتى لا يكونوا شركاء فى الإثم. ويجب على الجميع نشر هذا التحذير بكل الوسائل.

﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١٩)

ألا هل بلغت. اللهم فاشهد..،

(١٨) البقرة (١٦٠)

(١٩) البقرة (١٨١)

شبهة حول حديث صحيح والرد عليها

لفضيلة الشيخ / عبد الفتاح سيد جمعان (*)

أرسل الشيخ عبد الحكيم حافظ أحمد - خطيب مسجد آل كمال بالحواوية - مركز أخميم - محافظة سوهاج رسالة إلى المجلة يقول فيها:

ورد فى الجزء الأول من هدية المجلة فى شهر جمادى الآخرة فى الصفحة رقم ٤٢:

عن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - قال: حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالله الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) رواه البخارى ومسلم.

ويسأل سيادته ثلاثة أسئلة حول هذا الحديث.

١- هل هذا الحديث صحيح وإن كان صحيحا فلم العمل مادام أنه قدر فى كتاب الله؟ وكيف أرد على من يسألنى هذا السؤال وأنا أدعو الناس إلى التقرب إلى الله وإلى تقواه لأزيدهم عزما على الطاعة.

٢- أطلب نصيحة علماء الدين هل آخذ بهذا الحديث أم لا؟

٣- وهل يجوز لى أن أتكلم عن جزء من هذا الحديث وأترك باقيه لأنى أعتقد أن الجزء الذى أريد ذكره فيه فائدة كبيرة، أم لابد أن أذكر الحديث كله.

وأصارحكم بأنى عند الكلام عن هذا الحديث أقف عند قوله - ﷺ -:

(... يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد) ولا أذكر الباقى لأنى أرى فيه تثبيطا للهمم ودعوة إلى الإقلال من الطاعة والعبادة فهل علىّ وزر فى ذلك؟

(*) الأمين المساعد للثقافة بمجمع البحوث الإسلامية.

هذه رسالة الأخ القارئ؛ وقبل أن آخذ في إزالة هذه الشبهة التي عرضت له أؤكد له أن الحديث صحيح ومتفق عليه، أي: رواه البخاري ومسلم ـ رضي الله عنهما ـ رواه الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ قال بعض علماء الحديث: رأيت النبي ـ ﷺ ـ فيما يرى النائم فقلت يا رسول الله حديث ابن مسعود الذي حدث عنك فقال: حدثني رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق.. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ والذي لا إله غيره حدثته به أنا، يقول ذلك ثلاثا ثم قال: غفر الله للأعمش كما حدثنا به وغفر الله لمن حدث به قبل الأعمش ولمن حدث به بعد الأعمش.

وقد روى هذا الحديث عن ابن مسعود من وجوه كثيرة فخرجه الإمام أحمد والطبراني والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهم ـ رضي الله تعالى عن الجميع ـ وجاء بهذا المعنى عند مسلم وأبي داود والبزار.

بعد بيان صحة الحديث وقوته ونسبته المؤكدة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فلا يجوز لك يا أخي وأنت محسوب على أهل العلم وتتصدى لدعوة الناس إلى الله أن تتشكك في هذا الحديث وأن ترى في جزئه الأخير تثبيطا للهمم والدعوة إلى الإقلال من طاعة الله وعبادته، فمحال أن يقول الرسول الأمين ما يكون فيه تثبيطا للهمم ولعل ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ استشف بفراسة الصحابي الجليل أنه سيأتي على الناس زمان يتشككون فيه في هذا الحديث الشريف فصدره بقوله: (حدثنا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق...)

ولا عليك يا أخي فقد اعترى بعض الصحابة شيء مما اعتراك فذكروا ذلك لرسول الله ـ صلوات ربي عليه ـ وأزال شبهتهم، ففي الصحيحين عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: (ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار وإلا كتبت شقية أو سعيدة فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا ـ أي نتكل عليه ـ وندع العمل فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين ـ أيضا ـ عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: (كل يعمل لما خلق له أو لما يسر له) وهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن الأعمال بالخواتيم كما روى عن رسول الله ـ ﷺ ـ: (إنما الأعمال بالخواتيم) رواه البخاري عن سهل ابن سعد ـ رضي الله عنه ـ.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة) وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ ﷺ ـ قال: (لا عليكم ألا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له فإن العامل يعمل زمانا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ثم يتحول فيعمل عملا سيئا، وإن العبد ليعمل البرهة من عمره بعمل

سيء لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا) رواه أحمد، وروى البخاري ومسلم عن علي - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴾

ومعنى كل هذه الأحاديث أن الخواتيم سواء كانت سعادة أو شقاء، قضاء الله وقدره الذي غيبه - سبحانه - عنا ولم يطلع عليه أحد من خلقه ولهذا لا يجوز للمرء أن يتعلل به أو يعتذر عن عمله السيء بهذا القدر وقد زاد سيدنا عمر - رضي الله عنه - في حد شاربي الخمر الذين تعللوا بالقضاء والقدر، فمن أطلعهم على هذا حتى تعللوا به فما قضاه الله علينا أمر سبق في علمه الأزلي الانكشافي الذي لا دخل له في أعمالنا لأن الأعمال تصدر من الناس بناء على إرادة واختيار خلقهما الله فيهم، فالعلم كما شبهه بعض العلماء كالمرآة التي يقف الإنسان أمامها فتظهر كل حركاته وسكناته لكنها - أي المرآة - لم تتدخل في إرادته، فلم تأمره برفع يده أو خفضها حين يظهر ذلك فيها.

وبناء على ما سبق فالقدر لا يبطل التكليف بالطاعات والعبادات: كالصلاة والزكاة والصوم والحج والإنفاق في جانب المأمورات وترك الزنا والسرقة والغش وشرب الخمر في جانب المنهيات فالتكليف حق العبودية الذي جعله الله - تعالى - سبيلا إلى ما قدر للناس في الغيب فيوفقهم العمل إلى ما كتب لهم في الأزل من السعادة أو الشقاوة وهذا معنى قوله: **(كل ميسر لما خلق له)**.

وإذا جاز أن يثبط هذا الحديث الناس عن الطاعة والعبادة فلم لا يثبطهم عن طلب الرزق وهو مقسوم أزلا كالأجل والسعادة والشقاوة، إن المرء سينال الرزق المقسوم له أزلا لا محالة ومع ذلك أمره الله بالكسب عملا بالأسباب.

وقد دفع هذا الحديث - وأمثاله مما ذكرت ومما لم أذكر الفاقهين من السلف إلى الخوف من الله ، والخوف الشديد من العاقبة ومن النفاق، ومن الاغترار والاتكال، ولذلك كانوا يدعون الله كثيرا كما علمنا رسول الله - ﷺ -: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فنسأل الله ربنا ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله حسن الخاتمة ونعوذ به من تحول القلوب ومن الزيغ والضلال ومن سوء الخاتمة.

هذا وبالله التوفيق،،

●●●

دعوة الإسلام كما ينبغي أن نبلغها

٢

لفضيلة الشيخ / الطاهر الحامدي

من الثوابت في شريعة الإسلام أن المجتهد إذا أصاب فله أجران وإذا أخطأ فله أجر.

وكان من العدل أن يعاقب المخطئ، ومنتهى الفضل والرحمة أن يعفى عنه فلا يعاقب وكما يقولون في لغة الثواب والعقاب: إن الرحمة فوق العدل، أما أن يثاب المخطئ فقد تجاوز الإسلام العدل بالفضل والرحمة، وتجاوز الرحمة والفضل بمثوبة المخطئ وليس ذلك بغريب عن الإسلام لكن لماذا؟

في رأيي لسببين:

السبب الأول: أن شريعة الإسلام قوية ثابتة راسخة، عقلانية تماما، لا تلفيق فيها يخشى عليه غدا أن ينكشف، ولا غموض ولا طلاسم لديها تخاف أن يعجز سحرة الغد عن تبريرها، وتزيينها للناس.

السبب الثاني: أن دين الإسلام خالد باق إلى يوم القيامة، فيصبح الاجتهاد ضرورة حياة وليس ترفا يمارسه الهواة، إنما هو عمل جاد يعالجه أقوياء.. حيث إن النصوص محدودة والوقائع والحوادث متجددة.

وبناء على ذلك فإن الإسلام لا يُرغِّب في الاجتهاد فقط، أو يحث عليه، إنما يدفع عليه دفعا، شريطة أن يكون المجتهد الممارس متسلحا بأدوات العلم والمعرفة، فإن هو استفرغ جهده، واستنفد طاقته وأخلص النية لله فقد أدى ما عليه، وهو محمود مأجور. وليس عليه أن يصل إلى حقيقة الحكم وكما يقول رجال القانون عن المحامي: إنه مطالب ببذل الجهد وليس مطالبا بالحصول على نتيجة.. فقد لا يكون الحكم لصالحه، ومع هذا يتقاضى أجره من رافع الدعوى، لأنه بذل جهده ولم يقصر.

إذا القضية ليست في عدم إصابة المجتهد في الحكم الشرعي إنما القضية في التقصير في بذل الجهد، أو في اعتساف الأدلة، والتخبط أو القول عن هوى أو جزافا بقصد السفسطة والكلام، والأخطر من هذا أن يدعي الاجتهاد متفيهقون في عصرنا هذا -مع اختلاف الدوافع- يزعمون أنهم يقولون رأيا وهم يشغبون على أهل العلم والاختصاص.

ولست أدري لماذا؟

إن التخصص، بل التخصص الدقيق، معترف به في كل مجال، حتى في مجال الحرف والصناعات، الجليل منها والحقير، إلا في المجال الديني، فإن دعاوى كثيرة

كلها مرفوض وبعضها معرض مشبوه، بزعم أن الدين لا سلطان عليه لجماعة أو فرد، وأنه من حق كل ناعق ويخلطون بين كهنوت أوربا في عصر الظلمات ورجال العلم والتخصص عندنا على أن الفقهاء أنفسهم وهم أهل التخصص يراجع بعضهم بعضا في حوارات عنيفة كأنهم يقفون لبعضهم بالمرصاد ولكنها حوارات نبيلة عفيفة.

وليس كل من يعالج الأحكام الفقهية فقيها مجتهدا، ومن الممكن أن يُخْرِجَ كتابا مفيدا ونافعا لكنه يقتصر على حد النقل والجمع والترتيب وقد يكون كتابا جيدا لكنه يبقى في حيزه ونطاقه لا يعدوه في تعليل حكم أو تقنين رأى ولذلك قالوا بحق: الفقيه هو الذي يستخرج الحل من أدلة الحرمة «والفقيه حقا «هو الذي يعطى الرخصة عن ثقة».

وأرجو الا تنزعج من مثل هذه الأقوال وتقول: كيف يُخْرِجُ الحل من أدلة الحرمة؟ وما مجال هذه الثقة التي تجعل الفقيه يعطى الرخصة؟ أقول لك إن الثقة التي يقصدها علماء الأصول ليست الثقة بالنفس التي تندرج تحت الشجاعة في مجال الصحة النفسية، إنما المقصود هو الثقة بالأدلة، كما أنهم يعنون باستخراج الحل من أدلة الحرمة

أنْ عمل الفقيه يكون بالبحث عن حدود التحريم ومداه، وبعد ذلك يكون المباح الحلال، وهذه بحوث لا أقول إنها معقدة، لكنها مباراة صعبة في السير على حد الكلمات يسميها الفقهاء الأصوليون تحقيق المناط وتخريج المناط وفحوى الخطاب ومفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة، واصطلاحات أخرى علمية دقيقة، وأبادر فأوضح لك أن المقصود بالأصوليين هم علماء أصول الفقه الإسلامي وليسوا هم الأشبال المعْنيُّون في التعبير الذى دحرجه لنا المنظرون الغربيون فتلقفناه وقلنا: أصوليين وسلفيين وهم يقصدون جماعة المتشددين.

والأصوليون الحق والسلفيون الحق براءمن كل هذا الوهم المقصود.

وأحاذر أن تفهم من قولى «أصول الفقه الإسلامي» أن هناك أصولا لفقه غير إسلامي، لا، فإن علم الأصول إسلاميٌّ مائة في المائة، فإن الذى اخترعه، نعم اخترعه الإمام الشافعي - رضى الله عنه - وهو كأى علم إسلامي إنساني حديقة مباحة يجتنى منها كل من يريد علما، ولابد أن تعلم أن القانون الوضعي الجنائي والمدني يسير على قواعد أصول الفقه الإسلامي في استخراج الأحكام، لأن المسألة لا تعدو أن تكون نصا لغويا .. كيف نقف حياله وكيف نفهمه وكيف نطبقه وما حدوده وما مداه؟

الذى يحكم مثل هذا هو قواعد أصول الشافعي - رضى الله عنه - وأنا أقول: أصول الشافعي، لأنه كما يضيق أناس بالإسلامي يضيق آخرون بالشافعي، ولا علينا يا أخى أن يضيق أناس بكل جميل وعفيف، وأرجو ألا تضيق بى وبالفقه وبأصوله. وسوف أصحبك إلى حوار فقهى أصولي وقف فيه الأصوليون لفقيه جانبه الصواب في حكم بناه على قاعدة أصولية معتبرة.

يروى عن سعد بن أبي وقاص أن رجلا سأل النبي - ﷺ - فقال: إنى أفطرت في رمضان. فقال - ﷺ -: «اعتق رقبة، أو صم شهرين، أو أطعم ستين مسكينا»[1].

وهذا الحديث يدل على أن التكفير بأحد هذه

(١) البخارى (٨٦/٧)، (٢٩/٨).

الأمور واجب على التخيير - كما هو مذهب الإمام مالك في كفارة الفطر العمد -.

وعلى هذا يكون للمكلف أن يكفر عن فطره المتعمد في رمضان بأحد أمور ثلاثة وهي:

إطعام ستين مسكينا، أو عتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين.

فهل يجوز للمفتي أن يعين واحدا من هذه الأمور الثلاثة ويلزم المكلف به بناء على مصلحة يراها؟ وما حدود ذلك؟ وما شروط هذه المصلحة؟ أم أن ذلك لا يجوز؟

قال الفقهاء: لابد أن تكون المصلحة شرعية معتبرة. فإذا كانت المصلحة غير معتبرة شرعا أو متوهمة في ذهن الفقيه المفتي، فإن فتواه تكون باطلة، ولكي يتضح المعنى المقصود أسوق لك مثلا مثبتا في كتب الفقه فقد أفتى الإمام يحيى بن يحيى الليثي، فقيه الأندلس وهو مالكي المذهب- أفتى أحد ملوكها- وقد أفطر في رمضان عامدا- بأنه لا كفارة عليه إلا الصوم، وقد بنى هذه الفتوى على ما رآه مصلحة شرعية في زعمه اقتضت إلزام هذا الملك بالصيام حيث إنه فهم أن المقصود من الكفارة هو زجر المذنب وردعه فقط حتى لا يعود إلى مثل ذنبه، وذلك لا يتحقق إلا بالصيام الذي يشق عليه، أما إعتاق رقبة فإنه لا زجر فيه وكذلك الإطعام، فإنه يملك كثيرا من الرقاب وقادر على أن يطعم كثيرا من المساكين. وهو بما يملك يستطيع أن يفطر ولا يصوم[٢].

وقد قال العلماء إن فتوى الإمام يحيى خطأ لأن المصلحة التي قصدها وهي زجر المفطر وردعه غير معتبرة شرعا وحتى تستوعب المقصود من عبارة الفقهاء مصلحة غير معتبرة شرعا أبادر فأقول لك: هل يقصد ربنا -تبارك وتعالى- أنه يعذب عباده إذا هم عصوه؟ ولماذا لا نقول: إنه يريد أن يطعمهم من مال غني شحيح لن يجود طواعية واختيارا وإنما لابد من كفارة حتى يُرغم على إطعام المساكين أو أن الله يريد أن يحرر نسمة من رق العبودية؟

على أنه ثمة بحث جيد للفقهاء: «هل الكفارات جوابر أم زواجر؟» فلماذا اختار هذا الفقيه أنها زواجر، وأراد أن يزجر الملك بالصوم؟ على أنه لو نظرنا نظرة تأمل إلى مقاصد الشرع النبيلة في معالجة النفوس لاختلفت نظرتنا إلى الأشياء.. فمثلا يقول الرسول الكريم -ﷺ- في حديث جميل -وكل حديثه جميل-: لا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب، ولكن انظروا فيها على أنكم عبيد، والناس رجلان: معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء واسألوا الله العافية[٣].

واسمع هذا القول الذي أظنك سمعته كثيرا في مجال الوعظ والإرشاد، لكننا ننساه في مجال الفقه: إن أحب عبادي إليّ من أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي وحبب إليّ عبادي. قال: كيف يا رب أحببك إلى عبادك؟ قال: ذكرهم بآلائي ونعمائي».

فلماذا يفهم بعض الناس الجانب العقابي ويبلغون الدعوة ويبشرونها من هذا الجانب؟

وحتى لا يشغب متفيهقون في كفارة الفطر عند جمهور الفقهاء -غير الإمام مالك- ويشغبون على الحديث رواية ودراية أي متنا وسندا، كما يقول أهل الاختصاص، أضرب لك مثالا آخر الدليل فيه من الكتاب وجميع الفقهاء متفقون على الواجب فيه، وهو: كفارة اليمين.. فالجميع متفق على أن كفارة اليمين دليلها من الكتاب، وأن الواجب فيها هو

---

(٢) راجع كتاب «أصول الفقه» للدكتور زكريا البري.

(٣) حلية الأولياء (٨٧/٦)، مسند ابن عدي ٢١٧٧/٦، الترغيب والترهيب (٥٣٨/٣).

الإطعام أو الكسوة أو العتق ثم الصيام.. وقبل أن أسوق لك النص القرآني -وأظنك تعرفه- أقول: إن الشائع على ألسنة الناس أن كفارة اليمين هي صيام ثلاثة أيام.. لماذا؟

في رأيي أن هذا الخطأ الشائع مرده إلى المستفتي، وليس راجعا إلى الفقيه المفتي، إذ أن الفقيه يبين الواجب في كفارة اليمين بأنواعها، لكن المستفتي يختار الصيام من نفسه وتبعا لهواه أو شحه إن جاز أن نصمه بذلك، حتى شاع الأمر بين عامة الناس وشاع على أنه هو رأي الدين.

في حين أنك لو قرأت النص القرآني لأدركت أن الصوم لا يجوز إلا بعد أن يثبت عجز المكلف عن الأمور الثلاثة الأول وهي: الإطعام والكسوة وعتق الرقبة.

قال الفقهاء: إن المكلف لا ينتقل إلى الصيام مادام قادرا.. ونسأل من القادر؟ يقول الفقهاء: القادر هو من يملك الكفارة زائدة على الكفاف، ونسأل: ما هو حد الكفاف؟ يقول الفقهاء: حد الكفاف هو منزل يسكنه وثوب يلبسه وقوت يومه، فلا يجزئ الصيام إذا كان قادرا ويشترط أن يستمر العجز إلى نهاية الثلاثة أيام، فلو صام المعسر يومين ثم حصل على المال قبل صيام اليوم الثالث لم يجزئه الصيام ويعتبر قادرا قال الله- تعالى-:

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(١).

فالصيام شرطه ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ ﴾.

وهذا ما يسميه علماء الأصول الواجب المخير، كما أن هناك واجبا موسعا، ويقابلهما الواجب المعين والواجب المضيق.

وسبق أن تكلمنا عن «المصلحة» أو ما يعرف عند علماء أصول الفقه بالمصالح المرسلة وشرطها أن تكون مصلحة شرعية معتبرة، وقد أصلها الأصوليون وتكلموا عن شروطها وضوابطها، مما لا يتسع المجال لها في هذا المقال، وسوف نفرد لها -بإذن الله- تعالى- حديثا آخر، أو أحاديث إن شئت واتسع لها صدرك، كما أسأل الله أن نفرد حديثا آخر للواجب المخير والواجب المعين والواجب المضيق والواجب الموسع.

فإن علم أصول الفقه الإسلامي يحتاج منا جميعا إلى فهم مستنير مبسط لا يُخلُّ بقواعده وأصوله، فإن فهمه وتبسيطه لعامة المثقفين يريحنا من كثير من مناقشات سفسطائية متعالمة أزعجتنا طويلا من حدثاء يفتون بما لا يعلمون، ويتشددون في الحكم على الناس، يضيقون كل شيء كأنهم خلقوا الناس، ويريدون أن يقوموا اعوجاجا توهموه، ولا نقول هذا الكلام ترخصا في الدين، إنما نقصد الإبانة عن وجه الدين الحسن وإظهار أصالة الفقه وسلامة قواعده وأصوله، أو الدعوة كما ينبغي أن تبلغها للناس -وأيضا- حتى نوصد باب التسيب على أصحاب الإبداع المزعوم والتجديد النكد، والذين يطربون له، في «سوق المتعة». أو في أي سوق.

---

(١) المائدة (٨٦).

مُقوِّمات وحدة الأمة الإسلامية في ضوء القرآن والسنة

٣

للأستاذ الدكتور/ محمود حمدي زقزوق

٥. البعد الحضاري:

الإسلام ليس دين طقوس تعبدية جامدة، إنه دين للحياة بكل أبعادها والأمة الإسلامية أراد الله لها أن تكون صاحبة رسالة دينية وحضارية في هذا العالم ومن هنا كان وصفها بأنها خير أمة أخرجت للناس.

وقد رسم القرآن الكريم للإنسان الإطار العام في كل أموره الدينية والدنيوية واستخلفه في الأرض وكلفه بعمارتها وصنع الحضارة فيها، ووعد المؤمنين العاملين بالتمكين لهم في الأرض وكتب لهم العزة والنصر. وتحقيق ذلك كله أمر منوط بالإنسان وبتأييد من الله.

وقد أدرك المسلمون الأوائل ذلك كله وعملوا على تحقيقه، وقد تحقق لهم بالفعل ما أرادوا وما أراده الله منهم. وبذلك أقاموا صرحا شامخا لحضارة كانت من أطول الحضارات عمرا في التاريخ. وقد اشترك علماء الأمة الإسلامية من كل جنس ولون في إقامة هذا الصرح الحضاري بدافع من الإسلام الذي رفع من شأن العلم والعلماء واعتبر مداد العلماء مساويا لدماء الشهداء، وجعل العلماء أخشى الناس لله.

وسارت جهود علماء المسلمين في مجالات العلوم الدينية والدنيوية جنبا إلى جنب في تكامل رائع، فقد أدركوا أن الحضارة تعني تقدما ماديا وروحيا وأخلاقيا، وبذلك قدموا للإنسانية خدمة كبرى في الوقت الذي كان فيه العالم غير الإسلامي لايزال يعيش في جهالة جهلاء. وترك لنا الأسلاف تراثا ضخما يعد أغنى تراث في العالم يعبر عن وحدة جهود علماء الأمة الإسلامية بصورة رائعة. ويشترك المسلمون اليوم في كل مكان في العالم الإسلامي في الاعتزاز بهذا التراث.

وقد آن الأوان للأمة الإسلامية أن تتوحد جهودها مرة أخرى في سبيل النهوض بالأمة والارتقاء بها حضاريا بما يؤكد شخصيتها المتميزة ويحافظ على ذاتيتها مسترشدين في ذلك بتعاليم الإسلام الشاملة وبالجوانب

الإيجابية المشرقة فى تراثنا . فلا يليق بالأمة الإسلامية أن تظل فى عالمنا المعاصر قابعة فى مقاعد المتفرجين الذين لا يشاركون فى صنع الحضارة، ويكتفون بدور المستهلك لما تنتجه الحضارة التى يصنعها غيرنا فى الوقت الذى لا تعرف البشرية فيه دينا آخر غير الإسلام يشتمل على كل المقومات والأسس التى تحقق للبشرية أفضل المستويات الحضارية ماديا وروحيا وأخلاقيا .

والرسالة الدينية الحضارية المنوطة بالأمة الإسلامية لا يمكن تأديتها والقيام بحقها إلا إذا توحدت جهود الأمة الإسلامية دينيا وفكريا وحضاريا ـ وواجبها يفرض عليها فى هذا الصدد أن تقدم للعالم هذه الرسالة الدينية الحضارية فى صورة أنموذج متحقق فى عالم الواقع . فليس بالأقوال تؤدى الرسالات الكبرى ولكن بترجمة الأقوال إلى برامج عمل . ومن هنا كان اللوم والمقت للمؤمنين الذين يقولون ما لا يفعلون :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾(١) .

٦ـ البعد المصيرى:

وإذا كانت الأمة الإسلامية ترتبط فيما بينها برباط دينى واحد وتجمعها وحدة جغرافية طبيعية ولها رسالة نورانية حضارية فى هذا الوجود فإن ذلك يعنى غايات واحدة وأهدافا مشتركة يعنى فى النهاية مصيرا واحدا .

ومن أجل حماية هذا المصير الواحد وصونا للمبادئ السامية والمثل العليا التى تقوم بها ومن أجلها الأمة الإسلامية فلابد من إعداد القوة اللازمة لدرء الأخطار التى تحيط بها سواء كانت هذه الأخطار قائمة بالفعل أو محتملة الوقوع، أى سواء كانت منظورة أو غير منظورة، فالقوة فى كلا الحالتين ضرورية . وفى هذا الصدد يقول القرآن الكريم :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(٢) .

والهدف الذى من أجله يدعو القرآن الكريم إلى هذا الاستعداد الحربى بكل ما أوتينا من قوة لا يرمى إلى التخريب والتدمير أو الاستعباد والاستعمار أو سلب الآخرين أموالهم وأوطانهم وأمنهم، وإنما يرمى إلى دفع شر الأعداء وتخليص المستضعفين من أيدى الظالمين المعتدين وإفساح الطريق أمام دعوة الخير الذى يريده الله لعباده .

وقيام هذه القوة يعد من أقوى وسائل السلم الذى أمر الله به . ومن هنا كان التأكيد فى الآية على قوله تعالى :

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ، فهى قوة تحمى السلم والأمان والاستقرار .

---

(١) سورة الصف: ٢، ٣ .

(٢) سورة الأنفال: ٦٠ .

ومثل هذه القوة لا تتأتى إلا بوحدة الأمة الإسلامية. فهذه الوحدة هى السد المنيع والحصن الحصين فى وجه كل الأطماع التى تستهدف إضعاف الأمة الإسلامية وإثارة الفتن والخصومات بين أبنائها.

وعلى الأمة الإسلامية صاحبة المصير المشترك أن تعيد النظر فى قائمة الأولويات للقضايا والهموم التى تحيط بها فى عالمنا المعاصر فتشغل نفسها لا بالقضايا الهامشية بل بالقضايا المصيرية وعلى رأسها قضية التخلف التى تمثل الهم الأكبر للأمة الإسلامية اليوم. والتخلف الذى أعنيه يشمل المجالات الروحية والمادية والأخلاقية والعلمية والحضارية بصفة عامة. وتلك قضية مصيرية لا يجوز التهاون فيها أو التفريط فى معالجتها بما تستحقه من اهتمام وعناية.

المخاطر التى تهدد وحدة الأمة الإسلامية

بعد أن ألقينا نظرة سريعة على أهم المقومات التى ترتكز عليها وحدة الأمة الإسلامية لابد لنا من التنبيه إلى المخاطر التى تهدد صرح هذه الوحدة. وقد حذر الإسلام من الوقوع فى شراكها. وتتلخص هذه المخاطر فى عنصرين أساسيين يمكن أن ترد إليهما جميع الأسباب الفرعية الأخرى التى تستهدف إضعاف الأمة الإسلامية وكسر شوكتها.

وأول هذه العناصر يتمثل فى الفرقة والتنازع والصراعات المدمرة التى تعد مدخلا خطيرا لانهيار وحدة الأمة الإسلامية، سواء كان هذا التنازع والتفرق فى أمور الدين، أو السياسة والملك، أو بسبب الفوارق الطبقية الصارخة، أو بسبب الصراعات القبلية أو العرقية التى تحيى ما كان قائما فى الجاهلية. وقد جاء التحذير الإلهى من ذلك حاسما قاطعا فى عبارة قصيرة تبدأ بالحث على التمسك بالوحدة وتحذر فى الوقت نفسه من التفرق، وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾[3]

وفى آية أخرى يأتى التنبيه إلى نتيجة التفرق والتنازع وذلك فى قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[4].

وهكذا تؤدى الفرقة والتنازع والتناحر إلى الفشل الذى تكون نتيجته النهائية هى ذهاب قوة المسلمين وضياع عزتهم ومنعتهم. وبذلك يكونون لقمة سائغة فى يد أعدائهم تداعى عليهم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها - كما جاء فى حديث رسول الله - ﷺ - أما العنصر الآخر الذى يحذر الإسلام منه فيتمثل فى موالاة الأعداء. وفى ذلك يقول القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[5].

---

(3) سورة آل عمران: ١٠٣.

(4) سورة الأنفال: ٤٦.

(5) سورة آل عمران: ١١٨.

وختام الآية أمر في غاية الأهمية لمن يتأمل. فالله قد وضح لنا الطريق وكشف لنا عن مخاطره وعثراته وعلينا أن نتدبر أمرنا بعقولنا التي منحها الله لنا لنميز بها الخبيث من الطيب

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وفي آية أخرى يقول القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾[6].

ولا يخفى على أحد أن هناك كثيرا من الممالك الإسلامية في القديم والحديث قد ضاعت بسبب موالاة الأعداء والركون إليهم والوثوق بهم والاستعانة بهم على حرب المسلمين بعضهم بعضا ولم يكن ذلك السلوك إلا كالمستجير من الرمضاء بالنار.

خاتمة: واقع الأمة الإسلامية وآفاق المستقبل

إن الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم يعد واقعا مؤلما كما يجب أن نعترف بذلك جميعا، وهو واقع يسير في اتجاه مضاد لكل مثاليات وحدة الأمة الإسلامية. فالنزاعات القائمة اليوم بين أبناء الأمة الإسلامية أكثر منها في أي مكان آخر في العالم، ومؤسسات العمل المشترك في العالم الإسلامي ليست أكثر من واجهة تحمل شعارات طنانة لا تعني شيئا، وأمور المسلمين المصيرية يقررها غيرهم.

وهذا الواقع المؤلم يدفع إلى طرح تساؤلات عديدة:

هل يجهل أبناء الأمة الإسلامية في عالم اليوم الأبعاد الحقيقية لوحدة الأمة الإسلامية، ومن هنا يعملون في اتجاه معاكس لها، أم أنهم يدركون تماما كل ما تعنيه هذه المقومات بالنسبة لحاضر الأمة الإسلامية ومستقبلها ومع ذلك فهم لا يصنعون شيئا؟

إنه إذا كانت الأولى فتلك مصيبة، وإن كانت الثانية فإن المصيبة أعظم.

ما لنا نرى هذا البون الشاسع بين النموذج والواقع؟

وما لنا نرى الأمة الإسلامية قد تفرقت السبل بأبنائها؟

أين الخلل؟ هل هو في المشروع الحضاري الإسلامي أم هو في الواقع المحير والمشحون بالتناقضات الحادة والذي يعيشه أبناء الأمة الإسلامية؟

أم أن الخلل في الفهم السقيم والمعوج لقيم وتعاليم الإسلام؟

ما سبب هذا التبلد الذي أصاب الأمة الإسلامية في عالمنا المعاصر؟

أين ذلك كله من تلك الأمة التي وصفها القرآن الكريم بأنها خير أمة أخرجت للناس؟

---

(6) سورة الممتحنة: 1.

لسنا نريد الدخول في تفاصيل ذلك كله الآن، لأن موضوعنا ينصب فقط على توضيح مفهوم وحدة الأمة الإسلامية. ولكننا نستطيع أن نقول باختصار - كما قال الراحل مالك بن نبي أيضا في الرد على خصوم الإسلام الذين ينسبون تخلف المسلمين إلى الإسلام -: «إن التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية اليوم يعد عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يظن بعض الجاهلين».

ومن ناحية أخرى فإن صلاح حال الأمة الإسلامية لن يتم إلا بإرادة أبنائها ولن ينزل علينا من السماء. فإذا صحت إرادة الأمة وصدقت العزائم وخلصت النيات فلاشك أن الله - سبحانه وتعالى - سيكون مع هذه الأمة بالتأييد والنصر. وهذا قانون قرآني ثابت تعبر عنه الآية الكريمة:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٧).

وعلى الرغم من كل السحب الكثيفة السوداء التي تغطي سماء الأمة الإسلامية فنحن لسنا يائسين فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

ولازلنا نأمل في تيقظ وعي الأمة وصحوة ضميرها وتجديد شباب عقيدتها ونقاء فكرها حتى تأخذ مكانتها اللائق بها بين الأمم في عصر التكتلات الدولية.

فلا يليق بكرامة هذه الأمة أن تعتمد في غذائها بنسبة سبعين في المائة على غيرها من دول العالم، ومن المعلوم أن من لا يملك غذاءه لا يملك قراره. لازلنا نأمل أن تعود هذه الأمة صاحبة قرارها ومقررة مصيرها، وأن تسهم إسهاما حقيقيا في تقرير مصير هذا العالم.

لازلنا نأمل في غد مشرق للأمة الإسلامية، تتوحد فيه جهودها وتتفق على الأقل على قضاياها المصيرية. ونرجو أن تتحول هذه الآمال عن قريب إلى برامج عمل لمصلحة هذه الأمة حتى تحقق ما أراده الله لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس قولا وفعلا.

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

●●●

(٧) سورة الرعد: ١١.

التشريع الحضاري في الإسلام

للأستاذ الدكتور/ عبد الحليم حفني (*)

من مزايا الإسلام وخصائصه أنه يستهدف إيجاد مجتمع ودولة، ولا يقتصر على مخاطبة الأفراد ومحاولة إصلاحهم، ومن المنطقى حينئذ أن يتضمن التشريع الإسلامى ما ينظم حياة المجتمع والأمة فضلا عن تنظيم الحياة الفردية، فالإسلام لا يكتفى بوجود مجتمع إسلامى أو أمة إسلامية، وإنما يحمل المسلمين مسئولية أن يكون مجتمعهم وكذلك أمتهم نموذجا ومثلا أعلى، والمتأمل فى هذا النموذج وفى واقع حال المسلمين يدرك مدى الجرم الذى ارتكبه المسلمون فى بعدهم عن هذا نتيجة لإهمالهم تطبيق التشريع الإسلامى وخصوصا الجانب الاجتماعى فيه. فإن هذا الجانب يضمن لهم القمة التى بلغوها يوما ما.. والتى وصفها القرآن من الناحية الدينية والعامة بقوله:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] ومن ناحية المجد الدنيوى يشير إليها بشعار

﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾[2] وكذلك

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾[3]

وأيضا [٢٨ الفتح] وأيضا [٩ الصف] وتكرار الشعار نفسه بصيغة واحدة ثلاث مرات فى ثلاث سور مما يؤكد الأهمية الخاصة لهذا المعنى، وهو أن إرادة مجد الإسلام، وبالتالى مجد الأمة الإسلامية هى من أهم الأهداف وآكدها، والتطبيق العملى لهذا المعنى هو فى المعنى السابق

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾.

(*) أستاذ الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالقاهرة.

(١) آل عمران [١١٠]

(٢) التوبة [٤٠]

(٣) التوبة [٣٣]

ومن الواضح أن أية أمة لا يتاح لها بلوغ هذا الوضع إلا إذا توافرت لها مقومات الحضارة بمفهومها الدنيوى، وأن السمو الدينى وحده مهما يبلغ فلن يكفى لبلوغها هذه القمة ولا لمنافستها للأمم الأخرى.

وقد تضمن التشريع الإسلامى جانبا مهما يتحقق بتطبيقه النموذج الاجتماعى الأمثل، وهذا الجانب يعرف بفروض الكفاية، وهو من خصائص التشريع الإسلامى ومزاياه.

ويُعرِّفُ الفقهاء فرض الكفاية: بأنه الواجب الذى إذا أداه البعض سقط عن الكل، وإذا لم يؤده أحد أثم الجميع، وهو موجود فى كل المجالات الدينية والخلقية والاجتماعية فى التشريع الإسلامى، ويعتمد فى جوهره على أنه تكليف واجب الأداء، ولكن لا يطالب به الأفراد، وإنما تطالب به الجماعة كلها، لأن الهدف هو أداء هذا الواجب بصرف النظر عمن يؤديه، بخلاف فرض العين، كالصلاة والصوم والواجبات الأخرى فالهدف فيها مرتبط بالأفراد أنفسهم فردا فردا، وهنا يكمن معنى دقيق بالغ الأهمية، وهو أن فروض الكفاية ليست فى حقيقتها عبادة يقصد بها إصلاح الفرد، وإنما هى واجب يقصد به إصلاح المجتمع والأمة؛ ليكون هذا الواجب تشريعا حضاريا مما يقوم عليه مجد الأمة.

ومما يلفت النظر أن هذا الجانب الحضارى على أهميته الكبيرة من الناحية الحضارية الاجتماعية لم ينل من علماء الإسلام الاهتمام الكافى بتجميع أحكامه وتبويبها وتحديد أهدافها كما فعلوا باقتدار فى الأحكام الفردية، ومن المستبعد أن يكون عدم المقدرة هو السبب فى انصراف العلماء عن هذا الجهد، فإنهم أظهروا فى كل التشريعات والعلوم الأخرى مقدرة علمية وعقلية كبيرة، ولعل الظروف السياسية كانت من أهم الأسباب فى ضعف جهدهم فى هذا الجانب، فإن وضع تشريع اجتماعى للأمة من حيث هى يعنى أن صاحب السلطة هو المسئول عن تنفيذ هذا التشريع، وهو المخاطب به، واتجاه العلماء بصورة جماعية إلى هذا الهدف قد يعنى فى تصور البعض أنه تحد للسلطة، أو إثارة للناس ضدها بتحديد مسئولياتها أو نحو ذلك مما يتصيده أو يتلقفه المتربصون بالدين وعلمائه فى كل العصور كما نرى اليوم، ولهذا ظلت جهود العلماء فى هذا المجال فردية ومتناثرة.

ومن أمثلة فروض الكفاية المشهورة صلاة الجنازة على الميت، فكل مسلم يموت تجب إقامة صلاة عليه، ولكن هذا الواجب لا يطالب به فرد أو أفراد معينون، مع أن هذا ممكن نظريا، فقد كان يمكن أن يطالب بهذا الواجب أحد أبناء الميت أو أحد أقاربه، أو ورثته، أو إمام أقرب مسجد إليه، أو نحو ذلك، ولكن التشريع الإسلامى يجعله واجبا على المجتمع كله بصورة الكفاية، بمعنى أنه إذا أدى الصلاة عليه بعض المسلمين ولو واحدا سقطت المسئولية عن الجميع، فإذا لم يؤدها أحد كان كل من يستطيع الصلاة عليه ولم يؤدها آثما.

وكذلك من أمثلة فروض الكفاية رد تحية اللقاء وهى السلام، فإذا لقى شخص جماعة أو شخصا وألقى تحية السلام وجب عليهم مجتمعين رد هذه التحية، فإذا رد أى شخص منهم التحية سقط الواجب عن الجميع، لأن الهدف هو رد التحية وليس تكليف الأفراد إياها.

فمن الواضح إذن أن «فرض الكفاية» أو واجب الكفاية يقصد به أداء الشيء المطلوب بصرف النظر عمن يؤديه، وهذا المعنى هو أبرز سمات الحضارة في أية أمة، فحين نجد في أى شعب نهضة وتفوقا لا نقول إن فلانا وفلانا أو هذه الهيئة أو تلك هى صاحبة هذه النهضة فى أى مجال كالصناعة مثلا، وإنما نتحدث عادة عن الأمة نفسها، فنقول مثلا: إن الشعب الألمانى متفوق فى كذا، والشعب اليابانى متفوق فى كذا، وكذلك فى حال النصر أو الهزيمة، لا نقول إن القائد الفلانى، أو الجيش الفلانى انتصر أو انهزم، ولا يهمنا الحديث حينئذ عن قائد أو جيش لذاته، وإنما يهمنا انتسابه لأمته، فهى صاحبة النتيجة النهائية، فنقول مثلا: إن الجيش الفرنسى انتصر فى موقعة كذا، وكل ما نعنيه أن فرنسا نفسها هى التى انتصرت.

وكذلك حين يتحدث التاريخ عن أية نهضة أو تفوق أو فساد أو انهيار أو ضعف فى أية أمة لا يعنيه فى الحصيلة النهائية من الذى فعل هذا أو كان سببا فيه، وإنما تعنيه نسبة هذا الشيء إلى الأمة نفسها.

وهذا المعنى يصوغه الإسلام فى تشريع هو فروض الكفاية التى يخاطب بها المجتمع والأمة وليس الأفراد.

وأهداف فروض الكفاية أبعد وأكبر من أن تكون محض أهداف خلقية مثل كثير من التشريعات، إنها تكشف عن المقومات الحضارية التى إذا توافرت لأمة رسمت لها طريقين:

١- طريق الحضارة بمفهومها الدنيوى فضلا عن المفهوم الدينى.

٢- طريق المحافظة على هذه الحضارة واستمرارها، وقد تكون المحافظة على الشيء أهم وأصعب من الحصول عليه.

وقبل إلقاء نظرة على أهم جوانب هذا النوع من التشريع ينبغى أن يكون واضحا أن المفترض أن الإسلام قد بنى فعلا هذا المجتمع الذى يخاطبه بهذا التشريع، وأن بناء هذا المجتمع قوىٌ صلب لأنه يتكون من أفراد يفترض أيضا أنهم متمسكون بدينهم عقيدة وسلوكا وما داموا متمسكين به فلابد أن يكونوا نماذج صالحة، وبالتالى يكون المجتمع الذى يتكون منهم مجتمعا صالحا للدين والدنيا معا، لأن هذا هو الهدف الحقيقى للإسلام.

وأما أهم جوانب هذا التشريع الحضارى فى الإسلام فهى:

١- صيانة الكيان الاجتماعى من الفساد:

فمن المعروف أن من أهم أسباب انهيار حضارة أية أمة انتشار الفساد الخلقى فيها، وتبلغ هذه الظاهرة درجة الخطورة حينما يصبح الفساد عرفا شائعا فى المجتمع، لا يجد إنكارا عليه، والفساد هو كل انحراف عن قيم المجتمع، سواء أكانت دينية أم خلقية أم اجتماعية، كالعادات التى تمثل أخلاق المجتمع وتقاليده المرضية.

والإسلام يضع تشريعا لحماية مجتمعه من هذه الظاهرة فيما يعرف بوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وهو من أشهر فروض الكفاية فى الإسلام، حيث يجب بمقتضاه على كل فرد رأى منكرا -وهو كل مخالفة للتشريع- أن ينهى عن هذا المنكر حتى يتغير المنكر، فإذا أدى هذا

الواجب أي أحد وزال المنكر سقطت المسئولية عن الجميع، وإذا لم يُؤدِّ هذا الواجب أحدٌ كان الجميع آثمين، وفي القرآن الكريم:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾(٤).

وفي الحديث النبوي: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٥) وينعى القرآن على بعض السابقين شيوع المنكر بينهم دون أن ينكره أحد، فيقول عنهم:

﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾(٦).

وقمة الصلاح الاجتماعي أن تسود المجتمع روح الالتزام الخلقي التي يخشاها كل من يفكر في مزاولة المنكر، وهذا هو الهدف من تشريع النهي عن المنكر، ولاشك أن تفريط المسلمين في أداء هذا الواجب كان من أسباب ضعفهم وتخلفهم، ومن هنا نفهم أن هذا الفرض من فروض الكفاية وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من العناصر الجوهرية في حضارة الأمة من حيث صيانة كيانها الاجتماعي من الفساد.

٢ - العلم:

ومن الواضح أن العلم جوهر الحضارة وأن أية نهضة في أي مجال فكري أو تجريبي أو فني أو اقتصادي أو عسكري أو غير ذلك لا تعد عنصرا حضاريا ولا بقاء لها إذا لم تقم على علم.

والإسلام يولي العلم اهتماما لا يوليه لشيء بعد الإيمان بالله، بل يجعل العلم أقرب الطرق إلى الإيمان، ويجعل العلماء أشد الناس إحساسا بعظمة الله، لأن العلم يجعلهم يؤمنون بالله عن معرفة، ويكتشفون من قدرته ما لا يكتشفه غيرهم، وفي القرآن

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(٧)

وكأنه يقول إن المؤمنين كثيرون، ولكن العلماء وحدهم هم الذين يتجاوزون الإيمان بالله إلى الخشية منه، لأن العلم يجعلهم يعرفون صفاته على قدرها وحقيقتها.

والقرآن بطبيعته يجعل المؤمنين بالله في الدرجة العليا، ولكننا نجده يقرن بهم في هذه الدرجة طائفة واحدة هي طائفة العلماء، فيقول:

﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾(٨).

وفي حديث القرآن عن العلم نجد النظرة العلمية الحقيقية، وهي أن العلم لا حدود له، فيقول:

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٩)، وبأن

---

(٤) آل عمران [١٠٤].

(٥) رواه مسلم، وانظر أيضاً جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لعبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي ص ٢٨٨.

(٦) المائدة [٧٩]. (٧) فاطر [٢٨].

(٨) المجادلة [١١]. (٩) الإسراء [٨٥].

العالم الحقيقي مهما يبلغ من العلم فشعاره الاستزادة من العلم، فيقول:

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١٠).

ومن أبرز ما في المعاني السابقة إثارة الاهتمام بالعلم والعلماء، وأن تجعل الأمة مجال البحث العلمي متواصلا شعاره الاستزادة الدائمة، وأن ما لديها من العلم مهما يبلغ فهو قليل بالقياس إلى ما تطمح إليه.

ولكننا نجد القرآن الكريم يشير إلى معنى وجوب الكفاية في مجال العلم بقوله -تعالى-:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١١).

وإذن فطلب العلم والاهتمام بشأنه من فروض الكفاية التي إذا قام بها البعض سقطت عن الكل، وإذا لم يؤدها أحد كما ينبغي أثم الجميع.

٣- العمل:

الإسلام ينظر إلى العمل على أنه جزء من الدين نفسه، ومزاولة الشخص لكل ما يتعلق بالحياة المعيشية وبقاء النوع على الوجه المشروع هو نوع من العبادة، ومهما تفرغ المسلم للعبادة الروحية بدون عمل دنيوي فأداؤه للدين غير كامل، ولذلك يقترن الإيمان في القرآن، عادة بعمل الصالحات، وهو كثير جدا مثل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾(١٢)

ويتكرر هذا الاقتران بين الإيمان والعمل الصالح في نحو ستين موضعا من القرآن، وعملُ الصالحات هو كل عمل مشروع فيه خير، ولذلك ورد في الأحاديث النبوية أن السعي على الرزق عبادة، وكذلك إعالة الأسرة، وأن الجهد في العمل مما يكفر السيئات.

وفي القرآن حث للناس على أن يلتمسوا الرزق في كل وجوه الأرض، كقوله:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾(١٣).

بمعنى أن الله سخر الأرض كلها للناس، وجعل في برها وبحرها وسمائها رزقا للناس في أنواع لا تحصى من الرزق، فيأمر الله الناس بأن يبحثوا عن أنواع هذا الرزق في كل وجوه الأرض ومسالكها وأغوارها، ليصلوا إلى أنواع الرزق التي أودعها الله في الأرض سطحها وجوفها، كالزراعة والمعادن والنفط وغير ذلك.

وهنا -أيضاً- مجال من مجالات فروض الكفاية، فليس كل فرد مطالبا بالمشي في مناكب الأرض ومحاولة الوصول إلى كل نوع من أنواع

---

(١٠) طه [١١٤].

(١١) التوبة [١٢٢].

(١٢) مريم [٩٦].

(١٣) الملك [١٥].

الرزق، بل هو واجب على الأمة كلها على وجه الكفاية، بأن يوجه كل فريق منهم إلى المجال الذى يناسبه ويناسب تخصصه، فإذا فعلت الأمة ذلك وحققت أهدافها في كل مجال يعود على الأمة بالنفع ويسهم في قوة الأمة من أى مصدر من مصادر القوة سقطت المسئولية عن الجميع، وإذا لم يتحقق ذلك أثم كل من يستطيع الإسهام فى العمل أو فى الاهتمام والتوجيه ولم يفعل.

ويدخل فى هذا كل مجال يمكن استثماره، وتقتضيه مصلحة الأمة، كمورد اقتصادى أو اختراع مفيد، أو أى مجال نافع اقتصاديا أو علميا أو عمرانيا أو طبيا أو غير ذلك من مجالات الحضارة والمصلحة العامة.

واهتمام الإسلام بالعمل نابع من كونه لا يقتصر فى تشريعه على العبادات الروحية، وإنما يهدف أساسا إلى الجمع بين الدين والدنيا، أى الجانب الروحي والجانب المادى، ودرجة المؤمن تقاس فى الإسلام بمدى مقدرته على الجمع بينهما مع التزام مبادئ التشريع فيهما، والتقصير فى أحدهما نقص فى الدين، كما أن المبالغة فى أحدهما على حساب الآخر أيضا نقص فى الدين، ومن المشهور أن النبى -ﷺ- لام ثلاثة من أصحابه، أحدهم الزم نفسه أن يصلى الليل لا ينام فيه أبدا، والثانى الزم نفسه أن يصوم حياته كلها لا يفطر، والثالث الزم نفسه ألا يقرب النساء تفرغا للعبادة، وكان مما قاله لهم: «إنى أصلى وأنام، وأصوم وأفطر، وآتى النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»[14]، وفى التعبير الأخير تنفير شديد من الإفراط فى العبادة الروحية، وأن التدين الكامل هو الجمع بين الدين والدنيا، وهذا معنى «ليس منى» لأن النبى -ﷺ- هو النموذج الأعلى لالتزام الدين الكامل.

٤- الوحدة والتضامن:

من الواضح اليوم أن العالم كله يتجه إلى التجمع والترابط فى كتل وأحلاف سواء أكانت قائمة على مصلحة اقتصادية أو بيئة جغرافية، أو مذهب سياسى أو دينى أو فكرى، لأن صراع المصالح والقوى فى العالم ينتهى بهم إلى هذه الوسيلة وهى الاتحاد والتجمع الذى لا تختلف العقول فى أنه من أبرز صور القوة وأنجحها.

والإسلام يؤكد هذا الهدف فى كيان الأمة الإسلامية ووحدتها ويجعله تشريعا، بل يتحدث القرآن عن هذا على أنه حقيقة قائمة موجودة، فيقول: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[15]، ويترتب على هذا أنه حين يحدث تصدع فى هذه الوحدة فالمسلمون محاسبون ومسئولون عنه، على أساس أنهم صدعوا كيانا الأصل فيه الوحدة والترابط والتضامن، ويحذرهم القرآن من صدع هذه الوحدة مبينا لهم أن نتيجة تصدع الوحدة سيكون الفشل، فيقول:

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[16]

- ريحكم أى قوتكم -.

---

(١٤) رواه البخارى، كتاب النكاح، باب الترغيب فى النكاح (٢/٧).

(١٥) الأنبياء [٩٢].

(١٦) الأنفال [٤٦].

فالأمر الضمني في الآية الأولى، والنهي الصريح في الآية الثانية كلاهما يهدف إلى قوة الأمة، وهما من فروض الكفاية التي إذا حقق البعض هدفها سقطت المسئولية عن الجميع وإلا فالكل آثم.

ومن آثار أنَّ وحدة الأمة الإسلامية هدف جوهري في الإسلام أن لها تشريعا يعالج الأحوال الواقعية التي تعرض في حياة الشعوب والأمم، ومن أهمها التصارع في داخلها حول المصالح والأهواء أحيانا حتى يصل إلى الحروب، فإذا حدث هذا نجد علاجه في فرض من فروض الكفاية وهو وجوب المصالحة بين الفريقين المتخاصمين، فإذا تمادى أحد الفريقين في بغيه وجب على المسلمين قتاله بصورة الكفاية، بمعنى أن توجد بين المسلمين هيئة لحل المشاكل بين كل شعبين مسلمين متخاصمين، على أن تكون لهذه الهيئة قوة عسكرية تملك تنفيذ الحكم، ورد الباغي عن بغيه، وهذا فرض من فروض الكفاية، إذا أداه البعض حتى يحقق الهدف سقطت المسئولية عن الكل، وإلا فالجميع آثمون، وفي القرآن:

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾(١٧).

٥- التعاون والتكامل:

المجتمعات كما يقول ابن خلدون، وكما هو الواقع، صورة مكبرة من الأفراد، وسنن الحياة التي تجرى على الأفراد تجرى على المجتمعات والشعوب، وكما أن الفرد لابد أن تقوم حياته على التعاون والتفاعل مع المجتمع، كذلك المجتمع لا تنتظم حياته ولا تنمو حضارته إلا بالتعاون والتفاعل مع المجتمعات الأخرى.

والإسلام لا يقبل -في حال السلم- ما يشيع في التعامل الدولي من حرص كل دولة على مصلحتها ولو كان في هذا إضرار بدولة أخرى، فكل تعامل وتعاون لابد أن يكون محكوما بالتشريع والتزام الخلق الديني، ومن ذلك

﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾(١٨).

والنهي عن التعاون الضار مصوغ في القاعدة الإسلامية «لا ضرر ولا ضرار» فكما أن من حق الإنسان رفض الضرر الموجه إليه من غيره، فكذلك عليه أن يتجنب الإضرار بغيره.

والأمر بالتعاون من فروض الكفاية، فحيث يوجد أي عمل أو مشروع تقتضيه مصلحة الجماعة أو الأمة، فالتعاون على تحقيقه واجب على كل قادر على الإسهام فيه، ولكن إذا تولى البعض هذا العمل وحقق الهدف منه سقطت المسئولية عن الجميع، فإذا لم يؤده أحد كان الجميع مذنبين، وما أكثر الأعمال والمشروعات التي تحتاج إليها المجتمعات، في مجال الصحة أو التعليم أو الصناعة أو غير ذلك، وأحيانا لا

---

(١٧) الحجرات [٩].

(١٨) المائدة [٢].

تستطيع إمكانات الحكومات أن تؤديها، فحينئذ تصبح من فروض الكفاية على المجتمع كله، بحيث يجب على كل قادر على الإسهام أن يسهم بما يستطيع، فإذا قام البعض بأدائه نجا الجميع من المسئولية.

ولو أن الأمة الإسلامية طبقت هذا الواجب الإسلامي لحلت كل مشاكلها، بل لبلغت قمة القوة في كل مجالاتها، وعلى سبيل المثال الواضح نجد بعض الشعوب الإسلامية يتعرض لمجاعات قاتلة مع أن لديه مساحات شاسعة من الأرض الصالحة للزراعة أكثر من حاجته، ولكن تنقصه إمكانات القدرة على تمويل مشروعات الزراعة وآلاتها، وأحيانا الأيدي الخبيرة في الزراعة، بينما هذه الإمكانات الاقتصادية موجودة في شعوب إسلامية أخرى لا تجد مجالا لاستثمارها، وكذلك توجد الخبرة الفنية الفائضة في شعوب إسلامية أخرى.

ولو أن هذه الشعوب طبقت واجب التعاون في صورة فرض الكفاية، ونسقت إمكاناتها لكان لها شأن غير شأنها.

٦- القوة:

كل تاريخ البشرية يؤكد أن القوة محور الحياة، وأن الحق بدون قوة كسير الجناح، وأن الحضارة بدون قوة تحميها مهددة دائما بالدمار.

ومن واقعية التشريع الإسلامي أنه يدعو إلى القوة لحماية مبادئه وحضارته، فالفرد محتاج إلى القوة للمحافظة على خلقه ومبادئه فضلا عن حقوقه؛ لأن الضعيف قد يضطر إلى التخلي عن مبادئه وخلقه في بعض المواقف، ولذلك جاء الحديث الشريف: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير»(١٩).

والأمة محتاجة إلى القوة لحماية كيانها وحقوقها، ولذلك أوجب القرآن على المسلمين إيجاد قوة تحمي كيان أمتهم وحقوقها حيث يقول سبحانه:

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(٢٠).

وبعض الناس يفهم أن مضمون هذه الآية دعوة إلى استخدام القوة والعنف، مع أن ألفاظها حين نتأملها نجدها واضحة الدلالة على المعنى الحضاري للقوة في أحدث وأدق ما يعرفه الناس للقوة، وذلك كما يلي:

١- الآية تدعو إلى إعداد كل جوانب القوة المستطاعة ﴿ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ والقوة تشمل كل المقومات الحضارية في الأمة من علم واقتصاد وعمران وتنظيم لكل شئون الحياة، والقوة العسكرية ليست إلا عنصرا في قوة الأمة، غاية الأمر أنه عنصر بارز ومباشر في القوة، وهذا واضح في تعبير القرآن، وكأنه يقول: أعدوا لهم كل مقومات القوة وخصوصا القوة العسكرية، ولن تكون أية أمة قوية بجيشها وحده، بل - أيضاً - باقتصادها ومواردها وحضارتها في مختلف الجوانب.

---

(١٩) رواه ابن ماجة في سننه، كتاب الزهد، باب التوكل على الله، رقم (٤١٦٨).

(٢٠) الأنفال [٦٠].

٢- الهدف الواضح في الآية أن إعداد القوة ليس لاستخدامها المباشر، وإنما لحماية الأمة وحقوقها من مطامع الأعداء، فحينما تكون للأمة قوة يرهبها الأعداء فلن يطمعوا فيها، وهذا صريح لفظ الآية، فإن الهدف ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ وهو ما يعرف بالحرب النفسية أو الباردة، وكون القوة العسكرية في الإسلام هدفها الأصلي ليس القتال وإنما كف مطامع الأعداء -وهذا واضح في منهج القرآن كله، ومن ذلك قوله -تعالى-:

﴿ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾(٢١).

فالله يأمر الرسول بالقتال في سبيل الله، وأن يحرض المؤمنين على القتال، ولكن الهدف ليس القتال لذاته، وإنما كف بأس العدو وأطماعه وعدوانه، ومعنى ذلك بوضوح أنه إذا كف العدو عدوانه فلا حاجة للقتال

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾(٢٢).

٣- مما يؤكد أن هدف القرآن من الأمر بالقوة إنما هو حماية الأمة الإسلامية بحيث تكون مرهوبة الجانب من أعدائها أن القرآن يلفت نظر المسلمين إلى أن إعداد كل مقومات القوة التي يجب أن تكون موجودة لديهم بصفة دائمة ليست لإثارة الرهبة في نفوس الأعداء الظاهرين فقط، وإنما لكل من تراوده نفسه بالطمع في الأمة الإسلامية من أعدائها غير الظاهرين، وهذا واضح في تعبير آية الأنفال السابقة

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾.

والنتيجة الأخيرة أنه يجب على المسلمين إعداد كل مقومات القوة في مدلولها العام من علم واقتصاد وموارد وصناعة وغير ذلك، وفي مدلولها الخاص وهو القوة العسكرية، وأن يكون هذا الإعداد له صفة الدوام، والتهيؤ والاستعداد.

وهذا كله من فروض الكفاية من حيث إنه واجب عام على المسلمين جميعا، فإذا أدى هذا الواجب بصورة كافية بعض المسلمين سقطت المسئولية عن الجميع، فإذا لم يؤده أحد بالصورة التي تحقق الغرض كان الجميع مذنبين.

ولو أننا درسنا هذا الجانب من التشريع الاجتماعي في الإسلام وهو جانب فروض الكفاية فسنجد فيه تشريعا حضاريا متكاملا لبناء أمة قوية ثابتة الأساس.

---

(٢١) النساء [٨٤].

(٢٢) الأنفال (٦١).

هذا هو الإسلام

للأستاذ الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

آمنت بالله!.. آمنت بالإسلام!.. آمنت بالقرآن!..

آمنت بأن الله الذى أنزل المعجزة على رسوله: محمد بن عبدالله، هو الذى صنع المعجزات الكبرى فى تاريخ الإسلام. لو أن إنسانا جاء ليقول لنا اليوم:

إن أمة مسلمة فقيرة قليلة العدد، لا تعرف التقدم الحضارى ولا التكنولوجيا الحديثة، وليس فيها صناعات، ولم تتأصل فيها التقاليد العسكرية، وليست عندها جيوش حربية متطورة، وقفت أمام أعظم دولة معاصرة كأمريكا وهزمتها، ووقفت أمام قوة عالمية كبرى كروسيا ودمرتها..

لما صدقناه.. ولقلنا: إن ذلك خرافة، ما بعدها من خرافة.. وأسطورة من نسج الخيال وحده.. فلو حدث ذلك لكان معجزة من الله، وعملا خارقا من نسج السماء.

ولقد حدث ذلك فى التاريخ، بعد نزول الرسالة بقليل:

ففى خلال ما لا يزيد على أربعين عاما من بدء نزول الوحى على محمد بن عبدالله فى غار حراء بمكة؛ كان الإسلام قد طوى -تحت سنابكه- أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ؛ وهى الإمبراطورية الفارسية، ثم فتح مصر والشام وليبيا والمغرب كله، واجتاح سهول آسيا الصغرى، ووقف على أبواب العاصمة الرومانية «بيزنطة» التى لم يبق لها إلا أجزاء قليلة فى أوروبا على شاطئ البحر الأسود والبحر الأبيض.

ولقد كان انبعاث الإسلام -على هذه الصورة الغريبة- عملا معجزا، حطم كل الأقيسة التاريخية!.. كما يرى المؤرخ الإنجليزى المعاصر «توينبى» ووقف حيال العالم -منذ ذلك التاريخ، حتى اليوم- مبهورا مذهولا، لا يدرى كيف حدث، وكيف كان؟!

فلقد أصبحت الدولة الإسلامية -بعد فتح العراق وفارس والشام ومصر وغيرها، وارثة للإمبراطورية الساسانية، مثلما ورثت ملك الدولة الرومانية!.. ثم تحولت -بعد قليل- إلى إمبراطورية عالمية كبرى، فاقت جميع

الإمبراطوريات العالمية القديمة: البارثية، السلوقية، الأخيمينية، البابلية الجديدة، الأكادية، الفارسية، الرومانية.

فما هي الأسباب التي ساعدت على قيام تلك المعجزة؟!

لا سبب أبدا إلا الإسلام!.. وإلا القرآن!..

وإلا صنع المعجزة التي هي من صنع السماء!!

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

لقد عاشت اللغة العربية لغة أمة فقيرة في الجاهلية -وقبل ظهور الإسلام- لغة محدودة يتكلم بها عدد قليل من الناس!..

ونزل القرآن -وهو كتاب عربي مبين- يحمل الهداية والنور إلى الأرض، ويؤدي إلى الإنسانية رسالة السماء: ورسالة الإسلام!..

ومرت بلغة القرآن الكريم سنوات وسنوات!..

وإذا هي اللغة العالمية الأولى، يتكلم بها الخليفة الأموي في عاصمته دمشق، وتتكلم بها جيوشه وولاته من الصين إلى شاطئ المحيط الأطلسي، ويتعلمها أكثر سكان العالم، ويقبلون عليها، ويتخذونها لغة جديدة لهم، وتصبح هي اللغة الرسمية لجميع شعوب العالم الإسلامي!..

ويترك الكثير من الشعوب لغتهم الأصلية، لأنهم اختاروا مكانها اللغة العربية!..

وتموت بعض هذه اللغات القديمة، وتبقى بعضها بين الموت والحياة، وتحدث ظاهرة فذة جديدة، في تاريخ اللغات؛ لم تحدث -من قبل- لأية لغة أخرى، ولا يمكن أن يحدث مثلها للغة من اللغات إلا بعد مرور أجيال وقرون، وأحقاب ودهور، وأعمار وعصور!..

فماذا حدث؟ وكيف حدث ذلك؟

إنها معجزة للغة القرآن؟ معجزة من الله!..

لا سبب ترجع إليه: إلا الإسلام وحده!..

وإلا القرآن الكريم: كتاب الإسلام الخالد، ووحي الله المبين، المنزل من السماء، على خاتم المرسلين: محمد بن عبدالله -ﷺ-.

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

لقد عاش العرب أجيالا مديدة في الجاهلية أمة بدوية، ومجتمعا صحراويا لا يعرف للحضارة معنى!.. وظل كذلك قبيل وبعد ظهور الإسلام!..

وإذا هذا المجتمع البدوي الأمي، تقوم فيه ثقافة من أعظم الثقافات، فتنشأ فيه البحوث والعلوم والمعارف، وتقوم فيه الجوامع والجامعات، والمدارس والمكتبات، وحلقات العلم!..

وينتقل من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة، في أمد محدود وزمن معدود!..

ومن شأن مثل هذا الانتقال أن يحتاج إلى قرون وأجيال؛ ولكنه حدث في أمد لا يمكن لخيال شاعر أن يتصوره؛ فقامت المدن الكبرى، والجامعات المثلى، في كل مكان من أنحاء الوطن الإسلامي الكبير!.. وأبدع العلماء المسلمون إبداعا علميا لم يكن له نظير في تاريخ الحضارات القديمة!.. وقامت الصناعة، وازدهرت التجارة،

وتقدمت الزراعة، وشقت الطرق، ونظم البريد، وأنشئت الجيوش، وقامت المصانع، واستخرجت المعادن، واستغلت المناجم!..

وهكذا ازدهرت الحضارة بفضل الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم!..

وحينما كان الناس في عاصمة شارلمان -لا الناس كلهم، ولكن الإمبراطور وحاشيته وخدمهم- يتعلمون الحرف، ليعرفوا القراءة والكتابة، كان العلماء المسلمون يجلسون في بيت الحكمة، في بغداد، ليترجموا الثقافات العقلية القديمة من اللغات العالمية الكبرى البائدة، إلى اللغة العربية: لغة الثقافة والحضارة، حينذاك.

وكانت البحار تموج بالسفن والأساطيل التجارية والحربية الإسلامية المتفوقة، وكان التجار المسلمون يسيرون إلى كل مكان في العالم، وكانت الأموال الغزيرة تتدفق على ميناء البصرة، وفي جيوب التجار من أهلها!..

وقد اشتهر البصريون بأسفارهم البحرية في المحيط الهندي، وفي البحر الرومي: «الأبيض المتوسط» وفي الخليج العربي، وبحر القلزم، وفي غيرها من البحار؛ فازدادت حضارة البصرة، واتسع البصريون في المال والتجارة، وأصبحت المدينة أكبر ما تكون عمرانًا، وأكثر ما تكون ثراء!..

هذه هي مدينة البصرة وحضارتها!..

وحدث ولا حرج، عن: بغداد ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وقرطبة، وفاس ومكناس، وعن جرجان والري والرقة، وعن مكة والمدينة والطائف، وعما بلغه المجتمع الإسلامي من حضارة شاهقة؛ لم يعرف التاريخ لها مثيلا من قبل، ولا من بعد!..

فكيف كان ذلك؟! وكيف حدث مثل هذا التطور الحضاري الغريب في زمن معدود، وأمد محدود؟!

لا سبب يفسره، إلا الإسلام وحده!.. وإلا القرآن معجزة الله الخالدة!.. وإلا صنيع السماء ومعجزتها الكبرى: رسالة محمد بن عبدالله -ﷺ-.

آمنت بالله!..

آمنت بالإسلام!..

آمنت بالقرآن!..

لقد كان ما بين حصار المدينة في غزوة الخندق، وبين معارك المسلمين في الشام مع الروم، سنوات معدودات، مرت خلالها أحداث وأحداث.

هذا كتاب محمد بن عبدالله ورسوله، إلى كسرى إمبراطور الدولة الفارسية:

إسلم تسلم، فإن أبيت فعليك إثم المجوس[1].

وكسرى في مجلسه، ورسول محمد بن عبدالله جالس في المجلس، والكتاب يقرأ على مسامع الإمبراطور العظيم، حين كان السفراء يوقعون معاهدة سلام بين كسرى وهرقل: الإمبراطور الروماني المهيب!..

وإذا كسرى يغضب، ويمزق الكتاب، ويرمي به، لأنه رأى فيه اسم: محمد قبل اسمه: (من محمد بن عبدالله إلى كسرى أبرويز عظيم فارس)[2].

ويصيح قائلا: «يكاتبني بهذا!!.. وهو عبدي!..».

ثم كتب لعامله على اليمن:

---

(١)، (٢) الطبري (٣/٩٠).

«ابعث إليَّ هذا الرجل الذي يزعم في الحجاز أنه نبي».

ويبلغ الرسول - صلوات الله عليه وسلامه - ما حدث؛ «فدعا رسول الله - ﷺ - أن يمزقوا كل ممزق»[٣].

ومزق الله ملكه، وورثه المسلمون العرب بعد سنوات قلائل!

وهذه جيوش المسلمين -في الشام- تسير من فتح إلى فتح، ومن نصر إلى نصر؛ وأمامها أضخم الفرق العسكرية الرومانية المدربة، مجللة بالهزيمة، وعار الخذلان!..

ويأسر الروم في معاركهم جنديا عربيا.. أهله في حزن عليه!.. ويعلم الخليفة: عمر بن الخطاب بالأمر، فيبعث إلى هرقل -الإمبراطور الروماني- الذي يقود بنفسه المعارك ضد المسلمين، يبعث إليه برسالة، يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم»، الحمد لله رب العالمين والصلاة على رسوله. من عبدالله: عمر ابن الخطاب، إلى هرقل ملك الروم: أطلقوا الأسير المسلم: عبدالله بن حذافة، حين وصول كتابي هذا إليكم..

فإن فعلتم، رجوت الله أن يهديكم الصراط المستقيم!..

وإن لم تفعلوا، فإنني أبعث إليكم رجالا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن الجهاد في سبيل الله».

ويقرأ هرقل الرسالة، ويرتعد خوفا، ويأمر بإطلاق سراح الأسير، ويستقبله مكرما له، ويبعث معه بهدية ثمينة إلى عمر!..

وتتوالى الهزائم على جيش هرقل، ويغادر أرض الشام باكيا حزينا، إلى إنطاكية!..

ثم يأمر الإمبراطور بعقد مجلس حربي أعلى.. وينعقد المجلس، ويقبل هرقل على قواده، يقول لهم: «ويلكم!..»

أخبروني عن هؤلاء القوم، الذين يقاتلونكم: أليسوا بشرا مثلكم؟

قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر، أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم -أضعافا- في موطن!

قال: فما بالكم تنهزمون؟!

فرد على الإمبراطور أكبر قواده، وقال له:

أيها الملك: هزمنا!.. وانتصروا من أجل أنهم يقومون الليل!.. ويصومون النهار!.. ويوفون بالعهد!.. ويأمرون بالمعروف!.. وينهون عن المنكر!.. ويتناصفون بينهم!.. ومن أجل أنا نشرب الخمر!.. ونزني!.. ونركب الحرام!.. وننقض العهد، ونغضب!.. ونظلم!.. ونأمر بالسخط!.. وننهى عما يرضي الله!.. ونفسد في الأرض!..

كيف حدث ذلك، وكيف كان هذا التطور السياسي والدولي العجيب، لأمة الإسلام، ولدولة المسلمين، في زمن يسير؟

ليس هناك من سبب إلا الإسلام!.. وإلا القرآن!..

وإلا إن ما حدث كان معجزة من السماء وأمرا من صنع الله - سبحانه وتعالى - أحكم الحاكمين.

---

(٣) صحيح البخاري، باب كتاب النبي - ﷺ - إلى كسرى وقيصر (١٠/٦).

مَوَاقِف إِسْلَامِيَّة

الدُّعَاة بين الفعل والانفعال

للأستاذ الدكتور / محمود محمد عمارة (*)

لا تنتهي مهمة الداعية مع المشكلة أن يهزها بالانفعال.. أو بالبكاء.. أو التباكى.. ثم تبقى فى مكانها.. لتتفاقم مع الأيام..

ولكن واجبه هو:

تحريك المشكلة فى الاتجاه الصحيح..

تحريكها لا بالعلم الغزير - على أهميته - ولكن بالفهم العميق لطبيعة العاصى.. وظروفه.. ثم محاولة الإبحار إلى أعماقه بالعلم.. والخبرة معا.. لينقذه من شهوة تتحكم فيه.. أو شبهة تشوش عليه..

فليس من مقاصد الدعوة أن نهدمه.. ولكن المصلحة أن نهديه..

وهذا ما فعله الداعية الحكيم: عبيد بن عمير.

كان « عبيد بن عمير » المكى من علماء القرن الأول الهجرى..

وذات يوم.. جاءته امرأة حسناء - بينما كان مجلسه العلمى منعقدا فى الحرم المكى - متعللة بأنها تريد أن يفتيها فى أمر يعنيها..

ثم أسفرت عن وجهها.. فقال لها:

يا أمة الله.. اتق الله.

فأجابته قائلة:

إنى قد فتنت بك.. فانظر فى أمرى.

فقال لها الشيخ:

إنى سائلك عن شيء.. فإن أنت صدقت.. نظرت فى أمرك.

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر.

فوافقت المرأة على ذلك..

وبدأ الحوار بينهما على النحو التالي:

قال لها الشيخ:

أخبريني: لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك، أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

قال: صدقت.

ثم قال لها:

فلو أن الناس أعطوا كتبهم.. ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

فقال: صدقت.

ثم قال لها:

فلو أردت المرور على الصراط، ولا تدرين أتنجين أم لا.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

فقالت: لا.

فقال: صدقت.

فقال لها:

فلو جيء بالموازين يوم القيامة، وجيء بك.. ولا تدرين أتخفين أم تثقلين.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: لا.

قال: صدقت.

ثم قال لها:

فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة.. أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة؟

قالت: لا..

قال لها: صدقت.

ثم يختم الحوار بقوله:

اتق الله يا أمة الله.. فقد أنعم عليك وأحسن إليك.

وكان مسك الختام: أن تابت المرأة وحسنت توبتها.

لكن كيف؟ لقد تم ذلك عبر مراحل:

١- طبيعة المشاكل:

لقد كانت المشكلة مجموعة من الضغوط التي على كاهل الرجل إلقاء:

أ- أنها أولا: أنثى تقترب بأنفاسها من رجل.

ب- ثم إنها حسناء.. والحسن يتحدى عناصر المقاومة.

جـ- وهي مع ذلك.. تدخل على استحياء.. متسترة بدعوى طلب الفتيا.. مخفية غرضها الحقيقي.. فهي إذن.. ماكرة ساحرة.

وإنها للحظة مهمة في حياة الشيطان الذي يحضر الآن.. لعله أن يضرب ضربته المؤثرة:

فالمؤامرة تتم داخل الحرم..

والمقصود بها: شيخ.. وعالم..

وأغلى أماني الشيطان أن ينهزم الشيخ.. العالم.. وفي ذلك من البلاء ما فيه.. حين تسقط القمة من عل.. ليتخذها المغرضون فرصة للتشهير بالدعوة ورجالها.

٢- خطة الشيخ:

أضف إلى ذلك كله أن إجابات المرأة كانت دليل ذكائها.. فلم تؤت من قبل العقل، فقد كانت ذكية.. ولكن من قبل الشهوة الغالبة.. من أجل ذلك كله يضع الشيخ خطة الدعوة.. لا على أساس هزيمة المرأة بالضربة القاضية.. وإنما:

أ- بالعلاج.. مرحليا..

ب- ونقل المعركة إلى داخلها..

جـ- ثم الخروج بها من فتنة الدنيا.. إلى التحليق في جو الآخرة..

فلعل ذلك أن يعيد ترتيب مداركها.. لترى الحق لائحا.. واضحا..

د- وأخيرا: محاولة تذكيرها.. لا تدميرها.. فلعلها أن تعود إلينا تائبة راغبة فى الخلاص.

لقد كان من الممكن أن يقول لها ابتداء:

اتق الله .. وخافى .. وارهبى..

وتذكرى: الصراط .. والنار .. والميزان .. وزهبة السؤال..

لكنه بدأ يهز ضميرها رويدا.. سائرا بها فى الاتجاه الصحيح..

٣- مراحل العلاج:

لقد فتح الرجل معها حوارا.. ينتهى بإقرارها بالحق الذى نطقت به طواعية واختيارا..

وإذن .. فهى ملتزمة بما أجابت به..

وإذا بها.. وفى ضوء أسئلته.. تزايل الدنيا.. لتنتقل على ما يشبه البساط السحرى.. إلى الآخرة بكل ما فيها من أهوال..

وإذن .. فقد نجح الرجل فى وضعها على الموقع الأمثل.. والذى يعينها على حسن التلقى.. ممسكا هو بزمام الموقف كله.. بعدما كانت بحسنها ودلالها.. تكاد أن تفرض إرادتها عليه..

ومن حكمته أن يشعرها بأنه موافق ابتداء على تحقيق غرضها.. وذلك بطبيعة الحال يريحها.. لكنه يضع السؤال الواصل بها إلى ما يريد لها الحق.. فلا تملك إلا الاعتراف..

وكل اعتراف.. ينقلها إلى العمق.. خطوة أخرى.. فإذا هى مع كل سؤال أفضل مما كانت..

ولاحظ أنها تسمعه.. وعلى مدى خمس مرات يعقب على جوابها قائلا:

صدقت!

وكأنما تسمع المرأة هذه الشهادة لأول مرة.. ومن شيخ ثقة.. وما يترتب على ذلك من إحساس بثقتها بنفسها تعود إليها وئيدا.. وئيدا..

إنها ثقة ذلك اللص الذى عينته حارسا على الأثاث فقد فرض عليه أن يكون أمينا..

فلما جرب الأمانة تطبعا.. صارت له من بعد طبعا!

وهكذا استطاع الداعية أن يضيف إلى رصيد الدعوة خامة تسخر ملكاتها لخدمة الدعوة بعدما سخرتها للإضرار بها..

ويا له من انتصار على اللص:

والذى يجىء ليسرقك.. فإذا بك أنت الذى تسرقه!!

أما بعد:

فإن حاجة المدعو إلى التربية أكبر من حاجته إلى التعليم..

التربية: التى تفتح بها إلى الخير أبوابا.. قبل ذلك التعليم

والذى يريد به الكتاب المطبوع كتابا!!

التربية:

التى تنجح فى نقل المدعو من محيط إلى محيط..

من محيط الفتنة والإثارة .. إلى محيط من الوقار..

والجلال.. يبعث فى النفس همتها.. لتتعلق بصالح الأعمال.

إن الحوار فن.. صادر عن معرفة عميقة بطبيعة النفس الإنسانية..

ومن قوانين هذه النفس:

عدم مواجهة الطرف الآخر بالحقيقة كاملة..

كأنها الجبل شدة وحدة..

لأنها تكون عندئذ ضوءا مبهرا.. فلا يرى الحق حقا.. ولا الباطل باطلا..

والمطلوب:

هو العلاج خطوة.. خطوة.. بحيث يصير الحاور كخيوط الفجر.. التى تتسلل إلى قلبه رويدا رويدا..

فتنسخ فى النهاية حجب الظلام!

وذلك ما يفهم من قول الشاعر.. يمدح منهج رسول الله - ﷺ -:

داويت متـــــدا وداووا طفـــرة
وأخــف مـن بـعــض الـدواء والـداء

ألا وإن العادة طبيعة ثانية..

وقد كانت هذه المرأة واقعة تحت تأثير حشد من العادات شل إرادتها..

وكان لابد من تدبير حكيم لحل هذه العقدة.. المعقدة..

وهذا هو ما فعله العالم الجليل.. عبيد بن عمير..

والذى أعاد إلى الصف المؤمن.. واحدة.. سوف تكون معه داعية إلى الطهر.. لتتسع من بعد دائرة العفاف..

وما أكثر ما حل الحوار الهادف أعقد القضايا..

وأنقذ الله -تعالى- به الإنسان من دوامة هموم ثقال.. ليعود من جديد جنديا فى كتيبة النضال:

جاء رجل إلى.. يونس بن عبيد.. يشكو إليه فقره:

فقال له يونس:

أيسرك أن لك ببصرك مائة ألف؟

قال الرجل: لا..

قال: فبسمعك؟

قال: لا..

قال: فبعقلك؟

قال: لا..

قال يونس:

أرى لك مئين الوف.. وأنت تشكو الحاجة؟!!

أهميــــة البيــان

ولقد كان سكوت الرجل أبلغ من الكلام..

ألا وإنه درس فى فن البيان.. يجعل من تعلّم البيان شرعة..

البيان الذى يأخذ طابع الحوار المثمر.. بلا ضجيج..

وصدق القائل:

«تعلموا البيان:

فإن الرجل منكم يقع فى البلاء.. فيتجمل.. ويستعير سيف هذا.. وفرس ذاك.. لكنه أبدا.. لا يستعير لسانه»

لقد كان.. يونس بن عبيد.. على سجيته:

لم يكن فى حواره مع الرجل يقرأ من كتاب..

وإنما كان:

يغرف من الوجدان.. وأحداث الزمان.

﴿ فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

إعداد وتقديم الشيخ/ عبد الفتاح حسين الزيات

● **السؤال من لطفي السيد لبيب ـ كفر الطويلة ـ مركز طلخا ـ دقهلية:**

ما الفرق بين الإفراد والتمتع والقران في الحج وماذا يجب على الحاج مراعاته في الإحرام؟.

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. نفيد بأن الإفراد هو الإحرام بالحج وحده، وأما التمتع فهو الإحرام بالعمرة في أشهر الحج أولاً وبعد الفراغ منها ـ في أشهر الحج التي هي: شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة ـ يحرم بالحج.

وأما القران فهو الإحرام بالحج والعمرة معاً.

وعلى القارن والمتمتع هدي أقله شاة من الغنم تجزئ في الأضحية.. قال تعالى:

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾[1].

وأما المفرد فلا يلزمه هدي وإن تطوع به فخير يثيبه الله عليه ـ إن شاء الله.

ومتى صار المسلم مُحْرِماً فعليه أن يتجنب الطيب والنساء ولبس المخيط من الثياب كالقميص المنسوج على قدر البدن أو بعضه، وتقليم الأظافر وإزالة الشعر، والتعرض للصيد البري كالحمام واليمام والظباء وما شابه ذلك، وعليه بترك الرفث

(١) البقرة (١٩٦).

وهو الفُحْش من القول، وترك الفسوق.. وهو الخروج عن حدود الله ـ تعالى ـ وترك الجدال والخصام مع الحجيج لأن الجميع ضيوف على الرحمن، ذلك قول الله ـ تعالى:

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾(٢).

فيجب على المسلمين أن يعطوا لهذه البقعة الطاهرة من الأرض ما يجب لها من التقدير والإجلال وأن يمتثلوا لما جاء في كتاب الله من آداب يجب مراعاتها والعمل بها. والله أعلم.

● **السؤال من سيدة تريد أن تعرف معنى قوله ـ تعالى:**

﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. نفيد بأن التمتع هو الإحرام بالعمرة في أشهر الحج، ثم بعد الفراغ من أعمالها والتحلل منها فله أن يبقى متحللاً حتى اليوم الثامن ثم يُحْرِم بالحج، وسمى هذا تمتعاً لأن فاعله تمتع بمحظورات الإحرام بين الحج والعمرة، ولأنه تمتع بترك الإحرام بالحج من ميقات بلده، فهذا التمتع يوجب عليه هدياً، فإن لم يقدر على هذا الهدى إما لعدم وجوده أصلاً أو لعدم قدرته على ثمنه أو لغلائه عن ثمن مثله، فإنه بناء على واحد من هذه الأعذار يلزمه صوم عشرة أيام، على أن يصوم ثلاثة أيام منها في الحج قبل يوم النحر وجوباً وقبل يوم عرفة ندباً، ويصوم السبعة أيام الباقية بعد رجوعه إلى بلده.

هذا إذا لم يكن أهله من حاضري المسجد الحرام على دون مرحلتين من الحرم. هذا والله أعلم.

● **السؤال من لطفي السيد عبد الرازق ـ وراق العرب ـ الجيزة:**

أريد أداء فريضة الحج هذا العام ولكني مصاب بفتق أسفل البطن يستدعي شد حزام عليه بصفة مستمرة طوال الأربع والعشرين ساعة، وذلك بحزام محاك بآلة الحياكة، أي أنه مخيط.

فهل يجوز لي أداء فريضة الحج مع لبس هذا الحزام.. أم لا يجوز؟. وإذا لم يجز وتعذر السفر لقضاء هذه الفريضة، فهل يجوز لي أن أتصدق بالمبلغ الذي رصدته لقضاء فريضة الحج على الفقراء والمساكين، على أن يقوم هذا مقام الفريضة ويجزئ عنها؟.

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. نفيد بأن الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام.. قال رسول الله ـ ﷺ: «بُنيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

.. وقال ـ تعالى:

---

(٢) البقرة (١٩٧)

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾(٣).

فالحج ركن من أركان الإسلام. والركن هو ما يقوم عليه الشيء ولا يصح إلا به. فهو أساس فيه ولا يغني عنه شيء ولا يحل محله غيره.

وعلى ذلك فإن شد الحزام على الفتق في أداء مناسك الحج جائز لوجود العذر المبيح لذلك فالضرورات تبيح المحظورات، غير أنه يجب عليك فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام أو إطعام ستة مساكين نصف صاع من القمح أو قيمته، مع مراعاة أن الكيلة المصرية تكفي الستة بالتساوي بينهم.

وبناء على ما تقدم فإنه لا يجوز لك ترك فريضة الحج لهذا العذر أو التصدق بالمال المُعد لذلك على الفقراء والمحتاجين. والله أعلم.

● **السؤال من ـ محمد توفيق ـ أبو كبير ـ شرقية.**

أنا رجل متزوج منذ فترة طويلة من امرأة ولنا أولاد، وامرأتي هذه لها مال كثير أنا المتسبب فيه وقد صار ملكها وباسمها وأنا أتصرف فيه وأديره كيف شئت، ولكن بغير توكيل منها، فلما طلبت منها عمل توكيل باسمي رغبة مني في عدم ذهابها إلى المحاكم وخلافه، امتنعت ورفضت بشدة وقالت: لا يمكن أن أوكل أي أحد فإن الزمان غير مضمون. فتغيرت نفسيتي ومعاملتي معها، إذ كانت تعاملني بالمعروف وأعاملها أنا بالعكس وصارت حياتنا في شد وجذب مع أنني مازلت أتصرف في مالها كما كان الحال، فهل يجوز لي أن أتصرف في إيراد هذا المال بدون رضاها أو أخذ إذنها بناء على عدم الثقة التي لمستها من رفضها عمل التوكيل.. وهل هذا حرام أم لا؟.

●● **الجواب:**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. نفيد بأن توكيل الزوجة لزوجها للتصرف في مالها لا يدخل في نطاق الحقوق الواجبة على الزوجة لزوجها. إذ أن الشريعة الإسلامية أوجبت أن لكلا الزوجين ذمة مالية مستقلة وهذا من تكريم الإسلام للمرأة وجعلها مساوية للرجل في الحقوق والواجبات، فجعل لها أن تباشر شئونها بنفسها أو بواسطة من تشاء حتى ولو كان غير الزوج، فهذا حق قرره لها الشرع.

فإذا امتنعت الزوجة عن توكيل زوجها في إدارة أعمالها فهذا حقها، وليس له أن يتصرف في مالها بغير إذنها صراحة أو دلالة وليس في ذلك معصية منها أو افتئاتاً على حق زوجها. ولكن ليس لها أن تخرج من منزل زوجها بغير إذنه حتى ولو كان لإدارة أعمالها أو الإشراف عليها أو المطالبة بحق لها أو إيصال حق عليها، ولكن بعض الفقهاء أجاز لها ذلك مطلقاً عملاً بقاعدة أن صاحب المال أولى برعايته والحفاظ عليه.

والخلاصة أنه لا يجب على الزوجة توكيل زوجها في التصرف في مالها ولا تُجْبَر على ذلك، ولا يكون امتناعها عن إعطائه هذا التوكيل معصية، كما أن لها الخروج من منزل الزوجية لحق لها أو عليها على ما هو ظاهر من رأي بعض الفقهاء، ولكن (صاحب البحر) يرى أنه ليس لها الخروج، لذلك الآن مطلقاً بغير إذن

(٣) آل عمران (٩٧)

زوجها، وهذا ما ينبغى التعويل عليه فى هذا الزمان .

وينبغى على الزوج أن يعامل زوجته بالمعروف وألا يجعل من عدم توكيله فى مالها سبباً من أسباب الشقاق والخلاف . وإن ذلك يُدخل فى نفسها الريبة منه، ولا يجب عليه أن يضارها، فقد قال ـ تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » . والله أعلم .

● **السؤال من منال ـ المعادى الجديدة ـ القاهرة :**

غلام قبطى توفى والده، واعتنقت والدته الديانة الإسلامية . وتزوجت بآخر مسلم، ولكون هذا الغلام يبلغ من العمر أقل من عشر سنوات فقد طلب عمه القبطى تسليمه إليه، غير أن الولد رفض بشدة أن يذهب إليه أو يقيم معه، وهدد بأنه سوف يقوم بأى عمل يؤذى به نفسه لو سُلم إليه طوعاً أو كرهاً . فما هو حكم الشرع فى ذلك وكيف يكون الحل ؟ .

●● **الجواب :**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . . فنفيد أنه من المنصوص عليه شرعاً أنه إذا أسلم أحد الزوجين الكتابيين، فكان بينهما ولد قاصر، فإن الولد يتبع من أسلم منهما، فيكون مسلماً تبعاً له، متى كان الولد مقيماً فى دار الإسلام سواء كان من أسلم من أبويه مقيماً بها أو بغيرها ومتى انتهت مدة الحضانة للغلام، فإن بلغ سبع سنين فإنه يسلم إلى العصبة المرتبة شرعاً على ترتيب الإرث فيقدم الأب ثم الجد ثم الأخ الشقيق ثم الأخ لأب، ثم بنو الأخ الشقيق، ثم بنو الأخ لأب، ثم العم الشقيق، ثم العم لأب، ولكن يشترط فى العصبة اتحاد الدين، فلا يسلم الولد غير المسلم للعصبة المسلمة . وكذا لا يسلم الولد المسلم للعصبة غير المسلمة .

وحيث أن الولد المذكور فى السؤال يبلغ من العمر أقل من عشر سنوات فإنه لا يجوز أن يسلم لعمه القبطى ولا لغيره من العصبات الذين ليسوا مسلمين . هذا إذا كان الحال كما ورد فى السؤال . والله أعلم .

● **السؤال من طارق محمد محمد . .**

" أرجو من سيادتكم التفضل ببيان رأى الدين فى أب أعطى لابنته مبلغ حوالى خمسة وعشرين ألف جنيه عند زواجها منذ عشر سنوات عبارة عن (خمسة عشر ألفا ثمن فرش + عشرة آلاف جنيه مصاريف فرح وخلافه) . . واليوم عند زواج ابنه أعطى له مبلغ مائتين وعشرة آلاف جنيه عبارة عن (مائة وثمانين ألف جنيه لشراء شقة + ثلاثين ألف جنيه للمهر ومصاريف فرح) . . فهل فى هذه الحالة هناك تفضيل بين الأبناء ؟ . . وماذا يجب أن يكون ؟ . . "

●● **الجواب :**

بعد الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه . . نفيد بأن الأب ينبغى عليه أن يعدل بين أولاده فى كل شىء حتى فى القُبَل حتى تسلم نفوسهم من مشاعر الكره والحقد وتمتلىء بالحب والود لأن هدف الإسلام إسعاد الناس فى معاشهم ومعادهم وفى ذلك ورد حديث النُعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ حين خص أحد أبنائه بشىء وأراد أن يشهد عليه رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له رسول الله ـ ﷺ : « هلا نحلْتَ سائر ولدك مثل هذا » وفى رواية « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وفى أخرى « أشْهِد على هذا غيرى، فإنى لا أشْهد على جور » . .

فإن كان الأب قد جهز ابنته بخمسة وعشرين ألفاً فقط فعليه أن يراعى ذلك عند تجهيز ابنه، وليكن الفارق معقولاً حتى لا تصاب الإبنة بالإحباط وبالتالى الكره لأخيها حينما ترى والدها يؤثره بمزيد من العناية والتكريم . والله أعلم

الدعوة إلى الإلحاد.. وحقوق الإنسان

للأستاذ الدكتور/ محمد عمارة

لا ينكر منصف تميز الإسلام، دينا وحضارة، بمبدأ «أنه لا إكراه في الدين»... وتميز التاريخ الحضاري لأمتنا بانتفاء «الحروب الدينية» التي استهدفت قهر الغير على الدخول في الدين..

ولا ينكر منصف، كذلك، تميز التاريخ الغربي بحروب الإكراه الديني.. لإدخال الناس في المسيحية.. بل ولإكراههم على الانتقال من مذهب إلى آخر من مذاهبها..

وإذا كان الأمر كذلك.. فكيف انقلبت الأوضاع، حتى صار الغرب هو الذي «يزايد» علينا في ميدان «حق الإنسان في اختيار المعتقد الديني الذي يطمئن إليه الضمير»؟!.

هل اختلت المعايير؟!.. أم تبدلت مواقع الفرقاء؟!.

نحن لا ننكر أن الإنسان المسلم، في واقعه الراهن يعيش مأساة الافتقار إلى الحدود الدنيا التي قررها له الإسلام فرائض وواجبات ـ لا مجرد «حقوق» ـ في ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والتفكير والتعبير.

لكن هذه القضية ليست موضوع بحثنا الآن[1].. وإنما نحن نريد أن نبحث عن ما يميز الخيط الأبيض من الخيط الأسود في دعوى الغرب نكوصنا عن حق الإنسان وحريته وحرية ضميره في الاعتقاد الديني؟!.. لنتبين الحق فنميزه عن الباطل، في مقام الغمز واللمز والتهجم الذي يوجه إلى الإسلام والمسلمين عندما يكون الحديث عن حقوق الإنسان.. وعن مضمون «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان»!

وإذا نحن أردنا تشخيصا دقيقا لهذه الدعوى، فإننا نقول:

إنهم لا يدعون أن الإسلام يكره الآخرين على تغيير الدين والمعتقد الديني.. ولكن دعواهم أنه يكره الذات، ذات المسلم، على عدم تغيير عقيدتها الإسلامية، فيحرمها من حرية وحق الإنسان في تغيير دينه إن هو أراد، وإلا وقع تحت طائلة «حد الردة»..

فالإكراه ـ الذي يتحدثون عنه ـ هو إكراه الذات على أن لا ترتد عن دين الإسلام!..

---

(1) انظر كتابنا «الإسلام وحقوق الإنسان» طبعة القاهرة سنة ١٩٨٩ ففيه وفاء بهذا البحث المهم.

وعلينا ـ بمنطق الإسلام ـ أن ننظر هذا الأمر ـ أمر ما يسمونه «حق الإنسان فى الارتداد عن دينه» ـ لنرى أين الحق، وأين الباطل فى هذا الادعاء.

إن النظرة الإسلامية، التى بلغت ما بلغت فى تقديس حرية الضمير والاعتقاد، لتأسيس الإيمان على هذه الحرية ـ كتصديق بالقلب يبلغ مرتبة اليقين ـ ولاستحالة تحققه بغير هذه الحرية، تفرق ـ هذه النظرة الإسلامية ـ بين ما يمكن أن نسميه «الشك والوسوسة» كعارض ذاتى، قد يصاب به إنسان، نتيجة للتأمل والنظر، أو فقدان العلم والدليل، أو بسببهما معا.. تفرق بين ذلك وبين الدعوة إلى طرح الإيمان جانبا، وعلى النطاق العام، من قبل هؤلاء الذين يصيب «الشك» معتقدهم الدينى، فيقودهم إلى الكفر والإلحاد.

فلو أن «زيدا» من الناس، عـرضت له «الوساوس والشكوك» فى أصل الإيمان الدينى، فقاده ذلك ـ والعياذ بالله ـ إلى الإلحاد.. فإن الإسلام يطلب من هذا «الشاك» أن ينظر إلى حالته هذه «كعارض مرضى» يجب أن يطلب له العلاج.. فعليه أن يبحث عن سبل الهداية، ويطلبها من جميع مظانها، لدى العلماء وفى بطون الكتب، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ودون تهاون أو تقصير.. ثم إن عليه أن يستر حالته هذه عن «العامة»، فلا يشيعها بين «الجمهور»، فمثلها كمثل «العورة» يحث لها العاقل الراشد عما يسترها، لا أن يعرضها على الجمهور ـ بدعوى الحرية ـ فيشيع الفاحشة بين الناس!..

وإذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يكلف نفسا إلا وسعها.. فليس مطلوبا من «الشاك»، الذى لم يقصر فى طلب الهداية، أن يكون كالمؤمن سواء بسواء.. فما دام مفتقرا إلى التصديق القلبى اليقينى، فإن طلب الإيمان منه لن يفضى إلا إلى الحصول على حالة من حالات «النفاق»، لأن فاقد الشئ لا يعطيه!..

والسؤال هو: ماذا إذا التمس «الشاك»، الذى قاده الشك إلى «الإلحاد»، كل سبل الهداية المستطاعة، فلم يطمئن قلبه بالإيمان.. ومات دون أن يبلغ فى الإيمان مرتبة اليقين؟..

هنا ـ وفى تقديرنا ـ وبناء على قاعدة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)، واستحالة «التكليف بما لا يطاق فى الإسلام» وطالما أنه قد بذل وسعه، وستر أمره، ولم يشع هذه الفاحشة، والعورة الفكرية، والحالة المرضية.. فإن معاملته الدنيوية إنما تكون كمعاملة كاملى الإسلام.. أما حسابه الأخروى فموكول إلى الله.. ولقد قال فقهاء كثيرون ـ انطلاقا من قاعدة: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ بأنه عند الله من الناجين.. لأنه ما كان يستطيع أن يكون مؤمنا حقيقيا![2]

إذن، فالشاك، نتيجة للتأمل والنظر، إذا قاده الشك إلى الإلحاد بدلا من الإيمان، لا تثريب عليه، إن هو لم يقصر فى طلب الهداية والرشاد، طالما أنه قد ستر «عورة الإلحاد» عن «العامة»، كى لا تشيع فاحشتها فى مجتمع المؤمنين، وطالما أنه قد وقف بحواره عند حدود العلماء الذين طلب لديهم سبل الهداية والرشاد..

فليس، إذن، فى هذا المنطق الإسلامى والموقف الإسلامى «إكراه للذات» على الإيمان القسرى، لأن هذا «الإكراه» هو تكليف بما لا يطاق يرفضه

---

(٢) يقول الإمام محمد عبده: «قال قائلون من أهل السنة: إن الذى يستقصى جهده فى الوصول إلى الحق، ثم لم يصل إليه، ومات طالبا غير واقف عند الظن، فهو ناج». انظر «الأعمال الكاملة» جـ٣ ص٢٨٢.

الإسلام ـ ثم هو طلب «للنفاق»، أو لا يحقق جوهر الإيمان كما يعرفه الإسلام!..

أما إذا كان «الإلحاد» فكرا ورسالة يدعو إليها الملحدون ويشيعونها بين الناس ـ فتلك قضية أخرى، تتجاوز نطاق «حرية الاعتقاد» إلى العمل على تدمير «النظام العام» في المجتمع الإسلامي ـ إذ الإيمان واحد من أبرز سمات هذا النظام، لما يمثله من رباط انتماء، وعامل وحدة وتأليف، وايديولوجية أمة، فضلا عن كونه كمال فطرة العقل الراشد السليم.. هنا يصبح النشاط الداعي إلى الإلحاد خروجا على «النظام العام» ومحاولة لتدميره، يدخل في باب «الحرابة»، المستهدفة لفساد الدنيا والدولة بإفساد الدين!..

وحتى نلمس جليا تمييز الإسلام بين هاتين الحالتين من حالات الإلحاد والملحدين، فإننا ندعو إلى تأمل عدد من الحقائق الماثلة في إطار الأدلة المرجعية في الإسلام حول هذا الموضوع، وذلك من مثل:

١ ـ خلو الآيات القرآنية التي تحدثت عن الردة من ذكر عقوبة القتل ـ بعد الاستتابة ـ كحد لها.. لماذا؟!..

لأن هذه الآيات القرآنية كانت تتحدث عن «ردة النفاق والمنافقين».. فهي ردة ذاتية وسرية غير معلنة، يظهر أهلها الإسلام في مجتمع المدينة على عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهي، في الحقيقة، «زندقة».. وكما يقول الإمام الشافعي في بيان الزنديق (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ ٧٦٧ ـ ٨٢٠م): «... هو الذي يسر الكفر ويظهر الايمان».. ولقد عبر الإمام مالك عن ذات المعنى في قوله: «إن النفاق في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ هو الزندقة فينا اليوم»[٣].. وهؤلاء المنافقون «الزنادقة» الذين أسروا الكفر وأظهروا الايمان، ولم يدعوا غيرهم إلى زندقتهم، ولم يظهروها فتشيع بين الناس، عوملوا معاملة المسلمين، وترك حسابهم الأخروي إلى الله.. فخلت آيات القرآن التي تحدثت عنهم، والتي استخدمت مصطلح «الردة» في وصف حالهم، من تقرير عقوبة الردة والقتل بعد الاستتابة.

﴿حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

---

(٣) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» جـ١ ص١٩٩.

(٤) البقرة: ٢١٧.

(٥) المائدة: ٥١ ـ ٥٤.

فهم قوم يسرون موالاة أعداء الإسلام.. في الوقت الذي يظهرون فيه موالاة المسلمين.. بل لقد

﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ﴾ مع المسلمين!.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾(٦).

فهم يعيشون في إطار الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية، لكنهم قد ارتدوا عن كامل الولاء والموالاة للجماعة والأمة الإسلامية فأطاعوا الأعداء (في بعض الأمر) سرا؟!..

وعن هؤلاء الزنادقة المنافقين، الذين لم يعلنوا ردتهم، ولم يشيعوا فاحشتها، والذين - لذلك الإسرار - لم تنص الآيات التي تحدثت عنهم - بلفظ الردة - على عقوبة الردة في حقهم.. عنهم يقول الإمام ابن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠ هـ ٨٣٩-٩٢٣): «لقد جعل الله الأحكام بين عباده على الظاهر، وتولى الحكم في سرائرهم دون أحد من خلقه، فليس لأحد أن يحكم بخلاف ما ظهر، لأنه حكم بالظنون، ولو كان ذلك لأحد كان أولى الناس به رسول الله - ﷺ - وقد حكم للمنافقين بحكم الإسلام بما أظهروا، ووكل سرائرهم إلى الله. وقد كذّب الله ظاهرهم في قوله:

﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(٧).

فمن ستر في الدنيا، ستر الله عليه فيها!..

٢- وهؤلاء «الشكاك» الذين أصابتهم الوساوس فزعزعت قواعد إيمانهم.. إذا هم التمسوا سبل الهداية وأدلة اليقين لدى العلماء، لا يعد شيء من سعيهم هذا، وحوارهم مع العلماء، إظهارا للإلحاد وإشاعة للشكوك والوساوس، يستوجب الاستتابة وإقامة حد الردة عليهم.. بل إنه سعي يدعو إليه الإسلام ويأمر به الله. ولقد رأينا في عهد رسول الله - ﷺ - حال ذلك النفر من الصحابة الذين أصابهم شيء من ذلك، فذهبوا إلى رسول الله يطلبون ويلتمسون سبل الهداية واليقين، وحدثوه عما عرض ليقينهم من زلزال جعلهم يبلغون حالا قالوا: إنهم يتعاظمون أن ينطق به لسانهم، فأهون عليهم أن يلقوا في النار من أن يتلفظوا به - وما نراه إلا الإلحاد!- فتلقاهم الرسول - ﷺ - لقاء البشير، وحدثهم عن أن شك البحث عن الحقيقة هو الطريق الآمن إلى اليقين!.. لقد قالوا له - فيما يرويه أبوهريرة: «يا رسول الله، إن أحدنا يحدث نفسه بالشيء ما يحب أن يتكلم به وإن له ما على الأرض من شيء.. وإنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به!».. فكان جوابه - ﷺ -: «وقد وجدتموه؟!».. قالوا: نعم.. فقال: «ذاك صريح الإيمان.. ذاك محض الإيمان!..»(٨)

لقد حدثوا أنفسهم بهذا الذي عرض لهم.. ثم ذهبوا يطلبون سبل الرشاد واليقين.. فلم يقل أحد إنهم قد أعلنوا شكهم أو أشاعوا وساوسهم حتى تقام عليهم العقوبات!..

---

(٦) المائدة: ٥٣.

(٧) المنافقون: ١. (٨٠) «الجامع لأحكام القرآن» جـ ١ ص ٢٠٠.

(٨) حديثان، روى أحدهما مسلم، وروى الثاني الإمام أحمد.

محمد - صلى الله عليه وسلم - في كتابات المستشرقين

للأستاذ الدكتور/ عبد العظيم المطعني

المستشرقون (جيش مدني) ولد وترعرع في بلاط الاستعمار، خادماً لمصالحه، يمهد له قبل الاحتلال، ويؤازره في أثناء الاحتلال، ويمجد آثاره بعد انتهاء الاحتلال.

سلاحه القلم، ومداده الحقد الدفين على الإسلام وقذائفه الكلمات، وهدفه القضاء على العروبة والإسلام إن أمكن، أو تشويه حقائق الإسلام بكل ما أوتوا من خبث ومكر.

وكثير منهم ينبغي أن يتركوا مجال الكتابة والفكر وأن يتحولوا إلى، ممثلين كوميديين، أو بهاليل يضحكون الناس، فهم لا يصلحون إلا للهزل والهذيان.

ومن أطرف خرافاتهم، وأخرفها في الوقت نفسه أنهم اتخذوا من خلوة النبي - ﷺ - في غار حراء، قبل البعثة، منفذاً للطعن في الرسالة الخاتمة، وفي القرآن العظيم، الذي أنزله رب العالمين.

والمعروف أن الله هدى محمداً قبل البعثة، إلى أن يخلو للتأمل في ملكوت الله، في غار، وهو يقع في قمة «جبل النور» كما يسمى الآن، كان يخلو فيه الليالي ذوات العدد كما جاء في كتب السيرة، ولا يهبط منه إلا إذا نفد طعامه من الخبز الجاف، ليتزود بمثله ثم يعود إليه، وظل على هذه الحال حتى نزل عليه جبريل - عليه السلام - من عند ربه، بأول قبس من نور القرآن:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(١).

(١) سورة العلق ١ - ٤.

عند لفيف من هؤلاء المستشرقين، إلى هذه الواقعة الناصعة البياض، وحرفوا مغزاها، وروجوا باطلهم ضدها، ومهدوا لهذا الباطل فقالوا:

كان محمد - ﷺ - ذكياً، يبحث لنفسه عن دور يخلده في الحياة، ويرضي طموحاته في الزعامة والسيادة. وما كان له من عمل في خلواته الطويلة في غار حراء، إلا تأليف القرآن، جملة، جملة، وآية آية، وسورة سورة. ولما فرغ من تأليف القرآن على الصورة التي يحتفظ بها المسلمون الآن في مشارق الأرض ومغاربها، وتتوارثه الأجيال جيلاً عن جيل، لما فرغ من هذه المهمة الشاقة، ورأى أن اللعبة قد اكتملت، خرج على الناس، وقال لهم: إني رسول الله إليكم وإلى الناس أجمعين، في كل زمان، وفي كل مكان حتى ينتهي عمر الدنيا؟!

وطالبهم أن يطيعوه كما يطيعون الله، وأن طاعته من طاعة الله؟!

واستطاع أن يكتسب مؤمنين به، وأنصاره لدعوته وهو إما خادع إن كان مدركاً لكذب دعواه، أو مخدوعاً إن كان الشيطان خيّل إليه أن القرآن وحي من عند الله؟!.

ومن هؤلاء الحاقدين: (ماكسيم رودنسون) اليهودي الأصل، حيث قال:

«إن القرآن اختراع محمدي نسبه محمد إلى الله»

ويحاول المستشرق (شارل لودي) أن يعزو فرية اختراع القرآن من عند النبي - عليه السلام - ثم نسبته إلى الله فيقول: إن السبب في اختراع محمد - ﷺ - القرآن ثم نسبته إلى الله، أنه كان قد استولى على أموال خديجة وماشيتها، وأن الرومان فضحوه وأشاعوا عند الناس، ومنهم خديجة أن محمداً بدّد أموالها فلجأ إلى اختراع القرآن ليوهم السيدة خديجة بأنه أصبح رسولاً لله، وأن الله أنزل عليه هذا القرآن ليكون في ذلك تسلية لها ونسيان لضياع مالها[٢].

ومن الطريف أن مستشرقاً آخر، هو (واشنطجن ارفنج) الأمريكي ينفي أن يكون القرآن في العهد المكي اختراعاً من عند محمد - ﷺ - بل كان في نسبته إلى الله صادقاً، ولكن بعد هجرته إلى المدينة والتفاف أصحابه حوله، وتبديل ضعفه إلى قوة اتجه محمد - عليه السلام - وجهة دنيوية زعامية فصاغ القرآن على هواه، بما يناسب طموحاته الشخصية الدنيوية[٣].

هذه خلاصة سريعة لبيان هذه الخرافة الاستشراقية المضحكة. ورد هذه الفرية، ودحض دعاوى مروجيها من وجهين:

الأول: تكذيب المعتدلين من المستشرقين لها.

الثاني: القرآن نفسه، بما تضمنه من وقائع وتفاصيل.

●●●

قليل من المستشرقين من يلتزم بالبحث الموضوعي المبرأ من الهوى، ومنهم من أنصف الإسلام في كتاباته، سواء ظل على عقيدته، أو تحول منها إلى الإسلام.

وقد تصدى فريق منهم للرد على هذه الفرية، واستبعدوا أن يكون محمد - ﷺ - كاذباً في نسبة القرآن إلى الله.

فهذا (إتيين دينيه)[٤]، يتعجب كل العجب من قول المستشرقين أن محمداً - ﷺ - ألف هو القرآن، ونسبه زوراً إلى الله فيقول ضمن كلام طويل:

---

(٢) محمد، وإسرائيل، والمسيح «٤٣».

(٣) محمد وخلفاؤه «١٩٠ - ١٩٦».

(٤) مستشرق فرنسي درس الإسلام دراسة واعية فأنارت بصيرته، فأسلم، وتسمى بعد إسلامه بـ «سليمان بن إبراهيم».

«حقاً، إنه ليدهشني أن يرى بعض المستشرقين أن محمداً اتخذ فرصة الخلوة هذه، فروّى ورتب عمله المستقبلي؛ بل لقد ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فوسوس بأن محمداً ألّف في تلك الفترة القرآن كله.؟!

أحقاً لم يلاحظوا أن هذا الكتاب الإلهي خالٍ من أية خطة سابقة على وجوده، مرسومة على نسق المناهج الإنسانية، وأن كل سورة من سوره منفصلة عن غيرها، وخاصة بحادثة وقعت بعد الرسالة، طيلة فترة تزيد على عشرين عاما، وأنه كان من المستحيل على محمد أن يتوقع ذلك ويتنبأ به.

.. لا شك أن محمداً لم يدر بخلده أثناء تلك الفترة شيء مما يزعمه المستشرقون. ولم يروّ نفسه أية خطة أو منهج. حقيقة أنه في خلوته كان يتأمل، ولكنه لم يكن يقدّر، وقد استمر كذلك إلى أن حان الموعد الذي حددته العناية الإلهية، لتتجلى عن طريق من اختارته رسولاً»[٥].

لقد أصاب دينيه لب الحقيقة، ونسف من أقصر طريق فرية هؤلاء المستشرقين، وإن كان في عبارته إجمال يحتاج إلى تفصيل.

ولدينا شهادة أخرى لها وزنها في الرد على هذه الفرية؛ صاحبة هذه الشهادة هي (كارين أرمسترونج)، كتبت كارين هذه كتابا في السيرة النبوية عنوانه: «محمد» وقالت في مقدمة الكتاب: إنها تحاول إنصاف الإسلام من التشويهات الكثيرة التي يحاول المستشرقون إلصاقها به، وبخاصة بعد رواية «آيات شيطانية» عام ١٩٩١م والكتاب يقع في أكثر من أربعمائة صفحة من القطع الكبير، وكل سطر فيه يفيض بالحيوية في إنصاف الإسلام. وفي معالجتها للوحي الذي أنزله الله على محمد - ﷺ - وتعترف بأنها كانت راهبة، لكنها الآن لا تنتمي إلى أي دين. ونختار من شهادتها في الرد على هذه الفرية، التي تتصدى لها عبارة واحدة. ولكنها صادقة كل الصدق. وفيها تقول رداً على من يدعي أن محمداً كان مريضاً بحب الزعامة، ثم الدعاية لتمجيد نفسه بما واجه الدنيا كلها به:

«إن محمداً - ﷺ - لم يكن أبداً ذلك الفرد الذي يشتاق للترويج لنفسه، كما يصفه أعداؤه الغربيون»[٦].

وقد سبق للكاتبة أن ذكرت في المقدمة الضافية التي قدّمت بها كتابها هذا عبارة حكيمة شبهت فيها عداء أوروبا المعاصرة للإسلام بعداء مشركي مكة في عصر نزول القرآن. وقالت: إن موقف مشركي مكة، وموقف أوروبا الآن من الإسلام ناتج عن آفتين هما: الجهل والخوف.

ونذكّر القارئ بما قدمناه من قبل: أن كارين هذه زهدت في حياة الرهبنة، واعترفت أنها حين كتبت هذا الكتاب «سيرة النبي» لا تنتمي إلى أي دين. وليست هي الوحيدة التي أنصفت الإسلام من المستشرقين، ولم تدخل فيه، بل منهم من أنصفه، مع تمسكه بعقيدته المخالفة لعقيدة الإسلام، ومنهم (الكسيس كارلايل)، وسنذكر موقفه من الإسلام بعد قليل.

وممن رد هذه الفرية من المستشرقين المستشرق (ألفريد جيوم)، فقد نفى نفياً قاطعا أن يكون محمد - ﷺ - قد افترى القرآن من عنده، ثم

---

(٥) محمد رسول الله، تأليف آتين دينيه «سليمان بن إبراهيم» ترجمة الإمام الأكبر الأسبق د. عبدالحليم محمود (١٠٧) وما بعدها.

(٦) سيرة النبي، تأليف كارمين أرمسترونج، ترجمة د. فاطمة نصر، ود. محمد عناني، نشر كتاب سطور، المهندسين.

نسبه إلى الله وقد استند ـ حسب رؤياه ـ في هذا النفي إلى أن سيرة محمد هي سيرة أنبياء بني إسرائيل، وأن مقياس النبوة في بني إسرائيل ينطبق على ما عُرف من أوصاف محمد ـ عليه السلام ـ وهو المقياس النبوي يتلخص في الأمور الآتية : ـ

- القول الثائر الملتهب.
- الانشغال التام بالله.
- الانشغال بالقضايا الأخلاقية.
- الشعور بأن باعثاً قوياً يدفعه دفعاً إلى الجهر بكلمة الله[7].

أما (لامارتين) الفيلسوف الفرنسي، فيدافع بحرارة عن النبي ـ ﷺ ـ وينفي بصرامة وقوة أن يكون كاذباً أو مفترياً على الله فيقول :

« إن حياة محمد، وقوة كقوة تأمله، وتفكيره وجهاده.. ورباطة جأشه، لتثبت أركان العقيدة الإسلامية.. إنه فيلسوف وخطيب ومشرع، وهادٍ للإنسانية إلى العقل، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن وهو مؤسس دين لا فرية فيه. ومنشيء عشرين دولة في الأرض، وفاتح دولة في السماء من ناحية الروح والفؤاد.

فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية ما أدرك محمد وأي آفاق بلغ إنسان من مراتب الكمال ما بلغ محمد »[8].

ويأتي دور (الكونت هنري دي كاستري)، فيفند أباطيل المستشرقين، ومنها أن محمداً ـ ﷺ ـ افترى دينه، وخدع الناس به فيقول :

« والعقل يحار كيف يتأتي أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى :

آيات لما سمعها عقبة بن ربيعة حار في جمالها، وكفى رفيع عبارتها أن أقنعت عمر بن الخطاب، فآمن برب قائلها، وفاضت عين نجاشي الحبشة بالدموع لما تلا عليه جعفر بن أبي طالب سورة مريم وما جاء فيها عن عيسى ويحيى – عليهما السلام – ».

وقال عن هؤلاء المستشرقين المزورين :

« أولئك كتاب ما قصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خدمة المقصد المسيحي الحكيم كما يقولون. وكان سلاحهم الوحيد في تأييد سواقط حججهم أن يشيعوا خصومهم سباً وشتماً، وأن يحرفوا في النقل ما استطاعوا »[9].

قد أبانت هذه الردود عن تهافت ما قاله بعض المستشرقين عن تزوير القرآن العظيم (حاشا لله) ثم نسبته ـ زوراً ـ إلى الله، كما بينت البواعث التي حملتهم على التفوه بهذه الأباطيل العليلة، التي تحمل في نسجها آفات موتها.

***

وكان في روسيا القيصرية، قبل أن يلتهمها الغول الشيوعي، كاتب بارع، وأديب موهوب، ذلكم هو تولستوي. لم يكن على دين محمد ـ ﷺ ـ ومع هذا وقف بجانب الحق معه، يذب عنه

---

(٧) انظر «مصدر القرآن» د. إبراهيم عوض، نشر زهراء الشرق «١٤٠».

(٨) أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية (١٠٦)

(٩) الإسلام خواطر وسوانح، للكونت هنري دي كاستري، نقلا عن ترجمة د. عبدالحليم محمود لكتاب دينيه «محمد رسول الله» (١٤) وما بعدها.

كيد الحاقدين ويسخر ممن يرى في محمد نقيصة، ولو كانت في وزن الذرة ودفاعه عن رسول الإسلام كان سبباً في حرمان البابا له من رحمة الله. ولم يدرك ذلك البابا من هو المحروم من رحمة الله.

ومن أقوال تولستوى في تبرئة محمد - ﷺ - من النقائص التي ألصقها بسيرته الحاقدون من مستشرقي الغرب، قوله:

«لا ريب أن هذا النبي من كبار المصلحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا.

ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم، لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال»[١٠].

إن قيمة هذه الدفاعات ليست في مضامينها فحسب، بل فيها، وفي كون الفاعلين لها ليسوا على ملة الإسلام إن هذا يدل على قوة الحق، ونصاعة ثوبه، فلم يمنع من ليسوا عليه من مؤازرته وتقديره.

أما (كارلايل) فنختم هذه الجولة بشهادته، ونرجيء التكذيب القرآني لخرافة المستشرقين هذه لجولة تالية، لتكون مسك الختام، وختام المسك

يقول (كارلايل) في الرد على هذه الخرافة:

«من العار أن يصغي أي إنسان من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن دين الإسلام كذب، وأن محمداً لم يكن على حق.

لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي، ظلت سراجا منيراً أربعة عشر قرنا من الزمان، لملايين كثيرة من الناس. فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة، التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع؟ ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج، لأصبحت الحياة سخافة وعبثا. وكان الأجدر بها ألا توجد.

... وعلى هذا فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلا كاذباً، متذرعا بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.

وما الرسالة التي جاء بها إلا الصدق والحق. وما كلمته إلا صوت حق صادق جاء من العالم المجهول.

... ويزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بدعوته إلا الشهرة الشخصية، والجاه والسلطان كلا واسم الله، لقد انطلقت من فؤاد هذا الرجل الكبير النفس، المملوء رحمة وبراً وحنانا، وخيراً ونوراً وحكمة، أفكار غير الطمع الدنيوي، وأهداف سامية غير الجاه والسلطان»[١١].

وبعد أن أفاض (كارلايل) في إنصاف صاحب الدعوة الخاتمة، ختم حديثه بهذه الجمل الثلاث:

هكذا تكون العظمة.

وهكذا تكون البطولة.

وهكذا تكون العبقرية.

فالله أكبر، جاء الحق، وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

وهكذا حسم منصفو المستشرقين، ما افتراه حاقدوهم.

وستعرف أن القرآن العظيم أكثر حسماً وإفحاما في الجولة القادمة بإذن الله.

---

(١٠) أثر علماء المسلمين، مرجع سبق ذكره.

(١١) كتاب «الأبطال» لكارلايل، ترجمة الأستاذ محمد السباعي، ٢٠، ٥٨، ٧٢، ٨٦، نقلا عن مصدر القرآن.

العقيدة الجبرية في حياتنا اليومية

للشيخ محمود محمد خضر

لا نكاد نعثر على أثر ملموس أو مظهر محسوس يجسد الانعكاسات السلبية للعقيدة الجبرية على حياتنا اليومية فيما عدا تبرير الذنوب والأخطاء وتعليقها على شماعة القضاء والقدر، ربما لكى يتجنب المذنب سطوة اللوم من خارج النفس، أو داخلها حتى يستريح أو يخفف من عذاب الضمير.

أما فيما عدا ذلك فنجد الفلاح يذهب إلى حقله يبذر الحب ولا يجلس فى بيته ينتظر الثمار من الرب وإنما يعمل ويكدح يوميا لعدة أسابيع أو لعدة شهور فى الحرث والرى، والتسميد والتخلص من الحشائش الضارة وهو يرجو عند نهاية العام أو نهاية المحصول الخير الوفير جزاء على تعبه ونصبه المتواصل فإذا حدث ما لم يكن فى الحسبان فأكلته الديدان أو اجتاحته عاصفة أو شبت فيه النيران، فهنا يكون الاستسلام للقضاء والقدر والرضا به، ويقول: «قدر الله وما شاء فعل»... وهكذا شأن الصانع والتاجر والطالب والعامل فى كل مجال من مجالات الحياة المختلفة، وذلك هو السلوك الأمثل للمؤمن والتزاوج الصحيح بين حرية الإرادة والعقيدة الجبرية المتمثلة فى شمول القضاء والقدر، وهو الفهم الصحيح المتمثل فى قوله - ﷺ -: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

وهنا يكون الإيمان بالقضاء والقدر حافزا على استئناف العمل بكل الجد والنشاط والأمل فى تعويض ما فات، وعدم الاستسلام لليأس والحزن والهم والنكد الذى يثبط نشاط الإنسان وربما دمر حياته أو أصابه بأمراض يصعب الشفاء منها، لكن الأمور لم تسر دائما على هذا المنوال وخاصة فى عصور الركود والتراجع الإسلامى فقد فشا إلى جوار هذه الظاهرة الإيجابية للإيمان بالقضاء والقدر بعض الظواهر السلبية، وخاصة من

(١) رواه مسلم

جانب بعض المنتمين للطرق الصوفية الذين هم محسوبون على أهل السنة رغم بعض الشطحات ويتمثل ذلك في شيوع قدر من الاتكالية أو التواني في طلب الرزق ويتمثل ذلك في فهمهم السيئ للحديث: «لو توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا»(٢) ولم يلتفتوا إلى أن الطيور لا تنام في أعشاشها تنتظر الرزق ولكنها تغدو في الصباح الباكر وحتى مغيب الشمس تبحث وتنقب وتنتقل من مكان إلى مكان بحثا عن الرزق، وربما تعرضت للمخاطر من الجوارح في أثناء هذا السعي طول اليوم وهي لا تعود إلى أعشاشها إلا بعد الغروب إلا إذا كان لها فراخ تعود لتطعمهم ثم ترجع لمواصلة السعي بقية النهار، وقد فطن رواد النهضة الأوائل من أمثال محمد عبده ورشيد رضا إلى خطورة هذه النزعة فحاربوها بكل ما أوتوا من بيان ومما يمثل هذه النزعة قولهم:

لو طرت بين السما والأرض مجتهدا

في قطرة الماء غير الرزق لم تجد

وهي كلمة حق أريد بها باطل فإن الإنسان لا يحصل غير ما قدره الله -تعالى- من الرزق مهما اجتهد ولكنه لا يحصله بالتواني والكسل وإنما بالجد والعمل.

عدم البحث عن الأسباب

ومن الآثار السيئة التي نجمت عن تسلط الأفكار الجبرية على فريق من أهل السنة والصوفية التراخي في البحث عن الأسباب والعلل الكامنة وراء الأمراض والأوبئة أو الكوارث والفشل فما دام الله هو الفاعل الأوحد لكل ما في الكون من عمل بما فيه عمل الإنسان فلا داعي للتفتيش وراءه عن العلل والبحث في الأسباب والمسببات رغم تنبيه الله – تعالى – مرارا على أن الكون قائم على قواعد وسنن وأسباب ومسببات لا تتخلف إلا في المعجزات ومن هنا بلغ التقدم العلمي ذروته في عصور المعتزلة والفلاسفة ثم بدأ في الانحدار تدريجيا حتى اضمحل وتلاشى بتلاشيهم واضمحلالهم، ودخلنا في عصور الركود والجمود التي لا تزال نعاني منها ولا نستطيع التخلص من آثارها حتى يومنا هذا، حيث لاتزال بعض النزعات الجبرية تسيطر على كثير من أفكارنا وسلوكنا اليومي، وهي جبرية لا أساس لها في كتاب أو سنة، وإنما تقوم على الفهم السيئ لبعض الأحاديث والآيات.

وإنه لمما يدعو إلى أشد الأسى والأسف أن أوربا قد التقطت منا خيوط النهضة ونسجت على منوالها وسارت بها قدما إلى الأمام حتى

---

(٢) رواه الترمذي، والبيهقي.

وصلت إلى ما وصلت إليه، أما نحن فقد بدأنا فى التراجع والجمود والتخلف والركود حتى وصلنا إلى ما نحن عليه، وكان أيدينا مكبلة عن النهوض تعانى من شلل الفكر والإرادة والقدرة على التغيير والابتكار والإصلاح، ولا نجيد إلا التقليد الأعمى والبحث فى المخلفات والفتات الذى يلقى به الآخرون وليتنا قلدناهم فى أساسيات عوامل النهضة وأخلاقياتها وسرنا وراءهم حتى نصل إلى مرحلة الابتكار والاختراع، ولكننا قلدناهم فى أحط وأرذل ما وصلوا إليه من عوامل انحطاط وتدهور وتركنا لهم عوامل الرقى والتقدم يحتكرونها لأنفسهم ولا يباريهم فيها أحد حتى وصلنا إلى ما يشبه اليأس من المباراة وبدأنا الانسحاب منها غير عابئين بما يمكن أن نتعرض له أثناء الانسحاب من الانسحاق تحت أقدام المتسابقين الذين لا يبالون من يدوسونه بأقدامهم فى طريق الوصول إلى أهدافهم وهذا هو مصير المنسحبين الفارين المنهزمين المتخبطين فى انسحابهم لا يلوون على شىء وليس لهم خطة أو نظام فى تخلف إلى الوراء أو تقدم إلى الأمام.

الرزق والعقيدة الجبرية

قلنا فى بدء المقال: إننا لا نكاد نعثر على آثار ملموسة أو ظواهر محسوسة للانعكاسات السلبية للعقيدة الجبرية على الحياة اليومية إلا فى القليل النادر الذى يتمثل فى بعض الاتكالية عند من ينتسبون إلى الصوفية والتراخى فى طلب الرزق، وهذه الانعكاسات بدأت تتلاشى فى هذا القرن وبدأ دولاب الحياة اليومية يسير سيره المعتاد ويعرف الجميع ارتباط الرزق بالعمل «من جد وجد ومن زرع حصد» ويعرف الجميع معدل الرزق أو ما يعرف بحسابات الجدوى يدركها الفلاح الجاهل وإن كان لا يسميها بهذا الاسم فهو عندما يستأجر فدانا يعرف تكاليف الإنتاج ويعرف أن المحصول المتوقع يضمن له هامش ربح فائض عن التكاليف بما فيها الإيجار، وأنه يتراوح بين كذا وكذا حيث التحديد بالرقم مستحيل كما يقدر نفقاته على أساس دخله الفعلى أو متوسط الدخل المتوقع كما يعرف أن هناك مفاجآت قد تحدث؛ ولكنها نادرة الوقوع فهى استثناء وليست قاعدة ولا ينبغى أن يؤثر توقعها فى مسيرة دولاب الحياة على النمط المعتاد.

***

المسجد الأقصى

للأستاذ الدكتور / عبد الشافى محمد عبد اللطيف (*)

المسجد الأقصى ببيت المقدس - فى فلسطين - هو أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين، وأحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال، وهو منتهى رحلة الإسراء ومبدأ رحلة المعراج، وفضائله كثيرة (1)؛ من أهمها أن الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فى غيره من المساجد.

هذه حقائق فى عقيدتنا وشريعتنا وحضارتنا الإسلامية، لا جدال فيها ولا مراء، لأنها أمور ثابتة بالكتاب والسنة.

وفى الآونة الأخيرة، ومنذ دنّس الجنرال الإسرائيلى الأحمق إريل شارون المسجد الأقصى بأقدامه الهمجية، فى أواخر شهر سبتمبر سنة ٢٠٠٠م وجاء الرد الفلسطينى الغاضب، فيما أصبح معروفا على مستوى العالم بأسره «بانتفاضة الأقصى» حيث خرج الشعب الفلسطينى عن بكرة أبيه ثائرا لمقدساته التى دنستها أقدام شارون - سفّاح صبرا وشاتيلا - وتجاوب العالم الإسلامى كله مع ثورة الشعب الفلسطينى، وخرجت المظاهرات من المغرب العربى إلى اندونيسيا والتى كان بعضها يصل إلى مئات الآلاف، بل وصل إلى نحو مليونين من البشر خرجوا فى الرباط عاصمة المملكة المغربية يعبّرون عن غضبهم وسخطهم على همجية الصهاينة، واستهانتهم بمقدسات المسلمين.

خرج أبناء الشعب الفلسطينى وليس فى أيديهم سوى الحجارة يواجهون بها جنود الاحتلال الإسرائيلى المدججين بكل أنواع أسلحة القتل والإبادة والتدمير، وهو مشهد رائع ومروّع فى الوقت نفسه؛ رائع لأن أبناء فلسطين، ومن كل الأعمار، رجالا ونساءً وشباباً وأطفالاً وشيوخاً، خرجوا دون أن يتهيّبوا آلة الحرب الإسرائيلية المدمرة والمتوحشة، بل يقابلون الرصاص بصدور عارية، والروعة تعبر عن نفسها

(*) الأستاذ بكلية اللغة العربية بالقاهرة

(1) راجع إعلام الساجد بأحكام المساجد تأليف محمد بن عبد الله الزركشي منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. القاهرة ١٤٠٣هـ ص٢٧٥ وما بعدها.

أصدق تعبير في بطولة الشباب الفلسطيني، لأن الشيوخ يمكن أن يقال: إنهم أخذوا حظهم من الحياة، والأطفال يمكن أن يقال: إنهم لا يدركون مدى الخطر الذي يعرّضون أنفسهم له، أما الشباب فهم يعرفون عن يقين ما ينتظرهم، ومع ذلك يقابلون الموت في شجاعة نادرة، والعالم كله يشاهدهم وهم يحملون شهداءهم الذين يسقطون قتلى برصاص القتلة الإسرائيليين، والوجوه كلها رجولة والملامح كلها إصرار على الاستمرار برغم ضخامة الخسائر البشرية، لا جزع ولا خوف من الموت، هذا المظهر البطولي الرائع الذي ظهر به أبناء فلسطين - وبصفة خاصة الشباب - في انتفاضة الأقصى يبشر بالخير، ويدل على أن الأمة التي تمتلك مثل هذا الشباب المضحي بحياته دفاعا عن أرضه ومقدساته لا يمكن أن تنهزم أو تضيع حقوقها.

وهذا المشهد نفسه مروّعٌ - من الناحية الأخرى - لأن القتلة المجرمين من بني صهيون لا يتورعون عن قتل الشباب والشيوخ والنساء والأطفال، بالرصاص؛ بل بالصواريخ والدبابات والطائرات، وكيف لا يتورعون عن قتل الفلسطينيين؟ أليسوا هم أبناء وأحفاد قتلة الأنبياء والمرسلين؟ العالم كله يرى ويشاهد لحظة بلحظة على شاشات الفضائيات آلة الحرب الصهيونية وهي تفتك بشعب أعزل في وحشية تذكّر الناس بفعال المغول والصليبيين والنازيين يرى العالم كله ذلكَ ويشاهده صباح مساء، ولا يحرك ساكنا، هذا العالم الذي يدّعي الحضارة والمدنية.

إن ما أردنا توضيحه في هذه الصفحات، وهو الإجابة بقدر الطاقة عن بعض الأسئلة التي فرضت نفسها في هذه الأيام مع تداعيات انتفاضة الأقصى

تلك الأسئلة التي كشفت عن نقص خطير في المعلومات المتعلقة بالمقدسات الإسلامية في القدس، وبصفة خاصة المسجد الأقصى، وأنا سمعت بنفسي هذه الأسئلة ليس فقط من عامة الناس، بل من كثير ممن يسمون مثقفين

من هذه الأسئلة: متى بني المسجد الأقصى؟ ومن أول من بناه؟ وهل كان المسجد الأقصى - كبناء - قائما وموجودا عندما أسري برسول الله - ﷺ - إليه؟ وهل بني المسجد الأقصى فوق هيكل سليمان - عليه السلام - كما يدّعي اليهود؟

ونبدأ بالإجابة عن سؤال متى بني المسجد الأقصى؟

روى الإمام البخاري - رحمه الله - عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه -: قال: «قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا؟ «قال: «المسجد الحرام» قال: قلت: «ثم أيّ؟». قال: «المسجد الأقصى» قلت «كم بينهما؟» قال: «أربعون سنة؛ ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصله، فإن الفضل فيه»[٢]

هذا الحديث الشريف، الصحيح ربط بين بناء

---

(٢) صحيح البخاري. حديث رقم ٣٣٦٦.

المسجد الحرام بمكة المكرمة، والمسجد الأقصى، وحدد المدة الفاصلة بين البناءين بأربعين سنة، وقبل أن نعرف متى بنى المسجد الأقصى؟، يجب أن نعرف متى بنى المسجد الحرام؟

عن المسجد الحرام يقول – الله تعالى – في كتابه العزيز:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾[3].

فهو إذن أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض، كما يذكر ذلك كثير من علماء التفسير[4] وهذا التفسير جعل بعض الباحثين في تاريخ المساجد يرى أن بناء المسجد الحرام بمكة المكرمة سابق على وجود البشر على الأرض[5]، وأن الملائكة هم الذين بنوه بأمر من الله – تعالى –، وكانوا يطوفون حوله، ثم تهدم وجدد بناءه آدم – عليه السلام –، وكذلك فعل أبناؤه من بعده، ثم هدمه طوفان نوح – عليه السلام –، وظل مكانه مجهولاً إلى أن أمر الله – تعالى – إبراهيم الخليل – عليه السلام – ببنائه، ودله على مكانه، وهذا هو ما يشير إليه قوله – تعالى –:

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾[6].

والمفسرون يفسرون بوأنا: بأرشدناه ودللناه على مكانه[7]. ومعنى هذا أن إبراهيم كان مجددًا وليس منشئاً. ولعل مما يؤيد هذا الرأى أيضا قوله – تعالى –:

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[8].

وقوله – تعالى –:

﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[9]

وبعض المفسرين يذهب إلى أن إبراهيم – عليه السلام – دعا بهذا الدعاء أول ما ذهب بابنه إسماعيل – عليه السلام – وهو طفل صغير إلى المكان الذى أعيد فيه بناء البيت الحرام، وقامت فيه مكة المكرمة، وذلك قبل أن يأمره الله – تعالى – ببنائه ويدله على مكانه[10]. ومعنى هذا أن إبراهيم – عليه السلام – عندما دعا بهذا الدعاء كان قد أعلمه الله – تعالى – أنه كان فى هذا المكان بيت لعبادة الله وأنه اندثر، وأنه ستقوم

---

(٣) آل عمران ٩٦، ٩٧.

(٤) انظر مختصر تفسير الطبري جـ١ ص١١٩ – نشر دار الصابوني.

(٥) راجع عن بناءات المسجد الحرام كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للعلامة تقي الدين الفاسي جـ١ ص٩١ وما بعدها. نشر دار الكتب العلمية – بيروت. بدون تاريخ.

(٦) سورة الحج ٢٦.

(٧) مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٢٩.

(٨) البقرة ١٢٧.

(٩) سورة إبراهيم ٣٧.

(١٠) انظر مختصر تفسير ابن كثير جـ١ ص ١٢٣.

بنائه فيما بعد، وربما كان تأجيل البناء إلى أن يكبر إسماعيل - عليه السلام -، ويستطيع أن يعاون أباه، ويكون له شرف المشاركة في البناء.

أتم إبراهيم - عليه السلام - بناء الكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل - عليه السلام - وجاء البناء مدوّرا من جهة حجر إسماعيل - عليه السلام -، ولم يكن له سوى ركنين، الأسود واليمانى، وجعل ارتفاعه تسعة أذرع - نحوا من أربعة أمتار -[11] ولم يكن للبناء سقف، وكان له فتحة باب واحد من جهته الشرقية ملاصقا للأرض، ولم يجعل له بابا يغلق ويفتح، وإنما كان مجرد فتحة، ولم يكن للبناء كسوة، وعمل حفرة على يمين الداخل إلى البناء؛ عمقها نحوا من ثلاثة أذرع؛ كانت تسمّى خزانة الكعبة، وأمام الفتحة إلى اليمين قليلا تقع بئر زمزم، ومقام إبراهيم هو الحجر الذى كان يقف عليه أثناء البناء، وكان إسماعيل يناوله الحجارة، وموقعه أمام الجدار الشرقي، أما الحجر الأسود فمكانه الركن الجنوبى الشرقي، ومنه يبدأ الطواف ويرتفع عن الأرض بنحو متر ونصف.

وبعد أن أتم إبراهيم - عليه السلام - البناء أمره الله - تعالى - أن يؤذّن فى الناس بالحج، فقال تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[12].

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية الكريمة[13] وقوله تعالى:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ ﴾ أى ناد فى الناس بالحج، داعيا لحج هذا البيت الذى أمرناك ببنائه، فذكر أنه قال: يارب كيف أبلغ الناس وصوتى لا ينفذهم؟ فقال: «ناد وعلينا البلاغ» فقام على مقامه - أى مقام إبراهيم - وقيل على الصفا، وقيل على جبل أبى قبيس، وقال: «يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجّوه، فيقال: «إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وأسمع من فى الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر، ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة، قال: لبيك اللهم لبيك» هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، وغير واحد من السلف والله أعلم.

بناء الكعبة بعد إبراهيم

وحديثنا عن الكعبة المشرفة لابد منه - للربط بين بنائها وبناء المسجد الأقصى كما حدّده الحديث الشريف - الذى سبق ذكره - لذلك رأينا أن نوجز الحديث عن بنائها بعد

---

(11) زادت قريش فى ارتفاع الكعبة تسعة أذرع فأصبح ثمانية عشر ذراعا، ثم زاد ابن الزبير فيه تسعة أذرع أخرى فأصبح سبعة وعشرين ذراعا - أى خمسة عشر مترا، وطول الجهتين الشرقية والغربية نحو اثنى عشر مترا والشمالية والجنوبية نحو عشرة أمتار.

(12) سورة الحج ٢٧.

(13) انظر مختصر تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٥٣٩.

بناء إبراهيم لإتمام الفائدة.

المنطقة التي بنيت فيها الكعبة المشرفة تكثر فيها السيول، التي طالما أثرت على البناء، بل أحيانا كانت تسبب هدمه، مما تطلب بناءه من جديد، وقد حدث ذلك مرارا[14]، فقد بناها العمالقة ثم قبيلة جرهم، ثم قصي بن كلاب بن مرة، الجد الرابع للرسول - ﷺ -، ثم بنتها قريش قبل ظهور الإسلام بخمس سنين؛ وهو البناء الذي شارك فيه الرسول - ﷺ -[15].

وبعد ظهور الإسلام، وأثناء الصراع الذي حدث بين عبد الله بن الزبير وبني أمية أصاب الكعبة حريق دمّر بعضها، فأمر عبد الله بن الزبير بهدمها، وأعاد بناءها على قواعد إبراهيم - عليه السلام -، وأدخل فيها حجر إسماعيل، معتمدا على الحديث الذي روته خالته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن الرسول - ﷺ - أنه قال لها: «لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهلية لهدمت الكعبة والزقتها بالأرض وجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا، ولزدت ستة أذرع من الحجر في البيت»[16] وزاد في ارتفاعها، حيث جعله سبعة وعشرين ذراعا، وبعد مقتله - سنة ٧٣هـ - هدمها الحجاج بن يوسف الثقفي وأعاد بناءها كما كانت - على بناء قريش الذين كانوا قد أخرجوا منها حجر إسماعيل لما قصرت بهم النفقة -.

هذا ولم يتعرض أحد من حكام المسلمين لتغيير قواعدها بعد ذلك وإلى الآن، احتراما لها واحتفاظا بهيبتها، حتى إنه عندما أراد الخليفة هارون الرشيد - ١٧٠ - ١٩٣هـ - أن يهدمها ويردها إلى بناء عبد الله بن الزبير - أي إلى قواعد إبراهيم - استشار في ذلك الإمام مالك بن أنس، فنهاه عن ذلك، وقال له: «نشدتك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل بيت الله ملعبة للملوك، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس»[17] فأخذ الخليفة برأي الإمام مالك فظلت الكعبة المشرفة على حالها دون أن تمس.

(يتبـــع)

---

(١٤) انظر شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - لتقي الدين الفاسي جـ١ ص٩١ - دار الكتب العلمية. بيروت.

(١٥) سيرة بن هشام جـ١ ص٢٠٩ وما بعدها.

(١٦) انظر شفاء الغرام - جـ١ ص ٩٩.

(١٧) مرآة الحرمين جـ١ ص٢٧٢. تأليف إبراهيم باشا رفعت. لم يذكر مكان ولا تاريخ الطبع

طرائف.. ومواقف

إعداد الأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

من أخبار الكرام

طلحة الخير.. طلحة الفياض.. طلحة الجواد يذكرنا بنفر من الأجواد الكرام مشوا معه على درب السخاء، فرويت عنهم النوادر الرائعة في دنيا المكرمات.

عثمان بن عفان

عُرف عثمان بن عفان بموقفه الرائع يوم جيش العُسرة في تبوك، حيث أنفق فدعا له الرسول، فأنفق فدعا له الرسول، فأنفق، فبشره الرسول بالجنة، وله موقف آخر قد يجهله بعض الناس، لذلك أرويه:

- أصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر، فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إليه، وقالوا: يا خليفة رسول الله، إن السماء لم تُمطر، والأرض لم تُنبت، وقد وقع الناس في الهلاك، فما نصنع؟ قال: انصرفوا واصبروا فإني أرجو ألا تمسوا حتى يفرّجها الله.

فلما كان آخر النهار، ورد الخبر بأن عثمان بن عفان، له عير جاءت من الشام، وقد خرج الناس يستقبلونها، فإذا هي ألف بعير، محملة براً وزيتاً وزبيبا، فأناخت بباب عثمان، فلما جعلها في داره، جاء التجار، فقال لهم: ماذا تريدون؟ قالوا: إنك لتعلم ماتريد، بعنا من هذا الذي جاءك، فأنت تعلم ضرورة الناس إليه، فقال لهم: حُبا وكرامة! كم تربحونني على شرائي؟ فقالوا: الدرهم درهمين، فقال: أعطيت زيادة على هذا، فقالوا: أربعة، قال: أعطيت زيادة على هذا؟ قالوا: خمسة، قال: أعطيت زيادة عليها، فتعجبوا، وقالوا: يا أبا عمرو، ليس في المدينة تجار غيرنا فمن ساومك وأعطاك؟ قال: إن الله -عز وجل- أعطاني بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة، قالوا: لا، قال: فإني أشهدكم أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة للمسلمين.

وعلم أبو بكر فسُرّ وقال: ليس هذا بغريب على عثمان.

عبيد الله بن العباس

أما عُبيد الله بن العباس، فقد اشتهر بالجود البالغ، وله روائع تدهش، والناس يقرءون أخباره فيظنونه أخاه (عبدالله بن عباس) وأن المطبعة قد أخطأت، لشهرة عبدالله عنه،

ولكن هذا الجواد قد سبق بالكرم في مواقف شتى.. نروي منها:

- كان معاوية يريد من الحسين بن علي، أن يفد عليه بالشام ليأخذ صلاته كما يفعل الناس، والحسين ذو شمم، يعرف أن له حقا في المال، فهو لا يأخذ من كسب معاوية، ولكنه أنف أن يذهب إليه، وقال: إما أن يصلني حقي بالمدينة أو يُصرّ على سفري فأرفض.

وشاع الأمر في المدينة و علم عبيد الله بن عباس، فبات ليلته ساهدا، حتى طلع الصباح، فخف لزيارة الحسين، وقال له: ويل ما اجترحت يد معاوية في حقك! لقد سهرت الليلة حتى لم يغمض لي جفن.

فقال الحسين: شدةٌ ونزول، فلا عليك، فقال عبيد الله: أتشكو الضيق وأنت على ما أرى من كثرة العيال، لست ابن العباس بن عبد المطلب إن لم أشاطرك مالي.

وخرج فدعا قهرمانه، وقال: احمل إلى الحسين نصف ما أملك من ثوب ودابة وذهب وفضة فإذا رأى ذلك قليلا وهبته كل ما لديّ!

فقال القهرمان: تهبه كل مالك، وهذه المؤن التي تؤديها للناس كيف تقوم بها وهم ينتظرون؟

فقال: إذا بلغنا ذلك، بعث الله الفرج.

وجاءت الركائب للحسين فقال: لقد أرهقت أخي، وأخذ نصف ما بعث، ورد النصف الآخر.

لا تستخفوا بحقه

عن قتادة قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- قام بمكة فقال: «يا معشر قريش، إن هذا البيت قد وليه ناس قبلكم، ثم وليه ناس من جُرهُم، فعصوا ربه، واستخفوا بحقه، واستحلوا حرمته فأهلكهم الله، ثم قد وليتم معاشر قريش فلا تعصوا ربه، ولا تستخفوا بحقه، ولا تستحلوا حرمته إن صلاة فيه عند الله خير من مائة بركة، واعلموا أن المعاصي فيه على قدر ذلك».

هذا.. الحجيج

هذا الحجيج إليك يهفو
بدعائه. فعطاك تعفو
كدر الحياة إذا رضيت
فإنه برضاك يصفو
إنا نمزق في الرداء
الذي نسجت.. وأنت ترفو

وصية

أوصى لقمان ابنه، فقال: يا بني كن على حذر من اللئيم إذا أكرمته، ومن الكريم إذا أهنته، ومن العاقل إذا هجرته، ومن الأحمق إذا ما زحته، ومن الجاهل إذا صاحبته، ومن الفاجر إذا خاصمته، وتمام المعروف تعجيله.

أطعمة المناسبات

كان للعرب مناسبات مختلفة يقدمون فيها الطعام للزائرين والمدعوين، وكان لكل مناسبة طعامها الخاص -أيضا- ثم جاء الإسلام فأبقى

على تلك العادات الحميدة، وأضاف إليها مناسبات جديدة تميزت هي الأخرى بأسمائها الخاصة، فيقال:

- **الوكيرة**: الطعام الذي يقدم لدى الفراغ من البناء.
- **الوليمة**: الطعام الذي يقدم في العرس.
- **القرى**: الطعام الذي يقدم للضيوف الذين حلوا فجأة.
- **التحفة**: الطعام الذي يقدم للزوار الذين قدموا على موعد.
- **الخرس**: الطعام الذي يقدم بمناسبة الولادة ابتهاجا.
- **العقيقة**: الطعام الذي يقدم في سابع المولود شكرا لله.
- **الغديرة**: الطعام الذي يقدم بمناسبة ختان المولود.
- **المأدبة**: الطعام الذي يقدم للمدعوين خصوصا لإكرامهم.
- **النقيعة**: الطعام الذي يقدم للواصلين من السفر توا.
- **الوضيمة**: الطعام الذي يقدم للمواسين في المأتم.

ذم الثقلاء

قال الشاعر في ذم الثقلاء:

سقط الثقيل من السفينة في الدُّجى
فبكى عليه رفاقه وترحموا
حتى إذا طلع الصباح أتت به
نحو السفينة موجة تتقدم
قالت خذوه كما أتاني سالما
لم ابتلعه لأنه لا يُهضم

اسألك الصحبة

قيل: إن أعرابية حجت، فلما صارت بالموقف في عرفات، قالت: «أسألك الصحبة يا كريم الصحبة، وأسألك سترك الذي لا تُزيله الرياح، ولا تخترقه الرماح».

اجعله في مصر غير مصرنا

شكا بعض أهل الأمصار واليا إلى المأمون فكذبهم وقال: قد صح عندي عدله فيكم وإحسانه إليكم، فاستحيوا أن يردوا عليه، فقام شيخ منهم، وقال: يا أمير المؤمنين: قد عدل فينا خمسة أعوام، فاجعله في مصر غير مصرنا حتى يسع عدله جميع رعيتك، وتربح الدعاء الحسن.
فضحك المأمون واستحيا منهم، وصرف الوالي عنهم.

دعاء

اللهم أدم بفضلك نعمتك علينا، والطف بنا فيما قدرته علينا، وأعطنا من واسع رزقك الحلال ما تصون به وجوهنا عن التعرض لذل السؤال، أنت المعطي الوهاب الرزاق بغير حساب.

سيف الله المسلول
خالد بن الوليد

٢

إعداد الأستاذ / أحمد السيد تقى الدين

ويظل خالد بن الوليد إلى جانب رسول الله - ﷺ - واضعا كفاياته المتفوقة فى خدمة الدين الذى آمن به من كل يقينه.

وينتقل رسول الله - ﷺ - إلى جوار ربه ويخلفه أبوبكر الصديق - رضى الله عنه - فى سياسة الأمة وحراسة الملة.

ويجد الخليفة الراشد أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - نفسه فى مواجهة ردة عاتية. إذ ارتد عن الإسلام أحياء كثيرة من الأعراب.

ويصف ابن إسحاق حالة الجزيرة العربية آنذاك فيقول:

« ارتدت العرب عند وفاة رسول الله - ﷺ - ما خلا أهل المسجدين، مكة والمدينة. وارتدت أسد، وغطفان، وعليهم طليحة بن خويلد الأسدى الكاهن، وارتدت كندة ومن يليها، وعليهم الأشعث بن قيس الكندى، وارتدت مذحج ومن يليها، وعليهم الأسود العنسى، وارتدت ربيعة مع المعرور بن النعمان بن المنذر وارتدت حنيفة مع مسيلمة الكذاب، وارتدت سليم مع الفجاءة، وارتدت بنو تميم مع سجاح الكاهنة.

واشتعلت الأرض من حول المسلمين نارا، ويضع الصديق عينه لأول وهلة على بطل الموقف ورجل الساعة، أبى سليمان، سيف الله، خالد بن الوليد.

ويضع أبو بكر خططه لمواجهة الموقف، ويعقد الألوية لأحد عشر قائدا، كان المبرز فيهم هو خالد بن الوليد الذى قال الصديق فيه وهو يعقد له اللواء « سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: نعم

عبدالله وأخو العشيرة خالد بن الوليد، سيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين»[1]

ووجهه الصديق لقتال طليحة بن خويلد الأسدى وقومه من بنى أسد ومن حالفهم من غطفان وعبس وذبيان وجديلة والغوث وطىء فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة.

ونجح خالد في إخضاع بني أسد بعد أن الحق الهزيمة بطليحة وحليفه عيينة بن حصن الفزاري في معركة بزاخة، ثم سار إلى مالك بن نويرة اليربوعي بـ (البطاح).

ويُروى أن خالدا عندما تأهب للمسير إلى ديار مالك بن نويرة في البطاح أذن مؤذن خالد تنفيذا لأمر أبي بكر الصديق الذي يأمر فيه المسلمين إذا نزلوا منزلا أن يؤذنوا، فإن إذن القوم كف المسلمون عنهم، وإن لم يؤذنوا قتلوا منهم ونهبوا، فإن أجابوا بعد ذلك إلى داعية الإسلام سألوهم عن الزكاة، فإن أقروا قبلوا منهم، وإن أبوا قاتلوهم.[2]

وانتشر جند خالد في بني يربوع، ثم جاءوا إلى خالد بمالك بن نويرة، واختلفوا فيما بينهم: هل أقر مالك ومن معه بالإسلام وأجابوا داعية الأذان، أم أنكروا وتناكروا؟

وكان من الذين شهدوا بأن مالكا وقومه أقروا بالزكاة: أبو قتادة الأنصاري، وشهد غيره بأن القوم أصروا على منع الزكاة.

واسقط في يد خالد بين شهود النفى وشهود الإثبات، فأمر بحبس مالك وأصحابه حتى ينظر في أمرهم، وكانت ليلة باردة، فأمر خالد مناد ينادى على الحراس ويقول: «دافئوا أسراكم» وهو يريد الوقاية من البرد، ولكن هذه العبارة كانت في لغة قبيلة كنانة التي منها حراس مالك تعنى القتل، فقتلوهم، وتألم خالد مما حدث، وقال: «إذا أراد الله أمرا قضاه»[3].

خالد.. المفترى عليه

ويكثر اللغط حول قصة خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة، فاليعقوبي يذكر في تاريخه عن خالد فيقول: «أتاه مالك بن نويرة يناظره واتبعته امرأته، فلما رآها خالد أعجبته فقال: والله لانلت ما في مثابتك حتى أقتلك، فنظر مالكا فضرب عنقه وتزوج امرأته.[4]

ويذكر أبوالفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني، أنه لما تنبات «سجاح» اتبعها مالك، ثم أظهر أنه مسلم، فضرب خالد عنقه، فطعن عليه جماعة من الصحابة، لأنه تزوج امرأة مالك بعده، وقد قيل: إنه كان يهواها في الجاهلية، واتهم لذلك بأنه قتل مسلما ليتزوج امرأته من بعده[5].

هكذا يُقال عن خالد بن الوليد، وهو البطل الذي تجلت بطولته في التغلب على نفسه بعدما تغلب على كل أعدائه!!

(1) رواه أحمد

(2) البداية والنهاية (٦/٣٢٢)

(3) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/٢٤٣)

(4) (الصدّيق أبو بكر) لمحمد حسين هيكل (ص١٥٧)

(5) (الأغاني) [١٤/ ٦٤ : ٦٦]

يقول الدكتور إبراهيم شعوط[6]:

« وإذا نحن جمعنا ما رواه المسلمون في شأن خالد، وألقينا عليه نظرة فاحصة -وجدنا العجب العجاب في تناقض هذه الروايات بعضها مع بعض. مما يدل على أن الهوى والغرض كانا مسيطرين على أصحاب هذه الفكرة ليوصلاهم إلى هدم سمعة خالد بن الوليد، والتشكيك في عمق إيمانه بمبادىء الإسلام.

تعال معي نقرأ ما كتبه ابن الأثير في كتاب « الكامل » بعدما ذكر أن أبا بكر استقدم خالدا ليحقق معه في موضوع قتل مالك بن نويرة، فلما وصل خالد إلى المدينة دخل المسجد يرتدي قباء « عليه صدأ الحديد » وقد تغرز في عمامته أسهما. فقام إليه عمر بن الخطاب فنزعها وحطمها. وقال له: أرثاء، قتلت امرأ مسلماً ثم نزوت على امرأته؟ و الله لأرجمنك بأحجارك.

ثم قال بعد ذلك « إن متمماً بن نويرة « أخا مالك » قدم على أبي بكر يطلب دية أخيه، ويسأله أن يرد عليهم سبيهم فأمر أبو بكر برد السبي وودى مالكا من بيت المال » أ. هـ، ومعنى ذلك، أن خالدا قتل مالكا المسلم فأصبح مُدانا بقتله.

لكن، اقرأ الآتي، في ذات الصحيفة: « لما قدم متمم بن نويرة على عمر » بعد قتل أخيه « قال له عمر: ما بلغ بك الوجد على أخيك؟ قال: بكيته حولا، حتى أسعدت عيني الذاهبة عيني الصحيحة. وما رأيت ناراً قط إلا كدت أنقطع عليه أسفاً لأنه كان يوقد ناره إلى الصبح، مخافة أن يأتيه ضيف ولا يعرف مكانه. ثم قال عمر بعد ذلك: أنشدني بعض ما قلت فيه، فأنشده مرثيته التي يقول فيها:

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا
لطول - اجتماع - لم نبت ليلة معا

فقال عمر: هذا والله التأبين. لو كنت أقول الشعر لرثيت أخي زيدا، فقال متمم: لا سواء يا أمير المؤمنين.. لو كان أخي صرع مصرع أخيك لما بكيته، فرد عليه عمر بقوله: « ما عزاني أحد عن أخي بمثل ما عزاني به متمم ».

وفي رواية أخرى « لو أن أخي مات على ما مات عليه أخوك ما رثيته ». ففي كلتا الروايتين، شهادة ثابتة من متمم بن نويرة، أن أخاه مالكاً مات على غير الإسلام. ومع ذلك جاء يطلب ديته!!

ومع هذا وذلك، يقولون إن عمر قال لخالد: إنك قتلت امرأ مسلماً ونزوت على امرأته؟!

فأي خطل في الرأي، مثل هذا الخطل، الذي تبدو منه إرادة التجني على شخصية مسلمة، كان لها أمجاد في تاريخ الإسلام والمسلمين.. هي شخصية خالد بن الوليد؟!»

ويواصل سيف الله المسلول تنفيذ تكليفات خليفة رسول الله -ﷺ- بحرب المرتدين ومانعي

---

(٦) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ ص: ١٤٠، ١٤١.

الزكاة، حيث أرسله الخليفة لحرب مسيلمة الكذاب وقومه من بنى حنيفة بأرض اليمامة، حيث كانوا قد جيشوا أخطر جيوش الردة قاطبة، وكانت بعض جيوش المسلمين قد عجزت عن إخضاعهم.

ولم يكد مسيلمة يعلم أن ابن الوليد فى الطريق إليه حتى أعاد تنظيم جيشه، وجعل منه خطرا حقيقية وخصما رهيبا.

والتقى الجيشان.. نزل خالد بجيشه على كثيب مشرف على اليمامة، وأقبل مسيلمة فى خيلائه وبغيه.

وسلم خالد الألوية والرايات لقادة جيشه، والتحم الجيشان، ودار قتال رهيب.. سقط فيه شهداء المسلمين تباعا كزهور حديقة طوحت بها عاصفة عنيدة.

وأبصر خالد رجحان كفة أعدائه، فاعتلى بجواده ربوة قريبة، وألقى على المعركة نظرة سريعة عميقة، ومن فوره أدرك نقاط الضعف فى جيشه وأحصاها، رأى الشعور بالمسئولية قد وهن تحت وقع المفاجأة التى دهمهم بها جيش مسيلمة، فقرر فى نفس اللحظة أن يشد فى أفئدة المسلمين جميعاً زناد المسئولية إلى أقصاه، فمضى ينادى: «امتازوا لنرى اليوم بلاء كل حى».

وامتازوا جميعا.. ومضى المهاجرون تحت رايتهم والأنصار تحت رايتهم.. وهكذا صار واضحاً تماما من أين تجىء الهزيمة حين تجىء، واشتعلت الأنفس حماسة، واتقدت مضاء، امتلأت عزما وروعة.

وفى دقائق معدودة تحول اتجاه المعركة، وراح جنود مسيلمة يتساقطون بالعشرات فالمئات فالألوف.

لقد نقل خالد حماسته وروحه إلى جنوده، وتلك كانت احدى خصال عبقريته الباهرة[٧].

وقُتِل مسيلمة الكذاب، وملأت جثث رجاله وجيشه أرض القتال..

وبوجه عام يمكن اعتبار خالد بن الوليد هو بطل حروب الردة حيث أوقعت انتصاراته الرعب فى قلوب قادة حركة الردة حتى أن بعضهم أذعن بلا حرب.

فاتح العراق

ولما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة، بعث إليه الصدِّيق أن يسير إلى العراق، ذلك أن الخليفة الراشد أدرك بفطنته وبصيرته ما القوى الشر الجاثمة وراء حدود بلاده من تهديد لدولة الإسلام مثلته إمبراطوريتا الفُرس والروم.

ومضى خالد إلى العراق ليستهل عمله بكتاب أرسله إلى جميع ولاة كسرى ونوابه على ألوية العراق ومدائنه جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم

من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس..

سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد، فالحمد لله الذى فض خدمكم، وسلب ملككم، ووهن كيدكم. من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم، له مالنا، وعليه ما علينا.

---

(٧) خالد محمد خالد (رجال حول الرسول) ص٢٩١، ٢٩٢.

إذا جاءكم كتابي فابعثوا إليّ بالرُّهُن واعتقدوا منى الذمة وإلا فوالذى لا إله غيره لأبعثن إليكم قوما يحبون الموت، كما تحبون الحياة»(8).

فلما قرأوا الكتاب أخذوا يتعجبون.

ودخل خالد العراق من أعاليها، وكان كل همه أن يتألف الناس البسطاء، يدعوهم إلى الله -عز وجل- فأقبل عليه الضعفاء والمستعبدون، خاصة بعد أن علموا بأوامر خالد إلى جنوده:

«لا تتعرضوا للفلاحين بسوء، دعوهم فى شغلهم آمنين.. إلا أن يخرج بعضهم لقتالكم، فآنئذ قاتلوا المقاتلين»(9).

واجتاح خالد جيوش الفُرس وتوالت انتصاراته مع ساعده الأيمن (القعقاع بن عمرو التميمى) فلم يثبت فى مواجهته أحد، وتصل إلى المدينة بمواقعه فى: فرج الهند، والمذار، والولجة، وأليس، وأمغيشيا، والأنبار، والحيرة، وتصل إلى المدينة أخبار انتصارات خالد ويكبر الصديق ويقول قولته المشهورة: «يا معشر قريش.. عجزت النساء أن ينشئوا مثل خالد»(10).

على أن خالدا ارتكب ما استحق عليه اللوم من الخليفة ذلك أن خالد بن الوليد سار فى عدد من رجاله وقصد شطر المسجد الحرام، وسار إلى مكة فى طريق لم يُسلك قبله قط، حتى انتهى إلى مكة فادرك الحج، ثم عاد إلى موقعه فى الحيرة، ولم يعلم بحج خالد أحد من المسلمين لا من رجاله فى العراق ولا الخليفة الذى لم يعلم إلا بعد أن عاد الحجيج من الموسم فبعث يعتب عليه فى مفارقته جيشه ورفض الاستجابة لإلحاح عمر بن الخطاب عليه فى عزله وقال قولته المشهورة: «لا أشيم سيفا سله الله على الكفار»(11).

وكانت انتصارات المسلمين بقيادة سيف الله المسلول خالد بن الوليد على الفُرس فى العراق بشارات بحدوث مثلها فى الشام حيث جيَّش الخليفة الجيوش وجعل على رأسها نفرا من أعلام الصحابة: خالد بن سعيد بن العاص، ويزيد بن أبى سفيان، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعمرو بن العاص، وأعد الروم لمواجهة هذه الجيوش جيشا قوامه مائتى ألف مقاتل وأربعين ألفا.

وبعث قادة جيوش الشام إلى الخليفة يعلمونه بحشود الروم وحاجتهم للمدد فقال الصدِّيق: «والله لأشغلن الروم عن وساوس الشيطان بخالد ابن الوليد»(12).

وكتب إلى خالد بالعراق ليتقدم إلى الشام فيكون الأمير على من به، فإذا فرغ عاد إلى عمله بالعراق.

[يتبع]

---

(8) البداية والنهاية (6/ 386).

(9) المصدر السابق.

(10) تاريخ الأمم والملوك (4/ 7).

(11) تاريخ الأمم والملوك (4/ 7)، البداية والنهاية (6/ 396، 397).

(12) البداية والنهاية (7/ 7).

المفكر الإسلامى المعاصر

الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الأزهر رائد أصالة الفلسفة الإسلامية

للأستاذ / محمد مصطفى البسيونى

بالرغم مما أداه الشيخ مصطفى عبد الرازق من جهد عظيم، وما أسداه من فضل كريم فى سبيل إحياء الفكر الإسلامى وبعث الفلسفة الإسلامية والدفاع عن أصالتها وعراقتها، فإننا لا نكاد نرى بحثا وافيا أو قولاً ضافيا عن هذا المفكر المعاصر الكبير غير شذرات هنا وهناك تأخذ طريقها على استحياء - كاستحياء مصطفى عبد الرازق فى حياته - فى سطور معدودات ضمن كتب تلاميذه الذين قدروا له الفضل وعرفوا له الحق وقليل ما هم.

وإن المكتبة العربية والإسلامية -على سعتها وغناها- لتفتقر افتقاراً شديداً إلى كتاب منتظر عن شيخنا الفيلسوف فلا يكفى أن نقرأ عن رائد الفلسفة الإسلامية فى القرن العشرين بضع سطور كتبها شقيقه على عبدالرازق ليقدم بها آثار أخيه العظيم وكأنه -فى حياء جم- أراد أن يقدم بها أخاه لا أن يقدم آثاره حين رأى الآخرين الذين عاشوا على فكره قد انصرفوا عن ذكره.

والمتصدى لكتابة مثل هذا البحث المقترح لا شك ملاق من المشقة والعسر الشىء الكثير؛ لأنه سيقدم على خضم هائل ومحيط فياض لا يستقيم مع أمواجه الزاخرة إلا ربان ماهر جرىء، فقد كانت حياة الرجل خطوة كبيرة فى طريق شاقة وعرة المسالك وهى طريق الإصلاح التى حمل لواءها فى الشرق فى العصر الحديث جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده.

ومثل هذا البحث -إن كتب له الظهور- سيأخذ بأيدي أبناء هذا الجيل إلى قمة شاهقة وذروة سامقة تشرئب إليها الأعناق الطموح وسيضعهم أمام مثل أعلى في الفكر الرشيد، ولا غرو فهم إزاء أستاذ مفكر يتعشق الأدب ويتعمق الفلسفة ويتدفق بالعلم ويتفقه في الدين.

وقد اجتمعت عوامل كثيرة وتكاملت عناصر شتى فكان لها الأثر الكبير في حياة مصطفى عبدالرازق إذ نشأ في بيت يرتاده رواد العلم، ويستبق إليه فرسان الفكر، ويزخر كل يوم بزعماء القلم ورجال السياسة، فلكم شهد هذا البيت الماجد من الندوات الأدبية، والحلقات الدينية والمسائل السياسية ما كان له الأثر البيّن في الحياة الفكرية والسياسية في مصر آنذاك.

ولله در أستاذنا المرحوم الشاعر «السيد حسن القاياتي» عندما يصف ذلك البيت الرازقي العريق فيقول:

إن تغلُ أســــرةُ نابه

فتعرفوا منْ والداها

للدين بيتُ ثقافةٍ

للجامعات وما بناها

وكان هذا المنزل ذا طابع فريد بين منازل العلية من أبناء الذوات، يرده للطربش والمعمم والمقبع، ويفد إليه الشرقي والغربي ليتحدث الجميع بما يحسون، ويريدون، ومصطفى عبدالرازق -وأخوه عليّ كذلك- نظام هذا العقد المختلف الحبات، فإذا أعلن رجل محافظ تشدده في فتوى، وخالفه آخر متحرر مخالفة صريحة، وتباينا في وجهة النظر فإن مصطفى ليحاول أن يوفق بين المتباعدين بالرأي حينا وبالابتسامة حينا آخر حتى شبّه الأديب الكبير عبدالعزيز البشري ندوة الرازقيين ببرج بابل تختلف فيها الألسنة دون أن تتلاطم الأكف.

ولم يُمنح «مصطفى» هذه السعة في النظر عفوا، بل كانت وليدة ثقافة عربية تليدة كسبها من الأزهر الشريف والجامعة المصرية القديمة وثقافة أوربية طريفة أخذها من مقامه بفرنسا وفي جامعاتها حيث فتح عينيه على منافذ واسعة الرحاب وهاجة الضياء.. ولك أن تعلم أن من بين أساتذته الفرنسيين إمام علم الاجتماع في عصره «إميل دوركايم» وقد استمع إلى محاضراته، ونهل من منهله. ثم أتيح له أن يعب من منبع جديد، فدرس الأدب الفرنسي وتاريخ الفلسفة على العلامة «جوبلو» في مدينة «ليون».. فناهيك بتلميذ أستاذه في الشرق محمد عبده، خليفة جمال الدين الأفغاني وأستاذه في الغرب دوركايم خليفة أوجيست كونت.

ولك أن تعلم كذلك أنه اشتغل مع الأستاذ «إدوار لامبير» بدراسة أصول الشريعة الإسلامية، وألقى دروسا في اللغة العربية بجامعة «ليون» خلفا للأستاذ «جاستون فييت» وأعد رسالة للدكتوراه موضوعها «الإمام الشافعي أكبر مشرعي الإسلام».

ولعل من شرف هذا البيت الرازقي أن يكون في طليعة رواده إمام الجيل الشيخ محمد عبده، وهو الصديق الحميم لعميد الأسرة «حسن باشا عبدالرازق» يزوره من حين إلى آخر فيلتف حوله المريدون ينهلون من فكره الإصلاحي ما يملأ نفوسهم همة، ويلهب عواطفهم حماسا، ويشيع في قلوبهم أملا ونورا.

وكان «مصطفى» الفتى الأزهري يجلس إلى الأستاذ الإمام فيمن يجلسون وينصت له فيمن ينصتون، ويحرص الحرص كله على أن يكون

مكانه قريبا دائما من مجلس الشيخ الجليل علّه يرتوى أو يشبع، وهيهات فقد فُطر على نهم.

وإذا بأفكار الإمام تجد فى ذهن الناشئ المتفتح زنداً وقاداً فتشتعل وتصادف فى روحه إيمانا راسخا فتعمل، وإذا بما اشتعل فى الذهن واعتمل فى الروح يتحول إلى جذوة ذاكية تتقد فتضيء.

وفى هذا يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق: «إن الإمام قد اختار لى طائفة من الكتب لأطالعها فى أوقات فراغى» ثم يستطرد «على أن فضل الأستاذ الإمام ليس مقصورا على هذا الجانب وحده فقد كان لتشيعى بمبادئه وتشيعى لها أثر كبير فى حياتى العملية».

وحين انتقل «الإمام» إلى الرفيق الأعلى أورث رحيله الفاجع حسرةً فى كل قلب وخلّف ألما فى كل نفس، ولعل مصطفى قد شقى بالنصيب اللاذع من الحسرة، والقدر الممض من الألم، فظل يعانى منها برحا لاهبا، إذ كان من ألصق الناس للإمام وأقربهم إليه، وقد عبرت هذه المعاناة عن نفسها فى صورة سلسلة محاضرات ألقاها التلميذ البار عن أستاذه العظيم فى جامعة الشعب التى عمل على إنشائها، وهى المحاضرات التى نشرت فيما بعد فى كتاب سنة ١٩٤٥.

وحين تقرأ ترجمة «مصطفى» الضافية للإمام تحس مدى إعجاب التلميذ بالأستاذ، ذلك الإعجاب الذى يجعل من هذه الدراسة عملا له قيمته الكبرى.

حدثنى أحد تلاميذ مصطفى عبدالرازق -يوم أن كان تلاميذه خمسة فقط فى قسم الفلسفة بكلية الآداب- أنهم كثيراً ما كانوا يسألونه ويلحون عليه فى السؤال «لماذا لا تطبع هذه المحاضرات فى كتب؟ بل لماذا لا تؤلف الأسفار وأنت بهذا خليق؟» فكان الرجل يجيب فى بساطة معبرة وإيجاز مبين «إننى لست مؤلفا ولكننى مجرد قارئ جيد»!!

ولعل هذا الخلق الرازقى من أهم الأسباب التى حرمت المكتبة العربية والإسلامية من مؤلفات عدة كان يمكن أن تحتل المكان البارز المرموق بين أمهات الكتب بدلاً من هذه المحاضرات «الرازقية» المتناثرة التى صُنع لكل طائفة منها غلاف.

ثم يزداد عجبك ويشتد إعجابك عندما تقرأ قوله فى مقدمة هذه المحاضرات -وقد استوت كتاباً- على ما فيها من قوة العرض، وخصب المادة، وحدة الموضوع، ووضوح الجهد «هذا وقد كنتُ أيام اشتغالى بتدريس الفلسفة الإسلامية، وتاريخها فى الجامعة المصرية معنيا بدرس هذه الموضوعات واستكمال بحثها ودوّنتُ فيها صحفا طويتها على غرها منذ تركت الجامعة فى صدر سنة ١٩٣٩ وصرفتنى الشواغل عنها. واليوم أعود إلى هذه الصحف لأنشرها كما هى بصورتها يوم كتبت من غير تنقيح ولا تعديل، وفى صياغتها التعليمية التى تراعى حاجات الطلاب إلى مراجعة النصوص الكثيرة وحسن التدبر والفهم للأساليب المتفاوتة، وإن لم يخف ذلك عن ذوق المطالعين جميعا، وأرجو أن يكون فى هذه الصفحات عون لباحث أو فائدة لقارئ».

وهى سطور تحمل من المثل الأسمى والخلق الأسنى ما لا يحتاج بعد إلى تعليق.

وبعد، فإن الشيخ مصطفى عبدالرازق شخصية غنية بالمقومات الباهرة والعناصر النادرة، وليس بالأمر اليسير أن يلم الكاتب بها جميعا فى مقال أو كتاب، ولكن حسبنا هنا أن تناولنا جانبا من هذه الشخصية الزاخرة ليكون إشارة الجزء اليسير إلى الكل الوفير، ودليل النبتة الفيحاء على الروضة الغناء.. وهذا هو الجانب الفكرى عند شيخنا

الجليل إذ حول فكر المرء تدور معالم شخصيته منجذبة إليه كما تدور الكواكب حول الشمس.

ولعله من الإنصاف أن نذكر المسلمين في العصر الحديث بأن الشيخ مصطفى عبدالرازق كان «الباشا» الوحيد الذي تنازل عن رتبة «الباشوية» التي تقلدها عندما كان وزيرا للأوقاف، وذلك عندما أصبح شيخا للأزهر متسقًا في هذا مع إيمانه الديني، وروحه الخلقي وذلك في وقت كان الناس فيه يهرولون لاهثين إلى الرتب والألقاب.

وما أصدق «القاياتي» عندما يتغنى بخصال صديقه «مصطفى» بعد أن فارق الحياة:

يا مصطفى أملَ الحجا
في أمة خطبت حجاها
فتكتْ بنفسك عزةٌ
كالنار يُتلفها لظاها

ولم يكن إعجاب «مصطفى عبدالرازق» بـ«محمد عبده» إعجاب الانفعال المؤقت أو العاطفة اللاهية، وإنما كان إعجاب العقل بالعقل وتعلق الفكر بالفكر ولعل هذا هو الذي دفع بالرازقي الشاب -بعد أن صار ذا سهم وافر في دراسة الفلسفة وتدريسها- إلى أن ينقل صوت أستاذه إلى اللسان الغربي إيمانًا منه بفكر الإمام، واقتناعًا برسالته، وتخليدا ووفاء لذكراه، وذلك حين ترجم «رسالة التوحيد» إلى الفرنسية مع الأستاذ «برنار ميشيل» حيث ظهرت هذه الترجمة في باريس سنة ١٩٢٥.

هذا إلى أن بيتا كالبيت الرازقي خليق بالنبل الكريم لأنه قام على خير عماد، فلقد كان القضاء الشرعي -وهو كل القضاء حينذاك- ميراثًا في الجدود في البهنسا بمديرية المنيا التي ولد «مصطفى» في إحدى قراها «أبوجرج» وكان آخر هؤلاء القضاة جدهم الشيخ «أحمد عبدالرازق».. وليس من شك في أن «مصطفى» قد سار سيرة آبائه ونهج نهجهم ونحا منحاهم فضرب في الحياة الفكرية بقسط عظيم وفتح داره لأئمة الدين وفحول الأدب حتى لقد قيل «إن الحياة الأدبية منذ مطلع القرن العشرين كانت تتميز بوجود صالونات أدبية كثيرة منها بنوع خاص تلك التي كانت في منزل «مصطفى عبدالرازق».

ثم أليس هذا الصالون الحافل والنادي الآهل هو الذي عناه السيد «القاياتي» عندما قال، وهو يرثي صديق عمره «مصطفى عبدالرازق»:

في هَدْيِ طه يعتلي   ناديك أم في عِلْم طه؟

ومع كرم الأرومة لعب نبل الأمومة دورا أساسيا في نشأة شيخنا الكبير، ولسنا هنا نرسل القول جزافًا فقد كان الرجل نفسه يتحدث أحيانًا عن أقوى عناصر تكوينه فيذكر أمه الرءوم ذات الخلق الرحيم الحازم التي كان لها الأثر الفعال في ابنها الفاضل، وعاداته، وهو يرجع إليها في ذلك رجوع الفرع إلى أصله، والماء إلى جدوله.

وهكذا تفاعلت عوامل الوراثة والبيئة فكشفت عن شخصية متوثبة طموح تعرف طريقها تماما إلى مكان الصدارة، والتفرد في أكرم الميادين، وتتخذ من الفكر الناضج الوهاج نبراسا لا يضل، ومشكاة لا تخبو، وطاقة لا تضعف، فهو في ميدان الفلسفة أستاذها الأول في الجامعات العربية المعاصرة، حيث كان صوته يسري في أروقة كلية الآداب هادئ النبرات مع دمامة الموضوع، وحساسية الشعاب، ودقة التجريد، يطوف مع رواد الفلسفة الإسلامية من أمثال: الفارابي وابن سينا والكندي وابن رشد متنقلا

من رحابهم إلى من سبقهم من رواد الفلسفة اليونانية مثل: سقراط وأفلاطون وأرسطو فيصطنع منهجاً فذا في المقارنة يتسم بالموضوعية الأمينة والنقد النزيه.

ولو تحدث المدرج الرحيب الذى يحمل اليوم اسم مصطفى عبدالرازق فى كلية الآداب العريقة إذن لوصف شيخه وهو مقبل على تلاميذه فى بداية كل درس فى وقاره الجم وهندامه الفخم فيضع عمامته المضيئة الناصعة على المنضدة المستطيلة، ويضع إزاءها ساعته الدقيقة الأنيقة وكأنه بهذا يشير إلى تقديس العلم وتقدير الزمن فى آن.. حتى إذا بدأ حديثه كنت أمام مصباح وهاج تستضىء به إلى الحق وتستشرف إلى الخير، وتهتدى إلى الجمال.. ويا لها من مثل عظمى، وقيم كبار.. ثم هو بعد ذلك لا يدّعى -على علمه الغزير- علما، ولا ينسب إلى نفسه حكمة أو فضلا حتى لتخاله الفيلسوف اليونانى الأشهر «سقراط» عندما يقول «إنى لا أعرف شيئا إلا شيئا واحداً هو أنى لا أعرف شيئا» وهذا مثل فى الأخلاق والمعرفة نادر كريم مما حدا بتلاميذ «عبدالرازق» إلى أن يطلقوا عليه لقب «الفيلسوف الكامل».. وهو كذلك..

ولقد هال «مصطفى عبدالرازق» أن يرى غالبية الغربيين والمستشرقين، بل وبعض الكتاب المسلمين المحدثين يدّعون أن الفلسفة الإسلامية عالة على الفلسفة اليونانية وأن فلاسفة المسلمين ما هم إلا نقلة فقط ومترجمون عن فلاسفة اليونان.

فطفق يعارض هذه الفكرة بقوة ويقين، وبهذا أنشأ المدرسة الإسلامية الحديثة التى كان هو أستاذها دون منازع، والتى جاء فيها بمنهجه الجديد يلتمس به منشأ التفكير الإسلامى الفلسفى فى كتابات المسلمين أنفسهم، فخلص من دراسته للإمام الشافعى -رضى الله عنه- مثلا، ولرسالته فى «الأصول» إلى أن الشافعى يفلسف فى أصول الفقه وما يتصل به من مشكلات دينية، وما يرتبط به من استنباط الأحكام من النصوص، وبهذا وجه مصطفى عبدالرازق اهتمام الدارسين إلى ضرورة البحث عن الفلسفة الإسلامية الخالصة فى مظانها الأصيلة التى تنبع من الدين الإسلامى الحنيف، وتدور حول العقيدة الخالصة.. وقد أشاع بهذا نورا باهرا حول ناحية جديدة فى الفكر الإسلامى اعتبرها بعض الباحثين فيما بعد معبرة عن الحضارة الإسلامية كلها.

ولك -بل عليك- أن تقرأ المحاضرات الشتى التى ضمنها أستاذنا عبدالرازق منهجه ذلك، والتى جُمعت بعد ذلك فى كتاب «تمهيد فى تاريخ الفلسفة الإسلامية» حيث أبرز عبقرية الفلسفة الإسلامية الكامنة فى كتب فلاسفة الإسلام وحجج المتكلمين، ومناهج الأصوليين.

وليس من شك فى أنك عندما تتأمل اسم هذا الكتاب فسوف تدرك مدى التواضع والحياء، ومدى الإحساس العميق بمسئولية الكلمة والفكرة، والحرص الشديد بين يدى موضوع له خطره كأصالة الفلسفة الإسلامية إذ بينما نقرأ فى عنوان الكتاب أنه «تمهيد» فى تاريخ الفلسفة الإسلامية إذا بنا نرى أنفسنا فى بطن الكتاب وقد قطع بنا مؤلفه فى جوهر الموضوع شوطا كبيرا، وأمدا بعيدا.. فيا لها من أمانة علمية، ويا له من منهج أخلاقى رفيع يرسمه مفكر رائد لناشئة الكتاب، ويصوب به منهج أدعياء البحث من ذوى الأقلام المغموسة فى مداد الصلف والغرور.

غير أنك تقف من هذا على حقيقة هامة فى تفكير «مصطفى عبدالرازق» وهى الأمانة فى البحث إلى درجة الشعور بالتقصير حتى وهو يخرج على الناس بفكر جديد فى دراسة الفلسفة الإسلامية لم يسبق إليه.

الدكتور عبد الحميد الطنطاوي

(١٩٢٩ - ٢٠٠١)

وكانت في حياتك لي عظات   وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أبو العتاهية

انتقل إلى رحمة الله - أستاذ جليل من أساتذة قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالمنصورة هو الدكتور عبدالحميد الطنطاوي بعد أن قدم عطاء جزيلا في كل عمل زاوله إذ كان ممن يعتمد عليهم في أدق المسائل، وأصعب الأمور، لكفاءة خلقية نادرة في خبرته بالناس، ودراسته للمجتمع واهتدائه لأسباب التيسير والخلاص.

بدأ حياته العلمية بعد تخرجه من كلية اللغة العربية مدرسا بالمدارس الأميرية، فأبدى نشاطا ملحوظا رشحه لأن يكون صاحب الرأي الأول في كنترول الشهادة الثانوية بالمنصورة، فكان يجمع في يده من المهام ما يتفرق جهده على عدة زملاء، فيقوم بواجبه الضخم على أحسن ما يرتجى من أسلوب، وقد بلغ من إخلاصه في هذا النطاق أنه كان يواصل الليل بالنهار أيام التصحيح دون أن يذهب إلى منزله، حريصا على أن يتم العمل على أحسن وجوهه، وهذا ما شهد به عارفوه ومرافقوه في هذا العمل الشاق، وقد عرضه هذا العناء المتواصل لمرض متقطع فلم يعبأ به، وواصل العمل الدءوب.

وحين صار مديرا لكلية اللغة العربية بالمنصورة، أكد صلته بمرءوسيه، فكان لا يدخر جهدا في إسداء نصائحه إليهم مع حرصه على توثيق الصلة الأخوية بينهم وبينه، حيث

كان يزورهم فى منازلهم مستمعا إلى ما يهمهم من مشكلات الحياة ليجدوا الحل لديه، وكانت خبرته الاجتماعية بالأسواق والمتاجر ومرافق الحياة تسهل له أن يرشدهم إلى حلول ميسرة تعود عليهم بالنفع، أما دقته البالغة فى مباشرة العمل صباحا قبل طلوع الشمس حتى تغلق الكلية أبوابها، فمما تحدث به الناس جميعا، إذ قل من يهتم هذا الاهتمام الحريص ممن تولوا إدارة الأعمال، فقد كان يفترض بينه وبين نفسه أنه فى عمله الوظيفى يباشر عملا خاصا لنفسه، ولو تمكن هذا الشعور لدى كل موظفى الدولة لسارت الأمور على أحسن ما يرجى لها من انتظام، والعجيب أنه مع هذا الجهد كان يظن أنه لم يستوف عمله الإدارى كما يجب أن يكون، وحين انتقل إلى هيئة التدريس، كانت جهوده العلمية ذات قدر ملحوظ، فقد كتب رسالة الماجستير عن «الفلسفة فى شعر الزهاوى» ورسالة الدكتوراه «عن المختارات الشعرية فى العصر العباسى» ثم والى بحوثه الأدبية عن أبى إسحاق الصابى وإسماعيل صبرى، وفؤاد بليبل، وعلى الجارم، وقضايا أحمد أمين وعبدالوهاب عزام، ومن أبدع ما تم له فى هذا المجال بحثه الدقيق عن شعر على بن أبى طالب، وما نسب إليه مما لم يقله، هذا غير مذكراته السنوية فى النصوص الشعرية، وقد وجدت من الأساتذة من يحرص على اقتنائها، ويسأل عنها فى إلحاح حين لا يجد بعضها فى مكتبته، مما يدل على قدرها العلمى المكين، ولم يكن يتهافت على الإشراف على الرسائل الجامعية لرغبة مادية، بل كان يتنازل لغيره مؤثرا إياه على نفسه، وإذا كان الموت غاية كل حى، فإن ما قدمه الدكتور عبدالحميد الطنطاوى فى الميدانين الاجتماعى والعلمى سيبقى له أثرا خالدا وذكرا عاطرا بين عارفى فضله، وهم كثيرون كثيرون، رحمه الله وأكرم مثواه، ومجلة الأزهر إذ تنعاه للعالم الإسلامى إنما تشيد بالعاملين من علمائه وما عند الله أوفى وأجزل.

(أبو حسام)

إسرائيل من الداخل

أيها القارئ الكريم، تحت هذا العنوان وبإذن الله ـ تعالى ـ سوف تقدم لك ، مجلة الأزهر، فى غرة كل شهر عربى موضوعاً عن إسرائيل فى محاولة لإلقاء الضوء على هذه الجماعة وسبر الغور للعقلية الصهيونية المعاصرة، وأنها ليست إلا نتاج تراكمات مضى عليها أجيال عديدة حتى تمخضت عنها هذه النوعية الموجودة الآن، وسوف نتجول بين لغتهم وأدبهم وفرقهم الدينية والعنصرية وصورة العربى فى أدبهم، وكذلك الدين الإسلامى الحنيف كما سنتعرض لمكائدهم عبر التاريخ.

المجتمع الإسرائيلي

٢

للدكتور / محمد حسن عبد الخالق (*)

إن اعتمادنا على الوثيقة الأدبية العبرية وليس على التراجم هو طريقنا في سبر غور العقلية اليهودية في تعاملها مع العرب، فإن إلقاء الضوء على هذا الكيان الاجتماعي، والتعرف على مواطن قوته وضعفه، إرهاصات الأمس وإفرازات الغد، وربط الماضي بالحاضر، ونظرته إلى العرب والإسلام، من خلال ما يعتقدون ويفكرون ويكتبون مع أننا كعرب لسنا في صراع مع اليهودية أو أي من الأديان السماوية أو حتى غير السماوية في العالم أجمع، عكس ما تدعيه الصهيونية.

وإن إسرائيل هي نقطة التقاء العديد من الاتجاهات الثقافية والتراثية واللغوية وهي تتميز بالصراع الطبقي والعرقي لأسباب أيديولوجية عديدة.

ومصطلحات الحوار الأدبي سياسية بالدرجة الأولى، والسياسة جوهر أي نقاش، والمجتمع اليهودي في فلسطين هو مجتمع تؤرقه المشاكل التي يصعب حلها. منذ عاش اليهود مشردين في جميع الدول الأوروبية التي آوتهم، ولم ينعم بالأمان منهم إلا من عاش في أحضان الدول الإسلامية، حيث يقول (شاهين بك مكاريوس): «ولم يصادف اليهود في أوروبا وغيرها من حُسن المعاملة مثل معاملة المسلمين»[١] وهم يؤمنون بأن العالم أجمع يكرههم لأنهم –في زعمهم– شعب الله المختار، وأن الله – سبحانه وتعالى – خاص بهم وحدهم.

حيث يقولون:

«إن العالم أجمع يكرهنا، لأن الله قد خصنا بميزتين، لأننا شعبه المختار، ألا وهما: الذكاء والدهاء»[٢].. ويقصدون.. بالدهاء استخدام جميع الحيل الخبيثة والوضيعة للوصول إلى أغراضهم.

وقد أضفوا القداسة على كل ما يتعلق بهم:

الشعب المقدس. الأرض المقدسة. اللغة العبرية المقدسة.

والصراع أصبح سمة لهذا المجتمع، صراع بين يهود الشرق ويهود الغرب. صراع بين يهود

(*) دكتوراه في الأدب العبري.

(١) شاهين بك مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين، مطبعة المقتطف ١٩٠٤ ص٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٢.

الشرق أنفسهم، صراع بين الدين والعلمانية . بين اليمين واليسار، بينهم جميعا وبين العرب .

وقد خلق هذا الصراع توترا انعكس على كافة مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية كما أن خرافة النقاء العنصري التي تروج لها الصهيونية لا أساس لها من الصحة وأن اليهود حافظوا على نقائهم العرقي، ولم يختلطوا بالأجناس البشرية والشعوب الأخرى والدليل على هذا أن يهود البلاد العربية «يهود الشرق» يشبهون أهل البلاد التي عاشوا فيها من الناحية الجسمانية والمظهر العام، كانوا عربا في كل شيء عدا الدين، ويهود الغرب «الأشكنازيم» يشبهون أيضا أهل البلاد التي عاشوا فيها ويهود الحبشة يشبهون الأحباش، والجميع يتحدث بلغة الأماكن التي عاشوا فيها، وكانوا لا يعرفون عن العبرية إلا كلمات بسيطة تستخدم في الصلوات مع العلم بأن يهود الغرب علمانيون، أما الأكثر تدينا فهم يهود البلاد العربية، تأثرا بالعرب الذين خالطوهم وآووهم وأكرموا وفادتهم .

ومن الثابت تاريخيا أن اليهود كانوا قوما رحل : تزاوجوا مع غيرهم من الشعوب فالمجتمع الإسرائيلي في فلسطين المحتلة عكس ما تدعيه أبواق الصهيونية- هو مجتمع غير متناسق تطحنه المشاكل التي يستعصي حلها .

وقد بذل الساسة والأدباء والإعلام جهودا مضنية ومازالوا يحاولون جاهدين توحيد الطوائف على اعتبار أن «إسرائيل» هي البوتقة التي يجب أن ينصهر فيها هذا الخليط غير المتجانس .

ولسنا نتجنى عليهم فهناك العديد من الكتب والمراجع العبرية تحمل عناوين عن التوترات الطائفية في شعب إسرائيل .

وقد ظهرت هذه التوترات جلية بعد الالتقاء في مكان واحد ألا وهو فلسطين .

وينقسم المجتمع اليهودي في إسرائيل إلى ثلاث مجموعات كبيرة، هم : يهود الغرب «الاشكنازيم» . واليهود السفارديم . واليهود الشرقيين وهم يهود البلاد العربية - بالإضافة إلى العرب . يهود الحبشة .

١- يهود الغرب : ومعظمهم يهود من أصل أوروبي . ممن فيهم أولئك الذين كانوا قد هاجروا إلى أمريكا الشمالية والجنوبية، واستراليا والمانيا وبولنده وكانت لهم اليد الطولى في إنشاء المجتمع الصهيوني، ومن بينهم تكون الجيل الأول من الزعامة الإسرائيلية .

٢- يهود السفاراد «سفارديم» :

وهم أحفاد اليهود الذين طردوا من أسبانيا والبرتغال في نهاية القرن الخامس عشر . وقطنوا تركيا ودولا أوروبية مختلفة في مقدمتها هولندا وإيطاليا، وبلغاريا واليونان .

٣- يهود الشرق :

وهم يهود الأقطار الإسلامية في شمال أفريقيا والشرق الأوسط .

٤- يهود الحبشة :

وهي جالية متهودة، بذلت الصهيونية جهودا مضنية لهجرتهم في عام ١٩٨٤ حيث هاجر حوالي ١٥ ألفا «عملية موسى» وفي عام ١٩٩١ حضر الباقون ١٤ ألفا جوا «عملية سليمان»

أما بقية المجتمع في فلسطين فتمثلهم جنسيات أخرى، مثل العرب وهم أصحاب الأرض الشرعيين، ويمثلون حوالي ٧٦٪ من هذه الجنسيات .

[يتبع]

الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية للمفكر الفرنسي رجاء جارودي عرض تحليلي ناقد

للأستاذ الدكتور/ ابراهيم عوضين

مجلة الأزهر عزيزة علينا. طلبت إليّ أن أعود معه إلى ما كنت بدأته فى مجلة الأزهر سنة ١٩٨٦ بتقديم دراسة تحليلية، عن كتاب أختاره فى كل عدد. فلم أتردد فى الاستجابة لما طلب، راجياً من الله التوفيق والعون.

وبعد بحث ونظر رأيت أن أبدأ بكتاب «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» فالمناسبة ماثلة، والحاجة ملحة للتعرف على ما يتعلق بالسياسة الإسرائيلية، خصوصا إذا كان مصدرها مفكرا فى دقة رجاء جارودى، وأمانته وسعة اطلاعه، وجرأته فى قول الحق واعتناقه، تلك التى كان من أبرز مظاهرها اعتناقه الإسلام، بعد أن كان من ألد خصومه، حيث كان منذ شبابه عضواً بارزاً فى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفرنسى، فلما اهتدى إلى الإسلام، وعرف حقائقه، وذاق حلاوته حمل أمانة الدعوة إليه، والدفاع عنه بين أبناء أمته فى فرنسا وغيرها من الدول الأوروبية، مستهينا بما لاقاه فى هذا السبيل من اضطهاد وحروب متعددة المظاهر، قادها ضده كثيرون من مثقفى الغرب.

والكتاب الذى بين أيدينا ترجمه من الفرنسية إلى العربية ونشره مؤسسة «دار الغد العربى للنشر بالقاهرة» وصدرت الطبعة الأولى منه سنة ١٩٩٦ ست وعشرين ومائتى صفحة من القطع الصغير، مصدرا بمقدمتين بينهما تنويه من المؤلف:

جاءت أولى المقدمتين تحت عنوان: (كلمة الناشر) للتعريف المجمل بالمؤلف والكتاب، والدوافع التى أغرت بتقديم هذا الكتاب،

مع جـــارودي

وبعد كلمة الناشر رأى المؤلف أن ينبه القارىء إلى مدى هيمنة الصهيونية على السياسة العالمية، وتمكنها من دفة الحكم في البلاد ـ خصوصا الأوروبية والأمريكية منها ـ فذكر في تنويهه أن أكبر دور النشر في فرنسا ظلت تصدر كتبه على مدى أكثر من نصف قرن، فلما تجاسر على الصهيونية وكتب في نقد سياستها سنة ١٩٨٢ تنكرت له دور النشر جميعها، ورفضت كتبه، وبلغت الكارثة ذروتها، فأعادت فرنسا دولة النور والحرية، إلى عصر نابليون الثالث بصدور قانون (جيو فابوش) في ١٣ من يوليو سنة ١٩٩٠ بما يسنه من قمع وسجن لكل من يشكك فيما يدعيه الصهيونيون من إبادة هتلر وأعوانه ستة ملايين يهودي.

ثم خلص من هذا التنويه إلى مقدمة الكتاب التي حدد فيها معالم الكتاب بأنه (تاريخ الهرطقة التي تجعل الدين أداة للسياسة) فهو جزء من سلسلة تدور في محور واحد، بدأها بكتابه (عظمة الإسلام وانحطاطه) الذي حارب فيه التطرف الديني لدى بعض المسلمين، بتقدير ذلك لونا من الهرطقة، وثناها بكتابه (نحو حرب بين الأديان) الذي حارب فيه نزوع التطرف ـ كذلك ـ عند المسيحيين. ثم كان هذا الكتاب (الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية) لمحاربة التطرف عند اليهود، المتمثل في قيام دولة إسرائيل، والذي استشهد عليه بالحاخام هيرش الذي يقول: «الصهيونية قضت بأن يصبح الشعب اليهودي كيانا قوميا.. وتلك هي الهرطقة».

ومن هنا حرص المؤلف ـ في مقدمته تلك ـ على أن يعرف بالصهيونية التي يدينها في كتابه هذا، مؤكدا أنه لا يعني بها الديانة اليهودية، كما أكد في كتابيه الآخرين أنه لا يدين الإسلام في ذاته، ولا المسيحية كذلك، ولكنه يدين تطرف بعض من يدينون بالإسلام، وبعض من يدينون بالمسيحية.

وفي تعريفه بالصهيونية أبى إلا أن يقدمها من كتابات مؤسسها (تيودور هرتزل)، وكتابات من تابعه في محوره من أعلامها البارزين. وفي فصول ثلاثة تلت تلك المقدمة قدم ثلاثة فصول يضم كل منها لونا من ألوان الأساطير التي قامت عليها السياسة الإسرائيلية.

الأســاطير الدينيــة

يرى المؤلف أن الأساطير الدينية التي تقوم عليها السياسة الإسرائيلية ثلاث هي: أسطورة الأرض الموعودة، وأسطورة الشعب المختار، وأسطورة يشوع (التطهير العرقي)، ويخص كل واحدة منها بمبحث يوضح فيه منشأ الأسطورة، والأسلوب الصهيوني في إقرارها، وجعلها واقعا محققا.

١ ـ فأسطورة (الأرض الموعودة) تقوم على ما جاء في سفر التكوين: «لنسلك أعط هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» حيث ينطلق منها التوجه المتطرف في الدولة الإسرائيلية، والذي كان من أبرز مظاهره ما قاله (موشي ديان) سنة ١٩٦٧:

«إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي التوراتية»، وما حدث من (باروخ جولدشتين) حين قتل المصلين في الحرم الإبراهيمي في ٢٥ / ٢ / ١٩٩٤، ثم قيام (إيجال عامير) باغتيال (إسحاق رابين)، استجابة لأمر جماعته المسلحة التي تنادي بإعدام كل من يفرط في الأرض الموعودة.

ويأخذ المؤلف في مناقشة هذا الوعد الذي ترتكز عليه سياسة الاستيطان الصهيوني من خلال التفسير المسيحي ثم التفسير اليهودي، فاستعرض آراء بعض الأساتذة والمفكرين المسيحيين، مثل: (البيردي بوري) في رسالته للدكتوراه (الوعد الإلهي والخرافة للشعائرية في أدبيات يعقوب)، متوجاً ذلك بما كتبته السيدة (فرنسواز سميث) عميدة كلية اللاهوت البروتستانتية في باريس قائلة: «إن البحوث التاريخية الأخيرة توصلت إلى تقليص العروض الكلاسيكية للخروج من مصر، وغزو كنعان، والوحدة القومية الإسرائيلية في المنفى، وصورتها على أنها قصة خرافية، فعلم التاريخ التوراتي لا يخبرنا بما يقصه علينا، بل يخبر عمن كتبوه»، قائلا: إن معظم المفسرين قد أخذوا هذا الوعد المعطى للآباء ـ بمعناه الكلاسيكي ـ على أنه إضفاء للشرعية على الغزو الإسرائيلي لفلسطين. ثم استعرض آراء بعض الحاخامات اليهود، مثل: (الحاخام المربرجر) الرئيس السابق لرابطة (من أجل اليهودية في الولايات المتحدة) الذي قال في محاضرة مستفيضة ألقيت في جامعة (ليون) سنة ١٩٦٨: إنه من غير المقبول من أي إنسان الادعاء بأن إنشاء دولة إسرائيل حاليا هو تحقيق لنبوءة توراتية.. وإن السياسة الحالية لإسرائيل قد حطمت ـ أو على الأقل طمست ـ المعنى الروحي لإسرائيل».

٢ـ وأسطورة (الشعب المختار) تقوم على ما جاء في سفر الخروج: «كذا قال الرب: إسرائيل ابني البكر» ومن هذه العبارة نشأت التوجهات المتطرفة التي تتمثل في قول الحاخام (كوهين) في كتابه (التلمود): «يمكن توزيع سكان العالم بين إسرائيل وبين الشعوب الأخرى برمتها، فإن إسرائيل هو الشعب المختار، وهو ركن أساسي من أركان العقيدة».

ثم يتصدى المؤلف لمناقشة هذه المقولة وأمثالها، وما ينبثق عنها، فيعارضها بنصوص من أسفار العهد القديم تكشف زيفها وضلالها، ويدعم ذلك بما قدمه من وثائق ومستندات تاريخية مختلفة يتراوح تاريخها بين القرن السادس عشر والسادس قبل ميلاد المسيح.

٣ـ وأسطورة (التطهير العرقي. أو يشوع) تقوم على ما جاء في سفر يشوع: «واجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من (لاكيش) إلى (عجلون)، ونزلوا عليها وحاربوها، وافتتحوها في ذلك اليوم، وضربوها بحد السيف، وأبسل كل نفس فيها في ذلك اليوم عينه كما فعل بلاكيش، وصعد يشوع وجميع إسرائيل معه من (عجلون) إلى (حبرون).

وذكر المؤلف أن (مناحم بيجين) ووحدات أرجون العسكرية أبادوا سكان قرية (ديرياسين) في ٩ / ٤ / ١٩٤٨ انطلاقاً من هذه الأسطورة.

ثم أخذ في مناقشة تلك الأسطورة، وإظهار عنصرية منشئها، وتهاوى النصوص التي اعتمد عليها في إقرارها وتحويلها إلى قانون، على الرغم مما أحيطت به تلك الأسطورة من هالات التقديس والتضليل، فاستعرض كل نص وفنده، وأوضح أسس بطلانه ومظاهر ذلك، مستعينا في ذلك بالوثائق الدامغة، وبالحقائق المقررة إنسانيا وتاريخيا وعالميا، وبالنصوص التوراتية الصريحة.

أساطير القرن العشرين

ويذكر المؤلف في هذا الفصل أن النوع الثاني من الأساطير التي تقوم عليها السياسة الإسرائيلية هو أساطير القرن العشرين، واستعرض منها أربعا هي: أسطورة «معاداة الصهيونية للفاشية»، وأسطورة «محاكمة نورمبرج»، وأسطورة «الملايين الستة» «الهولوكوست»، وأسطورة «أرض بلا شعب»؛ فهذه أبرز الأساطير التي نسجت في القرن العشرين؛ لتدعم الكيان الصهيوني. وقد سلك المؤلف المنهج السابق نفسه، فخص كل أسطورة منها بمبحث يجمل فيه مضمونها ومنشأها، وما أحيطت به من هالات التقديس، وما دعمت به من وسائل الدعاية والإعلان، حتى قرت في الأذهان واقعا مسلما، يفرض قبول كل ما ينشأ عنها، وما يترتب عليها.

١- أما أسطورة «معاداة الصهيونية للفاشية» فدعوى مكذوبة، أشيعت لإخفاء فاشية الصهيونية، ولو على حساب اليهود أنفسهم، كما تقرر ذلك دعوة «إسحاق شامير» سنة ١٩٤١ إلى التحالف مع هتلر وألمانيا النازية، وكما قرره من قبل مذكرة الاتحاد الصهيوني الألماني إلى حزب النازي سنة ١٩٣٣ والتي جاء فيها: «وإنه في حالة موافقة الألمان على هذا التعاون سيسعى الصهاينة بكل جهدهم إلى تحويل اليهود في الخارج عن المناداة بالمقاطعة ضد ألمانيا» الأمر الذي دعا المنظر النازي الرئيسي «ألفريد روزنبرج» إلى أن يقول: «ينبغي مساندة الصهيونية بكل قوة حتى يتسنى نقل مجموعة من اليهود الألمان سنويا إلى فلسطين»

ويواصل المؤلف- على مدى واحد وعشرين صفحة ٧١-٩١ مسيرته في تقديم الوثائق والمستندات الموثقة التي تتضمن التصريح القاطع بأن الصهيونية هي الوجه الثاني للفاشية، وأنها لا تكترث باليهود ولا بغيرهم في سبيل تحقيق الأمل المنشود، وهو إقامة دولة إسرائيل في فلسطين.

٢- وعدالة نورمبرج هي الأسطورة الثانية من الأساطير التي ولدت -أو صنعت- في القرن العشرين.

ويبدأ المؤلف حديثه عن هذه الأسطورة بالتنبيه إلى أن «محكمة نورمبرج» التي تشكلت عقب الحرب العالمية الثانية سنة

١٩٤٥ لمحاكمة مجرمي الحرب نشأت نتيجة اجتماع الزعماء الامريكيين والإنجليز والفرنسيين والروس، فهي ليست محكمة دولية، بقدر ما هي محكمة المنتصرين، مستدلا على ذلك بما جاء على لسان «روبرت جاكسون» النائب العام للولايات المتحدة، والذي رأس جلسة ٢٦/٧/١٩٤٦، حيث قال: «إن هذه المحكمة تمثل استمرارا لجهود حرب الدول الحليفة».

ومع ذلك أخذ المؤلف نفسه باستعراض نماذج من الصيحات الهستيرية الصادرة من اليهود وغيرهم في امريكا وفي أوروبا بالدعوة الجادة إلى إبادة كل ألماني، وما واكب ذلك من صيحات هيسترية كذلك من القادة الألمان بالدعوة إلى إبادة اليهود، كما نرى في تصريح الزعيم الصهيوني «فلاديمير جابوتنسكي» سنة ١٩٤٣ الذي جاء فيه: «إن مصالحنا اليهودية تحتم القضاء النهائي على ألمانيا، فالشعب الألماني في مجموعه يمثل لنا خطرا كبيراً»، وما واكب ذلك من صيحات هيسترية كذلك من القادة الألمان بالدعوة إلى إبادة اليهود.

وكما أشار (هتلر) في كتابه (كفاحي) إلى أنه كان من الادعى له التخلص من عدة آلاف من اليهود في الوقت المناسب، حتى ينقذ حياة مليون من الألمان الطيبين والشجعان.

ويستخلص المؤلف من هذا أن تلك الصيحات كانت متبادلة من الطرفين، وأن لو كانت المحكمة دولية تهدف إلى العدالة لحاكمت هؤلاء اليهود وغيرهم من الاوربيين والامريكانيين، كما حاكمت النازيين، ولكنها بوقوفها عند حد محاكمة طرف واحد أكدت أن وصفها بالعدالة كذب وافتراء.

ولا يقف المؤلف عند ذلك الحد، ولكنه يستعرض بعض المواد التي قام عليها نظام المحكمة، والتي تؤكد أنها محاكمة لم تعرف العدالة، فضلاً عن أن تقرها، مما أثار اعتراضات كثير من القانونيين الامريكيين، وفي مقدمتهم (روبرت جاكسون) النائب العام الامريكي، ويؤكد ذلك بما قاله المؤرخ الإنجليزي (ديفيد أرفنج): «لقد شعر كبار القانونيين في العالم أجمع بالخجل من إجراءات نورمبيرج».

ويخلص المؤلف من هذا البيان النسج الأسطوري للزعم بإبادة ستة ملايين يهودي، الذي استندوا فيه إلى شهادة اثنين قالا كلاما عاما غير محدد، ولا مدعوم بأمر واحد من هتلر أوغيره من معاونيه.

بل إن الدكتور (كيبرفي) من مركز الوثائق في تل أبيب اعترف سنة ١٩٦٠ بأنه «لا توجد وثيقة واحدة ممضاة من هتلر، أو هيملر، أو هيدريش» تتحدث عن إبادة اليهود.

وعلى هذا الطريق يواصل المؤلف تقديم الوثائق والمستندات الرسمية، وشهادات الواقع والمنطق السليم التي تؤكد أن (نورمبيرج) ما هي إلا أسطورة مخترعة، نفخت فيها الدعاية الصهيونية روح الحياة، حتى تدخلت في مصائر الأمم وقوانينها، على ما حدث في

القانون الفرنسي الذي أضيف عليه - تأثرا بهذه الأسطورة - من المواد ما يضفي القداسة على أكذوبة الستة ملايين، فيحاكم كل من يشكك فيها من قريب أو من بعيد.

ويختم المؤلف هذا المبحث باستعراض ما لجأ إليه الصهيونيون من اضطهاد كل من يحاول إظهار حقيقة تلك الحكمة بكل وسائل الاضطهاد والقمع، مستغلين في ذلك ما يملكون من إمكانات مادية وإعلامية ودعائية، استطاعوا بها أن يحاربوا من يفكر في إظهار الحقيقة، وأن يرفعوا كل من يتعاون معهم على ترويج هذه الأسطورة، ممثلاً لذلك بما أصابه هو منذ سنة ١٩٨٢، حتى اضطر ناشر كتابه (الشأن الإسرائيلي) سنة ١٩٨٣ إلى إعلان إفلاسه. وفي الوقت نفسه روجوا الأعمال التي تؤيد مزاعمهم بشتى وسائل النشر - من صحافة وإذاعة وسينما وتليفزيون - كما صنعوا مع أفلام (الخروج)، و(الهولوكوست)، و(الإبادة).

٣- والأسطورة الثالثة - وتنبثق عن أسطورة نورمبرج - هي أسطورة الستة ملايين (الهولوكوست) أوضح المؤلف كيف اخترعها الصهيونيون، وروجوا لها، حتى لكأن اليهود وحدهم هم الذين عانوا من الحرب العالمية الثانية على الرغم من أن هذه الحرب خلفت خمسين مليونا من الموتى، منهم ١٧ مليونا من السوفيت، و٩ ملايين من الألمان.

ومع ذلك فإن هتلر ما صنع إلا مثل ما صنعه الاستعماريون الأوربيون منذ خمسة قرون مع الملونين، ابتداء من هنود أمريكا الذين أبيد منهم ستون مليونا من ثمانين مليون هم جملة عددهم، ثم الأفارقة الذين قتل منهم ما بين مائة مليون ومائتي مليون، بالإضافة إلى نقل من عشرة ملايين إلى عشرين مليونا منهم إلى الأمريكتين.

وأوضح أن الصهيونيين - بترويجهم أسطورة (الهولوكوست) - ساعدوا المستعمرين الغربيين على إسدال الستار على جرائمهم، فتعاونوا معهم على ترويج تلك الأسطورة.

وقد التزم المؤلف في إيضاح ذلك وتقريره منهجه الموضوعي فحرص على أن يدعم كل ما يقوله بالمستندات الرسمية الموثقة، مؤكدا أن الصهيونيين جعلوا من الترويج لهذه الأسطورة وسيلة لجعل موت اليهود لا يعادله موت الآخرين، بما أضفوه عليها من القداسة، من كل ما أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: «إن إنشاء دولة إسرائيل هو رد الرب على الهولوكوست».

٤- وأسطورة (أرض بلا شعب لشعب بلا أرض) رابعة الأساطير الحديثة التي ترتكز عليها السياسة الإسرائيلية. وقد ذكر المؤلف أن الصهيونيين نسجوا هذه الأسطورة على فرضية واهية جاءت في سفر التكوين تقول: «في ذلك اليوم بتّ الرب مع (إبرام) عهداً قائلا: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»، على الرغم من أن المتمسكين بالدين من اليهود لا يتجاوز ١٥٪ من الإسرائيليين.

وهذا يكشف أن اختراع هذه الأسطورة إنما هو من صنع الصهيونيين، ويؤكد هذا ما

ذكره (ناثان وينستوك) في كتابه (الصهيونية ضد إسرائيل): «لو ألقينا مفاهيم (الشعب المختار)، و(الأرض الموعودة) لانهارت الصهيونية من أساسها».

ويعمل القادة الصهيونيون على استثمار هذه الأسطورة بشتى الوسائل، على نحو ما صدر عن (بيجين) في قوله: «لقد وعدنا بهذه الأرض ولنا حق فيها»، كما يكشف ما في قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين من حيف وجور متعمد، ومساعي القادة الصهيونيين استغلال هذا القرار في مزيد من الاستيلاء على الأرض تحقيقا لتلك الأسطورة، معتمدا على ما يقدمه من وثائق استمدها من مختلف المصادر الصهيونية والأمريكية والأوروبية، التي توضح أبعاد المؤامرة والتخطيط الإرهابي الذي تمارسه القيادات الصهيونية بكل الوسائل التي يراها امتدادا لما كان في البداية منذ إنشاء الصندوق القومي اليهودي سنة ١٩٠١، مستهينة بكل القوانين والأعراف لتمحو ذكرى الوجود الفلسطيني متوسلين بكل الوسائل من تدمير القرى، وهدم المنازل، للتأكيد على أسطورة (بلاد صحراء)، على ما صرح به الأستاذ إسرائيل شاحاك سنة ١٩٧٥ من تدمير ٣٨٥ قرية عربية ليتسنى الإقناع بأن فلسطين قبل إسرائيل لم تكن سوى صحراء يحتاج تعميرها إلى زرع المستوطنات في كل مكان حتى أصبحت الأرض اليهودية كما يقول العاملون في (الصندوق القومي اليهودي) تمثل سنة١٩٧٩ ٩٣٪ من فلسطين بعد أن كانت سنة١٩٤٧ ٦,٥٪.

ويدفع المؤلف هذه الأسطورة من أصلها بما يقدمه من وثائق دامغة، من بينها تقرير بيل المقدم إلى البرلمان البريطاني سنة١٩٣٧، والذي جاء به أن صادرات فلسطين من البرتقال بلغت ١٥ مليون سلة، وهي تعادل جميع ما تصدره الولايات المتحدة، وأسبانيا، وجميع البلدان الأخرى.

الاستخدام السياسي للأسطورة

وبعد استعراض هذه الأساطير يقدم في الفصل الثالث المنهج الصهيوني في استثمار ما اخترع من أساطير لدعم دولة إسرائيل وهو منهج يتحرك في ثلاث محاور، أو يعتمد على ثلاثة قوى، هي: اللوبي الأمريكي، واللوبي الفرنسي، والتمويل الخارجي لإسرائيل.

١- وفي حديث المؤلف عن اللوبي الأمريكي ينطلق من عبارة (بول فندلي) القائلة: «إن تأثير رئيس الوزراء الإسرائيلي على السياسة الخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يفوق بكثير تأثيره في بلده»، ثم يأخذ في استعراض ما أثارته تلك الأساطير من عقائد يصعب اقتلاعها من أذهان ملايين الناس من ذوي النيات الطيبة، عن طريق اللوبيات القوية القادرة على توجيه أفعال السياسيين، وتكييف الرأي العام، وفي مقدمة هذه اللوبيات (لجنة الشئون العامة الأمريكية- الإسرائيلية).

ومن خلال الوثائق والبيانات الدقيقة، وتصريحات الرؤساء الأمريكيين، يبين المؤلف

مدى نجاح هذه اللوبيات في أداء دورها الداعم لإسرائيل غير عابئة بأى آثار أخرى، مما اضطر معه (ناحوم جولد مان) رئيس المؤتمر اليهودى العالمى إلى أن يذهب إلى واشنطن سنة١٩٧٦ ليقدم لإدارة كارتر نصيحته غير المتوقعة: «حطموا اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة» على الرغم مما كان لجولد مان هذا من دور فعال فى هذا اللوبى منذ أيام ترومان. ولكنه يقول: «إذ ما كونته بنفسى كانت قوة مدمرة غاشمة، وعقبة رئيسية أمام السلام في الشرق الأوسط.

ويذكر أن(بيجن) - تحت حماية اللوبى الأمريكى هذا - دمر المحطة النووية فى العراق سنة١٩٨٠، وقصف غرب بيروت سنة ١٩٨١، وضم الجولان ١٩٨١ غير عابئ باحتجاج (ريجان) على خرق القرار ٢٤٢، ثم اجتاح لبنان نفسها، كما استعانت به في تدبير المؤامرات فى البلاد العربية خصوصا مصر، التى ركزت على السعى بكل الوسائل لبث الفتنة الطائفية فيها.

ومع هذه المساندات السياسية والعسكرية قامت المساندات المالية بدورها، حيث قدمت لها الولايات المتحدة حتى سنة ١٩٩٤ ٢٨ مليار دولار إلى جانب التعويضات الألمانية والنمساوية، وتحويلات أبناء الشتات.

ويؤكد المؤلف أن إسرائيل بهذا اللوبى أصبحت مصدر خطر، يصيب كل من يعترض سياستها، على ما جاء فى تصريح (فندلى) :«إن أى إنسان ينتقد سياسة إسرائيل عليه أن يتوقع عمليات انتقام موجعة لا تنتهى، حتى فقدان سبل معيشته بواسطة ضغوط اللوبى الإسرائيلى.

والرئيس نفسه يخاف منه، والكونجرس يخضع لكل مطالبه، وتحرص أعرق الجامعات على إبعاد كل ما يتعارض معه فى برامجها ».

٢- وعن اللوبى الفرنسى أوضح المؤلف قوة تأثيره فى احتياج كل مرشح لرئاسة الجمهورية الفرنسية - مهما كان انتماؤه الحزبى - إلى الذهاب لإسرائيل، كى يحصل على المباركة، والتغطية الإعلامية المرتكزة اليوم فى(الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية،ومعاداة السامية"ليكرا")، وذلك لمقدرتها على التلاعب بالرأى العام حسبما يتراءى لها، على الرغم من أن اليهود لا يتجاوزون ٢٪ من السكان الفرنسيين.

ويستشهد المؤلف على تحكم هذه الرابطة فى الرأى العام، والسلطات الحاكمة - سياسية وقضائية وتنفيذية - بصدور قانون (فابيوس) رقم ٤٣ المسمى (قانون جيسو) الذى يجرم أى عمل يقترف ضد الإنسانية، وإضافة المادة(٢٤) إلى قانون حرية الصحافة، والتى جاء فيها : يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها فى الفقرة السادسة من المادة (٢٤) كل من ينكر وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية.

ويستدل على تحكم هذه الرابطة بما أصابه هو فى تعامله مع دور النشر، وما واجهه من قضايا واتهام بالعنصرية، ومعاداة للسامية التى كان من نتائجها محاكمته والحكم عليه بناء على ما جاء فى التعديل القانونى المذكور.

٣- وعن التمويل الخارجي لإسرائيل، أو أسطورة (المعجزة الإسرائيلية) يقدم المؤلف من الوثائق الرسمية، ما يؤكد اعتماد إسرائيل على ابتزاز الدول الأوربية، خصوصا ألمانيا، مستغلة في ذلك حكايات أسطورية تلبسها - بالإعلان والدعاية - ثوب الحقيقة والواقع؛ لتحصل من ورائها على سيل لا ينقطع من المدد المالي. وأبرز ما اعتمد عليه المؤلف من تلك الوثائق ما أورده ناحوم جولد مان في سيرته الذاتية من بيانات وأحداث.

يضاف إلى هذا ما تناله إسرائيل من المساهمة الأمريكية التي بلغت أرقاماً خيالية، وساندت دولة إسرائيل، من كل ما يؤكد: أن إسرائيل دولة تعتمد على التمويل الخارجي، مما دفع الأستاذ (يشايا هوليبوفيتش) إلى أن يصرح بقوله: «إن نظامنا عفن وفاسد من أساسه، وأرجع ذلك إلى أنها جيش يملك دولة، وليس دولة تملك جيشا. وإلى أنها مرتهنة في كل تحركاتها بالولايات المتحدة.

الأساطير العامة والأساطير المصنوعة

ويختم المؤلف كتابه بعقد موازنة موجزة بين الأساطير العامة ودورها في خدمة الإنسانية، والأساطير الإسرائيلية المصنوعة، ودورها في فرض السياسة الإسرائيلية الإرهابية. مقررا - في ثنايا ذلك - ما بدأ به الكتاب من أنه ما قصد من وراء ذلك إلا نقد التفسير الصهيوني للتوراة، والأسفار التاريخية، وتبيان ما صنعه الصهيونيون في تحريفها وجعلها وسيلة تدعم مقاصدهم.

في هذه الجولة المتنخبة مع كتاب (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) حاولت أن أقدم دراسة تحليلية للكتاب، فوجدت أن المجال لا يتسع لذلك، فلم يكن بد من أن أقدم هذا الإجمال الموجز جداً، لألفت نظر المتلقي إلى خطر الكتاب وأهميته، لما يتضمنه من سيل جارف من الوثائق والقرارات والتصريحات الرسمية التي تعلن في صراحة: أن السياسة الإسرائيلية لا تقوم إلا على الزيف والكذب والاختراع المضلل، معتمدة في كل حياتها على الإرهاب بكل صوره فكريا وسياسيا وعسكريا وثقافيا واقتصاديا.

والمؤلف في كتابه هذا مفكر عميق الثقافة، موضوعي النظرة، واضح الرؤية، يعرف ما يريد أن يقدمه، ويسير فيه وفق خطة محكمة تنتقل به من البداية إلى النهاية، ليجد القارىء أن الصورة التي أراد المؤلف أن يرسمها قد بدت واضحة القسمات، مكتملة الأبعاد، تنبض بالحياة وتنطق بما تكنه بين حناياها.

ولا آخذ على المؤلف - في كتابه هذا- إلا ما يغرق فيه قارئه من هذا المحيط الصاخب من الوثائق والبيانات التي تضطر القارىء إلى التأني في النظر، والانتقال من مبحث إلى مبحث. الأمر الذي يصيب قارئه بالإرهاق والكلل، ولكنه لا يتطرق به إلى شيء من الملل أو الضيق لما يلمسه من صدق وإخلاص فيما قدمه من وثائق.

ولكني حين أفكر في شخصية المؤلف، وأتأمل من يخاطبهم بهذا الكتاب المنشور في فرنسا .. أجد أنه معذور في إيراد هذا الكم الهائل من الوثائق، لأنه يخاطب - بالدرجة الأولى - قارئا لا يعرف إلا التعامل بالأرقام والمستندات والوثائق.

إشكالية الهوية الثقافية فى المجتمعات النامية

للدكتور/ محمد عبد الحكيم محمد*

لعل أهم ما فى مؤتمرات القمم العربية والمؤتمرات الإسلامية التى تعقد كل فترة هنا وهناك، أنها تفتح عيوننا على حقيقة التحديات التى تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة، تلك التحديات التى لم تفارق أمتنا فى الماضى أو الحاضر.

وفى دراستنا السابقة عن «إشكالية الهوية الثقافية فى مجتمعاتنا النامية» مهدنا لدراسة الأبعاد المختلفة فى هذه القضية المهمة، فى محاولة لإدراك حجم المخططات الثقافية الساعية إلى مسخ شخصية الأمة، وتشويه صورة إسلامها، وتبديد طاقاتها وثرواتها وتذويب ثقافتها.

وفى هذا العدد من مجلة الأزهر نستكمل هذه الأبعاد وما تنطوى عليه من مدلولات.

ثانيا: بين الغزو الثقافى والاتصال الحضارى

وتأسيسا على ما سبق تختلف عملية الاختراق أو الغزو بالضرورة عن عملية «الاتصال» أو الانفتاح الثقافى والإعلامى والتبادل الحر للأفكار والمعلومات مع ثقافات العالم وحضاراته، فهذه الأخيرة تتيح فرصة الإفادة بما يتوفر عن طريقها من علوم ومعارف وفنون بالإنتاج الثقافى والإعلامى العربى.

ومن البديهى أن الانفتاح الثقافى والاتصال عبر الثقافات هو من عناصر الثراء الثقافى وهو ما يشهد به مثلا تاريخ الثقافة العربية والإسلامية فى مراحل ازدهارها حيث نجحت وقتها فى التواصل العميق مع الثقافات والحضارات الأخرى المعاصرة، وهو ما تتيحه فى العصر الحاضر تكنولوجيا الاتصال الحديثة التى ألغت المسافات وجعلت العالم كله قرية صغيرة واحدة، وهنا لابد أن يؤخذ فى الاعتبار توازن القوى بين الحضارات المختلفة فالحضارة الأقوى لابد أن تؤثر بطبيعتها فى الحضارة الأقل قوة، بل إن هذه ترنو إلى الأولى عادة لاستلهامها والأخذ منها والسير على منوالها حتى بغير تعمد من الحضارة الأقوى[1].

ومما يؤكد ذلك ما تشير إليه الإحصائيات من استيراد معظم المجتمعات العربية والإسلامية لأكثر

(*) الكاتب: مدرس الصحافة والإعلام بجامعة المنصورة

(1) عواطف عبدالرحمن: قضايا التبعية الإعلامية والثقافية فى العالم الثالث - ط٢ - دار الفكر العربى (١٩٧٨) صفحات ٦٠ وما بعدها.

من ٧٠٪ من موادها الإعلامية في شكل برامج ومسلسلات وأفلام وتقارير إخبارية[٢].

على أن الاختراق الثقافي الذي يستخدم وسائل الاتصال الحديثة لتحقيق أغراضه، سواء كانت أقمارا صناعية للاتصال أو شبكات حديثة للمعلومات أو التقنيات المرتبطة بالنظام الرقمي الذي تقوم عليه تكنولوجيا الحاسبات والاتصالات المتطورة، ينبغي ألا يوقعنا في فخ الربط بين الاختراق واستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة، فهذه التكنولوجيا أصبحت ملكا للإنسانية وكل يستخدمها وفقا لأهدافه السياسية أو العقائدية أو الاقتصادية[٣].

وعلى الرغم مما بين مفهومي «الاختراق» و«الاتصال» أو «الغزو» و«الانفتاح» من مزج وتداخل واشتراك في استخدام كثير من الوسائل والأساليب إلا أن التباين بينهما شديد في الغايات والتوجهات.

ويمكن إجمال الفروق الجوهرية بينهما في ثلاثة مبادئ:

١ - الإكراه والإخضاع في الاختراق مقابل التلقائية والإيجابية في الاتصال الثقافي، فمبدأ «الحرية» إذن هو المبدأ الأول الذي يفرق بينهما.

٢ - خلق الاستعداد للانفصال عن الجذور الثقافية والحضارة الوطنية، بل والتنكر لها واحتكارها في الغزو الثقافي، مقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة في الاتصال الثقافي، فمبدأ عدم التنكر للتراث الحضاري والثقافي والانتقاء في الوقت نفسه يمثل المبدأ الثاني في التفريق بينهما.

٣ - صياغة العقول في الغزو الثقافي، مقابل الإضافة واستكمال البناء العقلي في الاتصال الثقافي، وهذا هو المبدأ الثالث في التفريق بين المفهومين[٤].

كما يمكن النظر إلى مصطلح «الحرب النفسية» إلى أنه أكثر المصطلحات قربا وتداخلا واشتراكا مع الغزو الثقافي؛ لأن كليهما يشكل جزءا من حرب الإنسان للإنسان، تلك التي واكبت رحلة البشرية على ظهر الأرض، فضلا عن أن الغزو الثقافي يشترك مع المسميات المتعددة التي تطلق على الحرب النفسية مثل غسيل الأدمغة أو حرب الأعصاب أو الطابور الخامس أو الحرب السياسية أو حرب الأفكار أو الحرب الباردة.

وفي حقيقة الأمر يبدو التباين واضحا جليا، ويقدر رفضنا للغزو الثقافي لأنه إحدى أدوات تبرير السيطرة والهيمنة على أفكار الناس وعقولهم، وطريق من طرق الوصاية على العقل العربي والإسلامي، بقدر إقبالنا بل وتهافتنا على الاتصال الثقافي بالشرق والغرب، لأنه سبيلنا إلى هضم ما وصلت إليه العلوم التجريبية والبناء عليها.

ولاشك أن المجتمع الناجح هو الذي يفرق بين المفهومين ولا يستقبل فلسفات الحياة الغربية ومناهجها الثقافية كاستقبال العلوم التجريبية بالترحيب والاستيعاب، وإنما يسعى لتحسين قدرة أفراده على امتصاص الطيب ورفض الخبيث[٥].

---

(٢) سعد لبيب الكاوي: ورقة عمل بأعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي (٢٣ - ٢٤ نوفمبر ١٩٩٦) ص٢٨.

(٣) أعمال ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر بالجزائر عن الغزو الثقافي ص٤٢.

(٤) د.محمد سيد محمد: الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر - دار الفكر العربي (١٩٩٦) ص٢٥.

(٥) مجلة الأمة عدد ذي الحجة (١٤٠٥) هـ ملتقى الفكر الإسلامي التاسع عشر - مرجع سبق ص٤٢.

لكن اللبس في بعض الأذهان وعدم وضوح الفرق بين المفهومين جعل الأمر يلتبس على الكثيرين، فأنكروا وجود شيء اسمه «الغزو الثقافي» ورأوا أن مسألة الغزو الثقافي هذه ما هي إلا وهم كبير لايزال يعيش في أذهان البعض من مخلفات الحرب الباردة، وليس صحيحا أن غزوا ثقافيا أعده الأعداء ليصدروه لنا ويدمروا به مجتمعنا وقيمنا الراسخة، وأخذوا يبرهنون على ذلك بأنه حين يأكل شعبنا طعاما ابتكره آخرون فإن ذلك ليس غزوا غذائيا، وحين يستهلك أدوات كهربائية اخترعها آخرون فليس هذا غزوا كهربائيا، وعندما يشاهد «فيلما» من محطة أجنبية بعيدا عن الأخلاق القويمة، فإن ذلك ليس غزوا ثقافيا كما أن كتابا لـ «فولتير» أو قصيدة لـ «شكسبير» أو «ابسن» ليس غزوا ثقافيا وهكذا يبدو الخلط واللبس واضحا في أذهانهم.

ثالثا: وسائل الغزو الثقافي وأساليبه

وتتعدد وسائل الغزو وتفوق في تطورها كل توقع، كما تتعدد الأساليب وتتباين، وعلى الرغم من اختلاف كل من الوسائل والأساليب في طبيعتها إلا أنهما يتفاعلان في خدمة الهدف.

أما الوسائل فتشمل:

وسائل الإعلام، وأعني بها: الصحيفة والراديو والتلفاز والسينما والمسرح والكتاب ووكالات الأنباء وغيرها.. ووسائل التعليم وتشمل: الدرس والمحاضرة والخطبة والندوة والمؤتمر وما إلى ذلك.

كذلك هناك الوسائل التعليمية كالكلمة المنطوقة وأجهزة التسجيل، والصور الشفافة التي تعرض على جهاز العرض فوق الرأس، والذي يسمى Over Head Projector والشرائح الفوتوغرافية والأفلام التعليمية والخرائط والرسوم وما إلى ذلك[١].

أما الأساليب فهي: الطرق والاختيارات التي أفرزها التفكير والتخطيط لتحقيق أهداف معينة ومحددة.

ولزيادة وضوح مدلول الكلمتين «الوسائل» و«الأساليب» نقول: إنك إذا كنت في النقطة «أ» وهدفك الوصول إلى النقطة «ب» فإن وسائلك هي: الطائرة والباخرة والقطار والسيارة والدراجة والسير على الأقدام، وإن أساليبك أو طرقك هي: الطريق البري أو البحري أو الجوي.

وهكذا يظهر التقريب الذهني ما بين «الأساليب» و«الوسائل» من تباين وترابط.

وهكذا يصبح التفاعل المستمر بين الوسائل والأساليب مثل تكاثر الجراثيم ومثل الأرباح المركبة ومثل المتوالية الهندسية، ويصبح الجمهور المستهدف بالغزو الثقافي يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه.

وذلك يعلي من شأن «الحصانة الذاتية» المستمدة من قيم الإسلام وتعاليمه، ولاشك أن ضعف تلك الحصانة أو المناعة الذاتية الثقافية في مجتمعاتنا هو الذي جعل العرب والمسلمين يعيشون اليوم هذا الوضع المضطرب.

رابعا: واقع الغزو الثقافي وعوامل انتشاره

على أن الغزو الثقافي واقع على أكثر المجتمعات العربية والإسلامية لعدة عوامل منها:

أولا: أن النضال السياسي والعسكري ضد الاستعمار -في العالم الإسلامي- لم يواكبه جهاد

---

(١) د.محمد سيد محمد: الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر - مرجع سابق - ص٢٠ بتصرف.

مماثل، من حيث القوة والوضوح والجد والشمول، ضد آثار الاستعمار وقواعد نفوذه الثقافية.

ثانيا: أن كثيرا من البدائل الثقافية التى تقررت – كثقافة وطنية– بعد رحيل الاستعمار، كانت متأثرة جدا بأفكار الغازى وثقافته.. ينضم إلى ذلك الثقافة الماركسية وما تفرع عنها من أفكار ومصطلحات قدمت نفسها بديلا للثقافة الرأسمالية فى بعض مجتمعاتنا وبيئاتنا.

ثالثا: حصل خلط بين العلوم التجريبية والمسائل الثقافية، فاستقبلت فلسفات الحياة ومناهج الثقافة ومفهومات الأدب والفن استقبال العلوم التجريبية ترحيبا وتمثيلا واستيعابا.

رابعا: أن التجديد الثقافى المتوازن لدى المسلمين اليوم لايزال يسير ببطء وتثاقل.

خامسا: أن المجتمعات الإسلامية بوغتت، وهى مثلبسة بأغلال الغزو الثقافى وآثاره، بما زاد المشكلة سعة وعمقا وتعقيدا وحدة، فقد بوغتت بتدفق إعلامى ضخم بالغ التأثير، متواصل الطرق والدق والإلحاح[٧].

سادسا: أن الإسلام لايزال محدود الأثر فى نفوسهم، الأمر الذى يجعل الصراع مع الغزو الثقافى يفتقر إلى القوة والتماسك لتحقيق الفاعلية المرجوة منه، فبينما ينطلق الاستعمار الجديد فى دفاعه عن باطله من رؤية موحدة واضحة وينتج أساليب عصرية مؤثرة ليحقق أهدافا مرسومة محددة، يواجهه المسلمون فى دفاعهم عن حقهم ورؤيتهم غائمة غامضة، وأساليبهم ضعيفة ساذجة وأهدافهم مشتتة متفرقة، ولعل الذى يزيد هذا الوضع ترديا غياب تصور واع موحد لجوهر الإسلام وحقائقه الثابتة، بما لا يمكن لعلمائه من جانب المسلمين وحراسه من تصنيف القضايا الإسلامية بحسب أولوياتها وأهميتها.

خامسا: أهداف الغزو الثقافى فى العالم الثالث

وتأتى الأهداف كثيرة ومتنوعة لتقليص دور الإسلام فى المجتمعات العربية والأفريقية بدول العالم الثالث، تمهيدا للقضاء عليه، ولعل من أهمها[٨]:

١– أن تظل الشعوب العربية والإسلامية خاضعة لنفوذ القوى الكبرى وتابعة لها تبعية غير منظورة حتى تعيش فى وهم الاستقلال بينما هى تعجز حقيقة عن التخطيط لمستقبلها.

٢– الحيلولة بين تاريخ الأمة العربية والإسلامية وماضيها وسير الصالحين من أسلافها ليحل محل ذلك تاريخ الدول الكبرى وسير أعلامها.

٣– التشكيك فى قيمة التراث العربى والإسلامى وتصويره بصورة المتخلف العاجز عن النهوض بالأمة.

٤– العمل على تغريب العقل العربى من خلال ثقافة الأمة الغازية وعاداتها على ثقافة الأمة المغزوة وعاداتها.

٥– إضعاف المثل الدينية والقيم العليا من جانب، وإثبات تفوق المثل الغربية وعظمتها من جانب آخر.

٦– ومن أهداف الغزو الثقافى التى يعتمدها الغرب لإبقاء المسلمين فى حالة تخلف الحيلولة بينهم وبين التمكن من التكنولوجيا الحديثة، وإذا لم يستطع ذلك عمد إلى تزهيدهم فيها بتضخيم نتائجها السلبية على الفرد والمجتمع ليصرفهم عن السعى فى اكتسابها وإذا ما فرضت عليه مصلحته

---

(٧) عبدالله عبدالمحسن: ورقة عمل بملتقى الفكر الإسلامى التاسع عشر بالجزائر عن الغزو الثقافى والمجتمع الإسلامى المعاصر – مرجع سابق.

(٨) أحمد عبدالرحيم السايح: الغزو الفكرى فى التصور الإسلامى – ملحق مجلة الأزهر – جمادى الأولى (١٤١٤) هـ صفحات ٥٦–٥٧–بتصرف.

تمكين المسلمين من بعض تقنيات العصر، حرص على تمكينهم من أجزائها الهامشية بما يفقدهم أصالتهم فيها، فيصبحون بها قوة مضافة إلى قوته بدلا من أن تكون -هذه التقنيات- وسيلة من وسائل نهوضهم وتحقيق ذاتهم[٩].

٧- كذلك إثارة النعرات العرقية باسم إحياء الحضارات القديمة والتراث القومي للشعوب والأمم، ناهيك عن مخططاته المستمرة لمحاربة اللغة العربية وتشويه التاريخ الإسلامي والنيل من عظمائه وعلمائه في جميع المجالات الفكرية والأدبية والحربية، واستغلال وسائل الإعلام لإرساء القيم الاستهلاكية الغربية في المجتمعات الإسلامية، ومحاولة إزالة القدسية عن القرآن والسنة النبوية الشريفة، بتصنيفها ضمن التراث الإنساني العام، وكذا محاولة جعل المسلمين دائما في حالة الدفاع وعدم الاستقرار.

سادسا: العناصر الاتصالية للغزو الثقافي

وشأن الغزو الثقافي كشأن أي عملية اتصالية تهدف إلى إحداث تأثير معين، فكما أن العملية الاتصالية تتكون في أبسط صورها من خمسة عناصر هي: «مرسل، ورسالة، ووسيلة اتصال، ومستقبل، ورد فعل»، كذلك الغزو الثقافي فهو عملية اتصالية تتكون من: «الغازي، ومادة الغزو، ووسيلة الغزو، والمغزو، ورد الفعل».

ونظرا لأن نجاح أية عملية إعلامية مرتهن بمدى نجاح العوامل المؤثرة في عناصرها، فإن هناك العديد من عوامل النجاح المؤثرة في عناصر الغزو الثقافي.

فالغازي وهو المرسل، يؤثر في نجاحه التفوق التكنولوجي والسيادة الأيديولوجية ذلك أن من يمتلك التكنولوجيا هو الذي يحكم وهو الذي تكون له السيادة والسيطرة الثقافية ذلك أن نظرة واحدة إلى توزيع وسائل الإعلام في العالم تجعل المرء يندهش للواقع الإعلامي وما يعانيه من احتكارات دولية، وذلك أن حفنة من الدول الغربية تسيطر كالأخطبوط على أغلب مراحل العمل الإعلامي، بل وتجعلها تهيمن على النتاج الإعلامي والثقافي في العالم أجمع، والدول النامية أو دول العالم الثالث تنظر وتحس الواقع السيء الذي تعيشه لكنها لا تفعل ما يجب عليها أن تفعله[١٠].

ومادة الغزو: ترتبط ارتباطا وثيقا بسيادة الغازي الفكرية والتكنولوجية، فمما لاشك فيه أن تكنولوجيا الاتصال تمكن صاحبها من السيادة في موضوع هذه التكنولوجيا أو ما يطلق عليه الغرب مصطلح «السوفت وير Soft Ware» التي هي هنا مادة الفكر ومضمونه.

فعلى سبيل المثال نجد أن وكالات الأنباء الغربية تتحكم فيما يزيد على ٨٠٪ من المعلومات والأخبار والتقارير الصحفية المتداولة في العالم، تستقبل منها الدول النامية ٩٥٪ مفسرة تفسيرا يتماشى مع سياسة الإعلام في المجتمع الرأسمالي، مقابل أقل من ٢٠٪ من الأخبار التي تبثها وكالات الأنباء في الدول النامية ولا ينشر منها في الغرب إلا ما يتماشى مع مصالحه حيث تتولى تقديمها بالأسلوب والطريقة التي تتماشى مع أهداف هذه

---

(٩) المصدر السابق.

(١٠) محمد على الأصفر: مجلة البحوث الليبية - العدد الرابع بالسنة الثانية - دراسة بعنوان «الاحتكار الإعلامي في أرقام مذهلة» - ١٩٩٣ - ص٦٤.

الوكالات وحكوماتها الرأسمالية.

ووسيلة الغزو: تمكنها تكنولوجيا البث المتقدمة[١١] في عالم الاتصال وهي ترتبط بالجانب المادي لهذه التكنولوجيا والذي يطلق عليه الغرب مصطلح «الهارد وير Hard Ware» المتمثل في أجهزة التلفاز والحاسبات[١٢] الآلية والأقمار الصناعية، وغيرها من وسائل الاتصال والمعلومات التي فاق تطورها كل توقع.

والمغزو: غالبا يحكمه العجز عن مواكبته لهذه التكنولوجيا والاكتفاء بموقف المتلقي لما تحدثه من تأثيرات والواقع أن تكنولوجيا الاتصال الإعلامي التي تعيش ثورتها قد انعكست بكثير من التحولات والتحديات على مجتمعاتنا النامية وارتبطت بتغييرات حادة في الممارسات الإعلامية والتوازنات التي كانت قائمة من قبل فالانفجار المعرفي وتزايده المستمر مع سرعة الاتصالات وسعة المعلومات وتشابكها، وإلغاء المسافات والأبعاد وترابطها وغير ذلك مما لم تألفه معارف القرن العشرين قد أحدث فجوة هائلة السعة بين هذه الإنجازات وبين إمكاناتها العربية المتواضعة[١٣].

وليس من شك أن هذه التحولات تضع الدول النامية ومنها العالم العربي والأفريقي في موقف حرج إذا لم يتم استيعاب هذا الانفجار وملاحقة أبعاده بأقصى جهد ممكن.

أما رد الفعل: فسيكون بالقطع كليا أو جزئيا لصالح الغازي وهو المرسل صاحب السيادة في تكنولوجيا الاتصال طالما وقف المغزو مكتوف الأيدي من هذه التحولات الهائلة وطالما تقاعس عما يجب عمله من المشاركة النشطة في صناعة أو توجيه هذه الوسائل بما يعزز أفكاره وقضاياه.

إننا للأسف لم نبلغ بعد من الارتقاء المادي أو المعنوي المستوى الذي يضعنا في موقف المنافسة والقدرة على المقاومة، لا من حيث التطور الاقتصادي ولا التطور الاجتماعي القادر على تحصين أبنائنا من موجات «الأمركة» والتغريب والتقليد الأعمى لكل ما هو مستورد وأجنبي، وجذاب ومبهر[١٤].

وأخيرا.. فإن مجتمعاتنا العربية والإسلامية لن تصبح لقمة سائغة تغري العدو بغزوها وابتلاعها إلا إذا اختلفت مع بعضها البعض واستنزف بعضهم طاقات بعض، لكنها إن تمسكت بتعاليم دينها الحنيف فسوف تقضي حتما على أطماع الاستعمار الحديث وتضع حدا لسيطرته.

وكما قال المصطفى - ﷺ -: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: أبدا كتاب الله وسنتي»[١٥].

ومكمن الخطر أننا إذا لم نتسلح بتعاليم الإسلام، وهي التعاليم الداعية إلى العلم والاستنارة والحرية والمسئولية والانفتاح والانتقاء والقدرة على حفظ القيم الأصيلة، فإن مجتمعاتنا ستصبح في مهب الريح، وستصبح أخلاقنا وثقافتنا مسخا مشوها منقولا نقلا «كربونيا» هزيلا عن مجتمعات

---

(١١) المرجع السابق: ص١٨.

(١٢) الشراح الشال: ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل - طبع مؤسسة إقرا الخيرية (١٩٩٢) - ورقة عمل عن الإعلام وتكنولوجيا الاتصال - ص٢٧٣.

(١٣) مجلة البحوث الإعلامية الليبية - العدد ٧، ٨ (١٤٠٢) هـ ندوة الدين والإعلام ص١٧٩.

(١٤) مجلة الدراسات الإعلامية - العدد (٨٥) ديسمبر ١٩٩٦ - مقال عن حرية الصحافة والاختراق الإعلامي - ص٩.

(١٥) رواه الشيخان: البخاري ومسلم.

خميلة الشعر

الدعوة إلى الله

للشيخ / محمد عبد الرحمن صان الدين

أيها الداعي لدين الله كُنْ عَفْاً رفيقا

واجعل البرهان والحُسْنى إلى العقل طريقا

لا تقدم من علوم بَلِّغنها إلا.. رحيقا

كُنْ بإكبار وإصْفاء لما تُلْقى خليقا

دعْكَ ممن صار مفتُوناً بدنياه غريقا

***

إن وعظ الناس بالأخلاق أجدى من كتاب

قد سرى الإسلام قبلا بين أمْصار وغاب

لا بسيف أو بمال أو بتنميق الخطاب

بل بأخلاقٍ كنفح الطيب أو عَزف الرباب

قد رأى الإنسانُ فيها الصدقَ في دنيا الكذاب

***

قبل أن تدعو إلى الإيمان كن في الناس قدوة

فيك من أخلاقه عطر له في النفس نشوة

وبريق من فعال يجذب الأنظار نحوه

ومزيد من علوم الدين في وعي وصحوة

إنه النور الذي لا تبلغ الألباب شأوه

***

تقبل الدنيا على مَنْ راح عنها .. في انصراف

طرفه عن كل ما فيها من الأضواء غاف

كل ما يعنيه منها في رضى .. عيش الكفاف

والذي قد رام غُنما باحتيال واعتساف

أدبرت عنه وصدَّتْ صدَّ فظّ الطبع جاف

***

ليس موت المرء قبرا موحشا تحت الرسوم

بين صمت مضجر قدْ قرَّ في العظم الرميم

بل ممات المرء عودة الجسم للأم الرءوم

وانطلاق الروح مثل النور في الكون العظيم

هل أنا إلا شعاع عابر فوق الأديم؟

***

الكعبة

للأستاذ / محمد علي جمعة الشايب

أيا كعبةَ الإسلام نبّهتِ غافلا .. وكمْ صامتٍ والدّرسُ منه جليل

أطلّ ضميري نحو ما كسبتْ يدي .. فأرّقني أنّ الحسابَ ثقيل

فكيفَ إذا أوقِفتُ في الحشر ما معي .. سوى عملي والخير فيه قليل

ويسمو فؤادي بالرّجاء وينثني .. به رجْعةٌ إنْ لم ينَلْه قبُول

وتَسْري بنفسي موجَةُ البشر أشرقت .. تحدثني : فضل الإله جزيل

فيارِبّ هذا البيت والكعبة التي .. لهيبتها ماءُ العيون يسيل

اتيتُ ويحدوني الرجاءُ وتوبتي .. وعجزي وضعفي والضعيف ذليل

صلاةُ جميع المسلمين توجّهتْ .. إليها برغم البُعد وهو طويل

وفي الحج طافوا حولها وقلوبهم .. تفيض دعاءً للإله يطول

وقد فزِعوا في حجّهم وصلاتهم .. إلى الله يمحو همّهم ويُزيل

فكم وطن للمسلمين تآمرتْ .. عليه قوى العدوان فهي سيول

فمستوطنٌ يأتي إليه ليبتني .. به عشّه ، وابنُ الديار نزيل

وقد غدت الأوطان سجنا لأهلها .. تحكّم فيه غاصبٌ ودخيل

وللمسجد الأقصى أنينٌ وقد رأى ∗∗ أفاعي في القدس الشريف تجول

مآذنه ضاقت فضجّ نداؤها ∗∗ ومن أضلع الأجراس دق صليل

أيا كعبة الإسلام جمّعت أمةً ∗∗ لديك قبيلاً قد تلاه قبيل

وناداهمو دين الإله وقد نأوا ∗∗ دياراً ولم يسهل إليك سبيل

وربّ لغاتٍ فرّقت من لسانهم ∗∗ ووحّدهم قلباً لديك رسول

وصاياه تهدينا لأكرم وحدة ∗∗ إذا اعتصمت بالله ليس تزول

ويرهبها الباغون مهما تسلّحوا ∗∗ وآزرهم في العالمين فحُول

فليت عدواً جاوز الحد ظالما ∗∗ يرى وحدةً منّا عليه تصُول

ويلمس في الإسلام غضبة مسلم ∗∗ لها الشمسُ تخبو والزمان يحُول

ويعلم من يُغريه منّا تحلُّمٌ ∗∗ بأنّا إذا شئنا الجبالُ تزول

جنحنا إلى السّلم الكريم كرامةً ∗∗ ومَنْ يبغه ميلاً فليس يميل

سيبقى لدينا السلم فكراً ومذهباً ∗∗ ينال به ما الحربُ ليس تُنيل

يسارعُ للسلم القويُّ بحقه ∗∗ ولاذ بحربٍ ظالمٌ مرذول

يظنُّ حروباً سوف تُعليه منزلاً ∗∗ فتهوي به للقاع وهو ذليل

∗∗∗

أرض الخلود

شعر / محمد فهمي سند

كانتْ الأرض ترتوى من جبيني — وتنادى على السحاب الحزين

وتدارى عن الزمان وجوهاً — قد كساها الهوان رمل الشجون

ودمائى تمسُّ طيب ثراها — فيلبِّى الثرى أريج الفتون

يا عيون الصباح أرضٌ تناءتْ — وجفتها الظنون قبل اليقين

قرِّبيها إلى ضلوع الأحبّاء ثراهـ — ـا يضيء خلف جفوني

إن تلك الحقول تفتح صدرا — لطيور الصباح فوق الغصون

هذه الأرض عمرنا وهدانا — هل نبيع الهدى لعمر الجنون؟!

أم تولّى الحياة شطر نداء — يرتجينا لفجر يوم ضنين

***

أيهذا الظلام قف، أنت تدرى

أنَّ أرض الخلود ضوء العيون

كل شبر بها يسطِّرُ فجراً

للحضارات، غنوة للفنون

شمسها أيقظتْ رمال الصحارى

فاستضاءتْ وسجلت فى الجبين

نجمها دار فى السماء عصوراً

باحثا عن مقرِّه المكنون

لم يجد غير أرضنا فتغنى

بالهدى فى بداية التكوين

التجربة الكبرى

للشاعرة / جليلة محمد فؤاد رضا

يا قلب ! يا شيخي الذي نهلت ... شفتاه كل منابع الخبرة

كم خضت تجربة.. وتجربة ... ومشيت فوق الشوك والزهرة

«مجدت» آلهة.. وآلهة ... سقطت مع الأزميل متكسرة

وليست أقنعة مزيفة ... أخفت وراء ستارها الفكرة

وشربت كأس الحب طافرة ... حتى الثمالة.. عذبة، مرة

أترى التجارب كلها فرغت ... لم يبق في ينبوعها قطرة؟

●●●

يا قلب يا طيري الذي سبحت ... أحلامه في الأفق منتشرة

جربت كل أمور عالمنا ... وسبرت غور السهلة الوعرة

أو دعت سرك مقمرا ألقا ... وكشفت أنت مع الضحى سره

وعلوت بحرا واعيا حذرا ... ولقطت من أعماقه درره

وترنحت قدماك في وهن ... فسقطت كالمخمور في الحفرة

أترى فرغت من التجارب أم ... لما تزل تبلوك منتصرة..؟

●●●

يا قلب، يا نهري الذي دفعت ... أمواجه بالأمس منهمرة

كم عاصف ناداك ملتمعا ... عانقته بمشاعر حذرة

أرغيت ثم هدرت منطلقا ... وعبرت كل جسورك الخطرة

واليوم كم تنساب في دعة ... وبخطوة مأمونة.. حرة

أترى التجارب كلها فرغت..؟ ... لا.. والتي في الغيب مستترة

عند المصب هناك تجربة ... كبرى.. تعد خطاك منتظرة..!

مختارات من الشعر الحديث

الشاعر الكبير المغفور له الأستاذ أحمد الزين من كبار شعراء الأزهر، وله روائع من الشعر الاجتماعي نقدم منها هذه الطرفة :

الملق

يا لسان الحق لا تنطلق ... فاز بالحظوة أهلُ الملق

علمونا يا أولى الحظوة ما ... قد علمتم من طلاء الخُلُق

وامنحونا ذلك الصبغ الذى ... يُظهر الحسن ويُخفى ما بقي

أو فدلُّونا على صنّاعه ... نحتليه ببقايا الرمق

أىُّ صبغ ذاك ما أعجبه ... صادقُ الغشِّ وإن لم يصدُق

أليس الشمسَ ظلاماً دامساً ... وكسا الإظلام شمسَ المشرق

علمونا نصف المرء بما ... ليس فيه، من ينافقْ ينفُق

يمنح الفطنة أغبى خلْقه ... والذكاء المحض رأسَ الأحمق

إن سمعنا ناهقاً قلنا له ... إيه يا معبدُ بالصب ارفق

تكذبُ العصر كما يكذبُنا ... بشر فين فاسق منها واستق

لا تقلْ أفنيتُ عمرى دائباً ... وبذلتُ الجهد جهد المرهق

ليس للدائب حظٌ بينهم ... لا ولا الجهدُ سبيلُ المرتقى

تزنُ العمرَ وعمراً مثلَه　　　لحظةٌ تبذُلها في الملق

فاستبِقْها فرصةً إن سنحتْ　　　إنما الفرصةُ للمستبق

لاتقلْ سُهدي وجُهدي غُدّتي　　　إنما الجهد عَتادُ الأخرق

إيه يا علمي غَدَ جهلاً غَبي　　　ينهض الجهل بحظ موثق

يا ذكائي غَدْ غباءً أسْرِجْ　　　بغبائي من شقاء مُطبق

كمْ كفاياتٍ نفاها قومُها　　　وجُهودٍ أُلقيتْ في الطُرق

وُضعتْ في موطِيء النعل ولو　　　أنصفُوها وُضعت في الحدَق

فأتت عليـاءَهُم من بابِها　　　لا تُضعْ عمرَك بين الورَق

لم أكُنْ في نَعْتِهم مُختلقاً　　　لعنةُ اللهِ على المختلِق

علّمونا أننا في بلدٍ　　　فيه من لم يتملّق يُملَق

أو دعَونا فلكمْ دنيا الغنى　　　إنما نحيَا بدُنيا الخَلَق

مرةً أخطأتُها في عُمري　　　بثناءٍ قُلْتُه في نزَق

منذُ أنْ أخطأتُ فيه لم أبِتْ　　　ليلةً إلا بطرفٍ أرِق

***

روائع من الماضي بمجلة الأزهر

الأدب الحرام

للأستاذ / أحمد حسن الزيات

إعداد وتقديم الشيخ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

الأدب هو وجدان الأمة، وهو الوعاء الإنساني الذى تصب فيه العصارة الفكرية التى تفرزها كافة الفعاليات المكونة للبناء الاجتماعى من: دين وعقيدة، وقيم خلقية وإنسانية ومفاهيم ثقافية ومعرفية، إذ أن هذه الفعاليات تنصهر تلقائيا فى وجدان الأديب لتنعكس على نتاجه الفنى ولأن من لوازم حياة الإنسان العفة والفجور، والتصون والتبذل، فكل أديب يعبر عما يجول فى نفسه أو يقع تحت حسه بطريقته الخاصة، ولا أقول يعبر عن إبداعه فالإبداع انتقاء وارتقاء والكلمة وما تحمله من مسئولية لها أثر كبير فى النفوس فبها نزلت رسالات السماء، وبها تواصلت الحضارات عبر القرون، ولهذا نجد الإسلام حد لها حدودا ووضع لها قيودا لكى تستثمر فيما يعود بالفائدة على الأمة وحتى لا ينطق الإنسان بما يفسد فينشر باطلا بكلمة نابية مبتذلة رخيصة، وضعه الله تحت رقابة دائمة فقال:

﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾(١).

فالأدب إذا كان هدفه المتعة الذهنية، وترقيق الشعور وتهذيب الأحاسيس فلا اعتراض عليه، لكن إذا خرج عن ذلك وخاطب الغرائز الدنيا فى الإنسان، وبعد عن أن يكون أدبا هادفا فإنه حينئذ لا يساعد على بناء الحياة بل يعمل على هدمها، ويصبح نوعا من الانحراف، فيه إثارة السامع لا إنارته، ولذة السامع لا إفادته، وهذا ما لا يقره الإسلام ولا يرتضيه الخلق الكريم، ولا الطبع السليم، فتحرير العقول من رق الأهواء والشهوات وتطهير النفوس من أدران النقائص والرذائل واستنارت البصائر بما هو كريم وجميل أمر حتمى ولازم كل بقدر استطاعته.

وللتعرف على المزيد من الأدب الهادف، قال الكاتب رحمه الله:

---

(١) سورة ق ١٨.

الأدب عطر النفس الزكية وشعاع الروح اللطيف: ينقح الحس فيزكيه، ويضيء العقل فيهديه، وهو الجزء الروحي من كل نفس، والقبس الإلهي في كل قلب، والخصيصة التي تميز بها آدم من كل حي، بلغت رسالات الله إلى خلقه بلسانه، وانجلت عمايات النفوس بنوره، وهدهدت آلام الخليقة بأنغامه، ورسمت المثل العليا للناس بوساوس أحلامه.

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناة المعالي كيف تبنى المكارم

على أن هذه الملكة اللطيفة قد تنحرف باختلاف العقل أو انحلال الخلق فتصبح فنا لا أدبا، وهوى لا عقلا، وغريزة لا خلقا وصناعة لا طبيعة، وحينئذ تنزل إلى دنيا الواقع، فتصور المباذل بريشة الفنان، وتصف الرذائل بقلم الأديب، ولا يبتغي الفنان والأديب من وراء ذلك إلا لذة القارئ، لا إفادته، وإثارة السامع لا إنارته.

هذا الانحراف الأدبي قد فشا في أوروبا بعد الحربين العالميتين فنشأ عنه نوعان من الأدب أحدهما أدب اللذة وأمره يسير، والآخر أدب المجون وأثره خطير. فأما أدب اللذة وهو ما يسميه الفرنسيون اليوم: (اللذة الأدبية) (لاد لكتاسيون ليتريز) La délecta-tion littéraire فهو أدب يلذ ولا يفيد، ويسوغ ولا يغذي ويشغل ولا ينبه، كالذي تقرأه في أكثر الصحف وبعض القصص مما يجذبك عرضه، ويلذك تصويره ويلهيك موضوعه فإذا فرغت من قراءته لا تجد له رجعا في نفسك، ولا حاصلا في ذهنك.

طغى هذا الأدب على الأقلام في أوروبا بعد الحرب فهزم الكتاب النافع، وطرد البحث المفيد، فثارت ثائرة أقطاب الكتابة وأنحوا بالنكر على معالجيه ومروجيه، وحاولوا أن يفتحوا أعين الناس على أخطاره بما نشروا وأذاعوا، ولكن العلة كانت أفدح مما ظنوا. فإن الأعصاب التي أوهنتها الحرب بفظائعها وفواجعها وتوابعها لم تعد قادرة على معاناة الجد واحتمال التقصي. فرجعوا يتحاورون ويتشاورون ويطلب بعضهم إلى بعض أن يدسوا الفائدة في اللذة، ويمزجوا المرارة بالحلاوة تهوينا على الأعصاب المنهكة وتسكينا للنفوس القلقة.

ذلك هناك، أما هنا فالأمر مختلف. لا أعصابنا موهونة من حرب ولا نفوسنا قلقة من ضيق إنما هي الثقافة الضحلة، والأمية الفاشية، والتربية المهملة والصبر الفارغ، والطبع السئوم والوقت المضيع والحياة الهازلة.

خير ما في المدرسة الألعاب، وخير ما في المجلس النكت، وخير ما في الكتاب الأفاكيه، وخير ما في الصحيفة الصور، وخير ما في النزهة التهريج.

فإذا كان الناس في أوروبا قد انصرفوا بعد الحرب من أدب المنفعة إلى أدب اللذة فإن ذلك وإن طال عرض سيزول، لأن ثقافة النفس في الغرب أصيلة وحب المعرفة في أهله طبيعة.

أما عندنا فإن القراء يعكفون على هذا الأدب لأنه رضا السطحية الغالبة وهوى العامية العريقة، فهو الأصل، وما جاء على أصله لا يسأل عن علته ولا يتعجب من وجوده.

وأما أدب المجون فيختلف عن أدب اللذة في الدواعي التى تدعو إليه، وفي الدواهي التى تنجم عنه، فمن دواعى أدب اللذة عامية الذهن أو سطحية الفكر أو سآمة الجد، وهى أعراض طارئة مصيرها إلى الزوال، وانحراف عن الطبيعة مآله إلى الاعتدال، ومن دواهيه أنه يلفظ أهله على ساحل الحياة فلا يخوضون العباب ولا يغوصون على الجوهر، ويدفعهم إلى هامش الوجود فلا يكون لهم في متنه مكان يرمق ولا شأن يذكر.

ولكن دواعي أدب المجون التنفيس عن رغبة مكظومة والتعبير عن عاطفة جائشة والتحرر من التزامات مقيدة.

وهى خواص فى طبع الإنسان تلزم لزوم البكاء والضحك، وتدوم دوام الهزل والجد وأقل دواعيه أن تزول الحدود بين المعروف والمنكر، فلا يكون فارق بين حلال وحرام ولا بين فوضى ونظام ولا بين إنسان وحيوان. أدب المجون إذن خاصة تلزم لا عرض ينفك. ذلك لأن حياة الإنسان من لوازمها الحياء والوقاحة والعفة والفجور والاحتشام والتبسط والتصون والتبذل، والأدب المطلق صورة لهذه المتناقضات جميعا فالفنان الشاعر أو الكاتب أو المصور لابد أن يعبر بطريقته الخاصة عن كل ما يجول فى نفسه أو يقع تحت حسه. وكلما كان هذا التعبير صادقا كان أدخل فى باب الفن وأوغل فى طريق الكمال. من أجل ذلك كان أدب المجون ثابت الوجود فى أدب العالم كله، وهو فى الأدب العربى عريق الأصل. ظهر منذ قال العرب الشعر ورووا منه لامية امرىء القيس ودالية النابغة، ورائية بشار وغزوات ابن أبى ربيعة، وفواحش أبى نواس ومنديات ابن إياس، ومخازى ابن سكرة، وأحماض ابن حجاج، وظل الأدباء فى كل زمان ومكان ينظمون المجون وينثرونه ولاتزال ذواكر المعاصرين تعى ما تلقفته الأفواه من مجون حافظ والرصافى وإمام العبد والهراوى ما لم تسجله صحيفة أو يدونه كتاب. على أن هؤلاء جميعا كانوا ينشئونه لأنفسهم لا للناس، ويتناقلونه فى السر لا فى العلن، ويتفكهون به فى المجالس الخاصة لا فى المجامع العامة ولو كان لهم مالنا اليوم من طباعة تنشر وصحافة تذيع وجمهور يقرأ لتحرجوا من أكثر ما قالوه. فإن الناس منذ بث الله الحياء فى أبويهم آدم وحواء فخصفا على جسديهما العاريين من ورق الجنة شعروا أن للجسم عورات لا يجوز أن تظهر، ولمّا هذبهم الدين وثقفهم العلم وصقلهم التحضر شعروا كذلك أن للفكر عورات لا يليق أن تنشر، فهم بحكم الحرية والاستقلال والانطلاق يقولون ويفعلون فى خلواتهم ومباذلهم ما شاءوا، ولكنهم بحكم الدين والقانون والعرف يسترون سوءاتهم ونزواتهم ما استطاعوا، فلا يقولون

كل حمق ولا يصورون كل حالة ولا يظهرون كل مضمر، مراعاة لشعور الجماعة ومحافظة على كرامة الإنسان.

أدب المجون يجوز إذن أن يقال، ولكن لا يجوز أبداً أن يعلن، والرقيب على هذا الأدب ضمير الكاتب وكرامة القارىء. فما دام للكاتب ضمير يحييه الدين القويم والخلق الكريم فإنه يتكرم عن الهبوط إلى حضيض القوادين الذين يزينون الفحش، والمهربين الذين يروجون المخدر، ومادام للقارىء كرامة يقويها الحس الصادق والطبع السليم فإنه يتنزه عن سماع الهجو ورؤية المنكر، والناس في الشرق والغرب، وفي القديم والحديث كانوا، كذلك قبل أن تقوم قيامة الحرب العامة التي أهلكت فيما أهلكت تراث الإنسانية والمدنية من كريم الشمائل وحر الخلال.

هتك بشار في بعض شعره ستر الحشمة فنقم الناس منه ذلك وتمنوا موته صونا للعذارى وغيرة على المخدرات حتى قال مالك ابن دينار: «ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى الملحد»، وانتهى المجون ببشار إلى أن أمر به الخليفة المهدي فضرب بالسوط حتى هلك! واستهتر أبو نواس في الغزل واسترسل في الفجور حتى حبسه الخليفة الأمين، ولم يكد يخرجه من ظلام الحبس حتى دخل في ظلام الرمس!

وألف الشاعر الروماني «أوفيد» كتابه (فن الحب) فرأى فيه القيصر أغسطس إفسادا للناس فنفى المؤلف إلى «سرماسيا» وقال لطيباريوس حين سأله العفو عنه: «لا أنكر أن أوفيد شاعر ميزته الآلهة بالذكاء البارع والقريحة النافذة، ولكنه أفسد بكتابه شباب روما فحق عليه أن يموت في سجن سرماسيا».

وكتب فلوبير القصصي الفرنسي قصة (مدام بوفاري) فوجد الناس في أسلوبها خروجا عن مذهب الحياء فرفعوا أمره إلى القضاء فحكم عليه بالكف عن معالجة هذا النوع من القصص.

ونظم (بودلير) الشاعر الفرنسي ديوانه (أزهار الشر) فثار على جرأته أهل الحفاظ والنخوة وساقوه إلى القضاء فحكم عليه بغرامة قدرها ثلثمائة فرنك وإعدام ست قصائد من مطولاته.

فلما زلزل الله أركان الأرض بالحربين العالميتين كما قلت انقلبت الأوضاع وتغيرت الطباع واختلت المقاييس وبرد الدم الحار وبلد الحس المرهف وغلظ الجلد الرقيق فشاع الإغضاء وساغ البذاء وقلت المبالاة وسكنت الحمية حتى صار الفجور دينا له أنبياؤه ومبشروه فمن أنبيائه فرويد وجيد وسارتر، **ومن مبشريه لورنس وفكتور مرجريت. أما الأتباع فهم عبيد التقليد ومسوخ الفن ومشوهو الخلق من أمثال فلانة في فرنسا وفلانة في لبنان وفلان في مصر.**

ومن كبار الأدباء الذين راعهم هذا الدين فرنسوا مورياك فقد حزبه الأمر وأحزنته الحال

حتى ألقى ثلاثة أسئلة على صفوة من رجال العلم والأدب في أوربا يرجو أن يجد في الأجوبة عنها طبا لهذا الداء، وكشفا لهذا البلاء، قال:

١ـ هل تجد في انصراف الأدب إلى التعبير عن شهوات الجسد العارض خطرا على الفرد وعلى الجماعة وعلى الأدب نفسه؟

٢ـ من هم الأدباء الذين تقع عليهم التبعة في انحطاط الأدب الحديث؟

٣ـ أي المذاهب قد ساعد على هذا الانحطاط؟

فإذا فرضنا أن هذه الأسئلة ألقيت علينا كما ألقيت عليهم فبماذا نجيب عنها؟

يسأل مورياك ثلاثة أسئلة عن أدب الفحش، أولها عن نتائجه، وثانيها وثالثها عن أسبابه. فأما سؤاله عن نتائجه فما أظن جوابنا عنه يختلف عن جواب زملائه الأوربيين في شيء، لأن خطر الأدب الفاضح على الفرد والجماعة وعلى الأدب في نفسه لا يماري أحد فيه لا منا ولا منهم. وهل يماري أحد في أن البهيم الذي يساكن الإنسان في جسده إنما يروضه ويكبحه الأدب القائم على العقل والدين والعلم، تارة بالفطام واللجام، وتارة بالسياسة والملاينة فإذا فسدت طبيعة هذا الأدب فانقلب القيد سوطا يلهب، والشكيمة مهمازا يحث، أفلت البهيم من ربقته فافترس الإنسان الذي يعيش معه، وحطم المجتمع الذي يضطرب فيه، والأدب الذي أطلق هذا البهيم بتمليق غرائزه، وتحريض شهواته سينتهي أمره لا محالة إلى أن يصير آفة تتقى وجرثومة تحارب، لأن في ابن آدم محكمة داخلية نسميها الضمير إذا تعطلت حينا فلن تتعطل أبد الدهر.

وأما سؤالاه عن أسبابه فالأمر بيننا وبينهم في جوابيهما جد مختلف. إن أسبابه عندهم هي المرض وإن أسبابه عندنا هي العدوى.

ولا أقصد بالعدوى عدوى حدوث المجون فإن المجون كما قلت أصيل في كل نفس، عريق في كل أدب، إنما أقصد بالعدوى عدوى نشره في الصحف والكتب والتمثيل بنوعيه المحقق والمصور.

ليس على المرء من حرج أن يماجن صحبه الأدنين في مجلسه الخاص. وليس عليه من حرج أن يعرى في غرفة نومه أو في حمام بيته، إنما الحرج كله أن يماجن في ملأ أو يعرى في شارع. والذين يسمعونه مفحشا ولا يعترضون، أو يرونه عاريا ولا يعرضون لا يقلون مجونا ولا جنونا عنه.

فالمسألة في أدب المجون مسألة ضمير في الكاتب والناشر، وكرامة في القارىء والناظر، في وجودهما عدمه، وفي عدمهما وجوده.

السنة السادسة والثلاثون

●●●

من الشعراء الحرفيين المعاصرين في مصر:

الشاعر عبد العليم القباني

للدكتور/ عبد الفتاح محمود عمرو شعيب (*)

● مولده ونشأته:

ولد (عبد العليم القباني) في الثاني من أغسطس عام ١٩١٨ ببلدة (مطوبس) بمحافظة كفر الشيخ، وكان والده يعمل خياطاً عربياً بهذه البلدة ثم رحل عنها إلى مدينة الإسكندرية حيث استقر في «باب سدرة» منها.

وقد أرسله والده إلى كتاب (القومندان) بالمدينة حيث وجد أن عصا معلمه لا ترحم فانتقل إلى مدرسة التوفيق الأولية، ليتلقى عن أساتذيه: عوض مقلد افندي، وأحمد البصال مدرسي اللغة العربية والدين واللذين تعهداه بتقويم محاولاته الشعرية: الأول بجودة الإلقاء الشعري، والثاني بتقويم الجانب اللغوي حيث كان يعرض هذه البدايات الشعرية عليه، أما الوزن فكان القباني قريباً من موارده لحاسة تولدت عنده لسماعه الشعر القصصي من والده ومن رواد دكانه. وكان مدرسه يدقق في كل كلمة يخطها - شأن كل مدرسي عصره - ويستدرجه في تفسير المعنى حتى إنه أعطاه درسا في النقد مازال يتذكره حتى الآن.

وقد كان محل والده -ترزي العشرينات- ملتقى للأزهريين، وأنصار السنة، وفرق الصوفية: الشاذلية والرفاعية، كما كان -من جانب آخر- يضم بعض المشككين والملاحدة.

وكان مقرا لندوات غير معلنة، ومناقشات غير منتهية، وخلافات وصراعات على الدوام، وصاحب مثل هذه الحرفة يجتمع إليه كل فئات المجتمع بحكم حاجتهم إليه -على اختلاف مشاربهم ومنازلهم ومعتقداتهم- وإن كان هذا الوالد يهتم بالسير الشعبية مثل: سيرة عنترة والظاهر بيبرس

(*) دكتوراه في الأدب والنقد.

ويهتم –كذلك– بالكتب الدينية لاسيما كتب القصص الدينى، والكتب التاريخية، فواكب (عبدالعليم القبانى) هذه الاهتمامات، وتفتح عقله وقلبه على عبق التاريخ وعبيره الزكى، وعلى أثر الموسيقى والشعر الموزون المقفى فى بعض السير الشعبية مثل: عنترة وغيرها.

وطبيعى أن يكون محل والده (صالوناً) أدبيا ودينيا وسياسيا لكافة الاتجاهات تارة: بحكم الصداقة، وتارة أخرى لوجود مصلحة فى هذا المكان، وطبيعى –كذلك– أن يعايش عبدالعليم القبانى هذا المناخ من تناحر واحتكاك، واعتدال، واحتدام.. حوار إلى آخره.

ثم ينتقل الوالد بمحله إلى حى (الحضرة) لتكون بداية جديدة: إذ يتوفى بعد ذلك فى عام ١٩٤٢م بعد اتساع المحل وازدياد «زبائنه» ويرث (عبدالعليم القبانى) المحل، فتتوطد الصلة بينه وبين رواده وقصاده، ثم ينضم إلى محل هذا الشاب عنصر آخر يضاف إلى ما سبق وهو عنصر الشباب فيزداد العبء على هذا الشاب الذى ورث هذه الحرفة وارتقى درجها وصارت مصدر رزقه.

تخصص عبدالعليم القبانى فى عمل الجلباب والقفطان والعباءة –وكانت أزدية شائعة فى تلك الفترة، وكانت تدر عليه أجرا يكفيه ويسد حاجته، ولكن الأخذ بأسباب الحضارة بدأ يتفشى شيئاً فشيئاً وبدأ تقليد الأوروبيين فى لباسهم يزحف حتى إذا كان عام ١٩٥٦ وجد القبانى أن الزى الأوروبى طغى على الكثيرين فاتجه إلى إنهاء العمل فى هذه الحرفة وفى نهاية العام نفسه باع محله.

–ولكن من أين يأتى بما يحفظ كرامته ويضمن عيشه؟

أرسل بمقال نارى إلى جريدة (الجمهورية) بعنوان: (ترزى عربى للبيع) يعدد فيه جوائزه الأدبية ومواهبه ويتهكم على صناعة الترزية وعلى الدولة التى لم تستطع أن تجد له عملاً يصون به كرامته، فالتفت إليه الأستاذ/ محمد خلف الله أحمد –عميد كلية آداب الإسكندرية– وكان يعرفه من خلال الندوات الأدبية، وعمل على تعيينه ملاحظا بمتحف الكلية بمكافأة مؤقتة –فكتب إليه يشكو هذه الحالة فى أبيات شعرية:

أيرضيك أنى هنا ريشة
أخاف النسيم وأخشى البلل
أرى الصبح أمنية الحائرين
وأخشى به أن يكون الزلل
وأنت العليم بأنى امرؤ
تجمد فى طاقة من خجل
أأشقى بحظى فى أمة
تثل العروش وتبنى الدول؟

ولما قرأ الأستاذ/ محمد خلف الله هذه الأبيات جاشت أعماقه بمشاعر التعاطف وعمل على تثبيته فى وظيفة فنجح فى مسعاه وأصبح القبانى موظفاً دائماً.

واستمر عمل القبانى بمتحف كلية الآداب حتى عام ١٩٧٨م، ولقد عمل لمدة عام عاملاً فى شركة النقل والهندسة بمصنع المطاط، ولم يستمر فى العمل بها نظراً لما ناله من مشقة ونصب حال بينه وبين الإبداع الشعرى وهكذا عاش عبدالعليم القبانى حياته كما يعيش عامة الناس يعانى

شظف العيش وقسوة الحياة ويقتسم مجالات الحياة العامة مع محدودي الدخل في الشارع والمواصلات والمرافق الشعبية ولا يعرف اليأس سبيلاً إلى نفسه حتى بعد أن فقد ابنه (محمداً) و(بنته سهيرا) في عام واحد هو عام ١٩٨١، فقد رضي بقضاء الله وقدره وكان ابتسامته المعهودة دليل هذا الرضى.

● حياته الثقافية:

وضح مما أشير إليه في السطور السابقة من ذهابه إلى المدرسة ثم حضوره المحاورات الأدبية في محل والده أن مجتمع الدكان كان له أكبر الأثر في اتجاه الشاعر وانتحائه هذا المنتحى إذ أنه توقف في التعليم عند الشهادة الابتدائية، ثم اعتمد على جهده الشخصي في تحصيل الثقافة العامة والخاصة فعرفته مكتبة البلدية، وعرفها منذ ريعان شبابه يقرأ كل ما يقع عليه بصره من كتب في كل فن واضعاً أمام ناظريه مثله الأعلى (العقاد) وساعده على ذلك ذكاء متوقد فيه وموهبة أصيلة راسخة.

● أول جائزة نالها:

ونظمت إدارة خدمة الشباب مسابقات أدبية في الشعر والقصة والرواية والخطابة فتقدم (القباني) للاشتراك في هذه المسابقة التي نال جائزتها الأولى فحرص الأستاذ (محمد فريد أبوحديد) على أن يبلغه النبأ بنفسه فركب سيارته الفارهة التي جاست به خلال الحواري والأزقة في مدينة الإسكندرية حتى وصلت به إلى دكان (الخياط الشاعر) ونزل الأديب منها واتجه إلى الخياط الشاب وهنأه على نيل جائزة الشعر وكانت مفاجأة مذهلة[1]، وكان يحضر تسليم الجائزة مندوب الملك (فاروق) في دار الأوبرا الملكية عن قصيدته (ليالي البحيرة) والكل يعجب لهذا الخياط العربي وكانت البدايات الأولى لنشر نتاجه عام ١٩٣٤م في مجلات سكندرية مثل: (الفارس، والشروق) ثم في جرائد لها ذيوعها مثل (السياسة الأسبوعية) ورئيس تحريرها (محمد حسين هيكل)، ومجلة (الإمام) ورئيس تحريرها (أحمد زكي أبوشادي)، واستمرت رحلة النشر الطويلة لمئات القصائد والبحوث، والدراسات الأدبية في مصر والدول العربية، والتي يعجز القباني نفسه عن حصرها.[2]

● جوائز أخرى:

ولقد فاز عبدالعليم القباني ست مرات متواليات من سنة ١٩٤٨ وما بعدها بجائزة الجامعة الشعبية (الثقافة الجماهيرية الآن) وحتى تظهر وجوه جديدة فقد اختاروه حكماً في المسابقات التي تعقد كل عام وبذلك لا يحق له دخول المسابقة التي استحوذ جوائزها.

ومن هذه الجوائز جائزة شوقي لأحسن ديوان من الشعر القومي على مستوى العالم العربي عام ١٩٦٤م؛ والجائزة الأولى عن الشعر الاجتماعي

---

(١) عباس خضر: هؤلاء عرفتهم. ص٧٥. طبعة دار المعارف ١٩٨٣م

(٢) انظر: سكندريون - محمد عبدالحميد

عام ١٩٧٤م وجائزة لندن على مستوى العالم العربى فى الشعر الدينى عام ٨١/١٩٨٢ . كما حاز شهادات تقدير من جهات مسئولة كثيرة . كما نال مؤخرا عدة جوائز أبرزها جائزة (البابطين) .

● تمثيله لمصر فى المهرجانات الأدبية:

مثل مصر فى مؤتمر الشعر فى رومانيا، ثم مهرجان الشعر فى بغداد فى ديسمبر ١٩٨٦ .

● كتبه ودواوينه:

فى سنة ١٩٦٤ تم نشر أول كتاب للقبانى عن شعراء الإسكندرية فى العصور الإسلامية وأشاد به النقاد باعتباره من أدق الكتب فى موضوعه .

ثم توالت الكتب والدواوين بعد ذلك مثل: محمود بيرم التونسى: حياته وشعره الفصيح، ونشأة الصحافة العربية بالإسكندرية، وكان تأليف هذا الكتاب نتيجة لأنه استبعد عن إلقاء محاضرة عن صحافة الإسكندرية فى الموسم الثقافى الذى يقام كل عام وذلك لأنه غير جامعى، ولا ينبغى له أن يكون محاضراً، وأوكلوا هذا العمل إلى غيره وهو رئيس تحرير مجلة: البصير .

فحزن القبانى وفكر جاداً فى تأليف فى هذا الكتاب، وعكف على قراءة المراجع والرسائل العلمية إلى أن أخرج كتابه عام ١٩٧٣م .

ومثل هذا حدث عندما أخرج كتابه: (طه حسين فى الضحى من شبابه ١٩٠٨م - ١٩١٣م) وقد أنجزه عام ١٩٧٦ .

وكذلك نشر له كتاب: فخرى أبوالسعود: حياته وشعره بالإسكندرية، ورواد الشعر السكندرى الحديث، والبوصيرى حياته وشعره والشيخ عقل شاعر الصوفية، وكتاب مع الشعراء أصحاب الحرف، وإيليا أبو ماضى حياته وشعره . هذا إلى جانب دواوينه: أغنيات مهاجرة - قوس قزح - لله ورسوله- قصائد من حديقة الحيوان للأطفال - بقايا سراب - أشعار قومية - ملحمة الثورة العرابية وغيرها مما لم يطبع ولهذا اختير عضواً فى مجلس إدارة اتحاد الكتاب بمصر كما اختير عضواً بلجنة المؤلفين بباريس[٣] وقد قدم للإذاعة كثيراً من قصائده إلى جانب البرامج الثقافية للبرنامج الثانى مثل: البهاء زهير وابن زيدون، والبوصيرى .

● شخصيته وسماته:

تدل البسمة التى تطل من وجه الشاعر على بعض المعانى منها هذه الروح الخفيفة والمرحة التى تبدو فى كلامه العادى وتفسح فى بعض قصائده، كان يخاطب الأستاذ (محمد خلف الله أحمد) عميد كلية آداب الإسكندرية بشأن مكانه الذى يلاحظ منه متحف الآثار بالكلية وكان فى «البدروم» ملتمساً أن يخرجه من هذا الجُب . فيقول:

ولكن حظى فى يد الغيب لم يزل
هزيلا متى يصعد به الجهد يخفت
رمانى بجُب تجهل الشمس أمره
فلا فرق فيه بين (مصرى وطوبة)

---

(٣) انظر المرجع السابق.

أغـثـنـي -لك الخـيــر الذي أنت أهله
وبُلّغت مـا ترجـوه في كل وجـهـة
وهنتُ فـمـا لي بالــراديب طاقـة
وقـد ضـقـت بالدنيـا فكيف (بتربة)
وما كنت (دانيالا) وما كنت (يوسفا)
وأين مـقـامي من مـقـام النـبوة؟
يشـيــرون بالأيدي إليَّ تعـجـبـاً
أحيٌ يُرجى في ضـريـح لميت؟
وما كان في «البدروم» مثوى لشاعر
ذرى الأيك مأوى الطير لا بطن حفرة
ومـا جُـعل «البـدروم» إلا وسيلة
لحفظ متـاع أو لإخـفـاء وصـمـة
ومـبلغ علمي أنني لست «مـاسة»
يخـاف عليـهـا، أو مـشـارا لريبة

ثم يكشف عن شخصيته المسالمة التي لا تنحدر إلى مسالك الشر والتي تصمت حين يكشر عن أنيابه في أي المواقف، ثم يضيف إلى هذا أنه ضحوك الثغر مبتسم وعنده حياء وأنه خجول غير متجرىء على الطلب، فيقول:

«أبا خلف» أمـــا غـــداي فـقـلة
فـإني امـرؤ إن صـرح الشـر أصـمت
حيي ضحوك الثغر أبدى ابتسامتي
وبي وحـشـة الأسـرى بأرض غـريـبـة
ولولا سـمـو فـيـك لم يدر سـامـع
لأي جـــراح الـقـلب أرسـلت آهتي
فكيف أواري اليوم في القاع بعدما
تنسمت في مغناك عرف الأبوة[٤]

وهو حين يخاصم يتميز بسخرية وعنف، ولكن تعففه يغلب عليه كما نراه في قوله:

أشكو الى الله قوما قد صحبتهمو
وكـــان ظني فـيـهـم أنهم بشـر
ظننت أن ثمـار العلم تمنحـهـم
ذوقـا وظرفـا ولكن خـانني النظر
أقـول كي تستـريح النفس هم بقـر
فـتشـمـئـز وتلوي رأسـهـا البـقـر[٥]

هذا وعند دراسة شعره سنجد أن هناك ملامح أخرى لشخصية الشاعر سوف تكشف عنها هذه الدراسة وسوف تتعرض في عدد قادم -بإذن الله تعالى- لشعر هذا الشاعر العملاق[٦] بالدراسة والنقد و التحليل. فلا ريب أن شعره ذاخر بكل ما يفيد المتلقي في عالم الشعر والادب والنقد ولسوف أعرض - إن شاء الله - كذلك على وجه الخصوص لشعره الديني لنرى كيف خاض هذا المجال بحرفة وفنية جيدة.

---

(٤) بقايا سراب ص١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ عبدالعليم القباني

(٥) محمد عبدالحميد - سكندريون ص١٦.

(٦) انظر رسالة دكتوراه للكاتب مخطوطة بعنوان: من الشعراء الحرفيين المعاصرين في مصر: دراسة وتقويم: في كلية اللغة العربية في المنصورة.

أنواع العلوم

لفضيلة الشيخ / إبراهيم الدسوقي (*)

العلوم بصفة عامة ثلاثة شرعية، وهي ما جاء به الأنبياء، ولا يرشد إليه العقل مثل الحساب، ولا التجربة مثل الطب، ولا السماع مثل اللغة.

والعلوم التي من هذا القبيل أي ليست بشرعية تنقسم إلى محمود ومذموم ومباح فالمحمود، ما ترتبط به مصالح الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وهو كل علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب، إذ هو ضروري في حاجة بناء الأبدان وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث. وهذه العلوم إذا قام بها البعض في بلد سقط الفرض عن الباقين ومثله الكثير من الصناعات كالفلاحة والسياسة.

وأما ما يعد فضيلة فهو التعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وما ماثلهما من الشئون التي ترتبط بها مصالح أمور الدنيا من كل ما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه. وأما المذموم منه فعلم: السحر والشعوذة والتلبيسات، ومنه المباح وهو: العلم بالأشعار التي لا سخف فيها، وتواريخ الأخبار وما يجري مجراها.

وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة فهي محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة ـ فالمحمودة منها أصول وفروع ومقدمات ومتممات.

فالأصول أربعة: وهي كتاب الله ـ عز وجل ـ وسنة رسوله ـ ﷺ ـ وإجماع الأمة وآثار الصحابة.

وأما الفروع: وهي ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها، بل بمعان تنبه لها العقول كما فهم من قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «ولا يقضي القاضي وهو غضبان» (متفق عليه). أنه لا يقضي القاضي إذا كان خائفا أو جائعا أو متألما لمرض.

وهذه الفروع: منها ما يتعلق بمصالح الدنيا وتحويه كتب الفقه المتكفل به الفقهاء وهم علماء

(*) وزير الأوقاف الأسبق.

الدنيا، ومنها ما يتعلق بمصالح الآخرة، وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو رضى عند الله تعالى وما هو مكروه. ويقوم عليها المخلصون من الدعاة إلى الله ـ عز وجل ـ.

ثم المقدمات وهى التى تجرى من هذه العلوم مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فإنهما آلة لعلم كتاب الله وسنة نبيه ـ ﷺ ـ. ثم المتممات وذلك فى علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف. وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو ما يسمى بأصول الفقه ويتناول السنة ـ أيضا ـ وعلومها.

ولما كانت الدنيا مزرعة الآخرة. فإنه لا يتم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين توأمان. فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان.

وأما الحلال والحرام. فالورع من الدين وله مراتب: ـ

أ ـ الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة.

ب ـ ورع الصالحين. وهو التوقىّ من الشبهات وفى الحديث. قال ـ ﷺ ـ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» ـ أخرجه الترمذى وصححه النسائى ـ.

جـ ـ ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض. الذى يخاف منه أن يفضى أداؤه إلى الحرام. وفى الحديث الذى أخرجه الترمذى: قال ﷺ: «لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس»

ثم ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله خوفا من صرف ساعة من العمر إلى ما لا يفيد زيادة قرب من الله ـ عز وجل ـ وهذا مجال لا يمكن الخوض فيه حيث مكانه بين فئة من الناس لا يتوفر ما خصها الله به من زلفى إليه عند أكثر الناس.

إن أهل هذه المنزلة أقوام خصهم الله بنور يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده فتكون لهم المعرفة بالله ـ تعالى ـ. وتتكشف لهم الأمور فيرونها على حقيقتها. وهذا النوع من العلم فيه جانب كسبى كبير يقوم على التزام العبد كلمة التقوى من الإخلاص والصبر والشكر والتواضع والقناعة والورع والزهد والتوكل على الله. وهذا مصداق قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾(١) ـ حقيق بهذا النوع من العلم أن يكون صاحبه موصولاً بالحضرة الإلهية باعتباره جزءاً من الحقيقة العظمى التى يعتد بها لإثبات الحق الأكبر وهو الوحدانية ـ كما أن صاحبه مع ذلك مصطفى بعلمه تعالى ـ مختار بفضله ـ مُهيأً قلبه لفهم أسراره وفيض حكمته ـ قال ـ تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾(٢).

---

(١) البقرة ٢٨٢

(٢) فاطر (٣٢)

أى أعطينا العلم لمن اخترناهم من عبادنا المؤمنين فهم المختارون من الخيار.

دور العلم فى حياة الأفراد والأمم

وقد أدرك المسلمون الأولون قيمة العلم ومنزلته فى سعادة الأفراد والأمم فقد كانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب فجدوا فى محو أميتهم بكل الوسائل حتى أطلقوا سراح الأسير إذا هو علم عدداً من أبناء المسلمين القراءة والكتابة وجعلوا تعليم القرآن مهراً فى الزواج وأطلقوا لأنفسهم سراح النظر فى الكائنات فادركوا منها ما يسعدهم فى الحياة، ويجعلهم أئمة يهدون بأمر الله، ومنذ نزل القرآن الكريم وشَقَّ به الرسول طريق الحياة شرع العقل الاسلامى يعمل بجهد رائع وحرية مطلقة، ويختلف العلماء باختلاف أساليب البحث والنظر دون أى حرج. لقد هدم الاسلام أسوار الكهنوتية البغيضة فأزاح عن العقل كل وصاية مفروضة وأطلق ملكات الإنسان الحبيسة كى تأخذ مسارها الطبيعى فى رحاب الكون كله فلم يشهد المجتمع الإسلامى ما شهدته أوروبا من تحجر العقل وجدب الروح وبلادة الحس، والضَّراوة فى محاربة العلم والعلماء، ويذكر التاريخ أن عدد العلماء الذين عوقبوا فى أوروبا، عوقب منهم الكثير بالقتل أو الحرق أحياء، فكان منهم العالم الطبيعى «برونو» وعوقب العالم الطبيعى «جاليليو» بالقتل وحرقت جثته لأنه اعتقد بدوران الأرض حول الشمس، وحكم عليه بالإلحاد والكفر، وحبس «دى رومنس» فى روما حتى مات فحوكمت جثته، والقيت فى النار. الخ.

ونجاة المجتمع الإسلامى من هذه المآسى الشائنة التى خيمت على أوروبا يعود إلى طريقة القرآن فى ربط الإسلام بالكون وإطلاقه الحرية الكاملة للباحثين دون حظر ولا قيد وذلك حيث بدأ الجو الإسلامى كله بقوله ـ تعالى ـ ﴿ اقْرَأْ ﴾[٣] أى بدأ بالعلم، والعلم له منزلته الكبرى فى الإسلام منزلة لا يوجد ما يماثلها أو يضارعها فى الآداب العالمية كما لا يوجد بالنسبة للعلم إشادة به كما يوجد فى الإسلام.

وقد انطلق الإسلام حاثاً على العلم مؤيداً للعلم محباً للعلم مادحا للعلم وانطلق المسلمون استجابة لله ـ تعالى ـ ودعوة رسله فى جميع أرجاء العالم باحثين منقبين كاشفين عن قوانين الله فى كونه وعن سنن الله الكونية وعن سنن الله فى المجتمعات، عن كل هذه الأمور التى يجب على الإنسان فى صلته بالكون وفى صلته بالآخرين، يجب عليه أن يعرفها، وكانت الحضارة الإسلامية فى قوتها وفى عظمتها فى هؤلاء الافذاذ الذين أنتجتهم هذه الحضارة حتى أصبحت لهم زعامة العلم فى الأرض وصارت مدارسهم وجامعاتهم معاهد للثقافة العالية يقصدها الناس من كل بقاع العالم. وقد قال الفيلسوف «درابر» المدرس بجامعة نيويورك فى كتاب: «المنازعة بين العلم والدين» قال: «إن اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم

---

(٣) العلق(١).

باحتلال الإسكندرية سنة ٦٣٨ م أى بعد وفاة الرسول بست سنين ولم يمض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية اليونانية وقدروها قدرها الصحيح» ثم قال : «ولما ولى الخلافة أبو جعفر المنصور من سنة ٧٥٣ م إلى سنة ٧٧٥ م نقل عاصمة الملك إلى بغداد وجعلها عاصمة فريدة فلم يأل جهداً فى بذل الوسع فى نشر العلوم الفلكية وتأسيس مدارس الطب والشريعة. ولما تولى حفيده هارون الرشيد سنة ٧٨٦ م إتبع أثر جده فى هذه الفتوحات العلمية، وأمر بإضافة مدرسة إلى كل مسجد فى جميع أركان ملكه ولكن عصر العلم الزاهر فى القارة الآسيوية لم يشرق إلا فى خلافة المأمون الذى تولى الخلافة من سنة ٨١٣ م حتى سنة ٨٣٢م فإنه جعل بغداد العاصمة العلمية العظمى وجمع إليها كتباً لا تُحصى وقرب إليه العلماء وبالغ فى الحفاوة بهم وهذا المركز الذى اكتسبه العرب استمر لذيهم حتى بعد أن انقسمت مملكتهم إلى ثلاثة أقسام : ــ

العباسيين فى آسيا. والفاطميين فى مصر. والأمويين فى أسبانيا. لم يكونوا متناظرين متنافسين على الحكومة فحسب.. بل كانوا كذلك فى العلوم والآداب. وقد ذاق العرب فى الفنون الأدبية كل ما من شأنه أن يشحذ القريحة ويصقل الذهن وقد اشتهروا فيما بعد بأنهم أنجبوا من الشعراء بقدر ما أنجبت الأمم مجتمعة. أما فى العلوم ــ فقد كان تفوقهم فيها ناشئاً من الأسلوب الذى توخوه وهو أسلوب أخذوه من الفلاسفة اليونان الأوروبيين ــ وقد تحققوا من أن الأسلوب العقلى النظرى لا يؤدى إلى التقدم وأن الأمل فى وجدان الحقيقة يجب أن يكون معقوداً بمشاهدة الحوادث ذاتها ــ من هنا كان شعارهم فى أبحاثهم : الأسلوب التجريبى والدستور العملى الحسى ثم قال فى عرض كلامه على مكتباتهم : وقد اشتملت مكتبة خلفاء الأندلس على ستمائة ألف مجلد وكانت قائمة أسمائها وحدها واقعة فى أربعة وأربعين مجلداً. وغير هذا فقد كان بالأندلس سبعون مكتبة عامة. وكثير من المكتبات الخاصة، كما كان الملك الإسلامى يغص بالمدارس والمكتبات وكانت بلاد المغول والتتار ومراكش والأندلس حاصلة على عدد عديد منها، وكان فى طرف من أطراف هذه المملكة الواسعة. مرصد فى سمرقند لرصد الكواكب وكان يقابله فى الطرف الآخر مرصد جيراك فى الأندلس.

إن نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جلياً فى النقد الذى نالته الصنائع فى عصرهم.

وليست أوروبا العصرية بأعلى ذوقاً ولا ألطف رونقاً من عواصم الأندلس على عهد العرب فكانت شوارعهم مضاءة بالأنوار ومبلطة أجمل تبليط ــ والبيوت مفروشة بالطنافس وكانت تدفأ شتاء بالمواقد وتهوى صيفاً بالنسمات المعطرة بواسطة إمرار الهواء تحت الأرض من خلال أوعية مملوءة زهراً. وكانت لهم حمامات ومكيفات ومحلات للغذاء وينابيع مياه عذبة. بهذه الروح العلمية كفل الإسلام للآخذين به كل ما تستدعيه الحياة الاجتماعية من عوامل للتطور وبواعث للنهوض والارتقاء. ودوافع للتبسط فى الأرض والاختلاط بالأمم والاقتباس منها واستهداف أغراض قصيّة والدأب على بلوغها. فكان للإسلام ما رمى إليه وتألفت من أهله أمة لم

تبلغ شأوها أمة قبلها ولا بعدها ـ صحة في العقيدة يَنْحنى العقل والعلم إجلالاً لها وتسليما بها وعلواً في الحياة كانوا معها مطمح أنظار الأمم تعشوا إلى نورهم وتستهدى بهديهم ومدينة فاضلة تنعم فيها الروح والجسم معاً. هذه لمحة من مقالة عالم غير مسلم ـ جدير بها أن تكون نوراً يستهدى به المفترون على الإسلام الذين يقولون عليه ما لا يتفق وجلال تعاليمه.

مدلول كلمة العلم

وحين يتحدث الإسلام عن العلم إنما يريد به كل ما يحتمله من المعارف التي أتيح للبشر الإلمام بها قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ﴾(١).

وفي ختام الآية يحصر ـ سبحانه ـ خشية الله في العلماء وهو دلالة على أن المراد بالعلماء هنا العارفون بأسرار هذه الطبيعة والواقفون على حقائق المساتير الكونية فوق علمهم بالأمور الإلهية، وكذا قوله ـ تعالى ـ:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(٢).

وتذييل هذه الآية وما ضمت من أمور كونية بقوله ـ تعالى ـ:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ إشعار بأن المقصود بالعالمين الذين يلمون بما هُدى إليه الباحثون من هذه المعارف الطبيعية والإنسانية.

إن كل ما يدفع الجهل سواء كان في العقائد الدينية أو في الشئون المادية إيذان بأن الإنسانية كما تحتاج لعلم صحيح فيما يتعلق بعقائدها تحتاج كذلك إلى علم بما تستصلح به معيشتها وتبنى به اجتماعها وتستكمل به وسائلها وتحكم به جميع محاولاتها وقد فهم الأولون هذا الفهم نفسه فهبوا لطلب العلم بأوسع ما يحتمل هذا اللفظ من معان فتخصص بعضهم لعلوم الدين من ضبط قراءة كتابه وتفسير معانيه وسائر علومه ومنهم من وقفوا أنفسهم على دراسة السنة وتدوينها وسائر علومها، وجماعة جعلوا غرضهم اللغة وتدوين علومها وفرق أخرى استهدفت العلوم الكونية على اختلاف موضوعاتها من فلك ورياضة وصيدلة وكيمياء وغيرها، واستوعبوا كل ما وجدوه شائعا من كتبها ولما لم يَرْوِ لهم غُلة شرعوا يترجمون ما ادخره اليونان والرومان والفرس في مكتباتهم فاستخرجوا منها ما كان في حكم المعدوم فألفوا من ذلك كله

---

(١) فاطر (٢٧، ٢٨).

(٢) الروم (٢٢).

مجموعة من العلم لم تتفق لأمة قبلهم فقد حشدوا إليها كل ما ثبت نفعه من المعارف غير متأثرين بعصبية ولا بنزعة جاهلية شعارهم (خذ الحكمة ولا يضرك من أى وعاء خرجت) . وقد ثبت أن أسلافنا لم يأنفوا من تعلم شيء مما ترجموه بل بحثوا ونقّوا ما ثبت بطلانه واحتفظوا بما ثبت لديهم صحته . بل إنهم فى عهد المأمون حين انتصروا على الرومان فقد شرطوا على صلحهم تسليمهم مكتبة عينوها لهم فقبل إمبراطورهم هذا الشرط وسلمهم المكتبة فأكبوا على ترجمة أحسن ما فيها وأضافوه إلى ما لديهم وأصبحت لهم زعامة العلم فى الأرض وصارت جامعاتهم ومدارسهم معاهد للثقافة العالية يَقصدُها الناس من كل بقعة فى العالم.(١)

وقد ظهر فى هذا العصر من العلماء المسلمين من شاد بذكرهم المستشرقون ومن بينهم « البيرونى » الذى يقول عنه أحد المستشرقين : إنه أكبر عقلية ظهرت على وجه التاريخ لم يدع البيرونى القراءة والبحث حتى وهو فى فراش الموت كما يحكى عنه أحد أصدقائه وقد ذهب ليعوده فى مرضه فصار يسأله فى بعض المسائل الفقهية وما أن خرج من عنده حتى علم أنه فاضت روحه إلى بارئها، وهذا الكندى يقول عنه المستشرقون الذين كتبوا عنه : إنه أحد ثمانية هم على الإطلاق النابغون فى العالم فى الرياضيات وقد درس الكندى فضلا عن الرياضيات الطب، فكان طبيبا ناجحا، ودرس الموسيقى علما وعملا . ودرس الموسيقى من أجل الطب فكان يستخدمها فى العلاج كما كان يستخدمها مع العقاقير فى الطب وهو أمر لم ينتبه له العلم الحديث إلا قريبا .

وكان هناك ـ أيضا ـ ابن سينا وقد وصل إلى قمة من قمم الطب فى سن السابعة عشرة حيث كان الأمير منصور بن نوح وهو أمير على إحدى الإمارات الإسلامية مريضا حار كبار الأطباء المسيحيين وغيرهم فى علاجه فقيل له استدع ابن سينا ولم يكن يفكر فيه لحداثة سنه إلا أنه استدعاه وجيء به وسرعان ما أثمر علاجه وشفى الأمير فلما عرض الأمير على ابن سينا أن يكافئه بما يطلب ويهديه ما يشاء قال له : إن المكافأة الوحيدة التى أرجو أن تكافئنى بها هى أن تفتح لى أبواب مكتبتك، وكانت مكتبته حافلة بنوادر الكتب ونفائس المخطوطات وقد اعتكف فيها ليلا ونهارا حتى انتهى إلى ما أحبه .

وكذلك « ابن الهيثم » وهو عالم متمكن فى علوم الطبيعية وعلى الخصوص فى علم الضوء يجرى تجاربه على قمم الجبال، وينزل إلى السهول والأودية لهذا الغرض، وبعد ذلك ألف كتاب « البصريات » الذى ترجم إلى عدة لغات أوروبية حتى إن « رجيبيكون » مؤسس المنهج العلمى فى أوروبا وقد كتب كتابا بعنوان : « الضوء » نقل عن كتاب ابن الهيثم فصولا بأكملها وضعها فى كتابه وهو القائل : إن المجال الوحيد الذى يمكن أوروبا من النهوض ومن النهضة العلمية إنما هو تعلم اللغة العربية والعلم العربى .

---

(١) مهمة الإسلام فى العالم (فريد وجدى ص ١٠٦ : ١١٢) بتصرف.

وهناك عالم إنجليزى اسمه « بريكفيلد » ألف كتابا اسمه (بناء الإنسانية) تحدث فيه عن العرب وفضل العرب على الحضارة الأوروبية. كما ينقل عن « بيكون » ويقول كذلك : إن أوروبا حينما كانت مغمورة فى الجهل، وفى الظلام كان العالم الإسلامى مزدهرا فى الأندلس وجامعات الأندلس وكتب الأندلس. وكانت أوروبا ترسل البعثات من التلاميذ يتعلمون فى الأندلس، ويقول « بريكفيلد » : إن أوروبا مدينة بالمنهج العلمى وبالأسس العلمية وبنهضتها مدينة فى كل ذلك للعرب، ولو لم يكن العرب لما بلغت أوروبا هذا المبلغ من الحضارة.

أخذت أوروبا الجانب العلمى عن المسلمين ونهضت وارتفعت به، وكان هذا الجانب العلمى فى الأقطار الإسلامية، فى الأندلس وفى غيرها مؤسسا على البعث الإسلامى من القرآن الكريم ومن كلام الرسول - ﷺ - هذا البعث الذى استجابت له الأمة الإسلامية فنهضت وكانت هى المنارة فى وقت كان العالم كله « أوروبا وغير أوروبا » يعيش فى ظلام دامس من الجهل المطلق، وكانت الأمم الإسلامية منارات يهتدى بها السالكون فى الجوانب العلمية المختلفة انطلاقا من دعوة الإسلام إلى العلم، فقد كان الأمر بالقراءة والتعليم أول مادة فى دستوره وهى :

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ﴾[٧] وكانت هذه بداية النهضة الكبرى فى الأمة الإسلامية. وكانت القراءة مقيدة باسم الرب - اقرأ باسم ربك أسُسًا وأسبابا - واقرء باسم ربك آيات وأهدافا. أى أن القراءة لابد أن تكون باسم ربك فى المبدأ أى فى سبيل الخير وفى طريق إصلاح الإنسانية وفى الإطار الذى يجب أن يكون العلم فيه إسعاد للإنسانية لا تنكيلا بها.

وإذا كان العلم باسم ربك وإذا كان مقيدا بأن يكون فى إطار التعاليم الإلهية فلا يكون مُنَكِّلاً ولا مفسدا ولا وسيلة للغلبة ولا سبيلا للسيطرة والتنكيل والاستعمار.. حينما يكون العلم على هذا النسق فإنه يكون باسم ربك أى يكون للهداية والإرشاد ولخير الإنسانية ومصلحتها لا أن يكون تنكيلا وإفسادا لهذه الإنسانية. وفرق كبير بين الشعار الأوروبى الآن « العلم للعلم » والشعار الإسلامى العلم « للإنسانية ».

بين الشعار الأوروبى والشعار الإسلامى

إن الشعار الأوروبى العلم للعلم والأدب للأدب والفن للفن هذا الشعار غاية فى الإفساد كما يبلغ القمة فى الإفساد حين تقول « الأدب للأدب » ومعنى ذلك قل ماشئت فى الجو الأدبى « الأدب للأدب » قل الأدب المكشوف فليكن الأدب الذى يصف الخائنة بأنها بطلة- فليكن الأدب الذى يصف المجرم المحترف بأنه من كبار الأبطال هذا الشعار (الأدب للأدب) فكرة شيطانية لا يمكن أن تكون إلا فى أوروبا ولا يمكن أن تخترع إلا فى أوروبا « والفن للفن » شعار أوروبى أيضا ارُسم الفساد على أى وجه كان. ارسم ما شئت. ارسم النساء عاريات.. وبأى شكل وعلى أى وجه كان. لكن الشعار الإسلامى (الأدب لخير المجتمع والعلم لخير المجتمع والفن لخير المجتمع كله) يجب أن يكون فى إطار التربية الإسلامية.

من أجل ذلك يمكن أن تفهم الحكمة فى أن الله -

(٧) العلق.

تعالى - في أول آية نزل بها الوحي قال: «اقرأ باسم ربك ولم يقل اقرأ باسم الله ذلك بأن كلمة «الله» الكلمة الجامعة للأسماء والصفات فكان من المفترض أن يأتي بهذا «الاسم الجامع فيقول: «اقرأ باسم الله» ولكن حكمة الله فوق عقولنا في قوله - سبحانه: «باسم ربك الذي خلق» أي اقرأ باسم المربي أي اقرأ في إطار التربية أي تربية المربي. اقرأ باسم ربك والرب المربي. اقرأ باسم التربية الإلهية. أي إنك وأنت خارج عن هذا النظام الذي هو الإسلام أنت حر تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء لكنك بمجرد أن تدخل في الإسلام لابد وأن تلتزم التربية الإلهية. وهذا توجيه من أول آية قرآنية نزل بها الوحي إلى الالتزام بالتربية الإلهية ولابد من التزامها للمسلم. فمن رضي بالإسلام دينا لابد له من الالتزام بالواجبات التي في القرآن وكذا النواهي ولا يخرج عن إطار هذه التربية الإلهية واقرأ باسم ربك تعني قم باسم ربك، وتحرك باسم ربك، واعمل باسم ربك. وانطلق باسم ربك لتكن حركتك وسكونك باسم ربك، لتكن حياتك كلها باسم ربك أي في إطار هذه التربية الإلهية.. سواء في الأعمال الإيجابية أوفي الأعمال السلبية.

فالتزام التربية الإلهية في العمل وفي الحركة وفي السكون وفي القول وفي الصمت. شعاره

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾(٨).

الصلاة والنسك والحياة بأكملها يجب أن تكون لله بل الموت - أيضا - في سبيل الله هو لله. فقوله - تعالى -:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهذه الآية وهي: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي ﴾.. إلخ شرح مطول نوعا لها. وهي قانون إسلامي بأن تكون على وجه الحقيقة لله في كل أحوالك.

قد يقوله قائل: لم لا أقرأ باسم أفلاطون أو أرسطو أو فيلسوف من فلاسفة الزمن القديم أو من فلاسفة الزمن الحديث وقد وضع هؤلاء أيضا تربية؟ والإجابة في كلمة في غاية القوة والإحكام. إنها في قوله:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ هذه الكلمة هي ﴿ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وهي الدليل القوي لوجوب أن تقرأ باسم ربك ولا تقرأ باسم كائن آخر. لماذا.؟ إنه الذي كون والذي ركب ونظم كل خلية في الإنسان على الأخرى وهو الأعرف به والأعلم به، من أجل ذلك كانت هناك الضرورة الواجبة أن تقرأ أيها المسلم باسم ربك الذي خلق أي في إطار التربية الإلهية في نظام المجتمع وفي نظام القوانين والأخلاق والعقيدة فإذا خرجت عن هذا النطاق فقد خرجت إلى البشرية الخطاءة بطبيعتها التي تتغير وتتبدل والتي يكون لها كل يوم رأي جديد. هذه البشرية إذا اتبعتها فأنت في مجال التأرجح، وفي مجال الظن وفي مجال الضلال، من أجل ذلك يجب أن تكون في نظام المجتمع في التشريع في القوانين. في الأخلاق، في العقائد، على هدى من التربية الإلهية فإذا خرجت عن هذا الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد خرجت إلى ما يأتيه الباطل في كل لحظة، ذلك فضلا عن أن هؤلاء الفلاسفة القدماء من يقرأ تاريخهم يجد كل واحد منهم يهدم الآخر.

«يتبع»

---

(٨) الأنعام (١٦٢).

مطلوب تيسير الحاسوب لمبصرى القلوب

للأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

التطور العلمى والتقدم التقنى أمر جوهرى يستمد أهميته من ركيزة إسلامية خلدها القرآن الكريم وحض عليها الرحمن فى قوله - تعالى -:(١) ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾.

وتزداد أهمية التعلم حيوية حينما يتعلق الأمر باطلاع من حرموا نعمة البصر على ما تزخر به دنيا البصر من علوم ومعارف تتراكم وتتضاعف مع مرور الأيام، ونخص بالذكر منها دنيا الحواسيب وشبكة المعلومات الدولية ودليلنا فى هذه الرحلة الشيقة أحد المكفوفين المستخدمين لتلك الشبكة منذ عدة سنوات حيث كانت مصدرا رئيسيا اضطلع من خلاله على شتى التطورات، ومختلف فروع المعرفة كتدبير الموارد المالية والأبحاث الطبية وغير ذلك من مواضيع يصعب حصرها. وكان استخدامه للشبكة ومازال بقصد نبيل وهدف جليل هو تعليم وتشجيع زملائه من المكفوفين الآخرين على استخدام الشبكة الدولية للمعلومات وخوض بحارها العميقة.

والسؤال الذى يطرح نفسه بشدة هو: كيف يتأتى لشخص لا يرى الشاشة - شاشة الحاسوب بالطبع - أن يبحر عبر أمواجها المتلاطمة المليئة بالرسوم التوضيحية والبيانات والأسهم والأيقونات؟

الأمر بسيط! فصاحبنا ينجز كل ذلك عن طريق لوحة تسمى لوحة المفاتيح ثم تقوم الطابعة بطبع ذلك كله بالخط النقطى «طريقة بريل» كما أنه يستخدم مستكشف الشبكة ومتصفحها وهو

(١) سورة طه (١١٤)

جهاز يتركب من شاشة قارئة ومخلق للكلام وكلاهما من المادة الدقيقة جدا وذلك لتحويل الكلام المكتوب على الشاشة إلى كلام منطوق بصوت غير آدمي هو صوت الحاسوب.

ويعلق صاحبنا – الذي يعمل مديرا للتقنيات بالاتحاد الوطني للمكفوفين ومقره «بالتيمور بأميركا» – بقوله: إن هدفنا الأساسي هو استخدام شبكة المعلومات الدولية بنفس الكفاءة التي يستخدمها المبصرون، ويضيف: إن الحاسوب ليس أقصى أمانينا ولا آخر طموحاتنا لكنه على الأقل اختراع يجعل حياتنا أكثر سهولة ويسرا. وواقع الحال أن كل المبتكرات العلمية وأهمها الانترنت لم تعد أمرا ترفيهيا أو أحد الكماليات، وإنما أصبحت شيئا ضروريا يمس من قريب أو بعيد حياة أكثر من نصف مليون أمريكي من المكفوفين في سن العمل.

نعم لم يعد الأمر مجرد التمتع بمعرفة الجديد في العلم لكنه أصبح مهارة ضرورية لبقاء الكفيف في وظيفته وهو كما يقول أحد المكفوفين ويعمل مبرمجا للحاسوب رفيع المستوى في العيادات والمستشفيات التابعة لجامعة ميزوري: إنه يؤثر إيجابيا على وظائف آلاف مؤلفة منا نحن مبصري القلوب بالتأكيد ومطلوب من هذا المبرمج مثلا استخدام الشبكة في وظيفته لإنجاز المشروعات الرائدة ومواكبة التقدم العلمي المذهل.

لم تعد المسألة اختيارية إذن وإنما باتت أمراً حتميا يتعلق باكتساب الرزق فلا مناص من الإلمام به واستيعابه.

وعلى الرغم من أن الإحصاءات التي يمكن أن تحصر لنا عدد مستخدمي الشبكة من المكفوفين غير متوافرة - حالياً - فإن شركات التقنية ومؤسسات الرعاية ومنظمات التأهيل تؤكد أن الأعداد تزداد باضطراد ملحوظ، فعشرات الآلاف من المكفوفين وضعاف البصر يحوزون أجهزة حاسوب وآلاف أكثر يتعلمون استخدام الشبكة وتوظيفها في حياتهم العملية.

وقد بينت دراسة نشرتها المؤسسة الأمريكية للمكفوفين بنيويورك أن ٤٣٪ من المكفوفين وذوي الإعاقة البصرية الحادة يستخدمون الحواسيب في الكتابة. وتؤكد ذلك إحدى الباحثات حينما تقول إن الكثيرين من ضعاف البصر يستخدمون الشبكة الآن وأن الغالبية العظمى من الوظائف تتطلب تعلم تلك القدرات بكفاءة ويؤكد رئيس الشركة أن العدد تضاعف أربع أو خمس مرات منذ سنة ١٩٩٥. هذا وقد أصبح عدد الشركات التي تصنع الشاشة القارئة يربو على سبع شركات على الأقل وأكثرها مبيعا هو جهاز (Jaws) لكن العقبة الكؤود هي أنه باهظ الثمن إذ تصل تكلفته إلى ٨٠٠ دولار للشاشة الواحدة.

إن الحصول على التقنية المناسبة شيء جميل حقا لكنه لا يحل القضية بكاملها. فلو أن الصفحات الموجودة بالإنترنت ليس بها نصوصا ناطقة للرسوم البيانية أو لو كانت الكتابة بها متحركة وغير ثابتة فستكون غير ميسورة لا يستطيعون قراءتها ومن ثم فإن ما يعرف بال «كونسورتيم» وهو الهيئة المؤلفة من الجامعات والهيئات ومنظمات البحث بمعهد «ماساشوستس» للتقنية تنبه لتلك المشكلة وبدأ مشروعاً مدته ثلاث سنوات أطلق عليه اسم

«مبادرة تيسير التعامل مع الإنترنت» قدم فيه الإرشادات التى تجعل استخدام الشبكة للمكفوفين أكثر سهولة ويسرا واقتدار وبراعة.

إن الشاشة القارئة هى المترجم الذى يبلغ جهاز تخليق الكلام ما الذى يقوله عندما تظهر الأسهم المرئية مصحوبة بنص يصف شيئا ما.

ويبسط لنا الأمر ذلك البصير الذى اتخذناه دليلاً فى تلك الرحلة الشيقة فيقول: إن الشاشة القارئة هى عصاى البيضاء التى أستعين بها على معرفة ما هو موجود أمامى على الشاشة.

ومما يؤكد زيادة عدد المشتركين والمستخدمين للإنترنت أن إحدى الشركات التى تقوم بتصنيع الشاشة القارئة المعروفة والمشهورة هناك شهرة شعبية واسعة الإنتشار ان عدد مشتركيها تراوح منذ عدة سنوات بين (١٥ – ١٨) ألف من العملاء. كما أكد ذلك رئيس الشركة المذكورة الذى يعطينا فكرة مبسطة عن تلك الشاشة العجيبة فيقول: إن اسمها بالإنجليزية Jawsوهى الأحرف الأولى من كلمات Jobs access with speech ومعناها الوظائف البصرية المزودة ببيانات منطوقة.

وأما المركز المعروف بمركز التقنيات التطبيقية لذوى الاحتياجات الخاصة، وهو مركز تنمية وأبحاث ليس هدفه التربح فإن به خدمة مجانية تقوم بتحليل ما بالإنترنت من مواقع وتقدم الاقتراحات لكل من يحتاج إليها.

إن التحول فى الحواسيب من نظام DOS* – وهو نظام يعتمد على النصوص المكتوبة والمخزنة فى قاعدة بيانات – إلى نظام Windows* – وهو نظام يعتمد على الرسوم البيانية فى تشغيله – أضر كثيرا بالمكفوفين بل جاء نكسة عليهم والسبب أن العالم كله لهث بحماس خلف النظام الجديد، ولذا تخلف المكفوفون عن اللحاق بركب التطور، لكن السنوات الأخيرة أظهرت اهتماماً وإيجابية مشكورة من قبل شركة Microsoft وتمثل ذلك الاهتمام البالغ بالمكفوفين فى أن النموذج الجديد للمتصفح ومستكشف الشبكة الذى ابتكرته هذه الشركة حوى جهازاً يسمى الميسر النشط، وهو عبارة عن طبقة من الشفرات الكودية تتكامل مع الشاشة القارئة، ومهمة هذا الجهاز بالإضافة إلى معاونة المكفوفين من مستخدمى الشبكة – أنه يلتحم بالمكونات الدقيقة جداً للحاسوب وذلك لمساعدة الصم وغيرهم من أولى الضرر المستخدمين لتلك التقنيات العالية، لكن العلم لا يقف عند حد، وطموحات الإنسان تسير سيراً حثيثاً، فقد ظهرت فى الأسواق متصفح ومستكشف خلا من جهاز الميسر النشط وشفراته السحرية، مما كان سبباً فى سيل هادر فى الخطابات الغاضبة والمكالمات الهاتفية المليئة بالشكوى ورسائل البريد الإلكترونية التى تمتلىء بالاعتراض واللوم والغيظ، والتى صبت جامها على مدير المنتج المطلوب وكلها تؤكد أن نزع تلك الشفرات المفيدة غير مقبول، ولا يمكن لأحد من المعاقين السكوت عنه.

وكانت الاستجابة فورية إذ بعد خمسة أسابيع فقط من تلك الحادثة أنتجت الشركة مستكشفاً

ومتصفحاً جديداً ضم في مكوناته (الميسر النشط) وبذلك أزيلت أسباب الشكوى.

ويعد تصميم الصفحة في الشبكة عنصراً هاماً من عناصر التيسير على المستخدمين. ومما يرينا أهمية ذلك أن مدير العمليات الميدانية للقومسيون الطبي بأحد مناطق الولايات المتحدة كان يستخدم الشبكة للحصول على الأسباب الخاصة بإحدى حالات العيون، وقد ركز في بحثه على الحالة التي جعلت من العسير عليه أن يبصر شاشة الحاسوب منذ ثلاث سنوات. إنه يحب كذلك قراءة الجرائد من الشبكة وهو أمر مثَّل له مشكلة كبرى والسبب أن الصحف حينما توجد على الشبكة تكون مكتوبة بشكل رأسي وأن الشاشة القارئة لا تلتقط أو تقرأ إلا المعلومات المكتوبة بشكل أفقي. ومع أن الشاشة القارئة تساعد المكفوفين كثيراً إلا أنها لم تصل فيها درجة التيسير إلى الحد الذي يجعل الكفيف يستخدم الشبكة بنفس الكفاءة التي يستخدمها أقرانه من المبصرين وحتى الشاشات التي استطاعت أن تحدد للكفيف أول السطر في الصفحات المقروءة لابد أن تحوى شروحاً للرسوم البيانية التي لولاها لأصبح من العسير على المعاقين بصريا استخدام الحاسوب فالكفاءة مطلوبة.

ويضعنا أحدهم في قلب المشكلة مجسداً لنا إياها فيقول: إن الشاشة تقول لك: «صورة، صورة، صورة» لكن للأسف الشديد لا تجد أى كلمة تصف لك أو تشرح ماهية تلك الصورة. وهو أمرٌ يسبب لنا الكثير من الإحباط.

وختاما..

فإن هناك مجموعة من الخبراء المتطوعين مهمتهم تدوين الإرشادات الخاصة لتيسير ما بصفحات الشبكة للمعاقين وهى مجهودات مشكورة حقا.

لكن المهم هو: توافر تلك الخدمات في الأعمال والوكالات الحكومية. ورغم وجود مواقع إلكترونية بالشبكة، فإن إساءة استخدامها من قبل المبصرين - كأن يغادر أحدهم الصفحة دون أن يغلقها مثلا - يسيء كثيرا، بل يضر بالمستخدمين المعاقين، وخصوصا المكفوفين.

والخلاصة: أن ما يحتاجه المكفوفون هو تعليمات أساسية وواضحة تبين لهم تماما كيف يتجولون عبر صفحات الشبكة؛ ليحصلوا على ما يبتغون من معلومات وبيانات.

إنهم لا يحتاجون، بل لا يعبأون كثيرا بالأوصاف المطولة والشروح المستفيضة المسهبة التي تساعدهم على رؤية الصور أو الرسوم البيانية. فبرغم ما تفيض به تلك الشروح من نيات حسنة طيبة نقدرها، لكنها غير مفيدة ولا عملية. ولتوضيح الأمر أقول لكم: كفوا عن وصف ما بهذه الصورة أو تلك من جمال صارخ أخاذ فليس من سمع كمن رأى، لكن المطلوب منكم تعريفي كيف أحصل على تلك الصورة حتى أقوم بنسخها لا بنتى، أو كما يقول المثل الشائع: لا تعطنى سمكة وعلمنى الصيد ساعتها سأكون عضواً أكثر نفعاً للمجتمع.

بين المجلة .. والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

رسالة الفنان

فى كتاب ربنا العزيز ما حكاه القرآن الكريم على لسان سيدنا إبراهيم - عليه السلام - إذ يقول:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾

البقرة/٢٦٠

كان السؤال طلبا لطمأنينة القلب، فجاءه الجواب من رب العزة، وطلب الطمأنينة للقلب، يرضاه الله لعباده المؤمنين، بل حثهم على التنقيب والبحث لتستريح عقولهم وتطمئن قلوبهم إلى أن الله خالق ومبدع كل شئ.

يقول عز من قائل:

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾

العنكبوت / ٢٠

وبين الحين والحين، يخرج علينا علماء الطبيعة بما فتح الله به عليهم من علم، فكأنما يفسرون آية من كتاب الله أو يشرحون حديثاً لرسوله الكريم- ﷺ - وأقصد بذلك ما قاله أخيرا الأستاذ الدكتور زغلول النجار أستاذ الجيولوجيا ومدير معهد مارك فيلد بالمملكة المتحدة فى حديثه الممتع فى برنامج نور على نور للأستاذ أحمد فراج حيث قال: إن أكثر النظريات قبولاً الآن عن نشأة الكون هى نظرية



شروق الشمس صباح ليلة القدر لعام ١٤٢١هـ وتظهر الشمس بلا شعاع

الانفجار العظيم، وإذا بالعالم الكبير وهو يوجز نظرية الانفجار العظيم تلك، ويشرح قوله تعالى:

﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

(الأنبياء/ ١٠٤)

يتطابق شرحه للآيات مع أحدث ما أثبت العلم.

ومن هذا القبيل وفي نفس الاتجاه يحمل بريد المجلة إلينا رسالة فنان أبى إلا أن يشارك بفنه وبعدسته ليؤكد ما ورد بأحد أحاديث رسول الله - ﷺ -، إنها رسالة

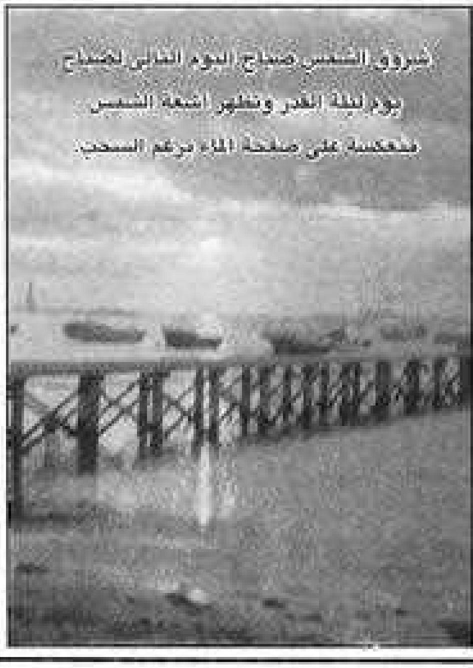
الفنان التشكيلي سعد محمد عبد المحسن الخولي - من سيدي بشر بحري - الإسكندرية..

وقد ورد في رسالته أنه يعمل بالفن التشكيلي وأن الفن الإسلامي يأخذ جل اهتمامه، وأنه قرأ منذ عشرين عاماً حديث رسول الله - ﷺ - عن ليلة القدر بأن نتحراها في العشر الأواخر من رمضان، وأن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها. فتابع شروق الشمس في الأيام العشرة الأخيرة من رمضان حتى أيقن أن ليلة القدر تشرق شمسها بلا شعاع وتابع ذلك عدة سنوات ثم يقول:

«أتشرف بأن أقدم لسيادتكم صورة الشمس وهي تشرق صباح ليلة القدر على شاطئ أبي قير بالإسكندرية وترى في الصورة الشمس بيضاء ناصعة لا شعاع لها وهذا تحقيق لحديث سيدنا رسول الله - ﷺ - الوارد في صحيح مسلم: «إن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها».

وأسأل الله العون والتوفيق والسداد.

المحرر: إلى القارئ الكريم.. ها نحن قد نشرنا رسالتك، وهنيئا لك الأجر من الله - تعالى - على هذا العمل الذي قصدت به إظهار صحة حديث رسول الله - ﷺ - بحقيقة كونية.



شروق الشمس صباح اليوم التالي لصباح يوم ليلة القدر وتظهر أشعة الشمس منعكسة على صفحة الماء برغم السحب

الليالى العشر

ومن القارئ السيد مرسى البرعى خطيب بأوقاف البحيرة وردت هذه الكلمة عن فضل الليالى العشر يقول:

من حكمة الله - سبحانه وتعالى - فى خلقه أنه فضّل بعض المخلوقات على بعض سواء كانت هذه المخلوقات بشراً أو ملائكة أو أمكنة أو أزمنة وهذا التفضيل له حكمة يعلمها الخالق ربما يكون سببه منزلة المفضَّل على غيره، ونرى أثر هذا التفضيل واضحاً فى الأشياء التى يقسم بها الله - سبحانه وتعالى - ومن هذه الأشياء المفضلة والمُقْسَم بها (الفجر) فالله إذا أقسم بشئ فلا بد وأن يكون له شأن عظيم ومكانة كريمة.

ثم يقسم بالليالى العشر، قيل: هى العشر من ذى الحجة.

عن النبى - ﷺ - «وما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام» يعنى العشر من ذى الحجة «قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله. قال: «ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ» رواه البخارى. ومعنى ذلك أن الأعمال الصالحة فى هذه الليالى يضاعف فيها الثواب حتى إن هذا الثواب يزيد على فضل المجاهد فى سبيل الله إلا أن يخرج المجاهد بنفسه وماله فيحظى بالشهادة ولا يرجع إلى أهله.

وأفضل الأعمال فى هذه الأيام: الذكر والطاعة، ولذلك ورد عن النبى - ﷺ - قوله: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير» رواه الطبرانى.

• • •

مفهوم الأعياد فى الإسلام

الأستاذ محمد عباس.. مشارك نشط يكتب إلى باب بين المجلة والقارئ منذ فترة طويلة ويكتب بغزارة، ولا تثنيه عن مواصلة الكتابة بعض الظروف التى تحجب بعض ما كتب.. نتمنى له التوفيق.. ونقدم له هذه الكلمة عن الأعياد يقول:

الأعياد فى الإسلام ليس لمن لبس الجديد ولكن لمن فى الطاعات يزيد، فالعيد فى الإسلام ليس كما يظنه البعض مظاهر براقة وأعمال شائنة وتصرفات بلهاء تدل على ميوع الشخصية واضمحلال الذات والطيش والضياع والتيه.. إن العيد فى الإسلام غير ذلك تماما فهو ناتج عن التصور الكامل للإنسان والكون والحياة، والعيد عند المسلمين مرتبط بالعقيدة والأخلاق والعبادة، والمعاملات وهو فرع عن الإيمان والتشريع، كما أن العيد وسيلة لتحقيق مقاصد الشريعة العامة فهو طريق لتنظيم علاقة الإنسان مع ربه بإعلان العبودية لله ـ تعالى ـ والثناء عليه بالتكبير والتهليل والتقديس لذلك شرع التكبير فى العيد.

وفى العيد إظهار للشكر والثناء والحمد لله ـ تعالى ـ على نعمه وأفضاله وعلى توفيقه لأداء الطاعة والعبادة.

مؤتمر التقريب

ومن الدكتور / أحمد شوقى عرفة / مصر الجديدة وردت هذه الكلمة تعليقا عما نشرته المجلة عن مؤتمر التقريب بين المذاهب.. يقول:

فى كلمته فى المؤتمر العالمى الذى عقد فى مدينة قم بإيران يومى ٨، ٩ يناير ٢٠٠١ للاحتفال بذكرى سماحة آية الله بروجودى وفضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت تحدث الشيخ محمود عبدالغنى عاشور وكيل الأزهر الشريف ـ كما جاء فى مجلة الأزهر عدد ذى القعدة ١٤٢١ فبراير ٢٠٠١ ـ فذكر فضيلته فى هذا المؤتمر، آية كريمة جامعة من كتاب الله العزيز، العليم بما يصلح أحوال المؤمنين، هذه الآية تدعو المسلمين إلى الأخوة والألفة وتحذرهم من الفرقة والاختلاف والتباغض كما أنها تدعو إلى الإصلاح بين المسلمين إذا حدث بينهم خلاف. قال ـ تعالى ـ:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

الحجرات / ١٠

هذه الآية تذكر المؤمنين بأنهم إخوة فليس للمؤمنين بعد هذا أن يخرجوا عن مقتضيات هذه الأخوة لأى سبب من الأسباب، فإذا حدث خلاف فإن الرسول - ﷺ - يذكر المسلمين بأن «فساد ذات البين هى الحالقة» وعلى ذلك فإن إصلاح ذات البين يجب أن يكون فى ظل من تقوى الله، وفى ختام هذه الآية الكريمة يقول الله - سبحانه وتعالى - ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

ولعل أول ما يزيل الفرقة والاختلاف هو معالجة ما نلاحظه فى مسجد رسول الله - ﷺ - فى موسم الحج وهو خروج السيدات الإيرانيات من المسجد النبوى إذا ما نودى للصلاة فى حين يدخل باقى المسلمين لتأدية الصلاة فما دام رب المسلمين واحد هو الله - سبحانه وتعالى - وكتابهم واحد هو القرآن الكريم، ونبيهم واحد هو محمد - ﷺ - وقبلتهم واحدة هى المسجد الحرام، فلماذا لا يصلى المسلمون جميعا إذا ما نودى للصلاة؟

نرجو من الأئمة العلماء توجيه أتباعهم إلى إزالة الفرقة الواضحة بين المسلمين فيصطفوا جميعا فى نفس الصف خلف نفس الإمام تمهيدا لإزالة باقى أوجه الخلاف لعل الله أن يرحم المسلمين جميعا.

● نشكر للدكتور أحمد شوقى عرفة اهتمامه ونلاحظ على ملاحظته: أن الرجال الإيرانيين لم يخرجوا، وذلك مما نحمد الله عليه. ولعل خروج النساء لأسباب أخرى.

ذو الحجـــة

وأرسل القارئ/ حسام جابر محمد - محرم بك الأسكندرية كلمة عن شهر ذى الحجة، ورد فيها:

روى أن العرب قبل الإسلام كانوا يحجون إلى البيت، فسمى بذى الحجة نسبة إلى الحج، وهو أحد الأشهر الحرم التى حرم الله فيها القتال.

والحج معناه شرعاً التوجه إلى بيت الله الحرام بمكة فى زمن معين بنية الطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة والوقوف بعرفة، وأداء جميع مناسك وشعائر الحج وقد فرضه الله - تعالى - بعد الهجرة، وهو ثابت بالقرآن والسنة وإجماع الأمة.

من إبداعات القراء:

فكم ذا عسيبٍ، وكم ذا ثمر

شعر الأستاذ / سليم دسوقي
عضو رابطة الأدب الحديث

رأيت الغداة بهاء العُصورْ
سَمُوق النخيل، وظلُّ الشجرْ
جَنى الجنتين نعيمَ الخلود
فكم ذا عسيبٍ، وكم ذا ثمر
وكم ذا تُعشِّش عصفورةٌ
وكم ذا يدلُّ أنيسٌ عَبَرْ
إلى واحة الله أُنْس الوجود
تُشدُّ الرحالُ، ويُطوى السَّفر
ويختلج الصبحُ عند الغدير
وتبتهج الرُّوح بين الزَّهَرْ

جبال الشوق

شعر نجاح عبدالقادر سرور

محافظة البحيرة - كوم حمادة - كفر بولين

ألا أبلغوا «سلعاً» و«أحداً» تحيتي •• وأنّ دموع البين نارٌ بمقلتي !

وأني إذا ما قيل «سلعٌ»[1] تصدعت •• سويداءُ قلبي بالحنين وشقت !

أسوقُ مطايا الشوق نحو أحبتي •• وأحضنُ «سلعاً» في خيال صبابتي !

وماضمّ «أحدٌ» غير مثوى مُعطّرٍ •• وجاور من مَلَكَ الفؤادَ ومهجتي !

فيا «سلعاً» إني لأغبطُ قربكم •• من الخلْ ما دامت جبالٌ بطيبة !

ويا «أحداً» أبلغ تحيات قلبنا •• إلى الجار إنّ الجار خيرُ أحبتي !

وإنْ كنتَ يا «أحداً» تخبّئُ ما ترى •• من الحب للمحبوب في قلب صخرة !

فإني أخبّئُ وسطَ كلّ خليّة •• فؤاداً يضمُ الشوق في كل لحظة !

وإن كنتما جبلَيْن فالقلبُ مُثقل •• يعاني جبال الشوق في كل ليلة !

عضضتُ بناني إذ تفرقتُ عنكما •• وكاد بوسْع القلب إرواءُ مُنيتي !

فأورثتُ نفسي آهةً مات عودها •• وماتت مياهُ الغيث في قلب مُزنتي !

فما أمطرتني غيرَ شوقٍ مُجمّر •• يصبُّ مياهَ النار في جذع أيكتي !

ولولا قضاءُ الله أرضاه صابراً •• لكانت على أيدي القنوط نهايتي !

(١) سلْع : اسم جبل بالمدينة المنورة، وكذا أحد كما هو معروف.

بين الصحف والمجلات

إعداد الأستاذ / محمود الفشني



المفسدون في الأرض الذين بلغ فسادهم عنان السماء فلم يرحموا الصغير فأحرقوه وعذبوه وقتلوه. ليس هناك دين لم يحرم قتل الأطفال وكبار السن والنساء. لكن هؤلاء القتلة أصحاب مذبحة مدرسة بحر البقر، وصبرا وشتيلا ودير ياسين وقتلة محمد الدرة هم الذين يجب أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ويصلبوا ويحرقوا بالنيران لقسوة قلوبهم فلم يرحموا حتى الرضيع فانظر كيف وصل بهم الجرم إلى وضع المتفجرات والألغام في لعب الأطفال لتنفجر فيهم وتفتك بهم.

هؤلاء الميتة قلوبهم السفاكين لدماء الأبرياء.

أبعد كل هذا نضع أيدينا أو نقربها منهم بعد أن دنست واختلطت بدماء الأبرياء من الأطفال والرضع والنساء والشيوخ فلم يسلم من خداعهم وخيانتهم نبي ولا رسول.

والآن وقد تولى أمرهم كبير السفاحين ألا يكون هذا داعياً لوحدة صفوفنا واعتصامنا بحبل الله وعدم تفرقنا مهما كان بيننا من خلافات.

نقدم هذه الصورة التي نشرت في جريدة الأخبار بتاريخ ٢٠٠١/٢/١٣ من ضمن عشرات الصور التي تنشر في الصحف أضعها أمامكم جميعاً فقد بكى لها الحجر قبل الإنسان. لطفل عنده ٤ شهور بعد إصابته في انفجار كرة إسرائيلية ملغومة.

المثقفــون أم الإباحيــون

نشرت الزميلة جريدة صوت الأزهر في عددها الصادر بتاريخ ٢ فبراير ٢٠٠١هـ تحت عنوان (نظرات نافذة) المثقفون أم الإباحيون والمتطرفون أم المؤمنون، للدكتور محمد رجب البيومي.

لا أدري لماذا تختلط الأوراق بهذه الصورة المسرحية في مقالات بعض من يُزعمون أنهم المثقفون، فحين فجرت في مجلس الشعب مسألة القصص الماجنة، وجدت من كتاب الصحافة من يتحدث عن مؤيدي هذا الانحراف على أنهم المثقفون، ومن يتحدث عمن يدعون إلى الفضيلة والاحتشام على أنهم المتطرفون، وظهرت عناوين مضحكة مثل «ثورة المثقفين» «احتجاج المثقفين» «دعوة المثقفين إلى اجتماع عاجل» «الدكتور القط يرفض الاستقالة دون استجابة لمطلب المثقفين» وتحت هذه العناوين تهجم على من يدعونهم بالمتطرفين وكأنهم إرهابيون يحملون أدوات التدمير!! وهكذا سميت الأشياء بغير أسمائها، كما سميت الهزيمة الفاضحة نكسة، والرشوة الضخمة «سلبية» وبوضع الألفاظ في غير موضعها الصحيح صار الباطل حقاً، وانقلب الحق إلى باطل.

كنا نعرف من زعماء الثقافة في مصر أساتذة كلية الآداب بالذات قبل أن تقوم الثورة، نقرأ من كبار ذوي الخلق الرفيع مثل مصطفى عبدالرازق وأحمد أمين وعبد الوهاب عزام وأمين الخولي، وكلهم أزهريون وكان هؤلاء يمثلون الثقافة بمعناها العلمي المعروف، ولهم زملاؤهم الأفاضل، وما عرفنا عنهم دعوة إلى قصص المجون أو تحبيذاً لأدوار الخلاعة والسقوط بدعوة أن الفن للفن، بل عرفنا عنهم ما يجعل المثقف في مصر رجل أخلاق قبل أن يكون صاحب قلم، واليوم لانرى ممن يصفون أنفسهم بالمثقفين إلا كل مدافع عن الرذيلة مدعياً سعة النظر، واتساع الأفق حين يتحدث عن اكتمال النص، وتدفق السياق مع ثورة عنيفة على من يخالفونهم الرأي ورميهم بالتطرف، لأنهم يدافعون عن حرمات الخلق، ويأتمرون بأوامر الدين، حتى أصبح لديهم كل من ينكر وجود الله أو يهاجم رسول الله أو يلحد في كتاب الله مثقفاً يجب الدفاع عن سقوطه وانهياره تارة وعن كفره وإلحاده تارة أخرى، أما من يقوم بوضع الأمر في نصابه فيجابه هذا الشر الضال، فقد أصبح متطرفاً خطيراً!!

وبناء على ذلك فحماة الأسلام في تراثهم الحافل من كبار أدباء العصر الذهبي القريب من أمثال عباس محمود العقاد، ومحمد فريد وجدي، ومحمد حسين هيكل كلهم متطرفون لأن مؤلفاتهم تعطر بتاريخ الإسلام، أما المثقفون اليوم فما أسهل ما يحصلون على هذه الصفة، حين يشترك أحدهم في ناد، أو يقدم استمارة لاتحاد الكتاب أو يخط سطورا سوداء في صحيفة غير بيضاء، وله أن يسب الله ويتهكم برسوله ويعرض من مشاهد السقوط ما تتحرج أن تعرضه المومس في مخدعها الآثم، فإذا نهض أولو الغيرة بمقاومة

هذا العبث، فما أسرع أن يجتمع المثقفون الأدعياء، وما أسرع أن يجدوا من يشد أزرهم بكتابة كلها زيف وبهتان ليقال إنه رائد طليعي يتقدم ركب الصحافة، وتظهر الإعلانات الصحفية تتحدث عن ثورة المثقفين واجتماع المثقفين واحتجاج المثقفين، وكأن الثقافة أصبحت محصورة في التحلل والإلحاد والتطاول على المقدسات، ثم لابد أن يثور ذوو الغيرة على هؤلاء الشواذ وهنا تتردد كلمات التطرف والجمود والإرهاب وسيطرة الكنهوت، وهؤلاء الأبطال المغاوير الذين يتحمسون لمن يكفر بالله وبرسوله لا يجرءون أن يكتبوا حرفاً واحداً عن رئيس يمتلك زمام الحكم بل يضعون الأقفال على أفواههم حتى إذا غربت شمسه سلقوه بالسنة من نار، وقد أمنوا عاقبة الهجوم، فأين كنتم أيها الأبطال؟

لقد نشرت الجمهورية بتاريخ ١٦/١/٢٠٠١ تحت عنوان «صوت العقل يطالب المثقفين بالتزام الهدوء» نشرت ما خلاصته: أن المثقفين هؤلاء توجهوا إلى الدكتور القط يطالبونه بالاستقالة تضامناً مع أصحاب القصص الماجنة، فنصحهم بالتريث والهدوء، ولم يستجب لما يرونه، وموضع التهكم فيما نشر ما جاء في العنوان «صوت العقل يطالب المثقفين» لأن الذين افتعلوا هذه الضجة لا يعرفون معنى الثقافة حين يرونها تعبيرة للإباحية والخلاعة والإلحاد، إن المثقف الجديد بهذا الوصف هو صاحب الخلق الرصين الذي يقوم مجتمعه إلى آفاق النور والطهارة، فهو رائد بخلقه وقلمه معاً، أما الذي يدافع عن الرذيلة بحجة حرية القلم، فهو لايعرف معنى الحرية، ولا يفرق بينها وبين الانحلال والسقوط، وهو بعد مثقف ينتمي لجمعية أدبية، ويقدم استمارة لاتحاد الأدباء، وقد يكون مدرساً في جامعة، ولكنه مريض بالنرجسية يبحث عن الاشتهار بمؤازرة الانحراف.

بقي أن نتفق على تحديد معنى الألفاظ فليس المثقف هو الداعي إلى الانحراف، وليس المتطرف هو الداعي إلى الفضيلة، أما الاعتصام بالكلمات العائمة مثل «التنوير» و «التقدمية» فقد كشف أمره، لأن التنوير الحقيقي يصدر من مشكاة القرآن، وهذا هو اعتقاد المصري المسلم الذي يدفع الضرائب من عرق جبينه لتكون مما يأخذه دعاة التدهور والسقوط حين يجلسون في مقاعد الوظائف، لا ليخدموا الأمة، بل ليفتحوا عليها نوافذ النيران.

● لا تعليق للمجلة، فقد أثلج الكاتب صدري لطرحه موضوع الثقافة التي حصروها في التحلل والإلحاد والتطاول على المقدسات والفكر الإسلامي، هؤلاء القلة القليلة ممن يدعون إلى الثقافة ويهيمون في بحورها في ظلمة قاتمة محجوبوا القلوب أكفاء لا يبصرون.

هذا خطأ.. وهذا صواب

وتحت عنوان (هذا خطأ وهذا صواب) كتب الأستاذ عوض الفقي في جريدة الأخبار صفحة الرأي للشعب في العدد الصادر في ١٥/١/٢٠٠١:

فى عرضه لكتاب الأسبوع «هاربون بمليارات مصر» للكاتب الصحفى الأستاذ عادل حمودة، كتب الأستاذ محمود عبدالشكور، فى العدد رقم «١٢٥٩» من مجلة أكتوبر، بتاريخ الأحد «١٠ / ١٢ / ٢٠٠٠م»، هذا العنوان «خد الفلوس واجرى» - على الطريقة المصرية! وهذا خطأ والصواب أن تكتب كلمة «اجر» - بدون الياء - والياء محذوفة هنا، لأن كلمة «اجر» فعل أمر مجزوم، وعلامة جزمه، حذف حرف العلة، وهو الياء.

● وعلى الصفحة الثانية من «أهرام» الأربعاء «٣١ يناير ٢٠٠١م» وفى باب «المرأة والطفل»، قرأت هذا العنوان البارز: «ذوى الاحتياجات الخاصة» وهذا خطأ، والصواب: «ذوو الاحتياجات الخاصة» لأن «ذو» بمعنى «صاحب»، وهى مبتدأ مرفوع بالواو، لأنه من الأسماء الستة، وهى «أب، وأخ، وحم، وهن، وفو، وذو».

وفى إعلان عن «وزارة الصحة والسكان» يتكرر عرضه يومياً على الشاشة يقول: عندما ترى علامة الثقة «اسأل، استشير» وكلمة «استشير» هنا خطأ لأنها مكتوبة بالياء، والصواب أن تكتب: «استشر» - بدون الياء - لأنها فعل أمر مبنى على السكون، ولما كانت الياء ساكنة، وسكنت الراء للاعراب، فالتقى ساكنان «الياء والراء» واللغة لا تحبذ التقاء الساكنين، فحذفت الياء.

● وفى مقدمة البرامج نقرأ «مهندسوا الاستديو» وهذا خطأ، والصواب أن تكتب كلمة «مهندسو» بدون الألف، لأن «الواو» هنا ليست للجماعة، وإنما هى من أصل الكلمة، وبعدها «نون»، وقد حذفت النون للإضافة.

وإذا طالعنا برامج «القناة الأولى» كل يوم فسنجد اسم هذا البرنامج «انسى الدنيا» وقد كتبت كلمة «انسى» بالياء، وهذا خطأ تقع فيه كل الصحف مع الأسف. لماذا؟ لأن كلمة «انس»: فعل أمر مبنى على حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والدنيا مفعول به، منصوب بفتحة مقدرة على الألف، منع من ظهورها التعذر.

● وفى يوم الأحد «٢٨ من يناير سنة ٢٠٠١ م» كنا فى سراى ٦ أكتوبر «السراى الرئيسية» وكان الضيف هو الأديب المفكر الكبير الأستاذ أنيس منصور وقد جاء ليدلى بشهادته على العصر، فى تمام الساعة السابعة والنصف مساء وجلس إلى جواره الأستاذ صلاح المعداوى ليدير الندوة، وفاجأنا بقوله: «والآن أقدم لكم الفيلسوف أنيس منصور» ونطق اللام الثانية قبل الياء فى كلمة «الفيلسوف» وهذا خطأ، والصواب أن يقول: الفيلسوف، وليس «الفليسوف» كما نطقها، ولم يشأ الأستاذ أنيس منصور، أن يرده حتى لا يحرجه.

وكلمة «الفيلسوف» معناها: محب الحكمة، أما كلمة «الفلسفة» فى أصلها اللغوى، فهى كلمة يونانية قديمة مركبة من مقطعين هما «فيلو» بمعنى «حب» و«سوفيا» بمعنى «حكمة»، وهكذا فإن كلمة

«فيلوسوفيا» تعنى «حب الحكمة» من الناحية اللغوية.

● وفى يوم الخميس «١/٢/٢٠٠١م» التقت المذيعة راوية راشد، فى برنامجها «رسالة معرض الكتاب» على «القناة الأولى» بشاعر العامية الكبير الأستاذ عبدالرحمن الابنودى، وسألته عن شعوره، وهو بين جمهوره العريض، وقد التف من حوله، فقال: «أشعر بأن عمرى قد استثمر، ولم يبدد، وزى ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ ما أخبرنا ان الله لا يضيع أجر من احسن عملاً»!

والآية على هذا النحو خطأ، ولأنه لا تبديل لكلمات الله فصحتها هكذا:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾.

سورة الكهف آية (٣٠)

● وما من مرة شاهدت فيها «النشرة الاقتصادية» أو «التقرير الاقتصادى» أو «المنتدى الاقتصادى» على شاشة التلفاز إلا وجدت كلمة «الاقتصادية» أو «الاقتصادى» وقد كتبت بالهمزة.

وهذا خطأ لأن الهمزة هنا «همزة وصل» ويبدو ان التلفاز لا يعرف شيئاً عن رسم همزتى: الوصل والقطع، فهمزة القطع ترسم ألفاً مهموزة، أما همزة الوصل فترسم ألفاً مجردة من الهمزة.

● وفى صحيفة «أخبار اليوم» يوم السبت «٣/٢/٢٠٠١م» شاهدت إعلاناً على صفحة كاملة لإحدى «شركات الدخان» وكيف تعمل منذ أكثر من ثمانين عاما، فى صناعة وتجارة الأدخنة ومنتجاتها ومستلزماتها، وكيف حققت رصيداً احتياطياً، وفائضاً مرحلاً، يصل إلى «٥٤٣٠ مليون جنيه» فى أواخر سنة «٢٠٠٠م» مقابل «٧٠ و ٤٤٧ مليون جنيه» فى أواخر عام ١٩٩٩م وقد تفننت الشركة فوضعت الآية الكريمة التالية – شعاراً لها – بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة آية (١٠٥)

فاللهم إنا لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه، واجعل القرآن حجة لنا لا حجة علينا، واجعلنا ممن يحل حلاله، ويحرم حرامه.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

● التعليق:

نشكر الكاتب على هذا الاستدلال وغيرته على لغته وتوضيحه للأخطاء التى يقع فيها هؤلاء وهم أصحاب أقلام وإبداع.

ويا ليت كل رجال التعليم فى صحوة وغيرة على لغتهم مثل كاتب هذا المقال.

الأزهر الرسالة لا المؤسسة

تحت هذا العنوان كتب المستشار مصطفى فرغلي الشقيرى في جريدة الأخبار الصادرة بتاريخ ١٣/٢/٢٠٠١ يقول:

الأزهر ليس هو ذلك المبنى المكون من الحوائط والجدران والذى شيده جوهر الصقلي، وليس هو الهيكل التنظيمى الذى يحكمه القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ وتعديلاته.

إن الأزهر ليس هذا أو ذاك.. إنه الرسالة التى حملها علماء أجلاء.

رسالة الحفاظ على الإسلام عقيدة وشريعة علماً وتربية ولأئمة قيادة وريادة بما حملوه من أمانة تبليغ العلم للعامة والخاصة فاوفوا لكل ذلك حقه فكان الجامع الأزهر تموج جنباته بحلقات العلم المنتشرة بين أروقته والتى يؤمها الطلاب من كل بقاع العالم الاسلامى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم.

وكان لعلماء الأزهر وطلابه قصب السبق فى كل ميادين الحياة فقاوموا ظلم الحكام من المماليك والترك والمستعمرين وكانوا هم الملاذ والملجأ للشعب إذا حاق به ظلم أونزل به جور، كان الشعب يذهب إلى العلماء بمظلمته فسرعان ما يحملونها إلى الحاكم ويتابعونها ولا يهدأ لهم بال أو يغمض لهم جفن حتى تزول المظلمة ويعود الحق إلى ذويه وإلا كانت للعلماء غضبة وثورة تزلزل عروش الحكام الظالمين.

ألم يعزل علماء الأزهر الوالى التركى خورشيد ويولوا بدلا منه محمد على؟

ألم يقم العز بن عبدالسلام ببيع أمراء المماليك حينما طلبوا منه أن يصدر فتوى بفرض ضرائب على الشعب حيث كانت خزينة الدولة خاوية فأجابهم: اولاً عليكم ببيع الذهب والحلى الذى تتزين به نساؤكم، فإن لم يكن ذلك كافياً فادفعوا ثمنكم لخزينة الدولة لأنكم عبيد، فإن لم يكن ذلك كافيا أفتى لكم بحل جمع الضرائب من الشعب.

وفى سنة ١١٤٨ هـ أصدر الخليفة العثمانى أمرا بإلغاء بعض المرتبات التى كانت تصرف فى وجوه البر العامة فلما قرئ على العلماء المرسوم الصادر بذلك قال الشيخ سليمان المنصورى معترضاً على تصرف السلطان:

«إن ذلك لا يسلم له، ويخالف أمره لأن ذلك مخالفة للشرع ولايسلم للإمام فى فعل تخالفه الشريعة»

وكان الشيخ على الصعيدى يقول لمحمد بك أبى الذهب - الوالى فى عهده - كان يقول له: اتق النار وعذاب جهنم ثم يمسك بيده ويقول أنا خائف على هذه اليد من النار.

وكأنى بالشيخ على الصعيدى يقتدى بقول إمامه الإمام مالك - رضى الله عنه - «حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقه أن يدخل إلى ذى سلطان فيأمره بالخير وينهاه عن الشر ويعظه لأن العالم إنما يدخل على السلطان لذلك».

وكانت المقاومة ضد الحملة الفرنسية تنظيماً وقيادة وجندا تنبع من الأزهر لأن علماء الأزهر وشيوخه وطلابه يعلمون أن الأزهر الرسالة يجب على رجاله الجهاد في سبيل الله وأن مقاومة الفرنسيين « فرض عين على الأمة »

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

سورة التوبة آية (١١١)

ويذكر التاريخ أن الذين تم القبض عليهم وإعدامهم من زعماء الثورة كانوا من علماء الأزهر وهم الشيخ سليمان الجوسقي والشيخ أحمد الشرقاوي، والشيخ عبد الوهاب الشبراوي، والشيخ يوسف المصيلحي، والشيخ اسماعيل البراوي.

ولا يغيب عنا أن الذي قتل كليبر القائد الفرنسي كان طالباً أزهرياً هو سليمان الحلبي.

وقبل ذلك كان نابليون قد اقتحم الأزهر بخيله ورجاله وهو لم يقتحم الجامع الأزهر كمبنى إنما باعتباره مصدر المقاومة وحامل رسالة الإسلام الذي يدعو الى الجهاد والمقاومة ذلكم هو الأزهر الرسالة، والذي نتمنى له أن يظل كذلك شعلة النور والهداية آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حاملاً لواء الدعوة إلى الله مجاهراً بكلمة الحق ضد كل فساد في المجتمع.

ولا شك أن الفساد موجود في كل عصر ومصر، ولكن مادام هناك علماء أيقاظ حريصون على الأزهر الرسالة فسوف تزول كل معالم الفساد والإفساد والخروج على قواعد الدين والأخلاق من المارقين والمنحرفين.

والأزهر كما قلت ليس مبنى أو مؤسسة دينية إنما هو رسالة ودعوة يحملها علماء عدول نهلوا العلم في أروقة الأزهر، ومعاهده العلمية على يد علمائه الاجلاء، ومن منطلق حبي للأزهر الذي على علمائه تتلمذت ومن مناهل العلوم العربية والشرعية اغترفت أخط هذه السطور وهي سطور الوفاء والحب لعلماء وشيوخ الأزهر الرسالة والدعوة.

● التعليق :

أرجو من أدعياء الثقافة وأصدقاء العولمة المتطاولين على قبلة المسلمين العلمية أن يقرأوا هذه السطور القليلة ويعلموا أنه لولا الأزهر لكانوا عبيداً للاستعمار خاضعين فكراً وعقلاً، نشكر الكاتب المستشار مصطفى قرغلي الشقيرى على غيرته على الأزهر وعروبته وإسلامه وفقه الله وأكثر من أمثاله على ما بذله في هذا المقال.

أنباء مكتب شيخ الأزهر

لفضيلة الشيخ / عمر البسطويسى

الأردن يطلب إشرافا أزهريا على مناهجه التعليمية

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سمو الأمير الحسن بن طلال والوفد المرافق لسموه حيث رحب فضيلته بسمو الأمير والوفد المرافق في مصر وأزهرها الشريف مؤكدا على عمق العلاقات المصرية الأردنية مشيرا إلى ان الأزهرالشريف الذى عمره الآن أكثر من ألف عام يعمل دائما على نشر العلم النافع متوخيا الوسطية والاعتدال وذلك بالاهتمام بحفظ القرآن الكريم كاملا فى مرحلة الدراسة ودراسة جميع المذاهب الفقهية دون التحيز لمذهب بعينه، كما أوضح فضيلته ان جامعة الأزهر الشريف يتبعها أكثر من ٥٤ كلية تدرس جميع العلوم الحديث إلى جانب العلوم الدينية وهذا هو دور الأزهر الشريف فى نشر العلم الذى تحكمه الضوابط الدينية والاخلاقية وغرس القيم النبيلة التى تدعو إلى الأمن والسلام والأمان ونبذ الفرقة والتعصب والتحيز، وأشار إلى أن مدن البعوث الإسلامية بالقاهرة والأسكندرية تستوعب طلابا وطالبات من ٩٤ دولة من جميع دول العالم يدرسون فى الأزهر الشريف بجانب إخوانهم في مصر حتى يحصلوا على الشهادات الجامعية الأزهرية وبعضهم يستمر فى دراسته حتى يحصل على الماجستير والدكتوراة، وأضاف أن الأزهر الشريف يرحب بالحوار البناء وباب الأزهر مفتوح لكل من يأتى إليه متعلما أو مستفتيا أو محاورا.

أعرب سمو الأمير عن تقديره لحسن الاستقبال والحفاوة وقدم الشكر لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على زيارته للأردن مؤخرا مشيدا بأحاديث فضيلته عن الجوانب الإيمانية والروحية.

وأشار سموه إلى خطورة ما يحدث فى أوروبا والعالم الغربى من تبنى فكرة صراع الثقافات والحضارات خاصة فى الجانب القيمى وأنه لابد من وجود للجواب الإسلامى حول هذا الموضوع وتوضيح فكرة

حوار الحضارات مؤكدا أهمية تولى الأزهر الشريف هذا الموضوع باعتباره مهد العلوم الإسلامية في العالم، كما أكد على ضرورة تطوير النظام الإنساني العالمي وتطوير العلاقات بين أهل المذاهب بعيدا عن الجوانب السياسية وإخراج النظريات إلى الواقع العملي وخاصة مع الأقليات الإسلامية التي هي في أمس الحاجة إلى تطبيق تلك النظريات كنظرية التعلم والوسطية ودعا سموه إلى إنشاء صندوق عالمي للزكاة للاجئين المسلمين، وأوضح الدكتور محمد عدنان بخيت رئيس جامعة آل البيت بالأردن أنه لابد من وجود تبادل علمي وثقافي بين الجامعة والأزهر الشريف والوصول إلى أفضل طريقة لترسيخ مبادئ الإسلام على نطاق واسع وطالب بوجود بعثة أزهرية للإشراف على المناهج التعليمية تمهيدا لمعادلة الشهادات بمثيلاتها في الأزهر الشريف حتى يتسنى لأبناء الأردن استكمال دراستهم في الأزهر الشريف.

وقد أهدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأمير الحسن موسوعة الأزهر الشريف في ألف عام ومصحف الأزهر الشريف، كما أهدى سمو الأمير فضيلة الإمام الأكبر موسوعة أسماء الله الحسنى.

رافق الأمير الحسن الدكتور على عتيق أمين عام منتدى الفكر العربي، والدكتور كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة والدكتور محمد عدنان بخيت رئيس جامعة آل البيت.

مفتى القدس فى ضيافة الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه فضيلة الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس يرافقه الدكتور فيصل الحسينى مسئول ملف القدس.

رحب فضيلته بالضيفين الكريمين فى مصر وفى أزهرها الشريف مشيدا بما يراه من المواقف الإيجابية للفلسطينيين لإثبات حقوقهم المشروعة فى أرضهم، وأكد على أن مصر وشعبها وقيادتها تقف بجانب الشعب الفلسطيني للحصول على حقوقه المشروعة غير منقوصة، وان كل ما يتعلق بالقضية الفلسطينية تؤيده وتتعاون معهم فيه، وان السلطة الفلسطينية هى صاحبة الرأى الأول والأخير فيما يتعلق بشئونهم الداخلية والخارجية ونحن معهم ومن ورائهم نتعاون معهم بكل ألوان المعاونة والمساعدة وأشار فضيلته إلى ان تكاثر النسل الفلسطيني أمر مطلوب شرعا لزيادة مقدرة الفلسطينيين على مواجهة إسرائيل وأكد فضيلة مفتى القدس بأن موضوع الانتفاضة هو قضية الشعب الفلسطيني ولا نريد الانشغال عنه بقضايا أخرى ودعا فضيلته إلى أن تقف الدول العربية والإسلامية والدول المحبة للسلام بجانب القضية الفلسطينية لمؤازرتها ومساندتها ومناصرتها للحصول على حقوقها وتحرير القدس الشريف.

وتحدث السيد فيصل الحسينى مسئول ملف القدس مؤكداً أن أبناء الشعب الفلسطيني صامدون في مواقعهم متمسكون بأرضهم ويحافظون على هويتهم برغم المحاولات الصهيونية

بتوسيع نطاق التواجد الحدودى للقدس لإسقاط هوية الفلسطينيين.

وأكد فضيلة شيخ الأزهر الشريف على أنه حينما تأتيه الدعوة من السيد الرئيس ياسر عرفات رئيس الدولة الفلسطينية لزيارة القدس بتأشيرة فلسطينية سيلبى الدعوة وأما غير ذلك فلا.

مشروع التمويل العقارى

● اجتمع مجلس مجمع البحوث الإسلامية برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بجلسة طارئة، وذلك لمناقشة مشروع التمويل العقارى المحال للأزهر الشريف من وزارة الاقتصاد لإبداء الرأى الشرعى فيه قبل عرضه على جهات الاختصاص، وقد ضم فضيلته إلى المجلس عددا من الخبراء الاقتصاديين المتخصصين وعددا من رجال الأعمال فضلا عن مندوبين عن وزارة الاقتصاد ووزارة الإسكان وبعض البنوك العاملة وقد تم مناقشة المشروع مناقشة مستفيضة، وانتهى المجمع إلى تأجيل إبداء الرأى فى المشروع المعروض بناء على ما عرضه السيد مستشار وزارة الاقتصاد لتقوم وزارة الاقتصاد بإعادة صياغته فى ضوء المناقشات التى تمت، على أن يعاد إلى المجمع مرة أخرى فى صورته المعدلة مع نماذج الاتفاقات والصور المتوقعة فى تطبيق مشروع القانون، وبذلك يتمكن المجمع من إبداء الرأى الشرعى.

حضر الاجتماع د. محمود زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور نصر فريد واصل مفتى الجمهورية وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف وفضيلة الشيخ سيد وفا أبو عجوز الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية.

الإمام الأكبر :

لا فرق بين مسلم ومسيحى فى الحقوق والواجبات

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه البطريرك جريجوريوس لحام بطريرك انطاكيا وسائر الشرق والاسكندرية وأورشليم والوفد المرافق وذلك بمناسبة تنصيبه رئيسا لكنائس الروم الكاثوليك فى الشرق الأوسط.

رحب فضيلته بالوفد مبينا لهم بأن الأديان السماوية تدعو إلى اعتناق الفضائل فهى تدعو إلى البر والتقوى والاحترام كما تدعو إلى الحق والعدل والوقوف بجانب المظلوم حتى يأخذ حقه، والأديان تنبذ الرذائل والفرقة والعنف.

وأن الدعوة إلى التحلى بمكارم الأخلاق هى مهمة رجل الدين حيث هو القدوة التى يحتذى بها الناس وإذا كان التحلى بمكارم الأخلاق واجبا على كل الناس فهو على رجال الدين أوجب وألزم وهى رسالة قادة الأديان.

وقال فضيلة شيخ الأزهر الشريف: إننا فى مصر مبدؤنا أن كل من يحمل الجنسية المصرية يتساوى فى الحقوق والواجبات لا فرق بين مسلم ومسيحى فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، وأما العقائد فلكل إنسان عقيدته وحرية العقيدة مكفولة للجميع والذى يحاسب على العقائد هو الله - عز وجل - فلا إكراه على العقائد والقرآن الكريم يقول ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ وكل قول يأتى عن طريق الإكراه لا قيمة له.

كما أوضح فضيلته أن الأزهر الشريف يرحب بالحوار البناء من أجل نشر العدل ورفع الظلم ومنع الاعتداء على الآمنين وإعطاء كل ذى حق حقه، ورد الحقوق لأصحابها.

شكر الضيف فضيلة الإمام على حسن اللقاء مشيدا بدور فضيلته فى قيادته الروحية والدينية للأزهر ومؤكدا على شعوره بمصريته ووجوده فى بلد الأمن والأمان رغم إقامته بالشام، وأضاف بأن لقاءه بفضيلة الإمام الأكبر اليوم هو الغذاء الروحى، وأن الأزهر الصرح العظيم للإسلام هو صرح من صروح المحبة والعروبة، وأنه يكن للأزهر وللشيوخ كل محبة لأنهم يعظمون الله، وقال: إننا كرجال دين نعطى الخبرة الروحية لأجيالنا، مشيدا بوجود لجنة للحوار فى الأزهر الشريف لما لها من أثر طيب نابع من شعب طيب ومؤكدا على ما قاله فضيلة شيخ الأزهر من أن أهداف هذه اللقاءات هو العمل على ما يفيد المجتمع الإنسانى بعيدا عن الحوار فى العقيدة لأننا نجتمع على نشر الخير والعدل والرخاء ومساندة المظلوم ليعم الخير على الأمم والشعوب.

الإمام الأكبر يستقبل رئيس وزراء أسبانيا

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة خوزيه ماريا أزنار رئيس الحكومة الأسبانية والوفد المرافق.

رحب فضيلته بالضيف ومرافقيه فى مصر وأزهرها الشريف شارحا لهم نظام التعليم بالأزهر الشريف بمراحل التعليم المختلفة من مرحلة الحضانة حتى المرحلة الجامعية والدراسات العليا، وكذلك المواد التى تدرس فى كل مرحلة والعناية بحفظ القرآن الكريم، كما أشار فضيلته إلى أن العلاقات بين جمهورية مصر العربية وبين دولة أسبانيا علاقات قوية ومتينة وقديمة منذ مئات السنين كما أن حضارة أسبانيا لا تستطيع أن تنكرها، وأن أعدادا كبيرة من أبناء مصر يذهبون إلى أسبانيا للتسلح بالعلوم الحديثة المختلفة، لأن بأسبانيا مكتبات تضم الكثير من الكتب العلمية والثقافية، وأوضح فضيلته بأن الحضارات متصلة بين الأسبان والعرب منذ ثمانية قرون.

وحول سؤال من السيد رئيس الوزراء عن زيارة بابا الفاتيكان للأزهر، أعرب فضيلة الإمام الأكبر بأنه سعد بزيارة بابا الفاتيكان للأزهر، وقد أثنى قداسته على الأزهر الشريف وعلى نظام التعليم به لأنه مؤسسة دينية ضخمة لها شأنها ووزنها وتأثيرها فى العالم، وقد صدر بيان من الأزهر فى هذا الشأن، كما أن العلاقات تتم أيضا من خلال اجتماع لجان الحوار بين الأديان والتى أنشئت فى مايو عام ١٩٩٨ وتعقد بروما والقاهرة، وتنظيم عقد اللجان واللقاء يتم دوريا كل عام، كما تعقد لقاءات طارئة مثلما حدث عقب أحداث البوسنة والهرسك.

وأكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن الأزهر الشريف يرحب بالحوار وبالتعارف والقرآن الكريم أمرنا بذلك يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾

ولابد لكل شخص أن يعبر عن رأيه لأن التعبير عن الرأى يولد الإحساس بالتقارب والإخاء والتعاون، وحول سؤال من الضيف عن حوار الحضارات، حيث إنه شخصيا يؤيده، أجاب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر: إننا نحافظ ونعمل من أجل ذلك لأن حوار الحضارات بين الأمم يولد التقارب والتآلف والتعارف كما قلت.

شكر الضيف فضيلة الإمام الأكبر على هذا اللقاء مشيدا بما يتخذه الأزهر فى أسلوبه لحوار الأديان وحوار الحضارات لما لذلك من تأثير فعال فى تقارب الحضارات وتقارب الشعوب وتوضيح لمفاهيم الأديان بين الشعوب وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر للضيف موسوعة الأزهر فى ألف عام باللغة العربية والإنجليزية، وقدم الضيف هدية تذكارية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

دورات تدريبية لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى بالأزهر الشريف

● شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بقاعة الاحتفالات الكبرى بمشيخة الأزهر الشريف حفل تخرج أئمة ودعاة العالم الإسلامى الذين أتموا الدورة التدريبية بمدينة البعوث الإسلامية من دول: فلسطين، وبنجلاديش، وماليزيا والمالديف، ومالاوى، وتايلاند، واستمرت الدراسة لمدة ثلاثة أشهر اعتبارا من ١ / ١١ / ٢٠٠٠ تلقوا خلالها التدريبات على الفتيا، وحضور المحاضرات فى العلوم والمعارف الإسلامية على أيدى السادة علماء الأزهر الشريف.

وقد ألقى فضيلته كلمة حث فيها الخريجين على الالتزام بكتاب الله حفظا ودراسة والالتزام بسنة رسوله ـ ﷺ ـ والتوسط والاعتدال فى فتاواهم فى أمور الدين، موضحا بأن الدين الإسلامى، دين الوسطية والاعتدال، دين تبشير لا تنفير، دين يسر لا عسر، دين يبغض العنف والتطرف، والظلم، دين يساوى بين الناس فى الحقوق والواجبات، دين يحق الحق ويبطل الباطل، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما نصحهم بأن يكونوا قدوة طيبة حسنة لغيرهم من أبناء بلادهم، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق ويترفعوا عن الخلافات المذهبية، ويظهروا سماحة الإسلام، وأن ينقلوا ما تعلموه إلى أهليهم وذويهم وأن يكونوا رسل سلام ومحبة، وأن يذكروا الأزهر وعلماءه، ويكونوا على صلة وتواصل دائم بالأزهر الشريف.

ثم قام فضيلته بتوزيع الجوائز وشهادات التخرج وأهدى لكل عالم مكتبة إسلامية قيمة لتكون مرجعا هاما له يمكن الاستعانة بها والرجوع إليها.

كما قام فضيلته بافتتاح الدورة التدريبية الجديدة لأئمة ووعاظ العالم الإسلامى وعددهم ٣٢ إماما وواعظا من دول بوروندى، غينيا كوناكرى، إفريقيا الوسطى، الكاميرون، قيرغيزستان، سيرلانكا، الجزائر.

مشروعات دينية بمحافظة الدقهلية

● قام فضيلة الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف، وفضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف نائبا عن فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر وفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر يرافقهم فضيلة الشيخ على فتح الله رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ عمر السطوحى رئيس الإدارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر للإعلام والعلاقات بافتتاح ووضع حجر أساس مشاريع دينية بمحافظة الدقهلية وهى:

● معهد السحراوى للفتيات الإعدادى الثانوى بالسنبلاوين وقد بنى على مساحة ٢٥٠٠م٢ وتكلف مليونين من الجنيهات.

● مجمع معاهد الحاج محمد رجب بطماى الزهايرة الابتدائى الإعدادى الثانوى على مساحة ٤٢٠٠م٢ وتبلغ تكلفة بنائه ثلاثة ملايين من الجنيهات.

● معهد السحراوى للبنين بالسنبلاوين وخصصت له مساحة قدرها ١٥٠٠ م٢ بتكلفة مقدارها مليونا من الجنيهات.

● كلية التربية للبنات جامعة الأزهر الشريف بطماى الزهايرة على مساحة قدرها ١٠٠٠٠م٢ (فدانين وربع الفدان) بتكلفة قدرها سبعة ملايين جنيه بالجهود الذاتية.

٥ - كما تم افتتاح مسجد المدينة المنورة بطماى الزهايرة ومبنى على مساحة ٦٠٠م٢ ويتكون من طابقين وخصص جزء منه لتحفيظ القرآن الكريم.

اجتماع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين بالأزهر الشريف

● برئاسة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتمع المجلس الأعلى للآباء والمعلمين على مستوى المناطق الأزهرية بالجمهورية يوم ١٧ من ذى القعدة ١٤٢١ هـ ١١/٢/٢٠٠١م حيث تم انتخاب الدكتور خمساوى أحمد الخمساوى أمينا للصندوق للمجلس لمدة عامين خلفا للدكتور غنيم شعبان الخارجى لانتهاء فترة ترشيحه، كما تم اختيار المعاهد بالمناطق الأزهرية التى تجهز لتركيب أجهزة كمبيوتر بها للبنين والفتيات، كما ناقش المجلس عرض خطة لإضافة دراسة الكمبيوتر كمادة ضمن برامج النشاط، وأعلن فضيلة الإمام الأكبر أنه سيتم تخصيص مبالغ مالية للمعاهد الأزهرية طبقا للتوزيع الجغرافى للمعاهد وكثافتها العددية لاستخدامها فى عمليات الترميم وشراء الاحتياجات الضرورية للمعاهد وتم مناقشة بعض التعديلات فى لائحة المجلس لتيسير الإجراءات الإدارية حتى يتسنى تنفيذ المشروعات الطلابية الخاصة بالأنشطة، وتيسيرا على العملية التعليمية، وكافة مستوياتها.

***

الفهرس السنوى
لعام ١٤٢١هـ

المحـــرم

صــفر

ربيع الأول

ربيــع الآخــر

جمادى الأولى

جمادى الآخرة

رجـــب

شعبان

رمضــــان

شـــوال

ذو القعدة



ذو الحجـة